مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ

لِلزَّجَّاجِ
أبي إسحق إبراهيم بن السَّرِي
المتوفى سنة ٣١١ هـ

شَرْحُ وتحقِيق
دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزءُ الأوّل

عالم الكتب

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيا : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

كتب الزجاج

معاني القرآن

الاشتقاق

خلق الإنسان

فعلت وأفعلت

الأنواء

مختصر النحو

خلق الفرس

شرح أبيات سيبويه

الفرق

القوافي

العروض

النوادر

تفسير جامع النطق

ما ينصرف وما لا ينصرف

مخطوطات الكتاب

١ ـ نسخة ط مصورة في دار الكتب المصـرية، تفسيـر طلعت رقم ٤٦٧ من أول القرآن وتنتهي ببضع آيات من أول سورة هود.

٢ ـ نسخة ب مصورة من المكتبة العمومية باستامبول «بايزيد» رقم ٢٤٧ وبها.

الجزء الأول من الكتاب وينتهي بآخر سورة المائدة.

٣ ـ نسخـة ك من معهد المخـطوطات العـربية بـالقاهـرة، وتنتهي ببضع آيات من أول سورة الأنعام.

مصورة من مكتبة كوبا ريللي باستانبول رقم ٤٢.

٤ ـ نسخة أخرى من ب من معهد المخطوطات العربية.

وهي عديمة الفائدة لم نستفد منها كثيراً لرداءَة التصوير والنقص.

٥ ـ نسخة من المعهد البريطاني تبـدأ بسورة النسـاءِ وتنتهي بآخـر القرآن الكريم.

٦ ـ نسخة م ـ تبدأ بسورة النساءَ وتنتهي بآخر سورة هود.

وقد اعتبرنا النسخة ط أصـلاً حتى نهاية سورة يونس ولكن آثرنا غيرها في مواضع قليلة نبهنا عليها.

مراجع عن الزجاج

أخبار النحويين البصريين	١٠٨
انباه الـرواة	١ ـ ١٥٩
الأنساب	الورقة ٢٧٢
البداية والنهاية	١ ـ ١٤٨
بغية الوعاة	١ ـ ١١
تاريخ أبي الفداء	٢ ـ ٧٢
تاريخ بغداد	٦ ـ ٨٩
تاريخ ابن كثير	١ ـ ١٤٨
تهذيب الأسماء واللغات	٢ ـ ١٧٠
شذرات الذهب	٢ ـ ٢٥٩
طبقات النحويين	١٢١
فهـرست ابن النديم	٦٠ بيروت
مراتب النحويين	٨٣
معجم الأدباء	١/١٣٠
النجوم الزاهرة	٣ـ٢٠٨
نزهة الألباء	٣٠٨

الأقواس ودلالاتها

استعملنا الأقواس الآتية:

« » للدلالة على نص أو كلمة يراد لفظها.

( ) للدلالة على أن ما بينهما ورد في بعض النسخ ولم يرد في البعض الآخر، ونبهنا على النسخ التي أوردته في الهامش.

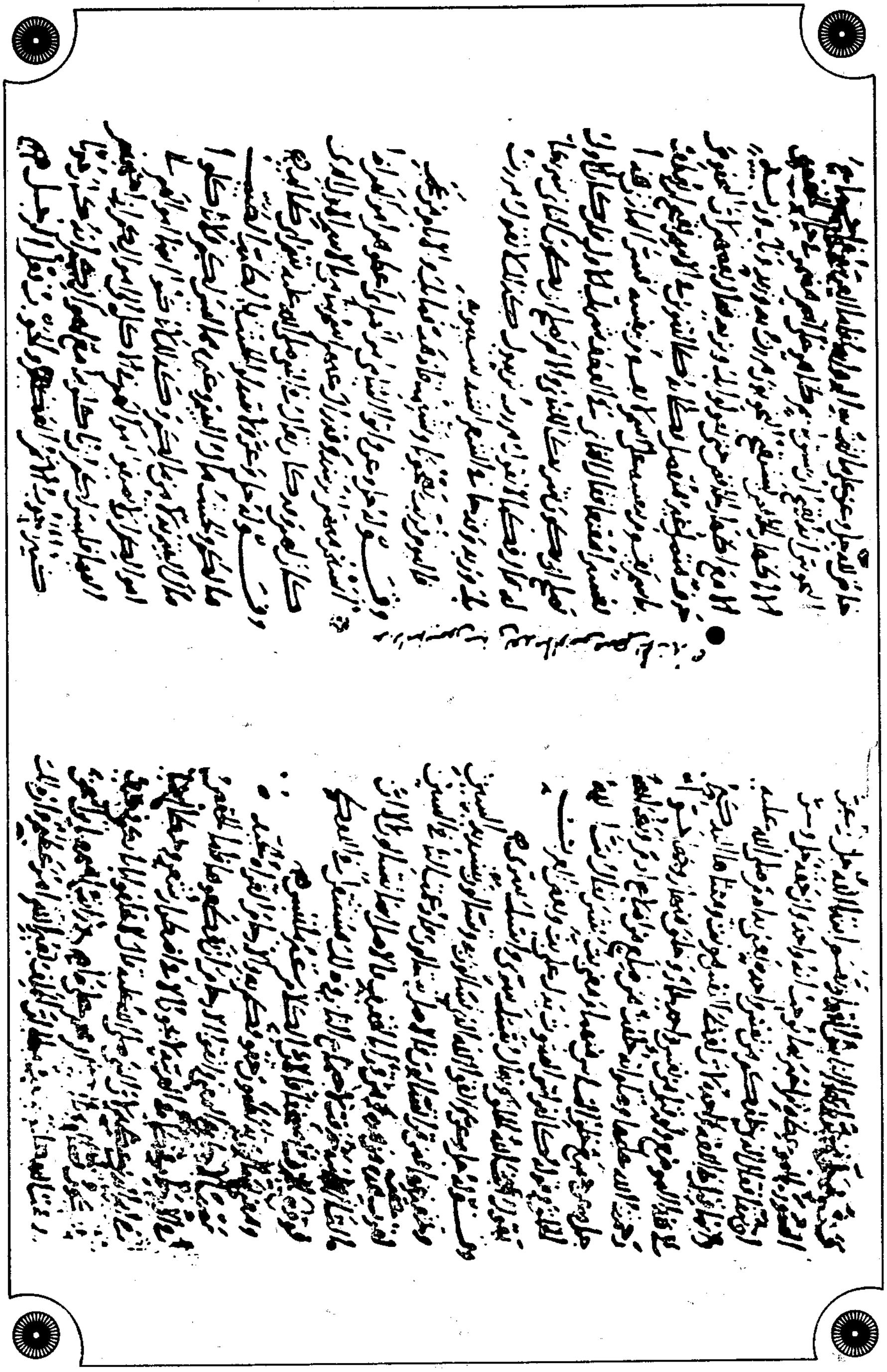
[ ] للدلالة على ما زدناه تتميماً للمعنى أو توضيحاً له.

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

أقسام الكلم ثلاثة

[illegible]



تفسير الكشف

٤٦٧

عدد آي القرآن حكى ابو عمرو الداني في كتاب البيان اجماعهم ستة آلاف آية
ومائتا آية وست وثلاثون آية ...
... عن عطاء بن يسار سبع وسبعون الف كلمة
واربعمائة وتسع وثلاثون كلمة وأحصى حروفه ...
عبد الله بن كثير عن مجاهد انها ثلاثمائة الف حرف وواحد وعشرون
الف حرف ومائة وثمانون حرفا وقال الفضل عن
عطاء ثلاثمائة الف وثلاثة وعشرون الفا وخمسة عشر حرفا ك

جمع القراء والحفاظ والكتاب في زمن الحجاج في اجزاء القرآن على ان نصفه
الى الفاء في قوله في الكهف وليتلطف وثلثه كان عند رأس مائة ... براءة
والثلث على رأس مائة او احدى ومائة من الشعراء وسبعه كان اوله الى قوله فمنهم من آمن به
ومنهم من صد والثاني الى التاء من قوله في سورة الاعراف حبطت والثالث الى الالف الثانية
من قوله في الرعد اكلها والرابع الى الالف في الحج جعلنا منسكا والخامس الى الهاء من قوله في الاحزاب ولا مؤمنة
لمؤمن ولا مؤمنة والسادس الى الواو من قوله في الفتح الظانين بالله ظن السوء
والثاني الى وليتلطف من سورة الكهف والثالث الى آخر الزمر ...
في حياته كيف تحزبون القرآن قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة

مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ

لِلزَّجَّاج
أبي إسحق إبراهيم بن السَّرِي
المتوفى سَنة ٣١١ هـ

شَرحُ وتحقيق
دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الأوَّل

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب

بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقيًا : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

الزَّجَّاج

أَبـو إسحق إبراهيم بن السَّـريّ بنُ سَهل، غلب عليـه اسم الزَّجَّـاج لأنه كان أول حياته يحترف خِـراطةَ الـزُّجَاج، فهـو لقب مهنته، كـان دخله من هذا العمـل ضئيلاً لا يكـاد يتجاوز الـدرهمين وربما كـان درهمـاً واحـداً أو درهمـاً ونصف الدرهم(١)، وتاقت نفسه مع مـا هو فيـه مِنْ إقلال، إلى التَّعَلُّم ومَعْـرِفةِ اللُّغَـةِ فاتصـل بمجلس ثعلب، وظَلَّ يستفيـد منه حتى وفـد المبرد على بغـداد واتخذ له حَلْقَةً في المسجد فانتقل الزجاج إلى حلقة المبرد وترَكَ ثعلَباً.

كـان المبرد لا يُعلّم إلا بـأَجْرٍ ولا يبـذل لتلاميـذه من علمه إلا بقـدر مـا يـدفعون لـه من المال(٢)، وكـان يُنْتَظَر بهـذا أن يكون حظ الـزجـاج من تعليم أُستاذِهِ ضئيلاً جـداً، لكنه عـرض أن يدفـع للمبرد درهمـاً واحداً كـل يوم، مـا امتدت حياتهما، سواء احتـاج إلى التعلـم أو استغنى عنه، ويمنحـه المبرد في مقـابلة ذلك من العلم أقصى مـا يبـذل من التعليم، وقبـلَ المبـردُ مـا عـرضـه الزجاج، فلزمه، وكان يخـدمه في أمـوره مع ذلـك(٣)، وكان هـذا تلميذاً ذكيـاً مجـداً استـطاع أنْ يَحْصَـل في زمن قصيـر على قـدر واسـع من المعلومـات، واكتسب إلى جـانب ذلك ثقـةَ أُسْتاذه، وكـان من تلاميـذه المقرَّبين إليـه. وقد

---

(١) في انباه الرواة: درهم ودانقان أو درهم ونصف.

(٢) كان لا يعلم مجاناً، ولا بأجرة إلا على قدرها (انباه الرواة) ١/ ١٥٩ ـ ٦٠.

(٣) تاريخ بغداد.

وفى كل منهما لصاحبه، وظل الزجاج يدفع لأستاذه هذا الأجر، ولما اتسع رزقه بذل له عطاءً أكثر وبعث إليه بالهدايا الثمينة، وظل يرعاه في آخر حياته ويرفُق به في كِبَره حتى انتقل المبَرِّدُ إلى جوار رَبه راضياً عن تلميذه.

ثراءُ الزجاج:

عاش الزجاج طوال أيام تَعلُّمِه على هذه العيشة الضئيلة المقلة ثم أخذت أخلاف الرزق تدرّ عليه وأسبابُ الحياة تنفسح له حتى صار من الأثرياءِ.

وأول ما كان من أسباب ثرائه، أن بعض بني مارقةَ(١) ـ وهم قبيلة عربية كانت تسكن العراق قريباً من نهر الصَّراةِ، ببغداد ـ كانوا في حاجة إلى معلم لأولادهم واستعانوا في ذلك بالمبرِّد، إذ كان من المعلمين الذين لهم شهرة وله تلاميذ يحسنون القيام بهذا العمل. ورجا الزجاجُ أُستاذَه أن يُسميَه لهم ففعل ـ فكان ذلك أَوَّلَ يَساره وكان يُنفذُ للمبَرد من هناك ثلاثين دِرْهماً كل شهر ويزيده ما يستطيع من الهدايا.

ثم إن الوزير عبيد اللّه بن سليمان طلب مؤدباً لابنه القاسم وسأل المبردَ أن يختارَه له، فاختار الزجاجَ، وكتب الوزيرُ إلى بني مارقة يستنزلهم عنه فوافقوا، وأصبح الزجاج مؤدب القاسم وتَوثقت أَوَاصرُ المودَّة بينهما ورسخت قدم الزَّجَّاج في بيت الوزارة.

تمنى الزجاج على القاسم إذا أصبح وزيراً مكان أبيه أن يمنحه عشرين ألف دينار، وتولى القاسم الوزارة مكان أبيه(٢) ولكنه تهيب منح الزجاج هذا

---

(١) في تاريخ بغداد وانباه الرواة: «بني مارمة»، بالميم، والذي في كتب التراجم الأخرى مارقة. بالقاف.

(٢) كانت خلافة المعتضد من سنة ٢٧٩ إلى سنة ٢٨٩، نحو عشرة أعوام، وقد مات عبيد اللّه بن وهب والد القاسم سنة ٢٨٨، وحزن عليه الخليفة لما كان له عنده من مكانة، واستوزر ابنه =

المبلغ خشية من الخليفة المعتضد، وتهيب الزجاج أن يسأله، ولكنَّ الوزير أخبره أنَّهُ على ذكر من وَعْده ثم وجهه إلى طريق آخر. وهو أن يتوسط إليه في قضاء حاجات الناس، فيقدمَ رِقاعهم إليه ويأْخذَ منهم جُعْلاً على وَساطَتِهِ وزادَ القاسمُ، -وهذا مما يؤسف له- أن قال للزجاج. . . «ولا تمتنع عن مسألتي شيئاً، تخاطب فيه صحيحاً كان أو محالاً، إلى أن يحصل لك مال النذر»[1] بل رُبَّما وجهه الوزير إلى مُماكَسةِ ذوي الحاجات وسؤالهم المزيد من الأجر[2]، وبهذا حصل الزجاج على المبلغ الذي أراد في مُدَّة وجيزة، بل حصل على أكثر منه ولكنه كان كلما سأل الوزير أجاب أنه لمَّا يحصل بعد على العشرين ألفاً حتى اكتمل لديه ضعفه. ولكن الوزير مع هذا منحه ثَلاَثَةَ آلاف من عنده هُو صلةً له، وأمره أن يظل فيما هو عليه من تقديم الرقاع والوساطة لطلاب الحاجات كيلا يحسب الناس أن صلته بالوزير قد قُطِعَتْ أو أن مكانته عنده قد تغيرت، . وقال له: أعرض على على رسمك وخذ بلا حساب[3].

أثْرى الزجاج من هذا الطريق وحصل في نحو عام واحد على ما يزيد على أربعين ألفَ دينار، وهو طريق غير مشروع، ومع ذلك استمر فيه وهو في هذا الثراءِ.

ثم هيِّئ له أن يتصل بالخليفة المعتضد أيضاً وينادمه.

وكان سبب هذا الاتصال أنّ أحدَ جُلَساءِ الخليفة من الكتاب وهو محمد

= القاسم جبرا لمصابه (الكامل ١١/٨٥) وكان القاسم كيساً حاذقاً ذا فضل وكرم، وفيه تواضع ومهابة، ووزر بعد المعتضد للمكتفي، وتدل مكانته العلمية على مدى ما أفاد من الزجاج.

(١) ياقوت ١/١٣٣.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، والانباه أيضاً ١/١٦١.

ابن يحيى بن عباد ـ الذي يعرف باسم محبرة[1] النديم، وكان حسن الأدب، ألف للمعتضد كتاباً جامعاً في اللغة، سماه جَامع النطق، تأسى فيه بالخليل ابن أحمد في كتاب العَيْن، وعمله جداول على حروف الهجاءِ، فاستعصى فهمه على الخليفة وطلب من القاسم بن عبيد اللَّه أن يتطلب من يفسره، واعتذر عن ذلك كل من ثعلب والمبرد لكبر سِنّهما، وأُحيل الكتاب على الزجَاج فقام به وسَمَّى شرحه «الثنائِي» أو «مَا سُمِّي من جامع النطق» ـ وهي نسخة واحدة كتبت للخليفة وحده.

وقد أجاز المعتضد الزجاج على هذا الكتاب، وجعله من ندمائه فأصبح له رزق في الندماءِ، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، ثلثمائة دينار كل شهر.

وبهذا أصبح الزجاج من ذوي المكانة والثراء.

خلق الزجاج:

يوصف الزجاج في كتب التراجم بأنه كان من أهل الدين والفضل حسن الاعتقاد جميل المذهب، وكان من أتباع أحمد بن حنبل مؤثراً لمذهبه حتى كان آخر ما قاله وهو على فراش الموت: «اللهم احشرني على مذهب أحمد ابن حنبل»[2]. وفي كتابه «معاني القرآن» مواضع كثيرة تُفْصِح عن قوة إيمانه وثبات عقيدته، واستعداده للدفاع عن الإسلام، كما يبدو تورعه في تحذيره من قراءَة لم ترد وإن كانت اللغة تجيزها.

ويذكر مترجموه دليلاً على حسن خلقه أيضاً أنه اختصم مرة مع رجل يُدْعَى مسينيد[3] فشتمه الزجاج وسبه، فكتب إليه مسينيد بهذه الأبيات:

---

(١) في انباه الرواة: ١٦٤ : محمد.

(٢) ياقوت ١ / ١٣٠.

(٣) في أنباه الرواة وتاريخ بغداد «مسينة».

أبى الزجاج إلا شتْمَ عِرْضي ... لينفعه فأثَّمة وضرَّه[1]
وأقسم صادقاً ما كان حرٌّ ... ليطلق لفظه في شتم حُرَّة[2]
ولو أني كررت لفَرَّ مني ... ولكن للمنُونِ عليَّ كرَّه
فأصبح قد وقاه اللّه شَري ... ليوم لاَ وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّه

فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلاً واعتذر إليه وسأله أن يعفو عنه ويسامحه.

هذا الحدث ـ في الواقع ـ يدل على خلق مسينيد أكثر مما يدل على حسن أخلاق الزجاج. فظاهر من هذا الشعر أن الزجاج شتم الرجل وأطلق لسانه في سب عرضه، وشتْم أُمِّه، ولكن الرجل رد نفسه عن النيل من الزجاج أو عقوبته بالمثل، فعلَ ذلك خشية من اللّه، مؤثر أن يدع صاحبه ليوم الحساب حيث ينتقم اللّه تعالى له.

وبهذا الشعر أيقظ في نفس الزجاج عاطفة الخوف من اللّه والحياءِ من الناس، فهو قد ذكر قُدْرَتَه على الانتقام ولكنَّ ذِكْرَهُ الموتَ جعله يؤثر العفْوَ، وذكر أنَّ الزجاج على العكس من ذلك ارتكب إثمَ شَتْمِه وأصبح عُرْضَةً لانتقامِ اللّه في يوم الحساب ولو أن الزجاج لم يعتذر إليه بعد هذا كله لأصبح قالة سوءٍ على لسان الناس، فكان لا بد أن يعتذر اعتذاراً لا يمحو فقط سوء فعله، بل يحمل الناس على الثناءِ عليه، ولكن إذا كان الاعتذار والرجوع إلى الحق فضيلة، فأفضل منها عدم التردي فيما يعتذر منه.

ويؤخذ على الزجاج أيضاً شرهُه المادِّي وقبوله المال من طريق غير شريفة. فوساطته للناس في قضاءِ حاجاتهم لم تكن إلَّا نوعاً منَ الرّشوة، تواطأ

---

(١) كسبه الشتم إثماً ومضرة.

(٢) شتم الزجاج أم مسينيد. ويروى البيت: لينطق لفظهُ.

عليها هو والوزير، وشجعه الوزير عليها سواء كانت حقاً أو باطلاً، وقد جمع منها مبلغاً ضخماً واستمر عليها حتى بعد أن أثرى.

وإذا أغضينا عن عدم شرعية التعاقد بينه وبين المبرد باعتباره نوعاً من التعاون العلمي دفَعَت الحاجةُ الزجاجَ إليه، فإننا نجد الزجاج أَخَلَّ مرة بهذا العقد، فشغلته شؤون الوزير عن بر أستاذه وانقطع عنه مدة، وكان المبرد قد أَسَنَّ وأَصبح في حاجة لهذا العون، فاستدعى الزجاج وسأله: أيكُونُ حَسَدُ الإنسان من غير نفسه قال: لا، قال المبرد فما معنى قول اللّه تعالى: ﴿وَدَّ كثيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾[1].

ولم يستطع الزجاج أن يجيب، وقال المبرد إذن فاعلم أنه قد بقي عليك أشياء كثيرة لم تتعلمها[2].

وعاد الزجاج إلى بر أُستاذه.

فهو إذن أهمل أُستاذه إذ شعر أَنَّه استقل بنفسه واستغنى عنه، ثم دفعه شعوره بالحاجة إليه إلى برِّه. والمبرد بِدَوْرِه لا يريد أن ينال من عَطْفِه على سبيل الصدقة، ولا حتى طلباً للوفاءِ بما تعاقدا عليه، ولكنه أَشعره بنقص علمه واستمرار حاجته للاستفادة من أُستاذه.

عصره:

عاش الزجاج في القرن الثالث الهجري، وفترة من أول القرن الرابع ـ

---

(١) البقرة من الآية ١٠٩.

(٢) انظر هذه القصة في أنباه الرواة ١ ـ ١٦٤، وطبقات النحويين البصريين للزبيدي، وفيه أن الزجاج أجاب أن حسد الإنسان قد يهيجه عليه شخص آخر، وقد ينبعث من نفسه وهذه الطائفة يثور حسدهم من أنفسهم لا من شيء خارجي، وانظر الآية. في معاني القرآن ص (١٩٣ من هذا الجزء) فهناك وجهة أخرى.

وهـذا الزمن الـذي عاش فيـه يعتبر من أخصب العصـور الفكريـة في التاريـخ العـربي، نضجت فيه ثمـار العلوم في مختلف أنواعهـا ـ وغني بعلماءٍ كثيـرين ذوي شهرة واسعة في شتى ميـادين العلوم، ولا نزال إلى وقتنـا الحاضـر نعيش على هذا التراث الفكري الذي خلفه هؤلاءِ العلماءُ الأفذاذ.

كـانت العلوم الأجنبيـة التي تـرجمت إلى اللسـان العـربي قـد دُرِسَتْ وهُضِمَت وتفاعلت مع الثقافة العربية، فَغَذَّت أفكار العرب ومدت عقولهم بزاد جديد من النقـد والتفكير، على هـذه الثقافـة الوافـدة اعتمد رجـال الكلام في جَدَلِهِمْ وافتراضـاتهم العقلية، كمـا اعتمد عليهـا رجال الفـرق فيما فَـرَّعُوه من مسائل وتقارعُوا به من أدلَّة وحُجَج حتى الذين كـانوا بِمَبْعَـدَةٍ عن موضـوعات الفلسفة وفروعها، لم يكونوا بعيدين عن التأثر بها ولا سالمين من أساليبها، بل نجدها قد هجمت على رجال البحث اللغـوي ففرعـوا بوحْيِهـا النحو وفلسفـوه حتى نجدهم يكتبون في «علل النحو»[1] ويشرحون مَسَائِله تشريحاً لا علاقة له بكيفية النطق وإنما يبحث في أسباب الحـركة وتعليلهـا بحثاً لم يخـطر للأولين ببال.

وبوجه عـام يمكن أن نميز بين مدرستين مختلفتين، إحداهمـا تلك التي درست علوم اليـونان وثقـافتهم عن طريق مبـاشر واتصـل بها نتـاجهم الفكري ومـوضوعـات أبحاثهم وهم رجـال الفرق والكـلام، والأخرى مـدرسة العـرب الخُلّصِ الذين كانـوا يقفون جهـدهم العلمي ودرسهم على اللغة العـربية ومـا يتصل بدرسها من قواعد النحو والتصـريف، وأشعار العـرب وحكمهم وأَمْثَالِهم وتفسيـر القرآن الكـريم ومـا تحـويـه آيـاتـه من غـوامض اللغـة ودقيق مسـائـل الإعراب.

---

(١) كتاب للزجاجي مليء بالعلل النحوية الثانوية التي ننفر منها الآن.

والفرق بين المدرستين عظيم جداً، يكفي لكي نَتَبَيَّنَه أن نقرأ كتاباً مثل حيوان الجاحظ وكامل المبرّد، فالأول إلى جانب ما حوى من غزير الأفكار وواسع المعلومات وعميق البحث، مليءٌ أيضاً بالأشعار وفرائد الحكم وشوارد الأمثال وحيثما قرأنا منه نجده يوجهنا إلى فكرة أو يمدنا بمعلومات، أما المبرد فقد شغله إعراب الأبيات وشرح ما بها من أساليب البيان وموازنة قول بقول وبيان فاضل الأقوال ومفضولها عن أي شيءٍ آخر من البحوث.

ويتعرَّضُ كلٌّ من الكتابين لشرح آيات قرآنية، فيوردها هذا استدلالاً لرأي أو احتجاجاً على آخر أو استنتاجاً لفكرة، بينما يوردها الآخر لحل مشكلة إعرابية أو تأييد وجهة نظر نحوية أو تصديقاً لأسلوب تعبيري وهكذا.

منهج الدراسة العربية:

وإلى هذا الوقت كانت دراسة النحو قد انتهتْ، وقَوَاعِدُ النطق قد جُمِعتْ وبُوِّبَتْ، فاتَّجه النحويّون إلى تشريح عللها وتحليل جزئياتها، فلم يكن همهم أن يُبَيِّنُوا كيف تنطق كلمة أو كيف تكتب وإنما يُبَيِّنُونَ لِمَ كانت هكذا وَلَمْ تكن كذلك. وكانت المدرستان الكبيرتان في النحو قد تقاربتا كثيراً - نذكر من تقاربهما سببين إثنين نراهما أكثر أهمية من غيرهما.

أولهما: قدوم العلماءِ البارزين من نحويي البصرة والكوفة جميعاً إلى بغداد، بعد أن أصبحت مقر الخلافة وبها الوزراءُ والقُوَّادُ والأثْرِيَاءُ وكلهم ينشد معلمين لأولادهم، وكان المبردُ إمام النحو البصري وثعلب إمام النحو الكوفي يجلسان معاً في المسجد لكلٍّ حَلْقَتُهُ ومن حوله تلاميذه وربما جمع التلاميذ بين الأستاذين وآوى الواحد منهم إلى هذه الحلقة فترة وإلى الثانية فترة أخرى.

ومن هذا التزاوج نشأت مدرسة حديثة بغْدادية تجمع مزايا المدرستين أو

تتخذ لها مذهباً خاصاً لا هو بصري خالص ولا هو كوفي خالص، ولا هو خال من أي منهما وإنما هو مذهب مستقل تكونت لَبِنَاتُه منهما جميعاً. وهذا يعلل لنا نشأة الأفكار الجزئية المستقلة لدى ناشئة هذا العصر من أمثال الزجاج، وابن السراج، والزجاجي ومعاصريهم.

والأمر الثاني هو رحلة الأخفش - سعيد بن مسعدة - إلى الكوفة، فقد رَحَل أولا لينتقم لأستاذه سيبويه من الكسائي فلما أقام هناك تأثر هو جزئياً بمذهب الكوفيين كما غَذَّى أفكار الكوفيين بمذهب سيبويه ووجهات نظره النحويَّة. ولهذا نجد الأخفش يتخذ لنفسه مذهباً خاصاً هو غالباً مذهب وسط بين المدرستين، وقد درَّس الأخفش كتاب سيبويه هناك وكان الكسائي نفسه ممن تلقوه عنه سراً، وكافأه على درسه بمكافأة سخية، وعندما مات الفراءُ كان كتاب سيبويه تحت وسادته.

وكتاب سيبويه كان حينئذ عمدة الدراسة النحوية، ولا بد لدارس النحو من قراءته، وكان المبرّدُ يقول لمن يسأله أن يقرأ هذا الكتاب عليه: هل ركبت البحر!؟ استعظاماً له، ولم يخل واحد من النحويين المعروفين من عمل في هذا الكتاب، من شارح له أو شارح لشواهده أو نُكته، أو الرد عليه ومعارضته في بعض مسائله، أو الانتصار له وهلمّ جرّاً. وكان ذلك مما قرب بين المذهبين.

دراسة جديدة:

بجانب ذلك اهتم النحويون بدراسات نحوية ولغوية خاصة، من ذلك شرح أبواب معيَّنة من النحو لما بها من غموض وصعوبة مثل باب المقصور والممدود، وباب التأنيث والتذكير، وباب ما لا ينصرف وهكذا.. أبواب مُعَيَّنة يدْرُسُها أكثر من نحوي اهتماماً بها. وفي دراسة اللغة همَّهم بجانب جمع

للغة تبويبُ مسائِلها وإيجادُ محْورٍ لمجموعات منها ترْتبط به وتتبلور حوله، مثل خلق الإنسان، وخلق الفرس، والأنواءِ، والإبل، وهكذا، والمقصود منها تعريف الناشئة بهذه اللغويات وتسهيل درسها عليهم.

ثم تأْتي الدراسة القرآنية، فنجد أَكثر من نحوي يؤلف «مَعَاني القرآن» وبدأَت هذه الدراسة القرآنية «بمجاز القرآن» لأَبي عبيدة. ثم زاد عليه الأَخفش سعيد بن مسعدة وهذَّبه وأَصلح منه وقال الكتاب لمن أَصلحه، وَمِنَ الأَخفش أَخذ كل من الكسائي والفراءِ كتابه معاني القرآن، على ما بينها من اختلاف في الشرح والترتيب وكتب قطربٌ، محمد بن المستنير بحوثاً قرآنية طريقة اتجه فيها إلى الدفاع عن القرآن مثل الرَّد على الملاحدة، ولكن بحوثه بوجه عام لغوية ونحوية، وكان لكتاب الفَرّاءِ شهرة خاصة لأَنه أَول كتاب مطول جمع إلى شرح اللغويات والمسائل النحوية شرح معاني الآيات. وردَّ على أَبي عبيدة كثيراً مما أَخطأَ فيه. واقتصر بعضهم على إعراب القرآن أو إعراب ما هو مشكل فيه من الآيات. واستمرت هذه الحركة بكل جوانبها إلى العصر التالي فنجد المدرسة التالية تهتم بهذه البحوث نفسها كما فعل أَبو جعفر النحاس وابن الراوندي بمصر وهما من تلاميذ الزجاج.

وإذ كانت حركة النحو قد انتهت إلى هذا الحد، اتجه العلماءُ وجهة نحوية ولغوية جديدة قادها أَبو علي الفارسي وتلميذه ابن جني[١] وهي دراسة الصَّوْتيَّات العربية والربط بين روايات اللغة وقراءَات القرآن، ونشطت هذه الحركة في القرن الرابع.

وبحوث اللغويين والنحويين في القرن الثالث كانت ترتبط بقراءَات القرآن ورواياته، وكان للنحويين الأوائل قراءَات أَكثرها فيما وراءَ القراءَات العشر. فعُنِيَ هؤلاءِ بتخريجها وتوجيه إعرابها.

---

(١) ومن مشهوري هذا العصر في القراءات ابن مجاهد وابن الأنباري وابن خالويه.

وقد كانت دراسة القرآن مِنْ حيث روايتُه أَحدَ الأُسس الهامة في دراسة اللغة في هذا العصر، وبعض النحويين ـ مثل الكسائِي وأبي عمرو ـ لهم قراءة سبعية، والكسائي أَخذ عن المفضل الضّبي الراوي القاص المشهور.

ورواية الأَشعار وقص الأَخبار تمثل ركناً من الدراسة اللغوية وهي حركة بدأَت قبل ذلك وكان لها أَثرها دائماً في الثقافة اللغوية والنحوية جميعاً. ولم يكن القُصاص ممن يعتمد عليهم في الحديث ولا يعتبرون مصدراً موثوقاً به في شؤون الدين. لكنهم كانوا مصدراً هاماً في الأَدب واللغة، وكانت هذه المعلومات مما يُكَوِّنُ به الناشئ وتتطلبها مجالس الخلفاءِ والكبراءِ وتعمَرُ بها الأنديةُ الأَدبية والمساجد جميعاً.

عصر المناظرات:

كان احتشاد العلماءِ من مختلف الجهات وفي مختلف العلوم مدعاة للتنافس فيما بينهم، فكثرت المناظرات بين العلماء كل يريد إظهار تفوقه وميزة المذهب أَو الطائفة التي ينتمي إليها، وحقاً كانت المناظرات موجودة من قبل، ولكن شاعت في هذا العصر شيوعاً يسوغ لنا أَن نسميه عصر المناظرات، كانت قصور الخلفاءِ وبيوت الوزراءِ والكبار من رجال الشعب وحوانيت الوراقة، مجالس علم ومقامات للتناظر بين العلماء، وكان الناس يهتمون بنتائج هذه المناظرات اهتماماً يذكرنا بالنقائض التي راجت في العصر الأموي[1].

وتحفظ كُتب التاريخ مُثُلًا كثيرة من هذه المناظرات، بين أَصحاب المذاهب الفقهية ورجال الكلام والنحويين واللغويين، ولعل هؤلاءِ كانوا أَكثر من غيرهم، إذ كان منهم المؤدبون لأَولاد الخلفاءِ والوزراءِ، وكل يريد أن يظهر على نظيره لينال بشهرته حظوة أكثر ومكانة أرسخ وأجراً أعظم.

وقد جمع الزجاجي ـ تلميذ الزجاج ـ طائفة من هذه المناظرات في كتابه

(١) لم تكن النقائض تأخذ مأخذ الجد كهذه المناظرات.

«مجالس العلماءِ»، وفي كتب التراجم والتاريخ كثير منها، وكما أن بغداد نمت علماءَ المصرَيْن ـ البصرة، والكوفة ـ وقربت بين مذهبيهما، أبرزت مذهبها هي أيضاً وأذكت روح التنافس بين عَلَمائِهما وشجعتهم على الإكثار من المناظرات.

كان ثعلب كبير نحويي الكوفة قد سبق إلى بغداد ثم جاءَ بعده المبرد كبير نحويي البصرة في عصره، ولم يكن ثعلب مستريحاً لقدوم المبرد لأنه نازعه مكانته، ثم زاده استياءً أن مِنْ تلاميذه من تحوَّلَ من مجلسه إلى مجلس المبرد كما فعل الزجاج نفسه حتى خَتنه أبو علي الدينوَرِي، كان يخرج من بيته ومعه مَحْبرته ليقرأ كتاب سيبويه على المبرد[1]، وكان ذلك يغيظ ثعلباً، وكان يعاتب أبا علي فلا يلتفت إليه. إذ كان يرى المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب، لأن المبرد قرأه على علماءَ قد درسوه أما ثعلب فعرف الكتاب من قراءَته الخاصة[2].

وأينما وجد هذان العالمان في مكان ثارت بينهما أسباب المناظرة وطلب الحاضرون مناظرتهما[3]، وكان المبرد يميل إلى مناظرة ثعلب بينما كان هذا يروغ منه ولا يميل إلى مناظرته[4]، ذلك أن المبرد كان فصيح العبارة حلو الكلام جيد التراكيب ولم يكن ثعلب مع علمه موصوفاً بالبلاغة، وكان في كتبه لا يخرج عن طباع العوام في كتبهم، ومذهبه في حديثه مذهب العلميين[5].

وقد جر التنافس بينهما إلى خُصومَةٍ بين أتباعهما. وقد أورد ياقوت طرفاً من

---

(١) انظر الانباه حـ ١ ـ ١٤٤. ومعجم الأدباء ٥/١٢٠.
(٢) ياقوت: ٥/١٢٠ ـ ١٢١.
(٣) البغية ١١٥، وياقوت ٥ ـ ١٣٦، ١٩ ـ ١٢٠٠.
(٤) ياقوت ١٩ ـ ١١٨، الانباه ١ ـ ١٤٥.
(٥) الانباه ١ ـ ١٤٥.

خصومة الزجاج وثعلب نفسه، كما أورد الزجاجي في مجالس العلماءِ شيئاً من هذا.

ذكر الزجاج نقداً لفصيح ثعلب أورد فيه عشرة مآخذ على هذا الكتاب[1]. قال ياقوت إن العلماءَ باللغة لم يسلموا للزجاج بها. وقد ألفوا تآليف في الانتصار لثعلب. ومن العجيب أن الزجاج نفسه وقع في بعض الأخطاءِ التي أخذها على ثعلب فقد أخذ عليه أنه قال: عرق النَّسَا، والصواب أن يقال النسا فقط كما قال أمرؤ القيس.

فأثبت أظفاره في النسا[2].

وكان النحويون أشهر في المناظرات وكان لهم مكان خاص يجتمعون فيه للتناظر، وكان الجرمي لكثرة ميله إلى المناظرة يسمى النباح.

ولكنه في تفسير الآية: ﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل﴾ قال إن يعقوب عليه السلام كان به عرق النسا.

ولم تكن هذه المناظرات كما هو واضح، يراد بها تحقيق مشكلة علمية أو الوصول إلى الحقيقة فيما اختلفت فيه المذاهب ولكن كان الهدف الأساسي هو الظفر بالشهرة والغلب على الخصم بوجه ما. فذلك طريق الشهرة وطريق الرزق ومفتاح الثراءِ، ومناظرة سيبويه والكسائِي مشهورة معروفة[3] ولم يكن الغرض منها إلّا القضاءَ على سيبويه، حتى ليقال إن الأعراب الذين حُكِّمُوا للفصل في هذه الخصومة لم يقولوا شيئاً سوى أن قالوا: الحق ما قال الكسائِي.

ومن يقرأ هذه المناظرات يجد بها كثيراً من المغالطات، زَوَّرَها، صاحبها

(١) ياقوت ١ ـ ١٣٩. وانظر فيما يأتي ص ٤٤٣.
(٢) عجزه: فقلت هبلت ألا تنتصر.
(٣) أنظرها في مجالس الزجاجي.

ليورط بها خصمه ويكسره أمام الناس ويظفر هو ببطولة المعركة وشرف الانتصار، وهو انتصار يجوز على العامة، ولا يثبت للنقد والتمحيص.

وكان من عادة ثعلب إذا وَفَد أحدُ العلماءِ على مسجد بغداد أن يبعث ببعض تلاميذه ليسألوه ويُعَجِزوه لتبقى له هو وحده مكانته العليا ويستبدَّ بالشهرة الواسعة في بغداد، وقد فعل ذلك مع المبرد، فأرسل إليه الزَّجَّاجَ ضمن من أرسل ليحاجُّوه ويظهروا نقصه عن تلاميذ ثعلب ولكن المبرد بَهَتَهُمْ بسعة علمه وقدرته على الجدل وتفريع مسائل العلم فتحول الزجاج إليه وترك مجلس ثعلب[١].

ومع سعة النشاط في هذه الحركة هدأت سريعاً بعد هذين العالمين. ثعلب والمبرد. وتحول النحو وجهة أخرى كما ذكرنا. وبوفاتهما انتهت مرحلة من مراحل التطور التاريخي لعلم النحو.

ثقافة الزَّجَّاج:

الزجاج من المعلمين تلميذٌ لثعلب وللمبرد، وأُستاذ لابن السراج، وأبي عَلِي الفَارسيّ، والحسن بن بشر الآمدي، وغيرهم، ومَدرَسَةُ المعلمين في ذلك الوقت كانت تقوم على دراسات معينة قوامها دراسة اللغة ورواية الأشعار والأخبار وما إلى ذلك مما وصفناه آنفاً، فهي تمثِّل الدراسة العربية البحتة، وكتاب سيبويه ـ كما ذكرت ـ ركنٌ أساسيّ في هذه الدراسة، والزَّجاج واحدٌ من هؤلاءِ، وكل ميزته أنه من نابغي مدرسة المبرّد، ولا أتردَّد أَن أُقدِّمَهُ على الأَخْفَش راوي الكامل. وكان من جماعة المعلمين أمثالِ الفراءِ مَنْ تَأَثَّر بالثقافة الأجنبية وشارك في بحوث الكلام، ولكن الزجاج لم يكن له حظ يذكر من هذه الثقافة

---

(١) انباه الرواة ٣/٢٤٩.

اللهم إلا ما تسرب إلى ذهنه من طريق غير مباشر.

وفي هذا الميدان الخاص يتفوق الزجاج في درس اللغة تفوقاً ملحوظاً، واستشهاداته الشعرية في «معاني القرآن» تدل أيضاً على سعة روايته للشعر، وقد تعمق دراسة النحو وانفرد بمذهب خاص له فيه، ولم يدرس قراءَات القرآن ورواياته ولكنه ألمَّ بقراءَات اللغويين ومعظمها من الشواذ، لهذا نجده يتردد في غير موضع فيقول يجوز في هذه الآية كذا وكذا إن كان قُرئَ به. أو هذا ما تجيزه اللغة ولا تقرأن به حتى ثبتت رواية صحيحة أنه قرئَ به وهكذا.

وقد ذكر أنه اعتمد في القراءَات التي أوردها على ما روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام.

وككثير من المعلمين لم يكن الزجاج قويَّ العِبَارَةِ حَسنَ الأُسلوب فعبارته تلتوي في كثير من الأحيان وتركيبها تنقصه الناحية الفنيَّة فقد تَطُول وتكثُر متعلقاتها، وقد يقدّم ما يستحق التأْخير، وقد يُؤدَّى المعنى بعبارة طويلة حيث يمكن أن يؤَدى بأَقل منها، ولكن يخفف من حدة هذا النقد أن عبارته تستقيم في أكثر الأحيان ولا بأس عليه أن ضعف في هذه الناحية وقد قوي في نواحٍ أخرى - ثم إن كثرة المعلمين كانوا كذلك، فكان أبو عبيدة لا يقيم بيت الشعر وكان ثعلب يكتب كما يكتب العوام، ويخطئ في بعض عباراته[1].

ولا يوازن الزجاج بثعلب ولا بالمبرد، فيبدو كل منهما أوسع منه قراءَة ودرساً، كما يُبدَوان أحسن تعبيراً وأقدر على الكتابة منه، ومن يوازن بين كتابته وكتابة ثعلب في فصيحه أو في مجالسه، أو ما كتبه المبرد في كامله يجد الفرق واسعاً بين كتابتهما وكتابة الزجاج. والجزءِ التفسيري الذي تركه المبرد في كتاب

---

(١) انظر ياقوت ١١٧/٥.

الكامل يعطي صورة ما عما كتبه في كتابه «مَعَاني القُرآنِ»، وهوَ أُسلوب يمتاز -ولا ريب-عن أُسلوب الزجاج، والموازنة أيضاً بين كتابي «خلق الإنسان» لكل من الأَصمعي والزجاج تظهر صورتين مُتَباينتين، فكتاب الزجاج جافّ يخلو من الروح الأَدبي لم يرد فيه غير بيت واحد أَو بيتين من الشعر، فهو متن لغوي يسرد الكلمات سرداً، بينما كتاب الأَصمعي غنيٌّ بالأَمثال والشواهد الأَدبية مما يجعل دراسته شيقة حبيبة للقارىء.

والزّجاج مع هذا ليس فقيراً في النوادر والأَخبار، فله كتاب النوادر الذي يحوي - فيما نظن - كثيراً من الطرف والأَخبار النادرة، وقد كان الزجاج من ندماءِ المعتضد والمكتفي، كما كانت له مكانته لدى الوزير أبي عبيد وابنه القاسم.

ومهما يكن من شيءٍ فهو نحوي كبير ولغوي كبير، وله تلاميذه ومدرسته كما له أَثره في ثقافة عصره.

بقي شيءٌ آخر نشير إليه:

جاءَ في معجم الأُدباءِ أَن الزَّجاج حين عهد إليه أَن يفسر جامع النطق استعار كتب اللغة من ثعلب والسكري لأنه كان ضعيف العلم باللغة[1].

وهذا وصف خطير، لا نجد ما يسوغه، فإن المبرد حين اعتذر عن تفسير هذا الكتاب لكبر سنه أقترح أَن يقوم الزجاج به[2]، وهو لا يقترحه إلا لعلمه بكفايته له، وقد قام به الزجاج خير قيام، أَما استعارته كتب اللغة فلا تعني ضعفه. لهذا قد تعني هذه الكلمة أَنه لم يكن لديه كتب لغة، أَو أَنه كان أَقل من هذين الأُستاذين.

---

(١) حـ ١ ـ ١٥٠.

(٢) نفسه ١٤٩.

معاني القرآن:

قد يكون هذا الكتاب أهم آثار الزجاج، وكُتّاب التراجم يضَعُونَه دائماً في رأْس القائمة من كتبه، وربَّما ذكروا قبله «ما فسره من جامع النطق» ولكن هذا الأَخير لم ينسخ منه غير نسخة واحدة خصصت للخليفة. فلم يكن النفع بها عامّاً، والاسم الكامل لهذا الكتاب هو «معاني القرآن وإعرابه» مما يؤذن أن إعراب القرآن قسيم للمعنى في عمله، وفي المقدمة قال: هذا كتاب إعراب القرآن ومعانيه، فقدم الإعراب على المعنى، ونجده يؤكد ذلك مرة أُخرى إذ يقول:

«وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير لأَنَّ كتاب اللَّه ينبغي أن يتبين أَلا ترى أن اللَّه يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ﴾ فَحُضضنا على التَّدبُّر والنظر، ولكن لا ينبغي لأَحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة أو ما يوافق نقله أهل العلم[1]. . . . .».

فالإعراب إذَنْ مقصد أساسي للزّجاج والمعنى ينبني عليه، وما لم يتوقف على إعراب ينقل ما قال المفسرون فيه، فيقول مثلاً: والذي في التفسير، أو وقال المفسرون، فيكون عمله هو الرواية لا غير. ويختم عبارته بقوله: واللَّه أعلم.

استغرق الزَّجاج في تأْليف هذا الكتاب نحو ستة عشر عاماً، بدأ يمليه سنة ٢٨٥ هـ وانتهى منه في سنة ٣٠١ هـ، أي قبل وفاته بنحو عشرة أعوام. أملاه وهو في القمة من نضجه الفكري وتَمكُّنه اللغوي، ولم تُذْكَرْ راويةٌ للكتاب ولا سبب لتأْليفه، ولعله فعل ذلك قُرْبَى إلى اللَّه تعالى أو إجابة لرغبة بعض تلاميذه، ويبدو أنه درسه غير مرّةَ، لأَننا نجد تبايناً جوهرياً بين النسخة ـ ك ـ

---

(١) ص ١٨٥.

والنسخ الأخرى في تقديم بعض العناصر أو الآيات. وفي تغيير كثيرٍ من الألفاظ والعبارات مما فهمنا معَهُ أنّه كان إملاءً آخر. يبدو كذلك أن الكتاب تدوول كثيراً يدل على ذلك اختلاف كتابة النسخ التي توصلنا إليها، وبعض هذه النسخ مشحون بالتعليقات والتفسيرات خصوصاً النسخة «ر» التي حصلنا عليها من المعهد البريطاني فإنها تحمل من هذه التعليقات ما يعادل الكتابة الأولى.

ومنهج الزَّجاج في تفسيره: أن يَبْدَأ عَقِبَ ذكر الآية القرآنية، باختيار ألفاظ منها ليحللها على طريقته هو في الاشتقاق اللغوي، فيذكر أصل الكلمة والمعنى اللغوي الذي تدل عليه، ثم يورد الكلمات التي تشاركها في حروفها أو بعضها ليردها جميعاً إلى أصل واحد، ويستشهد على رأيه بما يؤيده من كلام العرب شعراً أو غير شعر، وقد يستطرد فيشرح الأمثلة التي يستشهد بها ثم يعود لإعراب الآية إن كان فيها ما يحتاج إلى إعراب، وفي هذا المقام يناقش النحويين الآخرين فيرد رأيهم أو رُبَّما يؤيده، وفي هذا الصدد يورد قراءات اللغويين، وهي غالباً قراءات شاذة مما وراء العشرة، كما يورد القراءات المشهورة ليبين المعنى على هذه القراءات فيقبله أو يرده، وقد يقف عند حرف من حروف اللغة مثل «لن» أو «بل» أو «لا» . . . فيشرحه شرحاً نحوياً حتى يستوفيه ثم يقول: فهذا جميع ما قال النحويون في هذا.

والزجاج بغدادي أدنى إلى مذهب البصريين ـ لأنه تلميذ المبرد ـ فهو في شرحه يجري غالباً على مذهب أهل البصرة، ولكن في بعض الأحيان يُؤثر مذهب الكوفيين ويجري عليه[1] ثم له هو مذهبه الخاص الذي كثيراً ما يكون مرفوضاً من الآخرين[2]، وعلى أي حال هو معتمد على نفسه كل الاعتماد

(١) انظر مثلًا ص ٧١.

(٢) انظر فيما سبق إعرابه إياك.

فيما يتعلق باللغويات والأعاريب، أما ذكر المعنى الذي لا يتوقف على شرح لغوي فقد قلنا: إنه يرجع فيه إلى المفسرين، وكثيراً ما يَلْجأُ إلى القرآن نفسه فيستعين بآية على شرح أُخرى.

ويعنى الزجاج بعد هذا أن يؤكد أن القرآن معجزة، ووجهة إعجازه عنده أنّ النبي تحدّى به الكتابيين وَأَنْبأَهُم بما في كتبهم مع أنه أُمِّيٌّ لم يكن يقرأ كُتُبَ السابقين ولم يجلس إلى معلم يستفيد منه هذه المعلومات، فذلك إذن وحي من اللّه تعالى. كرَّرَ الزَّجاج هذا في غير موضع من هذا الكتاب، ولكنَّهُ لم يلتفت إلى بلاغة التعبير وما في الآيات القرآنية من تركيب فني خاص يعجز البشر أنْ يعملوا مثله، ولا بأْس عليه في هذا لأنه رجل نحوٍ لا رجل بلاغةٍ. أوْ هُو معلم لا كاتب.

ولا يلتفت كثيراً إلى ذكر أسباب نزول الآيات ولكنه لا يغْفله عندما يدعو الأمر إلى ذلك، كما يستعين أيضاً بالأحاديث ووقائع التاريخ، ولكن هذه كلها مكملات ثانوية بجانب المقصد الأهم وهو الشرح اللغوي.

ويعنى الزجاج بتفسير القرآن بالقرآن، فيستشهد على المعنى الذي يشرحه في آيةٍ بِمَا يذكر في آية أُخرى قد تكون أصرح وأبين مما تدل عليه الآية التي يشرحها، وهو في هذا الصدد قوي بارع واستشهاداته قوية في دلالتها على ما يريد.

أما من ناحية ما ورد في شأْن الآيات من أسباب النزول فلا يذكره إلا بشيءٍ من التحفظ، فيقول روي في التفسير كذا وكذا أو قال المفسرون، وما أشبه ذلك فيخلي نفسه من مسؤولية صحة القول أو عدم صحته ويُحمِّلُها الذين رَوَوْهُ، والأحاديث التي أوردها قليلة جدًّا.

وفي غير موضع من الكتاب يشير إلى قيمة الأساس اللغوي والنحوي في

فهم نصوص القرآن، فالتفسير الذي لا يعتمد على فهم اللغة لا قيمة له ـ أو بعبارة أخرى لا يمكن فهم الآية إلا بعد فهم تركيبها اللغوي والتَّهدِّي إلى إعرابها، ومعرفة ما لها من معانٍ واستعمالات في اللسان العربي.

وهذا الأساس في الواقع قَيِّم جداً، وقد يوجه إلى معان فرعية لم تلتفت اليها أذهان المفسرين، وقد انتفع به المستشرقون خصوصاً «فتشر» و «جولدزيهر» في بحوثهما القرآنية وفي الوقت الحاضر يتجه الباحثون في التفسير القرآني إلى مثل هذه النزعة، إذ يرون أنَّه لا بدّ من استيعاب المعاني التي تفيدها الجملة أو الكلمة ثم اختيار ما يناسب سياقها ولحاقها.

وفي هذا الاختيار قد تختلف وجهات النظر، ولكن قد يكون الوجهان أو الوجوه التي اختيرت كلها صحيحة.

ولعل من ينهج هذه الطريقة يجد عوناً كبيراً في كُتُب الزجاج ومن جرى مجراه من اللغويين.

قيمةُ هذَا التَّفْسير:

أشرت من قبل إلى أن الكتاب كان مُتَداولاً بكثرة، في حياة الزجاج وبعد موته وكان ممن تلقاه عنه من تلاميذه أبو علي الفارسي، وقد ولد الفارسي سنة ٢٩٠ هـ، أي أن عمره عندما أتم الزجاج كتابه كان نحو عشرة أعوام ويدل هذا على أن الزجاج ظل يقرأ كتابه حتى أواخر أيام حياته وأن الطلاب يحرصون على قراءَته من وقت مبكر من عمرهم[١]. وقيمة الكتاب اللغوية هي التي اجتذبت إليه الأنظار، وقد قرر الزمخشري في كشافه أنه اعتمد على الزجاج في دراسته اللغوية[٢] وفي بعض الأحيان ينقل من الزجاج نقلاً كاملاً غير أنه عادةً يُغْضِي

(١) توفي الزجاج سنة ٣١١ هـ على أكثر الأقوال، فيكون عمر أبي علي نحو عشرين سنة.

(٢) انظر الكشاف ٢ ـ ٧٣.

عن الناحية الاشتقاقية فيختصر الشرح اللغوي[١]، واتكاؤه عليه ظاهر في إعرابه فواتح السور[٢].

ومن المفسرين المتأخرين الذين اعتمدوا عليه البغوي ومحمد بن الخازن فكل منهما كان يرجع إلى رأيه لا في اللغة فقط بل في جوانب أخرى من التفسير. والبغدادي ـ صاحب «خزانة الأدب» ـ يذكر في مقدمة كتابه أنه اتخذ معاني القرآن للزجاج أصلاً من الأصول التي رجع إليها[٣]، وابن منظور في لسان العرب يورد دائماً رأي الزجاج، ونُقُوله عنه مأخوذةٌ من معاني القرآن وهو لا ينقل عنه اللغة فقط بل ينقل الرأي والشواهد الشعرية أيضاً.

ومن ميزات الكتاب: أنه راجع المفسرين السابقين من النحويين واللغويين وأشار إلى قراءاتهم وما يتجه عليها من معان قرآنية، وكان هؤلاء اللغويون قبل الزجاج قد كتبوا عدداً من الكتب مختلفة المنهج والطريقة في التفسير وكل منها يسمى «معاني القرآن»[٤]، وكلٌّ أَعْربَ الآيات وفقاً لمذهبه النحوي والمدرسة التي ينتمي إليها وحلل الكلمات تحليلاً لغوياً وفقاً لمعلوماته الخاصة، وبعض هؤلاء همه أن يوضح الآيات التي يبدو بينها تضارب في المعنى، وبعض همه أن يشرح المعاني المجازية وهكذا[٥] وقد أشار الزجاج إلى هؤلاء وناقش آراءهم عندما دعا الأمر إلى ذلك، ونظراً لما لكتاب سيبويه وآرائه من أهمية لدى النحويين واللغويين في عصر الزجاج، عُني بعَرْضِ هذه الآراء كما عني بآراءِ الخليل بن

---

(١) انظر الآية ﴿إن الله يبشرك بيحيى﴾.

(٢) انظر ج ١ ص ١٢، ١٥، ٧١، ٧٦٧ وأنظر أيضاً في كتاب سيبويه الباب الذي عقده لهذه الحروف (٢٥٦ ج ٣ ت. هرون).

(٣) انظر ج ١ ص ٣.

(٤) انظر ضحى الإسلام حـ ٢ ص ٥٠ ـ ٥٥، ص ١٤٦ وانظر الفهرست ص ٥٠.

(٥) نفسه، وابن النديم ص ٥٠.

أحمد، لأنه أستاذ سيبويه، ولأن الزجاج متأثر بكتاب «العين» وجارٍ على منهجه[1]. ومن المهم أيضاً أنه أورد أقوالاً لسيبويه لم يتضمنها كتابه، كما أن الزجاج نفسه أورد شروحاً لغويةً لَيْسَتْ مذكورة في كتب النحويين. وهذا مما يزيد قيمة الكتاب من الوجهة النحويَّة. أما هذه الخلاصة اللغوية التي جاءَت في هذا التفسير فإنها قَيّمة حقاً، ولا يحصل عليها بكل هذه السهولة وبكل هذا الوفاءِ من الكتب الأُخرى.

والزَّجاج ـ على أي حال ـ عالم لغوي كبير وكتابه أثر جيد له. ومن الذين عُنوا بهذا الكتاب تلميذا الزجاج في مصر «أبو جعفر النحاس» «وابن الراوندي»، وكل منهما دَرَسَه واستفاد منه، وكانت نسخة «ابن الراوندي» مرجعاً تصحح عليه نسخ الناسخين، فالكتاب إذَنْ قرئ وتدوول، على أيدي هذين العالمِين المِصريَّيْنْ، وهو أثر آخر للزجاج في ثقافة المصريين.

ويبدو في الكتاب استفادة الزجاج من مجاز «أبي عبيدة»، وأخذه كثيراً من شواهده، ولكنه على أي حال له منهجه الخاص وطريقته التي تميزه عن سائر المفسرين اللغويين.

و «ابن جرير الطبري» ـ شيخ المفسرين ـ مستفيد بدوره منهما معاً ومن غيرهما من مفسري هذه المدرسة، غير أنه ناقش «أبا عبيدة» كثيراً وسفَّهه، وإن كان «الطبري» عادة لا يذكر أسماء من يناقشهم.

وإذا كان الزجاج قد جعل همه الأول هو الناحية اللغوية متحملاً وحده مسؤوليتها، وألقى على المفسرين مسؤولية التفسير النقلي: فإنه لم يتخل عن الدفاع عن الإسلام وشرح بعض مسائله بإطالة كلما سنحت فرصة أو وُجِدَ

---

(١) انظر ضحى الإسلام حـ ٢ ـ ٣١٣.

داعٍ، فهو أفاض في شرح مسائل من الميراث ودَافع ضِدَّ الرافضة والشيعة دفاعاً يستحق التقدير، إذ لم يدع فيه لهما منفذاً ولا وجهة نظر يؤَيدان بها أراءَهما. ولكنه حتى في هذا الدفاع معتمد على اللغة واستخراج دقائقها. وقدرته على إفحام هؤلاء ترتكز على أسس من اللغة أكثر مما تعتمد على أي شيءٍ آخر[1].

(١) انظر آيات الميراث في سورة النساء.

مآخذ على الكتاب

أشرت من قبل إلى أهمية الكتاب وسعة انتشاره وتداوله، فلأذكر الآن ما يؤخذ عليه وهي مآخذ هينة على كل حال.

(١) الزجاج وأبو عبيدة:

كان أبو عبيدة لكثير من الأسباب بغيضاً لدى معاصريه سواءٌ في ذلك علماء عصره أو غيرهم من الناس، وقد أخرج كتابه مجاز القرآن[١] الذي عناه أن يبين فيه المعاني المجازية والتشبيهات وما وراءَ المعنى اللغوي، وقد جرى فيه على الطريقة اللغوية من شرح الكلمات والاستشهاد على شرحه بأشعار العرب وما أثر عنهم من لغة وأمثال، ولم ينل هذا الكتاب قبولاً لدى معاصريه بل عابوه وشنَّعوا على صاحبه، حتى الفراءُ المعروف بنزعته الفلسفية وتحرره العقلي غمزه في غير موضع من كتابه «معاني القرآن»، وجاءَ أبو عبيد القاسم بن سلام فشرع في كتابة تفسير قرآني - والقاسم كان جماعة حسن التصنيف لا كاتباً أصلي التأليف - فنقل كثيراً عن أبي عبيدة والفراء، ولكن أحمد بن حنبل كتب إليه أنْ: قد بلغني أنك تكتب كتاباً في القرآن أقمت فيه الفراءَ وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما في معاني القرآن فلا تفعل. . فترك أبو عبيد الكتاب، وكان قد انتهى إلى الحج والأنبياءِ[٢] فأخذه أبو إسحق إسماعيل بن الحسن فأتمه.

---

(١) أورد كل من: ابن النديم والقفطي وياقوت أسماء كتب تفسيرية لأبي عبيدة غير مجاز القرآن، ومال محققه الدكتور محمد فؤاد سازكين إلى أنه كتاب واحد. سمي بهذه الأسماء.

(٢) انظر طبقات القُرَّاء الورقة ٤٥.

أما الزجاج فقد جارى أَبَا عبيدة في بعض آرائه وضمن كتابه هذا ما لم يوافق العلماءُ أبا عبيدة عليه، وقد أشرنا إلى ذلك في بعض مواضعه من تعليقنا، وزاد على ذلك أن وثقه وقال إنه ثقة لا يروي غير الصحيح، هذا مع أن الزجاج كان حَنْبلي المذهب، وكان آخر ما دعا اللّه به أن يحشره على مذهب أحمد بن حنبل(١).

هذه النزعة -من متابعة أبي عبيدة ومخالفة ابن حنبل- تدل على مدى ما للزجاج من حرية في الرأي واستقلال في الفكر، ولكن هذا لا يمنع أنَّ ما جارى فيه أبا عبيدة خطأ لا يقبل. وما تابعه فيه نقد من كثيرين خُصوصاً من الفراءِ والأصمعي.

وقد نبهنا إلى بعض الأخطاء التي جارى فيها الزجاج أبا عبيدة، كما أشرنا إلى إستفادته من مجازه.

ومع هذا فالزجاج له شخصيته وليس منبهماً أو مائعاً في أي من أسلافه، وقد تحاشى كثيراً من أخطاء أبي عبيدة ولم يجاره في لغوياته التي انفرد بها وهي تجاري قواعد اللغة ولا تتفق ومذاهب التفسير، كما ردَّ آراءَ أبي عبيدة أحياناً وفندها فكان موقفُه منه موقفه من اللغويين السابقين، ولا بأس من مجاراته في بعض الآراء وإن كانت شاذة لأن الزجاج نفسه له آراءٌ شاذَّة، وميزة الزجاج أنه رجل متدين يخشى أن يقع في محرم إذا شذ في تفسيره، أما أبو عبيدة فجريء معتمد على معلوماته اللغوية دون تقيد بشيءٍ.

(ب) مذهب الزجاج الاشتقاقي:

للزجاج مذهب خاص في اشتقاق الكلمات وأخذ بعضها من بعض، فهو يرى أن كلَّ لفظتين اتفقتا في بعض الحروف وإن نقصت حروف إحداهما عن

(١) ياقوت ١/ ١٣٠.

حروف الأُخرى، فإنَّ إحداهما مأخوذة من صاحبتها، وقد أُورد هذه القاعدة في كتابه «معاني القرآن» وجرى عليها[1]، فكما ذكرت من قبل، يقف عند الكلمة فيذكر الكلمات المشتركة معها في الحروف أَوْ في بعضها، ثم يوجد معنى جامعاً أَساسياً لكل هذه المعاني التي جاءَت في الكلمات العديدة.

وللزجاج كتاب يسمى «كتاب الاشتقاق» لم أَقف عليه ولا أُظنه موجوداً، ولكن يفهم من كتاب «معاني القرآن» ومن القاعدة التي كرّرها الزجَّاج وجرى عليها، أَنه سلك في كتابه هذا المسلك. فتلك هي طريقته.

وجاءَ في المزهر هذا المثال:

قال الزجاج شجرتُ فُلاناً بالرمح، تأْويله جعلته فيه كالغُصْنِ في الشجرةِ، وقيل للحلقوم وما يتصل به كأَغصان الشجرة. وتشاجر القوم إنما تأْويله اختلفوا كأَغصان الشجرة، وكل ما تفرع من هذا الباب فأَصله الشجرة[2].

وقد نقل ياقوت عن كتاب الموازنة لحمزة الأَصفهاني[3] نقداً لمذهب الزجاج في الاشتقاق جاءَ فيه بعد ذكر القاعدة التي سبقت:

«... فيقول: الرَّجل مشتقّ من الرِّجْلِ، والثَّوْر إنما سمي ثوراً لأَنه يُثِير الأَرضَ، والثَوب إنَّما سمِّيَ ثوباً لأَنه ثَابَ[4] لباساً بعد أَن كان غَزْلًا، حسيبُه اللّه. كذا قال، قال: وزعم أَن الْقَرْنَانَ[5]. إِنَّمَا سُمِّيَ قَرْنَاناً لأَنَّهُ مطيق لفجور

---

(١) انظر ص ٢٠٢.

(٢) المزهر ١٦٧.

(٣) هو حمزة بن الحسن المؤدب، له كتاب «الموازنة بين العربي والعجمي» قال القفطي لم يأت أحد بمثله، صنفه لعضد الدولة البويهي وكان حمزة شعوبياً، أنظر ترجمته في أنباه الرواة حـ ١ ـ ٣٣٥.

(٤) صار وتحول ثوباً.

(٥) الديوث يقبل اقتران غيره بزوجته.

امرأته، كالثَّورِ القَرنان أي المطيق لحمل قَرْنِه، وفي القرآن ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ﴾[١] أي مطيقين.

«قال: وحكى يحيى بن علي[٢]... أنه سأله بحضرة عبد اللّه بن أحمد[٣]... من أي شيءٍ اشتق الجرجير، قال لأن الريح تُجَرْجِرُه قال: وما معنى تجرجره، قال تجرره، قال ومن هذا قيل للحبل الجرير، لأنه يجر على الأرض، قال والجرة لم سميت جرَّةً، قال: لأنها تُجَرُّ على الأرض، فقال لو جرت على الأرض لانكسرت».

ويمضي ياقُوت في نقله فيحكي أنه سئل عن الفصيل الْمُجْرِّ، فقال الزجاج لأنهم جروا لسانه، قال السائل فإذا جروا أُذنه أيسمى مجراً،؟ قال الزجاج هذا لا يجوز، قال نقضت العلة التي جئت بها.

ثم يَحْكي أن الزجاج سئل أيضاً عن اشتقاق القصعة فقال لأنها تقصع الجوع أي تكسره، قال ابن العَلَّاف: يلزمه أن يقول الْخَضْخَضُ مشتق من الْخَضِيضِ[٤] والْعُصْفُرُ[٥] مشتق من الْعُصْفُورُ.... والعذب من الشراب مشتق من العذاب، والخَريف من الخَروف... والخنفساءُ من الفساءِ، والخنثى من الأُنثى، والمخنث من المؤنث. ضَرْطُ إبليس على ذا من أَدَب[٦].

ومن هذا نرى أن معاصري الزجاج بالغوا في نقده وألزموه قياساً في اللغة

---

(١) سورة الزخرف ١٤.

(٢) يحيى بن علي المعروف بابن المنجم النديم، أديب شاعر واسع المعلومات من ندماء المعتضد والمكتفي توفي سنة ٣٠٠ هـ.

(٣) ابن حمدون النديم.

(٤) الخضخض خرز أبيض، والخضيض المكان المترب المبلل.

(٥) نبت يستعمل لصبغه الأحمر، يقال عصفرت الثوب.

(٦) انظر ياقوت حـ ١ ـ ١٤٤ ـ ١٤٦.

لم يقل به، ثم افترضوا افتراضات بعيدة وآخذوه بها. والذي جَرَّ إلى هذا هو أن الزجاج نفسه بالغ في مذهبه الاشتقاقي، ولكن مبالغتَه ما كانت تجر إلى هذا كله.

بجانب ذلك نجد كبار اللغويين الذين سبقوا عصر الزجاج لم يكونوا يهتمون بالاشتقاق كثيراً، فالأصمعي وأبو عبيدة لم يعرفوا اشتقاق منىً أو على الأصح لم يتكفلوا لها اشتقاقاً وأبو حاتم لم يعرف اشتقاق «ثاون» اسم فرس[1]، ولم ينقصهم ذلك شيئاً، ولكن نجد أبَا الحسن الأخفش يجري في طريق الزجاج نفسه فيقول: الدُّكانِ مشتق من الدَّكْدَك - وهي أرض فيها غِلْظِ وانبساط، وناقة دَكَّاءُ إذا كانت مفترَشَةَ السنام أو مجبوتة[2].

وقد شَغَل الاشتقاقُ تفكيرَ كثير من النحويين واللغويين وألف غير واحد منهم في اللغة كتاباً سماه «الاشتقاق»[3] ونجد لهم اتجاهاً غير بعيد مما ذهب إليه الزجاج، فيونس كان يقول: إن اللِّمَّةَ سميت لِمَّةً لأنها ألمت بالأذنين[4]، وسأل أبو عمرو أعرابياً: لم سميت الخيل خيلاً فقال لأنها تمشي الْعِرَضْنَة ففسرها أبو عمرو بأن الخيل مأخوذ من الْخُيَلَاءِ، كما قالوا: إن مِنًى سُمِّيَت مِنىً لما يمني فيها من الدِّمَاءِ[5].

ونقل السُّيوطي عن ابن دِحْيَةَ: الاشتقاق من أغرب كلام العرب وهو ثابت عند اللّه تعالى بنقل العدول عن رسول اللّه ﷺ. وهي جمع المعاني الكثيرة

---

(١) المزهر ١٦٨.

(٢) نفسه، أي لا سنام لها.

(٣) من الذين تركوا كتباً بهذا الاسم الأخفش الصغير سعيد بن مسعدة، وأبو الحسن، والأصمعي، وقطرب، وأبو نصر الباهلي، وابن السراج والمبرد، ولعل كتاب ابن دريد أكبرها وأشملها، وانظر المزهر ١ - ١٦٩، وابن النديم ٦٨ - ٩٣.

(٤) طبقات النحويين (٥٠).

(٥) المزهر ١٦٥.

في الألفاظ القليلة. فمن ذلك قوله فما صح عنه، يقول اللّه أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي[1]. . .

أما سبب إهمال الأولين له فيذكر فيه السيوطي أيضاً أن التّفاريع الكثيرة عن الحروف القليلة تأتي بمعان بعيدة عن الأصل كما في الرضاب والضراب، وهي مأخوذة من الضَّرَب[2].

وكذلك نجد اتفاقاً بين مذهب الزجاج وسيبويه[3]، ونجد تقارباً أو اتفاقاً أكثر بين الزجاج وابن دريد، لأن كلا الرجلين متأثر بكتاب العين، وعلى أي حال فالذي يؤْخذ على الزجاج هو مبالغته في الاشتقاق، وتشدده في رد الكلمات المتشابهة إلى أصل واحد، حتى ولو كان الشبه ضعيفاً، أو كانت الحروف المشتركة قليلة، ثم لا ريب لدينا أن خصوم الزجاج بالغوا في نقده.

ويبدو أن الذي وجَّه الزجاج هذه الوجهة هو مهنته التعليمية ورغبته في إيجاد رابط يجمع الكلمات الكثيرة تحت معنى واحد، ليُسَهِّلَ على الدارسين إحاطتهم بهذه الكلمات، ثم إن اشتغاله بتفسير جامع النطق واهتمامه بكتاب العين، مما أوحى إليه بهذه الطريقة، وقد قدمنا مدى تأثره بهذا الكتاب حتى لا تكاد توجد له حكاية في اللغة إلاَّ مِنْهُ[4].

وأياً ما كان فتفسيره تفسير لغوي لا يضيره حشد هذه اللغويات فيه، ولا نماري في أن كثيراً منها لا يمس النص القرآني، وحذفه لا يضير.

(جـ) نقد الفارسي:

ألف أبو علي الفارسي - تلميذ الزجاج - كتاباً في نقد معاني القرآن سماه

---

(١) المزهر ١٦٤.

(٢) الرضاب: الريق، والضراب إتيان الفحل الناقة والضَّرَب: العسل، والضريب الجليد.

(٣) انظر المزهر ١٦٨.

(٤) ضحى الإسلام حـ ٢ - ٢٦٨.

«الإغفال» ويسمى أيضاً «كتاب المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن»[1].

جاءَ في مقدمتِهِ:

«هذه مسائل من كتاب أبي إسحاق إبراهيم بن السري في إعراب القرآن ذكرناها لما اقتضت عندنا من الإيضاح منها، للإغفال الواقع فيها، ونحن ننقل كلامه في كل مسألة من هذه المسائل بلفظه وعلى جملته، وعن النسخة التي سمعناها منه فيها، ثم نتبعه بما عندنا. وباللّه التوفيق».

ثم مضى يسرد المسائل التي يريد شرحها وردَّ الزجاجَ فيها مبتدئاً من ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ ثم فاتحة الكتاب، ثم سورة البقرة وهكذا ـ عدا السور التي لا مآخذ فيها» وتبلغ صفحات الكتاب ٦٤٩ صفحة، فهو كتاب كبير.

والمآخذ التي رد أستاذه فيها بوجه عام مآخذ لغوية ونحوية، وأكثرها متعلق بما جاءَ في كتاب سيبويه، مما يدل على أن الفارسي أعمق دراسة لهذا الكتاب، وأدق في شرحه من الزجاج، ولكن هذا النقد لا يخلو من حدة وتحامل أحياناً، كتبه الفارسي وهو في شرخ شبابه، وكان قد تلقى هذا الكتاب وهو في سن مبكرة، لأنه حتى وفاة الزجاج لم يكن بلغ العشرين من عمره.

ومن أمثلة نقده أن الزجاج ذكر في تفسيره ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ أنه يكره أن يذكر ما قاله النحويون في اشتقاق اسم الجلالة، فرده الفارسي بأنه قد فعل ذلك في سورة الحشر عند تفسيره الآية: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ. . .﴾ الخ.

ثم خطأه في هذا الشرح. إذ حكى عن سيبويه رأياً منسوباً للخليل بن أحمد، وهو غير صحيح، ثم مضى الفارسي يشرح كلمة «اللّه» ويبين اشتقاقها، وما قال النحويون في ذلك.

---

(١) اطلعت على نسختين منه بدار الكتب والوثائق إحداهما بخط قديم وبرقم ٥٠٢ تفسير، والأخرى بخط حديث جميل وهي برقم ٦٩٩، وبها كلمات قليلة ناقصة. والكتاب مطبوع الآن.

فالتخطئةُ راجعة إلى الحكاية عن سيبويه.

وفي الآية: ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار﴾ ذكر الزجاج أن علة جزم لم الفعل أنها ردته إلى المضي، وعلل نصب «أن» المصدرية للمضارع أنها كانت معه بمنزلة الاسم الصحيح، ثم قال الزجاج إنَّ كل حرف لزم الفعل وأحدث فيه معنى فله من الإعْرَابِ على قسط معناه.

نقض الفارسي هذه القواعد الثَّلاثَ، فذكر أنه يلزم على هذا أن «إذَنْ» و «كي» لا تنصب لأنها لا تُؤول مع الفعلِ بعدها بإسم.. ويلزم أيضاً أن «إن» الشرطية لا تجزم لأنها لا ترد المضارع إلى المضِيِّ، وبأن السين وسوف لهما أثر في الفعل إذ يمحضان المضارع للاستقبال ومع هذا لا أثر إعرابيًا لهما(١).

وقد عاد الفارسي لهذا النقد مرَّةً أخرى عند ذكره الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلَّا أيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ فقد حكى الزجاج عن الخليل رأيَيْن في «لن» أحدهما أنها تنصب كما تنصب «أن» وليس ما بعدَها صلة لها أي لا تؤول معه بمصدر والثاني أن الأصل فيها «لَا أن» فحذفت الهمزة استخفافاً، وتخطئة الفارسي هنا أنه لم يُروَ عن الخليل إلا رأْيٌ واحد..

نقدُ الفارسي كما ترى لا يرجع إلى نقد التفسير، وإنما يرجع إلى معارضة في علل نحوية، أو إلى نقد رواية. ومع هذا، ففي النقد الأول يُلْزِمُ الفارسيُّ الزجاجَ بقياس لغوي أو اطراد علة، وفي الثاني: لا يجادل أحدٌ في أن «لن» تنصب المضارع ولا تؤول معه بمصدر، فالنقد يرجع إلى الرواية لا إلى القاعدة.

وبوجه عام درْسُ الفارسي كتاب سيبويه أعمقُ من درس الزجاج وأدق وتعليلاته النحوية أدنى للقبول من آراءِ الزجاج.

---

(١) انظر ص ٦٧.

وكتاب «الإغفال» أو «المسائل المصلحة» قَيِّم بما يحوي من تشريحات نحوية ولغوية، ولكنه لا يغُضُّ من «معاني القرآن» ككتاب تفسير.

وقد أشرنا في التعليق على هذا الكتاب إلى كثير مما جاءَ في الإغفال وأغضينا عمّا لا يمس جوهر الكتاب.

ولا ريب أن أبا علي بنى لنفسه بهذا الكتاب مكانة ومجداً، برده على هذا العالم الكبير، وقد تتبعه في آرائه الخاصة التي انفرد بها مثل كاف الخطاب والهاء في إياك وإياه وغيرها من نحويات الزجاج.

ولا يستفيد من كتاب الفارسي من لم يكن قرأ كتاب سيبويه ودرسه.

ميلاد الزجاج ووفاته:

أكثر ما يذكرهُ أصحاب التراجم ويميلون إليه أن الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ. ولكن هناك أقوالاً أخرى في سنة وفاته، قيل كانت سنة ٣١٠، وقيل ٣١٦، وقيل ٣٢٠ وقد آثرنا المشهور المتداول.

وفي معجم الأُدباءِ أنه مات في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، .. وحكي أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه فعقد أصابعه يشير إلى أنه عمر سبعين عاماً. وإذن فهو قد ولد في سنة إحدى وأربعين وَمِائتين.

وقد ألف عدداً من الكتب في النحو واللغة والعروض والأدب، وصدرنا الكتاب بقائمة الكتب التي تركها.

وبعد فهذا هو الجزءُ الأولُ من معاني القرآن للزجاج وأسأل تعالى أن يعينني على إخراج بقية الكتاب وأن يجعل في عملي ما أُثاب عليه منه سبحانه وتعالى وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد للّه رب العالمين.

القاهرة - ديسمبر سنة ١٩٧٢ **عبد الجليل شلبي**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَال أَبو إِسحاق إِبراهيمُ بنُ السَّري الزَّجَّاج:

هذا كتابٌ مختصرٌ في إِعرَاب القُرآنِ ومَعَانِيه، وَنَسْأَلُ اللَّه التَّوْفِيق فِي كُلّ الأُمُورِ[1].

قوله عز وجل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[2]:

الجالب للباءِ معنى الابتِدَاء، كَأَنَّك قُلْتَ: بَدَأْتُ بِاسْمِ اللَّه الرحمن الرحيم، إلا أَنَّهُ لم يُحْتَج لذكر «بَدأت» لأَن الحال تنبئ أَنك مبتدئ. وسقَطت الأَلف من باسم اللَّه في اللفظ وكان الأَصلُ: «باسم اللَّه» لأَنها[3] أَلف وصل دخَلتْ ليتَوَصَّلَ بِهَا إِلى النُّطْقِ بالسَّاكِن. والدَّلِيل على ذلِكَ أَنَّك إِذَا صغرت الاسم قلت سُمَيٌّ والعرب تقول: هَذا إِسم، وهذا أُسم، وهذا سِمٌ.

قال الرَّاجزُ:

بِاسمِ الذي في كلِّ سُورَةٍ سِمُهُ[4].

---

(١) هذه المقدمة ليست في ك، والمقدمة هناك هي: الحمد للَّه وبه نستعين، وهو حسبنا ونعم المعين، وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله أجمعين.

(٢) ك: باسم اللَّه فقط.

(٣) في الأصل لأنه.

(٤) في اللسان إسم وإسْم، وسمٌ وسم، وخرج «سِمٌ» - بالكسر - على أنه لغة منه قال اسم بكسر الهمزة، فطرح الألف وألقى حركتها على السين وهذا الرجز أنشده أبو زيد لرجل من كلب:

أرسل فيها بازلاً يقرمه ... وهو بها ينحو طريقاً يعلمه

وسُمه أيضاً روى ذلك أبو زيد الأنصارِيّ وَغَيْرُه من النَّحوِّيينَ، فَسَقـطَت الألف لمَا ذكَرْنا[١].

وكذلكَ قولك: «ابن» الألف فيه ألف وصل، تقـول في تصغيره «بُنَيّ». ومعنى قولنا إسم: أنه مشتق من السمو، والسمـو الرفعـة، والأصل فيـهِ سَمَـوٌ ـبالواو ـعلى وزن جَمَل، وجمعه أَسْمَاء، مثل قِنْو وأَقْناءٍ[٢]، وحَنْـو وأَحْنَاء[٣]. وَإنَّمـا جُعِـلَ الاسْم تنـويهـاً بـاسم اللّه على المعنى، لأَنَّ الْمَعْنَى تـحتَ الإِسْم[٤].

ومنْ قال: إنَّ اسْماً مـأْخوذٌ من «وَسَمْتُ» فهـو غلط، لأَنَّا لا نعـرف شيئاً دخلته أَلف الوصل وحُذفت فاؤه، أَعني فاءَ الفعل، نحو قولك «عِدَة» و «زِنَة»، وأَصْله[٥] «وعْدة» و «وَزْنة». فلو كان «اسم» وسمة لكان تصغيره إذا حذفت منه

= بـاسـم الـذي في كـل سـورة سـمه

وروى الكسائي هذا الرجز عن بعض بني قضـاعة بضم السين «سمُـه». وقال ابن سيـده: الضم في قضاعة كثير. فالرجز شاهد على الكسر والضم جميعاً.

(١) ط: لما قلنا.

وأبـو زيد الأنصـاري، هـو سعيـد بن أوس من مشهوري نحـاة البصرة، أخـذ عن أبي عمـرو بن العلاء، وكان سيبويه يسميه الثقة، وأخذ عن الكوفيين ولم يفعـل ذلك غيـره من البصريين، كمـا روى معظم كتابه «النوادر» عن المفضل الضبي، واشتهر أيضاً باللغة والغريب، ت ٢١٥ هـ ابن خلكان ١، ٢٦٠، طبقات النحويين ٦٥.

(٢) القنـو ـ بالكسرِ والضم ـ والقناء ـ بـالكسر ـ والفتـح ـ: الكبـاسـة وجمعـه أقنـاء، وقِنِي وقُنّى، وقُنْوَان).

(٣) الحِنْوُ والحَنْوُ ـ بـالكسر والفتـح ـ كل مـا فيه عـوج من البدن وغيـره وكل يجمـع على أحنـاء، وحِنّي، وحُنّي.

(٤) يجاري الزجاج أبا عبيدة في أن الاسم هو المسمى، وأبو عبيدة ذكر هذا في غير موضع من «مجاز القرآن» ورده كثيرون منهم الفراء والمبرد، وقسا عليه الطبري في رده أنظر مجاز أبي عبيـدة ص ١٦ قال باسم اللّه إنما هو باللّه. لأن اسم الشيء هو الشيء بعينه قال لبيد: إلى الحول ثم اسم السلام عليكما....

(٥) في الأصل: «وأصلها».

ألف الوصل «وُسَيْم»، كما أن تصغيرَ عِـدة وَصِلة: وُعَيْدة، ووُصَيْلة، ! ولا يقْـدِر أَحَد أَنْ يَرى أَلِف الوَصْلِ فيما حذفَتْ فاؤه من الأَسماء.

وسقــطت الألف في الكتـاب[1] من «بِسْم اللَّه الـرّحمن الـرّحيم» ولم تسقط في ﴿إقرأْ باسمِ ربك الذي خَلَقَ﴾ لأنه اجتمع فِيهـا مع أنهـا تسقط في اللفظ كثرةُ الاسْتعمَال.

وزعم سيبويه[2] أن معنى الباء الإلصاق، تقول كتبتُ بالقلم والمعنى أن الكتـابة ملصقـة بالقلم، وهي مكسـورة أبـداً لأنـه لا معنى لهـا إلا الخفض[3] فوجب أن يكون لفظها مكسوراً ليفصل بين ما يجُرّ وهو إسم نحو كـاف قولـك كزيد[4]، وما يجر وهـو حرف نحـو بزيـد، لأن أصل الحـروف التي يُتَكلم بها وهي على حرف واحد الفتـحُ أبداً إلاّ أن تجِيءَ علةٌ تـزيلُه لأن الحرف الـواحد لا حظَّ له في الإعراب، ولكن يقع مبتدأ في الكلام ولا يبتدأُ بساكن فأختير الفتح لأنه أخف الحركات، تقول رأيت زيداً وعمراً، فالواو مفتوحة، وكـذلك فعمـراً الفاءُ مفتوحة، وإنما كسـرت اللام في قـولك: «لِـزَيدٍ» ليفصـل بين لام القسم ولام الإضافة[5] ألا ترى أنك لو قلت: إنَّ هذا لِـزيدٍ علم أنـه ملكه، ولـو قلت: «إن هذا لَزيدٌ» علم أَنَّ المشار إليه هو زَيدٌ فلذَلكَ كُسِرَت اللام في قولك لِزَيْدٍ ولـو قلت: إنَّ هـذا المـال لَـكَ، وإنَّ هـذا لأَنْت فتحت الـلام لأَنَّ اللبس قـد زال[6].

(١) في الكتابة.

(٢) سيبويه، هـو أبو بشـر عمرو بن عثمـان بن قنبر، مـولى بني الحارث بن كعب، وكتـابه «كتـاب سيبويه» أم النحو، لم يسبقه كتاب مثله ولا استغنى عنه نحوي بعده، أخذ عن الخليل، وعيسى ابن عمر ويونس وغيرهم. وأخذ اللغة عن الأخفش الأكبر، ت ١٨٠، ونيف على الأربعين (البغية ٣٦٦ ابن خلكان ١ ـ ٤٨٧).

(٣) لا تؤدي معنى إعرابياً غيره.

(٤) الزجاج يعتبرها أسماء. وهذا مذهبه.

(٥) الملكية.

(٦) حيث لا يحتاج الضمير إلى توكيد، ولا اشتراك فيه.

والذي قلناه في اللام هو مذهب سيبويه ويونس[١] والخليل[٢]، وأبي عمرو بن العلاء[٣] وجميع النحويين الموثُوقِ بِعلْمِهِمْ.

وكذلك تقول: أَزَيْدٌ في الدار؟ فالألف مفتوحة وليْس في الحُروف المبتدأة مما هو على حرفٍ (حرفٌ)[٤] مكسور إلا الباءُ ولام الأمر وحْدهما[٥] وإنما كسرتا للعلة التي ذكرنا، وكذلك لام الإضافة، والفتح أصلها.

وأما لام كي في قولك: جئتُ لِتَقُومَ يا هذا، فهي لام الإضافة التي في قولك «المالُ لِزَيدٍ»، وإنما نُصبت تقوم بإضمار «أنْ» أو «كَيْ» الَّتي في معنى «أنْ»، فالمعنى: جئتُ لِقيَامِك.

وما قلناه في اشتقاق «اسم» قول لا نعلم أَحَداً فسرَّه قَبْلنا.

---

(١) يونس بن حبيب أبو عبد الرحمن الضبي - مولى لهم - من أهل جُبَّل، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وأخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء، وكان ثقة في روايته، عسير الحفظ قليل النسيان وكان يشبه بالقلة ضيقة الحلق ت ١٨٢.

ابن خلكان ١ - ١٥٥. البغية ٤٢٦.

(٢) الخليل: هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أزدي كان شاعراً لغوياً ذكياً لذكائه نوادر تروى، وهو واضع علم العروض وصاحب كتاب العين الذي أراد أن يجمع فيه اللغة كلها، ولكنه لم يكمله.

وهو أستاذ سيبويه وأكثر رواية سيبويه عنه توفي سنة ١٧٥ هـ عن ٤٤ سنة.

أنظر عنه أخبار النحويين البصريين ٣٠ والبغية ١ - ٢٤٣ وابن خلكان ١/٢١٦. وأنظر أمالي المرتضى ١ - ٩٤.

(٣) أبو عمرو، اسمه زبان (بالباء) من علماء البصرة وأحد القراء السبعة، أخذ عن عبد الله بن أبي إسحاق وكان أوسع منه علماً، وكان يقرىء بجامع البصرة أمام الحسن البصري. ثقة واسع الرواية والعلم ت ١٥٤ هـ غاية النهاية ١ - ٢٨٨.

(٤) ك فقط.

(٥) ط: إلا الباء ولام الأمر... وكذلك لام الإضافة، وإنما كسرت للعلة.. ألخ. ولام الإضافة هي لام الجر.

وأمّا قولك: ليضْربْ زيدٌ عمراً، فإنما كسرت اللام ليُفْرقَ بينها وبين لام التوكيد[١]، ولا يبالى بشبهها بلام الجر لأن لام الجر لا تقع في الأفعال، وتقع لام التوكيد في الأفعال، ألا ترى أنك لو قلت: لَتَضْـرِبْ وأنت تأمـر لأشبه لام التَّوكيد إذا قلت: إنك لتَضْرِبُ. فهـذا جملة ما في الحـروف التي على حرف واحد.

فأما اسم اللَّه عز وجل فالألف فيه ألفُ وصل، وأكْرهُ أنْ أذكـر جميع مـا قال النحويون في اسم اللَّه أعني قولنا «اللَّه» تنزيهاً للَّه عزّ وجلّ[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الرحمن الرحيم﴾.

هذه الصفات للَّه عزّ وجلّ، معناه[٣] فيما ذكر أبو عبيدة[٤]: ذو الرحمة، ولا يجوز أنْ يُقَال «الرَّحْمَانُ» إلاَّ لِلَّه، وإنما كَان ذَلك لأنَّ بناءَ فَعْـلان من أبنية ما يُبالغُ في وَصْفِهِ، ألا ترى أنك إذَا قُلْت[٥] غضْبـانَ فمعناه الْمُمْتلىء غَضَبـاً، فَرحْمانُ الَّـذي وَسِعَتْ رحْمَتُهُ كـلَّ شيءٍ فَلاَ يَجُـوزُ أنْ يُقال لغيـر اللَّه رحمان، وخُفِضَتْ هذه الصِّفَاتُ لأنَّها ثَنَاءٌ على اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ فكـان إعرابُهـا إعراب اسْمه، ولو قلت فِي غَيْرِ القُرآنِ: بسم اللَّه الكـريمَ والكريمُ، والحمـد للَّه ربَّ العالمين، وربُّ العالَمينَ: جـاز ذلك، فمن نصب ربَّ العـالمين فإنَّمـا ينْصبُ

---

(١) هي ساكنة في الأصل، وكسرت لوقوعها أول الكلمة، فإن سبقت بحرف كانت ساكنة نحو وليتق اللَّه ربه.

(٢) أخذ عليه أبو علي الفارسي أنه ذكر ذلك في آخر سورة الحشر وسيأتي ذلك.

(٣) معنى هذا اللفظ أو هذا التعبير.

(٤) أبو عبيدة: معمر بن المثنى أخذ عن أبي عمـرو بن العلاء، وكـان أجمع النـاس لأخبار العـرب وأيامهم ولكنه كان يكره العرب، ويتهم باليهودية، ترك كتباً كثيرة منها «مجاز القرآن» وهـو تفسير لغوي موجز فيه كثير من المآخذ، ولكن الزجاج يعتمد عليه كثيراً وينقل أقواله، توفي أبـو عبيدة سنة ٢٠٨ هـ. ابن خلكان ٢ ـ ١٣٨ البغية ٣٩٥.

(٥) عبارة ك: ألا ترى غضبان معناه الممتلىء.

لأَنَّهُ ثَنَاءٌ على اللَّه، كأَنه لَمَّا قَال: الحمدُ للَّه اسْتدلَّ بهذَا إللفْظِ أنه ذاكـرٌ اللَّه، فقوله: ربَّ العالمين كأنه قال أَذْكُرُ ربَّ العالمين، وإذا قـال ربُّ العالمين فهـو على قولك: هو ربُّ العالمين: قال الشاعر:[1]

وكـلّ قـومٍ أطـاعـوا أمْـرَ مُـرْشِـدهم إلا نُمَيـرا أَطـاعتْ أمـر غَـاوِيهَـا
الـظَّاعِنِينَ ولمَّـا يُـظْعِـنُـوا أَحَـداً والـقـائِلِيـنَ لِـمَـنْ دارٌ نـخَـلِّيـهَـا

فيجوز أَن يُنْصب «الظاعنين» على ضربين: على أنه تـابعٌ نُمـيْـرا، وعلى الذَّمِ، كأَنَّه قال: أَذْكُر الظَّاعِنِينَ[2]، ولك أَن تَرْفَعَ تريدُ هم الظاعنون، وكذلك لك في «الْقَائِلينَ» النصبُ والرفعُ، ولك أَنْ ترفَعهُما جميعاً، ولـك أَنْ تنْصِبهما جمِيعـاً، ولك أَن تـرفَع الأَول وتنْصب الثَّـانِي، ولـك أَن تنْصِبَ الأَولَ وتـرفَـعَ الثاني. لا خلاف بين النحويين فيما وَصَفْنا.

(١) هو ابن خياط العكلي، والبيتـان في كتاب سيبـويه ٢ ـ ٢٤٩ وروايتهمـا هناك بـرفع الـظاعنين، وهما أيضا في الإنصاف ٢٧٦، ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ١٧٣ والبيت الثاني في اللسان (ظعن).

(٢) الأولى أن يكون التقدير «أذم».

ومن سورة الحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

(معنى الْحمْد الشُّكْرُ والثناءُ على اللَّه تعالى[١]).

﴿الحمدُ﴾ رفع بالابتداءِ، وقوله: ﴿لِلَّه﴾ إخْبارٌ عَنِ الْحمْدِ والاختيارُ في الكلامِ الرَّفْعُ، فَأَمَّا القُرآنُ فلا يُقْرأُ فِيه ﴿الحمدُ﴾ إلا بالرّفع، لأن السُّنَّة تتبع فِي القرآن، ولَا يُلْتَفَتُ فِيه إلى غَيرِ الرِّوايةِ الصّحِيحَةِ الَّتي قدْ قرأ بها القُرَّاءُ المشْهُورُونَ بالضَّبطِ والثِّقةِ، والرّفْعُ القَراءَةُ، ويجوزُ في الكلام أنْ تقول «الْحَمْدَ» تريد أَحْمَد اللَّهَ الْحَمْدَ فاستغنيْت عن ذِكْرِ «أَحْمَد» لأن حَالَ الحَمدُ يجب أن يكونَ عليها الْخَلْقُ، ألَّا أنَّ الرّفْعَ أحْسَنُ وأبلغ في الثناءِ على اللَّه عزّ وجلّ[٢].

وقد رُوي عن قوم من العرب: «الحمدَ لله» و «الحمدِ للَّه»، وهذه لغة من لا يُلْتَفَتُ إليه ولا يتشاغل بالرواية عنه[٣].

وإنَّما تشاغلْنَا نحنُ بِرواية هذا الحرف لِنُحَذِّرَ الناس من أنْ يَسْتَعْمِلُوه،

---

(١) في ك فقط.

(٢) قراءة النصب لها وجه من الإعراب ولكن المعنى فيها يختلف، فالجملة الاسمية تدل على أن اللَّه وحده المستحق للحمد، أما الفعلية فتدل على إنشاء حمد من المتكلم، ولهذا قال الطبري إن متعمدها يستحق العقوبة أنظر الطبري ١ - ١٣٨ - ١٣٩.

(٣) لغة الجر. وانظر معاني الفراء ص ٣ ج ١.

أَوْ يَظُنَّ جاهل أَنَّهُ يجُوزُ في كِتاب اللَّه عزّ وجلّ، أو فِي كَـلَام ٍ، وَلَمْ يأْتِ لهـذَا نظيرٌ في كَلام العَرب. ولا وَجْه لَه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قـد فسرنـا أنـه لا يَجُـوز في القـرآن إلا ﴿رَبِّ الْعَـالَمِينَ الـرحمَنِ الرحيمِ﴾[1] وَإِنْ كان الـرفع والنصب جـائزين في الكـلام، ولا يتخَيَّر لكتـاب اللَّه عزّ وجلّ إلا اللفظ الأَفْضل الأَجْزَل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿العالمين﴾ معناه كـلُّ مَا خلق اللَّه، كَمَـا قَال: ﴿وَهُـوَ ربُّ كلِّ شيءٍ﴾ وَهُوَ جَمْع عَالَم، تَقُول: هَؤُلاءِ عَالَمُـونَ، وَرأَيتُ عالَمِين، ولا واحدَ لعَالَمٍ منْ لَفْـظه لأنَّ عَالَمـاً[2] جمع لأشيـاء مختلفة، وأَنْ جُعـل «عَالَمٌ» لواحد منها صار جمعاً لأَشْياء مُتَّفِقَة[3].

والنُّـونُ فُتِحَتْ في العَالمينَ لأَنَّهـا نُونُ الْجَمَـاعَة[4] وزعم سيبـويـه أَنَّهـا فتحت ليفرِّق بينَها وبينَ نون الإِثْنَين، تقول: هـذان عالمـانِ، يا هـذا، فتكسر نونَ الإِثنين لالتقاء السّاكنين، وهذا يُشْـرح في موضِعـه إنْ شاءَ اللَّه، وكـذلك نونُ الجماعة فتحت لالتقاء الساكنين، ولم تكسر لثقل الكسرة بعد الواو واليـاء ألا ترى أَنك تقـول «سَوْفَ» أفعـل فتفتح الفَـاءَ من «سوْف» لالتقـاء الساكنين، ولم تَكْسِر لثقل الكسرة بعد الواو وكذلـك تقول: أَيْنَ زيـد فتفتح النـون لالتقاء الساكنين بعد الياءِ.

وقوله عز وجل: ﴿مَالِكِ يوْمِ الدِّينِ﴾.

القراءَة الخفض على مجرِى الحمدُ للَّهِ مالِكِ يومِ الدِّينِ وإِنْ نُصب ـ في

---

(١) ص (٤٣).

(٢) ك: عالم.

(٣) مثل عالم الأدب وعالم الكتب وعالم الإنسان أو الحيوان. أو الطيور. الخ.

(٤) عالمون ملحق بجمع المذكر السالم، وعالم اسم جمع.

الكلام ـ على ما نُصِب عليه «ربُّ العالمين والرَّحْمنِ الرَّحِيم» جازَ في الكلام، فأمَّا في[1] الْقراءَةِ فلا أَسْتحْسِنه فيها، وقَدْ يجوز أَنْ تنْصِب ربَّ العالمين ومالك يوم ِ الدِّين على النِّداءِ في الكَلام كما تقول: الحمدُ للَّه يا ربَّ العَالمين، «ويا مَالكَ يَوْم ِ الدِّين»[2] كـأَنك بعد أَن قُلْت: «الحمـدُ للَّهِ» قلت لكَ الْحمْدُ يا ربَّ العالمين ويا مالك يوم الدين.

وقُـرِئَ (مَلِكِ يَوْم ِ الدِّين، ومَا لِكِ يَوْم ِ الدِّين)[3].

وإنّما خُصّ يومُ الـدِّين واللَّه عز وجـل يَملك كلَّ شَيءٍ لأَنَّـه اليومُ الـذي يضْطَرّ فيه الْمخْلوقُـونَ إلى أَنْ يعْرِفُـوا أَنَّ الأَمْر كلَّه للَّه، أَلا تـراه يقولُ: ﴿لِمَنَ الْمُلك الْيوْم﴾[4] وقوله:

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾[5] فهـو اليوم الذي لا يملك فيه أَحـد لنفسه ولا لغيره نَفْعـاً ولا ضَرّاً، ومن قـرأَ ﴿مَالِك يَوْم ِ الدِّين﴾ فعلى قولـه «لِمَنُ الْمُلْكُ الْيَوْم». وهو بمنزلة مَنِ الْمَالكُ الْيـوْم[6]، ومن قرأَ «مَـالِك يَـوْم ِ الدِّين» فعلى معنى «ذُو الْمَمْلَكَةِ» في يوم الدين، وقيل إنها قراءَة النبي ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿يَوْم الدِّين﴾.

الدين في اللغة الجزاءُ، يقال! كما تَدِين تُدَان، المعنى كما تعمل تُعْطى، وتُجَازَى، قال الشاعر[7]:

---

(١) ط: وأما.

(٢) ب: ملك يوم الدين ومالك، ك. يا رب العالمين ويا مالك.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك الاتراه قال: والآية في سورة غافر ١٦.

(٥) الانفطار ١٩.

(٦) فاعل بمعنى الصفة المشبهة. أي هو الملك وحده في هذا اليوم.

(٧) يزيد بن عمرو بن نفيل الكلابي، وجه هذا الشعر إلى الحرث بن شمر الغسـاني وكان الحرث قد اغتصب ابنته وهو غائب، على عادته مع بني قيس بن عيلان، فلما عاد يـزيد قـال فيه هـذا الشعر.

=

واعـلم وأيْقـن أن مُلكـكَ زائـلِ   واعـلم بـأنَّ كـمـا تـدِيـنُ تُـدَانُ

أي تجازى بما تعفـل، والدِّينُ أيضـاً في اللغة العَـادَة، تقولُ العـربُ ما زَال ذلك دِينِي، أي عَادَتي. قال الشَّاعر[1]:

تـقـول إذا دَرَأْتُ لـهـا وضـيـنـي   أهـذا دِيـنـه أبـداً ودِيـنِـي

وقوله عز وجل: ﴿إِيَّاكَ نعْبُد﴾.

معنى العبادة في اللغة الطَّاعةُ مـع الخُضُوع، يقـال هذا طَـرِيقٌ مُعّبد إذا كان مُذلَّلًا بكثْرةِ الـوَطءِ، وبعِيرٌ معبَّـدٌ، إذا كانَ مَـطْلِيًّا بِالْقَطْرَانِ، فمعنى ﴿إياك نَعْبُدُ﴾: إياك نـطيع الـطَّاعة التي نَخضَـع مَعها، ومـوْضِع ﴿إِيَّاك﴾ نصبٌ بوقـوع الفعل عليه وموْضع الكاف في ﴿إياك﴾ خفض بإضافة «إيَّا» إليها[2]، و «إيَّا» اسم للمُضْمَر المنصوب إلا أَنـهُ يُضاف إلى سَـائِر الْمُضَمَـراتِ، نحو: إيَّاكَ ضَربْتُ وإياه ضربت، وإياي حدَّثْت، ولو قُلْتَ: «إيَّا زَيدٍ» كان قبيحـاً[3] لأنه خُصَّ بـه الْمُضْمَر، وقد رُوِي عن بعضِ العَرَب، رواه الخليل: «إذا بَلَغَ الـرَّجُل السِّتين فإيَّاه وإيَّا الشَّوابِّ»[4].

= الكامل للمبرد ١ ـ ١٩٢ ـ المخصص ١٧ ـ ٩٥٥.

(١) المثقب العبدي شاعر جاهلي فحل اسمه عائذ بن محصن بن ثعلبة عاش زمن عمـرو بن هند، والبيت من نونيته المعروفة، يصف ناقته بأنها أجهدت لكثرة الأسفـار فهي تتخوف وتحـزن كلما رأته يتهيأ للسفر.

الوضين: الحبل يشد به الرحل، درأته: مددته.

أنظر المفضلية ١١٩ ـ ص ٣٩٤.

(٢) هـذا رأي الزجـاج أما النحـويون فعلى أن الكـاف حرف خـطاب وأيا وحـدها ضمير. ويعـزى للخليل مثل هذا الرأي الذي ذكره الزجاج.

أنظر الأشموني وحاشية الصبان باب النكرة والمعرفة ج ١ ـ ٢٩.

(٣) هو ممنوع لا يجوز.

(٤) مثل عربي ينسب لعمـر بن الخطاب، وهـو يذكـر في كتب النحو مثـالاً للتحذيـر الشاذ، «إيـاه» و «إيا الشواب» منصوبان على التحذير شـذوذاً وليس أي منهما مضافاً والشـواب يقرأ بـالنصب لا

ومن قال إن ﴿إياك﴾ بكماله الاسمُ، قيل له: لم نر اسما للمضمر ولا للمظهر يُضَاف وإنَّما يتغَيَّرُ آخرُهُ ويبْقَى ما قَبْل آخِرِهِ على لفظٍ واحد[١]، والدَّلِيل على إضافته قولُ العرب: «إِذَا بَلغَ الرَّجُلُ السِّتِينَ فإيَّاه وإيَّا الشَّواب» يا هَذَا. وإجراؤُهم الهاءَ في إيَّاهُ مَجْرَاها في عصاه[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

الأَصل في نستعين: نَسْتَعْوِن لأَنَّهُ إنَّما معناه من الْمَعُونَةِ والعَوْن. ولكنَّ الواو قُلِبَتْ ياءً لِثِقَل الكَسْرَةِ فيها، ونُقِلَتْ كَسْرَتُهَا إلى العين، وبقيَتْ الياءُ سَاكِنَةً، لأنَّ هذا مِنَ الإعْلالِ الذي يَتْبَع بعضُه بعْضاً نحو أعان يُعِينَ وَأَقَامَ يُقِيمُ، وهذا يُشْرَحُ في مَكانِهِ شَرْحاً مُسْتَقْصًى إنْ شَاءَ اللَّه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إهْدِنا الصراط المستقيم﴾.

معناه المنهاج الواضح قال الشاعر: [٣]

أميرُ المؤْمنين على صراط إذا اعوج المناهج مستقيم

أي على طريق واضح.

ومعنى ﴿اهدنا﴾ وهم مهتدون: ثَبِّتْنا على الْهُدَى. كما تقول للرجل القائم: قم لي حتى أعود إليك، تعني: أثبت لي على ما أنت عليه[٤].

= بالجر. والمثل يعني ابتعاده عن النساء جميعاً في هذه السِّنّ.

أنظر التصريح وحاشية الصبان على الأشموني باب التحذير.

(١) يريد أنه يقال إياك وإياهما وإياهم فتبقى إيا ويتغير ما بعدها وهو يعتبره جزءاً منها.

(٢) أي كأن يقال عصاك وعصاه وعصاي، وليس الأمر كما زعم لأن إياه ضمير فلا يأتي بعده ضمير مضاف إليه، أما عصا فيضاف للضمير وللظاهر يقال عصاه وعصا موسى.

(٣) هو جرير بن عطية الخطفي، الشاعر الأموي المعروف ت ١١٠.

أنظر الأغاني ٧ ـ ٣٥، والديوان ٥٠٧. ـ ويروى البيت: إذا اعوج الموارد.

الموارد: جمع موردة ومورد، وهو مكان ورود الماء أو الطريق إليه.

(٤) يقال: قام له على حاجته إذا رعاها له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿صِرَاطَ الَّذين أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

صفة لقوله عزّ وجلّ: ﴿الصراط المستقيم﴾، ولك في عليهم ضَمُّ الهاءِ وكسـرُها (تقـول: الذين أَنعمت عليهِمْ وعليهُمْ[1]) وعلى هـاتين اللُّغتين معظم القُرَّاءِ، ويجوز عليهمو (بالواو[1]) والأَصل في هذه ـ الهَاءُ في قولك: ضـربتهو يـا فَتى ـ ومررت بِهُـو يا فتى ـ أَنْ يتَكَلَّم بهَـا في الـوَصْـل بـواو[2]، فـإذا وَقَفْتَ قلت: ضَربْتُه ومررتُ به[3].

وزعم سيبويه أَن الـواو زِيدَتْ على الهـاءِ في الْمُذَكَّـرِ كما زيـدت الأَلِف في المؤنث في قولك: ضَرَبْتُهَا ومررتُ بِهَا، لِيَسْتَوي المذكَّرُ والمؤنَّثُ في باب الزِّيَادَةِ. والقولُ في هذه الواو عند أَصحـاب سيبويـه والخليل أَنهـا إِنَّما زيـدتْ لخفاءِ الهاءِ وذلك أَنَّ الهاءَ تَخرجُ منْ أَقْصَى الحَلْقِ، والوَاوُ بعدَ الهاءِ أَخْـرَجَتْها منَ الْخَفَاءِ إِلى الإِبَانة، فلهذا زِيـدَتْ، وتسقط في الوَقْف، كمـا تَسْقُط الضَّمّةُ والكسرةُ في قولك: أَتَانِي زَيْدٌ، ومَرَرْتُ بزيد، إِلاَّ أَنَّهـا واو وَصْل[4] فـلاَ تَثْبتُ لئلا يلتبس الوصل بالأَصل. فإذا قلت: مررت بهُو ـ يـا فتى ـ فَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ: مرَرْتِ بِهي فقلَبْتُ الواو يـاءً لانْكِسار مـا قَبْلَهَا، أَعني اليَـاءَ المنكَسِرَةَ فـإن قال قائل: بين الكسرة والواو الهاءُ، قيل الهاءُ ليست بحاجز حصين، فكأَن الكسرةَ تَلِي الوَاوَ، ولوْ كانَتْ الهاءُ حـاجزاً حَصِينـاً ما زيـدتْ الواوُ عليهـا. وقد قُـرِئَ فَخَسَفْنَـا بهي وبِدَارِهِي الأَرْضَ[5]، وبهـوُ وبدارِهُـو الأَرضَ، من قـراءَة أَهْـلِ الحجاز، فَإِنْ قُلْت: فـلانٌ عليه مـال، فَلك فيه أَرْبَعَـةُ أَوجُه: إِن شِئْتَ كَسَـرْتَ

(١) ليست في ك.

(٢) أي تمد في النطق.

(٣) بالإسكان.

(٤) عبارة ك: كما تسقط الضمة والكسرة في أتاني زيد... ولأنها واو وصل. ومعنى واو وصل أنها زيدت ووصلت بالكلمة وليست منها.

(٥) القصص ٨٢ ـ ٨١.

الهاءَ[1] وإنْ شِئْتَ أثْبَتَّ اليَاءَ، وكذلك في الضَّمّ إنْ شِئت ضَمَمْتَ الهاءَ، وإنْ شِئْتَ أثْبَتَّ الوَاو، فقلت عَلَيْهِ وعليهي، وعليْهُ وعَلَيْهُو (مَالٌ[2]).

وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿إن تحمل عليه يلهث﴾[3]، وقوله:

﴿إلا ما دمت عليه قائماً﴾[4] فالقراءَة بالكسر بغير ياءٍ في «عليه» وهي أَجود هذه الأَربعة ولا ينبغي أن يقرأ بما يجوز إلا أَن تثبت به رواية صحيحة أَو يقرأ به كثير من القراءِ، فمن قال عليهُ مال (بالضم[5]) فالأَصل فيه عليهو مال، ولكن حَذَفَ الواوَ لسكونها وسكون الياءِ واجتماعِ ثَلاَثَةِ أَحْرفٍ مُتَجَانِسَة، وترك الضمة لتدل على الواو، ومن قال عليهُو فإنما أَثبت الواو على الأَصل، ويجعل الهاءَ حاجزاً، وهذا أَضعف الوجوه لأن الهاءَ ليست بحاجز حصين، ومن قال: عَلَيْهِ مال فإنما قدر عليهي مال فقلب الواو ياءً للياءِ التي قبلها، ثم حذف الياءَ لسكونها وسكون الياءِ التي قبلها، كما قلبت الواو في قوله: مررت به يا فتى، ومن قال: عليهي مال[6] فالحُجَّةُ في إثْبات الياءِ كالحجة في إثبات الواو ألا ترى أَنَّ عليهي مال أَجودُ من عليهو مال.

وأَجود اللغات ما في القرآن وهو قوله عَلَيْهِ(قَائماً)[7] والذي يليه في الجودة عليهُ مال بالضمِ، ثم يلي (هذا[7]) عليهي مال ثم عليهو مال بإثبات الواو، وهي أَردأ الأَرْبَعَة.

فَأَما قولهم «عَلَيْهُمْ» فأَصل الهاءِ فيما وصفنا أَنْ تكونَ معها ضمّة، إلاَّ أَنَّ الوَاوَ قد سَقطت، وإنَّما تُكْسر الهاءُ للياءِ الَّتِي قَبْلَهَا، وإنَّمَا يكُونُ ما قَبْلَ مِيم

(١) أي بدون ياء.
(٢) ليست في ك.
(٣) الأعراف ـ ١٧٦.
(٤) آل عمران ـ ٧٥.
(٥) ليست في ك.
(٦) ك عليه.
(٧) ك فقط.

الإِضْمَارِ مضْمُوماً، فَإِنَّمَا أَتَتْ هـذه الضَّمَّةُ لميم الإِضْمَار، وقُلِبَتْ كسرةً للياءِ[1].

وإنَّما كثر «عَلَيْهِمْ» في القرآن «وعليهُم» ولم يكثر «عليهِمي» و «عليهُمُو[2]» لأنَّ الضمة التي على الهاءِ[3] من «عليهم» للميم، فهي أقوى في الثبوت، أَلَا تَرى أَنَّ هذه الضَّمّة تأتي على الْميم في كلِّ ما لحقته الميمْ، نحو عليكمْ، وبكُمْ، ومنكُمْ، ولا يجوز في عليكُمْ: «عَليكِم» (بكسر الكاف[4]) لأن الكافَ حاجز حصينٌ بين الياءِ والميم، فلا تُقْلَبْ كَسْرَةً، وقد روي عن بَعْضِ العرب: «عَليكِمْ» و «بِكِمْ» (بكسر الكاف[4]). ولا يلتفت إلى هذه الرواية، وأنشدوا[5].

وإنْ قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ — من الدَّهر ردوا بَعْضَ أَحْلَامِكُمْ ردُّوا

(بكسر الكاف)[6] وهذه لغة شاذة، والرواية الصحيحة: فضل أَحلامكُم، وعلى الشذوذ أنشد ذلك سيبويه[7].

فَأَمَّا «عليهمو» فأصل الجمع أن يكون بواو، ولكنَّ الميم استغنى بها عن الواو، والواوُ تثقل على أَلسِنَتِهم، حتى إنَّه ليس في أسمائهم اسم آخره واو

---

(١) ما قبل ميم الإضمار يكون مضموماً، ولكن كسرت الهاء لتناسب الياء التي قبلها لأن الهاء حرف حلقي ضعيف، ولم يأت هذا الكسر في عليكم لأن الكاف حرف قوي.

(٢) ك: عليهمو مع عليهمي.

(٣) في الأصول: التي بعد الهاء.

(٤) ليست في ك.

(٥) للحطيئة جرول بن أوس مخضرم مطعون النسب سيء الخلق من أشهر الهجائين والمداحين، أخباره في الأغاني ٢ ـ ١٢٤، والبيت من قصيدة جيدة يمدح بها لأي بن شماس وينصره على الزبرقان بن بدر، الديوان ٧٢، الخزانة ١ ـ ٤٠٩ الجمهرة ١٥٣.

(٦) ليست في ك.

(٧) أنشد البيت بالكسر.

قبلها حركة، فَلِذلك حُذِفَتِ الواو، فأما مَن قرأ «عَلَيْهُمُوا ولا الضَّالين» فقليل، ولا ينبغي أن يقرأ إلا بالكثير[١] وإن كان قد قرأ به قوم فإنه أقل من الحذف بكثير في لُغَة العرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

فيخفض (غَيْر)[٢] على وجهين، على البَدلِ مِنَ الذين كأنَّهُ قال: صراط غَيْرِ المغضُوبِ عليهم، ويستقيم أن يكون ﴿غَيْرِ المغْضُوبِ عليهم﴾ من صفة الذين، وإن كان ﴿غير﴾ أصله أن يكونَ في الكلام صفة للنكرة[٣]، تقول: مررت برجل غيرِك، فغيرك صفةٌ لرَجل، كأنك قلت: مررتُ برجل آخر، ويصلح أن يكون معناه: مررت برجُل ليس بك وإنما وقع ههنا صفةً للذين، لأن «الذين» ههنا ليس بمقصود قصدُهم[٤] فهو بمنزلة قولك: «إنِّي لأَمُرُّ بالرَّجُلِ مِثْلك فأُكرمه».

ويجوز نصب ﴿غير﴾ على ضربين: على الحال وعلى الاستثناءِ فكأنك قلت: إلَّا المغْضُوبَ عليهم، وحق ﴿غير﴾ من الإعراب في الاستثناءِ النصب إذا كان ما بعد إلا مَنْصوباً[٥]، فأما الحال فكأنك قُلْتَ فيها: صراط الذين أنعمْت عليهم لا مغْضوباً عليهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ الضَّالّينَ﴾.

---

(١) ك: بالكسر.

(٢) ك: فيخفض على ضربين.

(٣) ط: وإن كان «غير» إنما أصله في الكلام أن يكون.

(٤) القياس أن يقول «قَصْدُه» أي هذا اللفظ، وقد ذكر ضمير المذكر بعد عائداً على «الذين» لكنه نظر إلى معنى الذين فأعاد الضمير جمعاً وليس بجيد والغرض أن الذين هنا لا تدل على أشخاص معينين وإنما تدل على جنس عام، وبهذا العموم أشبهت النكرة.

(٥) تؤدي معنى «إلا» في إفادة الاستثناء وما بعدها يجر بالإضافة، وهي تأخذ حكم المستثنى.

فإنما عَطفَ بالضّالين على المغْضُوب عليهم، وإنما جاز أَنْ يقع ﴿لا﴾ في قوله تعالى: ﴿ولا الضالين﴾ لأن معنى ﴿غَيْر﴾ متضَمّن معنى النفي، يجيز النحويون: أَنت زيداً غيرُ ضَارب، لأَنه بمنزلة قولك أَنت زيداً لَا تضْرِبُ، ولا يجيزون أَنتَ زيداً مثل ضارب، لأَن زيداً من صلة ضارب فلا يَتقَدّم عليه[1].

وقول القائلين بعد الفَراغ من الحَمْد، ومن الدّعاءِ «آمِينِ» فيه لغتان. تقول العربُ: أَمين، وآمين، قال الشاعر:

تباعد عني فُطْحُل إذْ دَعوته   أَمينَ فزاد اللَّه ما بيننا بعدا[2]

وقال الشاعر أَيضاً:

يا رَبُّ لا تسلبنِّي حبّها أَبداً   ويرحم اللَّهُ عبداً قال آمينا[3]

ومعناه: اللهمّ استجب، وهما موضوعان في موضع اسم الاستجابة كما أَن قولنا: «صه» موضوع موضع سكوتاً[4].

وحقهما من الإِعراب الوقف[5] لأَنهما بمنزلة الأَصوات إِذْ كانا غير مشْتقين منْ فعل إلا أَنَّ النون فتحت فيهما لالتقاءِ السَّاكنين، فإِن قَال قائل: أَلَا كُسِرت النُّونُ لالتقاءِ الساكنين، قيل: الكسرة تَثْقُل بعدَ الياءِ، أَلا تَرى أَن أَيْن وكيف فتحتا لالتقاءِ الساكنين ولم تُكْسَرا لِثِقَلِ الكسرةِ بعدَ الياءِ.

---

(١) الأصل أنت مثل ضارب زَيْداً. ولا يفصل بينهما أيضاً.

(٢) البيت في اللسان (أمن) وفي الطبري والقرطبي في شرحهما هذه الآية.

(٣) البيت في اللسان «أمن» منسوباً لعُمَرَ بن أبي ربيعة، وفي فصيح ثعلب ٨٧ لمجنون ليلى.

(٤) أي أنه اسم فعل أمر بمعنى أستجب.

(٥) تبنيان على السكون.

ومن سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تبارك وتعالى: ﴿ألم﴾.

زعم أَبو عبيدة معمرُ بنُ المثنى أَنَّها حُروفُ الهجاءِ افْتتاح كلام، وكذلك: ﴿المر﴾، و﴿المص﴾[1]، وزعم أَبو الحسن الأَخْفش أَنَّها افتتاح كلام[2] ودليل ذلك أَن الكلام الذي ذُكِرَ قَبلَ السُّورَةِ قَد تَمَّ.

وزعم قطرب أَن: [3] ﴿الم﴾ و﴿المص﴾ و﴿المر﴾ و﴿كهيعص﴾ و ﴿ق﴾،

---

(١) أبو عبيدة يعتبرها أيضاً أسماء للسور، ففي «مجاز القرآن»: ألم افتتاح مبتدأ كلام شعار للسورة.

(٢) رأي الأخفش أنها حروف يستهل بها الكلام مثل «ألا».

والأخفش هو سعيد بن مسعدة، مولى آل مجاشع بن دارم، من أهل بلخ، سكن البصرة وقرأ على سيبويه وكان أَسَنّ منه وهو أنبغ تلاميذه، والوحيد الذي روى كتابه، ولولاه لضاع الكتاب، رحل إلى الكوفة ودرس الكتاب هناك، لكبار النحويين الكوفيين، منهم الجرمي، والفراء، والكسائي.

وترك الأخفش هذا عدة كتب في اللغة، وله «معاني القرآن» الذي يشير إليه الزجاج كثيراً ت ٢٢١ هـ.

ويعرف بالأخفش الأوسط تمييزاً له من الأخفش الأكبر أبي الخطاب عبد الحميد أستاذ سيبويه، والأصغر هو علي بن سليمان تلميذ المبرد، وراوي الكامل.

أخبار النحويين ٣٩. مراتب النحويين ٦٨.

البغية ٢٥٨. طبقان النحويين ٧٤.

نزهة الألباء ٩١.

(٣) قطرب هو محمد بن المستنير من تلاميذ سيبويه، كان يدلج إليه ليلا فإذا استيقظ رآه على بابه،

و ﴿يس﴾ و ﴿نون﴾، حروف المعجم ذكرت لتدل على أن هذا القرآن مؤلف[1] من هذه الحروف المقطعة التي هي حروف ا. ب. ت. ث. فجاءَ بعضها مقطَّعاً وجاءَ تمامها مُؤَلَّفاً ليدل القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه بحروفهم التي يعقلونها لا ريب فيه.

ويروى عن الشعبي[2] أنه قال: لِلّه في كُلِّ كتابٍ سِرٌّ وسِرُّه في القرآن حروف الهجاءِ المذكورة في أوائل السُّورِ.

ويروى عن ابن عباس ثلاثةُ أوجه في ﴿الم﴾ وما أشبهها، فوجه منها أنه قال:

أَقسم اللَّهُ بهذه الحروف أَن هذا الكتاب الَّذِي أُنزل[3] على محمد ﷺ هو الكتاب الذي عنده، عزّ وجلّ لا شكَّ فيه، والقول الثَّاني عنه أن: ﴿الر﴾، ﴿وحم﴾، ﴿ونون﴾، اسم للرحمن عزّ وجلّ - مقطَّع في اللفظ موصُول في المعنى، والثَّالث عنه أنَّه قال: ﴿الم﴾ معناه أَنا اللَّه أَعلم، و ﴿الر﴾ معناه أَنا اللَّه أَرى،

= فقال له ما أنت إلا قطرب ليل، كان بارعاً في النحو واللغة ولكن ابن السكيت ضعف رأيه في اللغة واتهمه بالكذب. لقطرب عدة مؤلفات منها النوادر، والأضداد، والهمز - الخ. وكلها تدل على عمق وسعة علم، أما رأيه هذا فشائع بين المفسرين.

أنظر الفهرست ٥٢، البغية ١٠٤ الوفيات ١ - ٤٩٤.

(١) في الأصل المؤلف.

(٢) الإمام الشعبي هو عامر بن شرحبيل الحميري، راوية من التابعين ولد ومات بالكوفة، بعد أن جاوز الثمانين، روى عن عبد اللّه بن عمر، له مع عبد الملك والحجاج مجالس مروية في كتب الأدب، وهو أحد أئمة الأمصار الأربعة: سعيد بن المسيب بالمدينة ومكحول بالشام والحسن البصري بالبصرة. توفي سنة ١٠٥ هـ.

تاريخ بغداد ١٢ - ٣٣٤ ابن خلكان ١ - ٢٤٤.

(٣) لأن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل وما أنزل على رسول اللّه ﷺ مما هو مكتوب هناك لا شك فيه ولا تغيير.

و﴿المص﴾ معناه أنا اللَّه أعلم وأفصل[1] و ﴿المر﴾ معناه أنا اللَّه أعلم وأرى.

فهذا جميع ما انتهى إلينا من قول أهل اللغة والنحويين في معنى ﴿الم﴾ وجميع ما انتهى إلينا من أهل العلم بالتفسير.

ونقول في إعراب ﴿الم﴾ و ﴿الر﴾ و ﴿كهيعص﴾ وما أشبه هذه الحروف.

هذا باب التهجي.

---

(١) أي أقضي.

هذا باب حروف التهجي

وهي: الألف والباءُ والتاءُ والثاءُ وسائر ما في القرآن منها.

فإجْماع النحويين أنَّ هذه الحُروف مَبْنِيَّة على الوقف لا تعرب ومعنى قولنا «مبنية على الوقف» أنك تُقَدِّرُ أنْ تسكت على كل حرف منها، فالنطق: ألف، لام، ميم، ذلك. والدليل على أنك تقدر السكت عليها[1] جمعك بين ساكنين في قولك «لام» وفي قولك «ميم». والدَّليل على أنَّ حروف الهجاءَ مَبْنيّة على السكت كما بني العدَدُ على السَّكْت: أنَّك تقول فيها بالوقف مع الجمع بين ساكنين، كما تقول إذا عددت واحدْ. اثنانْ. ثَلاثَهْ. أربعهْ... ولولا أنك تقدر السكت لقلت: ثلاثةً، بالتاءِ[2] كما تقول: ثلاثاً يا هذَا. فتصير الهاءَ تاءً مع التنوين واتصال الكلام.

وحقها من الإعراب أن تكون سواكن الأواخر، زَعم سيبويه أنَّك أردْتَ أنَّ المعجمَ حروف يُحْكى بها ما فِي الأَسْماءِ المؤَلَّفةِ من الحروف[3] فجرى

---

(١) ط، ب: ودليل ذلك.

(٢) أي وليس بالهاء والوقف.

(٣) أشبهت أسما الأصوات في أنها تعبر عن معاني أسماء، فسكنت وأراد أنها سكنت في هذا الموضع وما أشبهه، وقد تعرب كالأسماء المتمكنة وفي ك:
أنك أردت أن تقطع المعجم حروفاً تحكي بها ما في الأسماء المؤلفة من الحروف فجرت مجرى الخ.

مجرى ما يحكى به نحو «غاق»، وغاق يا فتى، إنَّما حكى صوتَ الغُراب(١)، والدليل أَيْضاً على أنها مَوْقُوفَة قولُ الشَّاعر(٢):

أَقْبَلْتُ من عند زياد كالخَرِف تخطُّ رجْلاي بخَطٍّ مختلف

تَكَتَّبَانِ في الطريق لَامَ أَلِفْ

كأنه قال: لامْ أَلِفْ، بسكون «لام» ولكنه أَلقى حركة همزة «أَلف» على الميم ففتحها.

قال أَبو إسحق: وشرح هذه الحروف وتفسيرها أَنَّها ليست تجري مجرى الأَسماءِ الْمُتمكِّنَة، والأَفعال المضَارِعة التي يجب لها الأَعرابُ وإنما هي تقطيع الاسم المؤلف الذي لا يجب الإعراب فيه إلاَّ مع كماله، فقولك «جَعْفَر» لا يجب أن تُعْرَبَ منه الجيمَ ولا الْعَيْنَ ولا الفَاءَ ولا الرَّاءَ، دون تكميل الاسم، فإنّما هي حكاياتٌ وُضِعَتْ على هذه الحروف، فإن أَجريتها مَجْرى الأَسماءِ وحدثت عنها قلت: هذه كاف حسنة، وهذا كاف حسنٌ، وكذلك سائرُ حُرُوف الْمُعْجَم، فمنْ قال هذه كاف أَنَّثَ لمعْنى الْكَلِمَةِ، ومن ذكَّر فلمعنى الحرف، والإعرابُ وقع فيها لأَنك تخرجها من باب الحكاية.

قال الشاعر!

كافاً ومِيمين وسيناً طَاسِماً(٣)

---

(١) ك: إذا حكى صوت الغراب.

(٢) هو أبو النجم العجلي، يصف حالة سكر له، وزياد هو صديقه الذي شرب عنده، يريد أنه كان يتمايل فتخط رجلاه في الطريق ما يشبه «لام الف» وأبو النجم هو الفضل بن قدامة، من بني بكر بن وائل كان رجازاً وشاعراً أوصف من العجاج وكان معاصراً له، أنظر الأغاني ٩ ـ ٧٧ والخزانة ١ ـ ٤٩.

والأبيات في اللسان «كتب» باختلاف قليل، وكتاب سيبويه ٢ ـ ٣٤ ط باريس.

(٣) كتاب سيبويه ٢ ـ ٣١ باريس، ابن يعيش ٦٩ ـ ٢١، ويروى طامساً.

وقال أيضاً:

كمـا بينت كـاف تَـلُوح ومِيـمُهـا[1]

ذكَّرَ طَاسِماً لأنه جَعله صفةً للسين، وجعل السِّين في معنى الحرف وقال تلوح، فأنث الكاف، ذهبَ بها مذهب الكلمة، قال الشـاعر يهجـو النحويين، وهو يَزيدُ بن الحكم[2].

إذا اجـتـمـعـوا عـلى ألـف وواو　　ويـاءٍ لاح بـيـنـهـمـو جـدال

فـأما إعـرابُ «أَبِي جَادٍ» و «هَـوَزٍ» و «حُـطِّي»، فـزعم سيبـويـه أنَّ هـذه مَعْروفاتُ الاشتقـاق في كلام العـرب، وهي مَصْروفـة، تقول: علمْتُ أَبـا جادٍ وانتفعتُ بـأبي جاد، وكـذلك «هـوز» تقـول: نفعني «هـوز»، وانْتَفَعْتُ بهـوَزٍ، (وكذلك حُطِّي)[3]، «وَهُنَّ» مصْروفات منوّنَات. فأَمـا «كلمون»[4] و «سَعْفَص» و «قُـرَيْشِيَات»، فـأَعْجَمِيَّات تقـول: هذه كَلَمْـونَ ـ يـا هـذا ـ وتعلمت كَلَمُـونَ وانتفَعْتُ بكلمون، وكذلك «سعفص».

فَأَمَّا قُرَيْشِيَاتٌ فاسْم للجَمْع[5] مصروفة بسبب الألف والتاءِ، تقول: هَذه

---

(١) كتاب سيبويه ٢/٣١ وابن يعيش أيضاً وهو للراعي، وصدره:
أهاجتك أبيات أبان قديمها، وفي اللسان (كهف): أشاقتك أطلال تعفت رسومها.

(٢) ط: يزيد بن الحرث، وهو خطأ أو اختصار، وابن الحكم، ثقفي أسلم يوم فتح الطائف وله مع الحجاج موقف معـروف، وقد احتضنـه سليمـان بن عبـد الملك، ولكنـه انشق على الأمـويين وانضم إلى يزيد بن المهلب، أنـظر الأغاني ١١ ـ ٩٦ السـاسي ورغبة الأمـل ٨ ـ ٤١ وجاء في الخـزانة ١/٥٣٥ أن البيت ليـزيد بن الحكم كمـا نسبه الـزجاج وابن الأنبـاري والقالي، وروى الحـريـري في درة الغـواص عن الأصمعي أنـه قـال: أنشـدني عيسى بن عمـر بيتـاً هجـا بـه النحويين. الخ.

(٣) ليست في ك.

(٤) ط وكلمون.

(٥) في الأصل وك: إسم للجميع، والغرض في الروايتين أنه إسم دال على جمع.

قَرَيْشِيَاتٌ ـ يا هذا وَعَجِبْتُ مِنْ قُرَيْشِيَّات (يا هذا)[1].

ولقطرب قول آخر في ﴿آلم﴾: زعم أنه يجوز: لما لغا القومُ في القرآن فلم يتفهموه حين قالوا ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾[2] أُنْزِلَ ذكرُ هذه الحروف، فسكتوا لمَّا سمعوا الحروف طمعاً في الظفر بمَا يحبون ليفهموا[3] -بعد الحروف ـ القرآن وما فيه، فتكون الحجة عليهم أثبت إذا جحدوا بعد تفهم وتعلم.

قال أبو إسحق: والذي اختاره من هذه الأقوال التي قيلت في قوله عزّ وجلّ: ﴿الم﴾ بعض ما يروى عن ابن عباس رحمة اللّه عليه. وهو أن المعنى: ﴿ألم﴾ أنا اللّه أعلم، وأن كل حرف منها له تفسيره، والدليل على ذلك أن العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها، قال الشاعر[4]:

قلنا لها قفي قَالَتْ قافْ   لا تَحْسَبي أَنَّا نَسِينَا الإيجَاف

فنطق بقاف فقط، يريد قالت أقف.

وقال الشاعر أيضاً:

نَادَوْهمو أَنِ الْجِمُوا، أَلَاتَا   قالوا جميعاً كلهم: أَلَا فَا[5]

(١) ليست في ط.

(٢) فصلت ٤١ ـ ٢٦.

(٣) أنزلت مقطعة ليسكتوا ويتأملوا فيفهموا كلمة طمعاً تعليل لأنزلت.

(٤) أبو وهب الوليد بن عقبة، أخو عثمان من الرضاعة، ولاه الكوفة فشرب وأم الناس سكران فعزله عثمان وحده، وقال هذا الشعر وهو في طريقه إلى المدينة، يخاطب الإبل، ويقول لا تظنيني أترفت ونسيت طرد الابل أنظر الأغاني ٤/١٨١ ساسي، والأبيات في الخصائص ١ ـ ٣٠، ٨٠.

والصحابي ٩٤، وشرح شواهد الشافية ٢٧١، وكتاب سيبويه ٢ ـ ٦٢ باريس.

(٥) الكامل ١ ـ ٢٤٠ وشرح شواهد الشافية ٢٦٢، ٢٦٤، للقيم بن أوس.

تفسيره: نادوهموا أَنْ أَلْجِمُوا، أَلا تركبون، قالوا جميعاً: ألا فارْكَبوا، فَإنَّما نطق بتاءٍ وفاءٍ كما نطق الأَوّل بقَافٍ.

وأَنشد بعض أَهل اللُّغَةِ للقيم بن سَعْد بن مالك:

إنْ شئْتَ أَشْرَفْنا كلانا فدعا ... اللَّهَ ربًّا جُهْدَه فاسْمَعَا
بالخير خيرات وإنْ شَرًّا فآى ... ولا أُريد الشر إلا أَن تآءَ

وأَنشد النحويون:

بالخير خيرات وإن شرا فا ... ولا أُريد الشر إلا إن تَا

يريدون: إن شَرًّا فَشَرٌّ، ولا أُريد الشر إلا أَن تَشَاءَ.

أَنشد جميع البصريين ذلك(١)

فهذا الذي أَختاره في هذه الحروف واللّه أَعلم بحقيقتها.

فأَما ﴿ص﴾ فقرءَ الحسن(٢): صادِ والقرآن، فكسر الدال، فقال أَهل

= كتاب سيبويه ٢ - ٦٢ باريس، وجاء في اللسان (معي) أن الأبيات لحكيم بن معية التميمي، وجاءت كما يلي:

ان شئت يا أسماء أشرفنا معا ... دعا كلانا ربه فاسمعا
بالحير خيرات وإن شرا فأي ... ولا أريد الشر إلا أن تاي

قال: وبانقلاب الياء إلى الألف يسلم قول حكيم من الأقواء، وجاء بعد ذلك: قال لقمان بن أوس بن ربيعة بن مالك بن يزيد بن مناة بن غنم:

إن شئت أشرفنا كلانا فدعا . وأعاد البيتين كما ذكرهما من قبل

(١) ك: أنشد جميع البصريين هكذا.

(٢) الحسن بن أبي الحسن بن يسار، البصري، السيد الإمام أبو سعيد إمام البصرة في عصره، قرأ على حطان بن عبد اللّه الرقاشي، عن أبي موسى الأشعري، وعلى أبي العالية، عن أبي عن زيد بن ثابت وعن عمر، وقرأ عليه جماعة منهم أبو عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، ت ٢١٠ هـ.

غاية النهاية ت ١٠٧٤ ابن خلكان ١ - ١٦٠.

اللغة: معناه صاد القرآن بعملك، أي تَعَمَّدْهُ، وسقطت الياءُ للأمر ويجوز أن تكون كسرت الدال لالتقاءِ الساكنين إذَا نَوَيْتَ الوصلَ. وكذلك قرأ عبد اللّٰه بن أبي إسحق[1]: «صادِ والقرآن»، وقرأ أيضاً «قافِ والقرآن المجيد». فالكسرُ في مذهب بن أبي إسحق لالتقاءِ الساكنين[2].

وقَرأ عيسى بنُ عمر[3]: «صادَ والقرآنِ» ـ بفتح الدّال ـ وكذلك قرأ «نونَ والقلمِ» و «قافَ والقرآنِ» ـ بالفَتح أيضاً ـ لالتقاءِ السّاكنين، قال سيبويه: إذَا نَاديتَ أَسْحارً[4] والأَسْحَارّ اسمُ نَبْتٍ ـ مشدَّد الراءِ ـ قلت في ترخيمه: يا أَسْحارَ أَقْبل، ففَتَحْتَ لالتقاءِ السَّاكِنين كما اخْتَرتَ الفتحَ في قولك عضَّ يا فتى فاتباع الفتحةِ الفَتْحُةَ كاتباع الألفِ الفَتْحَةَ ويجوز: يا اسحارٍ أَقْبِل، فتَكْسِر لالتقاء السّاكنَيْن.

وقال أبو الحسن الأخفش: يجوز أن يكون صادَ وقافَ، ونونَ أسماءً للسور منصوبةً إلا أنها لا تُصْرف كما لا تصرف جملة أَسْماءِ المؤنث. والقولُ الأول أعني التقاءَ الساكنين، والفتحَ والكسر من أَجل الْتقائِها أقيسُ، لأنه[5] يزعم أنّه ينْصب هذه الأشياء كأنّه قال: أذكر صادَ[6]. وكذلك يجيز في «حم»،

(١) عبد اللّٰه بن أبي إسحاق الحضرمي ولاء أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل، ناظر أبا عمرو بن العلاء فقهره، كان ينقد الفرزدق كثيراً، وكانت له خلافات قليلة في القرآن خاصة من ذلك أنه كان يقرأ: الزانية والزاني، والسارق والسارقة بالنصب ت ١١٧ طبقات النحويين ٢٥ ـ ٢٧، أخبار النحويين ٢٠.

(٢) لأنه وصل الحرف بما بعده، والساكنان الألف والصاد.

(٣) عيسى بن عمر الثقفي أبو عمر مولى خالد بن الوليد نزل في ثقيف فنسب إليهم. إمام في النحو والعربية والقراءة، يقال إنه ترك نيفا وسبعين مصنفاً. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وعبد اللّٰه بن أبي إسحق والحسن البصري وغيرهم ت ١٤٥ هـ. البغية ٣٧١.

(٤) في الأصل ناديت.

(٥) الأخفش.

(٦) أي وعدم والحذف أولى.

و «طس»، النّصبَ و «ياسين» أيضاً على أنها أسماءُ للسّور.

ولو كان قـرئَ بها لكان وجهُه الفتحَ لالتقاءِ الساكنين.

فأما ﴿كهعيص﴾ فلا تُبينُ [فيها] النون مع الصاد في القراءَة وكذلك ﴿حم عسق﴾ لا تبين [فيها] النون مع السين.

قـال الأخفش وغيره من النحـويين: لم تبَيّن النون لقـرب مخـرجهـا من السين والصَّادِ.

فأما «نُونْ والقَلم» فالقراءَة فيها تَبْيين النون مع الـواو التي في «والقلم»، وبتــرك التَّبيين. إنْ شئتَ بيّنْتَ وإن شئْتَ لَمْ تُبيِّنْ، فقلت «نُــونْ والقَلم» لأن النون بعدت قليلاً عن الواو(١).

وأما قوله عزّ وجلّ(٢) ﴿الٓمٓ﴾ اللّه ففي فتح الميم قولان أحدهُما لِجماعة من النحـويين وهو أن هـذه الحروف مبنيـة على الـوقف فيجب بعـدهـا قـطع ألف الـوصل فيكـون الأصل: أَ . ل . م . اللَّهُ لا إِلـه إلا هـو. ثمَّ طـرِحتْ فَتْحةُ الهمزَةِ على الميم، وسقطت الهمزة كما تقول: واحدْ إِثْنَان، وإن شئت قلت: واحدِ اثْنَان فألقَيْتَ كسرة اثنين على الدال.

وقال قوم من النحويِّين لا يسوغ في اللفظ أن ينطق بثلاثة أحرف سواكنَ فلا بدَّ من فتحـة الميم في ألم اللّه لالتقاءِ السـاكنين (يعني الميم واللام والتي بعدها)(٤).

وهذا القول صحيح لا يمكن في اللفظ غيره.

---

(١) هذه عبارة ك وعبارة ط، ب: إن شئت قلت نون والقلم [أي بتشديد الواو] وإدغام النون فيها.

(٢) ك فأما.

(٣) كَ فيجب.

(٤) ليست في ك.

فأما من زعم أنَّه إنَّما أُلقي حركةَ الهمزة فيجب أن يقرأ «أَلِم اللَّه»(١).

وهذا لا أعلم أحداً قرأ به إلا ما ذُكر عن الرؤاسي(٢)، فأَمَّا من رواه عن عاصم فليس بصحيح الرواية(٣).

وقال بعض النحويين لو كانت محركة للالتقاءِ الساكنين لكانت مكسورة، وهذا غلط لو فعلنا في التقاءِ الساكنين إذا كان الأول منهما ياءً لوجب أن تقول: كيفِ زَيد وأين زيد وهذا لا يجوز، وإنما وقع الفتح لثقل الكسرة بعد الياء»(٤).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَٰلِكَ الكِتَابُ﴾.

زعم الأخفش وأبو عبيدة أن معناه هذا الكتاب قال الشاعر.

أقول له والرمح يأطر متنه تأمَّلْ خُفَافاً إنني أنا ذَلكا(٥)

---

(١) بكسر الميم للتخلص من التقاء الساكنين بعد حذف حركة الهمزة.

(٢) ط الا الرؤاسي.

وهو محمد بن الحسن بن أبي سارة يكنى أبا جعفر، أستاذ الكسائي والفراء وأول من وضع كتاباً في النحو من الكوفيين، ويقال إن كل ما في كتاب سيبويه «قال الكوفي» إنما عنى به الرؤاسي وله اختيار في القراءة وذكره الداني في غاية النهاية.

أخبار النحويين ١٣٥، نزهة الألباء ٦٥، البغية ٣٣.

(٣) عاصم بن أبي النجود شيخ القراء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلمي، جمع بين الفصاحة والإتقان والتجويد والتحرير وحسن الصوت وروى عنه ربيبه حفص ت ١٢٧ هـ.

ابن خلكان ١ ـ ٣٠٤. غاية النهاية ١٤٩٦.

(٤) هذه دفاع عن الرأي الذي سبق ذكره من أن الميم فتحت لالتقاء الساكنين، والمراد بالتقائهما هنا الجمع بينهما.

(٥) هو خفاف بن ندبة (أمه) يخاطب مالك بن حماد سيد بني فزارة وقد قتله خفاف ثأراً لمعاوية بن عمرو أخي الخنساء في خبر طويل مذكور في الأغاني ١٣ ـ ١٣٧ ويأطر متنه يلوي بدنه حتى يتلاقى طرفاه كالحبل وأنظر أيضاً الأغاني ٢ ـ ١٢٩ والخزانة ٢ ـ ٤٧١ والجمهرة ١٢ بيروت.

قال المعنى إنني أنا هذا. وقال غيرهما من النحويين: إن معناه القرآن ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان موسى وعيسى (ص)(1) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفروا بِهِ﴾(2) وكذلك قوله: ﴿الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وإنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(3).

فالمعنى هذا ذلك الكتاب.

ويجوز أن يكون قوله ﴿أَلَم ذَلَكَ الْكِتَابُ﴾، فيقال «ذلك» للشيء الذي قد جرى ذكره، فإن شئتَ قلتَ فيه «هذا» وإنْ شِئتَ قلت فيه «ذلك»، كقولك انفقت ثلاثةً وثلاثةً فذلك ستة وإن شئت قلت هذا ستة، أو كقوله عز وجل في قصة فرعون: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى فأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخرَةِ والْأُولَى﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّ فِي ذَلكَ لَعِبْرةً لِمَنْ يَخْشَى﴾(4). وقال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا في الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِقَوْم عَابِدِينَ﴾(5). وقال عز وجل ﴿آلمَرَ تلك آيَاتُ الْكِتَابِ والَّذِي انْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾(6) فقال ﴿ذلك﴾ فجائز أن المعنى: تلك علامات الكتاب، أي القرآن متكلم به بحروف العرب. التي نعقلها على ما وصفنا في شرح حروف الهجاءِ».

وموضع ﴿ذلك﴾ رفع لأنه خبر ابتداءٍ على [قول] من قال هذا القرآن ذلك

---

(1) ك عليهما السلام.

(2) سورة البقرة (٢) ـ آية ٨٩.

(3) سورة البقرة (٢) ـ آية ١٤٦.

(4) سورة النازعات (٧٩) ـ الآيات ٢٣ ـ ٢٦، ومعنى ذلك: هذه الأحداث التي ذكرت.

(5) سورة الأنبياء (٢١) ـ آية ١٠٦.

(6) سورة الرعد (١٣) آية:

الكتاب. والكتاب رفع يسميه النحويون عطفَ البيان نحو قولـك: هذا الـرجل أخوك فالـرجل عـطف البيانَ أي يبين من الـذي أشرت إليـه، والاسم من ذلك «ذا» والكاف زيدت للمخاطبة ولاحـظَّ لها في الإعراب[١] قال سيبويه: لو كان لها حظ في الإعراب لقلت: «ذاك نفْسِه زيد»[٢] وهذا خطأٌ - لا يجوز إلا «هذاك نَفْسُه زيد».

(ولذلك «ذانك» يشهد أن الكـاف لا موضـع لها. لـو كان لهـا موضـع لكان جرا بالإضافة، والنون لا تدخل مع الإضافة)[٣].

والـلام تزاد مـع ذلـك للتـوكيـد، أعني تـوكيـد الاسم لأنهـا إذا زيـدت أسقطت معها «هـا». تقول: ذلـك الحق وذاك الحق، وها ذاك الحق، ويقبـح هـذلك الحق لأن الـلام قد أكـدت معنى الإشارة[٤]. وكسـرت اللام لـلالتقاء الساكنين، أعني الألف من ذا واللام التي بعدها، وكان ينبغي أن تكون سـاكنة ولكنها كسرت لما قلناه[٥].

وكـذلك يجب أن يكـون موضـع ذلك رفعـاً فيمن جعل ذلـك خبـراً عن ﴿الٓمٓ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

معنـاه لا شك فيـه تقول: رابني فـلان إذا علمت الرّيبَـة فيـه وأرابني إذا أوهمني الريبة قال الشاعر[٦].

---

(١) ومن العجب أنه يعتبر الكاف في إياك ضميراً.

(٢) على أن نفس توكيد للكاف المضاف إليه.

(٣) هذه الفقرة في ك فقط.

(٤) المعروف عند جميع النحويين أنه لا يجوز ذكر هاء التنبيه مع الـلام إلا رأيا رواه ابن هشـام عن ابن معط، وقال ابن مالك: واللام أن قدمت ها ممتنعه.

(٥) كان حق اللام أن تبنى على السكون وكسرت للالتقاء الساكنين.

(٦) هو الفرزدق وقيل الأعشى وقيل المتلمس وقيـل غيرهم أي إذا أحـدثت ما يـريبه قـال إنه مجـرد=

أخــوك الــذي إنْ ربتَــه قــال إنمــا أُرَبْــتُ وإنْ عــاتبتــه لان جــانبــه

وموضع ﴿لا ريب﴾ نصب، قال سيبويـه: «لا» تعملُ فيمـا بعدهـا فتنصبـه ونصبها لما بعدها كنصب إنَّ لمَا بعدها إلا أنهَا تنصبه بغير تنـوين[١] وزعم أنها مع ما بعدها بمنزلة شيءٍ واحد.

كأنها جواب قول القائل: هل من رجل في الـدار، فمن غير منفصلة من رجل، فإنْ قال قائل فما انكرت أن يكون جواب هل رجلَ في الدار[٢]؟ قيـل: معنى «لا رجل في الدار» عموم النفي، لا يجوز أن يكـون في الدار رجـل ولا أكثر منه من الرجال إذا قلت: «لا رجل في الدار»، فكذلك «هل مِنْ رجل في الدار» استفهامٌ عنِ الواحد وأكثر منه، فـإذا قلت: «هل رجـلٌ في الدار» أو «لا رَجُلٌ في الدار» جاز أن يكون في الدار رجلان لأنك إنما أَخْبَرْتَ أنَّه ليس فيها واحـد فيجوز أن يكـون فيها أكثـر، فإذا قلتِ لا رجُـلَ في الدار فهـو نفي عـام وكذلك ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

وفي قوله ﴿فيه﴾ أربعةُ أوجه، القراءَةُ منها على وجه واحد ولا ينبغي أَنْ يُتجاوَزَ إلى غَيْره وهو ﴿فيهِ هُدى﴾ بكسر الهاءِ (ويجوز في الكـلام وفي القراءة لو كان قـرئ به)[٣]«فيهي هدى» بـإثبات الواو، و «فيهي هديٰ» بإثبات الياءِ، وقد شرحنا هذه الأوجه في إعراب الحمد[٤].

وهم وإنك لم تحدث شيئاً، وفي اللسان (راب) الرواية الصحيحة للبيت «أرَبْتُ» أي أنا الـذي أحدثت الريبة.

(١) أي هو مبني على الفتح.

(٢) أي لماذا منعت هذا. يريد نصب رجل بعد هل.

(٣) هذه الجملة ليست في ك والعبارة هناك. وهو قوله فيـه هدى، وفيهي هـدى بإثبـات الياء وفيهـو هدى... الخ.

(٤) انظر ص ٥٠ ـ ٥١.

فأَمَّا قِرَاءَةُ «فيهْ هُدًى» بإدغام الهاءَ في الهـاءَ فهو ثقيـل في اللفظ، وهو جـائـز في القيـاس لأَن الحـرفين من جنس واحـد إلا أَنـه يثقـل في اللفظ لأَن حـروف الحلق ليست بـأَصـل في الإدغـام والحـرفـان من كلمتين، وحكى الأَخفش أَنَّها قِراءَة.

ومـوضع ﴿هـدًى﴾ نصب، ومعناه بيـان ونصبه من وجهين أَحـدُهُمـا أَنْ يكون مَنْصُوبـاً على الحال من قـولك: القـرآن ذلك الكتـاب هدى ويجـوز أن يكـون انتصب بقولـك: لا ريْبَ فيه في حـال هدايتـه فيكون حـالاً من قـولـك لا شك فيه هادياً، ويجوز أَن يكونَ موضعُه رفعاً من جهات: إِحْدَاهَا أَن يكـون خبراً بعد خبرٍ كأَنـه قال: هـذا ذلك الكتـاب هدى، أَي قـد جمع أَنـه الكتاب الذي وعدوا بـه وأَنه هـدًى كما تقـول: هذا حُلوٌ حـامض، تُرِيـدُ أَنه قـد جَمع الطَّعْمَين[1] ويجوز أَن يكون رفعه على إضمار هو، كإنه لما تَم الكلام فقيـل: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ قيل: هو هدى.

ويجوز أَن يكون رفعه على قولك: ﴿ذَٰلِكَ الْكَتـابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ كـأَنك قلت ذلك الكتابُ حَقًّا، لأن لا شك فيه بمعنى حقّ ثمّ قَال: بعد ذلك: ﴿فِيـهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾.

معناه يصدقون، وكل مؤْمِن بشيءٍ فهـو مصدّق بـه فإذا ذكـرتَ مؤْمناً ولم تقل هو مؤْمن بكذا وكذا فهو الذي لا يصلح إلا في اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ، وموضع ﴿الذين﴾ جر تبعاً للمتقين ويجوز أَن يكون موضعُهُم[2] رفعاً على المدح كـأَنه

---

(١) على هذا التقدير لا يكون من تعدد الخبر لأن الكلمتين أفادتا معنى واحداً، والخبر المتعـدد كل كلمة فيه تفيد معنى مستقلاً مثل وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد، وقد أجازه بعض النحويين ولكن لم يسلم له. أنظر الأشموني حـ ١ ـ ١٦٣.

(٢) القياس أن نقول موضعها أو موضعه أي الكلمة أو اللفظ وعود ضمير الجمع عليها لأوجه ذا قيمة

لما قيل هدى للمتقين قيل مَنْ هُم فقيل: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، ويجوز أن يكون موضع الذين نصبا على المدح أيضاً كأنه قيل أذكر الذين.

﴿والـذين﴾ لا يظهـر فيهم الإعراب، تقـول في النصب والرفـع والجر: أتاني الذين في الدار ورأيت الذين في الدار ومررت بالذين في الدار، وكذلك الـذي في الـدار، وإنمـا منـع الإعـرابَ لأن الإعـراب إنّمـا يكـونُ في آخـر الأسمـاءِ، والـذي والـذين مبهمـان لا تتمـان إلاَّ بِصِـلاتِهِمَـا فلذلـك مُنِعَتِ الإعرابَ.

وأصـل الذي لَـذٍ على وزن عَمٍ فاعْلَمْ، كـذلك قـالَ الخلِيـل وسيبـويـه والأخفش وجميعِ من يوثق بعلمه.

فإن قال قائل: فما بالك تقول: أتاني اللذان في الدار ورأيت اللذين في الدار فتعرب كلَّ ما لا يعربَ في تثنيته نحـو هذان وهـذين وأنت لا تعرب هـذا ولا هؤُلاءِ، فالجواب في ذلك أن جميع ما لا يعرب في الواحد مشبه بالحـرف الذي جاء لمعنى فإذا ثنيته فقد بطل شبه الحرف الذي جاءَ لمعنى لأن حـروف المعـاني لا تثنى[1] فإنْ قَـال قائِـلٌ فَلَمَ منعته الإعـراب في الجمـع؟ قلت لأن الجمع الذي ليس على حد التثنية كـالواحـد، ألا ترى أنـك قلت في جميع[2] هذا هؤُلاء يا فتى فجعلته اسماً واحداً للجمع، وكذلك قولك الـذين، إنما هـو اسم للجمع كما أن قولك سنين يا فتى اسم للجمع فبَنَيْتَـه كما بنَيْت الـواحِد، ومن جمع الذين على حد التثنية قال: جاءَني الـذونَ في الدار، ورأيت الـذين

= لـه، وهـو نـاظـر فيـه إلى معنى الكلمـة، وفي القـرآن ﴿وعلم آدم الأسمـاء كلهـا ثم عـرضَهُمْ﴾ واختلفت فيه آراء المفسرين.

(١) يجاري الزجاج في هذا من زعم من الكوفيين أنها تثنية حقيقية، وأن الموصول المثنى معـرب، وجمهور النحويين من البصريين والكوفيين أنه اسم مبني جاء على هذه الصورة.

(٢) ط: جمع.

في الـدار. وهذا لا ينبغي أنْ يقـع لأن الجمع مستغنى فيـه عن حـد التثنيـة، والتثنية ليس لها إلا ضرب واحد[1].

ومعنى قوله: ﴿بـالغَيْب﴾: ما غـاب عنهم مما أخبـرهم به النبي ﷺ من أمر الغيب والنُّشور والقيامة وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيُقيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

معنـاه يُتمُّونَ الصـلاة كما قـال: ـ ﴿وأتمُّوا الْحَجَّ والْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ وضمت اليـاءُ من يؤْمنون، ويقيمـون، لأن كل مـا كان على أربعـة أحـرف نحـو أكْـرَمَ وأحسَنَ وأقـام وآمن فمُسْتَقبله: يُكـرم، ويُحْسِنَ، ويُؤْمِنُ ويُقيمُ «وإنمـا ضمت أوائل المستقبل ليفرق بين ذوات الثلاثة نحو ضرب، وبين ذوات الأربعة نحـو دحرج»[2]، فما كـان على ثلاثـة فهو ضـرب يَضرب أو تَضـرب أو نَضرب[3]، ففصل بالضمة بينهما فإن قال قـائل: فهـلا فصل بـالكسرة؟ ـ قيـل الكسرة قـد تـدخل في نحـو تعْلم وتبيَضُ[4] ولأن الضمة مـع الياءِ مستعمله، والكسـرة لا تستعمـل مع اليـاءِ. فمن قال أنت تعْلم لم يقـل هـو يِعْلم، فـوجب أن يكـون الفرق بينهما بالضمة لا غير.

والأصـل في يُقيم «يُؤَقْيِمُ»[5] والأصـل في يُكـرمُ يؤكـرم ولكن الهمـزة

---

(١) أي هو ليس جمعاً حقيقياً حتى يعرب أعراب الجمع.

وهذا النطق كان في هذيـل أو عقيل، وهـو حتى في هذه الحـالة ليس جمعـاً حقيقياً، وهـو على أصح الآراء مبني.

راجع في التصريح والأشموني وحاشية الصبان باب الموصول. حـ١ ـ ١١١.

(٢) الأولى ليفصل بين ذوات الأربعة وغيرها.

(٣) ط ونضرب.

(٤) هي تلتة بهراء ـ بطن من تميم. يكسرون حرف المضارعة مطلقاً.

وهناك أفعال خاصة يكسر أول مضارعها عند جميع العرب عدا الحجازيين.

أنظر تاريخ آداب العرب للرافعي حـ١ ـ ١٤٠ ومراجعه.

(٥) الأصل فيه يؤقوم ـ لأنه واوي من قام يقوم.

حذفت لأن الضم دليل على ذوات الأربعة ولو ثبت لوجب أن تقول إذا أنبأت عن نَفْسِك: أنا أُؤَقْوم وأنا أُؤَكْرم، فكانت تجتمع همزتان فاستثقلتا، فحذفت الهمزة التي هي فاءُ الفعل، وتبع سائِرُ الفعل بابَ الهمزة فقلت أنت تُكرم ونحن نُكرم وهي تُكرم، كما أنَّ بابَ يَعِدُ حُذفتْ منه الواو لوقوعها بين ياء وكَسْرة. الأصل فيه «يَوْعِد» ثم حذفت في تَعد ونَعد وأَعد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون﴾.

معناه يصَّدَّقُون ـ قال عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿أجل قريب فأَصَّدَّق﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَا أُنْزِل إلَيْكَ﴾:

إن شئت خففت الهمزة في ﴿أُنزل﴾ ـ وكذلك في قوله[2] «أُلَئِك» وهذه لغة غير أهل الحجاز، فأما أهل الحجاز فيخففون الهمزة بين الواو والهمزة. قال سيبويه: وإنما فعل بالهمزة ذلك دون سائر الحروف لأنها بَعُدَ مخرجها ولأنها نبْرة في الصدر. وهي أبعد الحروف مخرجاً، وأَمَّا إلَيْك وإلَيْهم، وعَلَيْك[3] وعَلَيْهِمْ، فالأَصْل[4] في هذا «إلاك» وعَلَاك، وَإلَاهُمْ وعَلاهم كما تقول إلى زيد وعلى إخوتك، إلا أن الألف غُيّرتْ مع المضْمَر[5] فأُبْدِلت ياء ليفصل بين الألف التي في آخر المتمكنه وبين الألف التي في أواخر غير المتمكنه التي الإضافة لازمة لها، ألا ترى أن إلى وعَلَى ولدى لا تنْفَرِدُ من

---

(١) سورة المنافقون (٦٣) ١٠، ١١ وبقيتها: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لولا أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قريب فَأَصَّدَّقَ﴾.

(٢) ليست في ك.

(٣) ك وعليك وعليكم وعليهم.

(٤) في ك، ط. الأصل بدون فاء. وهو غير جائز بعد إما.

(٥) ك المضمرة.

الإضافة، ولذلك قالت العرب في كلا في حال النصب والجر: رأيت كليهما، وكليكما، ومررت بكليهما وكليكما ـ ففصلت بين الإضافة إلى المظهر والمضمر لما كان كلا لا ينفرد ولا يكون كلاماً إلا بالإضافة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

موضع ﴿أولئك﴾ رفع بالابتداء، والخبر: ﴿عَلَى هُدىً مِن ربِّهِمْ﴾، إلا أن أُولئك لا يعرب لأنه اسم للإشارة، وكسرت الهمزة فيه لالتقاءِ الساكنين، وكذلك قوله ﴿وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلحُونَ﴾، إلاَّ أَنَّ ﴿هُمْ﴾ دخلت فصلاً، وإن شئت كانت تكريراً للاسم، كما تقول زيد هو العالمُ، فترفع زيداً بالابتداء، وترفع ﴿هو﴾ ابتداءً ثانياً، وترفع العالم خبراً «لهو»، والعالم خبراً لزيد، فكذلك قوله ﴿أُولئك هم المفلحون﴾[1] وإن شئت جعلت ﴿هو﴾ فصلاً وترفع زيداً والعالم على الابتداءِ وخبره، والفصل هو الذي يسميه الكوفيون عماداً.

(و «سيبويه» يقول إن[2] الفصل لا يصلح إلا مع الأفعال التي لا تتم نحو كان زيد هو العالم، وظننت زيداً هو العالِمَ)[3].

وقال سيبويه دخل الفصل في قوله عزّ وجلّ: . . ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً﴾[4] وفي قوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه هُوَ خَيْراً لَّهُمْ﴾[5] ـ وفي قوله: ﴿وَيَرى الَّذِينَ أُوتوا العِلم الذي أُنْزِلَ إليْكَ من ربِّكَ هو الحَقَّ﴾[6]. وفي قوله:﴿ وإذ قالوا اللهم إنْ كانَ هَذَا هُو الحقَّ مِنْ

---

(١) أي إعرابها كذلك.

(٢) ليست في ط.

(٣) العبارة كلها ليست في ب.

(٤) المزمل ٧٣ ـ ٢٠.

(٥) آل عمران ٣ ـ ١٨٠.

(٦) سبأ ٣٤ ـ ٦.

عِنْدك﴾[1] وما أَشبه هذا مما ذكر اللَّه عزّ وجلّ[2].

وكذلك (لك)[3] في الكلام في الابتداء والخبر، وفي قولك كان زيد هو العالم ذكرُ[4] هو، وأَنت، وأَنا. ونحن، دخلت إعْلاماً بأَن الخبر مضمون وان الكلام لمْ يتمّ[5]، وموضع دخولها إذا كان الخبر معرفة أَو ما أُشبه المعرفة. وأَن «هو» بمنزلة «ما» اللَّغْو في قوله عزّ وجلَّ: ﴿فبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لهُمْ﴾[6] فإنما دخولها مؤكدة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿المُفْلحُون﴾.

يقال لكل من أصاب خيراً مُفْلحٌ - وقال عَزَّ وجَلَّ: ﴿قَدْ أَفلح المؤمنون﴾[7] - وقال: ﴿قدْ أَفْلح مَن زكَّاها﴾[8]. والفلاح البقاءُ، قال لبيد بن ربيعة:[9]

---

(١) الأنفال ٨ - ٣٢ وفي الآيات جميعاً أفعال ناسخة.

(٢) ك - مما جاء في كتاب اللَّه عزّ وجلّ.

(٣) ليست في ك.

(٤) وإن هو.

(٥) ك «أن» موضع» وفي ط وذكر هو.. ألخ أي يجوز أن تذكرها.

(٦) آل عمران ٢ - ١٥٩.

(٧) المؤمنون ٢٣ - ١.

(٨) الشمس ٩١ - ٩.

(٩) لبيد بن ربيعة العامري من قيس، من أشراف الشعراء المجيدين عمر نحو مائة وخمسة وأربعين عاماً. أدرك الإسلام وأسلم وهاجر، ثم نزل الكوفة على عهد عمر فأقام بها حتى مات أواخر خلافة معاوية.
قيل أنه لم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً، والحق أنه قال شعراً غير كثير، وهو من أصحاب المعلقات. ومن الأجواد. وأخباره في الأغاني جـ ١٤ - ٩٣. والبيت في ديوانه ١ - ١٨١
أيضاً: يريد نرجو البقاء بعد عاد وحمير، وأدخل بعض الرواة البيت في قصيدته التي أولها:
أيامَيّ قومي في المآتم واندبي   فتى كان ممن يبتني المجد أروعا

نـحُــلّ بــلاداً كلهــا حُــل قـبْـلنــا   ونــرجُــو الفــلاح بعـد عــادٍ وتبَّعــا

أي نرجو البقاءَ. وقال عبيد[1]:

أفْــلِح بــمــا شئْــت فَــقَــدْ يــد   رك بــالضّعْف وقد يُخْدَع الأريب[2]

أي أصب خيراً بما شئت، والفَلّاح: الأكار، والفِلاَحَة صنَاعَته، وإنما قيل له الفَلّاح لأنه يَشُقّ الأرض، ويقالَ فلحت الحديد إذا قطعته.

قال الشاعر: [3]

قــد علمت خيلك أنّي الصَّحْصَــحُ   إنَّ الـحَــدِيـد بــالحــديـد يُـفْلَح

ويقـال للمكاري الفـلاح، وإنمـا قيـل لـه فـلاح تشبيهـاً بـالأكـار، قـال الشاعر[4]

لـهــا رطــل تكيــل الــزيت فيــه   وفَــلاّح يــسُــوق لــهَــا حِــمَــارا

وقــولـه عــزّ وجـلّ: ﴿إنَّ الَّــذِينَ كَفَـرُوا سَــواءٌ عَلَيْهِمْ أأنْـذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾.

---

(١) عبيد بن الأبرص شاعر جاهلي عاصر امرأ القيس وله معه ومع أبيه حجر مواقف تروى في أخبارهم. وهو من بني أسد الذين قتلوا حجراً. وقد عمر طويلاً وقتله النعمان في يوم بؤسه. وأخباره في الأغاني ١٩ ـ ٨٤.

(٢) ديوانه ٧ والجمهرة ١٠٠ ـ والأريب الفطن الذكي.

(٣) الصحصح والصحصحان الأرض الصلبة، أي قد علم قومك أني صلب شديد. ولا يقطع الأقوياء إلا قوي مثلي. والبيت في اللسان (فلح) والقرطبي ١ ـ ١٥٨ والشطر الثاني في أمثال الميداني ١ ـ ٨ ولم يذكر أحد قائله.

(٤) هو عمرو بن أحمر الباهلي. شاعر إسلامي يكنى أبا الخطاب ـ ذكره ابن حجر في الإصابة ٦٤٦٦ ـ وقال يروي برواية جيدة أنه عمر، قيل هو أخو أبي ثعلبة الخشني الذي نزلت فيه الآية: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله.﴾ وله ترجمة في المؤتلف ٣٧ والبيت في اللسان والتاج «فلح».

﴿إنَّ﴾ تنصب الذين، وهي تنصب الأسماءَ وترفع الأخبار، ومعناها في الكلام التوكيد، وهي آلة من آلات القسم، وإنما نصبت ورفعت لأنها تشبه بالفعل، وشبهها به أنها لا تَلِي الأفعال ولا تعمَل فيها، وإنما يذكر بعدها الاسم والخبر كما يذكر بعد الفعل الفاعل والمفعول إلا أنه قُدّم المفعُولُ به فيهَا ليفصل بين ما يشبه بالفعل ولفظه لفظُ الفعل وبين ما يُشَبَّه به وليسَ لفظُه لفظَ الفعل، وخبرها ههنا جملة الكلام، أعني قوله: ﴿سواءٌ عليْهم أأَنْذَرتَهُمْ أم لَمْ تنْذِرْهُمْ﴾.

وترفع سواء بالإبتداء، وتقوم ﴿أأَنْذرتهم أمْ لَمْ تُنذِرْهُم﴾ مَقَامَ الخبر كأنه بمنزلة قولك سواء عليهم الإنذارُ وتركُه، وسواءُ موضُوع موضعَ مُسْتَوٍ، لأنك لا تقيم المصادر مقام أسماءِ الفاعلين إلَّا وتأويلها تأْويل أسمائهم.

فأما دخول ألف الاستفهام ودخول أم التي للاستفهام والكلام خَبرٌ فإنَّما وقع ذلك لمعنى التسوية والتسوية آلتها ألف الاستفهام وأم[1] تقول: أزيد في الدار أم عمرو، فإنما دخلت الألف وأم لأن عِلْمَك قد استوى فيَ زَيد وعَمْرو، وقد علمت أن أحدهما في الدار لا محالة ولكنك أردت أن يُبيِّن لك الذي علمت ويخلص لك علمه من غيره، فَلِهذا تقول: قد علمتُ أزيدٌ في الدار أم عمرو، وإنما تريد أن تُسَوّي عند من تخبره العلمَ الذي قد خلص عندك. وكذلك ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، دخلت الألف وأم للتسوية.

فأما ﴿أأَنْذرْتهُمْ﴾ فزعم سيبويه أن من العرب من يحقق الهمزة، ولا يجمع بين الهمزتين وإن كانتا من كلمتين، فأما أهل الحجاز فلا يحققون واحدة منهما، وأما بعض القراء - ابن أبي إسحق وغيره - فيجمعون في القراءَة بينهما، فيقرأون ﴿أأَنذرتهم﴾، وكثير من القراء يخفّف إحداهما، وزعم سيبويه أن

---

(١) أي أن الجملة ما زالت خبرية.

الخليل كان يرى تخفيف الثانية فيقول: ﴿أأنْذرْتهُمْ﴾[١] فيجعل الثانية بين الهمزة والألف، ولا يجعلها ألفاً خالصة، ومن جعلها ألفاً خالصَةً فقد أخْطأ من جهتين: إحداهما أنه جمع بين ساكنين والأخرى أنه أبْدَل منْ همزة متحركة قبْلها حركةُ ألفاً، والحركة الفتح، وإنما حقُّ الهمزة إذا حركت وإنفتح ما قبلها: أن تُجْعَلَ بَيْنَ بَيْنَ، أعني بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها، فتقول في سأل: سال وفي رؤوف: رووف وفي بئس: بيس (بيْنَ بيْنَ)[٢] وهذا في الحكم واحد وإنما تُحْكِمُه المشافهة.

وكان غير الخليل[٣] يجيز[٤] في مثل قوله تعالى: ﴿فقد جاءَ أشراطها﴾[٥] تخفيف الأولى.

وزعم سيبويه أن جماعة من العرب يقرأون: فقد جا أشراطها يحققون الثانية ويخففون الأولى، وهذا مذهب أبى عمرو بن العلاء وأما الخليل فيقول بتحقيق الأولى فيقول: ﴿فقد جاءَ اشراطها﴾. قال الخليل: وإنما اخترتُ تخفيف الثانية لإجماع الناس على بدل الثانية في قولك آدم، وآخر، لأن الأصل في آدم: أأدم، وفي آخر أأخر.

وقول الخليل أقيس، وقول أبي عمرو جيد أيضاً.

قال أبو إسحاق: الهمزة التي للاستفهام ألف مبتدأة: ولا يمكن تخفيف الهمزة المبتدأة ولكن إن ألْقِي همزَة ألف الاستفهام على سكون الميم من عليهم فقلت: «عَلَيْهِمَ أَنْذَرتهم» جاز. ولكن لم يقرأ به أحد، والهمزتان في

(١) ليست في ك.
(٢) ك وهذا في كتاب اللّه واحد.
(٣) في الأصل وط وغيره كان يجيز.
(٤) ك يقول: فقد جاء أشراطها يخفف الأولى.
(٥) القتال ٤٧ ـ ١٨.

قوله: ﴿فقد جاءَ أشراطها﴾. همزتان في وسط الكلمة ويمكن تخفيف الأولى[1].

فأما من خفف الهمزة الأولى قوله: ﴿أأنذرتهم﴾ (فإنّه)[2] طرحها البتّةَ وألْقَى حركتَها على الميم، ولا أعلم أحداً قرأ بها والواجب على لغة أهل الحجاز أن يكون «عليهم أنْذَرْتهم» فيفتح الميم، ويجعل الهمزة الثانية بين بين[3]. وعلى هذا مذهب جميع أهل الحجاز، ويجوز أن يكون ﴿لا يؤمنون﴾ خبر إنَّ، كأنه قيل: «إنَّ الَّذينَ كفروا لا يُؤمنون، سواءٌ عليهم أأنذرتهم أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ».

هؤلاءِ قوم أنْبأَ اللَّهُ «تبارك وتعالى» النبيَّ «ﷺ» أنَّهُمْ لا يؤْمنون كما قال عزّ وجلّ: ﴿ولاَ أنَا عَابِدٌ مَا عَبَدتّمْ وَلاَ أنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أعْبُدُ﴾[4].

فأما الهَمزتان إذا كانتا مكسورتين نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿على البغاء إنْ أرَدْنَ تحَصُّناً﴾[5] وإذا كانتا مضمومتين نحو قوله: ﴿أولياءُ أولئِكَ﴾[6] فإن أبا عمرو يخفف الهمزة الأولى فيهما فيقول: ﴿على البغا إنْ أرَدْن﴾ وأوليا أولئك «فيجعل الهمزة الأولى من البغاء بين الهمزة والياء، ويكسرها» ويجعل الهمزة في قولك أولياء أولئك (الأولى)[7] بين الواو والهمزة ويضمها.

وحكى أبو عبيدةَ أن أبا عمرو كان يجعل مكان الهمزة الأولى كسرة في ﴿البغاء إنْ﴾، وضمة في ﴿أولياء أولئك﴾. أبو عبيدة لا يحكي إلا ما سمع لأنه الثقة المأمون عند العلماء، إلا أنه لا يضبط مثل هذا الموضع لأن الذي قاله محال، لأن الهمزة إذا سقطت وأبدلت منها كسرة وضمة ـ على ما وصف ـ

(١) هذه الفقرة كلها في ب فقط.
(٢) ليست في ك.
(٣) أي لا تحقق ولا تخذف.
(٤) الكافرون ١١٨/٤.
(٥) النور ٢٤ ـ ٣٣.
(٦) الأحقاف ٤٦ ـ ٣٣.
(٧) ك، ط فقط.

بقيت الحركتان في غير حرف وهذا محال لأن الحركة لا تكون في غير محرَّك.

قال أبو اسحق: والذي حكيناه آنفاً رواية سيبويه عن أبي عمرو وهو أضبط لهذا[1].

وأما قوله: ﴿السفهاءُ ألا﴾ وقوله: ﴿وإليه النُّشُورُ. أأمنتم من في السماءِ أنْ﴾ ـ فإن الهمزتين إذا اختلفتا[2] حكى أبو عبيدة أن أبا عمرو كان يبدل من الثانية فتحة وهذا خلاف ما حكاه سيبويه. والقول فيه أيضاً محال لأن الفتحة لا تقوم بذاتها، إنما تقوم على حرف.

وجملة ما يقول النحويون في المَسْأَلة الأولى في مثل قوله: ﴿على البغاءِ إنْ﴾ أو ﴿أولياءُ أُولئك﴾ ثلاثةُ أقوال على لغة غير أهل الحجاز. فأحد هذه الثلاثة ـ وهو مذهب سيبويه والخليل ـ أن يجعل مكان الهمزة الثانية همزة بين بينَ، فإذا كان مضموماً[3] جعل الهمزة بين الواو والهمزة فقال: ﴿أولياءَ أولئك﴾ (وإذا كان مكسوراً جعل الهمزة بين الياءِ والهمزة، فقال:[4] على البغاءِين. وأما أبو عَمْرو فَقْرأ على ما ذكرناه[5] وأما ابن أبي إسحق ـ ومذهَبه مذهب جماعة من القراء ـ فيجمع بين الهمزتين، فيقرأ ﴿أولياءُ أُولئِكَ﴾ و ﴿على البغاءِ إنْ أردن﴾ بتحقيق الهمزتين.

وأما اختلاف الهمزتين نحو ﴿السفهاء ألا﴾ فأكثر القراء على مذهب ابن أبي إسحق، وأما أبو عمرو فيحقق الهمزة الثانية في رواية سيبويه، ويخفف

---

(١) أي إن الرواية هي تخفيف الهمزة وليس حذفها نهائياً كما روى أبو عبيدة.

(٢) في الأصل اختلفا.

(٣) أي إذا كان مكان الهمزة مضموماً.

(٤) هذه الزيادة لا بد منها ولم توجد في أية نسخة.

(٥) سبق آنفاً أنه يخفف الأولى فيهما.

الأولى فيجعلها بين الواو والهمزة، فيقول: ﴿السفهاءُ ألا﴾ (بين بين)[1]، ويقول: «من في السماي أنْ» فيحقق الثانية، وأما سيبويه والخليل فيقولان: السفهاءُ ولا. فيجعلان الهمزة الثانية واواً خالصة وفي قوله: ﴿من السماءِيَنْ﴾ ياء خالصة مفتوحة.

فهذا جميع ما في هذا الباب.

وقد ذكر أبو عبيد[2] أن بعضهم روى عن أبي عمرو أنه كان إذا اجتمعت همزتان طرحت إحداهما، وهذا ليس بثبتٍ لأن القياس لا يوجبه. وأبو عبيد لم يحقق في روايته، لأنه قال: رواه بعضهم، وباب رواية القراءة عن المقرئ يجب أن يقل الاختلاف فيه. فإن كان هذا صحيحاً عنه فهو يُجَوِّزُهُ في نحو ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾، وفي مثل قوله: ﴿آلذكرين حرم أم الأنثيين﴾ فيطرح همزة الاستفهام لأن أم تدل عليها.

قال الشاعر:[3]

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً ... شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بنُ مِنْقَر

---

(١) ليست في ك.

(٢) هو القاسم بن سلام الهروي ـ عالم كبير متفقة أديب. ولد بهراه وعمل بها مؤدباً ثم انتقل إلى بغداد وكان منقطعاً للأمير عبد الله بن طاهر يهديه مؤلفاته وينال من جوائزه. وألف كتباً قيمة في الحديث، وعلوم القرآن والنحو وأدب القضاء، وقال عنه الجاحظ: لم يكتب الناس أصح من كتبه. له ترجمة في ابن خلكان ١ ـ ٤١٨، ٣٦٩ طبقات النحويين ٢١٧. غاية النهاية ١٧/٢ ونزهة الألباء ص ٩٣ ـ ٩٨ والأغاني ١١ ـ ١١ وابن النديم ١١٧ والنجوم الزاهرة ٢ ـ ٢٣٩١ ـ ١٧ توفي سنة ٢٢٤ هـ.

(٣) الأسود بن يعفر التميمي: شاعر جاهلي مقل. كان أعمى مغموراً ذكره ابن سلام في الطبقة الثامنة مع خداش بن زهير والنمر بن تولب والمُخَبَّل. وشعيث حي من تميم، وهو يرميهم بأنهم أدعياء دخلاء على بني تميم والبيت في المقاصد النحوية ٤ ـ ١٣٨ ونسب في الكامل ٢ ـ ١٨٧ ت أبو الفضل للأخطل. وأنظر شواهد المغني ٥١، وكتاب سيبويه ٢ ـ ٢٣، ٣٤ والخزانة ٤ ـ ٤٥٠، ٩٠٤.

وقال عُمرُ بنُ أَبي رَبيعَةَ: [1]

لعَمـرُكَ مـا أَدْري وإنْ كُنْتُ دَارِيـاً　　بِسَبْـعٍ رَمَيْنَ الـجَمْـرَ أَمْ بِثمـانٍ

البيت الأول أنشده الخليل وسيبويه، والبيت الثاني صحيح أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوةٌ﴾.

معنى ختم في اللغة وطبع (معنى)[2] واحد. وهو التغطية على الشيء، والاستيثاق من ألَّا يَدْخُله شَيْءٌ كما قال عزّ وجلّ: ﴿أم على قُلُوب أَقْفَالُها﴾[3] وقال جلّ ذكره ﴿كلا بَلْ رَانَ عَلى قُلُوبِهِمْ﴾[4]. معناه غلب على قلوبهم ﴿ما كانوا يكسبون﴾[4] - وكذلك ﴿طبع عليها بكفرهم﴾[5] وهم كانوا يسمعون ويبصرون ويعقلون ولكنهم لم يستعملوا هذه الحواس استعمالاً يجزي عنهم فصاروا كمن لا يسمع ولا يبصر.

قال الشاعر:

أَصـم عـمـا سـاءَه سـمِيـع[6]

وكذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾.

هي الغطاءُ، فأما قوله: ﴿وعلى سمعهم﴾ وهو يريد وعلى أسماعهم ففيه

---

(١) من قصيدة له أولها: بدا لي منها معصم حين جمرت. أنظر العيني ٤ - ٤٤٣، وهو في ديوانه البيت الثاني من القصيدة.

(٢) ليست في ك.

(٣) القتال ٤٧ - ٢٤.

(٤) المطففين ٨٣ - ١٤.

(٥) النساء ٣ - ١٥٥ وفي الأصول: طبع عليها.

(٦) في اللسان صمم. بدون نسبة. يريد أنه يتصام عما يسوءه وهو يسمعه، وكذا في الأمالي الشجرية ١ - ٦٤.

ثلاثة أوجه: فوجه منها أن السمع في معنى المصدر فَوُحِّدَ، كما تقول: يعجبني حديثكم ويعجبني ضربُكُمْ ـ فوحَّد لأنه مَصْدَر. ويجوز أن يكون لما أضاف السمع إليهم دل على معنى أسماعهم، قال الشاعر:(١)

بها جيفُ الْحَسْرَى فأما عِظَامُها ... فَبيضٌ، وأما جِلْدُهَا فصليب

وقال الشاعر أيضاً:(٢)

لا تُنْكِري الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا ... في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقد شَجِينَا

معناه في حلوقكم، وقال:

كأنَّهُ وجه تركيَّيْن قد غَضِبَا ... مستهدَفٍ لطعان غيرِ تَذْبِيبِ(٣)

أما ﴿غشاوة﴾، فكل ما كان مشتملاً على الشيء فهو في كلام العرب مبني على «فِعَالة» نحو الغِشاوة، والعِمَامة، والقِلاَدَة والعِصَابة، وكذلك أَسْمَاء الصناعات لأن معنى الصناعة الاشتمال على كل ما فيها نحو الخِيَاطة

(١) هو علقمة الفحل ـ ابن عبدة ـ من تميم، شاعر جاهلي من الفرسان ـ كان معاصراً لامرئ القيس وخلفه على زوجه أم معبد في قصص معروف. ولهذا سمي الفحل. الأغاني ٧ ـ ١٢١ والبيت ضمن بائيته. طحا بك قلب في الحسان طروب: وهي المفضلية رقم ١١٩، البيت ٢٢.

يصف الصحراء التي اجتازها إلى الحرث بن جبلة ممدوحه وبها جيف الإبل التي رذحت وماتت. فتصلبت بقايا جلدها وذهب لحمها فبقي عظمها أبيض.

(٢) هو المسيب بن زيد بن مناة الغنوي، وأكثر رواية البيت: لا تنكروا يريد لا ينبغي أن ننكر ما بيننا من عداوة وبكل منا آثار الحرب. والشجى ما يعترض الحلق من العظم، ونحوه.

أنظر الشنتمري ١ ـ ١٠٧، ابن يعيش ١ ـ ٧٨١. اللسان (شجر).

(٣) البيت للفرزدق من قصيدة يهجو بها جريراً ويسب أمه.

وروايته: مستهدف لطعان غير منجحر ـ والقصيدة رائية وليست بائية. يدعى أنه فعل بأم جرير ـ ويصف فرجها بالحمرة والامتلاء، وأن شفريه كوجهي تركيين. وهذا موضع الاستشهاد بالبيت. والتركي يعرف بحمرة الوجه، وإذا غضب كان وجهه أشد حمرة. أنظر الخزانة ٣ ـ ٣٦٩.

والقصَارة، وكذلك على كل من استولى على شيء ما استولى عليه الفِعَالَة، نحو الحِلاَقةِ والإمارَةِ. والرفع في ﴿غشاوة﴾ هو الباب وعليه مذهب القُرَّاءِ، والنُّصب جَائز في النَّحو على أن المعنى: «وجعل على أبْصَارهم غِشَاةً»، كما قال اللَّه عزّ وجلّ في موضعٍ آخر: ﴿وختم علىّ سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾[1]. ومثيله من الشعر مما حمل على معناه قوله:

يا ليتَ بعْلَكِ قد غَدا مُتَقَلِّداً سيفاً ورمْحا[2]

معناه متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً. ويروي غِشْوة، والوجه ما ذكرناه وإنما غَشْوة ردٌ إلى الأَصل لأن المصادر كلها ترد إلى فَعْلة، والرفع والنَّصبُ في غَشْوة مثله في غِشَاوة.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا باللَّه وباليَوْم الآخِر وَمَا هُمْ بمُؤْمِنِينَ﴾.

عنى بذلك المنافقين، وإعراب ﴿مِنْ﴾ الوقف إلَّا أنَّهَا فُتِحَتْ لالتقاءِ الساكنين سكون النون. من قولك مِنْ وسكون النون الأُولى من النَّاس، وكان الأَصل أن يكسر لالتقاءِ الساكنين، ولكنها فتحَت لثقل اجتماع كَسْرَتَيْنِ ـ لو كان ﴿مِنِ النَّاسِ﴾ لثقل ذلك. فأما عن الناس فلا يجوز فيه إلا الكسر لأن أول «عن» مفتوح. و «مِنْ» إعرابُها الوقف[3] لأنها لا تكون اسماً تامًّا في

(١) الجاثية ٤٥ ـ ٢٣.

(٢) البيت لعبد اللَّه بن الزبعري من شعراء الرسول ﷺ المدافعين عنه وهو قرشي من سهم، وكان هجاء في الجاهلية وهجا عشيرة قصي، ثم أسلم وكان يهجو المشركين ويدافع عن النبي.
ورواية البيت ورأيت زوجك ـ الكامل ١٨٣، وابن يعيش ١/٢٢٤، ٢/٥٠ وذكره الطبري في غير موضع من تفسيره، وفي اللسان ـ قال ـ ورغبة الآمل ٣/٣٤. والخزانة ١/٥١.

(٣) السكون.

الخبر إلا بصلة، فلا يكون الإعراب في[1] بعض الاسم[2].

فأما الإدغام في الياءِ في ﴿من يقول﴾ فلا يكون غيره، تقول «مَنْ يُقوِّم» فتُدْغِم بغُنَّةٍ وبغير غنة[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُمْ بمُؤْمِنينَ﴾.

دخلت الباءُ مؤكدة لمعنى النفي، لأنك إذا قلت: «ما زيد أخوك» فلم يسمع السامع «ما» ظن أنك موجب فإذا قلت: «ما زيد بأخيك» و﴿ما هم بمؤمنين﴾ علم السامع أنك تنفي وكذلك جميع ما في كتاب اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّه والَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يعني به المنافقين أيضاً.

ومعنى ﴿يخادعون﴾: يظهرون غير ما في نفوسهم، والتَّقِيَّة تُسَمَّى أيْضاً خِدَاعاً، فكأنهم لمَّا أظْهَرُوا الإسْلام وأبْطَنُوا الكُفْر صارت تقيَّتُهُمْ خِداعاً، وجاءَ بفَاعِلَ لغير اثنين لأن هذا المثال يقع كثيراً في اللغة للواحد نحو عاقبت اللص، وطارقت النعل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَما يَخْدَعونَ إلَّا أنفسهم﴾.

تأويله أن الخداع يرجع عليهم بالعَذاب والعقاب وما يشعرون: أي وما يعلمون أنه يرجع عليهم بالعذاب يقال ما شعرت به: أي ما علمت به و«لَيْتَ شِعْرِي» ما صَنَعْتَ: معناه ليت علمي.

---

(١) في الأصل من.

(٢) حيث أن «من» لا يتم معناها إلا بما اتصل بها فهي جزء اسم، لهذا لا يظهر عليها. إعراب، هذا كلامه، وهي مبنية للشبه المعنوي بالحرف، وإعرابها في مثل هذا الموضع أنها مبتدأ، ومن يقول خبر، أي وبعض الناس يقول.

(٣) المقرر في قراءة حفص عن عاصم أنه متى كانت النون ساكنة قبل الياء وهما في كلمتين أدغمت النون في الياء وشددت الياء بغنة. أما الإدغام بغير غنة فهو في اللام والراء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

معناه نفاق، وقد يقال السُّقْمُ والمرض في البَدَنِ وفي الـدِّينِ جميعاً كما يقال الصحة في البدن والدين جميعاً.

فمعنى قوله: ﴿مرض﴾ قال أبو عبيدة: معناه شك ونفـاق، والمرض في القلب يصلح لكل ما خرج به الإنسان عن الصحة في الدين.

وقوله: ﴿فَزَادَهُم اللَّهُ مَرضاً﴾.

فيه جوابان، قال بعضهم زادهم اللّه بكفرهم، كما قال عزّ وجـلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْـرِهِمْ﴾(١). وقال بعض أهـل اللغة: فـزادهم اللّه بما أنـزل عليهم من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله، قال: والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾. إلى قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُـوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَـانـاً وَهُمْ يَسْتَبْشِـرُونَ. وأَمَّـا الَّـذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَـرَضٌ فَـزَادَتْهُمْ رِجْسـاً إلى رِجْسِهِمْ﴾(٢) وهذا قول بين واضح ـ واللّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ﴾.

مَعْنـاه مُوجِـع يَصلُ وجعَـهُ إلى قُلُوبهمُ، وتأويـل أَليم في اللغة «مُؤْلِمٌ». قال الشاعر: وهو عَمْرُو بنُ معدِ يكرب الزبيدي(٣).

(١) سورة النساء (٤) آية ١٥٥.

(٢) سورة التوبة (٩) من الآيتين ١٢٤، ١٢٥.

(٣) عمـرو بن معد يكـرب الزبيـدي من مذحج، من مشهـوري فـرسـان اليمن. أسلم حين دخـل الإسلام اليمن وشارك في كثير من غزوات الإسلام ومات أواخر خلافة عمر. الأغاني ١٤/٢٥.
أما البيت فيقال إنه من قصيدة قالها في امرأة كان قد عقد عليهـا ولم يدخـل بها فقيـل له إن بهـا وضحاً، وهو داء تنفر منه العرب فطلقها فتزوجهـا آخر وتبين أن لا وضـح بها. ويقـال ان الشعر في أخته أم دريد بن الصمة، وكان الصمة سباها ولم يستطع عمرو استخلاصهـا. انظر الخـزانة ٣/٤٦٠.

أَمِنْ رَيْحَانَةَ الداعي السميعُ يُؤرقُني وأَصْحَابِي هُجُوعُ

معنى السميع المسمع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾.

«ويقرأ»[1] يُكَذِّبُونَ. فمن قرأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾[2] بالتخفيف فإِنَّ كَذِبَهُم قولُهم أَنَّهُمْ مُؤمنون، ـ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ وأما يُكَذِّبُونَ بالتثقيل فمعناه بتكذيبهم النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

مَعْنَاهُ لَا تَصُدُّوا عَنْ دين اللَّه، فَيَحْتَمِلُ ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ضربين من الجواب: أحدهما أنهم يظنون أنهم مصلحون، والثاني أن يريدوا أن هذا الذي يسمونه إفساداً هو عنْدَنَا إصلاح.

فأما إعراب ﴿قيل﴾ فآخره مبني على الفتح، وكذلك كل فعل ماض مبني على الفتح، والأصل في ﴿قيل﴾ قُوِلَ ولكن الكسرة نقلت إلى القاف لأن العين من الفعل في قولك قال نقلت من حركة إلى سكون، فيجب أن تلزم هذا السكون في سائر تصرف الفعل. وبَعْضُهُمْ يَرُومُ الضَّمَّةَ في قِيل، وقد يجوز في غير القرآن:

قد قُولَ ذاك «وأفصح اللغات قِيلَ وَغِيضَ»، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾[3]، وإن شئت قلت: قُِيل، وغُِيض، وسُِيق تروم في سائر أوائل ما لم يسم فاعله الضم في هذا الباب[4].

---

(١) ك ويكذبون.

(٢) ليست في ك.

(٣) سورة الزمر (٣٩) ـ آية ٧٣.

(٤) الروم: هو الإمالة بالضمة نحو الكسر، فهناك إذن ثلاثة أوجه: الكسر والضم والروم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾.

أَصل السَّفَهِ في اللغة خِفَّةُ الحلم، وكذلك يقال ثَوْبٌ سَفِيهٌ إذا كان رقيقاً بالِياً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ﴾.

معنى ﴿أَلَا﴾ اسْتِفْتَاح وَتَنْبِيهٌ، وقوله: ﴿هم السفهاءُ﴾ يجوز أن يكون خبر إنَّ و ﴿هم﴾ فَصْلٌ، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد، ويجوز أن يكون ﴿هم﴾ إبتداء، والسفهاءُ خبر الإبتداء، وهم السفهاءُ خبر إن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

أَنْبَأَ اللَّه الْمُؤْمِنِينَ بِمَا يُسِرُّه المنافقونَ مِنَ الكُفْرِ ومعنى شَيَاطِينِهِمْ في اللغة: مَرَدَتُهُمْ، وعُتَاتُهُمْ في الكفر، ويقال خلوت إليه ومعه، ويقال خلوت به، وهو على ضربين: أحدهما جعلت خَلْوتي معه، كما قال: خَلَوْتُ إليه (أي جعلت خلوتي معه)(١)، وكذلك يقال خَلَوْتُ إليهِ، ويصلح أن يكون خلوت بِهِ سخرت منه. ونصب معكم كنصب الظروف، تقول: إنا معكم وإنا خَلْفَكم معناه إنا مستقرون معكم ومستقرون خلفكم. والقراءَة المجمَعُ عليها فتح العَين وقد يجوز في الاضطرار إسكان العين، ولا يجوز أن يقرأ بها، ويجوز إنَّا مَعْكُمْ للشاعر إذا اضطر قال الشاعر:

قَرِيشي منكمو وهواي مَعْكُمْ ... وَإن كانت زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا(٢)

---

(١) ليست في ك.

(٢) البيت للراعي النميري، وهو عبيد بن حصين من قبيلة نمير التي هجاها جرير. سمي الراعي لكثرة نعته الإبل وجودة وصفه إياها ـ أنظر الأغاني ٢٠ ـ ١٦٨.

والبيت في التاج «مع» وكتاب سيبويه ٢ ـ ٤١ والشجري ١ ـ ٢٤٥ وهو من الشواهد النحوية الشائعة.

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿خَلَوْا إِلَى﴾ وجهان إن شئت أَسْكَنْتَ الوَاو وخففت الهمزة وكسرتها فقلت: ﴿خلوْا إلَى﴾ وإن شئت أُلقيتِ الهمزة وكسرت الواو فقلت «خَلَوِ لِيَ» وكذلك يقرأُ أَهل الحجاز وهو جيد بالغ، و ﴿إِنَّا﴾ الأَصل فيه «إِنَّنا» كما قال اللهُ عزّ وجلّ: ﴿إِنَّنِي معَكُما﴾[1] ولكن النون حذفت لكثرة النونات، والمحذوف النون الثانية من إنَّ، لأَن في «إن» نونين الأُولى ساكنة والثانية متحركة[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

نحنَ مبنية على الضم، لأَن نحن يدل على الجماعة، وجماعة المُضْمَرينَ[3] يدل عليهم - إذا ثُنِّيتَ الواحدَ من لفظه - الميم والواو، نحو فعلوا، وأَنتم، فالواو من جنس الضمة، فلم يكن بدٌّ من حركة ﴿نَحْنُ﴾ فحركت بالضم لأَن الضم من الواو، أَلا ترى أَن واو الجماعة إذا حركت لإلتقاء الساكنين ضمت، نحو﴿اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ﴾، وقد حركها بعضهم إلى الكسر فقال: «اشتروِا الضلالة»، لأَن إجتماع الساكنين يوجب كسر الأُولى إذا كانا من كلمتين، والقراءَة المجمع عليها: ﴿اشتروُا الضلالةَ﴾ بالضم، وقد رُويت: «اشْتَرَوَا الضلالة» بالفتح، وهو شاذ جِدًّا.

و﴿مستهزئون﴾ :القراءَة الجَيِّدَةُ [فيه] بتحقيق الهمزة فإذا خَفَّفْتَ الهمزةَ[4] جَعَلْتَ الهمزةَ بين الواو، والهمزةِ فقلت «مستهزؤون».

فهذا الاختيار بعد التحقيق.

---

(١) سورة طه (٢١) - آية ٤٦.

(٢) خففت إن أما النون الثالثة فهي نون الضمير ولا يجوز حذفها.

(٣) الجمع الذي يعبر عنه بضمير.

(٤) المراد بالهمزة هنا المصدر أي النطق بالهمزة في الكلام.

ويجـوز أَنْ تُبْدِلَ من الهمـزَةِ ياءً فتقـول: «مستهزِيُـونَ» فأمـا «مستَهْزُون» فضعيف لا وجـه لَـه إلَّا شـاذًا على [لغـة] من أَبـدل الهمـزة يـاء فقـال في استهزأت: استهزيت. فيجب على [لغة] استهزيت [أن يقال] مستهزون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْـزِئ بِهِمْ﴾.

فيـه أوجـه من الجـواب: فمعنى استهـزاءُ اللَّه بهم أَنْ أَظْهـرَ لَهُمْ منْ أَحْكامِهِ في الدُّنْيَا خلافَ مَالهمْ في الآخرة، كما أَظهروا من الإسلام خـلاف ما أَسَرُّوا.

ويجوز أَن يكون استهزاؤه بهم: أَخذه إيـاهم من حيث لا يعلمون، كمـا قال عزّ وجـلّ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهم منْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُـون﴾(١). ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ وهوَ (الوجه)(٢) المختار عند أهل اللغة أَن يكون معنى يستهزيءُ بهم يُجازيهِمْ على هُزئِهِمْ بالعَذاب، فسمَّى جزاءَ الذَّنْب باسْمِه كما قـال عزّ وجـلّ: ﴿وجزاءُ سيئـة سَيِّئةٌ مِثْلُهـا﴾(٣) فالثـانية ليست سيئـة في الحقيقة، ولكنهـا سميت سيئـة لازدواج الكلام.

وكـذلك قـوله عـزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اعْتَـدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَـدُوا عَلَيْهِ بِمِثْـلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾(٤) فالأول ظلم والثاني ليس بظلم ولكنه جيءَ في اللغة بـاسم الذنب ليعلم أَنه عقاب عليه وجزاءٌ به.

فهذه ثلاثة أَوجه واللَّه أَعلم.

وكـذلك يجـري هذا المجـرى قولـه عزّ وجـلّ: ﴿يُخَـادِعُـونَ اللَّهَ وَهُـوَ

(١) سورة القلم (٦٨) ـ آية ٤٤

(٢) ك فقط.

(٣) سورة الشورى (٤٢) ـ آية ٤١.

(٤) سورة البقرة (٢) ـ آية ١٩٤.

خَادِعُهُمْ﴾(١)، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَمُدُّهمْ في طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

معنى ﴿يَمُدّهُمْ﴾ يُمْهِلُهُم، وهو يدل على الجواب الأول، و ﴿في طغيانهم﴾ (معناه)(٣) في غُلُوِّهِمْ وكفرهم، ومعنى يعمهون في اللغة يتحيرون، يقال رجل عَمِهٌ وعَامِه، أي متحير، قال الراجز:(٤)

وَمَهْمَه أطرافه في مَهْمَهِ أعمَى الهُدَى بالجَاهِلِينَ العُمَّهِ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَة بالْهُدَى﴾.

﴿أولئك﴾ موضعُه رفع بالابتداءِ، وخبرُه ﴿الذين اشتروا الضلالة﴾(٥) وقد فسَّرنا «واو» اشتروا وكسرتَها(٦) فأَمَّا من يبدل من الضمة هَمْزَةً فيقول اشترؤُ الضلالة فغالط لأَن الواو المضمومة التي تبدل منها همزةٌ إِنَّمَا يُفْعَل بها ذلك إِذا لزمت ضمَّتُها نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾(٧)، إِنَّمَا الأَصلُ وقِّتَتْ وكذلك أَدؤُر(٨)، إنما أَصْلُها أَدور. وضمة الواو في قوله: ﴿اشترُوا الضلالة﴾

---

(١) سورة النساء (٣) - آية ١٤٢.

(٢) سورة الأنفال (٨) - آية ٣٠.

(٣) ليست في ك و ط طغيانهم بدون في

(٤) هو رؤبة بن العجاج يصف مضلة وفي ديوانه ١٦٦.

ومخفق من لُهله ولُهله من مهمه يجتبنه في مهمه

والمخفق الأرض يخفق عليها السراب واللهله الأرض البعيدة الأطراف والمهمه الأرض المقفرة الموحشة، والعمه جمع عامه وهو الحائر المختبط كالأعمى، وأعمى الهدى أي طريق الاهتداء به مبهمة خفية فالهداية به شاقة ويجْتَبْنَهُ: يقطعنَه.

(٥) ك فقط.

(٦) في ك وكسرها، وأنظر ص ٨٩.

(٧) سورة المرسلات (٧٧) آية ١١.

(٨) جمع دار.

إنما هي لالتقاء الساكنين، ومثله: ﴿لتبلَوُنَّ في أَمْوالكم وأَنفسكم﴾[١] لا ينبغي أَن تهمزَ الواوُ (فيه)[٢].

ومعنى الكلام أَن كل من تـرك شيئاً وتَمَسَّـك بغَيْره فـالعَرَبُ تقـولُ للَّذِي تَمَسَّـكَ به قـد اشتراه، وليس ثم شـراءٌ ولا بيع، ولكن رغبتـه فيه بتمسكـه بـه كرغبة المشتري بماله ما يرغب فيه.

قال الشاعر[٣]:

أَخـذتُ بـالجُمَّـة رأْسـاً أَزْعَـرا وبـالثَّنـايَا الـواضِحـات الـدَّرْدَرَا
وبـالطَّويـل العُمُـر عمْـراً أَقصـرا كمـا اشْتَـرى الكـافِـرُ إِذْ تَنَصَّـرَا

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾.

معنـاه فما ربحـوا في تجارتهم، لأَن التجـارة لا تربـح وإنما يـربح فيهـا ويوضع فيها[٤] والعرب تقول قد خسر بيعك وربحت تجارتك، يريدون بـذلك الاختصار وسعة الكلام قال الشاعر[٤]:

---

(١) سورة آل عمران (٣) آية ١٨٦.

(٢) ط فقط.

(٣) لأبي النجم، الرآس الأزعر، القصير الشعر. والثنايا الدردر غير المتكـاملة التي سقط بعضها. يـريد أنه استبدل بالشباب ونضارته شيخوخة وضعفاً وكان قـد تزوج امـرأة عجوزاً.
الخـزانة ١ ـ ٤٨، والكشاف ـ الآية نفسها، وأنظر ترجمة أبي النجم بالأغاني ٩ ـ ٧٣ (بولاق).

(٤) وضع في تجارته ضعة وضعـة ووضعة المعنى خسر وكـوجل يـوجل وأوضـع بالضم خسر فيهـا وهو موضوع.

(٤) النابغة الجعدي شاعر مخضرم، كان ممن هجر الأوثان والمسكر والأزلام في الجاهلية، نبـغ في الشعر بعد انقطاعه عنه مدة طويلة.
أبو مرحب كنية الظل، والظل متنقل، أي كيف تصاحب من لا يدوم على مودة وإنما هو متنقل غير ثابت؟
وقيل أبو مرحب: هو عرقوب الذي يضرب به المثل في الخلف. والبيت في كتاب سيبويه ١ ـ ١١٠ وأمالي القالي ١ ـ ١٩٢ واللسان (رحب. خلل).

وكيف تـواصـل من أصبحت خـلالتـه كـأبـي مـرحـب

يـريد كخـلالـة أبي مـرحب، وقـال اللَّه عـزّ وجـلّ: ﴿بَـلْ مَكْـرُ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ﴾[1] (والليل والنهـار لا يمكران)[2] إنمـا معناه بـل مكـرهم في الليـل والنهار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ ما حَـوْله ذَهب اللَّه بِنُورِهِمْ﴾.

هذا المثل ضربه اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ للمنافقين في تجملهم بظاهـر الإسلام وحقنهم دماءَهم بما أظهروا فمثل ما تجملوا به من الإسلام كمثل النـار التي[3] يستضيء بها المستوقد وقولـه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ معنـاه، واللَّه أعلم اطلاع اللَّه المؤْمنين على كفرهم، فقد ذهب منهم نور الإسلام بما أظهر اللَّه عزّ وجلّ من كفـرهم، ويجوز أن يكـون ذهب اللَّه بنورهم في الآخـرة، أي عَذَّبهم فـلا نـور لهم[4] لأن اللَّه جـلّ وعـزّ قـد جعـل للمؤمنين نـوراً في الآخـرةِ وسلب الكافرين ذلك النور، والدليل على ذلـك قولـه: ﴿انْظُرونَـا نقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ، قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾[5].

وقوله عزّ وجلّ ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

رفـع على خبر الابتـداءِ، كأنـه قيل: هؤُلاءِ الـذين قصتهم هـٰذه القصـة (صُمٌّ بُكمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ)[6].

---

(١) سورة سبأ (٣٤) آية ٣٣.

(٢) ليست في ك.

(٣) ط الذي وهو خطأ.

(٤) ط فلا نور لهم على الحقيقة لأن.

(٥) سورة الحديد (٥٧) ـ آية ١٢.

(٦) ليست مذكورة في ك.

ويجوز في الكلام صماً بكماً عمياً، على: وتركهم صُمّاً بُكماً عُمْياً، ولكن المصحف لا يخالف بقراءة لا تُرْوى[1]، والرفع أيضاً أقوى في المعنى، وأجزل في اللفظ.

فمعنى بُكْمٌ أنه بمنزلة من وُلِدَ أخرس ويقال الأبْكم المسلوبُ الفُؤادِ، وصُم وبُكم واحدهم[2] أَصَم وأَبْكَمُ،ويجوز أن يَقع جمع أصم صُمَّان، وكذلك أفعَل كلُّه يجوز فيه فُعْلان نحو أَسْود، وسُودَان[3] ومعنى سود وسودان واحد، كذلك صُمّ وصُمَّان وعُرْج وعُرجان وبكم وبُكْمَان.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

الصيِّب في اللغة المطر وكل نازل من عُلُوٍّ إلى أسفل فقد صاب يصوب، قال الشاعر:

كأنهم صابت عليهم سحابة　　　صواعقها لطيرهن دبيب[4]

وهذا أيضاً مثل يضربه اللَّه عزّ وجلّ للمنافقين، كان المعنى:

أو كأصحاب صيب. فجعل دين الإسلام لهم مثلاً فيما ينالهم من الشدائد والخوف، وجعل ما يستضيئون به من البرق مثلاً لما يَستضيئون به من الإسلام، وما ينالهم من الخوف في البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل. والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[5].

---

(١) أي ليس لها رواية وفي ك القراءة ترى لقراءة مسافة صغيرة تروى.

(٢) كذا، والصواب واحدهما.　　　(٣) ك أسود وسود وسودان.

(٤) لعلقمة الفحل من قصيدته: طحا بك قلب في الحسان طروب. صابت عليهم: صبت عليهم، يقول أصابتهم الصواعق التي لم يقو الطير على الفرار منها.

المفضلية ١١٩. البيت ٣٧، وديوان علقمة ١٣٢، وستأتي شواهد أخرى من هذه القصيدة وسبقت ص ٤٧.

(٥) سورة المنافقون (٦٢) - آية ٤.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾.

فيه لغتان: يقال خَطِفَ يخطَفُ، وخطَف يخْطِفُ، واللغة العالية التي عليها القراءَة «خَطِفَ يخطَفُ». وهذا الحرف[1] يروى عن العرب والقراء، وفيه لغات تروى: عن الحسن «يَخَطِّف أبصارهم» بفتح الياءِ والخاءِ وكسر الطاءِ، «ويروى أيضاً» يخطِّف بكسر الياءِ والخاءِ، والطاءِ، ويروى أيضاً لغة أخرى ليست تسوغ في اللفظ لصعوبتها، وهي إسكان الخاءِ والطاءِ. وقد روى سيبويه مثل هذا. رده عليه أصحابه وزعموا أنه غير سائغ في اللفظ وأن الشعرَ لا يجمع في حشوه بين ساكنين، قال:

وَمَسْحِهِ مَرُّ عُقابٍ كاسِرِ[2]

يبدل من الهاءِ حاءً ويدغم الحاءَ الأُولى فى الثانية، والسين ساكنة فيجمع بين ساكنين، فأما بعد يَخْطَف فالجيِّد يَخَطَّف ويخِطِّف فمن قال يَخَطِّف فالأصل يخْتَطِف فأدغمت التاءُ في الطاءِ وأُلقيت على الحاءِ فتحة التاءِ، ومن قال «يخِطِّف» كسر الخاءَ لسكونها وسكون الطاءِ، وَزَعَمَ بعض النَّحوِيِّينَ أَنَّ الكسْر لالتِقاءِ السَّاكِنين ههنا خطأٌ وأنه يلزم من قال هذا أَن يقول

---

(١) هذه الكلمة.

(٢) صدر البيت: كأنها بعد كلال الزاجر.

أنظر: كتاب سيبويه وشروحه ٢١٢ ـ ٢١٣، الرماني النحوي ٨٥، واللسان «كسر» يصف ناقة بالسرعة.

الشاهد في الشطر إدغام الحاء والهاء وقيس عليه إخفاء الخاء في يخطف. ورد هذا لعدة أسباب منها أن السين ـ قبل الحاء ساكنة، وإدغام الحاء يقتضي سكونها ولا يمكن جمع حرفين ساكنين ومنها أن الحاء لا تدغم في الهاء، وكلاهما حلقي، ومنها ما ينشأ من كسر الوزن.

ورد ابن جني اعتراضات هؤلاء بأن سيبويه لم يرد الإدغام وإنما أراد تخفيف النطق بالحاء محتجاً بأن عالمًا كبيراً كسيبويه لا يجهل استحالة هذا الإدغام وكسر الشعر ـ الخ. أنظر سر صناعة الإعراب ص ٦٣ ـ ٦٦، واللسان (كسر) وكتاب سيبويه ٢/١١٣ بولاق.

في يَعَضُّ يَعِضُّ، وفي يَمُدُّ يَمِدُّ. وهذا خَلْطٌ غيرُ لازم[1]، لأَنَّه لَو كَسَرَهَا هَهُنَا لالتَبَسَ ما أَصله يفعَل ويفعُل بما أصله يَفْعِل، ويخطف ليس أَصله غير هذا[2]. ولا يكون مرة على يفتَعِل ومرة على يفتَعَلُ. فَكسِرَ لالتقاءِ الساكنين في موضع غير ملبس[3] وامتنع في المُلْبِس من الكسر لالتقاءِ الساكنين، وأُلزم حركة الحرف الذي أُدغمه لتدل الحركة عليه.

ومعنى خطفت الشيء في اللغة واختطفته أَخذته بسرعة. وقوله عزّ وجلَّ: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾.

يقال ضاءَ الشيءُ يَضوءُ، وأَضَاءَ يُضِيءُ، وهذه اللغة الثانية هي المختارة، ويقال أَظْلَمَ وظَلَم، وأَظْلَمَ المختارُ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾

وقد فسرنا توحيد السمع[4]، ويقال أَذهبته وذهبت به. ويروى[5] أَذْهَبْت به وهو لغة قليلة، فأَما ذكر ﴿أَوْ﴾ في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي﴾... إلى ﴿أَوْ كصيب﴾ فأَو دَخلت ههنا لغير شك، وهذه يسميها الحذاق باللغة «وَاوَ الإباحة»[6] فتقول جالس القراءَ أَوِ الفُقَهَاءَ، أَوْ أَصْحَابَ الحديث أَوْ أَصْحَابَ النحو، فالمعنى أَن التمثيل مباح لكم في المنافقين إنْ مَثَّلْتُمُوهم بالذي استوقد ناراً فذاك مثلهم وإن مثلتموهم بأَصحاب الصيب فهذا مثلهم، أَو مثلتموهم

---

(١) لأنه خلط ما الاصل في عينه الكسر بما ليس كذلك. وفي ك خطأ لازم.

(٢) غير الكسر في أحد الوجهين.

(٣) لأن الأصل في العين الكسر.

(٤) ص ٨٢.

(٥) في ط ويرد، في ك وهو قليل.

(٦) أو هنا للتنويع، أي يصلح مثلهم أن يكون هذه الحالة أو تلك، أما أو التي للإباحة فهي التي تأتي لشيء يتوهم منعه نحو﴿كلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾. صلوا في المساجد أو الخلاء.

بهما جميعاً فهما مثلاهم ـ كما أنك إذا قلت جالس الحسن أو ابن سيرين فكلاهما أهل أن يجالس ـ إن جالست الحسن فأنت مطيع وإن جمعتهما فأنت مطيع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُم في آذَانِهِمْ مِنَ الصَّواعِق حذر المَوْتِ﴾.

ويروى «أيضاً» حِذار المَوْتِ، والذي عليه قُرَّاؤنا ﴿ حَذَرَ الموت ﴾، وإنما نصبت﴿حذر الموت﴾ لأنه مفعول له، والمعنى يفعلون ذلك لحذر الموت، وليس نصبه لسقوط اللام، وإنما نصبه أنه في تأويل المصدر كأنه قال يحذرون حذراً(١) لأن جعلهم أصابعهم في آذانهم من الصواعق يدل على حذرهم الموت، وقال الشاعر(٢):

وأغفر عوراءَ الكريم ادِّخَارَهُ ... وأُعْرِض عن شَتْم اللَّئيم تكرُّما

والمعنى لادخاره ـ وقوله: وأغفر عوراء الكريم معناه وأدخر الكريم(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾.

معناه أن اللَّه احْتَجَّ على العرب بأنه خالقهم وخالق مَنْ قَبْلِهُم لأَنَّهُمْ كانوا مُقِرِّينَ بذلك، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ ليقُولُن

---

(١) إذا قدر المحذوف يحذرون فالمصدر مفعول مطلق، وإنما تقديره يفعلون ذلك حذر الموت.

(٢) البيت لحاتم الطائي. ابن عبد اللَّه ويكنى أبا سفانة وهي بنته التي عفا عنها رسول اللَّه ﷺ لأجل أبيها ووصفته وصفاً مشهوراً في كتب الأدب. كان حاتم من الأجواد وكذلك أمه وبنته، والبيت في ديوانه ١٠٨ والخزانة ١ ـ ٤٦١ وأخبار حاتم بالأغاني ١٦ ـ ٩٦ (بولاق) والبيت يتمثل به كثيراً وهو لهذا شائع منتشر.

(٣) بل تقديره لأدخره ولا أُضَيّع مودته ـ فهو مفعول له.

اللَّهُ﴾[1] قيل لهم إن كنتم مقرين بأنه خالقكم فاعبدوه، ولا تعبدوا الأصنام - وقوله ﴿لعلكم تَتَّقُونَ﴾ معناه تتقونَ الحُرُمَاتِ بيْنَكم وتَكُفُّون عما تأْتون مِما حرَّمَه اللَّه، فأما لعل ففيها قولان ههنا، عن بعض أهل اللغة: أحدهما: معناها كي تتقوا، والذي يذهب إليه سيبويه في مثل هذا أنه تَرَج لهم كما قال في قصة فرعون ﴿لَعَلَّه يذَّكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[2] كأنه قال اذهبا أنتما على رجَائكما وطمَعِكُمَا واللَّه عزّ وجلّ من وراءِ ذلك وعالم بما يؤول إليه أمرُ فِرعون[3].

وأما إعراب ﴿يَا أيُّها﴾ فأَيُّ اسمٌ مُبْهَمٌ مبني على الضم لأنه منادى مفرد والناس صفة لأي لازمة[4]، تقولِ يا أيّها الرجل أقبل، ولا يجوز يَا لرَّجُل لأن «يا» تَنْبِيهٌ بمنْزِلة التَّعرِيفِ في الرجل فلا يجمع بين «يَا» وبين الألف واللام فتصل إلى الألف واللام بأي.

وها لازمه لأيّ، لِلتَّنبيه، وهي عوض من الإضافة في أي لأن أَصْل أي أن تكون مضافة في الاستفهام والخبر، وزعم سيبويه عَن الخليل أن المنادى المفرد مبني وصفته مرفوعةٌ رفعاً صحيحاً لأن النداءَ يطرد في كل اسم مفرد، فلما كانت البِنْيَةُ مطردة في المفرد خاصة شبه بالمرفوع فرفعت صفته، والمازني يجيز في يا أيها الرجل النصب في الرجل، ولم يقل بهذا القول أحد من البصريين غيره، وهو قياس لأن موضع المفرد المنادى نصب فحملت[5] صفته على موضعه، وهذا في غير يا أيها الرجل جائز عند جميع النحويين نحو قولك يا زيدُ الظريفُ والظريفَ، والنحويون لا يقولون إلا يا أيها الرجلُ، يا أيها

---

(١) وردت في سور كثيرة - أنظر الزخرف ٤٣ - ٨٧.

(٢) طه ٢٠ - ٤٤.

(٣) أي الترجي منهم لا من اللَّه.

(٤) أطلق الصفة على التابع - إذ هي هنا بدل.

(٥) في الأصل فحمل أي - المازني.

الناسُ، والعرب لغتها في هذا الرفع ولم يرد عنها غيره، وإنما المنادى في الحقيقة الرجل، ولكن أيٌّ صلة إليه وقال أبو الحسن الأخفش إن الرجل أنْ يَكون صلة لأي أقيس، وليس أحد من البصريين يتابعه على هذا القول[1].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿الذِي جَعَلَ لكُمْ الأَرْض فِرَاشاً﴾.

معناه وِطاءً، لم يجعلها حَزْنةً غليظة لا يمكن الاستقرار عليها، وقوله: ﴿والسماءَ بناءً﴾ كل ما علا على الأرض فاسمه بناءٌ، ومعناه إنه جعلها سقفاً، كما قال عزّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنا السمَاء سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[2]، ويجوز في قوله: ﴿جعل لكم الأرض﴾ وجهان: الإدغام والإظهار، تقول: جعل لكم وجعلْ لكم الأرض، فمن أدغم فلاجتماع حرفين من جنس واحد وكثرة الحركات، ومن أظهر - وهو الوجه وعليه أكثر القراءِ - فلأنهما منفصلان من كلمتين.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فلَا تَجْعَلُوا لِلَّه أَنْدَاداً وأَنْتُم تَعْلمُون﴾.

هذا احتجاج عليهم لإقرارهم بأنه اللَّه خالقُهم، فقيل لهم لا تجعلوا للَّه أمثالاً وأنتم تعلمون أنهم لا يَخْلُقون واللَّه الخالق - وفي اللغة فلانٌ ندُّ فلانٍ، ونديدُ فُلاَنٍ.

قال جرير[3]:

أتيما تجعلون إليَّ نِدًّا ... وما تيمٌ لِذي حَسبٍ نَديد

---

(١) هذا الخلاف لا يترتب عليه تغيير في النطق ولكن الأخفش يعتبر «أي» هي المنادي، والاسم التابع لها. والآخرون يرون بها أداة يمكن بها مناداة ما فيه «ال».

(٢) الأنبياء ٢١ - ٣٢.

(٣) جرير بن عطية الخطفي من كليب من يربوع، تميمي أيضاً كالفرزدق وهو يخاطب بهذا البيت عمرو بن لجأ التميمي أحد الشعراء الذين هاجاهم جرير، وله في تميم أهاج كثيرة. وكان مهاجوه نحو ثمانين شاعراً. والبيت في ديوانه ١٦٥ وأنظر أخباره في الأغاني ٧ - ٣٥.

فهذه الآية والتي قبلها احتجاج عليهم في تثبيت توحيد الله عزّ وجلّ، ثم احتج عليهم فيما يلي هذه الآية بتثبيت أمر النبي ﷺ فقال:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾.

﴿في ريب﴾ معناه في شك، وقوله ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ للعلماءِ فيه قولان أحدهما: قال بعضهم: ﴿مِنْ مثلهِ﴾: من مثل القرآن ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾(١) وقال بَعْضُهم ﴿من مثله﴾ مِنْ بَشَر مِثْلِه، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُم صَادِقِينَ﴾.

أي ادعوا من إستدعيتم طاعته ورجوتم معونته في الإتيان بسورة من مثله.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلوا ولَنْ تَفْعَلُوا فاتَّقُوا النَّارَ﴾.

قيل لهم هذا بعد أن ثبت عليهم أمر التوحيد وأمر النبي ﷺ فوعدوا بالعذاب إن لم يؤمنوا بعد ثبوت الحجة عليهم، وجزم ﴿لَمْ تَفْعَلُوا﴾ لأن لَمْ أحدثَتْ في الفِعْل المُستقبل معنى المضيِّ فجزمتْه(٢)، وكلّ حرف لزم الفعل فأحدث فيه معنى فله فيه من الإعراب على قسط معناه(٣)، فإن كان ذلك الحرف «أنْ» وأخواتها نحو لَنْ تفعلوا ويريدون «أنْ يطفئوا». فهو نصب لأن أن وما بعده بمنزلة الاسم فقد ضارعت (أنْ الخفيفةُ)(٤) أنَّ المشدَّدة وما بعدها لأنّك إذا قلت ظننت أنك قائم فمعناه ظننت قيامك، وإذا قلت أرجو أنْ تقومَ فمعناه أرجو قيامك، فمعنى «أنْ» وما عملت فيه كمعنى «أنَّ» المشددة وما

---

(١) هود ١١ ـ ١٣.

(٢) المضي خاص بالأفعال ولم أكدت فعلية الكلمة ـ فكان لها الجزم لأنه خاص بالأفعال. وهذا أحد آرائه التي ردها الفارسي.

(٣) على حسب معناه وقدر تأثيره.

(٤) ليست في ك.

عملت فيه، فلذلك نصبت «أنْ» وجزمت «لَمْ» لأن ما بعدها خرج من تأويل الاسم، وكذلك هي وما بعدها يخرجان من تأويل الاسم[١]:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّتِي وَقودُها النَّاسُ والحِجَارة﴾.

عرفوا عذاب اللّه عزّ وجلّ بأشد الأشياءِ التي يعرفونها لأنه لا شيء في الدنيا أبلغ فيما يؤلم من النار، فقيل لهم إن عذاب اللّه من أشد الأجناس التي يعرفونها، إلا أنه من هذا الشديد الذي يعرفونه، ويقال إن الحجارة هنا تفسيرها حجارة الكبريت[٢] وقوله ﴿وَقودُها﴾ الوقود هو الحطب، وكل ما أُوقد به فهو وقود، ويقال هذا وقودك، ويقال قد وقدت النار وُقوداً[٣] فالمصدر مضموم ويجوز فيه الفتح، وقد روي وقدت النار وَقوداً وقبلت الشيء قَبُولاً، فقد جاءَ في المصدر «فَعُول» والباب الضم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبَشِّر الَّذِينَ آمَنوا وعمِلوا الصَّالحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ﴾.

ذكر ذلك للمؤمنين، وما أُعد لهم جزاءً لتصديقهم، بعد أن ذكر لهم جزاءَ الكافرين، وموضع أَنَّ نصبٌ معناه بشرهم بأن لهم جنات.

فلما سقطت الباءُ أَفْضَى الفعل إِلَى «أن» فَنُصِبَتْ[٤]. وقد قال بَعْض النَّحويِّينَ إِنَّهُ يَجُوز أَنْ يكون موضعُ مثل هذا خفضاً وإن سقطت الباءُ من أن، و﴿جنَّات﴾ في موضع نصب بأَنَّ، إلَّا أن التاءَ تاءُ جماعة المؤنث هي في الخفض والنصب على صورة واحدة كما أَنَّ ياءَ الجَمْع في النَّصْبِ والخَفْضِ

---

(١) أنظر المقدمة ورد الفارسي هذه القاعدة.

(٢) الأكثرون أنها الأصنام التي كانوا يعبدونها.

(٣) ك وقدت النار تقد وقوداً.

(٤) أي نصب المصدر المؤول.

على صورة واحدةٍ، تقول رأيت الزيدين ومررت بـالزيـدين، ورأيت الهنداتِ، ورغبت في الهِنْداتِ.

والجنة في لغة العرب البُسْتان، والجنات البساتين، وهي التي وعـد اللَّه بها المتقين وفيها ما تَشْتَهي الأَنْفس وتَلَذُّ الأعين.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كلَّما رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرةٍ رزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رزِقْنَا مِنْ قَبلُ وأُتُوا به مُتَشَابهاً﴾.

قـال أهـل اللغـة: معنى «مُتَشَـابِـه» يشبـه بعضـه بعضـاً في الجَـوْدَةِ، والحُسْن، وقال أهل التفسير وبعض أهل اللغـة «متشابهـا» يشبه بعضـه بعضاً في الصورة ويختلف في الطَّعْم، ودَليل المُفَسِّرينَ قوله: ﴿هذا الذي رزقنا من قبل﴾ لأنّ صورتَهُ الصورة الأُولى، ولكن اختلافَ الطعـوم على اتفاق الصُّـورَةِ أبلغُ وأعرف عند الخلق، لو رأيت تفاحاً فيه طعم كـل الفاكهـة لكان غـايةً في العجب والدلالة على الحكمة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.

أي أنهن لا يحتجن إلى مـا يحتـاج إليـه نسـاءُ أهـل الـدنيـا من الأكْـل والشُّرْب ولا يَحِضْنَ، ولا يحتجن إلى ما يُتَطَهَّرُ مِنـه، وهن على هذا طـاهراتٌ طَهارَةَ الأَخلاق والعفَّةِ، فمُطهَّرة تَجْمَعُ الطَّهارةَ كلَّها[1] لأن مُطهَّرة أَبْلَغ في الكلام من طاهرة، ولأن مطهرة إنما يكون للكثيـر، وإعْرَابُ أزواج الـرفع بـ ﴿وَلَهُمْ﴾ وإن شئت بـالابتداءِ، ويجوز في ﴿أزواجٌ﴾ أن يكون واحـدتُهنَّ زوجاً وزوجـةً قال اللَّه تبارك وتعالى ﴿اسْكُنْ أَنت وزوجُكَ الجنَّةَ﴾[2] وقال الشاعر[3]:

---

(١) الطهارة الحسية والمعنوية.

(٢) الأعراف ٧ ـ ١٩.

(٣) البيت لعبدة بن الطبيب الشاعر المخضرم. حارب مـع المثنى بن حارثـة في فتح العـراق، وكان في جيش النعمان بن مقرن وله قصائد جيدة في الفتوحات الإسلامية. =

فبكى بناتي شَجْوَهُنَّ وزوْجَتِي والطامِعُونَ إليَّ ثم تَصَدَّعُوا

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿إن اللَّه لاَ يَسْتَحْيي أَنْ يضْرب مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

إنْ قال قائل: ما معنى ذكر هذا المثل بعقب ما وعد به أهلُ الجَنةِ وما أعِد للكافرين؟ قيل يتصل هذا بقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلوا للَّه أَندادا﴾ لأن اللَّه عزّ وجلّ قال: ﴿إن الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً﴾[١].

وقال: ﴿مثل الَّذين اتخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّه أَوْلِيَاءَ كَمَثلِ العَنْكَبُوتِ اتخَذَتْ بيْتاً﴾[٢] فقال الكافرون: إن إِلَهَ محمدٍ يضْربُ الأَمثَالَ بالذُّبَاب، والعَنْكَبُوتِ.

فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إنَّ اللَّه لا يَسْتَحْيي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾.

[أيْ] لِهَؤُلَاءِ الأَنداد الذين اتخذتُمُوهُمْ من دُونِ اللَّهِ، لأن هَذا في الحقيقة مَثلُ هَؤُلاءِ الأَنْدَادِ.

فأما إعرابُ ﴿بَعُوضَةً﴾ فالنصبُ من جِهَتين في قَوْلنَا، وذكر بعض النحويين جهةً ثالثة، فأما أَجْوَدُ هذِه الجِهَاتِ فأَنْ تَكُونَ ما زائدة مؤكدة، كأنه قال: إن اللَّه لا يستحيي أَن يضرب بَعُوضةً مَثَلاً، وَمَثلاً بَعُوضَةً[٣]، وما زائدة مؤكدة نحو قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ من اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾[٤] المعنى فَبرحمة من اللَّه

كان عبدة قبل الإسلام من اللصوص ولكنه ترفع عن الهجاء وعينيته هذه أودعها نصائح أبنائه عند وفاته. ورواية البيت في المفضليات (١٤٨) البيت ٢٤. والأقربون إلى.

يصف نفسه حين يموت ويدفن فيبكيه أقاربه ثم ينصرفون.

(١) الحج ٢٢ - ٧٣.

(٢) العنكبوت ٢٩ - ٤١.

(٣) يضرب بمعنى يجعل - وتكون «بعوضة» مفعولاً أول أو ثانياً.

(٤) سورة آل عمران ٣ - ١٥٩.

حَقًّا، فَمَا في التوكيد بمنزلةِ حَق إلَّا أنه لا إعرابَ لها، والخافض والناصِبَ يتخطَّاهَا إلى مَا بَعْدَهَا، فمعْنَاهَا التَّوكِيدُ، ومثلُها في التوكيد «لا» في قوله: ﴿لِئَلَّا يعلمَ أهلُ الكِتَابِ﴾(1) معناه لأَنْ يعلمَ أهل الكتاب، ويجوز أَنْ يكونَ «مَا» نكرة فيكون المعنى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحِيي أَنْ يَضْرِب شَيئاً مَثَلًا»(2) وكأن بعوضة في موضع وصف شيء(3)، كأنه قال: إن اللّه لا يستحيي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياءِ، بعوضة فما فوقها. وقال بَعْضُ النَّحويِّينَ: يجوز أن يكون معناه ما بين بعوضة إلى ما فوقها، والقولان الأولان قول النحويين القدماءِ. والاختيار عند جمع البَصْرِيِّينَ أن يكون ما لغوا، والرفع في بعوضة جائز في الإعراب، ولا أحفظ من قرأ به «ولا أعلم» هَلْ قرأ به(4) أحدٌ [أم لا] «فالرفْعُ على أُضْمَارِ هُوَ كأَنهُ قال مَثلًا الذي هو بعوضةٌ وهذا عند سيبويه ضعيفٌ، وعنه مندوحة، ولكن من قرأ ﴿تَمَاماً عَلَى الذِي أَحْسَنَ﴾(5) وقد قرىء به - جاز أن يقرأ ﴿مَثَلًا مَا بعوضَةٌ﴾. ولكنهُ في ﴿الذي أَحسنُ﴾ أقوى لأن الذي أطول، وليس للذي مذهبٌ غيرُ الأَسْماءِ، وقالوا في معنى قوله: ﴿فمَا فَوْقَها﴾ (قالوا في ذلك)(6) قولين: قالوا فمَا فوقها: أكبَرُ مِنْهَا، وقالوا فما فروقها في الصِّغرِ، وبعضُ النحويّين يختارُون الأول لأن البَعُوضة كأنها نِهَايةٌ في الصِّغرِ فِيمَا يُضْرَبُ بِهِ المَثلُ، والقولُ الثاني مختارٌ أيضاً، لأن المطلوبَ هنا والغرضَ الصِّغرُ وتقليلُ المَثلِ بِالأَنْدَادِ.

قوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني صدقوا ﴿فيعلمون﴾ أن هذا المثل

---

(1) سورة الحديد ٥٧ - ٢٩.

(2) ك. مثلا شيئاً.

(3) بدل أو بيان.

(4) ك ولا أحفظ من قرأ به ولا قرأ به أحد أم لا.

(5) سورة الأنعام ٦ - ١٥٤ - أي على الوجه الذي هو أحسن ورفع بعوضة على هذا أيضاً - أي مثلاً - هو بعوضة.

(6) ما بين القوسين ليس في ب.

حقٌّ، وأما الَّذِين كفرُوا فيقُولـون مَاذا أرادَ اللَّه بَهـذا مَثلاً، أي مـا أراد بالـذباب والعنكبوت مثلاً؟ فقال اللَّه عز وجل: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً﴾.

أي يَدْعُـو إلى التَّصْـدِيقِ بِه الخَلْق جميعــاً فيكذِّبُ بـه الكفارُ ـ فيُضَلُّون به.

﴿وما يُضلُّ بِـهِ إلاَّ الفَاسِقينَ﴾ يدل على أنهم المُضَلُّونَ به، ويهـدى بـه كثيراً، يزاد به المؤمنون هدايةً لأَنَّ كلما ازْدَادُوا تَصْدِيقاً فقدِ ازْدَادُوا هِدَايةً والفاءُ دخلَتْ في [جـواب] أمَّـا فِي قـولـه فيَعلمـون[1] لأن أمـا تـأْتي بمعنى الشـرط والجزاءِ كأنه إذا قال« أما زيد فقد آمن وأما عمـرو فقد كفـر»[2] فالمعنى مهمـا يكن من شيءٍ فقد آمن زيدٌ ومهما يكن من شيءٍ فقد كفر عمرو.

وقوله «مـاذا» يجوز أن يكـون «ما» و «ذا» اسمـاً واحداً يكـون موضعهمـا نصبـاً، المعنى أي شيءٍ أراد اللَّه بهذا مثـلاً، ويجوز أن يكـون «ذا» مع «مـا» بمنزلة الـذي فيكون المعنى مـا الذي أراده اللَّه بهـذا مثلاً؟ أو أي شيءٍ الـذي أراده اللَّه بهذا مثلاً، ويكون ما هنـا رفعاً بـالابتداءِ، وذا في معنى الـذي، وهو خَبـرُ الابتداءِ، وإعـراب الفاسقين نصب كـأن المعنى ومـا يَضِـلُّ بـه أَحَـدٌ إلا الفَاسقين.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِه﴾.

﴿عهد اللَّه﴾ هنا ـ واللَّه أعلم ـ مــا أخـذ اللَّه على النبيين ومن اتبعهم ألَّا يَكْفُروا بأَمْرِ النَّبي ﷺ، دليل ذلك قوله عز وجل: ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ ميثـاقَ النَّبِيِّين لَمَـا آتَيتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وحِكْمَـةٍ ثم جَاءكُم رَسُـولٌ مُصَدِّقٌ لِمَـا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِـهِ

---

(1) تقدير كلامـه أن الفاء في فيعلمون دخلت في جواب أما.

(2) ط «كان أما زيد»، ك «المعنى» بدون فاء.

ولَتَنْصُرُنَّه قَالَ أأَقْرَرْتُمْ وأَخَذْتُم عَلَى ذَلكِمْ إصْري قالوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾[١].

فهـذا هو العهـد المأخـوذ على كل من اتبـع الأنبياءَ عليهم السـلام «أن يؤمنـوا بالـرَّسول المصـدقِ لِمَا مَعَهُمْ» و ـ «إصْـري» ـ مثْلُ عهـدي. ويجوز أن يكـون عهـدُ اللَّه الـذي أَخـذَه من بَنِي آدمَ مِنْ ظُهـورِهم. حين قـال[٢]... ﴿وأَشْهَدَهُمْ عَلى أنْفُسِهِم أَلسْتُ بِربِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[٣] وقال قوم أن عَهدَ اللَّه هو الاستدلال على تَـوْحيده، وأَنَّ كـلَّ ذِي تَمْييز يعلمُ أن اللَّه خَـالقٌ فَعَلَيْهِ الإيمانُ بِهِ، والقولان الأَولان في القرآن ما يصدقُ تَفْسيرَهُمَا.

فأَمَّا إعْرابُ ﴿الَّذِينَ﴾ فالنَّصْبُ على الصِّفَةِ للفَاسِقينَ، وموضع قوله: ﴿أنْ يُوصل﴾ خفض على البدل من الهاءِ، والمعنى مـا أَمر اللَّه بـأَنْ يُوصَـل، وَمَـوْضِعُ ﴿أُولَئِـكَ﴾ رفعٌ بـالإبْتِدَاءِ و ﴿الخَـاسِرُونَ﴾ خبـرُ الابتدَاءِ وهم بِمَعْنَى الفصـل وهو الـذي يسميه الكـوفيون العمـاد، ويجـوز أن يكـون أُولئـك رفعـاً بالابتداءِ وهم ابتداءٌ ثان، والخاسرون، خبر لِهُمْ و ﴿هُمُ الخاسـرون﴾ خبر عن أُولئك.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ تَكْفُـرُون باللَّهِ وكُنْتُم أَمْـوَاتاً فَـأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إليهِ تُرْجَعُونَ﴾.

فكونهم أَمْوَاتاً أَوْلاً أَنَّهُمْ كانُوا نُطَفـاً ثمَّ جُعِلوا حَيوانـاً ثم أُمِيتُوا ثم أُحْيُـوا ثم يُـرجَعُـونَ إلى اللَّه ـ عـزَّ وجـلَّ ـ بعـد البعث كمـا قـال ﴿مُهْـطِعِينَ إلىَ الـدَّاعِي﴾[٤] أي مسرعين، وقـوله، عـزّ وجلَّ ﴿يَـومَ يَخْـرُجُـون مِنَ الأَجْـداثِ

---

(١) سورة آل عمران ٣ ـ ٨١.

(٢) صدر الآية: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم﴾.

(٣) الأعراف ٧ ـ ١٧٢.

(٤) سورة القمر ٥٤ ـ ٨ وكتابتها في القرآن إلى الداع.

سِراعاً﴾ والأجداثُ القبورُ. وَتأْويلُ ﴿كيف﴾ [أنها] استفهام في معنى التعجب وهذا التعجب إنما هو للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا[٢] من هؤلاءِ كيف يَكفُرون وقد ثبتَتْ حجةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ومعنى ﴿وكنتم﴾ وقد كنتم[٣] وهذه الواو للحال، وإضمار قد جائز إذا كان في الكلام دليل عليه، وكذلك قوله ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾[٤] ﴿وإن كان قَميصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾[٥].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعاً﴾.

موضع ما مفعول به[٦] وتأويله أن جميع ما في الأرض منعَمٌ به عليكم فهو لكم. وفيه قول آخر أن ذلكم دليل على توحيد اللَّه عزّ وجلَّ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّمَاءِ﴾.

فيه قولان: قال بعضهم: ﴿استوى إلى السماءِ﴾، عمد وقصد إلى السماءِ، كما تقول قد فرغ الأمير من بلد كذا وكذا، ثم استوى إلى بلد كذا، معناه قصد بالاستواءِ إليه، وقد قيل (أيضاً)[٧] استوى أي صعد أمره إلى السماءِ، وهذا قول ابن عباس، والسماءُ لفظها لفظ الواحد، ومعناها معنى الجمع، والدليل على ذلك قوله: ﴿فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوات﴾. ويجوز أن يكون السماءُ جمعاً كما أن السموات جمع كأن واحِدَهُ سَمَاةٌ وسماوةٌ وسماءٌ للجميع.

وزعم أبو الحسن الأخفش أن السماءَ جائز أن يكون واحداً يراد به

---

(١) المعارج ٧١/٤٣.
(٢) هو إذن تعجب، أو الموقف يدعو إلى العجب.
(٣) تقدير قد لأن الفعل الماضي لا يصلح أن يكون حالاً.
(٤) النساء ٤/٩٠.
(٥) يوسف ١٢/٢٧.
(٦) في الأصل مفعول بها.
(٧) ليست في ك.

الجمع كما تقول «كثر الدِّرْهَمُ والدينار في أيدي الناس»[1].

والسماءُ في اللغة السقف ويقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو، وكل سقف، فهو سماءٌ يا فتى، ومن هذا قيل للسحاب لأنها عالية[2].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وإِذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرض خَليفَةً﴾.

قال أبو عبيدة «إذ» ههنا زائدة[3]، وهذا إِقْدَامٌ مِنْ أَبي عبيدة لأن القرآن لا ينبغي أن يتكلم فيه إلا بغاية تجري إلى الحق و﴿إذ﴾ معناها الوقت، وهي اسم فكيف يكون لغواً، ومعناها الوقت؟ والحجة في ﴿إِذْ﴾ أَنَّ اللَّه تعالى ذكر خلق الناس وغيرهم، فكأنه قال ابتدأ خلقكم إذ قال ربك للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خَليفَةً﴾. وفي ذكر هذه الآية احتجاج على أهل الكتاب بتَثْبيتِ نبوة النبي ﷺ أَنَّ خَبَرَ آدم وما أَمره اللَّه به من سجود الملائكة له معلوم عندهم، وليس هذا مِنْ علم العرب الذي كانت تعلمه، ففي إخبار النبي ﷺ دليل على تثبيت رسالته إذ آتاهم بما ليس من علم العرب، وإنما هو خبر لا يعلمه إلا من قرأ الكتاب أو أُوحي إليه به.

وتأويل قوله عزّ وجلَّ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾:

روي أن خلقا يقال لهم الجان كانوا في الأرض فأفسدوا وسفكوا

---

(١) وأيضاً «ال» الجنسية تفيد هذا المعنى.

(٢) أي قيل لها سماء لهذا.

(٣) ذكر أبو عبيدة هذا عند الآية: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ فقال: «معناه وقلنا، وإذ من حروف الزوائد» وأنكر هذا كثير من المفسرين ـ منهم الطبري وأبو جعفر النحاس والمبرد.
وانظر فيما يأتي الآية: ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم﴾.
أنظر مجاز القرآن ١ ـ ٣٦، ٣٧.

الدماءَ، فبعث اللَّه ملائكتَه فأَجْلَتْهم[1] من الأَرض، وقيل إن هؤُلاء الملائكة صاروا سكان الأَرض بعد الجان، فقالوا يا رب ﴿أَتجعل فيهَا مَنْ يُفْسِد فيهَا ،يَسْفِكُ الدِّمَاءَ: ونحن نسبح بحمدك ونقدسُ لك﴾.

وتأْويل استخبارهم هذا على جِهَةِ الاسْتِعْلام وجهة الحكمة، لا على الإنكار، فكأَنهم قالوا يا اللَّه: إن كان هذا ظننا فَعَرِّفنا وجه الحق فيه، وقال قوم: المعنى فيه غير هذا [وهو] أَن اللَّه عزّ وجلَّ أَعلم الملائكة أَنه جاعل في الأَرض خليفة[2]، وأَن من الخليقة فرقةً تسفك الدماءَ وهي فرقة مِنْ بَنِي آدَم، وأَذن اللَّه عزّ وجلَّ للملائكةِ أَنْ يسْأَلوه عن ذلك وكان إعلامُه إياهم هذا زِيادةً في التثبيت في نفوسهم أَنَّه يعلم الغيب، فكأَنهم قالوا: أَتخلق فيها قوماً يسفكون الدماءَ ويَعصُونَك؟ وإنما ينبغي إذا عرفوا أَنك خلقتهم أَن يسبحوا بحمدك كما نسبح، ويقدسُوا كما نقدس، ولَمْ يَقُولُوا هَذَا إلا وقد أُذن لهم. ولا يجوز على الملائكة أَن تقول شيئاً تتظنى فيه، لأَن اللَّه تعالى وصفهم بأَنهم يفعلون ما يُؤْمرون.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿إنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾.

أي أَبْتَلِي من تَظُنُّون أَنَّه يطيع فيهديه الابتلاءُ، فالأَلف ههنا[3] إنَّما هي على إيجاب الجعل في هذا القول، كما قال جرير:

---

(١) في الأصل أجلتهم.

(٢) بالقاف - أي طائفة من الخلق.

(٣) يريد أن الهمزة للتقرير والإثبات، وليست - هنا - استفهاماً انكارياً. وتشبيهها بالاستفهام في بيت جرير إنما هو من جهة المعنى الناتج. لأن الهمزة في ألستم للإنكار وهو يفيد النفي. فينفي معنى ليس. ويبقى تقرير المضمون وهو «أنتم خير من ركب المطايا» أما هنا فالهمزة للتقرير من أول الأمر أي أنك تجعل.

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ ركب المطايا وأَنْدَى العالَمينَ بطونَ راحِ[1]

ومعنى ﴿يَسْفِكُ﴾ يصُب، يقال سفك الشيءَ إذا صبّه ومعنى ﴿نُسَبِّح بحمدك﴾ نُبَرِّئك من السُّوءِ، وكلُّ مَنْ عمل عَمَلاً قَصدَ به اللَّه فقد سبح، يقال فرغت من تسبيحي أي من صلاتي، وقال سيبويه وغيره من النحويين: إنَّ معنى سُبْحَان اللَّه: براءَة اللَّه من السوءِ وتنزيهه من السوءِ، وقال الأَعشى[2]:

أَقول لما جاءَني فخرُهُ سبحانَ من علقمةَ الفاخر

المعنى البراءَة مِنْه ومِنْ فخْرِه.

ومعنى ﴿نُقَدّس لَكَ﴾ أي نطهر أَنْفُسَنا لك، وكذلك مَنْ أَطاعك نقدسُه أي نطهّره، ومن هذا بيت المقدس، أي البيت المُطَّهرُ أو المكان الذي يتطهر فيه[3] من الذُّنوب.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرضَهُمْ عَلى المَلائِكَةِ﴾.

قال أَهل اللغة علم آدم أَسماءَ الأَجناس، وعرض أَصحاب الأَسماءِ من

(١) البيت لجرير من مدحته عبد الملك أول مرة دخل عليه - يصفهم بالفروسية والجود. والبيت شائع في كتب البلاغة وغيرها.
من قصيدته التي أولها: أتصحو أم فؤادك غير صاح:
أنظر الأغاني جـ ٧ ص ٦٧. والديوان ٩٧.

(٢) البيت للأعشى، يتحدث عن علقمة بن علاثة، وكان قد نفَّر عليه ابن عمه عامر بن الطفيل. وعلقمة صحابي قدم على رسول اللَّه ﷺ وهو شيخ فأسلم. وولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله، وروى حديثاً واحداً. ويقال إن النبي ﷺ نهى عن رواية هذه القصيدة وهي طويلة جيدة. تحرج صاحب الخزانة أن يرويها كلها: الخزانة ٢ - ٤٢. الديوان ١٠٦. اللسان: يسبح.
وأنظر الأغاني ١٥ - ٥٠، وجمهرة أشعار العرب ٦٧ - ٦٨ (بيروت).
والأعشى هو أعشى قيس - ميمون بن قيس بن جندل من كبار الشعراء في الجاهلية أدرك الإسلام ولم يسلم، وكان قد أعد مدحة لرسول اللَّه ﷺ فخاف أبو سفيان أثرها وجمعت له قريش مائة من الإبل وصدته عن الإسلام فرجع.

(٣) ك. به.

الناس وغيرهم[1] على الملائكة، فلذا قال: ﴿ثم عرضهم﴾ لأن فيهم من يعقل، وكل ما يعقل[2] يقال لجماعتهم «هم». و «هم» يقال للناس ويقال للملائكة ويقال للجن، ويقال للجان ويقال للشياطين فكل مميز في الإضمار «هم» هذا مذهب أهل اللغة.

وقد قال بعض أهل النظر: إن الفائدة في الإتيان بالأسماءِ أبلغ منها هي الفائدة بأسماءِ معاني كل صنف من هذه، لأن الحجة في هذا أن الخيل إذا عرضت فقيل ما اسم هذه، قيل خيل، فأي اسم وضع على هذه أنبأ عنها، وإنما الفائدة أن تُنْبِئَ باسم كل معنى في كل جنس، فيقال هذه تصلح لكذا. فهذه الفائدة البيِّنة التي يتفق فيها أن تسمى الدابة والبعير بأي اسم شئتَ[3]. والمعنى الذي فيها وهو خاصها معنى واحد وإن اختلفت عليه الأسماءُ والله أعلم.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدم﴾.

قَرَأَتِ الْقُرَّاءُ ﴿للملائِكةِ اسْجُدُوا﴾ بالكسر وقرأ أبو جعفر المدني (وحده)[4] «للملائكةُ اسْجدوا» بالضم[5]. وأبو جعفر من جِلّةِ أهل المدينة

(١) يجري الزجاج على أن المعنى عرض أصحاب الأسماء، مجاراة لأبي عبيدة في رأيه الذي ذكر من قبل. لأن «هم» ضمير العقلاء

(٢) ما تستعمل لعموم أنواع العاقل نحو ﴿فأنكحوا ما طاب لكم من النساء﴾.

(٣) خلاصته أن معنى ذكر الأسماء كلها، يعني ذكر المعاني الجزئية التي تدل على العلم بدقائق الأشياء فلا يقال إنسان فقط، وإنما يقال جنين وطفل وأنثى.... الخ. وكذلك ما يستعمل فيه كل نوع.

(٤) وحده ليست في ك.

وأبو جعفر هو يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة تابعي مشهور أخذ عن مولاه عبد الله بن عياش بن ربيعة المخزومي، وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وروى عنهم وكان يسمى القارئ لأنه كان إمام أهل المدينة في القراءة وكان أقرأ معاصريه للسُّنَّة وكان يُقَدَّم على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، اشتهر بكثرة صومه وصلاته وله في هذا طرائف تروى. توفي سنة ١٣٠ هـ على الأشهر.

أنظر غاية النهاية ٢ ـ ٣٨٢ ت ٣٨٨٢.

(٥) نقل حركة الهمزة إلى التاء.

وأهلِ الثَّبتِ في القَراءَةِ إلَّا أنَّه غلط في هذا الحرف لأن الملائكة في موضع خفض فلا يجوز أن يرفع المخفوض ولكنه شبّه تاءَ التأْنيث بكسر ألف الوصل[1] لأنك إذا ابْتدأْتَ قلت اسْجُدوا. وليس ينبغي أنْ يقرأ القرآن بتوهُّم غيرِ الصَّواب.

﴿وإذ﴾ في موضع نصب عطف على إذ التي قبلها والملائكة واحدهم مَلَك، والأصل فيه مَلأك أنشد سيبويه.

فلستَ لإِنْسيّ ولكنِ لِمَلأك تنزَّلَ من جوّ السَّماءِ يَصُوبُ[2]

ومعناه صاحب رسالة، ويقال مأْلُكة ومأْلَكَة ومأْلُك جمع مألُكة قال الشاعر[3]:

أبلغ النُّعمانُ عني مأْلُكاً أنَّه قدْ طال حَبْسي وانتظاري

وقوله: ﴿لآدم﴾ آدمُ في موضع جَرٍّ إلَّا أنه لا ينْصرِفُ لأنَّه على وزن أفْعَل: يقول أهل اللغة إن اشتقاقه من أديم الأرض، لأنه خُلقَ مِنْ تُراب، وكذلك الأدمة إنما هي مشبهة بلون التراب. فإذا قلت مررت بآدمٍ وآدمٍ آخر، فإن النحويين يختلفون في أفعل الذي يسمى به وأصله الصفة، فسيبويه

(١) كما تأخذ همزة الوصل ضمة الحرف الثالث في نحو اقتلوا. استخرج.
وأنظر ص ٨١.

(٢) من بائية علقمة السابقة.

(٣) هو عدي بن زيد العبادي من شعراء الحيرة خالط نصاراهم من صغره فكان متألهاً وهو شاعر غير مكثر قالوا إنه كسهيل من النجوم يجري معها ولا يعارضها.
كان النعمان بن المنذر قد حبسه فكتب له عدي عدة قصائد يستعطفه بها، وهذا البيت من إحدى القصائد التي وجهها إليه.
أنظر الأغاني ٢ ـ ١٨ والخزانة ٣ ـ ٣٩٧ واللسان (ألك) وفيه قال سيبويه ليس في الكلام مَفعُل، وروي عن محمد بن يزيد أن مألكا جمع مألكة، وقد يجوز أن يكون من باب أنقحل في القلة قال ابن بري ومثلَه مكْرُم ومعُون.

والخليل ومن قال بقولهما يقولون إنه يَنْصرف في النكرة لأنك إذا نكّرته رددته إلى حال قد كان فيها يَنْصَرِف وقال أبو الحسن الأخفش إذا سَمَّيْتَ به رجلاً فقد أخرجته من باب الصفة، فيجب إذا نكّرته أن تصرفه فتقول: مررت بآدمٍ وآدمٍ آخر.

ومعنى السجود لآدم عبادة اللّه عزّ وجلّ لا عبادةُ آدم، لأن اللّه عزّ وجلّ: إنما خلق[1] ما يعقل لعبادته.

فإذا ابتدأت قلت: أُسْجُدوا فضممت الألفَ، والألفُ لا حظ لها في الحركة، أعني هذه الهمزة المبتدأ بها. وإنما أُدخلت للساكن الذي بعدها، لأنه لا يبتدأ بساكن، فكان حقها[2] الكسرَ لأن بعدها ساكناً، وتقديرها السكون، فيجب أن تكسر لالتقاءِ الساكنين، ولكنها ضمّت لاستثقال الضمة بعد الكسر، وكذلك كل ما كان ثالثُه مَضْمُوماً في الفعل المستقبل نحو قوله ﴿أُنْظُر كيفَ يَفْتَرونَ على اللَّهِ الكَذِبَ﴾[3]، ونحو ﴿أُقْتُلُوا يُوسُفَ﴾[4] لأنه من «نَظَر يَنْظُر وقَتَل يقْتُل» وإنما كرهت الضمة بعد الكسرة لأنها لا تقع في كلام العرب ـ لثقلها ـ بعدها. فليس في الكلام مثل فِعُل ولا مثل إفْعُل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَجَدُوا إلاَّ إبلِيسَ أَبَى﴾:

قال قوم إن إبليس كان من الملائكة فَاسْتُثْنِيَ منهم في السجود وقال قوم من أهل اللغة: لم يكن إبليس من الملائكة، والدليل على ذلك قوله: ﴿إلاَّ إبليس كان من الجن﴾[5]. فقيل لهؤلاءِ فكيف جاز أَنْ يُستَثْنى منهم؟ فقالوا:

---

(١) كذا في جميع النسخ وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ١٠٨.

(٢) ط حظها.

(٣) سورة النساء ٤ ـ ٥٠.

(٤) سورة يوسف ١٢ ـ ٩.

(٥) الكهف ١٨ ـ ٥٠.

إن الملائكة ـ وإياه ـ أُمروا بالسجود، قالوا ودليلنا على أنه أُمِرَ معهم قوله: ﴿إلا إِبْلِيسَ أَبى﴾، فلم يأب إلا وهو مأمور. وهذا القول هو الذي نختاره، لأن إبليس كان من الجنِ كما قال عزّ وجلَّ، والقول الآخر غير ممتنع، ويكون ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ أي كان ضالاً كما أن الجن كانوا ضالين فجعل منهم كما قال في قصته وكان من الكافرين، فتأويلها أنه عَمل عملهم فصار بعضَهم كما قال عزّ وجلَّ ﴿الْمُنَافِقُونَ والْمُنَافِقَاتُ بعضُهم مِنْ بَعْض﴾[1].

وفي هذه الآية من الدلالة على تثبيت الرسالة للنبي ﷺ كما في الآية التي قبلها، و (التي)[2] تليها، لأنه إخبار بما لَيْس من علم العرب ولا يعلمه إلا أهل الكتاب، أو نبي أُوحِيَ إليه. وإبليس لم يُصْرف لأنه اسم أعجمي اجتمع فيه العجمة والمعرفة فمنع من الصرفِ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَكُلاَ مِنْهَا رَغداً حيثُ شِئْتُمَا﴾.

الرَّغَدُ الكثيرُ الذي لا يُعَنِّيك[3].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي إنْ عَمِلْتُمَا بأعمال الظالمين صِرْتُما منهم، ومعنى ﴿لاَ تَقْرَبا﴾ ههنا ـ لا تأكلا، ودليل ذلك قوله: ﴿وكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حيثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أي لا تقرباها في الأكل. ﴿ولا تقربا﴾ جزم بالنهي، وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِين﴾ نصب، لأن جواب النهي بالفاءِ نصب، ونصبه عند سيبويه والخليل بإضمار أن، والمعنى لا يكن منكما قرب لهذه الشجرة فَكَوْنٌ مِنَ الظالمين، ويجوز أنْ يكونَ فتكونَا جزم على العطف على قوله وَلاَ تَقْرَبَا فَتَكُونَا[4].

---

(١) سورة التوبة ٩ ـ ٦٧.

(٢) ليست في ك.

(٣) الذي لا يكلفك مشقة.

(٤) عطف الفعل وأداة النهي جميعاً أي لا تقربا ولا تكونا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فأَزَلَّهُمَا الشيْطَان عنْهَا﴾.

معْناه أَنهما أُزِلاّ بإغْوَاءِ الشَّيطان إياهُمَـا، فصار كـأَنه أَزلَّهْمَـا، كما تقـول للذي يعمـل ما يكـون وصلة إلى أَن يزلـك من حال جميلة إلى غيـرهـا: أَنت أَزْلَلْتَنِي عَنْ هـذا، أي قبولي منـك أَزلَّنِي، فصـرت أنتَ المُـزيـلَ لِي، ومعنى الشيطان في اللغة الغالي في الكفر المتبعُدُ فيه من الجن والإنس، والشَّطَنُ في لغة العرب الخَبْل، والأرض الشطون: البعيدةُ، وإنما الشيطان فَيْعال من هذا، (وقـد قـرئ: فَـأَزَالهُمَا الشيـطان من زُلْتُ وأَزَالَنِي غيْـري. وأَزلَّهمـا من زَلَلْتُ وأَزَلَّني غيـري، ولِـزَللت ههُنـا وجهـان: يَصْلُح أَن يكـون فـأَز لهمـا الشيـطان «أكسبهما الزَّلة والخَطِيئَةَ، ويصلح أن يكون فأَزلهمـا نحَّـاهما» وكـلا القراءَتين صواب حسن)[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقلنَا اهْبِطُوا بعْضُكُمْ لبعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

جمَـع اللَّه للنبي ﷺ قصـة هبـوطهم، وإنمـا كـان إبليس أُهبِطَ أولاً، والدَّليل على ذلك قوله عزّ وجلّ ﴿أُخرج منهـا فإنـك رجيم﴾، وأُهْبط آدمُ وحواءُ بعـد فجّمع الخَبـرُ للنبي ﷺ لأنهم قد اجتمعـوا في الهبوط وإن كـانت أَوْقَاتُهم متفرقة فيه.

وقـولـه ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ إبْليس عـدوّ للمؤْمنين من ولـد آدم[2]، وعداوته لهمْ كفر، والمؤْمنون أَعداءُ إبليس، وعداوتهم له إيمان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مُقَام وثُبُوت[3]

وقوله ﴿إلى حِينٍ﴾.

(١) هذه العبارة التي بين قوسين ليست في ك ولكنها ستأتي فيها بعدِ بشيء من التغيير.

(٢) ك من بني آدم.

(٣) أي هي مصدر ميمي، ويجوز أن تكون اسم مكان.

قال قوم: معنى الحين ههنا إلى يوم القيامة، وقال قوم: إلى فناءِ الآجال أيْ كلُّ مستقر إلى فناءِ أجله، والحين والزمان في اللغة منزلة واحدة، وبعض الناس يجعل الحين في غير هذا المَوْضِع ستَّة أشهر دليله قوله: ﴿تُؤْتِى أُكلُهَا كُلَّ حينٍ بإِذْنِ ربِّها﴾[1].

وإنما ﴿كل حين﴾ ههنا جُعِلَ لمدة معلومة[2] والحين يصلح للأوقات كلها إلاّ أنه - في الاستعمال - في الكثير منها أكثر، يقال ما رأيْتُكَ منذُ حين، تريد منذ حين طويل. والأصل على ما أخبرنا به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ ربّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَليهِ﴾.

الكلمات - واللَّه أعلم - اعتراف آدم عليه السلام وحواء بالذنب لأنهما قالا: ﴿ربَّنَا ظلمنا أنفسنا وإنْ لمْ تغْفر لنا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ منَ الخَاسرينَ﴾[3] اعترفا بذنبهما وتابا.

وفي هذه الآية موعظة لولدهما، وتعريفهم كيف السبيل إلى التنَصُّلِ من الذُّنوب، وأنه لا ينفع إلا الاعترافُ والتوبةُ، لأن ترك الاعتراف بما حرّم اللَّه -عزّوجلّ- حَرامٌ وكُفْرٌ باللَّه[4] فلا بد من الاعتراف مع التوبة، فينبغي أن يفهم هذا المعنى فإنه من أعظم ما يحتاج إليه من الفوائد[5].

وقرأ ابن كثير: فتلقى آدمَ من ربّه كَلمَاتٌ، والاختيار ما عليه الاجماع

(١) إبراهيم ١٤ - ٢٥.

(٢) أي كلمة حين في هذه الآية استعملت للمدة التي تثمر فيها الشجرة فهي لمعنى غير المعنى السابق.

(٣) سورة الأعراف ٧ - ٢٣.

(٤) لأنه استمالٌ لما حرم، وإنكار أي شيء معلوم من الدين بالضرورة كفر.

(٥) جاء في ك بعد هذا: «وقال أبو إسحق: وقد قرئ فأزالهما من زلت وأزالني غيري، وأزلهما من زللت وأزلني غيري. ولزللت ههنا وجه آخر: يصلح أن فأزلهما الشيطان كسبهما الزلة والخطيئة، ويصلح أن فأزلهما نحاهما.. ألخ.

وقد تقدم ص ٨٣.

وهو في العربيةِ أقوى، لأن آدم تعلم هذه الكلمات فَقِيلَ تَلقَّى هذه الكلماتِ، والعرب تقول تلقيت هذا من فلان، المعنى فَهْمي قَبِلَهُ من لَفْظِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

الفائدة في ذكر الآية أنه عزّ وجلّ أعلمهم أنه يبتليهم بالطاعة وأَنَّه يُجَازِيهم بالجَنَّةِ عَلَيْها وبالنَّارِ على تَرْكِهَا، وأَنَّ هَذَا الابتلاءَ وقَع عندَ الهُبُوطِ على الأَرض.

وإعراب ﴿إمَّا﴾ في هذا الموضع إعراب حروف الشرط والجزاءِ، إلا أن الجزاءَ إذا جاءَ في الفعل معه النون الثقيلة أو الخفيفة لزمتها ما[1] ومعنى لزومها إياها معنى التوكيد، وكذلك معنى دخول النون في الشرط التوكيد.

والأبلغ فيما يؤْمر العباد به التوكيد عليهم فيه[2].

وفتح ما قبل النون في قوله: ﴿يأْتِيَنَّكُمْ﴾ لسكون الياءِ وسكون النون الأُولى[3]، وجواب الشرط في الفاءِ مع الشرط الثاني وجوابه وهو ﴿فَمَنْ تَبِعَ

---

(١) المعروف بين النحويين أن المضارع الذي يقع شرطاً لإما يكون توكيده قريباً من الواجب. ومذهب سيبويه ومن تابعه من المتأخرين ـ ومن متابعيه أبو علي الفارسي. أن التوكيد ليس بلازم ولكنه أحسن ولهذا لم يقع في القرآن إلا كذلك، وقد جاء في الشعر كثيراً غير مؤكد وذهب المبرد والزجاج إلى لزوم النون بعد إما، وزعما أن حذفها: ضرورة ـ

أنظر الأشموني جـ ٣ ـ ١٤٢.

أما إن بدون «ما» معها فتوكيد الفعل معها نادر وبهذا تتضح عبارة المؤلف «إلا أن الجزاء إذا جاء في الفعل معه النون. . . لزمتها ما» ـ وهو يستعمل كلمة الجزاء بمعنى الشرط ـ أي أنه إذا أكد الفعل بعد إن وجب أن تكون معها ما، ولزومها إياها يدل على وجوب، التوكيد.

(٢) ك فالأبلغ.

(٣) المشهور بين النحويين أن المضارع الذي لم يتصل بضمير رفع ساكن إذا أكد بالنون بني على فتح الآخر واعتبر مركباً معها تركيب أحد عشر، والزجاج يذكر هنا علة الفتح في﴿يأتينكم﴾ بأنها=

هُـدَايَ﴾، وجـواب ﴿فَمَنْ تَبِـعَ هُـدَايَ﴾ (قـولـه) ﴿فـلَا خَـوْفٌ عَلَيهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

و ﴿هُدَايَ﴾: الأكثر في القراءَة والرواية عن العرب ﴿هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ﴾ فالياء في هداي فتحت لأنها أتت بعـد ساكن وأصلهـا الحركـة التي هي الفتح فالأصل أن تقول: هذا غلامِيَ قد جـاءَ ـ بفتح اليـاءِ ـ لأنها حـرف في موضـع إسم مضمر[1] منع الإعراب فألـزم الحركـة كما أُلـزمت «هُوَ» وحـذف الحركـة جـائز لأن اليـاءَ من حروف المـد واللين، فلما سكن مـا قبلها لم يكن بـد من تحريكها فجعـل حظهـا ما كـان لها في الأصـل من الحركـة وهو الفتـح، ومن العـرب من يقولـون: «هُدَيَّ وعَصَيَّ»[2]، فمن قـرأ بهذه القـراءَة فـإنمـا قلبت الألف إلى الياءِ، للْيَاءِ التي بعدها، إلا أَنَّ شَأْنَ يَاءِ الإضافة أَنْ يُكْسر ما قَبْلَها، فجعل بدلَ كَسْرِ ما قَبلهـا ـ إذْ كانت الألف لا يكسـر ما قبلهـا ولا تكسر هي ـ قَلْبَها ياءً. وطَيِّءُ تقول في هُدًى وعَصاً وأفْعًى وما أشبـهَ هذا في الـوقفِ هُدَيْ وعَصَيْ (وأفعى)[3]، بغيـر إضـافـة، وأنشـد أبــو الحسن الأخفش وغيـره من النحويين[4].

تَبَشـري بـالـرَّفْـهِ والمـاءِ الـرَّوَى   وفـرج منـك قـريب قـد أَتَـىْ

وبعض العـرب يجري مـا يجريـه في الـوقف ـ في الأصـل ـ مجـراه في

لتفادي إلتقاء الساكنين، الياء التي هي آخر الفعل والنون الأولى من نـون التوكيـد المشددة، وهـو تعليل غير كاف لأنه لو كان الفعل صحيح الآخر ما كان هناك سكون، وإذا عومل كالمعرب فجزم فالمعتل يجزم بحرف العلة.

(١) ضمير جاء على حرف واحد فيأخذ حكم الحرف في أنه يفتح إذا جاء بعد ساكن.

(٢) هم هذيل، وعليه بيت أبي هذيل: سبقوا هوى وأعنقوا لهواهم.

(٣) ليست في ك.

(٤) الروى الكثير. اللسان (روى) الرفة النعمة. والأصل في البيت النصر.

الوقف[1] وليس هذا الوجهَ الجيِّدَ. وزعم سيبويه أن الذين أبدلوا من الألف الياء، أبدلوها في الوقف ليكون أبين لها. وحكى أيضاً أن قوماً يقولون في الوقف حُبْلَوْ، وأَفْعَوْ.

وإنما يحكي أهل اللغة والعلم بها كل ما فيها، ليتميز[2] الجيد المستقيم المطرد من غيره، ويجتنب غير الجيد. فالباب في هذه الأشياء أن يُنْطق بها في الوصل والوقف بألفٍ، فليس إليك أن تقلب الشيءَ لِعِلَّةٍ ثُمَّ تنطق به على أصله والعلة لمْ تزل، فالقراءَة التي ينبغي أن تُلْزم [هي] ﴿هُـدَايَ فَلَا خَوْفٌ﴾ إلا أن تثبت برواية صحيحة «هُدَيّ» فيقرأ بها. ووجهه من القياس ما وصفنا. فأما قوله: ﴿هَـذَا صِـرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾[3]، وقوله: ﴿إليَّ مرجعكم﴾[4] فلا يجوز أن يقرأ هـذا صراط علاي، ولا ثُمَّ إلاي مرجعكم، لأن الوصل كان في هذا: «إلاي» و«عَلَاي» ولكن الألف أُبْدِلَتْ منها مع المضمرات الياءُ، ليفصل بين ما آخره مِمّا يَجب أَنْ يُعْرَبَ ويتَمكن، ومَا آخره ممّا لا يجب أن يعرب، فَقُلِبَتْ هذه الألف ياءً لهذه العلة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِي الَّتي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾.

نصب ﴿بني إسرائيل﴾ لأنه نداءٌ مضاف، وأصل النداءِ النصب لأن معناه معنى «ناديت» و«دعوت» وإسرائيل في موضع خفض إلا أنه فتح آخره لأنه لا يَنْصَرف، وفيه شيئان يوجبان منعَ الصرف، وهما أنه أعجمي وهو معرفة[5]، وإذا كان الاسم كذلك لم يَنْصَرف، إذا جاوز ثلاثة أحرف عند

---

(١) عبارة غير جيدة ـ والمراد: بعض العرب يعطي الكلمة في حال الوصل ما تستحق آن تعطاه في حال الوقف.

(٢) في الأصل وط ليميز.

(٣) الحجر ١٥ ـ ٤١.

(٤) آل عمران ٣ ـ ٥٥.

(٥) يعني اجتمع فيه العلمية والعجمة.

النحويين، وفي قولـه: ﴿نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ وجْهان، أَجودهما فتح الياءِ لأَن الذي بعدها ساكن وهو لام المعرفة[1] فاستعمالها كثيرٌ في الكلام فاختير فتح الياءِ معها لالتقاءِ الساكنين، ولأَن الياءَ لو لم يكن بعدها ساكن كانَ فتحها أَقوى في اللغة، ويجوزُ أَنْ تحذف الياءُ في اللفظ لالتقاءِ الساكنين فتقرأَ «نعمتِ التّيْ» أَنعمت بحذف الياءِ[2]، والاختيار إثبات الياء وفتحها لأَنه أَقوى في العربية وأَجزل في اللفظ وأَتم للثواب، لأَن القارئ يجازى على كل ما يقرؤه من كتاب اللّه بكل حرف حسنة، فإن إثباته، أَوْجَهُ في اللغة. فينبغي إثباته لما وصفنا، فأَما قوله عزّ وجلّ: ﴿هَـٰرُونَ أَخِي أَشْدُدْ بـه أَزري﴾[3] فلم يكثر القراءُ فتح هذه الياء، وقال أَكثرُهُم[4] بفتحها مع الأَلف واللام.

ولَعَمْري إن اللام المَعْـرفَةَ أَكثـرُ في الاستعمال، ولكني أَقـول: الاختيار «أخِيَ أَشْدُدْ» بفتـح الياءِ لالتقاءِ الساكنين، كما فتحوا مع اللام، لأَن اجتماع ساكنين مع اللام[5] وغيرها معنى واحد وإن حذفت فالحذف جائز حَسَن إلَّا أَنَّ الأَحْسَنَ ما وَصَفْنَا.

وأَما معنى الآية في التذكير بالنعمة فإنهم ذُكِّرُوا بِمَا أَنْعِمَ بِهِ على آبائهم من قبلهم، وأُنعم به عليهم[6]، والدليل على ذلك قوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾[7]، فالذين صادفهم النبي ﷺ لم يكونوا أَنبياءَ، وإنما ذُكِّروا بما أُنعم به على آبائهم وعليهم في أَنفسهم وفي آبائهم، وهذا المعنى موجود في كلام العرب معلوم عندها. يفاخر الرجلُ الرجُلَ فيقولُ هَزَمْناكُمْ يَوْمَ «ذي قار»،

---

(١) يقصد اللام الساكنة في «التي».

(٢) كتبت في الأصول بإثبات الياء، وهو لا يستقيم.

(٣) سورة طه ٢١ ـ ٣١.

(٤) في ك وإنما أكثرهم يفتحها مع الألف واللام، ـ أي إذا كان بعدها ألف ولام.

(٥) ك ولام.

(٦) في ط كأنه أنعم به عليهم.

(٧) سورة المائدة ـ ٢٠.

ويقول قتلناكم يوم كذا، معناه قَتَل آباؤنا[1] آباءَكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾.

معناه ـ والله أعلم ـ قوله: ﴿وإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلْنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ فتمام تبيينه أن يخبروا بما فيه من ذكر نبوة محمد ﷺ وقد بيَّنَّا ما يدُلُّ على ذكر العهد قبل هذا وفيه كفاية[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِيَّايَ فارْهَبونَ﴾.

نصب بالأمر[3] كأنه في المعنى «أرهبوني» ويكون الثاني تفسير هذا الفعل المضمر، ولو كان في غير القرآن لجاز: «وَأَنَا فَارْهَبُونِ» ولكن الاختيار في الكلام والقرآن والشعر ﴿وإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[4] حذفت الياء وأصله «فارهبوني» لأنها فاصلة، ومعنى فاصلة رأس آية ليكون النظم على لفظ مُتَّسق، ويسمِّي أهلُ اللغة رؤوس الآي الفواصل، وأواخر الأبيات: القوافي.

ويقال وَفيْت له بالعهد فأنا وافٍ به، وأوفيت له بالعهد فأنا موف به. والإختيار: أوفيت، وعليه نزل القرآن كله[5] قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَوْفُوا

---

(١) في الأصل وقتل.

(٢) انظر ص ١٠٥، ١٠٦.

(٣) أياي منصوب بفعل أمر محذوف يفسره الأمر المذكور أي أرهبوا إياي فأرهبوني، ولا يعمل فيه المذكور لأنه استوفى مفعوله وهو الياء بعد نون الوقاية ولأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها. أنظر التصريح باب الاشتغال والأشموني حـ ٢ ـ ٤٩: قال سيبويه لأن الفاء لا تقع في الخبر، وقال المبرد: إنها أشبهت الشرط فما بعدها لا يعمل فيما قبلها.

(٤) النصب أرجح لأن الفعل الذي شغل عن المفعول فعل أمر.

(٥) أي في العهد خاصة ـ وربما عاضه. وإبراهيم الذي وَفَّى» النجم ٥٣ ـ ٨٧ في بعض أوجهه. وإيفاء الكيل ليس منه وإنما هو من الإكمال والإتمام.

وجاء في القرآن. ﴿فلما توفَّيْتَني﴾.. ﴿إني مُتَوفِّيكَ ورافعك إليّ﴾ ﴿ومن أوفى بعهده من الله﴾، (من وفى).

﴿فيُوَفِّيهم أجورَهم﴾. ﴿إنما يُوفَّى الصابرون أجْرَهم﴾ ﴿وإنما تُوفَّون أجوركم يوم القيامة﴾. وفي المزهر

بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وقال: ﴿وأَوْفُوا بعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُمْ﴾[1] وقال: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ والمِيزَانَ﴾[2] وكل ما في القرآن بالألف[3] وقال الشاعر في «أَوْفَيْتُ»: «ووفَّيتُ» فجمع بين اللغتَين في بيت واحد:

أمـا ابنُ عـوف فقـد أَوْفى بـذمتـه   كما وَفَى بقلاص النجم حـاديها[4]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنـزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ﴾. ﴿وَلا تَكُـونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾.

يعني القرآن، ويكون أيضاً، ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ بِكِتَابِكم وبِالْقُرْآنِ[5] إن شئت عادت الهاءُ على قوله لما معكم، وإنما قيل لهم ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ لأن الخطاب وقع على حكمائهم فإذا كفروا كفر معهم الأَتباع فلذلـك قيل لهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ به﴾ فإن قـال قائـل: كيف تكون الهـاءُ لكتابهم؟ قيـل له

= حـ ١ ـ ١٠٥، قال ابن خالويه في شرح الدردرية «فإن سأل سائل فقال أوفى بعهده أفصح اللغات وأكثرها فلم زعمت ذلك.... لما كان وفى بعهده يجذبه أصلان من «وفى» الشيء إذا كثر و «وفى» بعهده، اختاروا أوفى إذ كان لا يشكل ولا يكون إلا للعهد، فاختيار أوفى فيما ترى لأنه لا يحتمل إلا معنى واحداً. أما «وفى» فيحتمل ـ الوفاء بمعنى الكثرة والنماء، والوفاء بالعهد ـ فأوثر أوفى لهذا». وهو تعليل كما ترى، وقال المبرد «أوفى» أحسن اللغتين.

(١) النحل ١٦ ـ ٩١.

(٢) الأعراف ٧ ـ ٨٥.

(٣) الكلية غير تامة كما هو واضح.

(٤) الشاعر هو طَفَيْل الغَنَوي من شعراء قيس المشهورين ومن وصَّافي الخيل ويسمى طفيل الخيل. لأنه يكثر من ذكرها ويدخله في مختلف أنواع شعره ـ ويمتاز شعره بين الجاهليين بالرقة. أنظ الأغاني ١٤ ـ ٨٨، والكامل ١ ـ ٣٥٠ ط التجارية.

والبيت في اللسان (عوف ـ قلص) وروايته ابن طوق. وفي الكامل «ابن أبيض، والقلاص عشرون نجماً تأتي عقب الثريا يسوقها الدبران أي يأتي عقبها النجم المعروف بهذا الاسم. يريد أنه كما يلازم هذا النجم أصحابه فلا يفارقها أبداً، فكذلك ابن عوف لا يفارق الوفاء، ولا يخلف ما وعد به.

(٥) الواو بمعنى ـ أو ـ أي تصلح لهذا ولذاك في كلام المؤلف.

إنهم إذا كتموا ذكر النبي ﷺ في كتابهم فقد كفروا به كما أنه من كتم آية من القرآن فقد كفر به ومعنى ﴿لا تكونوا أول كافر به﴾ ـ إذا كان بالقرآن ـ لا مُؤْنَةَ فيه، لأنهم يظهرون أنهم كافرون بالقرآن[1]. ومعنى ﴿أَوَّلَ كَافِرٍ﴾ أولَ الكافرين، قال بعض البصريين في هذا قولين: قال الأخفش معناه أَوَّل مَنْ كفَر به، وقال البصريون أيضاً: معناه ولا تكونوا أول فريقٍ كافر به أي بالنبي ﷺ وكلا القولين صواب حسن.

وقال بعض النحويين إن هذا إنما يجوز في فاعل ومفعول[2] تقول الجيش منهزم، والجيش مهزوم، ولا يجوز فيما ذكر: الجيش رجل، والجيش فرس، وهذا في فاعل ومفعول أبين، لأنك إذا قلت الجيش منهزم فقد عُلِمَ أنك تريد هذا الجيش فنقطت في لفظه بفاعل لأن المعنى الذي وضع عليه الجيش معنى يدل على جمع، فهو فَعال. ومفعول يدل على ما يدل عليه الجيش، وإذا قلت الجيش رجل فإنما يكره في هذا أن يتوهم أنك تقلله فأما إذا عرف معناه فهو سائغ: جيد، تقول: جيشُهُمْ إنَّما هو فرسٌ ورجُل، أي ليس بكثير، الأتباع فيدل المعنى على أنك تريد الجيش خيل ورجال[3]، وهذا في فاعل ومفعول أبين كما وصفنا[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَّل كَافِرٍ بِهِ﴾.

اللغة العليا والقُدْمَى الفتح[5] في الكاف وهي لغة أهل الحِجَازِ، والإمالة في الكاف أيضاً جيّد[6] بالغ في اللغة لأن فاعلا إذا سَلِم من حروف الإطباق

---

(١) لم يبين الحالة الثانية وهي عود الضمير على كتابهم. لأنه شرحها.

(٢) الأخبار بالمفرد عن الجمع.

(٣) أي بالقرينة، لا باللفظ.

(٤) كما تقول: الجيش قائم وسائر ومهزوم ومسبوق.

(٥) أي بغير إمالة.

(٦) أي رأي أو نطق جيد.

وحروف المستعلية كانت الإمالة فيه سائغةً إلا في لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة بني تميم وغيرهم من العرب، ولسان الناس(١) الذين هم بالعراق جارٍ على لفظ الإمالة، فالعرب تقول: هذا عابد وهو عابد(٢) فيكسرون ما بعدها إلَّا أَنْ تدخُل حروفُ الإطباقِ وهي الطاء والظاء والصاد والضاد، لا يجوز في قولك فلان ظالم: ظالم ممال(٣)، ولا في طالب: طالب ممال، ولا في صابر صابر: ممال، ولا في ضابطٍ: ضابط ممال، وكذلك حروف الاستعلاءِ وهي: الخاءِ والغين، والقاف، لا يجوز في غافل: غافل ممال ولا في خادم: خادم ممال، ولا في قاهر قاهر: ممال. وباب الإمالة يطول شرحه إلا أن هذا في هذا الموضع هو المقصود وقدر الحاجة(٤).

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾.

يقال لَبَسْت عليهم الأمرَ أَلبِسُه، إذا أعَمَّيته عليهم، ولبِسْت الثوبَ أَلبَسُه(٥) ومعنى الآية: ﴿لا تلْبِسُوا الحقّ﴾، والحقُّ ههنا أمر النبي ﷺ وما أتى به من كتاب اللَّه عزّ وجلّ، وقوله بالباطل، أي بما يحرفون، وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأنتم تَعْلمُونَ﴾ أي تأْتون لبسكم الحق وكتمانه على علمٍ منكم وبصيرةٍ. وإعراب ﴿وَلَا تَلبِسُوا﴾ الجزم بالنهي، وعلامة الجزم سقوط النون، أَصْله تَلْبِسُون وتَكْتُمُونَ، يصلح أَن يكون جزماً على معنى ولا تكتموا الحق، ويصلح أَن يكون نصباً وعلامة النصب أَيضاً سقوط النون، أَما إذا نصبت فعلى معنى الجواب بالواو، ومذهب الخليلِ وسيبويه والأخفش وجماعة من البصريين أَن

---

(١) في ك: ولسان أهل العراق.

(٢) الأولى بفتح صريح والثانية بالإمالة.

(٣) كلمة «ممال» في الكلمات الأربع ليست في ك، وكان ينبغي أن تكون منصوبة.

(٤) هذا الذي ذكر هنا عن الإمالة، وفي ك باب يطول شرحه.

(٥) الأول كضرب يضرب والثاني كعلم يعلم.

جميع ما انتصب في هذا الباب فبإضمار أن كأنك قلت لا يكن منكم إلباس الحق وكِتْمَانه، كأنه قال وأن تكتموه، ودلَّ تلبسوا على لبس كما تقول: من كذب كانَ شَرًّا، ودل ما في صدر كلامك على الكذب فحذفْتَه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَتَأْمُرونَ النَّاسَ بالبرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

فالألف ألف استفهام، ومعناه: التقرير والتوبيخ ههنا، كأنه قيل لهم: أنتم على هذه الطريقة. ومعنى هذا الكلام - والله أعلم - أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بكتابهم ويتركون هم التمسك به، لأن جحْدهم النبي ﷺ هو تركهم التمسك به - ويجوز والله أعلم - أنهم كانوا يأمرون ببذْل الصّدقةِ وكانوا يضنّون بها، لأنهمَ وُصِفُوا بأنهم قست قلوبهم. وأكلوا الرِّبَا والسُّحْتَ، وكانوا قد نهوا عن الرِّبا. فمنع الصدقة داخل في هذا الباب.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَاسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاَةِ﴾.

إن قال قائل لم قيل لهم: استعينوا بالصبر وما الفائدة فيها[1] فإن هذا الخطاب أصله خطاب أهل الكتاب، وكانت لهم رئاسة عند أتباعهم فقيل لهم: إستعينوا على ما يُذْهِبُ عنكم شهوَة الرياسةِ بالصلاة لأن الصلاة يتلى فيها ما يُرغّب فيها عند الله، ويزهد في جميع أمر الدنيا، ودليل ذلك قوله: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنْكرِ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرةٌ إلاَّ عَلى الْخَاشِعِينَ﴾.

المعنى: إن الصلاة التي معها الإيمان بالنبي ﷺ كبيرة تكبر على الكفار وتعْظُمُ عليهم مع الإيمان بالنبي ﷺ. والخاشع المتواضع المطيع المجيب[3] (لأن

---

(١) في الاستعانة.

(٢) العنكبوت ٢٩ - ٤٥.

(٣) في ك المخبت.

المتواضع)[١] لا يبالي برياسة كانت له مع كفرٍ إذا انتقل إلى الإيمان[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِين يَظُنُّون أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ﴾.

الظن ههنا في معنى اليقين، والمعنى: الذين يوقنون بذلك ولو كانوا شاكّين كانوا ضُلّالاً كافرين، والظن: بمعنى اليقين موجود في اللغة، قال دريد بن الصِّمَّة:

فقُلْت لهم ظُنُّوا بألْفيْ مُقاتِل سَراتهُمُ في الفارِسيّ المُسَرَّدِ[٣]

ومعناه أيقنوا. وقد قال: بعض أهل العلم من المتقدمين:

إن الظن يقع في معنى العلم الذي لم تشاهده، وإن كان قام في نفسك حقيقتُه وهذا مذهب، إلا أن أهل اللغة لم يذكروا هذا.

قال أبو إسحاق: وهذا سمعته من إسماعيل بن إسحاق القاضي رحمه اللّه[٤] رواه عن زيد بن أسلم[٥]..

---

(١) ليست في ك.

(٢) أي لا يبالي بترك الرياسة وضياعها.

(٣) دريد شاعر مقل من بني جشم. كان من الفرسان وعمر حتى شهد الإسلام ولم يسلم. شهد حنيناً ليستعان برأيه ولما انهزم المشركون قتله ابن الدّغنة في غير معركة سنة ٨ هـ.
وهو في هذه القصيدة يرثي أخاه عبد اللّه، وأنظر القصيدة في حماسة أبي تمام، والمقاصد ٢ ـ ١٢٢ والأغاني ٩ ـ ٤ والقرطبي ١ ـ ٣٢١ اللسان ظنن. الشجري ٣ ـ ١١١ وأكثر رواية البيت: بألفي مدجج، والمدجج الشاكي السلاح والفارسي المصنوع في بلاد الفرس والمسرد المحبوك الحلق الجيد الصنع، والسراة السادة، وهو يقصد أنهم جميعاً ـ سراة أشداء.

(٤) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد من موالي آل جرير بن حازم كان إماماً في العربية والفقه على مذهب مالك انتهى إليه العلم بالنحو واللغة في زمانه، سمع عن كثيرين منهم محمد ابن عبد اللّه الأنصاري ومسدد بن مسرهد، وروى عنه كثيرون منهم عبد اللّه بن الإمام أحمد. ولي قضاء جانبي بغداد في عهد المتوكل وبقي حتى عزله المهتدي حين غضب على أخيه حماد وجلده وعزل إسماعيل ولما ولي المعتمد أعاده فبقي قاضياً حتى مات ٢٨٢ هـ عن ثمانين عاماً.
ترك مؤلفات في القرآن والحديث منها: القرآءات وأحكام القرآن ومعاني القرآن.
البغية ١٩٢.

(٥) زيد بن أسلم بن ثعلبة بن عدي من بني حليف بني العجلان وقيل انه أوسيٌّ من بني عمرو بن

و (قوله)[1] ﴿أَنَّهُمْ﴾ ههنا لا يصلح في موضعها إنهم ـ بالكسر ـ لأن الظن واقع فلا بد مِن أَن تكونَ تِليه. أَنَّ[2] إلا أَن يكون في الخبر لام[3].

ويصلح في ﴿أَنهمْ إِلَيهِ رَاجِعُونَ﴾ الفتح والكسر، إلا أَن الفتح هو الوجه الذي عليه القراءَة، فإذا[4] قُلْت: وإنهم إليه راجعون ـ في الكلام ـ حملت الكلام عَلَى المعنى كأنه «وهم إليه راجعون» ودخلت أَنْ مؤكْدة[5]، ولولا ذلك لما جاز أبطالك الظن مع اللام إذا قلت ظننت إنك لعالم.

ومعنى ﴿مُلاقُورَبهمْ﴾ ملاقون ربهمْ لأن اسم الفاعل ههنا نكرة ولكن النون تحذف إستخفافاً، ولا يجوز في القرآن إثباتها لأنه خلاف المصحف، ولا يجوز أن يقع شيءٌ في المصحف مجمع عليه فيخالف، لأن أتباع المصحف أُصلُ أتباع السُّنَّة.

وقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلتُكُمْ عَلَى الْعَالمِينَ﴾.

أذكرهم اللَّه عزّ وجَلّ نعمته عليهم في أَسلافهم، والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعوْن﴾ والمخاطبون بالقرآن لم يروا فرعون ولا آله. ولكنه عزّ وجلّ ذكَّرهم أنه لم يزل منعماً عليهم لأن إنعامه على أُسلافهم إنعام عليهم، والدليل على ذلك: أَن العرب وسائر الناس يقولون: أَكرمْتُك

= عوف، شهد بدراً وقتله طليحة وقيل: بل قتل يوم صفين. الاصابة ٢٨٧٠.

(١) ليست في ك.

(٢) في موضع المفعول فلا بد أن تفتح.

(٣) لأنها حينئذ من المواضع التي يجب فيها كسر «إن».

(٤) في ك فان.

(٥) يريد أن الجملة تكون مستأنفة إذا كسرت «أن»، وهذا الاستئناف جائز حيث استوفت ظن مفعوليها. وكذلك إذا علقت بدخول لام التوكيد على خبر أن.

بـإكرامي أخـاك. وإنما الأثـرة وصلت إلى أخيه، والعـربُ خاصـة تجعل مـا كانٍ لآبائها فخراً لها، وما كان فيه ذم يعدونه عاراً عليها، وإن كان فيما قَدُم من آبائها وأسلافها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نفْسٍ شيْئاً﴾.

يعني به يوم القيامة، وكانت اليهود تزعم أن آباءَها الأنبياء تشفـع لها عنـد اللَّه فأَيْئَسُهم اللَّه من ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلا يُؤْخَذُ منْهَا عَدْلٌ﴾.

العـدل هنـا الفِـدْيـة، ومعنى: ﴿لا تَجْزِي نفْسٌ عَنْ نَفس شَيْئاً﴾ أي لا تجزي فيه، وقيل: لا تجْزيـه، وحَذْفُ «فيـه» ههنا سـائغ، لأن «في» مـع الظرف محذوفة: تقول أتيتك اليـوم، وأتيتك في اليـوم، فإذا أضمـرت قلت أتيتك فيـه، ويجوز أنْ تقول أتَيْتُكه، قال الشاعر:

ويــومـاً شهِــدنــاه سليــماً وعــامــراً قلِيـلاً سوى الـطَّعنِ النِّهال نـوافلُه[1]

أراد شهـدنا فيـه، وقال بعض النحـويين: إن المحـذوف[2] هنا الهـاء لأن الظروف عنده لا يجـوز حذفهـا ـ وهذا قـول الكسائي. والبَصـريّون وجمـاعةٌ من الكوفيين يقولون: إن المحذوف «فيه».

وفصَّـل النحويـون في الظروف، وفي الأسـماءِ غـير الـظروف فقـالـوا: إن الحذف مع الظروف جائز كما كـان في ظاهـره، فكذلـك الحذف في مضمـره، لو

(١) البيت لـرجل من بني عـامر. وسليم وعـامر قبيلتـان من قيس بن عيـلان، كـان بينهـما معـارك في الجاهلية.

والطعن النهال: هو الدامي. والطعن إما اسم للضرب وإما اسم جنس جمعي لـطعنة. انـظر أمالي ابن الشجري ١ : ٦ والكامل ١ ـ ٢١.

(٢) في الأصل المحذوفة.

قلت الذي سرت اليوم، تريد الذي سرت فيه جائز، لأنك تقول سرت اليوم وسرت فيه، ولو قلت: الذي تكلمت فيه زيد: لم يجز الذي تكلمت زيد لأنك تقول تكلمت اليوم وتكلمت فيه، ولا يجوز في قولك تَكلمْتُ في زيد تكلَّمْتُ زيداً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تُقْبَلُ مِنْهَا شفاعَةٌ﴾.

مرفوع لأنه اسم ما لم يسم فاعله، والاسم إذا لم يُسَمَّ من فعَل به[1] رُفع لأن الفعل يصير حديثاً عنه كما يصير حديثاً عن الفاعل، وتقول: لا يُقْبَلُ منها شفاعةٌ، ولا تُقْبَلُ، لأن معنى تأنيث ما لا يُنْتجُ[2] غير حقيقة، فلك في لفظه في الفعل التذكير والتأنيث، تقول: قبِل منك الشفاعة، وقدْ قُبِلتْ منك [الشفاعة] وكذلك «فمن جاءَه موعظةٌ» لأن معنى موعظة ووعظ، وشفاعة وشفع واحد، فلذلك جاء التذكير والتأنيث على اللَّفظِ والمعنى[3] وأما ما يعقل ويكون منه النسل والولادة نحو امرأة ورجل، وناقة وجمل فيَصِحّ في مؤنثة لفظ التذكير، ولو قلت قام جارتك ونحر ناقتك كان قبيحاً ـ وهو جائز على قبحه لأن الناقة والجارة تدلان على معنى التأنيث، فأجتزيءَ بلفَظهما عن تأنيثِ الفعل[5]، فأما الأسماء التي تقع للمذكَّرين وأصحاب المؤنث فلا بد فيها من عَلمِ التأنيث لأن الكلام للفائدة، والقصد به الإبانة، فلو سمَّيت امرأة بقاسم لم يجز أن يقال جاءَني قاسم، فلا يعلم أمذكراً عَنَيْت أم مؤنثاً، وليس إلى حذف هذه التاء ـ إذا كانت فارقة بين معنيين ـ سبيل، كما أنه إذا جرى ذكر رجلين لم يجز أن تقول: قد قام،

(١) أي الفاعل. الذي قام بعمله.

(٢) ما لا يلد، ونتج مما لزم صيغة المبني للمجهول.

(٣) ليست ت في ك.

(٤) في ك فالمعنى.

(٥) هذا رأي الزجاج خاصة. والنحويون على أن المؤنث الحقيقي الذي لم يفصل من الفعل لا بد أن تكون في فعلة علامة التأنيث.

ولا يجوز إلا أن تقول قاما، فعلامة التأنيث فيما فيه اللبس كعلامة التثنية ههنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾.

موضع إذ نصب، كأنه «قال»[1] واذكروا إذ نجيناكم مِنْ آل فرعون، وآلُ فرعَون أَتْبَاعُه ومن كان على دينه، وكذلك آلُ الأَنبياءِ صلوات اللّه عليهم من كان على دينهم، وكذلك قولنا: صلّى اللّه على محمد وآله: معنى آله من إتبعه من أَهْل بيته وغيرهم، ومعنى خِطابِهِمْ هَهنَا تذكيرهم بالنعمة عليهم في أَسْلَافِهِمْ كما وصفنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذابِ﴾.

معنى ﴿يسُومونكم﴾ في اللّغة يولونكم، ومعنى سوءَ العذابِ، شديد العذاب، وإن كان العذاب كله سوءًا، فإنما نُكِّرَ في هذا الموضع[2] لأنه أبلغ ما يعامل به مَرْعِيٌّ[3] فلذلك قيل سوءَ العذاب، أي ما يبلغ في الإساءَة ما لا غاية بعده، وفسره بقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ أبناءَكم﴾ والقراءَة المجمع عليها - ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ - بالتشديد - ورواية شاذَّة يَذْبَحُون أبناءَكم، والقراءَة المجمع عليها أبلغ، لأن ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ للتكثير، ويَذْبَحُونَ يصلح أن يكون للقليل و(للكثير)[4] فمعنى التكثير ههنا أبلغ، و﴿أبناءَكم﴾ جمع ابن، والأصل كأنه إنما جمع بني وبنو ويقال: ابن بيِّن البنوة، فهي تصلح أن تكون «فعَل» و «فِعْل» كأنه أصله بناية، والذين قالوا بنون كأنهم جمعوا «بَنا» وبنون، فأبناءُ جمع «فعَل وَفِعْل»، و «بِنْتٌ» يدل على أنه يَستقيم أن يكون فِعْلاً، ويجوز أن يكون «فَعَل» نقلت إلى «فِعْل» كما نقلت أُخت من فَعَل إلى فُعْل، فأما بنات فهو ليس بجمع بنت على لفظها، إنما ردت إلى أصلها فجمعت بنات على أن الأصل في بنت «فِعْله» كأنها مما حذفت لامه[5]،

---

(١) ليست في ك.
(٢) ذكر السوء.
(٣) أحد الرعية.
(٤) في ك فقط.
(٥) الأصل «بنوة» ولذا حذفت التاء في الجمع.

وَالأخفش: يختار أن يكون المحذوف من ابن الواو قال: لأن أكثر ما تحذف الواو بثقلها. والياءُ[1] تحذف أيضاً للثقل[2].

قال أبو إسحق: والدليل على ذلك أن يداً قد أجمعوا (على)[3] أن المحذوف منه[4] الياءُ ولهم دليل قاطع على الإجماع قال: يديت إليه يداً، ودم محذوف منه الياءُ، يقال دم ودميان.

قال الشاعر:

فلو أنّا على حَجَر ذُبِحْنا جَرى الدَّمَيَانِ بالخَبَر اليقينِ[5]

والبُنُوَّة ليست بشاهد قاطع في الواو، لأنهم يقولون الفتوة والفتيان في التثنية - قال عزّ وجلّ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِجْنَ فَتَيانِ﴾[6]. فابْنٌ يجوز أن يكون المحذوف منه الواو أو الياءُ. وهما عندي متساويان[7].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

---

(١) هذا وما بعده رد على الأخفش.

(٢) ك لأنها تثقل.

(٣) ليست في ك.

(٤) من هذا اللفظ لأن اليد مؤنث.

(٥) البيت في اللسان «دم» مع بيتين آخرين:

لعمرك أنني وأبا رباح على طول التجاور منذ حين
ليبغضني وأبغضه وأيضاً يراني دونه وأراه دوني

فلو أنا على حجر.

يقول إن كلا منهما يكره الآخر ويحقره، فلو أن دماءهما وضعت في مكان واحد لأبت الامتزاج وانفصل كل منها عن الآخر لما بينهما من التباغض.

وينسب البيت لعبد بني الحسحاس. ولعلي بن بدال، وللمثقب العبدي.

أنظر المقاصد ١٩١/١، واللسان (دم)، وابن يعيش ٦٥٢/٤، ٥/٦، وهو ليس في نونية المنقب. «أفاطم قبل بينك متعيني».

(٦) يوسف ١٢ - ٣٦.

(٧) هذا رأي الزجاج، ويحتاج إلى تأمل.

يعني: في النجاة من آل فرعون. والبلاءُ ههنا النعمة، يروى عن الأحنف[١] أنه قال: البلاءُ ثم الثناءُ، أي الأنعام ثُمَّ الشكرُ.

قال زهير:

جزى اللَّهَ بالإحْسَان مَا فعَلا بِنَا وأبلاهما خير البلاءِ الذي يبلو[٢]

وقال اللَّه عزّ وجلَّ: ﴿وليُبْلِيَ المؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاَءً حَسَناً﴾[٣].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وإذْ فَرقْنا بِكُمَ البَحْرَ فأَنْجَيْناكُمْ وأَغْرقْنَا آلَ فِرعَونَ وأَنْتُمْ تنْظُرون﴾.

موضع ﴿إذْ﴾ نصب كالتي قبلها، ومعنى ﴿فرقنا بكم البحر﴾: جاءَ تفسيره في آية أُخرى، وهو قوله عزّ وجلَّ:

﴿فَأَوْحَيْنَا إلَى مُوسَىٰ إنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيم﴾[٤] أي فانْفرق البحر فصار كالجبال العظام، وصاروا في قَرَارِه - وكذلك قوله عزّ وجلَّ: ﴿فاضْرِبْ لهُمْ طريقاً في البحر يبساً، لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾[٥]، معناه طريقاً ذا يبس،

وقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾، فيه قولان (قالوا)[٦] وأنتم

---

(١) الأحنف بن قيس حكيم العرب، ومضرب المثل في الحلم.

(٢) زهير بن أبي سلمى أحد شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، وصاحب معلقة جيدة وفي معلقته وفي هذه القصيدة يمدح هرم بن سنان والحرث بن عوف لتحملهما ديات القتلى في حرب داحس والغبراء وستأتي له أبيات أخرى من هذه القصيدة. أخباره في الأغاني ٩ - ٨٨ وطبقات فحول الشعراء. والبيت في ديوانه ١١٢.

(٣) الأنفال ٨ - ١٧.

(٤) الشعراء ٢٦ - ٦٣.

(٥) طه ٢٠ - ٧٧.

(٦) ما بين القوسين ليس في ك ففيها رأي واحد.

ترونهم يغرقون ويجوز أن يكون: ﴿وأنتم تنظرون﴾[1] أي وأنتم مشاهدون تَعلمون ذلك، وإن شغلهم عن أن يَروه في ذلك الوقت شاغل[2] يقال مِنْ ذلك: دُور آل فلان تنظر إلى دور بني فلان، أي هي بإزائها والدُّور يعلم أنها لا تبصر شيئاً.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وإذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾.

ويقرأ: ﴿وإذْ وَاعِدْنَا مُوسَىٰ﴾ وكلاهما جائز (حسن)[2] واختار جماعة من أهل اللغة، وإذ وعدنا بغير ألف:

وقالوا: إنما اخترنا هذا لأن المواعدة إنما تكون لغير الآدميين، فاختاروا ﴿وعدنا﴾ وقالوا دليلنا قوله عزّ وجلّ ﴿إنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقّ﴾[3] وما أشبه هذا وهذا الذي ذكروه ليس مثل هذا[4] وواعدنا هنا جيد بالغ، لأن الطاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من اللّه عزّ وجلَّ وعدٌ ومن موسى قبولٌ واتِّبَاعٌ فجرى مجرى المواعدة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ اتَّخذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾.

ذكرهم بكفر آبائهم مع هذه الآيات العظام، وأعْلمهم أن كفرهم بالنبي ﷺ مع وضوح أمره وما وقفوا عليه من خبره في كتبهم ككفر آبائِهِمْ، وَكان في ذكر هذه الأقاصيص دلالةٌ على تثبيت نُبُّوة النبي ﷺ لأن هذه الأقاصيص ليست من علوم العرب، وإنما هي من علوم أهل الكتاب، فأنبأهم النبي ﷺ بما في كتبهم، وقد علموا أنه من العرب الذين لم يقرأوا كتبهم،

(١) في الأصل و «يقال».

(٢) ليست في ك.

(٣) إبراهيم ١٤ ـ ٢٢. وبعدها ﴿ووعدتكم فأخلفتكم﴾ وهما مما يقوله الشيطان.

(٤) وجاء في سورة الأعراف ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة﴾ ٧ ـ ٤٢. وفي سورة طه ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ ٢ ـ ٨٠.

فعلموا أنه لَمْ يُعَلَّمْ هذِه الأقاصيص إلا من جهة الوحي، ففي هــذه الآيـات، إذكارهُم بالنعمة عليهم في أسلافهم، وتثبيت أمر الرسالة كما وصفنا.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسىٰ الكِتَابَ والفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿آتينا﴾ بمعنى أعطينا، و ﴿الكتاب﴾ مفعول به، ﴿والفرقان﴾ عطف عليه، وَيَجُوزُ أن يكون الفرقان الكتاب بعينه إلا أنه أُعيد ذكره، وعَنى به أنه يفرق بين الحق والباطل، وقد قال بعض النحويين وهو قطرب: المعنى: وآتينا محمداً الفرقان، ودليله قوله عزّ وجلَّ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[1] يعني به القرآن. والقول الأول هو القول لأن الفرقان قد ذكر لموسى في غير هذا الموضع ـ قال اللَّه عزّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَرُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وذِكْراً للمتَّقِينَ﴾[2].

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلّكم تَهْتَدُونَ﴾.

«لعل» إنما ذكرت هنا ـ واللَّه يعلم أيهتدون أم لا يهتدون ـ على ما يفعل العباد ويتخاطبون به، أي أن هذا يرجى به الهداية، فخوطبوا على رجائهم.

ومثله قوله: ﴿لعله يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[3]: إنما المعنى اذهبا على رجائكما، واللَّه عزّ وجلَّ عالم بما يكون وهو من ورائه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِه يَا قومِ إِنَّكُمْ ظلمْتُم أَنْفُسَكُم باتِّخاذِكُمُ العِجْلَ﴾.

والقراءَة يا قومِ بكسر الميم، وهو نداءٌ مضاف، والاختيار فيه حذف الياءِ، لأن الياءَ حرف واحد، والنداءُ باب حذف، وهي في آخر الاسم، كما

(١) الفرقان ٢٥ ـ ١.
(٢) الأنبياء ٢١ ـ ٤٨.
(٣) طه ٢٠ ـ ٤٤.

أن التنـوين في آخره، فحـذفت الياءُ، وبقيت الكسـرة تدل عليهـا، ويجوز في الكلام أربعة أوجه. فأما في القرآن فـالكسر وحـذف الياءِ لأنـه أَجْوَد الأَوْجُـهِ. وهو إجماع القراءِ، فالذي يجوز في الكلام أن تقول «يَا قَوْمِ إنكم» كما قريءَ في القرآن، ويجوز يا قومِي باثبات الياءِ و سكونها، ويجوز يـا قوْمِيَ بتحـريك الياءِ، فهذه ثلاثة أوجه في الإضافة، ويجوزُ يا قومُ بضمّ الميم على معنى يا أيها القوم.

ومعنى قوله ﴿ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ باتِّخَاذِكُم العِجْلَ﴾.

يقـال لكل من فعـل فعلاً يعـود عليـه بمكـروه إنمـا أسـأْت إلى نفسـك وظلمت نفسك، وأصل الظلم في اللغة وضع الشيءِ في غير موضعه، والعرب تقول: ومن أشبه أباه فما ظلم، معناه لم يقعْ لَهُ الشبه غيرَ مَوقعـهِ، ويقال ظلم الرجل سقاءَه من اللبن إذا شرب «منه» وسقي منه قبل إدراكه، وأرض مـظْلُومَةُ إذا حُفِـرَ فيها ولم يكن حفـر فيها قبـل، أو جاءَ المـطر بقربهـا وتخطاهـا، قال النابغة(١):

ألَّا الأَواريُّ لأيـاً مَـا أُبـيّـنُـهَـا والنُؤى كالحوض بـالمظلومـة الجَلَدِ

ومعنى قوله ﴿باتِّخاذُكُمُ العِجْلَ﴾ أي اتخذتمـوه إلهاً، ومعنى قـوله ﴿فتُوبوا إلى بَارِئكُمْ﴾ أي إلى خالقكم، يقال برأَ اللّٰه الخلق، فالبـارئ الخالق، والبريَّة والخَلق المخلوقـون، إلا أن البـريـة وقعت في أكثـر كـلامهم غيـر مهمـوزة -

(١) النابغة الذبياني. زياد بن معاوية. من قيس. أحد فحول الشعراء الجاهليين. إتصـل بالمنـاذرة كما اتصل بالغساسنة وله مع النعمان بن المنذر أقاصيص وكتب له اعتذارياته وهذه واحدة منها.

الأواري جمع الآرى. مربط الدابة. والنؤي ما يحفر حول الديـار ليجتمع فيـه ماء المطر. والأرض المظلومة الصلبة. وكذلك الجلد.

والبيت في ديوانه ص ٨٩ ـ وأنظر الأغاني ٩ ـ ١٦٢ وهي قصيدة طويلة أولهـا: يا دار ميـة بالعليـاء فالسند.

وأصلها ﴿أولئكَ هُمْ خيرُ البريَّةِ﴾[1] وأكثر القـراءةِ والكلاَمِ «البـريَّة» بغيـر همز، وقد قرأَ قومٌ «البَرِيئَةُ»[2] بالهمـز، والاختيار مـا عليه الجمهـور، وروي عن أَبي عمروٍ (بن العلاءِ)[3] أَنـه قرأَ إلى بـارِئْكَمَ بإسكـان الهمز، وهـذا رواه سيبويـه باختلاس الكسرة، وأَحسب أن الروايـة الصحيحة مـا روى سيبويـه فإنـه أَضبط لمَا رَوَى عن أَبي عمرو، والإِعْـراب أشبه بـالروايـة عن أبي عمرو لأَن حـذف الكَسـرة في مثلِ هَـذا وحذف الضم إنمـا يـأْتي بـاضـطرار مِنَ الشعـر، أَنشـد سيبويه - وزعم أَنه مما يجُوز في الشعر خاصة.

إذا اعْــوجَجْنَ قلت صـاحبْ قــوّمِ[4]

بإسكان الباءِ، وأَنشد أَيضاً:

فــاليـوم أَشْــربْ غَيْـرَ مستحقب إِثْــمـاً مــن الـلَّه ولا واغل[5]

فالكلام الصحيـح أَن تقول «يا صاحبُ» أَقبل، أَو يا صاحب[6] أَقبل ولا وجْهَ للإسكان، وكذلك «فاليوم أَشربُ» يا هذا وروى غير سيبويه هذه الأَبيـات على الاستقامة وما ينبغي أَن يكونِ في الكلام والشعر، رووا هذا البيت على ضربين:

رووا: فاليوم فَاشْرَبْ غير مستحقب.

---

(١) البينة ٩٨ - ٧.

(٢) فعيل بمعنى مفعول.

(٣) ليست في ك.

(٤) للعجاج اللسان (عوم) - الديوان ٦٤. كتاب سيبويه ٢ - ٣٢٥ يصف رحلة الإبل في الصحراء وبعده - بالدو أمثال السفين العوم.

(٥) لامرىء القيس من قصيدته:

قـولا لـدودان عـبـيـد الـعـصـا مـا غـرمكـم بـالأسـد الـبـاسـل

وقبله: حـلت لي الخـمـر وكـنـت امـرءا عـن شـربهـا في شـغـل شـاغـل

لأنه كان حرم على نفسه الشرب حتى يثأر لأبيه. والبيت في الخزانة ٣ - ٥٣٠: والخصائص ٢ - ٣١٧، ٣٤٠، وفي أمالي المرتضى ٢ - ١٠٦.

(٦) بحذف ياء المتكلم وكسر الباء.

ورووا أيضاً: فاليوم أسْقَى غيرَ مسْتَحْقب[1].

ورووا أيضاً: إذا اعوججن قلت صَاحِ قَوِّم.

ولم يكن سيبويه ليروي (إن شاءَ اللَّه)[2] إلا ما سمع إلا أن الذي سمعه هؤلاء هو الثابت في اللغة، وقد ذكر سيبويه أن القياس غير الذي رَوَى، ولا ينبغي أن يُقْرَأ إلا ﴿إلى بارِئِكُمْ﴾ بالكسر، وكذلك «عند بَارِئِكُمْ».

ومعنى ﴿فاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ امتحنهم اللَّه عزّ وجلَّ بأن جعل توبتهم أن يقتل بعضُهم بعضاً، فيقال إنهم صُفُّوا صَفَّيْنِ يقتل بَعضهم بعضاً، فمن قُتِل كان شهيداً، ومن لم يقتل فتائب مغفور له ما تقدم من ذنبه، ويقال إن السبعين الذين اختارهم موسى ﷺ لم يكونوا ممن عبد العجل، وإنهم هم الذين كانوا يقتلون[3]،والأول أشبه بالآية لأن قوله عزّ وجلَّ ﴿فاقتلوا أَنفسكم﴾ يدل على أنها توبَة عبدة العجل، وإنما امتحنهم اللَّه عزّ وجلَّ بهذه المحنة العظيمة لكفرهم بعد الدلالات والآيات العظام.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وإِذْ قُلْتُم يا موسى لَنْ نؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرةً فأَخذتكم الصَّاعِقَةُ وأَنْتُم تَنْظُرونَ﴾.

معنى ﴿جهرة﴾غير مُسْتَتِرٍ عَنَّا بشيءٍ، يقال فلان يجاهر بالمعاصي أيْ لا يسْتَتِر من الناس منها بشيءٍ، وقوله: ﴿فأَخذتكم الصاعقة﴾معنى الصاعقة ما يُصْعقون منه، أيْ يموتون، فأَخذتهم الصاعقة فماتوا.

الدليل على أنهم ماتوا قوله عزّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكم لعلَّكمْ تشْكرون﴾.

---

(١) احتقب الشيء واستحقبه أدخره أي ليس على إثم مدخر في شربي. والواغل الداخل على القوم في شرابهم أو طعامهم.

(٢) ليست في ك.

(٣) يقتلون من عبد العجل.

وفي هذه الآية ذكر البعث بعد موت وقع في الدنيا. مثل قوله تعالى: ﴿فأماته اللَّه مائة عام ثم بعثه﴾، ومثل قوله عزّ وجلّ:

﴿فقالَ لَهُم اللَّه مُوتـوا ثمَّ أَحْيَـاهُمْ﴾[1] وذلك احتجاج على مشركي العرب الذين لمْ يكُونوا مُوقنين بالبعث، فأتى النبي ﷺ بالأخبار عمن بعث بعد الموت في الدنيَا مما توافقه عليه اليهود والنصارى، وأرباب الكتب فاحتج عليهم ﷺ بحجة اللَّه التي يوافقه عليها جميع من خالفه من أهلِ الكتب.

وقوله﴿لعَلَّكُمْ تشْكُرُون﴾ أي في أنْ بَعَثَكُم بعد الموت، وأعلمكم أن قدرته عليكم هذه القدرة، وأن الإقالة بعد الموت لا شيءَ بَعدها[2]، وهي كالمُضْطَرةِ إلى عبادة اللَّه[3].

وقوله: ﴿وَظَلَّلْنا عَلَيْكُمُ الغمَامَ﴾.

سخر اللَّه لهم السحاب يظللهم حين خرجوا إلى الأرض المقدسة، وأنزل عليهم المَنّ والسَّلوى. و جملة المَنّ ما يمن اللَّه به مما لا تعب فيه ولا نَصَبَ وأهل التفسير يقولون إنَّ المن شيءٌ يسقط على الشجر حلو يشرب، ويقال أنه «التَّرَنْجِين»[4]، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: الكمأة من[5] المَنّ وماؤها شفاءٌ للعين، ومعنى المن على ما وَصفنا[6] في اللغة ما يمن اللَّه به من غير تعب ولا نصب، والسلوى طائر كالسُّمَاني، وذكر أنه كان يأتيهم من هذين ما فيه كفايتُهم.

---

(١) البقرة ٢ الآية ٢٥٩، ٢٤٣.

(٢) هذا العفو والإعادة إلى الحياة لا شيء يعدله.

(٣) المضطرة اسم فاعل بمعنى مجبرة وحاملة لهم على العبادة.

(٤) مادة لزجة حلوة تشبه العسل تسقط على الأحجار والشجر مائعة ثم تجمد فيجمعها الناس.

(٥) الكمأة اسم جنس جمعي واحدة كمء بغير تاء. وهو نبات صَحْراوي.

(٦) ك ما ذكرنا.

وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ طيّباتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

قالوا إن معناه من هذه الطيبات، وقالوا أيضاً مما هو حلال لكم.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وإذْ قُلْنا ادْخُلُوا هذه القريْةَ فكُلُوا منها حَيْثُ شئْتُم رَغداً﴾.

الرغد: الواسع الذي لا يُعَنِّي.

وقوله: ﴿وادْخُلوا البَابَ سُجَّداً﴾ أمِرُوا بأن يدخلوا سَاجِدين.

﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾: معناه وقولوا مسألتنا حطة، أي حط ذنوبنا عنا، وكذلك القراءة[1]، ولو قرىء حطةً كان وجهها في العربية كأنهم قيل لهم، قولوا احْطُطْ عَنّا ذنوبنا حطة. فحرفوا هذا القول وقالوا لفظة غير هذه اللفظة التي أُمروا بها، وجملة ما قالوا أنّه أمْرٌ عظيم سماهم اللّه به فاسقين.

وقوله: ﴿نغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزم جواب الأمر، المعنى أن تقولوا ما أُمرتم به نغْفرْ لكم خطاياكم، وقرأ بعضهم «نغْفرْ لكم خطِيئَاتِكمْ» والقراءة الأولى أكثر، فمن قال خطيئاتكمْ، فهو جمع خَطِيئة بالألف والتاءِ، نحو سفينة وسفينات، وصحيفة وصحيفات، والقِرَاءَة كما وصفنا﴿ نَغْفرْ لكم خطايَاكم﴾، والأصل في خطايا - خطائِئ فتجمع همزتان تقلب الثانية ياءً فتصير خطائي، فاعِلٌ - مثل «حطاعي»[2] ثم يجب أن تقلب الياءُ والكسرة إلى الفتحة والألف - فتصير خطاءَاً، مثل حطاعاً، فيجب بأن تبدل الهمزة ياءً، لوقوعها بين ألفين، لأن الهمزة مجانسة للألفات فاجتمعت ثلاثة أحرف من جنس واحد، وهذا الذي ذكرناه مذهب سيبويه ولسيبويه مذهب آخر أصله للخليل، وهو أنه زعم أن

---

(١) أي بالرفع.

(٢) مجرد كلمة للتمثيل لما آخره همزة قبلها حرف صحيح - وليس للكلمة معنى.

خطايا أصلها فعائل، فقلبت إلى فَعَالَى فكان الأصل عنده خطائى مثل خطائع - فاعلم - ثم قدمت[1] الهمزة فصارت خطائي مثل خطاعي، ثم قلبت بعد ذلك على المذهب الأول - وهذا المذهب ينقص في الإعلال مرتبة واحدة، واللفظ يَؤول في اللفظين خطايا.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً من السَّمَاءِ﴾ الرّجْز العذاب وكذلك الرّجْس - قال الشاعر[2].

كمْ رامنا من ذي عَديدٍ مُبْزِى حتى وقَمْنا كيده بالرجْز

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿بِمَا كَانُوا يَفسُقُونَ﴾.

أي تبْديلهم ما أُمروا به من أن يقولوا حطة. ويُقال فَسَقَ يفْسُق ويفسِقُ. ويفسُقُ على اللغتين[3] وعليها القراء، ومعنى الفَسْق الخروج عن القصد والحق وكل ما خرج عن شيء فقد فسق إلاَّ أنَّهُ خص من خرج عن أمر اللَّه بأن قيل فاسق، ولم يحتج إلى أن يقال فسق عن كذا، كما أنه يقال لكل من صَدَّق بشيء هو مؤمن بكذا ويقال للمصدق بأمر اللَّه مؤمن فيكفي، والعَرب تقول فسَقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾.

موضع ﴿إذْ﴾ نصْبٌ على ما تقدمه، كأنه قيل واذكر إذ استسقى موسى لقومه إلا أن ﴿إذْ﴾ لا يظهر فيها الإعراب لأنها لا تتم إلا بأن توصل، وجَميع ما

---

(١) كذا بجميع الأصول - وصحته فتحت الهمزة.

(٢) لرؤبة ديوانه ٦٤، والمبزي المتفاخر - من تبازى تظاهر بما ليس عنده، ومبز مذل مخز - كقوله
كذبتم ورب البيت يبزي محمد.
أي لا يخزي ولا يذل، والوقم - كبح الدابة. أي رددنا كيده. ووقفناه كما تصد الدابة الجامحة.

(٣) الضم والفتح. أي إن يفسق مضموم العين سواء ماضيه مفتوحها أو مضمومها.

لا يتم من هذه المهمة إلا بصلة لا يعرب لأنه بعض اسم ولا يعـرب إلا الاسم التام، ولكن إذْ كُسِرَت لالتقاءِ الساكنين. ومعنى استسقى، استـدعى أن يُسْقى قوْمُه، وكذلك استَنْصَرت استَدعَيْتُ النَّصْرة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فانْفَجَرَت مِنْـهُ اثْنَتا عَشْـرةَ عَيْناً﴾.

أكثر القراءَ ﴿اثنتاعشْرَة﴾ بإسكان الشين، ولغة أُخرى «اثنتا عَشِرة» عينـا ـ بكسـر الشين ـ وقد قـرأ بعض القراءِ عَشِـرَةَ ـ على هذه اللغـة، وكلاهمـا جيد بالغ ـو﴿عيناً﴾ـنصب على التمييز، وجمع ما نصب على التمييز في العدد على معنى دخـول التنوين، وإن لم يـذكر في عشـرة، لأن التنوين حـذف هَهُنا مـع الإعراب[١] ومعنى قول الناس عندي عشرون درهماً معنـاه عندي عشـرونَ من الـدراهم، فحُـذف[٢] لفظ الجمـع ـ و «مِنْ» هـذه التي خَلَصَ بهـا جِنسٌ من جِنس وعبـر الواحـد عن معنى الجمع، فهـذا جملة ما انتصب من العـدد على التمييز.

وفي التفسيـر أنهم فجَّرَ اللَّه لهم من حَجَـرٍ اثنتيْ عَشْرَةَ عينـاً لاثْنَي عَشَرَ فريقاً، لكل فريق عين يشربون منها، تتفجر إذا نزلوا فـإذا ارتحلوا غارت العين وحَمَلوا الحجر غير متفجر منه ماءً.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿قَدْ عَلِمَ كلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهم﴾.

كـان يتفجر لهم المـاءُ من اثْنَيْ عشر مـوضعـاً لا يختلف في كـل منـزل فيعلم كل أُناس مشربهم.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَعْثَوْا في الأرض مُفسِدِينَ﴾.

---

(١) عشرة في موضع الإضافة ـ لكنها مبنية على الفتح للتركيب.

(٢) في الأصل «فحذفت» أي الناس.

يقال عثا بَعثا عَثْواً وعُثُوًّا. والعَثْوُ أشد الفساد(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا ممَّا تُنبِتُ الأَرْضُ﴾.

يخرج مجزوم وفيه غير قول:

قال بعض النحويين المعنى سَله وقل له أخرِج لنا يخرج لنا (هو)(٢) وقال في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣) قالوا(٤): المعنى قل لهم قولوا التي هي أحسن أنْ يقولوا. وقال قوم: معنى ﴿يخرج لنا﴾ معنى الدعاء كأنه قال: أخرج لنا، وكذلك ﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾(٥) «المعنى قل لعبادي أقيموا»، ولكنه صار قبله «أُدْعُ» و «قل»(٦) فجعل بمَنزلة جواب الأمر.

وكلا القولين مذهب، وَلكنه على الجواب أجود لأن ما في القرآن من لفظ الأمر [الذي] ليس معه جَازم - مَرفوع قال الله - عزّ وجلّ -﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله﴾. ثم جَاءَ بعد تمام الآية ﴿يَغفِرْ لكُم﴾ المعنى آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا يَغفِرْ لكُم(٧).

---

(١) يقال عثا عَثْواً، وعَثى عثواً. والفعل فيهما واوي اللام، ويأتي الفعل يائياً فيقال: عثى يَعثَى عَثْياً وعِثياً وعثياناً. ونادراً يقال عثا يعثى - بفتح العين فيهما - ووجه ندرته أو شذوذه أنه ليست عينه ولا لامه حرفاً حلقياً. والآية من عثى يعثي عثواً. بوزن فهم. وهي اللغة الأجود في هذه المادة. أما عثا يعثو الواوي فيقال في إسناده لواو الجماعة: لا تعثوا. بضم ما قبل الواو، والفعل معناه أشد الإفساد.

(٢) ط فقط.

(٣) الإسراء ١٧/٥٣.

(٤) أعاد الضمير على بعض النحويين مرة مفرداً ومرة جمعاً.

(٥) إبراهيم ١٤/٣.

(٦) سبقه «ادع» في الآية التي معنا. وقُلْ في الآيتين الأخريين.

(٧) لكي نوضح هذه المسألة بعض التوضيح نذكر أنه من المقرر نحوياً أنه إذا وقع المضارع بعد طلب وليس به فاء، جزم الفعل، وذكر النحويون لهذا الجزم عللا مختلفة، وفي الآية التي معنا وأمثالها =

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ بَقْلِها وقِثائِها وفُومِهَا﴾.

في القِثّاء لغتان، يقال القُثّاءُ والقِثّـاءُ (يا هـذا)[1] و (قد)[2] قـرأ بعضهم قُثائِها بالضم، والأجود الأكثر وقِثّائها بالكسر، وفومهـا: الفوم الحنـطة، ويقال الحُبـوب وقال بعض النحـويين إنه يجـوز عنده الفُـومُ ههنا الثُّـوم، وهذا مـا لا يعرف أن الفوم الثوم، وههنا ما يقطع هذا[3]. محالٌ أن يطلب القوم طعـاماً لا بُرَّ فيه، والبُرّ أصل الغـذاءِ كله، ويقال فـوّمُوا لنـا، أي اخْبِزُوا لنـا. ولا خلاف عند أهل اللغة أن الفُوم الحنطة، وسائر الحبوب التي تخبز يلحقها اسم الفوم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَتَسْتَبْدِلُون الَّذِي هُوَ أَدْنَى بالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.

يعني أن المن والسلوى أرفع من الذي طلبتم، و﴿أدنى﴾ القراءَة فيه بغير الهمز[4] وقد قرأ بعضهم «أَدْنأُ» بالذي هو خير، وكلاهما لـه وجه في اللغـة إلا أن ترك الهمزة أولى بالاتباع. أما ﴿أَدْنى﴾ غير مهمـوز، فمعناه الـذي هو أقـرب

كالآيتين اللتين أوردهما المؤلف اختلفت تقديراتهم، لأن المضارع المجزوم في هذه الآيات لا يترتب على الأمر السابق عليه، مع أن شرط الجزم أن يقصد بالمضارع أنـه جواب للطلب السـابق، ففي هذه الآية لا يترتب على الدعاء إخراج الأرض، وفي الآيتين الأخريين لا يترتب على القـول إقامـة الصلاة ولا قول التي هي أحسن، ولا يصح أي منها مقولاً للقول. فمن النحـويين من قـدر فعلاً محذوفاً فجعـل التقديـر: قل لهم. أقيمـوا الصلاة يقيمـوا، وفي آيتنا: ﴿أدع لنا ربك﴾ قائلاً أخـرج يخـرج، ومنهم من قدر لام أمـر محذوفـة، فيكون التقـدير، أدع ربـك فليخرج وقـل لهم فليقيموا الصلاة، وليقولوا التي هي أحسن، فيكون مقول القول محكياً بالمعنى.

وقد أورد المصنف رأيين، ورجح جزم الفعل في جواب الطلب، لأن المضارع إذا كـان مقصوداً بـه الطلب وليس به لام لا يجزم وهذا حق إذا جرينا على أن الفعل المذكور هو الدال على الطلب أمـا إذا جرينا على أن الفعل الدال على الطلب محذوف فهذا المذكور جوابه.

(١) ليست في ك.

(٢) ليست في ك.

(٣) ما يبطل هذا القول.

(٤) همز آخره «أدنأ».

وأَقـل قيمة، كمـا تقول، هـذا ثوب مقـارب، فأَمـا الخَسيس فاللغـة فيـه (أَنـه مهمـوز، يقال)[1] دنُـوءَ، دَنـاءَةً، وهـو دَنِيءٌ بـالهمـزة، ويقـال هـذا أَدْنـأُ منـه (بالهمزة)[2].

وقوله عزَ وجلَّ: ﴿اهْبطُوا مِصْراً﴾ الأَكثر في القراءَة إثبـات الأَلف[3]. وقد قرأَ بعضهم «اهبطوا مصـرَ فإِنَّ لكُمْ» بغيـر أَلف، فمن قـرَأَ مصـراً بـالأَلف فله وجهان: جَائِـزٌ أَنْ يراد بهـا مصراً من الأمصـار لأنهم كانـوا في تيه، وجـائز أَن يكـون أَراد مصر بعينهـا، فجعل مصـراً اسماً للبلد. فصـرف لأنه مـذكر سمي مذكراً[4] وجائز[5] أن يكون مصر بغير أَلف على أَنه يريد مصراً بعينها كمـا قال عزّ وجَلَّ:

﴿ادخُلوا مِصْرَ إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[6]. وإنما لم يصرف لأنه للمدينـة فهو مذكر سمي به مؤنث[7].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِلَّةُ والمسْكنةُ﴾.

﴿الذلة﴾: الصغار، ﴿والمسكنة﴾: الخضوع، واشتقاقـه: من السكون، إنمـا يقال مِسْكين للذي أَسكنه الفقر، أَي قلَّلَ حركته.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وضُرِبتْ عليهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكنةُ﴾ ﴿وباءوا بغضب من الله﴾

---

(١) ط دنى ودناءة.

(٢) ليست في ك.

(٣) أي تنوين كلمة مصر.

(٤) ك «سمي به مذكر» والمراد أنه اسم لبلد مذكر وعلى أنه اسم لمدينة يجوز صرفه أيضـاً، لأنه ثـلاثي ساكن الوسط.

(٥) ك ومن قرأ بغير ألف فإنما يريد مصراً بعينها.

(٦) يوسف ٩٩/٣١.

(٧) أي أن كلمة مصر اسم لأي مصر من الأمصار وأطلقت على مدينة بعينها.

يقال بؤت بكذا وكذا أي احتملته[1].

وقوله جلّ وعزَّ: ﴿ذلك بأنَّهُمْ كانُوا يكفُرون بآيَاتِ اللَّهِ﴾.

(معنى)[2] ذلك واللَّهُ أعلم الغضب حل بهم بكفرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيقْتُلون النَّبيّين بغيْر الْحَقِّ﴾.

القراءَة المجمع عليها في النبيين والأَنبياءِ والبرِيَّة طرح الهمزة، وجماعة من أَهل المدينة يهمزون جَمِيعَ ما في القرآن من هذا [فيقرأون] «النبيئين بغير حق والانبياء».

واشتقاقه من نبَّأَ وأَنْبَأَ أي أخبر.

والأَجود ترك الهمْزة، لأَن الاستعمَال يُوجبُ أَنَّ ما كان مهموزاً من فعيل فجمعه فُعَلاء، مثل ظريف وظرفاء[3] ونبيءٍ ونُبَآءَ. فإذا كان من ذوات الياءِ فجمعه أَفْعلاءِ، نحو غني وأَغنياء، ونبي وأَنْبياء[4].

وقد جاءَ أَفْعِلاء في الصحيح، وَهُو قليل، قالوا خميس وأَخْمِسَاء وأَخمس، ونصِيبٌ وأَنْصِبَاءَ، فيجوز أن يكون نبي (مِن) أَنْبأْتُ مما ترك همزه لكثرة الاستعمال، ويجوز أَنْ يكون (من) نبَأَ ينْبُوءُ إذا ارْتفع، فيكون فعيلاً من الرفعة[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادُوا والنَّصارَى والصَّابئِينَ مَنْ

---

(١) يقال: باء بذنبه بوءا وبواء احتمله أو اعترف به، وباء بدمه أقر وباء دمه بدمه عدله والأصل باء بمعنى رجع، فتفسيره هنا بالاحتمال ليس عاماً.

(٢) ليست في ك.

(٣) أي يجمع على هذا الوزن، وظريف لا همز فيه وإنما هو وزن يقاس عليه ـ ومنه جريء، ووضيء وبريء.

(٤) وهو مطرد في الصحيح المضعف نحو شديد وأشداء وعزيز ولبيب وكفيف.

(٥) على الأول هو بمعنى مفعول وعلى الثاني بمعنى فاعل أي ذو رفعة.

آمن باللّه واليومِ الآخر وعمِل صَالِحاً فلهُم أجْرُهُمْ﴾.

لا يجوز أن يكون لأحد منهم إيمان إلا مع إيمانه بالنبي ﷺ ودليل ذلك قوله عز وجل: ﴿الذين كفروا وصَدّوا عن سبيل اللّهِ أضلَّ أعمالَهُم. والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزِّل عَلَى محمد، وهو الحقُّ مِن ربّهم[كَفَّرَ عَنْهُمْ سيئاتهم]﴾[1]. فتأويله[2] من آمن باللّه واليوم الآخر وآمن بالنبي ﷺ فلهم أجرُهم. وجاز أن يقال فلهم لأن مَنْ لفْظُها لفظُ الوَاحِدِ وتقع على الواحد والاثنين والجمْع والتأنيث والتذكير، فيحمل الكلام على لفظها فيُوحّد ويذكر، ويحمَل على معناها فيُثنَّى ويجْمَعُ ويؤنث.

قال الشاعر[3]:

تعال فإن عَاهدْتني لا تخونُني نكنْ مثل من - يا ذِئْبُ - يصْطحِبَان

وهادوا أصلِه في اللغة تابوا، وكذلك قوله عزّ وَجلَّ: ﴿أَنَّا هُدْنا إليك﴾[4] أي «تُبْنا إليْك». وواحد النصارى قيل فيه قولان: قالوا يجوز أن يكون واحدُهمْ نصْران (كما ترى)[5] فيكون نصران ونصارى على وزنِ ندْمَان وندامى -

قال الشاعر:

---

(١) القتال ٤٧/١، ٢.

(٢) تأويل الآية التي معنا هنا.

(٣) الفرزدق أبو فراس همام بن غالب رأس الشعراء الأمويين توفي سنة ١١٠ هـ.
ورواية البيت في الديوان ٨٧٠ وفي المقاصد ١ - ٤٦ تعش وكذا في أمالي ابن الشجري ٢ - ٣١١: وفي المغني ٦٤١، والبيت شائع متداول في كتب النحو - من قصيدة وصف فيها ذئباً جاء إلى ناره ليلا فقدم له الفرزدق قطعة من شاة، ومنع أصحابه من طرده.

(٤) الأعراف ١٥٦/٧. وتفسير هادوا - بالتوبة إنما هو تفسير المعنى اللازم. إذا المعنى اللغوي لهاد هو رجع - وهدنا إليك: رجعنا إليك بالتوبة.

(٥) ليست بالأصل.

فكِلْتاهُمَا خـرّت وأَسْجَـد رَأْسُهـا   كمـا سَجَدت نِصْرانـةٌ لَمْ تَحنَّفِ[1]

فنصرانةٌ تأْنيث نصرانٍ، ويجوز أَن يكون النصارى واحدهم نصْرى مثل بعيـر مَهْرِي، وإبـل مَهارى. ومعنى ﴿الصابئين﴾ الخـارجين من دِين إلى دين، يقال صبا فـلان إذا خرج من دينـه ـ يصبأُ ـ يـا هذا ـ ويقـال صبأَت النجـوم إذا ظهرت وصبأَ نابه إذا خرج.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فَلَا خوْفٌ عَلَيْهمَ ولا هُمْ يَحْزنُون﴾.

القراءَة الجيدة الرفع، وكذلك إذا كـررت «لا» في الكلام قلت لا رجـلٌ عنـدي ولا زيْدٌ، و ﴿لا فِيهـا غـوْلٌ ولا هم عَنْهـا يُنـزفُـون﴾[2] وإن قـرئَ فـلا خوفَ عليهم فهو جيد بالغ الجودة وقد قـرئَ به.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وإِذْ أَخذْنَا مِيثَاقَكمْ ورفَعْنَا فَوْقَكم الطُّورَ﴾.

المعنى واذكـروا إذ أَخذنـا ميثاقكم، والـطور ههنا الجبـل ومعنى أَخذنـا ميثـاقكم: يجوز أَن يكـون ما أَخـذه اللَّه عزّ وجَـلَّ حين أَخرج النـاس كالـذر، ودليل هذا قولـه: ﴿وإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كأَنَّـه ظُلَّةٌ﴾[3] ثم قال من بعـد تمامْ الآية: ﴿وإذ أَخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾ فهذه الآية كالآية التي في البقرة. وهو أَحسن المذاهب فيها، وقد قيل أَن أَخذ الميثاق هـو ما أَخـذ، اللَّه من الميثاق على الرسل ومن اتبعهم، ودليله قوله عزّ وجلَّ: ﴿وإذ أَخَذَ اللَّهُ ميثَاقَ النَّبيِّين لَمَا آتَيْتُكُم من كتابٍ وحِكْمَةٍ ثم جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَـدِّقٌ لَمَّا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ ولَتَنْصُرَنَّه﴾[4] فالأخذعلى النبيين ـ صلى الله عليهم وسلم ـ الميثاق يدخل

---

(١) هو أبو الأحرز الحماني ـ يصف ناقتين مجهودتين من السير حتى كلتا وانحنى رأساهما اعياء.
اللسان (حنف) سيبويه ٢/٢٧، ٢ ١٠٢ باريس.
(٢) الصافات ٢٣ ـ ٤٧.
(٣) الأعراف ٧ ـ ١٧١ ـ ١٧٢.
(٤) آل عمران ٣ ـ ٨١.

فيه من أتبعهم، ﴿وَرَفَعْنَا فوقَكُمُ الطُّورَ﴾ أي جئناكم بآية عظيمة، وهي أن الطور ـ وهو الجَبَلُ. رُفِع فوقَهم حتى أظلهم وظَنُّوا أنه واقع بهم، فأخبر اللَّه بعظَمِ الآية التي أروها بعد أخذ الميثاق. وأخبر بالشيءِ الذي لو عذبهم بعده لكان عدلاً[1] في ذلك، ولكنه جعل لهم التوبة بعد ذلك وقال ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ من بعد ذلك أي من بعد الآيات العظام. ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾.

أي لولا أنْ مَنَّ اللَّه عليكم بالتوبة بعد أن كفرتم مع عظيم هذه الآيات ﴿لكنتم من الخاسرين﴾.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾.

موضع ما نصب، و﴿ ما آتيناكم ﴾هو الكتاب الذيهو التوراة ومعنى خذوه بقوة، أي خذوه بجد واتركوا الريب والشك لما بان لكم من عظيم الآيات.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿واذْكروا ما فِيهِ﴾معناه ادْرُسُوا ما فيه وجاز في اللغة أن تقول خذ وخذا، وأصله أوْ خُذْ وكذلك «كل» أصله أوكل، ولكن خُذْ وكُلْ اجتمع فيهما كثرة الاستعمال والتقاءِ همزتين وضمة، فحذفت فاءُ الفعل وهي الهمزة التي كانت في أخذ وآكل فحذفت لِما وصفنا من كثرة الاستعمال واجتماع ما يستقلون.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُم الَّذِينَ اعْتَدَوا مِنْكم فِي السَّبْتِ﴾.

معنى ﴿علمتم﴾ هنا عرفتم، ومثله قوله عزّ وجَلَّ ﴿لا تَعْلَمُونهم اللَّه يعلمهم﴾[2] ومعناه لا تعرفونهم اللَّه يعرفهم، ومعنى﴿اعتدوا﴾ ظلموا وجاوزوا ما حُدَّ لَهم، كانوا أُمِرُوا ألا يصيدوا في السبت، وكانت الحِيتَانُ تَجْتَمِع لأمنها في

---

(١) أخبرهم بإعراضهم بعد هذه الآيات ـ ومع ذلك تفضل عليهم فلم يعاقبهم، ولو أنه أنزل عليهم عذاباً لكان ذلك جزاء عادلاً.

(٢) الأنفال ٨ ـ ٦٠.

السبت، فحبسوها في السبت وأَخذوها في الأَحد، فعدوا في السبت لأن صيدهم[1] منعها من التصرف، فجعل اللَّه جزاءَهم في الدنيا - بعدما أراهم من الآيات العظام بأَن جعلهم قردة خاسئين، معنى خاسئين مُبْعدِين يقال - خَسَأْتُ الكلب أَخسؤه خَسْئاً أَي بَاعدته وطردْته، وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكالاً لِمَا بَيْن يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾.

«ها» هذه تعود على الأُمة التي مسخت ويجوز أَن يكون للفَعْلَةِ[2] ومعنى ﴿لما بين يديها﴾ يحتمل شيئين من التفسير: يحتمل أَن يكون ﴿لما بين يديها﴾ لما أَسلفت من ذنوبها، ويحتمل أَن يكون ﴿لما بين يديها﴾ للأُمم التي تراها[3] ﴿وما خلفها﴾ مَا يكون بعدها، ومعنى قولك نَكَّلْت به، إِي جعلت غيره يَنْكُل أَن يفْعل مثل فعله، فيناله مثل الذي ناله.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَمَوْعِظَةً للمُتّقِينَ﴾ أَي يتعظ[4] [بها] أَهل التقوى فيلزمون ما هم عليه.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ المعنى واذكروا إِذ قال موسى لقومه، أُمروا بذبح بقرة يضرب ببعضها قتيل تشاجروا فِيمَنْ قَتَله، فلم يعلم قاتله، فأَمر اللَّه عزّ وجَلَّ بِضَرْب المقتول بعضو من أَعضاءِ البقرة، وزعموا في التفسير أَنهم أُمروا أَن يضربوه بالفخذ اليمنى، أَو الذنب، وأَحب اللَّه تعالَى أَن يُرِيَهمْ كيف إِحياء الموتى، وفي هذه الآية، احتجاج على مشركي العرب لأَنهم لم يكونوا مؤمنين بالبعث، فأَعلمهم النبي ﷺ هذا الخبر الذي لا يجوز أَنْ يَعْلمه إلا مَنْ قَرأَ الكُتُبَ أَو أُوحى إليه، وقد علم المشركون

---

(١) في ك صيدها. المعنى أن حبسهم الحيتان صيد لأنهم منعوها من الهرب.

(٢) المسخة التي أصابتهم.

(٣) المعاصرة لهم في هذا الوقت.

(٤) في ك يتعظها أي يتعظ بها.

أنَّ النبي ﷺ أُمِّيٌّ وأن أهل الكتاب يعلمون[1] ـ وهم يخالفونه ـ أن ما أخبر به من هذه الأقاصيص حق.

﴿قالوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً﴾، فانتفى موسى من الهزؤ[2]، لأن الهازىء جاهل لاعب فقال: ﴿أَعُوذَ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾ فلما وضح لهم أنه من عند الله ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ وإنما سألوا ما هي لأنهم لا يعلمون أن بقرةً يحيا بضرب بعضها ميِّت.

﴿قَالَ إِنَّه يَقول إِنَّها بقرةٌ لَا فَارِضٌ ولَا بِكْرٌ﴾.

ارتفع ﴿فارض﴾ بإضمار هي[3] ومعنى ﴿لا فارض﴾: لا كبيرة، ﴿ولا بكر﴾[لا صَغِيرة]. أي ليست بكبيرة ولا صغيرة، ﴿عَوَانٌ﴾ والعَوَانُ دون المُسِنَّة وفوق الصغيرة، ويقال من الفارض فرضت تَفْرِض فُروضاً ومن العوان قد عوَّنَتْ تُعَوِّن، ويقال حرب عوَان، إذا لم تكن أول حرب، وكانت ثانية، قال زهير:

إذا لَقِحَتْ حرب عَوانٌ مُضِرَّة ضروس تهز الناسَ، أنيابُها صُعْل[4]

ومعنى ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ بين البِكْر والفَارِض، وبين الصغيرة والكبيرة وإنما جَازَ بين ذلك، و «بين» لا يكون إلا مع إثنين أو أكثر لأن ذلك ينوب عن الجُمَل، فتقول ظننت زيداً قائماً، فيقُولُ القائل «ظننت ذلك»[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّك يُبَيِّن لَنَا مَا لَوْنُها﴾.

---

(١) في ط، ب يعلنون ذلك. وآثرنا رواية ك. لأن المفعول مذكور ولاستقامة المعنى.

(٢) تبرأ منه واستعاذ بالله.

(٣) فارض خبر لا والاسم محذوف. و «لا» ليست عاملة.

(٤) ديوانه ١١٢، لقحت الناقة حملت. ولقحت الحرب شبت ـ والحرب العوان التي تتكرر، وتنشب بعد أن كانت هدأت. والضروس العنيفة التي تطحن المتحاربين وتنهكهم والأنياب الصعل الطويلة. وصف الحرب بالطول والعنف، وأنها رهيبة مخيفة.

(٥) ك قد ظننت ذاك وقد ظننت ذلك.

موضع﴿ما﴾ رفع [بالابتداءِ] لأن تـأْويله الإستفهام كَقَـولِك: أدع لنـا ربك يبين لنـا أيَّ شيءٍ لونُهـا ومثله ﴿فلينظر أيُّهـا أزْكَى طعَامـاً﴾(١). ولا يجـوز في القراءَة ﴿أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها﴾، على أن يجعل ﴿ما﴾ لغواً(٢) ولا يقرأ القرآن إلا كَمَا قرأَتِ القُرَّاءُ المجمَعُ عَلَيْهِمْ في الأَخذ عنهم(٣).

﴿قَالَ إنَّه يَقُول إنَّهَا﴾: ما بعد القول من باب إنَّ مكسور أبداً، كأَنك تذكر القول في صدر كلامك، وإنمـا وقعت قلت في كلام العـرب أن يحكى بها مـا كان كلاماً يقوم بنفسه قبل دخولها فيؤدي مع ذكرهـا ذلك اللفظ، تقـول: قلت زيدٌ منطلق. كأَنك قلت: زيـد منطلق، وكـذلك إن زيـداً منطلق، لا إختـلاف بين النحـــويين في ذلك، إلا أن قـوماً من العـرب، وهم بَنُـو سُلَيم يجعلون باب قلت أجمع كباب ظننت، فيقولون: قلت زيداً منطلقاً، فهذه لغـة(٤) لا(٥) يجـوز أن يُوجَـد شيءُ مِنْهَا في كتـاب اللَّه عزّ وجـلّ، ولا يجوز قـال أنه يقـول إنها(٦)، لا يجوز إلا الكسر.

وأمـا قولـه عزّوجلّ: ﴿صَفْراءُ فَـاقعُ لَونُهَا﴾ فـاقع نعت لـلأصفر الشـديد الصفرة، يقال أصفر فاقع(٧) وأبيض ناصع وأحمر قانٍ، قال الشاعر:(٨)

يَسْقِي بهـا ذُو تـومتين كـأنمـا ... قـنـأَتْ أنـامِله مـن الفـرصـاد

---

(١) الكهف ١٩ ـ ١٩. (٢) فينصب لونها.

(٣) ك المجمع على الأخذ عنهم.

(٤) ك وهذه.

(٥) ك لا يوجد، ط لا يوجد منها في كتاب اللّه.

(٦) ط لا يجوز أنها بفتح أن.

(٧) في جميع النسخ أصفر ناصع.

(٨) الأسود بن يعفر ـ اللسان «قنأ»وقنأ اشتدت حمرته، والتومة اللؤلؤة أو الدرة. والفرصاد صبغ أحمر وفي اللسان ـ توم ـ البيت للأشعث بن سهم وهو في شواهد المغني ص ١٣٨ منسوباً للأسود. أنظر أخبار الأسود في الأغاني ١١ ـ ١٢٩ والخزانة ١ ـ ١٩٠ ـ ويروى يسعَى.

أي احمرت حمرة شديدة، ويقال أحمر قاتم وأبيض يقَقٌ، ولَهِق ولهاق، وأسود حالك، وحَلُوك وحلوكِيّ ودَجُوجي، فهذه كلها صفات مبالغة في الألوان، وقد قالوا إن صَفْراءَ ههنا سوداءَ.

ومعنى ﴿تَسُرّ النّاظِرينَ﴾أي تعجب الناظرين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرضَ ولا تَسْقِي الحَرْثَ﴾.

معناه ليست بذلول ولا مثيرة، وقوله: ﴿ولا تسقي الحرث﴾يقال: سقيته إذا ناولته فشرب، وأُسقيته جعلت له سقياً، فيَصِحُّ ههنا ولا تُسْقِي بالضّم.

وقوله: ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾.

أي ليس فيها لون يفارق لونها، والوَشيُ في اللغة خلطُ لون بلون وكذلك في الكلام، يقال وشيْت الثوب أَشِيه شِيَةً ووَشْياً، كقَوْلك وَديْت فلاناً أَدِيه دِيَةً، ونصب ﴿لاشية﴾ فيه على النّفْي، ولو قرئ لَاشيةٌ فيها لجاز، ولكن القراءَة بالنصب.

وقوله: ﴿الآنَ جِئْتَ بالحَقّ﴾.

فيه أربعة أوْجُهٍ حكى بعضَها الأخفشُ: فأجودها «قالوا الآن» بإسكان اللام وحذف الواو من اللفظ، وزعم الأخفش أنه يجوز قطع ألف الوصل ههنا فيقول:

قالوا: ﴿ألآنَ جئت بالحق﴾ وهذه رواية، وليس له وجه في القياس(١) ولا هي عندي جائز، ولكن فيها وجهان غير هذين الوجهين: وهما جيدان في العربية، يجوز «قالوا لآن» على إلقاءِ الهمزة(٢)، وفتح اللام من الآن، وترك

---

(١) ك: وليس له في القياس وجه: أي ليس للأخفش وجه يقيس عليه.

(٢) في هذا الوجه تحذف همزة الوصل فتحذف الواو ولالتقائها ساكنة مع اللام وتخفف اللام بالفتح ولكن لا ترد الواو.

الواو محذوفة لالتقاءِ السّاكنين، ولا يعتد بفتحة اللام. ويجوز: «قَالُوا لان جِيتَ بالحق»(١) ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا يَقْرَأَنَّ بحرف لم يقرأ به وإن كان ثَابِتاً في العربية.

والذين أظهروا الواو أظهروها لحركة اللام لأنهم كانوا حذفوها لسُكونها، فلما تحركت ردوها. والأجود في العربية حَذْفُها لأن قرأ ﴿ب تقول «الأحمر» ويلقون الهمزة فيقولون « لَحْمر» فيفتحون اللام ويقرأون ألف الوصل لأن اللام في نية السكون، وبعضهم يقولُ ـ «لَحْمَر» ولا يُقِرُّ أَلفَ الوصل يريد الأحمر.

فأما نصب ﴿الآن﴾ فهي حركة لالتقاءِ الساكنين(٢)، ألا ترى إنك تقول: أنا الآن أكرمك، ومن الآن فعلت كذا وكذا، وإنما كان في الأصل مبنياً(٣) وحرك لالتقاءِ الساكنين، وبنى [الآن] وفيه الألف واللام، لأن الألف واللام دخلتا بعهد غير متقدم. إنما تقول الغَلامَ فعل كذا [إذا] عهدته أنت ومخاطبتك، وهذه الألف واللام تنوبان عن معنى الإشارة، المعنى أنت إلى هذا الوقت تفعل، فلم يعرب الآن كما لا يعرب هذا(٤).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فادَّارَأْتُم فِيهَا﴾.

معناه(٥) فَتَدارَأْتُمْ فيها، أي تدافعتم، أي ألقى بعضكم على بَعْض، يقال درأتُ فلاناً إذا دَافعتُه، ودَاريْتُه إذا لاينته، ودَرَّيْته إذا خَتَلته، ولكن التاءَ أُدغمت فى الدال لأنهما من مخرج واحد، فَلمّا أُدغمت سكنت فاجتلبت لها ألف الوصل، فتقول: اداراً القوم أي تَدَافَع القَوْم.

---

(١) في هذا الوجه تبقى الواو ولا تحذف.

(٢) يقصد حركة اللام من الآن.

(٣) أي ساكناً.

(٤) هذا رأي له ولبعض النحويين وجمهورهم أن ﴿الآن﴾ ظرف معرب ناقص التصرف.

(٥) ك معنى فادارآتم: فتدارأتم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

الأجود في ﴿مخرج﴾ التنوين لأنه إنما هو لِمَا يستقبل أو للحَال، ويجوز حذف التنوين[1] استخفافاً فيقرأ، مخرجُ مَا كنتم تكتمون، فإن كان قُرئَ به وإلا فلا يخالَف القرآن كما شرحنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ البَقَرَ تَشَابَه عَلَيْنا﴾[2].

القراءَة في هذا على أوجه، فأَجْودها والأكثر ﴿تَشَابَهَ علينا﴾ على فتح الهاءِ والتخفيف، ويجوز «تَشَّابَه» علينا، ويَشَّابَه علينا ـ بالتاءِ والياءِ، وقد قرىء «إن البَاقِرِ يَشَّابَهُ عَلينا» والعرب تقول في جمع البقر والجمال. الباقر والجامل، يجعلونه اسماً للجنس، قال طرفة بن العبد:[3]

وجـامـلٍ خـوَّع مِنْ نِيْبِـه زجرُ المُعَلّى أُصُلا وَالسَّفيح

ويروي «مِنِي به» وهو أكثر الرواية، وليس بشيءٍ، وقال الشاعر:

ما لي رأيتك بعد عهدك موحشا خَلَقاً كحوض الباقر المتهدم[4]

وما كان مثل بقرة وبقر، ونخلة ونخل، وسحابة وسحاب، فإن العرب

---

(١) في ب، وط. النون.

(٢) كان ينبغي أن تذكر هذه الآية قبل ذلك، ولكن جاءت هكذا في جميع النسخ. والزجاج يفعل ذلك كثيراً. إذ يؤخر آية أو آيات عن موضعها.

(٣) طرفة بن العبد من بكر بن وائل ـ ربعي نبغ شاباً ومات شاباً وقد جرؤ على الهجاء من صغره حتى هجا الملك عمرو بن هند فدبر قتله في قصص معروف ـ والبيت في اللسان (جل) والخزانة ١ ـ ٤١٤ وملحق الستة ١٨٣.

الجامل الجِمَالُ ـ وخوع أضعف. النيب جمع ناب الجمل الذي انشق نابه والمعلي والسفيح: الإزلام تضرب لاستطلاع شأن السفر ـ يعني أن إبله هزلت لكثرة أسفاره. وأعاد الضمير مذكراً للاسم. ـ والازلام تضرب عند إرادة السفر.

(٤) يريد أنه هزل وذهب حسن منظره، فأصبح واهناً كالحوض الذي هدمته الأبقار بكثرة الشرب منه.

تذكره، وتؤنثه، فتقول هذا بقر وهـذه بقر، وهـذا نخل وهـذه نخل. فمن ذكَّـر فلأن في لفظ الجمع أن يعبر عن جنسه فيقـال: فتقول هـذا جَمْع، وفي لفـظه أن يعبر عن الفرقة والقطعة، فتقول هذه جماعة وهذه فرقة ـ قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه يُزْجِي سَحَـاباً ثـمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَـه﴾(1) فذكَّـر، وواحدتـه سحابـة، وقال: ﴿والنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾(2) فجمع على معنى جماعة، ولفظها واحد. فمن قرأ ﴿إن البقر تَشَّابه علَيْنَا﴾ فمعناه أن جمَاعةَ البقـر تَتشَابَـه عَلَيْنَا، فـأُدْغِمتِ التاءُ في الشين لقـرب مخرج التـاءِ من الشين، ومن قرأ تَشَّـابَهُ علينـا، أراد تتشـابـه فحذف التاءَ الثانية لاجتماع تاءَين كمـا قرىء ﴿لعلكم تَذَّكرون﴾ ومن قرأ يَشَّابَـه علينا ـ بالياءِ ـ أراد جنس البقر أيضـاً، والأصل يتَشَـابه علينـا، فأدغم التـاءُ في الشين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ منْ بَعَد ذَلِكَ﴾.

تأويل ﴿قست﴾ في اللغة غلظت ويبست وصلبت(3) فتأويل القسو في القلب ذهاب اللين والرحمـة والخضوع والخشـوع منه، ومعنى ﴿من بعد ذلك﴾ أي من بعـد إحياءِ الميت لكم بعضـو من أعضاءِ البقـرة، وهذه آيـة عظيمـة كان يجب على من يشاهدها ـ فشاهد بمشاهدتها من قدرة عزّ وجلّ ما يزيل كل شك ـ أن يلين قلبه ويخضع(4)، ويحتمل أن يكون ﴿من بعد ذلك﴾ من بعـد إحياءِ الميت والآيات التي تقدمت ذلك نحو مسخ القردة والخنازير ونحو رفع الجبل فوقهم، ونحـو انْبِجـاس المـاءَ من حجـر يَحْملونـه معهم، وإنمـا جـاز ﴿ذلك﴾ وهؤلاءِ

---

(1) سورة النور ٢٤ ـ ٤٢.

(2) سورة ق ٥٠ ـ ١٠.

(3) في ك غلظت ويبست وعتت فتأويله ذهاب اللين والرحمة من القلب.

(4) هذه عبارة ك. وفي النسخ الأخرى ـ كان يجب على من شاهد أن يؤمن بها فشاهد الخ. آثرنا هذه لتفادي ذكر مفعولين مختلفين.

الجماعة مخاطبون، ولم يقل ذلكم ـ ولو قال ذلكم كان جيداً[1] ـ «وإنما جاز أن تقول للجماعة بعد ذلك وبعد ذلكم»[2] لأن الجماعة تؤدي عن لفظها الجميع والفريق، فالخطاب في لفظ واحد، ومعنى جماعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فهِيَ كالحِجَارَةِ أو أَشَدّ قَسْوَة﴾.

وقد روي﴿أو أشدَّ قَسوة﴾ومعنى تشبيه القسوة بالحجارة قد بيناه، ودخول «أو» ههنا لغير معنى الشك ولكنها «أو» التي تأتي للإباحة[3] تقول: الذين ينبغي أن يؤخذ عنهم العلم الحسن أو ابن سيرين، فلست بشاك، وإنما المعنى ههنا: هذان أهل أن يؤخذ عنهما العلم، فإن أخذته عن الحسن فأنت مصيب، وإن أخذته عن ابن سيرين فأنت مصيب، وإن أخذته عنهما جميعاً فأنت مصيب، فالتأويل أعلموا أن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون أو بما هو أشد فأنتم مصيبون ولا يصلح أن تكون أو ههنا بمعنى الواو. وكذلك قوله: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً... أوكَصَيِّب﴾، أي إن مَثَّلْتَهمْ بالمستوقد فذلك مثلهم، وإن مثلتهم بالصَيِّبِ فهو لهم مثلٌ وقد شرحناه في مكانه شرحاً شافياً كافياً إن شَاءَ اللَّه»[4].

فمن قرأ ﴿أشد قسوة﴾ رفع أشد بإضمار هي كأنه قال: أو هي أشد قسوة، ومن نصب ﴿أوأشدَ قسوة﴾ فهو على خفض في الأصل بمعنى الكاف، ولكن أشد أفعل لا ينصرف لأنه على لفظ الفعل، وهو نعت ففتح وهو في

---

(١) ك جيداً بالغاً.

(٢) عبارة لا حاجة إليها قد تقدمت.

(٣) الأقرب أنها هنا للإضراب: أي كالحجارة بل هي أشد.

(٤) تقدم هذا الشرح عند آية أو كصيب من السماء ص ٩٦. وليس المراد هنا أن قلوبهم أما مثل الحجارة وإما أشد. بل الأخبار أنها أقسى من الحجارة، بدليل الآية التالية. وما قرره ص ١٣٠. في الصفحة التالية.

موضع جر - ويجوز في قوله تعالى ﴿فهي كالحجارة﴾ ﴿فَهْي﴾ كالحجارة - بإسكان الهاءِ - لأن الفاءَ مع هي قد جَعَلَتْ الكلمة بمنزلة فخذ[1]، فتحذف الكسرة استثقالاً، وقد روى بعض النحويين أنه يجوز في «هي» الإسكان في الياءِ من «هي» ولا أعلم أحداً قرأ بها، وهي عندي لا يَجوزُ إسكانها ولا إسكانُ الواو في هو، لا يجوز «هو ربَكُمْ» وقد روى الإسكان بعضُ النّحويين وهو رديءٌ لأن كل مضمر فحركته - إذا انفرد - الفتح، نحو أنا رَبكم، فكما لا تسْكن نون أنا لا تسْكن هذه الواو.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنَّ مِنَ الحِجَارةِ لَمَا يَتفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ﴾.

بيّن عزّ وجلّ كيف كانت قلوبهم أنها أشد قسوة وأصلب من الحجارة وأعلم أن الحجارة تتفجر منها الأنهار، ومنها ما يشَّقَّقُ فيخرج منه الماءَ يعني العيون التي تخرج من الحجارة ولا تكون أنهاراً، ومنها ما يهبط من خشية اللَّه»[2] فقالوا إن الذي يهبط من خشية اللَّه نحو الجبل الذي تجلى اللَّه له حين كلم موسى عليه السلام، وقال قوم إنها أثر الصنعة التي تدل على أنَّها مخلوقة، وهذا خطأ، لأن ليس منها شيء ليس أثر الصنعة بينا في جميعها[3] وإنما الهابط منها مجعول فيه التميز كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنا هَـذا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خشيةِ اللَّهِ﴾[4] وكما قال: ﴿أَلَمْ ترَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجد له مَن في السَّمواتِ﴾. ثم قال: ﴿والنُّجُومُ والجِبَال﴾[5] فأعلم أن ذلك

---

(١) جعلت بمنزلة كلمة واحدة وسطها حرفُ حلقي.

(٢) لم يذكر النص القرآني. إنما فسر مضمونه - والآية هي:

﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله﴾.

(٣) جملة غير جيدة لخلو الخبر من الرابط - والأصل ليس شيء، منها ليس أثر الصنعة بينا فيه - أي كل الحجارة بها أثر الصنعة.

(٤) الحشر ٥٩ - ٢١.

(٥) الحج ٢٢ - ١٨.

تمييز أراد اللَّه منها، ولو كان يراد بذلك الصنعة لم يقل وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب، لأن أثر الصنعة شامل للمؤمن وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾.

هذه الألفُ الف استِخبارٍ، وتجري في كثير من المواضع مجرى الإنكار والنهي إذا لم يكن معها نفي، كأنه أيئسهم من الطمع في إيمان هذه الفرقة من اليهود، فإذا كان في أول الكلام نفي، فإنكار النفي تثبيت نحو قوله عز وجلّ: ﴿أَلم يَأْتِكُمْ نذِيرٌ قالوا بلى﴾. «فجواب» ﴿أفتطمعون﴾ «لا» كما وصفنا[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ كان فرِيقٌ منهم يَسْمَعون كلام اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَه مِنْ بَعْدِ مَا عَقلُوه﴾.

يروى في التفسير أنهم[٢] سمعوا كلام اللَّه لموسى عليه لسلام فحرفوه فقيل في هؤلاءِ الذين شاهدهم النبي ﷺ أنهم كفروا وحرفوا فلهم سابقة في كفرهم.

وقوله عزّ وجلّ ﴿وإذا خلاَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالُوا أَتُحَدِّثُونهُمْ بمَا فتحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

المعنى أتخبرونهم بأن النبي ﷺ ذكرُه موجود في كتابكم وَصِفتهُ[٣].

﴿ليحاجوكم به عند ربكم﴾ أي لتكون لهم الحجة في إيمانهم بالنبي ﷺ عليكم، إذ كنتم مُقَرِّينَ به تخبرون بصحة أمره من كتابكم فهذا بين حجته عليكم عند اللَّه.

(١) لأنه لا نفي مع الاستفهام، فلا يجوز استعمال بلى.

(٢) في ك يسمعون.

(٣) ك صفته، وبقية النسخ.. «وصفه».

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾أي أفلا تعقلون حجة اللّه عليكم في هذا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾.

معنى الأُمِّي في اللغة المَنسوب إلى ما عليه جِبِلَّةُ أُمَّتِه، أي لا يكتب فهو في أنه لا يكتب ـ على ما ولد عليه، وارتفع﴿أُمِّيُّون﴾بالابتداء و﴿مِنهُم﴾ الخبر(١) ومن قول الأخفش يرتفع أُميون بفعلهم، كان المعنى واستقر منهم أُميون(٢).

ومعنى ﴿إلا أَمَانِيَّ﴾ قال الناس في معناه قولين: قالوا معناه لَا يعلمون الكتاب إلا تلاوة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذَا تمنى أَلقى الشيطان في أُمنيته﴾(٣). أي إذَا تلا أَلقى الشيطان في تلاوته. وقد قيل الأماني أكاذيب العرب، تقول أَنت إنما تتمنى هذا القول أي تَخْتَلِقُه.

ويجوز أَن يكون آماني منسوباً إلى القائل إذا قال ما لا يعلمه فكأَنه إنما يتمناه، وهذا مستعمل في كلام الناس، تقول للذي يقول ما لا حَقِيقَةَ لَهُ وهو يُحِبُّه: هذا مُنًى، وهذه أُمْنِيَّةٌ.

وفي لفظ أَماني وجهان: العرب تقول هذه أَمَانٍ وأَمَانِيٌّ ـ يا هَذا ـ بالتشديد والتخفيف، فمن قال أمانيٌّ بالتشديد فهو مثل أُحْدُوثة وأَحاديث، وقرقورة وَقراقير(٤)، ومن قال أَمان بالتخفيف [فهو مما] اجتمعت فيه الياءان أكثر لثقل الياءِ،

---

(١) إعراب غير جيد لأن المعنى حينئذ الأميون منهم وهذا ليس بشيء إنما صحته أن يكون «منهم» هي المبتدأ «أميون» هي الخبر ومن اسم بمعنى بعض والمعنى بعضهم أميون،ومثله ﴿ومن الناس من يقول آمنا ومنهم الفاسقون﴾.

(٢) أي أن الأخفش يجاري الكوفيين في هذا الإعراب.

(٣) الحج ٢٢/٥٢.

(٤) نوع من السفن أو هي العظيمة.

والعـرب تقول في أثفيـة أثافيّ وأثـافٍ، والتخفيف أكثر لكثـرة استعمالهم أثـاف، والأثافي الأحجار التي تجعل تحت القدر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فويْلٌ لِلَّذين يَكْتُبونَ الكتابَ بأَيْدِيهِمْ﴾.

الـويل في اللغـة كلمة يستعملهـا كل واقـع في هلكة ـ وأصله في العـذاب والهلاك، وارتفع ويل بالابتداءِ وخبره ﴿لِلَّذين﴾ ولو كان في غير القرآن لجاز فويلاً للذين على معنى جعل اللّه ويلاً للذين[1]، والرفع على معنى ثبوت الويل ﴿لِلَّذين يَكتُبُون الكِتَابَ بأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يقُولُون هَذَا مِنْ عِندِ اللَّه لِيَشترُوا بِه ثمَناً قليلاً﴾.

يقال إن هذا في صفة النبي ﷺ، كتبوا صفتـه على غـير ما كـانت عليه في التوراة، ويقال في التفسير أنهم كتبوا صفته أنه آدم طويل، وكانت صفته فيها أنه آدم ربعة[2]، فبدَّلَوا فألزمهم اللّه الويل بما كتبت أيديهم ومن كسبهم على ذلك[3]، لأنهم أخذوا عليه الأموال وقبلوا الهدايا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إلاَّ أَيَّـاماً مَعْدُودَةً﴾.

﴿تمسنا﴾ نصب بلَنْ، وقد اختلف النحويون في علة النصب بلن، فرُوِي عن الخليل قولان أحدهما أنها نصَبت كما نصبت «أن» وليس ما بعدها بصلة لَهَا[4]، لأن «لَنْ يَفْعَـلَ»، نفي «سيفعل» فقـدم[5] ما بعـدها عليهـا، نحو قـولـك زيـداً لن

---

(١) على هذا التقدير هي مفعول بـه، والأولى أن يقدر فعـل مناسب يجعلهـا مفعـولاً مطـلقاً مثل أعذب وأتوعد ونحوه.

(٢) ليس بالطويل ولا بالقصير.

(٣) أي بسبب كسبهم على ذلك قال: وويل لهم مما يكسبون.

(٤) لا تؤول معه مصدراً كما تؤول «أن».

(٥) فجاز في الكلام تقديمه.

أضرب، كما تقول زيداً لم أضرب، وقد روى سيبويه عن بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنه قال: الأصل في «لن» لا أن ولكن الحذف وقع استخفافاً، وزعم سيبويه أن هذا ليس بجيد، لو كان كذلك لم يجز زيداً لن أضرب[1]، وعلى مذهب سيبويه جميع النحويين وقد حكى هشام[2] عن الكسائي في «لن» مثل هذا القول الشاذ عن الخليل. ولم يأخذ به سيبويه، ولا أصحابه.

ومعنى ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ قالوا إنَّما نُعَذَّبُ لأننا عبدنا العجل أياماً قيل في عددها قولان، قيل سبعة أيام وقيل أربعون يوماً، وهذه الحكاية عن اليهود، هم الذين قالوا: ﴿لَنْ تَمَسَّنا النّارُ إلا أَيّاماً معْدُودَةً﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُل أَتَّخَذْتُمْ عنْد اللَّهِ عَهْداً﴾بقطع الألف هي تقرأ على ضربين: أتخذتم ـ بتبيين الذال، واتخُّتم بَإدغام الذال في التاءِ[3]، والألف قطع لأنها ألف استفهام وتقرير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿عِنْد اللَّهِ عَهْداً﴾المعنى عهد اللَّه إليكم في أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فلنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾.

أي إن كان لكم عهد فلن يخلفهُ اللَّه، أم تقولون على اللَّه ما لا تعلمون

---

(١) لأن مفعول المنصوب بأن لا يتقدم على الفعل (الصبان على الأشموني ٣ ـ ١٨٢).

(٢) هشام بن معاوية الضرير ـ من مشهوري أصحاب الكسائي له مؤلفات نحوية مفيدة توفي سنة ٢٠٩ هـ البغية ٤٠٩.

(٣) تقلب الذال دالاً ثم تدغم الدال في التاء.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿بَلَى مَنْ كسَبَ سيئةً﴾ رداً[1] لقولهم: ﴿لن تمسَّنا النار إلا أياماً معدودة﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَحَاطتْ بِهِ خَطيئَتُه فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خالِدُون﴾.

فألحق في هذه الآية والاجماع أن هذا لليهود خاصة لأنه عزّ وجلّ في ذكرهم[2]، وقد قيل: ﴿من كسب سيئة﴾، الشرك بالله وأحاطت به خطيئته: الكبائر، والذي جرى في هذه الأقاصيص إنما هو إخبار عن اليهود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ أَخَذْنَا ميثَاق بَنِي إِسْرائِيلَ لَا تَعْبُدونَ إلَّا اللَّهَ﴾.

القراءَة على ضربين، تعبدون ويعبدون بالياءِ والتاءِ[3] وقد روي وجه ثالث لا يؤخذ به لأنه مخالف للمصحف ـ قرأ ابن مسعود: لا تعبدوا. ورفع لا تعبدون بالتاء على ضربين، على أن يكون ﴿لا﴾ جواب القسم لأن أخذ الميثاق بمنزلة القسم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وإِذَ أخذَ اللَّه ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتُبَيِّنُنَّه للناس﴾[4] فجاءَ جواب القسم باللام فكذلك هو بالنَّفْي بلا، ويجوز أن يكون رفعه على إسقاط «أن» على معنى «ألا تعبدوا» فلما سقطت أن رفعت، وهذا مذهب الأخفش وغيره من النحويين، فأما القراءَة بالتاء فعلى معنى الخطاب والحكاية كأنه قيل قلنا لهم لا تعبدون إلا اللَّه وأما لا يعبدون بالياء فإنهم غيبٌ[5]، وعلامة الغائب الياء.

---

(١) في الأصل «رد». على أنه خبر لمحذوف.
(٢) أي الآيات تتحدث عنهم. وهم موضوع الحديث.
(٣) في ك «بالياء والتاء يعبدون وتعبدون.
(١) آل عمران ٣ ـ ١٨٧.
(٢) غيب جمع غائب.

ومعنى أخذ الميثاق والعهد قد بيَّنَّاهُ قبل هذا الموضع[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

نصب على معنى وأحسنوا بالوالـدين إحسانـاً[2]، بدل من اللفظ أَحْسِنُـوا و﴿ذِي القُرْبَى﴾ و﴿اليَتامَى﴾: جمع على فعالى كما جمع أسير على أسارى، يقـال يَتِم يَيْتَمَ يُتْماً ويَتْماً إذا فقد أباه، هذا للإنسان فأمـا غيره فيتمـه من قبل أمـه. أخبرني بذلك محمد بن يزيد[3] عن الريـاشي[4] عن الأصمعي: إن اليتيم في الناس من قبل الأب وفي غير الناس من قبل الأم، والمساكين مأخوذ من السكون، واحدهم مسكين كأنه قد أسكنه الفقر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ فيهـا ثلاثـة أقوال حسْنـاً بالتنـوين وإسكـان السين، وحَسَنـاً بالتنـوين وفتح السـين، وروى الأخفش «حُسْنَى» غير منون.

فأما الوجهان الأولان، فقرأهما الناس، وهما جيدان بالغان في اللغة، وأما

---

(١) ص ١٤٨.

(٢) أي كلمة إحساناً أدت معنى أحسنوا.

(٣) هـو المبرد محمـد بن يزيـد بن عبـد الاكبـر أزدى من مشهـوري معلمي البصـرة وبغـداد آستـاد الزجاج.

أنظر البغية ـ ١١٦، الوفيات ١ ـ ٤٩٥، طبقات النحويين ١٠٨.

(٤) العباس بن الفرج من نحويي الطبقة السابعة من البصريين، كان أبوه مولى لرجل يقال لـه رياش فظل اسمه معه ـ اشتراه بعض الهاشميين وأعتقه قرأ على الأصمعي وأبي زيد وقرأ كتاب سيبويه على المازني. قال المازني قرأه على ـ وهو أعلم به مني. قتل في ثورة الزنج سنـة ٢٠٧. وقرأ المازني عليه اللغة ـ البغية. (٢٧٥ ـ ٢٧٦).

«حُسْنَى» فكان[1] لا ينبغي أن يقرأ به لأنه باب الأفعل والفعلى، نحو الأحسن والحسنى، والأفضل والفُضلى، لا يستعمل إلا بالألف واللام، كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ منّا الحُسْنَى﴾[2] وقال: ﴿للَّذينَ أَحْسَنوا الْحُسْنَى وَزِيَادة﴾[3] وفي قوله حسناً بالتنوين قولان: المعنى قولوا للناس قولاً ذا حسن، وزعم الأخفش، أنه يجوز أن يكون حُسْناً في معنى حَسَناً، فأما حُسَناً فصفة، المعنى قولاً حسناً، وتفسير: قولوا للناس حسناً «مخاطبة لعلماءِ اليهود» قيل لهم أصْدُقُوا في صفة النبي ﷺ.

﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ﴾.

اعلموا أنه قد أخذ عليهم الميثاق وعهد عليهم فيه بالصدق في صفة النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ توَلَّيْتُم إلَّا قَلِيلاً مِنكُمْ﴾.

يعني أوائلهم الذين أخذ عليهم الميثاق، وقوله ﴿وَأَنتُم مُعْرضون﴾ أي وأنتم أيضاً كأوائلكم في الإعراض عَمَّا عهد إليكم فيه، ونصب إلا قليلاً على الاستثناءِ، والمعنى استثني قليلاً منكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءِكُمْ﴾.

يقال سفكت الدم أَسْفِكُه سَفْكاً إذا صببته، ورفع لا تسفكون على

---

(١) ك فخطأ لا ينبغي.

(٢) الأنبياء ٢١ ـ ١٠١.

(٣) يونس ١٠ ـ ٢٦.

القسم، وعلى حذف أن كما وصفنا في قوله: ﴿لا تَعْبُدُون﴾ ومثل حـذف أن قول طرفة:

ألا أيهـذا الـزاجــري أَحْضرَ الـوغي   وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي[1]

وواحــد الـدمــاءِ دم ـ يَـا هَــذَا ـ مخفف، وأصله دَمَيٌ في قـول أكثـر النحويين، ودليل من قال إن أصله دمي قول الشاعر:

فَـلَو أَنَّـا عَـلى حَــجَـرٍ ذُبِـحْــنَـا   جَـرَى الـدَّمَيَــان بـالخَبَــر اليَقِين[2]

وقـال قوم أصله دمي إلا أنـه لما حـذف ورد إليـه مـا حـذف منـه حركت الميم لتدل الحركة على أنه استعمـل محذوفاً[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسكُمْ مِن دِيَارِكُمْ﴾.

عـطف على لا تسفكون دمـاءَكم، وقولـه: ثم أقررتم، أي إعتـرفتم بأن هذا أخذ عليكم في العهد وأخذ على آبـائكم، وأنتم أيها البـاقون المخـاطبون تشهدون أن هذا حق.

﴿ثُم أَنْتُم هَؤُلَاءِ﴾: الخـطاب وقع لليهـود من بني قـريـظة وبني النضيـر، لأنهم نكثـوا، فقتل بعضهم بعضـاً، وأخـرج بعضهم بعضـاً من ديـارهم وهـذ نقض عهدهم.

---

(١) من معلقة طرفة ـ وهو بالخزانة ١ ـ ٤٨، ٣ ـ ٥٩٤ ـ وأمالي ابن الشجري ١ ـ ٨٣ وفي معظم كتب النحو.

(٢) تقدم ذكره ص ١٣١.

(٣) وهو محكى عن سيبويه. اللسان (دم).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بالإِثْمِ والعُدْوَانِ﴾.

قرئت بالتخفيف والتشديد، ﴿تَظَاهَرون﴾ وتَظَّاهرون فمن قرأ بالتشديد فالأصل فيه تتظاهرون فأدغم التاءُ في الظاءِ لقرب المخرجين، ومن قرأ بالتخفيف فالأصل فيه أيضاً تتظاهرون فحذفت التاءُ الثانية لاجتماع تاءَين[1].

وتفسير﴿تظاهرون﴾تتعاونون،يقال قد ظاهر فلان فلاناً إذا عاونه منه قوله، ﴿وكان الكافِرُ على ربه ظهيراً﴾، أي معيناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بالإِثْم والعُدْوَانِ﴾.

العُدْوانُ الإفراطُ في الظُّلم، ويقَالُ عَدَا فلانٌ في ظلمه عدْواً وعُدُوًّا وعُدْواناً، وعداءً - هذا كله معناه المجاوزة في الظلم، وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا تَعْدُوا في السَّبْتِ﴾ إنما هومن هذا، أي لا تظلموا فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِنْ يأْتُوكم أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ﴾.

القراءَة في هذا على وجوه: أَسْرَى تَفْدوهم. وأَسْرى تُفَادوهم، وأُسَارى تفادوهم، ويجوز «أَسَارى» ولا أعلم أحد قرأ بها، وأَصل الجمع فُعالى. أَعلَم اللَّه مناقَضتهم في كتابه وأَنه قَد حرَّم عليهم قَتْلَهم وإِخْراجهم من ديارهم، وأَنهم يفادونَهم إذا أُسروا ويقتلونهم ويخرجونهم من ديارهم، فوبَّخهم فَقال:

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعلَ ذَلِكَ مِنْكُم إلَّا خِزْيٌ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني ما نال بني قريظة وبني النضير، لأَن بني النضير أُجْلُوا إلى الشام

---

(١) حذفت إحدى التاءين.

و (بني)[1] قريظة أُبيدوا[2] ـ حكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرارى فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾، ولغيرهم من سائر الكفار الخزيُ في الدنيا القتل وأخذُ الجزية مع الذلة والصغار، ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذَلك غيرُ مُكَفِّر عن ذنوبهم، وأنهم صائرون بعد ذلك إلى عذاب عظيم فقال ﴿ذلك لهم خزي في الدنيا﴾ ﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إلى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللَّهِ بغَافِلٍ عمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

ومعنى ﴿ثُمّ أَنْتُمْ هؤُلاَءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُم﴾.

﴿هؤلاءِ﴾ في معنى الذين، وتَقْتُلُونَ صلةٌ لهؤُلاءِ، كقولك ثم أنتم الذين تقتلون أنفسكم، ومثلُه قوله: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وهُوَ مُحَرَّم عَلَيْكُم إخراجُهُمْ﴾.

﴿هو﴾ على ضربين: جائز أن يكون إضمار الإخراج[4] الذي تقدم ذكره، قال: ﴿وتُخرجون فريقاً منكم من ديارهم﴾ وهو محرم عليكم إخراجهم. ثم بين لتراخي الكلام أن ذلك الذي حرم الإخراج[5] وجائز أن يكون للقصة، والحديث والخبر[6]، كأنه قال: والخبر محرم عليكم إخراجهم ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿قل هو اللَّه أحد﴾[7]. أي الأمر الذي هو الحق توحيد اللَّه

---

(١) ليست فى ك وهو معطوف على بني النضير.

(٢) ك. أ. بيروا.

(٣) سورة طه ٢٠ ـ ١٧ وهو تمثيل للموصول والآية بهذا تفيد القصر ولا معنى له، فالأولى أن تكون هؤلاء اسم إشارة.

(٤) في ك بإضمار الإخراج ـ والمعنى في الحالين أن الضمير بمعنى الإخراج، وهو مستبعد لسقامة الأسلوب.

(٥) أي لطول الفصل ويكون التقدير وإخراجهم محرم عليكم إخراجهم ـ فهي بيان للضمير.

(٦) أي هو ضمير الشأن.

(٧) سورة الإخلاص ١١٢ ـ ١.

عزّ وجلّ ﴿خِزْيَ﴾ يقَال في الشر والسوءِ خزي الرجل خِزْياً، ويقال في الحياءِ خزي يخزي خِزَايةً، ومعنى يردون إلى أشد العذاب، وعذاب عظيم، وعذاب أليم [أن] العذاب على ضَربين، على قدر المعاصي، والدليلُ على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَنْذَرتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى لا يَصْلاَهَا إلا الأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَولَّى﴾(١) فهذه النار الموصوفة ههنَا لا يدخُلها إلا الكفارِ.

وقوله: ﴿ولَقَدْ آتَيْنَا موسى الكِتَابَ﴾ يعني التوراة.

وقوله: ﴿وقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بالرُّسُل﴾: أي أرسلنا رسولاً يقفو رسولاً في دعائهِ إلى توحيد اللّه والقيام بشرائع دينه، يقال من ذلك فلان يَقْفو فلاناً إذا أتبعه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وآتَيْنَا عِيسَى بنَ مَرْيَمَ البَيِّنَاتِ﴾.

معنى﴿آتينا﴾ أعطينا، ومعنى﴿البَيِّنَات﴾الآيات التي يعجز عنها المخلقونَ مما أُعطيه عيسَى ﷺ من إحيائه الموتى وإبرائه الأَكمهَ والأَبرص.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَيَّدْنَاه بِرُوح القُدُسِ﴾.

معني أَيَّدنا، في اللغة قوينا، وشدَدْنا، قال الشاعر:(٢)

مِـن أن تبـدَّلْـتَ بـآد آدا

يريد من أن تبدلت بأيْدٍ آدا، يريد بقوة قوة ـ الآد والأَيْد القوة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِرُوح القُدْسِ﴾: روح القدس جبريل عليه السلام، والقدس الطهارة وقد بَيَّنَّاه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بمَا لا تهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرتُمْ﴾:

---

(١) سورة والليل ـ ١٠ ـ يريد أن هناك عذاباً أشد من عذاب.

(٢) العجاج ـ ديوانه ٧٦، اللسان «أيد».

نَصْبُ كلما كَنَصْبِ سائر الظروف، ومعنى استكبرتم أَنِفْتم وتعظَّمْتم من أن تكونوا أتباعاً، لأنهم كانت لَهم رياسة، وكانوا متبوعين فآثَرَوا الدنيَا على الآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَالُوا قُلوبُنَا غُلْفٌ﴾.

تقرأُ على وجهين غُلْف وغُلُف، وأَجود القراءَتين غلْف بإسكانِ اللام لأَن له شاهدا من القرآن[١] ومعنى غلْفٌ ذَواتُ غُلف، الواحد منها أَغْلَف وغُلْف مثل أَحْمَر وحُمْر، فكأَنهم قالوا قلوبنا في أَوعية، والدليل على ذلك قوله: ﴿وقلوبنا في أَكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقْرٌ ومن بيننا وبينك حَجاب﴾[٢] ومن قرأ غُلُف فهو جمع غِلاف وغُلُف، مِثْل مِثال ومُثُل، وحِمار وحُمُر، فيكون معنى هذا: إنَّ قلوبَنا أَوعية لِلعلم[٣]، والأَول أَشبه ويجوز أَن تُسَكَّن غُلُف فَيقال غُلْف كما يقال في جمع مثال مُثْل. فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الأَمر على خلاف ما قالوا فقال: ﴿بَلْ لعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرهَم﴾.

معنى لعنهم في اللغة أَبْعدهم، فالتأْويل - واللَّه أَعلم - بل طبع اللَّهُ على قلوبهم كما قال: ﴿ختم اللَّه على قلوبهم﴾ ثم أَخبر عزّ وجلّ أَن ذلك مجازاةً منه لهم على كفرهم فقال ﴿بل لعنهم اللَّه بكفرهم﴾، واللعن كما وصفنا الإبعاد، قال الشَّمَّاخ:[٤]

وماءٍ قد وردت لِوَصْلِ أَرْوى ... عليه الطير كالورق اللَّجين

---

(١) منه ﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود﴾. (فاطر ٣٥ - ٢٧).

(٢) فصلت ٤١ - ٥.

(٣) مليئة به. أي لدينا من العلم ما لا نحتاج معه إلى الإسلام.

(٤) هو الشماخ بن ضرار الذبياني - من الشعراء والرجاز ومن الهجائين اشتهر بوصفه القسي والحمير- كان قوي العارضة حاضر البديهة، وأروى هي حبيبته التي يتغزل فيها كثيراً. أخباره في الأغاني ٨ - ١٠١.

ذعَـرتُ بــه الـقــطا ونفيْتُ عَـنــه   مقـام الـذئب كــالـرّجـل اللّعين[١]

وقوله: ﴿ولمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدَ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لمَا مَعَهُمْ﴾.

تقرأ ﴿جاءَهم﴾ بفتح الجيم والتفخيم، وهي لغة أهـل الحجار، وهي اللغـة العليا القُدمى، والإمـالةُ إلى الكسـر لغة بني تميم وكثيـرٍ من العرب، ووجههـا أنهـا الأصل من ذوات اليـاءِ فأُميلت لتـدل على ذلك، ومعنى كتـابُ اللَّه ههنا القـرآن، واشتقاقـه من الكَتْبِ وهي جمع كَتْبـة وهي الخرزة وكـل مـا ضممت بعضه إلى بعض على جهة التقارب والاجتماع فقد كتبّته، والكَتِيبَة الفرقـةُ التي تحـارب من هـذا اشتقـاقهـا لأن بعضَهـا منضمّ إلى بعض، ويسمى كـلام اللَّه عزّ وجلّ الذي أنزل على نبيـه كِتَابـاً، وقُرآنـاً وفُرقـاناً فقـد فسرنـا معنَى كتابٍ، ومعنى قرآن معنى الجمع، يقال ما قرأت هذه النـاقة سَلًى قط أي لم يَضْـطَمَّ رحمُها على ولد قط ـ قال الشاعر:[٢]

هِجَــانِ اللَّــون لـم تَقْــرأْ جَنِينــاً

قـال أكثر النَّـاس: لم تَجْتمـع جنينـاً أي لم تضم رحمهـا على الجنين. وقال قُطْرب في قـرآن قولين، أحـدهما هـذا، وهو المعـروف الذي عليـه أكثر النـاس، والقول الآخـر ليس بخـارج من الصِّحَّـة وهـو حسن ـ قـال ـ لم تقـرأ جنينـاً ـ لم تلقه (مجمـوعاً)[٣]. وقـال يجوز أن يكـون معنى قرأت لفـظت بـه

---

(١) الـورق اللجين المتراكم المتسـاقط بعضه على بعض ببعض، وذعـرت القـطا أهجتـه وأخفتـه ـ واللعين اسم للذئب، واللعنَ معناه الطرد. والرجل اللعين، الصورة التي تنصب لطرد الطير عن الرزع يصف جرأته وعمله الشاق لرؤية حبيبته.

(٢) عمرو بن كلثوم من تغلب، وأمة ليلى أخت مهلهل ـ سـاد قومـه حدثـاً وعمر طـويلاً أخبـاره في الأغاني ٩ ـ ١٧٥ ـ ٨٢ ـ ٩٢.

والبيت في معلقته التي يقال انها ألهت بني تغلب عن كل مكرمة ـ يريد أنها بيضاء ضامرة.

أنظر شرح العشر ١١١ الجمهرة ٧٦، اللسان (قرأ). القرطبي ٣ ـ ١١٤.

(٣) ليست في ك.

مجموعاً. كما أن لفظت من اللفظ، اشتقاقه من لَفَظْتُ كذا وكذا، إذا ألقيته، فكأن قرأت القرآن لفظت به مجموعاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مصدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾.

أيْ يصدّقُ بالتوراة والإنجيل ويخبرهم بما في كتبهم مما لا يعلم إلَّا بوحي أو قراءَة كُتُبٍ، وقد علموا أن النبي ﷺ كان أُمياً لا يكتب.

وقوله: ﴿وكَانُوا منْ قَبْل يسْتَفْتِحُونَ على الَّذين كَفَرُوا﴾.

ضم ﴿قَبْلُ﴾ لأنها غاية، كان يدخلها بحق الإعراب الكسرُ والفتحُ، فلما عدلت عن بابها بنيت على الضم، فبنيت على ما لم يكن يدخلها بحقٍّ الإعراب، وإنما عدلت عن بابها لأن أصلها الإضافة فجعلت مفردة تُنْبيءُ عن الإضافة، المعنى، وكانوا من قبل هذا.

ومعنى: ﴿ يَسْتَفْتِحُونَ على الَّذِين كَفَرُوا﴾.

قيل فيه قولان: قال بعضهم كانوا يخبرون بصحة أمر النبي ﷺ. وقيل وكانوا يستفتحون على الذين كفروا: يَسْتَنْصرون بذكر النبي ﷺ فلمَّا جاءَهم ما عرفوا: أي ما كانوا يستنصرون وبصحته يخبرون، كفروا وهم يوقنون أنهم معْتَمِدُون للشقاق عداوة للّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّه على الكَافِرينَ﴾.

قد فسرنا اللعنة[1]، وجوابُ ﴿ولَمَّا جاءَهُمْ كتابٌ﴾ محذوف لأن معناه معروف دلَّ عليه فلما جاءَهم ما عرفوا كفروا به[2].

---

(١) ص ١٦٩.

(٢) الأقرب أن فكفروا به هو الجواب - وجملة فلما جاءهم ما عرفوا هي إعادة الجملة - ولما جاءهم كتاب أعيدت لطول الفصل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِئْسَما اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾.

بئس إذا وقعت على «ما» جُعِلت معها بمنزلة اسم منكور، وإنما ذلك في نعم وبئس لأنهما لا يعملان في اسم علم، إنما يعملان في اسم منكور دال على جنس، أو اسم فيه ألف ولام يدل على جنس، وإنما كانتا كذلك لأن نعم مستوفية لجميع المدح، وبئس مُسْتوفية لجميع الذم، فإذا قلت نعم الرجل زيد فقد استحق زيد المدح الذي يكون في سائر جنسه، قال أبو إسحٰق وفي نِعْم الرَجلُ زيدٌ أربع لغات نَعِم الرجل زيد، ونِعِمَ الرجل زيد[1]، ونِعْم الرجل زيدٌ، ونَعْمَ الرجل زيد، وكذلك إذا قلت بئس الرجل، دلَلْتَ على أنه استوفى الذَّمَّ الذي يكون في سائر جنسه، فلم يجز إذ كان يستوفى مدح الأجناس أن يعمل في غير لفظ جنس، فإذا كان معها اسمُ جنس بغير ألف ولام فهو نصْبٌ أبداً، وإذا كانت فيه الألف واللَّام فهو رفْع أبداً، وذلك كقولك نِعْم رجُلاً زَيْدٌ، ونعم الرَّجُل زيدٌ، فلما نصب رجل فعلى التمييز، وفي نعم اسم مضمر على شريطة التفسير، وزيد مبينٌ مَنْ هذا الممدوح، لأنك إذا قلت نعم الرجل لم يعلم من تعني، فقولك زيد تريد به هذا الممدوح هو زيد.

وقال سيبويه والخليل جميعَ ما قلنا في نعم وبئس، وقالا إنْ شئتَ رفعت زيداً لأنه ابتداءٌ مَؤَخر. كأنك قلت حين قلت نعم رجلاً زيد، نعم زيد نعم الرجل، وكذلك كانت «ما» في نعم بغير صلة لأن الصلة توضح وتخصص، والقصد في نعم أن يليها اسم منكورٌ أو جنس، فقوله ﴿بِئْسَما اشْتَرَوْا بهِ أنفسهم﴾ بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ يكفُروا بما أَنْزَلَ اللَّهُ﴾.

موضعه رفع: المعنى ذلك الشيءُ المذموم أن يكفروا بما أنزل اللّه. وقوله

(١) وهي في هذين الوضعين فعل متصرف. وكذا في الحالة الرابعة.

عزّ وجلّ: ﴿فَنِعِمَّا هي﴾[1] كأنـه قال فنعم شيْئاً هي، وقال قـوم إنَّ نعم مع مـا بمنـزلة حَبَّ مـع ذا، تقول حبَّـذَا زيدٌ، وحبـذا هي ونِعِمَّا هي والقـول الأول هُو مذهب النحويين[2] وروى جميعُ النحويين بئسما تزويجٌ ولا مَهْرٌ والمعنى فيـه بئس شيئاً تزويج ولا مهر.

وقوله عـزّ وجلّ:﴿ أَنْ يَكْفُـرُوا بِمَا أَنْـزَلَ اللَّـه بَغْياً أَنْ يُنَـزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

معناه أنهم كفروا بغياً وعداوة للنبي ﷺ لأنهم لَمْ يُشكّوا في نُبُوَّتـه ﷺ وإنما حَسَدوه على ما أعطاه اللَّه من الفضل، المعنى: كفروا بغياً لأَنْ نزَّلَ اللَّهُ الفضـل عَلى النبي ﷺ، ونصب بغياً مصدراً مفعولاً له، كما تقول فعلتُ ذلك حذَرَ الشَّرِّ أي لحذر الشر كأنك قلت حَذَرْتُ حذَراً[3]، ومثله من الشعر قـول الشاعـر وهو حاتم الطائي:

وأغـفِـرُ عـوراءَ الكـريـم ادِّخَـارَه وأغفـرُ عـوراءَ اللئيم تـكـرمـا[4]

المعنى أغفـر عوراءَ الكـريم لادّخَارِه، وأعـرضُ عنْ شتم اللئيم للتكـرم، وكأنه قال: أدَّخرُ الكريم ادخاراً، وأتكـرم على الكـريم تكرمـاً، لأن قولـه أغفر عوراءَ الكريم معناه أدخر الكريم، وقوله وأعرض عن شتـم اللئيم تكـرماً معنـاه أتكرم على اللئيم[5]، وموضع أن الثانية نصب، المعنى أن يكفـروا بما أنـزل اللَّه

(١) ﴿إن تبدوا الصدقات فنعما هي﴾ - البقرة - ٢ - ٢٧١.

(٢) في الأصل هو على مذهب.

(٣) إذا قدر المحذوف - حذرت - فهو مفعول مطلق ويجب فيه النصب أما إن ذكر أو قدر مغاير فهذا المصدر علة ويجوز جره بحرف.

(٤) تقدم هذا الشاهد ص ٩٧، ديوانه ١٠٨، والخزانة ١ - ٤٩١.

(٥) على هذا التقدير يكون: أدخاره، وتكرما - مفعولاً مطلقاً. وهمـا مفعول لأجله - إذ المعنى كمـا قال - لادخاره وللتكرم، ولكنه يريد معنى تقريبياً - ولهذا قال: وكأنه.

لأن ينزل اللَّه، أي كفروا لهذه العلَّةِ، فشرحه كهذا الذي شرحناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبَاءُوا بِغَضَب عَلَى غَضَبٍ﴾: معنى باءُوا في اللغة احتملوا، يقال قد بؤْتَ بهذا الذَّنْبِ أي تحملته - ومعنى ﴿بِغَضَبٍ على غَضَبٍ﴾ - فيه قولان:

قال بعضهم بغَضبٍ من أَجل الكفر بالنبي ﷺ على غَضبٍ على الكفر بعيسى ﷺ يعني بهم[1] اليهود. وقيل باءُوا بغضب على غضب أي بإِثْمٍ استحقوا به النار على إثم تَقَدَّم أي استحقوا به أيضاً النَّارَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّه﴾.

أي بالقرآن الذي أنزل اللَّه على النبي ﷺ قالوا أَنُؤْمن بما أُنْزِل علينَا، وقد بين اللَّه أنهم غير مؤْمنين بما أُنزل عليهم، وقد بينا ذلك فيما مضى.

وقوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُون بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ﴾.

معناه ويكفرون بما بعده، أي بما بعد الذي أُنزل عليهم، ﴿وهو الحقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ﴾، فهذا يدل على أنهم قد كفروا بما معهم إذْ كفروا بما يُصَدِّقُ ما معهم، نصب مصدقاً على الحال، وهذه حال مؤكدة، زعم سيبويه والخليلُ وجميع النحويين الموثوقُ بعلمهم أن قولك «هو زيد قائماً» خطأٌ، لأن قولك هو زيد كناية عن اسم متقدم فليس في الحال فائدة، لأن الحال توجب ههنا أنه إذا كان قائماً فهو زيد، فإذا ترك القيامُ فليس بزيد - وهذا خطأٌ. فأما قولك هو زيد معروفاً، وهو الحق مصدقاً، ففي الحال فائدة، كأنك قلت انْتَبِهْ لَهُ معروفاً، وكأنه منزلة قولك هو زيد حقاً، فمعروفاً حال لأنه إنَّما يكون زيداً لأنه يعرف بزيد، وكذلك «الحق» القرآن هو الحق إذ كان مصدقاً لكتب الرسل.

---

(١) في الأصل ويعني به - ويستقيم على تقدير يعني بهذا القول.

أَكْذَبَهُمُ اللَّهُ فى قولهم: ﴿نؤْمِنُ بما أُنزِلَ عَلَيْنا﴾ فقال:

﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُم مُؤْمِنِين﴾.

أيْ أيُّ كتاب جُوِّز فيه قتل نبي، وأي دين وإيمان جُوز فيه ذلك فإن قال قائل فَلِمَ قيل لهم فلم تقتلون أنبياءَ اللَّه من قبل، وهؤلاءِ لَمْ يَقْتُلُوا نبيًّا قط؟ قيل له قال أهل اللغة في هذا قولين: أحدهما إن الخطاب لمن شُوهِدَ من أهل مكةَ ومنْ غاب خطَابٌ واحد، فإذا قَتل أسْلافُهم الأنبياءَ وهم مُقِيمُون على ذلك المذهب فقد شَرِكُوهم في قَتْلِهِمْ، وقيل أيضاً لِمَ رَضيتمُ بذلك الفعل، وهذا القول الثاني يرجع إلى معنى الأول. وإنما جاز أنْ يُذكر هنا لفظُ الاستقبال والمعنى المضي لقوله ﴿من قبل﴾ ودليل ذلك قوله ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُم رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بالبَيِّنَاتِ وَبالَّذِي قُلْتُم فَلِمَ قَتَلْتموهم﴾[1] فقوله: ﴿فلم تَقتلون﴾ بمنزلة «فلم قتلتم».

وقيل في قوله: ﴿إنْ كُنتم مؤْمنين﴾ قولان: أحدهما ما كنتم مؤْمنين[2] وقيلَ إنَّ إيمانكم ليس بإيمان[3]. والإيمان ههنا واقع على أصل العقد والدين، فقيل لهمْ ليس إيمانٌ إيماناً إذَا كان يَدْعُو إلى قتل الأنبياءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوقَكُمُ الطُّورَ﴾.

قد بيناه فيما مضى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمُ العِجْلَ بكفْرِهِم﴾.

معناه سُقُوا حبَّ العجل، فحذف حب وأُقيم العجل مقامه، كما قال الشاعر:

وكيف تُواصل من أصْبحتْ ... خلالته كأبي مرحب[4]

(١) آل عمران ٣ ـ ١٨٢.

(٢) إن نافية والجملة مستأنفة.

(٣) إن إذن شرطية: أي إن كنتم مؤمنين حقاً فلم قتلتموهم أي إنه إيمان يدعو للشك والريبة.

(٤) تقدم ص ٩٣.

أي كخلالته أبي مرحب، وكما قال:

وشرُّ المـنـايـا ميّـت بـينَ أَهْـله كهلك الفتى قَدْ أَسْلَم الحيَّ حاضِرُه[1]

المعنى وشر المنايا منيَّة ميت. . . .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ أي فعل اللَّه ذلـك بهم مجازاة لهم عـلى الكفر كما قال: ﴿بلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْها بكُفْرِهِمْ﴾[2].

وقوله: ﴿بِئْسَمَا يـأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكم إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قـد فسرنـاه[3] أي ما كنتم مؤمنين، فبئس الإيمان يأمركم بالكفر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُـلْ إن كانت لَكُمُ الـدارُ الآخرةُ عنْـدَ اللّهِ خَالِصَـةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾.

قيل لهم هذا لأنهم قالوا: ﴿لَنْ يدخل الجنة إلا من كان هـوداً أو نصارى﴾ وقالوا: ﴿نَحْنُ أبناءُ اللَّه وأحبَّاؤه﴾[4] فقيـل لهـم إن كنتم عند أنْفُسِكم صـادقين فِيما تدّعون فَتَمنَّوا المَوْت، فإنَّ من كان لا يشك في أنـه صائـر إلى الجنة، فـالجنة عنده آثرُ من الدنيا، فإن كنتم صادقين فتَمنَّوا الأَثرة والفضل.

وللنبي ﷺ وللمسلمين في هذه الآيـة أعظم حجـة وأَظهرُ آيـة وأَدِلَّةٍ عـلى الإسـلام، وعلى صحـة تثبيت رسـالـة النبي ﷺ لأنـه قـال لهم: تَمنَّوا المـوت، وأعلمهم أنهم لن يتمنـوه أبداً فَلَمْ يتمنّـه منهم واحـد لأنهم لـو تمنـوه لمـاتـوا من

---

(١) للحطيئة وراويته في ديوانه وطبقات فحول الشعراء: كهلك الفتـاة وكلتا الـرواتين تعني الهالـك الضعيف الذي لا طاقة له على دفع ما نزل به، وحاضره ـ حاله أو الموت الذي حضره. وأسلمه القوم جعلهم يستسلمون والبيت في ديوانه ٤٧.

وأنظر ابن سلام ٩٤ ـ ٩٥ وهو من أبيات يفضل بها عيينة بن حصـن على زبان بن سيار.

(٢) النساء ٤ ـ ١٥٥.

(٣) ص ١٧٢.

(٤) المائدة ٥ ـ ١٨.

ساعتهم، فالدليل على علمهم بأن أمر النبي ﷺ حقٌّ أنهم كَفُّوا عن التَّمني ولم يُقْدِم واحد منهم عليه فيكون إقْدامُه دفعاً لقوله: ﴿ولَنْ يتمنَّوْه أبداً﴾. أو يعيش بعد التمني فيكون قد ردَّ ما جاءَ به النبي ﷺ فالحمد للَّه الذي أوضَح الحقَّ وبيَّنَه، وقَمع الباطل وأزْهقه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ يَتَمنَّوْهُ أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْديهمْ﴾.

يعني ما قدمت من كفرِهِمْ بالنَّبي ﷺ لأنهم كفروا وهم يعلمون أنه حق وأنهم إنْ تَمَنَّوْه ماتوا، ودليل ذلك إمْسَاكُهُمْ عَن تمَنِّيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واللَّهُ عَلِيمٌ بالظَّالِمِينَ﴾.

اللَّه عزّ وجلّ عليم بالظالمين وغير الظالمين، وإنَّما الفائدة ههُنا أنه عليم بمجازاتهم، وهذا جرى في كلام الناس المستعمل بينهم إذَا أقبل الرجل على رجل قد أتى إليه منكراً، قال أنا أعرفك، وأنا بصير بك، تأويله أنا أعلم ما[1] أعاملك به وأستعمله معك. فالمعنى إنه عليم بهم وبصير بما يعملون، أي يجازيهم عليه بالقتل في الدنيا أو بالذِّلَّة والمسكنة وأداءِ الجِزية، ونصب ﴿لن﴾ كما تنصب «أن» وقد شرحْنا نصبها فيما مضى وذكرنا ما قاله النحويون[2] فيه، ونصب ﴿أبداً﴾ لأنه ظرف من الزمان، المعنى: لن يَتَمَنَّوهُ في طول عُمرهم إلى موتهم، وكذلك قولك: لا أُكلمك أبداً، المعنى لا أُكلمك ما عشت. ومعنى ﴿بما قدمت أيديهم﴾ أي بما تقدمه أيديهم[3]. ويصلح أن يكون بالذي قدمته أيديهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَتَجِدنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حياةٍ﴾.

يعني به علماءَ اليهود هؤلاءِ، المعنى أنك تجدهم في حال دعائهمْ إلى تمني

---

(١) في ط أعلم بما.

(٢) ص ١٦٠.

(٣) في ك: بتقدمة أي ما مصدرية أو موصولة.

الموت أحرص الناس على حياة. ومعنى لَتَجِدَنَّهُمْ لَتَعْلَمَنَّهَم. وَمَعْنى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أي وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ من الذين أشركوا، وهذا نهاية في التمثيل، والذين أشركوا هم المجوس ومن لا يؤْمن بالبعث.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّر أَلْفَ سنةٍ﴾.

ذكرت الأَلْفُ لأنها - نهايةُ ما كانت المجوس - تدْعُو به لُملوكها كان الملك يُحَيَّا بأن يقال عش أَلفَ نَيْرُوزٍ وَأَلْفَ مِهْرَجَانٍ[١].

يقول فهؤُلاءِ الذين يزعمون أن لهم الجنة، وأَنَّ نعيم الجنة له الفضل لاَ يتمنون الموت وهم أحرص مِمَّن لا يؤْمن بالبعث، وكذلك يجب أن يكون هؤُلاءِ لأنهم كُفَّارٌ بالنبي ﷺ وهو عِنْدهُم حق، فيعلمون أَنَّهم صائرون إلى النَّارِ لا محالة، فهم أَحْرصُ لهذه العلة، ولأَنهم يعلمون أنهم لو تمنوا الموت لماتوا، لأَنهم علموا أن النبي ﷺ حق لولا ذلك لما أُمسكوا عن التّمني، لأن التمني من واحد منهم كان يثبت قولهم.

وإنما بالغنا في شرح هذه الآيات لأنها نهاية في الاحتجاج في تثْبِيتِ أَمْرِ النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾.

هذا كناية عن ﴿أحدهم﴾ الذي جرى ذكره، كأنه قال: وما أحدهم بمزحزحه من العذاب تعميره، ويصلح أن تكون «هو» كناية عما جرى ذكره من طول العمر، فيكون: وما تعميره بمزحزحه من العذاب، ثم جعل أن يعمر مبنياً عن «هو» كأنه قال: ذلك الذي ليس بمزحزحه ﴿أن يعمر﴾[٢].

---

(١) حين يهنأ الملك في هذا العيد يقال له عش ألف عيد.

(٢) أي هو مفسر له.

وقد قال قوم: إنّ «هو» لِمَجْهولٍ وهذا عند قوم لا يصلح في «ما» إذا جاءَ في خبرها الباءِ مع الجملة: لا يجيز البصريون: «ما هو قائماً زيد، يريدون ما الأمر قائماً زيد[1]، ولا كان هو قائماً زيد، يريدون ما الأمر قائماً زيد[1]، ولا كان هو قائماً زيد، يريدون كان الأمر قائماً زيد وكذلك لا يجيزون ما هو بقائم زيدٌ[2] يريدون ما الأمْرُ».

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿واللَّهُ بصيرٌ بما يَعْملُونَ﴾. (شرحه تقدم في الآية التي قبل هذه)[3] وتقول في يود: وددت الرجل أودة وُدًّا[4] أوْ وِداداً ومودّة «ووداده» وحكى الكسائي ودَدْتُ الرجلَ والذي يعرفه جميع الناس ودِدْته، ولم يحك إلا ما سَمِعَ إلا أنه سمع ممن لا يجب أن يؤخذ بلغته، لأن الإجماع على تصحيح أوَدُّ، وأوَدُّ لَا يكون ماضيه ودَدَتُ[5]. فالإجماع يُبْطِل وَدَدْتُ. أعني الإجماع في قولهم أودُّ.

قوله عزّ وجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾.

جبريل في اسمه لغات قرئ ببعضها[6] ومنها ما لم يُقْرأ به، فأجود اللغات جَبْرَئِيل - بفتح الجيم، والهمز، لأن الذي يروى عن النبي ﷺ في صاحب الصُّور «جَبْرَئِيلُ عن يمينه وميكائيل عن يساره، هذا الذي ضبطه أصحاب الحديث، ويقال جَبْرِيل بفتح الجيم وكسرها ويقال «أيضاً» جبرأَلُّ - بحذف الياءِ وإثبات الهمزة - (وتشديد اللام)[7]، ويقال جبرين - «بالنون» وهذا

(١) لأن الاسم ضمير الشأن، ولا يكون خبره إلا جملة.
(٢) لأن وجود الباء يدل على أن «قائم» خبر.
(٣) ليست في ك.
(٤) ك بضم الواو وكسرها.
(٥) لأن عين الفعل لا تفتح في الماضي والمضارع إلا إذا كان حلقي العين أو اللام.
(٦) ك جبريل صلى اللَّه عليه في اسمه لغات قد قرىء ببعضها.
(٧) ليست في ك وهي لغة سادسة.

لا يجوز في القرآن ـ أعني إثبات النون لأنه خلاف المصحف ـ قال الشاعر:

شَهِـدْنَـا فَمَـا تلقى لنـا من كتيبـة يـد الـدهـر إلا جَبْرئِيـلُ أمـامهـا[١]

وهذا البيت على لفظ ما في الحديث وما عليه كثير من القراءِ. وقد جاءَ في الشعر جبريل قال الشاعر:

وجِـبْـريـلٌ رسـول الـلّه مـنـا وروح القـدس ليس لـه كـفـاءُ[٢]

وإنما جرى ذكر هذا لأن اليهود قالوا للنبي ﷺ: جبريـل عدونـا فلو أتاك ميكائيل، لَقَبِلْنَا منك، فقال اللّه عزّ وجَلَّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبك بِإِذْنِ اللّـه مُصَدِّقاً لِمَـا بَيْنَ يَدَيْـهِ﴾ يعني ما تقـدم من الكتب ﴿وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُؤْمِنِين﴾.

ونصب ﴿مصدقاً﴾ على الحال.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَمِيكَائِيل فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ للكَافِرِينَ﴾.

ميكائيل فيه لغاتٌ، ميكائيل وميكال. وقد قـرئَ بهما جميعـاً، وميكَأْل ـ بهمزة بغير ياءٍ[٣]. وهذه أسماء أعْجميَّة دفعت إلى العرب فلفظت بهـا بألفـاظ مختلفـة ـ أعني جبريـل، وميكائيـل. وإسرائيـل فيـه لغـات أيضـاً: إسـرايِيـل وإسرال، وإسرايـل. وإبراهيم وإبـراهَم، وأبرَهْم وإبْـرَاهام، والقـرآن إنَّما أتَى بإبراهيم فقط وعليه القراءة.

وأكثـر ما أرويـه من القراءَة في كتـابنا هـذا فهو عن أبي عبيـد ممَّـا رواه

(١) لكعب بن مالك من الشعراء الذين دافعوا عن رسول الله ﷺ وهو أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وأنزل اللّه فيهم قرآناً ـ الخزانة ١ ـ ١٩٩.

(٢) البيت ينسب كثيراً لحسان بن ثابت ـ من همزيته ـ عفت ذات الأصابع فالجواء ـ ونفى صاحب الخزانة أن يكون له. أنظر جـ ١ ـ ١٩٩.

(٣) أي بعد الهمزة.

إسماعيل بن إسحق عن أبي عبد الرحمن عن أبي عُبَيْد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾.

يعني الآيات التي جرى ذكرها مما قد بيناه، والآية في اللغة العلامة، وبينات: واضحات، و «قد» إنما تدخل في الكلام لقوم [لا][1] يتوقعون الخبر، واللام في لقد لام قسم[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِها إِلَّا الفَاسِقُونَ﴾.

يعني الذين قد خرجوا عن القصد، وقد بينا أن قول العرب فَسقَت الرطبة: خرجت عن قشرتها.

وقوله عزَّ وجَلَّ: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾.

معنى نبذه رفضه ورمى به، قال الشاعر:

نَظَرتَ إلى عُنْوانه فنبذته كنبذك نَعْلا أخلقت من نِعالكا[3]

ونصب ﴿أو كلما عاهدوا﴾ على الظرف. وهذه الواو في ﴿أو كلما﴾ تدخل عليها ألف الاستفهام، لأن الاستفهام مستأنف، والألف أمُّ حروف الاستفهام. وهذه الواو تدخل على هل فتقول: وهل زيد عاقل لأن معنى ألف الاستفهام

(١) في الأصول يتوقعون، وهو غير مناسب.

(٢) أي فالخبر مؤكد ـ ولهذا لا بد من ذكر «لا».

(٣) البيت لأبي الأسود الدؤلي ـ ظالم بن عمرو الدؤلي الكناني. تابعي فقيه محدث شاعر ـ وأيضاً له حظ من صفة الفروسية ـ قيل إنه واضع النحو ـ كان شيعياً ولكنه لم يهج الأمويين ـ وهو واضع النقط في المصحف. توفي سنة ٦٧ هـ وله الآن ديوان مطبوع وليس به هذا البيت ولكنه في كثير من الكتب منسوباً له ذكره أبو عبيدة في مجازه ١٤٨/١ : ١١١ وغيرهما، وهو في الطبري ١ ـ ١٣٣، والأغاني ٣٠٧/١٢ بولاق والقرطبي ٤٦/٢ وكان أبو الأسود وجه بخطابين إلى الحصين بن أبي الحر، وأبي نعيم بن مسعود يطلب معونة فبرة نعيم ورمى الحصين الكتاب فهذا الشعر له.

موجود في هل، فكأن التقدير أو هل إلَّا أن ألف الاستفهام وهَلْ لا يجتمعان لأغناء هل عن الألف.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾.

يعني به النبي ﷺ لأن الذي جاءَ به مُصَدّقٌ التَّوْرَاةَ والإنجيلَ، و﴿لما﴾ يقع بها الشيءُ لوقوع غيره[1] ﴿مصدق﴾ رفع صفة لرسول[2]، لأنهما نكرتان. ولو نصب كان جائزاً، لأن ﴿رسول﴾ قد وصف بقوله من عند اللَّه فلذلك صار النصب يحسن، وموضع «ما» في ﴿مِصدّقٌ لما معهم﴾ جَرٌّ بلام الإضافة، و «مَعَ» صلة لها، والناصب لمع الاستقرار. المعنى لما استقر [معهم].

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنْ الذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وراءَ ظُهُورِهِمْ﴾.

﴿الذين أُوتوا الكتاب﴾ يعني به[3] اليهود، والكتاب هنا التوراة و﴿كتاب اللَّه وراءَ ظهورهم﴾ فيه قولان: جائز أن يكون القرآن وجائز أن يكون التوراة، لأن الذين كفروا بالنبي قد نبذوا التوراة.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

أَعْلَمَ أنهم علماء بكتابهم، وأنهم رفضوه على علم به، وعداوةً للنبي صلَّى اللَّه عليه وسلم. وأَعْلَمَ أَنَّهم نَبذوا كتاب اللَّه[4].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿واتَّبعوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانْ﴾.

---

(١) أي هي ظرفية أو شرطية.

(٢) في ط صفة لرسول اللَّه ـ وهو مجاف للياقة.

(٣) بهذا اللفظ.

(٤) المعنى الظاهر من الآية أنهم تركوا الكتاب كأنهم لا علم لهم به، وهو يريد هنا: كأنهم لا يعلمون أن النبي يعلم أنهم يعرفون كل ذلك. وأن اللَّه تعالى أعلمه بحالهم.

ما كانت تتلوه، والذي كانت الشيـاطين تلته في ملك سليمـان كتابٌ من السحر فَلِبَهَتِ اليهود وكَذِبهم ادَّعَوْا أن هذا السحر أخذوه عن سليمان وأنه اسم اللَّه الأعـظم، يتكسَّبُون بـذلكَ، فـأعلم اللَّه ـ عز وجـلّ ـ أنهم رفضـوا كتـابـه واتبعـوا السّحـر، ومعنى على ﴿ملك سليمان﴾، على عـهـد ملك سـليمـان (عَلَيْهِم)[1] فبرأ اللَّه عزّ وجَلَّ سليمانَ من السحـر، وأظهـر محمـداً ﷺ على كذبهم وقال: ﴿وما كفر سليمـان﴾. لأن اللَّه جعل الاتيـان من سليمان بـالسحر كفـراً فبرَّأَهُ منـه، وأعلم أن الشياطين كفـروا فقـال: ﴿ولكن الشيـاطين كفروا﴾ ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ «فمن شدد» ﴿ولكن﴾ نصب الشياطين،ومن خفف رفع فقال: «وَلَكِنِ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا» وقد قـرئ بهما جميعاً.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿يُعلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْر وما أُنْزِلَ عَلَى المَلَكَيْن﴾.

وقـد قـريءَ على الملِكَيْنِ، و ﴿المَلَكَيـنِ﴾ أثْبتُ في الـروايـة والتفسيـر جميعاً، المعنى يعلمون الناس السِّحرَ ويعلمون ما أُنزلَ على الملكين فموضع ما نصب، نَسقٌ على السِّحْر، وجائز أن يكونَ واتبعوا مـا تَتْلُو الشياطين واتَّبعـوا ما أُنزل على الملكين، فتكون ما الثانية عطفاً على الأولى.

وقوله: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَمَا نحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾.

فيـه غير قـول: أحدهـا[2] ـ وهو أثبتهـا أن الملكين كانـا يعلمان النـاس السحر. وعلَّمتُ، وأعْلَمْتُ جميعاً في اللغة بمعنى واحد. (كانا يعلمان)[3] نبأ السحر[4] ويأمران باجتنابه ـ وفي ذلك حكمة لأن سائلاً لـو سأل: مـا الزنـا وما

---

(١) ليست في ك.

(٢) في ط أحدهما.

(٣) ليست في ك.

(٤) في ك ما السحر: وهو فيهما بدل من السحر. أي يعلمان الناس نبأ السحر وما هو.

(٥) يُعرَف ما سُئِلَ عَنْهُ.

القذف لوجب أن يوقف ويُعَلَّمَ أنه حرام، فكذلك مجاز إعلام الملكين الناس وأمرهما باجتنابه بعد الإعلام يدل على ما وصفنا، فهذا مستقيم بين، ولا يكون على هذا التأويل تعلم السحر كفراً، إنما يكون العمل به كفراً، كما أن من عَرَفَ الزنا لم يأْثَمْ بأَنَّه عرفه، وإنما يأْثم بالعمل به. وفيه قَوْلٌ آخر، جائز أن يكون اللَّه عزّ وجلَّ امتحن بالملكين الناس في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابل تعلم السحر، فيكون بِتَعلُّمِه كافراً، وبتْرَكِ تعلمه مؤمناً، لأن السحر قد كان كثر وكان في كل أُمة، والدليل على ذلك أن فرعون فزع في أمر موسى ﷺ إلى السحر ـ فقال: ﴿ائتوني بكل ساحر عليم﴾[1] وهذا ممكن أن يمْتَحِن اللَّه به كما امتحن بالنهر في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتليكم بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْه فَإِنَّه مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيدِهِ﴾[2].

وقد قيل إن السحر ما أُنزل على الملكين، ولا أُمرا به ولا أَتى به سليمانُ عليه السلام. فقال قوم: ﴿وَمَا كَفر سُلَيمانُ ولكنَّ الشياطينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الملَكَيْنِ﴾، فيكون «ما» جُحْداً، ويكون هاروت وماروت من صفة الشياطين، على تأويل هؤلاء، كان التأويل عندهم على مذهب هؤلاءِ: كان الشياطين هاروت وماروت، ويكون معنى قولهما على مذهب هؤلاءِ «إنما نحن فتنة فلا تكفر» كقول الغاوي والخليع: أَنا في ضلال فلا تَرِدْ ما أَنا فيه.

فهذه ثلاثة أَوجه، والوجهان الأَولان أَشبه بالتأْويل وأَشبه بالحق عند كثير من أَهل اللغة، والقول الثالث له وجه، إلا أَن الحديث وما جاءَ في قِصَّةِ الملكين أَشبه وأَولى أَن يؤخذ به.

---

(١) يونس ١٠ ـ ٧٩.

(٢) البقرة ٢ ـ ٢٤٩.

وإنما نذكر مع الإعراب المعنى والتفسير، لأن كتاب اللَّه ينبغي أن يتبين ألا ترى أن اللَّه يقول: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾[١] (فحُضِضْنَا)[٢] على التدبّر والنظر، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتكلم إلا على مذهب اللغة، أو ما يوافق نقلة أهل العلم، واللَّه أعلم بحقيقة تفسير هذه الآية. فإن النحويين قد ترك[٣] كثير منهم الكلام فيها لصعوبتها، وتكلم جماعة منهم وإنما تكلمنا على مذاهبهم.

وقال بعض أهل اللغة: إن الذي أُنزل على الملكين كلام ليس بسحر إلَّا أنه يفرق (بهِ بين)[٤] المرءِ وزوجه فهو من باب السحر في التحريم وهذا يحتاج من الشرح إلى مثل ما يحتاج إليه السحر[٥].

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿فيتَعَلَّمُونَ منْهُمَا﴾.

ليس يتعلمون بجواب لقوله فلا تكفر[٦] وقد قال أصحاب النحو في هذا قولين[٧] - قال بعضهم: إن قوله يتعلمون عطف على قوله ﴿يُعلمونَ﴾ وهذا خطأ، لأن قوله منهما دليل ههنا على أن التعلم من الملكين خاصة وقيل ﴿فيتعلمون﴾ عطف على ما يوجبه معنىٰ الكلام. المعنى: إنما نحن فتنة فلا تكفر: فلا تتعلم ولا تعمل بالسحر، فيأبون فيتعلمون، وهذا قول حسن. والأجود في هذا أن يكون عطفاً على يعلمان فيتعلمون واستغنى عن ذكر يعلمان بما في الكلام من الدليل عليه.

---

(١) النساء ٤ - ٨٢ والقتال ٤٧ - ٢٤.

(٢) ليست في ط.

(٣) في ط نبذ.

(٤) ليست في ط والعبارة هناك - يفرق المرء وزوجه.

(٥) يحتمل إلا وجه التي سبقت.

(٦) في ط: فلا تكفروا بي وهو خطأ.

(٧) في ط في هذا أيضاً.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

الإذن هنا لا يكون الأمر من اللَّه عزّ وجَلَّ: «لإِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بالفَحْشَاءِ»، ولكن المعنى إلا بعلم اللَّه[1].

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿فَيَتَعَلَّمُون مَا يَضُرُّهُم وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾.

المعنى أنه يضرهم في الآخرة وإن تعجلوا به في الدنيا نفعاً.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

الخلاق النصيب الوافر من الخير، ويعني بذلك الذين يعلمون السحر لأنهم كانوا من علماءِ اليهود.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

فيه قولان[2]: قالوا: ﴿لوكانوا يعلمون﴾: يعني به الذين يُعَلِّمُونَ السِّحْر. والذين علموا أن العالم به لا خلاق له هم المعلمون..

قال أبو إسحق والأجود عندي أن يكون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ راجعاً إلى هؤلاء الذين قد علموا أنه لا خلاق لهم في الآخرة. أي لمن عُلِّمَ السحرَولكن قيل ﴿لوكانوا يعلمون﴾ أي لو كان علمهم ينفعهم لسُمُّوا عالمين، ولكنَّ عِلْمَهُم نبذوه وراء ظهورهم، فقيل لهم ﴿لوكانوا يعلمون﴾ أي ليس يوفون العلم حقه، لأنَّ العالِمَ، إذا ترك العَمَلَ بِعِلْمِه قيل له لست بعالمٍ

ودخول اللام في لقد على جهة القسم والتوكيد، وقال النحويون في ﴿لمن اشتراه مَالَـهُ في الآخرة من خلاق﴾ قولين: جعل بعضهم «مَنْ» بمعنى

(١) أي بإرادته تعالى إذ لا يقع في ملكه إلا ما يريد.

(٢) في مرجع الضمير من قالوا، إذ هو إما لمن يعلمون أو لمن علموا، أي المعلمين أو المتعلمين، وآثر هو الثاني.

الشرط، وجعل الجواب﴿ماله في الآخرة من خلاق﴾. وهذا ليس بموضع شرط ولا جزاءً، ولكن المعنى: ولقد علموا الذي اشتراه ما له في الآخرة من خلاق: كما تقول: واللّه لقد علمت للذي جاءَك ماله من عقل. فأما دخول اللام في الجزاءِ في غير هذا الموضع وفيمن جعل هذا موضع شرط وجزاء، مثل قوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[1] ونحو ﴿وَلَئِن أَتيت الذين أُوتُوا الكتابَ بكل آيةٍ ما تَبعوا قِبْلَتَك﴾[2] - فاللام الثانية هي لام القسم في الحقيقة، لأنك إنما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك في قولك: واللّه لئن جئتني لأُكرمنَّك، فزعم بعض النحويين أن اللام لما دخلت في أول الكلام أُشبهت القسم فأُجيبت بجوابه وهذا خطأ، لأن جواب القسم ليس يشبه القسم[3]، ولكن اللام الأُولى دخلت إعْلاماً أَنَّ الجملة بكمالها معقودة للقسم، لأَن الجزاء وإن كان للقسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ، فلذلك دخلت اللام[4].

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

مَثُوبة في موضع جواب «لو» لأَنها تُنْبِئ عن قولك «لأثيبُوا»ومعنى الكلام أَن ثواب اللّه خير لهم من كَسْبِهم بالكُفْر والسِّحْرِ.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿لَوْ كَانُوا يَعلَمُونَ﴾.

أَي لو كانوا يَعْمَلُونَ بِعِلمِهم، ويعلمون حقيقة ما فيه الفضل.

---

(١) الروم ٣٠ - ٥٨.

(٢) البقرة ٢ - ١٤٥.

(٣) أي أن جواب القسم يأتي للقسم نفسه لا لما يشبهه.

(٤) نفى أن تكون الآية﴿لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾مما اجتمع فيه الشرط والقسم وآثر أن «من» في ﴿لمن اشتراه﴾ موصولة ولكن القسم فيه معنى الشرط لحاجته إلى الجواب.
وحيث اجتمع الشرط والقسم فجواب الثاني محذوف.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُـوا لاَ تَقُـولُـوا رَاعِنَـا وَقُـولُـوا انْـظُرْنَـا واسْمَعُوا﴾.

وقرأ الحسن لا تقولـوا «راعِناً» بـالتنوين، والـذي عليه النـاس راعنا غيـر منون(١)، وقد قيـل في ﴿راعنا﴾ بغير تنـوين ثـلاثةُ أقـوال: قال بعضهم راعنـا: ارعنـا سمعك، وقيـل كان المسلمـون يقولـون للنبي ﷺ راعنا، وكـانت اليهود تَتَسَابُّ بينها بهذه الكلمة، وكـانوا يسبـون النبي ﷺ في نُفُوسهم، فلمـا سمعوا هـذه الكلمة اغتنمـوا أن يظهـروا سَبَّه بلفظ يسمـع ولا يلحقهم به في ظـاهـره شيء، فأظهر اللَّه النبيَّ ﷺ والمسلمين على ذلك ونهىَ عن هذه الكلمة.

وقال قوم :﴿لا تقولوا راعنا﴾ :من المراعاة والمكافأة(٢)، فأمروا أن يخاطبوا النبي ﷺ بالتقدير والتوقيـر، فقيل لهم لا تقـولوا راعنـا، أي كافنـا في المقال، كما يقول بعضهم لبعض، وقولوا: أَنْظِرنا أي أَمهلنـا واسمعوا، كـأنه قيـل لهم استَمِعُـوا. وقال قـوم إن ﴿راعنا﴾ كلمـة تجـري على الهُـزْءِ والسُّخـريـة، فنهيَ المسلمون أن يَلْتَفِظُوا بها بحضرة النبي ﷺ.

وأما قراءَة الحسن «راعناً» فالمعنى فيه لا تقولوا حُمْقاً، من الرعونة.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ وَلاَ المُشْرِكِينَ﴾.

المعنى ولا من المشـركين، الـذين كفـروا من أهـل الكتـاب: اليهـود والمشركون في هذا الوضع عَبَدةُ الأَوثان.

﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

ويُقْرأُ أَن يُنْزَل عليكم بالتخفيف والتثقيل جميعاً، ويجوز في العربية «أن

---

(١) ك بغير تنوين.

(٢) أي المساواة ـ والمعنى إذن لا تطلبوا المساواة في الخطاب.

يَنْزِلَ عليكم»[١] ولا ينبغي أن يقرأ بهذا الوجه الثالث، إذ كان لم يقرأ به أحد من القراء المشتهرين. وموضع ﴿من خير﴾رفع. المعنى: ما يود الذين كفروا والمشركون أن ينزل عليكم خير من ربكم، ولو كان هذا في الكلام لجاز ولا المشركون، ولكن المصحف لا يخالف، والأجود ما ثبت في المصحف أيضاً، ودخول من ههنا على جهة التوكيد والزيادة كما في «ما جَاءني من أحد»، وما جاءنى أحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واللَّهُ يَخْتَصُّ بِرحْمَتِه مَنْ يَشَاءُ واللَّه ذُو الفَضْلِ العظيم﴾أي يختص بنُبوته من يشاءُ من أخبر - عزّ وجَلّ - أنه مختار.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا﴾ في ﴿ننسها﴾ غير وجه قد قرئ به: أو نُنْسِهَا، وَنَنْسَهَا، وَنَنْسَؤُها. فأما النسخ في اللغة فإبطال شيء وإقامة آخر مقامه، العرب تقول نسخت الشمسُ الظل، والمعنى أذهبت الظل وحلَّت محلَّه، وقال أهل اللغة في معنى ﴿أونُنْسِهَا﴾ قولين: قال بعضهم، «أو نَنْسَهَا» من النسيان، وقالوا دليلنا على ذلك قوله عزّ وجَلَّ ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّه﴾[٢] فقد أعلم اللَّه أنه يشاء أن يُنْسى، وهذا القول عندي ليس بجائز، لأن اللَّه عزّ وجلّ: قد أنبأ النبي ﷺ في قوله ﴿ولئن شِئْنَا لنذهَبنَّ بالذي أوحينا إليك﴾[٣] أنه لا يشاء، أن يذهب بالذي أَوْحَى به إلى النبي ﷺ. وفي قوله﴿فلا تنسى إلا ما شَاءَ اللَّه﴾قولان يُبْطلان هذا القول الذي حكينا عن بعض أهل اللغة: أحدهما ﴿فلا تنسى﴾ أي لست تترك إلا ما شاءَ اللَّه أن تترك، ويجوز أن يكون إلا ما شاءَ اللَّه مما يلحق بالبشرية، ثم تذكر بعد،

---

(١) ك أن ينزل عليكم، ويكون معناه أن ينزل اللَّه عليكم.

(٢) سورة الأعلى ٨٧ - ٦.

(٣) سورة الإسراء ١٧ - ٨٦.

ليس أنه على طريق السلب للنبي ﷺ شيئاً أوتيه من الحكمة(١) وقيل في ﴿أو نُنْسِهَا﴾ قول آخر وهو خطأ أيضاً، قالوا أو نَتْرُكُهَا» وهذا يقال فيه نسيت إذا تركت، ولا يقال أنسيت، [أي] تركت(٢)، وإنما معنى ﴿أوننسها﴾ أو نَتركِها أي نأمر بتركها، فإن قال قائل ما معنى تركها غير النسخ وما الفرق بين الترك والنسخ؟ فالجواب في ذلك أن النسخ يأتي في الكتاب في نسخ الآية بآية فتُبطِل الثانيةُ العملَ بالأولى. ومعنى الترك أن تأتي الآية بضرب من العمل فيؤمر المسلمون بترك ذَلك بغير آية تَأْتِي ناسخة للتي قبلهَا، نحو ﴿إذا جاءَكم المؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامتحنوهن﴾(٣) ثم أمر المسلمون بعد ذلك بترك المِحْنَة(٤) فهذا معنى الترك، ومعنى النسخ قد بيناه فهذا هو الحق.

ومن قرأ «أو نَنْسؤُها» أراد نُؤَخِّرُها. والنَّسْءُ في اللغة التأْخير، يقال: نسأَ اللَّه في أَجله(٥) وأَنْسَأَ اللَّه أَجله أي أَخر أَجله.

وقوله: ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾.

المعنى بخير منها لكم، ﴿أَوْمِثْلِها﴾ فأما ما يؤتى فيه بخير من المنسوخ فتمام الصيام الذي نسخ الإباحة في الإفطار لمن استطاع الصيام.

ودليل ذلك قوله: وتُكمِلُوا العِدَّةَ فهذا هو خير لنا كما قال اللَّه عزّ وجلّ(٦).

وأما قوله ﴿أَوْمِثْلِهَا﴾ أي نأْتي بآية ثوابها كثواب التي قبلها، والفائدة في

---

(١) يريد أن الاستثناء في ﴿إلا ما شاء الله﴾ لا يفيد أن النبي يسلب شيئاً من الحكمة التي أوتيها، وإنما ينسى ويذكر.

(٢) لا يفسر الفعل المتعدي باللازم.

(٣) الممتحنة ٦٠ ـ ١٠.

(٤) الامتحان.

(٥) في ط يقال نسأ اللَّه أجله، ولم يذكر أنسأ.

(٦) هذا رأي لبعض المفسرين في الآية ﴿وعلى الذين يطيقونه﴾ وسيأتي.

ذلك أن يكون الناسخ أسهل في المأخذ من المنسوخ، والإيمان به أسوغ، والناس إليه أسرع. نحو القِبْلة التي كانت على جهة ثم أمر اللَّه النبي ﷺ بجعل البيت قبلةَ المسلمين وعدل بها عن القصد لبيت المقدس، فهذا ـ وإن كان السجود إلى سائر النواحي متساوياً في العمل والثواب، فالذي أمر اللَّه به في ذلك الوقت كان الأصلح، والأدعى للعرب وغيرهم إلى الإسلام.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾.

لفظ ﴿أَلم﴾ ههنا لفظ إستفهام ومعناه التوقيفُ[1]، وجزم ﴿أَلم﴾ ههنا كجزم «لم» لأن حرف الاستفهام لا يغير العامل عن عمله، ومعنى الملك في اللغة تمام القدرة واستحكامها فما كان مما يقال فيه مَلِكٌ سمي المُلْكَ، وما نالته القدرة مما يقال فيه مَالِك فهو مِلْك، تقول: ملكت الشيء أَمْلِكه مِلْكاً، وكقوله[2] [تعالى]﴿على مُلك سليمان﴾أي في سلطانه وقُدْرته. وأَصل هذا من قولهم ملكتُ العَجين أَمْلُكُه[3] إذا بالغْتُ في عَجْنِه، ومن هذا قيل في التزويج شهدنا «إملاكَ» فلان، أي شهدنا عقد أمر نكاحه وتشديده.

ومعنى الآية إن اللَّه يَمْلك السموات والأرض ومن فيهن فهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به، من ناسخ ومنسوخ ومتروك وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا لَكُمْ مِن دُونِ اللَّه مِن وَلِيّ ولاَ نَصِير﴾.

هذا خطاب للمسلمين يخبرون فيه أن من خالفهم فهو عليهم، وأن اللَّه جلّ وعزّ ناصرهم، والفائدة فيه أنه بنَصْره أياهم يغلبون من سواهم.

---

(١) في ك التوقيف والتقرير ـ والمراد التوقيف على العلم أي قد علمت.

(٢) في ط وكأنه قوله.

(٣) في ك أملكه ملكاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أم تُريدُونَ أن تَسألُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِل مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾.

أَجود القراءَة بتحقيق الهمزة[1]، ويجوز جعلها بَينَ بينَ، يكون بين الهمزة والياءَ فيلفظ بها سُيل. وهذا إنما تحكمه المشافهة لأن الكتاب[2] فيه غير فاصل بين المتحقق والمُلَيَّن وما جُعِلَ ياءً خالصة، ويجوز كما سِيلَ موسى من قبل، من قولك «سِلْت»، أَسَال في معنى سُئِلت أُسْأَل وهي لغة للعرب حجاها[3] جميع النحويين، ولكن القراءَة على الوجهين اللذين شرحناهما قبل هذا الوجه من تحقيق الهمزة وتليينها.

ومعنى ﴿أم﴾ ههنا وفي كل مكان لا تقع فيه عطفاً على ألف الاستفهام - إلا أَنها لا تكون مبتدأة - أَنها تؤذن بمعنى بل ومعنى أَلف الاستفهام[4]، المعنى «بل[5]. أَتريدون أَنْ تسأَلوا رسولكم كما سُئِل موسى من قبل» فمعنى الآية أنهم نُهوا أن يسأَلوا النبي ﷺ ما لا خير لهم في السؤال عنه وما يُكَفِّرُهم، وإنما خوطبوا بهذا بعد وضوح البراهين لهم وإقامتها على مخالفتهم وقد شرحنا ذلك في قولهم «فَتمَنَّوُا الموتَ» وما أَشبه ذلك مما تقدم شرحه.

فأُعْلِم المسلمون أَن السؤال بعد قيام البراهين كفر. كما قال عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا لا تسأَلوا عن أَشياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[6].

---

(١) همزة ﴿سئل موسى﴾.

(٢) أي الكتابة.

(٣) بمعنى عقلها وفي ك حكاها.

(٤) تؤدي معناهما معاً. أي الإضراب والاستفهام.

(٥) سقطت من ب ولا يتم المعنى بدونها.

(٦) سورة المائدة ٥ - ١٠١.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الكُفْر بالإيمان فقَدْ ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾.

أي من يسأَلْ عمّا لا يعنيه النبيَّ ﷺ بعد وضوح الحق فقد ضلِ سواءَ السبيل (أي قصد السبيل)[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَدَّ كثيرٌ منْ أَهْلِ الكِتَاب لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْد إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً﴾.

يعني به علماءَ اليهود.

وقوله: ﴿حَسَداً مِنْ عنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾.

﴿من عند أنفسهم﴾ موصول بود الذين كفروا، لا بقوله حسداً، لأن حسد الإِنسان لا يكون من عند نفسه، ولكن المعنى مودتهم بكفركم من عند أنفسهم، لا أنهم عندهم الحق الكفر[2]، ولا أن كتابهم أمرهم بما هم عليه من الكفر بالنبي ﷺ، الدليل على ذلك قوله: ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاعْفُوا واصْفَحُوا حتى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِه﴾.

هذا في وقت لم يكن المسلمون أُمروا فيه بحرب المشركين، وإنما كانوا يدعون بالحجج البينة وغاية الرفق حتى بين اللَّه أَنهم إنما يعاندون بعد وضوح الحق عندهم فأُمر المسلمون بعد ذلك بالحرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّه عَلَى كُلّ شيءٍ قَديرٌ﴾.

أي قدير على أن يدعو إلى دينه بما أحب مما هو عنده الأَحكم والأَبلغ. ويقال: أقدر[3] على الشيءِ قَدْراً وقَدَراً وقُدْرة، وقُدْرَاناً، ومَقْدِرَة

---

(١) في ك فقط.

(٢) ليس الحق ملتبساً عليهم فحسبوه كفراً، ولكن الحسد حملهم على إنكاره.

(٣) في ط يقال على الشيء أقدر. . . الخ.

ومقدُرة ومقدَرة. هذه سبعة أوجه مروية كلها، وأضعفها مقدرة ـ بالكسر ـ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّة إلَّا مَنْ كانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾.

الإخبار في هذا عن أهل الكتاب(١)، وعقد النصارى معهم في قوله وقالوا لأن الفريقين يقرآن التوراة، ويختلفان في تثبيت رسالة موسى وعيسى، فلذلك(٢) قال اللّه عزّ وجلّ: وقالوا: «فأُجْمِلوا».

فالمعنى أن اليهود قالت لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، والنصارى قالت لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً، وجاز أن يلفظ بلفظ جمع لأن معنى﴿من﴾معنى جماعة. فَحُمِل الخبر على المعنى. والمعنى إلا الذين كانوا هودا وكانوا نصارى. وهو جمع هائد وهود، مثل حائل وحول، وبازل وبزل، وقد فسَّرْنَا واحد النصارى وجمعه فيما مضى من الكتاب(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

هذا كما يقال للذي يدعي ما لا يبرهن حقيقته إنما أنت مُتَمَن، وأمانيهم مشددة، ويجوز في العربية تلك «أَمَانِيهِمْ» ولكن القراءَة بالتشديد لا غير، (للإجماع عليه، ولأنه أجود في العربية)(٤).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرهَانَكُمْ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ ﴾.

(أي إن كنتم عند أنفسكم صادقين) فَبَيِّنُوا ما الذي دلكم على ثبوت الجنة لكم.

---

(١) كذا في الأصول كلها ولعله اليهود.

(٢) في ك فلذلك أجملوا.

(٣) ص ١٤٧.

(٤) ليست في ط.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلى مَن أَسْلم وجهَه للَّهِ وهُوَ مُحْسِن فلَه أَجْرُه﴾.

أي فهذا يدخل الجنة، فإن قال قائل فما برهان من آمن في قولكم، قيل ما بيناه، من الاحتجاج للنبي ﷺ ومن إظهار البراهين بأنبائهم ما لا يعلم إلا من كتاب أو وحي، وبما قيل لهم في تمني الموت، وما أتى به النبي ﷺ من الآيات الدالة على تثبيت الرسالة، فهذا برهان من أسلم وجهه للَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَالَتِ اليَهُودُ لَيسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيءٍ، وقَالتِ النَّصارَى ليستِ اليَهودُ عَلى شيءٍ وهُمْ يَتْلُوْنَ الكِتَابَ﴾.

يعني به أن الفريقين يَتْلُوَان التوراة، وقد وقع بينهم هذا الاختلاف وكتابُهم واحد، فدل بهذا على ضلالتهم، وحذر بهذا وقوع الاختلاف في القرآن، لأن اختلاف الفريقين أخرجهما إلى الكفر.

فتفهموا هذا المكان فإن فيه حجةً عظيمة وعِظَةً في القرآن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذلكَ قال الّذينَ لا يَعْلَمونَ مثل قَوْلِهم﴾.

يعني به الذين ليسوا بأصحاب كتاب، نحو مشركي العرب والمجوس، المعنى أن هؤلاء أيضاً قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاللَّهُ يَحْكمُ بينَهم يَومَ القيامَة﴾.

المعنى يريهم من يدخل الجنة عِياناً، ويدخل النار عيانا. وهذا هو حكم الفصل فيما تصير إليه كل فرقة، فأما الحكم بينهم في العقيدة فقد بينه اللَّه عزّ وجلّ ـ فيما أظهر من حجج المسلمين، وفي عجز الخلق عن أن يأْتوا بمثل القرآن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَع مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

موضع من رفع ولفظها لفظ استفهام، المعنى: وأي أحد أظلم ممن منع

مساجد الله، و﴿أظلم﴾ رفع بخبر الابتداء، وموضع أن نصب على البدل من مساجد الله، المعنى: ومن أظلم ممن منع أن يذكر في مساجد الله اسمه[1].

وقد قيل في شرح هذه الآية غير قول: جاءَ في التفسير أن هذا يعني به الروم، لأنهم كانوا دخلوا بيت المقدس وخربوه[2]، وقيل يعني به مشركو مكة[3] لأنهم سعوا في منع المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام. وقال بعض أهل اللغة غير هذا. زعم[4] أنه يعني به جميع الكفار الذين تظاهروا على الإسلام، ومنعوا جملة المساجد، لأن من قاتل المسلمين حتى منعهم الصلاة فقد منع جميع المساجد[5] وكل موضعٍ مُتَعَبَّدٍ فيه فهو مسجد، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فالمعنى على هذا المذهب: ومن أظلم ممن خالف ملة الإسلام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لهم أن يَدْخلوها إلَّا خائِفِينَ﴾.

أعلم الله في هذه الآية أن أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف إلى مساجدهم إلا خائفاً، وهذا كقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّينِ كله ولو كره المشركون﴾[6].

وقوله: ﴿لَهُم فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ولَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾.

يرتفع ﴿خزي﴾ من وجهتين: إحدَاهما الابتداءُ، والأخرى الفعل الذي

---

(١) الأقرب تقدير حرف الجر لأنه مطرد هنا ويكون التقدير منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه.

(٢) ط وأخربوه.

(٣) ط مشركي.

(٤) ط زعم هذا.

(٥) لأنه كان يترتب على منع المسلمين الأول من بناء مسجد ألا يبني مسجداً أبداً.

(٦) سورة التوبة ٩ ـ ٣٣.

ينوب عنه ﴿لهم﴾. المعنى[1] وجب لهم خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم، والخزي الذي لهم في الدنيا، أن يُقْتَلوا إن كانوا حَرْباً، ويُجْزَوا[2] إن كانوا ذمة، وجعل لهم عظيم العذاب لأنهم أظلم من[3] ظلم لقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَم ممن منع﴾[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَللَّه المَشْرِقُ والْمَغْرِبُ﴾.

يرتفعان كما وصفنا من جهتين، ومعنى لِلَّهِ أي هو خالقهما.

وقوله: ﴿فأينما تولوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.

﴿تولوا﴾ جزم بأَيْنَما، والجوابُ ﴿فثم وجه اللَّه﴾، وعلامة الجزم في ﴿تُوَلُّوا﴾ سقوط النون. وثم موضع نصب ولكن مبني على الفتح لا يجوز أن تقول ثَمًّا زيد. وإنما بني على الفتح لالتقاءِ الساكنين، وثم في المكان أشارة بمنزلة هنا زيد، فإذا أردت المكان القريب قلت هنا زيد، وإذا أردت المكان المتراخي عنك قلت ثم زيد، وهناك زيد، فإنما منعت ثم الإعراب لإبهامها. ولا أعلم أحداً شرح هذا الشرح لأن هذا غير موجود في كتبهم.

ومعنى الآية أنه قيل فيها أنه يعني به البيت الحرام، فقيل أينَما تولوا فثم وجه اللَّه أي فاقصدوا وجه اللَّه بتَيَمُّمِكم القبلة، ودليل من قال هذا القول قوله: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾[5]. فقد قيل أن قوماً كانوا في سفر فأدركتهم ظلمة ومطر فلم يعرفوا القبلة فقيل: ﴿فأينما تولوا فثم وجه اللَّه﴾.

---

(١) هذا التقدير على الوجه الثاني.

(٢) يدفعون الجزية.

(٣) في ط أظلم ممن ظلم.

(٤) أي لا أحد أظلم منه.

(٥) البقرة ٢ - ١٤٩، ١٥٠.

وقال بعض أهل اللغة إنما المعنى معنى قوله: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1] فالمعنى على قوله[2] هذا: أن اللَّه معكم أينما تولوا ـ كأنه أينما تولوا فثم اللَّه (وهو معَكم)[3] وإنما حكينا في هذا ما قال الناس: وليس عندنا قطع في هذا، واللَّه عزّ وجلّ أعلم بحقيقته ـ ولكن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يدل على تَوْسيعه[4] على الناس في شيءٍ رخص لهم به.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَه﴾.

﴿قالوا﴾ هو للنصارى ومشركي العرب، لأن النصارى قالت: المسيح ابنُ اللَّه، وقال مشركو العرب الملائكة بنات اللَّه، فقال اللَّه عز وجلّ: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمواتِ والأرض كلٌّ لَه قَانِتُونَ﴾.

القانت في اللغة المُطِيعُ، وقال الفراءُ: ﴿كل له قانتون﴾ هذا خصوص إنما يعني به أهل الطاعة، والكلام يدل على[5] خلاف ما قال، لأن قوله: ﴿ما في السموات والأرض كل له قانتون﴾ كل إحاطة وإنما تأويله: كل ما خلق اللَّه في السموات والأرض فيه أَثَرُ الصَّنْعَة فهو قانت للَّه والدليل على أنه مخلوق ـ والقانت في اللغة القائم أيضاً ألا ترى أن القنوت إنما يُسَمَّى بِه من دَعا قائماً في الصلاة قانتا، فالمعنى كل له قانت مقر بأنه خالقه، لأن أكثر من يخالف ليس بدفع أنه مخلوق وما كان غير ذلك فأثر الصَّنْعَةِ بين[6] فيه، فهو قانت على العموم، وإنما القانت الداعي.

وقوله: ﴿بَديعُ السَّمواتِ والأرض﴾.

---

(١) الحديد ٥٧ ـ ٤.

(٢) ك. على قول هذا.

(٣) ليست في ك.

(٤) في ك بدل على أنه توسعة، وفي ط على توسعه.

(٥) في ط، ب والكلام يدل بخلاف ذلك.

(٦) أثر القدرة الإلهية.

يعني أنشأهما على غير حِذَاءٍ ولا مِثَالٍ، وكل من أَنْشَـأَ ما لَم يُسْبَق إليـه قيل له أَبدعت، ولهذا قيل لكل من خـالف السُّنَّةَ والإجمـاعَ مبتدع، لأنـه يأتي في دين الإسلام بما لم يسبقه إليه الصحابة والتابعون.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿ إذا قَضَى أَمْراً فإنَّما يَقُولُ لَه كُنْ فَيَكُونُ﴾.

رفع ﴿يكون﴾ من جهتين: إن شئت على العـطف على يقول، وإن شئت الإستئناف. المعنى فهو يكون، ومعنى الآية قـد تكلم الناس فيهـا بغير قـول: قال بعضهم: إنما يقول له ﴿كن فيكون﴾ إنما يريد، فيحدث كما قال الشاعر:

امْتَـلأ الـحـوضُ وقـال قَـطْنِـي مهـلا رويـداً قـد مـلأت بـطني[1]

والحوض لم يقل. وقال بعض أهل اللغـة - ﴿إنما يقـول له كن فيكون﴾ يقول له وإن لم يكن حاضراً: كن، لأن مـا هو معلوم عنـده بمنزلـة الحاضـر، وقال قائل: ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ له معنى «من أجله»[2] فكـأنه إنمـا يقول من أجل إرادته إياه ﴿كن﴾ أي أحدُث فيحدث، وقال قوم: هذا يجوز أن تكون[3] لأشياءَ معلومة أحـدث فيها أشيـاءَ فكانت، نحو قوله: ﴿فقلنا لهم كـونوا قـردة خاسئين﴾. والله أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَال الّذينَ لا يَعْلَمُونَ لَولَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَة﴾.

﴿لولا﴾ في معنى هلا، المعنى: هـلا يكلمنا الله أو تـأتينا آيـة، فاعلم الله عزّ وجلّ أن كفـرهم في التعنُّتِ بطلب الآيـات على اقتراحهم كقـول الذين من قبلهم لموسى: ﴿أَرنا اللّه جهرة﴾، وما أشبه هذا، فأعلم اللّه أن كفرهم متشـابه، وأن قلوبهم قد تشابهت في الكفر.

(١) قطني بمعنى حسبي - وهذا الشعـر لم يعرف قـائله والبيت في اللسان بـدون نسبة (قـطن) وفي الأمالي الشجرية ١ - ٣١٣ والمقاصد النحوية ١ - ٣٦ والخصائص ١ - ٢٣.

(٢) «له» للشيء الذي أراده الله - يقول من أجله ﴿كن﴾ فيوجد.

(٣) تكون كلمة ﴿كن﴾ لأشياء معلومة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَد بَيَّنَّا الآيَاتِ لقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

المعنى فيه أن من أيقن وطلب الحق فقد آتته الآيات البينات، نحو المسلمين ومن لم يشاق من علماءِ اليهود، لأنه لما أتاهم ﷺ بالآيات التي يُعْجِزُ عنها من أنبائهم بما لا يُعلم إلا من وحي، ونحو انشقاق القمر وآياته التي لا تحصى عليه السلام، والقرآن الذي قيل لهم فأْتوا بسورة من مثله فعجزوا عن ذلك. ففي هذا برهانٌ شافٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّا أَرْسَلْنَاكَ بالحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾.

نصب «بشيراً ونذيراً» على الحال، ومعنى بشيراً، أي مبشراً المؤمنين بما لهم من الثواب، وينذر المخالفين بما أعد لهم من العقاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيمِ﴾.

وتقرأُ﴿ولا تَسْأَلْ﴾، ورفع القراءَتين جميعاً من جهتين، إحداهما أن يكون ﴿ولا تسأل﴾ استئنافاً، كأنه قيل ولست تسأل عن أصحاب الجحيم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿فإنَّما عَلَيْكَ البَلاَغُ وعَلَيْنَا الحِسَابُ﴾(١) ويجوز أن يكون له الرفع على الحال، فيكون المعنى: أرسلناك غير سائل عن أصحاب الجحيم.

ويجوز أيضاً «ولا تَسْأَلْ عن أصحاب الجحيم» وقد قرىء به فيكون جزماً بلا. وفيه قولان على ما توجبه اللغة: أن يكون أَمَرَهُ اللَّهُ بترك المسألة، ويجوز أن يكون النهي لفظاً، ويكون المعنى على تفخيم ما أُعد لهم من العقاب، كما يقول لك القائل الذي تَعْلَمُ أنت أنه يجب أن يكون من تسأل عنه في حال جميلة أو حال قبيحة، فتقول لا تسأل عن فلان أي قد صار إلى أكثر مما تريد، ويقال: سألته أسأله مسألة وسؤالاً، والمصادر على فُعَال تقِلّ في غير

---

(١) سورة إبراهيم.

الأصوات والأدْواءِ فأما في الأصوات فنحو الدعاء والبكاء والصراخ وأما في الأدواء فنحو: الزكام والسعال وما أشبه ذلك. وإنما جاءَ في السؤال لأن السؤال لا يكون إلا بصوت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾.

قد شرحنا معنى اليهود[1] والنصارى. و «ترضى» يقال في مصدره رضي، يرضى، رضا ومرضاة، ورضواناً ورضواناً[2]، ويروي عن عاصم في كل ما في القرآن من «رضوان» الوجهان جميعاً، فأما ما يرويه عنه أبو عمرو فَرِضوانِ بالكسر، وما يرويه أبو بكر بن عياش: فَرُضْوان، والمصادر تأتي على فِعْلان وفُعْلان، فأما فِعْلان، فقولك عرفته عِرْفاناً، وحسبته حسباناً، وأما فُعلان كقولك: غُفرانك لا كُفْرانك[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

﴿تتبع﴾ نصب بحتى، والخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه يقولون إن الناصب للفعل بعد حتى «أن» إلَّا أنها لا تظهر مع حتى، ودليلهم أن حتى غير ناصبة [هو] أن حتى بإجماع خافضة، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿سلام هي حتى مَطْلَعِ الفجر﴾[4] فخفض مطلع بحتى، ولا نعرف في العربية أن ما يعمل في اسم يعمل في فعل، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل، فقد بان أن حتى لا تكون ناصبة، كما أنكِ إذا قلت: جاءَ زيد ليضربك فالمعنى جاءَ زيد لأن يضربك، لأن اللام خافضة للاسم، ولا تكون ناصبة لفعل، وكذلك ما كان زيد ليضربك، اللام خافضة، والناصب ليضربك أن المضمرة، ولا يجوز إظهارها مع هذه اللام، وإنما لم يجز لأنها جواب لما يكون مع الفعل وهو

(١) ك ـ معنى تفسير اليهود.

(٢) بكسر الراء وضمها.

(٣) أي أسالك المغفرة وأعوذ بك من الكفر.

(٤) القدر ٩٧ ـ ٥ وسلام هي ليست في ك.

حرف واحد يقول القائل: سيضربك، وسوف يضربك، فجعل الجواب في النفي بحرف واحد كما كان في الإيجاب بشيءٍ واحد.

ونصب ملتهم بتتبَّع، ومعنى ملتهم في اللغة سنتهم وطريقتهم، ومن هذا المَلَّة أي الموضع الذي يختبز فيه، لأنها تؤثر في مكانها كما يُؤَثَّر في الطريق. وكلام العرب إذا إتفق لفظه فأكثره مشتق بعضه من بعض، وآخذ بعضه برقاب بعض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾.

أي الصراط الذي دعا إليه وهدى إليه هو الطريق أي طريق الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنِ إتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

إنما جمع ولم يقل هواهم، لأن جميع الفرق ممن خالف النبي ﷺ لم يكن ليرضيهم منه إلا أتباع هواهم(١). وجمع هوى على أهواءَ، كما يقال جمل وأجمال، وقتب وأقتاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَالَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ ولاَ نَصِير﴾.

الخفض في ﴿نصير﴾ القراءَة المجمع عليها، ولو قرئ ولا نصير بالرفع كان جائزاً، لأن معنى من ولى مالك من اللَّه ولي ولا نصير(٢).

ومعنى الآية أن الكفار(٣) كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة وَيُرُونَ(٤) أنه إن هادنهم وأمهلهم أسلموا، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم، فنهاه اللَّه ووعظه في الركون إلى شيءٍ مما يدعون إليه، ثم أعلمه اللَّه عزّ وجلّ ـ وسائِرَ الناس ـ أن من كان منهم غير متعنت ولا حاسد ولا طالب

---

(١) كل فرقة تريد، أن يتبع هواها ـ فهي أهواء كثيرة.

(٢) موضع ولي هو الرفع. ومن زيدت بعد النفي فيجوز العطف على اللفظ أو المحل.

(٣) يريد اليهود.

(٤) يظهرون.

لرياسة تلا التوراة كما أُنزلت فذكر فيها أن النبي ﷺ حق فآمن به[1] فقال [تعالى]:

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾.

يعني أن الذين تَلُوا التوراة على حقيقتها، أولئك يؤمنون بالنبي ﷺ. وفي هذا دليل أن غيرهم جاحد لما يعلم حقيقته، لأن هؤلاءِ كانوا من علماءِ اليهود، وكذلك من آمن من علماءِ النصارى ممن تلا كتبهم. و﴿الذين﴾[2] يرفع بالابتداءِ، وخَبَرُ الابتداءِ ﴿يتلونه﴾، وإن شئت كان خبر الابتداءِ يتلونه وأولئك جميعاً، فيكون للابتداءِ خبران كما تقول هذا حلو حامض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا﴾.

﴿يا بني إسرائيل﴾ نصب لأنه نداءٌ مضاف، وأصل النداءِ النصب، ألا ترى أنك إذا قلت يا بني زيد، فقال لك قائل: ما صنعت؟ قلت ناديتُ بني زيد، فمحال أن تخبره بغير ما صنعت، وقد شرحناه قبل هذا شرحاً أبلغ من هذا، وإسرائيل لا يتصرف، وقد شرحنا شرحه في مكانه وما فيه من اللغات[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

موضع «أنَّ»[4] نصب كأنه قال أذكروا أني فضلتكم على العالمين، والدليل من القرآن على أنهم فُضِّلَوا قول موسى ﷺ (كما قال اللّهعزّ وجلّ):[5] ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة اللّه عليكم إذْ جعل فيكم أنبياءَ

(١) ط وآمن به.
(٢) في الأصل «الذي».
(٣) ص ١١٩ ـ ٢٠.
(٤) في «أني فضلتكم».
(٥) ليست في ط.

وجعلَكُمْ مُلوكاً، وآتاكُمْ ما لَمْ يُؤْتِ أَحداً مِنَ العالمينَ﴾[1].

وتأويل تفضيلهم في هذه الآية ما أُوتوا من الملك وأن فيهم أنبياء - وأنهم أُعطوا علم التوراة، وأن أمر عيسى ومحمد ﷺ لم يكونوا يحتاجون فيه إلى آية غير ما سبق عندهم من العلم به، فذكرهم اللّه عزّ وجلّ ما هم عارفون، ووعظهم فقال:

﴿واتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزي نَفْسٌ عنْ نَفْسٍ شَيْئاً ولاَ يُقْبلُ منْهَا عَدْلٌ ولاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾.

العدل الفدية، وقيل لهم: ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾، لأنهم كانوا يعتمدون على أنهم أبناءُ أَنبياءِ اللّه، وأنهم يَشْفَعُون لهم، فأَيئسَهم اللّه عزّ وجلّ من ذلك، وأَعلمهم أن من لم يتبع محمداً ﷺ فلَيْسَ يُنْجِيه منْ عذاب اللّه شيءٌ وهو كافر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذ ابْتَلَى إبراهيمَ ربُّه بكَلماتٍ فأَتَمَّهُنَّ﴾.

المعنى أذكروا إذ إبتلى إبراهيم ربه، ومعنى ﴿فأتمهن﴾: وفَّى بما أُمر به فيهن، وقد إختلفوا في الكلمات: فقال قوم تفسيرها أنه أَمره بخمس خلال في الرأْس، وخمس خلال في البدَن، فأَما الَّلاتِي في الرأْس فالفرْق وقَصّ الشَّارِبِ والسواكُ، والمضْمضَةُ، والاستنشاق، وأَما إلتي في البدن فالختان وحلق العانة والإستنجاءُ وتقليم الأَظافر ونتف الإبط. فهذا مذهب قوم وعليه كثير من أهل التفسير. وقال قوم: ان الذي إبتلاه به ما أَمره به من ذبح ولده، وما كان من طرحه في النار، وأَمر النجوم التى جرى ذكرها في القرآن في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيهِ الليلُ رأى كَوْكَباً﴾[2] وما جرى بعد الكواكب من ذكر القمر والشمس، فهذا مذهب قوم.

---

(١) المائدة ٥ - ٢٠.

(٢) سورة الأنعام آية ٦ - ٧٦.

وجميع هذه الخلال قد إبتُلِيَ بها إبراهيم، وقد وفَّى بمآ أُمِر به وأتى بمـا يأتي به المؤْمن بل البرُّ المصطفى المختار، ومعنى ابتلى اختبر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنِّي جاعِلكُ لِلنَّاسِ إماماً﴾.

الأمُّ في اللغـة القَصْدُ، تقـول: أَممْتُ كذا وكـذا، إذا قصدتـه وكـذلك قوله: ﴿فَتَيمَّمُوا صعيداً طَيِّباً﴾[1] أي فأقصـدوا، والإمام الـذي يؤْتم به فيفعـل أهلُه وأمته كما فعل، أي يقصدون لـمَا يقصد.

﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي، قَالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

فـأعلم اللَّه إبراهيم أن في ذريتـه الظالم، وقـد قـرئت «لا ينـال عهـدي الظالمُون» والمعنى في الرفع والنصب واحـد، لأن النَّيْلَ مشتمـل على العهد، وعلى الـظالمين إلا أنـه منفي عنهم، والـقـراءَة الجيِّـدة هي عـلى نصـب الظالمين[2]، لأن المصحف هكذا فيه، وتلك القراءَة جيدة (بالغـة)[3] إلا أني لا أقـرأ بها، ولا ينبغي أن يُقْـرأ بها لأنهـا خـلاف المصحف، ولأن المعنى أن إبراهيم عليه السـلام كأنـه قال: واجعـل الإمامـة تنال ذريتي (واجعـل)[4] هذا العهد ينال ذريتي، قال اللَّه: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾. فهـو على هذا أقـوى أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ جَعَلْنَا البيْتَ مَثَابَةً للنَّاسِ وَأَمْناً﴾.

﴿مثابة﴾ يثوبون إليه، والمثاب والمثابة واحد، وكذلك المقام والمقامة، قال الشاعر:[5]

---

(١) سورة المائدة ٥ ـ ٦.

(٢) ط والقراءة الجيدة نصب الظالمين.

(٣) ليست في ط. أي القراءة برفع الظالمين جيدة.

(٤) ليست في ك.

(٥) الفرزدق يمدح بشر بن مروان ـ الديوان ١٢٣ ـ الشجري ١ ـ ٣١٣ الخصائص ٣ ـ ٤٥ والمقام

وإني لقوّام مَقَاوِمَ لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها

وواحد المقاوم مقام ـ وقال زهير:

وفيهم مقامات حسانٌ وجوهها وأَنْدِيَةٌ يَنْتَابُها القولُ والفعلُ[1]

وواحد المقامات مقامة. والأَصل في مثابة مَثْوَبَة. ولكن حركة الواو نقلت إلى التاءِ، وتبعت الواو الحركة فانقلبت أَلفاً، وهذا إعلال أتباع، تبع مثابة باب «ثاب» وأَصل ثاب ثَوَبَ، ولكن الواو قلبت أَلفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها لا اختلاف بين النحويين في ذلك.

وهذا الباب فيه صعوبة إلا أَن كتابنا هذا يتضمن شرح الإعراب والمعاني فلا بد من استقصائها على حسب ما يعلم.

ومعنى قوله:

﴿وَأَمْناً﴾: (قيل)[2] كان من جنى جناية ثم دخل الحرم لم يقم عليه الحد، ولكن لا يبايع ولا يكلم حتى يضطر إلى الخروج منه، فيقام عليه الحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾.

قرئت «واتخذوا» بالفتح والكسر: وَاتَّخَذُوا، واتَّخِذُوا روى أَن عمر بن الخطاب قال للنبي ﷺ وقد وقفا على مقام إبراهيم: أَليس هذا مقامَ خليل ربنا؟. «وقال بعضهم مقامَ أَبينا»، أَفَلا نتخذه مصلى؟ فأَنزل اللّه عزّ وجلّ: ﴿وانحدوا من مقامِ إبراهيم مصلى﴾ فكان الأمر. والقراءَة ﴿واتخذوا﴾

والمقامة سادة الناس ومجلسهم، وحصير الملك. وفي ابن يعيش ١٠ ـ ٩٠ ـ ٩١. البيت للأخطل.

(١) ديوانه ١١٢ ـ اللسان (قوم).

(٢) في ك فقط.

(٣) بتقدير وقلنا إتخذوا.

(بالكسر على هذا الخبر أبين)[٣]. ولكن ليس يمتنع «واتخَذُوا» لأن الناس اتخذوا هذا، فقال: ﴿وإذ جعلنا البيت مثابة﴾ ﴿واتخذوا﴾ فعطف بجملة على جملة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبرَاهِيمَ واسْمَاعِيل أَنْ طَهِرَا بَيْتِيَ لِلطَّائفِينَ، والعَاكِفينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.

معنى طَهِّراه امنعاه من تعليق الأصنام عليه، والطائفون هم الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون المقيمون به، ويقال قد عَكَف يعكُف ويَعْكِف على الشيءِ عُكُوفاً أي أقام عليه، ومن هذا قول الناس: فلان معتكف على الحَرام، أي مقيم عليه، ﴿والرّكعِ السُّجود﴾: سائر من يُصلي فيه من المسلمين، و ﴿بيْتِيَ﴾: الأجود فيه فتح الياءِ، وإن شئت سكّنتها، والرُّكَّع جمع راكع، مثل غاز وغُزًّى، والسجود جمع ساجد، كقولك: ساجد وسجود، وشاهد وشهود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذْ قَال إِبْراهِيمُ ربِّ إجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً﴾.

المعنى وأذكروا إذ قال إبراهيم. وأمنا: ذا أمن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وارزُقْ أَهلَهُ من الثَّمراتِ﴾ [من آمن منهم...]

﴿من﴾ نَصْبٌ بدلٌ من أَهله، المعنى أرزق من آمن من أهله دون غيرهم، لأن اللَّه تعالى قد أعلمه أن في ذريته غيرَ مؤمن، لقوله: عزّ وجلّ: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ ومنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قليلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إلى عَذَابِ النَّارِ﴾.

أكثر القراءة[٢] على فأمتِّعه (قليلاً)[٣] ثم أَضْطَرُّه، على الإخبار، وقد

---

(١) الآية تفيد دعاء إبراهيم للمؤمنين، ولا تفيد نفي الرزق عن غيرهم.

(٢) في ك القراء.

(٣) ليست في ك.

قـرِيءَ أيضاً ـ فـأَمْتِعْه، ثم آضْـطَرَّه، على الدعـاءِ، ولفظ الـدعـاءِ كلفظ الأمـر مجزوم، إلا أَنه استعظم أَن يقال «أمر» فَمسْأَلتك مَنْ فوقَك نَحْو أَعطني، وأغفر لي دعاءٌ ومسْأَلةٌ، ومسأَلتُـك من دُونَكِ أَمْـرٌ كقولـك لغلامـك إفعل كـذا وكذا، والراءُ مفتوحة في قوله ثم «اضطرَّه» لسكـونها وسكـون الراءِ التي قبلهـا الأصل ثم اضْطَرِرْه، ويجوز ثم أضطره ولا أَعلم أَحداً قرأَ بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ يرفَعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيتِ﴾.

القواعد واحدتها قاعدة وهي كالأساس والأس للبنيان، إلا أَن كل قـاعدة فهي للتي فوقها، وإسماعيلُ عطف على إبراهيم.

وقـوله: ﴿رَبَّنَـا تَقَبَّلْ مِنَّـا﴾ المعنى يقولان ﴿ربَّنا تَقَبَّـلْ مِنَّـا﴾، ومثله في كتاب اللَّه: ﴿والملائكةُ باسُطو أَيْدِيهم أَخْرِجُـوا أَنْفُسَكُم﴾(١) ومثله: ﴿والملائكـة يدخلون عليهم من كل باب سَلام عليكم﴾(٢) (أَي يقولون سلام عليكم)(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾.

تفسير المسلم في اللغة الذي قد استسلم لأمر اللَّه كله وخضع له، فالمسلم المحقِّقُ هو الذي أَظهر القبول لأمر اللَّه كله وأَضمر مثل ذلك، وكـذلك قـوله: ﴿قالت الأعراب آمنا، قُلْ لَمْ تُؤْمِنوا، ولكن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾(٤).

المعنى: قولوا جميعاً خضعنا وأَظهرنا الإسـلام. وباطنهم غيـر ظاهِـرهم لأن هؤُلاءِ منـافقون فـأَظهر اللَّه عـزّ وجلّ النبي على أَسْـرارِهم، فالمسلم على ضَرْبينَ مُظْهِرُ القبولَ ومبطن(٥) مثلَ ما يُظْهِر، فهذا يقال له مؤمن، ومسلم إنمـا يظهر غير ما يبـطن فهذا غيـر مؤمن، لأَن التصديق والإيمـان هو بـالإظهار مـع

(١) الأنعام ٦ ـ ٩٤.

(٢) الرعد ١٣ ـ ٢٤.

(٣) ليست في ك، والآيات الثلاث تمثيل لحذف القول.

(٤) الحجرات ٤٩ ـ ١٤.

(٥) في ك مبطن به.

القبول، ألا ترى أنهم إنما قيل لهم ولَمَّا يدْخُلِ الإيمانُ في قُلوبِكم، أي أظهرتم الإيمان خشية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأرِنا مناسِكَنا﴾.

معناه عَرِّفْنا متعبداتنا، وكل متعبَّد فهو مَنْسَك ومَنْسِك، ومن هذا قيل للعابد ناسك، وقيل للذبيحة المتقرب بها إلى الله تعالى النَّسيكة، وكان الأصل في النسك إنما هو من الذبيحة للَّه جلّ وعزّ.

وتقرأ أيضاً ﴿وأرنا﴾ على ضربين: بكسر الراءِ وبإسكانها والأجود الكسر، وإنما أسكن أبو عمرو لأنه جعله بمنزلة فَخِذ وعَضُد وهذا ليس بمنزلة فخذ ولا عضد، لأن الأصل في هذا «أَرْئِنَا» فالكسرة إنما هي كسرة همزة أُلقيت[1]، وطُرحت حركتها على الراءِ فالكسرة دليل الهمزة، فحذفها قبيح، وهو جائز على بعده لأن الكسر والضم إنما يحذف على جهة الاستثقال. فاللفظ بكسرة الهمزة والكسرة التي في بناءِ الكلمة واللفظ به واحد، ولكن الاختيار ما وصفنا أولاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومَنْ يرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إبرَاهيمَ إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾.

معنى ﴿مَنْ﴾ التقرير والتوبيخ، ولفظها لفظ الاستفهام وموضعها رفع بالابتداءِ، والمعنى ما يرغب عن ملة إبراهيم إلا مَنْ سَفه نَفْسَه[2]، والمِلَّةُ قد بيَّناها وهي السُّنَّة والمذهب، وقد أكْثَر النحويونَ واختلفوا في تفسير ﴿سفه نفسه﴾، وكذلك أهلُ اللغة، فقال الأخفش: أهل التأويل يزعمون أن المعنى ﴿سَفَّه نفسه﴾، وقال يونس النحوي: أُراها لغة، وذهب يونس إلى أن فَعِل للمبالغة، كما أن فَعُل للمبالغة فذهب في هذا مذهب التأويل[3]، ويجوز على

(١) حذفت.

(٢) أي شخص يرغب عنها إلاّ شخصاً سفه نفسه.

(٣) يقال كبرت كلمة بمعنى ما أكبرها، ويقولون حسن وقبح أي ما أحسنه وما أقبحه.

هذا القول سَفِهْتُ زيداً بمعنى سَفَّهْتَ زيداً، وقال أبو عبيدة معناه أهلك نفسه، وأوْبَق نفسه، فهذا غير خارج من مذهب أهل التأويل ومذهبِ يونس، وقال بعض النحويين: إن نفسه منصوب على التفسير، وقال التفسير في النكرات أكثر نحو طاب زيدٌ بأمره نفساً، وقَرَّ بِه عيْناً وزعم أن هذه المُفَسِّرات المعارف أصل الفعل لها ثم نقل إلى الفاعل نحو وجِعَ زيدٌ رأْسَه، وزعم أن أصل الفعل للرأْس وما أشبهه، وأنه لا يجيز تقديم شيءٍ من هذه المنصوبات وجعل ﴿سفه نفسه﴾ من هذا الباب.

قال أبو إسحق: وعندي أن معنى التمييز لا يحتمل التعريف لأن التمييز إنما هو واحد يدل على جنس أو خلة تخلص من خلال فإذا عرفه صار مقصوداً قصده، وهذا لم يقله أحد ممن تقدم من النحويين وقال أبوإسحق: إن ﴿سفه نفسه﴾ بمعنى سفُه في نَفْسه إلا أن «في» حُذِفَتْ، كما حذفت حروف الجر في غير موضع، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ولا جناح عليكم أنْ تسترضعوا أولادكم﴾[1]، والمعنى أن تسترضعوا لأولادكم، فَحُذِفَ حرف الجرّ في غير ظرف، ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾[2] أي على عقدة النكاح ومثله قول الشاعر:[3]

نغالي اللحم للأضياف نِيأً ... ونبذله إذا نضج القدور

المعنى: نغالي باللحم، ومثله قول العرب: ضُرب فلان الظهر والبطن

---

(١) الآية في سورة البقرة ٢ ـ ٢٣٣، ﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم﴾. ولكن حذف الجار مع أنه مطرد كما في: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ ١٩٨ ـ ﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا﴾ ٢٢٤، ﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن﴾. «سورة الممتحنة» ـ ٦٠ ـ ١٠ وستأتي هذه الآيات.

(٢) البقرة ٢ ـ ٢٣٥.

(٣) الحطيئة ـ أمالي المرتضى ٣ ـ ١٥ ـ وفي اللسان ـ فلا القدر ـ وأنظر معاني القرآن للفراء ٢ ـ ٣٨٣ وتعليق المحقق.

والمعنى: على الظهر والبطن. فهذا الذي إستعمل من حذف حرف الجر موجود في كتاب اللّه، وفي إشعار العرب وألفاظها المنثورة، وهو عندي مذهب صالح.

والقول الجيد عندي في هذا أن سفه في موضع جهل، فالمعنى: ـ واللّه أعلم ـ إلا من جهل نفسه، أي لم يفكر في نفسه، كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1]، فوضع جهل[2]، وعدى كما عدى. فهذا جميع ما قال الناس في هذا، وما حضرنا من القول فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾.

معناه إخترناه ولفظه مشتق من الصفوة.

﴿وإِنَّهُ فِي الآخِرةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. فَالصالحُ في الآخرة الفائز.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّه أَسْلِمْ﴾ معناه إصطفاه إذ قال له ربه أسلم: أي في ذلك الوقت﴿قال أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَوَصَّى بهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقَوبُ﴾.

قوله: ﴿بهَا﴾ هذه الهاءُ ترجع على الملة، لأن إسلامه هو إظهار طريقته وسنته ويدل على قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ قوله: ﴿إن اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ﴾. وإنما كسرت «إن» لأن معنى وصي وأوصى: قَوْلُ: المعنى قال لهم إن اللّه اصطفى لكم الدين[3]، ووصى أبلغ من أوصى، لأن أوصى جائز أن يكون قال لهم مرة واحدة، ووصّى لا يكون إلا لمرات كثيرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

---

(١) سورة الذاريات ٥١ ـ ٢٢.

(٢) ترك كلمة جهل واستعمل سفيه.

(٣) الأظهر تقدير قول محذوف، أي وصى قائلاً.

إن قال قائل كيف ينهاهم عن الموت، وهم إنما يُمَاتُون[1]، فإنما وقع هذا على سعة الكلام، وما تكثر استعماله «العرب»[2] نحو قولهم: «لا أرينَّك ههنا»، فلفظ النهي إنما هو للمتَكَلِّم، وهو في الحقيقة للمُكَلَّم، المعنى: لا تكونن ههنا فإن من كان ههنا - رأيته - والمعنى في الآية: ألزموا الإسلام، فإذا أدرككم الموتُ صادَفكم مُسْلمين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ﴾.

المعنى: بل أكنتم شهداءَ إذ حضر يعقوب الموت، ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ﴾ فقولك: ﴿إذ﴾ الثانية، موضعها نصب كموضع الأُولى، وهذا بَدَلٌ مؤكَّدٌ.

وقوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾.

القراءَة على الجمع، وقال بعضهم: «وإله أبيك» كأنه كره أن يجعل العم أباه، وجعل إبراهيم بدلاً من أبيك مبيناً عنه، وبخفض إسماعيل وإسحاق، كان المعنى إلهك وإله أبيك وإله إسماعيل، كما تقول: رأيت غلام زيد وعمرو أي غلامهما، ومن قال: ﴿وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ فجمع وهو المجتمع عليه، جعل إبراهيم وإسماعيل وإسحق بدلاً، وكان موضعهم خفضاً[3] على البدل المبين عن آبائك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَهاً وَاحِداً﴾.

منصوب على ضربين: إن شئت على الحال، كأنهم قالوا نعبد: إلهك في حال وحدانيته، وإن شئت على البدل. وتكون الفائدة من[4] هذا البدل ذكر التوحيد، فيكون المعنى نعبد إلهاً واحداً.

---

(١) في ط يؤتَون.
(٢) في ط وما يكثر استعماله.
(٣) الأولى موضعها - أي موضع هذه الأسماء. وسبق للزجاج تعبيرات مثل هذا.
(٤) في ط في هذا البدل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾.

معنى ﴿خلت﴾ مضت، كما تقول لثلاث خلون من الشهر أي مضين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

المعنى: إنما تسألون عن أعمالكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾.

المعنى: قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى، وجزم تهتدوا على الجواب للأمر، وإنما[1] معنى الشرط قائم في الكلمة، المعنى إن تكونوا على هذه الملة تهتدوا، فجزم تهتدوا على الحقيقة جواب الجزاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾.

تنصب الملة على تقدير بل نتبعُ ملة إبراهيم ويجوز أن تنصب على معنى: بل نكون أهل ملة إبراهيم، وتحذف «الأهل» كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿واسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾[2] لأن القرية لا تُسْأل ولا تجيب. ويجوز الرفع «بل ملةُ إبراهيم حنيفاً». والأجود والأكثر: النصب. ومجاز[3] الرفع على معنى: قل ملتُنا ودينُنا ملة إبراهيم، ونصب ﴿حنيفاً﴾ على الحال، المعنى: بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفَتِه، ومعنى الحنيفة في اللغة الميل، فالمعنى: أن إبراهيم حنيف إلى دين اللَّه، دين الإسلام. كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾[4] فلم يبعث نبي إلا به. وإن اختلفت شرائعهم، فالعقد توحيد اللَّه عزّ وجلّ والإيمان برسله وإن اختلفت الشرائع،

---

(١) في الأصل وأن - وفي ط ومعنى - ولعله اجود العبارات.

(٢) سورة يوسف ٨٢.

(٣) أي تقديره الإعرابي، أنه خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) سورة آل عمران.

إلا أنه لا يجوز أن تُتركَ شريعة نبي[1] أو يعمل بشريعة نبي قبله تخالف شريعة نبي الأمة التي يكون فيها.

وإنما أخذ الحنفُ من قولهم: امرأة حَنْفَاءُ ورجل أحْنَف، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما بأصابعها إلى أختها بأصابعها، قالت أم الأحنف بن قيس وكانت ترقصه، وخرج سيدَ بَنِي تميم:

والله لولا حَنَف في رجله ودقة في ساقه من هُزْلِه
ما كان في فِتْيانِكم مِنْ مِثْلِه[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ المعنى: لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾.

فإن قال قائل: فهل للإيمان مِثْلٌ هو غير الإيمان؟ قيل له: المعنى واضح بين، وتأويله: فإن أَتَوْا بتصديق مثل تصديقكم وإيمانكم - بالأنبياءِ، ووحّدوا كتوحيدكم فقد اهتدوا، أي فقد صاروا مسلمين مثلكم.

﴿وإنْ تَوَلَّوْا فإنَّما هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ أي في مشاقة وعداوة ومن هذا قول الناس: فلان قد شق عصا المسلمين، إنما هو قد فارق ما اجتمعوا عليه من أتباع إمامهم، وإنما صار في شق غير شق المسلمين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾.

هذا ضمان من الله عزّ وجلّ في النصر[3] لنبيه ﷺ لأنه إنما يكفيه إياهم

---

(١) في هذا الفراغ جاءت كلمة «ولزم» ولا معنى لها فحذفناها.

(٢) في اللسان حنف - الشطران الأول والثالث.

(٣) في ط - النصر - بدون حرب الجر. وفي ك بالنصر.

بإظهار ما بعثه به على كل دين سواه ـ وهذا كقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[1] فهذا تأويله ـ والله أعلم. وكذا قوله: ﴿كتب الله لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[2] فإن قال قائل فإن من الرسل مَنْ قُتِل. فإن تأويل ذلك ـ والله أعلم ـ أن الله غالب هو ورسله بالحجَّة الواضحة، والآية البينة، ويجوز أن تكون غلبةَ الآخرة لأن الأمر هو على ما يستقر عليه في العاقبة، وقد قيل: إن الله لم يأمر رسولاً بحرب فأتبع ما أمره الله به في حربه إلا غلب. فعلى هذا التأويل يجوز أن يكون لم يقتل رسول قط محارباً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مَنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾.

يجوز أن تكون ﴿صبغة﴾ منصوبة على قوله: ﴿بل نتبع ملة إبراهيم﴾ أي بل نتبع صبغة الله. ويجوز أن يكون نصبها على، بل نكون أهل صبغة الله. كما قلنا في ملة إبراهيم، ويجوز أن ترفع الصبغة على إضمار هي، كأنهم قالوا: هي صبغة الله أي هي ملة إبراهيم صبغة الله. وقيل: إنما ذكرت الصبغة لأن قوماً من النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماءٍ لهم، ويقولون هذا تطهير كَمَا أن الختان تطهير لهم: فقيل لهم: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾، أي التطهير الذي أُمر به مُبالِغٌ في النظافة.

ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ صبغة الله أي خلقة الله ـ جلّ وعزّ ـ الخلق، فيكون المعنى: أن الله إبتدأ الخلق على الإسلام، ويكون دليل هذا القول قول الله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِن ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالوا بلى﴾[3]. وجاءَ في الحديث: أنهم

---

(١) التوبة ٩ ـ ٣٣ والصف ٦١ ـ ٨.

(٢) المجادلة ٥٨ ـ ٢١.

(٣) سورة الأعراف ٧ ـ ١٧٢.

أخرجهم كالذر، ودليل هذا التأويل أيضاً قوله عزّ وجلّ: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(١) ويجوز أن يكون منه الخبر: «كلُّ مولودٍ يُولَد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه» وصبغت الثوب إنما هو غيرت لونه وخلقته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾.

في ﴿أَتُحَاجُّونَنَا﴾ فِي اللَّهِ لغات فأجودها: ﴿أتحاجوننا﴾ بنونين وإن شئت بنون واحدة ـ «أَتُحَاجُّونَّا» على ادغام الأولى في الثانية وهذا وجه جيد، ومنهم من إذا أدغم أشار إلى الفتح كما قرأوا: ﴿مالك لَا تَأْمَنَّنَا عَلى يوسف﴾(٢) على الإدغام والإشارة إلى الضم، وإن شئت حذفت إحدى النونين فقلت «أتحاجُّونَا» فحذف لاجتماع النونين قال الشاعر:

تـراه كالثغام يُعَلُّ مسكا ... يسوءِ الغانِيات إِذَا فَلِيني(٣)

يريد فَلَيْنَنَيِ، ورأيت مذهب المازني(٤)وغيره ردَّ هذه القراءَة، وكذلك ردّوا ﴿فبم تبشرونِ﴾(٥)ـ قال أبو إسحق»(٦) والأقدام على ردّ هذه القراءَة غلط لأن نَافِعاً رحمه اللَّه قرأ بها، وأخبرني إسماعيل بن إسحق أنَّ نافعاً رحمه اللَّه

---

(١) الروم ٣٠ ـ ٣٠.

(٢) يوسف ١٢ ـ ١١.

(٣) لعمر بن معد يكرب ـ يصف زوجة أبيه وقد خلفه هو عليها بعد موته في الجاهلية يريد فلينني ـ فحذف النون تخفيفاً ـ الخزانة ١ ـ ٤٤٥ والضمير لشعر رأسه ـ الذي أبيض شيباً ـ والثغام نبت أبيض يظهر بالجبال أي أن شعره تزداد رائحته كلما افتلى حتى تغار الغواني.

(٤) أبو عثمان المازني ـ بكر بن محمد بن بقية من مازن شيبان بن ذهل ـ إمام في العربية بصري ـ روى عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد، وهو أستاذ المبرد وقال المبرد: لم يكن بعد سيبويه أعلم بالنحو من أبي عثمان ـ وكان مشهوراً بقطع مناظريه ـ وترك كتباً قيمة في القرآن والنحو ـ وله تفاسير على كتاب سيبويه توفي سنة ٢٤٨ هـ: البغية ٢٠٢.

(٥) الحجر ١٥ ـ ٥٤.

(٦) ك ـ قالوا: قال أبو إسحق.

لم يقرأْ بحرف إلا وأقل. ما قرأ به إثنان من قراءِ المـدينة، ولَـه وجْه في العـربية فلا ينبغي أن يرد، ولكن «الفتح» في قوله ﴿فبم تُبشّرونَ﴾ أقوى في العربية[1].

ومعنى قوله: ﴿قُلْ أتحاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أن اللَّه عزّ وجلّ أمـر المسلمين أن يقـولوا لليهـود الذين ظـاهروا من لا يـوحد اللَّه عـزّ وجلّ مِن النَّصـارى وعبـدةِ الأَوْثَانِ، فأمر اللَّه أن يحتج عليهم بأنكم تزعمون أنكم موحدون، ونحن نوحّد فلم ظَـاهرْتُمْ مِن لا يـوحد اللَّه جـلّ وعزّ ﴿وهُـو رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنـا أَعْمَالُنَـا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾.

ثم أعلمـوهم أنهم مخلصون، وإخـلاصهم إيمـانهم بـأن اللَّه عـزّ وجـلّ واحد، وتصديقهم جميع رسله، فأعلموا أنهم مخلصون، دون من خالفهم.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿أَمْ تَقُـولُونَ إنَّ إِبْـرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيـلَ وإِسْحَقَ وَيَعْقُـوبَ والأَسْبَاطَ كانُوا هُوْداً أَوْ نَصَارَى﴾.

كَـأَنَّهُمْ قَالُـوا لَهُم: بأيّ الحُجَّتَينِ تَتَعَلَّقُـونَ في أَمْرِنَـا؟ أبالتَّـوحِيـد فنحن موحدون، أم بأتباع دين الأنبياءِ فنحن متبعون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَم ِ اللَّهُ﴾.

تـأويله: أن النبيَّ الذي آتـانـا بـ (الآيـات)[2] المعجـزات وأتـاكم بهـا - [أعلمكم] وأعلمنا أن الإسلام دين هؤلاءِ الأنبياءِ.

والأَسباط هم الذين من ذرية الأَنبياءِ، والأَسباط إثنا عشر سِبْطاً وهم ولد يعقوب عليه السـلام، ومعنى السبط في اللغة: الجمـاعة الـذين يرجعـون إلى أب واحد، والسبط في اللغة الشجرة، فالسبط، الذين هم من شجرة واحدة.

---

(١) لأنه جاء على القياس والأكثر.

(٢) كلمة الآيات في ك فقط، وفي بقية النسخ بالمعجزات.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَم شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾.

يعني بهم هؤلاءِ الذين هم علماءُ اليهود، لأنهم قد علموا أن رسالة النبي حق، وإنما كفروا حسداً - كما قال اللَّه عزّ وجلّ - وطلبا لدوام رياستهم وكسبهم، لأنهم كانوا يتكسبون بإقامتهم على دينهم فقيل وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ أمرَ النّبيِّ ﷺ ولا أحدَ أَظْلَمُ مِنْه وقوله: ﴿وَمَا اللَّه بغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ﴾.

يعني: من كتمانكم ما علمتموه من صحة أمر النبي ﷺ.

وقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾.

المعنى: لها ثواب ما كسبت، ولكم ثواب ما كسبتم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَيُقُوْلُ السُّفَهَاءُ مِنَ النّاسِ﴾ فيه قولان، قيل يعني به: كفار أهل مكة، وقيل يعني به: اليهود والسفهاءَ واحدهم سفيه، مثل شهيد وشهداء، وعليم وعلماءُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا وَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوْا عَلَيْهَا﴾ معنى ﴿ما ولاهم﴾: ما عدلهم عنها يعني قبلة بيت المقدس، لأن النبي ﷺ كان أُمِرَ بالصلاة إلى بيت المقدس، لأن مكة وبيت اللَّه الحرام كانت العرب آلِفةً لِحجّهِ[1]، فأحبَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أن يمتحن القوم بغير ما أَلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه، كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا القِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرسول مِمَّنْ يَنقلِبُ على عَقِبَيْهِ﴾ فامتحن اللَّه ببيت المقدس فيما روى لهذه العلة، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ لِلَّه المَشْرِقُ وَالمغربُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مسْتَقِيمٍ﴾.

معناه حيث أمر اللَّه أن يُصَلَّى ويُتَعَبَّدُ، فهو له، وعالم به، وهو فيه كما

---

(١) كان القياس أن يقول لحجهما، وفي ط مكة بيت اللَّه الحرام.

قال: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾.

وكما قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾[1] وكما قال: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
معناه: طريق مستقيم كما يحب اللَّه.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾.

معنى الأُمة: الجماعة أيّ جماعة كانت. إلا أن هذه الجماعة وصفت بأَنها وسط وفي «أُمَّةٍ وَسَطاً» قولان، قال بعضهم وسطا: عِدلاً، وقال بعضهم: أَخياراً، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأَن العدل خير والخير عدل. وقيل في صفة النبي ﷺ: إنَّه من أَوسط قومه جِنْساً، أَي من خيارها، والعرب تصف الفَاضِل النسب بأَنه: من أَوسط قومه، وهذا يعرف حقيقته أَهل اللغة لأَن العرب تستعمل التمثيل كثيراً فتمثل القبيلة بالوادي والقاع وما أَشبهه فخير الوادي وسطه فيقال: هذا من وسط قومه، ومن وسط الوادي، وسَرِرِ الوادي وسِرَارة الوادي وسر الوادي، ومعناه كله: من خير مكان فيه، فكذلك النبي ﷺ من خير مكان في نسب العرب، وكذلك جعلت أُمة وسطاً أَي خياراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

﴿تكونوا﴾ في موضع نصب، «المعنى جعلناكم خياراً»[4]، لأَن تكونوا شهداءَ، فنصب «تكونوا» بأَن، «وشهداءَ» نصب خبر تكونوا، إلَّا أَن ﴿شهداءَ﴾

---

(١) سورة الأنعام ٦ ـ ٣.
(٢) سورة الحديد ٥٨ ـ ٤.
(٣) سورة المجادلة ٥٩ ـ ٧.
(٤) في ط أخياراً.

لا ينون، لأنه لا يَنصرِف لأن فيه ألفَ التأنث، وألف التأنيث يبنى معها الاسم[١] ولم يلحق بعد الفراغ من الاسم[٢] فلذَلك لمْ تَنصَرِفْ ﴿شهداءَ﴾، فإن قال قائل: فلم جعل الجمع بألف التأنيث قيل: كما جعل التأنيث في نحو قولك جَريب وأجْربة[٣]، وغراب وأغربة وضارب وضَرَبَة، وكَاتِب وكَتَبَة. وتأويل ﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فيه قولان: جاءَ في التفسير أن أُمَمَ الأنبياءِ تكذب في الآخرة إذا سُئِلت عمن أُرسل إليها فتجْحَدُ أنبياءَها، هذا فيمن جحد في الدنيا منهم فتشهد هذه الأمة بصدق الأنبياءِ، وتشهد عليهم بتكذيبهم، ويشهد النبي ﷺ لهذه الأمة بصدقهم وإنَّما جازت هذه الشهادة، وإن لم يكونوا ليعاينوا تلك الأمم[٤] لأخبار النبي ﷺ فهذا قول. وقال قوم ﴿لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أي محتجين على سائر من خالفكم، ويكون الرسول محتجاً عليكم ومبيناً لكم. والقول الأول: أشبه بالتفسير وأشبه بقوله: ﴿وَسَطاً﴾ لأن النبيَّ ﷺ يحتج عَلَى المسلمين وغيرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ كَانَتْ لَكَبيرةً إلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾. يعني قِبْلَة بيتِ المقدِس، أي وإن كان أتباعها لكبيرة. المعنى إنه كبير على غير المخلصين، فأما من أخلص فليست بكبيرة عليه، كما قال: ﴿إلَّا عَلَى الَّذِينَ هدى اللَّهُ﴾ أي فليست بكبيرة عليهم. وهذه اللام دخلت على «إنْ» لأن اللام إذا لم تدخل مع إنْ الخفيفة كان الكلام جُحْداً[٥] فلولا «اللام» كان المعنى «ما كانت كبيرة» فإذا جاءَت إن واللام فمعناه التوكيد للقصة، واللام تدخل في

---

(١) يمنع من الصرف.

(٢) لم يتصل بها مضاف إليه، وفي ك لا يلحق.

(٣) الأصل فيه كل أرض ذات حدود ـ ثم استعمل في مقدار معين من الأرض وهو يستعمل في المساحة وفي الكيل أنظر ص ٤٩٧ حاشية ١.

(٤) في ط: وإن كان لم يعاينها منهم تلك الأمم: وهو تعبير ركيك. والأولى وإن كانوا لم يعاينوها.

(٥) أي نفياً ـ فيفرق بين «أن» النافية والمؤكدة باللام في خبرها.

الخبر، ونحن نشرح دخولها على «الخفيفة»[1] في موضعها إن شاءَ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾. هذه اللام [هي] التي يُسميها النحويون لام الجحود، وهي تنصب الفعل المستأْنف. وقد أُحكمنا شرحها قبل (هذا الموضوع)[2].

ومعنى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾: أي من كان صَلَّى إِلَى بيْتِ المقدس قبل أَن تُحوّل القبلة إِلى البيت الحرام بمكة فصلاتُه غير ضائعة وثوابه قائم، وقيل: إِنَّه كان قوم قالوا: فما نَصنع بصَلاتِنَا التي كنا صليناها إِلى بيت المقدس، فأَنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّه لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي تصديقكم بأَمر تلك القبلة. وقيل أيضاً: إنَّ جماعة من أَصحاب النبي ﷺ تُوفُّوا وهم يصلون إِلى بيت المقدس قبل نقل القبلة [إِلى بيت اللَّه الحرام] فسئل النبي ﷺ عن صلاتهم فأَنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤوفٌ رَحِيمٌ﴾ إِن شئت قلت لرؤوف، وإِن شئت لرووف رحيم، فهمزت وخففت[3] ومعنى الرأْفة كمعنى الرحمة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ﴾:

المعنى: في النظر إِلى السماءِ، وقيل: تقلب عينك، والمعنى واحد لأَن التقلب إِنما كان لأن النبي ﷺ أُمر بترك الصلاة إِلى بيت المقدس فكان ينتظر أَن ينزل عليه الوحي إِلى أَي قبلة يُصَلِّي، وتقلب مَصْدر تَقَلَّبَ تقلُّباً، ويجوز في الكلام تِقْلَاباً، ولا يجوز في القرآن لأنه تغيير للمصْحفَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾:

---

(١) كذا في جميع النسخ. وظاهر أنه الثقيلة، إذ المذكور هنا الخفيفة.
وأنظر ص ٢٣٠ في الآية. ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف﴾.. الخ.

(٢) ليست في ك.

(٣) في ك: إن شئت قلت لرؤوف رحيم ولرؤوف، ومعنى.

قـد كان النبي ﷺ بـالمدينـة حين أمـر بـأن ينتقـل عن الصـلاة إلى بيت المقدس، فأمر بأن يصلي إلى بيت اللّه الحـرام، وقيل في قـوله: ﴿تـرضاها﴾ قولان قال قـوم معناه تحبهـا، لا أن النبي ﷺ لم يكن راضياً بتلك القبلة، لأن كـل ما أمـر اللّه الأنبياءَ «عليهم السـلام» بـه فهي - راضيـة بـه - وإنمـا أحبهـا النبي ﷺ لأنها كانت - فيما يروى - قبلة الأنبياءِ، وقيل لأنها كانت عنـده أدعى لقومه إلى الإيمان وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي المسجد الحرام، فأمر أن يستقبل - وهو بالمدينة - مكة، والبيت الحـرام، وأمر أن يستقبل البيت حيث كان الناس، ومعنى الشطر: النحو[1]، وشطر منصـوب على الظرف، قال الشاعر:

إنّ العَسِيـرَ بهـا داءٌ يـخـامـرهـا ... فَشَطْرَهـا نـظرُ العينين محسور[2]

أي فنحوَها، ولا اختلاف بين أهل اللغة أن الشطر النحـو، وقول النـاس فلان شاطر، معناه قد أخذ في نحو غير الاستـواءِ، فلذلك قيـل شاطـر لعدولـه عن الاستواءِ، يقال قد شطر الرجل يشطُر شِطَارة وشَطَارة[3]، ويقال هؤلاءِ قـوم مشـاطرونـا أي دورهم تتصـل بـدورنـا، كمـا تقـول هؤلاءِ ينـاجـوننـا أي نحن نحوهم، وهم نحونا، فلذلك هم شاطرونا.

وقـولـه عـزّ وجـلّ: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى

---

(١) الجهة.

(٢) هـو قيس بن خويلد بن كـاهل، ويسمى ابن العيـزارة، وهي أمه والبيت يـروى أن العسيب، وأن النعوس. وهي ناقته أصابها مرض فحـزن لها - وظـل يتجه إليهـا ببصره حـزناً عليهـا. والنعوس اسمها. أما العسيبة فهو اسم لسعفة النخل. وشبه ناقته بها، يعني أنها ضامرة رشيقة والبيت في اللسان «شطر»، والكامل ١ - ١٩٣، ٢ - ٢٨٧. ت (أبو الفضل).

(٣) في القاموس: الشاطر من أعيا أهله خبثاً، وقد شطر كنصر وكرم شَطارة فيهما.

عَقِبَيْه﴾[1] إن قال قائل ما معنى: ﴿إلا لِنَعْلَمَ من يَتَّبِعُ الرَّسُول مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْه﴾ واللَّه عزّ وجلّ ـ قد علم ما يكون قبل كونه، فالجواب في ذلك أن اللَّه يعلم من يتبع الرسول مِمَّن لا يتبعه من قبل وقوعه وذلك العلم لا تجب به مجازاة في ثواب ولا عقاب ولكن المعنى ليعلم ذلك منهم شهادة فيقع عليهم بذلك العلم اسمُ مطيعين واسمُ عاصين، فيجب ثوابهم على قدر عملهم، ويكون معلومُ[2] مَا في حال وقوع الفعل منهم علم شهادة ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾[3] فعلمه به قبل وقوعه علم غيب، وعلمه به في حال وقوعه شهادةٌ وكل ما علمه اللَّه شهادة فقد كان معلوماً عنده غيباً، لأنه يعلمه قبل كونه، وهذا يبين كل ما في القرآن مثله[4] نحو قوله [تعالى]: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُو أَخْبَارَكُمْ﴾[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آية ما تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾.

زعم بعض النحويين، أن «لَئِنْ» أُجِيبَ بجواب «لَوْ» لأن الماضي وَلِيها كما وَلِيَ[6] «لو» فأُجيب بجواب «لو» ودخلت كل واحدة منها على أُختها[7] قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾[8] فجرت مجرى: «وَلَوْ أَرْسَلْنَا رِيحاً» وكذلك قال الأَخفش بهذا

---

(١) موضع هذه الآية قبل الآية التي سبقت.

(٢) في ك. وتكون معلومة في حال وقوع الفعل معلوم شهادة ـ ومعلوم هنا بمعنى العلم وهي مصدر.

(٣) سورة ٦٤ ـ ١٨.

(٤) (ك) وهذا بين كما في القرآن مثله.

(٥) القتال ٤٧ ـ ٣١.

(٦) في ك كما يلي لو.

(٧) حلت كل محل الاخرى.

(٨) الروم (٣٠) آية ٥٢.

القـول، قال سيبـويه وجميـع أصحـابـه: إن معنى ﴿لظلوا من بعده يكفرون﴾. ليظَلُّنَّ، ومعنى ﴿لَئِنْ﴾ غير معنى «لو» في قول الجمـاعة، وإن كـان هؤُلاءِ قالـوا إنَّ الجواب متفِقٌ فإنهم لا يدْفعون أن معنى ﴿لئن﴾ ما يستقبل ومعنى «لو» ماض وحقيقـة معنى «لـو» أنهـا يمتنـع بهـا الشيء لإمتنـاع غيـره، تقـول لـو أتيْتني لأكْرمتُك، أي لم تأْتني فلمْ أكرمكَ، فإنمـا إمتنع إكـرامي لامتناع إتيـانك[1]، ومعنى «إنْ» و﴿لئِنْ﴾ أنه يقع الشيء [فيهمـا] لوقـوع غيـره (في المستقبـل)[2] تقول إنْ تأْتِني أُكْرِمْكَ، فالإكرام يقع بوقوع الإتيان فهذه حقيقة معناهما.

فـأما التـأْويل فـإنّ أهل الكتـاب قد علمـوا أن النبي ﷺ حقٌّ وأن صفتـه ونبوَّته في كتابهم، وهم يحققون العلم بذلك فلا تغني الآيات عند من يجد مـا يعرف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وما بعْضُهُمْ بِتَابعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾.

لأن أهل الكتاب تظاهروا على النبي ﷺ واليهودُ لا تتبع قبلة النَّصـارى، ولا النَّصارى تتبع قبلة اليهود، وهم مع ذلك في التظاهر على النبي متفقون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّكَ إذَنْ لَمنَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي أنـك لمنهم أن إتبعتَ أهواءَهم. وهـذا الخـطاب للنبي ﷺ ولسـائـر أُمَّتِه، لأن ما خـوطب به (مِنْ هـذَا الجنس)[3] فقد خـوطب به الأُمـة والدليـل على ذلـك قولـه عزّ وجـلّ: ﴿يا أيها النَّبيُّ إذَا طَلَّقْتُم النِّسَـاءَ﴾[4] أول الخـطاب للنبي ﷺ وليس معه لفظ الأُمة، وآخره دليل أن الخطاب عامٌّ.

---

(١) ك لامتناع إكرامك.

(٢) ليست في ك، وزيادة فيها لا بد منها لخلو الجملة ـ من الرابط.

(٣) ليست في ط. والمراد ما خوطب به من تكاليف الشريعة.

(٤) الطلاق ٦٥ ـ ١.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾.

يعني به علماءُ اليهود. و﴿الذين﴾ رفع بالابتداءِ، وخبر الذين - ﴿يَعْرفونَه﴾، وفي ﴿يعرفونه﴾ قولان: قال بعضهم: يعرفون أن أمر القبلة وتحول النبي ﷺ من قِبلِ بيتِ المقدس إلى البيت الحرام حقّ، كما يعرفون أبناءَهم، وقيل معنى ﴿يعرفونه﴾ يعرفون النبي ﷺ وصِحَّة أمره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُم لَيَكْتُمُونَ الحقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون (أَنَّهُ الحقّ)(١)، أي يكتمون صِفَتَهُمْ، ومن لا يعلم أمر النبي ﷺ وما جاءَ به «وهم يعلمون أنه حق».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي هذا الحق من ربك ﴿فلَا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ﴾ أي من الشاكين والخطاب أيضاً عام أي فلا تكونوا من الشاكين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولكلٍّ وِجْهَةٌ هُو مُوَلِّيها﴾.

يقال هذه جِهةٌ ووَجْهةٌ، ووِجْهَةٌ، وكذلك يقال ضَعَةٌ وَوَضْعَةٌ، وَضِعةَ. وقيل في قوله: ﴿هُوَمولِّيهَا﴾ قَوْلَان: قال بعض أهل اللغة - وهو أكثر القول - «هو»(٢) لِكُلٍّ: المعنى هو موليها وجهه، أي وكل أهل وجهة هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك الجهة - وقد قرئ أيضاً - هو مولاها. وهو حسن. وقال قوم: أي اللَّه - على ما يزعمون - يولي أهل كل ملة القبلة التي يريد، وكلا القولين جائز، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ فاسْتَبِقُوا الخَيراتِ﴾.

---

(١) ليست في ك.

(٢) يريد أن ضمير «هو» يعود على كل - والأقرب أنه للمضاف إليه المحذوف الذي دل عليه التنوين وناب عنه، - أي لكل طائفة.

أي فبادروا إلى القبول من اللَّه عزّ وجلّ، وَولُّوا وجوهكم حيث أمركم أن تولوا.

وقَوله عزّ وجلّ: ﴿أَينَمَا تَكونُوا يأْتِ بكِمُ اللَّهُ جمِيعاً﴾.

أي يرجعكم إليه. ﴿إنّ اللّه علَى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾فَتُوفَّوْنَ مَا عَمِلتُمْ وأينما تَجزم ما بعدها. لأنها إذا وصلت بـ «ما» جزمت ما بعدها وكان الكلام شرطاً. وكان الجواب جزماً كالشرط. وإن كانت استفهاماً نحو أين زيد فإن أجبته[1] - أجبت بالجزم، تقول أين بيتُك أَزُرْكَ. المعنى إنْ أعرف بَيتَك أزرْكَ، وزعمَ بعض النحويين أن قوله: ﴿أَدُلُّكُم على تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَليم﴾جوابه ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وهذا خطأٌ لأنه ليست بالدلالة تَجب المغفرة إنما تجب المغفرة بقبولهم ما يُؤدي إليهم النبي ﷺ. ولكن﴿يغفر لكم ذنوبكم﴾جواب تؤمنونَ باللَّه ورسوله وتجاهدون، فإنه أمر في لفظ خبر. المعنى: آمنوا باللَّه ورسوله وجاهدوا يغْفِرْ لكُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِئَلَّا يكونَ للنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾.

أي قد عرفكم اللَّه أمر الاحتجاج في القبلة مما قد بيناه لئلا يَكون للناس على[2] اللَّه حجة في قوله:[3]﴿ولكل وجهة هو موليها﴾أي هو موليها لئلا يكون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلَّا الَّذينَ ظَلمُوا مِنْهُم فلا تَخْشَوْهُمْ﴾.

قال بعضهم لكن الذينَ ظلموا منهم فلا تخشوهم، والقول عندي أن المعنى في هذا واضح: المعنى لئلا يكون للناس عليكم حجة، إلا من ظلم

---

(١) أي فإن جيء لهذا الاستفهام بجواب جزمته، وفي ك فإنْ أجبته جزمته.

(٢) ك عليكم.

(٣) أي عرفكم الاحتجاج في جملة ﴿ولكل وجهة﴾.

بإحتجاجه فيما قد وضح له، كما تقول: ما لك عليَّ مِنْ حُجة إلا الظلمَ، أي إلا أن تظلمني، المعنى ما لك عليّ من حجة البتة، ولكنك تظلمني، ومالك عليَّ حجةٌ إلا ظلمي. وإنما سُميّ ظلْمه هنا حجة لأن المحتج به سماه حجة ـ وحجَّتُه دَاحِضَةٌ عِنْدَ اللَّه، ـ قال اللَّهَ عزّ وجلّ: ﴿حجتهم داحضة عند ربّهم﴾[1]. سميت حجة إلا أنها حجة مُبْطلَة[2].

فليست بحجة موجبة حقاً.

وهذا بيانٌ شاف إن شاءَ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾ أي عرفتكم لئلا يكون عليكم حجة ﴿ولأُتم نعمتي عليكم﴾، ﴿وَلَعَلكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُم﴾.

﴿كما﴾[3] تصلح أن تكون جواباً لما قبلها، فيكون: ﴿لعلكم تهتدون﴾ ﴿كَما أرسلنا فيكم رسولاً منكم﴾. والأَجود أن تكون ﴿كما﴾ معلقة بقوله عز وجلّ ﴿فَاذكُرُوني أَذْكُرْكُمْ﴾.

أي فاذكروني بالشكر والإِخلاص كما أَرسلنا فيكُمْ. فإن قال قائل فكيف يكون جواب ﴿كما أَرسلنا﴾ ﴿فاذكروني أَذكركم﴾، فالجواب ههنا إنما يصلح أن يكون جوابين[4] لأن قوله، ﴿فاذكروني﴾ أمر، وقوله أَذكركم جزاءُ اذكروني: والمعنى إن تذكروني أذكركم.

---

(١) الشورى ٤٢ ـ ٦٦.

(٢) ك. تبطل.

(٣) كلمة «كما».

(٤) يريد أن ﴿فاذكروني﴾ تعلق بمعمولين ﴿كما أرسلنا﴾ و﴿أذكركم﴾ فيكون التقدير فاذكروني كما أرسلت فيكم رسولاً أذكركم. وهذا يمكن من ناحية المعنى أما من الناحية الإعرابية فلا بد من تقدير محذوف مفسر بالأمر ﴿فاذكروني﴾ لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها.

ومعنى الآية أنها خطاب لمشركي العرب، فخاطبهم اللّٰه عزّ وجلّ بما دلهم على إثبات رسالة النبي ﷺ فقال كما أرسلنا فيكم محمداً ﷺ وهو رجل منكم أُمي[١] تعلمون أنه لم يتل كتاباً قبل رسالته ولا بعدها إلا بما أُوحي إليه، وإنكم كنتم أهل جاهلية لا تعلمون الحكمة ولا أخبار الأنبياءِ[٢]، ولا آبائهم ولا أقاصيصهم. فأرسل إليكم النبي ﷺ فأنبأكم بأخبار الأنبياءِ، وبما كان من أخبارهم مع أممهم، لا يدفع ما أخبر به أهل الكتاب، فكما أنعمت عليكم بإرساله فاذكروني ـ بتوحيدي، وتصديقه ﷺ ﴿واشكروا لي﴾ أذكركم برحمتي ومغفرتي والثناءِ عليكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَكْفُرُونِ﴾.

الأكثر الذي أتى به القراءُ حذف الياءَات مع النون. وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ والصَّلاةِ﴾ يَا أَيُّها[٣] نداءٌ مفرد مبهم و ﴿الذين﴾ في موضع رفع صفة لأَيُّها. هذا مذهب الخَليل وسيبويه، وأما مذهب الأخفش، فالذين صلة لأي وموضع الذين رفع بإضمار الذكر العائد[٤] على أي كأنه على مذهب الأخفش بمنزلة قولك: يا من الذين، أي يا من هم الذين.

و «ها» لازمة لأي عوض عما حذف منها للإضافة، وزيادة في التنبيه، وأي في غير النداءِ لا يكون فيها «هاءٌ» ويحذف معها الذكر العائد عليها، تقول أضرب أيُّهُم أفضل، وأيَّهُمْ هو أفضل ـ تريد الذي هو أفضل[٥]. وأجاز

---

(١) في ط أي.

(٢) في ت القرآن.

(٣) في ط أيها.

(٤) أي هي خبر لضمير محذوف يعود على أي.

(٥) أي الضمير ـ والقاعدة في أي أنها إذا أضيفت وحذف صدر صلتها فهي مبنية. ولهذا لا يجوز أضرب أيهم أفضل بالنصب، عند جمهور النحويين ويقال أضرب أيهم يأتيك.

المازني أن تكون صفة أي نصباً. فأجاز «يا أيها الرَّجُلَ» أقبل، وهذه الإجازة غير معروفة في كلام العرب، ولم يجز أحد من النحويين هذا المذهب قبله، ولا تابعة عليه أحد بعده - فهذا مطروح مرذول لمخالفته كلام العرب والقرآن وسائر الأخبار.

ومعنى ﴿استعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي بالثبات على ما أنتم عليه. وإن نالكم فيه مكروه في العاجل، فإن اللَّه مع الصابرين، وتأويل أن اللَّه مَعَهُمْ أي يظهر دينه على سائر الأديان، لأن من كان اللَّه معه فهو الغالب - كما قال عزّ وجلّ: ﴿أَلا إن حِزْبَ اللَّه هُمْ الغَالِبُون﴾[1].

ومعنى استعينوا بالصلاة، أي أنكم إذا صليتم تلوتم في صلاتكم ما تعرفون به فضل ما أنتم عليه فكان ذلك لكم عوناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّه أَمْوَاتٌ﴾ بإضمار مكْنِيهمْ[2]، أي لا تقولوا هم أموات، فنهاهم اللَّه أن يُسَمُّوا من قتل في سبيل اللَّه ميْتاً، وأمرهم بأن يسموهم شُهداءَ - فقال: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْد رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ فأعلمنا أن من قتل في سبيل اللَّه حيٌّ. فإن قال قائل. فما بالنا نرى جثة غير مُتَصرفة؟ فإن دليل ذلك مثل ما يراه الإنسان في منامه، وجثته غير متصرفة على قدر ما يُرى[3] واللَّه عزّ وجلّ قد توفى نفسه في نومه فقال تعالى: ﴿اللَّه يَتَوفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، والتي لم تمت في منامها﴾[4]. وينتبه المنتبه من نومه فيدركه الانتباه وهو في بقية من ذلك، فهذا دليل أن أرواح الشهداءِ جائز أن

(١) في المائدة ٥ - ٦٥ - ﴿ومن يتول اللَّه ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اللَّه هم الغالبون﴾ وفي سورة المجادلة ٥٨ - ٢٢ - ﴿ألا إن حزب اللَّه هم المفلحون﴾ ولا يُوجد النص الذي ذكره.

(٢) الضمير الدال عليهم.

(٣) وفي ك على قدر ما نرى - والمراد على قدر ما نشاهد نحن من همود جثته.

(٤) الزمر ٣٩ - ٤٢.

تفارق أجسامهم، وهم عند اللَّه أحياءٌ، فالأمر فيمن قُتِلَ في سبيل اللَّه لا يجب أن يقال له ميت لكن يقال له شهيد وهو عند اللَّه حيٌّ. وقد قيل فيها قول غير هذا - وهذا القول الذي ذكرته آنفاً هو الذي أخْتَاره - قالوا معنى الأموات أي لا تقولوا هم أموات في دينهم، بل قولوا إنهم إحْياءٌ في دينهم. وقال أصحاب هذا القول: دليلنا واللَّه أعلم - قوله: ﴿أَوَ من كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاه وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[1] فجعل المهتدي حياً وأنَّه حين كان على الضلالة كان ميتاً، والقول الأول أشبه بالدين وألْصَقُ بالتفسير.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشَي مِنَ الخَوفِ وَالجُوعِ﴾.

إختلف النحويون في فتح هذه الواو[2] فقال سيبويه: إنها مفتوحة لالتقاءِ الساكنين، وقال غيره من أصحابه أنها مبنية على الفتح، وقَدْ قال سيبويه في لام يفعل، لأنها مع ذلك قد تبنى على الفتحة[3]، فالذين قالوا من أصحابه إنها مبنيَّةٌ على الفتح غير خارجين من قول له. وكلا القولين جائز[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ والجُوْعِ﴾.

ولم يقل بأشياءَ، فإنما جاءَ على الاختصار، والمعنى يدل على أنه وشيءٍ من الخوف وشيءٍ من الجوع وشيءٍ من نقص الأموال والأنفس، وإنما جعل اللَّه هذا

---

(١) الأنعام ٦ - ١٢٢.

(٢) الواو التي قبل نون التوكيد.

(٣) رأى سيبويه أن الأصل في الواو السكون. وفتحتها - هنا - عرضت لسكون النون بعدها. ورأى أصحابه أنها فتحة بناء أصلية، وهو الذي عليه جمهور النحاة، وقد حاول المؤلف التوفيق بينهما بما جاء في كلام سيبويه في موضع آخر من أن لام المضارع المسند للواحد قد تبنى على الفتح.

(٤) أن سيبويه في موضع آخر علل فتح لام الفعل قبل نون التوكيد بأنها قد تكون فتحة بناء فالذين قالوا بفتح واو نبلون من نبلونكم جارون على أحد قوليه.

الابتلاءَ لأنه أدْعى لمن جاءَ بعد الصحابة ومن كان في عصر النبي ﷺ إلى أتباعهم لأنهم يعلمون أنه لا يصبر على هذه الأشياءِ إلا من قد وضح له الحق وبانَ له البرهان، ـ واللّه عزّ وجلّ ـ يعطيهم ما ينالهم من المصائب في العاجل والآجل، وما هو أهم نفعاً لهم فجمع بهذا الدلالة على البصيرة وجوز الثواب للصابرين على ذلك الابتلاء فقال عزّ وجلّ:

﴿وَبشِّرِ الصَّابِرِيْنَ﴾: بالضلاة عليهم من رَبِّهِم والرحمة وبأنهم المهتدون ـ فقال عزّ وجلّ:

﴿الـذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للَّه﴾ أي نحن وأموالنا للّه ونحن عبيده يصنع بنا ما شاءَ، وفي ذلك صلاح لنا وخيرٌ.

﴿وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ﴾: أي نحن مصدقون بأنا نُبْعث ونُعْطي الثَّوابَ على تصديقنا، والصبرَ علَى ما ابْتَلَانا به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن ربِّهِمْ ورحْمَةٌ﴾.

والصلاة في اللغة على ضربين: أحدهما الركوع والسجود، والآخر الرَّحْمَةُ والثَّناءُ والدُّعاءُ ـ فصلاةُ الناس على الميت إنما معناها الدعَاءُ[1] والثناءُ على اللّه صلاة، والصلاة من اللّه عزّ وجلّ على أنبيائه وعباده معناها الرحمة لهم، والثناءُ عليهم، وصلاتنا الركوع والسجود كما وصفنا. والدعاءُ صلاة قال الأعشى:[2]

عليك مثل الـذي صليتِ فاغتَمِضِي نَوماً، فإن لجنب المرءِ مضطجعاً

ويروى مثل الـذي صليت، فمن قال عليك مثل الـذي صليت، فمعناه

(١) الدعاء للميت بالرحمة من اللّه.

(٢) ديوان الأعشى ٧٣ والخزانة ١ ـ ٣٥٩. اللسان: (صلي)، مراتب النحويين ص ٩٤ وقبله:

تقول بنتي وقد قربت راحلتي يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

أي أدعو لك بمثل ما دعوت لي.

أنه يأمرها بأن تدعو له مثل الذي دعا لها. أي تعيد الدعاءَ له ومن روى عليك مثل الذي صليتِ فهو رَدٌّ عليها. كأنه قال عليك مثل دعائك، أن ينالك من الخير مثلُ الذي أَرَدْتِ لِي بهذه ودعوتِ به لي ـ وقال الشاعر:

صَلَّى على يحيى وأَشْيَاعِه   رَبٌّ كَرِيمٌ وَشَفِيعٌ مُطَاع[1]

المعنى عليه الرحمة من اللّه والثناءُ الجميل. وأصل هذا كله عندي من اللزوم يقال صَلِيَ وأَصْلَى واصْطَلى، إذَا لَزِم. ومن هذا ما يُصْلى في النار، أي أنّه يلزَم. وقال: أهل اللغة في الصلاة هي من الصَّلْويْنِ، وهما مُكتَنفَا ذَنب الناقة، وأول موصل الفخذ من الانسان، وكأنهما في الحقيقة مُكتنف العُصْعُص، والأصل عندي القول الأول.

ألا ترى أن الاسم للصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب، (وأصل الصيام الثبوت على الإمساك عن الطعام)[2] وكذلك الصلاة إنما هي لزوم ما فرض اللّه، والصَلاة من أعظم الفَرْضِ الذي أَمَرَ بلزومه وأما المصلي الذي يأتي في أثر السابق منَ الخَيْل فهو مسمى من الصلوين لا محالة، وهما مكتنفا ذنب الفرس، فكأنه يأتي مع ذلك المكان.

قال الشاعر في الصيام الذي هو ثبوت على القيام:

خَيْلٌ صيام وخيل غير صائمة   **تحت العجاج، وخيل تعلك اللجما**[3]

وقوله تعالى: ﴿وإنا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

---

(١) اللسان صلي والخزانة ١ ـ ١٤١، قيل هو لرجل من قريع يرثى يحيى بن ميسرة صاحب مصعب ابن الزبير ـ وقيل للسفاح بن بكير اليربوعي يرثى يحيى بن شداد من يربوع. وهو مطلع المفضليه ١٩٢.

(٢) ليست في ك.

(٣) النابغة الذبياني ـ اللسان (صوم) ـ الكامل (٦٥٥، ٨٨٣) العجاج الغبار والتراب المثار.

الأكثرون في قوله: ﴿إِنّا للّه﴾ ـ تفخيم الألف[١] ولزوم الفتح ـ وقد قيل وهو كثير في كلام العرب ﴿إِنّـا للّه﴾ بإمالة الألف إلى الكسر، وكان ذلك في هذا الحرف بكثرة الاستعمال، وزعم بعض النحويين أن النون كسرت، ولم يفهم ما قاله القوم. إنما الألف ممالة[٢] إلى الكسرة. وزعم أن هذا مثل قولهم: «الحمدِ للّه»، فهذا صواب أعني قولهم إنا للّه بالكسر[٣] وقولهم «الحمدِ للّه» من أعظم الخطأ، فكيف يكون ما هو صواب بإجماع كالخطأ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِن الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّه﴾.

الصفا في اللغة الحجارةُ الصلبة الصلدة التي لا تُنبت شيئاً، وهو جمعُ واحدته صفاة وصفا، مثل حصاة وحصى، والمروة والمرو: الحجارة اللينة، وهذان الموضعان من شَعَائِر اللّه، أي من أعلام متعبداته وواحدةُ الشعائر شَعِيرة، والشعائر كل ما كان منَ موقف أو مسْعى وذبح. وإنما قِيلَ شَعَائِرَ لِكُلِّ علَمٍ مِمَّا تُعُبِّد به، لأن قَوْلَهُمْ شَعَرْتُ بِهِ: عَلِمْتُهُ، فلهَذَا سُمِّيَتُ الأَعلاَمُ التي هِيَ مُتعبِّدَاتٌ شَعَائِرُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ حجَّ البيْت أو اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

وإنما كان المسلمون اجتنبوا الطواف[٤] بينهما لأن الأوثان كانت قبل الإسلام منصوبة بينهما، فقيل إنَّ نَصْبَ الأوثان بينهما قبل الإسلام لا يوجب

---

(١) ألف المد في لفظ الجلالة. أي تنطق غير ممالة.

(٢) في الأصل وط ألا إنما ولا معنى لذلك. والمعنى أن هذا النحوي فهم من كلام الجمهور أن الألف في أنا تكسر وتُمَالُ واعتبرها شاذة مثل كسرة الدال في الحمد، وهو خطأ لأن الممال هي الألف في لفظ الجلالة.

(٣) أي الإمالة في ألف لفظ الجلالة.

(٤) أي السعي بينهما. فكلمة الطواف تجوز.

اجتنابهما، لأن البيت الحرام والمشاعر طُهِّرت بالإسلام من الأوثان وغيرها. فأَعْلَم اللَّهُ عزّ وجلّ أن هذين من شعائره وأنه لا جُناح في الطوافِ بينهما وأن من تطوع بذلك فاللَّهُ شاكر عليم.

والشكر من اللَّه عزّ وجلّ المجازاة والثناءُ الجميل، والحج والعمرة يكونان فرضاً وتطوُّعاً - والطواف بالبيت مجْراهُ مجرى الصلاة إلا أنه يطوفُ بالبيت الحاجُ والمعتمر، وغيرُ الحاجِ والمعتمر، ومعنى قولهم حَجَجْتُ في اللغة قَصَدْتُ، وكل قاصدٍ شيئاً فقد حَجَّهُ، وكذلك كل قاصدٍ شيئاً فقد اعتَمرهُ، قال الشاعر:(١)

يَحُجُ مأمومةً في قَعْرِها لَجَفٌ فاستُ الطبيب قَذاها كالمغاريدِ

وقال الشاعر في قوله اعتمر أي قصد(٢):

لقد سما ابنُ معمر حينَ أُعتمرْ مغزىً بعيداً من بعيدٍ وضَبَر

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

أي لا إثم عليه، والجُناح أُخِذَ من جنحِ إذْ مال وعدل عن القصد وأصل ذلك من جناح الطائر، و﴿أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فيه غير وجه: يجوز أن يطَّوَّف وأن يُطَوِّف، وأن يَطُوف بهما، فمن قرأ أن يُطَّوفَ بهما أراد أن يتطوف فأُدمِغت التاءُ في الطاء لقرب المخرجين، ومن قرأ أن يُطَوِّف بهما فهو من طَوَّف إذا أكثر التَّطواف.

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن تَطَوَّع خيراً﴾: «وجهان».

إن شئتَ قلت ﴿ومن تطوع خيراً﴾ على لفظ المُضِيّ ومعناه الاستقبال لأن

---

(١) غدار بن درة الطائي «اللسان غرد - لجف» والكامل ١/ ٦٥ (التجارية) - المغاريد مفرده مغرود بفتح الميم: الكمأة أو صغارها. واللجف الحفرة في جانب البئر - يستعار للجرح ويحج بمعنى يعالج ويطب. من الحجاج المسبار، وفيه معنى القصد.

(٢) العجاج يمدح عمر بن عبيد اللَّه بن معمر التميمي، وكان ذا بلاء حسن في الحروب وضبر الجواد: تهيأ للوثوب بقوائمه. يريد أنه وثب وثبة بعيدة لغزو عظيم. الديوان ١٩، اللسان (عمر).

الكلام شرط وجزاءُ، فلفظ الماضي فيه يؤول إلى معنى الاستقبال. ومن قرأ يَطَّوَّعْ ـ فالأصل يتطوع فأُدغمت التاءُ في الطاءِ. ولست تدغم حرفاً من حرف إلا قلبته إلى لفظ المدغم فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يكتُمُونَ ما أَنْزَلْنَا من البيِّنَاتِ والهُدى﴾.

هذا إخبار(١) عن علماءِ اليهود الذين كَتَمُوا ما عِلموه من صحة أمر النبي ﷺ قوله:

﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ﴾ يعني به القرآن.

ومعنى: ﴿ويَلْعَنُهم اللاعِنُونَ﴾.

فيه غيرُ قول، أما ما يُروى عن ابن عباس فقال: اللاعنون كل شيء في الأرض إلا الثقلين(٢)، ويروى عن ابن مسعود أنه قال اللاعنون: الإثنان إذا تلاعنا لحقت اللعنة بمستحقها منهما، فإن لم يستحقها واحد منهما رجعت على اليهود، وقيل اللاعنون هم المؤمنون، فكل من آمن بالله من الإنس والجن والملائكة فهم اللاعنون لليهود وجميع الكفرة فهذا ما روي في قوله ﴿اللاعنون﴾ والله عزّ وجلّ أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وأَصْلَحُوا وبيَّنُوا﴾.

﴿الذين﴾ في موضع نصب على الاستثناءِ، والمعنى أن من تاب بعد هذا وتبيَّن منهم أن ما أتى به النبي ﷺ حق، قبل الله توبته. فأعلم الله عزّ وجلّ: أنه يقبل التوبة ويرحم ويغفر الذنب الذي لا غاية بعده.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كفروا وَمَاتُوا وهمْ كُفّارٌ﴾.

---

(١) في الأصل فهذا.

(٢) الثقلان: الجن والإنس: أي تلعنهم الملائكة والجمادات.

(٣) ك لمستحقيها.

يعني لم يتوبُوا قبل موتهم من كفرهم.

أُولئِكَ عَلَيْهِمْ لعْنَةُ اللَّهِ، واللعنة هي إبعاد اللَّه، وإبعاده عذابه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمَلاَئكةِ والنّاسِ أجْمَعِينَ﴾.

المعنى لعنة الملائكة ولعنة الناس أجمعين، فإن قال قائل: كيف يلعنه الناس أجمعون، وأهل دينه لا يلعنونه، قيل لَهُ إنَّهم يلْعَنُونَه في الآخرة، كما قالَ عزّ وجلّ: ﴿ثم يوم القيامة يَكْفُر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً﴾[1] وقرأ الحسن:[2] «أُولئك عليهم لعنة اللَّه والملائكةُ والناسُ أجمعين»[3] وهو جيد في العربية إلا أني أكرهه لمخالفته - المصحف، والقراءَة، إنما ينبغي أن يلزم فيها السنة، ولزوم السنة فيها أيضاً أقوى عند أهل العربية، لأن الإجماع في القراءَة إنما يقع على الشيء الجيد البالغ[4] ورفع الملائكة في قراءَة الحسن على تأويل: أُولئك جزاؤُهم أَنْ لَعنَهُم اللَّه والملائكةُ، فعطف الملائكة على موضع إعراب للَّه في التأويل، ويجوز على هذا عجبت من ضربِ زيدٍ وعمرٌو ومن قيامِكَ وأَخُوك: المعنى عجبت من أنْ ضَربَ زيد وعمرو ومن أنْ قمتَ أنتَ وأخوك. ومعنى خالدين فيها أي في اللعنة، وخلودهم فيها خلود في العذاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإلهُكُم إلهٌ واحدٌ لا إِله إلاّ هُوَ﴾

أَخْبَر عزّ وجلّ بوحدانيته ثم أَخبَرَ بالاحتجاج في الدلالة على أنه واحد فقال:

---

(١) العنكبوت ٢٩ - ٢٥.

(٢) ك رحمة اللَّه علي.

(٣) أجمعين - منصوب على أنه حال في قراءة حفص وفي قراءة الحسن، والملائكة والناس فاعل للمصدر.

(٤) في ك إنما يقع على المعنى الجيد البالغ.

(٥) ليست في ك وفيها «في أمر السماء» فلأنها سقف.

﴿إنَّ في خَلقِ السَّمواتِ والأَرض واخْتِلاف اللَّيلِ والنَّهارِ والفُلْكِ الَّتي تجري في البَحْرِ بما يَنْفَع النَّاس، وما أنزلَ اللَّه من السَّماءِ مِنَ ماءٍ فأحيا به الأَرض بعد موتها وبَثَّ فيها من كلِّ دَابَّةٍ، وتَصْريفِ الرِّيَاح والسَّحَاب المسَخَّر بينَ السَّماءِ والأَرضِ لآيات لقوم يَعقِلُونَ﴾.

فهذه الآيات تدل على أنه واحد - عزّ وجلّ - فأما الآية في أمر السماءِ «فمن أعظم الآيَة» لأنها سقف بغير عمد، والآية في الأرض عظيمة فيما يُرى من سهْلِها وجبلِها وبحارها. وما فيها من معادن الذهب والفضة والرصاص والحديد اللاتي لا يمكن أحد أن ينشئ مثلها، وكذلك في تصريف الرياح، وتصريفها أنها تأتي من كل أفق فتكون شمالاً مرة وجنوباً مرة ودبُوراً مرة وصبا مرة. وتأتي لواقح للسَّحاب. فهذه الأشياءُ وجميع ما بث اللَّه في الأَرض دالة على أنه واحد. كما قال عزّ وجلّ: ﴿وإلهكم إله واحد﴾ - لا إله غيره لأنه لا يأتي آت بمثل هذه الآيات (إلا واحداً)(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومنَ النَّاسِ من يتَّخِذُ من دُون اللَّهَ أنْدَاداً﴾.

فأعلم أن بعد هذا البيان والبرهان تُتَّخذ من دونه الأنداد. وهي الأمثال، فأبان أن من الناس من يتخذ نِدًّا يعلم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يأتي بشيء مما ذكرنا، وعنَى بهذا مشركي العرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُحِبُّونَهُم كحُب اللَّه﴾.

أي يُسَوُّون بين هذه الأوثان وبين اللَّه - عزّ وجلّ - في المحبة وقال بعض النحويين، يحبونهم كحبكم أنتم للَّه - وهذا قول ليس بشيء - ودليل نقضه قوله: ﴿والذينَ آمنوا أشدُّ حُبًّاً للَّه﴾ والمعنى أن المخلصين الذين لا يشركون مع اللَّه غيره هم المحبون حقاً.

---

(١) ليست في ك، وواحداً مستثنى فيه معنى الحال أي لا يأتي بها إلا إذا كان واحداً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَوْ يَرَى الذين ظَلَموا﴾ ـ إِذْ يروْنَ العذَاب ـ ﴿أن القُوَّةَ للّه جَمِيعاً﴾.

في هـذا غير وجـه، يجوز أَنَّ القـوةَ للّه وأن اللّه، ويجوز أَنَّ القـوةَ للّه وإِنَّ اللّه، ولو تَرى الذينَ ظلموا وتُفتح أَن مع تـرى، وتُكسَر، وكل ذلـك قد قُـرِىءَ بهِ. قرأَ الحسن «ولَوْ يَرَى الَّذِين ظَلَمُوا إِذْ يَـرَون العَذاب إِنَّ القـوةَ. وإِنَّ اللَّهَ». ونحن نفسر ما يجب أَن يُجْرَى عليه هذا إِن شاءَ اللّه.

من قـرأَ أَنَّ القوةَ ـ فمـوضع أَن نصب بقوله ـ ﴿ولو يرى الـذين ظلموا أَنَّ القوة للّه جميعاً﴾، وكذلك نصب أَن الثانية.

والمعنى ولـو يرى الـذين ظلمـوا شـدَّةَ عـذاب اللّه وقـوتَـه لعلمـوا مضـرة إتخاذهم الأَنداد، وقد جرى ذكرُ الأَنداد في قوله:
﴿ومن الناس من يتخذُ من دون اللّه أنداداً﴾.

ويجوز أَن يكون العامل في أَنَّ الجوابَ، على ما جاءَ في التفسـير: يروى في تفسير هذا أَنه لو رأَى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الآخـرة لعلموا حـين يرونه أَن القوة للّه جميعاً، ففتـح أَنَّ أَجود وأَكـثر في القراءَة، ومـوضعها نصب في هاتين الجهتين على ما وصفنا، ويجـوز أَن تكون «إِنَّ» مكسـورةً مستأْنفـة، فيكون جواب ولو يرى الذين ظلموا إِذ يرون العذاب «لرأَوا أَمراً عظيـماً لا تبلغ صفته» لأَن جواب لو إِنما يترك لعظيم الموصـوف نحو قـوله عـزّ وجلّ: ﴿ولـو أَنَّ قُرآنـاً سُيِّرتْ بِهِ الجِبَالُ، أَو قطعت بِهِ الأَرضَ أَو كُلِّمَ به المَـوْتى﴾[1]. المعنى لكان هـذا القرآن. أَبلغ من كل ما وصف. وتكون ﴿أَن القوة للّه جميعاً﴾، عـلى الاستئناف، يُخْبِر بقوله: أَن القوة للّه جميعاً ويكون الجواب المتروك غير معلق بإِنَّ.

ومن قرأَ ﴿ولو ترى الذين ظلموا﴾ فإِن التاءَ خطاب للنبي، يراد به النـاس

---

(١) الرعد ١٢ ـ ٣١.

كما قال: ﴿أَلم تعلم أَن اللَّه له ملك السموات والأرضِ ومـا لكم من دون اللَّهِ مِنْ وَليٍّ وَلاَ نَصِيـر﴾[1]. فهو بمنـزلة: أَلَمْ تَعلمـوا، وكذلـك ولو تـرى الـذين ظلموا بمنزلة ـ ولو ترون ـ وتكون ﴿أَن القوة للَّه جميعاً﴾ مستأْنفة كما وصفنا[2]، ويكون الجواب ـ واللَّه أَعلم لـرأَيتم أَمراً عـظيماً ـ كمـا يقول: لـو رأَيت فلانـاً والسياط تأْخذه، فيُستغنى عن الجواب لأَن المعنى معلوم. ويجوز فتح أَن مـع ترى فيكون لرأَيتم أَيها المخاطبونِ أَن القوة للَّه جميعاً، أَو لرأَيتم أَن الأَنداد لم تنفع، وإِنما بلغت الغاية في الضرر لأَن القوة للَّه جَميعاً.

وجَميعاً منصوبة على الحال: المعنى أَن القوة ثابتة للَّه عزّ وجلّ في حال اجتماعها.

وقوله: ﴿إِذْ تَبرَّأَ الذِّينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِين اتَّبَعُوا﴾.

يعني بـه السادة والأشـراف، ﴿من الذين اتبعـوا﴾ وهـم الأَتبـاع والسفلة. ورأَوا العـذاب ـ يُعْنَى به التـابِعُونَ والمتبـوعون، وتقـطعت بهـم الأَسبـاب، أَي انقطعَ وصْلُهُم الذي كان جمعهم. كما قـال: ﴿لقـد تقطعَ بينكم وضـل عنكم ما كنتم تزعمون﴾[3] فَبَيْنُهُمْ وَصْلُهُمْ. والذي تقطع بينهم في الآخر كـان وصل بينهم في الدنيا.

وإِنما ضُمَّت الأَلف في قوله ﴿اتُّبِعُوا﴾ لضمَّةِ التَّاءِ، والتاءُ ضمت علامة ما لم يُسَمَّ فـاعِلُه، فإِن قَـال قـائـل: فمـا لم يسم فـاعله مضمـوم الأَول، والتـاءُ المضمومـة في ﴿اتُّبِعوا﴾ ثـالثـة، قيـل إِنَّمـا يضم لمـا لَم يُسَمَّ فـاعله الأَول من

(١) تقدمت آنفاً ـ آية ١٠٧.

(٢) أي لكان هو الذي تسير به الجبال وتقطع الأرض وتكلم الموتي ويفعل به أكثر من ذلك إذ هـو أبلغ من كل كلام.

(٣) سورة الأنعام (٦) آية ٩٤.

مُتَحركات الفعل، فإذا كان في الأَول ساكن اجتلبت له أَلف الوصـل، وضم ما كـان متحركـاً، فكان المتحـرك من اتبعوا التـاءُ الثانيـة فضمت دليلاً على تـرك الفاعل، وأَيضاً فإنَّ في ﴿اتَّبعُوا﴾ أَلفَ وصل دخلت من أَجل سكون فاءِ الفعل، لأنَّ مثَاله من الفعل افْتُعِلوا، فالأَلفُ أَلفُ وصل ولا يبنى عليه ضَمَّة «الأَول»[1] في فِعْـلٍ لم يُسمَّ فاعلُه، والفـاءُ سـاكنـة، والسَّـاكنُ لا يُبْنى عليـه فلم يبق إلا الثالث، وهو التاءُ فضمت عَلَماً للفعل الذي لم يسم فاعله، فكان الثالث لهذه العلة هو الأَول.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَالَ الّذينَ اتَّبَعوا: لو أنَّ لنا كرةً فنتبرَّأَ﴾.

أَي عـودة إلى الدنيـا فنتبرأَ منهم، موضع ﴿أَنَّ﴾ رفع، المعنى لو وقـع لنـا كُرورٌ لتبرأْنا منهم، كما تبرأوا منـا، «يقال»[2] تبرأْت منهم تبرُّؤا، وبرِئتُ [منه] بَرَاءَة وبرِئْت من المرض وبَرَأْتُ أَيضاً لغتان» ابرأ، بَرءًا[3]، وبريت القلم وغيره وأَبريه غير مهموز، وبرأ اللَّهَ الخلق بَرءًا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذلِك يُريُهُم اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرات عَليْهِمْ﴾.

أَي كتبرِّي بعضهم من بعض يريهم اللَّهُ أَعمالَهُمْ حَسَراتٍ عليهم لأن ما عمله الكافر غير نافعه مع كفره، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿الذين كَفَرُوا وَصَدّوا عنْ سَبِيـل اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَـالَهُمْ﴾[4] وقال: ﴿حَبـطَتْ أَعمالُهم﴾[5] ومعنى ﴿أَضـل أَعمالهم﴾ لم يجازهم على ما عَملوا من خير، وهذا كما تقـول لمن عَمل عمـلاً لم يعد عليه فيه نفع: لقد ضَلَّ سَعْيُك.

---

(١) في فاء فعل.

(٢) ليست في ط.

(٣) ك أبرأ وأبرأ.

(٤) سورة محمد ٤٧ الآية ١.

(٥) سورة الكهف ـ ١٠٥.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا ممَّا في الأَرض حَلالاً طيِّباً﴾.

هذا على ضربين: أَحدهما الإباحة لأَكل جميع الأَشيـاءِ إلا ما قـد حظر اللَّه عزّ وجلّ من الميتة وما ذَكر معهَا، فيكون ﴿طيباً﴾ نعتاً للْحَلاَل[1]، ويكـون طيبـاً نعتاً لمـا يستطاب، والأَجـود أَن يكون طيبـاً من حيث يطيب لكم، أَي لا تأْكلوا وتنفقوا مما يحرم عليكم[2] كقـوله عـزّ وجلّ: ﴿ولا تَيَـمَّـمُوا الخبيـثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾.

أَكثـر القـراءَة خُـطُوات بِضَمّ الخـاءِ والـطاءِ، وإن شئت أَسكنْتَ الـطاءَ، «خُطْوَات» لثقل الضمـة، وإن شئت خُطَواتٍ، وهي قـراءَة شاذة ولكنهـا جائـزة في العربية قوية، وأَنشد الخَليلُ وسيبويه وجميع البصريين النحويين:

ولـمـا رَأَوْنـا بَـادِيـاً رَكَبَـاتُـنَـا على مَوْطِنٍ لا نخلط الجد بالهزل[4]

ومعنى ﴿خطوات الشيطان﴾ طرقه، أَي لا تَسْلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قيلَ لهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نتَّبِعُ مـا أَلْفَيْنَا عَليهِ آبَاءَنا﴾.

معنى ﴿أَلفينا﴾ صَادَفْنا، فعنَّفهم اللَّه وعاب عليهم تقليدهم أَباءَهم.

فقال: ﴿أَوَلَوْ كان آباؤُهمْ لاَ يعقِلُون شيئاً وَلا يَهْتَدُونَ﴾.

---

(١) لكلمة «حلالا» لأنها حال. أو هي حال ثانية.

(٢) أي المراد بالطيب لا النوع الجيد.

(٣) البقرة ٢ ـ ٢٦٨.

(٤) لزهير بن أبي سلمى. وهو في كتاب سيبويه ٢ ـ ١٨٥. والشاهد فيه فتح الكاف. وباديا ركباتنا بمعنى جادين كما يقال شمر عن ساق. وأنظر ابن يعيش ٦ ـ ١٣٧.

المعنى أيتبعون آباءَهم وإن كانوا جهالاً، وهذه الواو مفتوحة لأنها واو عطف، دخلت عليها ألف التوبيخ، وهي ألف الاستفهام فبقيت الوَاو مفتوحة على ما يجب لها.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَثَلُ الَّذينَ كَفَرُوا كَمَثَل الَّـذِي يَنْعِقُ بِمَا، لاَ يَسْمَعُ إلاَّ دُعَاءً ونَدَاءً﴾.

وضرب اللَّه عزّ وجلّ لهم هذا المثل، وشبَّهَهُم بالغنم المنعوق بها. بما[1] لا يَسْمَع مُنه إلا الصوتَ، فالمعنَى مثلك يا محمد، ومثلهم كمثل الناعق والمنعوق به، بما لا يسمع، لأن سمعهم ما كان ينفعهم، فكانوا في شركهم وَعَدَمِ قبول ما يسمعون بمنزلة من لم يسمع، والعرب تقول لمن يسمع ولا يعمل بما يسمع: أصم، قال الشاعر:

أَصَمُّ عمَّا سَاءَه سَمِيعُ[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿صُمٌّ بكْمٌ عمْيٌ﴾.

وصفهم بالبَكَم وهو الخَرَس، وبالعَمَى، لأنهم في تركهم ما يبصرون من الهداية بمنزلة العُمْي، وقد شرحنا هذا في أول السورة شرحاً كافياً إن شاءَ اللَّه[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّما حرَّم عليكم المَيْتَةَ﴾.

النَّصبُ في ﴿الميتةَ﴾ وما عطف[4] عليها هو القراءَة، ونصبه لأنه مفعول

(١) من صائح يسمع صوته ولا يفهم كلامه فلا يستجاب له ـ وكلمة بما لا يسمع بدل من المنعوق بها تفسير لها ـ أي شبههم بالحيوانات التي تسمع ولا تفهم معنى الكلام.

(٢) اللسان (صمم) أي يسمع ولكنه يتصامم.

(٣) ص ٩٤.

(٤) فيَ ك ما عطف به.

به، دخلت «ما» تمنع إنَّ من العمل[1]، ويليها الفعل، وقد شرحنا دخول ما مع إن، ويجوز إنَّما حرَّم عليكُم الميْتَةُ، والذي أختاره أن يكون ما تمنع أن من العمل، ويكون المعنى ما حرم عليكم إلا الميْتةَ، والدَّم ولحم الخنزير، لأن «إنما» تأتي إثباتاً لما يذكر بعدها لما سواه، قال الشاعر:[2]

أنا الزائد الحامي الذمار[3] وإنما مدافع عن أحسابهمْ أنا أو مثلي

المعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مثلي، فالاختيار ما عليه جماعة القراءِ لإتباع السنة، وصحته في المعنى.

ومعنى ﴿ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾.

أي ما رُفَعَ فيه الصوتُ بتسمية غير اللَّه عليه، وهذا موجود في اللغة، ومنه الإهلال بالحج، إنما هو رفع الصوت بالتلبية. والميتة أصلها الميِّتَةُ، فحذفت الياءُ الثانية استخفافاً لثقل الياءين والكسرة والأجود في القراءَة الميْتَةُ (بالتخفيف)[4].

وكذلك في قوله: ﴿أَو من كان ميْتاً فأحْيَيْنَاهُ﴾[5] أصله أو من كان ميتاً بالتشديد، وتفسير الحذف والتخفيف فيه كتفسيره في الميتة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمن اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولا عَادٍ﴾.

في تفسيرها ومعناها ثلاثة أوجه: قال بعضهم ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾، أي فمن اضطر جائعاً غير باغ - غير آكلها تلذذاً - ولا عاد ولا مُجَاوِزٍ ما يدفع عن نفسه الجوع، فلا إثم عليه.

---

(١) في ك ودخلت.

(٢) البيت للفرزدق. ديوانه ٧١٢ معاهد التنصيص ١ - ٨٩ شواهد المغني ٧١٨.

(٣) ليست في ك - والذمار الحمى والحريم.

(٤) ليست في ك.

(٥) الأنعام ٦/١٢٢.

وقالوا: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير مجاوز قدر حاجته وغير مقصِر عما يقيم به حياته، وقالوا: أيضاً: معنى ﴿غير باغ﴾ على إمَامٍ وغير متعد على أُمَّتِه، ومعنى البغي في اللغة، قصد الفساد، يقال: بَغَى الجَرْحُ يبغي بغياً، إذا ترامى إلى فساد، هذا إجماع أهل اللغة، تقول ويقال بغى الرجل حاجته يَبْغِيهَا بِغَاءً، والعرب تقول خرج في بِغَاءٍ إبله قال الشاعر:[1]

لا يمْنعنَّكَ من بِغَاءِ الخير تَعقادُ التمائم

إنَّ الأَشائم كالأيامن والأيامنُ كالأَشائمْ

ويقال بغت المرأة تبغي بِغَاءً إذا فجرت: قال اللّه عزّ وجل:

﴿وَلَا تُكْرِهوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾[2] أي على الفجور ويقال: ابتَغَى لفلان أَنْ يفعل كذا: أي صلح له أن يفعل كذا وكأنه قال: طلب فعل كذا فانطلب له[3]، أي طاوعه، ولكن اجتزئ بقولهم ابتغى، والبغايا فيّ اللغة شيئان، البغايا الفواجر، والبغايا الإماء، قال الأعشى:[4]

والبغَـايـا يـركضن أكْسِيـة الأَ ضْـرِيج والشـرعَبيَّ ذَا الأذيالِ

ونصب ﴿غير باغ﴾ على الحال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّـذِينَ يَكْتُمُـونَ مـا أنـزَل اللّهُ مِنَ الْكِتَـابِ﴾ يعني علماءَ اليهود الذين كتموا أمر النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَيَشْتَرُونَ به ثَمَناً قَلِيلاً﴾ أي كتموه لأنهم أخذوا على كِتْمَانِه الرِّشَى.

---

(١) للمرقش ـ اللسان (يمن) مع أبيات اخرى ـ والبيت الثاني هناك فإذا ليتسق مع ما سبقه.

(٢) النور ٢٤/٣٣.

(٣) هو فعل لازم كالمضارع اي فاستقام له.

(٤) من لاميته. في العشر للزوزني ١٨٤ والديوان ١٦٧ ط. بيروت: والشرعبي: الحرير الأحمر، أكسية تنسب إلى شرعب قرية يمنية والأضريج: كساء أصفر. وأيضاً أكسية من الصوف الأبيض.

﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾.

المعنى أن الذين يأكلونه يعذبون به، فكأنهم إنما أكلوا النار وكذلك قوله عزّ وجل: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخَبَّطُه الشيطانُ من المسِّ﴾[1]. أي يُصَيِّرُهُمْ أَكْلُهُ في الآخرة إلى مثل هذه الحالة. والذين نصب بأن، وخبر «أن» جملة الكلام وهي ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾، وأولئك رفع بالابتداءِ وخبر ﴿أولئك﴾ ما يأكلون في بطونهم إلا النار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

فيه غير قول: قال بعضهم معناه يغضب عليهم، كما تقول: فلان لا يكلم فلاناً، تريد هو غضبان عليه. وقال بعضهم معنى لا يكلمهم اللَّه يوم القيامة لا يرسل إليهم الملائكة بالتَّحيَّةِ، وجائز إن يكون: ﴿لا يكلمهم اللَّه﴾ لا يسمعهم اللَّه كلامه، ويكون الأبرار وأهل المنزلة الذين رضي اللَّه عنهم يسمعون كلامه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا يُزَكِّيهِمْ﴾.

أي لا يثنى عليهم، ومن لا يثني اللَّه عليه فهو معذب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

معنى أليم مؤلم ومعنى مؤلم مبالِغٌ في الوجع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فما أَصْبرهُمْ على النَّارِ﴾.

وفيه غير وجه: قال بعضهم أَيُّ شيءٍ أَصْبرهُمْ على النار، وقال بعضهم: فما أصبرهم على عمل يؤدي إلى النار لأن هؤلاءِ كانوا علماءَ بأن من عاند النبي ﷺ صار إلى النار. كما تقول ما أصبرَ فلاناً على الجنس أي ما أبقاه منه.

---

(١) البقرة ٢/٢٧٥.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذلك بأن اللّه نزَّل آلْكتَابَ بالحَقِّ﴾.

المعنى الأَمـر ذلك، أو ذلـك الأَمر فـذلك مـرفوع بـالابتداءِ. أو بخبـر الابتداءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنّ الّـذينَ اخْتَلَفوا في الكِتَـاب لَفِي شِقَاق بعِيـدٍ﴾أي بتباعد بعضهم في مَشَاقَّةِ بعض، لأَن اليهـود والنصارى هم الَّـذين اختلفوا في الكتاب ومشاقتهم بعيدة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَيْس الْبرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قبلَ المَشْرِقِ والمَغْربِ﴾.

المعنى ليس البر كله في الصلاة ﴿ولكن البرَّ مَنْ آمَنَ باللّهِ واليـوْمِ الآخر وأَقَامَ الصَّلاَةَ﴾.. إلى آخر الآية، فقيل إن هذا خصوص في الأَنبياءِ وحدهم، لأَن هـذه الأَشياءِ التي وصفت لا يؤديهـا بكليتها على حق الـواجب إلا الأَنبياءَ عليهم السلام، وجائز أَن يكون لسائر الناس، لأن الله عزّ وجـلّ قد أَمـر الخلق بجميع ما في هذه الآية.

ولـك في البرِّ وجهـان: لك أَن تَقْـرَأَ ليس البرَّ أَن تـولوا، وليس البـرُّ أَنْ تُولُوا، فمن نصب جعـل أَنْ مع صلتهـا الاسم، فيكون المعنى: ليس تـوليتُكُم وجُوهَكُم البرَّ كلَّه، ومن رفع البر فالمعنى: ليس البُر كلُه توليتكم، فيكون البـرِ إسم ليس، وتكون ﴿أَن تولوا﴾ الخبر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولكنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ﴾.

إذا شدَّدتَ ﴿لَكِّن﴾ نصبت البـر، وإذا خففت رفعت البـر، فقلت ولكنِ البِـرُّ من آمن باللّه، وكسـرتَ النونَ من التخفيف لالتقـاءِ الساكنين، والمعنى: ولكن ذا البر من آمن باللّه، ويجوز أَن تكون: ولكن البرَّ بَرُّ مَن آمن باللّه، كما قال الشّاعِر:

وكيفَ تــواصــل مَن أَصبَحَتْ   خــلاَلَتُــهُ كــأَبي مَــرْحَبِ[1]

المعنى كخلالة أَبي مرحب ـ ومثله واسأَل القرية التي كنـا فيها. المعنى وأسأَل أَهل القرية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمُوفُونَ بعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾.

في رفعها قولان: الأَجود أَن يكون مـرفوعـاً على المدح، لأَن النعت إِذا طال وكَثُرَ رُفِعَ بعضُه ونُصِب على المدح. المعنى هم الموفون بعهدهم وجـائز أَن يكون معطوفاً على من. المعنى ولكن البر، وذو[2] البر المُؤْمنون والمـوفون بعهدهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والصَّابِرينَ﴾.

في نصبهـا وجهان: أَجـودهما المـدح كما وصفنـا في النعت إِذا طـال. المعنى أَعني الصابرين، قال بعض النحويين، إِنه معطوف على ذوي القـربى، كأَنه قال: وآتي المالَ على حبه ذوي القربى والصابرين وهـذا لا يصلح إِلا أَن يكـون ـ والموفـون رفع على المـدح للمُضْمَرِينَ، لأَن مـا في الصلة لايعطـف عليه بعد المعطوف على الموصول[3].

ومعنى «وحينَ البَأْسِ» أَي شدة الحرب، يقال قد بأَس الرجل[4] يَبْـأَسُ

---

(١) تقدم

(٢) في الأَصل ذوي.

(٣) المـوفون يحتمـل إعرابين ـ إمـا العـطف على من آمن، وإمـا على أنـه منقـطع خبـر. الضمير المحذوف، وذوي القربى. معمول لآتى. . وهو من صلة «من» فالصابرين ان عطف على ذوي القربى فهو عـطف على معمول الصلة ولا يجـوز العطف على معمـول الصلة بعد ذكـر معطوف على الموصول نفسه فلهذا يمتنع هذا العطف ـ إلا إذا كانت الموفون ـ اسما منقطعاً.

(٤) في القاموس: بَئِس كسمع بؤساً وبُؤُساً وبَأْساً وَبُؤْسَى وبئِيسى اشتدت حاجته.

بَأْساً وبَأْساً (وبُؤساً)[1] يا هذا إذا افتقر وقد بُؤس الرجل ببُؤس، فهو بَئِيس إذا اشتدت شجاعته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِصَاصَ فِي القَتْلَى الحُرُّ بالحُرِّ والعبْدُ بالعَبدِ والأُنْثَى بالأُنْثَى﴾.

معنى ﴿كُتِبَ عليْكم﴾ فرض عليكم، وقوله ﴿الحرّ بالحر والعبد بالعبد والأُنثى بالأُنثى﴾: يقال إنه كان لقوم من العرب طَولٌ على آخرين فكانوا يتزوجون فيهم بغير مهور، ويطلبون بالدم أكثر من مقداره، فيقتلون بالعبد من عبيدهم الحرَّ من الذين لهم عليهم طول فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيه شَيءٌ فاتبَاع بالمعْرُوفِ وأداءٌ إليْه بإحْسَانٍ﴾. أي من ترك له القتل ورُضي منه بالدّية - وهو قاتل متعمد للقتل عفى له بأن ترك له دمُه، ورضي منه بالدية - قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ تخفيفٌ منْ ربّكُم ورَحْمَةٌ﴾وذكر أن من كان قبلنا لم يفرض عليهم إلا النفس - كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْس بالْنَفْسِ﴾[2] أي في التوراة - فتفضل اللَّه على هذه الأُمة بالتخفيف والدية إذا رَضي بها وليُّ الدَّم، ومعنى﴿فاتّبَاع بالمَعْرُوفِ﴾على ضربين: جائز أن يكون فعلَى صاحب الدم اتباع بالمعروف، أي المطالبة بالدية، وعلى القاتل أداء بإحسان - وجائز أن يكون الأتباع بالمعروف والأداء بإحسان جميعاً على القاتل - واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِك فَلَهُ عذابٌ أَلِيمٌ﴾. أي بعد أخذ الدية، ومعنى اعتدى: ظلم، فوثب فقتل قَاتِلَ صَاحِبِه بعد أخذ الدية - ﴿فله عذاب أليم﴾ أي موجع.

---

(١) ليست في ك.

(٢) المائدة د / ٤٥.

ورفع ﴿فاتباع بالمعروف﴾ على معنى فعليه اتباعٌ[1] ـ ولو كان في غير القرآن لجاز فاتباعاً بالمعروف وأداءَ على معنى فليتبع أتباعاً ويؤد أداءً. ولكن الرفع أجود في العربية[2]. وهو على ما في المصحف وإجماع القراءِ فلا سبيل إلى غيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكُم في القِصَاص حَياةٌ﴾.

﴿حياة﴾ رفعَ على ضربين: على الابتداءِ، وعلى لكم، كأنه قال وثَبَت لكم في القصاص حياة ﴿يا أُولي الألباب﴾[3] أي يا ذوي العقول.

ومعنى الحياة في القصاص أن الرجل ـ إذا علم أنه يُقْتَل إنْ قَتَل ـ أمسك عن القتل ففي إمساكه عن القتل حياة الذي همَّ هو بقتله. وحياةٌ له. لأنه من أجل القصاص أمسك عن القتل فَسَلِم أن يقتل[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كتب عليكم﴾ المعنى وكتب عليكم[5] إلا أن الكلام إذا طال استغنى عن العطف بالواو، وعلم أن معناه معنى الواو. ولأن القصة الأولى قد اسْتَتَمَّت وانْقَضَى معنى الفرض[6] فيها، فعلم أن المعنى فرض عليكم القصاص وفرض عليكم الوصية.

ومعنى ﴿كُتبَ عليْكم إذا حَضَر أَحدَكُمْ المَوْتُ إنْ تَركَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ﴾.

هذا الفَرضُ بإجماع نسخته آياتُ المَواريثِ في سورة النساءِ وهذا مجمع

(١) أي فاتباع واقع عليه، أو فأمره أتباع.

(٢) لأنه جملة اسمية ـ وحذف الفعل ليس كثيراً كحذف الاسم.

(٣) أنظر كيف يأخذ الزجاج بالمذهب الكوفي.

(٤) أي من أن يقتل.

(٥) آية ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت﴾ معطوفة على ﴿كتب عليكم القصاص﴾.

(٦) في ط وفرض عليكم الوصية.

عليه، ولكن لا بد من تفسيره ليعلم كيف كان وجه الحكمة فيه، لأن اللّه[1] عزّ وجلّ لا يتعبد في وقت من الأوقات إلّا بما فيه الحكمة البالغةُ فمعنى ﴿كتب عليكم﴾: فرض عليكم - إن ترك أحدكم مالا - الوصية «للوالدين والأقربين بالمعروف»، فَرَفَعَ الوصية على ضربين، أحدهما على ما لم يسم فاعله، كأنه قال كتب عليكم الوصية (للوالدين)[2]، أي فرض عليكم، ويجوز أن تكون رفع الوصية على الابتداءِ، ويجوز (أن تكون)[3]، للوالدين الخبر، ويكون على مذهب الحكاية، لأن معنى كتب عليكم قيل لكم: الوصية للوالدين والأقربين، وإنما أُمِرُوا بالوصية في ذلك الوقت لأنهم كانوا ربما جاوزوا بدفع المالِ إلى البُعَداءِ طلباً للرياءِ والسمعة.

ومعنى ﴿حضر أحدَكم الموتُ﴾ ليس هو أنه كتب عليه أن يوصي إذا حضره الموت، لأنه[4] إذا عاين الموت «يكون» في شغل عن الوصية وغيرها. ولكن المعنى كتب عليكم أن تُوصُوا وأنتم قادرون على الوَصيَّةِ، فيقول الرجل إذا حضرني الموت، أي إذا أنا مِتُّ فلفلان كذا، على قدر - ما أُمِرَ به - والذي أُمِرَ به أن يجتهد في العدل في وقت الإمْهَال[5]، فيوصي بالمعروف - كما قال اللّه عزّ وجلّ - لوالديه ولأقربيه - ومعنى بالمعروف بالشيءِ الذي يعلم ذو التمييز أنه لا جَنَفَ فيه ولا جَوْر، وقد قال قوم إن المنسوخ من هذا ما نسخته المواريث، وأمر الوصية في الثلث باق، وهذا القول ليس بشيءٍ لأن إجماع المسلمين أن ثلث الرجل له إن شاءَ أن يوصي بشيءٍ فله، وإن ترك فجائز (فالآية)[6] في

---

(١) ط: أن اللّه: فهي جملة مستأنفة.

(٢) ك فقط.

(٣) ك فقط.

(٤) ك: لأنه هو إذا عاين.

(٥) في ط في العدل في الإمهال في ذلك الوقت.

(٦) ليست في ك.

قوله: ﴿كتب عليكم. . . الوصية﴾ منسوخة بإجماع. وكما وصفنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَقًّاً على المتَّقِينَ﴾.

نصب على حق ذلك عليكم حقاً، ولو كان في غير القرآن فَرُفِعَ كان جائزاً، على معنى ذلك حق على المتقين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ بَدَّلَه بَعْد مَا سَمِعَهَ﴾ يعني فمن بدل أمر الوصية بعد سماعهِ إيّاها، فإنما إثْمُه على مُبَدلِهِ، ليس على الموصى، - إذا احتاط أو اجتهد فيمن يوصى إليه - إثم، ولا على الموصى له إثم وإنما الإثم على الموصي إن بدل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي قد سمع ما قاله الموصي، وعلم ما يفعله الموصَى إليه، لأنه عزّ وجلّ عالم الغيبِ والشَّهَادَة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ خَافَ من مُوص جَنَفاً (أَوْ إثْماً)﴾.

أي مَيْلاً، أو إثماً، أو قَصَداً لإثم، فأصلح بينهم أي عمل بالإصلاح بين الموصى لهم فلا إثم عليه، أي لأنه إنما يقصد إلى إصلاح بعد أن يكون الموصي قد جعل الوصية بغير المعروف مخالفاً لأمر اللَّه فإذا ردها الموصى إليه إلى المعروف، فقد ردها إلى ما أمر اللَّه به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنوا كُتبَ عليكم الصِّيَامُ﴾.

المعنى فرض عليكم الصيام فرضاً كالذي فرض على الذين من قبلكم، وقيل إنه قد كان فرض على النصارى صوم رمضان فَنَقَلُوه عن وقته، وزادوا فيه، ولا أدري كيف وجه هذا الحديث، ولا ثقة ناقليه، ولكن الجملة أن اللَّه عزّ وجلّ قد أعلمنا أنه فرض على من كان قبلنا الصيام، وأنه فرض علينا كما فرضه على الذين من قبلنا(١).

(١) في ط على النبيين من قبلنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

المعنى أَنَّ الصِيَّام وَصْلَة إلى التقي، لأنه من البر الذي يكف الإنسان عن كثير مما تتطلع إليه النفس من المعاصي، فلذلك قيل ﴿لعلكم تتقون﴾. و «لعل» ههنا على ترجي العباد، والله عزّ وجلّ من وراءِ العلم أتتقون أم لا[١]. ولكن المعنى أنه ينبغي لكم بالصوم أن يقوى رجاؤكم في التقوى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أياماً مَعْدُودَاتٍ﴾.

نصب أياماً على ضربين، أَجْوَدُهُما أن تكون على الظرف كأنه، كتب عليكم الصيام في هذه الأيام - والعامل فيه[٢] الصيام كان المعنى كُتب عليكم أن تصوموا أياماً معدودات. وقال بعض النحويين، إنه منصوب مفعولُ[٣] مَا لم يُسَمّ فاعله، نحو أُعَطِيَ زيد المال. وليس هذا بشيءٍ لأن الأيام ههنا معلقة بالصوم، وزيد والمال مفعولان لأعطى. فلك أن تقيم أيهما شئت مقام الفاعل[٤]. وليس في هذا إلاَّ نصب الأيام بالصيام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن كَانَ منكُم مَرِيضاً أَو عَلَى سَفَرٍ فعدَّةٌ مِنْ أيام أُخَر﴾.

أي فعليه عدة، أو فالذي ينوب عن صومه في وقت الصوم عدة من أيام أُخر. وأُخر في موضع جر، إلا أنها لا تَنْصَرِف فَفُتِحَ فيها المجرور.

ومعنى وعلى الذين يطيقونه أي يطيقون الصوم فدية طعام، مسكين، أي إن أُفطر وترك الصوم كان فدية تركه طعامُ مسكين وقد قرئ «طعامُ مساكين»

---

(١) أي هو يعلم المستقبل فلا يتأتى الرجاء منه.

(٢) في الظرف.

(٣) اعتبرت كتب مما ينصب مفعولين. جعل أولهما نائب الفاعل وهذا هو الثاني أو هو ظرف ولكن عامله «كتب».

(٤) لك أو ترفع أيا منهما على أنه نائب فاعل وتنصب الآخر مفعولاً به.

فمعنى طعام مساكين فدية أيام يفطر فيها وهذا بإجماع وبنص القرآن منسوخ. نَسخَته الآية التي تَلي هذه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

رفع خير خبر الابتداءِ. المعنى صومكم خير لكم هذا كان خيراً لهم مع جواز الفدية، فأما ما بعد النسخ فليس بجائز أن يقال: الصوم خير من الفدية والإفطارِ في هذا الوقت، لأنه[1] ما لا يجوز البتة فلا يقع تفضيل عليه فيوهم فيه أنه جائز. وقد قيل إن الصوم الذي كان فرض في أول الإسلام. صوم ثلاثة أيام في كل شهر ويوم عاشوراءِ، ولكن شهر رمضان نَسَخَ الفرضَ في ذلك الصوم كله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزل فيه القُرْآنُ﴾.

القراءَة[2] بالرفع ويجوز النصب، وهي قراءَة ليست بالكثيرة ورفعه على ثلاثة أضرب: أحدها الاستئناف. المعنى الصيام الذي كتب عليكم أو الأيام التي كتبت عليكم شهرُ رمضان، ويجوز أن يكون رفعه على البدل من الصيام فيكون مرفوعاً على ما لم يسم فاعله، المعنى كتب عليكم شهر رمضان[3]، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداءِ ويكون الخبر﴿الذي أُنزل فيه القرآن﴾ والوجهان اللذان شرحناهما ـ «الذي» فيهما رفع على صفة[4] الشهر، ويكون الأمر بالفرض فيه﴿فَمن شَهدَ منكم الشَّهرَ فليصمه﴾[5] ومعنى من شهد: من كان شاهداً غير مسافر فليصم، ومن كان مسافراً أو مريضاً فقد جُعِل له أن

(١) في ط وك. لأن ما لا يجوز.

(٢) في ط القراءة الجيدة.

(٣) كتب عليكم الصيام شهرَ رمضان.

(٤) وعلى الوجه الأخير هي خبر.

(٥) أي هذه الجملة الدالة على الأمر.

يصوم عدَّةَ أيّـام ِ الْمَرض وأيـام ِ السفرِ من أيـام أخر، ومنْ نصب شهـر رمضان نصبه على وجهين، أحدهما أن يكون بدلاً من أيام معـدودات، والوجـه الثاني على الأمر، كأنه قال عليكم شهر رمضان. على الإغْراءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُريدُ اللَّهُ بِكُمُ اليُسْرَ﴾.

أيْ أن يُيسّر عليكم بوضعه عنكم الصوم في السفر والمرض.

وقـولـه عـزّ وجـلّ: ﴿وَلِتُكمّلوا العـدة﴾ (قرئ)[1] بـالتشـديـد، ولِتُكْمِلُوا بالتخفيف. من كمَّل يكمّلُ، وأكمل يُكْمِلُ. ومعنى اللام والعـطف ههنا معنى لطيف. هذا الكلام معطوف محمول على المعنى. (المعنى[1]) فعل اللَّه ذلك ليسهل عليكم ولتكملوا العدة، قال الشاعر:[2]

بَـادَت وغُـيِّـر آيُـهـن مـع الـبِـلي إلا رَواكِـدَ جـمـرهُـن هـبـاءُ
ومـشـجـجٌ أمـا سـواءُ قـذا لـه فـبـدا، وغـيـره سَـارَه الـمَعْـزَاءُ

فعـطف مشـججٌ على معنى بهـا رواكـد ومشجـج، لأنـه إذْ قـال بـادت الأرواكِدَ علم أن المعنى بَقِيَتْ رواكدُ ومشجعُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذَا سَأَلَكَ عِبَادِيَ عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

المعنى إذا قال قائل: أَينَ اللَّهُ. فاللَّه عزّ وجلّ قريب لا يخلو منه مكان ـ كما قال: ﴿مَـا يَكُونُ مِنْ نَجـوى ثَلَاثَـةٍ إلا هُوَ رَابِعُهـمْ﴾[3] وكمـا قال: ﴿وهـو مَعَكُم أينَمَا كنتم﴾[4].

---

(١) ك فقط.

(٢) البيتان من شواهد سيبويه: الكتاب ص ١٧٣، ١٧٤ جـ ١ تحقيق هـرون، والرواكـد الأثافي ـ والمعزاء (بفتح الميم) الأرض الغليظة الصلبة ـ ج. أمعاز أنظر اللسان (معز)، والمشجج الوتد، والقذال أعلاه، وسارة: سائره «اللسان: سار». ـ ولم يذكر القائل.

(٣) سورة المجادلة ٥٨ ـ ٧.

(٤) سورة الحديد آية ٤.

وقوله عزّ وجل: ﴿أُجيبُ دَعْوةَ الدَّاعِي إذَا دَعانِ﴾.

إن شئت قلت إذا دعاني بياءٍ وإن شئت بغير ياءٍ، إلا أَن المصحف يتبع فيوقف على الحرف كما هو فيه. ومعنى الدعاءِ للَّه عزّ وجلّ على ثلاثة أضرب، فضرب منها توحيده والثناءُ عليه كقولك يا اللَّه لا إله إلا أَنت[1] وقولك: رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ، فقد دعوتَه بقولك ربنا، ثم أَتيت بالثناءِ والتوحيد ومثله: ﴿وقال ربكم ادْعُوني أَسْتَجِبْ لكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[2] أَي يستكبرون عن توحيدي والثناءِ عليَّ، فهذا ضرب من الدعاءِ، وضرب ثان هو مَسْأَلة اللَّه العفوَ والرحمة، وما يقرب منه كقولك اللهم أغفر لنا، وضرب ثالث هو مسأَلته من الدنيا كقولك: اللهم أرزقني مالاً وولداً وما أَشبه ذلك، وإنما سمي هذا أَجمعُ دعاء لأَن الإنسان يصدر في هذه الأَشياءِ بقوله يا اللَّه، ويا ربُّ، ويَا حَيُّ. فكذلك سمي دعاءً.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿فليَسْتَجيبُوا لِي﴾:

أَي فليُجِيبُوني، قال الشاعر:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندا ... فلم يَسْتَجِبْه عند ذاك مجيب[3]

أَي فلم يجبه أَحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُحِلَّ لَكُم لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾.

﴿الرفث﴾ كلمة جامعة لكل ما يريد الرجل من المرأَة، والمعنى هُهُنا كناية عن الجماع: أَي أُحل لكم ليلة الصيام الجماع، لأَنَّه كان في أَولَ فرض

---

(1) في ط لا إله إلا هو ألا أنت.

(2) سورة غافر ٤٠ ـ ٦٠.

(3) البيت لكعب الغنوي يرثي أخاه أبا المغوار الخزانة ٤ ـ ٣٥٧، المعجم ٣٤ اللسان (جوب) أمالي المرتضى ١/٦٠.

الصيام الجماعُ محرماً في ليلة الصيام، والأكل والشُّربُ بعد العِشَاءِ الآخرة والنوم. فأحل اللَّه الجماع والأكل والشراب إلى وقت طلوع الفجر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لكُم وأَنتُم لِبَاسٌ لهُنَّ﴾.

قد قيل فيه غير قول: قيل المعنى، فَتُعانقوهن ويُعَانِقْنكم، وقيل كل فريق منكم يسكن إلى صَاحِبه ويُلابسه ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾[1]. والعرب تسمى المرأة لباساً وإزاراً قال الشاعر: [2]

إذا مَا الضَّجيع ثَنى عِطفَه ... تَثَنَّتْ فكانت عليه لِبَاساً

وقال أيضاً: [3]

أَلَا أَبْلغ أَبَا حَفْصٍ رَسُولا ... فِدًى لكَ ـ من أَخِي ثِقَةٍ ـ إزاري

قال أهل اللغة: فدى لك إمرأتي[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّه لَكُمْ﴾.

قالوا معناه الولد. ويجوز أن يكون ـ وهو الصحيح عندي ـ واللَّه أعلم ـ وابتغوا ما كتب اللَّه لكم: اتبعوا القرآن فيما أُبيح لكم فيه وأُمرتم به فهو المبتغى.

---

(١) الأعراف ٧ ـ ١٨٩.

(٢) النابغة الجعدي ـ الشعراء والشعراء ٢٥٥، الطبري ٣ ـ ٤٩٠.

(٣) هو نفيلة الأكبر الأشجعي ـ وكنيته أبو المنهال ـ وهي أبيات وجه بها إلى عمر بن الخطاب، يشكو عامله على المدينة ـ جعدة بن عبد اللَّه السلمي ـ وكان يعبث بالجواري عند خروج الأزواج إلى الغزو. ومنها.

قلائِصُنَا هداك اللَّه، أنا ... شغلنا عنكمو زمن الحصار

يعقلهن جعدة من سليم ... غوى يبتغي سقط العذارى

وفسر الإزار هنا بأنه النفس والأهل ـ والقائل أنه المرأة هو الجرمي وليس بجيد هنا ومنه حديث بيعة العقبة لنمنعنك مما نمنع منه أُزرَنَا، أي نساءنا وأهلنا. والعذارى جمع عذراء.

أنظر اللسان (عذر).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حتَّى يَتَبَينَّ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسودِ مِنَ الفَجَرِ﴾.

هما فجران: أَحدهما يَبْدُو أَسودَ معترضاً وهو الخيط الأَسود، والأَبيض يطلع ساطعاً يملأُ الأُفق، وَحَقِيقَتُه: حَتَّى يتبين لكم الليل من النهار، وجعل اللَّه عزّ وجلّ حدود الصيام طلوع الفجر الواضح، إلا أَن اللَّه عزّ وجلّ بين في فرضه ما يستوي في علمه أَكثر الناس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تُباشِرُوهُنَّ وأَنْتُم عاكِفُون في المساجِدِ﴾.

معنى المباشرة هنا الجماع. وكان الرجل يخرج من المسجد وهو معتكف فيجامع ثم يعودُ إلى المسجد، والاعتكاف أَن يحبس الرجل نفسه في مَسْجِدِ جَماعةٍ يتعبَّد فيه، فعليه إذا فعل ذلك أَلَّا يُجَامع وأَلَّا يتصرَّفَ إلا فيما لا بد له مِنْهُ من حاجته(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا﴾.

معنى الحدود ما منع اللَّه عزّ وجلّ من مخالفتها، - ومعنى الحدَّادُ في اللغة الحاجب، وكل من منع شيئاً فهو حدَّاد. وقولهم أَحَدَّتَ المرأَة على زوجها معناه قطعتِ الزينَةَ وإمتنعت منها، والحديد إنما سمي حديداً لأَنه يمتنع به من الأَعداءِ. وحَدُّ الدَّار هُوَ مَا يمنع غيرها أَن تدخل فيها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُبَيّنُ اللَّهُ آياتِهِ للنَّاسِ﴾.

أَي مثل البيان الذي ذكر، المعنى ما أَمرهم به يبين لهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بيْنَكُم بالبَاطِلِ﴾.

﴿تأْكلوا﴾ جزم بلا، لأَن «لا» التي ينهي بها تلزم الأَفعال دون الأَسماءِ

---

(١) في ك، ط. لم تذكر كلمة منه.

وتأثيرها فيها بالجزم، لأن الرفع يدخلها، بوقوعها موضع الأسماءِ والنصب يدخلها لمضارعة الناصب فيها الناصب للأسماءِ[١]، وليس فيها بعد هذين الحيزين إلا الجزم. ومعنى بالباطل أي بالظلم.

وتُدْلُوا بِهَا إلى الحُكَّام: أي تعملون على ما يوجبه ظاهر الحكم ويتركون ما قد علمتم أنه الحق، ومعنى تُدْلوا في اللغة إنَّما أصله من أَدْلَيْتُ الدلو إذا أرسلتها للمليءِ، ودلوتها إذا أخرجتها، ومعنى أدْلَى لي فلان بحجته أرسلها وأتى بها على صحة، فمعنى وتدلوا بها إلى الحكام أي تعملون على ما يوجبه الإدلاءُ بالحجة، وتخونون في الأمانة.

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمَوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وأَنْتُم تَعْلَمُونَ﴾.

أي وأنتم تعلمون أن الحجة عليكم في الباطن، وإن ظهر، خلافها، ويجوز أن يكون (موضع)[٢] «وتدلوا» جزماً ونصباً - فأما الجزم فعلى النهي، معطوف على ولا تأكلوا، ويجوز أن تكون نصباً على ما تنصب الواو، وهو الذي يسميه بعض النحويين الصرف، ونصبه بإضمار أن، المعنى لا تجمعوا [بين] الأكل بالباطل والإدلاءِ إلى الحكام، وقد شرحنا هذا قبل هذا المكان[٣].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونكَ عن الأَهلَّةِ﴾.

كان النَّبيُّ ﷺ سئل عن الهلال في بدئه دقيقاً وعن عِظَمِهِ بعد، وعن رجوعه دقيقاً كالعرجون القديم، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه جعل ذلك ليعلم

---

(١) الرفع يدخل الأفعال إذا وقعت موقع الأسماء، بأن تقع بعد ما يؤثر في الاسم أو بدون مؤثر، والنصب يدخلها للسبب الذي ذكر، ولا الناهية ليست أحد هذين. فالزم الفعل الجزم. وهذا رأي الزجاج - وقد ردّ فيه.

(٢) ليست في ك. والكلام يستقيم بدونها.

(٣) ص ١٢٤.

الناس، أوقاتهم في حَجِّهِمْ وَعِدَدِ[1] نِسائِهِمْ، وجميع ما يريدون علمه مشاهرة، لأن هذا أسهل على الناس من حفظ عدد الأيام، ويستوى فيه الحاسب وغير الحاسب.

ومعنى الهلال واشتقاقه: من قولهم اسْتَهَلَّ الصبي إذا بكى حين يولد أو صاح، وكأن قولهم أَهَلَّ القوم بالحج والعمرة - أي رفعوا أصواتهم بالتلبية، وإنما قيل له هلال لأنه حين يرى يهل الناس بذكره ويقال أُهِلَّ الهلال واسْتَهَلَّ[2]، ولا يقال أَهَلَّ، ويقال أهلَلْنا. أي رأينا الهلال. وأهللنا شهر كذا وكذا، إذا دخلنا فيه.

وأخبرني من أثق به من رواة البصريين والكوفيين جميعاً بما أذكره في أسماءِ الهلال وصفات الليالي التي في كل شهر:[3]

فأول ذلك: إنما سمي الشهر شهراً لشهرته وبيانه، وسُمِّيَ هلالا لِمَا وصفنا من رفع الصوت بالإخبار عنه، وقد اختلف الناس في تسميته هلالاً، وكم ليلةً يُسَمَّى ومَتَى يُسَمَّى قمراً، فقال بعضهم يسمى هلالاً لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالاً، إلى أن يعود في الشهر التالي، وقال بعضهم يسمى هلالاً ثلاث ليال ثم يسمى قمراً، وقال بعضهم يسمى هلالاً إلى أن يحَجِّر وتحجيره أن يستدير بخطة دقيقة[4]. وهو قول الأصمعي. وقال بعضهم يسمى هلالاً إلى أن

---

(١) جمع عدة وهي المدة التي تقضيها المطلقة أو المتوفي عنها زوجها حتى تحل لزوج آخر.

(٢) أهل مبني للمجهول، أي أهل به الناس، واستهل مبني للمعلوم أي بدًا.

(٣) هذه الأسماء والصفات التي تأتي بعد مذكورة بتفاصيل أوسع وبشيء من التغاير في الكتب الآتية.

كنز الحفاظ ص ٣١٥ - ٤٠٥ الباب ٦٥.

أمالي المرتضى ١ - ٧٥ - ٥٩.

المخصص ٩ - ٢٦.

وعنها نقلنا الشروح التي تأتي بعد.

(٤) تحاط دائرته بخط دقيق يحددها وهي لما تضيء بعد.

يَبْهَـرَ ضوؤُه سـوادَ الليل، فـإذا غلب ضوؤُه سـوادَ الليل قيـل له قمـر، وهذا لا يكون إلاّ في الليلة السابعـة، والذي عنـدي. وما عليـه الأكثر أنّـه يسمى هلالاً ابنَ ليلتين[1]، فإنه في الثالثة يَبِينُ ضوؤُه.

واسم القمر الزبرقان، واسم دارته الهالة، واسم ضوئه الفَخْت وقد قـال بعض أهـل اللغة لا أدري الْفَخْتُ اسمُ ضـوئـه أم ظُلْمَتِـه، واسم ظلمتـه عـلى الحقيقة (واسم ظله)[2] السَّمَر، ولهذا قيل للمتحـدثين ليـلا سُمَّار، ويقـال ضاءَ القمر وأضاءَ، ويقال طلع القمر، ولا يقال أضاءَت القمر أو ضاءَت[3].

قـال أبو إسحق وحـدثني من أثق به عن الـرِّيَاشي عن أبي زيـد، وأخبرني أيضـاً من أثق به عن ابن الأعـرابي بمـا أذكـره في هـذا الفصـل: قـال أبـو زيـد الأنصاري، يقال للقمر بنَ ليلةٍ: عَتَمَةَ سُخَيْلة حل أهلها بـرُمَيْلَةٍ[4]، وابنَ ليلتين حـديث أَمَتَين كـذبٌ ومَـيْنْ[5] ورواه ابن الأعـرابي بكـذب ومَـيْنْ، وابن ثـلاث حديث فتيات غير جد مؤتلفات[6].

وقيـل ابن ثـلاث قليـل اللَّبـاث، وابن أربـع عتمـة رُبَـع لا جـائـع ولا مُـرْضَـع[7]، وعن ابن الأعـرابي عتمة أم الـربع، وابن خمس حـديث وأنس[8]،

---

(١) عن ابن السكيت يكون هلالا لليلة ولليلتين ولثلاث، وقال ابن سيدة: إن الزجـاج يسميه هـلال لثلاث ليال ثم يكون قمراً وهو يخالف ما هنا.

(٢) ك فقط.

(٣) أي هو مذكر لا يجوز تأنيثه، ويقال أضاءت القمراء.

(٤) السخيلة هي وليدة الشاة، أي أنـه يبقي بمقدار مـا ينزل قـوم فتضع شـاة سخلتهـا وترضعهـا ثم يرتحلون ـ والرميلة تصغير رملة، المراد: مكان غير صالح للمكث الطويل.

(٥) بمقدار ما تلقى الأمة أمة أخرى فتلفق لها حديثاً ثم يفترقان، والأمة لا يسمح لها بطول الغيبة.

(٦) ليس بينهما صداقة قوية يطول بسببها الحديث.

(٧) أم الربع الناقة التي تلد أول الربيع، أي بمقدار ما ترضع ولدها وهو غير شديد الجوع، ولا ينال شبعاً كافياً.

(٨) يبقى فترة كافية للحديث والائتناس.

وقال أبو زيد عشا خَلِفَات قُعْس(١)، وابن ست سِرْوِيتْ(٢).

وابن سَبْع دُلْجَة الضُّبع(٣) وابن ثمان قمر أُضحيان(٤) وابن تسع عن أبي زيد: انقطع السشع(٥)، وعن غيره يلتقط فيه الجزع(٦)، وابن عشر ثلث الشهر، وعن أبي زيد وغيره محنق الفجر(٧).

ولم تقل العرب بعد العشر في صفته ليلة ليلة كما قالت في هذه العشر(٨) ولكنهم جزأوا صفته أجزاء عشرة، فجعلوا لكل ثلاث ليال صفة(٩) فقالوا ثلاث غُرَر، وبعضهم يقول غُرٌّ(١٠)، وثلاث شُهْبٌ(١١)، وثلاثٌ بُهْرٌ وبَهْرٌ(١٢)، وثلاث عُشْرٌ(١٣)، وثلاث بيض(١٤)، وثلاثٌ دُرْعٌ، ودُرُعٌ، ومعنى الدُّرَعُ سواد مُقَدَّم

---

(١) الخلفة التي استبان حملها، والقعس جمع قعساء وهي التي انحنى ظهرها ضد الحدباء.

(٢) يكفي الساري أن يمشي وقتاً كافياً حتى يدركه المبيت.

(٣) الدُّلَجُ السُّرَى ليلا، والضُّبع بطيئة السير، أي ضوؤه يكفي طوفانها ـ مع بطئها ـ وعودتها.

(٤) أضحيان أي مضيء من الضحوة، ويقال قمر أضحيان بالإضافة، وَقَدَرٌ أَضْحِيَانٌ نَعْتاً، وليلة ضحياء وإضحيانة وإضحية بكسرهما ويوم ضَحْيَانٌ.

(٥) يضيء زمناً يكفي أن يمشي فيه الساري حتى تنقطع سشعه.

(٦) ضوؤ ه واضح يمكن أن يلتقط فيه الخرز.

(٧) بفتح النون وبكسرها، أي يبقى ضوؤه إلى قريب من الفجر فيحنقه، فهو يحنق الفجر وفجره محنق.

(٨) ذكر المرتضى صفات لياليه ليلة ليلة حتى بلغ الثلاثين، ولم يذكر ابن سيده ولا ابن السكيت غير ما ذكر الزجاج هنا من صفات الليالي المقررة.

(٩) لكل ثلاث ليال من أول الشهر إلى آخره.

(١٠) غرر جمع غرة، أي ذوات غرر والغرة بياض في وجه الفرس وغر جمع غراء، وسميت بذلك لأن القمر يظهر أولها فقط.

(١١) شهْبٌ ـ شُهُبٌ جمع شهباء، والشُّهْبَة بياض يصدعه سواد، وهذه الليالي لا يسطع فيها ضوء القمر حتى يفضح الظلمة ففيه منها بقية فهي شهباء لذلك.

(١٢) تبهر ظلمة الليل وتزيلها.

(١٣) يصير فيها كالناقة العشراء لأنه أحدب لا تتم استدارته، والناقة العشراء التي مضى على حملها عشرة أشهر.

(١٤) لأن القمر لا يغيب فيها فيتصل ضوؤه بضوء النهار.

الشاة وبياضُ مؤخرها، وإنما قيل لها دُرْع ودُرُع لأن القمر يغيب في أولها، فيكون أول الليل أدرع لأن أوله أسود وما بعده مضيءٌ وثلاث خُنْسٌ، لأن القمر يَنْخَنِس فيها أي يَتأخر، وثلاث دهم، وإنما قيل لها دهم لأنها تُظْلم حتى تَدْهَامّ، وقال بعضهم ثلاث حَنَادِس[1]، وثلاث فُحْمٌ[2] لأن القمر يتفحم فيها، أي يطلع في آخر الليل وثلاث دَأْدِيٌّ، وهي أواخر الشهر وإنما أخذت من الدَّأداءِ وهو ضرب من السير تسرع فيه الإبل نقل أرجلها إلى موضع أيديها.

فالدأدأة آخر نقل القوائم، فكذلك الدَّأْدِيُّ في آخر الشهر. وجمع هلال أهلَّه، لأدنى العدد وأكثرِه، لأن فِعالا يجمع في أقل العدد على أفعلة مثل مِثَال وأَمْثِلَة وحِمَار وأَحْمِرَةُ وإذا جاوز أفعلة جُمِعَ على فُعُل، مثل حُمُر ومُثُل، فكرهوا في التضعيف فعل نحو هُلُل وخُلُل، فقالوا أهِلة وأَخِلَّة، فأقتصروا على جمعِ أدنى العدد، كما اقتصروا [في] ذوات الواو والياءِ على ذلك، نحو كِسَاءٌ وأكسية ورِدَاءٌ وأَرْدِية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَيْسَ البرُّ بأنْ تَأتُوا البيوتَ من ظُهُورهَا وَلكِنَّ البرَّ مَنِ اتَّقَى﴾.

قيل إنه كان قوم من قريش وجماعة معهم من العرب إذا خرج الرجل منهم في حاجة فلم يقضها ولم تتَيسَّر له رجع فلم يدخل من باب بيته سنة، يفعل ذلك تَطيُّرا - فأعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك غَيْرُ بِرّ، أي الإقامة على الوفاءِ بهذه السنّة ليس ببر، وقال الأكثر من أهل التفسير: إنهم الحُمْسُ، وهم قوم من قريش، وبنُو عامر بن صعصعة وثَقيف وخُزاعة، كانوا إذا أحرموا لا يأْقطُون الأقط[3] ولا ينتِفُونَ الوَبَرَ ولا يسْلون السَّمْنَ، وإذا خَرجَ أحدهم من الإحرام لم

---

(١) الحندس بالكسر الليل المظلم والظلمه، ويقال تحندس الليل.

(٢) جمع فحماء وأفحم، والفحم من الليل أوله وأشده سواداً وفحّمَه تفحيماً سوَّده.

(٣) الأقط اللبن الذي نزع دسنه وبقي متجمداً. يتحاشون كل مظاهر الترف.

يدخل من باب بيته، وإنما سُمُّوا الحُمْسَ لأنهم تَحَمّسوا في دينهم أي تشددوا. وقال أهل اللغة الحماسة الشدّة في الغضب والشدة في القتال، والحماسة على الحقيقة الشدة في كل شيءٍ. وقال العجاج:

وكَمْ قطَعنا من قِفَافٍ حُمْس[1]

أي شِدَاد - فأعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أن تشددهم في هذا الإحرام ليس بِبرٍّ، وأعلمهم أن البر التقي فقال: ﴿ولكنّ البرّ من اتّقى﴾.

المعنى ولكنَّ البر برُّ من إتَّقى مخالفةَ أمر اللَّه عزَّ وجلّ، فقال: ﴿وأْتُوا البُيُوت من أبوابها﴾ فأمرهم اللَّه بترك سنَّة الجاهلية في هذه الحماسة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَاتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾.

قالوا في تفسيره قاتلوا أهلَ مكة، وقال قوم هذا أول فرض الجهاد ثم نسخه ﴿قاتلوا المشركين كافة﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَعْتَدُوا﴾.

أي لا تظلموا، والاعتداءُ مجاوزة الحق، وقيل في تفسيره قولان: قيل لا تعتدوا: لا تقاتلوا غير من أُمرتم بقتاله، ولا تقتلوا غيرهم، وقيل لا تعتدوا: أي لا تجاوزوا إلى قتل النساءِ والأطفال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾.

أي حيث وجدتموهم، يقال ثَقِفْتُهُ أثقفه ثَقْفاً وَثَقَافَةً، ويقال: رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ[3]. ومعنى الآية: لا تَمْتنِعوا من قتلهم في الحرم وغيره.

---

(١) القفاف الصحارى اليابسة، والحمس الحارة الشديدة القيظ. أنظر ديوانه ١٧٨ اللسان (حض، خمس، نقس) الطبري. (بولاق) ٥ - ٦.

(٢) التوبة ٩ - ٣٧.

(٣) ذكي فطن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والفِتْنَةُ أَشَدُّ منَ القَتْلِ﴾.

أي فكفرهم في هذه الأمكنة أشد من القتل.

وقَوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ المسْجِدِ الحَرَام حتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فيه﴾.

كانوا قد نُهوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال حتى يبتدي المشركون بذلك. وتقرأ: «ولا تَقْتُلوهم عند المسجد الحرام حتى يَقْتُلوكم فيه» أي لا تبدأوهم بقتل حتى يبدأوكم به، وجائز ولا تقتلوهم وإن وقع القتل ببعض دون بعض، لأن اللغة يجوز فيها قتَلْتُ القومَ وإنما قُتِلَ بعضُهم. إذا كان في الكلام دليل على إرادة المتكلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وقَاتلُوهمْ حتى لا تَكُونَ فِتْنَة﴾.

هذا أمر من اللّه عزّ وجلّ أن يقاتَل كل كافر لأن المعنى ههنا في الفتنة والكفر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الشَّهرُ الحرامُ بالشَّهْرِ الحرامِ﴾.

﴿الشّهر﴾ رفع بالابتداءِ وخبره ﴿بالشهر الحرام﴾، ومعناه قتال الشهر الحرام، ويروى أن المشركين سألوا النبي ﷺ عن الشهر الحرام هل فيه قتال: فأنزل اللّه عزّ وجلّ أن القتل فيه كبير، أي عظيم في الإثم، وإنما سألوا ليَغُرُّوا[1] المسلمين، فإن علموا أنهم لَم يؤمروا بقَتلهم قاتلوهم، فأعلمهم اللّه عزّ وجلّ أن القتال فيه محرم إلاَّ أنْ يبتدىء المُشْرِكُونَ بالقِتَال فيه. فيقاتلهم المسلمون: فالمعنى في قوله: ﴿الشهر الحرام﴾ أي قِتَالَ الشهر الحرام، أي في ﴿الشهر الحرام، بالشهر الحرام﴾. وأعلم اللّه عزّ وجلّ أن هذه الحرمات قصاص، أي لا يجوز للمسلمين إلا قصاصاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمن اعْتَدى عَليْكُمْ﴾.

---

(١) ليخدعوهم.

أي من ظلم فقاتل فقد اعتدى، فاعتدوا (عليه)[1] بمثل ما اعتدى عليكم، وسُمِّيَ الثاني اعتداءً لأنه مجازاة اعتدا فسُمِّيَ بمِثل اسمه، لأن صورة الفعلين واحدة. وإن كان أحدهما طاعة والآخر معصية، والعرب تقول ظلمني فلان فظلمته[2] أي جازيته بظلمه، وجهل عليّ فجهلت عليه أي جازيته بجهله، قال الشاعر:

أَلَا لا يجهلن أحد علينا فنَجهلَ فوق جهل الجاهلينا[3]

أي فنكافئ على الجهل بأكثر من مقداره. وقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ومكروا ومكر اللَّه﴾[4] وقال: ﴿فَيَسْخَرون منهم سَخر اللَّهُ مِنْهُمْ﴾[5]. جعل اسم مجازاتهم مكراً كما مكروا، وجعل اسم مجازاتهم على سخريتهم سُخرياً، فكذلك: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَنْفِقُوا في سبيل اللَّه﴾.

أي في الجهاد في سبيل اللَّه، وكل ما أمر اللَّه به من الخير فهو من سبيل اللَّه، أي من الطريق إلى اللَّه عزّ وجلّ. لأن السبيل في اللغة الطريق، وإنما استعمل في الجهاد أكثر لأنه السبيل الذي يقاتل فيه على عقد الدين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تُلْقُوا بأيدِيكُم إلى التَّهْلُكَة﴾.

أصل بأيديْكُمْ «بأيدِيكم» بكسر الياءِ، ولكن الكسرة لا تثبت في الياءِ «إذا كان ما قبلها مكسوراً»[6] لثقل الكسرة في الياءِ.

---

(١) ليست في ك.

(٢) ط وظلمته.

(٣) هو عمرو بن كلثوم، والبيت في معلقته ـ أنظر شرح المعلقات العشر ١١١.

(٤) آل عمران ٢ ـ ٥٤.

(٥) التوبة ٩ ـ ٨٠.

(٦) في الأصول «مكسور» بالرفع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلى التهلكة﴾ معناه إلى الهلاك، يقال هلك الرجل يهلكُ هَلاكاً وهُلْكاً وتَهْلُكَةً وتَهلِكَـةً. وتهْلُكَةٌ اسم[1]. ومعنـاه[2] إن لم تنفقوا في سبيـل اللَّه هَلَكتم، أَي عصيتم اللَّه فهلكتم، وجـائز أَن يكـون هلكتم بتقويـة عدوكم عليكم واللَّه أَعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهُ يُحبُّ المحْسِنينَ﴾.

أَي أَنفقوا في سبيل اللَّه فمن أَنفق في سبيل اللَّه فَمُحْسِن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَتِمُّوا الحجَّ والعُمرةَ لِلَّه﴾.

يجـوز في العمرة النصب والـرفـع: والمعنى في النَّصْبِ أَتمُّـوهمـا، والمعنى في الرفع وأَتموا الحج، والعمرةُ للَّهِ، أَي هي مما تَتَقرَّبون به إلى اللَّه عزّ وجـلّ وليس بفَرْضٍ.

وقيل أَيضاً في قوله عزّ وجلّ: ﴿وأَتموا الحج والعمرة﴾. غير قول:

يُروى عن علي وابنِ مسعـود «رحمة اللَّه عليهـما»[3] أَنهما قالا: إتمـامهَا أَن تحرم من دُويرة أَهلك، ويـروى عن غيرهمـا أَنه قـال إتمامُهـا أَن تكـون النفقـةُ حـلالاً. وينتهي عما نهى اللَّه عنـه. وقال بعضهم إن الحـجّ والعمرةَ لهـما مواقف ومشاعر، كالطواف والموقِفُ بعرفة وغير ذلك، فإتمامها تأْدية كل ما فيهـما، وهذا بـيِّنٌ، ومعنى أَعتمر في اللغـة قيل فيـه قولان، قـال بعضهم أَعتمر قصـد، قَـال الشاعر:

لَقَـدْ سـما ابن معمـر حـين اعتمـر[4] مغـزى بعيـداً من بـعيـد وضَبـر

(١) مع كونه مصدراً هو اسم للهلاك في هذا الموضع.

(٢) معنى هذا الكلام.

(٣) ط رضي اللَّه عنهما.

(٤) تقدم ص ٢٣٤.

المعنى حين قصد مغزى بعيداً، وقال بعضهم معنى اعتمر: زار من الزيارة، ومعنى العُمْرةِ في العَمل الطّواف بالبَيْتِ والسعيُ بين الصفا والمروة فقط، والعمرة للإنسان في كل السنة، والحجُّ وقته وقت واحد من السنة، ومعنى اعتَمر عِنْدي في قصد البيت. أنه إنما خص بهذا ـ أعني بذكر أعتمر ـ لأنه قصد العمل في وضع عامر لهذا قيل معتمر:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُم فَما اسْتَيْسَرَ مِنَ الهدْي﴾.

الرواية عند أهل اللغة أنه يقال للرجل الذي يمنعه الخوف أو المرض من التصرف قد أحصر فهو مُحْصَر ـ ويقال للرجل الذي حُبِسَ قد حُصِرَ فهو مَحْصُور. وقال الفراءُ: لو قيل للذي حُبِسَ أُحْصِرَ لجاز، كأنه يجعل حابسه بمنزلة المرض والخوف [الذي] منعه من التصرف، وألحق في هذا ما عليه أهل اللغة من أنه يقال للذي يمنعه الخوفُ والمرضُ أُحْصِرَ وللمَحبُوس حُصِر، وإنما كان ذلك هو الحق لأن الرجل إذا امتنع من التصرفَ فقد حبس نفسه، فكأن المَرض أحبسه أي جعله يحبس نفسه، وقوله حصرت فلاناً إنما هو حبسته، لا أنه حبس نفسه، ولا يجوز فيه أحصر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَما اسْتَيسَرَ مِنَ الهَدي﴾.

موضع «مَا» رفْع المعنى فواجب عليه ما اسْتَيسَر من الهَدي، وقد قيل في الهدى: الهَدِيُّ. والهَدِيُّ جمْع هَديَّةٍ. وهَدْي[1]، كقولهم في حَذْية السَرج حَذِيَّة وحَذْيٌ. وقال بعضهم ما استيسر ما تيسر من الإبل والبقر، وقال بعضهم بعير أو بقرة أو شاة وهذا هو الأجود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُم حَتَّى يَبْلُغَ الهَدْيُ محِلَّهُ﴾.

(١) الهدى اسم جنس جمعي لهدية، والهدى جمع سماعي.

قالوا في مَحِلهِ من كـان حاجـا محله يوم النحـر، ولمن كان معتمـراً يوم يدخل مكة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رأْسِهِ فَفِدْيَةٌ﴾.

أي فعليـه فديـةٌ، ولو نصب جـاز في اللغة على إضمـار فليعط فديـة أو فليأت بفدية[١]، وإنما عليـه الفديـة إذا حلق رأسه وحـل من إحرامـه وقولـه أو نُسُك أي أو نَسيكة يذبحها، والنَّسِيكة الذبيحة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا أَمِنْتُم فَمنْ تَمتَّع بالعُمرة إلى الحجّ فمـا اسْتَيسر مِنَ الهَدْي﴾.

أي فعليه ما استيسر من الهدي، وموضع ما رفع ويجـوز أن يكون نصبـاً على إضمار فليهد ما استيسر من الهدي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ في الحجّ وسَبْعةٍ إِذَا رجعْتُمْ﴾.

معنـاه فعليـه صيـام، والنصب جـائـز على فليصم هـذا الصيـام، ولكن القراءَة لا تجوز بما لم يقرأ به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تلْكَ عشَرةٌ كَامِلَة﴾.

قيل فيها غير قول: قال بعضهم: ﴿كاملة﴾ أي تكمل الثواب، وقال بعضهم كاملة في البدل من الهدي.

والـذي في هذا ـ والله أعلم ـ أنـه لما قيـل ﴿فصيام ثلاثة أيـام في الحج وسبعة إذا رجعتم﴾، جاز أن يَتوهم المتوهمُ أن الفـرض ثلاثـة أيَّام في الحـج أو سبعةٌ في الرجوع ـ فأعلم الله عـزّ وجلّ ـ أن العشـرة مفترضـة كلها، فـالمعنى

(١) تقدير غير جيد من الوجهة الإعرابية ـ والأولى فليخرج أو فليفد.

المفروض عليكم صوم عشرة كاملة على ما ذكر من تفرقها في الحج والرجوع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ لِمنْ لم يكُن أَهْلُه حاضِري المِسْجِد الحرام﴾.

أي هذا الفرض على من لم يكن من أهله بمكة[1] - و﴿حاضري المسجد الحرام﴾ أصله حاضرين المسجدَ الحرام فسقطت النون للإضافة وسقطت الياءُ في الوصل لسكونها وسكون اللام في المسجد، وأما الوقف فتقول فيه متى إضطررت إلى أن تقف ﴿حاضري﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الحَجُّ أَشْهرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾.

قال أكثر الناس: «إن أشهر الحج شوالُ وذُو القَعدة وعشرٌ مِنْ ذي الحجَّة،﴿فَمَنْ فرضَ فيهنَّ الحجَّ فَلاَ رَفَثَ﴾.

وقال بعضهم: لو كانت الشهور التي هي أشهر الحج شوالاً، وذا القعدة لما جاز للذي منزله بينه وبين مكة مسافة أكثر من هذه الأشهر أن يفرض على نفسه الحج. وهذا حقيقته عندي أنه لا ينبغي للإنسان أن يبتدئ بعمل من أعمال الحج قبل هذا الوقت نحو الإحرام، لأنه إذا ابتدأ قبل هذا الوقت أضر بنفسه - فأمر اللَّه عزّ وجلّ - أن يكون أقصى الأوقات التي ينبغي للإنسان ألا يتقدمها في عقد فرض الحج على نفسه شوالاً، وقال بعض أهل اللغة: معنى الحج إنما هو في السنة في وقت بعينه، وإنما هو في الأيام التي يأخذ الإنسان فيها في عمل الحج لأن العمرة له في طول السنة، فينبغي له في ذلك الوقت ألا يَرْفُث ولا يفْسُقَ. وتأويل فلا رفَثَ ولا فُسْوقَ، لا جماعَ ولا كلمةً من أسباب الجماع قال الراجز:[2].

عن اللَّغا وَرَفَث التَّكَلُّم

(١) على من لم يكن بين أهله بمكة.

(٢) العجاج من ميميته الطويلة. وقبله: (ورَبِّ) أسراب حَجيجٍ كُظَّم - واللغا - بفتح اللام - اللغو من الكلام. الديوان ٥٩. اللسان (لغو - رفث).

والرفث كلمة جامعة لما يريده الرجل من أهله، وأما فَلا فُسُوقَ فإذا نُهِيَ عن الجِماع كُلِّهِ فالفسوق داخلٌ فيه - ولكن المعنى - والله أعلم - ولا فسوق أي لا يخرج عن شيء من أمر الحج - وقالوا في قوله ولا جدالَ في الحج قولين:[1] قالوا: ﴿لا جدَالَ في الحَجّ﴾- لا شكَّ في الحج، وقالوا لا ينبغي للرجل أن يجادل أخاه فيخرجه الجدال إلى ما لا ينبغي تعظيماً لأمر الحج، وكلٌّ صَوابٌ، ويجوز فلا رفثٌ ولا فسوقٌ ولا جدالٌ في الحج. وبعضهم يقرأ - وهو أبو عمرو - فلا رَفَثٌ ولاَ فُسُوقٌ ولا جِدَالَ في الحج. وكلٌّ صَواب. وقد شرحنا أن لا تنصب النكرات بغَير تنوين وبيَّنَّا حقيقةَ نصبها وزَعم سيبويه والخليلُ إنَّه يجوز أن تُرفَعَ النَّكِراتُ بتَنْوينِ وأن قول العجاج[2].

تاللَّه لولا أن يحُشَّ الطُّبَّخُ ... بِيَ الجَحيمَ حينَ لا مُسْتَصرَخُ

يجب أن يكون رفع مستصرخ بلا، وأن قوله.

من فَرَّ عن نيرانها ... فأنا ابنُ قيس لا براح[3]

---

(١) ك: لا جدال في الحج فيه قولان.

(٢) الديوان ١٤، وأمالي ابن الشجري ١ - ٢٨٢. وقد قدر الخبر ظرفاً محذوفاً أي لا مستصرخ لي، وجواب لولا في رجز العجاج هو البيت:
«لعلم الجهال أني مِنْفَخ».
ومنفخ صيغة مبالغة من نفخ النار، أو قدها، أو الشر: هاجه، وحَشَّ النار ألقى عليها وقوداً، والطبخ جمع طابخ كجاهل وجهل يراد بهم زبانية جهنم، ومستصرخ، اسم مفعول بمعنى مستغاث، أو مصدر ميمي بمعنى الإغاثة، والمعنى: لولا خشيتي أن يقذف الزبانية بي في جهنم وقوداً لنارها حيث لا يكون من يغيثني لأريت الجهال بأسي وشدتي.

(٣) لسعد بن مالك بن ضبعة من قيس ثعلبة نيرانها - نيران الحرب وشدتها، لابراح - لا مفر أي لا أهرب منها. ابن قيس: سمى نفسه باسم جده لشهرته. اللسان (برح). الخزانة ١ - ٢٢٣. ابن الشجري ١ - ٢٨٢.

وحقيقة ما ارتفَعَ بعدها عند بعض أصحابه على الابتداءِ لأنه إذا لم تنصب فَإنَّما يُجْرِيَ ما بعدها كما يُجْرى مـا بعد هَـل، أي لا تَعْملُ فيـه شيئاً، فيجـوز أن يكون لا رفث على ما قال سيبويه[1] ويجـوز أن يكون عـلى الابتداءِ كـما وصفنا، ويكون في الحج هو خبر لهذه المرفوعات، ويجوز إذا نصبت ما قبـل المرفـوع بغير تنوين وأتيت بما بعده مرفوعاً أن يكون عطفاً على الموضع، ويجوز أن يكون رفعـه عـلى ما وصفنـا، فأمـا العطف عـلى الموضـع إذا قلت لا رجل وغـلامٌ في الـدار فكأنك قلت ما رجل ولا غلام في الدار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

يروى أن قوماً كانوا يخرجون في حجهم يَتَأَكَّلُونَ[2] الناس، يخرجـون بغير زاد، فـأمروا بـأن يتـزودوا، وأعلمـوا مع ذلـك أن خـير مـا تـزود بـه تقـوى اللّه عزّ وجلّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾.

﴿الألبـاب﴾ واحدها لب، وهي العقول، ﴿أُولي﴾ نصب لأنه نداء مضاف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغوا فَضْلاً من رَبِّكُمْ﴾.

قيل إنهم كانوا يزعمون أنه ليس لِحَمَّال ولا أجير ولا تَـاجرٍ حـج فأعلمهم اللّه عزّ وجلّ. أن ذلك مباح، وأنه لا جناح فيـه، أي لا إثم فيه، وجنـاح اسم ليس، والخبـر عليكم، وموضـع أَنْ نصب على تقـدير ليس عليكم جنـاح في أن تبتغـوا[3] فلما أُسقـطت «في» عمـل فيهـا معنى جنـاح. المعنى لستم تـأْثمـون أن تبتغوا، أي في أن تبتغوا.

---

(١) أي اسم لا.

(٢) يسألون الناس ما يأكلون.

(٣) الأولى أن تكون موضع جر ـ لأن حذف الجار مع أن وأن مطرد مع بقاء أثره. في المعنى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَات﴾.

قد دل بهذا اللفظ أن الوقوف بها واجب لأن الإفاضة لا تكون إلا بعد وقوف، ومعنى ﴿أفضتم﴾، دَفعتم بكثرة، ويقال أفاض القوم في الحديث إذا اندفعوا فيه وأكثروا التصرف. وأفاض الرجل إناءه إذا صبه وأفاضَ البعيرُ بجرته إذا رمى بها. متَفرقَةً كثيرة، قال الراعي: [1]

وأفضْن بعد كظُومُهن بجرة من ذي الأَباطح إذ رعْين حقيلا

وأفاض الرجل بالقداح إذا ضرب بها، لأنها تقع منبعثة متفرقة قال أبو ذؤيب: [2]

وكأنّهنّ رِبابَة وكأنّه يَسِر يَفِيض على القِداح ويصدعُ

وكل ما في اللغة من بابِ الإفاضة فليس يكون إلا من تَفْرقةٍ أو كثرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ عَرَفَاتٍ﴾.

القراءَة والوجه الكسر والتّنْوينُ، وعرفاتٌ إسم لمكان واحد ولفظه لفظ الجمع، والوجه فيه الصرف عند جميع النحويين لأنه بمنزلة الزيدين يستوي نصبه وجره، وليس بمنزلة هاءِ التأنيث، وقد يجوز منعه من الصرف إذا كان اسماً لواحد، إلا أنه لا يكون إلا مكسوراً وإن أسقطت التنوين. قال امرؤ القيس[3]:

---

(١) من لاميته المطولة التي كان يرمي من لم يحفظها من أولاده وحفدته بالعقوق - وهي مطبوعة بآخر ديوان جرير - مصر ١٣١٣، الجمهرة ٧٢٥.

(٢) أبو ذؤيب الهزلي - خويلد بن خالد، أشعر الهزليين. مخضرم حسن الإسلام مات مرجعه من إحدى غزوات الروم، وقصيدته هذه من أوجع المراثي - رثى بها أولاده الخمسة ماتوا في الطاعون. وأخباره في الأغاني ٦ - ٦١. والقصيدة من المفضليات ١٢٦ وديوان الهزليين ١ - ٦ والبيت باللسان (ريب. صدع) والربابة - بكسر الراء الرقعة تجمع فيها قداح الميسر، واليسر صاحب الميسر، شبه الأتن بالقداح لتجمعهن وتراكمهن وشبه الحمار الوحشي بالضارب الذي يفرق القداح ويجمعها.

(٣) النحويون على إجازة الأوجه الثلاثة لأنه ليس جميعاً أنظر الأشموني (١ - ٧٥).

تنــورتها من أذرعــاتَ وأهلُهــا بيثــرب أدنى دارهــا نــظر عــال

فهذا أكثر الرواية، وقد أنشد بـالكسر بغير تنـوين، وأما الفتـح فخطأ لأن نصب الجمع وفتحه كسر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ المَشْعَرِ الحَرَامِ﴾.

هو مزدلفة، وهي جمع، يسمى بهما جميعاً[1] المشعر المتعبد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾.

موضع الكاف نصب، والمعنى وأذكروه ذكراً مثل هـدايته إيـاكم أي يكون جزاء لهدايته إيَّاكُم، وأذكروه بتوحيده، والثناءِ عليه والشكر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ كُنْتُم مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِينَ﴾.

معنى ﴿من قبله﴾ أي من قبل هدايتـه، ومعنى ﴿كنتم من قبله﴾[2] ﴿لمن (الضالين)﴾ هذا من التوكيد للأمر، كأنه قيل وما كنتم من قبله إلاَّ ضالين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا من حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

قيل كانت الحُمْسُ من قريش وغيرهـا (وقد بينـا الحمس فيها تقـدم)[3] لا تفيض مع الناس في عرفة - تتمسـك بسنتها في الجـاهلية، وتفعـل ذلك افتخـاراً على الناس وتعالياً عليهم، فأمرهم اللَّه عزّ وجلّ أن يسـاووا الناس في الفـرض، وأن يقفوا مواقفهم وأن يفيضوا من حيث أفاضوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إن اللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي سلوه أن يغفرَ لكم من مخالفتكم الناسَ في الإفاضة والموقف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فإذَا قَضَيْتُم مَناسككُمْ﴾.

---

(١) مجموعة أمكنة تسمى مزدلفة وتسمى المشعر الحرام.

(٢) في ك معنى وإن كنتم من قبل هذا لمن. وفي ط ﴿وإن كنتم من قبله﴾ هذا من التوكيد للأمر.

(٣) ص ٢٦٢ - ٣ والعبارة ليست في ك.

أي متعبداتكم التي أُمرتم بها في الحج .
﴿فَاذْكُروا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ أَبَاءَكُمْ﴾ .

وكانت العرب إذا قضت مناسكها، وقفت بَـيْنَ المَسْجد بمِنًى وبـين الجبل فتعدد فضائل آبائها وتذكر محاسنَ أيامها. فأمرهم اللَّه أن يجعلوا ذلك الذكر له. وأن يزيدوا على ذلك الذكر فيذكروا اللَّه بتوحيده وتعديد نعمـه، لأنه إنْ كـانت لآبائهم نعم فهي من اللَّه عزّ وجلّ، وهو المشكور عليها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً﴾ .

﴿أشد﴾ في موضع خفض[1] ولكنه لا يتصرف لأنه عـلى مثال أفعـل، وهو صفتـه، وإن شئت كان نصباً على وأذكروه أشدّ ذكراً، وذكراً منصوب على التميز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمِنَ النَّاس مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ .

﴿آتنا﴾ وقف لأنه دعاء[2]، ومعناه أعـطنا في الدنيا، وهؤلاءِ مشـركو العـرب كانوا يسألون التوسعة عليهم في الدنيا ولا يسـألون حـظا من الآخرة لأنهم كـانوا غير مؤمنين بالآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ .
يعني هؤلاءِ، والخلاق النصيب الوافر من الخير.

وقوله عـزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُم مَنْ يَقُـولَ رَبَّنَا آتِنَـا فِي الدُّنْيَـا حَسَنَةً وَفِي الآخِـرَة حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ .

هؤلاءِ المْؤمنون يسْألون الحظ في الدنيا والآخرة، والأصل في «قنا» أَوْ قِينا - ولكن الـواو سقطت كـما سقطت من يَقِي، لأن الأصـل «يَوْقِي» فسقـطت الواو

(١) لا مساغ لهذا الخفض بالعطف، إذ هي في موضع المفعـول المطلق أي ذكـراً أشد من ذكـركم آباءكم.
(٢) أراد حذف آخره لأنه أمر.

لوقوعها بين ياء وكسرة، وسقطت ألف الوصل للاستغناء عنها لأنها اجتلبت لسكون الواو، فإذا أسقطت الواو فلا حاجة بالمتكلم إليها، وسقطت الياءُ للوقف[1] ـ وللجزم في قول الكوفيين ـ والمعنى أجعلنا مُوقَيْنَ مِن عذاب النار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾.

أي دعاؤهم مستجاب لأن كسبهم ههنا الذي ذكر هو الدعاءُ وقد ضمن اللَّه الإجابة لدعاء من دعاه إذا كان مؤمناً، لأنه قد أعلمنا أنه يضل أعمال الكافرين، ويحبطها، ودعاؤهم من أعمالهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾.

المعنى أنه قد علم ما للمحاسَب وما عليه قَبْل توقيفه على حسابه، فالفائدة في الحساب علم حقيقته ـ وقد قيل في بعض التفسير ـ إن حساب العبد أسرع من لمح البصر ـ واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾.

قالوا: هي أيام التشريق، ﴿معدودات﴾ يستعمل كثيراً في اللغة للشيءِ القليل ـ وكل عدد قل أو كثر فهو معدود، ولكن معدودات أدل على القلة، لأن كل قليل يجمع بالألف والتاء، نحو دريْهمَات وجماعات، وقد يجوز وهو حسن كثير أن تقع الألف والتاء للكثير، وقد ذُكِرَ أنه عيبَ عَلى القائل:[2]

لنا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يلمعْن بالضُّحَى ... وأسيافُنا يقطرْنَ من نجدة دمَا

فقيل له لِمَ قَلَّلْتَ الجَفَنَاتِ ولَمْ تَقُل الجفان.

وهذا الخبر ـ عندي ـ مَصْنوع لأن الألف والتاء قد تأتي للكثرة ـ قال اللَّه

---

(١) لأنه فعل أمر مبني على حذف حرف العله.

(٢) ينسب لحسان في قصص معروف. وأنظر شواهد الأغاني ص ٢٩٠، والكامل وفيه ما تؤذن أنه لحسان حقاً واستعمله سيبويه جمعاً للكثير ١ / ٣٥٠.

عـزّ وجلّ: ﴿إن المسْلِمِينَ وَالمسْلِمـاتِ والمؤْمِنِينَ والمؤْمِنَـاتِ﴾[1]. وقال: ﴿في جنات﴾[2]، وقال ﴿في الغرفات آمنون﴾[3]، فالمسلمون ليسـوا في جنـات قليلة، ولكن إذا خص القليل في الجمع بالألف والتاء، فـالألف والتاء أدل عليـه، لأنه يلي التَّثْنِيَةِ، تقول:[4] حمام، وحمامان وحمامات، فتؤدى بتـاءِ الواحـد، فهذا أدل على القليل، وجائز حسن أن يراد به الكثير، ويدل المعنى المُشَـاهَدُ عـلى الإِرَادَة، كما أن قولك جمع يدل على القليل والكثير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ في يَوْمَيْنِ﴾.

أي من نفر في يومين[5].

﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾.

قيل لمن اتقى قتل الصيد، وقالوا: لمن اتقى التفريط في كل حدود الحـج، فموسع عليه في التعجل في نَفْرِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الحياةِ الدُّنيَا﴾.

موضع ﴿مَنْ﴾ رفع على ضـربين: عـلى الابتداء، وبالعامل في ﴿مِنْ﴾ وقد شرحنا هذا الباب.

ويروى أن رجلاً من ثقيف كـان يعجب النبيَّ ﷺ كلامُـه، ويظهـر له من الجميل خلاف ما في نفسه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيُشْهِد اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ ـ ٣٥.

(٢) ليست في ط. وهي في القرآن في آيات كثيرة ـ انظر سورة يونس (٨٠) آية ١١.

(٣) سبأ ٣٤ ـ ٣٧.

(٤) ك يقال.

(٥) نفر من منى، قطع مبيته فيها ونزل مكة بعد يومين.

وإن قلت ويشْهِدُ اللَّه على ما في قلبه فهو جائز إن كان قد قرئ به[1] والمعنى فيه أن اللَّه عالم بما يُسِرّه، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ النبي ﷺ حقيقةَ أمر هذا المنافق ـ وقال: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الخِصَامِ﴾.

ومعنى خَصمٌ أَلدُّ في اللغة ـ الشديد الخصومة والجَدَلِ، واشتقاقه من لُدَيْدَيِ العُنُق، وهما صفحتا العنق، وتأويله، أن خصمه في أي وجه أخذ ـ من يمين أو شمال ـ من أبواب الخصومة غلبه في ذلك. يقال رجل ألد، وإمرأة لَدَّاءُ، وقوم لُدّ ـ وقد لَدَدْتُ فُلاناً أَلُدُّه ـ إذا جادلته فغلبتُه، وخصام جمع خَصْمٍ، لآن فعلاً يجمع إذا كان صفة على فِعَالٍ، نحو صَعْب وصِعَاب، وخَدْل وخِدَال[2]، وكذلك أن جعلت خصماً صفه، فهو يجمع على أقل العدد، وأكثره على فُعُول وفِعَالٍ جميعاً، يقال خَصْم وخِصَام وخُصُومٌ، وإن كان اسماً فَفِعَال فيه أكثرِ العدَدِ، نحو فَرْخٌ وأفراخٌ، لأقل العدد، وفِراخ وفُروخ لما جاوز العشرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْل﴾.

نصب﴿لِيُفْسِد﴾ على إضمار أن، المعنى لأن يفسد فيها، وعطف[3] ويُهلك علي ويُفسد، ويجوز أن يكون﴿يُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ﴾على الاستئناف أي وهو يهلكُ الحرثَ والنسل، أي يعتقد ذلك[4].

وقالوا في﴿الحرث والنسل﴾: إن الحرث النساءُ، والنسل الأولاد. وهذا غير

(١) هي قراءة ابن محيصن، الطبري ٤ ـ ٢٧٤.

(٢) الخدل الرخص الجسد والمعنى على هذا التقدير هو أشد الخصوم لدداً، وخصام أيضاً مصدر خاصم فالمعنى: هو أشد الناس خصومة.

(٣) في ط نصبت وعطفت.

(٤) هذه سجيته.

منكـر لأن المرأة تُسمَّى حـرْثاً ـ قـال اللّه عزّ وجـلّ: ﴿نِسَاؤُكم حَـرْثٌ لَكُمْ﴾[1] وأصل هذا إنما هو في الزرع، وكل ما حرث. فيشبه ما منه الولد بذلك. وقالـوا في الحرث هو ما تعرفه من الزرع. لأنه إذَا أفسد في الأرض[2] أبـطل ـ بإفْسـاده وإلقائه الفتنة ـ أمْرَ الزراعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ إبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

قال أهل اللغة ـ﴿يشري نفسه﴾ يبيع نفسه،ومعنى بيعه نفسه بذلها في الجهاد في سبيل اللّه. قال الشاعر في شريت بمعنى بعت:

وَشَـرَيْـتُ بُـرداً لـيـتـني ... من بعـد بـرد كنت هـامـه[3]

وقـال أهـل التفسـير هـذا رجـل كـان يقـال لـه صهيب بن سنـان. أراده المشركون مع نفر معـه على تـرك الإسلام، وقتلوا بعض النفـر الذين كـانوا معـه فقال لهم صهيب أنا شيـخ كبير، إن كنتُ عليكم لم أضُـرَّكم[4] وإن كنت معكم لم أنفعكم فخلوني وما أنا عليه، وخذوا مـاليَ فقبلوا منه ماله، وأتى المدينة فلقيـه أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه[5] فقـال له: ربـح البيع يـا صهيب، فرد عليـه وأنت فربح بيعك يا أبا بكر[6] وتلا الآية عليه[7].

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣.

(٢) أي هذا الشخص.

(٣) البيت ليزيد بن مفرغ الحميري شاعر إسلامي اشتهر بهـذا اللقب لأن أباه ربيعـة كان قـد راهن على إناء لبن يشربه فشربه كله فسمي مفرغاً وأخبار يزيد بالأغاني ١٧/ ٥١.

وبرد هذا كان غلاماً له، وحين كان يزيد بخراسان مع عباد بن زياد اضطر لبيع جـارية لـه، وبيع بـرد، وكان ربـاهما وأحبهمـا ـ والهامـه الصدى يسمـع على قبر الميت ـ أي ليتني مت ولا أراه بعيداً عني.

(٤) ك ـ أضرركم.

(٥) ك ـ رحمة اللّه عليه.

(٦) مجرد دعاء. وانظر ترجمة صهيب في الإصابة رقم ٤١٠٤.

(٧) ك ـ أبو بكر تلاها.

ونصب ﴿ابتغاءَ مرضاة اللَّه﴾ على معنى المَفْعُول له، المعنى يشريها لابتغاءِ مرضاة اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا ادْخُلوا في السِّلْمِ كافَّةً﴾.

﴿كافة﴾ بمعنى الجميع الإحاطة، فيجوز أن يكون معناه أدخلوا جميعاً، ويجوز أن يكون معناه: أدخلوا في السلم كله أي في جميع شرائعه، ويقال السِّلْم والسَّلم (جميعاً)[1]، ويعني به الإسلام والصلح، وفيه ثلاث لغات: يقال: السِّلْمُ، والسَّلَمُ، والسَّلْمُ، وقد قرئ به: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكم السَّلاَمَ﴾[2].

ومعنى ﴿كافة﴾ في اشتقاق اللغة ما يكف الشيء من آخره، من ذلك كُفة القميص، يقال لحاشية القميص كُفَّة، وكل مستطيل فحرفه كُفَّه، ويقال في كل مستدير كِفَّه، وذلك نحو كِفَّة الميزان، ويقال إنَّما سميت كُفَّة الثوب لأنها تمنعه أن ينتشر، وأصل الكَفّ المنع، ومن هذا قيل لطرف اليد «كف» لأنها يكف بها عن سائر البدن، وهي الراحة مع الأصابع، ومن هذَا قيل رجل مكفوف، أي قد كُفَّ بصره من أن ينظر: فمعنى الآية: ابْلغُوا في الإسلام إلى حيث تنتهي شرائعه، فكفوا من أن تعدوا شرائعه. أو أدْخُلُوا كلكم حتى يكف عن عددٍ وأحدٍ لم يدْخل فيه. وقيل في معنى الآية أن قوماً من اليهود أسلموا فأقاموا على تحريم السبت وتحريم أكل لحوم الإبل، فأمرهم اللَّه عزّ وجلّ - أن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام وقالِ بعض أهل اللغة: جائز أن يكون أَمَرَهُمْ - وهم مؤْمنون - أن يدخلوا في الإيمان، أي بأن يقيموا على الإيمان ويكونوا فيما يستقبلون عليه كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا باللّهِ ورُسُلِهِ﴾[3]، وكلا القولين

---

(١) ليست في ك. وفيها ومعناها الإسلام.

(٢) سورة النساء ٤/٩٤.

(٣) سورة النساء ٤/١٣٦.

جائز لأن اللَّه عزّ وجلّ، قد أمر بالإقامة على الإسلام فقال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾.

أي لا تقتفوا آثاره، لأَنَّ تَرَكَكم شيئاً من شرائع الإسلام أتباع الشيطان، ﴿خُطُواتِ﴾ جمعُ خطوة(٢)، وفيها ثلاث لغات: خُطُوات، وخُطَوات، وخُطْوات، وقد بينا العلة في هذا الجمع فيما سلف (من الكتاب)(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُم البَيِّنَاتُ﴾.

يقال زل يزِل زَلّاً وزلَلاً جميعاً، ومَزلَّة، وزل في الطين زليلاً(٤)، ومعنى ﴿زللتم﴾ تنحيتم عن القصد والشرائع.

﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

ومعنى﴿عزيز﴾: لا يُعْجِزونه ولا يُعجزه شيء. ومعنى ﴿حكيم﴾، أي حكيم فيما فطركم عليه، وفيما شرع لكم من دينه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَل مِنَ الْغَمَامِ والمَلائِكةِ﴾.

قال أهل اللغة معناه يأتيهم اللّه بما وعدهم من العذاب، والحساب كما قال: ﴿فآتاهُم اللَّهُ مِنْ حَيْث لَم يَحْتَسِبُوا﴾(٥) أي آتاهم بخذلانه إياهم و ﴿ظُلَل﴾ جمع ظُلَّة. و﴿الملائكة﴾ تقرأ على وجهين بالضَّمِّ والكَسْر فمن قرأ الملائكةُ بالرفع،

(١) سورة البقرة آية ١٣٢/٢٠.

(٢) في ط وخطوة جمعها خطوات.

(٣) ك. فقط. وأنظر ص ٢٤١.

(٤) في ط، ب من الطين أي بسببه. وآثرنا نسخة ك.

سورة الحشر ٥٩ ـ ٢.

فالمعنى ينظرون إلا أن يأتيهُمُ اللَّه والملائكةُ، والرفع هو الوجه المختار عند أهل اللغة في القراءَة، ومن قرأ والملائكـة، فالمعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهُمُ اللَّه في ظلل مِنَ الغمام وظُلَل منَ الملائكة.

ومعنى ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ أي فرغ لهم ما كانوا يُوعَدُونَ.

ومعنى ﴿وإلى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمور﴾ وتَرجِعُ الأمور - يقرأان جميعاً - تُـرَدُّ[1]، فإن قال قائل أليست الأمور - الآن وفي كل وقت - راجعة إلى اللَّه عزّ وجلّ، فالمعنى في هذا: الإعْلامُ في أمر الحساب والثواب والعقاب، أي إليه تصيرون فيعذب من يشاءُ ويرحم من يشاءُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بيِّنَةٍ﴾.

الخطاب للنبي ﷺ والمعنى له ولسائر المؤمنين وغيرهم. المعنى أنهم أعْطُوا آياتٍ بينات قد تقدم ذكرها[2]، وقد علموا صحة أمر النبي ﷺ وجحدوا، وهم عالمون بحقيقته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾.

يعني به في هذا الموضع حُجَجَ اللَّه الدالة على أمر نبيه ﷺ. فإن اللَّه شديد العقاب ﴿أي شَدِيدُ التَّعْذِيبِ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

رُفِعَ على ما لم يسم فاعله، و﴿زُيِّنَ﴾ جاز فيه لفظ التذكير، ولو كانت زُيِّنَت لكان صواباً. وزين صواب حسن، لأن تأنيث الحياة ليس بحقيقي، لأن معنى الحياة ومعنى العيش واحد، وقد فُصِلَ أيضاً بين الفعل وبين الاسم المؤنث.

---

(١) في ك المعنى ترد.

(٢) من تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى... الخ.

وقيل في قوله﴿زين للذين كفروا الحياة الدنيا﴾قولان، قال بعضهم زينها لهم إبْلِيسُ، لأن اللّه عزّ وجلّ قد زَهَّد فيها وأعلم أنها متاع الغرور. وقال بعضهم: معناه أن اللّه عزّ وجلّ خلق فيها الأشياءَ المعجبة فنظر إليها الذين كفروا بأكثر من مقدارها، ودليل قول هؤلاءِ قوله تعالى: ﴿زُيّنَ للناس حُبُّ الشهوات من النساءِ والبنينَ والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾[1] وكلٌّ جائز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْخَرُونَ منَ الّذينَ آمَنُوا﴾.

كان قوم من المشركين يسخرون من المسلمين لأن حالهم في ذات اليد كانت قليلة، فأعلم اللّه - عزّ وجلّ - بأن الذين اتقوا فوقهم يوم القيامة. لأن المسلمين في عليين والفجَّارَ في الجحيم، قال اللّه - عزّ وجلّ -﴿إنَّ الذينَ أجْرَمُوا كَانُوا منَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾.

ومعنى: ﴿واللَّهُ يَرْزقُ مَنْ يَشَاءُ بغَيْر حِسَابٍ﴾.

أي ليس يَرْزُق المؤْمنَ على قدر إيمانه ولا يَرزُقُ الكافرَ على قدر كفره. فهذا معنى﴿بغيرحساب﴾-أي ليس يحاسبه بالرزق في الدنيا على قدر العمل، ولكن الرزق في الآخرة على قدر العمل وما يتفضل اللّه به جلّ وعزّ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿كانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾.

أي على دين واحد، والأمة في اللغة أشياءُ، فمنها أن الأمة الدين، وهو هذا، والأمة القَامة يقال فلان حسن الأمَّة، أي حسن القامة، قال الشاعر:[3]

وأن معاويــة الأكـرمـين حِسَــان الوجُـوه طـوال الأُمَـمْ

(١) آل عمران ٣ - ١٤.

(٢) المطففين ٨٣ - ٢٩.

(٣) للأعشى. (اللسان - أمم) الأمالي للقالي ١ - ٢٥ - ومعاوية قبيلة.

أي طوال القامات، والأُمة القرن من الناس، يقولون قد مضت أُمَمٌ أي قرون، والأُمة الرجَل الذي لا نظير له، ومنه قوله عزّ وجَلّ - ﴿إن إبرَاهيمَ كان أُمَّةً قانتاً للَّه حَنِيفاً﴾[1].

قال أبو عبيدة معنى﴿كان أُمّة﴾كان إمَاماً، والأمة في اللغة النِّعْمَةُ والخير، قال عدي بن زيد.

ثم بعد الفلاح والرشد والأُمَّةِ وارتْهُمُ هناك القبور[2]،

أي بعد النعمة والخير، وذكر أبو عمرو الشيباني أن العرب تقول للشيخ إذا كان باقي القوة فلانٌ بِأُمَّةٍ، ومعناه[3] راجع إلى الخير والنعمة، لأن بقاءَ قوته من أعظم النعمة، وأصل هذا كله من القصد، يقال أَمَمْتُ الشيءَ إذا قصدْتُه، فمعنى الأُمة في الدين أن مقصدهم مقصد واحد، ومعنى الأُمة في الرجل المنفرد الذي لا نظير له، أن قصده منفرد من قصد سائر الناس.

ويروى أن زيد بن عدي بن نفيل يبعث يوم القيامة أمة وحده[4] وإنما

---

(١) سورة النحل ١٦ ـ ١١٩.

(٢) عدي بن زيد (اللسان ـ أمم) الأمالي الشجرية ١ ـ ٩١.

(٣) معنى هذا الكلام.

(٤) هو ابن عم عمر بن الخطاب، من الأحناف كان يقول لقريش: ما أصبح منكم أحد على ملة ابراهيم غيري، وكان يسجد على راحة يده ويقول: اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك لعبدتك به، ولكني لا أعلم، اللهم إني أشهدك أني على دين ابراهيم: وكان قد خرج إلى الشام ليسأل الأحبار عن الدين الصحيح فاتفق له اليهود والنصارى أنه دين إبراهيم فرجع به، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وكان يقول إني أنتظر نبياً من ولد اسماعيل ثم من ولد عبد المطلب وما أظن أني أدركه وأنا أومن به وأصدقه.

يعتبر عند بعض المحدثين من الصحابة لأنه قابل النبي ﷺ وإن كان ذلك قبل مبعثه. وهو أيضاً من الأجواد وكان يحيى الوئيدات، سأل سعدُ ابنهُ رسول اللّه ﷺ أن يدعو له فاستغفر له، وقال عنه رأيته في الجنة يسحب ذيولاً.

أنظر الإصابة ٢٩١٧.

ذلك لأنه أسلم في الجاهلية قبل مبعث النبي ﷺ فمات موحداً فهذا أُمة في وقته لانفراده، وبيت النابغة:

حلفت فلم أتــرك لنفســك ريبــة وهـل يـأثمن ذو أُمَّةٍ وهـو طـائـع[1]

ويروى ذو أَمَة، وذو إمة، ويحتمل ضـربين من التفسير: ذو أُمـة: ذودين وذو أَمة: ذو نعمة أُسْدَيَتْ إليه، ومعنى الأَمـة القامـة: سائـر مقصد الجسـد، فليس يخرج شيءٌ من هذا البـاب عن معنى أممت أي قصدت، ويقـال إمامنـا هذا حَسنُ الأمة أي يقوم بإمامتهِ بنا في صلاته ويحسن ذلك.

وقـالوا في معنى الآيـة غيرَ قـول: قالـوا كان النـاس فيما بين آدم ونـوح عليهما السلام ـ كُفَّاراً، فبعث اللّه النبيين يبشرون من أطـاع بالجنـة، وينذرون من عصي من النار، وقال قومٌ: معنى كان الناس أُمة واحدةً، كان كل من بعث إليه الأنبياءِ كفاراً:

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبيينَ مُبشِّرينَ ومُنْذِرينَ﴾ .

ونصب مبشـرين ومنذرين على الحـال، فالمعنى أن أُمم الأَنبيـاءِ الـذين بعث إليهم الأَنبياءَ كانوا كفاراً ـ كما كانت هذه الأُمة قبل مبعث النبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فِيه﴾ .

أي ليفصل بينهم بالحكمة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وما اخْتَلَفَ فيه إلاّ الّذِين أوتـوه﴾.

أي ما اختلف في أمر النبي ﷺ إلا الـذين أُعْطُوا علمَ حَقيقتِـهِ، وقولـه: ﴿بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾ نصب بغياً على معنى مفعول له، المعنى لم يوقعوا الاختـلاف إلا

---

(١) ديوانه من الستة ١٩، اللسان (أمم).

والبيت مشهور، من أحدى اعتذاريات النابغة: عفا ذو حسا من فرتني فالفوارع.

للبغي، لأنهم عـالمون حقيقـة أمره في كتبهم. وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿فَهَـدَى اللَّهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فيه منَ الحَق﴾.

أي للحق الذي إختلف فيه أهل الزيغ[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بإذْنه﴾ أي بعلمه، أي مِن الحق الذي أمَرَ به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَهْدي من يشَاءُ إلى صرَاطٍ مُسْتَقيمٍ﴾.

أي إلى طريق الدين الواضح، ومعنى ﴿يَهْدي من يشاءُ﴾: يدله على طريق الهدى إذا طلبه غير متعنت ولا باغ[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ حَسبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ﴾.

معناه: بل أحسبتم أن تدخلوا الجنة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولمَّا يَأْتكُمْ مَثلُ الَّذينَ خلوَا من قَبلكُمْ﴾.

معنى ﴿مثل الذين﴾: أي صفة الذين، أي ولمـا يصبكم مثل الـذي أصاب الذين خلوا من قبلكم، و ﴿خلوا﴾ - مضوا[3].

﴿وَمَسَّتْهُم البَأْسَاءُ والضَّرَاءُ﴾ ﴿البأْساءُ والضراءُ﴾: القتل والفقر. و﴿زُلزلوا﴾ معنى ﴿زلزلوا﴾ - خُوِّفُوا وحُركُوا بما يُؤْذي، وأصل الزلزلة في اللغة من زَلَّ الشيءَ عن مكانه فإذا قلت زلزلة فتأويله كررت زلزلته من مكانه، وكل ما فيه ترجيع كررت فيه فاءُ التفعيل، تقول أقل فلان الشيءَ إذا رفعه من مكانه فإذا كـرر رفعه ورده قيل قلقله، وكذا صل، وصَلْصَل وصَرَّ وصَرْصَرَ، فعلى هذا قياس هذا البـاب، فالمعنى أنه يكرر عليهم التحريك بالخوف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حتى يقولَ الرَّسُولُ﴾.

---

(١) هداهم لما اختلفوا فيه، والذي اختلفوا فيه هو الحق، ومن بيانية.

(٢) تأتي هدى بمعنى دل، وبمعنى قاد ووفق - لأن اللَّه تعالى يخلق الهداية ويهبها من يشاء.

(٣) فنَوا. وماتوا.

قرئت حتى يقولَ الرسولُ ـ بالنصب ـ ويقولُ ـ بالرفع. وإذا نصبت بحتى فقلت سرت حتى أُدخلها. فزعم سيبويه والخليل وجميع أهل النحو الموثوقُ بعلمهم أن هذا ينتصب على وجهين، فأحد الوجهين أن يكون الدخول غاية السير، والسير والدخول قد نصبا جميعاً، (١) فالمعنى: سرت إلى دخولها، وقد مضى الدخول، فعلى هذا نصبت الآية: المعنى وزلزلوا إلى أن يقول الرسول. وكأنه حتى قول الرسول. ووجهها الآخر في النصب أعني سرت حتى أُدخلها أن يكون السير قد وقع والدخول لم يقع، ويكون المعنى سرت كي أُدخلها ـ وليس هذا وَجْه نَصْب الآية.

ورفع ما بعد حتى على وجهين، فأَحدُ الوجهين هو وجه الرفع في الآية، والمعنى سرت حتى أدخلها، وقد مضى السير والدخول كأنه بمنزلة قولك سرت فأدخلها. بمنزلة: (سِرْتُ)(٢) فدخلتها، وصارت حتى ههنا مما لا يَعْمَلُ في الفعل شيئاً(٣)، لأنها تلي الجمل، تقول سرت حتى أنّي دَاخل ـ وقول الشاعر: (٤)

فيا عجبا حتى كليب تَسُبُّنِي كَأَنَّ أباها نهشَلٌ أو مُجَاشِع

فعملها في الجمل في معناها لا في لفظها. والتأويل سرت حتى دخولها وعلى هذا وجه الآية. ويجوز أن يكون السير قد مضى والدخول واقع الآن وقد انقطع السير، تقول سرت حتى أدخلها الآن ما أُمْنَع فهذه جملة باب حتى. .

ومعنى الآية أن الجهد قد بلغ بالأمم التي قبل هذه الأمة حتى استبطأوا النصر، فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْر اللَّهَ قَرِيبٌ﴾ .

---

(١) كذا في جميع النسخ. (٢) ك فقط.

(٣) لا تضمر أن بعدها في هذه الحالة.

(٤) من قصائد الفرزدق في هجاء جرير. المقاصد ١ ـ ٥٤٢. والخزانة ٤ ـ ١٤١، وديوان الفرزدق ٥٢٠ وشرح شواهد هذا المغنى ٣ ـ والعبارة في كلام الزجاج ناقصة إذ المبتدأ بدون خبر.

فأعلم أولياءه أنّه ناصرهم لا محالةَ، وأن ذلك قريب منهم كما قال: ﴿فَإِنَّ حزبَ اللَّه هُمُ الغَالِبُونَ﴾(1).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَك مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾.

قيل إنهم كانوا سألوا: عَلى مَنْ ينبغي أن يُفْضِلوا - فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن أول مَن تُفُضِّلَ عليه(2) الوالدان والأقربون، فقال:

﴿قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ أي من مال: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ واليَتَامَى والمَسَاكِين وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فإِنَّ اللَّهِ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أي يحصيه، وإذا أحصاه جازى عليه، كما قال: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾(3). أي يرى المجازاة عليه، لأن رؤْية فعله الماضي لا فائدة فيه، ولا يرى لأنه قد مضى.

ومعنى «مَاذَا» في اللغة على ضربين، فأحدهما أن يكون «ذا» في معنى الذي، ويكون ينفقون من صلته، المعنى يسألونك أي شيءٍ الذي ينفقون كأنه أي شيءَ وجه الذي ينفقون، لأنهم يعلمون ما المنفق ولكنهم أرادوا علم اللَّه وَجْهَهُ.

ومثل جعلهم «ذَا» في معنى الذي قول الشاعر:(4)

---

(1) المائدة 5 - 56.

(2) ك. أفضل عليه - أي تفضل - أحسن إليه.

(3) الزلزلة 99 - 7.

(4) يزيد بن مفرغ: اللسان عدس - الأغاني 17 - 60، الخزانة 2 - 216 من أبيات له قالها حين خرج من سجن عباد بن زياد - وكان يزيد قد هجا عباداً وآل زياد ومعاوية فسجنه عباد ثم عفا عنه. أنظر الأغاني 17 - 51 (بولاق) يخاطب بغلة من بغال البريد ركبها ليذهب إلى الشام.
ويلاحظ أن الزجاج يجري على مذهب الكوفيين - أما البصريون فيجعلون هذا اسم إشارة كما هو - وطليق خبر - وتحملين جملة حالية. والتقدير وهذا طليق تحملينه.

عَدَسْ، ما لِعبَّادٍ علَيْكِ إمَارةٌ   أَمِنْتِ وَهَذا تَحْمِلينَ طَليقُ

والمعنى والذي تحملينه طليق، فيكون ما رفعاً بالابتداءِ، ويكون ذا خبرها.

وجائز أن يكون «مَا» «مع» «ذا» بمنزلة اسم واحد، ويكون المَوضِع نَصباً بينفقون. المعنى يسألونك أي شيءٍ ينفقون، وهذا إجماع النحويين، وكذلك الوجه الأول إجماعٌ أيضاً[1]، ومثل جعلهم ذا بمنزلة اسم واحد، قول الشاعر:[2]

دَعِي ماذا علمت سأتقيه   ولكن بالمغيب فنبئيني

كأنه بمنزلة: دعي الذي علمت.

وجزم ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾ بالشرط، وإسم الشرط «ما» والجواب ﴿فَإِنَّ اللَّه بِهِ عَلِيمٌ﴾ وموضع ما نصب بقوله تفعلوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عليْكم الْقِتَال وهو كُرْهٌ لَكُمْ﴾.

معنى ﴿كتب عليكم﴾ فرض عليكم، والكره يقال فيه كرِهت الشيءَ كُرْهاً وكَرْهاً، وكَرَاهة، وكَرَاهِيَةً، وكل ما في كتاب اللَّه عزّ وجلّ من الكُرْهِ فالفتح جائز فيه، تقول الكُره والكَرْه إلا أن هذا الحرف الذي في هذا الآية - ذكر أبو عبيدةَ - أَن الناس مجمعونَ على ضَمِّهِ، كذلك قراءَة أَهل الحجاز وأَهل الكوفة جميعاً ﴿وَهُوَ كُرهٌ لكم﴾ فضموا هذا الحرف.

---

(١) يريد أن النحويين يجيزون كلا الوجهين.

(٢) المثقب العبدي من نونيته - أفاطم قبل بيئك وهو في كتاب سيبويه ١ - ٤٠٥ - مصر - والمقاصد ١ - ١٩١. والبيت ليس في المفضليات - وقيل هو لعبد بني الحسحاس.

من قصيدة طويلة أوردها صاحب الخزانة ومعظمها من نونية المثقب أنظر ١ - ٤٨٨ وقيل - ولعله الأصح - أنه من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها. وقال ابن الشجري في أماليه ١ - ٣٦٢ أنه للأعشى.

(٣) ليست في ك.

ارتفع ﴿كره﴾ لأنه خبر الابتداءِ ـ وتأْويله ذو كره[١] ـ ومعنى كراهتهم القتَال أنهم إنما كرهوه على جِنْس[٢] غِلَظَه عليهم ومشقَّتِه، لَا أَنَّ المؤْمنين يكرهون فرض اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لأن اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح.

وقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

﴿وهو خير لكم﴾[٣] يعني به ههنا القتال، فمعنى الخير فيه، أَن مَنْ قُتِلَ فهو شهيد وهذا غاية الخير، وهو إنْ قَتَل مُثاب (أَيضاً)[٤] وهادِمٌ أَمرَ الْكُفْرِ، وهو مع ذلك يغنم، وجائز أَن يستدعِيَ دخولَ من يقاتله في الإِسلام، لأَن أَمر قتال أَهل الإِسلام كله كان من الدلالات التي تثبت أَمر النُّبوَّةِ والإِسلَام، لأَن اللَّه أَخبر أَنه ينصر دينه، ثم أَبان النصر بأَن العدد القليل يغلبُ العددَ الكثيرَ فهذا ما في القتال من الخير الذي كانوا كرهوه.

ومعنى: ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شيئاً وهو شَرٌّ لَكُم﴾.

أَي عسى أَن تحبوا القعود عن القتال فتحرموا ما وصف من الخير الذي في القتال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتالٍ فيهِ﴾.

﴿قتالٍ﴾ مخْفُوضٌ على البدل من الشهر الحرام. المعنى يسأَلونك عن قتال في الشهر الحرام، وقد فسرنا ما في هذه الآية فيما مضى من الكتاب[٥]. ورفع ﴿قُلْ قِتالٌ فيه كَبيرٌ﴾ قتال مرتفع بالابتداءِ، وكبيرَ خبره.

---

(١) الأقرب مكروه ـ فعل بمعنى مفعول.

(٢) طبيعته الغلظ والمشقة.

(٣) ليست في ك.

(٤) ك فقط.

(٥) ص ٢٦٤.

ورفع ﴿وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ على الابتداءِ، وخبر هذه الأَشياءُ ﴿أكبر عند اللَّه﴾ والمعنى وصد عن سبيل اللَّه، وكفر به، وإخـراج أهلَ المسجـد الحرام منـه أكبر عند اللَّه أي أعظم إِثماً.

﴿والْفِتْنَةُ أَكْبرُ منَ الْقَتل﴾ .

أي والكفـر أكبر من القتـل، المعنى وهذه الأَشيـاءُ كفر، والكفـر أكبر من القتل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَرتَدِدْ مِنكُمْ عنْ دِينه فيمُتْ وهو كَافِرٌ﴾ .

يرتدد جزم بالشرط، والتضعيف يظهر مع الجزم، لسكون الحـرف الثاني ـ وهو أكثر في اللغة ـ وقرىءَ: ﴿يَا أيّهَا الذين امنوا من يَرْتَدَّ﴾[1] بالإدغام والفتح[2] وهي قراءَة الناسِ إلا أهلَ المدينة فإنَّ في مصحفهم مَن يرتدد وكلاهما صـواب، والذي في سورة البقرة[3] لا يجوز فيـه إلا من يرتَـدِدْ لأطباق أهـل الأمصار عـلى إظهار التضعيف وكذلك هو في مَصَاحفهم، والقراءَة سنَّةٌ لا تُخَالف، إذا كـان في كل المصحف الحرف على صورة لم تجز القراءَة بغيره.

ويجوز أن تقولَ من يرتدِّ منكم فتكسر لالتقاءِ الساكنين إلا أن الفتح أجـود لانفتاحَ التاءِ، وإطباق القراءِ عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا وَجَـاهَدُوا في سَبيـل اللَّهِ أُولئِكَ يرجُونَ رحمَةَ اللَّه﴾ .

﴿الذين﴾ نصب بأَنَّ، و ﴿أُولئك﴾ رفع بالابتداءِ، و ﴿يرجُونَ﴾ خَبَرُ أُولَئِكَ وأُولئك ويرجون خبرُ إنَّ الذين ـ وإنما قيل في المؤمنين المجاهدين ههنا أَنهم إنما يرجون

---

(١) المائدة ٥ ـ ٥٤.

(٢) في الدال لأن الفتح أخف الحركات والكسر جائز في العربية.

(٣) في هذه الآية.

رحمة اللّه لأنهم عند أنفسهم غيرُ بالغين ما يَجب لِلّه عليهم، ولا يعملون ما يختمون به أمرهم.

وجملة ما أَخْبَرَ اللّه به عن المؤمنين العاملين الصالحاتِ أَنَّهم يجازَوْن بالجنة. قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلونَك عن الْخَمْرِ والْمَيْسِرْ﴾

﴿الخمر﴾ المجمع عليه، وقياس كل ما عمل عملها أن يقال له خمر. وأن يكون في التحريم بمنزلتها. وتأْويل الخمر في اللغة أنه كل ما ستر العقل، يقال لكل ما ستر الإِنسان من شجرٍ وغيره خمر، وما ستره من شجر خاصة ضَرَى، «مقصور»، ويقال دخل فلان في خِمَارٍ أَي في الكثير الذي يستتر فيه[2] وخِمار المرأة قناعها، وإنما قيل له خِمار لأنه يغطي، والْخُمْرَةُ التي يُسْجَد عليها إنما سميت بذلك لأنها تستر الوجه عن الأرض، وقيل للعجين قد اختمر لأن فطرته قد غطاها الخمر[3] أعني الاختمار ـ يقال قد اختمر العَجينُ وخَمَّرَته، وفَطَرْتُه وأَفْطَرتُه. فهذا كله يدل على أن كل مسكر خمر وكل مسكر مخالط العقل ومغط عليه، وليس يقول أحد للشارب إلا مخمور ـ من كل سكر ـ وبه خُمَار، فهذا بَيِّن واضح.

وقد لُبِّس على أبي الأسود الدؤلي فقيل له: إن هذا المسكر الذي سموه بغير الخمر حلال فظن أن ذلك كما قيل له، ثم قاده طبعه إلى أن حكم بأَنهُما واحد، فقال:

دع الْخَمْرَ يَشْرِبْها الغواةُ فإنَّني ... رأيت أَخَاها مجزياً لمكانها

---

(١) البينة ٩٨ ـ ٨.

(٢) في ك، ط فيهم.

(٣) التخمر.

فـإلَّا يـكنهـا أو تـكنـبه فـإنــه أخـوهـا غــذَتْـه أُمُّهـا بلبـانها[١]

وقال أهل التفسير في قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ فيهِمَا إثمٌ كَبِيرٌ﴾ وقرئت «كثير» قالَ قوم زَهَّد فيها في هذا الموضع وبين تحريمها في سورة المائدة في قـوله: ﴿إنَّمَـا الخمرُ والميسرُ والأنصـابُ والأزلامُ رجسٌ من عمـل الشيـطان فـاجْتَنِبُـوه لعـلكم تُفلحـون﴾. . إلى قـولـه: ﴿فهـل أنتم منتهــون﴾[٢] ومعنى ﴿فهـل أنتم منتهـون﴾ التَّحْضِيضُ على الانتهاءِ والتهديد على ترك الانتهاءِ.

وقال قوم: لا بل تحرم بما بينَّ ههنا مما دل عليـه الكتاب في مـوضع آخـر، لأنـه قال:[٣] ﴿إثْمٌ كبـير﴾ وقد حـرَّم اللَّه الإثم نصًّا فقـال: ﴿قل إنَّمـا حـرّم ربيَّ الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغيَ بغَيْرِ الْحَقِّ﴾[٤].

وإنمـا بينـا تحـريم الخمـر وإن كـان مجمعـاً عليــه ليعلم أن نص ذلـك في الكتاب. فأما الإثم الكبير الـذي في الخمر فبـينّ، لأنها توقـع العداوة والبغضـاءَ وتحول بَيْنَ المرءِ وعقله الذي يميز به ويعـرف ما يجب لخـالقه. والقِمَـارُ[٥] يورث العداوة والبغضاءَ، فإن مال الإنسان يصير إلى غيره بغير جزاء يؤْخذ عليـه، وأما المنافع للناس فيه فاللذة في الخمر والرِّبْحُ فِي الْمُتَجـرِ فيها[٦]، وكـذلك الْمَنْفَعَـةُ في

---

(١) وجه أبو الأسود هذا الشعر لغلام له كان على تجارته بخراسان فشرب وسكر وتسبب عن سكـره تلف التجارة، فهذا الشعر مما نصح به غلامه. ظنا منه أن النبيذ غير محـرم لأنه أقـل تأثيـراً من الخمر.

والبيت الأول في اللسـان (لبن) وهمـا معـا في (كـون) والخـزانـة ٢ ـ ٤٢٦ والكتــاب ٢ ـ ٤٦ ـ والعيني ١ ـ ٣١٠ ـ ١١. وابن يعيش ٣ ـ ١٠٧.

(٢) المائدة ٥ ـ ٩٠ ـ ٩١.

(٣) في جميع النسخ «لأن قوله» ولم يذكر خبر لأن فأصلحناها «لأنه قال».

(٤) الأعراف ٧ ـ ٣٣.

(٥) أي الميسر ـ فهو تفسير له.

(٦) مصدر ميمي أي التجارة.

القمار، يصير الشيءِ إلى الإنسان بغير كد ولا تعب فأعلم اللّه أن الإثم فِيهِما (إثم)[1] أكبر من نفعهما.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾.

النصب والرفع في ﴿العفو﴾ جميعاً، مَنْ جعل ﴿ماذا﴾ إسماً واحداً رد العفو عليه[2] ومن جعل «ما» اسماً و «إذا» خبرها وهي في معنى الذي رد العفو عليه فرفع، كأنه قال: ما الذي ينفقون؟ فقال: العفو، ويجوز أن ينصب العفو وإن كان ما وحدها اسماً فتحمل العفو علي ينفقون، كأنه قيل أنفقوا العفو، ويجوز أيضاً أن ترفع وإن جعلت ﴿ماذا﴾ بمنزلة شيء واحد على «قل هُو العفوُ».

والعفوُ في اللغة الفضل والكثرة، يقال عفا القومُ إذا كثروا. فَأُمِرُوا أن ينفقوا الفضل إلى أن فرضت الزكاة، فكان أهل المكاسب يأخذ أحدهم من كسبه ما يكفيه ويتصدق بباقيه، ويأخذ أهل الذهب والفضة ما يكفيهم في عامهم وينفقون باقيه هذا قد روي في التفسير، والذي عليه الإجماع أن الزكاة في سائر الأشياءِ قد بينت ما يجب فيها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُبِيِّنُ اللَّه لكُمُ الآياتِ﴾.

أي مثل هذا البيان في الخمر والْمَيْسِرْ﴿يبين اللّه لكم الآيات﴾: لأن خطاب النبي مشتمل على خطاب أُمته كما قال عزّ وجلّ: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾[3] ومثل هذا في القرآن كثير، يحكي مخاطبة الإجماع[4] بذلك، وذلكم أكثر في

---

(١) ليست في ك.

(٢) إذا كانت ماذا اسما واحداً فهو مفعول للفعل بعده وينصب العفو بتقدير أنفقوا العفو، ومن جعلها مبتدأ وخبراً رفع العفو على أنها خبر فتكون الجملتان إما اسميتين وإما فعليتين معا - هذا للتناسق وقد ذكر جواز غيره.

(٣) سورة الطلاق ٦٥ - ١.

(٤) الجماعة.

اللغة، وقد أتي في القرآن في غير «ذَلِك» للجماعة ـ قال اللّه [تعالى]: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبيِّ مَنْ يأْتِ منكنَّ بِفَاحِشَةٍ مبينةٍ يُضَاعفْ لها العَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وكان ذلك على اللّه يسيراً﴾[1] ـ والأصل ذلكن، إلا أن الجماعة في معنى القبيل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَعلَّكُمْ تَتَفَكَّرونَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ﴾.

يجوز أن يكون ﴿تتفكرون في الدنيا والآخرة﴾ من صلة تتفكرون المعنى لعلكم تتفكرون في أمر الدنيا وأمر الآخرة، ويجوز أن يكون في الدنيا والآخرة من صلة كذلك يبين اللّه لكم الآيات. أي يبين لكم الآيات في أمر الدنيا وأمر الآخرة لعلكم تتفكرون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عن اليَتَامَى﴾.

هذا مما نحكم تفسيره في سورة النساءِ إنْ شاءَ اللّه[2]، إلا أن جملته أنهم كانوا يظلمون اليتامى، فيتزوجون العشر[3] ويأْكلون أموالهم مع أموالهم، فَشُدِّدَ عليهم في أمر اليتامى تشديداً خافوا معه التزويج بنساءِ اليتامى ومخالطتهم، فأعلمهم اللّه أن الإصلاح لهم هو خير الأشياء، وأن مخالطتهم في التزويج وغيره جائزة مع تحري الإصلاح فقال:

﴿وإنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإخْوَانُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم.

فالرفع على هذا. والنصب جائزٌ «وإنْ تخالطوهم فإخوانَكم» أي فإخوانَكم تخالطون، ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأَنَّ بها إلا أن تثبت رواية صحيحة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَوْ شَاءَ اللّهُ لأَعنَتَكُمْ﴾.

قال أبو عبيدة معناه لأهلككم، وحقيقته ولو شاءَ اللّه لكلفكم ما يشتد

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣ ـ ٣٠.

(٢) آية: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ وما بعدها.

(٣) أي من أمهات اليتامى.

عليكم فتعنتون، وأصل العنت في اللغة من قولهم: عنِتَ البعيرُ يعنَت إذا حدث في رجله كسر بعد جبر لا يمكنه معه تصريفها، ويقال أكمة عَنُوت إذا كان لا يمكن أن يُجَازيها[١] إلَّا بمشقة عنيفة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ اللَّهَ عَزيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أي يفعل بعزته ما يحب لا يدفعُه عنه دافع.

﴿حَكِيمٌ﴾ أي ذو حكمة فيما أمركم به من أمر اليتامى وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حتَّى يُؤْمِنَّ﴾.

معنى ﴿لا تَنْكِحُوا﴾ لا تتزوجوا المشركات، ولو قرئت ولا تُنكِحوا المشركات كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها، والمعنى في هذا ولا تتزوجوا المشركات حتى يؤمن، ومعنى المشركات ههنا لكل من كفر بالنبي ﷺ واللغة تطلق على كل كافر أن يقال له مشرك وكان التحريم قد نزل في سائر الكفار في تزويج نسائهم من المسلمين، ثم أُحلَّ تزويج نساءِ أهل الكتاب من بينهم. فقال اللَّه ـ عزّ وجلّ:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّباتُ وَطَعامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ، والْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ والمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾[٢].

فإن قال قائل: من أين يقال لمن كفر بالنبي ﷺ مشرك وإن قال إن اللَّه عزّ وجلّ واحد، فالجواب في ذلك أنه إذا كفر بالنبي ﷺ فقد زعم أن ما أتى به من القرآن من عند غير اللَّه ـ جلّ ثناؤه ـ والقرآن إنما هو من عند اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لأنه يُعجِز[٣] المخلوقين أن يأتوا بمثله ـ فقد زعم أنه قد أتى غير اللَّه بما لا يأتي به إلا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ فقد أشرك به غيره.

---

(١) لا يمر الشخص بها إلا بمشقة. ـ يقال اجتاز المكان وجاز به.

(٢) سورة المائدة ٥ ـ ٥.

(٣) في الأصل وط ـ معجزة وآثرنا هذه عن ـ ك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾.

أي لا تزوجوهم مُسْلِمَةً، وقوله:

﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾.

معناه وإن أعجبكم، إلا أن «لو» تأتي فتنوب عن إن في الفعل الماضي، ومعنى الكلام أن الكافر شر من المؤمن لكم وإن أعجبكم أي أعجبكم أمره في باب الدنيا، لأن الكافر والكافرة يدعوان إلى النار أي يعملان بأعمال أهل النار - فكأنَّ نَسْلَكُمْ يتربى مَعَ مَنْ هذه حاله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إلى الْجَنَّةِ والْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾.

أي يدعوكم إلى مخالطة المؤمنين لأن ذلك أوصلُ لكم إلى الجنة ومعنى ﴿بإذنه﴾ أي بعلمه الذي أعلم أنه وصلة لكم إليها.

﴿ويُبيِّنُ آياته﴾ أي علاماته، يقال آية وآيٌ، وآيات أكثر وعليها أتى القرآن الكريم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

معنى لعل ههنا الترجي لهم أي ليكونوا هم راجين - واللَّه أعلم أيتذكرون أم لا، ولكنهم خوطبوا على قدر لفظهم واستعمالهم[(١)].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى﴾.

يقال حاضت المرأة تحيض حَيْضاً ومَحاضاً ومَحِيضاً، وعند النحويين أن المصدر في هذا الباب «الْمَفْعِل»، و «المفْعَل» جَيِّدٌ بَالِغٌ فيه[(٢)] يقال ما في بُرِّكَ «مَكال» أي كيل ويجوز ما فيه «مَكيل».

---

(١) تقدم هذا. أي لا ترجى من اللّه، بل من العباد.

(٢) كلاهما مصدر ميمي - مفعل: محاض، ومفعل محيض وهو الأقيس لأن المضارع مكسور العين.

قال الشاعر وهو الراعي:

بُنِيَتْ مَرافِقُهُنَّ فَوْقَ مَزِلَّةٍ لا يستطيع بها القرادُ مقيلا[1]

أي قيلولة، ومعنى الآية أن العرب كانت تفعل في أمر الحائض ما كانت تفعل المجوس، فكانوا يجتنبون تَكْلِيفها عمل أي شيءٍ، وتُجْتَنَبُ في الجماع وسائر ما تُكَلَّفُه النساء، يريدون أنها نَجَس، فأعلم اللَّه أن الذي ينبغي أن يجتنب منها بُضْع[2] فقط، وأنها لا تُنَجِّسُ شيئاً، واعلم أن المحيض أذى، أي مستقذر، ونهى أن تقرب المرأة حتى تتطهر من حيضها بالماءِ بعد أن تطهر من الدم أي تنقى منه، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ - المعنى يتطهرن أي يغتسلن بالماءِ، بعد انقطاع الدم - وَقُرِئَتْ حتى يَطَّهَّرْنَ «ولكن» «فإذا تَطَهَّرْنَ» يدل على «وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطَّهَّرْنَ» وكلاهما «يَطْهُرْن» ويطهَّرْن - وقرئ بهما - جيّدان.

ويقال طهَرَت وَطَهُرَتْ جميعاً وطَهُرَتْ أكثر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي من الجهات التي يحل فيها أن تُقْرب المرأة، ولا تقربوهن مِنْ حيث لا يَجب، أعني ولا تقربوهن صاحباتٍ ولا عشيقاتٍ، وقد قيل في التفسير: ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾. في الفروج، ولا يجوز أن يُقْربن في الدبر، والذي يروى عن مالك[3] ليس بصحيح لأن إجماع المسلمين أنَّ الوطءَ، حيث يُبْتَغى

---

(١) من لأميته التي أشرنا إليها آخر ديوان جرير. وفي الخزانة ١ - ٥٠٤ جزء منها. وأنظر الجمهرة ٣٣١ ط بيروت ١٩٦٣.

(٢) ط الوطء.

(٣) ك « في هذا»، والمراد ليس صحيح الرواية عنه فهو لم يقله - ومذهب المالكية أن عقوبة القتل وفاعله أرذل الفاسقين.

النَّسْلُ، وأن أمر الدُّبُر فاحشةٌ، وقد جاءَ الحـديث[1] أن مَحَاشَّ النسـاء حرام، ويكنى به عن الدبر[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَـرْثٌ لَكُمْ﴾.

زعم أبو عبيدة أنه كناية، والقول عنـدي فيه أن معنـاه أن نساءَكُمْ حـرث لكم منهن تحرثون الولد واللذة[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فأْتُوا حَرْثَكُمْ أنَّى شِئْتُمْ﴾.

أي كيف شئتم، أي ائْتـوا موضـع حـرثكم كيف شئتم، وإنمـا قيـل لهم كيف شئتم، لأن اليهود كانت تقول: إذا جامـع الرجـل المرأة من خلْفٍ خـرج الولد أحْول، فأعلم اللَّه أن الجماع إذا كان في الفرج حلال على كل جهة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ واتَّقُوا اللَّه﴾.

أي اتقوا اللَّه فيمَا حَدَّ لكم من الجِمَاع وأمر الحيْض، ﴿وَقَدِّمُوا لأنفسكم﴾ أي قدموا طاعته واتباعَ أمره، فمن اتَّبَعَ ما أمر اللَّه به فقد قَدَّمَ لنفسه خيراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّه عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا﴾.

موضع «أنْ» نصب بمعنى عـرضة المعنى لا تعـرضوا بـاليمين باللَّه في أن تبروا ـ فلما سقطت «في» أفضى لمعنـى الاعتراض، فنصب أن[4].

وقـال غير واحـد من النحويين إن مـوضعها جـائز أن يكـون خفضـاً وإن سقطت «في» لأن «أن» الحذف معها مستعمل، تقول جئت لأن تضرب زيداً، وجئت أن تضـرب زيداً، فحـذفْتَ اللام مـع «أن» ولو قلت جئت ضـربَ زيـد

---

(١) ط يأتي الحديث.

(٢) أي إتيانهن في الدبر ـ والمحشة مجتمـع العذرة ـ والحسن (مثلثلة) المخـرج ـ انظر المـادة في القاموس.

(٣) لأن من معاني الحرث الكسب وجمع المال.

(٤) المعنى: لا تجعلوا اللَّه أو الحلف به حائلاً بينكم وبين البر.

تريد لضرب زيد لم يجز كما جاز مع «أن» لأن «أن» إذاً وصلت دل ما بعدها على الاستقبال. والمعنى: كما تقول: جئتك أن ضربت زيداً، وجئتك أن تضرب زيداً، فلذلك جاز حذف اللام. وإذا قلت: جئتك ضرب زيد لم يدل الضرب على معنى الاستقبال.

والنصب في «أن» في هذا الموضع [هو] الاختيار عند جميع النحويين.

ومعنى الآية أنهم كانوا يعتلون في البر بأنهم حلفوا، فاعلم اللَّه أن الإثم إنَّما هو في الإقامة على ترك البر والتقوى، وأن اليمين إذا كفرت فالذنب فيها مغفور، فقال عزّ وجلّ:

﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ باللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾.

فقيل في معنى اللغو غير قول، قال بعضهم معناه: «لا واللَّه» و «بلى واللَّه» وقيل: إن معنى اللغو الإثم - فالمعنى لا يؤاخذكم اللَّه بالإثم في الحلف إذا كَفَّرْتُمْ. وإنَّما قيل له لغو لأن الإثم يسقط فيه إذا وقعت الكفارة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

أي بعَزْمكم على أَلَّا تَبَروا وأَلَّا تتقوا، وإن تعتلوا في ذلك بأنكم قد حلفتم، ويقال: لغوت أَلغو لَغْواً، ولغوت أَلْغَى لغواً، مثل محوت أمحو محواً، وأَمْحَى، ويقال لغيت في الكلام أَلْغَى لَغًى، إذا أَتَيْتَ بلَغْو، وكل ما لا خير فيه مما يُؤْثَمُ فيه أو يكون غير محتاج إليه في الكلام فهو لغو ولَغٍى.

قال العجاج:

عَنِ اللَّغا وَرَفَثِ التَّكلمِ (١).

وجملة الحلف أنه على أَرْبَعَة أوجه، فوجهان منها الفقهاءُ يجمعون أن

---

(١) تقدم هذا الشاهد ص ٢٧٠.

الكفارةَ فيهمَا واجبـةٌ، وهو قـولك: واللَّه لا أفعـل أو واللَّه لأفْعَلَنَّ، ففي هاتين الكفـارة إذا آثر أن يُخَـالف ما حلف عليـه، إذا رأى غيره خيـراً منـه فهـذا فيـه الكفارة لا محالة.

ووجهان أكثر الفقهاءُ لا يرون فيهما[1] الكفارة، وَهُمَـا قَولـك: «واللَّه ما قد فعلت»، وقد فعل[2] أو «واللَّه لقد فعلت» ولم يفعل. فهذا هو كذب أكَّـدَهُ بيمين، فينبغي أن يستغفر اللَّه منه، فهذا جملة ما في اليمين[3].

ويجوز أن يكون موضع «أن» رفعاً، فيكون المعنى: ﴿ولا تجعلوا اللَّه عرضة لإيْمَانِكُمْ، أَنْ تَبرُّوا وتَتَّقُوا وتُصلِحُوا أَوْلَى﴾، أي البر والتقى أولى، ويكون أولى محذوفاً كما جاءَ حذف أشياءَ في القـرآن. لأن في الكلام دليـلاً عليها، يشبـه هذا منه: ﴿طاعة وقول معروف﴾[4] أي طاعة وقول معروف أَمْثَـلُ، والنصب في أن والجـرُّ مذهب النحـويين[5] ولا أعلم أحداً منهم ذكـر هذا المـذهب ونحن نختار ما قالوه لأنه جيد، ولأن الاتباع أحب وإن كان غيره جائزاً[6].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ سميعٌ عليمٌ﴾.

معناه في هذا الموضع يسمع أيمانكم ويعلم ما تقصدون بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِلـذين يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَة أَشْهُرٍ﴾.

معنى ﴿يُؤْلُون﴾ يحلفون، ومعناه في هذا المـوضع أن الـرجل كـان لا يريـد

---

(١) في الأصول «فيه» وهو خطأ. والأقسام أربعة لأن كل قسم من هذين إما نفي أو إثبات.

(٢) أي أن المقسم قد فعل خلاف ما حلف عليه، أي والحال أنه فعل.

(٣) عدا يمين اللغو التي تقدمت.

(٤) سورة القتال ٤٧ ـ ٢١.

(٥) في إعراب أن بعد حذف الجر ـ كلا الوجهين جائز.

(٦) لم يذكر أحد منهم أن «أن تتقوا» في موضع رفع على الإبتداء ومع جوازه هـو قدء آثـر أن يكون المصدر في محل نصب أو جر.

المرأة فيحلف ألا يقربها أبداً، ولا يُحب أن يزوجها غيره، فكان يتركها لَا أَيِّماً ولا ذاتَ زوجٍ، كانوا يفعلون ذلك في الجاهلية والإسلام، فجعل اللَّه الأجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المرأة آخر مداه نهاية أربعة أشهر، فإذا تمّت أربعة أشهر ثمَّ لَمْ يَفِئ الرجُلُ إلى امْرَأتِهِ، أي لم يرجع إليها، فإن امرأته بعد الأربعة - في قول بعضهم - قد بَانَتْ مِنْهُ، ذكر الطلاق بلسانه أم لم يذكره.

وقال قوْم يؤْخذ بعد الأربعة بأن يطلق أو يَفِيءَ.

ويقال آليت أُولِي إيلاءً وأَلِيَّةً، وأُلُوَّةَ، وإِلوَّةً، و(إيَـلُ)[1].

والكسر أقل اللغات[2]، ومعنى التربص في اللغة الانتظار.

وقال الذين احتجوا بأنه لا بد أن يذكر الطلاق، بقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِنْ عَزَمُوا الطَّلاَقَ فإِنَّ اللَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقالوا[3] ﴿سميع﴾ يدل على أنه استماع الطلاق في هذا الموضع، وهذا في اللغة غير مُمْتَنِع، وجائز أن يكون إنما ذكر ﴿سميع﴾ ههنا من أجل حلفه، أي اللَّه قد سمع حلفه وعلم ما أراده، وكلا الوجهين في اللغة محتمل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾.

يقال طَلَقَتِ المرأةُ طَلاَقاً فهي طَالِقٌ، وقد حكوا طَلُقتْ وقد زعم قَومٌ أن تاءَ التأنيثِ حُذِفَتْ من «طالِقَة» لأنه[4] للمُؤنَّثِ لاحظ للذكر فيه، وهذا ليس بشيءٍ، لأن في الكلام شيئاً كثيراً يشترك فيه الْمُذكَّر والمؤنَّثُ لا تثبت فيه الهاء في المؤنث، نحو قولهم بعير ضامر، وناقَةٌ ضَامِر، وبعير ساعل وناقة

---

(١) ليست في ك.

(٢) في «الوة».

(٣) في ك وقيل.

(٤) أي هذا اللفظ.

ساعل[1]، وهذا أكثر من أن يحصى[2]. وزعم سيبويه وأصحابه أن هـذا وقع على لفظ التذكير صفـة للمؤنث لأن المعنى شيءٌ طالق، وحقيقتـه عندهم أنـه على جهة النسب نحو قولهم امرأة مذكار ورجـل مذكـار، وامرأة مئنـاث ورجل مئناث[3]، وإنما[4] معناه ذات ذكران وذات إناث، وكذلك مطفـل ذات طفل، وكذلك طالق معناه ذات طلاق. فإذا أجـريته على الفعـل[5] قلت طالقـة، قال الأعشى[6]:

أيَـا جـارتَـا بيني فـإنـكِ طَـالِقَـةٍ كـذاكِ أُمـور النَّـاسِ غـادٍ وَطَـارِقَـة

وأما ﴿ثلاثة قروءٍ﴾ فقد اخْتَلَفَ الفقهاءُ وأهل اللغة في تفسيرها وقد ذكرنـا في هذا الكتاب جملة قول الفقهاء وجملة قول أهل اللغة:

فأما أهل الكوفة فيقولـون: الإقْرَاءُ الحَيض، وأمـا أهل الحجـاز ومالـك فيقولون الإقراء الطُّهر، وحجة أهل الكوفة في أن الإقراءَ و (القِـراءَ)[7] والقروء الحيض ما يروى عن أم سلمة أنها استفتت لفاطمة بنت أبي حبيش[8] وكـانت

---

(١) نشيط مستأسد.

(٢) رد الزجاج ليس بجيد. فجمهور اللغويين أن الوصف الذي لا يكون إلا للأنثى لا تذكر فيه التاء إذ لا داعي لها، مثل حائض ونافث وناهد وحـامـل وبكـر وثيب. وهذا لا ينـافي مجي أوصاف للذكر بغير تاء، فالجهة منفكة.

(٣) يمنع التاء في هذا أيضاً أنه صيغة مبالغة.

(٤) في ك أن.

(٥) أي جعله اسم فاعل دالاً على إحداث فعل.

(٦) اللسان (جور) والأغاني ٨/ ٨٠ ـ ٨١.

(٧) ليست في ك.

(٨) أمـا فاطمـة فهي بنت أبي حبيش بن المطلب بن أسـد، من قريش روت حـديثها هـذا السيـدة عائشة وجاء في الصحيحين أنها جاءت إلى النبي فقالت إني امرأة أستحاض فلا أطهر أفأدع الصلاة؟ قال: لا إنما ذلك عرق ليست الحيضـة. وللحديث روايـات ولعل الحـادث تكرر، أو كـانت أم سلمة معها ولم تذكر في بعض الروايات. ـ انظر الإصابة ٨٣١. =

مستحاضة(١) فقال ﷺ تنتظر أيام إقرائها وتغتسل فيما سوى ذلك فهذا يعني أنها تحبس عن الصلاة أيام حيضها ثم تغتسل فيما سوى أيام الحيضَ، وفي خبر آخر أن فاطمة سألته فقال إذا أتى قرؤك فلا تصلي، فإذا مرَّ فَتَطَهَّرِي، وصلّي ما بين القرءِ إلى القرءِ، فهذا مذهب الكوفيين، والذي يقويه من مذهب أهل اللغة أن الأصمعي كان يقول: القُرءُ الحيض، ويقال أقرأتِ المرأة إذا حاضت. وقال الكسائي والقراء جميعاً أقرأت المرأة إذا حاضت فهي مقريءٌ، وقال القراءُ: أقرأت الحاجة إذا تأخرت.

وأنشدوا في القرء الحيض وهو بالوقت أشبه:

لَـه قُـروءٌ كقُـرُوُءِ الحـائض (٢)

فهذا هو مذهب أهل الكوفة في الأقراء، وما احتج به أهل اللغة مما يقوي مذهبهم، وقال الأخفش أيضاً: أقرأت المرأة إذا حاضت، وما قرأتْ حيضة ما ضمَّت رحمَها على حيْضة.

وأما أم سلمة فهي أم المؤمنين هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، اسمه حذيفة وكان يلقب بزاد الراكب لأنه يكفي رفقته في السفر زادهم، تزوجها ابن عمها أبو سلمة بمكة وكانا من السابقين إلى الإسلام وهاجرا إلى الحبشة فولدت هناك سلمة ثم عادا إلى مكة ولما همَّا بالهجرة إلى المدينة منعها ذووها وردوها إليهم، فأخذ سلمة ذوو أبيه وهاجر الزوج وحده وساءت حالها من الحزن لفراق زوجها وولدها ثم سمح لها أن تهاجر ورد لها ابنها.

ولما مات زوجها تزوجها رسول الله ﷺ.

كانت من ذوات الرأي والعقل وهي التي فرج الله بها كربة المسلمين يوم الحديبية إذ أشارت على النبي ﷺ أن يذبح هدية فلم يسع القوم إلا اتباعه توفيت سنة ٦٢ هـ وهي آخر أمهات المؤمنين وفاة، الإصابة ١٣٠٢.

(١) لا ينقطع الدم عنها.

(٢) قبْلَه وصاحب صحبته حرائض. والحرض ـ محركة ـ الفساد في البدن والمذهب والرأي، والرجل الفاسد المريض.

وقال أهل الحجاز: الأقراءُ والقرُوُء واحد، وأَحدهما قَرءٌ، مثل (قولك)[1] فَرْعٌ، وهما الأَطهار، واحتجوا في ذلك بما يروى عن عائشة أنها قالت الأقراءَ الأَطهار، وهذا مذهب ابن عمرو ومالك، وفقهاءُ أَهل المدينة، والذي يقوي مذهب أَهل المدينة في أَن الأقراءَ الأَطهار.

قول الأَعشى[2]:

مُورِّثَةً مالا وفي الأَصل رفعةٍ لما ضاع فيها من قُروء نسائِكا

فالذي ضاع هنا الأَطهار لا الحيض.

وفي هذا مذهب آخر، وهو أَن القرءَ الطهر، والقرءَ الحيض[3]، قال أَبو عبيدة: إن القرءَ يصلح للحيض والطهر، قال وأَظنُّهُ من أَقْرأَتِ النُّجومُ إِذَا غابت، وأَخبرني من أَثق به يدفعه إلى يونس أَن الإقراءَ عنده يَصلح للحيض والطهر، وذكر أَبو عمرو بن العلاءِ أَن القرءَ الوقت، وهو يصلح للحيض ويصلح للطهر، ويقال:[4] «هذا قارئُ الرِّياح»: لوقت هبوبها.

وأَنشد أَهل اللغة[5]:

شَنِئتُ العُقْر عقر بني شُلَيلٍ إذا هبت لقاريها الرياحُ[6]

---

(١) ك فقط ك.

(٢) ديوانه ٦٧، مجاز القرآن ١ ـ ٧٤ ـ والطبري في هذه الآية والخازن، وقبله.

وفي كل عام أنت جاشم غزوة تشد لأقصاها عزيم عزائكا

ويروى «وفي الذكر رفعة» وأيضاً وفي الحي رفعة.

(٣) أي يصلح لهما معاً.

(٤) ك ويقول.

(٥) الشعر لمالك بن الحرث من بني ذهل، شنئت ـ كرهت ـ والعقر مكان ـ وهبت لقاريها: لوقت هبوبها ـ وشليل جد جرير بن عبد اللّه البجلي: ديوان الهزليين ٣ ـ ٨٣. والطبري ٤ ـ ٥١١، وفي اللسان (قرأ) كرهت.

(٦) ط ريحيها.

أي لوقت هبوبها، وشدة بـردها، ويقال «ما قـرأت الناقـة سلا قط» أي لم تضم رحمها على ولد، وقال عمرو بن كلثوم [1]:

نُـريـكَ إذا دخـلت عـلى خـلاءٍ وقـد أمنتْ عـيـونَ الكـاشِـحينـا
ذِراعـي عَـيْـطَلٍ أدمـاءَ بـكـر هـجيـنَ اللون لـم تقـرأ جـنينـا[2]

وأكثـر أهل اللغـة يذهب إلى أنهـا لم تجمع ولـداً قط في رحمهـا ر كـر قطرب هذا القول أيضاً، وزاد في لم تقرأ جنيناً أي لم تلقه مجموعاً.

فهذا جميع ما قال الفقهاءُ وأهل اللغة في القرءِ.

والذي عندي أن القرءَ في اللغة الجمع، وأن قولهم قَـرَيْتُ الماءَ في الحـوض من هذا، وإن كان قـد أُلْزِمَ المـاء ـ فهو جمعتـه[3]، وقولـك قرأت القـرآن أي لفظت به مجموعاً، والقرد يُقْرِىءُ، أي يجمـع ما يـأكل في بيتـه، فإنمـا القرءُ اجتماع الدم في البدن، وذلك إنما يكون في الطهر، وقـد يكون اجتمـاعه في الـرحم، وكلاهمـا حسن وليس بخارج عن مـذاهب الفقهـاءِ، بـل هـو تحقيق المذهبين، والمقرأة الحـوضُ الذي يقـرأ فيه المـاءُ أي يجمع، والمَقـرَأ الإناءُ الذي يقرأ فيه الضيف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أن يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّه فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾.
قيـل فيه لا يحـل لهن أن يكتمن أمر الـولد لأنهن إن فعلن ذلـك فـإنمـا يقصدن إلى إلزامه غير أبيه.

وقد قال قوم هو الحَيْض. وهو بالولد أشبه لأن ما خلق اللَّه في أرحامهن أدل على الولد، لأن اللَّه جلّ وعزّ قال: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف

(١) في معلقته، واللسان (قرأ) ـ والقرطبي ٣ ـ ١١٤.
(٢) يريد أنها ضامرة البطن لأنها لم تحمل قط
(٣) ك جمعت.

يشاءُ﴾[1]، وقال: ﴿فخلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً﴾[2] فوصف خلق الولد.

«ومعْنى: ﴿إنْ كُنَّ يؤمِنَّ باللَّهِ والْيَوْم الآخِرِ﴾.

تأويله إن كن يصدقن باللَّه وبما أرهب به وخوف من عذابه لأهل الكبائر فلا يكتمن، كما تقول لرجل يظلمُ إن كنت مؤمناً فلا تظلم، ، لاَ أنه يقول له هذا مطلِقاً الظُّلم لغير المؤمن. ولكن المعنى: إن كنت مؤمناً فينبغي أن يحجزك إيمانك عن ظلمي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبُعُولَتُهُنَّ أَحقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾.

بعولة جمع بَعْل، مثل ذكر وذكورة، وعم وعمومة أشبه ببَعْلٍ وبعولة، ويقال في جمع ذكر[3] ذِكارة وحجر حِجَارة. وإنما هذه الهاءُ زيادة مؤكدة معنى تأْنيث الجماعة، ولكنك لا تدخلها إلا في الأَمكنة التي رواها أهل اللغة، لا تقول في كعب كُعوبة ولا في كلب كِلابة، لأَن القياس في هذه الأَشياءِ معلوم[4]، وقد شرحنا كثيراً مما فيه فيما تقدم من الكتاب.

ومعنى ﴿فِي ذَلِكَ﴾ أي في الأَجل الذي أُمِرْنَ أَن يتربصن فيه، فأَزواجهن قبل إنقضاءِ القروءِ الثلاثة أَحق بردهن إن رَدُّوهُنَّ على جهة الإِصلاح، أَلا ترى قوله: ﴿إنْ أَرَادُوا إِصْلاَحاً﴾؟

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿ولَهُنَّ مثْلُ الَّذي عَلَيْهِنَّ بالْمَعْرُوف﴾.

أَي للنساءِ مثلُ الذي عَليهنَّ بما أَمر اللَّه به من حقِّ الرجُل على المرأة، وهو معنى ﴿بالمعروف﴾.

---

(١) آل عمران ٢ ـ ٦.

(٢) المؤمنون ٢٣ ـ ١٤.

(٣) بكْر وَبِكَارة ـ ولعله أصح لأنه على «فَعْل» وفي ك أيضاً: وإنما هذا هذه الهاء ـ وظاهر أنه خطأ.

(٤) ك ـ معلوم قد شرحناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وللرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

معناه زيادة فيما للنساءِ عليهن كما قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساءِ، بما فضَّل اللَّه بعضهم على بعض وبما أَنفقوا من أَموالهم﴾[١].

والمعنى أَن المرأَة تنال من اللَّذة من الرجل كما ينال الرجل، وله الفضل بنفقته وقيامه بما يصلحها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

معناهُ مَلِكٌ يحكم بما أَراد، ويمتحن بما أَحب، إلا أَن ذلك لا يَكون إلا بحكمة بالغة - فهو عزيز[٢] حكيم فيما شرع لكم من ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الطلاق مَرَّتَان﴾.

﴿الطلاق﴾ رفع بالابتداءِ، و﴿مرتان﴾ الخبر، والمعنى الطلاق الذي تُمْلك فيه الرجعة مرتان، يدل عليه ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ المعنى فالواجب عليكم إِمساك بمعروف أَو تسريح بإحسان. ولو كان في الكلام فإِمساكاً بمعروف كان جائزاً. على فأمسكوهن إمساكاً بمعروف كما قال عزّ وجلّ: ﴿فأَمسكوهن بمعروف أَو سرحوهن بمعروف﴾[٣]، ومعنى ﴿بمعروف﴾[٤] بما يعرف من إقامة الحق في إمساك المرأَة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً﴾.

أَي مما أَعطيتموهن من مهر وغيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّه﴾.

قرئت ﴿يَخَافا﴾، ويُخَافَا - بالفتح والضم - قال أَبو عبيدة وغيره: معنى ﴿إلا

(١) النساء ٣ - ٣٤.

(٢) في ك العزيز الحكيم.

(٣) سورة البقرة ٢ - ٢٣١.

(٤) في ط ومعناه.

أن يخافا﴾ إلا أن يوقنا، وحقيقة قوله: ﴿إلا أن يخافا ألا يقيما حدود اللَّه﴾أن يكون الأَغْلب عليهما وعندهما أنهما على ما ظهر منهما من أسباب التباعد الخوفُ من أن لا يقيما حدود اللَّه ـ ومعنى﴿حدود اللَّه﴾ ما حده اللَّه جلّ وعزّ مما لا تجوز مجاوزته إلى غيره، وأصل الحد في اللغة المنع، يقال حَدَدْتُ الدار، وحددت حدود الدار، أي بنيت الأمكنة التي تمنع غيرها أن يدخل فيها، وَحَدَدْتُ الرجل أقمت عليه الحد، والحد هو الذي به منع الناس من أن يدخلوا فيما يجلب لهم الأذى والعقوبة، ويقال أحدت المرأة على زوجها وحدت فهي حَادٌّ وَمُحدٌّ، إذا امتنعت عن الزينة، وأحددت إليه النظر إذا منعت نظري من غيره وصرفته كله إليه، وأَحْدَدْتُ السكين إحْدَاداً، قال الشاعر:

إن العبادي أَحَدَّ فأْسَه فعاد حدُّ فأْسه برأْسه[1]

وَإنَّما قيل للحديد حديد لأنه أمنع ما يمتنع به، والعرب تقول للحاجب والبواب وصاحب السجن: الحَدَّاد، وإنما قيل له حداد لأنه يمنع من يدخل ومن يخرج، وقول الأعشى:

فقمنَا ولمَّا يصحْ ديكُنَا إلى خمرة عند حَدَّادها[2]

أي عند ربها الذي منع منها إلا بما يريد.

ومعنى: فلا تَعْتَدُوهَا: أي لَا تُجَاوِزُوهَا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حتَّى تَنْكِحَ زوجاً غَيْرَهُ﴾.

أي فإن طلقها الثالثة، لأن الثنتين قد جرى ذكرهما أيْ فلا تحل له حتى تتزوج زوجاً غيره، وفعل اللَّه ذلك لعلمه بصعوبة تزوج المرأة على الرجل[3]،

(١) اللسان ـ حدد.

(٢) اللسان ـ حدد.

(٣) متعلق بصعوبة ـ أي يصعب على الرجل أن تتزوج امرأته بغيره.

فحرم عليه التزوج بعذ الثلاث لئلا يعجلوا بالطلاق، وأن يَتَثَبَّتوا. وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَعْدَ ذلك أَمْراً﴾(١) يدل على ما قلناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَراجعَا﴾:

أي فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليها وعلى الزوج الأول أن يتراجعا، وموضع أن نصب، المعنى لا يَأْثمان في أن يتراجعا. فلما سقطت «في» وصل معنى الفعل فنصب ـ ويجيز الخليل أن يكون موضع أن خفضا على إسقاط «في» ومعنى إرادتها في الكلام، وكذلك قال الكسائي، والذي قالاه صواب لأن «أن» يقع فيها الحذف، ويكون جعلها موصولة عوضاً مما حذف، ألا ترى أنك لو قلت لا جناح عليهما الرجوع لم يصلح. والحذف مع أن سائغ فلهذا أجاز الخليل وغيره أن يكون موضِع جر على إرادة في.

ومعنى. ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾.

أي إنْ كان الأغلب عليهما أن يقيما حدود اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّه يُبَيِّنُهَا﴾.

ويُقْرأُ نُبيِّنُهَا بالياءِ والنون جميعاً، لِقَوْم يَعْلَمُونَ(٢) أي يعلمون أن وعد اللَّه حق وأن ما أتى به رسوله صدق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾.

أي وقت إنقضاءِ عدتهن.

﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوف أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوف﴾.

أي إتركوهن حتى ينقضي تمام أجلهن ويكن أملك بأنفسهن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِراراً﴾.

---

(١) الطلاق ٦٥ ـ ١: لا تدري لعل اللَّه يحدث بعد ذلك أمراً.

(٢) في ط، وك معنى يعلمون.

أي لا تمسكوهن وأنتم لا حاجة بكم إليهن، وقيل إنه كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب انقضاءُ أجلها ثم يراجعها إضراراً بها، فنهاهم اللَّه عن هذا الإضرار بهن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَه﴾.

أي عَرَّضَها لعذاب اللَّه عزّ وجلّ: لأن إتيانَ ما نهى اللَّه عنه تعرض لعذابه، وأصل الظلم وضع الشيءِ في غير موضعه وقد شرحنا ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آياتِ اللَّهِ هُزُواً﴾ أي ما قد بينه لكم من دلالاته، وعلاماته في أمر الطلاق وغيره.

وقيل في هذا قولان: قال بعضهم: كان الرجل يُطَلِّقُ ويُعْتِقُ ويقول: كنت لاعباً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن فرائضه لا لعب فيها، وقال قوم: معنى ﴿لا تتخذوا آيات اللَّه هزوا﴾، أي لا تَتْركُوا العَمَلَ بما حدَّد اللَّه لكم فتكونوا مقصرين لاعبين كما تقول للرجل الذي لا يقوم بما يكلفه، ويَتَوَانى فيه: إنما أنت لاعب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أنْ يَنْكِحْنَ أزْوَاجَهُنَّ﴾.

هذا مخاطبة للأولياءِ، وفي هذا دليلُ أَنَّ أمر الأولياءِ بينٌ. لأنَّ المطلَّقة التي تراجع إنَّما هي مالِكةُ بُضْعها[(١)] إلَّا أن الولي لا بُدَّ منه، ومعنى ﴿تَعْضُلوهُنَّ﴾: تمنعوهُنَّ وتحبسوهُنَّ، مِن أن ينْكِحن أزْواجَهُنَّ.

والأَصْل في هذَا فيما رُوي أنَّ معقل بن يسَار[(٢)] طلق أُختَه زوجُها،

---

(١) ط في بضعها.

(٢) معقل بن يسار، يكنى أبا عبد اللَّه وأبا علي، مزني أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة للرضوان، وقد أقام بالبصرة منذ فتحها ومات بها في خلافة معاوية، وباسمه يسمى نهر معقل بالبصرة (الإصابة ٨١٣٧).

فَأَبى معقلُ بن يَسار أَن يُزَوِّجَها إِيّاه، ومَنَعَها بِحَقّ الولاَية منْ ذلك، فلمّا نزلت هذه الآيةُ تلاها عليه رسولُ اللَّه ﷺ فقال معقل: رَغِمَ أَنْفِي لأمْر اللَّه.

وأَصل العَضْل من قولهم: عضَلت الدجاجة، فهي مُعْضَل، إذا احتبس بيضُها ونَشَبَ فلم يَخْرج، ويُقَال عضلت الناقة أَيضاً، فهي مُعْضَلٌ إذا احْتَبس ما في بَطْنِهَا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللَّه والْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

أي بأَمر اللَّه الذي تلا عليكم، ﴿يوعظ به من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر﴾، أي من صدق بأمر اللَّه ووعيده والبعث وأَطاع اللَّه في هذه الحدود.

وقال ﴿ذلك يوعظ به﴾ - وهو يخاطب جميعاً، وقد شرحنا القول فيه فيما تقدم(١). وقال بعض أَهل اللغة: أَنه تُوُهِّمَ أَنَّ ذَا مع الْمَعَارف كلمةٌ واحدة، ولا أَدْري - منْ غَير قائل هذا - بهذا التَّوَهُّم. اللَّهُ خاطب العرب بما يعقلونه وخاطبهم بأفصح اللغات، وليس في القرآن توهم، تعالى اللَّه عن هذا، وإنما حقيقة ذلك وذلكم مخاطبَة الجميع، فالجميع لفظه لفظ واحد، فالمعنى ذلكَ أَيها القبيل يُوعظ به من كان منكم يؤمن باللَّه، وقوله عزّ وجلّ بعد هذا. ﴿ذَلُكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وأَطْهَرُ﴾.

يَدُلُّ على أَنَّ «ذلك» و «ذلكم» مخاطبة للجماعة.

ومعنى ﴿واللَّه يَعْلَمُ وأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

أَي اللَّه يعلم ما لكم فيه الصلاح في العاجل والآجل، وأَنتم غير عالمين إلا بما أَعلمكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْن كَامِلَيْن﴾

---

(١) ص ٢٩٣ - ٩٤.

اللفظ لفظ الخبر والمعنى الأمر كما تقول: حسبك درهم فلفظه لفظ الخبر، ومعناه اكتف بدرهم، وكذلك معنى الآية لترضع الوالدات يقال أرضعت المرأة فهي مرضعة، (قولهم)(١) إمرأة مرضع بغير هاءٍ، معناه ذات إرضاع، فإذا أردتم اسْمَ الفاعلَ عَلى أرضعَتْ قلتَ مرضعة لا غير(٢).

ويقال: رُضِعَ المولود يُرْضَع، وَرَضَعَ يرْضَع، والأولى(٣) أكثر وأوضح، ويقال: الرَّضَاعَةُ والرِّضَاعَةُ - بالفتح والكسر - والفتح أكثرُ الكلام وأصحُّه، وعليه القراءَة «لِمَنْ أرادَ أنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَة».

وروى أبو الحسن الأخفش أن بعض بني تميم تقول الرِّضاعة بكسر الراءِ، وروى الكسرَ أيضاً غيره، ويقال: الرَّضاع والرِّضَاعَ(٤) ويقال: ما حمله على ذلك إلا اللؤم والرَّضَاعَة بالفتح لا غير ههنا(٥).

ويقال: ما حمله عليه إلا اللؤم والرِّضْع مثل. الحلْف والرَّضْعُ، يقالان جميعاً.

ومعنى ﴿حَوْلَيْنْ كَامِلَيْنْ﴾ أربعة وعشرون شهراً، من يوم يولد إلى يوم يفطم، وإنما قيل: ﴿كاملين﴾ لأن القائل يقُول: قد مضى لذلك عامان وسنتان فيجيز أن السنتين قد مضتا، ويكون أن تبقى منهما بقية، إذا كان في الكلام دليلَ على إرادة المتكلم فإذا قال: ﴿كاملين﴾ لم يجز أن تنقصا شيئاً، وتقرأ لمن أراد أن «تَتِمَّ» الرضاعةُ، ولمنْ أرادَ أن يُتِمَّ الرضاعةَ وهذا هو الحقُّ في الرضاعة إلا أن يتراضيا - أعني الوالدين - في الفطام بدون الحولين ويُشَاوَرَا في ذلك.

---

(١) ليست في ك.

(٢) بمعنى تفعل الإرضاع وأنظر ص ٣٠١ فيما سبق.

(٣) في ك ورُضِعَ أفصح.

(٤) ك - الرضاعة والرضاعة.

(٥) مثل يستعمل لتأصل الخسة في الشخص، ولم يسمع إلا هكذا.

ومعنى ﴿وَعَلَى الْمَوْلُود لَهُ رِزْقُهُنَّ وكِسْوَتُهُنَّ﴾ .

أي على الزوج رزْق المرأة المطلقة إذا أرضعت الولد وعليه الْكِسْوة، ومعنى بالمعروف، أي بما يعرفون أنه العدل على قدر الإمكان.

ومعنى ﴿لا تُكَلَّفُ نفْسٌ إلَّا وُسْعَهَا﴾ .

أي لا تكلف إلا قدر إمكانها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا تُضَارّ والدةٌ بولَدِهَا﴾ .

قرئت على ضربين ﴿لا تضارُّ والدة﴾ برفع الراءِ على معنى: لا تكلف نفْسٌ، على الخبر الذي فيه معنى الأمر، ومن قرأ: ﴿لا تضارَّ والدة﴾ بفتح الراءِ، فالموضع موضع جزم على النهي الأَصل: لا تُضَارِرْ، فأُدغمت الراءُ الأُولى في الثانية وفتحت الثانية لالتقاءِ الساكنين، وهذا الاختيار في التضعيف إذا كان قبله فتح أو ألف، الاختيار عضَّ يا رجل، وضَارَّ زيداً يا رجل، ويجوز لَا تُضَارِّ والدة بالكسر، ولا أعلم أحداً قرأ بها، فلا تقرأَنَّ بها، وإنما جاز الكسر لالتقاءِ الساكنين لأنه الأَصل في تحْريك أحد الساكنين، ومعنى ﴿لا تضارَّ والدة بولدها﴾: لا تترك إرضاع ولدها غيظاً على أبيه فَتُضرَّ بهِ لأن الوالدة، أشفق على ولدها من الأجنبية(١).

﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بولَدِهِ﴾.

أي لا يأْخذْه من أمه للإضرار بها فيضُرَّ بولَدِهِ.

﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ أي عليه ترك الإضرار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ .

أي فِطاماً وتراضياً بذلك بعد أن تشاورا وعلماً أن ذلك غير مدخل على الولد ضرراً.

(١) الفعل يصلح أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول ـ ولهذا جاء احتمال المعنيين لا تضارر هي الوالد به ـ أو لا يضاررها أبوه به.

﴿فلاَ جُنَاحَ علَيْهِمَا﴾:

أي فلا إثم عليهما في الفصال على ما وصفنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ أَردْتُم أَنْ تسْتَرْضِعُوا أوْلاَدكُمْ﴾.

معناه تسترضعوا لأولادكم غير الوالدةِ، فلا إثم عليكم ﴿إذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بالْمعْرُوفِ﴾.

قيل فيه إذا سلمتم الأمر إلى المسترضَعةِ وقيل إذا أسلمتم ما أعطاه بعضكم لبعض من التراضي في ذلك[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والَّذِينَ يُتَوفَّوْنَ مِنْكُمْ ويَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَربَّصْنَ بأَنْفُسِهِنَّ أَرْبعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾.

هذا للمتوفى عنها زوجُهَا، عليها أن تنتظر بعد وفاته إذا كانت غير ذاتِ حمْل أربعةَ أَشْهُر وعشْراً لا تتزوج فيهن ولا تستعمل الزينة.

وقال النحويون في خبر ﴿الذين﴾ غير قول[٢]:

قال أبو الحسن الأخفش المعني يتربصن بعدهُمْ أو بعد موتهم، وقال غَيْرُه من البصريين أَزْوَاجُهُمْ يتربصن، وحذف أزواجهم لأن في الكلام دليلاً عليه، وهذا إطباق البصريين وهو صواب[٣].

وقال الكوفيون: وهذا القول قول الفراءِ وهو مذهبه[٤] أَنَّ الأَسماءَ إذا

---

(١) في ك بذلك.

(٢) المشكلة النحوية في الآية هي أن ﴿الذين يتوفون﴾ اسم موصول مبتدأ ويتوفون صلته والخبر هو جملة ﴿يتربصن﴾ وليس بها رابط لأن نون النسوة لا تعود على الذين وهذا هو ما اختلفت فيه وجهة نظر الشراح وتقديراتهم.

(٣) قدر الأخفش ظرفاً محذوفاً لأن الظروف كثيراً ما تحذف ويفهم معناها، وقدر البصريون مبتدأ محذوفاً لأنه مفهوم من الكلام.

(٤) ك: قول الفراء ،مذهبهم.

كانت مضافة إلى شيءٍ، وكان الاعتماد في الخبر الثاني، أخبر عن الثاني وتُرِكَ «الإخبار عن الأول»(١)، وأغنى الإخبارُ عن الثَّاني عن الإخبار عن الأول.

قالوا: فالمعنى وإزواج الذين يتوفون يتربصن.

وأَنْشَد الفَرَّاءُ:

لَعَلِّي إنْ مالَتْ بي الرِّيحُ مَيْلَةً ... على ابن أبي ذَبَّانَ أن يتقدما(٢)

المعنى: لعل ابن أبي ذُبَّان أن يتقدم إليّ مالت بِي الريح ميلة عليه. وهذا القول غير جائز. لا يجوز أن يَبْدَأَ اسم ولا يحدَّث عنه لأن الكلام إنما وضع للفائدة، فما لا يفيد فليس بصحيح، وهو أيضاً من قولهم محال، لأن الإسم إنما يرفعه اسم(٣) إذا ابتدئ مثله أو ذكر عائد عليه، فهذا على قولهم باطل، لأنه لم يأت اسم يرفعه ولا ذكر عائد عليه.

والذي هو الحق في هذه المسألة عندي أن ذكر ﴿الذين﴾ قد جرى ابتداءً وذكر الأزواج قد جرى متصلاً بصلة الذين، فصار الضمير الذي في ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ يعود عَلَى الأزواجِ مضافاتٍ إلى الَّذينَ. كأنك قلت: يتربَّصُ أزواجهم، ومثل

---

(١) ط فقط - يعني إذا كان الاسم الثاني هو الأهم جعل الخبر عنه.

(٢) البيت لثابت قطنة من شعراء خراسان في العهد الأموي. كان شجاعاً خطيباً، وفقد إحدى عينيه بسبب ضربة فكان يضع بها قطنة - فسمي بها، وقف بجانب يزيد بن الملهب حين خرج على عبد الملك - فلما قتل يزيد رثاه وتوعد عبد الملك. وصحة البيت - دبان - كنية سخر بها من عبد الملك، لأنه كان شديد البخر يموت الذباب إذا دنا من فمه، وفي تاريخ الطبري ٨ - ١٦٠، ورواية الفراء في تفسيره معاني القرآن ١ - ١٥، والصاحبي ١٨٥ - أن يتندما، يريد بقوله: «مالت بي الريح» أن هجمت عليه، أي أشفق على عبد الملك إذا لاقيته في حرب أن يأسف لفعلته. ويبدو أنه تهديد للوليد لقوله: ابن أبي دبان.

والشاهد خلو الخبر من ضمير يعود على إسم لعل وانظر اللسان (ذبب) والحيوان ٣ - ٢٨١.

(٣) يرفع الاسم خبرا عن آخر إذا كان الاسمان لشيء واحد، وهذا ظاهر في الخبر المفرد ويأتي أيضاً في الجملة - نحو ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾: فإن لم يكن الاسمان كشيء واحد وجب أن يكون في الخبر ضمير رابط يعود على المبتدأ.

هذا من الكلام قولك الذي يموتُ ويُخلف ابنَتَينِ تـرثان الثلثين، المعنى تـرث ابنتاه الثلثين[1].

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَشْراً﴾ يدخل فيها الأيام.

زعم سيبـويه أنـك إذا قلت «لخمسٍ بَقِينَ» فقدعلم المخـاطب أن الأيام داخلة مع الليالي، وزعم غيره أن لفظ التأنيث مغلَّبٌ في هذا الباب.

وحكى الفـراءُ صُمْنَاً عَشْـراً من شهر رمضـان، فالصَّـوم إنَّمـا يكـون في الأيَّامِ ولكن التأنيث مغلَّبٌ في الليالي ـ لإجْمَاعِ اهل اللغة «سـرْنَا خَمْسـاً بيْنَ يوْمٍ وليلة» أنشد سيبويه:[2]

فــطافت ثــلاثــاً بيْنَ يــوم وليلة   يكـون النكيـر أنْ تَصيحَ وتَجْـأرَا

قال سيبويه هذا باب المؤنث الذي استعمل للتأنيث والتـذكير، والتـأنيث أصله، قال تقول: عندي ثلاثُ بطات ذكور وثلاثٌ منَ الإبل ذكور، قال لأنك تقـول: هذه إبـل، وكذلـك ثلاث من الغنم ذكـور، (قال)[3] فـإن قلت عندي ثلاثةُ ذكـورٍ من الإبل لم يكن إلاّ التّـذكير، لأنـك إنما ذكـرت ذكوراً ثم جئت تقـول من الإبـل بعـد أن مضى الكـلام على التـذكيـر، وليس بين النحــويين البصريين والكوفيين خلاف في الذي ذكـرنا من بـاب تأنيث هـذه الأشياءِ فـإن قلت عندي خمسة بين رجل وإمرأة غلبت التذكير لا غير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنّ﴾

---

(١) الألف في ترثان بمعنى ابنتيه. ولا تنطبق الألف على الذي.

(٢) كتاب سيبويه ٢ ـ ١٨٠ باريس، والخزانة ٣ ـ ١١٧ ـ.

والبيت للنـابغة الجعـدي من قصيدتـه التي مدح بهـا النبي ﷺ يصف بقرة وحشيـة فقدت ولـدها وظلت تطوف الأرجاء بحثاً عنه ثلاثاً ـ حتى عثرت على أشلائه فكان مبلغ ما تنكر بـه أنها ظلت تصيح وتجأر وهي ضائقة بما حدث. ورواية البيت في هذه المراجع كلها وكان النكير.

(٣) ك فقط.

أي غَاية هذه الأشهر والعشر.

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفسِهِنَّ بالْمَعْرُوفِ﴾.

أي لا جناح عليكم في أن تتركوهن - إذا إنقضت هذه المدة - أن يتزوجن، وأن يتزين زينةَ لا ينكر مثلها. وهذا معنى ﴿بالمعروف﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ به منْ خِطْبَة النِّسَاءِ﴾.

المعنى أنه لا جناح على الرجل أن يُعَرِّضَ للمرأة التي هي في عدَّةِ بالتزويج. والتعريضُ أن يقول إني فيك لراغب. وإن قضى اللَّه أمراً كان، وما أشبه هذا من القول، ولا يجوز أن يقطع أمر التزويج والمرأة لم تخرج من عدتها، ومعنى خِطْبَة كمعنى خَطْب، أما خُطْبة فهو ماله أول وآخر نحو الرسالة، وحُكِيَ عن بعض العرب «اللهم ارفع عنا هذه الضُّغْطَة» فالضُّغْطَة ضَغْطٌ له أول وآخر متصل.

ومعنى: ﴿أَوأَكْنَنْتُمُ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

يقال في كل شيء تستره أَكْننته وكَنَنْتـه، وأَكْننتُه فيما يَسْتُرهُ أكثرُ، وما صُنْتَه تقول فيه كننته فهو مكنون، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿كأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُون﴾[(1)] أي مَصُونٌ، وكل واحدة منْهما قَريبَة من الأُخرى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلكِنْ لا تُواعدُوهُنّ سرًّا﴾.

قال أَبو عُبَيدَةَ: السِّرُّ الإفْصَاح بالنكاح وأَنشد:

ويحْرمُ سرُّ جارَتهمْ عليْهمْ ... ويأْكُلُ جَارُهَمْ أَنفَ القصَاع[(2)]

---

(1) الصافات ٣٧/٤٨.

(2) للحطيئة ديوانه ٣٢٨ - اللسان (أنف) أمالي المرتضى ١ - ١٧٥. يصفهم بالعفة والكرم فهم يعفون عن سر الجارة - ويؤثرون ضيفهم بخير الطعام.

وقال غيره: كَأَنَّ السِّرَ كناية عن الجماع ـ كما أن الغائطَ كناية عن الموضع وهذا القول عندي صحيح.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾.

معناه: لا تَعْزموا على عَقْدِ النكاح، وحذف «عَلَى» استخفافاً كما تقول: ضرب زيد الظهر والبطن، معناه على الظهر والبطن، وقال سيبويه: إن الحذف في هذه الأَشياءِ لا يقاس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الكتابُ أَجَلَهُ﴾.

معناه حتى يبلغ فرض الكتاب أَجله، ويجوز أَن يكون الكتاب نفسه في معنى الفرض، فيكون المعنى حتى يبلغ الفرضُ أَجلَه ـ كما قال: عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ﴾(٣) أي فرض عليكم، وإِنَّمَا جَازَ أَن يَقَعَ كُتِبَ في معنى فُرِضَ، لأَن ما يكتب يقع في النفوس أَنه ثَبَتَ، ومعنَى هذا الفرض الذي يبلغ أَجله أَيام عدة المطلقة والمتوفي عنها زوجها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا جُنَاحَ عليكم إِنْ طلقْتُم النِّسَاءَ ما لم تَمَسُّوهُنَّ﴾.
ويُقرأُ: تَماسُّوهن.
«أَو تفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً».

فقد أَعلم اللَّه في هذه الآية أَن عقد التزويج بغير مهر جائز، وأَنه لَا إِثْم على من طلق من تزوج بها من غير مهر كما أَنه لا إِثم على من طلق من تزوج بمهر، وأَمر بأَن تمتع المتزوج بها بغير مهر إِذا طلقت ولم يدخل بها فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿ومَتِّعُوهُنّ على المُوسِعِ قَدَرُه وعلى المُقْتِرِ قَدَرُه﴾.

و ﴿قَدرُهُ﴾، يُقْرآن جميعاً، فقالوا إن التَّمتُّع يَكونُ بأَشياءَ بأَنْ تَخدَم المرأةُ

(١) سورة البقرة ٢/١٨٣.

وبأن تُكْسَى، وبأن تُعْطى ما تُنفِقه، أيَّ ذَلكَ فَعَلَ يُمَتِّعُ، فذلك جائز له على قدر إمكانه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَتَاعاً بالْمَعْرُوفِ﴾.

أي بما تعرفون أنه القصد وقدر الإمكان، ويجوز أن يكون نصب ﴿متاعاً بالمعروف﴾ على قوله: ومتعوهن متاعا، يجوزُ أن يكون منصوباً على الخروج من قوله: على الموسع قدره متاعاً أي مُمَتِّعاً متاعاً[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَقاً عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

منصوب على حق ذلك عليهم حقاً، كما يقال حققت عليه القضاءَ وأحققته، أي أوجبته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾

أي فعليكم نصف ما فرضتم، ويجوز النصب - ﴿فنصف ما فرضتم﴾، المعنى فَأَدُّوا نصفَ ما فرضتم، ولا أعلم أحداً قرأ بها فإن لم تثبت بها رواية فلا تَقْرَأَنَّ بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الذي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾.

المعنى إلا أن يعفوَ النساءُ أو يعفوَ الذي بيده عقدة النكاح، وهو الزوج أو الولي إِذَا كان أباً. ومعنى عَفْو المرأة - أن تعفو عن النصف الواجب لها من المهر فتتركه للزوج، أو يعفو الزوج عن النصف فيعطيها الكل، وموضع ﴿أن يعفون﴾ نصب بأن، إلا أن جماعة المؤنث في الفعل المضارع تستوي في الرفع والنصب، والجزم، وقد بينا ذلك فيما سلف من الكتاب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ للتَّقْوى، ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بيْنَكُمْ﴾.

ظاهر هذا الخطاب للرجال خاصة دون النساءِ، وهو محتمل أن يكون

---

(١) هو مفعول مطلق حتى على التقدير الثاني.

للفريقين لأن الخطاب إذا وقع على مذكـرين ومؤنثين غلب التذكيـر لأن الأول أمكن.

والأجـود في قولـه: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الفَضْـلَ بيْنَكُم﴾ الضَّمُ (ويجوزُ وَلَا تَنْسَـوْ الفضل بينكم)[1] ـ وقد شَرَحْنَا العلة فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَواتِ والصلاة الوُسْطَى﴾.

قالوا: ﴿الصلاة الوسطى﴾ العصر ـ وهو أكثر الرواية، وقيل إنها الغداة وقيل إنها الظهر. واللَّه قَدْ أمر بالمحافظة على جميع الصلَوَاتِ إلا أن هذه الـواو إذا جاءَت مخصِّصَةً فهي دالة على الفضل للذي تُخَصِّصُه[2] كما قال: عزّ وجلّ: ﴿مَنْ كان عدوًّا للَّهِ وَمَـلَائِكَتِه ورُسُلِه وجِبْـريل ومِيكَـال﴾[3] فذكـر مخصوصين لفضلهما على الملائكة، وقال يونس النحوي في قوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِمَا فاكهةٌ ونخل ورُمَّان﴾[4] إنما خص النخل والرمان وقـد ذكرت الفـاكهة لفضلهـا على سائرها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾.

القانِتُ المُطيعُ والقَانِت الذاكر اللَّه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿أَمَّنْ هـو قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيلِ سَاجِداً وَقَائِماً﴾[5] وقيل القانت العابد ـ وقـالوا في قـوله عـزّ وجلّ: ﴿وكانت من القانتين﴾ أي العابدين.

والمشهور في اللغة والاستعمال أن القنوت: الدعَاءُ في القيـام، وحقيقة القانت أنه القائم بأمر اللَّه، فالـداعي إذا كان قـائماً خص بـأن يقال لـه قانتَ،

(١) ليست في ك.
(٢) في ك الذي خصص.
(٣) سورة البقرة ٥ ـ ٢ ـ ٩٨.
(٤) الرحمن ٥٥ ـ ٨٦.
(٥) الزمر ٣٩ ـ ٩.

لأنه ذاكر اللَّه عزّ وجلّ وهو قائم على رجليه. فحقيقة القنوت العبادَة والدعاءُ للَّه في حال القيام. ويجوز أن يقع في سائر الطاعة، لأنه إنْ لم يكن قياماً بالرِّجْلين فهو قيام بالشيء بالنية.

ومعنى: ﴿فَإِنْ خِفْتُم فَرِجَالاً أو رُكْباناً﴾.

أي فصلوا ركباناً أو رجالاً، ورجَالٌ جمع راجل ورجال، مثل صاحب وصِحَاب، أي إن لم يمكنكم أن تقوموا قَانتين أي عابدين مُوَفِّينَ الصَّلاَةَ حقَّهَا لخوف ينالَكم، فصلوا رجالاً أو ركباناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فإذا أَمِنْتُم فاذكُروا اللَّهَ كَمَا علَّمَكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

أي فَإِذَا أَمِنْتُم فَقُومُوا قانتين مُؤَدِّينَ للفرض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَصِيَّةً لأَزْوَاجِهِمْ﴾

ووصيةٌ لأزواجهم يُقرءَان جميعاً، فمن نصب أراد فلْيُوصوا وَصِيَّةً لأزواجهم، ومن رفع فالمعنى فَعَلَيْهِم وصيةٌ لأزواجهم.

﴿مَتاعاً إلَى الحَوْل غيرَ إِخْرَاجٍ﴾

أي مَتِّعُوهُنَّ مَتَاعاً إلى الحَول، ولا تخرجوهن، وهذا منسوخ بإجماع، نَسَخَهُ ما قبله وقد بَيَّنَاه(١). وقيل إنه نسخته آية المواريث وكلاهما - أعني ما أمر اللَّه به من تربص أربعة أشهر وعشراً، وما جعل لهن من المواريث قد نسخه(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذلك يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِه لعَلَّكم تَعْقِلُونَ﴾.

---

(١) ذكر ذلك إجمالاً عند الآية فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم.. الخ. ص ٧.

(٢) آية المواريث نسخت الوصية بمتعة السنة. أي نسخة اللَّه وأزاله.

آياته علاماته ودلالاته على ما فرض عليكم، أي مثل هذا البيان يبين لكم ما هو فرض عليكم، وما فرض عليكم.

ومعنى ﴿لعَلَّكُم تَعْقِلُونَ﴾ معنى يحتاج إلى تفسير يبالغ فيه، لأن أهل اللغة والتفسير أخبروا في هذا بما هو ظاهر، وحقيقة هذا أن العاقل ههنا [هو] الذي يعمل بما إفْتِرضَ عليه، لأنه إن فهم الفرض ولم يعمل به فهو جاهل ليس بعاقل، وحقيقة العقل هو استعمال الأشياءِ المستقيمة متى عُلمَت، ألا ترى إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا التَّوبَة عَلَى اللَّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيب﴾(١)، لو كان هؤُلاء جهالاً غيرَ مميزين أَلْبَتَّةَ لسقط عنهم التكليف، لأن اللّه لا يكلف من لا يميز، ويقال جهال وإن كانوا مميزين لأنهم آثروا هواهم على ما علموا أنه الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلوفُ حَذَرَ المَوْتِ﴾.

معنى ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، أي ألم ينته علمك إلى خبر هؤُلاءِ وهذه الألف ألف التوقيف(٢)، و﴿تر﴾ متروكة الهمزة، وأصله ألم ترءَ إلى الذين، والعرب مجمعة على ترك الهمزة في هذا. ونصب ﴿حذر الموت﴾ على أنه مفعول له والمعنى خرجوا لحذر الموت، فلما سقطت اللام نصب على أنه مفعول له وجاز أن يكون نَصبه على المصدر، لأن خروجهم يدل على حذر الموت حذراً.

وقيل في تفسير الآية: إنهم كانوا ثمانية ألوف(٣)، أُمروا في أيام بني

---

(١) النساء ٤٢ ـ ١٧.

(٢) هي ألف التقرير: أي قد انتهى علمك وتسمى توقيفاً لأنها وقفت السامع على الأمر.

(٣) في جميع النسخ ألف وهو خطأ.

إسرائيل أَنْ يجاهدوا العَدُوَّ، فاعتلوا بأن الموضع الذي ندبوا إليه ذو طاعون، ﴿فقال لَهُمُ اللّه مُوتُوا﴾.

معناه فأَماتهم اللّه، ويقال إنهم أُمِيتُوا ثمانية أَيَّامٍ ثم أُحْيُوا، وفي ذكر هذه الآية للنبي ﷺ احتجاج على مشركي العرب وعلى أَهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأنه أَنْبَأَ أَهْلَ الكتاب بما لا يدفعون صِحَّته، وهو لم يقرأْ كتاباً ﷺ.

فالذين تلا عليهم يعلمون أنه لم يقرأْ كتاباً[1] وأَنه أُمي، فلا يَعْلَم هذه الأَقاصيصَ إلا بوحي، إِذْ كانَتْ لَمْ تُعْلَم من كتاب فعلم مشركو العرب أَن كل من قرأَ الكتب يصدقه ﷺ في أَخباره أَنها كانت في كتبهم، ويعلم العرب الذين نشأَ معهم مثل ذلك وأَنه ما غاب غيبة يُعَلَّم في مثلها أَقاصِيصَ الأُمم وأَخبارَها على حقيقة وصحة، وفي هذه الآية أَيضاً معنى الحث على الجهاد، وأَن الموت لا يُدْفَعُ بالهَرَب منه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فضلٍ عَلَى النَّاسِ﴾.

أَي تفضل على هؤُلاءِ بأَنْ أَحياهم بعدَ مَوْتهم فأَراهم البَصِيرَةَ التي لا غَايةَ بعدها. وقوله عزّ وجلّ: يَعقِب هذه الآية:

﴿وَقَاتِلُوا في سَبيل اللّهِ﴾:

أَي لا تهربوا من الموت كما هرب هؤُلاءِ الذين سمعتم خبرهم، فلا ينفعكم الهرب.

ومعنى قوله عزّ وجلّ مع ذكر القتال: ﴿واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيع علِيمٌ﴾.

---

(١) في لك أمي لم يقرأ كتاباً. والمراد الذين تلا عليهم النبي هذا القصص من أهل الكتاب يعلمون أنه لم يقرأ.

أي إن قلتم كما قال الذين تقدم ذكرهم بعلة الهرب من الموت[1] سمع قولكم وعلم ما تريدون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرِضُ اللَّه قرضاً حَسَناً﴾.

معنى القرض في اللغة البلاء السّيِّئ، والبلاء الحَسَن، والعرب تقول: لك عندي قرض حسن وقرض سيىء، وأصلهُ مَا يُعْطِيه الرجلُ أو يَعْمله ليجازَى عليه، واللَّه عزّ وجلّ: لا يَستَقْرض من عَوَز ولكنه يَبْلو الأخبار، فالقرض كما وصفنا، قال أُمَيَّةُ بنُ أبي الصلت:[2].

لا تَخْلِطَنّ خَبِيثاتِ بطَيِّبةٍ — وأخلعْ ثيابَك منهَا وانجُ عُريَانَا
كلُّ امرىءٍ سوف يُجْزَى قَرضَه حَسناً — أو سيئاً، أو مَدِينَا كالذي دانا

وقال الشاعر:

وإذا جُوزِيتَ قرضاً فأجزه — إنَّما يَجْزِي الفتى ليس الجمل[3]

فمعنى القرض ما ذكرنَاهُ.

فأعلم اللَّه أَنَّ ما يعْمل وينفق يرادُ به الجزاءَ فاللَّه يضاعفه أَضعافاً كثيرة.

والقراءَة فيضاعفَه، و (قرأوا)[4]: فيضاعفُه، بالنّصب والرفع فمن رفع عطف على يقرض، ومن [عطف] نصب على جواب الاستفهام وقد بَيَّنّا

---

(١) إن تعللتم لترك الحرب بالخوف من الموت كما فعل هؤلاء.

(٢) يتصل نسبة بثقيف، وكان قد اتصل ببعض الكتابيين فشدا كثيراً من قصص التوراة صاغها في شعره، ووصف الجنة والنار وتحدث عن الملائكة وكان يترقب أن يكون النبي الذي يبعث من العرب ـ فلما ظهر النبي قال أمية كنت أرجو أن أكونه، قال فيه النبي آمن شعره وكفر قلبه، والشعر في ديوانه ٦٣، واللسان (قرض) وروايته هناك: أو مديناً مثل ما دانا.

(٣) كتاب سيبويه ١ ـ ٣٧٠ ـ وإذا «أقرضت»، وهو كما ذكر هنا في العيني ٤ ـ ١٧٦، والخزانة ٤ ـ ٦٩ ـ وهو من شعر لبيد.

(٤) ليست في ك والعبارة هناك والقراءة فيضاعفه وفيضاعفه بالنصب.

الجَوابَ بالفاء ـ ولو كان قرضاً ههنا مصدراً لكان إقراضاً، ولكن قرضاً ههنا اسم لكل ما يلتمس عليه الجزاء[١].

فأما قرضته أقرُضه قرضاً: فجاوزته، وأصل القرض في اللغة القطع، والقِرَاضُ من هذا أُخِذ، فإنما أقرضته قطعت له قطعة يجازى عليها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾.

قيل في هذا غير قول: قال بعضهم: معناهُ يُقَتِّرُ ويُوسِّعُ، وقالَ بعضهم يَسْلُبُ قوماً مَا أنعَمَ علَيهِم ويوسِّع عَلَى آخَرين (وقيل معنى يقبض)[٢] أي يقبض الصدقات ويخلفها، وإخلافها جائز أن يكون ما يعطي من الثواب في الآخرة، وجائز أن يكون مع الثواب أن يخلفها في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلاءِ منْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

المـلأ أشرافُ القوم ووجوهُهُمْ، ويروى أن النَّبِي ﷺ سَمِعَ رجلاً من الأنصار وقد رجعوا من بدر يقول: ما قتلنا إلا عَجَائِزَ صُلْعاً، فقال ﷺ: أُولئك المَلاَءُ من قُريش، لو حضرتَ فعالهم لاحتَقرْتَ فِعْلَك، والملأ في اللغة الخُلُقُ، يقال أَحْسِنُوا مَلأكم، أي أَخْلاَقَكُمْ قال الشاعر:[٣]

تَنَادَوْا يآل بُهثَةَ إذ رأونَا ... فقلنا أحسِني مَلأً جُهَيْنَا

أي خُلُقاً، ويقال: أحسني مُمَالأَةً أي مُعَاونَةً، ويقال رجل مَلِيءُ ـ مهموز ـ أي بَيِّن[٤] المَلآء يا هذا ـ وأصل هذا كله في اللغة من شيء واحد، فالمَلأ الرؤساءُ إنما سُمُّوا بذلك لأنهم مُلءٌ بما يحتاج إليه منهم. والمَلأ الذي

---

(١) إسم للشيء الذي يقرض ـ فهو مفعول به وليس مفعولاً مطلقاً.

(٢) العبارة بين القوسين في ك فقط.

(٣) البيت في اللسان «بهث وملاء» وهو لعبد الشارق الجهني ـ وَبُهثَة حَيٌّ منْ سُلَيْم.

(٤) ظاهر اليسار.

في الخُلُق، إنما هو الخَلق المليء بما يحتاج إليه، والملا: المُتَّسَعُ من الأرض غير مهموز، يكتب بالألِف ـ والياءِ في قول قوم ـ وأما البصريون فيكتبون بالألِف، قال الشاعر في الملا المقْصورِ الذي يدل على المتَّسَع من الأرض:

أَلَا غنّيانِي وارفعَا الصَّوتَ بالمَلا فإن المَلاَ عندي يزيد المَدَى بُعْداً[١]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إبْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ في سَبيلِ اللَّهِ﴾.

الجَزْمُ في﴿نُقَاتِلْ في سبيلِ اللَّه﴾ الوجهُ على الجوابِ للْمسْأَلَة الَّتِي في لَفْظِ الأمْر، أي ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ، أي إنْ تَبعث لنا مَلِكاً نُقَاتِلْ في سبيل اللَّه، ومن قرأ «مَلِكاً يُقَاتِلُ» بالياءِ، فهو على صفة المَلِك ولكن نقاتلْ هو الوجهُ الذي عليه القراء، والرفع فيه بعيد، يجوز على معنى فَإنَّا نقاتل في سبيل اللَّه، وكثيرٌ مِن النَّحويِّينَ، لا يُجِيزُ الرَّفْعَ فِي نُقَاتِل[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُم إنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ القِتَالُ ألاَّ تُقَاتِلُوا﴾.

أي لعَلَّكم أن تَجْنُبُوا عَنِ القتال، وقرأ بعضُهم: هل عَسِيتم بكسر السين إن كتب عليكم القتال، وهي قراءَة نافع، وأهل اللغة كلهم يقولون عَسَيْتُ أن أَفْعَلَ ويختارونه، وموضع ﴿أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ نَصْبٌ أعني موضع «أنْ» لأن «أنَّ» وما عملت فيه كالمصدر، إذا قلت عسيت أن أفعل ذاك فكأنك قلت عسيت فعل ذَلِكَ[٣].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا وَمالَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

---

(١) للجهني اللسان (ملا).

(٢) لأن الفعل جواب للأمر ـ ولا يصلح للحالية ـ فهم لا يريدون أبعث لنا ملكاً حال قتالنا، وإنما يريدون أن تبعثه نقاتل.

(٣) فهو خبر عسى.

زعم ـ أبو الحسن الأخفش أنَّ «أنْ» ههنا زائدة ـ قال: المعنى وما لنا لا نقاتل في سبيل اللَّه، وقال غيره، وَمَا لَنَا فِي أَلَّا نُقَاتِل في سبيل اللَّه، وأسقط «في» وقال بعْضُ النحويين إنما دخلت «أن» لأنَّ «ما» معناه ما يمنعنا فلذلك دخلت «أن» لأن الكلام ما لك تفعل كذا وكذا.

والقول الصحيح عندي أنَّ «أن» لا تلغى ههنا، وأن المعنى وأي شي لنا في أنْ لا نقاتل في سبيلِ اللَّه، أي أي شيء لنا في ترك القتال.

﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا من دِيَارِنَا وأَبْنَائِنَا﴾.

ومعنى ﴿وأبنائِنا﴾، أي «سُبِيَتْ ذرارينا».

ولكنَّ «في» سقطت مع «أن» لأن الفعلَ مُستَعمل مع أن دالا على وقت معلوم، فيجوز مع «أن» حذف حرف الجر كما تقول: هربت أن أقول (لك)[1] كذا وكذا، تريد هربت أن أقول لك كذا وكذا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تولَّوْا إلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾.

﴿قليلاً﴾ منصوب على الاستثناءِ، فأما من روى «تولَّوْا إلا قليلٌ منهم» فلا أعرف هذه القراءَة، ولا لها عندي وجه، لأن المصحف على النصب والنحو يوجبها، لأن الاستثناءَ ـ إذا كان أولُ الكلام إيجاباً ـ نحو قولك جاءَني القوم إلا زيداً ـ فليس في زيد المستثنى إلا النصب[2] ـ والمعنى تولوا أَسْتَثْنِي قَليلاً مِنْهم ـ وإنما ذكرت هذه لأن بعضهم روى «فشربوا منه إلا قليلٌ منهم» وهذا عندي ما لا وجه له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُم طَالُوتَ مَلِكاً﴾.

---

(١) ك فقط.

(٢) أي أن المستثنى منه تام موجب فلا بد من نصب المستثنى وعبارة المؤلف غير جيدة لخلو الخبر من الرابط.

أي قد أجابكم إلى ما سألتم. من بعث ملك يقاتل، وتقاتلون معه وطالُوت وجالُوت وداوُد. لا تنصرف لأنها أسماء أعجمية، وهي معارف فاجتمع فيها شيئان ـ التعريف والعجمة، وأما جاموس فلو سميت به رجلاً لأنصرف، وإن كان عجمياً لأنه قد تمكن في العربية لأنك تدخل عليه الألف واللام، فتقول الجاموس والرَّاقُودُ[1].

فعلى هذا (قِيَاسُ جميع)[2] الباب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾.

أي من أي جهة يكون ذلك.

﴿ولم يُؤتَ سَعةً من المال﴾ أي لم يؤت ما تَتَمَلَّكُ به الملوك.

فأعلمهم اللَّه أنه ﴿اصطفاه﴾ ومعناه اختاره، وهو «افتعل» من الصفوة، والأصل اصتفاه فالتاءُ إذا وقعت بعد الصاد أبدلت طاء لأن التاء من مخرج الطاء، والطاء مطبقة، كما أن الصَّادَ مطبقة، فأبدلوا الطاء من التاء، ليسهل النطق بما بعد الصاد، وكذلك افتعل من الضرب: اضطرب، ومن الظلم اظطلم، ويجوز في اظطلم وجهان آخران، يجوز اطَّلم بطاءٍ مشددة غير معجمة واظَّلم بظاء مشددة قال زهير:

هو الجواد الذي يعطيك نائلَهُ عفواً ويُظْلم أحياناً فيظطلم[3]

و «فيطَّلم» و «فيظَّلِم».

أعلمهم اللَّه أنه اختاره، وأنه قد زِيدَ في العلم والجسم بسطة، وأعلمهم أن العلم [هو] الذي به يجب أن يقع الاختيار[4] ليس أن اللَّه جلّ وعزّ: لا

---

(١) الراقود: دَنّ كبير يدهن أسفله بالقار، وسمكة صغيرة. (٢) في ك فقط.

(٣) الديوان ١٥٢، اللسان (ظلم) والمقاصد ٤/٥٨٢. وهو من الشواهد الشائعة.ـ يريد أنه يغضي عن الانتقام مع سخائه وجوده.

(٤) ك الذي يجب أن يقع به

يُمَلَّكَ إلا ذا مال، وأعلم أن الزيادة في الجسم مما يهيب بـه العدو، وأعلمهم أنـه يُؤتِي مُلْكَه من يشاء، وهو جلّ وعزّ لا يشاء إلا ما هو الحكمة والعدل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي يوسع على من يشاء ويعلم أين ينبغي أن تكون السعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ لَهُم نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾.

أي علامة تمليك اللَّه إياه ﴿أَن يَأْتِيَكُم التَّابُوتُ﴾.

وموضع ﴿أَنْ﴾ رَفْعٌ المعنى: إنَّ آية ملكه إتيانُ التابوت إيَّاكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُم﴾.

أي فيه ما تسكنـون به إذا أتـاكم، وقيل في التفسـير إن السكينة لهـا رأس كرأس الهِر من زبرجد أو ياقوت، ولها جناحان[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَـٰرُونَ﴾.

قيل في تفسيره: البقيةُ رضاض[٢] الألواح وأن التوراة فيه وكتاب آخـر مع التوراة وعصا موسى. فهذا ما رُوِيَ مِمَّا فيـه، والظاهـر، أن «فيه بقيـة» جائـز أن يكـون بقية من شيء من عـلامات الأنبيـاءَ، وجائـز أن يكون البقيـة من العلم، وجائز أن يتضمنها جميعاً.

والفـائدة ـ كـانت ـ في هـذا التـابـوت أن الأنبيـاءَ ـ صلوات اللَّه عليهم ـ كانت تستفتح[٣] به في الحروب، فكان التابوت يكون بين أيديهم فـإذا سُمِعَ من جوفه أنين دف التابوت[٤] أي سار والجميع خلفه ـ واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

(١) كانوا يحملون هذا الصندوق ـ التابوت ـ معهم في الحرب تيمناً به ـ فلما أخذ منهم قيل لهم أن مما يثبت ملك طالوت أن تستردوا الصندوق، فتسكن به نفوسكم وتطمئن.

(٢) في ك رضاض كسر الألواح، أي حطامها.

(٣) تطلب الفتح ـ تتفاءل باصطحابه.

(٤) اهتز واضطرب، وفي ك. سار وسار الجميع.

وروي[1] في التفسير أنه كان من خشب الشمشار[2] وكان قد غلب جالوتُ وأصحابُه عليه فنزلهم بسببه داء، قيل هو الناسور الذي يكون في العنب فعلموا أن الآفة بسببه نزلت، فوضعوه على ثورين فيما يقال، وقيل معنى تحمله الملائكة: إنها كانت تسوق الثورين وجائز أن يقال في اللغة تحمله الملائكة، وإنما كانت تسوق ما يحمله، كما تقول حَمَلْتَ متاعي إلى مكة، أي كنت سبباً لحمله إلى مكة.

ومعنى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُم﴾.

أي في رجوع التابوت إليكم علامة أن اللَّه ملك طالوت عليكم إذ أنبأكم في قصته بغيب.

﴿إِنْ كُنْتم مُؤْمِنِينَ﴾ أي إن كنتم مصدقين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾.

معناه مختبركم وممتحنكم بنهر، وهذا لا يجوز أن يقوله إلا نبي، لأن اللَّه عزّ وجلّ قال: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارتَضَى مِن رسُولٍ﴾[3] ومعنى الاختبار بهذا النهر كان ليعلم طالوت من له نيَّةُ القِتَال معه ومن ليسَتْ له نيَّةٌ. فقال: ﴿فَمَنْ شَرِبَ منْه فَلَيْسَ مِنِّي﴾.

أي ليس من أصحابي ولا ممّن تبعني، ومن لم يطعَمْه.

﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ أي لم يتطعم به[4].

﴿إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾، غُرفة وغَرفَة قرئ بهما جميعاً فمن قال غَرفَة

---

(١) ك ويروى.

(٢) شجر ينبت بالبادية وقيل هو خشب الساج.

(٣) الجن ٧٢ ـ ٧٦.

(٤) من الطعام أو من الطعم. لم يذق طعمه. أو يتخذه طعاماً.

كان معناه غَرفة واحدة باليد. ومن قال غُرفة كان معناه مقدار ملء اليد.

ومعنى ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾

شربوا منه ليرجعوا عن الحرب، لأنه قد أعلمهم ذلك.

وذكر في التفسير أن القليل الذين لم يشربوا كان عدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدد أهل بدر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فلمّا جَاوَزَهُ﴾.

أي جاوز النهر هُوَ وَالَّذِينَ مَعَهُ. قيل لما رأوا قلتهم، قال بعضهم لبعض: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾.

أي لا قوةَ، يقال أطقتُ الشيءَ إطاقةً وطَوْقاً، مثل أطعت طاعة وإطاعَة وطَوْعاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ﴾.

قيل فيه قولان: قال بعضهم وهو مذهب أهل اللغة - قال الذين يوقنُونَ أنهم مُلاقو اللَّه[1] قالوا ولو كانوا شاكين لكانوا ضُلالاً كَافِرين وظننت في اللغة بمعنى أيقنت موجود.

قال الشاعر - وهو دريد:

فقلت لهم ظُنوا بالفيء مُدَجَّجٍ   سراتهم في الفَارِسي المسَرَّدِ[2]

أي أيقنوا.

وقال أهل التفسير: معنى ﴿يظنون أنهم ملاقو اللّه﴾ أي أنهم كانوا يتوهمون أنهم في هذه الموقعة يقتلون في سبيل اللّه لِقِلَّةِ عَدَدِهِمْ، وعظم عددِ عدُوِّهم، وهم أصحاب جالوت.

---

(١) ط «الذين يظنون» وهو سهو من الناسخ.

(٢) تقدم شرح البيت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

أي كم من فرقة، وإنما قيل للفرقة فئة - من قولهم فأوت رأسه بالعصا، وفأيْتُ إذَا شَقِقْتُه، فالفِئَةُ الفِرقَةُ مِنْ هذَا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابرينَ﴾.

(أي أنَّ اللَّه ينْصُرُ الصَّابِرينَ)(١)، إذا صبروا على طاعته، وما يُزْلِفُ عنده.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾.

أي أصْبُبْ علينا الصَّبرَ صبًّا، كما تقول: أفرغتُ الإنَاءَ إذا صببْتُ ما فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

معناه كسروهم وردوهم، وأصل الهزم في اللغة كسر الشيء، وثنى بعضه على بعض، يقال سقاء مَهْزُوم، إذا كان بعضه قد ثنى على بعض مع جفاف، وقَصب مُتَهزِّم، ومهْزُوم، قد كسر وشقق، والعرب تقول هَزَمتُ على زيدٍ أي عطفتُ عليه، قال الشاعر:

هزمت عليك اليوم يا بنْتَ مَالِكٍ فجُودِي علَيْنا بالنَّوالِ وأنْعِمِي(٢)

ويقال: سمعت هَزْمَةَ الرَّعْدِ، قال الأصْمَعِي كأَنَّهُ صوتٌ فِيه تشقُّقٌ:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالحِكْمَةَ﴾.

أي آتى داود عليه السلامُ الملك لأنه مَلَكَ بعد قتله جالوت وأُوتي العلم.

ومعنى﴿وعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾.

قيل مِمَّا علَّمه عَمَلُ الدُّرُوعِ ، ومنْطِقُ الطَّيْر.

---

(١) ليست في ك. وعبارتها إذا صبروا في طاعته وما يزلف لديه.

(٢) لأبي بدر السلمي - اللسان (هزم) أي عطفت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

أي لولا ما أمر اللَّه به المسلمين من حرب الكافرين لفسدت الأرض وقيل أيضاً: لولا دفع اللَّه الكافرين بالمسلمين لكثر الكُفْر فنزلت بالناس السخطة واستُوْصِل أهلُ الأرض.

ويجوز ﴿ولولا دفْعُ اللَّه﴾، ولولا دِفاعُ اللَّه.

ونُصِبَ ﴿بعضهم﴾ بدلاً من الناس، المعنى ولولا دفع اللَّه بعض الناس ببعض، ودفعُ مرفوعٌ بالابْتِدَاءِ، وقد فسرنا هذا فيما مضى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْك بِالحَقِّ﴾.

أي هذِه الآياتُ التي أَنبأْتُ بها وَأُنْبِئْتَ، آياتُ اللَّه أي علاماته التي تدُلّ على توْحيدِه، وتَثْبيتِ رسالاتِ أَنْبِيَائِه، إِذْ كان يعجز عن الإِتيان بمثلها المخلوقون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

أي وأنت من هؤلاءِ الذين قصصْتُ آياتهم، لِأَنَّك[1] قدْ أُعْطِيتَ مِنَ الآياتِ مثل الذي أُعْطُوا وزدْتَ على مَا أُعْطُوا.

ونحنُ نبين ذلك في الآية التي تليها إن شاءَ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ﴾.

﴿الرسل﴾ صفة لتلك[2] كقولك أُولئِك الرسلُ فضلنا بعضهم على بعض إِلَّا أَنَّهُ قيل تِلْك للجماعة، وخبر الابتداءِ﴿فضلنا بعضهم على بعض﴾.

ومعنى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾: أي من كلمَّهُ اللَّه.

---

(١) في ك ـ لأنك ـ تقول ـ أعطيت.

(٢) تابع ـ بدل أو عطف بيان. وسبق أن الزجاج يسمى التابع صفته.

والهاء حُذفت من الصلة لطول الاسم، وهو مُوسى ﷺ أَسْمَعَه (اللَّه)[1] كلامه من غير وحي أتاه به عن اللَّه مَلَكٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى بنَ مَرْيَم البَيِّنَاتِ﴾.

أي أعطيناه. والبينـاتُ الحُجَجُ التي تَدُلُّ على إثبات نُبُوَّته ﷺ من إبراء الأكْمه والأبرص وإحياءِ المَوْتى والإنباءِ بما غاب عنه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾.

جاءَ في التفسير أنه يُعْنَى به محمد ﷺ أُرْسِل إلى الناس كافة، وليس شيءٌ من الآيات التي أُعطيها الأنبياء إلا والذي أُعطى محمدٌ ﷺ أكثر مِنْه، لأنه ﷺ كَلَّمتْه الشَّجرةُ، وأَطْعَمَ من كفٍّ التَّمر خلقاً كثيراً، وأمرَّ يده على شاة أمّ معبد فدرت وحلبت بعد جفاف، ومنها انشقاق القمر، فإن النبي ﷺ رأى الآيات في الأرض ورآها في السماءِ، والذي جاءَ في آيات النبي كثير.

فأما انشقاق القمر وصحته فقد روينا فيه أحاديث:

حدثني اسماعيل بن إسحق قال: حدثنا محمد بن المُنْهَال، قال حدثنا يزيد ابن زُرَيْع عن سعيد عن قُتادة عن أنس قال: سأل أهل مكة النبيَّ ﷺ آيةً فأراهم انشقاقَ القَمَرِ فِرْقَتَيْن، وحدثني مُسَدّد يرْفعه إلى أنس أيضاً مثل ذلك، ونحن نذكر جميع ما روى في هذا الباب في مكانه إن شاءَ اللَّه[2]، ولكنا ذكرنا ههنا جملة من الآيات لنُبيِّنَ بها فضل النَّبيِّ ﷺ فيما أتى به من الآيات.

ومن أعظم الآيات القرآنُ الذي أتى به العرب وهم أعلم قوم بالكلام، لهم الأشعار ولهم السجع والخَطَابةُ، وكل ذلك معروف في كلامها، فقيل لهم ائتوا بعشْر سُورٍ فعجزوا عَنْ ذلك، وقيل لهم ائتوا بسورة ولم يشترط عليهم فيها

---

(١) لست في لك.

(٢) ذكر ذلك في أول سورة القمر.

أن تكون كالبقرة وآل عمران وإنما قيل لهم ائتوا بسورة فعجزوا عن ذلك.

فهذا معنى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُم دَرَجَات﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾.

يعني من بعد الرسل: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

أي من بعد ما وضحت لهم البراهين، فلو شاءَ اللَّه ما أمر بالقتال بعد وضوح الحجة، ويجوز أن يكون «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا إقْتَتَلُوا» أي لو شاءَ اللَّه أن يضطرهم أن يكونوا مؤمنين غير مختلفين لفعل ذلك كما قال: ﴿ولو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم﴾.

أي أنفقوا في الجهاد وليُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾.

يعني يوم القيامة «والخُلَّةُ» الصداقة، ويجوز لا بيعَ فيه ولا خلةٌ ولا شفاعةٌ، ولا بيعٌ فيه ولا خلةَ ولا شفاعةَ، على الرفع بتنوين والنصب (بغير تنوين)(٢)، ويجوز لا بيعَ فيه ولا خلة ولا شفاعةَ بنصب الأول(٣) بغير تنوين وعطف الثاني على موضع الأول، لأن موضعه نصب، إلا أن التنوين حذف لعلة قد ذكرناها، ويكون دخول «لا» مع حروف العطف مؤكداً، لأنك إذا عطفت على موضع ما بعد «لا» عطفته بتنوين، تقول: لا رجلَ وغلاماً لك، قال الشاعر:

---

(١) سورة الأنعام / ٣٥ والمحذوف في الآيتين هو مفعول المشيئة وهذا معروف في هذا الفعل.

(٢) ليست في ك.

(٣) كما هي عادته يعبر عن المبني على الفتح بالنصب ـ وهو يعني فتح اسم لا.

فـلا أب وابنـاً مثـل مـروان وابنِـه إذا هُـو بـالمجـد ارتـدى أو تـأَزَّرا[1]

ومعنى: ﴿والكَافِرُون هُمُ الظَّالمُونَ﴾.

أي هم الذين وضعوا الأمر غير موضعه وهذا أصل الظلم في اللغة وقـوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّه لَا إِلَهَ إِلَا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ﴾.

يروى عن ابن عباس رحمة اللَّه عليه أنه قال: أشـرف آية في القـرآن آية الكرسي.

وإعراب﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ النصبُ بغير تنوين في ﴿إِلَه﴾.

المعنى لا إلـه لكل مخلوق إلا هُـو، وهو محمـول على موضـع الابتداء المعنى مـا إلهٌ للخلق إلا هـو، وإن قلت في الكلام لا إلـهٌ إلا اللَّه جـاز، أمـا القرآن فلا يقرأ فيه إلا بما قد قرأَتْ القراءُ بِه، وثَبَتتْ به الرواية الصحيحة، ولو قيل في الكلام لا رجلَ عندك إلَّا زيداً جاز، ولا إله إلا اللَّهَ جاز ولكنَّ الأجـودَ ما في القرآن، وهو أجودُ أيضاً في الكلام، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُم كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[2].

فإذا نصبت بعد إلا فإنما نصبت على الاستثناء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الْحَيُّ القَيُّـومُ﴾

معنى ﴿الحي﴾ الدائم البقاء، ومعنى ﴿القيوم﴾ القائم بتدبير سائر أمر خلقه، ويجوز القيَّامُ، ومعناهما واحد.

فهـو اللَّه عزّ وجـلّ قائم بتـدبير أمـر الخلق في إنْشـائِهِم وَرزْقِهمْ وعلمـه

---

(١) لرجل من بني عبد مناة يمدح مروان بن الحكم وابنه عبد الملك وتـأزر: لبس الأزار والرداء مـا فوقه، يعني أنهما لا يباريهما أحد في المجد.

(٢) الصافات ٣٧ ـ ٢٥.

بأمكنتهم وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا مِنْ دَابَةً فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾[1].

ومعنى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ أي لا يأخذه نعاس.

﴿وَلَا نَوْمٌ﴾.

وتأويله أنه لا يغفل عن تدبير أمر الخلق.

ومعنى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

أي لا يشفع عنده إلا بِمَا أمر به من دعاء بعض المسلمين لبعْض ومن تعظيم المسلمين أمْرَ الأنبياء والدعاء لهم، وما علمنا من شفاعة النبي ﷺ وإنما كان المشركون يزعمون أنَّ الأصنام تشفع لهم، والدليل على ذلك قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[2] وذلك قولهم: ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[3]، فَأَنْبَأَ اللَّهُ عزّ وجلّ أن الشفاعة ليست إلا ما أعلَم من شَفاعة بَعْضِ المؤمنين لبعض في الدعاء وشفاعة النبي ﷺ.

ومعنى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

أي يعلم الغيب الذي تقدمهم والغيب الذي يأتي من بعدهم.

ومعنى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بشيءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾.

أي لا يعلمون الغيبَ لا مِمَّا تقدَّمهُمْ ولا مما يكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ.

ومعنى: ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾: إلا بما أنبأ به ليكون دليلاً على تثبيت نبوتهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ﴾.

قيل فيه غير قول، قال ابن عباس: كرسيُّه علمه، ويروى عَنْ عطاءٍ أنه

---

(١) سورة هود ١١ ـ ٦.

(٢) الزمر (٣٩) آية ٣.

(٣) يونس (١٠١) آية ١٨.

قال: ما السموات والأرض في الكرسي إلا حَلْقَةٌ في فلاة، وهـذا القول بين لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيءُ الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، فهذا يدل أن الكرسي عظيم، عليه السموات والأرضُـونَ، والكرسيُّ في اللغـة والكراسِة إنما هو الشيءُ الذي ثبت ولزم بعضه بعضاً، والكرسي ما تَلَبَّد بعضُه على بعض في آذان الغنم ومعاطن الإبل. وقال قوم: ﴿كُرسيُّه﴾ قُدْرتُه التي بهـا يمسك السموات والأرض، قالوا: وهذا قولك إجعل لهذا الحائط كـرسياً، أي إجعل له ما يعْمِدُه ويُمسكه، وهذا قـريب من قول ابن عبـاس رحمه اللَّه. لأن علمـه الذي وسـع السموات والأرض لا يخـرج من هـذا، واللَّه أعْلم بحقيقـة الكرسي، إلا أن جملته أنه أمر عظيم من أمره ـ جلّ وعزّ.

ومعنى: ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

أي لا يُثقله، فجـائز أن تكـون الهـاءُ للَّه عـزّ وجـلّ، وجـائـز أَنْ تكـون للكرسي، وإذا كانت للكرسي فهو من أمر اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

﴿إكراه﴾ نصب بغير تنوين، ويجوز الرفع «لَا إِكْرَاهٌ» ولا يُقرأ به إلَّا أن تَثْبُت روايةٌ صحيحةٌ

وقالوا في ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ثلاثة أقوال: قال بعضهم إن هـذه نسخها أمر الحرب في قوله جلّ وعزّ: ﴿واقْتُلُوهُمْ حيْث ثَقفْتُمُـوهُمْ﴾[1] وقيل إن هـذه الآية نزلت بسبب أهل الكتاب في أَنَ لا يكـرهوا بعـد أن يؤدوا الجزيـة، فأمـا مشـركو العـرب فلا يقبـل منهم جزيـة وليس في أمرهم إلا القتـلُ أو الإسلام. وقيل معنى ﴿لا إكراه في الدين﴾ أي لا تقولوا فيه لمن دخل بعد حرْبٍ أَنَّهُ دخَل مكرهاً، لأنه إذا رضي بعد الحرب وصح إسلامه فليس بمكره.

---

(١) البقرة ٢ آية ١٩١.

ومعنى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بالطَّاغُوتِ﴾.

قيل الطاغوت مَرَدَةَ أَهل الكتاب، وقيل إن الطاغوت الشيطان، وجملته أن من يكفر[1] به، وصدق باللَّه وما أمر به فقد استمسك بالعروة الوثقى، أي فقد عقد لنفسه عقداً وثيقاً لا تحله حجة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا انْفِصَام لَهَا﴾: لا إنقطاع لها.

يقال فصمت الشيءَ أَفْصُمُه فصماً أي قطعته.

ومعنى: ﴿واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أي يسمع ما يعقد على نفسه الإنسان من أمر الإيمان، ويعلم نيته في ذلك[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

يقال قد توليت فلاناً، ووليت فلاناً ولاية، والوِلاَيَةُ بالكسر اسم لكل ما يتولى، ومعنى ﴿وَلِيَّ﴾ على ضروب، فاللَّه ولي المؤمنين في حِجَاجِهم وهدايتهم، وإقامةِ البرهان لهم لأنه يزيدهم بإيمانهم هداية، كما قال عزّ وجلّ: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى﴾[3]. ووليهم أيضاً في نصرهم وإظهار دينهم على دين مخالفيهم، ووليهم أيضاً بتولي قولهم ومجازاتهم بحسن أعمالهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلَمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

أي يخرجهم من ظلمات الجهالة إلى نور الهدى لأن أمر الضلالة مظلم غير بين، وأمر الهدى واضح كبيان النور، وقد قال قوم ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظلماتِ إِلَى النُّورِ﴾ يحكم لهم بأنهم خارجون من الظلمات إلى النُّور، وهذا ليس قولَ أهل التفسير، ولا قول أكثر أهل اللغة. إنما قاله الأخفش وحده.

---

(١) في ك: من يكفر بما خالف أمر اللّه.

(٢) في ك فيه.

(٣) سورة القتال ٤٧ آية ١٧.

والدليل على أنه يزيدهم هدى ما ذكرناه من الآية، وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً﴾[١].

ومعنى: ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُم الطَّاغُوتُ﴾.

أي الذين يتولون أمرهم هم الطاغوت «وقد فسرنا الطاغوت» و﴿الطاغوت﴾ ههنا واحد في معنى جماعة، وهذا جائز في اللغة إذا كان في الكلام دليل على الجماعة، قال الشاعر:

بِها جيفُ الحَسْرى فأما عِظامها فَبِيضٌ، وأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ[٢]

جلدها في معنى جلودها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾.

هذه كلمة يوقف بها المخاطب على أمر يعجب منه[٣]، ولفظها لفظ استفهام، تقول في الكلام: ألم تر إلى فلان صنع كذا وصنع كذا. وهذا مما أَعْلِمَه النبي ﷺ[٤] حُجَّةً على أهل الكتاب ومشركي العرب لأنه نبأٌ لا يجوز أن يعلمه إلا من وقف عليه بقراءَة كتاب أو تعليم معلم، أو بوحي من الله عزّ وجلّ: فقد علمت العرب الذين[٥] نشأ بينهم رسول الله ﷺ أنه أُمِيٌّ، وأنه لَمْ يُعَلَّمْ التوراةَ والإنجيلَ وأخبارَ من مضى من الأنبياءِ، فَلم يبق وجه تعلم منه هذه الأحاديث إلا الوحيُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ﴾.

أيْ آتى الكافرَ الملكَ، وهذا هو الذي عليه أهل التفسير وعليه يصح

(١) ليست في ك والاية سورة ٩ ـ ١٢٤.

(٢) تقدم شرحه

(٣) كلمة ﴿ألم تر﴾.

(٤) في ط علمه.

(٥) في ط الذي.

المعنى، وقال قوم إن الذي آتاه اللّه الملك إبـراهيمَ عليه السـلام وقالـوا: اللّه عزّ وجلّ لا يُمَلِكُ الكفَّارَ.

وإنما قالوا[1] هذا لذكره عزّ وجلّ: «آتاه الملك» واللّه قال:

﴿تُؤْتي المُلكَ مَنْ تَشَاءُ وتنـزع الملك مِمَّنْ تَشَاءُ، وتُعِـزُّ مَنْ تَشَاءُ وتُـذِل مَنْ تَشَاءُ﴾[2]. فتـأويل إيتاءِ اللّه الكافرَ الملكَ ضرب من امتحانـه الذي يَمْتَحِنُ اللّه به خلقه، وهو أعلم بوجه الحكمة فيه.

والدليل على أن الكافر هو الذي كـان مُلِّكَ أنه قال: ﴿أنا أُحيي وأُميت﴾ وأنه دعا برجلين فقتل أحدهما وأطلق الآخر، فلولا أنه كان ملكاً وإبراهيمُ عليه السلام غيرَ ملك لم يتهيأْ له أن يقتل وإبراهيم الملك، وهو النبي عليه السلام.

وأما[3] معنى احتجاجـه على إبراهيم بـأنه يحيي ويميت، وتـرك إبراهيم مناقضته في الإحيـاءِ والإماتـة، فمن أبلغ ما يقـطع به الخصـوم ترك الإطـالـة والاحتجاج بالحجة المُسْكِتةِ لأن إبراهيم لما قال له: ﴿فَـإِنَّ اللّه يأتي بـالشمس من المشـرق فأْت بهـا من المغـرب﴾ كـان جـوابـه على حسب مـا أجـاب في المسألة الأُولى أن يقول:[4] فأنا أفعل ذلك فَتَبَيَّن عجزُه وكان في هذا إسْكَـاتُ الكَافِرِ فقال اللّهُ عزَّ وجلّ:

﴿فَبُهِتَ الَّـذِي كَفَر﴾ وتـأويله انقطع وسَكتَ مُتحَيّـراً، يقال: بُهِتَ الـرجل يُبْهَتُ بُهْتاً إذا انقطع وتحير، ويقال بهذا المعنى «بَهِتَ الرجل يَبْهَتُ»[5]، ويقال بَهَتُّ الرجل أَبْهَتُه بُهْتاناً إذا قابلتُه بكذبٍ.

---

(١) في ط الذي قالوا.

(٢) سورة آل عمران ٣ آية ٢٦.

(٣) في ك فأما.

(٤) كان مقتضي الإجابة الأولى أن يقول هنا: أنا آتي بالشمس من المغرب، ولكنه لا يستطيع فتبين عجزه.

(٥) عبارة ك: ويقال بهت بهذا المعنى، بهت الرجل وبهت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أو كَالَّذِي مَرَّ على قَرْيةٍ﴾.

هـذا الكلام معطُوف على معنى الكـلام الأول، والمعنى - واللَّه أعلم - أرأيت كالذي مـرَّ على قَريـةٍ، والقريـة في اللغة سميت قـرية لاجتمـاع الناس فيها، يقال قَرَيْتُ المَاءَ في الحوضِ إِذَا جمعتُه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهِيَ خَاوِيةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

معنى ﴿خاوية﴾: خالية - و ﴿عروشها﴾ - قال أبو عبيدة: هي الخِيَامُ وهي بيوت الأعـراب، وقال غير أبي عبيدة: معنى ﴿وهي خاوية على عروشهـا» بَقِيَتْ حيطانُها لا سُقُوف لها. ويقال خَوتِ الدار والمدينة تخْوي خَـواءً - ممدود - إذا خلت من أهلها، ويقال فيهـا: «خَوِيَتْ» والكـلام هو الأول - ويقـال للمرأة إذا خَلاَ جوفُها بعدَ الولادةِ وللرجل إذا خَلا جوفُـه من الطَّعـام - قدْ خـوِيَ وَيَخْوَى خَوًى - مقصور - وقد يقال فيه خَوَى يخْوِي - والأولُ فِي هَذَا أجود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بعْدَ مَوْتِهَا﴾.

معناه منْ أَيْنَ[1] يُحيِي هَذه اللَّهُ بعْدَ مَوْتهَا.

وقيـل في التفسير إنـه كان مؤمنـاً وقد قيـل إنه كـان كافـراً، ولا ينكر أن يكون مُؤمناً أحبَّ أن يـزداد بصيرة في إيمـانه فيقـول: ليت شعري كيف تُبْعَثُ الأموات كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّه مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَه﴾.

معناه ثم أحياه لأنه لا يُبْعث ولا يتصرف إلا وهو حي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾.

---

(١) الاستفهام على هذا يعني الاستبعاد - وفي الشرح الآتي فسره بكيف ومعناه التعجب وهو أولى.

يقـرأ بتبيين الثَّاءِ، وبـإدغـام الثـاءِ في التـاءِ، وإنمـا أدغمت لقـرب المخرجين.

ومعنى: ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ أنه كان أُميت في صدر النهار ثم بعث بعـد مائـة سنة في آخـر النهار، فـظن أَنَّ مقـدار لُبثه مـا بين أول النهـار وآخره، فأعلمه اللَّه أنه قد لبث مائة عام وأراه علامة ذلـك ببلَى عظام حمـاره، وأراه طَعَامَه وشَرَابه غير متغير وأراه كيف ﴿يُنْشِـزُ العِظَامَ، وكيف تُكْتَسَى اللحمَ﴾ فقال:

﴿فَٱنْظُر إِلَى طَعَامِكَ وشَرَابكَ لَمْ يَتَسنَّه﴾.

يجـوز بإثبـات الهـاءِ وبـإسقـاط الهـاءِ[1] في الكـلام، ومعنـاه لم تغيـره السنـون، فمن قال في السنـة سانهت فـالهاءُ من أصـل الكلمة، ومن قـال في السَّنَة سَانَيت فالهاءَ زيدت لبيان الحركة، ووجـه القراءَة على كـل **حال إثبـاتُها** والوقوفُ عليها بغير وصل[2] فمن جَعَلَهُ سانيت ووصلها إن شاءَ أو وقفهـا على من جعله من سانهت، فأما من قال: إنه من تغير من أَسِنَ الطعام يأسَنُ فخطأٌ. وقد قال بعض النحويين إنه جـائز أن يكون من (التغيير)[3] من قـولك من حمـإٍ مسنون وكأن الأصل عنده «لم يتسنن» ولكنه أبدل من النون ياءً كما قال:

تقضـي البـازي «إذا البـازي كَشَـرْ»[4].

---

(١) ك من الكلام.

(٢) ك. الوقوف عليها بهاء السكت. أي فـإذا وصـلت كـلامـك أسقطتهـا من لفظك فقلت لم يتسن، وانظر ومن جعله من سنهت أثبت الهاء في لفظه وقف أو وصل.

(٣) ليست في ط.

(٤) العجـاج اللسان. (قضض، ضبـر). وانظر ص ٢٣٤ يمـدح عمـر بـن عبـد الله بن معمر القرشي:

لقـد سمـا ابن معمـر حين اعتـمـر ....

إذا الـكـرام ابـتـدروا الـبـاع بـدر تقضـي البـازي إذا البـازي كـشـر

يريد تقضض، وهذا ليس من ذاك لأن «مسنون» إنما هو مَصْبُوب على سنة الطريق[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وانْظُرْ إلى العِظام كيْف نُنْشِزُها﴾.

يقرأ ﴿نُنْشِزُها﴾ بالزاي، ونُنْشِرُها، ونَنْشُرُهَا [بالراءِ] فمن قرأ نُنْشِزُها كان معناه نجعلها بعد بِلاها وهجودها ناشزه ينشز بعضها إلى بعض، أي يرتفع، والنَّشَزُ في اللغة ما ارتفع عن الأرض، ومن قرأ نُنْشِرُها، ونَنْشُرُها، فهُو من أَنْشَر اللَّه الموتى ونشرهم - وقد يقال نَشَرهم اللَّه أي بعثهم، كما قال: ﴿وإليه النُّشُورُ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلمَّا تَبَين له قَال أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

(معناه: فلما تبين له كيف إحياء الموتى. قال: ﴿أَعْلَمُ أن اللَّه على كل شيءٍ قدير﴾، فإن كان كلما قيل أنه كان مؤمناً، فتأويل ذكره: ﴿أعلم أن اللَّه على كل شي قدير﴾[3] ليس لأنه لم يكن يعلم قبل ما شاهد ولكن تأويله: أني قد علمت ما كنت أعلمه غيباً - مشاهدة، ومن قرأ «أعْلَمْ أن اللَّه على كل شيءٍ قدير» فتأويله إذا جزم أنه يُقْبل على نفسه فيقول: «أعْلَمْ أيها الإنسان أن اللَّه على كل شيءٍ قدير» - والرفع على الإخبار[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ إبراهيمُ ربِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيي الْمَوْتَى﴾.

وأوردها في (ضبر) بالسين. من كسر الطائر يكسر كسرا وكسورا إذا ضم جناحيه حتى ينقض - فإذا ذكرت جناحيه قلت: كسر جناحيه كسراً. يقال: انقض الطائر، وتقضض وتقضى - على التحويل.

(١) تابع الزجاج هنا أبا عبيدة وجمهور المفسرين أنه منتن.

(٢) الملك - ١٨.

(٣) ما بين القوسين ليس في ط.

(٤) أي المضارع لإخبار المتكلم عن نفسه أنه قد إقتنع.

موضع ﴿إذ﴾ نصب، المعنى أذكر هذه القصة ـ وقوله ﴿ربِّ أرِني﴾. أصله أرْإني، ولكن المجمع عليه في كلام العرب والقراءَة طرح الهمزةِ، ويجوز «أرْني». وقد فسرنا إلْقاءَ هذه الكسرة فيما سلف من الكتاب، وموضع ﴿كيف﴾ نصب بقوله: ﴿تحْيي الموْتَى﴾[1] أي بأي حال تحيي الموْتى وإبراهيم عليه السلام لم يكن شاكاً ولكنه لمْ يكن شَاهَدَ إحْياءَ ميّتٍ، ولا يعْلم كيف تجتمع العظام المتفرقةُ الباليةُ، المستحيلة[2]، من أمكنة متباينة فأحب علم ذلك مشاهدة.

ويروى في التفسير أنه كان مرَّ بجيفَةٍ على شاطئِ البحر والحيتان تخرج من البحر فتنتف من لحم الجيفة، والطيرُ تَحُط عليها وتَنْسِرُ[3] منها، ودوابُّ الأرض تأكلُ منها، ففكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة فحلَّ في حيتان البحر وطير السماءِ ودواب الأرض ثم يعود ذلك حياً، فسأل اللَّه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى، فأمره اللَّه أن يأخذ أربعة من الطير، وهو قوله عزّ وجلّ:

﴿فَصُرْهُنَّ إليك﴾.

وتقرأ فَصِرْهُنَّ إليك ـ بالضم والكسر ـ.

قال أهل اللغة: معنى صرهن أمِلْهن إليك، وأجمعهن إليك، قال ذلك أكثرُهم، وقال بعضهم: صرهن إليك أقْطَعْهن، فأما (نظير)[4] صُرهُن: أملهن وأجمعهن فقول الشاعر:[5]

---

(١) أي هي حال.

(٢) التي تحولت إلى هيئة أخرى.

(٣) تقتطع منها نتفاً.

(٤) ك فقط. وعبارتها ـ ونظير صرهن وأجمعهن قول الشاعر:

(٥) للمعلي بن جمال العبدي وجاء بعده:

يفرق بينها صدع رباع ... له ظأب كما صخب الغريم

وجـاءَت خِلْعـةٌ دهسٌ صفـايـا يصــور عنـوقَهــا أَحْـوى زَنيم

المعنى أن هذه الغنم يعطف عنوقها هذا الكبش الأحوى.

ومن قال صرت: قطعت، فالمعنى فخذ أربعة من الطير فصرهن أي قَطِّعْهُنَّ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا. المعنى إجعل على كل جبل من كل واحـد منهن جزءًا. ففعل ذلك إبراهيم عليه السلام ثم دعاهن فنظر إلى الريش يسعى بعضه إلى بعض، وكذلك العظام واللحم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكيمٌ﴾.

﴿عزيز﴾ أي لا يمتنع عليه ما يريد ـ حكيم فيما يـدبر، لا يفعـل إلا ما فيـه الحكمة.

فشاهد إبـراهيم عليه السـلام ما كـان يعلمه غيبـاً رأْيَ عينْ، وعلم كيف يفعل اللَّه ذلك. فلما قَصَّ اللَّه ما فيه البرهانُ والدِّلالَةُ على أَمر تَوْحيده. وما آتاه الرسل من البيِّنَات حثَّ على الجهاد، وأَعلن أَن من عانده بعد هذه البراهين فقد ركب من الضلال أمراً عظيماً وأن من جاهد مَنْ كَفَـر بعدَ هـذا البُرهَـان فله ـ في جهاده ونفقته فيه ـ الثوابُ العظيم، وأن اللَّه عزّ وجلّ وعد في الجنَّة عشْرَ أَمْثالِهَـا من الجهَاد. ووعد في الجهاد أَنْ يُضاعِفَ الواحد بسبع مائة مرة لما في إقامـة الحق من التوحيد[1]، وما في الكفر من عظم الفساد فقال:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموَالَهُمْ في سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

(اللسان: دهس وجاء فيه في: (ظأب) رواية أخرى هي:

يصوع عنوقها أحوى زنيم ـ. له ظأب...، وفي (صور) كما هنا ويصوع معناه يسوق أو يجمـع ـ والعنوق جمع عناق: الأنثى من ولد المعز، والأحوى ـ يقصد به التيس الذي به حوة، وهي سواد يميل إلى الحمرة والزنيم ـ الذي له زنم في عنقه. وخلعة: جماعة.

(١) ك أن الواحد يضاعف... لما في الجهاد.

أي جواد لا ينقصه ما يتفضل به من السعة، عليم حيث يضعه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتكُمْ بالْمَنِّ وَالأَذى﴾.

فالمن أن تَمُنَّ بما أعطيت وتَعْتَدَّ به كأنك إنما تقصد به الاعتداد والأذى أن تَوبخ المعطي.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن المن والأذى يبطلان الصدقة كما تبطل نفقة المنافق الذي إنما يعطي وهو لا يُريدُ بذَلك العَطاءِ ما عندَ اللَّه، إنما يعطي ليُوهِمَ أنه مؤمن[١]، وقال عزّ وجلّ:

﴿فمثلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ﴾.

والصفوان الحجر الأملس وكذلك الصفا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿عَلَيْه تُرابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾.

والوابل المطرُ العظيم القَطْر - فإذا أصاب هذا المطرُ الحجرَ الذي عليه تراب لم يبْق عليه من التراب شيءٌ، وكذلك تبطل نفقة المنافق ونفقة المنَّان والمُؤذِي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واللَّه لاَ يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرينَ﴾.

أي لا يجعلهم بكفرهم مهتدين، وقيل لا يجعل جزاءَهم على الكفر أَنْ يهديهم، ثم ضرب اللَّه لمن ينفق يريد ما عند اللَّه ولا يمن ولا يؤذي مثلاً. فقال:

﴿وَمَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي ليطلب مرضاة اللَّه وتثبيتاً من أنفسهم، أي ينفقونها مقرين أنها مما يثيب اللَّه عليها.

---

(١) في ط بعد هذا إعادة الجملة. قال: فأعلم اللَّه أن المن والأذى يبطلان الصدقة كما يبطل إنفاق هذا إعطاؤه.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ بفتح الراءِ وبرُبوة. بالضم - وبرِبْوة - بالكسر - وبِرِباوة، وهذا وجه رابع.

والـربوة مـا إرتفع من الأَرض، والجنـة البستان، وكـل مـا نبت[1] وكثف وكثر، وستر بعضه بعضاً فهو جنة - والموضع المرتفع إذا كان له ما يرويـه من الماءِ فهو أكثر ريْعاً من المستفِل، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن نفقة هؤُلاءِ المؤمنين تزْكـو كما يزكو نبْتُ هذه الجنة التي هي في مكان مرتفع.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾: وهُو المطرُ العظيمُ القَطْر.

﴿فَآتَتْ أُكُلها﴾: أي ثمرها، ويقرأُ أُكْلَهَا والمعنى واحدٌ.

﴿ضِعْفَيْنِ﴾: أَي مثلين.

﴿فإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾.

و ﴿الطل﴾ المطر الدائمُ الصِّغَارِ القَطْرِ الذي لا يكاد يسيل منه المثاعب[2].

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

أَي عليم، وإذا علمه جازى عليـه والذي ارتفـع عليه ﴿فطل﴾ [أَنَّهُ] عـلى معنى فإن لم يصبها وابل فالذي يصيبها طل[3].

وقوله جلّ ثَنَاؤه: ﴿أَيَوَدُّ أَحدُكُم أَنْ تَكُونَ لَهُ جنَّةٌ مِنَ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾.

هـذا مثـلٌ ضَـربـهُ اللَّه لهم لـلآخـرة وأَعْلَمَهُم أَنَّ حـاجتهم إِلَى الأَعمـال الصَّالحة كحاجة هذا الكبير الذي له ذُرِّيَّة ضُعفاءُ، فإن احترقت جنتـه وهو كبـير وله ذرية ضعفاءُ انقطع بـه، وكذلـك من لم يكن له في الآخـرة عمل يـوصله إلى

---

(١) ك: كل نبت كثف.

(٢) الجداول الصغيرة. - جمع مثعب.

(٣) أي هو معطوف على الفاعل.

الجنة فَحسْرتُه في الآخرة ـ مع عظيم الحسْرة فيها ـ كَحَسْرة هذا الكبيرِ المنقَطَعِ به في الدنيا.

ومعنى: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾.

الإعصار الريح التي تهب من الأَرض كالْعَمُود إلى نَحْو السَّماءِ وهي التي تسميها الناس الزَّوْبَعَةَ، وهي ريح شديدة، لا يقال إنها إعصار حَتَّى تهبَّ بِشدَّةٍ، قال الشاعر:

إنْ كنْتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعْصَاراً[١]

ومعنى: ﴿كذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآياتِ﴾.

أي كهذا البيان الذي قد تبين الصَّدَقَة والجهاد وقصة إبراهيم ـ عليه السلام ـ والذي مرَّ على قرية، وجميع ما سلَف من الآيات أي كَمَثل بيان هذه الأَقاصيص ﴿يبيِّنُ اللَّه لكم الآيات﴾، أي العَلاَمَات والدّلالات التي تَحْتَاجُون إليها في أمْر توحيده، وإِثْبَات رسالات رسله وثوابه وعقابه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقوله تبارك إسمه: ﴿أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الأَرضِ﴾.

فالمعنى أَنفقوا من جَيِّد ما كسبتموه من تجارة، ومن وَرِقٍ وعين، وكذلك من جَيد الثمار، ومعنى ﴿أَنفقوا﴾: تصدقوا وكان قوم أَتوا في الصدقة برديءِ الثمار.

ويروى عن النبي ﷺ أنه أَمر السعاة الا يُخَرِّصَ الجُعْرُورَ وَمِعَى الفارة[٢]

---

(١) مثل عربي في اللسان «عصر».

(٢) الجعرور ضرب من التمر صغار لا ينتفع به ومعي الفارة نوع من النخيل رديء الثمر.

وذلك أنها من رديءِ النخل، فأُمر ألا تخرص عليهم لئلا يعتلوا به في الصدقة[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾.

أي لا تقصدوا إلى رديءِ المال، والثمار فتتصدقوا به، وأنتم (تعلمون أنّكم)[2] لا تأْخذونه إلا بالإغماض فيه.

ومعنى: ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾.

يقول: أنتم لا تأْخذونه إلا بوَكْسٍ[3]. فكيف تعطونه في الصدقة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

أي لم يأْمركم بأن تتصدقوا من عَوَزٍ. ولكنه لاختبَاركم، فهو حميد على ذلك وعلى جميع نعمه. يقال قد غَنِيَ زيد يغنى غِنًى - مقصور - إذا استغنى، وقد وقد غَنِيَ القومُ إذا نَزَلوا في مكان يقيهم، والمكان الذي ينزلون فيه مَغْنًى، وقد غَنَّى فلان غِنَاء إذا بالغ في التطريب في الإنشاد حتى يستغنى الشعر أن يزاد في نغمته، وقد غنيت المرأة غُنْيَاناً. قال قيس بن الخطيم:

أَجَدَّ بعمرة غُنْيانُها ... فتهجرَ أم شأْننا شأْنُها[4]

غُنْيانها: غِنَاها. والغواني: النساءُ، قيل إنهن سمين غواني لأنهن غَنِينَ بجمالهن. وقيل بأَزواجهن.

وقوله جلّ وعلا: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾.

---

(١) يخرجون صدقاتهم عنها.

(٢) ط فقط.

(٣) الوكس: النقص ووكس الشيء نقص. أي لا تأخذونه إلا مغبونين منقوصاً حظكم.

(٤) الأغاني ٣ - (١٢ - ١٣) ط دار الكتب. يريد أبطرها الثراء والغنى.

وقيس بن الخطيم بن عدي - فارس فاتك: قتل أبوه وجده - وكان قاتل أبيه من الخزرج: وكان قيس طفلاً فلما كبر ثأر لهما - وعمرة هذه هي أم النعمان بن بشير عمرة بنت رواحة، ترجمتها في الاصابة حـ ٨ ص ١٤٦.

يقال الفقْر والفَقْر جميعاً، والمعنى أنه يحملكم على أن تؤدوا في الصدقة رديءِ المال يخوفكم الفقْرَ بإعطاءِ الجَيِّدِ - ومعنى ﴿يعدكم الفقر﴾: يعدكم بالفقر ولكن الباءَ حذفت. وأَفْضَى الفعل فنصب كما قال الشاعر: (١)

أمرتُك الخيرَ فافعل ما أُمرت به فقد تركتُك ذا مالٍ وذا نَشَب

ويقال وعدته أَعده وَعْداً وعِدةً ومَوْعِداً ومَوْعِدَةً ومَوْعُوداً وموعودة.

ومعنى: ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بالفَحْشَاءِ﴾.

أي بأن لا تَتَصَدَّقُوا فَتَتقاطَعُوا.

ومعنى: ﴿واللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرةً مِنْه وَفَضْلاً﴾.

أي يَعِدُكُمْ أن يُجازيكم على صَدقَتكم بالمغْفرةِ، ويَعِدُكم أن يُخْلِفَ عَلَيْكُمْ.

ومعنى: ﴿واللَّهُ وَاسِعٌ عليمٌ﴾.

﴿واسع﴾ يعطي من سعة، و ﴿عَليمٌ﴾ يعْلَم حيثُ يضَع ذَلك، ويعلم الغيبَ والشَّهادَةِ.

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يشَاءُ﴾.

معنى ﴿يؤْتي﴾ يعطي، و﴿الحكمة﴾ فيها قولان: قال بعضهم [هي] النبوة، ويُرْوَى عن ابن مسعود أَن الحكمة [هي] القرآنُ، وكفى بالقرآن حِكْمةً، لأن الأُمَّةَ بِهِ صارت علماءَ بعد جهل، وهو وصلة إلى كل علم يُقَرِّب منَ اللَّهِ عزّ وجلّ: وذَريعةٌ إلى رحمته، ولذلك قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ يؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيراً كَثِيراً﴾.

---

(١) ينسب لعدد من الشعراء - الأعشى وخفاف بن ندبة وإياس بن عامر وأعشى طرود والعباس بن مرداس - والمشهور أنه لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.

أنظر الكامل ١ - ٣٣ ت أبو الفضل، والخزانة ١ - ٦٦٤ - ١٦٦ والكتاب - ١ - ١٢ باريس. ١٢ - ١٧ ط القاهرة. وابن الشجري ٢ - ٢٤١ وفي كثير من الكتب.

أي أُعْطِيَ كل العلم، وما يوصل إلى رحمة اللَّه، و﴿يُؤت﴾ جزم بِمَن، والجواب﴿فَقَدْ أُوتِيَ خيراً كَثيراً﴾

ومعنى﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إلاّ أُولو الألْبَابِ﴾.

أي ما يفكر فكراً يذكر به ما قص من آيات القرآن إلا أُولو الألباب، أي ذَوُو العُقول. وواحد الألبَاب لُبّ، يقال قد لَبِبْتَ يا رجُل[1] وأنت تَلَبُّ، لَبَابَة ولُبًّا، وقرأتُ على مُحمَّدٍ بن يزيدَ عن يونس: لَبُبْت لَبَابَةً. وليس في المضاعف على فَعُلْتُ غيرُ هذا[2]، ولم يروه أحد إلا يونسَ، وسألت غير البصريين عنه فلم يَعْرِفْهُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أو نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُه﴾.

أي ما تصدقتم به من فرض لأنه في ذكر صدقة الزكاة وهي الفرض والنذر: التطوع، [و] كل ما نوى الإنسانُ أن يتطوع به فهو نذر.

﴿فإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾: أي لا يخفى عليه فهو يجازي عليه، كما قال جلّ ثَناؤه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَره﴾[3] - يقال نذرت النَّذْرَ أنذِرُه وأنْذُرُه[4]، والجميع النُّذُورُ، وأنْذَرْتُ القَوْمَ إذا أَعْلَمْتُهُمْ وخَوَّفْتُهم إنْذاراً ونَذِيراً ونُذُراً. قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِير﴾[5]، وقال جل ثناؤه: ﴿فكيف كَانَ عَذَابِي وَنُذُر﴾[6].

النُّذُر مثل النُّكُر، والنَّذِير مثل النَّكِير.

---

(١) كعلم يعلم.

(٢) إن كان بمعنى صار ذا لب كحَسُن أي صار ذا حسن فهو قياس جائز. ولكن لم يأت في المصنف.

(٣) الزلزلة ٩٨ - ٧.

(٤) كضرب وكنصر.

(٥) سورة الملك ٦٧ - ١٧.

(٦) سورة القمر ٥٤، ١٦، ١٨، ٣٠.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

معنى ﴿إِنْ تُبْدوا﴾: تُظْهِرُوا، يُقَالُ بَـدَا الشيءُ يبدو إِذَا ظَهـرَ، وأَبْدَيتُـه أَنَـا إِبْدَاءً، إِذَا أَظهرته، وبدا لي بُدَاءٌ إِذا تَغيَّر رأيِي عمّا كان عليه، و﴿تُبْدوا﴾ جُـزِمَ بـإِنْ، وقولـه: ﴿فَنعمَّـا هي﴾[1] الجـواب، وروى أبـو عُبَيْـدٍ أَنَّ أَبَـا جَعْفَـر[2] وشَيْبَةَ[3] ونافعاً وعاصماً وأبا عمرو بن العلاءِ قرأوا: ﴿فنِعْمَّا هي﴾ «بكسـر النون وجزم العين وتشديد الميم»، وروى أن يحيى[4] بن وثَّاب، والأَشْمس وحمـزة

(١) في ب نعم.

(٢) هو يزيد بن القعقاع الإمام أبو جعفـر المخزومي، تـابعي مشهور أحـد القراء العشـرة، قرأ على عبـد الله بن عياش، وعبـد الله بن عباس وأبي هـريرة، وروى الحـديث عنهم، أُحْضـرَ إلى أم سلمة زوج رسول الله ﷺ وهو صغير فمسحت على رأسه ودعت له بالبركـة، وصلى بابن عمر، وظل يقرىء بالمدينة قرابة ثمانين عاماً، لأنه أقرأ قبل موقعـة الحرة ومـات سنة ١٣٠، أو ١٣٢، وممن قرأوا عليه نافع بن أبي نعيم وعبـد الرحمن بن زيـد بن أسلم وابناه إسمـاعيل ويعقـوب، كما قرأت عليه ابنته ميمونة وزوجها شيبة، لُقِّبَ القارىء لأنه كان إمام المـدينة في القـراءة مدة طويلة، وكان يُقَدَّمُ على عبد الرحمن بن هرمز وهو أيضاً من العُبَّاد ـ ظل زمناً يصوم يومـاً ويفطر يَوْماً ليروض نفسه على العبادة، وكان يصلي في جوف الليل ثمـاني ركعات يقـرأ في كل ركعـة سورة من طوال المفصّل، ورُؤي على صدره يوم موته دائرة بيضاء في بياض اللبن فقال أصحابه إنها نور القرآن، وللناس فيه عقيدة حسنة. وهو مولى ابن عياش. أنظر غاية النهاية ٣٨٨٢.

(٣) هو شيبة بن نصاح من قراء التابعين، تلميذ أبي جعفـر وخَتَنُه ومقـرئ المدينـة معه، كمـا كان قاضي المدينة.

مولى أم سلمـة دعـت لـه هي والسيدة عائشة أن يعلمه الله القرآن، ولفضله وقرآنه قـدم ليصلي على السيدة سكينة. أدرك الصحابة، وعرض قراءته على عبد الله بن عباس، وعرض عليه نافع قراءته، كما عرض عليه أبو عمرو بن العلاء وإسماعيل بن جعفر وأخته ميمونة ـ زوج شيبة.

وهو أول من ألف في الوقف في القرآن، وكان كتابه مشهوراً متداولاً، تـوفي شيبة سنـة ١٣٠ في أيام مروان بن محمد. غاية النهاية ١٤٣٨/٥.

(٤) من التابعين والأعلام العباد الكثيري الصلاة روى عن ابن عمر وابن عباس، وتعلم من عبيد بن فضلة آيـة آية، وعـرض عليه من مشهـوري القراء، الـدّاني، وأبو عمـرو، وأبـو عبـد الـرحمن السلمي. وكـان مقريء أهـل الكـوفـة في عصـره، وأشهـر قـرائهـا الـثـلاثـة ـ هـو، وعـاصم، والأعمش، وكلهم أسديون بالولاء ـ كـان لحسن قراءتـه إذا قرأ لا تُحَسُّ بـالمسجد حـركة كـان

والكسائِيَّ قرأُوا: «فنَعِمَّا» هي ـ بفتح النون وكسر العين.

وذكر أبو عُبَيْدٍ أنَّه رُويَ عن النبي ﷺ قوله لابن العاص: نعْمًا بالمال الصَّالح للرجل الصَّالِح. فذكر أبو عبيدٍ أنه يَخْتَار هَذه القراءَة من أجل هذه الرِّوَاية.

ولا أَحسب أَصحابَ الحديث ضَبَطُوا هذَا، ولا هذه القراءَةَ عند البصريين النحويين جائزةً البتة، لأَن فيها الجمعَ بينَ ساكنين من غير حرف مَدٍّ ولين.

فأما مَا قَرأنَاه من حرف عاصمْ رواية أَبي عمرو﴿فنِعِمَّا هِي﴾، بكسر النون والعين، فهذا جَيِّدٌ بَالغٌ لأَن ههنا كسرَ العينِ والنونِ، وكذلك قراءَة أَهلِ الكوفة «نَعِمَّا هي» جَيِّدة لأَن الأَصل في نِعْمَ نَعِمَ ونِعِمَ. ونِعْمَ فيها ثلاث لغاتٍ، ولا يجوز مع إدغام الميم نِعْمًا هي. و«ما» في تأْويل الشَّيءِ زعم البصريون أنَّ نِعِمَّا هي: نعْمَ الشَّيءُ هِيَ. وقد فسرنا هذا فيما مضى[1].

ومعنى: ﴿وإن تُخْفُوهَا وتُؤْتُوها الفُقَرَاءَ فَهُو خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

هذا كان على عهد رسول اللّه ﷺ فكان الإخفاء في إيتاءِ الزكاة أَحْسَن، فأَمَّا اليومَ فالناس يُسِيئون الظن، فإظهارُ الزكاة أَحسنُ، فأَمَّا التَّطوع فإخفاؤُه أَحسن، لأَنه أَدل على أنه يريد اللّهَ به وحده، يقال أَخفَيْتُ الشيءَ إخفاءً إذا سَتَرْتُهُ، وخَفِي خَفَاءً إذا اسْتَتَر، وخفَيْتُه أَخْفِيه خَفْياً إذا أَظْهَرْتُه، وأَهل المدينة يسمُّون النَّبَّاشَ: المُخْتَفِي[2]، قال الشاعر في خفيته أَظهرته:

ليس به أحد. وهو قرأ على علقمة، وعلقمة قرأ على ابن مسعود.

توفي سنة ١٠٣ (غاية النهاية ٣٨٧١ حـ ٢ ـ ٣٨٠).

(١) ص ١٧٢.

(٢) من خَفَى الشيءَ واختفاه خفياً وخفياً إذا أظهره واستخرجه ـ فهو مختف أي مُسْتَخْرِج.

فـإنْ تَـدفِنُـوا الـداءَ لا نَخْفِـه وإن تَبْعَثُـوا الحرْبَ لا نَـقْعُـدِ(١)

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾.

معناه إنما عليك الإبلاغ كما قال ـ جلّ وعزّ ـ ﴿ولاَ تُسْأَل عن أصحاب الجحيم﴾(٢).

ومعنى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أي يوفق من يشاءُ للهداية، وقال قوم: لَوْ شاءَ اللَّه لهداهم أي لاضطرهم إلى أن يهتدوا ـ كما قال: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(٣). وكما قال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ولَوْ شَاءَ اللَّهُ لجَمَعهُم عَلَى الهُدى﴾(٤) وهذا ليس كذلك. هذا فيه: ﴿ولكن اللَّه يهدي من يشاءُ﴾. فَلاَ مُهتديَ إلاَّ بتوفيق اللَّه ـ كما قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إلاَّ باللَّه﴾(٥).

ومعنى: ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إلاَّ ابْتِغَاءَ وجْهِ اللَّهِ﴾.

هذا خاص لِلْمُؤْمِنِينَ، أَعْلمهم أنه قد عَلِم أنهم يريدون بِنَفقتهم ما عند اللَّه جلّ وعزّ، لأنه إذا أعلمهم ذلك فقد علموا أنهم مثابون عليه، كما قال: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَهُوَ خيرٌ لَكُم ويُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

الرفع في ﴿يُكَفِّرُ﴾ والجزمُ جائزان، ويقرأ ـ ونُكفر عنكم ـ بالنون والياءِ، وزعم سيبويه أنه يَخْتَار الرفعَ في ويُكَفِّرُ، قال لأن ما بعد الفاءِ قد صار بمنزلته

(١) هو لامرىء القيس يتوعد قتلة أبيه. معاني القرآن للفراء ٢ ـ ١٧٧ أمالي المرتضى ٢ ـ ١٣ ـ وابن يعيش ـ لا تخفه: لا تظهره.

(٢) البقرة / ١٠٨.

(٣) سورة الشعراء ٢٦ ـ ٤.

(٤) الأنعام ٦ ـ ٣٥.

(٥) هود ١١ ـ ٨٨.

في غير الجزاءِ[1]، وأجاز الجزمَ على موضع فهو خير لكم لأن المعنى يكن[2] خيراً لكم، وذكر أن بعضهم قرأ: «مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ويَذَرْهم» بجزم الراءِ، والاختيار عنده الرفع في قوله﴿ويذرهُم﴾ وفي «ونُكَفِّر»قال: فـأما النصب فضعيف جـداً، لا يجيزُ ونكفـرَ عَنْكم»[3] إلا على جهة الاضـطرار، وزعم أنه نحو قول الشاعر[4].

سَـأتـركُ مَنـزلي لبَني تَميمٍ ... وألْحقَ بـالحجـاز فـأسْتـريحَا

إلا أن النصب أقوى قليلاً لأنه إنَّمَا يَجبُ به الشَّيءُ بوجُوبِ غيره فضارع الإستفهامَ وما أشبَهَهُ.

هذا قول جميع البصريين وهو بين واضحٌ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لِلْفُقَراءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا في سَبِيل اللَّهِ﴾.

فُقراء جمع فقير مثل ظريف وظُرَفَاء، وقالوا في ﴿أُحْصِرُوا﴾ قولين: قالـوا أحْصَرهم فرضُ الجهاد فَمَنَعَهُم من التَّصرُّفِ[5]. وقالوا أحصرهم عَدُوُّهُم لأنَّـه شَغَلَهُمْ بِجِهادِهِ،ومعنى﴿أُحْصِرُوا﴾ صاروا إلى أنْ حصروا أنفسهم للجهـاد، كما تقول رَابَطَ في سبيل اللَّه.

ومعنى: ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) الفاء وقعت في جواب الشرط، فما بعدها لا يستحق أن يجزم لأن الفعل معطوف على ما بعد الفاء.

(٢) في الأصل يكون.

(٣) في الأصل ـ ويكفر.

(٤) ينسب لرجل من تميم، وهو في كتاب سيبويه ١ ـ ٤٢٣ بدون نسبة ـ وقال البغدادي، هو للمغيرة بن حبناء بن عمرو بن ربيعة التميمي ـ شاعر إسلامي اشتهر بهجائه أخاه صخرا ـ وحبناء أمه غلب اسمها على أبيه ـ المقاصد ٤ ـ ٣٩٠ وسماه هناك ابن حنين.

(٥) الاضطراب في الأرض للبيع والشراء.

أي قد ألزموا أنفسهم أمرَ الجهادِ فمنعهم ذلك من التَّصرف وليس لأنهم لا يقدرون أن يتصرفوا. وهذا كقولك، أمرني المولى أن أقيمَ فما أقدرُ على أن أبرحَ، فالمعنى أني قد ألزَمْتُ نفسي طاعَتَهُ، ليْس أنه لا يقدر على الحَركَةِ وهو صحيحٌ سَوِيّ، ويقال ضربْتُ في الأرض ضرباً، وَضَرَبَ الفَحْلُ الناقَةَ إذا حَمَل عليها ضِراباً، والضَّرِيبُ الجليد الذي يسقط على الأرض، يقال ضَـرَبَت الأرض وجُلِدت الأرض وَجَلِدَتْ الأرض. وروى الكسائي: ضَرِبَتْ الأرضُ وجَلِدتْ، والأكثر ضَرَبَتْ وجُلِدَتْ[1].

ومعنى ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

أي يحسبهم الجاهل ويخالهم أغنياء من التعفف عن المسألة وإظهارِ التجمل.

ومعنى: ﴿لَا يَسْأَلُون النَّاس إلْحافاً﴾.

روي عن النبي ﷺ أنه قال «من سأل وله أربعون درهماً فقد ألْحَفَ» ومعنى «ألحفَ» أيِ اشتمل بالمسْألَة، وهو مستغن عنها، واللِّحَافُ من هذا اشتقاقه لأنَّه يشْمَلُ الإنْسَان في التغطية.

والمَعْنَى أنَّه ليس منهم سؤال فيكون منهم إلحاف، كما قال أمرُؤ القيس.

علـى لاَحِبٍ لا يُهْتَدى بِمَنَارِه إذا سافَه العَوْدُ الدِّيَافِيّ جَرْجَرَا[2]

المعنى ليس به منار فيهتدى بها، وكذلك ليس من هؤلاءِ سؤال فيقع فيه إلحاف.

---

(١) تكون الجليد على سطحها. وهو الضريب. وفي القاموس جلدت كفرح وأجلدت.

(٢) سافه: شَمَّهُ - العَودُ المسن من الإبل - الدِّيَّافيُّ، نسبة إلى دياف قرية بالشام. جرجرا: أخرج شقشقته وصاح. ويروي النباطي وهو الأكثر بمعنى الضخم الجسيم، واللاحب الطريق الواضح. ديوانه ٧٢ ط السندوبي. وأمالي المرتضى ١ - ١٦٥. وفي ط الديابي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ باللَّيلِ والنَّهارِ﴾ إلى قوله ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾[1].

﴿الذين﴾ رفع بالابتداء، وجاز أن يكون الخبر ما بعد الفاءِ، ولا يجوز في الكلام «زيد فمنطلق» لأن الفاءَ لا معنى لها، وإنما صلح في الذين لأنها تأتي بمعنى الشرط والجزاءِ[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلَّا كَمَا يَقوم الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ﴾.

المعنى الَّذين يأْكلونَ الرِّبَا لا يقومون في الآخرة إلَّا كما يقومُ المَجْنُون، مِنْ حَالِ جُنُونِه. زعم أَهل التفسير أَن ذلك عَلَمٌ لهُمْ في الموقِف، يَعْرِفُهُمْ به أَهل المَوْقِف، يُعْلَمُ بِهِ أَنَّهُمْ أَكَلَةُ الربا في الدنيا يقال بِفُلان مَسٌّ، وهو أَلْمَس وأَوْلَق[2] إذا كان به جنون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فمن جاءَه موْعظةٌ مِنْ ربِّهِ فانْتَهَى﴾.

جاز تذكير﴿جاءَه﴾، وقال: [تعالى] في موضع آخر ﴿قد جاءَتكم موعظةٌ من رَبِّكُمْ﴾[3] لأن كل تأنيث ليس بحقيقي فتذكيره جائز ألا ترى أن الوعظ والموعظة معبران عن معنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ وأَمْرُهُ إلَى اللَّهِ﴾.

أي قَد صُفِحَ لَه عَمَّا سَلَفَ﴿وأَمْرُهُ إلَى اللَّه﴾أي اللَّه وليه.

ومعنى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

أي من عاد إلى استحلال الربا فهو كافر، لأن من أحل ما حرم اللَّه فهو

---

(١) ﴿باللیل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم﴾.

(١) يُشبَّه الموصول بالشرط لعمومه واستقباله، فتأتي الفاء بعده.

(٢) وهذه كلها أسماء للجُنُونِ.

(٣) يونس ١٠ ـ ٥٧.

كافر، وهؤلاءِ قالوا:﴿إنَّمَا البيع مثل الربا﴾ ومن اعتقد هذا فهو كافر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

نزلت في قوم من أهل الطائف كانوا صُولحوا على أنْ وُضِعَ عَنهُمْ ما كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الربا، وَجُعلَ لَهم أن يأْخُذُوا مَا لَهُمْ مِنَ الرِّبَا وكان لهم على قوم مِنْ قُرَيْشٍ مالٌ فطالَبُوهُمْ عندَ المَحْل بالمال والرِّبَا فقالتْ تلك الفرقة[١] ما بالنا مِنْ أشقى الناس يُؤخذ منا الربا الذي قد وضع عن سائر الناس، فأمر اللَّه عزّ وجلّ - بترك هذه البقية، وأعلم أن من كان مؤمناً قَبلَ عن اللَّه أمرَه ومن أبى فهو حرْبٌ، أي كافر، فقال: ﴿فإنْ لمْ تَفْعَلُوا فأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقال بعضهم فآذِنُوا، فمن قال ﴿فأْذَنُوا﴾: فالمعنى: أيقِنُوا ومن قال فآذِنُوا كان معناه فأَعْلِمُوا كلَّ مَنْ لمْ يترُكِ الرِّبَا أنَّه حَرْب. يقال قد آذنته بكذا وكذا، أُوذنُه إيذَاناً إذا أعْلَمْتُه وقد أذِنَ به يأْذنُ إذْناً إذا عَلِمَ به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى ميْسرة﴾.

أي وإن وقعَ﴿ذُوعُسْرَةٍ﴾، ولو قرئت، وإن كان ذا عُسْرَةٍ لجاز، (أي)[٢] وإن كان المدين الذي عليه الدّينُ ذَا عُسْرةٍ، ولكن (لا يُخَالف المصحف)[٣] والرفع على [أنَّ] ﴿إنْ كان﴾، على معنى «إنْ وقع» ذو عسرة - ورفع ﴿فنظرة إلى ميسرة﴾ على فعلى الَّذِي تعاملونه نظرة أي تأْخير، يقال بعته بيعاً بِنَظِرةٍ. ومن قال فناظرة إلى ميسرة ففاعلةٌ من أسماءِ المَصَادِر[٤] نحو ﴿ليس لوقعتها

(١) من قريش، ولعل هذا كان بعد الفتح لأن النبي ﷺ إذا ذاك أعلن أن ربا الجاهلية موضوع، والطائف فتحت بعد فتح مكة كما هو معروف.

(٢) ليست في ك.

(٣) في ك فقط.

(٤) من الأسماء التي تؤدي معنى المصدر أي الحدث المجرد.

كاذبة﴾[1] ونحو ﴿تظن أَنْ يُفْعَلَ بهَا فَـاقِرة﴾[2] ـ وإنْ شئْتَ قُلتَ إلى «مَيْسُـرة» فأمَّا منْ قَرأَ «إلى مَيْسُرِهِ» على جهةِ الإضافـة إلى الهاءِ فمخـطىءٌ، لأن «ميسُر» مَفْعُل وليْس في الكلام مفعُل[3].

وزعم البصريون أنهم لا يعرفونَ مفْعُلاً إنَّما يَعْرِفُون مفْعُلَة.

فـأمرهم اللَّه بتـأخيرِ رأْس المـال بعد إسقـاط الربـا، إذا كـان المُـطَالَبُ مُعْسِراً، وأعلمهم أنَّ الصَّدقة برَأْس المالِ عَلَيْهِ أفْضَلُ.

فقال: ﴿وأَنْ تَصَدَّقُوا خيرٌ لكُم إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واتَّقُوا يَوْماً تُرجَعُون فيه إلى اللَّه ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْس مـا كَسبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

هذا يوم القيامة، ويقال إنها آخر آية نزلت من كتاب اللَّه جلّ وعزّ. كـذا جاءَ في التفسير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا إذا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾.

يقال دَايَنْتُ الرجلَ إذا عاملته بدين، أَخَـذْتُ منه وأَعـطيتُه. وتَـدايَنَّا على دايَنْتُه، قال الشاعر: [4]

دايَنْتُ لَيْلَى والـدُّيُـونُ تقضَى فمـطلت بعضـاً وأدَّت بعضـاً

ويقال دِنْت وأَدَنْتُ أي اقْترضْت، وأَدَنْتُ إذا أَقْرضْتُ. قال الشاعر:

أَدانَ وأنـبـأه الأولـون بـأَنَّ الـمُـدَان مَلِيءٌ وفـيٌّ[5]

(١) الواقعة ٥٦ ـ ١.

(٢) القيامة ٧٥ ـ ٢٥ ـ والفاقرة. الداهية، الأمر العظيم.

(٣) ورد المصدر على مفعلة فقط نحو مكرمة ومقْدرة بمعنى تكرم وقـدره، ولم يرد مَفعُل.

(٤) هو رؤبة بن العجاج ـ والبيت في العيني ٣ ـ ١٣٩، الخصائص ٢ ـ ٣٦ ومن شواهد الكشـاف ـ في الآية وفي الكتاب ٢ ـ ٣٠٠ واللسان (دان).

(٥) لأبي ذؤيب اللسان (دان) وروايته في ديوان الهزليين ١/ ٦٥ «المليء الوفى» معرفاً.

فالمعنى إذا كان لبَعْضِكم على بعْض دينٌ إلى أَجل مُسَمَّى فاكتبوه فأمر اللَّه - عزّ وجلّ - بكَتْبِ الدين حِفظاً مِنْه للأَمْوال، وكذلك الإشهاد فيها وللنَّاسِ من الظُّلْمِ لأن صاحب الدَّيْنِ[1] إذا كانت عليه الشُّهُودُ والبَيِّنَةُ قَلّ تحديثُه نفسَه بالطَّمَع في إذْهَابِهِ.

فأمر اللَّه - جلّ وعزّ - بالإشهاد والكِتَابِ».

قال بعض أهل اللغة هذا أدب[2] من اللَّه عزّ وجلّ وليس بأمر حَتْمٍ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وإِذَا حَلَلْتُم فاصْطادوا﴾[3] - فليس يجب كُلَّما يحل من الإحرام أن يصطاد[4]، وكما قال: ﴿فإذا قُضيَت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾[5].

وهذا خلاف ما أَمَرَ اللَّه به في كتاب الدين والإشهاد لأن هذين جميعاً إباحة بعد تحريم [6] - قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ ما دُمْتُمْ حُرُماً﴾[7] وقال: ﴿لا تَقْتُلوا الصَّيْدَ وأَنتُم حُرُم﴾[8] ثم أباح لهم - إذا زال الإحرام - الصيدَ «وكذلك» قال: ﴿إذا نُودِيَ للصلاة مِنْ يَومِ الجُمعةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا البَيْعَ﴾[9] فَأَبَاحَ لَهُمْ بَعْدَ انْقِضَاءِ الصَّلاةِ الابتغاءَ مِنْ فَضْلِهِ، والانتشارَ في الأَرض لِمَا أَرادوا من بيعٍ وغَيْره. وليست آيةُ الدَّيْنِ كذلك، ولكن الذي رخص في ترك الإشهاد في قول قوم قوله: ﴿فإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمانَتَهُ﴾[10].

أَيْ يَكْتب بالحَقّ، لا يكتب لصاحب الدين فضلاً على الذي عليه الدين ولا يُنْقِصُه مِنْ حقِّه - فهذا العدْل.

---

(١) المتَّصفُ به، أي المدين.

(٢) في الأصل إذن - والمثبت رواية ك، ط.

(٣) المائدة ٥ - ٢.

(٤) في الأصل يحلون - يصطادوا.

(٥) الجمعة ٦٢ - ١٠ - والأمر فيها جميعاً للإباحة.

(٦) في ك بغير تحريم.

(٧) المائدة ٥ - ٩٦.

(٨) المائدة ٥ - ٩٥.

(٩) الجمعة ٩.

(١٠) البقرة ٢ - ٢٨٣.

ومعنى: ﴿ولاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾.

أي لا يـأب أَنْ يكتب كما أمـره اللَّه به من الحق، وقيـل ﴿كما علمه اللَّه فليكتب﴾، أي كما فضله اللَّه بالكتاب فلا يَمْنَعَنَّ المَعْـرُوفَ بكتَابِـهِ. وأَبى يأْبَى في اللغة منفردٌ لَم يَأْتِ مِثْلُه إلا قَلَى يَقْلَى، والذي أَتَى أَبَى يأْبى لا غير - فَعَل يَفْعَـل، وهذا غيـر معروف إلا أَن يكـون في موضـع العين من الفعل أو الـلام حـرف من حـروف الحلق، وقـد بيَّنـاهـا، ولكن القـول فيـه أَن الألف في أبى أَشْبَهَت الهَمْـزَة فَجاءَ يَفْعَـل مفْتُوحـاً لِهَذِهِ العِلَّةِ، وهـذا القـول لإسمـاعيـل بن إسحق(١) ومثله قلى يلـقى(٢).

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً﴾ أي لاَ يَنْقُصْ مِنْهُ شَيْئاً.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿فـإِنْ كَـانَ الَّـذِي عَلَيْـهِ الحَقُّ سَفِيهـاً أَوْ ضَعِيفـاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾.

السفيه الخفيف العقل، ومن هذا قيل تسفهت الريح الشيء إذا حـركته، وإستخفته، قال الشاعر:(٣)

مشين كما اهتزت رماح تسفهت أعاليها   مـر الـريـاح الـنـواسـم

---

(١) إسماعيل بن إسحق من أسرة آل حماد، موالي آل جرير بن حازم ولد ونشأ بالبصرة ثم استـوطن بغـداد. جمع علم القـرآن والحديث والفقـه والكلام وعلوم اللسـان - كان من نـظراء المبرد في علم كتاب سيبويـه - كان شيخ المالكيـة في زمانـه - وقال المبـرد: لولا اشتغـاله بـرئاسـة الفقه والقضـاء لذهب بـرئاستنـا في النحو والأدب. ألف كتبـاً كثيرة ولـه كتاب في أحكـام القرآن ولم يُسْبَق إليـه، وكتاب في معـاني القرآن. تـوفي سنة ٢٨٠ هـ. لـه ترجمـة في الديبـاج المـذهب ص ٩٢ ط ١٩٢٩، وفي غاية النهاية ١٥٤ - وانظر ص ٩٦ فيما سبق.

(٢) ليست في ك.

(٣) ذو الـرمة. والبيت في ديـوانه ٦١٦، اللسـان «سفه» - يصف نسـوة - ورماح: أغصـان وتسفهت أمالت - والنواسم الضعيفة والبيت أيضاً في القرطبي ٣ - ٣٨٦.

فالنساء والصبيان[1] اللاتي لا يميزن تميزاً صحيحاً سفهاء، والضعيف في عقله [سفيه] والذي لا يقدر على الإملاءِ العيي.

وجائز أن يكون الجهول سفيهاً كهؤلاءِ.

ومعنى: فليملل وليه بالعدل: أي الذي يقوم بأمره، لأن اللَّه أمر ألا نؤتي السفهاء الأموال. وأمر أن يقام لهم بها فقال:

﴿وارزقوهم فيها واكسوهم﴾[2].

فوليه الذي يقوم مقامه في ماله لو كان مميزاً.

وقال قوم: ولي الدَّيْنِ. وهذا بعيد: كيف يقبل قول المدعي، وما حاجتنا إلى الكتاب والإشهاد والقول قوله:

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَين مِن رِجَالِكُمْ﴾.

معنى رجالكم من أهل ملتكم[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَرَجُلٌ وامْرَأَتَانِ ممَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

أي فالذي يشهد - إن لم يكن - رجلان[4] - رجل وامراتان ومعنى ﴿ممن ترضون من الشهداءِ﴾، أي ممن ترضون مذهبه، ودل بهذا القول أن في الشهود من ينبغي ألا يرضى.

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾.

مَنْ كسر ﴿أَنْ﴾ فالكلامُ علِى لَفظ الجَزَاءِ، ومعناه: المعنى في «إنْ تضِلَّ» إن تَنْسَى إحداهما، تذكرْهَا الذَّاكرةُ فَتَذْكر. و «فَتُذَكِّرُ» رُفِعَ مع كسر «إِنْ» لا

---

(1) ك الصبيان والنساء.

(2) سورة النساء ٤ - ٥.

(3) ك معناه من أهل دينكم.

(4) ذكر المثنى بالرفع على معنى إن لم يوجد.

غير[١] ـ ومن قرأ أن تَضِلَّ فَتُذَكِّرَ، وهي قراءَة أكْثرِ الناس، فَزَعَمَ بعضُ أهل اللغة فيها أن الجزاء فيها مقدَّم (أصله التأخير)[٢] وقال: المعنى: استشهدوا امرأتين مكان الرجل كي تُذَكِّرَ الذاكرة الناسِيَةَ إن نَسِيَتْ. فلما تقدَّم الجزاءُ اتصلَ بأول الكلام وفُتِحَتْ أنْ وصارَ جوابهُ مردُوداً عليه، ومثله إني لَيُعْجِبُني أن يَسْألَ السَّائلُ فيعطى، قال والمعنى إنَّما يُعجبُه الإعطاء إن سَألَ السَّائِل وزعم أن هذا قول بين.

ولستِ أعرف لِمَ صار الجزَاءُ إذَا تقدَّم ـ وهو في مكَانِه[٣] أو في غير مكانِه وجب أن يفتح أن[٤] [معه].

وذكر سيبويه والخليل وجميع النحويين الموثوق بعلمهم أن المعنى استَشْهدوا إمرأتين لأن تُذَكِّرَ إحداهما الأُخرى، ومِنْ أجْل أنْ تُذَكِّرَ إحداهما الأُخرى، قال سيبويه: فإن قال إنْسَانٌ فلم جاز ﴿أن تضل﴾ وإنما أعدَّ هذا للإذْكار، فالجواب أن الاذكار لمَّا كانَ سَبَبُه الإضْلال جاز أن يذكر ﴿أنْ تضل﴾، لأن الإضلال هو السبب الذي أوجب الاذكار، قال ومثله: أعددت هذا الجذع أن يَمِيلَ الحائطُ، فأدعمَهَ، وإنما أعددته للدَّعم لا لِلْمَيل، ولكن الميلَ ذُكرَ لأنَّه سَبَبُ الدعم، كما ذكر الإضْلال لأنَّه سبب الاذكار ـ فهذا هو البيِّن إن شاءَ الله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إذا مَا دُعُوا﴾.

---

(١) ورفع المضارع إما لأن جواب الشرط محذوف دل عليه ما تقدم، وإما لأن الفاء واقعة في جواب الشرط ـ وكلاهما غير جيد، الأول فاسد المعنى والثاني فيه «تذكر» معامل معاملة الأمر وهو ليس أمراً لفظاً.

(٢) ك ـ فقط.

(٣) في ط وفي غير مكانه.

(٤) الإعتراض على التخريج، وجعله فتح أن للسبب الذي ذكر أما القراءة بفتح أن فواضح أنها للتعليل وتمثيله جيد.

يروى عن الحسن أنه قال: لا يأْبَ الشهداءُ إذا ما دعوا لابتداءِ الشهادة، أي ولا يأْبوا إذا دُعُوا لإقامتها.

وهـذا الذي قـال الحسن هو الحق ـ واللَّه أعلم ـ لأن الشهـداء إذا أبوا ـ وكان ذلك لهم ـ أَنْ يشْهدوا تَوِيَتْ[١] حقوقهم وبطلت معاملاتهم فيما يحتاجون إلى التوثق فيه.

وقـال غير الحسن: ﴿لا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ ـ وكـانت في أعنـاقهم شهـادة ـ أن يقيموهـا. فـأمـا إذا لم يكـونـوا شهـداء فهم مخيـرون في ابتـداء الشهادة، إن شاءُوا شهدوا وإن شاءُوا أبوا[٢].

ويدل على توكيد أن الشاهد ينبغي له إذا مـا دعي ابتداء أن يجيب قـوله تعالى: ﴿وَلاَ تَسْأَموا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ﴾.

أي لا تملوا أن تكتبوا ما أَشْهَدتم عليه، فقد أُمِرُوا بهـذا، فهذا يؤكـد أن أمـر الشهادة في الابتـداءِ واجب، وأنـه لا ينبغي أن يُمَـلّ ويقـال سئمت أسأم سآمة. وسأماً، قال الرَّاجز:

لـمـا رأيـت أنـه لا قـامـة　　　وأنني سَـاق عـلى السَّـآمَـة
نزعـتُ نـزعـاً زَعْـزَع الدِّعَـامَـة[٣]

ومعنى: ﴿إلاَّ أَنْ تَكُونَ تجارَةً حَاضِرَةً﴾.

أكْثر القراءِ على الـرَّفع [تِجَارَةٌ حاضِـرَةٌ] على معنى: إلاَّ أَنْ تقَع تِجَـارةٌ

---

(١) من التوى وهو البوار والهلاك، أي ضاعت حقوق المتعاملين.

(٢) تكون الشهادة في أعناقهم إذا تعينت عليهم ولم يكن من يشهد غيرهم.

(٣) اللسان (دعم ـ قوم) وفيـه «أنها لاقـامة». والقـامة هي البكـرة تعلق على فم البئر ويـربط الدلـو فيها.

حاضِرة. ومن نصب تجارة ـ وهي قراءَة عاصم فالمعنى إلا أَن تَكُونَ المُداينـة تجارةً حاضرةً. والرفع أَكثرُ وهي قراءَة الناس.

فرخص اللَّه عزّ وجلّ في ترك كتابة ما يديرونه بينهم لكثرة ما تقع المعاملة فيه، وأَنه أكثر ما تقع المتاجرة بالشيءِ القليل، وإن وقع فيه الدين، ووكّدَ في الأَشهاد في البيع فقال:

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾وقد بيَّنا ما الذي رخص في ترك، الإشهاد(١).

ومعنى :﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

قالوا فيه قولين: قال بعضهم: ﴿لا يُضارّ﴾ : لا يضارِرْ(٢)، فأدغمت الراءُ في الراءِ، وفتحت لالتقاءِ السَّاكنين، ومعنى لا يضار لا يكتب الكاتب إلا بالحق ولا يَشْهدُ الشاهد إلا بالحق. وقال قوم: ﴿لا يضارّ كاتب ولا شهيد﴾: لا يُدْعَى الكاتبُ وهو مشغول لا يمكنه ترك شغله إلا بضرر يدخل عليه، وكذلك لا يُدْعى الشَّاهد ومجيئُه للشَّهادة يضُرُّ به والأَول أَبينُ لقوله: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

فالفاسق أَشبه بغير العدل وبمَنْ حرَّف الكتاب منه بالذي دعا شاهداً ليشهد، ودعا كاتباً ليكتب، وهو مشغول فليسَ يسمَّى هذا فاسقاً ولكن يسمى من كذب في الشهادة ومن حرف الكتاب فاسقاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فرِهانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾.

قرأَ الناس «فرُهُن مقبوضة» و «فَرِهانٌ مقبُوضَـةٌ» فأَما رُهُنٌ فهي قراءَة أَبي عَمرو، وذكر فيه غير واحد أَنّها قرئت: «فَرُهُنٌ» ليُفْصَل بين الرِّهَانِ في الخَيْل

---

(١) في الصفحة السابقة.

(٢) الفعل يصلح مبنياً للمعلوم. . . «يضارِرْ» أي يضر غيره، ويصلح أن يكون مبنياً للمجهول. «يضارَرَ» أي يضره غيره.

وبين جَمْع رَهْن في غيرها، ورُهُنٌ ورهانٌ أكثر في اللُّغَةِ، قالَ الفرّاء «رُهُنٌ» جمع رِهَانٍ، وقال غَيْرُه: رُهُنٌ ورَهْنٌ»[١] مِثْل سُقُف وسَقْف. وفَعْل وفُعُل قليلٌ إلا أنه صحيح قد جاءَ؛ فأمّا في الصفة فكثيرٌ، يقال: فَرَسٌ وَرْد، وخيل وُرْدٌ، ورجل ثَطٌّ وقَوْم ثُطٌّ[٢]، والقراءَةُ على «رُهُن» أعجَب إليَّ[٣] لأنها موافقة للمصحف[٤]، وما وافق المصحف وصح معناه وقرأت به القراء فهو المُختار، ورِهَانٌ جَيِّد بَالغ.

يقال: رهنتُ الرهن وأَرْهَنْتُه، وأَرْهَنْتُ أقلُّهما، قال الشاعر[٥] في أَرْهنت:

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُم   نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكاً

وقال في رَهَنْت: أَنشده غيرُ واحد:[٦]

---

(١) أي إن الفراء يعتبر «رُهُن» جمع رهان، ورهان جمع رَهْن فالكلمة إذن جمع الجمع، أما غيره فيرى أنها جمع المفرد.

(٢) رجل ثط: ثقيل البطن خفيف الشعر.

(٣) أي يعجب بها أكثر من غيرها، وأعجب صيغة شاذة من تعجب واستعجب ـ ومن أعجب.

(٤) ﴿رهان مقبوضة﴾ كتبت في الرسم العثماني «رِهْن» بغير ألف فهي مستكملة الشروط الثلاثة لصحة القراءة: موافقة النحو التي بها يصح المعنى، وموافقة الرسم وصحة الرواية. أنظر مقدمة ابن الجزري. (ص ٨).

(٥) هو عبد اللّه بن همام السلولي، توعده عبيد اللّه بن زياد ففر إلى الشام مستنجداً بيزيد، ومالك عريفه، تركه لجنود عبيد اللّه ونجا بنفسه، أنظر العيني ٣ ـ ١٩٠، ومعاهد التنصيص ١ ـ ٩٦، وأظافير جمع أظفور وظفر، ورواية معاهد التنصيص: (وأرهنهم).

(٦) لأحيحة بن الجلاح شاعر جاهلي توفي سنة ١٣٠ ق. الإسلام كان سيد الأوس وكان مرابياً واسع الثراء له حصنان: المستظل في المدينة والصخبان خارجها، وكان له مزارع وبساتين، وكان له من بني النجار زوجة خلفه عليها هاشم بن عبد مناف جد رسول اللّه ﷺ وهي أم عبد المطلب (الأغاني ١٢ ـ ١١٥)، وأنظر الخزانة ٢ ـ ٢٣ وأمثال الميداني ١ ـ ١٣ ورواية البيت الثالث في اللسان: وما يدري، وبيت رابع هو:

وما تدري إذا يمّمت أمراً   بأي الأرض يدركك المقيل

فَهَلْ من كاهِنٍ أَوْ ذِي إلهٍ ... إذا ما حانَ من رَبّي قُفولُ
يُراهِنُني فيَرهَنُني بَنِيه ... وأرهنه بَنِي بما أقولُ
لَمَا يَدْري الفقيرُ متى غِناه ... ومَا يَدْري الغَنِيّ متى يُعِيلُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

معناه هو خالقهما.

﴿وإن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾.

معناه إن تظهروا العمَل به أو تُسِرُّوه يُحاسبكم به اللَّه، وقد قيل إن هذا منسوخ، روي عن النبي ﷺ أنه قال تُجَوِّزَ لهذه الأُمة عن نسيانها وما حدَّثَتْ به أَنْفُسَهَا.

ولما ذكر اللَّه - جلّ وعزّ - فَرْضَ الصلاة والزكاة والطلاق والحيض والإيلاءِ والجهاد وأَقاصيص الأَنبياءِ والدَّيْن والربا، ختم السورة بذكر تعظيمه وذكر تصديق نبيه ﷺ والمؤْمنين بجميع ذلك فقال:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

أَي صدق الرسول بجميع هذه الأَشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤْمنون.

﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾أَي صدَّق باللَّه وملائكته وكتبه.

- وقرأَ ابن عباس - وكِتَابه وقرأَتْه جماعةٌ من القراءِ.

فأَما كُتُب فجمع كِتاب، مثل: مِثَال ومُثُل، وحِمَار وحُمُر، وقيل لابن عباس في قراءَته «وكتابه» فقال كتاب أَكثر من كتب. ذهب به إلى اسم الجِنْس

= ويعيل: يفتقر. يَنْشُدُ شخصاً ذا تدين يتحالف معه ليرعى كلَّ أولاد الآخر بعد موته، لأن حال الحياة لا تدوم.

كما تقول: كثر الدِّرْهَم فِي أَيدِي الناس[1].

ومعنى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ﴾.

أي لا نفعل كما فعل أهل الكتاب قبلنا. الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، نحو كُفْر اليهود بعيسى، وكفْر النصارى بغيره فأخبر عن المؤمنين أنهم يقولون لا نُفَرِّق بين أحدٍ من رُسُله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

أي﴿سَمِعْنَا﴾ سَمْع قابلينَ. و﴿أَطَعْنَا﴾: قِبِلْنَا ما سَمِعْنَا، لأن مَن سمع فلم يعْمل قيل له أصمّ - كما قال جلّ وعزّ: ﴿صُمٌّ - بُكْمٌ - عُمْيٌ﴾. ليس لأنهم لَا يسْمعون ولكنهم صاروا في ترك القبول بمنزلة من لا يسمع قال الشاعر:

أَصَـمُّ عمَّـا سَـاءَهُ سَـمِيع[2]

ومعنى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

أي أغفر غُفْرانَك، وفُعْلَان من أَسْمَاءِ الْمَصَادِرِ نحو السُّلوان والكُفْران.

ومعنى: ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾أي نحن مقرُّون بالبعْثِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

أي إلَّا قدرَ طَاقَتها، لا يكلفها فَرضاً من فُروضِهِ من صَوْمٍ أو صَلاةٍ أو صَدَقَةٍ أو غير ذلك إلا بمقدار طاقتها.

ومعنى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

أي لا يؤاخذ أحداً بذنب غيره - كما قال - جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[3].

---

(١) في الأصل أكثر الدرهم.

(٢) تقدم أنه في اللسان سمع. ولا يعرف قائله.

(٣) الإسراء ١٧ - ١٥.

ومعنى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

قيل فيه قولان: قال بَعضهم إنَّه على مَا جاءَ عن النبي ﷺ (عُفِيَ لِهَذِهِ الأُمَّة عن نِسْيَانِهَا ومَا حَدَّثتْ بِهِ أنفُسَهَا) وقيل: ﴿إِنْ نَسِينَا أو أَخْطَأْنَا﴾ أي إن تَرَكْنَا. ﴿أو أَخْطَأْنَا﴾: أيْ كَسَبْنَا خطيئةً واللَّه أعلم.

إلا أن هذا الدعاءَ أخبر اللَّه به عن النبي ﷺ والمؤْمنين وجعله في كتابه ليكون دعاءَ مَنْ يأْتي بعد النبي ﷺ والصحابة رحمهم اللَّه، وروى عن النبي ﷺ أن اللَّه - جلّ وعزّ - قال في كل فصل من هذا الدعاء فَعلتُ فعلتُ أي اسْتَجَبْتُ.

فَهُوَ منَ الدعاء الذي ينبغي أن يحفظ وأن يدعى به كثيراً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾.

كل عقد من قرابة أو عهد فَهُو إِصْرٌ، العرب تقول: مَا تَأْصِرُني على فلان آصرة. أي ما تَعطفني عليه قرابة ولا مِنَّة(١) قال الحطيئة:

عَطفُوا عليَّ بغير آصرة فقد عَظُمَ الأواصِر(٢)

أي عطفوا عليّ بغير عهد قرابة، والْمَأْصَرُ من هذا مأخوذٌ إنما هو عقد(٣) ليحبس به، ويقال للشيء الذي تُعْقَدُ به الأشياء الإِصَار(٤).

فالمعنى لاَ تَحْمِلْ علينا أمْرا يثقُل كما حمَلتَه على الذين من قبلنا نحو ما

---

(١) أي صنيع وأسداء يد.

(٢) ديوانه ص ١٧٤ تحقيق نعمان أمير طه - القاهرة ١٩٥٨ يمدح آل شماس بن بدر بأنهم أووه من غير سابق قرابة.

(٣) ك إنما عقد.

(٤) في الأصل الإصار «من هذا».

أُمِرَ به بنو إسرائيل من قتل أنفسهم، أي لا تَمْتَحِنَّا بما يثقل. (أيضاً)[1] نحو قوله: ﴿وَلَوْلَا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنا لمن يَكْفُرُ بالرَّحْمَنِ لبُيُوتهمْ سُقُفاً مِن فِضَّةٍ﴾[2].

والمعنى لا تمتحنا بمحنة تثقل.

ومعنى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

أي ما يثقل علينا، فإن قال قائل - فهل يجوز أن يُحَمِّلَ اللَّهُ أحداً ما لا يطيق. قيل له: إن أردت ما ليس في قدرته البتة فهذا محال. وإن أردت ما يثقل ويخف فللَّه عزّ وجلّ أن يفعل من ذلك ما أحب. لأن الذي كلفه بني إسرائيل (من)[3] قتل أنفسهم (يَثْقَل)، وهذا كقول القائل: ما أُطيقُ كلام فلان، فليس المعنى ليس في قُدرتِي أن أُكَلِّمَهُ ولكنْ معناه في اللغة أنه يثقل عليّ.

ومعنى: ﴿فانْصُرْنا عَلَى القَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

أي أنْصُرنا عليهم في إقامة الحجة عليهم، وفي غلبنا إياهم في حربهم وسائر أمرهم، حتى تظهر ديننا على الدِّين كله كما وعدتنا.

---

(١) ك فقط.

(٢) الزخرف ٤٣ - ٣٣.

(٣) ليست في ك

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

أَجمعت القراءُ على فتح الميم وقد روي عن الرُّواسي «الم اللّه» بتسكين الميم، وقد رَوَى هذه القراءَة بعضُهم عن عاصم والمضبوط عن عاصم في رواية أَبي بكر بن عَيّاش وأَبي عمرو فتحُ الميم، وفتحُ الميم إجماعٌ.

وقد شرحنا معنى ﴿الٓـمٓ﴾[1].

واختلف النحويون في علة فتح الميم، فقال بعض البصريين: جائز أَن يكون الميمُ فتحتْ لالتقاء الساكنين، وجائِزٌ أَن يكون طرحت عليها فتحة الهمزة لأَنَّ نيةَ حروف الهجاءِ الوقف، وهذا أَيضاً قول الكوفيين.

وذكر أَبو الحسن الأَخفش أَنَّ الميمَ لو كُسرتْ لالتقاءِ الساكنين فقيل «الم اللَّه» لجازَ، وهذا غلط من أَبي الحسن لأَنَّ قبل الميم ياءً مكسوراً ما قبلها فحقها الفتح لالتقاءِ الساكنين وذلك لثقل الكسرة مع الياءِ.

فَأَما ﴿الْقَيُّومُ﴾ فقد روي عن عُمَرَ وابنِ مَسْعود جميعاً أَنَّهُمَا قرءَا القيَّام، وقد رويت الْقَيِّمُ، والذي ينبغي أَنْ يُقرأَ ما عليه المصحف، وهو القيُّوم بالواو، والقيِّمُ أَيضاً جيدٌ بالغٌ كثيرٌ في العربية، ولكن القراءَةَ بخلاف ما في المصحف لا

---

(١) انظر أول سورة البقرة.

تجوز، لأن المصحفَ مجمعٌ عليه، ولا يعارض الإجماع برواية لا يعلم كيف صحتُها.

ومعنى ﴿الْقَيُّومُ﴾: القائِمُ بِتَدْبير جميع ما خَلَقَ من إحياءٍ وإنشاءٍ ورزْقٍ وموْتٍ.

وأَصل قيُّوم قَيْوُوم، إلاّ أن الياء إذا سَبقت الواو بسُكونٍ قُلبَتْ لها الواو وأُدغمت الياء فيها وكذلك القيَّام أَصله الْقَيْوَام، ومعنى الكتاب ما كتب يقال للقرآن كتاب لأنه يُكتَبُ، ومعنى يكتب في اللغة يجمع بعضه إلى بعض، والكُتْبَةُ في اللغة الخَرْزة(١) وجمعها كتب والكتيبة القطعة من الجيش العظيمة، إنما سميت لاجتماع بعضها إلى بعض(٢).

ومعنى ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي للكتب التي تقدمته والرسل التي أَتَتْ بهَا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنزلَ التَّوْرَاةَ والإنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاس﴾ أيْ من قَبْل الْقُرآنِ.

وقد إخْتَلَفَ النَّحوِيُّونَ في «تَوْرَاة» فَقَالَ الكُوفِيُّونَ تَوْرَاة يصلُحُ أَنْ يكونَ «تَفْعَلَةَ» مِن وَرَيْتُ بِك زِنَادِي، فالأَصل «عندهم»(٣). تَوْرَيَة إلا أَن الياءَ قلبت أَلفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. «وتفْعَلة» لا تكاد تُوجد في الكلام، إنما قالوا في تُتْفلَة «تَتْفَلَة»(٤).

وقال بعضهم يصلح أَن يكون تَفْعِلة مثل تَوْصِيَة ولكن قلبت من تَفْعِلة

---

(١) السير يخرز به وهي بضم الكاف.

(٢) سبق هذا ص ١٤٤.

(٣) في الأصل وك. عنده.

(٤) أنثى التَتْفل وهو الثعلب ويقال فيه أيضاً تُتفل بضم أوله والمعنى أن العرب لم تقل تَفعل في غير هذه الكلمة.

إلى تَفْعَلَة. وكأنَّه يجيز في تَوْصِية تَوْصَاةَ، وهذا رَديءٌ ولم يَثْبُتْ في تَوفيَة توفاة، ولا في توقية توقاه.

وقال البصريون: أصلها فَوْعلَة، وفوعلة كثيرٌ في الكلاَم مثل الحوقلة، وَدَوْخَلة[١] وما أشبه ذلك. وكل ما قلت فيه فَوْعَلْتُ فمصْدرُهُ فَوْعلَة، فأصلها عندهم «وَوْريَة» ولكن الواو الأولى قلبت تاء كما في «تَوْلَج»[٢] وإنما هو فَوْعَل من ولجت، وكما قلبت في تراث. الياءُ الأخيرة[٣]، قلبت أيضاً لتحركها وانفتاح ما قبلها بإجماع[٤].

وَإنْجِيل: إفْعيل مِن النَّجْل وهو الأَصلِ: هكذا يَقُول جميع أهل اللغة في إنْجِيل.

ومعنى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾: أي من قبلِ القُرآن.

ومعنى﴿وَأَنْـزَلَ الْفُرْقَـانَ﴾. أي ما فُرِّق بِه بين الحَقِّ والباطِل ورُوي عَنْ بَعْض المفسرين أنَّ كلَّ كتاب[٥] للَّه فُرْقَان.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ أي قد ذل له كل شيءٍ بأثر صنعته فيه.

ومعنى ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾ أي ذُو أَنْقَامٍ مِمَّن كَفر به، لأن ذكر الكافرين ههنا جرى.

ومعنى: ﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شيْءٌ فِي الأَرْضْ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾.
أي هو ظاهر له، وهو جلّ وعزّ أنشأه.

ومعنى﴿يُصوِّرُكُم فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

---

(١) الدوخلة سفيفة - أي نسيج - من خوص يوضع فيها الثمر... بمقدار الزبيل والحلة.

(٢) كناس الوحش. (٣) أصلها وورية. قلبت الواو في أولها تاء وقلبت الياء ألفاً.

(٤) آثر الزجاج مذهب البصريين.

(٥) في الأصل - كل كتاب اللَّه، والمعنى فيهما: كل كتب اللَّه.

أي على ما يشاءُ من عظم وصغر لون، وضعف وقوة. وله ـ جلّ وعزّ ـ في ذلك حكمة كما قال: ﴿لاَ إِلَه إلاَّ هُوَ الْعزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿مِنْه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكتَابِ وأُخَرُ مُتشابِهَاتٌ﴾.

روي عن ابن عباس [رضي اللّه عنه] أنه قال:[1] المحكمات: الآيات في آخر الأنعام. وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَـرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[2] إلى آخر هذه الآيـات، والآيات المتشـابهات آلم والمـر وما اشتبـه على اليهـود من هذه ونحوها.

وقـال قوم: معنى﴿منـه آيـاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾، أي أُحكمت في الإبـانـة فـإذا سمعها السامع لم يحتج إلى تأويلها لأنها ظاهرة بينة نحو ما أنبأ اللّه من أقاصيص الأنبياءِ مما اعتـرف به أهـل الكتاب ومـا أخبر اللّه بـه من إنشاءِ الخلق من قـوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَـةَ عِظَامـاً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخرَ﴾[3] فهذا اعترف القوم به وأقـروا بأن اللّه هو خالقهم، وما أخبر اللّه به من خلقه من الماءِ كلَّ شيءٍ حي وما خلق لهم من الثمـار وسخر لهم من الفلك والـرياح ومـا أشبه ذلـك. فهذا مـا لم ينكروه، وأنكروا ما احتاجوا فيـه إلى النظر والتـدبر من أن اللّه عـزّ وجلّ يبعثهم بعـد أن يصيروا تراباً فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّق إِنَّكُم لَفي خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾[4]. ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ ائِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ. أَو آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾[5].

---

(١) ك ـ أنه قال في المحكمات.

(٢) الأنعام (٦) آية ١٥١ وما بعدها.

(٣) سورة المؤمنون (٢٣) آية ١٤.

(٤) سورة سبأ. (٣٤) آية ٨.

(٥) سورة الواقعة (٥٦) ٤٧ ـ ٤٨.

فهذا الذي هو المتشابه[1] عليهم فأعلمهم الله الوجه الذي ينبغي أن يستدلوا به على أن هذا المتشابه عليهم كالظاهر إن تدبروه ونظروا فيه، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنسيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خلق عليم. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً﴾[2]. وقال: ﴿أَوَلَيْسَ الذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ على أَنْ يَخْلُقَ مِثلهُم﴾ أي إذَا كنتم قد أقررتم بالإنسان والابتداءِ فما تنكرون من البعث والنشور؟ فهذا قول كثير من الناس وهو بين واضح. والقول الأول حسن أيضاً[3].

فأما ﴿أُخَرُ﴾ فغير مصروفة. زعم سيبويه والخليل أن ﴿أُخَرُ﴾ فارقت أخواتها والأصلَ الذي عليه بناءُ أخواتِها، لأن أُخَرَ أصلها أن تكون صفة بالألف واللام. كما تقول الصغرى والصُّغَر، والكبرى والكُبَر فَلَمَّا عدلت عن مجرى الألف واللام وَأَصْلِ «أَفْعَلُ مِنْك» وهي مما لا تكون إلا صفة - منعت الصرف[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَه منه﴾.

الزيغ: الجور والميل عن القصد، ويقال زاغ[5] يزيغ إذا جار.

ومعنى ﴿ابْتغَاءَ الْفِتْنَة﴾. أي يفعلون ذلك لطلب الفتنة. ولطلب التَّأْوِيل، والفتنةُ في اللُّغَةِ على ضُروبٍ: فالضَّرْب الذي ابتغاه هؤُلاءِ [هو] فَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ

---

(١) ط. متشابه.

(٢) يس (٣٧) آيات ٧٨ - ٨١.

(٣) في ط أحسن أيضاً. والفرق فيهما واضح.

(٤) أي علة منعها من الصرف أنها لم تجر مجرى الصفة فتتبع بمن ولا دخلتها أل. كالأحسن والأفضل.

(٥) في ط زاغ الرجل يزيغ.

في الدِّينِ والحرُوبِ، والفتنة في اللغة: الاسْتِهْتَار بالشَّيْءِ والغُلُوُّ فيه: يقال فلان مفتون في طلب الدنيا، أي قد غلا في طلبها وتجاوز القُدْرة. والفتنة الاختبار كقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾[١] أي اختبرنا، ومعنى ابتغائهم تأويله أنهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم، فأعلم اللّه أن تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلا اللّه[٢].

والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾[٣] أي يوم يرون ما وعدوا به من البعث والنشور والعذاب ﴿يَقُولُ الَّذِين نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾[٤] أي الذين تركوه وتركوا ما أنبأ به النبي ﷺ - عن اللّه - عزّ وجلّ من بعثهم، ومُجَازاتِهم، وقوله - عزّ وجلّ -: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ (أي قد رأينا ما أنبأتنا به الرسل)[٥].

فالوقْفُ التام قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم أحد متى البعث. (غير اللّه)[٦].

ومعنى: ﴿والرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ﴾ أي الثابتون.

يقال رسخ الشيءُ يَرْسَخُ رُسوخاً إذا ثبت. [أي] يقولون صدقنا بأنَّ اللّه يبعثنا، ويؤمنون بأنَّ البعثَ حق كما أنَّ الإنشَاءَ حق، ويقولون: ﴿كلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٧].

---

(١) سورة الأنعام (٦) آية ٥٣.
(٢) طلبوا معرفة وقته وتحديد موعده.
(٣) الأعراف (٧) - آية ٥٣.
(٤) الأعراف (٧) آية ٥٣.
(٥) ليست في ك.
(٦) ك فقط.
(٧) أي المحكم والمتشابه كل من عند اللّه فنحن نؤمن به.

ويدل على أن الأمر الذي اشتبه عليهم لم يتدبروه، قوله عزّ وجلّ:
﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ﴾: أي ذوو العقول(١).

أي ما يتذكر القرآن وما أتى به الرسول ﷺ إلّا أولو الألباب قوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

أي لا تُمِلْها عن الهدى والقَصْد، أي لا تُضلَّنا بعد إذ هديتنا، وقيل أيضاً: ﴿لا تزغ قلوبنا﴾ لا تَتَعبَّدْنا بما يكون سبباً لزيغ قلوبنا وكلاهما جيد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيه﴾ يدلُّ عَلَى تأْويل قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾- فقولهم: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فيهِ﴾ إقرار بالبعث ودليل أنهم خالفوا من يتبع المتشابه لأن الذين ابتغوا المتشابه هم الذين أنكروا البعث.

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. لا شك فيه. وقد شرح باستقصاءِ فيما تقدم (من كتابنا)(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللّه لَا يُخْلِفُ الْميعَاد﴾.
جائز أن يكون حكاية عن الموحدين، وجائز أن يكون إخباراً عن الله وجائز «فتح». «أن اللّه لا يخلف الميعاد»، فيكون المعنى جامع الناس لأنك لا تخلف الميعاد. أي قد أعلمتنا ذلك ونحن غير شاكِّين فيه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَأُولَئِكَ همْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

أي الكفار يعذبون(٣) وهم وقود أنفسهم، كلما نضجت جلودهم وعظامهم بالاتقاد بُدِّلُوا جُلوداً غيرها. فعذبهم بجلودهم وعظامهم.

---

(١) في الأصل ذو العقول.

(٢) ك فقط. وأنظر ص ٦٩.

(٣) في الأصل وك - يعذبون بهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَونَ والَّذينَ منْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي كشأن آل فرعون، وكأمر آل فرعون، كذا قال أهل اللغة والقول عندي فيه - واللَّه أعلم - إن «دأب» ههنا أي اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ﷺ كتظاهر آل فرعون على موسى عليه السلام.

وموضع الكاف رفع وهو في موضع خبر الابتداءِ، المعنى دأْبهم مثلُ دَأْبِ آل فرعون، و﴿كدَأْبِ آلِ فِرْعَونَ والَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾(١).

يقال دأَبْتُ أَدأب دَأْباً ودُؤُوباً إِذا اجتهدت في الشيءِ، ولا يصلح أَن تكون الكاف في موضع نصب بكفروا لأَن كفروا في صلة الذين، لا يصلح أَن الذين كفروا ككفر آل فرعون لأَن الكاف خارجة من الصلة ولا يعمل فيها ما في الصلة(٢).

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾.

وتقرأُ سيغلبون، فمن قرأَ بالتاءِ فللحكاية والمخاطبة، أَي قل لهم في خطابك ستغلبون. ومن قال سيغلبون فالمعنى بلغهم أَنهم سيغلبون. وهذا فيه أَعظم آية للنبي ﷺ لأَنه أَنبأَهم بما لم يكن وأَنبأَهم بغيب، ثم بأَن تصديق ما أَنبأَ به لأَنه ﷺ غلبهم أَجمعين كما أَنبأَهم.

ومعنى ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾: بئس المثوى وبئس الفراش.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾.

آية علامة من أَعْلامِ النَّبِيِّ ﷺ، التي تدل على تصديقه، والفئةُ في اللغة

---

(١) ك: كشأن أمر آل فرعون.

(٢) أي من: ﴿أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم﴾، فقد تم الخبر بذكر لن تغني، ولا يعطف على صلة الموصول بعد تمام الجملة.

الفِرقةِ، وهي مأخوذة من قولهم فَأَوْتُ رأسَه بالسَّيْفِ وفأيته إذَا فلقته ومعنى[1] فئتين فرقتين.

﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبيل اللَّه وأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾: الرفع والخفض جائزان جميعاً، فأما من رفع فالمعنى: إحداهما تُقاتِل في سبيل اللّه والأُخْرى كافرة، ومن خَفَضَ جعل فئةً تُقاتِل في سبيل اللّه وأُخْرى كافرة بدلاً من فئتين:

المعنى: قد كان لكم آية في فئة تقاتل في سبيل اللّه وفي أُخرى كافرة.

وأنشدوا بيت كثير على جهتين:[2]

وكنت كذي رجلين رجلٌ صحيحةٌ ورجْلٌ رمى فيها الزمان فَشَلَّت

وأنشدوا أيضاً: رجلٍ صحيحةٍ، ورجلٍ رمى فيها الزمان.
على البدل من الرجلين[3].

وقد اختلف أهل اللغة في قولهم «يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ، رَأْيَ الْعَيْنِ» ونحن نبين ما قالوه إن شاءَ اللّه وما هو الوجه. واللّه أعلم.

زعم الفراءُ أن معنى ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيهِمْ﴾ يرونهم ثلاثة أمثالهم قال لأنك إذا قلت: عندي ألف وأحتاج إلى مثلها فأنت تحتاج إلى ألفين فكأنك قلت أحتاج إلي مثليها ـ وإذا قلت عندي ألف وأحتاج إلى مثليها فأنت تحتاج إلى ثلاثة آلاف، وهذا باب الغلط فيه غلط بَيِّنٌ في جميع المقاييس وجميع الأشياءِ، لأنا إنما نعقل مثل الشيءِ ما هو مساو له، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين، فإذا جهلنا المثل فقد بطل التميز، وإنما قال هذا لأن أصحاب النبي ﷺ كانوا ثلاثمائة وأربعة

---

(١) ك ـ فالمعنى.

(٢) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي. ويعرف باسم حبيبته عزة، ومن شعراء الشيعة الرافضة ـ والبيت من قصيدته ـ خليلي هذا ربع عزة وهو في الخزانة ٢ ـ ٣٧٦ ومن الأبيات السائرة.
مجاز أبي عبيدة ١ ـ ٨٧ معاني الفراء ١ ـ ١٩٢ ديوان كثير ١ ـ ٤٦.

(٣) يريد أن «رجل» تروى بالرفع والجر.

عشر[1] رجلاً وكان المشركون تسعَمائةٍ وخمسين رجلاً فالذي قال يبطل في اللفظ ويبطل في معنى الدلالة على الآية التي تُعْجز، لأنهم إذا رأوهم على هَيْئَتِهِمْ فليس هذا آيةٍ، فإنْ زَعم أنَّ الآيةَ في هذا غلبةُ القليل على الكثير فقد أَبْطَلَ أيضاً لأن القليل يغلب الكثيرَ. موجود ذلك أبداً.

فهذا الذي قال يبطل في اللغة وَفي الْمَعْنَى وإنَّما الآيةُ في هذا أَنَّ المشركين كانوا تسعمائة وخمسين وكان المسلمون ثلاثَمائةٍ وأربعةَ عشرَ فأرى اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ المشركين أنَّ المسلمين أَقَلُّ من ثلاثمائة واللَّه قد أعلم المسلمين أن المائة تغلب المائتين فأراهم[2] المشركين على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لِيُقَوِّيَ قلوبهم، وأرى المشركين المسلمين أقل من عدد المسلمين، ثم أَلقَى مع ذلك في قلوبهم الرعب فجعلوا يرون عدداً قليلاً مع رعب شديد حتى غُلِبُوا.

والدليل على صحة هذا القول قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِم لِيَقْضِيَ اللَّه أَمراً كَانَ مَفْعُولاً﴾[3] فهذا هو الذي فيه آية أن يُرَى الشيء بخلاف صورته ـ واللَّه أعلم ـ.

ويجوز نصب ﴿فئة تقاتل في سبيل اللَّه وأخرى كافرة﴾، ولا أعلم أحداً قرأ بها. ونصبها من وجهين ـ أحدهما الحال المعنى التقتا مؤمنة وكافرة[4] ويجوز نصبها على أعنى فئة تقاتل في سبيل اللَّه وأخرى كافرة[5].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ والبَنِينَ﴾.

---

(١) في الأصول: أربعة وعشرين ـ والتصحيح من كتب السيرة. ابن هشام وحياة محمد. وفي السيرة الحلبية ثلثمائة وخمسة ـ وسيذكر هنا قريباً ثلاث مائة وأربعة عشر.

(٢) في ك: هذا ـ وآراهم.

(٣) الأنفال ٨ ـ ٤٤.

(٤) صاحب الحال هو فاعل التقتا.

(٥) لم يتقص الأقوال كما وعد ـ وإنما ذكر ـ رأي الفراء فقط وفنده.

قيل في ﴿زُيِّنَ﴾ قولان: قال بعضهم اللّه زينها مِحْنَةً[1] كما قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[2]

وقال بعضهم: الشيطان زينها لأن اللّه قد زهد فيها وأعلم أنها متاع الغرور.

والقَوْلُ الأَوّل أَجودُ لأَنَّ جَعْلَهَا زينةً محبوبةً موجودٌ واللّه قد زهَّد فيها بأن أعلم وأرى زوالها،ومعنى ﴿القناطير﴾ عند العرب الشيءُ الكثير من المال وهو جمْع قنطار.

فأما أهل التفسير فقالوا أقوالاً غير خارجة من مذهب العرب: قال بعضهم القنطار ملءُ مَسْكِ[3] ثَوْرٍ ذهباً أَوْ فضَّة وقال بعضهم القنطار ثمانون أَلفَ دِرهم. وقال بعضهم: القنطار أَلفُ دينار، وقال بعضهم [أَلف] رطلٍ ذهباً أَو فضَّةً.

فهذه جملة ما قال الناس في القنطار.

والذي يخرج في اللغة أَن القنطار مأْخوذ من عقد الشيءِ وأَحكامه والقنطرة مأْخوذة من ذلك، فكأَن القنطار هُوَ الجملة من المال التي تكُون عقدة وثيقة منه. فأَما من قال من أَهل التفسير أَنه شيءٌ من الذهب موف[4]، فأَقوى منه عندي ما ذكر من أَنه من الذهب والفضة، لأَن اللّه ـ جلّ وعزّ ـ ذكر القناطير فيهما، فلا يستقيم أَن يكون القنطار في إحداهما دون الأُخرى.

ومعنى﴿الخيل المُسَوَّمَة﴾[5] في اللغة ـ الخيل عليها السِّيَماءُ والسُّومَة وهي

(١) امتحاناً.

(٢) الكهف «١٨» آية ٧.

(٣) ملء جلده.

(٤) في ط مؤقت.

(٥) في ك المُسَومة

العلامة، ويجوز ـ وهو حسن ـ أن يكون المسومة السائمة، وأُسِيمَت أُرْعِيَتْ. ﴿والأَنْعَامُ﴾ المواشي واحدها نَعَمٌ، أكثر استعمالها في الإبل، ﴿والحرث﴾ الزرع، وهذا كلُّه محبَّب إلى الناس كما قال اللَّه ـ عزّ وجلّ[1]: ثم زهد اللَّه في جميعه.

وتأْويل التزهيد فيه ليس الامتناع من أنْ يَزْرع الناسَ، ولا من أَن يَكْسِبُوا الشيءَ من جهة، وإنما وجه التزهيد فيه الحث على الصدقة وسلوك سُبل البِرّ الَّتِي أمرَ بِها في ترك الاستكثار من المال وغيره، فهذا وجه التزهيد. فقال جلّ وعزّ:

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي ما يتمتع به فيها.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ المَآبِ﴾:

والمآب في اللغة المرجع، يقال آب الرجل يؤوب أَوْبا وإياباً ومآباً.

وأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أن خيراً من جميع ما في الدُّنيا ما أعده لأَوليائه فقال:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ، لِلَّذِينَ اتَّقُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

الرفع [في جنات] القراءَة، والخفض جائز على أنْتكون ﴿جنات﴾ بدلاً من خير المعنى أَؤُنبئكم بجنات تجري من تحتها الأَنهار ويكون، ﴿للذين اتقوا عند ربهم﴾ من تمام الكلام الأَول.

ومعنى ﴿وأَزواج مطهرة﴾: أي مطهرة من الأَدناس ومطهرة مما يحتاج إليه نساءُ أَهل الدنيا من الحيض وغيره.

﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

أكثر القراءَة كسر الراءِ. وروى أَبو بكر بن عياش عن عاصم «ورُضوان

(١) أي في الآية السابقة وهي ﴿زين للناس﴾ ألخ.

من اللّه» بضم الراءِ في كل القرآن، ويقال رَضِيتُ الشيءَ أَرضاهُ رضا ومرضاة ورِضواناً ورُضواناً.

وموضع ﴿الذين يقولون﴾ خفض صفة ﴿للذين اتقوا﴾ المعنى للمتقين القائلين. ﴿ربنا إننا آمنا﴾ وكذلك ﴿الصابرين والصادقين﴾[1] ولو كانت رفعاً على الاستئناف لجاز ذلك ولكن القراءَة لا تجاوز.

ومعنى ﴿القانتين﴾ أَي القائمين بعبادة اللّه، وقد فسرنا القنوت فيما مضى[2]. ومعنى ﴿المنفقين المتصدقين﴾، وجميع ما في سبيل اللّه[3].

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بالأَسْحَارِ﴾.

السحر الوقت الذي قبل طلوع الفجر. العرب تقول جئتك بأَعلى السحر نريد في أَول السحر، وهو أَول إدبار الليل إلى طلوع الفجر الظاهر البين.

فَاللَّه عزَّ وجَلَّ وصفَ هؤُلاءِ بالتَّصْدِيقِ والإنْفَاقِ في سَبِيلِهِ والقِيامِ بِعِبَادَتِهِ، ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لِشِدَّةِ خَوْفِهِمْ وَوَجَلِهِمْ يستغفرون بالأَسحار.

وقوله عَزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّه أَنَّه لَا إلَه إلَّا هُوَ والْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾.

قال أَبو عبيدة معنى ﴿ شهد اللَّه﴾. قضى اللَّه، وحقيقته أَنه عَلِمَ وبين اللَّه، لأَن الشاهد هو العالم الذي يبين ما علمه، فاللَّه عزّ وجلّ - قد دل على تَوْحيدِه. بجميع مَا خَلق فَبَيَّن أَنَّه لَا يقدِرُ أَحدٌ أَنْ يُنْشِىءَ شَيْئاً واحداً مما أَنْشَأَ،

---

(١) الآية كاملة هي:

﴿الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار، الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾.

(٢) ص ١٩٨.

(٣) ك وجميع ما أنفق في سبيل اللّه - والمراد كل ما أنفق في سبيل اللّه صدقة.

وشهدت الملائكة لما علمت من قدرته وشهد أولو العلم بما ثبت عندهم وتبين من خلقه الذي لا يقدر عليه غيره.

وأكثر القراءة ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بفتح الألف في﴿أَنَّهُ﴾ وقدرُويَت بالكسر عن ابن عباس، وروى «أَنَّ الدين عند اللَّه الإسلام» «بفتح الألف»[1] والأكثر فتح ﴿أَنَّهُ﴾ وكسر ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾.

ومن قرأ «إِنَّه» بالكسر فالمعنى شَهِد اللَّه أن الدين عند اللَّه الإسلام. وأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ[2]. والأَجْوَدُ الْفَتْحُ كما وَصَفْنَا في الأول، لأن الكلام والتوحيد[3] والنداءَ بالإذان ﴿أشهد أن لا إله إلا اللَّه﴾ وأكثر[4] ما وقع أَشْهَد على ذِكر التوحيد[5] وجائز أن يفتح أن الأولى وأن الثانية. فيكون فتح الثانية على جهتين على شهد اللَّه أن لا إله إلا هو وشهد أن الدين عنده الإسلام[6].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِنْ بعدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بغياً بَيْنَهُمْ﴾.

لك في﴿جَاءَهم﴾الفتح والتفخيم،ولك الإمالة نحو الكسر فأما الفتح فلغة أهل الحجاز، وهي اللغة العليا القدمى وأما جاءَهم «بالكسر»[7] فلغة تميم، وكثير من العرب وهي جيدة فصيحة أيضاً. فالذي يميل إلى الكسر يدل على

---

(١) لاحظنا من قبل أن الزجاج يستعمل الألف بمعنى الهمزة.

(٢) لأن شهد تضمن معنى القسم.

(٣) أي النطق بكلمة الشهادة.

(٤) في الأصل فأكثر.

(٥) أي أن الشهادة واقعة على ﴿أن لا إله إلا هو﴾ فهي في موضع المفعول به. فتفتح الهمزة.

(٦) هذا الذي ذكره وجه واحد وهو العطف. أما الوجه الثاني فعلى تقدير حذف الجار. أي لأن الدين.

(٧) بالإمالة.

أن الفعل من ذوات الياءِ والذي يفتح فلأن الياءَ قد انقلبت صورتها إلى الألف وفي الألف حظها من الفتح. وكلٌّ مصيب.

ونصب ﴿بَغْياً﴾ بقوله: «اختلفوا» والمعنى اختلفوا بغياً، أي للبغي، لم يختلفوا لأنهم رأوا البصيرة والبرهان.

قال الأخفش: المعنى «وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب بغياً بينهم إلاَّ من بعد ما جاءَهم العلم»، والذي هو الأجود أن يكون بغياً منصوباً بما دل عليه ﴿وما اختلف﴾ فيكون المعنى اختلفوا بغياً بينهم[١].

﴿ومن يكفر بآيات اللَّه فإن اللَّه سريع الحساب﴾ أي سريع الحساب له[٢]. والجزم هو الوجه في ﴿ومن يكفر﴾ وهي القراءَةُ ولو قرئت بالرفع لكان له وجه من القياس[٣] ولكن الجزم أجود وأفصح في المعنى.

ومعنى ﴿سريع الحساب﴾ أي سريع المجازاة (له)[٤] كما قال: ﴿وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾[٥] وقالوا: جائز أن يكون ﴿سريع الحساب﴾ سريع التعريف للعامل عمله - لأنه جل ثناؤه - عالم بجميع ما عملوا لا يحتاج إلى إثبات شيءٍ وتذاكر شيءٍ.

ونصب ﴿قائماً بالقسط﴾ حال مؤكدة لأن الحال المؤكدة تقع مع الأسماءِ

---

(١) المعنى يختلف في تقدير العامل - فالأخفش يرى أن في الجملة تقديماً وتأخيراً. والمعنى على رأيه: لم يحَمّلهم البغي على الاختلاف إلا من بعد مجيء العلم - وبهذا يجوز أنهم كان بينهم اختلاف قبل العلم لسبب غير البغي. والمعنى على رأي الزجاج لم يختلفوا إلا بعد مجيء العلم وذلك بسبب البغي.

(٢) أي الرابط محذوف مقدر بما ذكر.

(٣) هو اعتبار محسن ١ - ١ موصولاً.

(٤) ليست في ك.

(٥) سورة النحل - ٧٧.

في غير الإشارة، تقول إنه زيد معروفاً وهو الحق مصدقاً ولا إله إلا هو قائماً بالقسط.

والقسط في اللغة العدل: قال اللّه - ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾[1] أي بالعدل، ويقال أقسط الرجل إذا عدل وقسط إذا جار والعادل مقسط والجَائِر قَاسِط[2] - قال اللّه : ﴿وَأَقْسِطُوا انَّ اللّه يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[3] أي اعدلوا ان اللّه يحب العادلين. وقال: ﴿وأما الْقَاسِطُونَ فكانوا لجهنم حطباً﴾[4].

فإن قال قائل: فمن أين جاءَ من لفظ القسط ما معناه الجور وأصله العدل؟ فإنما ذلك كقولك عدل الرجل على القوم يعدل عدلا ومعْدِلة، وَمَعْدَلَةً، إذا هو أنصفهم، وَعَدَلَ عَن الحق عَدْلاً إِذَا جَارَ، فكذلك جاءَ من لفْظ القَسْطِ ما مَعْناه الجور كما جاءَ ما معناه العَدْلُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ حاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّه﴾.

إنْ شِئْتَ أسكنت اليـاءَ [من وَجْهِيَ] وإنْ شِئْتَ فتحتهـا فقلت أسلمت وَجْهِيَ للَّه، وقد فسّرْنَا أمْر هـذه الياءَ فيمـا سلف، والمعنى أن اللّه عزّ وجلّ، أمر النبي ﷺ أن يحتج على أهل الكتاب والمشركين بأنـه اتبع أمـر اللّه الذي هم أجمعون مقرون بأَنَّه خَالِقَهُمْ، فَدعَاهُم إلى مـا أَقَرُّوا بـه، وأراهم الدَّلاَلاَتِ والآيَاتِ الَّتي قَد شَرَحْنَا ذكرها بأنّه رسولُه ﷺ.

ومعنى ﴿ أَسْلَمْتُ وجهي للّه ﴾ أي قصدت بعبادتي إلى اللّه جلّ ثنـاؤه وأقررت أنه لاَ إِلَه غَيرهُ، وكذلك﴿ من أتبعني﴾ ويجوز في اللغة أسلمت وجهي [أي] أسلمت نفسي - قـال اللّه عزّ وجـلّ - ﴿كل شيءٍ هـالـك إلا وَجْهَـهُ ﴾[5]

---

(١) الرحمن ٩.

(٢) الهمزة للإزالة.

(٣) الحجرات ٤٩ - ٩.

(٤) الجن ٧٢ - ١٥.

(٥) القصص ٢٨ - ٨٨.

وقال: ﴿ويبقى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[1] المعنى ويبقى ربك والمعنى كل شيءٍ هالك إلا اللَّه عزّ وجلّ.

﴿ومن اتبعنِ﴾ لك حذف الياءِ وإثباتها، والأحبّ إليَّ في هذا اتباع المُصْحف لأن اتباعه سنة ومخالفته بدعة، وما حذف من هذه الياءَات نحو ﴿ومن اتبعن﴾ ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة﴾[2] ونحو فيقول ﴿رب أكرمن﴾[3] فيَقول: ﴿رب أهانن﴾ فهو على ضربين مع النون، فإذا كان رأس آية فأهل اللغة يسمون أواخر الاي الفواصل فيجيزون حذف الياءَات، كما يجيزونَهُ في قوافي الشعر، كما قال الأعشى:[4]

ومن شانىء كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن
وهل يمنعني ارتيادي البلاد من حذر الموت أن يأتين

المعنى أن يأتيني وأنكرني، فإذا لم يكن آخر قافية أو آخر آية فالأكثر إثبات الياء، وحذفها جَيِّد بالغ أيضاً بخاصة مع النونات، إلَّا أن أصل ﴿اتبعني﴾ «أتبعي» ولكن النون زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الياءِ، فإذا لم تكن النون نحو غلامي وصاحبي فالأجود إثباتها، وحذفها مع غير النون أقل منه مع النون إلا أنه جائز، نقول هذا غلام قد جاءَ، والأجود هذا غلامي قد جاءَ، وغلاميَ قد جاءَ، بفتح الياءِ وإسكانها. وحذفها جائز لأنَّ الكسرة دالة عليها.

---

(١) الرحمن ٢٧.

(٢) الإسراء ١٧ ـ ٦٢.

(٣) الفجر ١٥، ١٦.

(٤) الشائي المبغض وكاسف وجهه متغير، انكرن: ادعى لكراهته لي أنه لا يعرفني، ورواية البيت في الديوان: ١٦: ومن كاشح ظاهر غمره أي حماقته، وأنظر الكتاب ٢ ـ ٣١٧، أمالي القالي ٢ ـ ٢٦٣.

وقوله تبارك اسمه ﴿وَقُلْ للذين أُوتُوا الْكِتَابَ والأُمِّيِّينَ أأَسْلَمْتُمْ﴾.

الذين ﴿أُوتوا الكتاب﴾: اليهود والنصارى، والأُميون مشركو العرب لأَنهم إنما نُسِبُوا إلى ما عليه الأُمة في الخلقة، لأَن الإنسان يخلق غير كاتب، فهذا معنى الأُمِّيِّين، وقال بعض النحويين معنى أأسلمتم الأمر، معناه عندهم[1] أَسلِموا - وحقيقة هذا الكلام أنه لفظ إستفهام معناه التوقيف والتهديد، كما تقول للرجل بعد أَن تأْمره وتؤكد عليه «أَقْبِلْتَ.. وإلا فأَنت أَعلم». فأَنت إنما تَسْأَله متوعداً في مسأَلتك، لعمري [هذا] دليلٌ أَنك تأْمره بأَن يفعل.

ومعنى: ﴿وإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾...

أَي ليس عليك هداهم - إنما عليك إقامةُ البُرهانِ لهمْ فإذا بَلَّغْتَ فقد أَدَّيْتَ ما عليك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿واللَّهُ بَصِيرٌ بالْعِبَادِ﴾ أَي بصير بما يقطع عذرهم فيما دلهم به على وحدانيته وتثبيت رسله، وقال في أَثر هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بآيات اللَّهِ﴾ أَي أَعلام اللَّه التي أَتَيْتَهُمْ بِهَا.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيين بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:

وقرئت ويُقَاتِلُون، ومعنى ﴿ويقتلون النبيين بغيرحق﴾ ههنا قيل فيه قولان: قيل رضاهم بقتل من سلف منهم النبيين[2] نحو قتل يحيى[3] [عليه السلام] وهذا يحتمل - واللَّه أَعلم - وقيل ويقتلون النبيين لأَنهم قاتلوا النبي ﷺ وهموا بقتله قال اللَّه - جلّ وعزّ، ﴿وإِذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك. أَو يقتلوك أَو

---

(١) يريد الاستفهام للأمر لا للتقرير.

(٢) في ط - من النبيين والمعنى على ما في ط. رضاهم بقتل هؤلاء وذهابهم. والأصل رضاهم بعمل القاتلين.

(٣) في ط: يحيى بن زكريا.

يخرجوك ﴾[1] فهذا معنى: ويقتلون النبيين والله أعلم.

وجاز دخول الفاء في خبر إن[2]، ولا يجوز أن زيداً فقائم وجاز ههنا.. ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ لأن «الذي» يوصل فتكون صلته بمنزلة الشرط للجزاءِ فيجاب بالفاءِ. ولا يصلح ليت الذي يقوم فيكرمك. لأن «إنّ» كأنها لم تذكر في الكلام فدخول الجواب بالفاءِ، عليها كدخولها على الابتداءِ والتمني داخل فزيل معنى الابتداءُ والشرط[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ معناه حظاً وافراً منه[4].

و﴿يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾... أي يدعون إلى كتاب الله الذي هم به مقرون، وفيه ذكر النبي ﷺ والإنباء برسالته ﴿ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون﴾:

أي جمع كثير، وإنما أعرضوا إلا أنه لا حجة لهم إلا الجحد بشيءٍ قد أقر به جماعة من علمائهم أنه في كتابهم.

ثم أنبأ الله ـ عزّ وجلّ ـ بما حملهم على ذلك وخيّر بما غرهم.

فقال عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ، وغَرَّهم في دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

---

(١) سورة الأنفال ٨ ـ ٣٠.

(٢) الفاء في قوله ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾، والفاء تأتي في جواب الموصول لشبهه بالشرط. في عمومه واستقباله.

(٣) في هذا المثال لا تأتي الفاء لأن «ليت» غيرت الجملة إلى التمني أما «ان» فلم تغير المعنى الأصلي. فبقي في الموصول معنى الشرط.

(٤) أي أن في ﴿نصيباً﴾ وصفاً محذوفاً تقديره وافراً وكبيراً.

فموضع ﴿ذلك﴾ رفع المعنى شأنهم ذلك وأمرهم ذلك[1] بقولهم وبظنهم أنهم لا يعذبون إلا أياماً مَعْدُودَاتٍ.

جاءَ في التفسير أنهم قالوا إنما نعذب أربعين يوماً عبد آباؤنا فيها العجل، فأعلم اللَّه تبارك وتعالى أن ذلك فرية منهم، وأنه هو الذي غرهم[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ ليوم ٍ لَا رَيْبَ فِيه﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - فكيف يكون حالهم في ذلك الوقت. وهذا الحرف مستعمل في الكلام[3]، تقول إنا أكرمك وأنت لم تزرني، فكيف إذا زرتني.

قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَوْم ٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾:

أي لحساب يوم لا شك فيه. وقوله جلّ شأنه: ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالَك الْمُلْكِ﴾.

أمر اللَّه النبي ﷺ بتقديمه وذكر ما يدل على توحيده، ومعنى ﴿مالك الملك﴾ إن اللَّه يملك العباد ويملك ما ملكوا[4].

ومعنى: ﴿تُؤْتِيَ الْمُلْكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾.

فيه قولان: - تؤتي الملك الذي هو المال والعبيد والحضرة[5] من تشاءُ وتنزعه ممن تشاءُ، وقيل تؤتي الملك من تشاءُ من جهة الغلبة بالدِّين[6] والطاعة، فجعل اللَّه - عزّ وجلّ - كل ما في ملكه ملك غير مسلم للمسلمين

---

(١) أي شأنهم الكفر وقتل الأنبياء.

(٢) هذا الافتراء والظن الكاذب غرهم.

(٣) هذا التعبير.

(٤) ط مالك العاد ومالك ما ملكوا.

(٥) التحضر والثراء.

(٦) أي تجعل من تشاء منهم غالباً بسبب أتباعه الدين الذي أرتضيه.

ملكاً غنيمة، وجعلهم أحق بالأملاك كلها من كل أهل لمن خالفوا دين الإسلام.

وقيل في التفسير أن اللَّه عزّ وجلّ ـ أمر النبي ﷺ في هذه الآيات أن يسأله نقل عزِّ فارس إلى العرب وذلَّ العربَ إلى فارس ـ واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

فأما إعراب ﴿اللَّهم﴾ فضمُّ الهاءِ وفتح الميم، لا اختلاف في اللفظ به بين النحويين، فأمّا العلّة فقد اختلف فيها النحويون فقال بعضهم: معنى الكلام يا اللَّه أم بخير، وهذا أقدام عظيم لأن كل ما كان من هذا الهمز الذي طرح فأكثر الكلام الإتيان به، يقال ويل أمه، وويلُ أمِّه[1]، والأكثر إثبات الهمز، ولو كان كما يقول لجاز أومم، واللَّه أمّ، وكان يجب أن تلزمه ياءُ النداءِ لأن العرب تقول يا اللَّه أغفر لنا، ولم يقل أحد من العرب إلا اللهمّ، ولم يقل أحد يا اللّهمّ. قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وإذا قالوا اللّهم إن كان هذا هو الحق﴾[2]، وقال: ﴿قل اللَّهم فاطر السموات والأرض﴾[3].

فهذا القول يبطل من جهات: أحدها أن «يا» ليست في الكلام وأخرى أن هذا المحذوف لم يتكلم به على أصله كما نتكلم بمثله وأنه لا يقدم أمام الدعاءِ هذا الذي ذكره، وزعم أن الضمّة التي في الهاءِ ضمة الهمزة التي كانت في أمٍ، وهذا محال أن يترك الضّم الذي هو دليل على النداءِ للمفرد. وأن يجعل في اللَّه ضمّة «أم». هذا الحاد في اسم اللَّه ـ عزّ وجلّ.

---

(١) هي كلمة تعجب، يقال رجل ويلمه. بضم اللام وكسرها أي داهية، ويقال للشَّيء المستجاد ويلمه. والأصل ويل لأمه ـ أي عجب لها كيف أنجبت هذا، كما يقال لا أب لك بمعنى لا أب ينجب مثلك. وقد ركبت «ويل أمه» فجعلت كلمة واحدة. ثم لحقته الهاء مُبَالَغَة.

(٢) الأنفال ٨ ـ ٣٢.

(٣) الزمر ٣٩ ـ ٤٦.

وزَعمَ أَن قولَنا هلمّ مثل ذلك أَنّ أَصلها: هلْ أُمَّ ـ وإنَّمـا هِي لُمَّ. والهاءُ للتنبيه، وقال المحتج بهذا القـول: أَن «يا» قـد يقال مـع: «اللهم» فيقال: يَـا اللَّهُمَّ، ولا يروي أَحد عن العرب هذا غيره ـ زعم أَن بعضهم أَنشده:

ومَـا عَـليـكِ أَن تـقـولـي كـلمـا صليتِ أَوْ سبَّحتِ يـا اللهـم مَـا

اردد علينـا شـيخنا مسـلّما[1]

وليس يُعـارَض الإجماع ومـا أَتى به كتـاب اللَّه تعالى ووجـد في جميـع ديـوان العرب بقـول قائـل أَنشدني بعضهم، وليس ذلـك البعض بمعـروف ولا بمسمّى.

وقـال الخليل وسيبـويه وجميـع النحويين المـوثوقُ بعلمهم: أَن «اللهم» بمعنى يا اللَّه، وأَن الميم المشدّدة عوض من «يا» لأَنهم لم يجدوا ياءً مع هذه الميم في كلمة، ووجدوا اسم اللَّه جـلّ وعزّ مستعمـلاً بيا إذا لم يـذكر الميم. فعلموا أَن الميم من آخر الكلمـة بمنزلـة يا في أَولّها، والضّمة التي في أَولها ضمة الاسم المنادى في المفرد، والميم مفتوحـة لسكونهـا وسكون الميم التي قبلها.

وزعم سيبويه أَن هذا الاسم لا يوصف لأَنه قد ضمت إليـه الميم، فقال في قوله جلّ وعزّ: ﴿قُـلِ اللَّهُمَّ فَاطِـرَ السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾ أَن ﴿فاطر﴾ منصوب على النّداءِ، وكذلك ﴿ مَالِكَ الملْكِ﴾ ولكن لم يذكره في كتابه.

والقـول عنـدي أَن﴿مـالـك الملكِ﴾صفـةٌ اللّه، وأَن﴿فـاطـر السمـوات والأَرض﴾ كـذلك ـ وذلـك أَن الاسم ومعه الميم بمنـزلته ومعـه «يا» فـلا تمنـع الصفة مع الميم كما لا تمنع «مع «يا».

(١) أبيات لم يعرف قائلها ـ ولكن جاءت في كتب النحو والأدب. الخزانة ١ ـ ٣٥٩، واللسان «اله» ويأتي بعدها:

مـن حيـثـمـا وكـيـفـمـا وأيـنـمـا فـإنـنـا مـن خـيـره لـن نـعـدمـا

فهذا جملة تفسير وإعراب ﴿اللَّهُمَّ﴾.

ومعنى: ﴿وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ على ما ذَكَرْنا في ﴿تُؤْتِي الملك مَنْ تَشاءُ﴾.

ومعنى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾.

أي بيدك الخير كله، خيرُ الدنيا وخيرُ الآخرة.

وقوله جلَّ وعزَّ: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

المعنى: تدخل أَحدهما في الآخر يقال: ولج الشيءُ إذا دخل يلج وُلُوجاً وَوَلْجَة، وَالْوَلْج والوَلْجَةُ شيءُ يكون بين يدي فناء.

فمعنى: ﴿تولج الليل في النهار﴾ أي تنقص من الليل فتدخل ذلك النقصان زيادة في النهار، وتنقص من النهار فتدخل ذلك النقصان زيادة في الليل.

﴿وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾.

أي تخرج الإنسان من النُّطْفَةِ، والطائِر من البَيضةِ، وتخرج للناس الحب الذي يعيشون به من الأَرض الميتة.

﴿وَتُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾.

أي تخرج النطفة من الإنسان، والبيضة من الطائر.

ومعنى ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أي بغير تقتير، وهذا مستعمل في اللغة، يقال للذي ينفق موسِّعا: فلان ينفق بغير حساب، أي يوسع على نفسه، وكأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقاً.

وذكر اللَّه جلّ وعزّ بعد هذا التقديس والتعظيم أمر المنافقين فقال: ﴿لَا يَتَّخِذِ المؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ﴾.

القراءَة بالجزم، وكسر الذال لالتقاءِ الساكنين، ولو رفعت لكان وجهاً

فقلت: ﴿لا يتخذ المؤْمنون الكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المؤْمِنِينَ﴾ : المعنى: «أنه» من كان مؤْمناً فلا ينبغي أن يتخذ الكافر ولياً لأن ولي الكافر راض بكفره، فهو كافر. قال اللّه جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[1]. وقال: ﴿والمؤْمِنُونَ والمؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2].

ومعنى: ﴿من دون المؤْمنين﴾، أي لا يجعل وِلاية لمن هو غير مؤْمن، أي لا يتناول الولاية من مكان دون مكان المؤْمنين، وهذا كلام جرى على المثل في المكان كما تقول زيد دونك فلست تريد أنه في موضع مستقل وأنك في موضع مرتفع، ولكنك جعلتَ الشرفَ بمنزلةِ الارتفاعِ في المكان، وجعلت الخِسَّة كالاستقبال في المكان. فالمعنى: أن المكان المرتفع في الولاية مكان المؤْمنين.

فهذا بيان قوله: ﴿مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾[3].

ومعنى: ﴿ومَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيءٍ﴾.
أي من يَتَولَّ غيرَ المؤْمنين فاللَّهُ بَرِيءٌ منه.
﴿إلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.

«وتَقِيَّةً» قُرِئَا جَمِيعاً. فأباح اللّه جلّ وعزّ الكفر مع القصة[4]. والتَّقِيَّةُ خوفُ القتل، إلّا أنّ هذه الإباحة لا تكون إلا مع سلامة النيّة وخوف القتل.

﴿ويُحذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإلى اللَّهِ المَصِيرُ﴾.

---

(١) المائدة آية ٥١.

(٢) التوبة (٩) آية ٧١.

(٣) هذا هو المعنى اللغوي ـ والآية بمعنى «من غير» أي لا ينبغي للمؤمنين أن يصادقوا الكافرين، ويتركوا صداقة إخوانهم المؤمنين.

(٤) أباح للمؤمن أن ينطق كلمة الكفر لينجو، ولكن قلبه مطمئن بالايمان ـ ومعنى مع القصة أنه ينطق بكلمة الكفر على الحكاية مع سلامة النية.

معنى: ﴿نَفْسَهُ﴾«إيّاه» إلا أن النفس يستغنى بها هنا عن «إياه»[1] وهو الكلام[2]، وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾[3] (فِمِمَّا بِه)[4] خوطب العباد على قدر علمهم، ومعناه تعلم ما عندي وما في حقيقتي ولا أعلم ما عندك ولا ما في حقيقتك.

وفي قوله: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾ أي تؤتي الملك من تشاءُ أن تؤتيه، وكذلك ﴿وتنزع الملك ممّن تشاءُ﴾ أن تنزعه منه إلا أنه حذف لأن في الكلام ما يدل عليه.

ونصب: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾: كأنه قال ويحذركم اللَّه نفسه في ذلك اليوم، ويجوز أن يكون نصب على قوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ، والقول الأول أجود.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾.

القراءَة بضم التاءِ، ويجوز في اللّغة: «تحبّون». ولكنّ الأكثر تحبّون لأنّ حببت قليلة في اللغة وزعم الكسائي أنها لغة قد ماتت فيما يحسب.

ومعنى: ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾، أي تقصدون طاعته وترضون بشرائعه والمحبّة على ضروب، فالمحبة من جهة الملاذ في المطعم والمشرب والنّساءِ، والمحبّة من اللَّه لخلقه عفوه عنهم وإنعامه عليهم برحمته ومغفرته وحسن الثّناءِ عليهم، ومحبّة الإنسان للَّه ولرسوله طاعته لهما ورضاه بما أمر اللَّه به، وأتى به رسول اللَّه ﷺ.

---

(١) أي التقدير يحذركم إياه.

(٢) المألوف أن يقال هذا.

(٣) المائدة ٦ ـ ١١٦.

(٤) في ك فقط.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

القراءَة بإظهار الراءِ مع اللام، وزعم بعض النحويين: أن الراءَ تدغم مع اللام فيجوز.. ويغفر لكم.. وهذا خطأٌ فاحش ولا أعلم أحداً قرأ بـه غير أبي عمـرو بن العلاءِ، (وأحسب الـذين رووا عن أبي عمرو ادغـام الرّاء في الـلاَم غالطين)[1].

وهو خطأً في العربية لأن اللاَّم تدغم في الرّاءِ، والنّون تـدغم في الرّاءِ، نحـو: (قـولـك)[2] هـل رأيت، ومن رأيت[3]. ولا تـدغم الـرّاءُ في الـلام إذا قلت: مــر لي بشيءٍ. لأن الـراءَ حــرف مكــرّر فلو أُدغمت في الــلام ذهب التكرير. وهذا إجماع النحويين الموثوق بعلمهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾.

أي أظهروا محبّتكم للَّه إن كنتم تحبّونه بطاعته واتّباع رسـوله[4] ومعنى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

أي فــإن اللَّه لا يحبهم، لأن من تـولى عن النبي ﷺ فقــد تــولى عن اللَّه[5].

ومعنى: ﴿لا يحب الكافرين﴾. لا يغفر لهم ولا يثني عليهم خيراً.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَى آدَمَ وَنُوحـاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْـرانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

---

(١) ليست في ك.

(٢) ليست في ك.

(٣) ومثله في القرآن ـ فإن رجعك اللَّه ـ قل رب.

(٤) في ط رسله.

(٥) في ط تولى غير اللَّه.

معنى اصطفاهم في اللغة: إختارهم أي جعلهم صفوة خلقه، وهذا تمثيل بما يُرى[١]، لأَنّ العرب تمثّل المعلوم بالشيءِ المرئي، فإذا سمع السّامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهده عِياناً، فنحن نعين الشيء الصّافي أنه النقيّ من الكدر، فكذلك صفوة اللّه من خلقه، وفيه ثلاث لغات: صَفْوة وصِفْوة وصُفوة وهم من لا دنس فيهم من جهة من الجهات في الدّين والخيريّة. وقيل في معنى اصطفاهم قولان:

قال قوم: اصطفى دينهم أي اختاره على سائر الأديان. لأن دين هؤلاءِ الجماعة الإِسلام، وقال اللّه عزّ وجلّ: ﴿إنّ الدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾[٢].

وقال قوم: اصطفى آدمَ بالرّسالة[٣] إلَى الملائكة[٤] وإلى ولده، وإصطفى نوحاً وإبراهيم وآله بالرّسالة. ألَا ترى قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسمَائِهِمْ﴾[٥]. فأمره اللّه تعالى أن ينَبِىءَ عنهَ ملائكته، وآل عمران هم آلُ إبراهيم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

المعنى: إصطفى ذرية بعضها من بعض ـ فيكون نصب «ذريّة» على البدل، وجائزاً أن ينصب على الحال المعنى: واصطفاهم في حال كون بعضهم من بعض. و﴿ذرّية﴾ قال النحويّون: هي فُعْلِيَّة من الذر، لأن اللّه،

---

(١) ط بما يروى.

(٢) آل عمران ٣ ـ ١٩.

(٣) عبارة ك. اصطفى آدم بالرسالة إلى ولده. ألا ترى... الخ. واصطفى نوحا وإبراهيم وآله برسالة.

(٤) ﴿يا آدم أنبئهم﴾ ـ من سورة البقرة (٢) آية ٣٣.

(٥) غير جيد لأن الآية ذكرت آل إبراهيم وآل عمران ولعله يريد من اتبع ملة إبراهيم.

أخرج الخلق من صلب آدم كالذّر، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1].

وقال بعض النحويين: ﴿ذرّية﴾ أصلها ذرّورة على وزن فُعولة ولكن التضعيف لمّا كثر أبدل من الرّاءِ الأخيرة فصارت ذُرُّويَة ثمّ أُدْغِمَت الواو في الياءِ فصارت ذُرِّيّة.

والقول الأول أقيس وأجود عند النحويين[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ ربِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾.

قال أبو عبيدة: معناه قالت امرأة عمران و «إذ» لغو وكذلك»: ﴿وإِذْ قَالَتْ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ قال معناه: وقالت: ولم يصنع أبو عبيدة في هذا شيئاً. قال جميع النحويين: إنّ ﴿إذ﴾ يدل على ما مضى من الوقت فكيف يكون الدليل على ما مضى من الوقت لغواً، وهي اسم مع ما بعدها.

وقال غير أبي عبيدة منهم أبو الحسن الأخفش، وأبو العباس محمد بن يزيد: المعنى اذكروا إذ قالت امرأة عمران.

والمعنى عندي - والله أعلم - غير ما ذهبت إليه هذه الجماعة وإنّما العامل في ﴿إذ قالت﴾ معنى الاصطفاءِ - المعنى - والله أعلم - واصطفى آل عمران ﴿إذ قالت إمرأة عمران ربّ إنّي نذرت لك ما في بطني محرراً﴾، واصطفاهم ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إنَّ اللّه اصطفاك﴾. فذكر اصطفاك يدل على ما وصفنا ومعنى نذرت: يدل على ما وصفنا[3].

---

(١) الأعراف (٧) آية ١٧٢.

(٢) لأن الراء ليست حرف علة فقلبها غير جيد.

(٣) لا يتسق هذا مع أول الآية - خاصاً بآدم وإبراهيم ونوح. ورأى الأخفش والمبرد في تقدير أذكر

ومعنى ﴿نذرت لك ما في بطني محرّراً﴾. أني جعلته خادماً يخدم في مَتَعَبَّدَاتِنا، وكان ذلك جائزاً لهم، وكان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فكان الرّجل ينذر في ولده أن يكون خادماً في متعبّده ولعبّادهم، ولم يكن ذلك النذر في النّساءِ إنما كان ذلك في الذكورة، فلمّا ولدت امرأة عمران مريم قالت: ﴿رَبِّ أنِّي وضعتها أُنثى﴾ وليست الأُنثى مما يصلح للنذر، فجعل اللّه عزّ وجلّ. من الآيات في مريم ـ لِمَا أراده اللّه من أمر عيسى ـ أن جعلها متقبّلة في النّذر فقال عزّ وجلّ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾.

الأَصل في العربية: بتقبّل حسن، ولكن قبول محمول على قوله قَبِلَهَا قَبُولاً حسناً، يقال: قَبِلْتُ الشيءَ قَبُولاً حَسَناً، (ويجوز قُبُولا)(١) إذا رَضِيتَهُ، وقَبِلَتْ الرِّيحُ قَبُولاً وهي ـ تَقْبُل، وقَبِلْتُ بالرّجل أَقْبُلُ قبالة، أي كفلت به، وقد روى قَبِلْتُ بالرّجل في معنى كفلت به على مثال فَعِلت(٢)، ويقال: سقى فلان إبله قَبَلاً. أي صب الماءَ في الحوض(٣) وهي تشرب منه فأصابها، وكل ما عاينت قلت فيه أَتَاني قُبُلا، أي معاينة، وكل ما استقبلك فهو قبل (بالفتح)(٤)، وتقول لا أكملك إلى عشر من ذي قِبَل وقَبَل، المعنى قَبَل إلى عشر مما نشاهده من هذه الأيام، ومعنى «قِبل» عشر نَسْتَقْبلها، ويقال: قَبلت العين تقبل قبلا إذا أقبل النظر على الأنف(٥)، وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ يَأْتِيَهَا العَذَابُ قُبُلًا﴾(٦)، وقِبَلا وقَبَلا: كله جائز، فمن قرأ ﴿قُبُلا﴾ فهو جمع قَبِيلٍ وقُبُلٍ مثل رَغيفَ

أقيس نحواً وأكمل معنى. وما ذكره الزجاج صحيح معنى: أي أن هذه مواقف فضلوا فيها ووجه الدلالة أنها نذرتها للّه فقبلها تعالى. وهذا اصطفاء، ولكنه لا يعارض رأي الأخفش.

(١) ك فقط. (٢) بفتح العين وكسرها.

(٣) في اللسان صب الماء على أفواهها، والمعنى واحد. (٤) ليست في ك ـ والمراد فتح القاف.

(٥) وفعله كنصر ومصدره قبلًا وقُبولاً بضم القاف ويقال قبلت العين كفرح وكنصر وأقبلت اقبالاً، واقبالت ـ وهو أقبل بين القبل كان ينظر إلى طرف أنفه.

(٦) الكهف ١٨ ـ ٥٥.

ورُغُف، المعنى: أو يأتيها العذاب ضُروباً ومن قرأ «قِبَلا» بالكسر فالمعنى: ﴿أو يأتيهم﴾ العذاب معاينة، ومن قرأ «قَبَلًا» بالفتح فالمعنى: ﴿أو يأتيهم العذاب﴾ مقابلا، والقَبْلَة: جمع قَبْل شبيهة بالفَلْكةِ، أي بفلكة المِغزل تكون في القلادة[1].

ومعنى: ﴿أَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾ أي جَعل نشوءَها نشوءًا حسناً، وجاءَ «نباتا» على غير لفظ أنبت، على معنى نبت نباتاً حسناً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

في هذا غير وجه، يجوز: «وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاءَ» - بالمدّ -، «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّاءُ، وَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا - بالقصر﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾بالقصر.

وفي ﴿زكريَّا﴾ ثلاث لغات هي المشهورة المعروفة - زكرياءُ بالمدّ وزكريَّا - بالقصر. غير منون في الجهتين جميعاً، وزكريّ بحذف الألف معرب منون. فإما ترك صرفه فلأنَّ في آخره ألفي التأنيث في المدِّ[2]. وألف التأنيث في القصر، وقال بعض النحويين: إنه لَم يُصرف لأنَّه أعجميّ، وما كانت فيه ألف التأنيث فهو سواءٌ في العربية والعجمية[3]. لأن ما كان أعجميًا فهو يتصرف في النكرة، ولا يجوز أن تصرف الأسماءُ التي فيها ألف التأنيث في معرفة ولا نكرة لأن فيها علامةَ التأنيث وأنَّها مصوغة مع الاسم صيغة[4] واحدة، فقد فارقت هاءَ التأنيث فلذلك لم تصرف في النكرة، ويجوز كفلها زكرياءَ بنصب زكرياءَ، ويجوز في هذا الموضوع زكريا بالقصر، فمن قرأ كَفَّلَه

---

(١) اسم جنس جمعي على غير القياس مثل كمأة وكم.

(٢) النحويون عادة يقولون ألف التأنيث الممدودة، يعنون الهمزة التي قبلها ألف مد، فعبر هنا بألفي التأنيث، يعني ما آخره ألف وهمزة.

(٣) ألف التأنيث وحدها تَكْفِي للمنْعِ مِنَ الصَّرْفِ.

(٤) في ك. مصنوعة. صنعة.

زكرياءُ ـ رفعه بفعله[1]، فالمعنى فيما ذكر أبو عبيدة ضمنها، ومعناه في هذا ضمن القيام بأمرها. ومن قرأ كفلها زكرياءَ ـ بالنَّصب ـ فالمعنى: وكفَّلها اللَّه زكرياءَ، وأما اللغة الثالثة فلا تجوز في القرآن لأنها مخالفة المصحف، وهي كثيرة في كلام العرب.

وقوله جلّ وعز: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾.

القصر والمدّ في زكريا. والقراءَة بهما كثيرة كما وصفنا و﴿المحراب﴾: أشرف المجالس والمقدَّم فيها، وقد قيل أن مساجدهُمْ كانت تسمى المحاريب، والمحراب في اللغة الموضع العالي الشريف.

قال الشاعر:

ربّة محراب إذا جئتها ... لم ألقها أو أرتقي سلما[2]

ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[3]
ونصب كُلَّمَا بقوله: ﴿وجد﴾ أي يجد عندها الرزق في كل وقت يدخل عليها المحراب ـ فيكون ما مع دخل بمنزلة الدُّخول ـ أي كل وقت دخول[4].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾.

أي من أين لك هذا.

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

---

(١) والفعل مخفف ومشدد ـ أي قام زكريا بكفالتها.

(٢) البيت لوضاح اليمن ـ اللسان «حرب» الجمهرة ١ ـ ٢١٩.
ووضاح هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن كلال. له قصص يروى مع أم البنين. يريد أنها شريفة ثرية ذات مكان مرتفع. فلا أقابلها إلا بارتقاء السلم.

(٣) سورة ص (٣٨ ـ ٢١) أي تسلقوا السور المرتفع.

(٤) هذا تلفيق بين تقديرين ـ فهي إما «كلما» كلمة واحدة فهي ظرفية بمعنى كل وقت. وهو الواضح فيها، وأما كل ما دخل ـ فهي بمعنى كل دخول دخله عليها.

وإنما سأل زكريا عن الرزق لأنه خاف أن يأتيها من غير جهته فتبيّن عنده أنَّه من عند اللَّه، وذلك من آيات مريم، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وجعلناها وابنها آيةً للعالمين﴾[1] فمن آياتها أنها أوّل إمرأة قُبلت في نذر في المتعبّد، ومنها أن اللَّه أنشأ فيها عيسى ـ عليه السلام ـ من كلمة أَلقاها إليها، ومنها أن اللَّه عزّ وجلّ ـ غذاها برزق من عنده لم يجْرِهِ على يد عبد من عبيده، وقد قيل التفسير أنها لم تُلْقَمْ ثدياً قطّ.

ومعنى ﴿إنَّ اللَّه يَرْزُقُ مَنْ يشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

أي بغير تقتير، و﴿حساب﴾. إن شئت فتحت الألف وألزمتها جهة الفتح، وإن شئت أملتها إلى الكسر، لانكسار الحاءِ، وذلك كثير في لغة العرب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هُنالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾.

﴿زكريا﴾ ـ بالمدّ والقصر على ما وصفنا. المعنى عند ذلك دعا زكريّا ربّه، أي عندما صادف من أمر مريم، ثمَّ سأل اللَّه أن يرزقه ذريّة طيبة، و﴿هنالك﴾ في موضع نصب لأنَّه ظرف يقع من المكان والأحوال ـ أحوال الزّمان.

والمعنى في ذلك المكان من الزمان ومن الحال ـ دعا زكريّا ربّه كما تقول من هنا قلت كذا وكذا، ومن هنالك قلت كذا وكذا أي من ذلك الوجه وتلك الجهة، وهذا في غير المكان على المثل جرى. وَكَسْرُ لام ﴿هنالك﴾ وقع لالتقاءِ السّاكنين لأنَّ هنالك إشارة إلى مكان متراخ، أو حال من أحوال الزّمان نسبتها إلى المكان وقال: ﴿طيبة﴾ للفظ ذرّية.

و﴿هنالك﴾ لا يجب أن يعرف في رفع ولا جر لأنه في الإشارة إلى المكان بمنزلة الإشارة في هذا وهذاك إلى سائر الأشياءِ. فهو مضارع للحروف التي جاءَت لمعنى[2].

---

(١) سورة الأنبياء من الآية ٩١.

(٢) أشبه الحروف فهو مبني لذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَنَادَتْهُ المَلاَئِكَةُ﴾.

و «فناداه الملائكةُ». الوجهان جميعاً جائزان، لأن الجماعة يلحقها اسم التأنيث، لأنَّ معناها معنى جماعة، ويجوز أن يعبر عنها بلفظ التذكير. كما يقال جمع الملائكة. ويجوز أن تقول نادته الملائكة وإنما ناداه جبرائيل وحده لأن المعنى أتاه النِّداءُ من هذا الجنس، كما نقول ركب فلان في السّفن، وإنما ركب سفينة واحدة، تريد بذلك جعل ركوبه في هذا الجنس.

ويجوز ﴿أن اللَّه يُبَشِّرك﴾ و «إنَّ اللَّهَ يُبَشِّـرُكَ» بفتح إن وكسرها فمن فتح فالمعنى نادته بأنَّ اللَّه يبشرك أي نادته بالبشارة، ومن كسر أراد قالت الملائكة: إنَّ اللَّه يبشرك. وإنَّ بعد القول أبداً مكسورة.

وفي ﴿يبشرك﴾ ثلاث لغات: (إن اللَّه يبشِّرك) [(١)] بفتح الباءِ وتشديد الشِّين وهي قراءَة كثيرة جدًّا، ويبْشُرُكِ - بإسكان الباءِ وضم الشِّين، وقرأ حميد[(٢)]، وحده «يُبْشِـرُكِ» - بضم الياءِ وإسكان الباءِ وكسر الشِّين، فمعنى يُبَشِّرك، ويَبْشرك: البشارة، ومعنى يُبشرك يسرّك ويفرحك. يقال بشَّرت الرجل أُبشِّره وأَبْشُرُه إذا أَفْرحته، ويقال بَشُرَ الرجل يَبْشرُ، وأنشد الأخفش والكسائي وجماعة من النحويين:

وإذا لقيت الباهشين إلى النِّدا غُبراً أكُفُّهُمْ بقاع مُمْحِل[(٣)]

---

(١) ليست في ك.

(٢) هو حميد بن قيس الأعرج أخذ عن مجاهد بن جبير وعرض عليه قراءته ثلاث مرات وروى عنه سفيان بن عيينة وأبو عمرو بن العلاء وآخرون. توفي ١٣٠ هـ.

وهناك ثلاثة آخرون من القراء يسمون باسم حميد - ولكنهم متأخرون منهم من روى عن الكسائي ومنهم من روى عن نافع أو يعقوب والمراد هنا - الأعرج - لقدمه وشهرته. فلا ينبغي أن يكون هناك لبس بينهم.

أنظر: غاية النهاية ت ١١٩٨، وأنظر ت ١١٩٩ - ١٢٠١.

(٣) الأبيات من قصيدة جيدة في المفضليات ١١٦، وفي اللسان «كرب - بشر - يسر». لعبد قس بن خفاف =

فـأعنهـم وابْشُر بمَـا بَـنشُـرُوا بـه   وإذا هم نـزلـوا بضنـك فـأنـزل

فهذا على بشُر يبْشُر إذا فرح، وأصل هذا كله من أنَّ بشرة الإنسان تنبسط عند السّرور، ومن هذا قولهم فلان يلقاني بِبشْرٍ، أي بوجه منبسط.

ويحيى إسم سماه اللّه تعالى. تولَّى هو ـ عزّ وجلّ ـ ذلك ولم يسمّ أحد قَبْل يحيى بيحيى، ويحيى لا يتصرف عربيًا كان أو أعجميًّا، لأنَّه إن كان أعجمياً فقد إجتمع فيه العجمة والتعريف ولو كان عربياً لم ينصرف لشبهه بالفعل وأنه معرفة، [علم].

ونصب ﴿مصدِّقاً﴾ على الحال.

ومعنى ﴿مُصَدِّقاً بكَلِمَةٍ منَ اللَّه﴾ أي يُصَدِّق بأمْر عيسى لأن يحيى فُرِضَ عليه ـ وإن كان يحيى أسنَّ من عيسى ـ أتباعُ عيسى(١).

ومعنى ﴿سَيِّداً وَحَصُوراً﴾.

السيِّد الذي يفوق في الخير قومه، ومعنى ﴿حصوراً﴾ أي لا يأتي النِّساءَ، وإنما قيل للذي لا يأْتي النِّساءَ حصور لأنه حُبِسَ عما يكون من الرجال، كما يقال في الذي لا يتيسّر له الكلام قد حُصِرَ في منطقه، والحصور الذي لا ينفق على النَّدامى، وهو ممن يُفْضِلْونَ عليه قال الشاعر(٢):

البرجمي يوصي ابنه ـ وهو جاهلي من معاصري النابغة. وهـذه القصيدة تحوي كثيراً من الخلال الكريمة والتجارب النافعة.

الباهشون إلى النداء: المتطلعون إليه من بهش: بحث عن الشيء. وغبرا أكفهم: أي مغبرة من كد السفر ـ أو هو كناية عنَ الطاقة وخلو السيد، والمعنى ساعدهم وأفرح بفرحهم ـ وإذا أصابهم الضنك فاحتمله معهم.

(١) فرض على يحيى أن يصدق بعيسى وأن يبشر الناس برسالته فهذا معنى التصديق ـ أما أتباعه فغير ممكن لأن عيسى لم يبدأ رسالته إلا بعد قتل يحيى أوحبسه.

(٢) هو الأخطل. (اللسان: سور ـ حصر). والديوان ١١٦.

يصف نديمه بالأدب وأنه لا يعربد إذا شرب ـ ويروي سَئّار بمعنى لا يبقى سؤرا في الكأس. والمربح الجواد يذبح الإبل للأضياف.

وشـارِبٍ مُربـحٍ بالكـاس نـادمني   لا بــالحَصُــور ولا فيهــا بســوّار

ويروى ولا فيها بِسَئّار، أي نادمني وهو كريم منفق على النّدامي، والسّوّار الْمُعَـرْبِد يُساوِر نديمـه أي يَثبُ عليه، والسّـار الذي يُفْضِـل في إنائـه إذا شرب، والحصور الذي يكتم السر، أي يحبس السّر في نفسه قال جرير.

ولقـد تسقّـطني الـوشـاة فصـادفـوا   حَصِــراً بســرّك يــا أُميمَ ضنينـا[1]

والحصـير هذا المـرمُول[2] الـذي يُجلس عليـه، وإنمـا سمي حصيـراً لأنـه دوخـل بعضه في بعض في النسيـج أي حبس بعضه عـلى بعض، ويقال للسِّجْن الحصير لأن الناس يُحصرون فيه، ويقـال حصرتُ الـرجلَ إذا حبستـه، وأحصره المـرض إذا منعـه من السّـير، (والحصـير الملك)[3] وقــول اللّه ـ جـلّ وعــلا: ﴿وجعلنا جهنّم للكافرين حصيراً﴾[4] أي حبســا، ويقال أصـاب فلانـاً حَصَرٌ، إذا احتبس عليه بطنه، ويقال في البول أصابه أسر إذا احتبس عليه بوله.

ومعنى ﴿من الصّـالحين﴾ الصّـالح الـذي يؤدي إلى اللّه ما عليـه ويؤدي إلى الناس حقوقهم.

وقوله جلّ وعلا: ﴿قالَ رَبِّ أَنَّى يكُونُ لِي غُلَامٌ﴾.

أي كيف يكون لي غلام. قال الكميت:

أنّى ومَــن أيــن آبــك الـطّرب   مـن حيث لا صبـوة ولا لـعب[5]

---

(١) تسقط ـ حاول أن يستنزل لسانه بكلمة ـ والضنين بالشيء الحريص عليه. وفي اللسان رجل حصر كتوم للسر لا يبوح به ـ والبيت به ـ (حصر ـ سقط) وروايـة في الأخيرة حَجِئا بسرك ـ من حجيء بالشيء كفرح ـ ضنَّ به.

(٢) رمل النسيج رقعه، ورمل الحصير والسرير زينه بالجوهـر ونحوه وأرملتـه فهو مـرمول ومـرمل. أي منسوج متداخل بعضه في بعض.

(٣) ليست في ك.

(٤) الإسراء ١٧ ـ ٨.

(٥) هـو الكميت بن زيـد الأسـدي من مشهـوري المتشيعـين لبني هـاشم ولـه فيهم قصـائـد تعـرف:

«أي» كيف ومن أين آبك الطَّرب [1].

ويقال غلام بيِّن الغُلوميَّة والغلاميّة والغلومة.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ﴾.

بمعنى قد بلغت الكبر وفي موضع آخر ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾[2]، وكل شيءٍ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك.

ومعنى ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

أي مثل ذلك يفعل اللّه الّذي يشاؤه. وإنَّما سأل زكريا لأنَّه أحبَّ أن يعلم أيأتِيه الولد وامرأتُه عاقر وهو مُسِنٌّ، أم يجعله اللَّه على هِيئة من يُولَدُ له ويجعل إمرأته كذلك، أم يأتيها الولدُ وهما على الهيئةِ التي لاَ يكونُ معهـا ولد، فأعلمهما اللّه أنَّ ذلك هينٌ عليه كما أنشأهما ولم يكونا شيئاً، وأنه يعطيهما الولد وهما في هذا السن.

ويقال في ﴿عاقر﴾ قد عقُرَتْ المرأة وعَقَـرَتْ، وهي عـاقر، وهـذا دليل أَنَّ عاقراً وقـع على جهـة النَّسب[3]، لأنَّ فَعُلتْ أسماءُ الفـاعلين فيه عـلى فعيلة[4]، نحو ظَرُفت فهي ظريفة[5]، وإنما عاقر لـه ذات عقر، ويقـال قد عقـر الرجـل يعقر عقراً: إذَا انقطع عليه الكلام من تعب وكلال. والعَقار كل مال لـه أَصل، وقـد قيل إن النخل خاصّة يقـال له عَقَـار. وعُقْرُ دار قـوم أَصل مُقَـامِهِمْ الذي عليـه مُعَوَّلهم، وإذا انتقلوا عنه لنُجْعةٍ فرجـوعهم إليه. ويـروى عن علي أنـه قال: «ما

بالهاشميات. وهذا البيت من إحداها. وقد توعده هشام بن عبد الملك فاختفى مدة ثم عفا عنه. الأغاني ١٥ ـ ١١٣ والبيت في ك مقلوب. صدره عجزه.

(١) ليست في ك. آبك عادلك.

(٢) مريم (١٩) آية ٨.

(٣) هي نسبة مثل تامر ولابن وليست صفة مشبهة.

(٤) يريد الصفات المشبهة باسم الفاعل.

(٥) في القـاموس: عقـرت كعنى عقارة بفتح العين وضمها، وعقـرت من باب ضـرب عقراً وعقـراً وعقارة فهي عاقر. ا هـ. ملخصاً وعلى هذا تكون عاقر صفة مشبهة ويقال: رجل عاقر وعقير.

غـزي قوم في عُقْـرِ دارهم إلاَّ ذُلُّوا»، أي مـا غُـزُوا في المكـان الـذي هـو أصـل لمقامهم.

ومعنى ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

أي علامة أعلم بها الوقت الذي تهب له فيه الغلام.

﴿قال آيتـك ألا تُكَلِّـمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إلاَّ رَمْزاً﴾.

أي علامة ذلك أن يُمْسَكَ لسانُك عن الكلام وأنت صحيح سَوِيٌّ وقال في موضوع آخر: ﴿آيتك ألَّا تكلِّمَ النَّاس ثلاث ليال سوياً﴾[1] أي وأنت سَوِيٌّ.

ومعنى الرّمز تحريك الشفتين باللفظ من غـير إبانـة بصوت إنمـا هو إشـارة بالشفتين، وقد قيل أن الرّمز هو إشارة بالعينين، أو الحـاجبين والفم، والـرمز في اللغـة كل مـا أشرت بـه إلى بيان بلفظ، أي بـأي شيءٍ أشرت، أبفم أم بيـد أم بعينين والرّمز والترمّز في اللغة الحركة والتحرك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيّ والإِبْكَارِ﴾.

قيل ﴿سبّح﴾: صلّ، ويقال فرغت من سَبحتي أي من صلاتي، وإنما سمّيت الصّلاة تسبيحاً لأن التَّسبيح تعظيم اللّه وتبـرئته من السـوءِ فالصّـلاة يوحّـد اللّه فيها ويحمد، ويوصف بكل ما يبرّئه من السوءِ فلذلك سمّيت الصلاة السُّبحة.

﴿والإبكار﴾ يقال فيه أبكر الرجل يُبْكِر إبْكاراً، وبكَّر يُبَكِّر تبكيـراً وبَكَر يبكُـر في كل شيءٍ يتقدَّم فيه، وقول الناس فيما تقدم من الثمار: «قد هَرِفَ» خـطأ[2]، إنمـا هي كلمة تبـطئة، وإنمـا تقول العـرب في مثل ذلـك: قد بكَّـر، ويسمّى ما يكون منه[3] الباكورة.

---

(١) سورة مريم ١٩ ـ ١١ ـ سوياً حال من المخاطب.

(٢) أي أن العامة تطلق هرف على ما تقدم من الثمار وهو خطأ. وما تقـدم منها مـا جاء قبـل أوانه. وفي القاموس: أهرفت النخلة عجلت إتاءها كهرّفت تهريفاً، وهـرَّفوا إلى الصـلاة ـ بالتشـديد ـ عجلوا. ٢. وأهرف غلط من الجوهري.

(٣) من الثمار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ ٱصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾.

معنى ﴿اصطفاك﴾: اختارك، وقالوا في طهَّرك ـ طهَّرك من الحيض والنِّفاس ـ ومعنى طهَّرك ـ واللَّه أعلم ـ أي جعلك طاهرة من سائر الأدناس[1]. إلَّا أنَّ الأوّل قد جاءَ في التفسير وقيل إن معنى ﴿اصطفاك على نساءِ العالمين﴾ أي على نساءِ أهل دهرها. وجائز أن يكون على نساءِ العالمين كلهم، أي اختارك لعيسى على نساءِ العالمين كلهم، فلم يجعل مثل عيسى من امرأة من نساءِ العالمين[2].

ومعنى ﴿اقنتي لِرَبِّكِ﴾: أي اعبديه بالقول والعمل.

﴿واسجدي واركعي﴾: معنى الركوع قيل السّجود المعنى اركعي واسجدي، إلا أن الواو إذا ذكرت فمعناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشَّيئين قبل الآخر. لأنها تؤذن بالاجتماع، والعمل، والحال تدل على تقدّم المتقدِّم من الإثنين[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الغَيْبِ نوحيه إِلَيْك﴾.

أي الأخبار التي قصصناها عليك في زكريا ويحيى ومريم وعيسى من أنباء الغيب، أي من أخبار ما غاب عنك، وفي هذا دليل على تثبيت نبوة النَّبي ﷺ لأنه أنبأ بما لا يعلم إلا من كتاب أو وحي وقد أجمعوا أن النبي ﷺ كان أمياً، فإنباؤه إياهم بالأخبار التي في كتبهم على حقيقتها من غير قراءة الكتب دليل على أنَّه نبيّ وأن اللَّه أوحى إليه بها.

ومعنى ﴿إِذْ يُلْقُون أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

أي هذا أيضاً مما لم تحضره، ومعنى الأقلام ههنا القِدَاحُ وهي قداح جعلوا

---

(١) أي الأخلاقية، وليس منها الحيض.

(٢) في الأصل وك. من مرة من نساء العالمين، بمعنى أنه لم يحدث مرة أن حملت أنثى من غير زوج كما حصل لك.

(٣) العمل يعني أداء الصلاة، وجعل الركوع فيها أولا يدل على أن الواو ليست للترتيب، هذا إذا كانت الصلاة إذ ذاكِ هي صلاتنا بعد الإسلام. وإلا فالمراد مجرد عبادة اللّه والإذعان له.

عليها علامات يعرفون بها أَيَّهم يكفل مريم على جهة القرعة - وإنما قيل للسهم القلم لأَنَّه يُقْلَمَ أي يُبْرَى، وكل ما قطعت منه شيئاً بعد شيء فقد قَلَمْتَه، من ذلك القلم الذي يكتب به، إنما سمي لأَنه[1] قلم مرّة بعد مرّة، ومن هذا قلمت أظافري.

ومعنى ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

أي لينظروا أيّهم تجب له كفالة مريم، وهو الضمان للقيام بأمرها، ومعنى ﴿لديهم﴾ عندهم وبحضرتهم.

﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾:

إذ نصب بقوله ﴿مَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ و ﴿إذ﴾ الثانية معلقة بيختصمون أي إذ يختصمون إذ قالت الملائكة، فإذ منصوبة بيختصمون[2].

ويكون المعنى أنهم اختصموا بسبب مريم وعيسى، وجائز أن يكون نصب إذ على ﴿وما كنت لديهم﴾.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾. هذا أيضاً مما لم يشاهده.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾.

سمّى اللَّه عزّ وجلّ عيسى المسيح، وسمّاه عيسى، وسمي ابتداءَ أمره كَلِمَةً (منه)[3] فهو. ﷺ كلمة من اللَّه أَلقاها إلى مريم، ثم كوّن تلك الكلمة بشراً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿اسْمُهُ﴾ وإنما جرى[4] ذكر الكلمة لأَن معنى الكلمة معنى

---

(١) في ط لأنه قد قلم - يريد سمى قلماً.

(٢) الأقرب ما ذكره من تعلقها بلديهم، فهم لم يختصموا عند نداء الملائكة.

(٣) ليست في ك.

(٤) الضمير المذكر في «اسمه» صح عوده على «الكلمة» وهي مؤنثة لأنها بمعنى الولد. أي يبشرك بولد.

الولد، المعنى أن اللّه يبشرك بهذا الولد، ﴿وَجِيهاً في الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

﴿وجيهاً﴾ منصوب على الحال، والوجيه الذي له المنـزلة الرفيعة عند ذوي القَدْر والمعرفة، ويقال قد وَجُهَ الرجلُ يَوْجُه وَجَاهة، ولفلان جَاهٌ عند الناس ووجاهة عند الناس، أي منزلة رفيعة. وقال بعضُ النحويين: ﴿وجيهاً﴾ منصوب على القطع من عيسى، وقطع ههنا كلمة محال، لأنه إنما بُشِّر به في هذه الحال، أي في حال فضله فكيف يكون قطعها منه، ولم يقل لم نصب هذا القطع، فإن كان القطع إنما هو معنى، فليس ذلك المعنى موجوداً في هذا اللفظ، وإن كان القطع هو العامل فما بَيَّن ما هو، وإن كان أراد أن الألف واللام قُطِعَا منه فهذا محال لأنَّ جميع الأحوال نكرات والألف واللام لمعهود، فكيف يقطع من الشيء ما لم يكن فيه قَطُّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ في الْمَهْدِ﴾.

معطوف على وجيهاً، المعنى يبشرك به وجيهاً ومكلماً الناس في المهد، وجائز أن يعطف يفعل على فاعل، لمضارعه بفعل فاعل، قال الشاعر:(1)

بات يعيشها بغضب باتر ... يقصد في أسواقها وجائر

﴿وَكَهْلاً﴾:

أي ويكلم الناس كهلا، أعلمها اللّه أن عيسى يبقى إلى حال الكهولة، وقيل إن كهلا، أي ينزل من السماءِ لقتل الرجال وهو كهل - واللّه أعلم.

ومعنى ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.

(1) لم يعرف القائل والضمير للإبل، والعضب من أسما السيف والباتر الذي يستأصل بالقطع والأسوق جمع ساق. والشاهد النحوي فيه عطف جائر على يقصد، ومثله في القرآن ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويَقْبِضْنَ الملك ٦٧ - ١٩ والبيت في أمالي الشجري ٢ - ١٩٨ ويروى يغشيها بالغين، والمعنى أنه منحار يذبح إبله بكثرة للأضياف فيظل سيفه يعمل فيها مرة يقتصد وأخرى يجور.

أي يخلق الله ما يشاءُ مثل ذلك﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾.

أي يعلمه ذلك وحياً وإلهاماً.

ونصب﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾على وجهين ـ أحدهما ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل، والاختيار عندي ـ والله أعلم ـ

ويكلم الناس رسولاً إلى بني إسرائيل[1] والدليل على ذلك أنه قال: ﴿إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

فالمعنى ـ والله أعلم ـ ويكلمهم رسولا بأني قد جئتكم بآية من ربكم، ولو قرئت إني قد جئتكم ـ بالكسر ـ كان صواباً، المعنى إني قد جئتكم بآية من ربكم ـ أي بعلامة تثبت رسالتي[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ﴾.

يصلح أن يكون خفضاً ورفعاً، ـ فالخفض على البدل من ﴿آية﴾، المعنى جئتكم بأني أخلق لكم من الطين، وجائز أن يكون «إِنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّن الطِّينِ» يخبرهم بهذه الآية ما هي[3] أي أقول لكم اني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير.

يقال انه صنع كهيئة الخفاش ونفخ فيه فصار طيراً، وجاز أن يكون فأنفخ فيه للفظ الطين، وقال في موضع آخر ﴿فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني﴾[4] للفظ الهيئة.

﴿وأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

---

(١) أي هو حال ـ وهذا أرجح من حذف الفعل «ويجعله».

(٢) لم يشرح سبب الكسر، وهو أما على الاستئناف أو على تقدير قول أي قائلاً.

(٣) وفي الحالة الأولى نقرأ أن بفتح الهمزة، وفي الثانية تكسر، إذ هي مستأنفة.

(٤) المائدة ٥ ـ ١١٠.

﴿الأكمة﴾ الذي يولد أعمى، قال الراجز

هـرجت فـارتـد ارتـداد الأكمـه[1]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأُنبئكم بما تأكلون﴾.

أي أُخبركم بمأكولكم، فجائز أن تكون ﴿ما﴾ ههنا في موضع الذي، والمعنى أُنبئكم بالذي تأكلونه وتدخرونه، ويجوز أن يكون ما وماوقع بعدها بمنزلة المصدر. المعنى أُنبئكم بأكلكم وادخاركم والأول أجود، ومعنى تدخرون: جاءَ في التفسير: ما تأكلون في غدوكم[2]. وتدخرون بالدال والذال. وقال بعض النحويين إنما أختير تدخرون لأن التاءَ تدغم في الذال نحو تَذَّكَّرُونَ، فكرهوا تذخرون لأنه لا يشبه ذلك، فطلبوا حرفاً بين التاء والذال فكان ذلك الحرف الدال.

وهذا يحتاج صاحبه إلى أن يعرف الحروف المجهورة والمهموسة:

وهي فيما زعم الخليل ضربان: فالْمَهْجُورةُ حرْف أَشْبع الاعتماد عليه في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه، والمهمُوسُ حرف أضعف الاعتماد [عليه] في موضعه وجرى معه النفس.

وإنما قيل ﴿تدَّخرون﴾ وَأَصْله تذْخرون :أي يفتعلون من الذُّخْر، لأن الذال حرف مجهور لا يمكن النفس أن يجري معه لشدة اعتماده في مكانه والتاء مهموسة، فأبدل من مخرج التَّاءِ حرف مجهور يشبه الذال في جَهْرِها وهو الدال. فصار تَذْدَخِرُون. ثم أدْغِمَتْ الذال في الدال، وهذا أَصل الإدغام أن تُدغِم الأول في الثاني، وتذَّخِرون جائز ـ فأما ما قال في الملبس فليس تذخرون ملبساً بشيءٍ.

---

(١) لرؤبة. الديوان ١٦٦ ـ واللسان «كمه، هرج» مجاز أبي عبيدة في الآية نفسها ـ ومعنى هرجت صحت. يريد أنَّهُ أَخَافه فصار يتخبط كالأعمى ولم يستطع التقدم أو الهجوم. وأنظر ص ٩١.

(٢) أي تبقونه للأكل في غدكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ من التَّوْرَاةِ﴾.

نُصِبَ ﴿مُصدقاً﴾ على الحال، المعنى وجئتكم مصدقاً لما بين يديّ أي للكتاب الذي أُنزل قبلي[1]، فهو أمري أن تتبعوني.

﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

أي لم أُحل لكم شيئاً بغير برهان، فهو حق عليكم أتباعي لأنّي أُنَبِّئُكُمْ ببرهان، وتحليل طيبات كانت حرمت عليكم، ﴿فاتَّقُوا اللَّهَ وأَطِيعونِ﴾: أي اتبعوني.

قال أبو عبيدة معنى: ﴿وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

قال معناه: كل الذي حرم عليكم، وهذا مستحيل في اللغة وفي التفسير وما عليه العمل. فَأَمَّا اسْتِحَالته في اللُّغَةِ فإن البعض والجزءَ لا يُكوّنُ الكُلَّ وَأَنْشَدَ في ذلك أَبو عُبيدةَ بيتاً غلط في معناه وهو قولُ لبيدٍ:

تَـرَّاك مَـنْـزِلَـةٍ إِذَا لَمْ أَرْضَـهَـا ... أو يَعْتَلِقْ بَعْضَ النفوس حِمَامُهَـا[2]

قال: المعنى «أو يَعْتَلِقْ كلَّ النفوس حمامها» وهذا كلام تستعمله الناس، يقول القائل: بعضنا يعرفك يريد أنا أُعرفك، فهذا إنما هو تبعيض[3] صحيح، وإنما جاءَهم عيسى بتحليل ما كان حراماً عليهم، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[4] وهي نحو الشُّحوم وما يتبعها في التحريم، فأما أن يكون أَحَلَّ لهم القتل والسَّرِقَة والزِّنَا فمحال.[5]

(١) أي التوراة ـ وهو ـ أى تصديقه موسى عليه السلام ـ يجعلهم يتبعونه لأنه لم يعارض ديانتهم وما ألفوا من الشرائع.

(٢) معلقة لبيد شرح العشر للزوزني ص ٨٢ البيت ٥٦ والديوان ٣١١. يريد بالنفوس نفسه ـ أي إذا رأيت في مكان شيئاً أكرهه غادرت المكان إلا أن يعوقني الموت ـ ويروي أو يَعْضي.

(٣) أي كلمة بعض مستعملة في موضعها ـ لأن المتكلم بعض القوم. ولا حجة لأبي عبيدة.

(٤) النساء ٤ ـ ١٦٠.

(٥) النص صريح في أنها طيبات كانت حلالاً لهم؛ وليس منها هذه المحرمات.

ومعنى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

أي هذا طريق الدين مستوياً[١].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾.

معنى أَحسَّ في اللغـةَ علمَ وَوَجَـدَ، ويقـال هـل احَسْتَ في معنى هـل أَحْسَسْتَ ويقال حَسَيْتُ بالشيء إذا عَلِمْته وعرفتُه

وأنشد الأصمعي:

سِـوَى أَنَّ الـعتـاقَ مـن الْـمُـطَايَـا حَسْيَنَ بِـهِ فَهُـنَّ إِلَيْـهِ شُـوس[٢]

ويقال حَسَّهُم القائِدُ، أي قَتَلَهُمْ.

ومعنى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

جاءَ في التفسير من أَنْصـاري مع اللَّه، و«إلى» ههنـا إنما قـاربت «مع» معنى[٣] بأن صارَ اللفظ لو عبر عنه «بمع» أفاد مثل هـذا المعنى، لا أَنَّ «إِلَى» في معنى «مع» لو قلت ذهب زيد إلى عمرو لم يجز ذهب زيد مع عمرو، لأن «إلى» غاية و «مع» تضم الشيءَ إلى الشيءِ فالمعنى: يضيف نصرته إيـاي إلى نصرة اللَّه.

وقولهم إنَّ «إلى» في معنى «مَعَ» ليس بِشيءٍ. والحروف قد تقاربت في الفائدة. فَيَظُن الضعيفُ العِلم باللغة أَن معناهما[٤] واحد.

---

(١) في الأصول «مستو».

(٢) لأبي زبيد الطائي: الطبري ١٦ - ١٣٧ - أَحْسَنَ، وأورده القرطبي ١١ - ٢٤٢ والشجري ١ - ٩٧ كما هنا، يتحدث عن أسد عن لهم لم يره الركب ولكن أحست به الخيل فكانت أعينها تميل إلى جهته خوفاً، وشوس جمع أشوس وشوساء أي مائل البصر.

(٣) ك و «إلى» ههنا إنما قاربت معنى «مع».

(٤) أي معنى «إلى» و «مع» في هذا الموضع واحد، وليس كذلك.

من ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[(1)] ولو كانت «على» ههنا. لأدَّت هذه الفائدة، لأنك لو قلت لأصلبنكم على جذوع النخل كان مستقيماً. وأصل «في» إنما هو للوعاءِ، وأصل «على» لِمَا مع الشَّيء، كقولك: التَّمر في الجراب. ولو قلت التمر على الجراب لم يصلح في هذا المعنى، ولكن جازَ ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[(1)] لأن الجذْعَ يشتمل على المَصْلوب، لأنه قد أخذه من أقطاره. ولو قلت زيد على الجبل وفي الجبل يصلح، لأن الجبل قد اشتمل على زيد، فعلى هذا مجاز هذه الحروف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾.

قال الحذاق باللغة: ﴿الحواريون﴾: صفوة الأنبياءِ عليهم السلام الذين خلصوا وأخلصوا في التصديق به ونصرته فسماهم اللَّه جلّ وعزّ: ﴿الحواريون﴾[(2)] وقد قيل أنهم كانوا قَصارين فسموا الحواريين لتبييضهم الثياب، ثم صار هذا الاسم يستعمل فيمن أشبههم من المصدقين تشبيهاً بهم. وقيل إنهم كانوا ملوكاً وقيل كانوا صيادين، والذي عليه أهل اللغة أنهم الصفوة كما أخبرتك.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: الزبير ابن عمتي وحَوَارِيِّي من أُمتي. ويقال لنساءِ الأنصار حَواريَّاتٌ، لأنهن تباعدن عن قشف الأعرابيات بنظافتهن. وأنشد أبو عبيدة وغيره لأبي جلدة اليشكري[(2)]

---

(1) سورة طه (٢٠) آية ٧١.   (٢) هكذا على حكاية اللفظ.

(٢) أبو جلدة شاعر إسلامي كان من أشياع الحجاج وخلصائه ثم انقلب عليه وانضم لابن الأشعث وأخذ يحرض على الحجاج والأمويين ثم ظفر به وقتل ونقل رأسه إلى الحجاج - وجاء قبل هذا البيت:

بكين إلينا خشية أن تبيحها   رماح النصارى والسيوف الجوارح
بكين لكيما تمنعوهن منهم   وتأبى قلوب أضمرتها الجوانح

أنظر المؤتلف والمختلف ٧٩ والأغاني ١١ - ٣١١ - والبيت المستشهد به في الجمهرة ١ - ٢٣٠، ٢ -

فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

وقال أهل اللغة في المحور وهو العود الذي تدور عليه البكرة قولين، قال بعضهم: إنما قيل له محور للدوران لأنه يرجع إلى المكان الذي زال منه، وقيل إنما قيل له محور لأنه بدورانه ينصقل حتى يصير أبيض، ويقال دقيق حُوَّارَى من هذا أي قد أخذ لبابه وكذلك عجين مُحَوَّرٌ (للذي)[1] يمسح وجهه بالماءِ حتى يصفو، ويقال عين حوراءَ إذا اشتد بياضها وخلص واشتد سوادها، ولا يقال امرأة حوراءَ إلا أن تكون مع حور عينها بيضاءَ، وما روي[2]، في الحديث: نعوذ باللَّه من الحَوَرِ بعد الكَوَرِ معناه نعوذ باللَّه من الرجوع والخروج عن الجماعة بعد الكَوَرِ. أي بعد أن كنا في الكور، أي في الجماعة يقال كَارَ الرجل عمامة إذا لفها على رأسه، وحار عمامَتَهُ إذا نقضها، وقد قيل: «بعد الكون» ومعناه بعد أن كنا على استقامة، إلا أن مع الكون محذوفاً في الكلام دليلاً عليه[3].

وأما معنى قوله: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[4]:

أي اكتبنا مع الذين شهدوا للأنبياءِ بالتصديق، وحقيقة الشاهد أنه الذي يبين تصحيح دعوى المدعي، فالمعنى صدقنا باللَّه واعترفنا بصحة ما جاءَ به النبي ﷺ وثَبِّتْنَا، فأكتبنا مع من فعل فعلنا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

= ١٤٦ ـ اللسان (حور) والكشاف الآية نفسها وهو يرمي أهل الشام وأنصار معاوية بالكفر والتنصر، ويصف نفسه وجماعته أنهم أهل خشونة وبداوة لم تلفتهم الحضارة عن الإسلام.

(١) ليست في ك، وبها «تمسح وجهه» -

(٢) في ك وفي الحديث.

(٣) في ك دليل عليه. بمعنى هو دليل عليه.

(٤) لا بد من مجيء فاء بعد أما. ولكنه في غير موضع يقتطع الكلام فيترك الخبر أو جواب الشرط...

الْمَكْـرُ مِنَ الخلائق خِبٌّ وخـداع، والمكر من اللَّه المجـازاة على ذلك فسمي بـإسم ذلك لأنـه مجازاة عليـه كما قـال ـ عـزّ وجـلّ: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْـزِئ بِهِم﴾[1]. فجعـل مُجازَاتِهِمْ على الاستِهْـزَا بالْعَـذَابِ، لفظُه لفظُ الإستهـزاءَ. وكما قَالَ جَـلَّ وعزّ: ﴿وَجَـزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَـةٌ مِثْلُهَا﴾[2] فـالأُولى سيئة والمجـازاة عليها سُمِّيَتْ باسْمِهَا، وليست في الحقيقة سَيِّئَةً.

وجائز أَنْ يكونَ مَكْرُ اللَّهِ اسْتِدْرَاجُهُمْ من حيث لا يعلمون لأن اللَّه سلَّطَ عليهم فَارسَ فغلبتْهم وَقَتَلَتْهُمْ، والدليل على ذلك قوله عـزّ وجلّ: ﴿آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾[3].

وقيل في التفسير أَيضاً إن مكر اللَّه بهم كـان فِي أَمْرِ عيسى أنـه ﷺ كان في بيت فيه كوة فدخل رجل ليقتله، ورفع عيسى من البيتِ وخـرج الرجـل في شَبَهِهِ يخبرهم أَنَّهُ لَيْسَ في البيت فقتلوه.

وجملة المكر من اللَّه مجازاتُهم على ما فعلوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾.

﴿عِيْسَى﴾ اسم أَعْجَمِي عدل عن لفظ الأَعجميةِ إلى هـذا البناءِ، وهـو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العجمية والتعريف فيه. ومثال اشتقاقه من كـلام العَـربِ أَنَّ عِيسى: فِعْلَى، فالألف يصلح أَنْ تكـون للتأنيث، فـلا تتصرف في معـرفة ولا نكـرة، ويكون اشْتِقـاقه مِنْ شيئين، أَحَـدُهمَا العَيَس، وهـو بيـاض،

(١) سورة البقرة (٢) آية ١٥.

(٢) الشورى ٤٢ آية (٤٠).

(٣) سـورة الروم (٣٠) ـ آيـة ١، ٢. ووجه الاستـدلال بالآيـة أن الغلبة قـد تكون لمجـرد الخـديعـة والاستدراج. فالـروم غلبوا ثم انتصـروا، واليهــود دبـروا مكايـدهم لعيسى وحـرضـوا عليــه الرومان ثم حطمهم الرومان وشردوهم.

الإبل، والآخر من العَوْس والعِيَاسةِ إلا أنَّه قلبت الواو يا لانكسار ما قبلها[1].

فأما عيسى عليه السلام فَمَعْدولٌ من يَشوع ـ كذا يقول أهل السريانية.

وقال النحويون في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿إنِّي مُتوَفِّيك وَرَافِعُك إليَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾.

التقديم والتأخير ـ المعنى أني رافعك ومطهرك ومتوفيك. وقال بعضهم: المعنى على هذا اللفظ كقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[2] فالمعنى على مذهب هؤلاءِ ـ أن الكلام على هذا اللفظ[3].

ومعنى ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

القِراءَة بطرح التنوين، والتنوين جائز[4]، ولكن لا تقرأ به إلا أن تكون ثبتت بذلك رواية.

ومعنى: ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

فيه قولان: أحدهما أنهم فوقهم في الحجة وإقامة البرهان والآخر أنهم فوقهم في اليد والبسطة والغلبة، ويكون ﴿الذين اتبعوك﴾ محمداً ﷺ ومن اتبعه فهم منصورون عَالُون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

العذاب في الدنيا القتل الذي نالهم وينالهم، وسبي الذاري وأخذ الجزية، وعذاب الآخرة ما أعده اللَّه لهم من النار.

---

(١) ك من العوس والعوس السياسة. والعياسة هي الطواف ليلا لمعرفة الحوادث.

(٢) الزمر (٣٩) ـ آية ٤٢ ـ أي يتوفاها عند انتهاء أجلها ومجيء الوقت المحدد لموتها.

(٣) أي على قياس هذا اللفظ، والمعنى إذن: سأميتك عند انتهاء أجلك، لا بأيدي ـ أعدائك.

(٤) أي جاعِلٌ الذين اتبعوك.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

أي ما لهم من يمنعهم في الدنيا لأن اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ قد أظهر الإسلام على دينهم وجعل الغَلَبة لأهله، ولا أحد ينصرهم في الآخرة من عذاب اللَّه.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

أي لا يرحمهم، ويعذبهم ولا يثني عليهم خيراً، هذا معنى البغض من اللَّه، ومعنى المحبة منه الرحمة والمغفرة والثناءَ والجميل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾.

أي القصيص الذي جرى نتلوه عليك.

﴿مِنَ الآياتِ﴾.

أي من العلامات البينات الدلالات على تثبيت رسالتك إذ كانت أخباراً لا يعلمها إلا قارىءُ كتاب أو معلَّم أو من أُوْحيت إليه.

وقد علم أن النبي ﷺ كان أُمِّيًّا لا يكتب و لا يقرأ الكتب على جهله النظر فيها والفائدة منها. فإنه ﷺ لم يعلمه أحد من الناس فلم يبق إلا الوحي، والاخبار بهذه الأخبار التي يجتمع أهل الكتاب[١] على الموافقة بالإخبار بها ـ من الآيات المعجزات[٢].

ومعنى ﴿والذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾: أي ذو الحكمة في تأليفه ونظمه وإبانة الفوائد فيه ويصلح أن تكون ﴿ذلك﴾ في معنى الذي[٣] ويكون ﴿نتلوه﴾ صلة، فيكون المعنى

---

(١) في ك أهل الكتب.

(٢) تقدير الكلام: الإخبار بهذه الأخبار من المعجزات، لأن أهل الكتاب يجمعون على صحة حدوثها، وكل ما أخبر به عنها.

(٣) الفرق أعرابي فقط. فباعتبار ﴿ذلك﴾ اسم إشارة يكون ﴿نتلوه﴾ خبراً. و﴿من الآيات﴾ تَبْيينٌ في موضع الحال، وبإعتباره موصولاً يكون نتلوه صلة ومن الآيات خبر.

الـذي نتلوه عليك من الآيـات والذكـر الحكيم فيكون ذلـك ابتداءً، والخبـر من الآيات.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾.

﴿آدم﴾ قد بينّا أنه لا ينصرف وأن إسمه مأخوذ من أديم الأرض وهو وجهها، ولذا يقال لذي اللون الذي يشبه لون الأرض آدم. و﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ليست بمتصلة بآدم[1]،إنما هو مبين قصة آدم[2] ولا يجوز في الكلام أن تقول مررت بـزيد قام، لأن زيداً معرفة لا يتصل به قام ولا يوصل به ولا يكون حالاً، لأن الماضي لا يكون حالاً أتت فيها[3]، ولكنك تقول: مثلك مثل زيد، تريد أنك تشبهه في فعله. ثم تخبر بقصة زيد فتقول: فعل كذا وكـذا. وإنما قيـل إن مثله كمثل آدم لأن اللّه أنشـأ آدم من غير أب، خلقـه من تـراب، فكـما خلق آدم من غـير أب كذلك خلق عيسى عليه السلام.

ويروى في التفسير أن قوماً من نصارى نجران صاروا إلى النبيّ ﷺ فقالـوا له: إنك سَبَبْتَ صـاحبنا، قـال ومن صاحبكم؟ قـالوا: عيسى. قـال: وما قلت فيه؟ قالوا: قلت إنه عبد. فقال ﷺ: مـا ذلك بعـار على أخي ولا نقيصـة، هو عبد وأنا عبد، قالوا: فأرنـا مثله[4] فأنـزل اللّه تبارك وتعـالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾إلى آخر الآية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾.

مـرفوع عـلى [أنه] خَبـرُ ابْتِدَاءَ مَحْـذوف: المعنى الذي أَنْبَـأْنَاك بـه في قِصَّة عيسى عليه السلام [هو] الحق من ربك.

﴿فَـلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾: أي من الشكـاكـين، والخـطاب للنبي خِـطَاب

---

(١) في الأصل بمتصل على تقدير شيء أو كلام متصل.

(٢) يريد أن «خلقه» جملة مستأنفة.

(٣) أي حاله واقعة الآن.

(٤) أرنا شخصاً مثله خلق من غير أب.

للخلق، لأن النبي لم يشكك في قصة عيسى، ومعنى ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ أي آتاك من عِنْدَ ربك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾: أي في عيسى.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

قيل له هذا بعد أن أُوحِيَتْ إليه البراهين والحججُ الْقَاطِعَة في تَثْبِيتِ أَمْرِ عيسى أنه عبد، فأُمِرَ بالْمُبَاهَلَةِ[1] بعد إقامة الحجة، لأن الحجة قد بلغت النهاية في البيان فأمر اللَّه أن يجتمع هو والنساء والأبناء من المؤمنين، وأن يدعوهم إلى أن يتجمعوا هم وآباؤهم ونساؤهم، ثم يبتهلون ومعنى الابتهال في اللغة المبالغة في الدعاءِ، وأصله الالتعان ويقال بَهَلَهُ اللَّه أي لَعَنَهُ اللَّه، ومعنى لَعَنَهُ اللَّه باعَدَهُ اللَّه من رحمته، يقال: ناقةٌ بَاهل وباهلة إذا لم يكن عليها صِرَار، وقد أبهل الرجل ناقته إذا تركها بغير صرار[2] ورجل باهل إذا لم يكن معه عصا. فتأويل الْبَهْل في اللغة المباعدة والمفارقة للشيء.

فدعاهم رسول اللَّه ﷺ إلى المباهلة لأمرين كلاهما فيه بيان أن علماءَهم قد وقفوا على أن أمر النبي ﷺ حق لأنهم إذْ أبوا أن يلاعنوا دل إباؤهم على أنهم قد علموا أنهم إن باهلوه نزل بهم مكروه، وأنهم إذا تركوا المباهلة دل ذلك ضَعَفَهُمْ[3]. ومن لا علم عنده أن فرارهم من المباهلة دليل على أنهم كاذبون، وأن النبي ﷺ صادق، وقيل إن بعضهم قال لبعض: إن باهلتموه اضطرم الوادي عليكم ناراً ولم يبق نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة، (ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: لو باهلوني لاضطرم الوادي عليهم ناراً، وما بقي نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة)[4].

(١) الملاعنة بأن يدعو كلٌّ على الآخر أن تصيبه لعنة اللَّه. وقد وفيت في النص، شرحاً.

(٢) صرار الناقة هو شد أخلافها بخيط لئلا يرضعها ولدها ـ والخيط يسمى، صراراً.

(٣) عبارة غير جيدة ـ والمراد دل على ضعفهم، وجملة من لا علم عنده كلام مستأنف.

(٤) لم يذكر الحديث في ك.

وهذا مكان ينبغي أن يُنْعَمَ النظر فيه، ويعلم المؤمنون بيان ما هو عليه، وما عليه من الضلال مَنْ خالفهم، لأنهم لم يَرِوِ أَحَدٌ أنهم باهلوا النبي ﷺ ولا أجابوا إلى ذلك.

ومعنى قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾.

أي إن هذا الذي أوحينا إليك من هذه البينات والحجج التي آتيناك لهو القصص الحق، ويصلح أن تكون [هو] ههنا فصلاً، وهو الذي يسميه الكوفيون عماداً، ويكون القصص خبر أن، ويصلح أن يكون [هو] ابتداء، والقصص خبره، وهما جميعاً خبر ﴿أَنَّ﴾.

ومعنى﴿مَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ﴾من دخلت توكيداً. ودليلاً على نفي جميع من إدعى المشركون أنهم آلهة. أي إن عيسى ليس بإله، لأنهم زعموا أنه إله، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن لا إله إلا هو، وأن من آتاه اللَّه آيات يعجز عنها المخلوقون فذلك غير مخرج له من العبودية للَّه، وتسميته آلها كفر باللَّه.

ومعنى ﴿الْعَزِيزُ﴾: هو الذي لا يعجزه شيء.

و﴿الْحَكِيمُ﴾: ذو الحكمة الذي لا يأتي إلا ما هو حكمة.

وقوله جلّ وعزّ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾: أي فإن أعرضوا عما أتيت به من البيان فإن اللَّه يعلم من يفسد من خلقه فيجازيَهُ على إفساده.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ﴾.

معنى﴿سواءٍ﴾ معنى عدل، ومعنى كلمة كلام فيه شرح قصة وإن طال، وكذلك يقول العرب للقصيدة كلمة.

يروى أن حسان بن ثابت الأنصاري كان إذا قيل له أنشد قال للقائل:

هل أَنْشِدَتْ كلمة الحويدرة[1]، يعني قصيدته التي أولها: [2]

بــكـرت ســـمية بـــكرة فـتمتعـــي

ويقال للعدل سواء وسَوَى وسُوًى، قال زهير بن أبي سلمى:

أُروني خــطة لا ضــيــم فــيــهــا ... يــســوي بيـنـنـا فـيـهـا الـسَّـوَاءُ
فــإن تُــرِك الـسَّــوَاءُ فـليس بـيـني ... وبـيـنـكـم بني حِـصـنٍ بـنـاءُ[3]

يريد بالسواءِ العدل كذا يقول أهل اللغة، وهو الحق.

وهو من استواء الشيءِ، ولو كان في غير القرآن لجاز: سواءً بيننا وبينكم، فمن قال سواءٍ جعله نعتاً للكلمة يريد ذات سواءٍ، ومن قال سواءً جعله مصدراً في معنى استواءً، كأن قال: استوت استواءً[4].

وموضع ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾. موضع «أَن» خفض على البدل من كلمة.. المعنى تعالوا إلى أن لا نعبد إلا اللَّه، وجائز أن تكون أن في موضع رفع، كأن قائلاً قال: ما الكلمة فأُجيب فقيل هي ألا نعبد إلا اللَّه، ولو كان ألَّا نعبدُ ألا اللَّه ولا نشركُ به شيئاً لجاز على أن يكون تفسيراً للقصة في تأويل أي كأنهم

---

(١) شاعر جاهلي مقل، مضري من قيس عيلان اسمه قطبة بن أوس ـ غلب عليه لقب الحويدرة والحادرة. قال صاحب الأغاني كان حسان إذا تنوشدت الأشعار يقول هل أنشدت كلمة الحويدرة. أنظر الأغاني حـ ٣ ـ ٧٣.

(٢) عجز البيت: وغدت غدو مفارق لم تربع.

وبعده:

وتعرضت لك فاستبتك بواضح ... صلت كمنتص الغزال الأتلع

لم تربع لم ترفق، والغزال الأتلع: الطويل العنق.

والبيت في الخزانة ٣/٤٣٧ ومطلع المفضلية رقم ٨.

(٣) من همزيته التي هجا بها آل حصن ثم ندم بعد ذلك ديوانه ١١.

واللسان (سواء). أي خطة يحكم فيها العدل.

(٤) ك. كلمة استوت.

قـالـوا: أي لا نعبـد إلا اللّه ـ كـما قـالَ عـزّ وجــلّ: ﴿وَانْطَـلَقَ الْمَــلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾(١) وقَال قَـومٌ معنى أن ههنا معنى يقـولون إمشـوا، والمعنى واحد(٢) لأن القول ههنا تفسير لما قصـدوا له وكـذلك «أي» يفسَّر بهـا، ولوكان ﴿أَلا نَعْبُدْ إِلا اللّه﴾ بالجزم لجاز على أن يكون «أن» كما فَسَّـرنا في تـأْويل أيْ، ويكـون ﴿لا نَعْبُد﴾ على جهَةِ النَّهْي، والْمَنْهيُّ هو النَّاهِي في الحقيقة كأنهم نهَوْا أنْفُسُهُمْ.

ومعنى﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُون اللّهِ﴾.

أي نرْجعُ إلى أن معبـودنا اللّه، وأن عيسى بشر، كـما أننا بشر فـلا نَتَّخِذْهُ ربًّا.

ومعنى﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

أي مُقِرُّونَ بالتّوحيد مستسلمون لما أَتتْنَا بِهِ الأَنْبياءُ من قِبل اللّهِ عزّ وجلّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَهْلَ الكِتابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْراهِيم وَمَا أُنْزِلَتِ التَّـوْراةُ والإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾.

في هـذا يبين حجـة على اليهـود والنصارى جميعـاً، لأن اليهـود تـدعي أَنَّ إِبْـرَاهِيمَ كان يهـودياً والنصـارى تدعي أنـه كان نصـرانيـاً، وتـدفـع اليهـود عن دعواهم، وليْسَ يَدفعُونَ اسمَ صفتِهِ أَنَّهُ كان مُسْلِماً، وأنه لم يَكُنِ اسْمُهُ يَهُودِيًّا ولا نصرانيًّا ولا مُشْركاً، والتوراةُ والإنجيلُ أُنزلَا مِنْ بعْدِهِ، وليس فيهما اسمه بـواحد من أَديـان اليهود والنصـارى والمشركـين، واسم الإسلام لـه في كـل الكتب(٣)، فَدَفْعُ بعضِهِم بعضـاً أن يكون مُسمًّى بـالأَسْماءِ التي هي غـيْر الإِسْلام دليـلٌ بَيِّنٌ

(١) سورة ص ٣٨ ـ ٦. ـ يريد أَنَّ أَنْ ليست مصدرية بل مفسرة.

(٢) أي أن مفسـرة وهي التي تسبق بكلام فيـه معنى القول دون حـروفه كما في هذه الآيـة من سورة (ص (٣٨) ـ آية ٦) أو الآية التي معنا ـ لأن ﴿كَلِمَةٍ﴾ بها معنى القول دون حروفه.

(٣) أي ثابت له في جميع الكتب.

علـى نقض قولهم، وبـرهان بَـيِّنٌ في تبـرئـة إبـراهيم من سـائـر الأديَـان إلا دين الإسلام.

ومعنى ﴿حنِيفاً مُسْلِماً﴾.

معنى الحنف في اللغة إقبال صُدُور القَدمـينْ كل واحـدة على أُختهـا إقبالاً يكون خلقةً لا رجوع فيه أبداً، فمعنى الحنيفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على ذلكَ العقد.

وقوله جلّ وعزّ ﴿إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ إتَّبعُوه وهذا النَّبيُّ﴾.

يعني محمداً ﷺ أي فهم الذين ينبغي لهم أن يقولوا إنـا على دين إبـراهيم ولهم ولاية.

﴿وَاللَّهُ وليُّ المؤْمِنِينَ﴾. أي يتولى نصرهم لأن حزبهم هم الغالبون، ويتـولى مجازاتهم بالْحُسْنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾.

أي وأنتم تشهدون أنها آياتُ اللَّه لأنكم كُنْتُمْ تُخبرُونَ بأَمْـر النَّبي ﷺ قبل مَبْعَثِـه، وأَصْل ﴿لِمَ تَكْفُـرُونَ﴾، لِمَا تكفـرون والمعنى لأيّ شيءٍ تكفُرون، وكـذلك ﴿لِمَ تَقُـولُـونَ مَـا لَا تَفْعَلُونَ﴾[١] وكـذلـك ﴿عم يتسـاءلُـون﴾[٢] و ﴿فبم يبشرون﴾[٣] فإذا وقفت عـلى هذه الحـروف وقفت بالهـاءِ، فقلت لمهْ، وبمـه[٤]، لأن الألف حذفت في هذه الأسماءِ التي للاستفهام خاصة[٥] فجوز ذلك[٦]، ولا يجوز

---

(١) الصف (٦١) ـ آية ٢.
(٢) النبأ ٧٨ ـ ١.
(٣) الحجر (١٥) ـ آية ٥٤.
(٤) لأنها بعد حذف الألف أصبحت حرفاً مفرداً، فضمت لها هاء السكت.
(٥) هي ما الاستفهامية، والجمع لتكـررها في الآيـات التي ذكرت ففي كـل آية اسم استفهـام، أي حذفت في هذه الكلمات.
(٦) في الأصل يجوز ذلك.

ذلك في الموصلة[1] لأن الألف فيهن ليست آخر الأسماءِ[2] إنما الألف وسط [وحذفها][3] لأن حروف الجر عوض منها، فحذفت استخفافاً، لأن الفتحة دالة عليها، ولا يجوز إسكان هذه الحروف.

وزعم الكسائي أن الأصل كان في «كم» كما، قال: وكنت أشتهي أن تكون مفتوحة لالتقاءِ الساكنين في قولهم: «كم المال»[4] - بالكسر -. وهذا غلط من أبي الحسن، ولو كان كما يقول لكان «كَم مالك» كما أنك تقول: «لِمَ فَعَلْتَ».

وليس هذا القول مما يعرج عليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾.

أي لم تغطون الحق بباطلكم وأنتم تعلمون أنه الحق؟ يقال: لبست عليهم الأمر ألبسه. قال اللَّه تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[5].

ويقال: لَبِسْتُ الثوب أَلْبَسُهُ، وقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً﴾[6].

ولو قيل: «وتكتموا الحق» لجاز، على قولك: لم تجمعون هذا وذاك. ولكن الذي في القرآن أجود في الإعراب[7].

---

(١) لا تحذف الألف في ما الموصولة، لأن الاسم الموصول لا يتم إلا بصلته، فالألف ليست آخر الكلمة ولا يوقف على موصول بدون صلة.

(٢) أي في ما الموصولة في مختلف مواضعها.

(٣) أي في ما الاستفهامية.

(٤) تمنى أن تحرك ميم كم بالفتحة لا كما تنطق بالكسر.

(٥) الأنعام (٦) - آية ٩.

(٦) الكهف (١٨) - آية ٣١

(٧) النصب يجعل الواو للمعية، ويكون التوبيخ على هذا الجمع، والرفع باعتبار الواو عاطفة، ويدل على أن كل حدث على حدته «من لبس الحق بالباطل» وكتمان الحق، يستحق التوبيخ، فهو أجود.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

الطائفة الجماعة، وهم اليهود.

﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾.

أي أَوَّلَهُ. قال الشاعر:[1]

مَنْ كَانَ مَسْروراً بِمَقْتَلِ مَالِكٍ ... فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ

يَجِدِ النِّسَاءَ قَوائِماً يَنْدُبْنَه ... قد جِئْنَ قَبْلَ تَبَلُّجِ الأَسْحَارِ

أي في أول النهار[2].

وقد قيل في تفسير هذا غير قول، قال بعضهم: [معناه] آمنوا بصلاتهم إلى بيت المقدس وأكفروا بصلاتهم إلى البيت[3].

وقيل أن علماءِ اليهود قال بعضهم لبعض: قد كنا نخبر أصحابنا بأشياء قد أتى بها محمد ﷺ فإن نحن كفرنا بها كلها اتهمنا أصحابنا ولكن نؤمن ببعض ونكفر ببعض لنوهمهم أننا نصدقه فما يصدق فيه، ونريهم أنا نكذبه فيما ليس عندنا.

(١) هو ربيع بن زياد شاعر مخضرم من قيس عيلان كان من ندماء النعمان بن المنذر، وأمه فاطمة بنت الخرشب - أم الكلمة - وهم أربعة أجواد شجعان حكماء، سميت بهذا من أجلهم - وتسمى أم المنجبين، وهو يبكي مالك بن زهير الذي قتل في عوف بن بدر.

أنظر الأغاني ١٦ ص ١٩ ومابعدها - (الساسي) وأمالي المرتضى ٣-٤٧ - وفي ١٤٩-١٥١ منها، تفاصيل هذه الحوادث، والخزانة ٣ - ٥٨٣. وفي اللسان (وجه) وشواهد الكشاف ١١٤ والخصائص والأغاني: - حواسراً تبكينه، وفي بعضها يبكين قبل تلبج الأسحار.

والمعنى من كان مسروراً بمقتله فخليق به أن يسر، لأن حزننا عليه أصابنا بكل هذا. ومعنى حواسراً يندبنه أي يكشفن عن وجوههن، وأصبحن لا يبالين أن يراهن الأجانب لما حل بهن من المهانة - وهذه الرواية أولى من رواية قوائماً، لأنه جاء بعد هذا البيت:

قد كن يخبأن الوجوه تسترا ... فالان حين بدون للنظار

وقوائما: أصبحن أي منهمكات في البكاء.

(٢) ك أي أول النهار.

(٣) ك إلى الكعبة.

وقيل انهم أتوا النبي ﷺ في صدر النهار فقالوا له: إنك الذي خُبِّرْنا في التوراة بأنك مبعوث، ولكن أنظرنا إلى العشي لننظر في أمرنا، فلما كان بالعشي أتوا الأنصار فقالوا لها: قد كنا أعلمناكم أن محمداً ﷺ هو النبي الذي هو المكتوب في التوراة، إلا أننا نظرنا في التوراة فإذا هو من (ولد هرون. ومحمد من ولد إسماعيل)[1] فليس هو النبي الذي عندنا.

وإنما فعلوا ذلك لعل مَن آمن به[2] يرجع فهذا ما قيل في تفسير الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾.

قيل: المعنى لا تجعلوا تصديقكم النبي في شيءٍ، مما جاءَكم به إلا لليهود، فإنكم إن قلتم ذلك للمشركين كان عوناً لهم على تصديقه.

وقال أهل اللغة وغيرهم من أهل التفسير: ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم إلا لمن تبع دينكم، أي لا تصدقوا أن يعطى أحدٌ من علم النبي ﷺ مثل ما أُعطيتم﴿أو يحاجوكم عند ربكم﴾.

ومعنى﴿أَوْيُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾: أي ليس يكون لأحد حجة عند اللَّه في الإيمان به لعلم من عنده. إلا من كان مثلكم.

وقد قيل في المعنى:[3] ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾.

أي الهدى هو هذا الهدى، لا يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم[4].

---

(١) ليست في ك وعبارتها فإذا هو من ولد إسماعيل.

(٢) ط آمن به منهم.

(٣) ك. قيل: المعنى:

(٤) جمع بين رأيين ـ الأول لا نفي فيه، و﴿الهدى﴾ مبتدأ، و﴿هدى اللَّه﴾ بدل أو عطف و﴿أن يؤتى﴾ خبر ـ يعني أن الهدى أن يدعو لما أنتم عليه لا لشيء يخالفه. والوجه الثاني ما شرحه. ويجوز أن تكون جملة ﴿أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم﴾ توكيداً للأولى.

قال بعض النحويين معنى: «أن» ههنا معنى «لا» وإنما المعنى أن لا يؤتى أحد مثل ما أتيتم، أي «لأن» لا تؤتى فحذف «لا» لأن في الكلام دليلاً عليها، كما قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾(١) أي لئلا تضلوا.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: «لا» ليست مما يحذف ههنا ولكن الإضافة ههنا معلومة، فحذفتَ الأول وأقمتَ الثاني مقامه، المعنى يبين اللّه لكم كراهة أن تضلوا وكذلك ههنا قال: إن الهدى هدى اللّه كراهة أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم: أي من خالف دين الإسلام، لأن اللّه لا يهدي من هو كاذب كفار، فهدى اللّه بعيد من غير المؤمنين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قل إن الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاءُ﴾.

(أي نبوته وهداه يؤتيه من يشاءُ)(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إلَيْكَ﴾.

اتفق أبو عمرو، وعاصم والأعمش(٣) وحمزة(٤) على إسكان الهاءِ [من يؤده] وكذلك كل ما أشبه هذا من القرآن اتفقوا على إسكان الهاءَ فيه، نحو ﴿نُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾(٥) و ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾(٦) وقوله: ﴿مَا تولى﴾(٦) إلا حرفاً حكي عن

---

(١) النساء ٤ ـ ١٧٦. وليست آن إذن بمعنى لا، ولكن في الكلام «لا» محذوفة.

(٢) ك. فقط.

(٣) هو سليمان بن مهران أسدي بالولاء، أصله من بلاد الري نشأ ومات بالكوفة ١٤٨ هـ كان عالماً بالقرآن والفرائض والحديث، ذا ورع وفي أخلاقه عفة وترفع قيل: لم ير الملوك والأغنياء أحقر منهم في حضرته مع فاقته وفقره. الوفيات ١ ـ ٢١٣ ـ تاريخ بغداد ٩ ـ ١٣.

(٤) هو حمزة بن حبيب ـ تميمي ـ قيل صميماً وقيل ولاء ـ أدرك الصحابة ولعله قابل بعضاً منهم ـ وهو أحد القراء السبعة ـ كوفي قرأ على جماعة منهم الأعمش وجعفر الصادق ـ وكان الأعمش يسميه حبر القرآن ـ توفي ١٥٦ هـ.

أنظر غاية النهاية ١١٩٠ ص ٢٦١ ـ ٢٦٤.

(٥) النساء ٤ ـ ١١٥. وأراد بإسكان الهاء عدم مدها.

(٦) الشورى ٤٢ ـ ٢٠.

ابي عمرو. وحكى أبو عبيدة عن أبي عمرو أنـه كسر في ﴿الْقِـهْ اليهم﴾(١) ولا فصل بين هذا(٢) الحرف وسائر الحروف التي جزمها. أما الحكاية عن أبي عمرو فيه وفي غيره فغلط. كان أبو عمرو يختلس الكسرة، وهـذا كما غُلطَ عليـه في ﴿بَارِئْكُمْ﴾ حكى القراء عنه أنه كان يحذفَ الهمزة فى بارئكم (٣).

وحكى سيبويه عنه ـ وهو في هذا أضبط من غيره ـ أنـه كان يكسـر كسراً خفياً، وأما نافع(٤) وقُراءُ أهل المـدينة فـأشبعوا هـذه الحروف فكسـروا وأثبتوا الياءَات مثل ﴿يؤده إليك﴾(٥) وهذا الإسكان الذي حكى عنـه هؤلاءِ غلط بين لا ينبغي أن يقرأ به لأن الهاءَ لا ينبغي أن تجزم ولا تسكن في الوصل إنما تسكن في الوقف.

وَفي هذه الحُرُوفِ أربعة أوجُهِ، يجوز إثْبَاتَ اليَاءِ(٦)، ويَجُوز حَـذْفهَا(٧) [تقول] يؤده إليك بـالكسر، ويجـوز(٨) يَؤدِّ هُو إلَيْـكَ بالضَّم بـإثبات الـواو بعد الهـاءِ، ويجوز حـذف الواو وضمُّ الهـاءِ. فأمـا الوقف فـلا وجه لـه، لأن الهاءَ حـرف خفي بُيِّنَ في الوصل بالواو في التـذكير، قـال سيبويـه دخلت الـواو فِي التـذكير كمـا دخلت الألف في التأنيث، (نحـو)(٩) ضربتهـو وضـربتهـا، قـال أصْحَابه أختيرت الواو لأنها من طرف الشفتين والهاء من الحلق، فأبَـانَتْ الواو

---

(١) النمل ٢٧ ـ ٢٨ : ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم﴾.

(٢) في الأصل هذه وقد تقدم ذلك.

(٣) أي بحذفِ حركتها ويسكنها ـ وبارئكم من البقرة ٢ ـ ٥٤.

(٤) نافع بن عبد الرحمن، ليثي بالولاء. أصله من أصبهان كان شديد السواد ولكنه صبيـح الوجـه، حسن الخلق فيه دعابة ـ إنتهت إليه رئاسة القراء بالمدينة وتوفي بها بعد أن أقرأ أكثـر من سبعين عاماً. وتوفي ١٦٩ هـ غاية النهاية ٢ ـ ٣٣٠، ابن خلكان ٢ ـ ١٥١.

(٥) الياء في مد الهاء من يؤده.

(٦) في ك بإثبات الياء أي القراءة بإثباتها.

(٧) ك حذفها تبعاً.

(٨) ك بالكسر وإثبات الياء.

(٩) ليست في ك.

الهـاءَ، وإنَّمَا، تحـذف الياءُ لعلة تقلب الـواو إليهـا، فـإذا حـذفت اليـاءُ بقيت الكسرة فأما في الوقف فلا يجوز البتة[1].

وقد أكثر الناس في تفسير القنطار، وقد حكينـا ما قـال الناس فيـه. ولم يتفقـوا على تحـديـد في مقـدار وزنـه إلا أنهم قـد اتفقـوا في أنـه الكثيــر من المال[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً﴾:

أكثر القراءَة ﴿دُمْت﴾ بضمّ الدَّال، وقد قرِئَتْ «دِمْت» فأما دُمْت فمن قولك، دُمْت أَدُوم إذا بقيت على الشيءِ مثـل قمتُ أَقوم، وأَمَّـا دِمْتُ ـ بالكسـر ـ فعلى قولهم دِمْتَ تَدَامُ، مثـل قولـك: خِفْتَ تُخَافُ، ويقـال قد ديم بفـلان وأدِيمَ به بمعنى دِيـرَ به وأُدِيـر به، [وَهـو الذي] بـه دُرَامْ كقولهم: بـه دُوَامٌ كقولهم: بـه دوار. ويقال دام المال إذا سكن يدوم فهو دائم ومنـه: «نهى النبي ﷺ أن يُبَال في الماءِ الدَّائِم» أي السـاكن، ويقال قـد دوَّم الطَّائِـر في الجو تـدويماً، وهـو يصلح أن يكـون من وجهين، من دورانه في طيـرانه ويصلح أن يكـون من قلة حركة جناحه، لأنَّه يرى كأنه ساكن الجناح.

ومعنى: ﴿قائماً﴾ أي إلا بدوامك قائماً على اقتضاءِ دينك،

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾:

أي فعلهم ذلـك بقولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَـا في الأُمِّيِّين سَبيلٌ﴾ أي ليس علينا طريق في أَخْذِ مَالِهِمْ[3].

ـذف الياء لوجود الكسرة قبلها أما الواو السـاكنة فتقلب يـاء بعد الكسـرة، وبعد الضمـة يجوز ـذف الواو أيضاً والممنوع هو الإسكان في حال الوقف.

، ص ٣٨٣.

(٣) أي لا عقوبة ولا إثم في أكل مالهـم. والأميون أما العـرب لأنهم لم يكونـوا يقرأون ولا يكتبـون فالكلمة من أمي وأما المراد جميع الأمم عدا اليهود من «أمة وأمم» أي الامميون.

وصف اللَّه عزّ وجلّ: ﴿أكلَهُمُ السُّحْت وخيانتهم﴾، وقد قيل في التفسير: إنهم عاملوا قوماً من المشركين فلما انتقلوا إلى الإسلام قالوا ليس علينا لكم سبيل إنما عاملناكم وأنتم على دينكم ذلك. فأعلم اللَّه إنهم يكذبون، قال عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُونَ على اللَّهِ الكَذِبَ وهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي وهم يعلمون أنَّهم يَكْذِبُونَ. فرد اللَّه قولهم فقال: ﴿بلى﴾: وهو عندي - واللَّه أعلم - وقف التمام، ثم استأنف فقال عزّ وجلّ: ﴿مَنْ أوفَى بِعَهْدِهِ واتَّقَى فإن اللَّه يحب المتقين﴾: أي فإن اللَّه يحبه، ويجوز أن يكون استأنف جملة الكلام بقوله بلى لأن قولهم: ليس علينا فيما نفعل جناح. كقولهم نحن أهل تقوى في فعلنا هذا - فأَعْلَمَ اللَّه أن أهل الوفاءِ بالعهد والتُّقَى يحبهم اللَّه، وأنهم المتقون، أي الذين يتقون الخيانة والكفر بالنبي ﷺ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولئِكَ لاَ خَلاقَ لَهُمْ في الآخِرَةِ﴾:

هذه الجملة خبر إنَّ، ومعنى الخَلاق النصيب الوافر من الخير، ومعنى قوله: ﴿لا يكلمهم اللَّه ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾: في قوله: ﴿لا يكلمهم اللَّه﴾وجهان، أحدهما أن يكون إسْماع اللَّه أولياءَه كلامه بغير سفير، خصوصية يخص اللَّه بها أولياءَه كما كلم موسى فكان ذلك خصوصية له دون البشر أجمعين، وجائز أن يكون﴿ولا يكلمهم اللَّه ولا ينظر إليهم﴾تأويله الغضب عليهم، والإعراض عنهم كما تقول: فلان لا ينظر إلى فلان ولا يكلمه، وتأويله أنه غضبان عليه، وإن كلمه بكلام سوء لم ينقض ذلك.

ومعنى﴿وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾: لا يجعلهم طاهرين ولا يثني عليهم خيراً، ومعنى عذاب أليم: أي موجع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بالكِتَابِ﴾.

هذه اللام في﴿وإن منهم لفريقاً﴾تؤكد الكلام زيادة على توكيد «إن» لأن

«إن» معناها توكيد الكلام، ولذلك صار لضم يوصل بها في الإيجاب، تقول: واللّه أن زيداً قائِم، وكذلك تصل الضم باللام، فيقول واللّه لزيد قائم ولا تلي هذه اللام «إنَّ» لا يجوز «إن لزيداً قائم» بإجماع النحويين كلهم وأهل اللغة.

ومعنى﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب﴾: أي يحرفون الكتاب، أي يعدلون عن القصد، (ويجوز يُلَوُّونَ - بضم الياءِ والتشديد)[1] ﴿لتَحْسَبُوُه﴾ ولتْحسِبُوه - بكسر السين وفتحها - يقال حسِبَ يَحْسَبُ ويَحْسِبُ، جميعاً، ويقال لويت الشيءَ إذا عَدلته عن القصد ليا ولويت الغريم لِيَاناً إذا مَطَلْتُه بدينه قال الشاعر:[2]

قد كنت داينت بها حسانا مخافة الإفلاس والليانا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ما كان لبشر أن يؤْتيه اللّه الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون اللّه﴾

أي أن اللّه لا يصطفى لنبوته الكذبة، ولو فعل ذلك بشر لسلبه اللّه عزّ وجلّ: آيات النبوة وعلاماتها ونصب﴿ثم يقول﴾: على الاشتراك بين أن يؤْتيه وبين يقول، أي لا يجتمع لنبي أتيان النبوة والقول للناس كونوا عباداً لي. ﴿ولكن كونوا ربانيين﴾ والربانيون أرباب العلم. والبيان. أي كونوا أصحاب علم، وإنما زيدت الألف والنون للمبالغة في النسب، كما قالوا للكبير اللحية لَحياني ولذي الجمة الوافرة جُماني.

وقد قرىءَ - ﴿بما كُنْتُمْ تُعلِّمُونَ الكتاب﴾. ﴿وتَعلَّمون﴾ - بضم التاءِ وفتحها، ﴿وبما كنتم تَدْرُسُونَ﴾ اي بعلمكم ودرْسِكُمْ عَلِّمُوا الناس وبيِّنوا لهم. وجاءَ في

---

(١) ليست في ك.

(٢) هو رؤبة والأبيات في ملحقات ديوانه ١٨٧ وفي ابن يعيش ٦ - ٦٥ والكتاب ١٩١ وتنسب لزياد العنبري المعنى بعثُ الإبل بالدين لحسان ثقة في وفائه وخوفاً من مماطلة غيره وإفلاسه - اللين: المماطلة.

التفسير ﴿كونوا ربَّانِيّين﴾ أي: «علماءَ فقهاءَ» ليس مَعْنَاه كما تعلمون فقط، ولكن ليكن هديكم ونيتكم في التعليم هدى العلماء والحكماء، لأن العالم إنما ينبغي أن يقال له عالم إذا عمل بعلمه، وإلا فليس بعالم، قال اللَّه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[1] ثم قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي لو كانوا وَفَّوا العلمَ حقَّه - وقد فسرنا ما قيل في هذا في مكانه.

ومعنى: ﴿ولا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا المَلائِكَةَ والنبيِّينَ أَرْبَاباً﴾:

أي ولا يأمركم أن تعبدوا الملائكة والنبيين لأنَ الذين قالوا: إن عيسى عليه السلام إلهٌ عبدوه واتَّخَذوه ربًّا، وقال قوم من الكفار إن الملائكة أَربَابُنَا، ويقال إنَّهم الصابئون، ويجوز الرفع في ﴿وَلَا يَأْمُرُكُم﴾ أي لا يأمركم اللَّه[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾.

موضع ﴿إذ﴾ نصب - المعنى - واللَّه أعلم - واذكر في أقاصيصك ﴿إذ أخذ اللَّه ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة[3]﴾ - إلى قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ به وَلَتَنْصُرُنَهُ﴾. «ما» ههنا على ضربين: - يصلح أن يكون للشرط والجزاءِ وهو أجود الوجهين، لأن الشرط يوجب أن كل ما وقع من آمر الرسل فهذه طريقته، واللام دخلت في ما كما تدخل في «إنْ» التي للجزاءِ[4] إذا كان في جواب القسم، قال اللَّه عزّ وجلّ:

---

(١) البقرة ٢ - ١٠٢.

(٢) الرفع على أنه مستأنف والنصب على أنه معطوف على أن يؤتيه.

(٣) تكملة الآية: ﴿لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾.

(٤) اللام في ﴿لتؤمنن به﴾ جاءت في جواب ما الشرطية لأنها مسبوقة بلام قسم - وعند اجتماع الشرط والقسم يحذف جواب المتأخر منهما ويكتفى بجواب الأول منهما. كما في الآية التي ذكرت.

﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ـ وقال : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعتِ الإنسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتوا بِمثْلِ هَذَا القُرآنِ﴾[١].

فاللام في «إن» دخلت مؤكدة موطدة للام القسم. ولام القسم هي التي لليمين لأَنَّ قولك: واللّه لئن جئتني لأُكرمنك. . . إنما حلفك على فعلك إلا أن الشرط معلق به[٢] فلذلك دخلت اللام على الشرط فإذا كانت ما في معنى الجزاءِ فموضعها نصب بقوله﴿لما آتيتكُمْ﴾ والجزاءُ قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ به﴾ ويجوز أَنْ يكونَ في معنى الذي ويكون موضعها رفعاً[٣].

المعنى أَخذ اللّه ميثاقهم أي استحلفَهم للذي آتيتكم، والمعنى أَتيتكموه ﴿لتؤْمنن به﴾ فتكون ما رفعا بالابتداءِ ويكون خبر الابتداء لتؤْمنن به، وحذفت الهاءُ من ﴿لما آتيتكم﴾ لطول الاسم. فأَعلم اللّه ـ عزّ وجلّ: أنه عهد إلى كل رَسُولٍ أَنْ يُؤمِنَ بغيره من الرسل فصارَ العهد مشتملاً على الجماعة أَن يؤْمن بعضهم ببعض وأَن ينصر بَعْضُهُمْ بعضاً.

ومعنى قوله: ﴿فاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ من الشَّاهِدِينَ﴾ : أَي فتبينوا لأَن الشاهد هو الذي يصحح دعوى المدعي وشهادة اللّه للنبيين تبيينه أَمر نبوتهم بالآياتِ المعجزات. ويجوز[٤] ـ وقد قرىءَ به ـ «لِمَا آتيتكم» فتكون اللام المكسورة معلقة بقوله أَخَذَ[٥] المعنى أَخذ الميثاق لاتيانِكُمْ الكِتَاب والحكمة، وقرأَ بعضهم، لَمَّا آتَيْنَاكم من كتاب وحكمة أَي لما آتيناكم الكتاب والحكمة أَخَذَ الميثاقَ ويكون الكلام يؤُول إلى الجزاءِ ـ كما تقول: لما جئْتني أُكرمتك.

---

(١) الإسراء ١٧ ـ ٨٦ ـ ٨٨.

(٢) القسم عليه معلق بالشرط. أي الإكرام معلق بالمجيء.

(٣) ويقدر العائد محذوفاً أي الذي آتيتكموه. ولا داعي لهذا إذا كانت شرطية.

(٤) ك وقد يجوز.

(٥) ك. معلقة بقوله أخذ الميثاق والمعنى أخذ الميثاق لإتيانه إياكم به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ :

ذلك إشارة إلى أخذ الميثاق بالمعنى: ﴿فمن تولى﴾ أي أعرض عن الإيمان بعد أخذ الميثاق على النبيين، وأَخْذُ الميثاق على النبيين مشتمل على الأخذ على أممهم[1]، أي فمن تولى بعد أخذ الميثاق وظهور آيات النبي «فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ» :

أي الذين خرجوا عن القصد وعن جملة الإيمان.

ويصلح أن تكون ﴿هُمْ﴾ ههنا اسماً مبتدأ، و ﴿الفاسقون﴾ خبرهُ و «هم» «مع» الفاسقون خبر أولئك. وصلح أن يكون «الفاسقون» مرتفعاً[2] بأولئك «وهم» فصل - وهو الذي يسميه الكوفيون العماد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أفغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يبغُونَ﴾: أي أفغير دين اللَّه يطلبون، لأنه قد بين أنه دين اللَّه وإنهم كفروا وعاندوا وحسدوا بغياً - كما فعل إبليس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَواتِ والأَرْضِ طَوعاً وَكَرْهاً﴾:..
جاءَ في التفسير أنه أسلم من في السموات كلهم طوعاً، وأسلم بعض من في الأرض طوعاً وبعض كرهاً. لما كانت السنة فيمن فُرِض قتاله من المشركين أن يقاتَلَ حتى يسلم سمي ذلك كرهاً، وإن كان يسلم حين يسلم طائعاً، إلا أن الوصلة كانت إلى ذلك بِكُرهٍ، ونصب ﴿طوعاً﴾ مصدراً، وضع موضع الحال. كأنه[3] أسلموا طائعين ومكرَهين، كما تقول جئتك ركضاً ومشياً[4]، وجئت راكضاً وماشياً، ويجوز أن يكون واللَّه أعلم - على معنى ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ - أي خضعوا من جهة ما فطرهم عليه ودبرهم به، لا

(١) ك من تبعهم.

(٢) في الأصول كلها مرتفعين. وسبق للزجاج مثل هذا - أعاد الضمير بمعنى القوم الفاسقين.

(٣) كان الكلام والتعبير.

(٤) على أن المصدر بمعنى اسم الفاعل، كما تقول: جئتك سعياً على القدم.

يمتنع ممتنع من جِبِلَّةٍ جبل عليها[1] ولا يقدر على تغييرها، أحب تلك الجِبِلَّةَ أو كرهها. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ يدل على تصديق هذا القول.

لأن المعنى انه بدأكم على إرادته شئتم أو أبيتم، وهو يبعثكم كما بدأكم. فالتأويل: أتبغون غير الدين الذي هذه[2] صفته، ثم أمر اللَّه - عزّ وجلّ - النبي ﷺ وأمته أن يقولوا آمناً باللَّه وما أنزل علينا، وأن يقولوا ويعتقدوا أنهم لا يفرقون بين جميع الرسل في الإيمان بهم. لا يكفرون ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى، وأعلم اللَّه أنه لا يقبل ديناً غير دين الإسلام ولا عملاً إلا من أهله. فقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغ غَيْرَ الإِسلام دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ - وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾:

﴿يَبْتَغِ﴾ جزم بمن - وقوله: ﴿فَلَنْ يُقْبَل مِنْهُ﴾ الجواب.

ومعنى ﴿من الخاسرين﴾ أي ممن خسر عمله، والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدّوا عَنْ سَبيلِ اللّه أَضَلَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾:

يقال إنها نزلت في قوم ارتدوا ثم أرادوا الرجوع إلى الإسلام ونيَّتهم الكفر. فأعلم اللَّه أنه لا جهة لهدايتهم لأنهم قد استحقوا أن يضلوا بكفرهم، لأنهم قد كفروا بعد البينات التي هي دليل على صحة أمر النبي ﷺ، وقيل إنها نزلت في اليهود لأنهم كفروا بالنبي بعد أن كانوا - قبل مبعثه - مؤمنين. وكانوا يشهدون بالنبوة لَهُ فلما بعث عليه السلام - وجاءَهم بالآيات المعجزات وأنبأهم بما في كتبهم مما لا يقدرون على دفعه، وهو - ﷺ أمي - كفروا به بغياً وحسداً،

---

(١) فطرة برأه اللَّه عليها. (٢) في الأصل «هو».

(٣) القتال - ١.

فـأعلم اللَّه أن جزاءهم اللعنـة، فقـال: ﴿أُولَئِـكَ جـزاؤهم أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَـةَ اللَّهِ والملآئِكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

ومعنى لعن النـاس (أجمعين)[1] لهم أن بعضهم يـوم القيامـة يلعن بعضـاً ومن خـالَفهم يلعنهم، وتأويـل لعنة اللَّه لهم تبعيـده إياهم من رحمتـه[2] وثنـائـه عليهم بكفرهم[3].

ومعنى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾.

(أي) فيما توجبُه اللعنة أي[4] في عذاب اللعنة ﴿لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ العَـذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون عن الوقت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾.

أي أظهروا أنهم كانوا على ضلال وأصلحوا ما كانوا أفسدوه وَغـرُّوا به مَنْ اتَّبَعَهُمْ مِمَّنْ لاَ عِلْمَ عِنْدَه ﴿فَإِنَّ اللَّه غَفُورٌ رحِيم﴾.

أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن من سعة رحمته وتفضله أن يغفر لمن اجترأ عليه هذا لاجتراءِ لأن هذا ما لا غاية بعده، وهو أنه كفر بعد تبين الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ كَفَرُوا بَعْـدَ إِيمانِهِم ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْـراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهمْ وَأُولَئِكَ هم الضَّالُونَ﴾.

يقال في التفسير أن هؤلاءِ [هم] النفرُ[5] الذين ارتدوا بعد إسلامهم ثم أظهروا

---

(١) أجمعين ليبست في ك.

(٢) ط ولعن اللَّه لهم.

(٣) أي تبعيدهم من ثنائه عليهم، وفي ك ثناؤه وهو خطأ.

(٤) أي ليست في ك.

(٥) قدرنا كلمة «النفر» هي الخبر لخلو الجملة من الخبر وهو تقدير لكلام الزجاج وهـو بعيد، لأن الخبر كما هو ظاهر ـ جملة ـ ﴿لن تقبل توبتهم﴾.

أنهم يريدون الرجوع إلى الإسلام، فأظهر اللَّه أمرهم لأنهم كانوا يظهرون أنهم يرجعون إلى الإسلام وعندهم الكفر - والدليل على ذلك - قوله - عزّ وجلّ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ لأنهم لو حققوا في التوبة لكانوا غَيْرَ معتدين، ويدل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً﴾.

لأن الكافر الذي يعتقد الكفر ويظهر الإيمان عند اللَّه كمظهر الكفر لأن الإيمان [هو] التصديق والتصديق لا يكون إلا بالنية.

ومعنى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً﴾.

أي لو عمل من الخير وقدم ملء الأرض ذهباً يتقرب به إلى اللَّه لم ينفعه ذلك مع كفره.

قال أبو إسحق. وكذلك لو افتدى من العذاب بملءِ الأرض ذهباً لم يقبل منه. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه لا يُثِيبُهُمْ على أعمالهم بالخير ولا يقبل منهم الفداءَ من العذاب(١).

وقال بعض النحويين إن الواو مسقطة - قال المعنى فلن يُقبل من أحدهم ملءُ الأرض ذهباً لو افتدى به - وهذا غلط لأن الفائدة في الواو بينة(٢) وليست الواو مما يلغي(٣).

---

(١) يفهم هذا أن الآية تنص على عملين مختلفين، الصدقة في الدنيا والافتداء في الآخرة وليس الأمر كذلك. إذ المعنى أنه لا يقبل منهم افتداء بملء الأرض ذهباً وهم لا يستطيعون ذلك - حتى لو استطاعوه ما نفعهم - وهي حديث عن يوم القيامة للنص ﴿وماتوا وهم كفار﴾ أما في هذه الدنيا فلهم أن يتوبوا.

(٢) إذ هي تفيد أن ذلك أمر مستبعد - فهو لا يستطيع أن يقدِّمَ هذا ولو استطاعه ما قبل منه.

(٣) ليست من الحروف التي يقدر عدمها مثل لا في القسم. وعبارة الفراء الواو ههنا قد يستغنى عنها فلو قيل ملء الأرض ذهباً لو افتدى به كان صواباً». والزجاج يريد، أن الواو أفادت المبالغة.

يقال ملأت الشيء أملؤه مَلئاً، المصدر بالفتح لا غير - قال سيبويه والخليل: الملءُ - بفتح الميم - الفعل. وتقول: هذا ملءُ هذا أي مقدار ما يملؤه، كما يقال: رَعَيْت رَعْياً والمال في الرعي فهذا فرق بين(1).

وقال بعض النحويين: يقال مَلأتُ مَلْئاً ومُلْئاً(2) وهذا غلط بين لأن الموصوف ههنا إنه لو ملك مقدار ما يملأ الأرض ما قبل منه، وليس يقال. إن قدر أن يفعل، أي أن يملأ الأرض، إنما المتقرب به الذهب الذي هو ملءُ الأرض، لا أن يَملأ:

يقال ملأت الشيء مَلْئاً وقد مَلِيءَ فلان مَلأً وهو مملوءٌ إذا زكم(3) والملأ أشراف القوم، وتَقول أنت أملأ بهذا أي أثرى وأوثق، ورجل مَلِيءٌ بين الملاءَة، يا هذا. فأما ما يكتبه الكتاب، أنت المَلِيُّ بالياءِ فخطأٌ وهم مجمعون عليه، هذا غلط. والمُلاءَةُ التي تلبس، ممدود، والمُلاَوَةُ من الدهر القطعة الطويلة، ومن هذا قولهم. أَبْلِ جَديداً(4) وتَمَلَّ حَبِيباً أي عش مع حبيبك دهراً طويلاً، و﴿ذهباً﴾ منصوب على التمييز - قَال سيبويه وجميعُ البصريين: إنّ الاسم المخفوض قد حال بين الذهب وبين المِلء أنْ يكون جرًّا، وحقيقة تَفْسيره: أن المعنى ما يملؤهُ من الذهب وكذلك إذا قلت: عندي عشرون درهماً أي ما يُعادِل هذا المقدارَ من الدّراهِم، وجائز أن يكو... - والله أعلم قوله - عزّ وجلّ -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ

---

(1) رعياً في رعيت رعياً مصدر. أما في المال في الرعي فهي اسم أي الماشية في الكلاء. والمصدر هو عمل الشيء واحداثه أما الاسم فهو للشيء الذي حدث. والعمل لا يفتدى به إنما يفتدى بالمال.

(2) بضم الميم وفتحها.

(3) الملأة بالضم كالمتعة والملاءة والملاء الزكام يصيب من امتلا المعدة. وملوء فهو مَلِيء وأملأه الله أملاء أي أزكمه فهو مملوء - على غير قياس، إذ قياس الرباعي مفعل لا مفعول.

(4) ط تجديد. دعوة بطول العمر وإفناء الثياب.

ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾، يعني اليهود لأنهم كانوا تائبين في وقت إيمانهم بالنبي ﷺ قبل مبعثه، فأعلم اللَّه أن تلك التوبة وذلك الإيمانَ لَيْسَ بمقبُول، لأنّهم كفروا بعدُه وزادوا كفراً، فإن كفرهم بما كان ينزل على النبي ﷺ وقتاً بعد وقت زيادة في الكفر ـ وكذلك الإقامة[1] عليه زيادة فيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

قال بعضهم: إن كل ما يُتقرّبُ به إلى اللَّه من عمل خير فهو إنفاق، وروي عن ابن عمر أنه اشترى جارية كان هَوِيهَا فلمَّا ملكَها أَعْتقهَا ولمْ يُصِبْ منها. فقيل له: أَعْتقْتهَا بعد أن كنتَ هويتَها ولم تصب منها. فتلا هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّون﴾. وفعل ابن عمر هذا ينبغي أن يَقْتَدِيَ به الناس في أن لا يضنوا بجليل ما يملكونه في التقرب به إلى اللَّه تعالى

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

أي فإن اللَّه يجازي عليه لأنه قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه﴾[2] فإذا عمله جوزي عليه.

وتأويل ﴿ما﴾ تأويل الشرط والجزاءِ، وموضعها نصب «بتنفقوا» المعنى، وأي شيء تنفقوا فإن اللَّه عليم به والفاءُ جواب الجزاءِ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

موضع «ما» نصب، المعنى إلا الطعام الذي حرَّمه إسرائيلُ على نفسه، ويروى: أنه وجد وجعاً، وقيل في التفسير: إن ذلك الوجع كان عرق النساءِ

---

(١) في ط إقامة زيادة.

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ ـ ٧.

فنذر إنْ أبرأه[1] اللَّه[2] أن يترك أحبَّ الطعام والشراب إليه. وكان أحب الطعام والشراب إليه لحومَ الإبل وألبانَها، فحرّم اللَّه ذلك عليهم بمعاصيهم كما قال: ﴿فبظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[3].

وأعلم اللَّه أن الذي حرمه إسرائيل على نفسه كان من قبل أن تنزل التوراة، وفي أعظم آية للنبي لأنه أنبأهم بأنهم يدعون أن في كتابهم ما ليس فيه، ودعاهم مع ذلك إلى أن يأتوا بكتابهم فيتلوه لِيُبَيِّنَ لهم كذبهم فأبوا، فكان إباؤهم دليلاً على علمهم أن النبي ﷺ قد صدق فيما أنبأهم به، ولو أتَوْا بِها لم يَكونوا يَخْلونَ من أحد أمرين: إما أن يزيدوا فيها ما ليس فيها في ذلك الوقت فيعلم بعضهم أنه قد زيد، أو ينزل اللَّه بهم عقوبة تبين أمرهم، أو أن يأتوا بها على جملتها فيعلم بطلان دعواهم منها. فقصتهم في هذه الآية كقصة النصارى في المباهلة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَمَنِ افْتَرَى عَلَى الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِك﴾.

أي من بعد ما ذكرنا من ظهور الحجة في افترائه: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾.

وقوله عزّ وجلّ - ﴿إن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾.

قيل: إنه أول مسجد وضع للناس، وقيل: إنه أول بيت وضع للحج. ويقال: إنه البيت المعمور وأن الملائكة كانت تحجه من قبل آدم، وإنه البيت العتيق. فأما بناؤه فلا شك أن إبراهيم بناه. قال اللَّه تعالى: ﴿وإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ أي يَقولان: ﴿ربنا تقبل

(١) ك إن برأ منه - ولا يقال عرق النساء - وهذا مما عابه الزجاج على ثعلب في كتابه «الفصيح» انظر المعجم ١ - ١٣٩.

(٢) ك جازى عليه أن يترك.

(٣) النساء ٤ - ١٦٠.

منا﴾[1]. فأما المقْدِس فسليمان بناه. وخبر﴿إن﴾ [هو]﴿لَلَّذِي ببكة﴾. وهذه لام التوكيد، وقيل: إن بكة موضع البيت وسائر ما حوله مكة. والإجماع أن بكة ومكة الموضع الذي يحج الناس إليه، وهي البلدة، قال اللَّه - عزّ وجلّ: ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾[2] وقال: ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾.

فأما اشتقاقه في اللغة: فيصلح أن يكون الاسم اشتق من إلَبكّ، وهوبك الناس بعضُهم بعضاً في الطواف أي دفع بعضهم بعضاً، وقيل: إنما سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة. ونصب ﴿مُبَارَكًا﴾ على الحال. المعنى: الذي بمكة في حال بركته.

﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ يجوز أن يكون ﴿هُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ في موضع رفع. المعنى: وهو هدى للعالمين.

«فأمَّا مكة» بالميم فتصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة والميم تبدل من الباءِ، يقال: ضربة لازب ولازم، ويصلح أن يكون الاشتقاق من قولهم: «امْتَكَّ الفصيل» ما في ضرع الناقة إذا مص مصاً شديداً حتى لا يُبْقِي فيه شيئاً. فتكون سميت بذلك لشدة الازدحام فيها - والقول الأول أعني البدل أحسن[3].

ومعنى﴿أوَّل﴾ في اللغة - على الحقيقة ابتداءُ الشيءِ فجائز أن يكون المبتدأُ له آخر، وجائز أن لا يكون له آخر فالواحد أول العدد والعدد غير متناه، ونعيم الجنة أول وهو غير منقطع، وقولك: هذا أول مال كسبته جائز ألا يكون

---

(١) البقرة ٢ - ١٢٧. وإبراهيم لم ينشىء البيت وإنما جدده أو أعلاه وكان موجوداً من قبل فاختار جواره مقاماً لابنه إسماعيل وقال: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم، ربنا ليقيموا الصلاة﴾. (إبراهيم ١٤ - ٣٧).

(٢) الفتح ٤٨ - ٧٤.

(٣) إبدال الميم من الباء.

بعده كسب، ولكن إرادتك: «هذا ابتداءُ كسبي». ولو قال قائل: أولُ عبد أَمْلِكُه فهو حر فملك عبداً أعتق ذلك العبد[1]، لأنه قد ابتدأ الملك فجائز أن يكون أول بيت هو البيت الذي لم يكن الحج إلى غيره.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَات مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾.

قد رويت عن ابن عباس أنه قرأ «آية بينة مَقَامُ إِبْـرَاهِيمَ» جعل مقام إبراهيم هو الآية، والذي عليه الناس: ﴿فيه آياتٌ بيِّنَـات﴾ والمعنى: فيه آيات بينات: تلك الآيات مقام إبراهيم، ومن الآيات أيضاً: أَمْنُ من دخله، لأن معنى ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً﴾ يدل على أن الأمن فيه.

فأما رفع ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ فعلى أن يكون على إضمار هي مقام إبراهيم. قال النحويون: المعنى فيها مقام إبراهيم وهذا كما شرحنا، ومعنى أَمْنِ من دخله: أن إبراهيم عليه السلام سأل اللَّه أن يُؤمِّن سكان مكة فقال: رب إجعل هذا بلداً آمناً.. فجعل اللَّه عزّ وجلّ أمن مكة آية لإبراهيم وكان الناس يتخطفون حول مكة، قال اللَّه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعلنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾[2] فكان الجبار إذا أراد مكة قصمه اللَّه، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿أَلم تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾[3] وكانت فارس قد سبت أهل بيت المقدس[4] فأما أهل مكة فلم يطمع فيهم جبار.

ويقال: قد أمن الرجل يأمن أَمْناً وأَماناً. وقد رويت إمناً، والأكثر الأفصح: «أَمْن» بفتح الألف قال اللَّه [عزّ وجلّ] ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾[5].

---

(١) ك لعتق.

(٢) العنكبوت ٥٩ ـ ٦٧.

(٣) الفيل ١٠٥ ـ ١.

(٤) الذين سبوهم هم البابليون. ولكنهم وقعوا بعد ذلك تحت سيطرة. فارس أيضاً.

(٥) النور ٢٤ ـ ٥٥.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَللَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾.

يقرأ بفتح الحاءِ وكسر الحاءِ والأصل الفتح: يقال: حججتُ الشيءَ أحْجه حَجا إذا قصدته. والحِج اسم العمل ـ بكسر الحاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَن اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً﴾.

موضع مَنْ خفض على البدل من «الناس» المعنى: ولله على من إستطاع من الناس حج البيت [أن يحج].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

قيل فيه غير قول: قال بعضهم من كفر: من قال إن الحج غير مفترض، وقال بعضهم: من أمكنه الحج فأدخره إلى أن يموت. وهو قادر عليه فقد كفر. وقيل: إنها إنما قيلت لليهود لأنهم قالوا: ان القصد إلى مكة غير واجب في حج أو صلاة. فأما الأول فمجمع عليه. ليس بين الأمة اختلاف في أن من قال: إن الحج غير واجب على من قدر عليه كافر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ يَا أَهلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبيلِ اللَّه مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عوَجاً﴾:

أي تبغون لها العوج، يقال في الأمر والدين عوج وفي كل شيءٍ مائل عوج، والعرب تقول: ابغني[1] كذا وكذا، أي أطلبه لي، وتقول: أَبْغِنِي كذا وكذا بفتح الألف تريد[2] أعني على طلبه أي أطلبه معي كما تقول: أَعْكِمْنِي[3] وأَحْلِبْنِي أي أَعِنِّي على العَكْمِ والحَلْبِ.

ومعنى: ﴿وَأَنْتُم تَشْهَدُونَ﴾ أي وأنتم تشهدون بما قد ثبت في نفوسكم أن أمر النبي حق والله غير غافل عن عملكم.

---

(١) في ك. . ابغ.

(٢) من بغى بمعنى طلب، وأبغاه أعانه على بغيه.

(٣) العكم: حزم المتاع في ثوب ونحوه، كضرب، والعِكْم ـ بكسر العين ـ ما عكم به، كالعكام والحبل الذي يربط به عكام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِن تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

يعني بالفريق الصنف الذين كفروا، أي إن قلدتموهم ردوكم كافرين، أي وإن كنتم على غير دينهم وكنتم في عقدكم ذلك كافرين فكذلك إن أطعتموهم واتبعتوهم فأنتم كافرون.

وقوله عزّ وجلّ:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾. أي على أي حال يقع منكم الكفر وآيات اللّه التي أتى بها النبي ﷺ دالة على توحيد اللّه ونبوة النبي ﷺ تتلى عليكم وفيكم رسوله يبين لكم هذه الآيات، وجائز أن يقال فيكم رسوله والنبي شاهد، وجائز أن يقال لنا الآن فيكم رسول اللّه لأن آثاره وعلاماته والقرآن الذي أتى به فينا وهو من الآيات العظام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾.

أي من يمتنع باللّه، ويستمسك بحبل اللّه ﴿فقد هدى إلى صراط مستقيم﴾، و«يعتصم» جزم بمن. والجواب: ﴿فقد هدى﴾، ومعنى اعتصمت بكذا وكذا في اللغة: استمسكت وامتنعت به من غيره(١) وكذلك ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾(٢) ومعنى: ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي من الماءِ﴾(٣) أي يمنعني من الماءِ أي لاذا عِصمة ولاذا امتناع من اللّه(٤).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾.

أي اتقوه فيما يحق عليكم أن تتقوه فيه، قال بعضهم ﴿حق تقاتِه﴾: أن يطاع

---

(١) أي احتميت وصنت نفسي به من ضرر يلحقني إذا لم أمتنع به.

(٢) هود ١١ ـ ٤٣.

(٣) الآية نفسها.

(٤) تفسير «لا عاصم اليوم» بأنه صيغة نسب نحو لابن وتامر أي ذو لبن وتمر. أي شخص حلت به العصمة.

فلا يعصي وأن يذكر فلا ينسى، ومعنى يذكر فلا ينسى: أن يذكر عند ما يجب من أمره فلا يتجاوز أمره، وقال بعضهم هذه الآية منسوخة نسخها قوله جلّ وعزّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُم﴾(١) وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلَّا وُسْعَهَا﴾(٢) وتقاة: أصلها وقاة وهي من وقيت إلا أن الواو لم تأت في هذا المثال على أصلها، ولم يقل في هذا المثال شيءُ إلا والتاء فيه مبدلة من الواو وكذلك قالوا تخمة إنما هي من الوخامة، وكذلك قالوا: في فُعال نحو التراث والتجاه، وتجاه في معنى المواجهة.

وهذا المثال فيه أوجه: إذا بنيت فُعْلَة من وقيت قلت تقاة وهو الذي يختاره النحويون، ولم يأتِ في اللغة على هذا المثال شيءُ إلا وقد أبدلت التاء من واوه.

ويجوز أن يقال وقاة، وأقاه لأن الواو إذا انضمت وكانت أولا فأنت في البدل منها بالخيار، إن شئت أبدلت منها همزة، وإن شئت أقررتها على هيئتها، وأن شئت في هذا المثال خاصة أبدلت منها التاءَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

لفظ النهي واقع على الموت والمعنى: واقع على الأمر بالإقامة على الإسلام. المعنى: كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك. وإنما جاز هذا لأنه ليس في الكلام لبس، لأنه يعلم منه أنهم لا ينهون عما لا يفعلون، ومثله في الكلام، «لَا أرَيَنَّكَ هَهُنَا» فالنهي واقع في اللفظ على المخاطبة والمعنى: لا تكونن ههنا فإن من كان ههنا رأيته ولكن الكلام قصد به إلى الإيجاز والاختصار إذ لم يكن فيه نقص معنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾.

---

(١) التغابن ٦٤ ـ ١٧.

(٢) البقرة ٢ ـ ٢٨٦.

﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال المعنى: كونوا مجتمعين على الإعتصام به، وتفسير﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾، أي استمسكوا بعهد الله، والحبل في لغة العرب: العهد. قال الأعشى(١).

وإذا أجوز بها حبال قبيلة أخذت من الأخرى إليك حبالها

ومعنى ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾: أي تناصروا على دين الله(٢) وأصل تفرقوا تتفرقوا إلا أن التاءَ حذفت لاجتماع حرفين من جنس واحد في كلمة، والمحذوفة الثانية لأن الأولى دالة على الاستقبال فلا يجوز حذف الحرف الذي يدل على الاستقبال(٣) وهو مجزوم بالنهي، الأصل ولا تتفرقون فحذفت النون لتدل على الجزم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾.

ذكّرهم الله بعظيم النعمة عليهم في الإسلام لأنهم كانوا في جاهليتهم يقتل بعضهم بعضاً، ويستبيح كل غالب منهم من غلبه فحظر عليهم الإسلام الأنفس والأموال إلا بحقها، فعرفهم الله - عزّ وجلّ - ما لهم من الحظ في العاجل في الدخول في الإسلام.

---

(١) يصف مسيراً له، والضمير للناقة، أي إذا جاوزت بها حماية قبيلة أخذت عهداً بالحماية من قبيلة أخرى. ورواية البيت في اللسان (حبل): وإذا تجور بها حبال، وأيضاً في الديوان ٢٩ ت محمد حسين والقصيدة من جياد شعره - يمدح بها عمرو بن معد يكرب.

(٢) تفسير بالمعنى اللازم - والمعنى الأصلي: لا تختلفوا وتتباعدوا بعضكم عن بعض فيذهب منكم الناصر.

(٣) هي تا المضارعة - تدل على مضارعة الفعل - والاستقبال هذا مفهوم من النهي والنحويون على جواز حذف أي منهما، والمضارعة ما زالت مفهومة. وقد سبق هذا.

وقيل نزلت في الأوس والخزرج. لأنهم كانت بينهم في الجاهلية حروب دائمة قد أتت عليها السنون الكثيرة، فأزال الإسلام تلك الحروب وصاروا إخواناً في الإسلام متوادين على ذلك، وأصل الأخ في اللغة أن الأخ مقصدُه مقصد أخيه، وكذلك هو في الصداقة أن تكون إرادة كل واحد من الأخوين موافقة لما يريد صاحبه والعرب تقول: فلان يتوخى مسارَّ فلان أي يقصد ما يسره.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾.

أي كنتم قد أشرفتم على النار[1] وشفا الشيءُ، حرفه مقصور يكتب بالألف، وتثنيته شفوان، وقال ـ ﴿فأنقذكم منها﴾، ولم يقل منه لأن المقصود في الخبر النار. أي فأنقذكم منها بالنبي ﷺ.

وقوله جلّ وعلا ـ ﴿كذلك يبين اللّه لكم آياته﴾.

الكاف في موضع نصب. المعنى مثل البيان الذي يتلى عليكم يبين اللّه لكم آياته.

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾:

أي لتكونوا على رجاءِ هدايته.

وقوله جلّ وعلا: ﴿ولْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمةٌ يدعُون إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرونَ بِالمعْرُوفِ وينْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ﴾.

اللام مسكنة وأصلها الكسر، الأصل ولِتَكن منكم ولكن الكسرة حذفت لأن الواو صارت مع الكلمة كحرف واحد وألزمت الحذف[2]، وإن قرئت

(١) أما نار جهنم لأنهم كانوا كفاراً وهو غير جيد لأنهم كانوا أهل جاهلية ولكن وجب عليهم الإسلام بظهور النبي محمد ﷺ والمراد بالنار الهلاك والفناء بسبب طول العداء وكثرة القتلى، وقيل لولا ظهور الإسلام لفنيت القبيلتان.

(٢) أي حذف الكسرة.

ولتكن - بالكسر - فجيد على الأصل، ولكن التخفيف أجود وأكثر في كلام العرب.

ومعنى -﴿ولتكن منكم أُمة﴾- والله أعلم - ولتكونوا كلكم أُمة تدعون إلى الخير وتأْمرون بالمعروف، ولكن «من» تدخل ههنا لتخص المخاطبين من سائر الأجناس[١] وهي مؤكدة أن الأمر للمخاطبين ومثل هذا من كتاب الله ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾[٢] ليس يأْمرهم باجتناب بعض الأوثان، ولكن المعنى اجتنبوا الأوثان فإنها رجس[٣] ومثله من الشعر قول الشاعر:

أَخو رغاتب يعطيها ويُسْأَلُها ... يأْبى الظلامة منه النوفل الزفر[٤]

أي هو النوفل الزفر، لأنه قد وصفه بإعطاءِ الرغائب، والنوفل الكثير الإعطاءِ للنوافل، والزفر الذي يحمل الأثقال.

والدليل على أنهم أمروا كلهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله جلّ وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

ويجوز أَن تكون أُمرت منهم فرقة، لأن قوله﴿ولْتكن منكم أُمة يدعون إلى الخير﴾ ذكر الدعاة إلى الإيمان، والدعاة ينبغي أَن يكونوا علماءَ بما يدعون إليه

---

(١) هو تجريد نحو ليكن منك عالم أي كن أنت كذلك.

(٢) الحج ٢٢ - ٢٠.

(٣) «مِنْ» إذن تجريدية - أي اجتنبوا الأوثان - والظاهر أنها بيانية: اجتنبوا الرجس الذي هو عبادة الأوثان. والتجريد أوضح في البيت والبيانية أوضح في الآية.

(٤) الزفر: السيد: أي لديه ما يشتهي الناس ويجود به ويسأله من يريد وهو سيد لا يجسر أحد أن يعتدي عليه. اللسان (فقر. زفر) قيل البيت لأعشى قيس وقيل لأعشى باهلة أنظر الكامل ١ - ٥٧ ت (أبو الفضل) وفي الخزانة ١ - ٩٠ شرح للقصيدة كلها منسوبة لأعشى باهلة وهي مرثيته أخاه لأمه المنتشر بن وهب الباهلي. وليست في ديوان أعشى قيس ت محمد حسين وأعشى باهلة شاعر جاهلي اسمه عامر بن الحرث من عامر بن عوف بن وائل وكان المنتشر من هذه القبيلة أيضاً - فارساً شجاعاً - وأنظر أمالي المرتضى ٣ - ١٠٨.

وليس الخلق كلهم علماء والعلم ينوب فيه بعض الناس عن بعض، وكذلك الجهاد.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أي والذين ذكرناهم المفلحون، والمفلح الفائز بما يغتبط به. و﴿هم﴾ جائز أن يكون إبتداءً و﴿المفلحون﴾ خبر[1] أولئك وهم فصل، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

أي لا تكونوا كأهل الكتاب، يعني به اليهود والنصارى وكتابهم جميعاً التوراة، وهم مختلفون، كل فرقة منهم - وإن اتفقت في باب النصرانية أو اليهودية - مختلفة أيضاً، كالنصارى الذين هم نسطورية ويعقوبية وملكانية، فأمر اللّه بالإجتماع على كتابه، وأعلم أن التفرق فيه يخرج أهله إلى مثل ما خرج إليه أهل الكتاب في كفرهم، فأعلم اللّه أن لهم[2] عذاباً عظيماً، فقال: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ثم أخبر بوقت ذلك العذاب فقال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾.

أي يثبت لهم العذاب ذلك اليوم، وابيضاضها إشراقها وإسفارها، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾[3] أسفرت واستبشرت لما تصير إليه من ثواب اللّه ورحمته، ﴿وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ اسودادها لما تصير إليه من العذاب، قال اللّه: ﴿ووجوه يومئذ عليها غَبَرَةٌ﴾[3].

---

(١) إذا كان «هم» مبتدأ فالمفلحون خبره، والجملة خبر أولئك، وإذا كان «هم» فصلاً، فالمفلحون خبر أولئك.

(٢) في الأصل أنه لهم عذاب.

(٣) سورة عبس وتولى (٨٠ - ٣٩).

والكلام[1]. تسود وتبيض بفتح التاءِ ـ الأصـل «تسودد» و«تبيَضِض» إلا أن الحرفين إذا اجتمعـا وتحـركـا[2] ادغـم الأول فـي الثـاني. وكثير من العـرب تكسر هذه التاءَ من تسود وتبيض والقراءَة بالفتح والكسر قليـل إلا أن كثيراً من العرب يكسر هذه التاءَ ليُبيّن أنهـا من قولـك أبيض وأسود فكـأن الكسرة دليـل على أنه كذلك في الماضي[3].

وقرأ بعضهم «تَسْوادّ وتَبْياض» وهو جيّد في العربية إلا أن المصحف ليست فيه ألف فأنا أكرهها لخلافه على أنَّهُ قد تحذف ألفات في القرآن نحو ألف إبراهيم وإسماعيل ونحو ألف الرحمن[4] ولكن الإجماع على إثبات هذه الألفات المحذوفة فى الكتاب في اللفظ، وتبيَضّ وتسودّ إجماع بغير ألف فـلا ينبغي أن يقرأ بـإثبات الألف.

وقوله جلّ وعلا: ﴿فَأَمَّا الَّذينَ اسْودَّت وُجُوهُهُم﴾.

تـدل على أن القـراءَة تسود، ومن قـرأ بـالألف تسـواد وتبيـاض وجب أن يَقْرأ: فأما الذين اسوادَّت وجُوههم.

وجـواب أمـا محـذوف[5] مـع القـول. المعنى فيقـال لهم: ﴿أَكَفَـرْتُمْ بَعْـدَ إِيمَانِكُمْ﴾، وحُذفَ القولُ لأنّ في الكلام دليلاً عليه وهذا كثير في القـرآن، كقولـه عزّ وجلّ: ﴿وَالملائِكَةُ يَدْخُلونَ عليهمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عليْكُمْ﴾[6] المعنى يقولون:

---

(١) الكلام العربي في جملته. انظر المزهر ١ ـ ١٠٤. (٢) في الأصيل: وتحركا الفعل ولا معنى له.

(٣) الكسـر لغة أسـد (ضحى الإسلام) ٢ ـ ٢٤٣ وأمـا قولـه أنه من أبيض وأسـود أي مكسور العين

(٤) معتلها بَيِض وسَوِدَ.

من الوجهة الإملائية يجوز في إبراهيم إسماعيل ـ حـذف الألف وإثباتهـا ـ أما الـرحمن فتحذف ألفها إذا كانت في إسم أو بسملة.

(٥) في الأصل محذوفة.

(٦) الرعد ـ ١٣ ـ ٢٤.

﴿سلام عليكم﴾وكذلك قوله :﴿وإسماعيـل ربنا تقبـل منا﴾[1] المعنى يقولان ربنـا تقبل منا ـ هذه الألف لفظها لفظ الاستفهام ومعناها التقرير والتوبيخ . وإنما قيل لهم ﴿أكفرتم بعد إيمانكم﴾ لأنهم كفروا بالنبي ، وقد كانوا به مؤمنين قبل مبعثه .

وهذا خطاب لأهل الكتاب :

وقوله جلّ وعلا : ﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّه هُمْ فيهَا خَالِدُونَ﴾ .

أي في الثواب ـ الذي أصارهم اللَّه إليه برحمة ـ خالدون .

أَعْلَمَ أنه إنما يدخل الجنة برحمته وإن اجتهد المجتهد في طاعة اللَّه لأن نعم اللَّه عزّ وجلّ دون الجنة لا يكافئها اجتهاد الآدميين .

وقال في رحمة اللَّه وهـو يريـد ثواب رحمـة اللَّه كما قـال : ﴿واسأل القـرية﴾ المعنى أهل القرية ، كما تقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق ، المعنى يطؤهم مارة الطريق .

وذكر ﴿فيها﴾ثانية على جهة التوكيد .

وقوله جلّ وعلا : ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بالحَقِّ وَمَـا اللَّهُ يُرِيـدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ .

أي تلك التي قـد جرى ذكـرها حُجَـجُ اللَّه وعلامـاتـه نتلوهـا عليـك أي نعرفك إياها﴿وما اللَّه يريد ظلماً للعالمين﴾أي من أعلم اللَّه أنه يعذبه فباستحقاق يعذبه .

وقوله جلّ وعلا :﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ﴾ .

ولو كانت «وإليه ترْجِـعُ الأمور» لكـان حسناً ولكن إعـادة اسم اللَّه أفخم وأوكد ، والعرب إذا جرى ذكر شيءٍ مفخم أعادوا لفظه مظهراً غير مضمر ، أنشد النحويون قول الشاعر :

---

(١) البقرة ٢ ـ ١٢٧ .

لا أرى الموت يسبق الموت شيءٌ نغص الموت ذا الغني والفقيرا[1]

فأعادوا ذكر الموت لفخامة في نفوسهم.

وقوله جلّ وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

يعني به أُمة محمد ﷺ وقيل في معنى «كنتم خيرأُمة أُخرجت» كنتم عند اللَّه في اللوح المحفوظ ـ وقيل كنتم منذ آمنتم خير أُمة وقال بعضهم معنى ﴿كنتم خير أُمة﴾ هذا الخطاب أَصله أنه خوطب به أَصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أُمة محمد، والشريطة في الخيرية ما هو في الكلام وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

أي توحدون اللَّه بالإِيمان برسوله لأن من كفر بالنبي لم يوحد اللَّه، وذلك أنه يزعم أَن الآيات المعجزات التي آتى بها النبي ﷺ من ذات نفسه، فجعل غير اللَّه يفعل فعل اللَّه.

وآيات الأنبياءِ، لا يقدر عليها إلا اللَّه عزّ وجلّ.

ويدل على أَن قوله: ﴿وتؤمنون باللَّه﴾: تقرون[2] أَن محمداً ﷺ نبي اللَّه، قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

فأهل الكتاب كفروا بالنبي ﷺ فصاروا كفاراً باللَّه فأَعلم اللَّه أَن بعضهم وهو القليل منهم آمن باللَّه فقال:

﴿مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ﴾.

والفاسق الذي خرج عن أَمر اللَّه.

---

(١) البيت في الخزانة ١ ـ ١٨٣، وشواهد المغني ٢٩٦. واللسان ـ (نغص) وينسب لعدي بن زيد، ولسوادة ابنه، ولأمية بن أبي الصلت. فالأعلم الشنتمري نسبه لسوادة بن زيد، والشجري نسبة لعدي، وفي شرح شواهد المغني ١٨٦ لأي منهما ـ وأنظر سيبويه ١ ـ ١٨٣.

(٢) في ك والأصل: أي تقرون أن محمداً.

ووعد اللّه النبي ﷺ والمؤمنين في أهل الكتاب أنهم منصورون عليهم، وأنه لا ينالهم من أهل الكتاب اصطلام ولا غلبة فقال: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلَّا أَذًى﴾.

أي يؤذونكم بالبهت والتحريف، فأما العاقبة فتكون للمؤمنين، قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾[1] يعني به أهل الكتاب، وأعلمهم في هذه الآية أنهم إن قاتلوهم ولوهم الأدبار وسلبوا النصر وكذلك كان أمر اليهود.

وقوله جلّ وعلا: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا إلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.

والحبل العهد. فأعلم اللّه أنهم بعد عز كانوا فيه يبلغون في الذلة ما لا يبلغه أهل مكة، وكانوا ذوي منعة ويسار، فأعلم اللّه أنهم يذلون أبداً إلا أن يعزوا[2] بالذمة التي يعطونها في الإسلام. وما بعد الاستثناءِ، ليس من الأول[3] أنهم أذلاءُ إلا أنهم يعتصمون بالعهد إذا أعطوه.

وأعلم اللّه أنهم جعلتْ عقوبتهم هذه العقوبة الغليظة في الدنيا والآخرة لتغليظ ما ركبوه[4] فقال ـ جلّ وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّه وَيَقْتُلون الأَنْبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

وضعُ ذلك رفع بالابتداءِ المعنى أمرهم ذلك وحقهم ذلك بكفرهم، وقتلهم الأنبياءَ وأعاد ذكر ذلك ثانية فقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

---

(١) الحشر: ٥٩ ـ ١٢.

(٢) في ط يقروا.

(٣) أي إنه استثناء منقطع ولا داعي لهذا إذ المستثنى منه عموم الظرف أي في أي مكان إلا مكاناً يعتزون فيه بحبل اللّه ـ وعلى تقدير المستثنى منه هو الذلة ـ ويكون تقديره كما ذكر.

(٤) ما ارتكبوه من أفعال ذميمة.

الاعتداءُ المجاوزة في كل شيءٍ - مجاوزة القدر - المعنى حقها بكفرهم - فأعلم الله أنهم غير متساوين فقال:

﴿لَيْسُوا سَواءً﴾ وهذا وقف التمام.

أي ليس الذين ذكرنا من أهل الكتاب سواءً.

قال أبو عبيدة: ﴿ليسوا سواءً﴾ جمع ليس، وهو متقدم كما قال [القائل]: أكلوني البراغيث[1] وكما قال: ﴿عموا وصَمُّوا كثير منهم﴾[2] وهذا ليس كما قال لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى، فأخبر الله أنهم غير متساوين فقال ليسوا سواءً. ثم أنْبأ بافتراقهم فقال: ﴿مِنْ أهل الكتابِ أُمَّةٌ قَائمَةٌ﴾.

قال أهل اللغة معنى قائمة مستقيمة، ولم يبينوا حقيقة هذا وذكر الأخفش المعنى أُمة قائمة، أي ذو أُمَّةٍ قائمة والأُمة الطريقة من أممت الشيء إذا قصدته.

فالمعنى والله أعلم: من أهل الكتاب أُمة قائمة، أي ذوو طريقة قائمة.

قال النابغة الذبياني:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأْتمن ذو أُمة وهو طائع[3]

أي هل يأتمن ذو طريقة من طرائق الدين وهو طائع. فإنما المعنى أنه لا يستوي الذين قتلوا الأنبياءَ بغير حق والذين يتلون آيات الله آناءَ الليل وهم ذوو طريقة مستقيمة.

---

(١) عبارته في مجاز القرآن «العرب تجوز في كلامهم مثل هذا أن يقولوا -: أكلوني البراغيث، قال أبو عبيدة: سمعتها من أبي عمرو الهزلي.. وفي القرآن ﴿عموا وصموا كثير منهم﴾ وقد يجوز أن نجعله كلامين، فكأنك قلت: «ليسوا سوا من أهل الكتاب، ثم قلت أمة» وخطأ أبي عبيدة واضح في كلا التقديرين. وقد خطأه القرطبي بما ذكره الزجاج. وكلام الفراء في تفسيره (١ - ٢٣٠) يتفق في بعض وجوهه مع أبي عبيدة.

(٢) المائدة ٥ - ٧١.

(٣) سبق شرحه ص ٢٨٤ والمذكور في ك هنا هو الشطر الثاني فقط.

ومعنى ﴿آناءَ الليل﴾ ساعات الليل، قال أهل اللغة واحد آناءِ الليل إِنْى وآناءَ مثل، نِحْى وأنْحاءِ وأنشدٍ أهل اللغة في ذلك قول الشاعر: (١)

حُلوٌ وَمُـرٌّ كـطعم الـقـدح مِـرَّتـهُ ... بكـل إنْيٍ حـداه الليـلُ يَـنْتَـعِـل

قالوا واحدها إني مثل مِعْي وأمعاء، وحكى الأخفش «إِنْوٌ».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾.

معناه وهم يصلون لأن التلاوة ليست في السجود، وإنما ذكرت الصلاة بالسجود لأن السجود نهاية ما فيها من التواضع والخشوع والتضرع.

ومعنى يَتْلُونَ في اللغة يُتْبِعُونَ بعض الشيءِ بعضاً، وقد اسْتَتْلَاكَ الشيءَ إذا جعلك تَتْبَعَهُ قال الشاعر: (٢).

قـد جعلت دلـوى تستليني ... ولا أُحـب تبـع الـقـريـن

إن لـم يُـرد سـماحتي وَلِيـني

وقال بعض أهل اللغة: المعنى منهم أُمة قائمة وأُمة على غير ذلك، وأنشد في ذلك قول الشاعر: (٣)

عصـاني إليهـا القلب أني لأمـره ... سميـع فيـما أُدري أرشـد طـلابهـا

ولم يقل أم هو في غَيٍّ لأن في، الكلام دليلاً عليه، قال: والعرب تضمر هذا. إذا عرفت مثل هذا ـ عرفت المعنى(٤).

---

(١) هو المنتخل الهذلي مالك بن عويمر ـ من شعراء هذيل وفصحائهم، وقصيدته هذه جيدة رثى بها ابنه «أُثَيْلا» قتله بنو سعد في خبر طويل ذكره صاحب الأغاني وجزءاً من القصيدة به هذا البيت. الأغاني ٢٠ ـ ١٤٥ ـ وما بعدها. وأنظر ديوان الهذليين ٢ ـ ٣٥ والخزانة ٢ ـ ١٣٨، وفي الديون: كعطف القدح، أي طوى كما طوى القدح، ومرته قتلته. والقدح السهم.

(٢) اللسان (تلا) الأول والثاني فقط ـ وفيه ولا أريد تبع القرين.

(٣) أبو ذؤيب الهزلي، في ١ ـ ٧١ ديوان الهزليين كما هنا، وفي معاني الفراء (١ ـ ٣٠) عصيت إليها، والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٤) ك. إذا عرفت المعنى.

وهذا الذي قال خطأٌ فاحش في مثل هذا المكان، لأن ذكر أهل الكتاب قد جرى في هذه القصة بأنهم كانوا يكفرون بآيات اللَّه، ويقتلون الأنبياءَ بغير حق، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن منهم المؤْمنين الذين هم أُمة قائمة، فما الحاجة إلى أن يقال غير قائمة وإنما المبدوءُ به ههنا ما كان من فعل أكثرهم من الكفر والمشاقة للنبي ﷺ فذكر من كان مبايناً هؤُلاءِ وذكر في التفسير أن هذا يعني به عبد اللَّه بن سلام وأصحابه: [1]

ومعنى ﴿ويأْمرون بالمعروف﴾ ههنا أي يأْمرون باتباع النبي ﷺ
﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾: عن الإقامة على مشاقته ﷺ.
وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوه﴾.

قرئت بالياءِ والتاءِ وكلاهما صواب ـ كما قال اللَّه عزّوجل: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾[2] ـ فالخطاب لسائر الخلق ومن قال فلن تُكْفَروه فهو لهؤُلاءِ المذكورين وسائر الخلق داخل معهم في ذلك.

وموضع ﴿يفعلوا﴾ جزم بالشرط[3]، وهو ﴿ما﴾ والجواب ﴿فلن يكفروه﴾.

قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾.

أي لا تمنعهم أولادهم مما هو نازل بهم، لأنهم مالوا إلى الأموال في معاندتهم النبي ﷺ لأن الرياسة إنما قامت لهم ـ أعني ـ رؤَساءَ اليهود ـ بمعاندتهم النبي ﷺ.

---

(١) أي لا يدل سياق الاية على أنها جاءت لتبين أنهم قسمان ـ وإنما سياقها أن تبين أن منهم طائفة صالحة. والقسم الأول علم نصاً، ويفهم الثاني باللزوم لكنه ليس ما جاءت الآية لبيانه.

(٢) سورة الزلزلة ٩٩ ـ ٧.

(٣) ك وهي ما.

والدليل على أنهم كسبوا بذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند اللَّه ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (١).

ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن مثل ما ينفقونه في تظاهرهم على النبي ﷺ في الضرر لهم: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾- والصر البرد الشديد، ﴿أصابت حرث قوم﴾-أي زرع قوم ظلموا أنفسهم. فعاقبهم اللَّه بإذهاب زرعهم - فأهلكته(٢). فأعلَم أن ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الريح في هذا الزرع وقيل أنه يعني به أهل مكة حين تعاونوا وأنفقوا الأموال على التظاهر على النبي ﷺ وقال بعضهم: ﴿مثل ما ينفقون﴾، أي مثل أعمالهم في شِرْكِهم كمثل هذه الريح.

وجعل فيها صر أي صوت، وهذا يخرج في اللغة(٣).

وإنما جعل فيها صوتاً لأنه جعل فيها ناراً كأنها نار أحرقت الزرع - فالصر على هذا القول صوت لهيب النار، وهذا كله غير مُمْتَنِع، وجملته أن ما أنفق في التظاهر على عداوة الدين مضر مهلك أهله في العاجل والآجل.

قوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾.

«البطانة» الدخلاءِ الذين يستبطنون ويتبسط إليهم، يقال فلان بِطانة لفلان أي مُداخل له ومُؤانس، فالمعنى أن المؤمنين أُمِروا ألا يداخلوا المنافقين ولا اليهود، وذلك أنهم كانوا لا يبقون غاية في التلبيس على

---

(١) البقرة ٢ - ٧٩ وفي الأصل كتاب اللَّه.

(٢) نص الآية: ﴿مثل ما ينفقون في هذه الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته، وما ظلمهم اللَّه ولكن أنفسهم يظلمون﴾.

(٣) أي يأتي هذا المعنى في اللغة: يقال ريح صِرٌّ وصَرْصَرٌ: أي شديدة البرد والصوت.

المؤمنين. فأُمروا بألا يداخلوهم لئلا يفسدوا عليهم دينهم. وأخبر اللَّه المؤمنين بأنهم لا يألونهم خبالا، أي لا يُبْقُون غاية في إلقائهم فيما يضرهم، وأَصل الخبال في اللغة ذَهاب الشيءِ قال الشاعر:(١).

ابني سليمي لستم ليد إلا يدا مخبولة العضد(٢)

أي قد ذهبت عضدها.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾.

أي ودوا عَنَتَكُمْ، ومعنى العنت إدخال المشقة على الإنسان، يقال فلان متعنت فلاناً، أي يقصد إدخال المشقة والأذى عليه، ويقال قد عِنتَ العظم يَعْنَتُ عَنَتَا إذا أصابه شيءٌ بعد الجبر، وأصل هذا كله من قولهم: «أَكَمَةٌ عُنُوتٌ» إذا كانت طويلة شاقة المسلك، فتأويل أعنتُّ فلاناً، حَمَلْتُه على المشَقَّةِ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾.

خطاب للمؤمنين، أُعلموا فيه أن منافقي أهل الكتاب لا يحبونهم وأنهم هم يصحبون هؤلاءِ المنافقين بالبر والنصيحة التي يفعلها المحب وإن المنافقين على ضد ذلك.

فأعلم اللَّه جلّ وعزّ المؤمنين ما يُسِرُّه المنافقون وهذا من آيات النبي ﷺ، قال بعض النحويين: العرب إذا جاءَت إلى اسم مكنى قد وصف «بهذا» جعلته بين «ها» و «ذا»، فيقول القائل أين أنت فيقول المجيب: هأنذا،

---

(١) هو قيس بن الخطيم.

(٢) كتاب سيبويه ٢ ـ ٣١٧ ت هرون ـ والفراء ١ ـ ٣١٧ والديوان ٢١ وفي ابن يعيش ٢ ـ ٩٠ البيت لطرفة ويروي ابني لبيني ـ ويروى إلا يدا ليست لها عضد. وهذا هو الصحيح لأن القافية فيه بالرفع ـ ومنها.

ابني لبيني إن أمكنتم أمة وإن أباكم عَبْدُ

قال وذلك إذا أرادوا جهة التقريب، قال فإنما فعلوا ذلك ليفصلوا بين التقريب وغيره[١].

ومعنى التقريب عنده أنك لا تقصد الخبر عن هذا الاسم فتقول هذا زيد[٢].

والقول في هذا عندنا أن الاستعمال في المضمر أكثر فقط، أعني أن يفصل بين «ها» و«ذا» لأن التنبيه أَنْ يَلِيَ المضْمَرَ ابْيَنُ، فإن قال قائل: ها زيد ذا، وهذا زيد، جاز، لا اختلافَ بين الناس في ذلك، وهذا عندنا على ضربين: ـ جائز أن يكون «أولا» في معنى الذين كأنه قيل: هأنتم الذين تحبونهم ولا يحبونكم، وجائز أن يكون تحبونهم منصوبة على الحال وأنتم ابتداءٌ وأُولاءِ الخبر. المعنى: أنظروا إلى أنفسكم محبين لهم. نهوا في حال محبتهم إياهم.

ولم يشرحوا لم كسرت ﴿أُولاءِ﴾، وأولاءِ أصلها السكون لأنها للإشارة، ولكن الهمزة كسرت لسكونها وسكون الألف ﴿وتؤمنون﴾ عطف على تحبون.

ومعنى﴿تُؤْمِنُونَ بِالكِتَابِ كُلِّهِ﴾.

أي تصدقون بكتب اللَّه كلها.

﴿وإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾. أي نافقوكم.

﴿وإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾.

فأنبأ اللَّه عزّ وجلّ ـ بنفقاتهم ههنا كما أنبأ به في قوله [تعالى] ﴿وَإِذَا

---

(١) اسم الإشارة أما للقريب نحو هأنذا، وأما للبعيد نحو هأنَذَلِكَ.

(٢) اسم الإشارة ليس خبراً ـ ففي الآية الخبر ﴿تحبونهم﴾ ولو حذف اسم الإشارة ما ضر ذلك بالمعنى. وهذا غير ما يراه الزجاج.

لَقوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾[1].

ويقال عَضَضْتُ أَعَضُّ، ويقال رجل عِضٌّ إذا كان ملازم خصم، أي يُصِرُّ على المخاصمة، والفعل منه عَضَضْتُ. والعُضُّ علف الأمصار[2] الذي تعلفه الإبل نحو النوى والقت والكسب، وإنما قيل له عض لأنه أكثر لبثاً في المال وأبقى شحماً[3] والأنامل واحدها أَنْمُلَة[4] وهي أطراف الأصابع ولم يأت على هذا المثال بغير هاء ما يعني غَيْرَ الواحد إلا قولهم قد بلغ أَشُدَّهُ، أمّا الجمع فكثير فيه أو نحو أكعب وأفلس وأيمن وأشمل.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾.

أي إن تظفروا وَتُخْصِبُوا ساءَهم ذلك.

﴿وإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بهَا﴾.

أي: إن نالكم ضد ذلك فرحوا، ﴿وإِنْ تصْبِرُوا وَتتَّقُوا لا يضُرُّكم كيْدُهُمْ شيْئاً﴾.

ضمن اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ للمؤمنين النصر إن صبروا وأعلمهم أن عدوانهم وكيدهم غير ضار لهم. و «لَا يَضُرُّكم» الأجود فيه الضم لالتقاءِ الساكنين الأصل لا يضرركم، ولكن كثيراً من القراءِ والعرب يدغم في موضع الجزم، وأهل الحجاز يظهرون التضعيف وهذه الآية جاءَت فيها[5] اللغتان جميعاً ـ فقوله [تعالى]: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ﴾ على لغة أهل الحجاز، وقوله: ﴿لَا يَضُرُّكم﴾

---

(١) البقرة ٢ ـ ٧٦.

(٢) العضر ـ بضم العين ـ العجين تعلفه الإبل.

(٣) كأنه يعض بجسمها ويثبت فيها.

(٤) بتثليث الهمزة والميم ـ تسع لغات.

(٥) في الأصل فيه.

على لغة غيرهم من العرب وكلا الوجهين حسن، ويجوز «لَا يَضُرُّكُمْ» «ولا يُضِرِّكُمْ» فمن فتح فلأن الفتح خفيف مستعمل في التقاءِ الساكنين في التضعيف، ومن كسر فعلى أصل التقاءِ الساكنين، وقد شرحنا هذا فيما سلف من الكتاب.

وقرئت: لا يَضِرْكُمْ من الضَّيْرِ، والضَّيْرُ والضُّرُّ جميعاً بمعنى واحد، وكذلك الضَّرُّ - وقد جاءَ في القرآن: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾[1] وَجَاءَ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[2] وقدْ ذكَرَ الفرَّاءُ أنّ الكسائي سمع بعض أهل العالية يقول: «ما تضُورُّني» فلو قرئت على هذا لا يضُركُم جاز.

وهذا غير جائز[3] ولا يقرأ حرف من كتاب اللَّه مخالفٌ فيه الإجماع على قول رجل من أهل العالية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذْ غدوْتَ منْ أَهْلك تُبَوِّيءُ الْمُؤْمنينَ مقاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾.

روى أن النبي ﷺ رأى في منامه كَأَنَّ عليه درْعاً حصينةً. فأَولها المدينةَ، فأمر ﷺ المسلمين - حين أقبل إليهم المشركون[4] بالإقامة بها إلى أن يوافيهم المشركون فتكون الحرب بها فَذَلك تَبْوِئَةُ المقاعدَ للقتال. قال بعضهم معناه مَواطِنَ للقتال والمعنى واحد. والعامل في «إِذْ» معنى اذكر - المعنى أذكر إذ غدوت، والعامل في ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾. [تُبَوِّيءُ][5] المعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت، ومعنى ﴿تفشلا﴾ تَجْبُنَا وَتَخورا.

﴿وَاللَّهَ وليُّهُمَا﴾: أي همت بذلك واللَّه ناصرهما.

---

(١) سورة الأعراف ٧ - ١٢٥.
(٢) سورة الإسراء ١٧ - ٦٧.
(٣) غير جائز في القرآن.
(٤) حين قدم المشركون لحربهم يوم أحد.
(٥) مما اضطرنا لزيادته إذ لا يتم معنى الجملة بدونه، وما بعده يؤيده. ويجوز أن يكون العامل إذ محذوفة أيضاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ نَصَركُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وأَنْتُم أَذلَّةٌ﴾.

مَعْنى ﴿أذلَّة﴾. عَدَدُكُمْ قليـل، وكان المسلمون في تلك الحرب ثَلاثمَائـة وبضعةَ عشر وكانوا في يوم أُحد سَبْعَمائةٍ، والكفـارُ في يوم أُحُـدٍ ثلاثـة آلاف، وكانوا[1] في يوم حنين إثني عشر أَلفاً فأَعلم اللَّه ـ جلَّ وعزّ ـ أَنهم حينما أُلـزموا الطاعة أَنه ينصرهم، وهم قليل وعدوهم أَضعافُهم، وفي يوم أُحد نزل بهم مـا نزل لمخالفـة أَمر النبي ﷺ في أَن جـاوزوا ما أُمِـرُوا به، فجعـل اللَّه ذلك لهم عُقُوبة لئلا يَجْبُنُوا[2] وجاءَ في بعض الخبر: «الفِـرارُ من الزحف كُفـرٌ». ومعناه عنـدي واللَّه أَعلم ـ من فعْل الكفـار، لاَ أنه يخـرجُ الإنسـانَ من الإيمـان إلى الكفر. وقد عفا اللَّه فيه، فقال: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَـوْمَئِذٍ دُبُـرَهُ إلَّا مُتحرِّفـاً لِقَتَال أَو مُتَحيِّزاً إِلَى فِئَة فَقَدْ بَاءَ بغضَبٍ مِن اللَّه. ومأْواه جهنَّمُ﴾[3].

وأَذلَّـة جميع ذَليـل، والأَصـل في فعيـل إذا كـان صفـة أَن يجمـع على فُعـلاءِ، نحو ظـريف وظُـرفـاءَ، وشـريـك وشُـرَكـاءَ، ولكن فعـلاءَ أجتنب في التضعيف. لو قيل جللاءَ وقللاءِ في جليـل وقليل، لأجتمـع حرفـان من جنس واحد، فعدل به إِلَى أَفْعِلة من جمع الأَسماءِ في فعيل، نحـو جريب وأَجْـربة، وقفيز وأَقْفزة[4].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ويَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾.

---

(١) المسلمون.

(٢) لأنهم إن جبنوا أصابهم مثل ذلك.

(٣) سورة الأنفال، والاستشهاد غير جيـد ـ لأن ذلك لا يعـد فراراً ولأن الآيـة لا تدل على عفـو عن الفـارين، والأقرب في هـذه الآية: ﴿إن الذين تـولـوا منكم يـوم التقى الجمعـان إنمـا استـزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا اللّه عنهم﴾ ال عمران ٢ ـ ١٢٢.

(٤) الجريب من الطعـام والأرض مقدار معلوم ـ عشـرة أقفزة كـل قفيز منهـا عشرة أعشـر ـ الجريب مكيال قدره أربعة أقفزة ـ وقال أبو زيد لا أحسب الجريب كلمة عربيـة. وفي القامـوس: القفيز مكيال ثمانية مكاكيك ومن الأرض قدره مائة وأربعة وأربعون ذراعاً. والمكوك كتنـور مكيال يسـع صاعاً ونصفاً. أو نصف رطل إلى ثمان أواقٍ، أو نصف الويبة... الخ.

أي من وجههم، و «هــذا»[1] نعت لـفـورهم، و ﴿يُمْـدِدْكُمْ﴾ جــواب الجزاءِ[2] يقال أَمددت الجيش بعدد، وأَمَدّ الجرح إذا صارت فيه المِـدَّة، يُمِد فهو مُمِدٌّ، ومدّ النهر ومدّه نهر آخر.

وقوله جـلّ وعزّ: ﴿مُسَـوِّمِينَ﴾ قرئت مسـوِّمين ومسَوَّمِينَ ومعنى مسـومين: أخذ من السُّومَة، وهي العلامـة، كانـوا يعلّمون بصـوفة أو بعمـامة أو مَـا أشبه ذَلـك، ومسـوَّمين: معلَّمِينَ. وجـائـز أن يكـون مُسَـوِّمينَ: قـد سَـوَّمُـوا خيلَهم وجعلوهَا سائمة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إلَّا بُشْرَى لَكُم﴾.

وما جعل ذكر المدد إلا بشرى لكم ولتمكنوا في حربكم

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الّذين كَفَرُوا﴾.

أي لينقل قطعة منهم.

﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾.

أي يهـزمهم، قال أبـو عبيدة: يقـال كَبَتَـهُ اللَّه لـوجهـه أي صـرعـه اللَّه لوجهه، والخائب الذي لم ينل مَا أَمّل[3].

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ لَـكَ مِنَ الآمْر شيءٌ أَو يَتـوبَ عَلَيْهم أَو يُعَذِّبَهُمْ فإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

أُنزل عليه ذلـك ﷺ لأَنه في يـوم أُحدٍ شُـجَّ وكُسِرتْ ربـاعيته فقـال وهو يمسـح الدم عن وجهـه: كيف يفلح قوم فعلوا هـذا بنبيهم وهو يـدعـوهم إلى ربهم، فأَعلمه اللَّه جلّ وعزّ ـ أَن فلاحَهُم ليس إلَيْه وأَنه ليس له من الأَمر شيءٌ

(1) كلمة «هذا» صفة لأنها بمعنى المشار إليه، فهي مشتق معنى.

(2) الجواب الذي يفيد جواب الشرط.

(3) نص الآية: ﴿أويكبتهم فينقلبوا خائبين﴾.

إلا أن يبلغ الرسالة ويجاهد حتى يظهر الدين، وأن ثوابه على اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ في ذلك.

ونصب ﴿أو يتوب﴾ على ضربين: جائز أن يكون عطفاً على قوله: ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم. والوجه الثاني على النصب بأو إذْ كانت في معنى إلا أن. فالمعنى: ليس لك من الأمر شيءٌ أي ليس يؤْمنون إلا أن يتوب اللَّه عليهم، أو حتى يتوب اللَّه عليهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً﴾.

﴿الرِّبا﴾ قليلهُ وكثيرهُ قد حُرِّم في قوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿وأحلَّ اللَّه البيع وحرَّم الرِّبا﴾(١)، وإنما كان هذا لأن قوماً من أهل الطائف كانوا يُربون. فإذا بلغ الأجل زادوا فيه وضاعفوا الربا.

وقال قوم [معناه] لا تُضَاعِفُوا أَمْوَالَكُمْ بالرِّبَا.

ومعنى ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي لتكونوا على رجاءِ الفلاحِ، والمفلح [هو] الذي أدرك ما أمَّل من الخير، واشتقاقه من فَلَحَ الحديد إذا شقه، فإنما هو مبالغة في إدراك ما يوصل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

أي اتَّقوا أن تُحلُّوا ما حرَّم اللَّه، فإنّ من أحلّ شيئاً مما حرم اللَّه فهو كافر بإجماع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُها السَّمٰوات والأرضُ أُعِدَّتْ للمُتَّقِينَ﴾.

أي لمن اتَّقى المحارم، وروي عن النبي ﷺ أنَّ بيْن مصراعي بَاب

---

(١) البقرة ٢ ـ ٢٧٥.

الجنّة مسيرةَ أربعين عاماً، وليأتين عليه يومٌ يزدحمُ عليه الناس كما تزدحم الإبل وردت خِمصاً ظِماءً[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْكَاظِمينَ الغَيْظَ والعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾.

أي أُعدت للذين جرى ذكرهم وللذين يكظمون الغيظ، ويروى عن النبي ﷺ ما من جرْعةٍ يتجرعها الإنسان أعظمُ أجراً من جرعةِ غيظٍ في اللّه. يُقال كَظَمْتُ الغيظ أكظمهُ كظْماً إذا أمْسكْتُ على ما في نفسي[2] منه، ويقال كظم البعير على جرَّته إذا ردّها في حلقه، وكظم البعير والناقة كُظوماً إذَا لمْ يجتر، قال الراعي:

فأَفضْن بعد كُظُومهنَّ بجرةٍ من ذي الأَباطِح أذ رَعين حقيلاً[3]

والْكِظَامة سير يشد بِهِ الوَتَر على سِيَةِ القوْس العربيَّةِ، والكظمية، والكظَائمُ حفائر تحفَر من بئْر إلى بِئْر ليجري الماءُ من بعضها إلى بعض وكاظمة موضع بالبادية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنوبَ إلَّا اللَّهُ﴾.

الرفع محمول على المعنى، والمعنى وأيّ أحدٍ يغْفِرُ الذُّنُوبَ؟ ما يغفرها إلا اللّه.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾، الإصرارالإقامة على الشيءِ، وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾.

---

(١) الخِمْصُ والخميصُ والخُمْصَانُ الضامر البطن. أي وردت جائعة ظامئة فهي تتسابق على الماء.

(٢) ك أمسكت على ما في نفسك.

(٣) أنظر لأميته آخر ديوان جرير ط القاهرة ١٣٧٣ هـ. يصف الإبل صبرت طويلاً ثم أفاضت بحرارها. والحقيل نبت، ومكان بالبادية. فالمراد إما: حين رعين هذا النبت أو حين ارتعين في هذا المكان. وقد تقدم هذا البيت.

معنى قـد خلت قـد مضت، ومعنى سُنَن أَهـلُ سنن أَي أَهـل طَـرائق، والسُّنَّـةُ الطَّريقَـةُ، وقول النـاس: فلان على السنَّـةِ معنـاه على الـطَّريقـة، ولم يحتاجوا أَن يقولوا على السُّنَّةِ المستقيمة لأَنَّ في الكلام دليلاً على ذلك، وهذا كقـولنا «مُؤْمنٌ» معنـاه مصـدق وفي الكـلام دليـل على أَنـه مؤمن بـأُمـور اللَّه عزّ وجلّ ـ التي أَمر بالإيمان بها، والمعنى إنكم إذا سِـرْتُمْ في أَسفاركم عـرفتم أخبار قوم أُهلكوا بتكذيبهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْن إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أَي لَا تَضْعُفوا، يُقال وَهَنَ يَهِن إذا ضَعُفَ فضمنَ اللَّه عـزّ وجلّ ـ النَّصْـر بقوله: ﴿وأَنْتُم الأَعْلَوْنَ﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾.

و﴿قُرح﴾ جميعاًيقرأان، وهمانعند أَهل اللغة بمعنى واحد ومعناه الجراح وأَلمُهـا يُقَالُ قَـدْ قَرِحَ يَقْـرَحُ قَرْحـاً، وأَصابـه قَـرْحٌ، قـال بعضهم كـأَن القُـرح الجُرْح، وكأَن القَرْح الأَلم.

﴿وتلكَ الأَيَّامُ نُداولُها بيْنَ النَّاسِ﴾.

أَي نجعـل الـدُّولـة في وقت من الأوقـات للكَـافـرينَ على المؤْمنين إذا عصَوْا فيما يُؤمَـرُون به، من مُحَـاربَة الكفـار، فأَمـا إذا أَطاعـوا فهم مَنْصُورونَ أَبداً، كما قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ﴿أَلَا إنَّ حِزْبَ اللَّهِ همُ المفْلِحُونَ﴾(١).

ومعنى﴿وليعَلم اللَّه الذين آمنوا ويتَّخذَ مِنْكُمْ شهَداءَ﴾.

أَي ليعلم اللَّه من يُقيم على الإيمَانِ بعد أَن تناله الغلبة، أَي يجعل لهم الدَّولَة في وقت من الأَوقات ليعلمَ المؤْمنين.

---

(١) سورة المجادلة ٥٨ ـ ٢٢.

وتأويل وليعلم اللَّه الذين آمنوا ـ واللَّه عزّ وجلّ ـ قد علمهم قبل ذلك: معناه يعلم ذلك واقعاً منهم ـ كما قال عزّ وجلّ ـ ﴿ولَنَبلوَنَّكُمْ حتى نَعلم المُجاهِدينَ منكُمْ والصَّابِرينَ﴾[1].

أي ليقع ما علمناه غيباً مشاهدة للناس، ويقع منكم. وإنما تقع المجازاة على ما علمه اللَّه من الخلق وقوعاً لا على ما لم يقع وما لم يعلموه ـ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجورَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ﴾[2]. وقال: ﴿إنما تجزون ما كنتم تعلمون﴾[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمنُوا ويَمْحَقَ الكَافِرينَ﴾.

المعنى جعل اللَّه الأيام مداولة بين الناس ليمحص المؤمنين بما يقع عليهم من قتلَ في حربهم، أو ألم أو ذهاب مال، ويمحق الكافرين: ليستأصلهم. وجائز أن يكون يمحقهم يحبط أعمالهم، وتأويل، المحص في اللغة التَّنقِيَةُ والتخليص، ـ قال محمد بن يزيد ـ رحمه اللَّه ـ يقال مَحَصَ الحبل مَحْصاً، إذا ذَهَبَ منه الوبَرُ حتى يَمْلَصَ وحبل مَحِصٌ أَوَ مَلِصٌ بمعنى واحد، قال وتأويل قول الناس: مَحِّصْ عَنَّا ذُنُوبَنَا: أي أَذْهِب عنا ما تعلّق بنا من الذنوب.

وأخبرنا محمد بن يزيد أن حُنَيْفَ الحَنَاتِمِ ورَدَ ماءً يُقال له «طُوَيْلِع»[4] فقال: «واللَّه أنك لَمَحِصُ الرشا بعيد المستقى مظل على الأعداءِ، ولو سألتني أعناق الإبل لأعطيتك» أي لو تقطعت أعناق الإبل إليك لقصدتك. ومعنى مَحص الرِّشَاءِ أي هو طين حُرٌّ، فالرشا تَتَملصُ من اليد. فمعنى يمحّص

(١) سورة القتال ٤٧ ـ ٣١.

(٢) سورة آل عمران ٣ ـ ١٥٨.

(٣) سورة الطور ٥٢ ـ ١٦.

(٤) اللسان عن الأزهري ـ طويلع ركية عادية بناحية الشواجن عذبة الماء قريبة الرشاء.

الذين آمنوا: يخلِّصهم من الذُّنوب. وقال محمد بن يـزيد ـ رحمـه اللَّه ـ أيضاً وغيـره من أَهل اللغـة مَحَصَ الظبي يَمْحَص إذا عَـدا عدْواً شَـديداً، وقـال هو وحده: تأْويله أَنّه لا يخْلط حدتّه في العَدو وَنْياً ولا فُتُوراً.

وقـال غيره مَحَص الـظَّبْيُ يَمحص ومحِصَ بمعنى واحد: إذا عَـدا عدواً يكادُ أَن يَنْفد[1] فيه من شدته. ويقال: ويُستَحَب من الفَرَس أَن تُمَحَّصَ قوائمُه أَي تخلص من الرَّهَلِ[2].

قال أَبو إسحق: وقرأْتُ عليه أَيضاً عن الخليل: المَحصُ التخليص يقال مَحَصت الشيءَ أَمْحَصه محْصاً إذا خلصته وقال بعض أَهـل اللغة: ﴿وليمحص اللَّه الذين آمنوا﴾ أَي وليمحص اللَّه ذنـوب الذين آمنـوا ـ ولم يُخْبَـرُوا بحقيقـة المحص ما هو[3].

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَـدْخُلُوا الجَنَّـةَ وَلَمَّـا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّـذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقرأَها الحسن: ويعلمِ الصَّابرينَ بالكسر على العـطف ومن، قرأَ ويعلمَ الصابرين فعلى النصب بالواو. المعنى ولمـا يقع العلم بـالجهاد والعلم بصبـر الصابرين، ولما يعلم اللَّه ذلك واقعاً منهم. لأنه جـلّ وعزّ يعلمـه غيباً، وإنَّمـا يجازيهم على عَملهم، وتأْويـلُ «لَمَّا» أَنهـا جواب لقَـول القَائـل قد فَعـل فلان فَجوابه لمَّا يفْعل[4] وإذَا قَال، فَعَل فجوابه لَم يفعل، وإذَا قال: لقـد فجوابـه مَا

---

(١) انفد انقطع أي يكاد يقتل من شدة الجهد.

(٢) أي الدهن والشحم. قال: محصُ الشوي معصوبة قوائمه.

(٣) أي يخلصهم منها كمـا يخلص الفرس من الرهل ـ وذلك بعفـوه سبحانـه، أو بتوفيقهم إلى مثـل هذا العمل الذي يرفع درجاتهم عند اللّه ويزيل سيئاتهم.

(٤) إذا قال «قد فعل» ـ ففي كلامه بعض توكيد ـ فيجاب بلما ـ وهي تدل أنه للآن لم يفعل ـ وينتظر وقـوعه ـ وإذا قـال «فعل» ـ فهـو خـال من التـوكيـد فيجـاب بلم وهي تـدل أنـه لم يحـدث في

يفعل، كأنه قال: واللَّه هو يفْعل، يريد ما يُسْتقْبل فجوابه لَنْ يفعـل ولا يفعل. هذا مذهب النحويين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولَقَدْ كُنتُمْ تَمنَّوْنَ المَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلقَوْهُ﴾.

أي كنتم تمنَّـون القتال، هـو سبب الموت، والمعنى ولقـد كنتم تمنـون سبب المـوت، وذلـك أنهم كـانـوا يتمنّـونَ أَنْ يُـطْلَقَ لهم القتــال ـ قـال اللَّه عـزّ وجلّ: ﴿أَلَم تَـر إلى الذين قيـل لهم كفوا أَيـديكم وأَقيمـوا الصـلاة وآتـوا الـزكاة فلمـا كتب عليهم القتال إذا فـريق منهم يخشون النـاس كَخَشْيـةِ اللَّهِ أَو أشد خشية﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَدْ رأَيْتُمُوهُ وأَنْتُمْ تَنظُرونَ﴾.

قيـل فيه غيـر قول. قـال الأخفش معنـاه التـوكيـد، وقـال بعضهم وأنتم تنظرون إلى محمد ﷺ.

والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ فقـد رأَيتموه وأَنتم بصـراءُ كما تقـول: قـد رأَيت كذا وكذا، وليس في عينيك عَمَهٌ[2] أي قد رأَيته رؤية حقيقية، وهـو راجع إلى معنى التوكيد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومـا مُحمَّد إلاَّ رَسُـول قَدْ خَلتْ منْ قَبْلهِ الـرُّسُل﴾. أي قد مضت من قبله الرسل، المعنى أنه يمُوت كما ماتَت الرسُل قبله.

﴿أَفإِنْ مَاتَ أَو قُتِل انْقَلبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.

أي ارتَددْتُم عن دينكم ـ وروي أَن بعض من كان في يوم أُحد ارتـدّ[3]،

الماضي. اما إذا قال لقد فعل ـ ففيه مـزيد تـوكيد. لأنـه بالـلام وقد، فيجـاب بتوكيـد مثله ـ مَا فعل.

(١) النساء ٤ ـ ٧٨.

(٢) أي ليس بعينيك عمي يحجب رؤيته. وفي الأصول «علمه» ولا يناسب ما بعده.

(٣) ارتد أي رجع قبـل أن يصل إلى ميـدان الحرب، وكـان النبي ﷺ رفض مساعـدة اليهود، إذ لا =

وبعضهم مضى مسافة ثلاثة أيام، فأعلم اللّه جلّ وعزّ أن الرسُلَ ليْست باقية في أممها أبداً وأنّه يجب التمسك بما أَتَتْ به، وإن فُقِدَ الرسُولُ بموت أو قتل.

وألف الاستفهام دخلت على حرف الشرط[1] ومعناها الدخول على الجزاءِ، المعنى أَتنقلبون على أعقابكم إن مات محمد أو قُتل، لأن الشرط والجزاءَ معلق أحدهما بالآخر فدخلت ألف الاستفهام على الشرط وأنبأت عن معنى الدخول على الجزاءِ، كما أنك إذا قلت هل زيد قائم فإنما تَسْتفهم عن قيامه لا من هو، وكذلك قولك ما زيد قائماً إنما نفيت القيام ولم تنف زيداً، لكنك أَدْخلْت «ما» على زيد لتعلُم من الذي نُفي عنه القيامُ، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالدون﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إلاَّ بإِذْنِ اللَّهِ﴾.

المعنى ما كانت نفس لتموت إلا بإذن اللّه، وقوله عزّ وجلّ: ﴿كِتَاباً مُؤَجَّلا﴾.

على التوكيد، المعنى كتب اللّه ذلك كتاباً مؤجلاً أي كتاباً ذَا أَجَلٍ، والأَجلُ هو الوقْتُ المعلوم، ومثل هذا التوكيد قوله - عزّوجلّ: ﴿كِتَاب اللّه عليكم﴾[3] لأنه لما قال: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم﴾[4] دل ذلك على انه مفروض عليهم فكان قوله: ﴿كتاب اللّهِ عليكم﴾ توكيداً، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿صُنْعَ اللّهِ الذي أَتْقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ لأنه لما قال: ﴿وَتَرَى الجِبَال تَحْسَبُهَا

= يستعان بمشرك على مشرك، ورجع حليفهم عبد اللّه بن أبي بعد ذلك ومعه ثلث المحاربين اليهود.

(١) في ط، ب، حروف الشرط.

(٢) في ط، ب، حروف الشرط.

(٣) الأنبياء ٢١ - ٢٤

(٤) النساء ٤ - ٢٤ - ٢٣.

جَامِدَةً وَهِيَ تَمرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾(١)، دل ذلك على أنه خَلَق اللَّه وصُنعُه، فقال: ﴿صُنع اللَّه﴾ وهذا في القرآن في غير موضع - وهذا مجراه عند جميع النحويين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثوابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾.

أي من كان إنما يقصد بعمله الدنيا أُعطي منها، وكل نعمة فيها العبد فهي تفضل من اللَّه إعطاءً منه. ومن كان قصده بعمله الآخرة آتاه اللَّه منها، وليس في هذا دليل أَنه يحرمه خير الدنيا، لأَنه لم يقل ومن يرد ثواب الآخرة لم نؤته إلا منها، واللَّه عزّ وجلّ ذو الفضل العظيم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وكأَيِّن مِّنْ نَبِيٍّ قَاتَل مَعَهُ رِبِّيُّونَ﴾.

تفسيرها «كم من نبي»، وفيها لغتان جيدتان بالغتان يقرأُ بهما جميعاً. يقرأُ وكأَيِّن بتشديد وكائِن على وزن فاعل. وأَكثر ما جاءَ الشعر على هذه اللغة قال جرير:(٢)

وكائن بالأَباطح من صديق   يراني لو أَصَبْتُ هو المصابا

وقال الشاعر أَيضاً:(٣)

---

(١) النمل ٢٧ - ٨٨.

(٢) من بائيتِهِ له في مدح الحجاج. الخزانة ٢ - ٤٥٥، ابن يعيش ٣ - ١١٠ وشواهد المغني ٧١٨ الأباطح جمع أبطح، وبطحاء. كل مكان متسع، ويقصد هنا منشأه بالصحراء أي إن له أصدقاء يرونه كأنفسهم إذا مسه ضر ألموا له كانه بهم.

(٣) هو عمر بن شاس من فحول الجاهليين المخضرمين عده ابن سلام من شعراء الطبقة العاشرة أدرك الإسلام شيخاً وقال ابن حجر (الإصابة ٥٨٦٨) إنه شهد موقعة القادسية. وأنظر الأغاني ١٠ - ٦٣، بولاق وأمالي المرتضى ١ - ٢٩٧ ورواية البيت بهما يردي المقنعا ١ - ٢٩٧ أي يقتله وفي هذه الرواية يردى مقنعاً - أي يقتل، يريد رددناه بالقتل رغم ما هو فيه من سلاح.

وكـائن رَدَدْنـا عنكمـو من مـدجّـج يجيءُ أمـام الألـف يُـردَى مقـنّعـا

ومثل التشديد قوله:

كَـأيِّن في الـمعـاشـر مـن أُنـاس أخـوهـم فـوقَهـم، وهُـمُ كـرام[١]

أعلم اللَّه جلّ وعزّ أن كثيراً من الأنبياءِ قاتَل معه جماعة فلم يهنوا ـ فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿رِبِّيُّونَ كثيرٌ﴾.

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

معنى ﴿فما وهنوا﴾ فما فتَروا، ﴿وما ضَعفُوا﴾: وما جَبُنُوا عن قتال عدوهم، ومعنى﴿ما استكانوا﴾: ما خضعـوا لعدوهم وتقـرأ ـ وهو الأكثـر[٢] رِبِّيُّون بكسـر الراءِ، وبعضهم يقرأ رُبيون ـ بضَم الراءِ.

وقيـل في تفسير ربيـون. كثيراً أنهم الجمـاعات الكثيـرةُ، وقـال بعضُهم الرِّبوة عشَرةُ آلاف[٣] وقيل الرِّبيون العلماءُ الأتقياءُ: الصُّبُـر على ما يُصيبُهُم في اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ وكلا القولين حَسنٌ جميلٌ، وتقرأ: قَتَلَ معه، وقَاتَل معه، فمن قرأ قاتل المعنى إنهم قاتلوا وما وهنوا في قتـالهم، ومن قرأ قُتِـل، فالأجـود أن يكون «قتل» للنبي عليـه السلام المعنى. وكـأيِّن من نبي قتل ومعـه ربيون فمـا وهنوا بعد قتله[٤]، لأن هؤُلاءِ الذين وهنوا كانوا توهموا أنَّ النبي ﷺ قتل، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن الـربانيين بعـد قتل نبيهم مـا وهنوا. وجـائز أن يكـون قتل للربانيين، ويكون فما وهنوا، أي ما وهن من بقي منهم.

(١) المعاشر جمع معشر وهم أهل الشخص ـ والمعشر الجمـاعة يستعمـل للرجال دون النسـاء، لا واحد له من لفظه. المعاشر جماعات الناس يريدون يرفعون نـزيلهم عن كرم خُلُق وطيب نفس لا عن مراءاة وتضجر.

(٢) ك وهي الأكثر.

(٣) في الأصول عشرة ألف وهو خطأ.

(٤) ليس بجيد لخلو الجملة من واو الحال. وإنما هو قتـل ممن معه، كمـا تقول: أصـاب له ولـداً وقتل له صديقاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا كانَ قَولَهمْ إلا أَن قَالُوا ربَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

تقرأ ﴿قولهم﴾ بالنصب ويكون الاسم: ﴿إلا أن قالوا﴾ فيكون المعنى ما كان قَوْلَهُمْ إلا استغفارُهم، أي قولهم اغفر لنا ـ ومن قرأها بالرفع جعل خبر كان ما بعد إلا، والأكثر في الكلام أَنْ يكون الاسمُ هو ما بعد إلا ـ قال اللّه عزّ وجلّ ﴿فما كان جوابَ قومه إلا أن قَالوا﴾[1] ﴿وما كان حُجَّتَهُمْ إلا أَنْ قالوا﴾[2].

ومعنى: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ أي ثبتنا على دينكَ. وإذا ثَبَّتَهُمْ على دينهم ثبتوا في حربهم ـ قال اللّه عزّ وجلّ ـ ﴿فَتَزِلَّ قدم بعد ثبوتها﴾[3] المعنى تَزِلُّ عن الدين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَآتَاهُم اللّه ثَوَابَ الدُّنيَا﴾.

أي ظفَّرهم وغَنَّمهُم. ﴿وَحُسْنُ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾.

المغفرة وما أعد لهم من النعيم الدائم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿بَلِ اللّه مَولاكُمْ﴾.

أي هو وليكم، وإذَا كان وليهم فهو ناصرهم ﴿أَلا إنَّ حزب اللّه هم الغالبون﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَنُلقي في قُلوب الَّذينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: نُصرت بالرُّعْبِ، وقال يُرْعَب مني عَدوي من مسيرةِ شهر، وقال اللّه عزّ وجلّ: في سورة الحشر: ﴿وقذف في قُلوبِهِمُ الرُّعب﴾[4].

---

(١) النمل ٢٧ ـ ٥٩.

(٢) الجاثية ٤٥ ـ ٥. ذلك لأن المصدر المؤول من أن والفعل أولى أن يكون مبتدأ.

(٣) النحل ١٦ ـ ٢٤.

(٤) الحشر الآية (٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِه سُلطاناً﴾.

أي أشركوا بـه مَا لم يُنـزّل به حُجَّـةً، والسلطان في اللغة الحجـة ومثله ﴿ما أغنى عنِّي ماليه هلك عني سلطانيه﴾[١] أي ذهبت عني حجيته.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنه﴾.

معناه تستأْصلونهم قتلا، يقال حسهم القـائد يحُسهم حسّـا إِذَا ـ قتلهم، ويقال هل حَسَسْتَ كذا وكذا أي هل رَأَيته أو علمته. ويقال ما حَسَسْتَ فلانـاً، وهل حَسَسْتَ له ـ والكسر أكثر ـ أي ما رفُقْت عليه ولا رحمتـه ويقال جيءَ بـه من حِسِّـك وبَسِّك، أي من حيث مـا كان ولم يكن، كـذلـك لفظ الأَصمعي، وتـأْويله جيءَ به من حيث تـدركه حـاسَّة من حـواسّك، أو يـدركه تصـرُّف من تَصرّفك، ومعنى ﴿بإِذْنه﴾ بعلمه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿حتى إِذَا فَشِلْتُم﴾.

أي جَبُنتم عن عدوكم، ﴿وتنازعتم﴾ اختَلَفْتم من بعد ما أَرَاكُمْ مَا تُحبُّونَ: لأنهم أُعطوا النصر فخالفوا فيما قيل لهم في حربهم فعوقبوا بأن ديل منهم[٢].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿مِنكَمْ مَنْ يُريد الدُّنْيَا﴾.

أي منكم من قصده الغَنيمةُ في حربه ﴿وَمنكُم مَنْ يُريدُ الآخِرَةَ﴾.
أي يقصد بحربه إِلى ما عند اللَّه.

وقـولـه جـلّ وعـزّ: ﴿وَلَقَـدْ عَفَـا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْــل عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ تُصعِدونَ﴾ . . . .

وتَصْعَـدون جميعاً، قـد قريءَ بهمـا، فمن قال تُصْعِـدُون فهو لكـل من

---

(١) الحاقة ٢٩ ـ ٢٩.

(٢) ذهبت الدولة منهم وانتصر عدوهم عليهم.

ابتدأ مسيراً من مكان فقد أصعد، والصعود إنما يكون من أسفل إلى فوق، ومن قرأ تَصْعَدون فالمعنى إذ تَصْعدون في الجبل ولا تَلْوُونَ على أَحَدٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَثَابكُمْ غَمًّا بغَمٍّ﴾، أي أثابكم بأن غممتم النبي ﷺ أن نَالكُم غَمٌّ - بما عوقبتم به للمخَالفَة وقال بعضهم غمّا بغم إشراف خالد بن الوليد عليهم بعد ما نالهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِكَيْلا تَحْزَنوا على مَا فَاتكُمْ﴾من غنيمة.

﴿ولا مَا أَصَابَكُمْ﴾.

أي ليكون غمكم بأن خالفتم النبي ﷺ فقط(1).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ من بَعْدِ الغَمّ أَمَنَةً نُعَاساً﴾.

أي أعقبكم بما نالكم من الرُّعب أن أمنَكم أَمْناً تنامون معه، لأن الشَّديدَ الخوفِ لا يكادُ ينَامُ. و ﴿أَمَنَةً﴾ اسم تقول أَمن الرجل أَمْناً وَأَمَنَةً، إذا لم ينله خوف. و﴿نعاساً﴾: منصوب على البدل من أمنة، ويقرأ يغشى وتغشى طائفة منكم فمن قرأ يغشى - بالياء - جعله للنعاس ومن قرأ تغشى بالتاء جعله للأمنة. والأمنة تؤدي معنى النعاس.

وإن قرئ يغشى جاز - وهذه الطائفة هم المؤمنون، ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفسُهُم﴾وهم المُنَافقُونَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يظنون بالله غير الحق﴾، أي يظن المنافقون أن أمر النبي ﷺ مضمحل.

﴿ظَنَّ الجَاهِلِيَّةِ﴾: أي هم على جاهليتهم في ظنهم هذا والقراءة، ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾-قال سيبويه: المعنى إذ طائفة قد أهمتهم وهذه واو

(1) أي حزنكم لأنكم خالفتم النبي - أنساكم الحزن على فوات الغنيمة والحزن على ما نالكم من الهزيمة، وفقد رجال منكم.

الحال، ولو قرئت: ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾، على إضمار فعل [أهم] الذي ظهر تفسيره كان جائزاً. المعنى وأهمت طائفة أنفسهم، وجائز أن يرتفع على أن يكون الخبر يظنون ويكون قد أهمتهم نعت طائفة، المعنى وطائفة تهمهم أنفسهم يظنون، أي طائفة يظنون بالله غير الحق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

تقرأ ﴿بيُوتكم﴾ بضم الباءَ وكسرها، وروى أبو بكر بن عياش عن عاصم بكسر الباءِ، قال أبو إسحق: وقرأناها بإقراء أبي عمرو عن عاصم بُيوتكم بضم الباء، والضم الأكثر الأجود - والذين كسروا «بِيُوت» كسروها لمجيء الياءِ بعد الباء و «فِعول» ليس بأصل في الكلام، ولا من أمثلة الجمع، فالاختيار «بُيوت» مثل قلب وقُلوب وفَلْس وفُلوس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾.

معنى «برزوا» صاروا إلى براز، وهو المكان المنكشف أي لأوصلتهم الأسباب التي عنها يكون القتل إلى مضاجعهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُم﴾.

أي يختبره بأعمالكم لأنه علمه غيباً فيعلمه شهادة(١) لأن المجازاة تقع على ما علم مشاهدة، أعني على ما وقع من عامليه، لا على ما هو معلوم منهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّه لِلَّهِ﴾.

فمن نصب فعلي توكيد ﴿الأمر﴾ ومن رفع فعلي الابتداء - و﴿للَّه﴾ الخبر ومعنى ﴿الأمر كله للَّه﴾ أي النصر وما يلقي من الرعب في القلوب للَّه، أي كل ذلك للَّه.

---

(١) ك مشاهدة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعَانِ﴾.

هذا خطاب للمؤمنين خاصة.

﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾.

أي لم يَتولَّوا في قتالهم على جهة المعاندة، ولا على الفِرار من الزحف رغبة في الدنيا خاصة، وإنما أذكرهم الشيطان خطايا كانت لهم فكرهوا لقاءَ اللَّه. إلا على حال يرضونها، فلذلك عفا عنهم[1] وإلا فأَمْر الفِرار والتّولّي في الجهاد إذا كانت العدة أقل من المثلين، أو كانت العدة مثلين، فالفرار أمر عظيم[2].

قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُره إِلَّا مُتَحرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾[3] وهذا يدل أن أمر الوعيد لأهل الصلاة[4] أمر ثابت، وأن التولي في الزحف من أعظم الكبائر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾.

القراءَة وما ثبت في المصحف على القصر وفُعَّل جمع فاعل نحو

---

(١) هذا رأي الزجاج خاصة، وقد نقله عنه بعض المفسرين منسوباً إليه، ويظهر أن الذي وجهه إليه أن بعض الصحابة الكبار أمثال عثمان بن عفان، كانوا من الفارين. ولكن حالهم لا تدل على ذلك، فهم فروا مهزومين خائفين، ثم إن الشيطان لا يأتي الناس بهذه العظة وهي التخويف من الذنوب إنما هو يغويهم ويحرضهم على فعلها.

والواضح من الآية أن ﴿استزلهم﴾ أي وقعهم في الزلل، والزلة السقطة، ومما اكتسوه في هذا الموقف مخالفة أمر النبي ﷺ حيث أمرهم ألا يبرحوا مكانهم ففارقوه. وقد عفا اللَّه عنهم لأنهم لم يكونوا ذوي قصد سيء.

(٢) أي إذا كان عدد العدو ضعف المسلمين أو أقل، وهذا هو الحكم الفقهي أخذا من الآية ﴿إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكون منكم ألف يغلبوا ألفين﴾ (الأنفال ٨ - ٦٦).

(٣) الأنفال ٨ - ١٦.

(٤) أي أن المسلمين ينالون عقوبة في جهنم كالكفار، إلا أنهم لا يخلدون وهو يرد على من زعموا أن المسلمين ليسوا كذلك.

ضـارب، وضُرَّب، وشـاهد وشُهَّـدُ، ويقع على فُعَّـال نحـو حـارب وحُـرَّاب، وضارب وضُرَّاب. وغُزَّاء. يجوز إلا أنه لا يكون في القراءَة لأنه ممدود[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قلوبهِم﴾.

أي ليجعل ظنهم أنهم لو لم يحضروا ـ وإذا لم يحضروا ـ الحرب اندفع عنهم ما كتب عليهم. فحسرتهم فيما ينالهم أشد.

﴿واللَّهُ يُحْيِي ويُمِيت﴾.

أي ليس الإنسـان يمنعـه تحـرزه من إتيـان أجله على مـا سبق في علم اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبما رحمة من اللَّه لِنْتَ لَهُمْ﴾.

«ما» بإجماع النحويين ههنـا صلة لا تمنع البـاءَ من عملها فيمـا عملت. المعنى فبـرحمة من اللَّه لنت لهم. إلا أَنَّ «مـا» قد أَحـدثَتْ بدخُـولهـا تـوكيـد المعنى، ولـو قرئت فبمـا رحمةٌ من اللَّه جـاز، المعنى فبما هـو رحمة[2] كمـا أجازوا. . . ﴿مثلاً مَا بَعُوضَةٌ﴾[3] ولا تقرأَنَّ بها، فإن القراءَة سنَّةٌ [و] لا يَجُـوز أَنْ يقْرأَ قَارِئٌ بِمَـا لم يقرأ بـه الصحابـة أو التابعـون أو من كانَ من قُـرَّاءِ الأمصار المشهورين في القراءَة.

والمعنى أن لينـك لهم ممـا يُـوجب دخـولهم في الـدين لأَنـك تـأْتيهم بالحجج والبراهين مع لين وخلق عظيم.

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

---

(١) أي ولم تثبت قراءة بالمد.

(٢) أي أن ما موصولة وصدر الصلة محذوف.

(٣) أجازوه إعراباً لا قراءة، والآية: ﴿إن اللَّه لا يستحيي ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾.

الفَظّ: الغليظُ الجـانب السّيِّء الخُلُقُ، يقـال فـظَظْتَ تَفِظّ فـظاظـة، وفظَظاً، إلاَّ أَن فظاظة أَكْثَرُ لثقل التضعيف، وما كـان من الأسماءِ على «فَعَـل» في المضاعف فغير مـدغم نحو المـدَدُ والشَّرَر، ومـا كان على «فَعْـل» فمدغم على كل حال نحو رجل صب، وأَصله صَبِبٌ وكـذلك فظ وأصله فـظَظ، ومثله من غير المضاعف. قد فرِقْتَ تفرق، فرَقاً، وأَنْتَ فَرِقٌ، وإذا اضـطر شاعـر رد فَعْلاً إلى أَصله في المضاعف قال الشاعر:

مهـلا أَعـاذل قـد جـربت من خلقي ۝ أني أَجـود لأقـوام وقـد ضَنِنُـوا[1]

«والفظ ماء الكرش، والفرث وسمي فظاً لغلظ مشربه».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَشَـاوِرْهُمْ فِي الأَمْـرِ﴾.

أَي شاورهم فيما لم يكن عندك فيه وحي، فأَما مَـا فيه أَمـر من اللَّه جلّ وعزّ ووحي فاشتراك الآراءِ فيه ساقط.

وإنما أَراد اللَّه عزّ وجلّ ـ بذلك السنة في المشاورة، وأَن يكرم أَصحـابَه بمشـاورته إيـاهم، ثم أَمر بعـد الإجماع على الـرأْي ﷺ بـالتـوكـل على اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ قال: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوكَّل عَلَى اللَّهِ﴾.

أَي لَا تَظن أَنّك تنال مَنالاً تحبه إلاّ باللَّه جلّ وعزّ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾.

وأَن «يُغَل» قرئتا جميعاً.

فمن قرأَ ﴿أَن يَغُـل﴾ فالمعنى :وما كان لنبي أَن يخونَ أُمَّته وتفسير ذلك أَن

---

(١) اللسان (ضن) شرح شـواهد المغني ٣٢٦ كتـاب سيبويـه ١٦٥ باريس، الخصـائص ١٦٠ وهو لقعنب بن أم صاحب بن ضمرة من غطفان شـاعر إسـلامي توفي في سنـة ٩٥ هـ ويسمى أيضاً قعنب الفزاري لأن فزارة من غطفان، التبريزي ٤ ـ ١٢ والبيت من الشواهد النحوية على فك ما يستحق الإدغام.

النبي ﷺ جمع الغنائم في غزاة، فجاءه جماعة من المسلمين فقالوا: ألا تقْسِم بيْنَنا غنائمنا فقال ﷺ لو أن لكم عندي مثلَ أحد ذهباً ما منعْتكم دِرْهَماً أترونني أغُلكم مغْنَمكمُ، ويروى عن النبي ﷺ أنَّه قال: ألَا لا أعرفَنَّ رجُلًا يأْتي يوْمَ القِيامة ومعه شاة قد غَلَّهَا لها ثغاء، ألا لا أعرفَنَّ رجلًا يأْتي يوم القيامة ومعه بعيرٌ قد غله له رُغَاء، ألا لا أعرفَنَّ رجلا يأْتي يوم القيامة ومعه فرس قد غله له حَمْحَمة.

ومن قرأ أن يُغَلَّ فهو جائز على ضربين: أي ما كان لنبي أن يغُلّه أصحابه، أي يُخَوِّنُوه ـ وجاءَ عن النبي ﷺ لا يَحْبِسْ أحدكم خيطاً ولا مخيطاً.

وأجاز أهل اللغة أن يُغَلَّ أن يُخَوَّنَ[١] ويقال: أَغْلَلْتُ الجلد إذا سلخته فأبقيت فيه شيئاً من الشحم، وقد غل الرجل يَغُلُّ إذا خان لأنه أخذ شيئاً في خفاء، فكل ما كان من هذا الباب فهو راجع إلى هذا، من ذلك الغال وهو الوادي الذي ينبت الشجر وجمعه غُلّان، ومن ذلك الغِلُّ وهو الحقد، وتقول قد أغلَّت الضَّيْعَة فهي مُغِلَّةٌ إذا أَتَتْ بِشيْءٍ وأصلها باق ـ قال زهير:

فَتُغْلِلْ لكم ما لا تُغِلّ لأهلها قرى بالعراق من قَفِيزٍ ودرهم[٢]

والغلالةُ: الثوبُ الذي يُلْبَسُ «تحت الثياب»[٣] والذي يلبس تحت الدرع ـ درع الحديد ـ غِلَالَة، وتَغَلَّلْت بالغالية «وتغليت»[٤] إنما هو جعلها في

---

(١) هذا هو الوجه الثاني ـ أي لا يبغي ان يخونوه، ولا أن يتهموه بالخيانة.

(٢) من معلقته ـ والضمير يعود على الحرب التي ذكرت في بيت سابق:

(وما الحرب إلا ما عرفتم وذقتموا)

يقول إنها لا تنتج لهم ما تنتج الأرض الزراعية من ثمار وأموال ولكن تنتج لهم فتياناً مشائيم كأحمر ثمود، ديوانه ـ ٢٠ وفي شرح العشر للتبريزي فتنتج.

(٣) ليست في ك. وفي ط ـ الذي يلبس تحت الثياب.

(٤) ليست في ك. وتغليت أصله تغللت ـ قلبت اللام ياء ـ كما في تقضي البازي. والغالية نوع من الطيب يدهن به، وتغليت بها تطيبت.

أُصول الشعر. والغلُّ الماء الذي يجري في أُصول الشجر.

ومعنى ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوْا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى﴾.

معنى إذا ههنا ينوب عما مضى من الزمان وما يستقبل جميعاً والأصل في «إذ» الدلالة على ما مضى، تقولُ أتيتك إذْ قُمتَ وآتيك إذا جئتني، ولم يقل ههنا «إذ ضربوا» في الأرض، لأنه يريد شأنهم هذا أبداً، ومثل ذلك في الكلام: فلان إذَا حدث صدق، وإذا ضُرِبَ صبر. «فإذا» لِمَا يُستقبل، إلا أنَّه لم يحكم له بهذا المستقبل إلا بما خبر منه فيما مضى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ في الأَمْرِ﴾.

يقال شاورت الرجل مُشاوَرةً وشَواراً، وما يكون من ذلك فاسمه المَشُورَة، وبعضهم يقول المشورة. يقال فلان حسن الصورة والمشورة أي حسن الهيئة واللباس وإنَّهُ لَشِيِّر (صيّنٌ)[1] وحسن الشارة والشُّوار متاعَ البيت، ومعنى شاورت فلان أظهرت في الرأْي ما عندي وما عنده، وشُرْت الدابة أشُورها إذا امتحنتها فعرفت هيئتها في سيرها. ويقال شُرْتُ العسلَ وأَشَرْتُ العَسلَ إذا أَخذته من مواضع النحل وعسل مشور، قال الأعشى[2].

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا

«والأَرْيُ العسلُ، ويقال عسل مُشَار، قال الشاعر:

وغناء يأْذَنَ الشيخُ لَه وحديث مثل مَاذِيٍّ مُشَار[3]

(١) ليست في ك. وفي ط ـ الذين يلبس ويلبس تحت الثياب.
طيب يدّهن به، وتغليت بها تطيَّبتُ.

(٢) في اللسان (شور): كان جَنِيّاً من الزنجبيل بات بفيها وقال: أشرته لغة.

(٣) عدي بن زيد ـ اللسان (شور) وقبله:

وقلاهٍ قد تلهيت بها وقصرت اليوم في بيت عذارى
ويأذن بمعنى يستمع.

قوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾.

يقرأ رضوان بكسر الراءِ، ورضوان بضم الراءِ، وقد روينا جميعاً عن عاصم.

﴿كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾.

يروى أن النبي ﷺ حين أمر المسلمين في أحد باتباعه، اتبعه المؤْمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين، فأعلم اللّه جلّ وعز: أن من اتبع النبي ﷺ فقد أتبع رضوان اللّه، ومن تخلف عنه فقد باءَ بسخط من اللّه ومعنى باءَ بذنبه: إحتمله، وصار المذنب مأْوى الذنب، ولذلك[1] بوأْت فلاناً منزلاً أي جعلته ذا منزل.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي المؤمنون ذوو درجة رفيعة، والكافرون ذوو درجة عند اللّه وضيعة[2] ومعنى ﴿هم درجات﴾: هم ذوو درجات، لأن الإِنسان غير الدرجة «كما تقول: الناس طبقات أي ذوو طبقات»[3] وأنشد سيبويه.

أَنْصب للمنية تعتريهم ... رجال أم هُمُو درج السيول[4]

---

(١) ك، وط ولذلك باء بذنبه.

(٢) الكلمة غامضة في الأوصل، وأصلحناها كذلك.

(٣) عن ك فقط.

(٤) من شواهد سيبويه عن يونس ـ وروايته رجالي. ويروى أيضاً: أرجعا للمنون يكون قمصي لريب الدهر.. ونصْب بضم النون أي هدف ـ ودرج السيول المنحدر الذي يجرف فيه السيل والبيت لابن هرمة ـ إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة بن هذيل ـ وهم الخوارج انتسبوا إلى قريش ورفعوا نسبهم إلى فهر فلم يقبله عمر، وقبله عثمان وفرض لهم. ابْنُ هرمة شاعر جيد ـ كان مشهوراً بالإسراف في شرب النبيذ، يشكو كثرة الفانين منهم كأنهم هدف الموت أو بِمُنْحَدَرٍ قد تساقطوا.

أنظر الأغاني ٩ ـ ١٠١، الخزانة ١ ـ ٢٤٠.

اللسان ـ (درج).

اي هم ذوو درج، ويجوز أم هموم درجَ السيول على الظرف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لقد مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعثَ فِيهِمْ رسُولاً من أنفُسِهِم﴾.

بعث اللَّه محمداً ﷺ رسولاً وهو رجل من الأميين لا يتلو كتاباً ولا يخطه بيمينه، وبعثه بين قوم يَخْبُرونه ويعْرفونه بالصدق والأمانة وأنه لم يقرأ كتاباً ولا لُقِّنَه فتلا عليهم أقاصيص الأمم السالفة، والأنبياء الماضية لا يدفع أخباره كتاب من كتبٍ مخالفته، فأعلم اللَّه أنه منَّ على المؤمنين بإرساله من قد عُرِفَ أمرُه، فكان تناول الحجة والبرهان وقبول الأخبار والأقاصيص سهلا من قِبَلِه، وفي ذلك أعظم المنة.

وقد جاءَ في التفسير أنه يراد رسول من العرب ولو كان القصد في ذلك ـ واللَّه أعلم ـ أن أمره إنما كانت فيه المنة أنه من العرب لكان العجم لا حجة عليهم فيه[1].

ولكن الأمر ـ واللَّه أعلم ـ أن المنة فيه أنه قد خُبِرَ أمْرهُ وشَأْنهُ وعَلِمَ صدقهُ، وأتى بالبراهين بعد أن قد علموا أنه كان واحداً منهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾.

هذه الواو واو النسق، دخلت عليها ألف الاستفهام فبقيت مفتوحة على هيئتها قبل دخولها، ومثل ذلك في الكلام قول القائل: تكلم فلان بكذا وكذا، فيقول قائل مجيباً له أَوَ هو ممن يقول ذلك[2].

وقيل في التفسير إن هذه المصيبة عنى بها ما نزل بهم يوم أُحد،

---

(١) لكان هي جواب لو، المعنى لو كانت المنة بالنبي أنه عربي ما كان هناك منة على غير العرب لأنه ليس منهم ـ مع أنه منة على كل من استفاد من الإسلام عربياً أو غير عربي وأيضاً الآية. . ﴿لقد من اللَّه على المؤمنين﴾ ولم يقل على العرب.

(٢) الأشهر بين النحويين أنها واو العطف قدم عليها حرف الاستفهام لان الاستفهام له الصدارة ومنه أفتطمعون، أو لم ير الذين كفروا.

و﴿أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ أصبتم في يوم أحد مثلها وأصبتم يوم بدر مثلها، فأصبتم مثلَيْ ما أصابكم.

﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾: أي من أين أصابنا هذا.

﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ أي أصابكم بمعصيتكم النبي ﷺ وما من قوم أُطاعوا نبيهم في حربهم إلا نُصِرُوا، لأنهم إذا أطاعوا فهم حزب اللَّه، وحزب اللَّه هم الغالبون.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَبِإِذنَ اللَّهِ﴾ أ ما أصابكم كان بعلم اللَّه.

﴿وَلِيَعْلَمَ المؤْمِنِين وليَعْلَمَ الَّذِينَ نَافقُوا﴾ :

أي ليظهر إيمان المؤْمنين بثبوتهم على ما نالهم، ويظهر نفاق المنافقين بفشلهم وقلة الصبر على ما ينزل بهم في ذات اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

القراءَة بالرفع ﴿بل أحياءٌ عند ربهم﴾ ولو قرئت بل أحياءَ عند ربهم لجاز المعنى أحسَبْهُمْ أَحْياءَ وقيل في هذا غير قول: قال بعضهم لا تحسبهم أمواتاً في دينهم بل هم أحياء في دينهم، كما قال اللَّه تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كان مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاه وجَعَلْنَا له نُوراً يَمْشِي بِهِ في النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ في الظُّلُمَاتِ﴾[1].

وقال بعضهم: لا تحسبهم كما يقول الكفار إنهم لا يبعثون بل يبعثون.

﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وقيل إن أرواحهم تسرح في الجنة وتلذ بنعيمها، فهم أحياءٌ عند ربهم، قال بعضهم: أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، ثم تصير إلى قناديل تحت العرش.

---

(١) الأنعام ٦ ـ ١٢٢.

وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾.

أي لم يلحقوا بهم في الفضل إلا أن لهم فضلاً عظيماً بتصديقهم وإيمانهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فَمَوضع «أنْ» خفض: المعنى يستبشرون بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المؤْمِنينَ﴾.

﴿إن﴾ في موضع خفض المعنى ويستبشرون بأن اللَّه لا يضيع ويجوز.. ﴿وإن اللَّه لا يُضيع أجر المؤمنين﴾، على معنى واللَّه لا يضيع أجر المؤْمنين، وكذلك هي في قراءَة عبد اللَّه «واللّه لا يُضيع». فهذا يقوى وإن بالكسر.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿الَّذينَ استَجَابُوا لِلَّه والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ﴾.

أي من بعد ما أصابهم الجرح، ومن قرأ القُرح فمعناه ألم الجرح، ﴿الذين﴾ جائزٌ أنْ يكون في موضع خفض على النعت للمؤمنين، والأحسن أنْ يكون في موضع رفع بالابتداءِ ويكون خبر الابتداءْ للذين أحسنوا منهم وإتقوا أجر عظيم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿الَّذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ الناسَ قَدْ جمَعُوا لَكُمْ﴾.

يقال في التفسير إنَّ قائِل هذا نعيم بنُ مسعود الأشجعي[1] بعثه أبو سفيان وأَصْحابه يُثَبِّطُونَ النبي ﷺ وأَصحابه عن لُقِيِّهِمْ، وكان بين المسلمين وبين المشركين في يوم أُحد موعد للقاء ببدر الصغرى، فلم يلتفت المسلمون

---

(١) ويكني أبا سلمة الأشجعي. أسلم في موقعة الخندق وهو الذي أوقع الخلف بين حي قريظة وغطفان. وقتل في موقعة الجمل وقيل مات قبل ذلك في خلافة عثمان الإصابة: ٨٧٨٠.

إلى تخويف نعيم وعزموا على لقاء القوم وأجابوه بأن قالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. وتأويل حسبنا اللَّه أي: الذي يكفينا أَمرهُمْ اللَّهُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَزَادَهُم إيماناً﴾.

أي زادهم ذلك التخويف ثبوتاً في دينهم وإقامة على نصرة نبيهم، وصاروا إلى بدر الصغرى، وألقى اللَّه في قلوب المشركين الرعب فلم تغفلوهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾.

المعنى فلم يخافوا ما خافوا، وصاروا إلى الموعد الذي وعدوا فيه، فانقلبوا بنعمة، أي انقلبوا مؤمنين قد هربِ منهم عدوهم. وقيل في التفسير إنهم أقاموا ثلاثاً واشتروا أُدْماً وزَبِيباً رَبِحُوا فيه، وكل ذلك جائز، إلا أن انقلابهم بالنعمة هي نعمة الإيمان والنصر على عدوهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾.

أي ذلك التخويف الذي كان فعل الشيطان، أي هو قوله[1] للمخوفين، يخوف أولياءه، قال أهل العربية: معناه يخوفكم أولياءه، أي من أوليائه، والدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ:

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

أي كنتم مصدقين فقد أعلمتكم أني أنصركم عليهم فقد سقط عنكم الخوف، وقال بعضهم يخوف أولياءه، أي إنما يخاف المنافقون، ومن لا حقيقة لإيمانه، فلا تخافوهم، أي لا تخافوا المشركين.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ﴾.

(١) ك أي الشيطان سوله للمخوفين ـ وقوله هنا بمعنى كلامه.

وقرئت ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيراً وقد قرئت ولا تحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم.

معنى ﴿نملي لهم﴾، نؤخرهم - وهؤلاءِ، قوم أعلم اللَّه النبي ﷺ أنهم لا يؤمنون أبداً، وأن بقاءهم يزيدهم كفراً وإثماً.

فأما الأعراب - فقال أبو العباس محمد بن يزيد: إن من قرأ بالياءِ يحسبن فتح أن، وكانت تنوب عن الاسم والخبر[1] تقول حسبت أن زيداً منطلق، ويصح الكسر مع الياءِ - بمبح: ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم بكسر إن. وهو جائز على قبحه، لأن الحسبان ليس بفعل حقيقي فهو يبطل عمله مع أن، كما يبطل مع اللام، تقول حسبت لَعَبْدُ اللَّه منطلق، وكذلك قد يجوز على بعد: حسبت أن عبد اللَّه منطلق.

ومن قرأ ولا تحسبن الذين كفروا لم يجز [له] عند البصريين إلا كسر إن، المعنى: لا تحسبن الذين كفروا، إملاؤنا خير لهم ودخلت أن مؤكدة.

وإذا فتحت أنَّ صار المعنى ولا تحسبن الذين كفروا إملاءَنا[2] قال أبو إسحق وهو عندي في هذا الموضع يجوز على البدل من الذين، المعنى لا تحسبن إملاءَنا للذين كفروا خيراً لهم وقد قرأ بها خلق كثير.

ومثل هذه القراءَة من الشعر قول الشاعر:[3]

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هلك واحد ولكنه بنيانُ قومٍ تهدَّما

---

(1) أي تسد مسد مفعولي حسب.

(2) فالجملة إذن ناقصة ولهذا منعه البصريون.. وقدره الزجاج بدلاً مفعولاً أول والثاني هو «خيراً».

(3) هو عبده بن الطبيب. يرثي قيس بن عاصم من ميميته المعروفة.

عليك سلام اللَّه قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

والبيت في ابن يعيش ٣ - ٦٥.

جعل هلكه بدلاً من قيس، المعنى فما كان هلكُ قيس هلكَ واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا كَانَ اللَّه لِيَذَر المُؤْمِنينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ منَ الطَّيِّبِ﴾.

يروى في التفسير أن الكفار قالوا للنبي ﷺ تخبرنا بأن الإنسان في النار حتى إذا صار مِنْ أهل مِلَّتك قلت إنه من أهل الجنَّة. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ - أن حُكمَ من كفر أن يقال له: إنه من أهل النار، ومن آمن فهو - ما آمن وأقام على إيمانه وأدَّى ما افترِضَ عليه - من أهل الجنة وأعلم أن المؤمنين وهم ﴿الطَّيِّب﴾[1] مُمَيزَّون من ﴿الخبيث﴾ أي مخلَّصون.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كانَ اللَّه لِيُطْلِعَكُم علَى الغَيْب﴾.

أي ما كان اللَّه ليعلمكم من يصير منكم مؤمناً بعد كفره، لأن الغيب إنما يطلع عليه الرُّسُل لإقامة البُرهَان، لأنهم رسل وأن ما أَتَوا بِه من عند اللَّه، وقد قيل في التفسير: ما بالُنا نحن لا نكون أنبياء، فأعلم اللَّه أن ذلك إليه، وأنه يختار لرسالاته منْ يشاءُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ من فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُم﴾.

هذا يعني به علماءَ اليهود الذين بخلوا بما آتاهم اللَّه مِنْ عِلْمِ نبوة النبي ﷺ. ومشاقة وعداوة وقد قيل إنهم الذين يبخلون بالمال فيمنعون الزكاة. قال أهل العربية: المعنى، لا يحسبن الذين يبخلون البخل هو خيراً لهم. ودل ﴿يبخلون﴾ على البخل. و﴿هو﴾ ههنا فصل، وهو الذي يسميه الكوفيون العماد، وقد فسرناه إلا أنا أغفلنا فيه شَيئاً نذكره ههنا:

---

(١) أي المقصودون بكلمة «الطيب» في الآية﴿حتى يميز الخبيث من الطيب﴾.

زعم سيبويه أن هو، وهما، وهم، وأنا، وأنت، ونحن وهي، وسائر هذه الأشياءِ إنما تكون فصولاً[1] مع الأفعال التي تحتاج إلى اسم وخبر[2] ولم يذكر سيبويه الفصل مع المبتدأ والخبر، ولو تأول متأول أن ذكره الفصل ههنا يدل على أنه جائز في المبتدأ أو الخبر كان ذلك غير ممتنع[3].

قال أبو إسحق والذي أرى أنا في هذه، ولا يحسبن الذين - يَبْخلون بالياء. ويكون الاسم محذوفاً[4]. وقد يجوز ولا تَحسبن الذين يبخلون على معنى ولا تحسبن بُخل الذين يبخلون، ولكن حذف البخل من ههنا فيه قبح[5]، إلا أن حذفه مع قولك: ولا يحسبن الذين يبخلون قد دل يبخلون [فيه] على البخل، كما تقول من كذب كان شرًّا له، والقراءَة بالتاءِ عندي لا تمنع، فيكون مثل ﴿واسأل القرية﴾ أي أهل القرية، فكذلك يكون معنى هذا: لَا تَحْسَبَنَّ بُخْل الباخلين خيراً لهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

أي اللَّه يغني أهلهما فيغنيان بما فيهما، ليس لأحد فيهما ملك فخوطب لقوم بما يعقلون، لأنهم يجعلون ما رجع إلى الإنسان ميراثاً إذا كان ملكاً له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّه فقيرٌ وَنَحْنُ أغنياءُ﴾.

هؤُلاءِ رؤساء أهل الكتاب لما نَزَلَت ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّه قرضاً حَسَناً

---

(١) تقع ضمير فصل.

(٢) النواسخ التي تدخل على مبتدأ أو خبر.

(٣) ولكنه مستبعد لوجود ﴿لا يحسبن﴾ ويجوز أن الجملة قبل دخول حسب: ما آتاهم اللَّه من فضله هو خير. وجيء بالفصل لبعد الخبر عن المبتدأ.

(٤) تقديره «بخلهم».

(٥) لأنه صدر الجملة والمضاف إليه ليس بمعناه فلا يسد مسده.

﴿فَيُضَاعِفَهُ لَه أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾(1) قالوا نـرى أن إله محمـد يسْتَقْرِض مِنّـا فنحن إذن أغنيـاء وهـو فقـير، وقـالـوا هـذا تَلْبيسـاً عـلى ضَعَفَتِهِمْ، وهـم يعلمـون أن اللَّه عزّ وجلّ: لا يستقرض من عَوَزٍ، ولكنه يَبْلو الأخيار فهم يعلمـون أن اللَّه سمَّى الإعطاءَ والصَّدَقَةَ قَرضـاً، يؤكد بـه أن أضعافـه ترجـع إلى أهله، وهو عـزّ وجلّ يَقْبِض ويبسُط أي يوسع ويُقَتِر.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه قد سَمِع مقـالتهم، وأعلم أن ذَلك مُثْبَتٌ عليهم، وأنهم إليه يرْجعونَ فيجازيهِمْ على ذلك وأنه خبير بعملهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالَوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ﴾.

ومعنى﴿عذاب الحريق﴾ أي عذابٌ مُحْرِقٌ بـالنَّار، لأنَ العـذاب يكون بِغَـيْر النّار. فأعلم أن مجازاة هؤُلاءِ هذا العذاب.

وقوله ﴿ذوقُوا﴾ هذه كلمة تقال للشيء يوئس من العَفْو يقال ذق ما أَنت فيه أي لَسْت بمتَخَلِّصٍ منه.

وقوله جلّ ذكره: ﴿الَّذينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ عَهِدَ إلَيْنَا﴾.

هذا من نعت «العبيد»(2) الذين قالوا ﴿حتى تأْتينا بقربـان تَأْكله النار﴾، أي عهد إلينا أَلّا نؤمن لرسول حتى تكون آيتُه هذه الآية. فأَعلم اللَّه ـعزّوجلّـ أَن أَسلافهم قَد أَتتهم الرُّسل بالبينات. وبـالذي طلبـوا(3). فقتلوهم. فقال: ﴿فلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾.

---

(1) البقرة ٢ ـ ٢٤٥.

(2) في ط من نعت اليهود.

(3) المعجزات التي طلبوها وهي القربان تأكله النار.

وهم لم يكونُوا تَوَلَّوْا القتل، ولكن رضُوا بقتل أُولئك الأنبياءِ فشركـوهم في القتل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالزُّبُرِ والكِتَابِ المُنِيرِ﴾.

الزبر جمع زبور والـزبور كـل كتاب ذو حكمـة. ويقال زبـرت إذا كتبت. وزبرت إذا قرأت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنَّما تُوفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القيَامَةِ﴾.

ولا يجـوز أُجُورُكم عـلَى رفع الأُجـور وجعل ما في معنى الذي[1]، لأن يوم القيـامة يصيـر من صلة ﴿توفون﴾، وتوفـون من صلة ما فلا يأتي ما في الصلة بعـد أُجوركم[2] و﴿أُجوركم﴾ خبر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾.

أي نُحِّيَ وأُزيلَ ﴿فقَدْ فَازَ﴾ يقال لكل من نجا من هلكـة وكل من لقي مـا يغبط به: قد فاز، وتأْويله تباعد من المكروه ولقي ما يحب

ومعنى قول الناس مفـازة إنما هي من مهلكـة، ولكنهم تفاءَلـوا بأن سمـوا المهلكة مفازة. والمفازة المنجاة، كما تفاءَلوا بأن سموا اللديغ السليم، وكـما سموا الأعمى بالبصير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَتُبْلَوُنَّ في أَمْوَالِكُمْ وأَنفُسِكمْ﴾.

معنـاه لَتُخْتَبَـرُنَّ أي تقـع عليكم المحن، فيعلم المؤمن من غيـره، وهــذه

---

(١) تقدم أن «ما» في ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾، يمكن أن تكون موصولة وهي لا تجوز هنا لما يتـرتب على ذلك من عمل الصلة في اسم ذكر بعد الخبر.

(٢) إذا حلت «إنما» فصارت «إن ما» فما اسم موصول صلة توفون، وأجـوركم خبر: «أي أن الـذي توفونه يوم القيام أجوركم» لكن يوم القيامة مؤخر عن الخبر ـ فقد جاء معمول الصلة بعد تمامها وهذا لا يجوز.

النون دخلت مؤكدة مع لام القسم وضُمَّت الواوُ لسكونها وسكون النون. ويقال للواحد من المذكرين: لتبلَيَن يا رجل، وللاثنين لتبليَانٍّ يا رجلان، ولجماعة الرجال: لتبْلَوُنَّ. وتُفتَح الياءُ من لَتَبْلَيَنَ في قول سيبويه لسكونها وسكون النون، وفي[1] قول غيره تبني على الفتح لضم النون إليها كما يبنى ما قبل هاءِ التأنيث[2]، ويقال للمرأة لتُبْلَيِنَّ، يا امرأة، وللمرأتين لتبليَانّ يا امرأتان ولجماعة النساءِ لتُبْلَيْنَانٍّ يا نِسْوة، زيدت الألف لاجتماع النونات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولتَسمَعُن من الَّذِينَ أُوتُوا الكتاب مِنْ قَبْلِكُمْ ومِنَ الَّذِينَ أَشْرَكوا أَذًى كَثِيراً﴾.

روي أن أبا بكر الصديق ﷺ سمع رجلا من اليهود يقول: «إن اللَّه فقير ونحنُ أغنياءُ» فلطمه أبو بكر فشكا اليهودي ذلك إلى النبي ﷺ فسأله النبي: ما أراد بلطمك فقال أبو بكر سمعت منه كلمة ما ملكت نفسي معها أن لطمتُه، فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ولتَسْمعُنَ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً﴾، وأذى مقصور يكتب بالياءِ، يقال قد أَذِيَ فلان يأذى أذًى، إذا سمع ما يسوءُه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لتبيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾.

وليبيننه، بالياءِ والتاءِ، فمن قال ليبيننه بالياءِ، فلأنهم غَيبٌ[3]، ومن قال بالتاءِ حكى المخاطبة التي كانت في وقت أخذ الميثاق، والمعنى أن اللَّه أخذ منهم الميثاق ليبينن أمر نبوة النبي ﷺ.

﴿فَنبَذُوه وراءَ ظُهورهم﴾:

---

(١) في ط ومن.

(٢) الإختلاف في علة الفتح. فهي عند سيبويه فتحت لالتقاء الساكنين وغيره يعتبر النون جزءاً من الكلمة ألحقت بها كالتاء من المؤنث.

(٣) جمع غائب ـ أي غائبون.

معنى ﴿نبذوه﴾ رَمَوْا بـهِ يقال للذي يـطرح الشيء ولا يَعْبَأُ بـه: قد جعلت هذا الأمر بظهر، وقد رميته بظهر. قال الفرزدق(١):

تميم بنَ قيس لا تكـونَن حـاجتي بـظهـر، فـلا يعيا عـلي جوابهـا

أي لا تتركنها لا يُعْبَأُ بها.

وأنْبأَ اللَّه عمّا حمـل اليهود الـذين كانـوا رؤساءَ عـلى كتمان أمـر النبي ﷺ فقال: ﴿واشْتَرَوا بِهِ ثَمَناً قَليلاً﴾:

أي قبلوا على ذلك الرشا، وقامت لهم رياسة اكتسبوا بهـا، فـذلك حَمَلَهُمْ على الكفر بما يخفونه(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بما أَتَوْا ويُحِبُّونَ أن يُحْمَدُوا بمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

هؤلاءِ قـوم من أهـل الكتـاب دخلوا عـلى النبي ﷺ وخـرجـوا من عنـده فذكروا لمن كان رآهم في ذلك الوقت أن النبي ﷺ قد أتاهم بأشياءَ قد عرفوهـا، فحمِدهُم من شاهدهم من المسلمين على ذلك، وأبطنوا خلاف ما أظهروا وأقامـوا بعـد ذلك عـلى الكفر، فـأعلم اللَّه ـ عزّ وجـلّ ـ النبي ﷺ أمْرهم وأعْلَمـه أنهم ليْسوا بِمَفَازة منَ العذاب أي ليسوا ببعد من العذاب.

---

(١) وجه به إلي تميم بن زيد القيني من قضاعة. كان عاملاً للحجاج على السند وكان معه ولد يقال له خنيس وأمه رقوب أي ليس لها غيره فلماطـالت إقامتهم في البعث استغاثت بقبر غالب، أبي الفرزدق، فكتب له أبياتاً منها هذا البيت وبعده.

وهـب لي خنيسـاً واحتسب فـيـه منـة لـحـاجـة أم مـا يـسـوغ شـرابـهـا

أتـتـنـي وعـاذت يـا تـمـيم بـغـالـب وبـالـحفـرة الـشـاوي عليـهـا تـرابـهـا

ولم تكن الكتابة منقوطة في هذا الوقت فلم يعـرف تميم من المراد أخنيس أم حبيش ـ وكـان في الجيش خمسة يسمون بأحد هذين الاسمين فسرحهم جميعاً. أنظر ذيل الأمالي ٧٧٠، والأمالي ٧٧/٣، والكامل ٢٩١/١ (التجارية).

(٢) حملهم على إنكـار الحق الـذي يخفـونـه.

ووقعت ﴿فَلَا تَحْسَبنَّهم﴾ مكررة لطول القصة. والعرب تُعيدُ إذا طالت القصَّة [في] حسبت وما أشبهها، إعلاماً أن الذي جرى متصل بالأول، وتوكيداً[1] للأول، فنقول: لا تظنَنَّ زيداً إذا جاءَك وكلمك بكذا وكذا - فلا تظننه صادقاً، تعيد - فلا تظنن توكيداً - ولو قلت لا تظن زيداً إذا جاءَك وحدثك بكذا وكذا صادقاً جاز، ولكن التكرير أوكد وأوضح للقصة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وِلِلَّه مُلْكُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ واللَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قدِيرٌ﴾.

أي هو خالقهما[2]، ودليل ذلك قوله - عزّ وجلّ: ﴿خالق كل شيءٍ﴾[3] و ﴿خلق السموات والأرض﴾[4] وأعلم أن في خلقهما واختلافِ الليل والنهارِ ايـاتٍ[5] ﴿لأولى الآلباب﴾ أي ذَوي العقول. والآيات العلامات، أي من العلامات فيهما دليل على أنّ خالقَهما واحد ليس كمثله شيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يذْكُرُونَ اللَّهَ﴾.

هذا من نعت ﴿أُولي الأَلباب﴾، أي فهؤُلاءِ يستدلون على توحيد اللَّه - عزّ وجلّ - بخلقِه السموات والأرض وإنهم يذكرون اللَّه في جميع أحوالهم ﴿قِيَاماً وقُعُوداً وعلَى جُنُوبهِم﴾.

معناه ومضطجعين، وصلح في اللغة أن يعطف «بعلى» على - ﴿قياماً وقعوداً﴾ لأن معناه ينبىءُ عن حال من أحوال تصرف الإنسان، تقول: أنا أسير

(١) لأن الفصل بين الفعل والمفعول قد طال.
(٢) في ط خالقها.
(٣) الأنعام ٦/١٠٢.
(٤) في آيات أنظر سورة ٦/١.
(٥) في ط الآيات.

إلى زيد ماشياً وعلى الخيل. المعنى ماشيـاً وراكباً. فهؤلاءِ المستـدلون عـلى حقيقة توحيد اللَّه يذكرون اللَّه في سائر هذه الأحوال.

وقد قال بعضهم: ﴿يذكرون اللَّه قياماً وقُعُـوداً وعلى جنوبهم﴾، أي يُصَلُّونَ على جميع هذه الأحوال على قدر إمكانهم في صحتهم وسَقَمِهم.

وحقيقته عندي ـ واللَّه أعلم ـ أنهم موحدون اللَّه في كل حال.

﴿ويتفكرون فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ والأَرضِ﴾.

فيكـون ذلك أزيـدَ في بصيـرتهم، لأن فكـرتهم[١] تُـرِيهُمْ عـظيم شـأنهما، فيكون تعظيمهم للَّه على حسب ما يقفون عليه من آثار رحمته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ربَّنَا ما خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾.

معناه يقولون ﴿ربنا ما خلقت هذا بـاطلاً﴾ أي خلقتـه دليلاً عليـك، وعلى صدق ما أَتَتْ بـه أنبياؤكَ. لأن الأنبيـاءَ تأْتي بمـا يَعْجِز عنـه المَخْلُوقُونَ. فهـو[٢] كالسّموات والأرض في الدليل على توحيد اللَّه.

﴿سُبْحَانَكَ﴾: معناه براءَةً لك من السوءِ وتنزيهاً لك من أن تكون خلقتهـا باطلاً.

﴿فَقِنَا عذَابَ النَّارِ﴾:

أي فقد صدقنا رسلك وأنَّ لَكَ جَنَّةً ونَاراً فقنا عذاب النار.

﴿ربَّنَا وآتنا مَا وَعَدْتَنا عَلَى رُسُلِكَ﴾:

معناه واللَّه أعلم ـ على أَلسُنِ رُسُلِكَ.

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

---

(١) أي تفكيرهم.

(٢) ما أتت به الأنبياء من المعجزات.

أي قد صدقنا يوم القيامة فلا تخزنا، والمُخْزَى في اللغة المُذلُّ المحقور بأمر قد لزمه بحجة، وكذلك أَخْزَيته. أي أَلزمته حُجَّة أَذَلْتُه معها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّكَ لا تُخْلفُ المِيعَاد﴾:

أي قد وعدت من آمن بك ووحدك الجنة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاستَجابَ لَهُم رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُم﴾.

المعنى فاستجاب لهم ربهم بأَنِّي لا أُضيع عمل عامل منكم من ذَكَرٍ أو أنْثَى. وإن قرئت إِنِّي لا أُضيع عمل عامل منكم جائز بكسر إن ويكون المعنى قال لهم ربهم: إِنِّي لا أُضيع عمَل عامل منكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثَوَاباً﴾:

مصدر مؤكد، لأن معنى ﴿لأُدْخِلَنَّهُمْ جنَّاتٍ تجري مِنْ تَحتها الأَنْهَارُ﴾ «لأُثيبنَّهُم» ومثله ﴿كِتَاب اللَّهِ عَلَيْكم﴾[1] لأن قوله عزّ وجلّ ﴿حرمت عليكم أُمهاتكم وبناتكم...﴾[2].

معناه: كتب اللَّه عليكم هذا «فكتابُ اللَّه - مؤكد - وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[3] قد علم أن ذلك صنع اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي البِلَادِ﴾.

خطاب للنبي ﷺ وخطاب للخلق في هذا الموضع، المعنى لا يغرنكم أَيُّها المؤمنون، ويروى أَن قوماً من الكفار كانوا يتَّجرون ويربحون في أَسفار كانوا يسافرونها، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ - أَن ذلك مما لا ينبغي أَن يُغْبَطُوا به، لأَن

(١) سورة النساء (٤) - اية ٢٤.

(٢) سورة النساء (٤) - آية ٢٣.

(٣) سورة النمل (٢٧) آية ٨٨، وقد سبق هذا التمثيل.

مصيرهم بكفرهم إلى النار ولا خَيرَ بخَيْر بعده النار، فقال عزّ وجلّ:

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾:

أي ذلك الكسب والربح الذيَ يربحونه متاع قليـل. وأعلم جلّ وعـزّ أن من أراد اللّه واتقاه فله الجنة فقال:

لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَـالِدِينَ فِيهَـا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

نُزُلاً مؤكد أيضاً، لأن خلودهم فيها إنزالهم فيها.

وواحـد الأبرار بَـارٌّ وأبرَار، مثـل صاحب وأصحـاب ويجوز أن يكـونَ بَـرّ وأبرار، على فَعْل وأفْعَال، تقول بررت والدي فأنـا برّ، وأصله بـرَر، لكن الراءَ أدغمَت للتضعيف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خَاشِعِينَ للّه﴾.

أي من عند أهل الكتاب من يؤمن خاشعاً للّه(1).

﴿لَا يَشْتَرونَ بآياتِ اللّهِ ثَمناً قليلاً﴾.

وإنما ذكر هؤلاءِ لأن ذكر الذين كفـروا جرى قبـل ذكرهم فقـال: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ واشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قَليلاً﴾.

أخبـر ـ جلّ وعـزّ ـ بما حمـل اليهود عـلى الكفر، وأخبـر بحال من آمن من أهل الكتاب وأنّهم صدقوا في حال خشوع ورغبة عنْ أن يشتروا بآيات اللّه ثمنـاً قليلاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا اصْبِرُوا﴾.

أي عـلى دينكم، ﴿وَصَابِروا﴾: أي عـدوكم ورَابـطُوا: أقيمـوا عـلى جهـاد

---

(1) بينهم قوم خشع.

عدوكم بالحرب والحجة، ﴿واتَّقُوا اللَّه﴾ في كل ما أمركم به، ونهاكم عنه.

﴿لعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ولعل ترج، وهو ترج لهم، أي ليكونوا على رجاءِ فلاح - وإنما قيل لهم ﴿لعلكم تفلحون﴾: أي لعلكم تسلمون من أعمال تبطل أعمالكم هذه، فأما المؤمنون الذين وصفهم اللَّه جلّ ثناؤه فقد أفلحوا. قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى آخر وصف المؤمنين. فهؤلاءِ قد أفلحوا لا محالة وإنما يكون الترجي مع عمل يتوهم أنه بعض من العمل الصالح.

الفهـارس

- بحوث لغوية ونحوية
- الأعلام
- الأبيات الشعرية
- أنصاف الأبيات
- الأمثال
- المحتويات

بحوث لغوية ونحوية

البحث	رقم الصفحة

البحث	رقم الصفحة

البحث	رقم الصفحة
معنى «بهت»	٣٤١
«يتسنه»	٣٤٢
مادة نشز	٣٤٤
معنى «فصرهن إليك»	٣٤٥، ٣٤٦
إبطال الصدقات بالمن والأذى	٣٤٧
مادة «غني»	٣٥٠
نعم ونعما، (وانظر ص ١٧٢ - ١٧٣)	٣٥٣، ٣٥٤
معنى «ضربا في الارض» الضريب، الضراب	٣٥٦، ٣٥٧
الإلحاف ومادة لحف	٣٥٧
الملس والأملس والأولق	٣٥٨
الدين ومادة «دان»	٣٦٠
مادة أبي	٣٦٢
مادة سفه (أنظر ص ٢٠٩ - ٢٠١)	٣٦٢
تفسير «أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى»	٣٦٣، ٣٦٤
مادة «سئم»	٣٦٥
مادة «رهن» واستعمالاتها	٣٦٧، ٣٦٨
جمع فعل على فعل قليل في الأسماء لا في الصفات	٣٦٧
معنى الإصر والإصار	٣٧٠، ٣٧١
«ألم الله» شكل الميم وتخطئة الأخفش	٣٧٣
معنى «قيوم»	٣٧٣
تعريف «توراة» ومذهب البصريين فيها	٣٧٤
الفرقان (أنظر ص ١٣٤)	٣٧٥
المحكم والمتشابه	٣٧٦ - ٣٧٧
آخر وأخر	٣٧٧
شرح «ابتغاء الفتنة»	٣٧٧ - ٣٧٨

الأعلام الذين لهم تراجم في حواشي الكتاب

رقم الصفحة

النحويون واللغويون :

الفقهاء والمحدثون والقراء:

الشعراء والرجاز:

رقم الصفحة

الأبيات الشعرية

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

أنصاف الأبيات

الرجـز

الأمثـال

فهرس المواضيع

معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحق إبراهيم بن السري

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الثاني

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مَعَانِي القُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب
بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سورة النساء

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿يا أيها النَّاسُ اتَّقُوا رَبّكُمُ﴾ :

إبتـدأ اللَّه السورة بـالمـوعـظة. أخبـر بمـا يـوجب أنـه واحـد وأن حقـه عزّ وجلّ ـ أن يُتَّقى فقال:

﴿الَّذِي خلقكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَة﴾ :

يعني من آدم عليـه السلام، وإنمـا قيل في اللغـة واحدة لأن لفظ النفس مؤنث، ومعناها مذكر في هذا الموضع(١)، ولو قيل من نفس واحد لجاز.

﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ :

حـواءَ خُلِقتْ من ضِلْعٍ من أَضْـلاع آدَم، وبثَّ اللَّه جميـع خلق النـاس منها.

ومعنى «بَثَّ» نـشـر، يقـال: بـث اللَّه الـخلق، وقـال ـ عـزّ وجـلّ ـ ﴿كَالفَرَاشِ المَبْثُـوثِ﴾(٢)، فهذا يدل على بث. وبعض العرب يقول أَبثَّ اللَّهُ الخلقَ، ويُقَال بَثَثْتُك سِرّي وأَبْثثتك سِرّي.

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَّاءَلُون بِهِ﴾ :

---

(١) لأن المراد بها آدم.

(٢) القارعة ١٠١ ـ ٤.

بالتشديد، فالأصل تتساءلون. وأُدْغمت التاءُ في السين لقرب مكان هـذه من هذه. ومن قرأ بـالتخفيف فالأَصـل تتساءَلُـون، إلا أَن التاءَ الثـانية حـذفت لاجتماع التَّاءَيْن، وذلك يُستثقل في اللَّفْظ فوقع الحذف استخفافاً، لأَن الكلام غيرُ مُلبسٍ.

ومعنى ﴿تساءَلُون بِهِ﴾: تَطْلُبُونَ حُقُوقكم بِهِ.

﴿والأَرْحَامَ﴾:

القراءَة الجيّدةُ نصب الأَرحام. المعنى واتقوا الأَرحام أن تقطعوها، فأَما الجرُّ في الأَرحام فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخـطأ أيضاً في أَمْـر الدين عـظيمٌ، لأَن النبي ﷺ قال: لا تحلفـوا بآبـائكم. فكيف يكـون تساءَلون به وبالرحم على ذا؟[1].

رأيت أَبا إسـحق إسماعيـل بن إسـحق يذهب إلى أن الحلف بغيـر اللَّه أَمر عظيم، وأَن ذلك خاص للَّه ـ عزّ وجلّ ـ على ما أَتت به الرواية.

فأَما العربية فإجماع النحـويين أنه يَقْبـحُ أَنْ يُنْسق باسم ظـاهر على اسم مضمر في حال الجـر إلا بإِظهـار الجار، يَسْتَقْبـح النحويُّون: مررت بـه وزيدٍ، وبك وزيدٍ[2]، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا بك وبـزيدٍ، فقـال بعضهم: لأَن المخفوض حرف مُتَّصِلٌ غيرُ منفصل، فكأَنَّه كالتنوين في الاسم، فقبح أَن يعطف باسم يقُومُ بنفسه على اسم لا يقوم بنفسه. وقد فسر المازي هذا تفسيراً مُقْنِعاً فقال: الثاني في العطف شريك للأَول[3]، فإِن كان الأَول يصلح شريكـاً

---

(١) أي كيف يعـطف الأرحام على لفظ الجـلالة فيكـون مقسماً بـه، أي انكم يسأل بعضكم بعضـاً مستحلفاً إياه باللَّه، فكيف يجوز أن يستحلفه بالرحم وهو أمر منهى عنه. إذن لا يجوز أن تخرج الآية على ذلك، بل تنصب الأرحام مفعولاً لاتقوا.

(٢) هو ممنوع لا يجوز.

(٣) المعطوف شريك للمعطوف عليه في تسلط العامـل عليهما، فـإن جاز جعـل المعطوف معـطوفاً عليه صح الكلام، وإلا لم يصح.

للثاني[١] وإلا لم يصلح أن يكون الثاني شريكاً له. قال: فكما لا تقول مررت بزيد و «ك» فكذلك لا يجوز مررت بك وزيدٍ.

وقد جاز ذلك في الشعر، أنشد سيبويه:

فاليوم قرَّبْت تهجُونا وتشتُمنا ... فاذْهب فما بك والأَيَّامِ من عجب[٢]

وقوله: ﴿وآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾:

أي أَعْطوهم أموالهم إذا آنستم منهم رشداً، وإنما يسمَّوْن يَتامَى - بعد أن يُؤنس منهم الرُّشُد، وقد زال عنهم اسم يتامى - بالاسم الأول الذي كان لهُم، وقد كان يُقالُ في النبي ﷺ يتيم أَبي طالب[٣].

وقوله - عزّوجلّ -: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾:

الطيب مالكم، والخبيث مالُ اليتيم وغيرُه مما ليس لكم، فلا تأْكلوا مال اليتيم بدلاً منْ مَالِكم، وكذلك لا تأْكُلوا (أيضاً)[٤] أَمْوالَهُمْ إِلَى أَمْوالِكُمْ.

أي لا تُضِيفُوا أَمْوالهم في الأَكل إلى أموالكم، أَي إن احتجتم إليها فليس لكم أن تأْكلوها مع أموالكم.

﴿إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾:

---

(١) جواب الشرط محذوف لوضوحه - أي صح العطف.

(٢) البيت للأعشى، وينسب لعمرو بن معد يكرب، ولخفاف بن نُدْبة، ولغيرهم. وقربت من التقريب في السير، وهو الإسراع. أي أسرعت إلى شتمنا وهجونا في زمن سيئ فلا عجب منكما، والشاهد فيه عطف الأيام على الكاف. والبيت من شواهد النحو الشائعة في باب الجر، وانظر ابن يعيش ٣ - ٧٩، والكامل ٢ - ٣٩ (تجارية) ومن شواهد سيبويه، وعد من الخمسين.

(٣) كان يسمى بهذا حتى بعد أن كبر وزالت عنه صفة اليتم.

(٤) ب فقط.

والحوبُ: الإثم العظيم، والحُوبُ فعلُ الرَّجل[١]، تقول: حاب حُوباً كقولك قدْ خان خُوناً[٢].

وقوله عزّ وجلّ:

﴿وإنْ خِفْتُمْ ألَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ﴾.

قال مجاهد: إن تحرَّجْتُم أن تتركوا ولاية اليتامى إيماناً وتصْديقاً فكذلك تحرَّجوا من الزنا، وقال غيره: وإنْ خفْتم ألَّا تعدلوا في أمْر النساءِ فانكحوا ما ذكر اللَّه عزّ وجلّ، وقال بعض المفسِّرين قولاً ثالثاً، قال أهل البصرة من أهل العربية: يقول ذلك المفسِّرُ - قال إنهم كانوا يتزوَّجُون العَشْر مِنَ اليتامَى ونحوَ ذلك رغْبةً في مالِهِنَّ فقال اللَّه - جلّ وعزّ - وإن خفتم ألا تُقْسِطُوا في اليتامَى أي في نكاح اليتامى، ودل عليه[٣]. فانكحوا. كذلك قال أبو العباس محمد ابن يزيد، وهو مذهب أهل النظر من أهل التفسير.

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ﴾:

لم يقل من طاب والوجه في الآدميين أن يقال مَنْ، وفي الصِّفاتِ وأسماءِ الأجناس أن يقال «ما». تقول: ما عندك؟ فيقول فرسٌ وطيبٌ، فالمعنى فانكحوا الطيب الحلال[٤] على هذه العِدَّة التي وصفت[٥]، لأن ليس كلُّ النساءِ طيباً، قال - عزّ وجلّ -: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وأخواتُكُم وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأخ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي

(١) «حوب» يطلق على المصدر وعلى العمل.

(٢) خان خوناً أثم.

(٣) على المحذوف وهو كلمة نكاح.

(٤) أي انكحوا الأصناف التي تطيب وتحل لكم من النساء، فما هنا معبرة عن أجناس وصفات. وما تستعمل لأنواع من يعقل.

(٥) أي عدد أقصاه أربع نساء.

أَرْضَعْنَكُمْ وأَخَـواتُكُم مِّنَ الرَّضَـاعَـةِ وأُمَّهَـاتُ نِسَـائِكم، وَرَبَـائِبُكُمُ الـلاَّتِي في حُجُورِكُم مِّن نِسَائِكُم اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فإِنْ لَمْ تَكُـونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَـلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ. . . ﴾[1] فلَيس ممن ذكر ما يطيبُ[2].

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾:

بدل من ﴿مَا طَابَ لَكُمْ﴾ ومعناه اثنين اثنين، وثلاثاً ثَلاثاً، وأَربعاً أَرْبعاً، إلا أَنه لا ينصرف[3] لجهتين لا أَعلم أَن أَحـداً من النحويين ذكـرهما، وهي أَنـه اجتمـع فيه علتـان أَنَّه معـدُول عن اثنين اثنين، وثلاث ثـلاثٍ، وأَنه عـدل عن تأْنيثٍ.

قـال أَصحابنـا انه اجتمـع فيه عِلتـانَ أَنه عُـدل عن تأْنيث، وأَنـه نكـرة، والنكرة أَصل للأَسماءِ، بهـذا كان ينبغي أَن نخففـه[4]. لأَن النكرة تخفف ولا تعد فرعاً.

وقـال غيرهم هـو معـرفـة وهـذا محـال لأَنـه صفـة للنكـرة، قـال اللّـه ـ جلَّ وعزّ ـ: ﴿جَاعلِ المَلاَئِكَةِ رُسُـلاً أُولِي أَجْنِحةٍ مَّثْنَى وثُـلاَثَ وَرُبَاعُ﴾[5]. فهذا مُحال أَن يكون أُولي أَجنحة الثلاثة والأَربعة وإِنما معناه أولي أَجنحة ثلاثةً ثَلاثَةً وأَرْبعةً أَربعة[6].

قال الشاعر:[7]

---

(1) سورة النساء ـ ٢٣.

(٢) ليس بينهن من توصف بالطيب أو الصلاح للزواج.

(٣) جمهور النحويين البصريين على أنه مبني على الفتح في الكلمتين.

(٤) نمنعه الصرف.

(٥) سورة فاطر الآية ١.

(٦) فهي حال أو صفة، وفي كلتيهما لا تكون معرفة.

(٧) ساعدة بن جؤية يرثى ولده أبا سفيان، وأول القصيد:

ألا بـات من حـولي نيـامـاً ورقـد ... وعـاودني حـزني الـذي يتجـدد

والشـاهد في البيت ورود مثنى ومـوحد خبـراً. وتبغى أصله تبتغى حذفت منـه إحدى التـاءين، =

ولـكنـمـا أهـلي بـوادٍ أنـيسُـه ذِئَـابٌ تَبَغَّى الناسَ مَثنَى ومَـوْحَدُ

فإنْ قال قائل من الـرافضة:[1] إنـه قَدْ أُحِـلَّ لَنا تسْـعٌ، لأنَّ قوله: «مثنى وثُلاثَ ورُباع» يراد به تِسَعٌ، قيل هـذا يبطل من جهـاتٍ، أحدهـا في اللغة أن مثنى لا يصلح إلَّا لاثنين اثنين على التفريق.

ومنها أنه يصير أعْيـى[2] كلام. لو قال قـائل في مـوضع تسعـةٍ أعطيـك اثنين وثلاثة وأرْبعة يريد تسْعةً، قيل تسعة تغنيـك عن هذا، لأن تسعة وُضِعتْ لهذا العددِ كله، أعني من واحد إلى تسعة.

وبعد فيكون ـ على قولهم ـ من تزوج أقلَّ من تسع أو واحـدة فعاصٍ[3] لأنه إذا كان الَّذِي أُبيح لـه تسعاً أو واحـدةً فليس لنا سبيـل إلى اثنين. لأنه إذا أمـرك من تجب عليك طـاعته فقـال أُدخـل هـذا المسجـدَ في اليـوم تسعـاً أو واحدة، فدخلت غير هاتين اللتين حدَّدهما لك من المرات فقد عصيْته.

هذا قول لا يُعرجُ على مِثله. ولكنَّا ذَكرْنَاهُ ليعْلم المسلمون أن أهل هذه المقالة مُباينون لأهل الإسلام في اعتقادِهم، ويعتقدون في ذلك ما لا يشتبه[4] على أحد من الخطأ.

= يقال تبغى الشيء إذا ابتغاه وطلبه. أي إن ابنه بواد موحش به ذئاب كـاسرة جمـاعات وأفـراداً. ولو كان إذ مات دفن مع أهله لهان خطبه بعض الهوان.

وسـاعدة من شعـراء هذيـل جاهلي مجيـد شعره مليء بـالغريب والمعـاني الغـامضـة، ويصلح للاستشهاد به في النحو واللغة.

والبيت في ديـوان الهـذليين ١ ـ ٢٧٧، والعيني ٤ ـ ٣٥٠ والقـرطبي ٥ ـ ١٦، وابن يعيش ٨ ـ ٥٧، وشواهد المغني ٣١٧.

(١) الرافضة فـرقة من الشيعـة سميت بذلـك لأنها رفضت رأي زيـد بن علي بن الحسين في صحة خلافة أبي بكر وعمر: وانشقوا عليه. أما الزيدية فيفضلون علياً ولكنهم لا ينكرون صحة خلافة من قبله لأنهم يجيزون إمامة المفضول. انظر ضحى الإسلام جـ ٣ / ١٣٦، ٢٧٥.

(٢) أضعف كلام وأوهنه تركيباً.

(٣) أي فهو عاص.

(٤) لا يلتبس.

فأمَّا قوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنى أَلَّا تَعُولُوا﴾:

(فمعناه) ذلك أَقْربُ أَلَّا تجُورُوا. وقيل في التَّفْسير: أَلَّا تميلوا، ومعنى تميلوا تجوروا. فأما من قال: أَلَّا تعُولوا: أَلا تكثُر عيالُكُمْ، فزعم جميع أَهل اللغة أَنَّ هذا خطأً، لأن الواحدة تعول[1]، وإباحةُ كلِّ ما ملكَتْ اليمينُ أَزْيدُ في العيال من أَربع، ولم يكن في العدد في النكاح حدٌّ حين[2] نزلَتْ هذه الآية.

والدليل على أَنهم كانوا يرغبون في التزويج من اليتامى [لمالهنَّ] أَنهم كانوا لا يبالون أَلَّا يعْدلوا في أَمرهم[3]، وقولُه[4] ـ عزّوجلّ ـ ﴿ويَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتيكُم فِيهِنَّ، وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ في الكِتَابِ في يَتَامَى النساءِ اللَّاتِي لا تُؤتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وتَرغَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ﴾:

فالمعنى: وإن خفتم ألا تقسطوا في نكاح يتامى فأَنكحوا الطيب الذي قد أُحلَّ لكم من غَيْرهنَّ، والمعنى إن أَمنتُم الجور في اليتامى فأَنكحوا منْهُنَّ كهذه العدة، لأَن النساءَ تشتمل على اليتامى وغيرهن.

وقوله: ﴿وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾:

يقال هو صَدَاقُ المرأَة، وصدُقةُ المرأَة، وصُدْقَةُ المرأَة. وَصَداقُ المرأَة، مفتوح أَولها، والذي في القرآن جمعُ صدُقة. ومن قال صُدْقَة قال صُدُقاتهنَّ، كما يقول غُرْفة وغُرُفات، ويجوز صُدْقاتهنَّ، وصُدَقَاتهنَّ. بضم الصاد وفتح

---

(١) في الأصل يعولها، والمراد يكثر عيالها.

(٢) ط حتى نزلت هذه الآية، أي آية ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾. فهي التي حددت عدد الزوجات.

(٣) لا يعطونهن حقوقهن وتأكلون مالهن أيضاً.

(٤) أي وهذا دليل أيضاً. الأولى أن يكون التقدير في أمرهن، ويستقم أن طمعهم كان حيفاً على الزوجات وأخوة الزوجات اليتامى.

الدال. ويجوز صُدُقاتهنَّ، ولا تقرأَنَّ من هذا إلا ما قد قرئ به لأن القراءَة سُنة لا ينبغي أن يقرأ فيها بكل ما يجيزه النحويون، وإنْ تتبعْ فالذي روي من المشهورُ في القراءَة أَجْودُ عند النحويين، فيجتمع في القراءَة بما قد روى الأتباعُ وإثباتُ ما هو أقوى في الحجة: إن شاءَ اللَّه.

ومعنى قوله: ﴿نِحْلةً﴾:

فيه غير قولٍ، قال بعضُهم فريضةً، وقال بعضهم ديانةً، تقول: فلان ينتحل كذا وكذا، أيْ يدينُ به، وقال بعضهم هي نحلة من اللَّه لهن أنْ جعل على الرجال الصداق، ولم يجعل على المرأة شيئاً من الغُرْم، فتلك نحلة من اللَّه للنساءِ يقال - نحلتُ الرجل والمرأة - إذا وهَبْتُ له - نِحْلةً ونُحْلاً ويقال: قد نَحِلَ جسم فلان ونَحَلَ إذا دقَّ[1]. والنَّحْلُ جائز أن تكون سميت نحلاً، لأن اللَّه جلّ ثناؤه نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها.

وقوله - جلَّ وعزّ - ﴿فإنْ طِبْنَ لكمْ عَنْ شيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾:

أي عن شيءٍ من الصداق.

و «لكم» خطاب للأزواج، وقال بعضهم للأولياءِ ههنا. و «نفساً» منصوب على التمييز لأنه إذا قال: طِبْنَ لكم، لم يعلم في أيِّ صنْف وقع الطيبُ، المعنى: فإن طابت أنفسهن بذلك.

وقد شرحناه قبل هذا المكان شرحاً وافياً[2].

وقوله: ﴿فَكُلُوهُ هنِيئاً مَرِيئاً﴾:

يقال: هنأَني الطعامُ ومرأَني. وقال بعضهم: يقال مع هنأني مرأني، فإذا لم تذكر هنأَني قلت أَمْرَأَني بالألف. وهذا حقيقته أن مرأني تبينتُ أنه

---

(١) بوزن علم ونصر في ماضيه ومضارعه.

(٢) انظر ص ٣١٩ جـ ١

سينهضم وأحمد مغبتهُ، فإذا قلت أمْرأني الطعام فتأويله أنه قد انهضم وحُمدتْ مغبته.

فإن قال قائل: إنما قيل: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً﴾ فكيف يجوز أن يقبل الرجل المهر كله، وإنما قيل له منه. ؟ فالجواب في ذلك أن «منه» ههنا للجنس[1] لما قال عزّ وجلّ -: ﴿فاجْتَنُبوا الرجسَ من الأَوْثَانِ﴾[2]. فلم نؤمر أن نجتنب بعض الأوثان، ولكن المعنى اجتنبوا الرجس الذي هو وثنٌ. أي فكلوا الشيءَ الذي هُو مهْرٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾:

قال بعضهم: السفهاءُ النساءُ والصِّبْيانُ، وقال بعضهم: السفهاءُ اليتامى، والسفهاءُ يدل على أنه لا يعني به النساءُ وحدهن، لأن النساءَ أكثر ما يستعمل فيهنَّ جمع سفيهة [وهو] سفائه، ويجوز سفهاءُ، كما يقال فقيرةٌ وفقراءُ.

وقال بعضُهُمْ: معناه لا تهبوا للسفهاء، أموالكم، وهذا عندي - واللَّه أعلم - غير جائز. كذلك قالَ أصْحابنا البصْريُّونَ بل السفيه أَحَقُّ بالهبة لتعذُّر الكسب عليه، ولو مُنِعْنَا منَ الهبَة لهم لما جاز أَنْ نُورِّثُهمْ، وإنما معْنَى: ﴿ولا تؤْتوا السفهاءَ أموالكم﴾، لا تُؤْتوا السفهاءَ أمْوالهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَارْزُقُوهم فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ وقوله: ﴿فَإِنْ آنسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالُهمْ﴾، وإنما قيل أموالكم لأن معناه الشيءَ الذي به قوام أمْركم، كما قال اللَّه: ﴿ثُمَّ أَنْتُم هَؤُلَاءِ تقتلُون أَنْفُسَكُمْ﴾[3] ولم يكن الرجل منهم يقتل نفسه،

---

(١) بيانية.

(٢) سورة الحج آية ٣٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٨٥.

ولكن كان بعضهم يقتل بعْضاً، أي تقتلون الجنس الذي هو جنسُكُمْ.

وقرئت «اللاَّتي جعل اللَّهُ لكمْ قياماً»، وقيماً. يقال: هذا قوام الأَمْر وملاكه.

المعنى: التي جعلها اللَّه تقيمكم فتقومون بها قياماً، فهو راجع إلى هذا[1]، والمعنى جعلها اللَّه قيمة الأَشياءِ فبها يقوم أَمْرُكم.

﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾:

أي: علموهم ـ مع إطعامكم إياهم، وكسوتكم إيَّاهم ـ أَمْر دينهمْ...

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وابتلُوا الْيَتَامَى﴾:

معناه: اختبروا اليتامى.

﴿حَتَّى إذَا بَلَغُوا النِّكاح فإنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً﴾:

معنى: «آنسُتْم»: عَلِمْتُمْ، ومعنى «الرُّشد»: الطريقة المستقيمة التي تَثقُون مَعَهَا بأَنَّهم يحْفظُون أَموالهُمْ، فادْفَعُوا إلِيْهمْ أَمْوالَهُمْ.

﴿وَلاَ تَأْكُلُوهَا إسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يكْبُروا﴾:

أي مُبادرة كبرهمْ.

قال بعضهم لا تأْكلوها إسرافاً، لا تأَثَّلُوا منْها[2]، وكلوا القوت على قدر نفعكم إيَّاهُمْ في توليكم علَيهمْ.

وقال بعضهم:

معنى: ﴿ومَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

أي يأْكل قرضاً ولا يأْخذ من مال اليتيم شيئاً، لأَنَّ المعروف أن يأْكل

---

(١) فهي إذن مفعول مطلق، وواضح أنها مفعول ثان لجعل.

(٢) لا تثروا: لا تأخذوا للثراء والغنى بل للكفاية.

الإنسانُ مالَه، ولا يأكُل مال غيره قال: والدليل على ذلك قوله: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُم إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيهِمْ﴾.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿لِلرِّجَالِ نصِيبٌ مِمَّا ترك الْوَالِدَان وَالأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الوالِدانِ والأَقْرَبُونَ ممَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾.

كانت العرب لا تُورِّثُ إلَّا منْ طَاعن بالرِّماحِ وزاد عن المال وحاز الغنيمة، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن حق الميراث على ما ذكر من الفرض.

وجاءَت امرأة إلى النبي ﷺ ومعها بنات لها تُوفِّي أَبوهُنَّ وهو زوجُها، وقدْ همَّ عما البنات بأخذ المال فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ الآية.

فقال العمَّان: يا رسول اللَّه أَيرثُ من لا يُطاعن بالرماحِ ولا يَزُودُ عن المال ولا يحُوزُ الغنيمة؟ فقال ﷺ: أَعطيا البنات الثلثين، وأَعطيا الزوجة ـ وهي أُمُّهن ـ الثُمُن، وما بقي فلكما، فقالا: فمن يتولى القيام بأمرهما؟ فأمرهما النبي ﷺ أنْ يتولَّيا ذَلكَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾:

هذا منصوب على الحال، المعنى لهؤلاءِ أنْصِبةٌ على ما ذكرناها في حال الفرض، وهذا كلام مؤكِّدٌ(١) لأن قوله ـ جلّ ثناؤه ـ ﴿للرِّجالِ نَصيبٌ ممَّا تركَ الوالدان والأَقْرَبُونَ، وللنساءِ نصيبٌ. . .﴾ معناه: إنَّ ذلك مفروض لهُنَّ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ أُولُو القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾:

[أَي]. فاعطوهم منه.

---

(١) حال مؤكدة، لأن معناها معروف من قبل.

قال الحسن رحمة اللَّه عليه، والنَّخَعِي[1]: أدركنا النـاس وهم يَقْسِمون عَلى القَرَاباتِ والمسـاكين واليَتَامَى من العَين، يَعْنيـانِ الوَرِقَ، والـذَّهَبَ، فإذا قُسِمَ الـوَرق والذهب وصـارت القسمةُ إلى الأَرَضِين والـرقيق وما أَشْبَـهَ ذلك، قالوا لهم قولاً معروفاً. كانوا يقولون لهم: بورك فيكم.

وقال قوم: نَسَخَ الأَمْرَ للمَسَاكينِ ومَنْ ذُكرَ في هذه الآية الفَرضُ في القِسْمَةِ، وإباحةُ الثلث للميِّتِ يجعله حيثُ شاءَ[2].

قـال أَبو إسحق وقـد أَجمعـوا أَن الأَمـر بـالقسمـة من الميـراث للقـرابـة والمساكين واليتامى قَد أُمِر بهمـا، ولم يجمعوا على نسخهـا، والأَمر في ذلـك على ما أُجْمعَ عَليْه، واللَّه أَعلم.

وقوله: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾.

الكلام في ذُرِّيَّة بضم الذَّال، ويجوز ذِرِّيَـة، - بكسر الـذَّال، وقد قــرئ بهما، إلا أَن الضمَّ أَجودُ وهي منسوبة إلى الذَّرِّ، وهي فُعْلِيَّةٌ منه[3].

ويجوز أَن يكون أَصلهـا ذُرُّورَة، ولكن الراءَ أُبـدلت ياءً، وأدغمت الـواو فيها[4]، فأَما الكسر في الذال فلكسر الراءِ كما قالوا في عُتِّي: عِتِّي.

وضِعَـاف جمـع ضعيف وضعيفـة، كمـا تقـول ظَـريفٌ وظِـرافٌ وخبيث

---

(١) النخعي هو إبراهيم بن يزيد، يكنى أبا عمران - من مـدجح، من مشهـوري التابعين والصلحاء وحفاظ الحديث، وكان له مذهب فقهي ينسب إليه، وكان من أعداء الحجاج واختفى منه ومات في اختفـائه سنة ٩٦ هـ، وقال عنـه الشعبي إذ علم بموتـه: ما تـرك بعده مثله، ولـه ترجمـة في الحلية ٤ - ٢١٩، وفي طبقات القراء ١ - ٢٩ وأحاديثه في كثير من كتب التاريخ.

(٢) يباح للمريض الفاني أن يهب من ماله أو يوصي منه فيما لا يزيد على الثلث.

(٣) انظر ص ٣٩٩ جـ ١ تفسير ذرية بعضها من بعض.

(٤) أي بعد قلبها ياء.

وخباث. وإن قيل ضُعفاءُ جاز، تقول ضعيف وضُعفاءُ[1].

قيل: ومعنى[2] الآية أنهم كـانوا يُـوصون بـأموالهم على قَـدْر أهوائهم، ويتركون ضعفة ذراريهم وأوْلَادِهم فأمرهم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يُوصُوا لهم، وأن يُجـرُوا ذلك من سـدَادٍ. وقيل: قيـلَ[3] لَهُم هَذَا بسببِ اليتـامى. فوُعـظُوا في تولِّيتهم اليتامى بأن يفعلُوا كما يحبونَ أنْ يُفعل بأولَادِهم من بعدهم.

وكلا القولين جائزٌ حسن، إلا أن تسميةَ الفرائض قد نَسخَ ذلك بما جعلَ من الأقسامِ للأولادِ وذَوِي العصبةِ[4].

ثم خوّف اللّه عزّ وجلّ وغَلَّظَ في امر اليتامى وأُوعدَ فقال:

﴿إنَّ الَّذِين يَـأْكُلُونَ أمـوَالَ الْيتـامَى ظُلْمـاً إنَّمـا يَـأْكُلُونَ فِي بُـطُونِهِمْ نَـاراً وَسَيَصْلَوْنَ سعيراً﴾.

(يُقْرأُ)[5] «وَسَيُصَلَوْنَ».

في هذا ـ أعني في قوله «. . يأْكُلونُ أَمْوالَ اليتَامَى» ـ دليلُ أَنَّ مال اليتيم إنْ أُخِذَ منه على قدْرِ القيامِ له ولم يُتجاوزْ ذلك [جاز].

بل يستظهر فيه إن أمكن ألَّا يُقْرب البتَّةَ لشـدة الوعيـد فيه، بـأَنْ لا يُؤكل منه إلَّا قَرْضاً، وإن أُخِذَ القَصْدُ وقَدْرُ الحاجةِ على قَـدْر نَفْعِه فـلا بأس إن شـاءَ اللَّه[6].

---

(١) في الأصل كما يقال وفي ك ـ كما تقول.

(٢) ب وقيل في معنى الآية.

(٣) ط وإنما قيل.

(٤) تقديرها بتعيين حق كل ذي فرض أو عصبة من التركة.

(٥) ب فقط.

(٦) جملة فلا بأس هي جواب الشرط في إن أخذ منه، ولطول الكلام زدنا كلمة ـ جاز.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾.

معنى «يُوصِيكم»: يفرض عليكم، لأن الـوصية من الله ـ عـزّ وجـلّ ـ فرض، والدليل على ذلك قـوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَـرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ ذَلِكُم وَصَّاكُمْ بِهِ﴾[1].

وهذا من المحكم علينا.

﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾:

المعنى: يستقر[2] للذكر مثلُ حظ الأنثيين، له الثلثان وللابنة الثلث.

﴿فَإِنْ كُنَّ نِساءً فَـوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثا مَـا تَـرَكَ، وإِنْ كَـانَتْ واحـدَةً فَلهَـا النِّصْفُ﴾:

يجوز واحدةً ووَاحِدةٌ ههنا، وقد قـرئ بهمَا جميعاً إلا أن النَّصبَ عندي أَجودُ بكثيرٍ، لأن قوله: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ قد بيَّن أَن المعنى فإن كان الأَولادُ نساءً، وكذلك، وإِنْ كانَتْ المَولُودَة واحدةً.

فلذلك اخترنا النصبَ، وعليه أَكثر القراءَة.

فـإن قال قـائل إنمـا ذكر لنـا ما فـوق الثنتين وذكرت واحـدةٌ فلم أُعْطِيَتِ البنتان الثلثين فَسُوِّيَ بينَ الثِّنْتَين والجماعةِ؟ فقد قال الناس في هذا غير قول:

قال بعضهم: أُعطيتِ البنَتـانِ الثلثين بدليـلٍ لا تُفْرَضُ لهمـا مُسمًّى[3]، والدليل [هو] قولـه: ﴿يَستَفْتونَـك قُلِ اللَّه يُفْتِيكُمْ فِي الكَـلَالَةِ، إِنِ امـرُؤٌ هَلَكَ ليس له وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصفُ مَا تَرَكَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنعام: ١٥١.

(٢) قدر فعلاً لتأثره بالمذهب الكوفي.

(٣) بدليل استنتاجي لا يعين النص فيه نصيباً.

(٤) سورة النساء ١٧٦.

فقد صار للأخت النصفُ كما أَنَّ للابنةِ النصفَ، ﴿فَإِن كَانَتَا اثْنَتين فَلَهُمَا الثُّلُثانِ﴾[1] فأُعطيت البنتان الثلثين كَمَا أُعْطِيتَ الأُختان، وأُعطِيَ جملة الأَخوات الثلثين قياساً على ما ذكر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في جملة البنات، وأَعلم اللَّه في مكان آخر أَن حظ الابنتين وما فوقهُمَا حَظ واحِدٌ في قوله: ﴿وَإِن كَان رَجلٌ يُورَثُ كلالَةً أَو امرَأَةٌ، وله أَخٌ أَو أُخْتٌ فلكُلِّ وَاحِدٍ مِنهما السُّدُس، فَإِنْ كانوا أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾.

فدلت هذه الآية أَن حظَّ الجماعة إذا كان الميراث مسمى حظ واحدة، وهذا أَيضاً في العربية كذا قياسُه لأَن منزلة الاثنتين[2] من الثلاث[3] كمنزلة الثلاث من الأربع فالاثنان جمع كما أَنّ الثّلاثَ جمعُ، وَصَلاَةُ الاثْنَيْن وَصَلاةُ الاثنتين جَماعَةٌ، والاثنان يحجبان كما تحجب الجماعة.

فهذا بيّن واضحٌ.

وهذا جعله اللَّه في كتابه يدل بعضُه على بعضٍ تفْقيهاً لِلمسْلِمينَ وتعليماً، ليعلموا فيما يحزُبُهمْ[4] من الأُمور على هذه الأَدلة.

وقال أَبو العباس محمد بن يزيد، وكذا قال إسماعيل بن إسحق ـ «أَنه قال»[5]: في الآية نفسها دليلٌ أَنَّ للبنتين الثلثَيْن، لأَنه إذا قال: للذكر مثل حَظِّ الأُنثيَيْن، وكان أَوَّلُ العددِ[6] ذكراً وأُنثى، فللذَّكر الثلثان وللأُنثى الثلث، فقد بان من هذا أَن لِلبنْتَين الثلثين[7]، واللَّه قد أَعلم أَن ما فوق الثنتين لهما الثلثان.

---

(١) أي بالقياس. (٢) ب الثنتين.

(٣) في الأصل من الثلاثة.

(٤) يحزبهم يهمهم، وفي ط يجزيهم وهو تحريف.

(٥) كذا في جميع الأصول.

(٦) أي أقل العدد.

(٧) لأن الواحدة لها الثلث.

وجميع هذه الأقوال التي ذكرنـا حسن جميل بينٌ، فـأما مـا ذُكِرَ عن ابن عباس من أن البنتين بمنزلة البنت فهذا لا أَحسبـه صحيحاً عن ابن عبـاس وهو يَسْتَحيلُ في القِياسِ[١] لأَنَّ منزلة الاثنين منـزلة الجمـع، فالـواحد خـارج عن الاثنين.

ويقـال ثلُثٌ وربُعٌ وسُـدُس، ويجوز تخفيف هـذه الأَشياءِ لِثقـلِ الضَّمِّ، فيقال ثِلْث وَرُبْعٌ وسُدْسٌ. ومنْ زعم أَن الأصل فيـه التخفيف وأَنَّه ثُقِّـل فخطأٌ، لأَن الكلامَ موضوع على الإيجاز والتخفِيفُ[٢].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولأَبَوَيْهِ لِكُـل واحِدِ مِنْهُمـا السُّدُس مِمَّـا تَرَكَ إنْ كَـانَ له وَلَـدٌ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَـه وَلدٌ وَوَرَثَـهُ أَبَوَاهُ فـلأُمِّهِ الثُّلُثُ فـإنْ كانَ لَـه إخوةٌ فـلأُمِّـهِ السُّدُس﴾.

فـالأُم لها في الميـراث تسميةٌ من جهتين، تسميـة السدس مـع الولـد، وتسمية السُّدُس مع الأُخوة، وتسمية الثلث إن لم يكن له ولد[٣].

والأَب يـرث من جهة التسميـة السدسَ، ويـرث بعد التسميـة على جهة التعصيب.

والأُم يحجبها الأخوة عن الثلث فترث معهم السُّدَس.

قـال أَبو إسحق: ونـذكر من كـل شيءٍ من هذا مسـأَلةً، إِذْ كـان أَصـل الفرائض في الأَموال والمواريث في هذه السورة.

فـإن مات رجـل أَو امْرأَةٌ فخلفـا أَبَوَيْن، فللأُم الثلث، والثلثـان الباقيـان للأَب. بهذا جاءَ التنزيـل وعليه اجتمعت الأُمـة. فإن خلَّف الميت وَلَـداً وكان

---

(١) في قواعد الميراث، والنصوص السابقة.

(٢) ط الآحاد. يريد أن الكلام لا يثقل بعد وضعه بل يخفف لكثرة الاستعمال.

(٣) فرض، أي لها فرض مع الأخوة وفرض مع أولاد الميت.

ذكرا فللأم السدس وللأب السدس، وما بقي فللابن، فإن خلَّف بنتاً وأبوين، فللبنت النصف ولـلأم السـدس، ومـا بقي لـلأب، يـأخـذ الأب سـدساً بحق التسمية، ويأخذ السدس الآخر بحق التعصِيب.

فإن خلَّف الميت ـ وكانت امرأة ـ زوجاً وأبـوين، فللزَّوجِ النصف وللأم ثلث ما بقي وللأب ثُلثا ما بقيَ، وهو ثلث أصل المال.

وقـد ذكر عن ابن عبـاس أنه كـان يعطي الأمَّ الثلث من جميـع المـالِ، ويعطي الأب السُّدَس. فيفضل الأم على الأب في هذا المـوضعِ. والإجمـاع على خلاف ما روي عنه.

وقال الذين احتجُّوا مع الإجماع[١]: لو أعلمَنا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن المال بين الأب والأم ولم يسم لكـل واحد لـوجب أن نقسمـه بينهمـا نصفين، فلمـا أعلمنا اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنَّ للأمِّ الثُّلثَ علمنا أن للأب الثلثين، فلمـا دخل على الأب والأم داخلٌ أخذَ نِصْف المال، دخل النقص عليهمـا جميعاً، فـوجب أن يكون الميراث للأبوين إنَّما هوَ النصفُ، فصار للأم ثلث النصف، ولـلأب ثلثا النصف[٢].

وقيل في الاحتجاج في هذا قول آخر:

قال بعضهم: إنما قيل: ﴿فإن لَمْ يَكُن لَـه ولَدُ وَوَرِثَـهَ أَبواه فلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ ولـم يرثه ههنا أبواه فقط، بل ورثه أبواه وورثه مَعَ الأبويْن غيـر الأبويْن، فـرجع ميراث الأم إلى ثلث ما بقي[٣].

---

(١) الذين على غير رأي ابن عباس.

(٢) أعطي الذكر مثل حظ الأنثيين، والأب في القياس السابق لضعفها.

(٢) حق الأم الثلث ما لم يكن هناك ولد أو إخوة. والأخوة هنا ردوها إلى السدس ولم يأخذوا شيئاً. فجعل هذا السدس لهم.

(٣) من أدلى للميت بجهة تحجبه تلك الجهة، والأخوة صلتهـم الأبوان فلا يأخذون معهما.

وقـال أصحاب هـذا الاحتجـاج: كيف تفضَّلُ الأُم على الأَب[1] والأُخوة يمنعـون الأُم الثلث فيقْتصر بهـا على السُّـدس، ويـوفـر الباقي[2] على الأَب. فيأْخذُ الأَب خمسة أَسْداسٍ، وتأْخُذُ الأُم سُدُساً.

فإن توفي رجُلٌ أَو امرأة، وخلَّف إخوةً ثلاثة فما فـوق، وأُمًّا وأَبـاً أَخذت الأُم السدس وأَخذ الأَبُ الباقِي. هذا إجماع.

وقد روي عن ابن عباس في هذا شيءٌ شاذ:

رَوَوْا أَنـه كان يُعْـطِي الإخـوة هـذا السـدس الـذي منـع الأَخـوةُ الأُمَّ أن تأْخذهُ، فكان يعطي الأُمَّ السُّدسَ، والإخـوة السُّـدسَ. ويعطي الأَب الثلثين. وهـذا لا يقولـه أَحدٌ من الفقهـاءِ. وقـد أَجمعتِ فقهـاءِ الأَمصـار أَن الأخـوة لا يأْخذون مع الأَبوين[3].

فإنْ توَفِّي رجُلٌ وخلَّف أَخوين وأَبَـوَيْن، فقد أَجمـع الفقهاءِ أَن الأَخـوين يحجبان الأُمَّ عن الثلث، إلا ابنَ عباس فإنه كـان لا يحجب بأَخـوين. وحجته أَن اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ قـال: ﴿فإن كـان له إخـوةٌ [فلأُمـه السدس]. . .﴾[4] وقال جميـع أَهل اللغـة إن الأَخوين جمـاعةٌ، كمـا أَن الإخـوة جمـاعـة، لأَنـك إذا جمعت واحداً إلى واحد فهما جماعة، ويقال لهما إخوةٌ.

وحكى سيبويه أَن العرب تقول: قد وضعا رحالهما، يُريدُون رحَليْهمَـا، ومـا كان الشيءُ منـه واحداً فتثنيتـهُ جمع، لأَنَّ الأَصـل هو الجمـعُ، قـال اللَّه تعالى: ﴿إن تَتُوبَا إلى اللَّهِ فَقَدْ صَغَت قُلُوبُكُما﴾[5].

وقال: ﴿لأَبويه﴾ لأَن كل واحد منهما قد ولدُهُ.

(١) في الأصل: على أ ب. (٢) في الأصل: السدس.

(٣) أي ان الثلث للأم إن لم يكن للميت ولد. وهنا له ولد.

(٤) وهم هنا اثنان لا جماعة. (٥) سورة التحريم آية ٤.

والأصل في «أُم» أن يقال «أَبَةٌ»[١]، ولكن استُغْنِيَ عنها بأم. وأبوان تثنية أَبٍ، وأَبة، وكذلك لو ثنيت ابناً وابنة، ـ ولم تخَفِ اللبْس ـ قلت: ابنان.

﴿فلأُمه﴾:

تقرأ بضم الهمزة وهي أكثر القراءات، وتقرأ بالكسر «فلإِمّهِ»، فأما إذا كان قبل الهمزة غير كسْرٍ، فالضمُّ لا غيْرُ، مثل قوله: ﴿وجَعَلْنَا ابن مَرْيَمَ وأُمَّه آيةً﴾[٢] لا يجوز وإِمِّه، وكذلك قوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهاتِهِمْ﴾[٣]، وإنما جاز «لإِمِّه»[٤]، [و] ﴿فِي إِمِّها رسُولاً﴾[٥] بالكسر، لأن قبل الهمزة كسرة، فاستثقلوا الضمة بعد الكسْرةِ، وليس في كلام العرب مثل: «فِعُل» بكسر الفاءِ وضَمِّ العيْن، فلما اختلطت اللام بالاسم[٦] شُبِّهَ بالكلمة الواحدة، فأبدل من الضَّمَّة كسرة، . ومن قال: ﴿فلأُمه﴾ ـ بضم الهمزة. أتى بها على أصلها، على أن اللام تقديرها تقدير الانفصال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مِن بعْدِ وصِيةٍ يوصِي بها أو ديْن﴾:

أي إن هذه الأنصبة إنما تجب بعد قضاءِ الدين، وإنفاذ وصية الميت في ثلثه.

فإن قال قائل: فلم قال أَوْ دَيْنٍ، وهلا كان «من بَعْدِ وصية يوصي بها وَدَيْن، فالجواب في هذا أن «أَو» تأْتي للإِباحة[٧]، فتأْتي لواحد واحدٍ على

---

(١) مؤنث أب.
(٢) سورة المؤمنون ٥٠.
(٣) سورة المجادلة ٢.
(٤) من الآية فلأمه الثلث.
(٥) سورة القصص ٥٩: ﴿وما كانَ ربُّكَ مُهْلِكَ القرى حتى يبعث في أمها رسولاً﴾.
(٦) اتصلت لام الجر بأم.
(٧) سبق أنه يطلق الإباحة على التنويع ـ راجع الآية ﴿أو كصِّيبٍ من السماء﴾ ص ٩٤ جـ ١.

انفراد، وتضم الجماعة فيقال جالس الحسن أو الشعبي، والمعنى كل واحد من هؤلاءِ أهل أن يجالس، فإن جالست الحسن فأنت مصيب[1]، ولو قلت جالس الرجلين فجالست واحداً منهما وتركت الآخر كنت غير متبع ما أُمِرْت به.

فلو كان «مِن بعدِ وصيَّةٍ يُوصِي بهَا ودَيْن»[2] احتمل اللفظ أن يكون هذا إذا اجتمعت الوصية والدينُ، فإذا انفردا كان حكم آخر، فإذا كانت «أو» دلَّت على أن أحدهما إن كان. فالميراث بعده، وكذلك إن كانا كلاهما[3]

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿آباؤُكُمْ وأَبْناؤُكُمْ لا تدْرُونَ أَيُّهم أَقربُ لَكمْ نَفْعاً﴾:

في هذا غير قول:

أما التفسير فإنه يروى أن الابن إنْ كان أرفعَ دَرجةً من أبيه في الجنة سأل أنْ يرفع إليه أبوه فيرفع، وكذلك الأَبُ إن كان أرفعَ درجةً من ابنه سأل أن يُرْفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعاً.

أي إن اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ قد فرض الفرائض على ما هي عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع في الدنيا، فوضعْتُم أنتم الأموال على غير حكمة.

﴿إنَّ اللَّه كَانَ عليماً حكِيماً﴾.

أي عليم بما يصلح خلقه ـ حكيمٌ فيما فرض من هذه الأموال وغيرها.
وقوله: ﴿فريضةً مِن اللَّهِ﴾.

---

(١) أي وإن جالست الشعبي فأنت مصيب، وإن جالستهما فأنت مصيب

(٢) أي لو كان التعبير هو هذه الجملة.

(٣) إن وجدا.

منصوب على التوكيد والحال من. . ولأَبَويْهِ. . . [أَي] ولهؤلاءِ الورثة ما ذكرنا مفروضاً. ففريضة مؤكدة لقوله ﴿يوصيكم اللَّه﴾.

ومعنى ﴿إنَّ اللَّه كانَ علِيماً حكِيماً﴾: فيه ثلاثة أقوال:

قال سيبويه: كَان القوم شاهدوا علماً وحكمة ومغفرة وتَفَضُّلا، فقيل لهم إن اللَّه كان كذلك ولم يزل، أَي لم يزل على ما شاهدتم.

وقال الحسن: كان عليماً بالأَشياءِ قبل خلقها، حكيماً فيما يقدر تدبيره منها.

وقال بعضهم: الخبر عن اللَّه في هذه الأَشياءِ بالمُضِيّ، كالخبر بالاستقبال والحال، لأَن الأَشياءَ عند اللَّه في حال واحدةٍ، ما مضى وما يكونُ وما هو كائن.

والقولان الأَولان هما الصحيحان لأَن العرب خوطبت بما تعقل، ونزل القرآن بلغتها فما أَشبه من التفسير كلامها فهو أَصح، إذ كان القرآن بلغتها نزل.

وقال بعضهم: الأَب تجب عليه النفقة للابن إذا كان محتاجاً إلى ذلك، وكذلك الأب تجب نفقته على الابن[1] إذا كان محتاجاً إلى ذلك، فهما في النفع في هذا الباب لا يدرى أَيهما أَقرب نَفْعاً.

والقول الأَول هو الذي عليه أَهل التفسير. .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كلاَلَةً﴾:

يقرأ يُورث ويُورِث. . بفتح الراءِ وكسرها ـ. فمن قرأ يُورثُ ـ بالكسر ـ [فكلالة]. . مفعول، ومن قرأ «يُورَثُ» فكلالة منصوب على الحال.

زعم أَهل اللغة أَن الكلالة من قولك «تكلله النسب، أَي لم يكن الذي

(١) تجب له النفقة على ابنه.

يَرِثُه ابنَه ولا أَبَاهُ. والكلالة سوى الولَدِ والوَالِدِ[١]، والدليل على أن الأب ليس بكلالة قول الشاعر:

فــإن أبــا الـمــرءِ أحـمــى لــه ومــولى الكــلالــة لا يـغـضــبُ[٢]

وإنما هو كالإكليل الذي على الرأس. وإنما استُدِلَّ على أن الكلالةَ ههنا الإخوةُ للأم دون الأب بمَا ذُكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين[٣] وأن للإخوة كل المال، فعلم ههنا لما جُعِلَ للواحد السُّدُس، وللاثنين الثلثَ، ولم يُزادُوا على الثلث شيئاً ما كانوا، عُلِم أنه يعني بهم الإخوةُ للأم.

فإن ماتت امرأةٌ وخلَّفتْ زوجاً وأُمّاً وإخوةً لأُمٍّ فللزوج النصف[٤] وللأم السدس، وللإخوة من الأم الثلث.

فإن خلَّفت زوجاً وأُمّاً وإخوة لأَبٍ وأُمٍّ وإخوة لأمٍ فإن هذه المسألة يسميها بعضهم المسألة المشتركة، وبعضهم يسميها الحمارية. قال بعضهم: إن الثلث الذي بقي للإخوة للأُمِّ دون الإخوة للأب والأم، لأن لهؤلاءِ الذين للأم تسمية وهي الثلث وليس للإخوة للأب والأم تسمية، فأعطيناهم الثلث.

كما أنه لو مات رجلٌ وخلَّف أخوين لِأمٍّ، وخلَّف مائة أخ لأَبٍ وأُم لأعطِي الأخوان للأم الثلث وأعطي المائة الثلثين، فقد صار الإخوة للأم يفْضلُون في الأنصباءِ الإخوة للأب والأم الاشقاء.

وقال بعضهم: الأم واحِدةٌ[٥].

(١) كذا قال الفراء ـ الكلالة ما سوى الولد والوالد.

(٢) أي أبو المرء أغضب له إذا ظلم، ومولى الكلالة وهم الأخوة والأعمام وسائر القرابات لا يغضبون من أجله غضب الوالد. (اللسان كلل).

(٣) ط بأن ذكرت في آخر. . . بأن للأختين.

(٤) في الأصل الربع وهو خطأ.

(٥) الأشقاء والذين لأم أمهم واحدة: فلا ينبغي أن يفضل الذين لأم فقط. وقد احتكم قوم لهم مثل هذه الحالة ـ إلى عمر بن الخطاب، وقال أحد الأشقاء: هب أن أبانا كان حماراً أو حجراً. فقضى لهم بالشركة ومن هنا أخذت المسألة هذا الاسم.

وسموها الحمارية بأن قالوا: هَبْ أبَاهم كان حماراً واشتركوا بينهم، فسمِّيتْ المشتركة.

وقوله عزّ وجلّ: غَيْرَ مُضَار وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ.

غير منصوب على الحال. المعنى يوصي بها غير مضار، فمنع اللَّه عزّ وجلّ من الضِّرارِ في الوصيَّةِ. وروي عن أبي هريرة: من ضارَّ في وَصِيَّة ألقاهُ اللَّه في واد من جَهنَم أو من نارٍ، فالضرار راجع في الوصية إلى الميراث.

﴿واللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

أي عليم ما دبر من هذه الفرائض، حليم عمَّنْ عصاه بأن أخرَهُ وقبل توبته.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

أي الأمكنة التي لا يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَاوَزَ.

﴿وَمَنْ يُطع اللَّهَ وَرَسُولَه﴾.

أي يقيم حُدَودَه على ما حَدَّ.

﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِنْ تَحتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدينَ فِيهَا﴾.

أي يدخلهم مقدَّرين الخلود فيها، والحال يستقبل بها، تقول: مَرَرْتُ بِهِ مَعَهُ بازٍ صَائِداً به غداً، أي مقدراً الصيدَ به غداً.

﴿وَمَنْ يعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ويَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾.

أي يجاوز ما حدّه اللَّه وأمر به.

﴿يُدْخِلْهُ نَاراً خَالداً فِيهَا﴾.

خالداً من نعتِ النار، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال أي يدخله مقدَّراً له الخلود فيها.

•قوله جَلَّ وعزّ: ﴿وَاللاَّتي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ﴾.

الفاحشة الزنا، والتي يُجْمَعُ اللاتي، واللواتي، قال الشاعر:[1]

من اللَّواتي والتي واللاتي زَعَمْن أنِّي كبِرَتْ لِدَاتِي

ويجمع اللاتي بإثبات الياءِ ويُحذَف الياءُ، قال الشاعر:

من اللاءِ لم يحججن يبغينَ حِسْبة ولكن ليقتلن البريء المغَفَّلا[2]

﴿فاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أربَعَةً مِنْكُمْ﴾.

أي من المسلمين.

﴿فَإنْ شَهِدُوا فأمسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتوفَّاهُنَّ المَوتُ أو يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سُبيلاً﴾.

هذا كان الفرضَ في الزنا قبل أن ينزل الجَلْدُ، ويأْمُرَ النبيُّ - ﷺ - بالرَّجْم، فكان يُحبَسُ الزانيان أبداً.

وقال بعضُهم: ﴿أوْ يَجعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ هو الحد الذي نسخ التخليد في الحبْس والأذى.

﴿وَاللَّذَانِ يأْتِيَانها مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾.

---

(١) لا يعرف القائل، ولكن البيت من شواهد النحو الشائعة يريد أنه أصبح من غير سنهن. والبيت في اللسان (لتي)، والقرطبي ٥ - ٨، ومجاز أبي عبيدة ١ - ١١٩ ومقدمة «الشعر والشعراء» ٣٥ ط ليدن.

(٢) من شعر العرجي كما في الأغاني ١٩ - ٢١٦، ٢١٧، وفي زهر الآداب حـ ١ - ٢١٠ للحرث المخزومي، وهو مستبعد، وكلا الشاعرين من شعراء الغزل - أما الحرث فهو ابن خالد ابن هشام بن العاصي وجده كان رقاً لأبي لهب لأنه غلبه في قمار - وقتل يوم بدر. وكان الحرث يهوى عائشة بنت طلحة وله فيها أشعار.

وأما العرجي فهو عبد الله بن عمرو حفيد عثمان بن عفّان - رضي الله عنه كان يسكن عرج الطائف فلقب به، كان من الفرسان الشجعان ولكنه كان مشغوفاً باللهو والصيد، ونحا منحى عمر بن أبي ربيعة في مجونه.

قال بعضهم: كان الحبسُ لِلثيِّبَيْنِ، والأَذَى للبِكْـرَيْنِ، يوبخـان، فيقـال لهما زنيتما وفَجَرْتُمَا وانتهكتمـا حرمـات اللّه، وقال بعضهم: نسـخ الأَذى لهما مـع الحبس، وقال بعضهم: الأَذى لا ينبغي أَن يكـون منسـوخـاً عنهمـا إلا أن يتوبا، وإن قوله عزّ وجلّ: ﴿وليشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ المؤْمِنِين﴾[1]. هو من التوبيخ لهما بأَن يفضحا على رُؤُوسِ المـلأ.

أما ما سلف مما كان في أمر الفاجـرين فقد استغنى عنـه إلا أَنَّ الفائـدة فيه أن الشهادة لم تزل في الزنا شهادةَ أَربعة نفَر.

وقـوله تعـالى: ﴿إِنَّمَا التَّـوبَـةُ على اللّهِ للَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّـوءَ بِجَهَـالَـةٍ ثمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قرِيبٍ﴾.

ليس معناه أَنهم يعملون السوءَ وهُم جُهَّالٌ، غيرُ مُميَّزينَ فإن من لا عقـل له ولا تمييز لا حدَّ عليه، وإنمـا معنى بجهالـة أَنهم في اختيارهم اللذة الفـانية على اللذة الباقيةِ جُهـال. فليس ذلك الجهـل مسقطاً عنهم العـذابَ. لو كـان كذلك لم يعذب أَحَدٌ ولكنه جهل في الاختيار.

ومعنى ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ يتوقفـون قبل المـوت، لأن ما بين الانسـان وبين الموت قريب، فالتوبة مقبولة قبل اليقين بالموت.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ المَوتُ قَالَ إِنِّي تُبتُ الآن﴾: - إنما لم تكن له التوبة، لأنه تاب في وقت لا يمكن الإقلاع بالتصرف فيما يحقق التوبة[2].

﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

أَي مؤلماً مُوجِعاً، والمؤلم الذي يبلغ إيجاعُه غاية البُلوغِ.

---

(١) سورة النور آية ٢.

(٢) تتحقق التوبة بالإقلاع عن الإثم والشخص قادر على ارتكابـه، وعند حضـور الموت لا يستـطيع الشخص ذلك.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:

﴿يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا يحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً﴾.

معناه تكرهوهن على التزويج بِكم[1].

وهذه نزلت لأنهم كانوا إذا مات زوج المرأةِ وَلَه ولَدٌ من غيرها ضَرَبَ ابنه عليها حجاباً، وقال: أنا أَحقّ بها، فتزوجها على العقد الذي كان عقده[2] أَبوه من تزوجها ليرثها ما ورثت من أَبيه[3]، فأَعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أَن ذلك حرام.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾.

هؤُلاءِ غير أُولئك.

حرم اللَّه أَن تُعْضَل المرأَة، ومعنى تعضل تحبس عن التزوج. كان الرجل منهم إذا تزوج امرأَة ولم تكن من حاجَتِه حَبَسها لتفتدَى منه، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ ـ أَن ذلك لا يحل.

و«تعضلوهن» يصلح أَن يكون نصْباً ويصلح أَن يكون جزماً. أَما النصب فعلى: أَن لا يحل لكم أَن ترثوا النساءَ وَلَا أَن تعضلوهن، ويصلح أَن يكون جزماً على النَّهيْ.

﴿إلَّا أَن يَأْتين بِفَاحشةٍ مُبَيَّنةٍ﴾.

والفاحشة الزنا.

﴿وَعَاشرُوهُنَّ بالمَعرُوف﴾.

أَي بالنصفة في المبيت والنفقة، والإجمال في القول.

---

(١) (ط) لكم عقداً لنفسه.

(٢) أي لا يعقد عليها عقداً لنفسه اكتفا بعقد أبيه.

(٣) ط عن أبيه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ استبدَال زوجٍ مَكان زوْجٍ﴾.

معناه إذا أردتم تخلية المرأة، إذا أراد[1] الرجل[2] أن يستبدل مكانها ولَمْ تُرِدْ. هذا شدَّدَ اللَّهُ فيه بقوله: ﴿وَلَا تعْضُلُوهُنَّ لتذهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتيتُموهُنَّ﴾.

﴿وَآتَيْتُم إِحْدَاهُنَّ قنطاراً [فَلا تأْخُذُوا منه شيْئاً]﴾.

القنطار المال العظيم، وقد بينا ما قاله الناس فيه في سورة آل عمران[3].

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تأْخُذُوا منه شيْئاً﴾.

فحرم اللَّه الأَخذ من المهر على جهة الإضرار بقوله: ﴿أتأْخُذونه بُهتاناً وَإثماً مُبيناً﴾.

والبهتان الباطلُ الذي يُتحيَّر من بُطلانه، وبهتان حال موضوعة في موضع المصدرِ[4]، المعنى أتأْخذونهُ مُباهتين وآثمين.

﴿وكَيْفَ تأْخُذُونَهُ وَقَد أَفْضَى بَعْضُكُم إِلَى بَعضٍ﴾.

الإِفضاءُ أَصله الغشيان، وقال بعضهم إذا خَلَا فقد أَفضى، غشيَ أَو لم يغش.

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمُ ميثاقاً غَلِيظاً﴾.

(١) (ب) أراد الرجل أن يستبدل مكانها أو لم يرد.

(٢) ط أراد أن يستبدل الرجل.

(٣) انظر ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ جـ١ الآية: ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ﴾.

(٤) كونها تمييزاً أوضح ولا حاجة فيه لتأويلها بمشتق ـ أي تأخذونه على جهة البهتان. أو هو مفعول لأجله.

قال بعضهم: هو عقدُ المَهر، وقال بعضهم: الميثاق الغليظ قوله: ﴿فإمسَاكٌ بِمَعرُوفٍ أو تَسْرِيحٌ بِإِحْسَان﴾[1] و[قوله] ﴿وَلَا يحلُّ لكُمْ أن تَأْخُذُوا ممَّا آتيتُمُوهُنَّ شيئاً﴾[2] والتسريح بإحسان لا يكون بأن تأخذ منها مهرها. هذا تسريح بإساءَة لا بإحسَان.

وقوله - جلّ وعزّ - ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ إلَّا ما قَدْ سَلفَ﴾.

المعنى: لا تنكحُوا كما كان مَن قبلكم يَنكحُ ما نَكَح أَبُوه، فهذا معنى ﴿إلَّا ما قد سَلفَ﴾.

﴿إنَّهُ كان فاحشةً﴾.

المعنى إلا ما قد سلف فإنّه كان فاحشةً، أي زناً ﴿ومَقْتاً﴾.

والمقت أشد البُغْض.

﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

أي وبئسَ طريقاً. «أي ذلك الطريق بئس طريقاً»[3].

فالمعنى أنهم أُعلموا أن ذلك في الجاهلية كان يقال له مقت، وكان المولود عليه يقال له المَقْتِيُّ. فأُعْلِمُوا أن هذا الذي حرم عليهم لم يزل منكراً في قلوبهم ممقوتاً عندهم.

وقال أبو العباس محمد بن يزيد: جائز أن تكون «كان» زائدة، فالمعنى على هذا: إنّه فاحِشَةٌ ومقتٌ، وأنشد في ذلك قول الشاعر:[4]

(١) سورة البقرة - ٢٢٩.

(٢) ط هذا التسريح.

(٣) ليست في ط.

(٤) البيت للفرزدق يمدح هشام بن عبد الملك من قصيدة في ديوانه - ٢٣٧ - ومن شواهد النحو الشائعة، وهو في الخزانة ٤ - ٣٧ وشواهد المغني ٢٣٦، واللسان «كون» والقرطبي ١١ - ١٠٢، والعيني ١ - ٤٢ وتوضيح ابن هشام.

فكيف إذا حللتُ بـدار قـومٍ وجيـرانٍ لنـا كـانـوا كـرامِ

قال أبو إسحق: هذا غلط من أبي العباس، لأنَّ «كان» لو كانت زائدة لم تنصب خبرها. والدليل على هذا البيتُ الذي أنشده:

وجيـران لنـا كـانـوا كـرام

ولم يقل: كانوا كراماً[1].

وقوله: ـ جلَّ وعزّ ـ: ﴿حُرِّمَت عليكُم أُمَّهاتُكُم وبَنَاتُكُم وأَخوَاتُكُم وعَمَّاتُكُم وخَالاتُكُم وَبَناتُ الأَخ وَبَناتُ الأُخت﴾.

هـذا يسمى التحريمَ المبهم، وكثيـرٌ من أهل العلم لا يفـرق في المبهم وغير المبهم تفريقاً مقنعاً، وإنما كان يسمى هذا المبهمَ من المحرمات لأنه لا يحل بوجه ولا سبب، واللاَّحقُ بـه﴿وأُمهاتُكُم الـلاَّتي أَرضَعنكُم وَأَخواتُكُم من الرَّضاعَة﴾: والرضاعة قد أدخلت هذه المحرمات في الإبهام.

﴿وَأُمَّهاتُ نسَائكُم﴾.

قد اختلف الناس في هـذه فجعلها بعضهم مبهمـة وجعلها بعضهم غيـر مبهمة. فالذي جعلها مبهمة قال إنَّ الرجل إذا تـزوج المرأة حـرمت عليه أُمُّهـا دخـل بها أو لم يَـدخُل بهـا. واحتج بـأن ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ إنما هو متصـل بالربائب[2].

وروي عن ابن عباس أنه قال: ﴿وأُمَّهَات نسائكم﴾ من المبهمة[3].

---

(١) كان في الآية «كان فاحشة» نصبت خبرها، فهي ليست زائدة، أما في البيت فلم تنصب خبراً، فهي زائدة، والذي عليه النحويون هو أن في البيت تقديماً وتأخيراً فقط. ولا زيـادة، والتقديـر: وجيران كرام كانوا لنا. أي هم ليسوا جيراناً الآن..

(٢) أي هو قيد في الربائب لا غير.

(٣) من المتشابه الذي لم يعرف معناه.

﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتي في حُجُورِكُم من نسَائكُمْ اللَّاتي دَخلتُمْ بِهِنَّ﴾.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿اللاتي دخلتم بهنّ﴾ نعت للنساءِ اللواتي هن أُمهات الربائب لا غير، قال: والدليل على ذلك إجماع الناس أن الربيبة تحل إذا لم يُدْخل بأُمها، وأن من أجاز أن يكون قوله: ﴿من نسَائكُمُ اللَّاتي دخلتم بهنَّ﴾ هو لأُمهات نسائكم، يكون المعنى [على تقديره] وأُمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهنَّ.

فيخرج أن يكون اللاتي دخلتم بهن لأُمهات الربائب.

والدليل على أن ما قاله أبو العباس هو الصحيح أن الخبرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحداً. لا يجيز النحويون: مررت بنسائك وهربت من نساءِ زيد الظريفات، على أن تكون الظريفات نعتاً لهؤلاءِ النساءِ وهؤلاءِ النساءِ. والذين قالوا بهذا القول أعني الذين جعلوا أُمهات نسائكم بمنزلة قوله: ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ إنما يجوز لهم أن يكون منصوباً على «أعني» فيكون المعنى أعني اللاتي دخلتم بِهنَّ، وأن يكون ﴿وأُمهاتُ نسائكم﴾ تمام هذه التحريمات المبهمات، ويكون الربائب هن اللاتي يحللن إذا لم يُدْخل بأُمَّهاتِهِنَّ قط دون أُمهات نسائكم هو الجيد البالغ.

فأما الربيبة فبنت امرأة الرجل من غيره، ومعناها مربوبة[1]، لأن الرجل هو يَرُبُّهَا، ويجوز أن تسمى ربيبة لأنه تولى تربيتها، كانت في حجره أو لم تكن تربت في حجره، لأن الرجل إذا تزوج بأُمها سمي ربيبها، والعرب تسمِّي الفاعلين والمفعولين بما يقع بهم ويوقعونه، فيقولون: هذا مقتول وهذا ذبيح، أي قد وقع بهم ذلك. وهذا قاتل أي قد قتل، وهذه أُضْحيَّةُ آلِ فلان لما قد

---

(١) مرباة ـ يربها زوج أمها.

ضحَّوْا به، وكذلك هذه قَتُوبَةٌ، وهذه حلوبة، أي ما يقتب ويُحْلب[1].

وقوله: ﴿وَحَلائلُ أَبْنَائِكُمْ﴾.

جمـع حليلة وهي امـرأة ابن الـرجـل، لا تحـل لـلأب، وهي من المبهمات[2] وحليلة بمعنى مُحلَّة. مشتق من الحلال.

﴿وإنْ تجْمعوا بَيْنَ الأُخْتيْن﴾.

«أنْ»[3] في مـوضـع رفـع، المعنى حـرمت هـذه الأشيـاءُ والجمـع بين الأختين.

﴿إلا ما قَدْ سَلَفَ﴾.

المعنى سوى ما قد سلف فإنه مغفور لكم.

وقوله: ﴿والمُحْصَناتُ من النِّسَاءِ﴾.

القراءَة بالفتـح. قد أُجْمـعَ[4] على الفتح في هـذه، لأن معناهـا اللاتي أُحْصِنَّ بالأزواج. ولو قـرئت والمُحصِناتِ لجـاز، لأنّهُنَّ يحْصِنَّ فروجهن بـأن يتزوجن. وقد قرئت التي سوى هذه «المحْصَناتِ» و «والمحْصِناتِ».

﴿إلا مـا ملكتْ أَيْمـانُكمْ﴾.

أي إنْ ملك الرجلُ محصنة في بلاد الشرك فله أن يطأهـا، إلاَّ أن جميع الوطءِ لا يكون في ملك اليمين إلاَّ عنِ اسْتِبرَاء، وقد قـال بعضهم: إن الرجـل إذا ملك جارية وكـانت متزوجـة فبيْعُها وملكُهـا قد أَحَـلَّ فَرْجَهـا، وإن لـم تكن

---

(١) ناقة مقتوبة. وضع عليها القتب، وحلوبة تحلب ومثله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾، أي محملة أو مركوبة فهي فعول بمعنى مفعول ولهذا دخلتها الثاء.

(٢) لا ينبغي أن تكون مبهمة. لأن حليلة الولد تحل له بالعقد الصحيح وتحرم على أبيه به.

(٣) من ﴿وأن تجمعوا بين الأختين﴾.

(٤) ط هذا قد أجمع. والمراد فتح الصاد.

أُحْصِنَت في بلاد الشرك، والتفسير على ما وصفنا في ذوات الأزواج في الشرك.

وقوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عليْكُم﴾.

منصوب على التوكيد محمول على المعنى، لأن معنى قوله: ﴿حُرِّمتْ عليْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾: كتب اللَّه عليكم هذا كتاباً كما قال الشاعر:

ورُضْتُ فذلَّت صعبة أي إذْلَالٍ

لأن معنى رُضْتُ أذللتُ[1].

وقد يجوز أن يكون منصوباً على جهة الأمر، ويكون ﴿عليكُم﴾ مُفَسراً له، فيكون المعنى الزموا كتاب اللَّه. ولا يجوز أن يكون منصوباً بعليكم، لأن قولك: عَلَيْك زيداً، ليس لهُ ناصِبٌ متَصرف فيجوز تقديمُ منصوبه[2]، وقول الشاعر:

يا أيها الماتح دلوي دونكا　　إني رأيت الناس يحمدونكا[3]

يجوز أن يكون «دلوي» في موضع نصب بإضمار خُذْ دَلْوي، ولا يجوز على أن يكون دونك دلوي لما شرحناه.

---

(۱) من مطولة امرئ القيس التي أولها: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي وصدر البيت:
وعجنا إلى الحسنى ورق حديثنا
والبيت من الشواهد الشائعة وهو في الديوان ١٥٣ من الستة.

(٢) أي ليس ناصبة متصرفاً حتى يجوز تقدمه عليه.

(٣) ينسب لرجل من بني أسيد بن عمرو من تميم، ويروى أيها، ويا أيها، والمائح من الميح، وهو أن ينزل الرجل البئر فيملأ الدلو، ثم يرفعه شخص آخر، ويروى الماتح من المتح وهو نزح الماء.
انظر الخزانة ٣ - ١٧، ومعاني القرآن ١ - ٢٦٠، وشرح التبريزي لديوان الحماسة ٢٧٠ ط ليون.

ويجوز أن يكون «دلْـوي» في موضع رفع، والمعنى هذا دلوي دونكا.

ويجـوز أَنْ يكون ﴿كتابَ اللَّه علَيْكُمْ﴾ رفعاً على معنى هـذا فـرض اللَّه عليكم، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لم يلْبثُـوا إلَّا ساعـةً منْ نهارٍ بَـلَاغٌ﴾(١).

وقوله: ﴿وأُحلَّ لكُمْ ما وراءَ ذَلكُم﴾.

وأُحِلَّ أَيْضاً يُقرآن جميعاً، ومعنى مـا وراءَ ذلكُمْ، ما بعـد ذَلِكُمْ، أَي ما بعـد هذه الأَشيـاءِ التي حرمت حـلال، على مـا شـرع اللَّه، إلا أَن السنـة قـد حرمت تزوُّجَ المرأة على عمتها، وكذلك تزوجها على خالتها، ولم يقـل اللَّه - عزّ وجلّ -: لا أُحـرم عليكم غير هذا، وقال عـزّ وجلّ: ﴿وَمَـا آتاكُمُ الـرَّسُولُ فخُذُوهُ﴾(٢).

وأَتوهَّمُ أَن الخالة كالوالدة، وأَن العمَّة كالـوالد، لأَن الـوالد في وجـوب الحقِّ كالوالدة، وتزوجها على عمتها وخالتها من أَعظم العقوق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنْ تبْتَّغوا بـأَمْـوالكُمْ﴾.

نصبٌ وإن شئت رفْعٌ(٣).

المعنى أُحِلَّ لكم أَن تبتغوا مُحْصِنينَ غيرَ مُسَافِحِينَ.

أَي عاقدين التزويج غير مسافحين. أَي غير زناة، والمسَافِحُ والمسـافحةُ الزانيان غير المُمْتَنِعَيْنِ منَ الزِّنا، فإذا كانت تزني بواحد فهي ذات خدن.

فحـــرم اللَّه الـزنـــا على الجهـات كلهـــا، على السفـــاح وعلى اتخـــاذ الصديق..

والإِحصان إحصان الفرج وهو إِعْفَافُه، يقال امْرأَةٌ حَصَـانٌ بينة الحُصن،

(١) سورة الأحقاف اية ٣٥.

(٢) سورة الحشر آية ٧.

(٣) الفعل «أحِلَّ» استوفى مفعوله، وهو«ما وراء ذلكم». فالمصدر «ما» منصوب أو بدل من نائب الفاعل.

وفرس حصان بينة (التحصُّن)[1] والتحصين وبناء حصين بَيِّنُ الحصَانة. ولو قيل في كله الحِصانة لكان بإجماع.

والسفاح في الزنا اشتق من قولهم سفحت الشيءَ إذا صببْتُه، وأمر الزنا سفاح لأنه جارٍ على غير عقْدٍ، كأنَّه بمنزلة السفُوحِ الذي لا يحبسه شيء.

وقوله: ﴿فمااستمتعْتُم به منْهن فآتُوهُن أُجُورَهُنَّ فريضةً﴾.

هذه آية قد غلط فيها قوم غلطاً عظيماً جداً لجهلهم باللغة. وذلك أنهم ذهبوا إلى أن قوله: ﴿فما اسْتمْتعْتُم به منهُن﴾ من المتعة التي قد أجمع أهل الفقه أنها حرام.

وإنما معنى قوله ﴿فما اسْتَمْتَعْتُم به مِنْهُنَّ﴾ أي فما نكحتموه، على الشريطة التي جرت في الآية، آية الأحْصَانِ: ﴿أنْ تَبْتَغُوا بأَموالِكُم مُحْصِنينَ﴾، أي عاقدين التزويج الذي جرى ذكره.

﴿فآتوهن أُجورَهُنَّ فَرِيضةً﴾.

أي مهورهن، فإن استمتع بالدخول بها أعطى المهر تامَاً، وإن اسْتَمْتَع بعقد النكاح آتى نصف المهر.

والمَتاعُ في اللغة كل ما انتفع به، فهو متاع. وقوله عزّ وجلّ، في غير هذا الموضع: ﴿ومتِّعُوهُنَّ على المُوسِعِ قَدَرُه﴾[2] ليس بمعنى زوِّجُوهُنَّ المُتَعَ، إنما المعنى أعطوهُن ما يَستَمْتِعْنَ به، وكذلك قوله: ﴿للمطلقات متاع بالمعْروف﴾[3]. ومن زَعَم أن قوله: ﴿فما استَمْتَعْتُم بِهِ منهُن﴾ المتعة التي هي الشرط في التمتع الذي تعمله الرافضة فقد أخطأ خطأً عظيماً، لأن الآية واضحة بينة.

---

(١) ليست في ط.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٦. (٣) سورة البقرة. آية ٢٤١.

وقوله عزّ وجل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فيما تَرَاضَيْتُمْ به من بعْدِ الفريضَةِ﴾.

أي لَا إثم عليكم في أنْ تهب المرأةُ للرجل مهرها، أو يهب الرجل للمرأة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب إلا لمن دخل بها.

﴿إنَّ اللَّهَ كانَ عَليماً حَكِيماً﴾.

أي عليماً بما يصلح أمر العباد - حكيماً فيما فرض لهم من عقد النكاح الذي حفظت به الأموال والأنساب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ المحْصَنَاتِ المؤْمِناتِ﴾.

المحصنات هن الحرائر، وقيل أيضاً العفائف، وقد قال بعض أصحابنا: إنهن الحرائر خاصَّةً. وزعم من قال إنهن العفائف: حُرِّم على الناس أن يتزوجوا بغير العفيفة، وليس ينبغي للإنْسان أن يتزوج بغير عفيفة، واحتج قائل هذا القول بأن قوله عزّ وجلّ: ﴿الزاني لا يَنْكِحُ إلَّا زانيةً أو مُشركةً والزَّانيةُ لا يَنْكِحُها إلَّا زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وحُرِّم ذَلك عَلَى المُؤْمنين﴾(١) منسوخ، وأن قوله:

﴿وأنْكِحُوا الأيامى مِنْكُمْ﴾(٢): يصلح أن يكون يتزوج الرجل من أحب من النساء.

والدليل على أن المحصنات هن العفائف قوله: ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها﴾(٣) أي أعَفَّتْ فرجْها.

---

(١) سورة النور آية ٣.

(٢) سورة النور آية ٣٢.

(٣) سورة التحريم ١٢.

والطَّوْل: القدرة على المهْـر. فقوله: ﴿ومن لم يستطع منكم طَوْلاً﴾، أي من لم يقدر على مهر الحرة، يقال: قد طال فلان على فلان طوْلاً، أي كان له فضل عليه في القدرة، وقد طال الشيءُ يطول طُولاً، وأطلته إطـالةُ، وقـد طال طِوَلُكَ وطِيْلُكَ، وطيَلُك أي طالت مدتك، قال الشاعر:(١)

إنـا محيـوك فـاسْلَمْ أيُّهـا الـطلَلُ وإنْ بَلَغتَ وإن طَـالتْ بـكَ الـطِّيَـلُ

والطِّوَلُ الحبل، وقال الشاعر:

(تـعـرضُ المُهْـرة بـالطِّـوَل)(٢)

اللام مشددة للقافية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمِمَّا ملَكتْ أيْمانُكُمْ منْ فَتَياتِكُمُ المُؤْمناتِ﴾.

الفتيـات المملوكات، العـرب تقول لـلأمة فتـاة، وللعبد فتى أي من لم يقدر أن يتزوج الحرَّة جاز له أن يتزوج المملوكة إذا خاف على نفسه الفجور.

﴿واللَّهُ أعْلَمُ بإيمَانِكُم﴾.

أي اعملـوا على ظاهـركم في الإيمان، فـإنكم متعبـدون بمـا ظهـر من بعضكم لبعض.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿بعْضُكُم مِن بعْضٍ﴾.

---

(١) القطامي. اللسان (طول). وهو عمير بن شيم بن عمرو بن عباد بن بكر من تغلب شاعر مشهور فحـل ولكنه مقـل ـ كان نصـرانياً فـأسلم. (انظر اللسـان ـ (طول)، وروايتـه به الـطول، وانظر شواهد المغني ٢٢٣. المطبعة البهية.

(٢) لمنظور بن مرثد الأسدي، وفي (ب): في الطول. وقبله:

تـعـرضـت لـي بـمـكـان حـل تـعـرض المـهـرة بـالـطول

تـعرضـا لـم تـأل عـن قـتـلـى

فشدد للضرورة، انظر الخزانة ٥٨٦/٣، معاني الفراء ٢٦٢/١ ـ واللسان (قتل) ـ وابن يعيش ٨٢/٩، ٤٦/١٠، ومعه أبيات أخرى.

قيل في الحَسَبِ أي كلكم ولد آدم، ويجوز أن يكون قوله:

﴿بعْضُكُمْ من بَعْضٍ﴾ دينكم واحد لأنه ذكر ههنا المؤْمنات من العبيد، وإنما قيل لهم ذلك لأن العرب كانت تطعن في الأنساب، وتفخر بالأحساب وتعيِّرُ بالهُجْنَة، كانوا يُسمُّون ابن الأمة الهَجِينَ، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن أمر العبيد وغيرهم مستوفى الإيمان، وإنما كُرِه[1] التزوجُ بالأَمة إذا وُجِدَ إلى الحُرةِ سبيلٌ، لأن ولد الحرِّ من الأَمة يصيرون رقيقاً، ولأن الأَمة مستخدمة ممتهنة تكثر عِشْرَة الرجال، وذلك شاق على الزوج، فلذلك كُرِه تزوُّجُ الحرِّ بالأَمةِ. فأما المفاخرة بالأحساب والتعيير بالأنساب فمن أمر الجاهلية.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: ثلاثٌ من أَمْر الجاهلية، الطعن في الأنساب، والمفاخرة بالأحساب، والاستسقاءُ بالأنواءِ. ولَن تُتْرَك في الإسلام[2].

وقوله: ﴿فانكِحُوهُنَّ بإذْنِ أَهلِهِنَّ﴾.
أمر اللَّه أن تنكح بإذن مولاها.
وقوله: ﴿فإذا احْصنَّ﴾.
وتقرأ ﴿أُحْصِنَّ﴾ بضم الألف.

﴿فإنْ أَتينَ بفَاحِشَةٍ فَعلَيْهنَّ نِصْفُ مَا عَلى المحْصَنَاتِ مِنَ العذَابِ﴾.

أي عليهن نصف الحد، والحد مائةُ جلدةٍ على الحر والحرة غير المُحَصَنَيْن، وعلى المحصنين الرجم، إلا أن الرجم قتلٌ، والقتلُ لا نِصْف لهُ، فإنما عليهن نصف الشيءِ الذي له نصف وهو الجلْدُ.

---

(١) (ب) كره وحرم.

(٢) من الأشياء التي تتجه النفوس إليها ولهذا فإن بعض المسلمين يتبعها رغم تحريمها أو «لن تترك» أي لن يسمح الإسلام ببقائها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾.

أي تَـزَوُّج الإمـاءِ جـائـز لمن خـاف العَنَتَ، والعنَتُ في اللُّغَـةِ المشقـة الشديدةُ. يقال من ذلك: أَكمَةٌ عَنُوتٌ إذا كانت شاقة.

قال أبو العبَّاس: ﴿العنَتَ﴾ ههنا الهلاك[1]، وقال غيره: معناه. ذلك لمن خشي أَن تحمِله الشهوةُ على الزنا، فيلقى الإِثم العظيم في الآخـرة والحدَّ في الـدنيا، وقـال بعضهم معناه أَن يعشق الأَمَـة، وليس في الآيـة عشق، ولكنَّ ذا العشق يلقى عنتاً.

وقوله: ﴿ وأَنْ تَصبُروا خيْرٌ لَكُمْ ﴾.

أَي الصَّبْرُ خيرٌ لكُمْ لمَا وصفنا من أَن الولَد يصيرون عبيداً.

وقوله: ﴿ يُريدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

قـال الكـوفيـونَ معنى الـلام معنى أَن، وأَردْتُ، وأَمـرْتُ، تـطلبـان المستقبـل، لا يجـوز أَن تقـول: أَردت أَنْ قمتُ، ولا أَمـرت أَنْ قُمْتُ، ولم يقولوا لم لا يجـوز ذلك. وهـذا غلط أَن تكون لام الجـر تقوم مقام «أَن» وتؤدي معناها، لأَن ما كان في معنى أَن دخلتْ عليه اللام. تقول: جئتك لكي تفعـل كذا وكذا، وجئت لكي تفعل كذا وكـذا. وكذلـك اللام في قـوله: ﴿يريدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لكُمْ﴾ كاللاَّمِ فِي كَيْ.

المعنى: أَراده اللَّه عزّ وجلّ للتبيين لكم، أَنشد أَهل اللغة:

أَردت لـكيـمـا لا تـرى لي عـثْـرةً ... ومَنْ ذا الذي يعطي الكمال فيكمل[2]

(١) سبق تفسير العنت جـ ١ ص ٢٩٤ في الآية ﴿ولو شاء اللّه لأَعْنَتَكم﴾.

(٢) قـال الفراء هـو لأبي ثروان. يقـول: إنك تـريدني خـالياً من الخـطأ والعثرات، ولم يعط أحد الكمال، ويروى «تراني تشيرتي»، وروي في الخزانة لكيما أن.

انـظر الخزانـة ٣ ـ ٥٨٦، ومعاني الفـراء ١ ـ ٢٦٢، وشواهـد الهمـع ٢ ـ ٥ وشـواهـد المغني ١٧٣.

وأنشدنا محمد بن يزيد المبرد:

أردت لكيمـا يعلم النـاس أنهـا سراويل قيس، والـوفود شهـود[1]

فـأدخل هـذه اللام على «كي»، ولـو كانت بمعنى أنْ لم تـدخـل الـلام عليها، وكذلك أَرَدْتُ لأن تقوم، وأمِرْتُ لأن أكُون مُطيعاً. وهذا كقولـه تعالى: ﴿إنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيـا تَعْبُـرُونَ﴾[2] أي إن كنتم عبـارتكم للرؤيـا، وكـذلـك قـولـه - عزّ وجلّ - أيضـاً: ﴿للـذين هُمْ لِـرَبهمْ يرْهبُـونَ﴾[3]. أي الذين هم رهبتهم لربِّهمْ.

وقوله: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

أي يـدلكم على طـاعتِـهِ كمـا دل الأنبيـاءَ والـذين اتبعـوهم من قبلكم، ومعنى سنن [الـذين من قبلكم]، أي طرق الـذين [من قبلكم] وقد بينـا ذلـك فيما سلف من الكتاب[4].

وقوله: ﴿واللَّهُ يُريدُ أنْ يتُوبَ عَلَيْكُم﴾.

أي يـدلكم بطاعتـه على ما يكـون سبباً لتـوبتكم التي يغفر لكم بهـا مـا سلف من ذنوبكم.

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري. كان ملك الروم قد أرسل إلى معاوية رجلاً طويـلاً مسرف الطول. يتحداه أن يكون لديه مثله، فأرسل معاوية إلى قيس، فخلع قيس سراويله وقال للرومي ألبسه، فلبسه فبلغ ثدييه، وضحك منه الناس، ولام قيساً قـومه في خلع سـراويله، فأنشـد هذا الشعر. انظر القصة والشعر كاملاً في الكامل للمبرد حـ ١ - ٣١٨ ط التجارية.

والمعنى أردت أن أشهد الوفود ان سراويلي لها كل هذا الطول فـلا يماري أحـد بعد ذلـك في أني طلت الرومي. ورجال الأدب يفخرون بهذه القصة. . . وبعض منهم يغمزها.

(٢) سورة يوسف - ٤٣.

(٣) سورة الأعراف ١٥٤.

(٤) راجع الآية: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ ص ٤٧٠ ج -١.

﴿ويُريد الَّذين يَتَّبِعُونَ الشَّهَواتِ أَن تَميلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾.

أي أن تعدلوا عن القصد.

وقوله: ﴿ وخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾.

أي يستميله هواه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يـأَيُّهـا الَّذِينَ آمنُوا لا تأْكُلُوا أَموالكُمْ بَينَكُمْ بالبَاطِلِ ﴾.

فحـرم اللّه ـ جلّ وعـزّ ـ المالَ إلَّا أَنْ يُـوجَـدَ على السُّبُـل التي ذكَـر من الفرائض في المواريث والمهور والتسري والبيع والصدقات التي ذكر وجوهها.

﴿إلَّا أَن تكُونَ تجارَةً ﴾.

المعنى: إلا أَن تكـون الأَمـوالُ تجـارة، ومن قـرأَ إلا أَنْ تكــون تجـارةٌ فمعناه إلا أَن تقع تجارةٌ(١).

﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾.

فأَعلم أَن التجارة تصح برضا البَيِّعِ (٢) والمشْترى.

﴿وَمَنْ يَفْعلْ ذَلِك عُدواناً وظُلْماً﴾.

أي ومن يـأْكلهـا ويقتـل النفس ـ لأَن قوله: ﴿ولا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾، أَي لا يَقتُل بعضكم بعضاً، فمن فعل ذلك عدواناً وظلماً:

معنى العُـدوان أَن يعْدُوا مـا أُمِرَ بـه، والـظلم أَن يضـعَ الشيءَ في غيـر موضعه.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ نَصْلِيهِ نَاراً﴾.

و﴿نُصْليه ناراً﴾. وعد اللّه ـ جلّ وعـزّ ـ على أَكْـلِ الأَمْـوالِ ظُلمـاً وعلى القِتالِ النارَ.

---

(١) أي «كان» تامة وتجارة فاعل.

(٢) البيع: البائع.

﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً﴾.

أي سهلاً، يقال قد يَسَرَ الشيءُ فهو يسير إذا سهل، وقد عَسَرَ الشيءُ وعَسِرَ إذا لم يسهل فهو عسير.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنهَون عَنْه﴾.

تجتنبوا تتْركوا نِهائياً، والكبائر حقيقتها أنها كل ما وعد اللَّه عليه النار نحو القتل والزنا والسَّرَقِ وأكلِ مالِ اليتيم.

ويروى عن ابن عباس: الكبائر إلى أن تكون سبعين أقرب منها إلى أن تكون سبعاً(١). قال بعضهم: الكبائر من أول سورة النساءَ إلى رأْس الثلاثين(٢). والكبائر ما كبُرَ وعظم من الذنوب.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿ونُدْخِلْكُمْ مُدْخَلا كَريماً﴾.

الاسم على أَدْخَلْتُ(٣)، ومن قال: «مَدخلا» بفتح الميم، فهو مبني على دخل مدخلاً، يعني به ههنا الجنة.

وقوله - جلّ وعزّ - ﴿ولا تَتَمَنَّوْا ما فضَّل اللَّه به بَعضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾.

قيل: لا ينْبغي أَن يتمنى الرجل مَالَ غيره ومنْزِلَ غيره، فإن ذلك هو الحسدُ، ولكن ليقل: اللهم إني أَسْأَلك من فَضْلِك، وقيل إنْ أُمَّ سلمةَ قالت: لَيْتَنَا كُنَّا رجالاً فجاهَدْنا وغزوْنَا وكان لنا ثوابُ الرجال.

وقال بعضهم: قال الرِّجالُ ليتنا فُضِّلْنَا في الآخرةِ على النِّسَاءَ كما فُضِّلنا في الدُّنْيا.

---

(١) أي انها كثيرة غير محصورة.

(٢) أي ان أشد الكبائر ما يتعلق بأكل مال اليتامى، وما شملته هذه الايات المذكور في أوائل سورة النساء من أول ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ حتى نهاية الآية الثلاثين وهي هذه الاية ﴿.. إن تجتنبوا ..﴾،

(٣) كلمة مدخل مضمومة الميم لأنها من رباعي هو أدخل، وهو يناسب ويدخلكم.

وهذا كله يرجع إلى تمني الإنسان ما لِغيره.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَان والأَقْرَبُونَ﴾.

أي جعلنا الميراث لمن هو مَوْلى الميِّتِ، والمـوْلى كلُّ مَنْ يَليـك، وكلُّ مَنْ والاكَ فهو مَوْلى لك في المحبَّة. والمَوْلى مولى نعمةٍ نحو مـولى العبْدِ[1]. والمولى العَبْدُ إذا عَتَقَ[2].

وقوله: ﴿والَّذِين عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾.

هؤلاءَ كـانوا في الجـاهلية. كـان الرجـلُ الذليـلَ يأْتي الـرَّجُـلَ العـزيـزَ فيعاقدُه، أي يحالفه، ويقولُ له أنا ابنُك تَرِثُنِي وأَرِثُكَ، حرمَتِي حرْمَتُكَ، ودَمِي دَمُك، وثأْرِي ثَأْرُك، وأمرَ اللَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ بالوَفـاءِ لهم. وقيل إن ذلـك أُمِرَ بـه قبـل تسْمِيةِ المَـواريث، وقيل أيضـاً أَمَرَ أَنْ يُـوفَّى لهم بعقْدهم الـذي كـان في الجـاهلية، ولا يعْقِـدُ المسلمون مِثـلَ ذلـك، وقـال بعضهم الـذي يعقـد على الموالاة، ويجب أنْ يُجْعلَ لـه نصيبٌ في المال يَـذهب إلى أَنَّ ذلك من الثلث الذي هو للميت[3]. وإجمـاع الفقهاءِ أنـه لا ميراث لغيـر من وُصِفَ من الآباءِ والأَبناءِ، وذوي العصبةَ والموالي والأَزواج.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾.

الرَّجُلُ قيِّمُ على المرأة فيما يجب لها عليه، فـأما غيـر ذلك فـلا، ويقال هذا قيِّمُ المرأَةِ وقِوَامُها قال الشاعر:[4]

---

(١) مولى العبد، سيده ومالكه. وكلمة المولى تطلق على العبد والسيد، ومولى النعمة موليها ومانحها.

(٢) عتق فعل لازم، يقال عتق العبد وأعتقه سيده، وفي الأصول عتق ـ وهو خطأ.

(٣) أي هي وصية، وللميت أن يوصي قبل موته من ماله فيما لا يزيد على الثلث. وفي (ب) يعاقد.

(٤) هو الأحوص، الأغاني حـ ٤ ـ ٢٤٧ والخصائص ٢/١٢٨، وهو محمد بن عاصم بن ثابت من شعراء الأنصار. **محمد في الغزل** والفخر والمدائح وله مع الوليد قصص معروفة. إذ نفاه إلى

اللَّهُ بيني وبيْن قيِّمها يفِرُّ مِنّي بها واتَّبعُ

جعل اللَّه عزّ وجلّ ذلك للرجال لفضلهم في العلم، والتمييز، ولإنْفَاقِهم أموالهم في المهور وأقوات النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فالصَّالحَاتُ قَانِتاتٌ﴾.

أي قيِّماتُ بحقوق أزواجهن.

﴿بمَا حَفِظَ اللَّه﴾.

تأويله - واللَّه أعلم - بالشيءِ الذي يحفظ أَمْرَ اللَّه ودين اللَّه ويحتمل أن يكون على معنى بحفظ[1] اللَّه، أي بأن يحفَظْنَ اللَّه، وهو راجع إلى أمر اللَّه[2].

وقوله: ﴿واللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فعِظُوهُنَّ﴾.

النشوز كراهة أحدهما صاحبه، يقال نشزت المرأة تَنْشِزُ وتنشُزُ[3] جميعاً وقد قُرِئ بهما: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فانْشُزُوا..﴾ انشِزوا وانْشُزوا، فانشزوا[4]، واشتقاقه من النَشزِ وهو المكان المرتفع من الأرض، يقال له: نَشْزٌ ونشَزٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿واهْجُروهُنَّ في المَضَاجع﴾.

أي في النوم معهن، والقرب منهن فإنهن إن كُنَّ يحببن أزواجهن شق عليهن الهجران في المضاجع وإن كنَّ مُبْغِضَاتٍ وافقهن ذلك فكان دليلاً على النشوز مِنْهنَّ.

= فدك - جزيرة بالبحر الأحمر وأبى عمر بن عبد العزيز إعادته لفحش غزله.

(١) أي «ما» من «بما حفظ اللَّه» مصدرية.

(٢) يحفظن اللَّه أي يحفظن أمره.

(٣) كضرب ونصر.

(٤) وإذا قيل انشزوا فانشزوا.. بالضم والكسر في ثلاثتها.. وهي آية (١١) من سورة المجادلة.

يقال هجرت الإنسان والشيء أهجرُهُ هَجراً وَهِجراناً، وأَهْجَر فلانٌ منصبَهُ يُهجِرُه إهْجَاراً. إذا تكلم بالقبيح، وهجر الرجل هجراً إذا هَذَى، وهَجَرْتُ البعير أَهْجُرُه هجراً إذا جعلت له هِجَاراً. والهجار حبل يُشد في حَقْوِ البَعيرِ وفي رُسْغِه، وهَجَّرتُ تهجيراً إذا قمت وقْتَ الهَاجِرة، وهو انتصافُ النهار.

فأمر اللَّه - عزّ وجلّ - في النساءِ أن يُبْدَأْن بالموعظة أولاً، ثم بالهجران بعْدُ، فإن لم ينجعا فيهن فالضَّربُ، ولكن لا يكون ضرباً مبرحاً فإن أَطعن فيما يُلتَمسُ مِنهُنَّ، فلا يُبْغِي عليهنَّ سبيلاً[١]، أي لا يُطْلُبُ عَلَيهن طريقُ عنتٍ.

﴿إنَّ اللَّه كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾.

أي هو متعال أن يكلف إلَّا بالحق، ومقدار الطاقة.

وقوله جلّ وعزّ -﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾.

قال بعضهم. خِفتُمْ ههنا. في معنى أيقنتُم وهذا خطأ، لو علمنا الشقاق على الحقيقة، لم يجنح إلى الحكَمَيْن، وإنما يُخَاف الشقاقُ[٢] والشقاق العداوة، واشتقاقه من المتشاقِّين كل صنف منهن[٣] في شقٍّ، أي في ناحيةٍ، فأمر اللَّه تعالى - إنْ خِفْتُم[٤] وُقُوعَ العداوة بينَ المرْءِ وزوجه - أَنْ يبْعَثُوا[٥] حَكمينْ، حكَماً من أَهل المرأة وحكماً من أَهل الرجل، والحكمُ القَيِّم بما يسند إليه.

يروى عن علي بن أَبي طالب - رضوان اللَّه عليه. أَنه اجتمع إليه فئامٌ

(١) ط. سبيلاً.

(٢) الشأن فيه أنه يخشى لا أنه يعلم.

(٣) ب منهما وهو أجود.

(٤) في جميع النسخ «خفتما» وآثرنا لفظ القرآن.

(٥) في الأصول يبعث.

من الناس، ـ أي جمع كثيرٌ مع امرأة وزوجها، قد وقع بينهما اختلاف فأمر حكمين أَنْ يتعَرَّفا أَمْرهُمَا، وقال لهما أَتَدْرِيانِ ما عليكُمَا؟ إنَّ عليكما إنْ رأَيْتُما أن تُفرِّقا فَرِّقتما، وإن رَأَيْتُما أن تجْمعَا جَمعْتُمَا[1].

وقال بعضهم على الحكمين أَنْ يَعظَا ويُعرِّفا ما على كل واحدٍ من الزوج والمرأة في مجاوزةِ الحق، فإن ـ رأيا أَن يفرقا فرَّقا، وأن رأيا أَن يَجمعَا جمعاً.

وحقيقة أمر الحكمين أَنَّهما يقصِدان للإصْلاح، وليس لهما طلاق وإنما عليهمَا أَن يُعرِّفَا الإمامَ حقيقة ما وقفا عليه، فإن رأى الإمام أَن يفرِّق فرَّق، أَو أن يَجمعَ جَمَعَ، وإن وكَّلَهُما بتفريق أَو بجمع فهما بمنزلة، وما فعلَ عليٌّ «رضي اللَّه عنه» فهو فِعْلُ للإِمَامِ أَنْ يَفعَلَه، وحَسْبُنَا بعلي عليه السَّلامُ إمَاماً. فلما قال لهما إن رأيتما أن تجمعا جمعتما، وإن رأَيتما أَن تُفرقا فَرَّقْتَمَا، كان قد ولأَّهُما ذلك ووكَّلهمَا فيه.

﴿إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾.

أَي عليماً بما فيه الصلاح للخلق خبيراً بذلك.

وقوله: ﴿واعْبُدوا اللَّهَ ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾.

أَي لا تعبدوا معه غيره، فإن ذلك يفسد عبادته[2].

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْساناً﴾.

المعنى أَوصاكم اللَّه بعبادته، وأَوصاكم بالوالدين إحساناً، وكذلك قوله [تعالى]: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إحْسَاناً﴾[3]. لأَن معنى قضى ههنا أَمَرَ ووَصَّى.

---

(١) في ط: فرقتما وجمعتما بالبناء للمجهول. ولعله يعني كنتما معاً أو منفردين، ولا يناسب ما يأتي بعده.

(٢) يفسد عبادة العبد لربه.

(٣) سورة الإسراء ٢٣.

وقال بعض النحويين ﴿إِحْسَاناً﴾ منصوب على وأحسنوا بالوالدين إحْسَاناً، كما تقول: ضرْباً زيداً، المعنى اضرب زيداً ضرباً.

﴿وَبذي القُرْبَى . .﴾.

أَمَرَ اللَّه بالإِحْسَانِ إلى ذوي القُرْبَى بَعْـدَ الوالدين، و﴿اليتامَى﴾ في موضع جرّ. المعنى وباليتامى والمساكين أَوْصَـاكُم أَيْضاً، وكـذلك جميـع ما ذكـر في هذه الآية، المعنى أحسنوا بهؤلاءِ كلهم.

﴿والجَار ذِي القُرْبَى﴾.

أي الجار الذي يقاربك وتعرفه ويَعْرفَك.

﴿والجَارِ الجُنُبِ﴾.

والجار القريب المتباعد، قال علقمة:[1]

فـلا تحـرِمَنِي نـائـلاً عَنَ جَنَـابـةٍ فـإني امرؤُ وَسْطَ القِبَـابِ غَـرِيب

وقوله عزّ وجلّ - ﴿وَالصَّاحِبِ بالجَنْبِ﴾.

قيل هو الصاحب في السفر.

﴿وابْنِ السبِيلِ﴾.

الضَّيفُ يجب قِراه، وأَنْ يَبلَّغَ حَيْثُ يريد.

وقوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

أي وأحسنوا بِمِلْك أَيمَانكم[2]، موضع ما عطف على ما قبلها. وكـانت وصية النبي - ﷺ - عند وفاته: «الصلاة وما ملكت أيمانكمْ».

---

(١) الديوان ١٠٧ من الستة واللسان (جنب) والقرطبي ٥ - ١٨٣، ومجاز أبي عبيـدة في الآية نفسهـا ١ - ١٢٦ أي انني لست من الأقـربـاء ولكنني غـريب في هـذا فـلا تقـطع عني عـطاءك لهـذا السبب. والقريب المتباعد هو القريب في المسكن البعيد في النسب.

(٢) ملك وملك، بمعنى مملوك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُوراً﴾.

المختال: الصَّلِفُ التيَّاه الجهولُ. وإنما ذكر الاختيالُ في هذه القصة، لأن المختال يأنف من ذوي قرابَاتِه إذا كانوا فقراءَ، ومن جيرانه إذا كانوا كذلك، فلا يُحْسنُ عِشْرتَهم.

وقوله: ﴿الَّذِين يَبْخلون وَيأمرونَ النَّاسَ بالبُخْلِ﴾.

والبَخْل جَمِيعاً يُقْرَأانِ[1].

يُعْنَى به اليهودُ لأنهم يَبخلون بعِلْمِ مَا كان عِندَهُم من مَبْعث النبي ﷺ.

﴿وَيَكْتُمونَ مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

أي ما أعطاهم من العلم برسالة النبي - ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَعْتَدنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾.

أي جعلنا ذلك عَتَاداً لهم، أو مُثْبَتاً لهم. فجائز أن يكون موضع الذين نصباً على البدل، والمعنى: إنّ اللَّه لا يحب من كان مختالا فخوراً، أي لا يحب الذين يبخلون.

وجائز أن يكونَ رفعُه على الابتداءِ، ويكون الخبر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾، ويكون ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَموَالَهُم رِئَاءَ النَّاسِ﴾ عطفاً على ﴿الذين يبخلون﴾. في النصب والرفع.

وهؤلا يُعْنَى بهم المنافِقُون، كانوا يُظهرونَ الإيمانَ ولا يؤمنون باللَّه واليوم الآخر.

﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيطَانُ لَه قَرِيناً فَسَاءَ قَرِيناً﴾.

أي من يكن عمله بما يُسَوِّلُ له الشيطانُ فبئس العملُ عَمَلُه، ﴿فساءَ قريناً﴾

---

(١) ويقال أيضاً: البخول، والبخل كسكون وكنفق.

منصوب على التفسير، كما تقول: زيدٌ نعم رَجُلاً، وكما قال ﴿سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا [بِآيَاتِنَا]﴾[1].

وقوله: ﴿ومَاذَا عَلَيْهِمْ [لَوْ آمَنُوا باللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

يصلح أن تكون «مَا» و «ذَا» اسْماً واحداً، المعنى وأيُّ شَيءٍ عَلَيْهِمْ. ويجوز أن يكون «ذَا» في معنى الذي، أو تكون «ما» وَحْدَهَا[2] اسْماً. المعنى: وَمَا الَّذي عَلَيهِم ﴿لَوآمَنُوا بِاللَّه وَاليَومِ الآخِرِ وأَنْفَقُوا مِما رزَقَهُمُ اللَّه﴾.

هذا يدل على أن الذين يبخلون (يبخلون)[3] بما عَلِمُوا، ﴿وكان اللَّه بهم عليماً﴾.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿إنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾.

مِثْقَال مِفْعَال من الثِقل، أي ما كان وزنه الذرة وقيل لكل ما يُعمَلُ «وزْنُ مِثْقَالٍ» تمثيلاً، لأن الصلاة والصيام والأعمال لا وَزْن لها. لكنَّ الناسَ خوطبوا فيما في قلوبهم بتمثيل ما يُدْرَكُ بأبصَارِهم، لأن ذلك - أعني ما يُبصَرُ - أبينُ لهم.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾.

الأَصل في «يكن» «تكون» فسقطت الضَّمةُ للجزم وسقطت الواو لسكونها وسكون النون، فأما سقوط النون من «تكن» فأكثر الاستعمال جاءَ[4] [في] القرآن بإثباتها، وإسقاطِها قليل - قال اللَّه عزّ وجلّ -: ﴿إنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ

(١) سورة الأعراف - ١٧٧.

(٢) ك ويجوز أن تكون.

(٣) ليست في ط.

(٤) هكذا والخبر خال من ضمير يعود على السقوط فزدنا الجار.

أَوْلَى بِهِمَا﴾(١) فاجتمع في النون أنها تشبه حروف اللين، وأنها ساكنة، فحذفت استخفافاً لكثرة الاستعمال كما قالوا ـ لا أَدْرِ، وَلا أُبَلْ، والأَجود لم أبال ولا أدري.

و﴿حَسَنَةً﴾ يكون فيها الرفع والنصب، المعنى وإن تكن فَعْلَتُه حسنةً يضاعِفْهَا، ومن قرأ وإن تكن حَسَنَةٌ [بالرفع]، رفع على اسم كان(٢)، ولا خبر لها وهي ههنا. في مذهب التمام(٣) والمعنى وإن تحدث حسنةٌ يضاعِفْها.

﴿وَيُؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾.

﴿ويؤتِ﴾ بغير ياءَ. سقطت الياءُ للجزم، معطوف على ﴿يضاعِفْهَا﴾، ووقعت «لَدُنْ» وهي في موضع جرٍّ، وفيها لُغاتٌ.

يُقَالُ لَدُ ولَدُنْ، وَلَدُنٌ، وَلَدَى. والمعنى واحد ومعناه مِنْ قِبَلِه، إلّا أنها لا تتمكن تمكُّنَ عِند، لأَنك تقول: «هَذَا القولُ عِندي صَوَابٌ» ولا يقال: الوقت لَدَنيَّ صواب، وتقول: عندي مال عظيم والمال غائب عنك، و «لدن» لما يليك.

قوله ـ جلّ وعزّ ـ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمةٍ بِشَهِيدٍ﴾.

أَي فكيف تكون حال هؤُلاءِ يومَ القيامة، وحذف «تكون حالُهُم» لأَنَّ في الكلام دليلاً على ما حذف، و «كيف» لفظها لفظ الاستفهام، ومعناها معنى التوبيخ.

وقوله: ﴿ وجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً﴾.

---

(١) النساء ـ ١٣٥.

(٢) فاعل كان وهي تامة.

(٣) أي تامة لا تحتاج لخبر، وفي ط وهي ههنا مذهب التمام.

أي نأتِي بكل نبي أُمَّةٍ يشهدُ عَليها ولها.

وقوله: ﴿يَوْمِئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ﴾.

الاختيار الضَّمُ في الواوِ في عَصَوْا الرسول، لالتقاءِ الساكنين والكسر جائز، وقد فسرناه فيما مضى.

وقوله: ﴿لَو تُسَوَّى بِهِم الأَرْض﴾.

وبهِم الأَرض بضم الميم وكسرها.

﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّه حَدِيثاً﴾.

أي يودَون أَنهم لم يبعثوا، وأَنَّهم كانوا والأَرضَ سواءَ.

وقد جاءَ في التفسيز أَن البهائم يومَ القيامة تصيرُ تراباً. فيودون[1] أَنهم يصيرون تراباً.

قوله: ﴿وَلا يَكْتُمونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾.

فيه غير قول، قال بعضهم: وَدوا أَن الأَرض سويت بهم وأَنهم لم يكتموا اللَّه حَدِيثاً، لأَنَّ قولهم[2]: ﴿واللَّهِ رَبِّنَا ما كُنا مشرِكين﴾[3] قد كَذَبُوا فيه، وقال بعضهم: ﴿ولا يَكتمون اللَّه حدِيثاً﴾، مستأنف لأَن ما عملوه ظاهر عند اللَّه لا يقدرون على كتمه[4].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْربوا الصَّلَاةَ وأَنْتُمْ سُكَارَى﴾.

قيل في التفسير: إِنَّها نزلت قَبْل تحريم الخمر، لأَن جماعةً مِنْ أَصحاب النبي - ﷺ - اجتمعوا فشربوا الخمر قبل تحريمها، وتقدم رجلٌ منهم

---

(١) يود الكفار ذلك، وهم لا يستطيعون أن يكتموا شيئاً من أمرهم لأن اللّه تعالى عليم بهم.

(٢) ط لأنه قولهم.

(٣) سورة الأنعام ٢٣.

(٤) ك كتمانه.

فصلى بهم فقرأ: قُلْ يا أيُّها الكَافِرُونَ أعْبُد ما تعْبدُونَ، وأنتم عابدون ما أعْبـدُ، وأنا عابد ما عَبَدْتُمْ فنزلت ﴿لا تقربوا الصلاة وأنْتُمْ سُكَارَى﴾.

ويـروى أنَّ عُمَر بنَ الخـطاب قـال: اللهم ان الخمـر تضُـرًّ بـالعقـول، وتـذهب بالمـال، فأنـزل فيها أمـرك فنزل في سـورة المـائـدة: ﴿إنَّمــا الخَمْـرُ والمَيْسِـرُ والأنْصَـابُ والأزْلاَمُ رِجْسٌ﴾[1]، وقـال: ﴿يسـألُـونـكَ عَن الخمْـر والمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إثْمٌ كَبِيرٌ﴾[2]. والتحريم نصٌ بقوله - عزّ وجـلّ - ﴿قُلْ إنَّمـا حرَّم رَبِّيَ الفَواحِشَ مَـا ظَهَرَ مِنهـا، وَمَا بَـطَنَ، وَالإثْمَ والْبَغْيَ بغير الحق﴾[3]. فقد حُرِّمتِ الخمر بأنه قال: إنَّها إثم كبيرٌ. وقـد حرَّم اللَّه - عـزّ وجلّ - الإثْمَ، فأمر اللَّه - عـزّ وجلّ - في ذلـك الوقت ألا يَقْـرَبَ الصلاةَ السكـرانُ وحرَّم بعْـدُ ذَلِك السُّكرَ، لأن إجماع الأمَّةِ أن السَّكْرَ حرامٌ.

وإنما حُرِّمَ ذُو السُّكُرِ، لأن حقيقة السكر أنه لم يزل حرامـاً وقد بينـا هذا في سورة البقرة[4].

وقوله: ﴿حَتىتعْلمُوا ما تَقُولُونَ، وَلاَ جُنُباً إلا عابري سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾.

أي لا تقـربوا الصـلاة وأنتم جنُبٌ، إلا عابـري سبيل، أي إلا مُسَـافِرين لأن المسافر يُعْوزُه الماءُ، وكذلك المريض الذي يضُـرُّ به الغُسْـلُ. ويروى أن قوماً غسلوا مجـدراً فمات، فقـال النبي - ﷺ -: قتلوه قتَلَهُم اللَّهُ، كان يجـزيه التيمُّم.

وقال قوم: لا تقربوا مَـوْضِعَ الصَّـلاة، حقيقـتُه: لا تُصلّوا إذا كنتم جُنبـاً

---

(1) المائدة - ٩٠.

(2) البقرة ٢١٩.

(3) الأعراف ٣٣.

(4) انظر تفسير الآية يسألونك عن الخمر والميسر ص ٢٩١ ج ١ من هذا الكتاب.

حتى تغتسلوا، إلا أنْ لا تقدِرُوا على الماءِ، وإلا أن تخافوا أنْ يَضـرّكم الغسْلُ إضْراراً شديداً، وذلك لا يكونُ إلا في حالِ مَرضٍ.

﴿فتيمَّمُوا صَعِيداً طَيّباً﴾.

معنى تيمموا أَقصِدُوا، والصَّعيد وجهُ الأَرْضِ.

فعلى الإنسان في التيمُّمِ أن يضرب بيديْه ضـربةً واحِـدةً فيمسح بهمـا جميعاً وجهه، وكذلك يضرب ضربةً واحدةً، فيمسـح بهما يـديه، والـطيبُ هو النظيف الطاهر، ولا يُبَالي أكان في الموضع ترابٌ أَمَ لا، لأَن الصعيد ليس هو التراب، إنما هـو وجه الأَرض، تـراباً كـان أَو غيرَه. ولـو أَن أَرْضاً كـانت كلُّها صخـراً لا ترابَ عليهـا ثم ضرب المتيممُ يـده على ذلك الصخْـرِ لكـان ذلـك طهُـوراً إذا مسح بـه وجهه. قـال اللَّه عزّ وَجَـلَّ ـ: ﴿فتُصْبحَ صَعِيـداً زلقاً﴾[1] فأَعلمك أَن الصعيد يكون زلَقـاً، والصُّعُداتُ الـطُّرُقاتُ. وإنمـا سمي صعيداً، لأَنَّها نِهايةُ ما يُصْعدُ إليه من باطن الأَرض، لا أَعلم بين أَهْلِ اللُّغَةِ اختلافاً في أَنَّ الصعيد وجهُ الأَرض.

﴿إنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُوراً﴾.

أَي يقبل منكم العفو ويغفرُ لكم، لأَن قبوله التيمُّم تسهيل عليكم[2].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِن الكِتابِ﴾.

قال بعْضُهم: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: أَلم تُخْبر. وقال أَهل اللغة أَلم تَعلَمْ، المعنى أَلم ينته علمك إلى هؤلاءِ، ومعناه أعرفْهُم. يُعنَى به علماءُ أَهلِ الكِتاب، أَعطاهم اللَّه في كِتابِهمْ عِلْمَ نبوَّةِ النبي ـ ﷺ ـ أَنَّه عندهم مكتوبٌ في التوراة والانجيل يأْمرُهم بالمعروف وينهَاهُم عن المنكر.

---

(١) الكهف آية ٤٠.

(٢) يقبل العفو أي ما سهل عليكم، والتيمم تسهيل مقبول.

وقوله: ﴿يشْترونَ الضَّلاَلَةَ﴾.

أي يؤْثرون التكذيب بأَمر النبي - ﷺ - ليأْخذوا على ذلك الرِّشا ويَثْبُتَ لهم رياسَةٌ.

وقوله: ﴿ويُرِيدُون أَن تضِلُّوا السَّبِيل﴾.
أي تُضِلُّوا طريق الهُدى، لأَن السبيل في اللغة الطريق.
وقوله: ﴿واللَّهُ أَعْلَمُ بأَعْدائِكُمْ﴾.
أي هو أَعرف بهم فهو يُعْلِمُكمْ ما هم علَيْه.
﴿وكَفَى باللَّهِ ولِيًّا وكفَى باللَّهِ نَصِيراً﴾.

أي اللَّه ناصركم عليهم. ومعنى الباء التوكيد. المعنى وكفى اللَّه ولياً وكفى اللَّه نصيراً، إلّا أَن الباء دخلت في اسم الفاعل، لأَن معنى الكلام الأَمر، المعنى اكتفوا باللَّه.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿مِنَ الَّذين هَادُوا يُحرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

فيها قولان: جائز أَن تكون مِنْ صلةِ الذين أُوتوا الكتاب، والمعنى أَلم تر إِلى الذين أُوتوا نصيباً مِن الكتاب من الذين هادوا. وَيَجُوز أَن يكون من الذين هادوا قومٌ يحرفون الكلم. ويكون ﴿يحرِّفون﴾ صفةً، والموصوف محذوف.

أَنشد سيبويه في مثل هذا قول الشاعر: (١)

---

(١) هو تميم بن عقيل. وبعده:
وكلتاهما قد خط لي في صحيفي فلا العيش أهوى لي ولا الموت أروح
أي الدهر ذو حالتين إحداهما أموت بها، والأخرى أود العيش فيها مع كونه شاقاً عسيراً، وكلتاهما مسطر لي في اللوح المحفوظ. فلا الموت أهنأ ولا العيش أحب منه.
انظر شواهد الكشاف حرف الحاء، وسيبويه ٢ - ٣٤٦، والخزانة ٢ - ٣٠٨ ومعاني الفراء ٢ - ١٤٢، وكامل المبرد ٥٣٨.

وما الـدهـرُ إلا تـارتــان فمنهمـا أموت، وأُخرى ابتغي العَيْشَ أكدَحُ

المعنى منهما تارة أَموت فيها.

وقـال بعض النحـويين المعنى: مَنْ الذين هـادوا من يحـرفـونــه فجعـل يحـرفون صلة من. وهـذا لا يجوز. لأنـه لا يحذف المـوصول وتبقى صلتـه، وكذلك قول الشاعر:(١)

لــو قلت مـا في قــومهـا لَمْ تِيثَم يـفضـلهـا في حَسَب ومـيسـمِ

المعنى ما في قومها أَحدٌ يفضلهـا. وزعم النحويـون أَن هذا إنمـا يجوز مـع «من» و «في». وهو جـائز إذا كـان «فيما بقي دليـل على ما أُلْقى»(٢). لـو قلت: ما فيهم يقول ذاك أَو مـا عندهم يقـول ذاك جازَا جميعـاً جوازاً واحـداً. والمعنى ما عندهم أَحد يقول ذاك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ويقُولُون سَمِعْنَا وعَصَيْنا واسْمَعْ غَيْرَ مُسَمَعٍ﴾.

كانت اليهود ـ لُعِنَتْ ـ تقول للنبي ـ ﷺ ـ: اسمَعْ، وتقـول في أَنفسها لا أَسْمِعتَ.

وقيل غَيرَ مسمَعٍ، غير مجاب إلى ما تدعو إليه(٣).

وقوله: ﴿وَرَاعِنَا﴾.

هـذه كلمة كـانت تجري بينهم على حـد السُّخـرى(٤) والهـزؤ، وقـال بعضهم: كانوا يَسُبُّون النبي ـ ﷺ ـ بهذه الكلمة. وقال بعضهم: كانوا يقولونها

(١) لحكيم بن معية كما في الخزانة ٢ ـ ٣١١، ويروى تأثم، وتأثم وهو من شواهد الأشموني ٣ ـ ٧٠. وانظر معاني الفراء ١ ـ ٣٧١ والعيني ٤ ـ ٧١.

(٢) أي ما حذف.

(٣) وهو أيضاً دعاء، أي لا سمعك أحد ولا أجابك أحد.

(٤) السخري ـ بضم السين وكسرها. بمعنى السخرية. وبهما قرئ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً.

كِبْراً، كأنهم يقولون: أَرْعِنَا[1] سمعَكَ أي إجعـل كلامَـك لسَمِعْنَا مَـرْعًى، وهذا ممـا لا تخاطب بـه الأَنبياءُ ـ (صلوات اللّه عليهم) ـ إنمـا يخاطبـون بالإجـلال والإعظام.

وقوله: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِم﴾.

أي يفعلون ذلـك مُعَانَـدةً للحق وطغيانـاً في الدين. وأَصـل «لَيًّا» لَـوياً ولكن الواو أُدغمت في الياءَ لسبقها بالسكون[2].

وقوله: ﴿فلا يؤْمِنُون إِلَّا قليلاً﴾.

أَي فلا يؤْمنون إلَّا إيمـاناً قليـلاً، لا يجب به أَن يُسَمَّـوْا المؤْمنين. وقال بعضهـم: ﴿فلا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قليلاً﴾ أي إلا قليلاً منهم، فإنهم آمنوا.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾.

فيها ثلاثة أَقوال. قال بعضهـم نجعل وجـوههم كأَقفـائهم. وقال بعضهم نَجَعَلُ وجوههم مَنَابت للشَّعرُ كأَقفائهم. وقال بعضهم «الوجوه» ههنا تمثيل بأَمر الـدين. المعنى قبل أَن نُضِلَّهُمْ مجـازاةً لما هم عليـه من المعـانـدة، فَنُضِلَّهُمْ ضلالاً لا يؤمنون معه أبداً.

وقـوله ـ جـلّ وعزّ ـ ﴿إِنَّ اللّه لا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ بِـه، ويَغْفِرُ مَـا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أَجمع المسلمون أَن ما دون الكَبَائِـر مغفور، واختلفـوا في الكبائـر فقال بعضهم: الكبائر التي وعد اللّه عليها النار لا تُغْفَرُ، وقال المشيخةُ[3] من أَهـل

(١) من رعي الماشية ـ وذلك تهكم وسخرية منهم.

(٢) أي قلبت ياء ثم أدغمت.

(٣) الشيوخ الأجلاء.

الفقه والْعِلْمِ : جَائزٌ أن يَغْفِر كلَّ ما دُونَ ذَلِكَ بالتَّوبة، وبالتَّوبةِ يُغفر الشرك وغيرُه[1].

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فقدِ افْتَرَى إثماً عَظِيماً﴾.

افترى اختلق وكذب، إثْماً عظيماً: أي غير مغْفُور.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِين يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

ألم تر: ألم تخبر في قول بعضهم. وقال أهل اللغة ألم تعلم وتأويله سؤال فيه معنى الإعلام. تأويله أعلم قصَّتهُم، وعلى مجرى اللغة ألم ينته علمك إلى هؤلاءِ، ومعنى يزكون أنفُسَهم أي تزعمون أنهم أزكياء، وتأويل قولنا: زكاءُ الشَّيْءِ: في اللغة نماؤه في الصلاح. وهذا أيضاً يعني به اليهُودُ[2]. وكانوا جاؤوا إلى النبي - ﷺ - بأطْفَالِهِمْ فقالوا: يا محمد أعَلى هؤُلاءِ ذنوبٌ، فقال النبي - ﷺ - لا، فقالوا كذا نحن، ما نعمل باللَّيْلِ يُغْفَرُ باللَّيْلِ، وما نعمل بالنهار يُغْفَرُ بالنهار.

قال اللَّه - عزّ وجلّ -: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أي يجعل من يشاء زاكياً.

﴿ولا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

تأويله ولا يظلمون مِقْدارَ فَتِيلٍ.

قال بعضهم: الفتيل ما تَفْتُلُه بين إصْبَعَيْكَ من الوسخ، . قال بَعضهم: الفتيل ما كان في باطن النَّواةِ من لِحائِها، وقالوا في التفسير: ما كان في ظهرها وهو الذي تَنْبُتُ منه النخلة، والقِطْمِيرُ جملة ما الْتَفَّ عليها من لحائها.

وقوله - جلّ وعزَّ -: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ﴾.

(١) رد منه لهذا القول.

(٢) أي الذين يزكون أنفسهم يعني به اليهود. كانوا يصفون أنفسهم بما ليس فيهم من الصفات الحسنة.

أي يفعلونه ويختلقونه(١).

ويقال: قد فَرَى الرَّجلُ يَفْرِي إذا عمِلَ، وإذا قَطع ومن هذا: فَرَيْتُ جِلدَه. فتأويله أن هذا القولَ أعني تزكيتَهُمْ أَنْفُسَهُم فِرْيَةٌ منهم.

﴿وكَفَى بِهِ إِثماً مبيناً﴾.

أي كفى هو(٢) إثماً. مَنصوبٌ عَلَى التمييز، أي كفى به في الآثام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتَابِ﴾.

يعني به علماءُ اليهود.

أي أُعطوا علم أَمْرِ النَّبيّ - ﷺ - فكتموه.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالجِبْتِ والطَّاغُوتِ﴾.

قال أهل اللغة: كل مَعْبُودٍ من دون اللَّه فَهُو جِبْت وطاغوت. وقيل: الجبتُ والطاغوتُ الكهنةُ والشياطينُ. وقيل في بعض التفسير: الجبت والطاغوت ههنا. حُيَيُّ بَنُ أَخْطَبُ، وكعب بنُ الأَشرف اليهوديان وهذا غير خارج عما قال أهل اللغة، لأنه إذَا اتَّبَعُوا أَمْرَهُمَا فقد أطاعوهما من دون اللَّه - عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِن الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾.

وهذا برهانٌ ودليلٌ على معاندة اليهود لأنهم زعموا أن الذين لم يُصدِّقُوا بشيء من الكتب وعِبادةَ الأَصنام، أهدى طريقاً من الذين يُجَامِعُونَهم(٣) على كثير مما يصَدِّقُونَ به، وهذا عِنادٌ بيِّن.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَبِيلاً﴾:

---

(١) ب - يعتملونه. والمعنى واحد.

(٢) الباء زائدة.

(٣) يوافقونهم ويجتمعون معهم في هذا الايمان.

منصوب على التميز، كما تقول: هـذا أحسن منك وجهاً وهذا أجود منك ثَوباً. لأنك في قولك: «هذا أجودُ منك» قد أبهَمْتَ الشيءَ الذي فَضَّلته به، إلا أَنْ تريد أَنَّ جُمْلته أَجْوَدُ مِنْ جملتك فتقول: هذا أجود منك. وتمسك[1].

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الّذين لعَنهُمُ اللَّهُ﴾.

أي الّذِين بَاعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ. وقد بيَّنا أن اللعنة هي المباعدة في جميع اللغة[2].

وقوله: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تجِدَ لَهُ نَصِيراً﴾.

أي من يباعِد اللّه من رحمته فهو مخذول في دعواه وحجته ومغلوبٌ. واليهود خاصّةً أَبْيَنُ خِذْلاناً في أنهم غُلِبُوا من بين جميع سائر أهل الأديان، لأنهم كانوا أكثر عناداً، وأنهم كتموا الحق وهم يعلمونه.

وقوله: ﴿ أَمْ لهُمْ نصِيبٌ مِن المُلْكِ﴾.

المعنى بل ألهم نصيب من المُلْكِ[3].

﴿فإذاً لا يُؤتُون النَّاسَ نقِيراً﴾.

قال بعضهم: [4] إنما معناه أنهم لو أُعْطُوا الملك، ما أعطوْا الناس نقيراً، وذكر النقير ههنا تمثيل، المعنى لضنُّوا بِالقليل. وأما رفع «يُؤْتُون» فعلى «فلا يؤتون الناس نقِيراً إذنْ» ومن نصب فقال: «فإذا لا يؤتوا الناس» جاز [له] ذلك في غير القراءة فأما المصحف فلا يخالف.

---

(١) أي لا تزيد على ذلك.

(٢) راجع الآية: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى. . .﴾ من سورة البقرة ص ٣٣٥ جـ١.

(٣) ب بل لهم، وهو خطأ.

(٤) في (ب) قال بعضهم: كانوا أصحاب بساتين وأموال وكانوا في غاية البخل، قال بعضهم إنما معناه. . . ألخ.

قال سيبويه: «إذاً» في عوامل الأفعال بمنزلة «أظن» في عوامل الأسماءِ، فإذا ابتدأت إذَنْ وأنت تريد الاستقبال نصبت لا غير، تقول: إذَنْ أُكْرِمَكَ، وإن جعلتها معترضة ألغيتها فقلت: أَنا إذَنْ أكرمُكَ، أي أَنا أُكرمُك إذَنْ. فإن أتيت بها مع الواو والفاء قلتَ فإذاً أُكرمُك، وإن شئت فإذَنْ أُكرمَكَ. فمن قال فَإذَنْ أُكرمَكَ نصَب بها وجعل الفاء ملصقة بها في اللفظ والمعنى، ومن قال: فإذن أُكرمُكَ جعل إذاً لغواً، وجَعَل الفاء في المعنى معلقةً بأُكرِمُكَ والمعنى فأُكرمُكَ إذَنْ.

وتأويل «إذن»: إن كان الأمر كما ذكرتَ، أو كما جرى، يقولُ القائل: زيدٌ يصيرُ إليكَ فتجيبُ فتقولُ إذن أُكرمُه. تأويله إنْ كان الأمر على ما تصِفُ وقع اكرامه فَأَنْ مع أُكرمُه مقدرةٌ بعدَ إذَنْ[1]. المعنى إكرامك واقع إن كان الأمر كما قلت.

قال سيبويه: حكى بعض أصحاب الخليل عن الخليل أنَّ «أنْ» هي العاملة في باب إذَنْ.

فأما سيبويه فالذي يذهب إليه ونحكيه عنه أن إذن نفسها الناصبة، وذلك أنَّ «إذَنْ» لما يستقبل لا غير في حال النَّصْبِ، فجعَلَها بمنزلة أنْ في العمل كما جُعِلَتْ «لكنَّ» نظيرة «إنَّ» فِي العَمَلِ في الأسماءِ. وكلا القولين حسن جميل إلا أنَّ العامِلَ ـ عندي[2] ـ النَّصْبَ في سائر الأفعال، «أنْ»، [وذلك] أجود، إما أن تقع ظاهرة أو مضمرة[3]. لأنَّ رفع المستقبل بالمضارعة فيجب أن يكون نصبه في مضارعه ما ينصب في باب الأسماءَ[4]، تقول أظُنُّ أنَّكَ

---

(١) عبارة ب فإن مع أكرمك المعنى إكرامك الخ.

(٢) ب قال أبو إسحاق إلا أن العامل.

(٣) الأجود أن يكون الناصب هو «أن» إما ظاهرة أو مقدرة.

(٤) المضارع فيما يرى الزجاج يرفع بكونه مضارعاً للاسم، فيجب أن يكون عامل النصب فيه ما

منطلق، فالمعنى أظن انطلاقكَ. وتقول أرجُو أن تذهب أي أرجو ذَهَابَك. فَأَنْ الخفيفة مع المستقبل كالمصدر.

كما أن «أَنَّ» الشديدة مع اسمها وخبرها كالمصدر، وهو وجه المضارعة[1].

وقوله عزّوجلّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ :

معناه بَلْ أَيَحْسدُونَ النَّاسَ. وهنا يعني به النبي - ﷺ - كانت اليهود قد حسدته على ما أتاه اللَّه من النبوَّة، وهم قد علموا أن النبَوَّةَ في آل إبراهيم عليه السلام، فقيل لهم: أتحسدون النبي - ﷺ - وقد كانت النبَوَّةُ في آله وهم آل إبراهيم (عليهما السلام)[2].

وقيل في التفسير إن اليهود قالت: إن النبي - ﷺ - شأنه النساء، حسداً لما أُحِلَّ له مِنهُنَّ، فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن آل إبراهيم قد أُوتوا مُلْكاً عظيماً، وَقَالَ بعضهم[3] [نالوا من] النساءِ أكثر مما نال محمد - ﷺ - كان لداود مائةُ مرأةٍ، وكان لسليمانَ ألفُ ما بين حُرَّةٍ ومملُوكَةٍ[4]. فما بالهم حسدوا النبي - ﷺ -.

وقوله: ﴿فمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ به﴾ :

أي من آمن بالنبي - ﷺ -.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾:

= ينصب في الأسماء، والأسماء تنصب بأن، فينصب المضارع بأن. لأن كلاً يؤول مع ما بعده بمصدر.

هذا رأيه وقد رده أبو علي الفارسي في كتاب الاغفال.

(١) ب فهذا وجه المضارعة.

(٢) ب فقط.

(٣) قال بعض المفسرين ان النساء كن عند بني إسرائيل أكثر مما كان عند محمد ﷺ منهن.

(٤) كذا في العهد القديم في سفر الملك.

وقيل منهم مَنْ آمن به أي بهذا الخبر عن سليمان وداود فيما أُعْطِيَا مِن النِّسَاء[١].

وقوله: ﴿وكفى بجهنم سعيراً﴾:

المعنى كفت جهنم شدةَ توقُّدٍ.

وقوله: ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ ناراً﴾:

أي نَشْويهم في نار. ويروى أن يهوديَّة أهدت إلى النبي ﷺ شاة مَصْلِيَّة أي مشويَّةً.

وقوله: ﴿كلَّمَا نَضِجَتْ جلودهم بدَّلْنَاهم جُلُوداً غيْرَهَا﴾:

الأحسَنُ إظهار التاءَ ههنا مع الجيم. لئلا تكثر الجيمات، وإن شئت أَدغمت التاء في الجيم، لأن الجيم من وسط اللسان والتاء من طرفه، والتاء حرف مهموس فأَدغمته في الجيم[٢].

فإن قال قائِلٌ بدَّل الجلد الذي عَصَى بالجلد الذي غير العاصي، فذلك غلط من القَول. لأن العاصي والآلم هو الإنسان لا الجلد. وجَائز أَنْ يكونَ بُدِّلَ الجلْدُ النَّضِجُ. وأُعيد كَمَا كانَ جلدُه الأُول، كما تقول: قد صغت من خاتَمِي خاتَماً آخر فأنت وإن غيرت الصوغ فالفضة أَصل وَاحِدٌ. وقد كان الجلدُ بلِيَ بَعدَ البَعْثِ، فإنشاؤه بعد النضج كإنشائه بعد البعث.

وقوله: ﴿لِيَذُوقوا العَذَابَ﴾:

أي ليُبْلِغَ في أَلَمِهِمْ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّه كانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾:

---

(١) لا مساغ لهذا إذ لم يسبق ذكر نساء لهما.

(٢) الادغام غير جيد لان الحرفين متقاربان ومختلفان صفة، والادغام ينتج ثلاث جيمات متجاورة.

العزيز البالغ إرادَته، الذي لا يَغْلبُه شيءٌ، وهو مع ذلك حكيم فيما يدبر، لأَنّ الملْحدين رُبَّمَا سَأَلوا عن العذَابِ كيف وقع فأعلم اللّه عزّ وجلّ أَن جميع مَا فعله بحكمةٍ.

وقوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾:

المعنى تجري من تحتها مياه الأَنهار، لأَن الجاري على الحقيقة الماءَ.

وقوله: ﴿ونُدْخِلُهُم ظِلاًّ ظليلاً﴾:

معنى ظليل يُظلّ من الريح والحرِّ، وليس كل ظل كذلك. أعلم الله -عزّوجلّ- أَن ظِلَّ أَهل الجنَّة ظليل لا حَرَّ مَعَه ولا بَرْدَ، وكذلك [قوله]: ﴿وظلٍّ مَمْدُودٍ﴾[1] لأَن ليس كلُّ ظلٍّ مَمْدُوداً.

وقوله: ﴿ إِن اللَّه يَأْمرُكُمْ أَنْ تُؤَدّوا الأَمانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾:

هذا أَمرٌ عَامٌّ للنبي (ﷺ) وجميع أُمَّته.

ويروى في التفسير أَن العباسَ عم النبي (ﷺ) سأَل النبي (ﷺ) أَن يجعلَ له السِّقَاية والسِّدَانَةَ وهي الحِجبة[2]. وهو أَن يجعل له مع السقاية فتح البيت وإغلاقَه، فنازعه شيبةُ بن عثمان فقال يا رسول اللّه ارددْ عليَّ ما أَخذْتَ مِنِّي يعني مفتاح الكعبة، فرده (ﷺ) على شَيْبَة[3].

وقوله: ﴿إِن اللَّه نِعَّما يَعظُكُمْ بِهِ﴾:

---

(١) سورة الواقعة آية ٣٠.

(٢) خدمة البيت وحراسته - ويقال الحجابة.

(٣) كانت مفاتيح الكعبة مع عثمان بن طلحة، وقد أغلق بابها وقال: لو كنت أعلم أنه رسول اللّه لم أمنعه، فلوى على يده وأخذ المفتاح منه - ثم نزلت الآية فأمر رسول اللّه ﷺ علياً برد المفتاح إلى عثمان. وجعل السدانة والمفتاح في ذريته. أنظر ترجمة عثمان في الإصابة رقم ٥٤٤٠ - وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر أيضاً رقم ٣٦٩.

هـذه على أوجه ـ نِعِمَّـا ـ بكسر النـون والعين وإدغـام الميم في الميم، وإن شئت فتحت النون، وإن شئت أسكنت العين فقلت نَعْمًا، إلا أن الأحسنَ عندي الإدْغامُ مع كسرِ العَيْن فأما من قـرأ نِعْمَّ مَا بـإسكان العين والميم، فهـو شيءَ ينكره البَصْرِيُّون، ويزْعُمُون أن اجتماع السـاكنين أعني العين والميم غير جـائز، والـذي قالـوا بَيِّن، وذلك أنَّـه غير ممكن في اللفظ، إنمـا يحتـال فيـه بمشقة في اللفظ(١).

وقوله: ﴿وأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾:

أي أطيعوا أُولِي الأَمْر مِنكم، فـأمر اللَّه عـزّ وجلّ بـطاعته، فيمـا فرض، وطاعة رسوله وتصديقه فيما أدى عن اللَّه.

وأُولـو الأَمر منهم هم أَصحـابُ رسـول اللَّه (ﷺ) ومن اتبعهم من أهـل العلم، وقيل إنهم همُ الأُمراءُ، والأُمـراءُ إذا كانـوا أُولي علم ودينٍ آخذين بمـا يقوله أهل العلم، فطاعتهم فريضةٌ.

وجُمْلَة أُولِي الأَمر من المسلمين من يقول بشأْنهم في أَمر دينهم وجميـع ما أدى إلى صلاح له.

ويقـال: أَديت الشيءَ تأْديـة، والأَداءُ اسم مَمْدود وأَدَوْتُ الـرَّجُل آدو لـه أَدْواً إذا خَتَلْته، قال الشاعر:

أَدَوْت لـــه لأَخْـــتِـلـه فهيهات الفتى حذرا(٢)

وأَدِيَ اللَّبنُ أَدِيًّاً إذا حمض.

---

(١) راجع ما قيل مثل هذا في قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ جـ ١ ص ١٣٥ وما بعدها.

(٢) اللسان. والتاج «أدو».

أدوت لـه: دبرت لـه مكيده ـ وحـذراً منصوب بفعـل مضمر أي لا يـزال حذراً، أو هـو حـال ـ ويروى لآخذه، والمعنى واحد. يقال ـ أدا ـ يأدو أدوا، وأنا آدو له.

وقوله: ﴿فإن تنازعتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوه إلَى اللّه والرَّسُولِ﴾:

معنى تنازعتم اختلفتم وتجادلتم وقال كل فريق: القولُ قولي.

واشتقاق المنازعة أن كل واحد منهما ينزع الحجة.

وفي هذه الآية أَمْرٌ مؤكد يدل على أن القصد للاختلاف كُفْرٌ، وأَنَّ الإيمان اتِّباعُ الإجماع والسُّنَّةِ، ولا يخلو قوله عزّ وجلّ:

﴿فَرُدُّوهُ إلى اللّه والرَّسُولِ إنْ كُنتُم تُؤمنون باللّه والْيومِ الآخرِ﴾.

من أحد أمرين: إمَّا أنْ تَرُدُّوا ما اخْتَلَفْتُم فيه إلى كتاب اللّه وسنة رسوله، أو تقولوا إن لم تعلموه: اللّه ورسوله أعلم.

﴿ذلك خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْويلا﴾:

أي إنَّ رَدَّكم ما اختلفتم فيه إلى ما أتى من عند اللّه وتركِكم التَّحارُب خيرٌ، وأَحْسَنُ تأْويلاً لَكُم، أي أَحسنُ عاقبةً لكم. وجائزٌ أن يكون أحسن تأْويلاً أي أَحسن من تأَوُّلِكم أَنْتُم. دون رَدِّكم إياه إلى الكتاب والسُّنَّةِ.

وتأْويلاً منصوبٌ على التمييز.

وقوله: ﴿أَلم تَرَ إلَى الَّذين يَزْعُمُونَ أَنَّهم آمَنُوا بمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾:

يُعْنى به المنافقون.

﴿أَنَّهم﴾ تنوب عن اسم الزَّعم وَخبرِه(١).

وقوله: ﴿يُريدون أن يَتَحاكَمُوا إلى الطَّاغوت﴾:

إلى الكاهن والشيطان.

---

(١) سدت مسد مفعولي «زعم» - أن واسمها وخبرها تسد مكان المفعولات. وسيأتي هذا عند الآية ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم﴾.

ويروى أَنَّ رَجُلاً من المنافقين نازعه رجل من اليهود، فقال اليهودي بيني وبينك أبو القاسم[1] وقال المنافق بيني وبينك الكاهن، فلم يرض اليهودي بالكاهن وصار إلى النبي (ﷺ) فحكم لليهودي على المنافق فقال المنافق لا أرضى. بيني وبينك أبو بكر، فحكم أبو بكر أيضاً لليهودي، فلم يرض المنافق وقال بيني وبينك عمرُ فصارا إلى عمرَ فأخبره اليهودي بأن المنافق قد حَكَمَ عليه النبي (ﷺ) وأبو بكر فلم يرض بحكمهما. فقال عمر للمنافق: أكذاك؟ قال: نَعَمْ، فقال عمر: اصبروا فإن لي حاجةً **أدْخُلُ فأقْضِيهَا** وأخرج إليكما فدخل وأخذ سيفه وخرج إلى المنافق فضربه بالسيف حتى قتله، فجاءَ أهله فشكوا عُمَرَ إلي النبي (ﷺ) فسأله عن قِصَّتِه فقال عمر: إنه ردَّ حُكمَك يا رسولَ اللَّه، فقال رسول اللَّه: أنت الفارُوق..

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ المُنَافِقِينَ يَصُدونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾:

أي يَصدُّون عن حُكْمِكَ.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمتْ أَيْدِيهِم﴾:

أي فكيف تكون حالُهم إذا قُتِلَ صَاحبُهم بما أظهر من الخيانة ورَدِّ حُكْمِ النبي (ﷺ).

وقوله: ﴿ثُمَّ جَاؤُوكَ يَحْلِفُونَ باللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَاناً وتَوْفيقاً﴾:

أي ما أَرَدْنا بمُطَالَبَتِنَا بدمِ صاحِبِنَا إِلَّا إِحْسَاناً وطلباً لما يوافق الحقّ:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾:

اللَّه يعلم ما في قلوب أولئك وقلوب غيرهم، ألا أن الفائدة في ذكره

---

(١) يعني رسول اللَّه ﷺ.

ههنـــا الـــذين يعلم اللَّه مـــا في قلوبهم أي أُولئـك الـــذين قـــد علم اللَّه أنهم منافقون. والفائدة لنا [هي]: إعلموا أُنهم منافقون.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فأَعْرِضْ عَنْهُم وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾:

أي أعلمهم أَنَّهم إن ظهر منهم رَدٌّ لحِكُمكَ وكفر، فالقتـل حقُّهم. يقال قَولٌ بليغٌ إذا كان يبلغ بعبَارةِ لسـانه كُنْـهَ مَا في قلبـه، ويقال أَحْمَقُ بَلْغٌ وبلْغٌ. وفيه قولان: انّه أَحمَقُ يبلغ حيث يريد(١)، ويكون «أَحمقُ بَلْغٌ وبلْغٌ» قـد بَلَغَ في الحماقة. والقولُ الأَول قول من يُوثَقُ بعِلْمه، والثاني وجه جَيِّدٌ.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بـإِذْنِ اللَّهِ﴾.

[أي] أُذِنَ في ذلك(٢).

و«مِنْ» دخلت للتوكيد. المعنى وما أَرسلنا رسولاً إلَّا ليطاع بإذن اللَّه.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم جَاؤُوكَ فاسْتَغْفَروا اللَّهَ﴾:

«أَنّ» في موضع رفع: المعنى لو وقع مجيئهم في وقت ظلمهم أَنفسهم مع استغفارهم. ﴿لَوَجَدُوا اللَّه تَوَّاباً رَحِيماً﴾.

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾:

يُعنَى به المنافقون.

﴿حَتَّى يُحكِّمُوكَ فِيمَا شَجَر بَيْنَهُمْ﴾:

أَي فيما وقع من الاختلاف بينهم، ﴿ثم لا يجدوا في أَنْفُسِهم حَـرَجاً ممـا قضيتَ﴾، أَي لاَ تَضِيقُ صدورُهم من قضيتِكَ.

﴿ ويُسلِّمُوا تسليماً﴾:

---

(١) هذا هو الوجه الأول.

أي يصل إليه مع حمقه وبلاهته. و «يكون»: هو الوجه الثاني.

(٢) أعلمه اللَّه أنه مطاع.

أي يسلمون لما يأتي به من حُكْمِكَ[1]، لا يعارضونه بشيء، وتسليماً مصدر مؤكد، والمصادر المؤكدة بمنزلة ذكر الفعل ثانياً، كأنك إذا قلت سلمت تسليماً فقد قُلْت: سَلَّمْتُ سَلَّمْتُ. وحقُّ التَّوْكِيد أن يكون محققاً لما تذكره في صَدْرِ كَلاَمِك، فإذا قُلْتَ ضَربتُ ضرباً، فكأنك قُلْتَ أَحْدَثْتُ ضَرْباً أُحَقُّه ولا أشك فيه، وكذلك ﴿وَيُسَلِمُوا تَسلِيماً﴾ أي يسلمون لحكمك تسليماً، لا يُدْخِلون على أنفسهم فيه شَكّاً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتلوا أَنْفُسَكُمْ أَو اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾:

«لو» يُمَنَعُ بها الشيءُ لامتناع غيره. تقول لَوْ جاءَني زيد لَجئْتُه، المعنى ان مجيئي امتنع لامتناع مَجِيءِ زَيْدٍ، فحقها أن يَلِهَا الأَفعالُ. إلاَّ أَنَّ «أَنَّ» المشـدّدة تقع بعدها، لأنّ ـ «أَنَّ» في اللغة تنوب عن الاسم والخبر، تقول ظننت أنك عالم.

[وهذا] كقولك ظننتك عالماً. والمعنى ظننت علمك. فالمعنى في «أَنَّ» بَعْدَ «لَوْ» أنها نابَتْ عن الفعل والاسم، كما نابت عن الاسم والخبر.

فالمعنى في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ كالمعنى في لو كتبنا عليهم. وجائز أن يكون مضمراً الفعلُ مع «أَنَّ» مع وقوع قابلها.

المعنى ولو وقع وكتبْنَا عليهم أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسكم أَو اخرُجُوا من دِيارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إلا قَليلُ مِنْهُمْ.

وإن شئت كسرتها لالتقاء الساكنين أعني . . «أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكم» وإن شئت قُلْتَ «أَنُ اقتلوا» فضممتها لانضمام التاء . .

---

(1) يذعنون له ولا يعارضون، ولا يكون في نفوسهم حرج منه.

وأبو عمرو بن العلاء يختار مع النونـات خاصـة الكَسْرَ ومَـعَ سائِـر ما في القرآن ـ إذا كان ما بعدها مضموماً ـ الضَّمَّ، إلاّ قوله:

﴿وَقَالَتِ اخْرُج عليهن﴾[1]، ﴿وَلَقَدِ اسْتُهزِئَ بِـرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[2] ولست أعرف في هذين الحـرفين خَاصيـةَ أَبِي[3] عمرو إيـاهُمَا بـالكَسْرِ إلا أَنْ يكونَ رَوَى روايةً فاختار الكسرَ لهذه العِلةِ، أو يكـون أرادَ أن الكسرَ جـازَ أَيْضاً كما جاز الضمُّ ـ وهذا أَجْوَدُ التأويلين.

وللكسـر والضم في هَـذِهِ الحـروف وجهـان جيِّـدانِ قـد قَـرأَتِ القـرّاءُ بهما[4].

فأما رفع إلا قَليلٌ مِنْهم. فعلى البدل من الواو. المعنى ما فعله إلا قليل منهم. والنصب جائز في غير القرآن، على معنى مـا فعلوه أَسْتَثْنِي قَلِيلاً مِنْهُمْ، وعلى مـا فسّرنَـا في نصب الاستثنـاء، فـإن كـان في النفْيِ نـوعـانِ مختلِفَـان فالاختيارُ النصبُ، والبدَلُ جائـز، تقولُ مَـا بِالـدّارِ أَحَدٌ إلا حِمَـاراً قال النـابغة الذبياني:

وقفت فيهـا أُصَيْـلَالاً أُسَـائِلها ... عَيَّتْ جواباً ومَـا بالـربع من أَحَـدِ
إلّا الأوَارِيَّ لأْيـاً مـا أُبـيِّـنُـهـا ... والنُّؤْيُ كالحوضِ بالمَظْلومةِ الجَلَدِ[5]

---

(١) سورة يوسف ٣١. (٢) سورة الأنعام ١٠.

(٣) خلاصته أن مذهب أبي عمرو في التقـاء ساكنين من هـذا النوع أن يضم الحـرف الأول مراعـاة لحركة الضم التي كانت لهمزة الوصل، فهو يقول مثلاً: قد اقتتل في هذا المكان، هل احتضر الرجل قلُ انظروا، لكن إذا كـان الحرف الأول نـوناً آثـر أن تكسر، فهـو يقول فمن اضـطر في مخمصة، وأن احكم بينهم وقد روي عنه كسر التاء في ﴿وقالت اخرج عليهن﴾، والـدال في: ولقـد استهزىء. ولا يعـرف الزجـاج سبباً لإيثـارهمـا بـالكسـر. وفي ب: لإيثـارهمـا بـالكسـر (خاصة).

(٤) أما الكسر فهو لالتقـاء الساكنين، والضم لنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها.

(٥) في قصيدته: يـا دارمية بـالعلياء فـالسند. وتقـدم البيت الثاني ص ١٣٥ ج ١. وأصيـلالاً تصغيـر =

فقال ما بالرَّبـع مِنْ أَحدٍ، أَي مـا بالـرَّبعِ أَحَـدٌ إلَّا أَوَارِيَّ، لأن الأواريّ ليست من الناس.

وقـد يجوز الـرفع على البـدل، وإن كان ليس من جنس الأول كمـا قال الشاعر:

وبـلدٌ لـيس بـه أنيسُ[١] إلّا الـيعـافـيرُ وَإلا الـعِيسُ

فجعل اليعافير والعيسَ بدلا من الأنيس.

وجائز أن يكون أنيس ذلك البلد اليعافير والعيس[٢].

وقوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾.

يعنى النبيين، لأنه قال:

﴿وَمَنْ يُطعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِك﴾أي المطيعون.

﴿مَع الّذِينَ أَنْعَمَ اللَّه عَلَيْهِم مِنَ النَّبِّيِّنَ والصِّـدِّيقِينَ والشهداءِ وَالصَّـالِحينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفيقاً﴾.

أي الأنبياءَ ومن مَعَهُمْ [حسنوا] رفيقاً.

و«رفيقاً» منصوب على التمييـز، ينوب عن رفقـاء، وقال بعضهم لا ينـوبُ الواحدُ عن الجماعة إلا أن يكُـون من أسماء الفـاعلين. فلو كان «حسُنَ القـومُ رجُلاً» لم يجز عنده. ولا فرق بين رفيق ورَجُل في هذا المعنى لأن الواحد في

= أصيل ـ في لغة. وانظر شرح العشر للزوزني ١١١.

(١) لجران العود ـ الديوان ٥٢، والقرطبي ٥ ـ ٣١٢، والخزانـة ـ ٢ ـ ٢٩ والعيني ١ ـ ٣٢ واليعافيـر جمع يعفور، دابة ذات لون رمادي تشبه الفـأرة الصغيرة. والعيس البيض من الـظباء أو الإبـل ـ يريد أن البلدة قد هجرت وصارت هذه الحيوانات تمرح بها. وجران هو عامر بن الحـرث ـ وأكثر الرواية وبلدة ليس بها أنيس، الشاهد رفع المستثنى مع أن الاستثناء منقطع.

(٢) أي هو إذن استثناء متصل فلا شذوذ فيه.

التمييز ينوب عن الجماعة، وكذلك في المواضع التي لا تكـون إلا جماعـةً[1] نحو قولـك هُوَ أحسن فتى وأَجْملُه، المعنى هـو أحسن الفتيان وأجملهم، وإذا كان الموضع الذي لا يُلْبِسُ ذِكْـرُ الواحـد [فيه] فهـو يُنْبِئُ عـن الجماعـة كقول الشاعر:[2]

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض، وأمـا جلدهـا فصليبُ

وقال الآخر:

فـي حَلْقِـكم عَـظْـمٌ وقـد شَـجينَا[3]

يريد في حلوقكم عِظَامٌ، ولو قلت حسُنَ القـوم مجاهـداً في سبيل اللَّه، وحسن القوم رجلاً كان واحداً[4].

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾.

معناه وكفى اللَّه عليماً، والباء مؤكدة. المعنى اكتفوا باللَّه عليماً.

وقوله: ﴿يَأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾.

أمر اللَّه أنْ لا يُلْقِيَ المؤمنون بأيديهم إلى التهلكـة وأن يحذروا عـدوَّهم وأن يجـاهـدوا في اللَّه حق الجهـاد، ليبلو اللَّه الأخيـارَ وضمِنَ لهم مـع ذلـك النَّصْرَ، لأنه لو تولى [اللَّه تعـالى] قتل أعدائه بغير سبب للآدميين[5] لم يكـونوا مُثابينَ، ولكنه أمر أن يُؤخَذَ الحذَرُ.

وقال: ﴿فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفُرُوا جَمِيعاً﴾:

---

(١) أي نكرات عامة يفهم منها معنى الجمع.

(٢) تقدم في الجزء الأول ص ٨٣.

(٣) تقدم أيضاً ص ٨٣ جـ ١.

(٤) أي لا فرق بين ما هو اسم فاعل أو غيره.

(٥) من غير عمل منهم.

والثُّباتُ الجماعات المتفرقة، واحدها ثُبَة، قال زهير ابن أبي سلمى:[1]

وقــد أغْـدُو على ثُبَــةٍ كـرامٍ   نَشَــاوَى واجـدين لمــا نشـاءُ

قـال سيبويـه ثُبة تجمـعُ ثُبُون وثُبينَ، في الـرفـع والنصب والجـر وإنمـا جُمِعتْ بالواو والنـون ـ وكذلـك عِزَة وعِضَـة ـ كقولـه عزّ وجـلّ ﴿الذين جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ﴾[2] ـ لأنَّ الواو والنون جُعَلَتَا عوضاً من حذف آخر الكلمة، وَثُبة التي هي الجمـاعة محـذُوفُ آخرهـا؛ تُصَغَّرُ ثُبيَّـة، وَثُبَة الحـوض وسطُه حيث يثوب الماءُ إليه تُصَغَّر ثُوَيْبَة، لأن هذا محذوفـة منه عين الفِعْـل، وإنما اشتقت ثبـة الجماعـة من ثَبَّيْتُ عَلى الرَّجُـلِ إذا أَثْنَيت عليه في حيـاته، وتـأْويله أنـك جمعت ذكر محاسنه، فأمـا الثُّبَةُ الجمـاعة من فـرقة. فتـأْويله انفروا جَمـاعات مُتَفَرِّقةٍ أو انفروا بعضكم إلى بَعْض.

وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾.

أي ممن أظهـر الإيمان لمن يبـطئُ عن القتال، يقـال قد أبـطأ الـرجـل وبَطُوءَ بمعنى، أبطأ تأخر، ومعنى بطوءَ ثقل، إبطاءً، وبُطْئاً.

والـلام الأولى التي في «لَمَنْ» لام إن[3]، والـلام التي في لَيبَـطِّئَن لام القَسِمُ، ومَنْ موصولـة بالجـالب للقَسِمَ، كأن هـذا لو كـان كلامـاً لقلْتَ إن[4] منكم لمَن أَحْلِف واللّه لِيُبطِّئن، والنحويون يجمعون على أنّ مَنْ ومَا والذي لا

---

(١) الديوان ٧٢ ـ من قصيدته: عفا من آل فاطمة الجواء.

وثبـة جماعـة، ونشاوى جمـع نشوان، أي طـرب أو سكران من خمـر أو غيره، وواجـدين لمـا نشاء ـ أي ميسورين لديهم ما يريدون من الشراب وغيره. ـ وسيبويه يجعل جمعها ملحقاً بجمع المذكر السالم، كسنة وعزة.

(٢) سورة الحجر آية ـ ٩١.

(٣) لام التوكيد التي تأتي في خبر إن.

(٤) ط أني.

يُوصَلْنَ بالأمر والنهي إلا بما يُضْمَر معها من ذكـر الخبر[1]، وأن لام القسم إذا جاءَت مع هذه الحروف فلفظ القَسمِ وما أَشْبَه لفْظَهُ مضمر معها.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَصابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ، قال﴾ هذا المُبطِّئُ:

﴿قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾.

أي لم أُشْركهُمْ في مُصِيبَتهم.

﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللهِ﴾ أي ظفِرتم وغَنِمْتُمْ.

﴿لَيَقُولَن ـ كأَنْ لَمْ يكُن بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ مودةٌ ـ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾.

﴿وَكأَنْ لَم تَكُنْ بيْنَكُم وبينهم مَودةٌ﴾: جائز أَن يكون وقع ههنـا معترضـاً: المعنى: ولئن أَصابكم فضل من اللَّه ليقُولَنَّ.

﴿يالَيْتَنِي كنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عظِيماً﴾ وَيَكُونُ:

«وإِنْ أَصَـابتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَـالَ قَـدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيـداً» «كـأَن لم تكن بينكم وبينهم مَودَّةٌ».

ومعنى المودّة ههنا، أي كأنه لم يُعاقِدْكُمْ على الأيمان أي كأنه لم يُظهر لكم المَودَّةَ، وجائز أَن يكون ـ واللَّه أعلم ـ ليقُولَنَّ يا ليتني كنت معهم كـأَنْ لم تكن بينكم وبينه مَودَّةُ، أَي كأَنه لم يعاقدكم على أَنْ يجاهِدَ معكم. فـلا يكون في العربيّةِ فيه عيْبٌ ولا ينقص معنًى.. واللَّه أعلم.

﴿فَـأَفُـوزَ فَـوْزاً عَـظِيمـاً﴾.

فأفوز منصوبٌ على جواب التمنّي بالفاء.

وقـولـه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

---

(١) صلة الموصول لا تكون طلباً ـ فإذا وقعت كذلك قدرت لها جملة خبريـة ـ كما قـدر هنا الفعـل «أحلف». وكذلك صلة الوصول.

أي إنْ كانَتْ بينكم وبينه عقدة أَمَان فليقاتل في سبيل اللَّه معكم.

﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الحيَاةَ الدُّنْيا بالآخِرَةِ﴾.

أي يبيعون، يقال شريت بمعنى بعتُ، وشَرَيت بمعنى اشتَرَيْتُ قال يزيد ابن مُفَرِغ[1].

وشَـريْـتُ بُـرداً لـيتـنـي ... من بَعْـد بُـردٍ كنتُ هـامَـهْ

بُرْدٌ غلامه، وشريته بعتُه.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبيلِ اللَّهِ﴾.

«ما» منفصلة. المعنى أَي شيءَ لكم تَارِكِينَ القتـالَ. و﴿لاَ تُقَاتِلُونَ﴾ في موضع نَصْبٍ على الحال كقولـه - عزّ وجـلّ - ﴿فما لهم عن التَّـذكِـرةِ مُعْرِضينَ﴾[2].

﴿والمستضعَفِين﴾: في موضع جَرٍ.

المعنى وما لكم لا تُقَاتِلون في سبيل اللَّه وسبيل المستضعفين.

﴿مِن الرجالِ والنساءِ والوِلْدانِ الذِينَ يَقُولُونَ رَبنا أَخرِجْنا مِن هَذِهِ القـريةِ الظالِمِ أَهْلها﴾.

يعني بالقرية مكة، أي ما لكم لاَ تسعون في خلاص هؤلاءِ.

وقوله: ﴿واجعل لنا مِن لَدنكَ وَلِياً واجعل لنا مِن لَدُنكَ نَصِيراً﴾.

أي تَـولَّنا بنصـرك وخَلِّصْنا من أَهْـلِ مكـة الـظالمِ أَهلُهَـا. [فهـو] نعت للقرية، ووحَّدَ الظالم لأنه صفة تقع موقع الفِعل تقول مررت بـالقريـة الصالـح أهلُهَا كقولك التي صَلَحَ أَهْلُهَا.

---

(١) تقدم شرح هذا ص ٢٧٨ ج١.

(٢) سورة المدثر ٤٩.

قال أبو العباس محمد بن يزيد: ﴿والمستضعفين﴾ في موضع جر: مِن وَجْهَين: المعنى ما لكم لا تقاتلون في سبيل اللّه وفي المستضعفين، قال: وجائز أن يكون عطفاً على اسم اللّه، أي في سبيل اللّه وسبيل المستضعفين[1]، قال: وأختار أن يكون على «وفي المستضعفين» لاختلاف السبِيلين، لأن معنى سبيل المستضعفين كأنه خلاصُ المستضعفين، وقول أكثر النحويين كما اخْتار أبو العباس محمد بن يزيد. والوجه الثاني عِندي أشبه بالمعنى، لأن سبيل المستضعفين هي سبيل اللّه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿والَّذِين كفروا يقاتِلون فِي سبيلِ الطَّاغُوتِ﴾.

الطاغُوتُ في قول النحويين أجمعين يذكَّر ويؤنَّثُ. وفي القرآن دليل على تذكيره وتأنيثه، فأما تذكيره فقوله: ﴿يُريدُونَ أن يتحاكموا إلى الطاغوتِ وقد أُمِروا أن يكفروا به﴾[2]، وأما تأْنيثه فقوله - جلّ وعزّ -: ﴿والَّذِينَ اجتَنَبوا الطاغوت أن يَعبُدوهَا﴾[3]. قال أبو عبيدة: الطاغوت ههنا في معنى جماعة، كما قال الله - عزّ وجلّ -: ﴿حُرِمَتْ عَليكُمْ المَيْتَةُ والدَّمُ وَلَحمُ الخِنزير﴾[4] معناه لحم الخنازير كلها.

والطاغوت الشيطان، وكل معبود من دون اللّهِ فهو طاغوت. والدليل على أن الطاغوت الشيطان قوله: ﴿ويُرِيدُ الشيطان أن يُضِلَّهم ضَلالاً بعِيداً﴾.

وقوله: ﴿أَلم تر إِلَى الَّذِينَ قِيل لَهُم كُفُّوا أَيْدِيكُمْ وأَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾.

قيل كان المسلمون قبل أن يؤمروا بالقتال قالوا للنبي - ﷺ -: لو أذِنت

---

(١) المعنى واحد على كلا التقديرين.

(٢) سورة النساء - ٦٠.

(٣) سورة الزمر. ١٧.

(٤) سورة المائدة - ٣.

لنا أن نعمَلَ مَعَاوِلَ نقاتل بها المشركين، فأُمروا بالكف وأداءَ ما افْتُرِضَ عليهم غيرَ القتال، فلما كُتبَ عليهم القتالُ خشي فريق منهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا القِتَالَ لَوْلاَ أَخَّرتنا إِلَى أجل قَرِيبٍ﴾.

المعنى هَلَّا أَخَّرْتَنَا.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة لِأَهْل التُّقَى، وأعلمهم أن آجالهم تخطئُهم ولو تحصنوا بأمنع الحصون فقال:

﴿أينما تكونوا يدرِكْكُم المَوْتُ وَلَو كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ لأن مُفَعَّلة، ومُفعَّل للتكثير، يقال: شاد الرجل بناءَهُ يشيده شَيداً إذا رَفَعه وإذا طَلاه بالشِّيدِ، وهو ما يطلى به البناءُ من الكِلس والجصِّ وغيرِهِ، ويقال أيضاً قد أَشَادَ الرجل بِنَاءَهُ. فأما في الذِكْرِ فأشدت بذكْر فُلانٍ لا غير إذا رَفَعْتَ من ذِكرِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تُصِبْهم حَسَنَة يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّه، وإِن تُصِبْهُمْ سيئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾.

قيل كانت اليهود ـ لُعِنَتْ ـ تَشَاءَمَتْ برسول اللَّه ﷺ عند دخوله المدينة فقالت: منذ دخل المدينة نَقَصَتْ ثمارُنا وغلت أسعارنَا، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الخصْبَ والجَدْبَ من عِندِ اللَّهِ.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَكَ مِن حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيئَةٍ﴾.

هذا خطاب للنبي ﷺ يرادُ به الخلق، ومخاطبة النبي ﷺ قد تكون للنَّاس جميعاً لأنه عليه السلام لِسانهم، والدليل على ذلك قوله: ﴿يا أيها النَّبيّ إذا طَلَّقتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهن لِعدَّتِهنَّ﴾(١).

فنادى النبي ﷺ وحده وصار الخطابُ شامِلاً له ولسائر أُمَّتِه، فمعنى ما

---

(١) سورة الطلاق ـ ١.

أصابك من حسنة فمن اللَّه، أي ما أَصبتم من غنيمـة أَو أَتاكم من خِصْبٍ فمن تفضلِ اللَّه، ومـا أَصَـابَـكَ من سَيئَةٍ أي من جَـدْبٍ أو غَلَبَـةٍ في حـرب فمِنْ نَفْسِك، أي أَصَابَكم ذلك بما كَسَبتُمْ كما قال اللَّه جلّ وعزّ ﴿ومـا أَصابكم من مُصيبةٍ فبما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾[١].

ومعنى ﴿وأَرْسَلنَاكَ للنَّاسِ رَسُولاً﴾.

معنى الرسول ههنا مؤكدٌ لقوله: ﴿وأَرْسَلنَاكَ﴾ لأن ﴿وأَرْسَلنَاكَ للناس﴾ تدل على أنه رَسُولٌ.

﴿وَكَفَى بـاللَّه شَهِيداً﴾.

أَي اللَّه قـد شهد أَنَّـه صَادِقٌ، وأَنَّـه رسولـه، و «شهيـداً» منصـوب على التمييز، لأَنكَ إذا قلت كفى اللَّه ولم تبين في أَي شيء الكفاية كنت مُبْهِماً.

والفـاءَ دخلت في قولـه جلّ وعزّ: ﴿مَا أَصَـابَكَ مِنْ حَسَنَـة فَمِنَ اللهِ﴾ لأن الكلام في تقدير الجزاءَ، وهو بمنزلة قولك: إنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ فمن اللَّه[٢].

وقوله: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه﴾.

أَي من قبل ما أَتَى به الرسول فإنَّما قبلَ ما أَمر اللَّه بِه.

وقوله: ﴿وَمَنْ تَوَلَى فما أَرْسَلنَاكَ عَلَيْهِم حَفِيـظاً﴾.

تأْويله - واللَّه أَعلم - أنك لا تعلم غيبهم إنما لك ما ظهر منهم، والدليل على ذلك ما يتلوه وهو قوله:

﴿ويَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾.

---

(١) سورة الشورى ٣٠.

(٢) الاسم الموصول يشبه الشرط في عمومه واستقباله فتدخل الفاء في خبره. ويجوز أن تكون «ما» ههنا شرطية.

قال النحويون [تقديره] أَمْرنا طاعةٌ. وقال بعضهم مِنَّا طاعةٌ.

والمعنى واحد، إلا أن إضمار أَمرنا أَجمع في القصة وأَحسَنُ.

وقوله: ﴿فإذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾:

يقال لكل أمر قد قُضِيَ بِلَيْلٍ قد بُيِّتَ. قال الشاعر:[1]

أَتــوني فلم أَدْرِ مَــا بَيَّتُــوا ... وَكَــانُوا أَتــوني لأَمْــرٍ نُكْــر

أي فلست حفيظاً عليهم تعلم ما يغيب عنك من شأْنِهم، وهـذا ونظائـره في كتـاب اللَّه من أَبين آيات النبي ﷺ، لأنهم مـا كانـوا يُخْفونَ عنـه أَمْـراً إلا أَظهره اللَّه عليه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَاللهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾.

فيه وجهان، يجوز أَن يكون - واللَّه أَعلم - ينزله إليك في كتابه، وجائز أَن يكون يكتب ما يُبَيِّتُون يحفظه[2] عليهم ليُجَازوا به.

وقوله: ﴿فأَعْرِضْ عَنْهُم وَتَوَكَّل عَلَى اللَّهِ﴾.

أي لَا تُسمِّ هؤُلاءِ بأَعيَانِهم لمـا أَحب اللَّه من ستر أَمـر المنافقين إلى أن يستقيم أَمْرُ الإسلام. فأما قوله: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ منْهُمْ﴾ فذكَّر ولم يقل بيتت، فلأَن[3]

---

(۱) هو عبيدة بن همام - له ترجمة في الأغاني ۱۱ - ٥٨ - في خبر الجحاف ونسبه وبعد البيت:

لأنــكــح أيــمــهــم مــنــذراً ... وهــل ينكــح الـعبــد حــراً لـحــر

وينسب البيتان للأسـود بن يعفر - انـظر اللسان (نكـر)، ومجاز أبي عبيـدة ۱ - ۱۳۳ - والكامـل ٢/٣٥، ١٠٦ والمعنى أنهم أتوه وقد دبروا شراً لا علم له به، وهذا الشر أن يـزوج منذراً هـذه الفتاة وهو غير كفء لها.

(۲) تكتبه الحفظة حتى يحاسبوا عليه يوم القيامة.

(۳) في الأصل لأن - بدون فاء - وهو خطأ.

كل تأنيث غير حقيقي فتعبيره بلفظ التذكير جائز، تقول: قالت طائفة من أهل الكتاب، وقال طائفة من المسلمين لأن طائفة وفريقاً في معنى واحد، فكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فمن جَاءَهُ موعظَةٌ مِنْ رَبِّه﴾(١)، وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ قَد جَاءَتْكُمْ مَوعِظَة مِنْ رَبِّكُم﴾(٢)، يعني الوعظ إذا قلت فمن جاءَه موعظة. وقرأ القرَّاءُ بيَّتْ طَّائفةٌ على إسكان التاءِ وإدْغامها في الطاء، وروي عن الكسائي أن ذلك إذا كان في فعل فهو قبيح، ولا فرق في الإدغام ههنا فِي فعلٍ كان أو في اسم لو قلت بَيَّتُ طائفةٌ وهذا بَيْتُ طائفة - وأنت تريد بيتُّ طائفةً كان واحداً، وإنما جاز الإدغام لأن التاءَ والطَّاءَ مِن مَخْرجٍ واحدٍ.

وقوله:﴿أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيه اخْتِلَافاً كثيراً﴾.

يُعْنَى به المنافقون، أي لو كان ما يخبِرونَ به مما بيَّتُوا، وما يُسِرُّونَ ويُوحَى إلى النبي ﷺ.. لولا أنه من عند اللَّه لما كان الإخبار به غير مختلف، لأن الغيب لا يعلمه إلا اللَّه(٣). وهذا من آيات النبي ﷺ البيِّنَةِ.

ومعنى تدَبَرتُ الشيءَ، نظرتُ في عَاقبته، وقولهم في الخبر: لا تَدَابَرُوا، أي لا تكونوا أعداءَ، أي لا يُوَلِّي بعضكم دُبُرهَ، يقال قد دَبَر القومُ يَدْبُرون دبَاراً إذَا هَلكُوا، وأدْبَرُوا إذا وَلَّى أمرُهم، وإنما تأويله أنه تقضَّى أمرهم إلى آخره فلم يبق منهم باقية، والدَّبْرُ النَّحلُ سُمِّيَ دَبْراً لأنه يُعْقِبُ(٤) ما ينتفع به، والدِّبرُ المال الكثير سمّيَ دِبْرا لكثرته، ولأنه يبقى للأعْقابِ والأدْبارِ،

---

(١) البقرة - ٢٧٥.

(٢) يونس - ٥٧.

(٣) يريد أن ما أخبرهم به النبي ﷺ من شؤونهم التي يسرون ويعلنون إنما هو وحي من اللَّه تعالى بدليل أنه لا اختلاف فيه.

(٤) يترك ويبقى.

وقوله: ﴿وإذا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمنِ أو الخَوْفِ أَذَاعوا بِهِ﴾.

أي أظهروه ونادَوْا به في الناس، قال الشاعر:(١)

أَذاع بـه في النـاس حتى كـأنـه   بـعَلْيـاءَ نـارٌ أُوقِـدَتْ بثُقُـوبِ

وكـان إذا علم النبي ﷺ أنه ظـاهر على قـوم أَمن مِنهم، أَوْ أُعْلِمَ تجمع قوم يخاف من جمع مِثلِهم، أَذاع المنافقون ذلك ليحذَر مَنْ يحذر من الكفار، وليقوَى قلب من ينبغي أن يَقْوَى قلبه لما أذاعوا وكان ضَعَفَةُ المُسْلِمين يُشِيعُونَ ذلكَ مَعَهُمْ مِنْ غير علم بالضرَرِ في ذلك، فقال عزّ وجلّ ولو ردوا ذلك إلى أن يأخذوه من قِبَلِ الرسـول ومن قبل أُولي الأَمْـرِ منهم، أي من قِبَلِ ذوي العلم والرأي منهم.

وقوله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستنبِطونَه مِنهُم﴾.

أي لعلمـه هؤُلاءِ الذين أَذاعـوا به من ضَعَفِـة المسلمين من(٢) النبي ﷺ وذوي العلم، وكانوا يعلمون مع ذلك هَلْ ينبغي أن يُذَاع أو لا يُذَاعَ.

ومعنى «يستنبطونه» في اللغـة يستخرجـونـه، وأَصْله من النبط وهـو المـاءَ الـذي يُخرج من البئر في أول ما يحفـر، يقال من ذلـك: قـد أَنبط فـلان في غضـراءَ(٣)، أي استنبط المـاءَ من طينٍ حُـرٍّ(٤). والنبط إنّمـا سُمـوا نبـطاً لاستنباطهم ما يخرج من الأرضين.

وقوله: ﴿وَلَوْلا فَضلُ اللَّهِ عَليكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلَّا قليلاً﴾.

---

(١) أبـو الأسود الـدؤلي، الخزانـة ١ ـ ١٥٣، العيني ٢ ـ ٥٣٦، الطبـري ٥ ـ ١١٤ أي أعلن هذا الأمر وشهره حتى صار كالنار التي توقد بمكان مرتفع يراها كل مار.

(٢) حصلوا على العلم به منهم.

(٣) الغضراء الأرض الطيبة الخضراء.

(٤) طين نقي جيد الممادن.

قال بعضهم: لولا ما أنزله اللَّه عليكم من القرآن، وبيَّن لكم من الآيات على لسان نبيه لاتَّبعْتُم الشيطانَ إلَّا قليلاً، أي كان أولكم بجوار الكفر[١]، وهذا ليس قولُ أحد من أهل اللغة، قال أهل اللغة كلُّهم: المعنى: ﴿لَوْلا فضل اللَّه عَلَيْكُمُ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إلَّا قليلاً﴾ إنما هو استثناءَ من قوله ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾إلَّا قليلاً، وقال النحويون: المعنى أذاعوا به إلا قليلاً، وقالوا أن يكون الاستثناءَ من أذاعوا به إلا قليلاً أجود[٢]، لأن مَا عُلِمَ بالاستنباط فليس[٣] الأكثر يعرفه، إنما يستنبط القليل، لأن الفضائل والاستنباط، والاستخراج في القليل من الناس. وهذا في هذا الموضع غلط من النحويين، لأن هذا الاستنباط ليس بشيء يستخرج بنظر وتفكُّر، إنما هو استنباط خبر، فالأكثر يعرف الخبر، إذا خُبِرَ به، وإنما القليل المبالِغُ في البلادة لا يَعْلَمُ ما يُخْبرُ بِه، والقول الأول مع هذين القولين جائزة كلها[٤]. واللَّه أعلم.

لأن القرآن قبل أن ينزل والنبي قبل أن يبعث قد كان في الناس القليلُ ممن لم يشاهد القرآن ولا النبيّ ﷺ مؤمناً. وقد يجوز أن يقول القائل إنَّ من كان قبل هذا مؤمناً فبفضل اللَّه وبرحمته آمَنَ، فالفضل والرحمة لا يخلو منهما من نال ثواب اللَّه جلّ وعزّ إلا أن المقصود به في هذا الموضع النبيُّ ﷺ والقرآن.

وقوله جلّ وعزّ ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ الله لا تُكلَّفُ إلَّا نَفْسَكَ﴾.

هذه الفاءَ جواب قوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيل اللَّهِ فَيُقْتَلْ أو

---

(١) لانحرف بكم الشيطان انحرافاً يكاد يكون كاملاً، أو لانحرف بكم جميعاً إلا قليلاً منكم.

(٢) تفسير لنوع اتباعهم الشيطان ـ فعلى الأول سببه اتباع من لا قدرة له على الاستنباط، وفي الثاني سببه الإذاعة بهذا الأمر. وكونه استثناء من ﴿الذين يستنبطونه﴾ أو أذاعوا به بعيد.

(٣) الفاء واقعة في خبر الاسم الموصول كما سبق كثيراً.

(٤) أي هذه الأقوال الثلاثة جائزة.

يَغْلِبْ فَسَوفَ نُؤْتِيه أَجراً عظيماً﴾، ﴿فقَاتِلْ في سبِيل الله﴾(١).

ويجوز أن يكون متصلاً بقوله: ﴿وما لكم لا تقاتلون في سَبِيل اللَّهِ﴾أي أيُّ شيءٍ لكم في ترك القتال ﴿فقاتل في سبيل الله﴾. فأمره اللَّه بالقتال ولو أنه قاتل وحده، لأنه قد ضمن له النصر.

ويروى عن أبي بكر رحمه اللَّه أنه قال في الردَّةِ، لو خالفتني يميني جاهدتها بشمالي.

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أن يَكُفَ بأس الَّذِينَ كَفرُوا، واللَّهُ أَشَدُ بُأْساً وأَشَدُ تَنْكيلاً﴾.

البأس الشدة في كل شيءٍ.

وقوله: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا، وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَة يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾.

الكفل في اللغة النصيب، أُخِذَ من قولهم أكفَلْتَ البعيرَ إذا أَدَرْتَ على سِنَامه أو على موضع من ظهره كساءً، وركبت عليه وإنما قيل له كفْل، واكْتُفِلَ البَعِيرُ؛ لأنه لم يُسْتَعْمَلْ الظَّهْرَ كله، إنما اسْتُعْمِل نَصيب من الظهر، ولم يستعمل كله.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾.

قال بعضهم: المقيت القدير، وقال بعضهم: المقيت الحفيظ، وهو عندي - واللَّه أعلم - بالحفيظ أشبه، لأنه من القُوتِ مشْتَقٌّ، يقال: قُتَّ الرَّجلَ أَقُوتُهُ قوتاً إذا حفظتُ عليه نفسه بما يقوته. والقوتُ اسم ذلك الشيء الذي يحفظ نفسه، ولا فضل فيه على قدرة الحِفْظ، فمعنى المقيت - واللَّه أعلم - الحفيظ الذي يعطي الشيءَ قدر الحاجة من الحفظ قال الشاعر:(٢)

(١) جواب الشرط مذكور في «فسوق» والفاء في «فقاتِلْ» تفريعية، إذا كان الأمر كذلك فقاتل.

(٢) هو السموأل بن عادياء صاحب الحصن، له قصص تروى في الوفاء، وقد جاء البيت مرتين في

أَلِـيَ الـفـضْـلُ أَمْ عَـلَى إذا حُوسِبتُ إني عَلى الحِسَابِ مُقِيتُ

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾.

قال النحويون: «أَحسن» ههنا صفة لا تنصرف لأنـه على وزن أَفْعَل وهـو صفة.

والمعنى فحيـوا بتحيـة أَحسن منهـا، وقيـل في التفسير: التحيـة ههنـا السـلام، وهي تفعله ـ من حيَّيْتُ، ومعنى حيّـوا بـأَحْسَن منهـا: إذا قيـل لكم «السلام عليكم» فقولوا: «وعليكم السلام ورحمة الله»، فالتحيـة التي هي أَحسن منهـا، [هي] «وعليكم السلام ورحمـة اللّه وبركاته»، ويقـال لكل شيء منتهىً، ومنتهى السَّلام [كلمة] وبركاته.

ويروى أَنَّ دَاخِلاً دخـل إلى النبي ﷺ فقال: السـلام عليكم ورحمة اللّه وبـركاتـه، فقال النبي ﷺ وعليـك، ودخـل آخـر فقـال: السـلام عليكم فقـال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة اللّه، ودخل رجل آخر فقال: السـلام عليكم ورحمة اللّه، فقال النبي ﷺ وعليكم السلام ورحمة اللّه وبركاتـه فقام الـداخل الأول فقـال: يا رسـول اللّه سلمت فلم تَـزِدْ على «وعليـك» وقـام هـذا فقـال السلام عليكم فزدته، وقام هذا فقال: السلام عليكم ورحمة اللّه فزدته، فقـال النبي ﷺ: إنك لم تترك من السلام شيئاً، فرددت عليك، وهذان تركا منه شيئاً فزدتهما.

وهذا دليل أَنّ أَخر ما في السُّنة من السّلام [كلمة] وبركاته.

القـرطبي، واحـدة في حـ ٥ ـ ٢٩٦، ومـع بيت آخـر قبله في ١ ـ ١٢٩، والعيني ٤ ـ ٣٣٢ واللسان (قوت) ومجاز أبي عبيدة في الآية نفسها، والبيت السابق هو:

لـيـت شـعـري وأشـعـرن إذا مـا قـربـوهـا مـطويـة ودعـيـت

أي إذا قربوا لي صحيفة أعمالي هل أثاب أم أعاقب، اني في هذا الوقت مدرك كل ما فعلت. ويروى البيت برواية أخرى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾.

أي يعطي كلَّ شيءٍ من العلم والحفظ والجزاءَ مقدار ما يحسبه، أي يكفيه، تقول حسبك بهذا أي اكتف بهذا، وقوله تعالى: ﴿عَطاءً حِساباً﴾[1] أي كافياً، وإنما سُمِّيَ الحساب في المعاملات حساباً لأنه يعلم ما فيه كفاية ليس فيها زيادةٍ على المقدار ولا نقصان.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

هذه لام القسم كقولك: واللَّه ليجمعنكم، ومعنى القيامة في اللغة - والله أعلم - على ضربين، جائز أن تكون سميت القيامة لأن الناس يقومون من قبورهم، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ كأنَّهُم جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾[2]، وجائز أن تكون سُمّيتْ القيامةَ لأن الناس يقومون للحساب، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يومَ يَقُومُ الناسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾[3].

ومعنى ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ - واللَّه أعلم - أي يجمعكم في الموت وفي قبوركم، وقوله: ﴿فَمَالَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَين﴾.

هذا خطاب للمسلمين، وذلك أن قوماً من المنافقين قالوا للنبي ﷺ قد اجتوينا[4] المدينة، فلو أذنت لنا فخرجنا إلى البدو، فلما خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلةً مرحلةً حتى لحقوا بالمشركين، فقال قوم من المسلمين هم كفّار هم كفار، وقال قوم: هُم مُسلِمُونَ حتى نعلم أنهم بدَّلوا، فأمر اللَّه بأن يتفق المسلمون على تكفير من احتال على النبي ﷺ وخالفه فقال - عزّوجلّ -: ﴿فَمَالَكُم فِي المُنَافِقين فِئَتَيْنِ﴾.

---

(١) سورة عم يتساءلون - ٣٦.

(٢) سورة القمر - ٧.

(٣) سورة المطففين - ٦.

(٤) سئمناها ومللنا جوها.

أي أيّ شيء لكم في الاختلاف في أمرهم ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾.

وتأويل «أركسهم» في اللغة نَكَّسَهُمْ وردَّهم، يقال أَرْكَسه ورَكَسَهُ.

ومعنى ﴿وَاللهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا﴾ أي ردَّهم إلى حُكم الكفار.

وقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾.

أي أتقولون إن هؤُلاءِ مهتدون واللّه قد أَضَلَّهم.

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾.

أي طريقاً إلى الحجة، وقال النحويّون في نصب «فئتين» إنها منصوبة على الحال، وقال سيبويه: إذا قلت مالك قائماً فإنَّما معناه لِمَ قُمْتَ ونصب على تأويل أي شيء يستقر لك في هذه الحال، قال غيره إن «قائماً» ههنا منصوبٌ على جهة فِعل «مَالَ»[1] ويجيز مالك قائماً، ومالك القائمَ يا هذا، ومالك القائمَ خطأً، لأن القائم معرفة فلا يجوز أن تقع حالا، و«ما» حرف من حروف الاستفهام لا تعمل عمل كان، ولو جاز مَالَك القَائِمَ يا هذا، جاز أن يقول ما عندكَ القائمَ، وما بِكَ القَائِمَ، وبالإجماع أن ما عندك القائمَ خطأً، فمالك القائمَ مثله لا فرق في ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فلا تَتخِذُوا مِنْهُم أولِيَاءَ حَتى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي لا تتخذوا من هؤُلاءِ الذين احتالوا على النبي ﷺ حتى فارقوه أولياءَ، أي لا تقولوا انهم مؤمنون حتى يهاجروا في سبيل اللّه، أي حتى يرجعوا إلى النبي ﷺ.

وقوله: ﴿فَإِنْ تَولَّوْا﴾:

أي تولوا عن أن يهاجروا، ولزموا الإقامة على ما هم عليه ﴿فخذوهُم واقْتُلُوهُم حَيْثُ وَجدتُمُوهُم، ولاَ تَتَّخِذُوا مِنْهُم ولِيًّا ولاَ نَصِيراً﴾.

---

(١) أي ما هو بمعناه ـ وينحل إلى معنى أي شيء حدث لك.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُون إِلَى قَومٍ بَينَكُم وَبَينَهُم مِيثَاقٌ﴾.

أي فاقتلوهم إلا من اتصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق.

ويروى أن هؤلاءِ اتصلوا ببني مُدْلج وكانوا صلحاً[1] للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَوْجَاءُوكُم حَصِرَتْ صُدُورُهُم أَنْ يُقَاتِلُوكُم أَو يُقَاتِلوا قَوْمَهُمْ﴾.

معناه ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم، وقال النحويُّون إنَّ ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُم﴾ معناه أوجاءُوكم قد حَصِرَت صُدورُهم، لأن حَصِرَتْ لا يَكونُ حالاً إلا بقد، وقال بعضهم حصرت صدورهم خبر بعد خبر[2]، كأنه قال: أوجاءُوكم، ثم أَخبرَ فقال: ﴿حَصِرتْ صُدُورُهُم أَن يُقاتلوكم﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ولو شاءَ اللَّهُ لسلَّطَهم عليكم فَلَقَاتَلُوكُم﴾ أي ضيقَ صُدورِهم عن قتالكم إنما هو لقذف اللَّه الرعبَ في صدورهم، وقرأ بعضهم «حصِرةً صُدُورُهُم» على الحال.

وقوله جل وعزّ: ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُم وَيَأْمَنوا قَوْمَهُمْ﴾.

ستجدون من يظهر لكم الصلح ليأمنكم، وإذا سنحت فتنة كانوا[3] مع أَهلها عليكم.

وقوله: ﴿كُلَّما رُدُّوا إلى الفِتْنَةِ أُركِسُوا فيها﴾.

أي انتكسوا عن عهدهم الذي عقدوه.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَم يعتَزِلُوكُم﴾.

أي فإن لم يعتزلوا قتالكم ولم يعاونوا عليكم[4].

---

(١) كان بنو مدلج صلحاً للنبي ـ فكان بينهم وبين المؤمنين ميثاق ـ فلا يستحق الذين لحقوا بهم أن يقتلوا.

(٢) أي جملة خبرية مستقلة وليست حالاً.

(٣) ب ـ كانت.

(٤) ولم يتركوا المعاونة عليكم.

﴿ويُلْقوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ .

أي المقادة والاستسلام .

﴿وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهم﴾[أي] عن الحرب .

﴿فَخُذُوهُم واقْتُلوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُموهُم وَأُولَئِكُم جَعَلْنَا لكمْ عليهمْ سُلطاناً مُبيناً﴾ .

أي حجة بَيِنَةً بأنهم غَدَرَةٌ[1]، لا يَفُونَ بما يفارقونكم عليه[2] من الهدنة والصلح .

وقوله :﴿وَمَا كانَ لِمؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مؤْمناً إلا خَطَأً﴾ .

المعنى ما كان لمؤمن البتّة . و«إلّا خطأً» استثناءٌ ليس من الأول[3] .

المعنى إلا أن يخطئ المؤمن فكفَّارةُ خَطئِه ما ذكر بَعْدُ .

وقال بعض أهل العلم : ﴿ما كان لمؤْمنٍ أن يَقْتُلَ مؤْمناً إلَّا خَطَأً﴾ على معنى أن دم المسلم إنما يصفح عن أن يؤخذ به القَاتِلُ في الخطأ فقد عفى له عن قتل الخطأ، إلا أن اللَّه جلّ ثناؤه فرض في كتابه على القاتل خطأً تحريرَ رقبة وديةً مسلمةً إلى أولياء المقتول، وبيَّن رسول اللَّه ﷺ دية الخطأ على العاقِلة[4]، وعلى القاتل أن يؤدّي في ذلك لقوله عزّ وجلّ : ﴿فَمَنْ لَم يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْن مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ .

ويحتمل أن يكون الصِّيَامُ بدَلاً مَن الرقَبةِ وبدلاً مما ينبغي أن يؤدّى في الدّيةِ . فَإِنْ قتَل المُؤْمِنُ خَطَأً رَجُلاً مُؤْمِناً من قَوْمٍ كفَرةً فعليه تحرير رقبة، ولا

---

(١) جمع غادر .

(٢) بما يفارقونكم وهم متفقون عليه .

(٣) استثناء منقطع .

(٤) عاقلة الرجل أقاربه الذين يشاركونه في دفع الدية وعقل الجناية .

مال للكفار الـذين هم حَربٌ، لأن الـدية في الخـطأ إنما جعلت ـ واللَّه أعلم ـ لِيحَـذَرَ الناسُ حـذراً شديـداً من أن يخطئـوا خـطأ يُؤدّي إلى القَتْـل، لتَـذْهَبَ الضَّغَائنُ بينهُمْ. .

﴿وَإِنْ كَـانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَـاقٌ فَدِيَـةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْـرِيرُ رَقَبَةٍ مؤمِنَةٍ﴾.

وإن كان من قوم بينهم وبين المسلمين عَهْـدٌ فتحريـر رقبة وتسليم الـدِّيةِ إلى ذوي الميثاق لئلا تقع ضغينة بين أهل الميثاق والمؤمنين.

ونَصْبُ ﴿تَوْبةً مِنَ اللَّهِ﴾ على[1] جهةِ نصب «فعلْتُ ذلك حذار الشّرّ» المعنى فعليه صيامُ شهرين وعليه دية إِذَا وَجَدَ توبةً من اللَّه[2]، أي فعل ذلك تـوبة من اللَّه.

فـأما قتـل النفس فجزاؤه كمـا قال اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ النَّفْس بـالنَّفْس في الدّنيا، وفي الآخرة جهنم:

قـال اللَّه جلّ وعـزّ: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمّداً فَجَـزاؤُهُ جَهنّم خَالـداً فيها وغَضِبَ اللَّه عَليهْ وَلَعَنَهُ وَأَعدّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾.

وهذا وعيد شديد في القتل حظَرَ اللَّه عزّ وجلّ به الدّماءَ.

وقوله: ﴿يأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيل اللَّه فَتَبيَّنُوا﴾.

و﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ بالثاء والتاء.

ومعنى ضربتم سِرْتم فِي الأرض وغزوتُم.

وقوله: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾.

---

(١) في الأصل لا جهة نصب والآية هي: ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتـابعين توبـة من اللَّه وكان اللَّه عليماً حكيماً﴾.

(٢) أي هي مفعول لأجله، وأولى أن تكون مفعولاً مطلقاً.

قرئت السلام بالألف، وقرئت السَّلَمَ. فأما السلام فيجوز أن يكون من التسليم، ويجوز أن يكون بمعنى السِّلْمِ، وهو الاستسلام، والقاءَ المقادة إلى إرادَةِ المسلمين.

ويروى في التفسير أن سبب هذا أن رجلًا انحاز وأظهر الإسلام فقتله رجل من المسلمين وأخذ سَلَبَه[1]. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن حقّ من ألقى السَّلَمَ أن يُتَبين أَمْرُه.

ومن قرأ «فتثبتوا» فحقه[2] أن يُتَثَبّتَ في أمره، وأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن كل من أسلم مِمَّن كان كافِراً فبمنزلة الذي تعوَّذ بالإسلام، فقال عزّ وجلّ:

﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَليكُمْ﴾.

أي مَنَّ عليكم بالإسلام، وبأن قبل ذلك منكم على ما أَظْهَرْتُمْ ثم كرر الأمر بالتبيين فقال عزّ وجلّ:

﴿فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّه كَانَ بِمَا تعمَلُونَ خبيراً﴾.

﴿لَا يَستَوي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضَّرَرِ، والمُجَاهِدُونَ في سَبِيل اللَّه بأَموَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

قرئت ﴿غيرُ أولي الضرر﴾ بالرفع وغيْرَ بالنصب، فأما الرّفع فمن جهتين، إحداهما أن يكون «غير» صفةً للقاعدين، وإن كان أصلها أن تكون صِفةً للنكرة. المعنى لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولى الضرر، أي لا يستوي القاعدون الأَصحاءُ والمجاهدون وإن كانوا كلهم مؤْمنين، ويجوز أن يكون «غير» رفعاً على جهة الاستثناء. المعنى لا يستوي القاعدون والمجاهدونَ إلَّا

(١) الذي انحاز وأسلم هو مرداس بن نهيك من أهل فدك، ولم يكن أسلم من قومه غيره، لهذا هربوا وبقي وكبر وأعلن الشهادة، فلم يصدقه المسلمون، وقتله أسامة بن زيد.

(٢) فالتقدير فيه ذلك.

أولــو الضّرر، فـإنهم يساوونَ المجاهـدين، لأن الـذي أقعـدهم عن الجهـاد الضرر، والضرر أن يكون ضريراً أو أعمى أو زَمِناً أو مريضاً.

ويـروى أن ابن أمّ مكتوم قـالِ للنبي ﷺ أَعَلَيَّ جهـادٌ، فقـال النبي ﷺ: ﴿انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً﴾[1]، فإما أن تكـون من الخِفَافِ أو من الثقـال فأنـزل اللّه: ﴿لَيسَ عَلَى الأَعمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المرِيضِ حرَجٌ﴾[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَضَّل اللَّهُ المُجَاهِدينَ بأَمـوَالِهِم وَأَنفُسِهم عَلى القَاعِـدِينَ دَرجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الحُسنَى﴾.

أي وَعَدَ الجنّة.

﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ المُجَاهِدينَ عَلى القَاعِدين أَجراً عَظِيماً﴾.

ويجوز أن يكون ﴿غير أولي الضرر﴾ نصباً على الاستثناء من ﴿القاعدين﴾، المعنى: لا يستوي القاعدون إلاَّ أُولي الضرر على أصـل الاستثناءَ النّصْبُ، ويجـوز أن يكـون «غَيْر» منصـوباً على الحـال، المعنى: لا يستـوي القـاعـدون في حـال صحتهم والمجاهدون، كما تقول: جـاءَني زيد غيـرَ مريض، أي جـاءَني زيد صحيحاً. ويجوز جَرُّ «غيرِ» على الصفـة للمؤمنين، أي لا يستوي القـاعدون من المؤْمنين الأَصحـاءِ والمجاهـدونَ. أما الـرفعُ والنصبُ فـالقـراءَة بهمـا كثيـرة، والجرُّ وجهٌ جيّدٌ إلا أنّ أهل الأمصَار لَم يقرأوا بـه وإن كان وجهـاً، لأن القراءَة سنة متبعة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿دَرَجَاتٍ منه وَمَغْفِرَةً وَرَحمَةً﴾.

«درجات» في موضع نصب بدلاً من قوله.. أَجْـراً عظيمـاً..، وهو مُفسّـر للآخر، المعنى فَضَّل اللّه المجاهدين درجاتٍ ومغفرةً ورحمةً. وجائز أن يكون

(١) من سورة التوبة آية ٤١.

(٢) سورة الفتح آية ١٧.

منصوباً على التوكيد لأجراً عظيماً، لأن الأَجر العظيم هو رفع الدرجات من اللَّه جلّ وعزّ والمغفرة والرحمة، كما تقول لك على أَلف درهم، لأن قولك على أَلف درهم هو اعتراف فكأنك قلت أعرِفْها عُرفاً، وكأنه قيل: غفر اللَّه لهُمْ مغفرة، وأَجرهم أجراً عظيماً، لأن قوله أَجراً عظيماً فيه معنى غَفر ورَحِمَ وفَضَّل.

ويجوز الرفع في قوله ﴿درجاتٍ منه ومغفرةً ورحمةً﴾، ولو قيل «دَرَجَاتٌ منه ومغفرة ورحمة» كان جائز جائزاً على إضمار تلك درجات منه ومغفرة كما قال جلّ ثناؤه: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً من نَهَارٍ بَلاغٌ﴾[١] أي ذلك بلاغ.

وقوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ المَلاَئِكَةُ ظَالِمي أَنْفُسِهِمْ﴾.

يُعنَى [به] المشركون الذين تخلفوا عن الهجرة إلى النبي ﷺ.

فـ﴿توفاهم﴾ إن شئت كان لفظه ماضياً على معنى إن الذين توفتهم الملائكة وذُكِّرَ الفعلُ لأنه فعل جميع[٢]، ويجوز أن يكون على معنى الاستقبال على معنى أن الذين تتوفاهم الملائكة، وحذفت التاءُ الثانية لاجتماع تاءَيْن، وقد شرحنا ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب.

وقوله: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾: نصب على الحال، المعنى تتوفاهم في حال ظلمهم أَنْفُسَهُم، والأَصل ظالمين أَنْفُسَهُم إلا أن النون حذفت استخفافاً، والمعنى معنى ثبوتها، كما قال جلّ وعزّ: ﴿هَدْياً بَالِغَ الكَعْبَةِ﴾[٣]، والمعنى معنى ثبوت التنوين. معنى بَالِغاً الكعبةَ.

وقوله: [قَالُوا]﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾.

---

(١) سورة الأحقاف ٣٥.

(٢) الملائكة جمع يجوز تأنيث الفعل و[illegible]كير[illegible] معه.

(٣) سورة المائدة ـ ٩٥ ـ والأصل بالغاً [illegible]عبة.

هذه الواو للملائكة [أيْ] قال الملائكة للمشركين فيم كنتم أي أكنتم في المشركين أم في أصحاب محمد ﷺ. وهذا سؤال توبيخ قد مر نظراؤه مما قد استقصينا شرحه.

وقوله: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

فأعلم اللَّه أنهم كانوا مستضعفين (عن)[1] الهجرة. فقالت لهم الملائكة:

﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالوِلْدَانِ﴾.

﴿المستضعفين﴾ نصب على الاستثناءِ من قوله: ﴿مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ... إلا المستضعفين﴾، أي إلا مَنْ صَدَق أنه مستضعَف غيرُ مستطيع حيلةً ولا مهتدٍ سَبيلاً، فأعلم اللَّه أن هؤلاءِ راجون العَفوَ، كما يرجو المؤْمِنُونَ فقال:

﴿فَأُولئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾:

و«عسى» ترج، وما أمر اللَّه به أن يرجَّى مِن رحمته فبمنزلة الواقع كذلك الظن بأَرْحِم الراحمين.

وقوله: ﴿وَكَانَ اللهُ عَفُوّاً غَفُوراً﴾.

تأْويل «كان» في هذا الموضع قد اختلف فيه الناس، فقال الحسن البصري: كان غفوراً لعباده، وعن عباده قبل أن يخلقهم، وقال النحويون البصريون: كأن القوم شاهدوا من اللَّه رحمة فأعلموا أن ذلك ليس بحادثٍ[2]، وأن اللَّه لم يزل كذلك، وقال قوم من النحويين:.. «كان»

---

(١) ليست في ط.

(٢) أي إن رحمته أسبق من ذلك، وعلى هذا «فكان» على معناها

و «فعَلَ» من اللّه بمنزلة ما في الحال، فالمعنى ـ واللّه أعلم ـ واللّه عُفوّ غفور.

والذي قاله الحسن وغيره أُدخل في اللغة، وأشبه بكلام العرب، وأما القول الثالث فمعناه يُؤول إلى ما قاله الحسن وسيبويه، إلا أن يكون الماضي بمعنى الحال يقِلُّ. وصاحب هذا القول له من الحجة قولنا «غفر اللَّه لفُلاَنٍ» بمعنى ليغفر اللَّه له فلما كان في الحال دليل على الاستقبال وقع الماضي مؤدياً عنها استخفافاً، لأن اختلاف ألفاظ الأفعال إنما وقع لاختلاف الأوقات، فإذا أُعْلِمت الأحوال والأوقات استُغني بلفظ بعض الأفعال عن لفظ بعض، الدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1] وقوله: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً﴾[2] معناه من يَتُبْ ومن يجئ بالحسنة يعط عشر أمثالها.

وقوله: ﴿وَمَنْ يهَاجِر فِي سَبيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كثيراً وَسَعةً﴾.

معنى مراغم معنى مُهاجَر، المعنى يجد في الأرض مُهاجراً، لأن المهاجر لقومه والمراغم بمنزلة واحدة، وأن اختلف اللفظان وقال الشاعر:[3]

إلى بلد غير دانــي المحل   بعيد المُراغَمِ وَالمُضْطَرَب

وقيل المراغَم ههنا المضطرب، وليس المراغم ههنا إلا المضطرب في حال هجرة، وإن كان مشتقاً من الرغام، والرَّغام التُّراب وتأُويل قولك رَاغَمْتُ

---

(١) الأنعام ـ ١٦٠.

(٢) الفرقان ـ ٧١.

(٣) المراغم والمضطرب اسما مكان، أي بلد ناء، وإقامة بعيدة والرحيل إليه طويل. انظر اللسان (رغم) وأنشد ابن الأعرابي للجعدي:

كطود يلاذ بأركانه   بعيد المراغم والمهرب

والثاني من شواهد الكشاف. ولم أقف على قائل البيت الأول.

فُلاناً أي هجرته وَعَاديته، ولم أُبالِ رَغْمَ أَنْفِهِ، أي وإن لصق أنفه بالتراب، والرَّغام والرُّغامُ ما يسيل من الأَنف، والأَنف يوصف بالرَّغم فيضرب مثلاً لكل ذليل فيقال على رَغْم أَنفه.

وقوله: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾.

هذه الهاءُ والميم يعودان على المؤْمنين. أي وإذا كنت أيها النبي في المؤْمنين في غزواتهم وخوفهم.

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا﴾.

أي فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك.

﴿فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهم﴾.

جائز أن يكون - والله أعلم - ولتأْخذ الجماعة حِذْرَهم وأَسْلحتهُم. ويجوز أن يكون الذين هم وُجَاه[1] العَدُو يأْخذون أَسلحَتْهم، لأَن من في الصلاة غير مقاتل، وجائز أَن تكون الجماعة أُمرت بحمل السلاح وإن كان بعضُها لا يقاتل لأَنه أَرْهَب للعَدوِّ وأَحرى أَلَّا يقدم علَى الحذِرين المتيقظين المتأَهبين للحربِ في كل حال.

وقد اختلف الناس في صلاة الخوف فزعم مالك بن أَنس أَن أَحب ما رُوي فيها إليه أَن النبي ﷺ قام يصلي وقامت خلفه طائفة من المؤْمنين وطائفة وُجَاهَ العَدوِّ، فصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وقام فأَتمت الطائفة بركعة أُخْرى وسلَّمت، وهو ﷺ واقف، ثم انصرفت وقامت وجاه العدو، والنبيُّ ﷺ واقف

---

(١) وجاه أي تجاه وهو الأصل في التعبير لأنه من وجه، وجعلت الواو تاء.

في الصلاة، وأتت الطائفة التي كانت وجاه العدو، فَصَلَّى بِهِمْ ركعة ثانيـة له، وهِي الأُولى لهذه الطائفة الأُخرى ـ وجلس النبي ﷺ وقاموا فصلوا ركعـة ثانيـة وحدهم وهو ﷺ قاعد، وقعدوا في الثانيـة فسلم وسلمُوا بتسليمـه، فصلت كل طائفة منهم ركعتين، وصَلَى النبي ﷺ ركعتين.

وقال مالك: هذا أَحب ما روي في صلاة الخوف إليَّ.

وأمـا أَسلحة فجمـع سلاح مثـل حمار وأَحمـرة. وسلاح اسم لجملة مـا يدفع الناس به عن أَنفسهم في الحروب مما يقاتل به خاصَّـة، لا يقال للدواب وما أَشبهها سلاح.

فأَما ولْيأْخذوا[1] فالقراءَة على سكون اللام ـ. وَلْيَأْخُذُوا» و «ولِيَـأْخُذُوا» هو الأَصل بالكسر[2] إلا أَن الكسر استثقل فيُحْذفُ استخفافاً.

وحكى الفراءُ أَن لام الأَمر قـد فتحها بعض العـرب في قولـك ليجلِس، فقـالوا لنجْلِسْ ففتحـوا، وهذا خـطأٌ. لا يجوز فتـح لام الأَمر لئـلا تشبـه لام التوكيد.

وقـد حكى بعض البصريين فتـح لام الجر نحـو قولـك: المـالُ لِـزَيْـدٍ، تقول: المال لَزَيدٍ وهذه الحكاية في الشذوذ كالأُولى، لأَن الإِجماع والروايات الصحيحـة كسر لام الجـر ولام الأَمر، ولا يلتفت إلى الشـذوذ، خاصـة إذا لم يروه النحويُّون القُدَمَاءُ الذين هم أَصـل الروايـة، وجميع من ذكـرنا من الـذين روَوا هذا الشاذ عندنا صادقون في الرواية، إلا أَن الذي سمع منهم مخطئٌ.

وقوله: ﴿لَا جُنَاحُ عَلَيْكُمْ﴾.

---

(١) في الأصول فليأخذوا؛ وآثرنا النص القرآني.

(٢) ب. على سكون اللام والأصل فليأخذوا بكسر اللام إلا أن الكسر ألخ.

الجناح الإثم، وتأويله من جنحت إذا عدَلْتُ عن المكان أي أخَذْتُ جانباً عن القَصْـد، فتأويـل لا جناح عليكم أي لا تَعـدلـون[1] عن الحق إن وضَعَتم أسْلِحتكم ﴿إن كَانَ بكُم أَذًى مِن مَطَرٍ﴾.

و«أذى» مقصورة، تقول أذى يأذى أذًى، مثل فزِعَ يفزعُ فزَعاً. وموضع ﴿أن تضعوا﴾ نصْبٌ. أي لا إثم عليكم في أن تضعوا، فلما سقطت «في» عمل ما قبل «أنْ» فيها، ويجوز أن يكون مَوْضعُها جرًّا بمعنى في.

وقوله: ﴿فإذَا قضيتم الصَّلاَةَ﴾.

يعني به[2] صلاة الخوف هذه.

﴿فَاذْكرُوا اللَّه قِيَاماً وَقُعُوداً﴾.

أي أذكروه بتوحيده وشكره وتسبيحه، وكل ما يمكن أن يتقرب به منه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فإذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾.

أي إذا سكنت قلوبكم، ويقال اطمأن الشيء إذا سكن وطَامنْتُه وطَمـأنته إذا سكنته، وقد روي «اطبأن» بالباء ولكن لا تقرأ بها لأن المصحف لا يخالف البتة.

وقوله: ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾.

أي فـأتمـوا، لأنهم جُعِـلَ لهم في الخـوف قصـرهـا، وأمـروا في الأمن بإتمامها.

وقوله: ﴿إنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى المؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾.

أي مفروضاً مؤقتاً فرضه:

---

(١) في الأصل لا تعدلوا.والرفع على تقدير شانكم أنكم لا تعدلون.

(٢) أي بهذا القول.

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابتغَاءِ القَوْمِ﴾.

هذا خطاب للمؤْمنين، والقوم ههنا الكفار الذين هم حربُ المؤْمنين.

وتأْويل: «لا تهِنُوا» فِي اللغة لا تضعفوا، يقال وَهَن الرجل يهِنُ إذَا ضعف فهو وهِنٌ. ومعنى ابتغاءِ القوم: طلب القوم بالحرب.

وقوله: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَألمونَ فَإِنَّهُمْ﴾.

أي إن تكونوا توجَعُون فإنهم يجدون من الوجع بما يَنَالَهم من الجراح والتَعَبَ كما تجدون، وأَنتم مع ذلك ﴿تَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يرجُونَ﴾.

أي أَنتم ترجون النصر الذي وعدكم اللَّه به، وإظهار دينكم على سائر أَديانِ أَهل الملل المخالفة لأَهل الإسلام وترجُونَ مع ذلك الجنة، وهم - أَعني المشركينَ - لا يرجون الجنة لأَنهم كانوا غير مقرين بالبعث فأَنتم ترجون من اللَّه ما لا يرجون.

قال بعض أَهل التفسير: معنى «ترجون» ههنا تَخَافُون، وأَجمَعَ أَهل اللغة الموثوق بعلمهم: أن الرجاءَ ههنا على معنى الأَمل لا على تصريح الخوف، وقال بعضهم: الرجاءُ لا يكون بمعنى الخوف إلا مع الجحدِ، قال الشاعر[1].

لا ترتجي حين تلاقي الذائدا أَسبعةً لاقَتْ مَعاً أَم وَاحِدا

معناه لا تخاف، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾[2] أَي لا تخافون للَّه عظمة ولا عظَةً.

وإنما اشتمل الرجاءُ على معنى الخوف لأَن الرجاءَ أَمَلٌ قد يخاف أَلا يَتِمَّ.

---

(١) غير معروف، والبيت في معاني الفراء ١ - ٢٨٦.

(٢) سورة نوح آية: ١٣.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ﴾: أي بالحق الذي أَعْلَمَكَهُ اللّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾: أي لا تكن مخاصماً ولا دَافِعاً عن خَائِنٍ.

ويروى أن رجلا من الأنصار كان يقال له أبو طُعْمة أو طِعْمة سرق درعاً وجعله في غِرارَةِ دقيق، وكان فيها خَرْقٌ، فانتثر الدقيق من مكان سرقته[1] إلى منزله فظُنَّ بِهِ أنه سارق الدرع وحيص[2] في أمره، فمضى بالدِّرع إلى رجل من اليهود فأودعها إياه ثم صار إلى قومه فأعلمه أنه لما إتهم بالدّرع اتبع أثرها فعلم أنها عند اليهودِيّ، وأن اليهودي سارقها، فجاءَ قومه أي طُعْمة أو طِعْمة إلى النبي ﷺ فسألوه أن يَعْذِرَهُ عند الناس، وأعلموه أن اليهودي صاحب الدرع، وكان بعضهم قد علم أنّ أبَا طِعْمَةَ قد رمَى اليهوديَّ وهو بريءٌ من الدرع، فَهَمَّ النبي ﷺ أن يَعْذِرَهُ، فأوحى اللّه إليه وعرفه قصته أي طعمه وأعلمه أنّه خائن، ونهاه أن يحتج له، وأمره بالاستغفار مما هم به، وأن يحكم بما أنزل اللّه في كتابه، فقال:

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.

يعني أبا طعمة ومن عاونه من قومه، وهم يعلمون أنه سارق. ويروى أن أبا طعمة هذا هرب إلى مكة وارتد عن الإسلام، وأنه نقب حائطاً بمكة ليسرق أهله فسقط الحائط عليه فقتله.

وقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرضَى مِنَ القَولِ﴾.

كل ما فُكِّرَ فِيه أو خِيض[3] فيه بليل فقد بُيِّتَ.

(١) في الأصل من مكان سرقه، ويصح على الإضافة، وسرق مصدر.

(٢) حيص في أمره: اضطرب فيه، بعض برأه وبعض اتهمه.

(٣) من خاض في الأمر يخوض. والأمر مخوض فيه.

يعني به هذا السارق، والذي بُيِّتَ من القوم أن قال: أرمِي اليهودِي بأنه سارق الدرع، وأحلِفُ أني لم أسرقها، فتُقْبل يميني لأني على ديني، ولا تقبل يمين اليهودي. فهذا ما بيَّتَ من القول والله أعلم.

وقوله: ﴿هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني به من احتج عن هذا السارق.

﴿فَمَنْ يُجادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَومَ القيامةِ﴾.

أي في اليوم الذي يؤخذ فيه بالحقائق، وأمر الدُّنيا يَقومُ بالشهادات في الحقوق. ، وجائز أن تكون الشهادة غير حقيقة، فكأنه - واللَّه أعلم - قيل لهم إن يقم الجدال في الدنيا والتغييب عن أمر هذا السارق، فيوم القيامة لا ينفع فيه جدال ولا شهادة.

ومعنى قوله «هَا أَنْتُمْ» ها للتنبيه، وأُعيدت في أولاءِ. والمعنى - واللَّه أعلم - ها أنتم الذين جادلتم، لأن «هؤلاءِ» و «هذا» يكونان في الإشارة للمخاطبين بمنزلة الذين، نحو قول الشاعر:

وهذا تحملين طليق[1]

أي والذي تحملينه طليق.

وأصل المجادلة والجدال في اللغة شدة المخاصمة، والجدْلُ شدةُ القَتْل، ورَجُل مجدول، أي كأنه قد قُتِلَ، والأجدَلُ الصقرُ، يقال له أجدَلُ لأنه من أشد الطيور قوةً. .

وأعلم الله -جلّ وعزّ- أن التوبة مبذولة في كل ذنب دُونَ الشرك فقال جلّ ثناؤه.

---

(١) تقدم هذا الشاهد ص ٢٨٨ ج ١.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أو يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُوراً رَحيماً﴾.

أي يسأله المغفرة مع إقلاعٍ، لأنه إذا كان مقيماً على الإصرار فليس بتائب.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إثْماً فإنَّما يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِه﴾.

ولا يُؤْخَذُ الإثم بالإثم.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبِ خَطِيئَةً أو إثماً ثمَّ يَرمِ به بَريئاً﴾.

قيل «إثماً» لأن اللَّه قد سَمَّى بعضَ المعاصي خطايا، وسمى بَعْضَهَا آثاماً، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن من كسب خطيئة، ويقع عليها اسم الإثم أو اسم الخطيئة، ثم رَمَى به من لم يعلمه وهو منه بريءٌ. ﴿فقد احتَمَلَ بُهْتَاناً﴾.

و«البهتان» الكذبُ الذي يُتحيَّرُ من عِظَمِه وبيانه، يقال قد بَهَتَ فلان فلاناً إذا كذب عليه، وقد بُهِت الرجل يُبْهَتُ إذَا تحيَّر قال اللَّه عزّوجلّ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَر﴾(١)، ويجوز أن يكون - والله أعلم - ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثْماً﴾ أي من يقع عليه خَطَأٌ نحو قَتْلِ الخطإِ الذي يقع فيه القوم وَلَا إثم فيه، فيكونُ [أن] يرمي بذلك غيره فقد احتمل بهتاناً(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيكَ وَرحْمتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُم أنْ يُضِلُّوكَ﴾.

هذا خطابٌ للنبي ﷺ، والطائفة هُمْ طُعمَةُ هذا السارق(٣)، لأن بعضهم

---

(١) راجع ص ٣٤١ ج ١.

(٢) العبارة رديئة كما ترى، وهو يعتبر الخطيئة من الخطأ الذي لا إثم فيه، أي ان من ارتكب خطأ ثم رمى به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وكذلك من ارتكب إثماً، وإذن فجملة ثم يرمي به بريئاً عائد على مرتكب الخطأ فقط وهو رأي كما ترى بعيد عن النص.

(٣) أي ومعاونوه حتى يصح تسميهم بطائفة.

قد كان وقف على أنه سارق، وسأل النبي ﷺ أن يَعذِرَهُ.

فالتأويل ـ والله أعلم ـ لولا فضل الله عليك ورحمتُه بما أوحَى إليك، وأعلمك أمْرَ هذا السارق [لهمت طائفة أن يضلوك] والمعنى في همت طائفة منهم أنْ يُضِلُّوكَ. [أي] فبِفَضْلِ الله ورحمته صرفَ الله عنك أن تعمل ما هَمَّتْ به الطائفة(١)

وقال بعضهم معنى «أنْ يُضِلُّوكَ» أن يُخَطِّئُوكَ في حُكْمِكَ(٢).

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا يُضِلّونَ إلاَّ أنْفُسَهُمْ﴾.

أي لأنهم هم يعملون عمل الضالين، والله يعصم نبيه ﷺ من متابعتهم، والإضلال راجع عليهم وواقع بهم.

وقوله: ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شيءٍ﴾.

أي مع عصمة الله إياك، ونصره دينه دين الحق.

وقوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّه عَلَيكَ الكِتَابَ والحِكْمَةَ﴾.

أي بيَّنَ في كتابِه ما فيه الحكمة التي لا يقع لك مَعها ضَلاَلٌ.

وقوله: ﴿لاَ خيرَ فِي كَثيرٍ مِنْ نَجوَاهُمْ﴾.

النجوي في الكلام ما تنفردُ به الجماعة أو الاثنان سِرًّا كان أو ظاهراً،

ومعنى نَجوْتُ الشيءَ في اللغة خَلَّصتُه وألقيتُه، يقال نجوت الجلْدَ إذا ألقيتُه عن البعير وغيره.

قال الشاعر: (٣)

---

(١) أي أن إرادتهم إضلالة لم تتم بفضل الله تعالى.

(٢) إما بمعنى يصرفونك عن الحق إلى الخطأ فهذا واضح، وإما بمعنى ينسبونك إلى الخطأ فيما حكمت به فبعيد.

(٣) أي اكشفا غطاء الجلد عن سنامها وأكتافها فسيعجبكما ما تريان وهو يخاطب ضيفين طرقاه، واعتبر =

فقلت انجوا عنها نجا الجلد إنّه سيرضيكما منها سنام وغاربه

وقد نجوت فلاناً إذا استنكَهْتُه(1)، قال الشاعر:(2)

نجوت مجالداً فوجدت منه كريح الكلب مَاتَ حديثَ عهد

ونجوت الوَبَرَ واستنجيته إذا خلَّصتَه، قال الشاعر:(3)

فتبَازت فتبازَخْتُ لَهَا جِلْسَةَ الأَعسر يستنجي الوتر

وأصله كله من النجوة، وهُوَ(4) ما ارتفع من الأرض قال الشاعر:(5)

فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكِنُّ كمن يمشي بقِرْواح

= الفراء إضافة نجا إلى الجلد من إضافة الشيء إلى نفسه، أي اكشفا عنها غطاءها الذي هو الجلد، (اللسان ـ نجو)، وانظر الخزانة ٤/٢٧٠، الشاهد ٣٠٩، والعيني ٣/٢٧٣ ونسبه الفرا لأبي الجراح، وقيل هو لأبي الغمر الكلابي.

(١) تشممت رائحته.

(٢) أي شممته فوجدته قذر الرائحة، كالكلب الميت الذي لم تمض عليه مدة يجف فيها جسمه وتذهب رائحته.

(٣) تبازت أبرزت عجيزتها وأخرجت صدرها هزؤاً وتدللاً، والبزخ مثله خروج الصدر ودخول الظهر ـ رجل أبزخ وامرأة بزخاء وتبازخ فعل ذلك أو تقاعس، ويروى. جلسة الجازر، ويروى الأعسر. يقال استنجى الجازر وتر المتن أي قطعه، وأصله الذي يتخذ أوتار القسي، لأنه يخرج ما في المصارين من النجو، والشعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت. اللسان (بزخ. نجا).
يصف حالة إيناس له مع زوجه، وقبله:

سائلاً فيه هل نبهتها آخر الليل بعرد ذي عجر

والعرد الذكر المنتشر، وانظر الخصائص جـ ١/٨.

(٤) ذكر لمعنى الكلام. والأصل وهي.

(٥) لعبيد بن الابرص، ـ والقرواح والقرياح الفضاء من الأرض، لا نبات أو شجر بها ولا تمسك ماء، المستكن المستتر. والذي بالقرواح ظاهر لا يخفيه شيء. (انظر اللسان ـ نجا ـ) وينسب لأوس بن حجر يصف سحاباً وقبله:

دان سف فويق الأرض هيدبه يكاد يلمسه من قام بالراح

وانظر ذيل الأمالي ص ١٩.

ويقال: ما أنجى فلان شيئاً وما نجا شيئاً منذ أيام، أيْ لَم يَدْخُل الغائِط.

والمعنى واللَّه أعلم: لا خير في كثير من نجواهم، أي مما يدبرونه بينهم من الكلام.

﴿إلاَّ مَنْ أمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

فيجوز أن يكون موضع «مَنْ» خفضاً، المعنى إلاَّ في نجوى من صدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ويجوز أن يكون - واللَّه أعلم - استثناءً ليس من الأول[1] ويكون موضعها نصباً، ويكون على معنى لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه خير. وأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك إنما ينفع من ابتغى به ما عند اللَّه فقال:

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتغاءَ مَرْضَاة اللَّه فَسَوْفَ نُؤتِيه أَجْراً عَظِيماً﴾.

ومعنى ﴿ابتغاءَ مرضاة اللَّه﴾ طلب مرضاة اللّه. ونصب ابتغاءً مرضاة اللَّه لأنه مفعُول له. المعنى ومن يَفْعَل ذلك لابتغاءِ مرضاة اللَّه، وهو راجع إلى تأويل المصدر، كأنه قال: ومن يبتغ ابتغاءَ مرضاة اللَّه، ثم عاد الأمر إلى ذكر طعمة هذا ومن أشبهه فقال:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لهُ الهُدَى ويتَّبعْ غَيرَ سَبيل المُؤْمِنينَ نُوَلِّه مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّم﴾.

لأن طعمة هذا كان قد تبين له ما أوْحَى اللَّهُ إلى نبيّه في أمرِه، وأظهر مِنْ سَرِقَتِه في الآية ما فيه بَلاَغٌ، فعَادى النبيَّ ﷺ وصار إلى مكة، وأقام مع المشركين.

---

(١) استثناء منقطع.

ومعنى ﴿نولِّه مَا تولَّى﴾، نَدَعهُ ومَا اختار لنفسه في الدُّنيـا لأن اللَّه جلّ وعـزّ وعد بالعـذاب في الآخرة، وأعلم تعـالى أنه لا يغفـر الشرك، وذكـر قبل هـذه الآيـة: ﴿وَمَنْ يَعمَـلْ سُـوءًا أو يَـظْلِمْ نَفْسَــه ثُمَّ يستغْفِـرِ اللَّهَ يَجِـدِ اللَّهَ غَفُـوراً رَحِيماً﴾. وأعلم بعدها أن الشرك لا يجوز أن يغفره ما أقام المشرك عليه، فـإن قال قائل فإنما قال: ﴿إنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِـرُ أَنْ يُشْرَكَ به﴾ فإن سُمِّيَ رجـل كافـراً ولم يشـرك مع اللَّه غيـره فهـو خـارج عن قـولـه: ﴿إنْ اللَّه لا يغفـر أن يُشَـرك به﴾ فالجواب في هذا أن كل كافر مشرك باللَّه لأن الكافر إذا كفر بنبِي فقد زعم أن الآيات التي أتى بها ليست من عند اللَّه، فيجعل مـا لا يكون إلا للَّهِ لغيـر اللَّهِ فيصير مشركاً. فكل كافِرٍ مشرك.

فالمعنى أن اللَّه لا يغفر كُفْرَ من كفَر بِهِ وبنَبيّ من أنبيائِـه لأن كفره بنبيـه كفر به.

﴿وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَقَد ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيداً﴾.

لأن جعلَه مع اللَّه غيرَه[1] من أبعد الضلال والعَمَى، وهذا أكثرُ ما جَرَى ههنا من أجل الذين عَبَدوا الأصنَام، والدليـل على ذلك قـوله عـزّ وجلّ بعقب هذا:

﴿إن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا إنَاثاً﴾.

فَأَمَّا ﴿نُولِّهِ ما تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّم﴾.

ففيها أوجه، يجوز فيها نولهي - بإثبات الياء، ويجوز نُوَلِّهو بإثبات الواو، ويجوز «نولِهِ» بكسر الهاءِ، فأما «نولَهْ» - بإسكان الهاءِ و «نَصْلِهِ جهنم»، فلا يجوز إسكـان الهاءِ لأن الهـاءَ حقها أن يكـون معها يـاءٌ، وأما حـذف اليـاءِ فضعيف فيها، ولا يجوز حذف الياءِ ولا تُبَقَّى الكسرة التي تدل عليها.

---

(١) اي جعله أحداً غير اللَّه معه سبحانه.

وقوله: ﴿إن يدعُونَ مِنْ دُونِه إلاّ إنَاثاً﴾.

إنْ يدعُونَ تقـرأ إلا أُنُثاً، وألا أُثُنَـا ـ بتقديم الثـاءِ، وتأْخيـرها. فمن قـال أنـاث فهو جمـع أُنثى وإناث، ومن قـال أُنُثُ فهو جمـع إنَاث، لأن إنـاثاً على وزن مِثـال، وإنَاثٌ وأُنُثٌ مِثْـل مِثَـال ومُثُـل. ومن قـال أُثُنـا فـإنـه جمـع وثَن، والأَصل وُثُن، إلاّ أَنَّ الواو إذا انْضَمَّتَ يجوز إبدالهـا همزة، كقـوله [تعـالى]: ﴿وإذَا الـرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾(1). الأَصـل وُقِّتَتْ، ومثال وُثُن في الجمـع مثل سُقُف. وجائز أَن يكون أُثْن مثل أَسد وأُسدٌ، وجائز أَن يكـون أُثُن أَصلها أُثْن، فـاتبعت الضمَّةُ الضَّمةَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإنْ يَدْعُونَ إلاَّ شَيطاناً مريداً﴾.

يعني به إبليس لأَنهم إذا أَطاعوه فيما سَوَّلَ لهم فقد عَبدُوه، وَيدعُونَ في معنى يعبدُونَ، لأَنهم إذَا دَعوْا اللَّهَ مخلصين فقد عبدوه، وكذلك قوله: ﴿وقَالَ ربُّكُم ادعُـوني أَستَجِبْ لَكُم﴾(2) أي اعبـدُونِي، والـدليـل عـلى ذلـك قــولـه عزّوجلّ: ﴿ إنَّ الّذينَ يستَكْبِرُونَ عنْ عِبادتِي﴾.

ومعنى «مَريد» أَي خارجٌ عن الطاعة مُتَملِصٌ مِنْهَا، ويُقَالُ شجرةٌ مَرْدَاءُ، إذا تناثر ورقُها، ومن ذلك يسمى من لم تنبت له لحية أَمـردُ أَي أَملسُ موضـعِ اللحية، وقد مرَدَ الرجل يمرُدُ مُروداً إذا عتا وخرج عن الطاعة.

﴿وقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾.

قيل في مفروض إنّ معنـاه مؤقت، وجاءَ في بعض التفسيـر من كل أَلف واحدٌ للَّه وسائرهم لأبليس.

---

(1) سورة والمرسلات ١١

(2) سورة غافر ـ ٦٠.

ومعنى مفروض - والله أعلم - أي أفترضه على نفسي وأصل الفرض في اللغة القطعُ، والفُرْضَة الثُلْمةُ تكون في النهر، يقال سقاها بالفِرَاضِ وبالفُرَضِ، والفرْض الحزُّ الذي يكون في المسواك يشد فيه الخيط، والفَرْض في القَوسِ الحزُّ الذي يشدُّ فيه الوتر، والفَريضَةُ في سائر ما افْتُرِضَ ما أمر الله به العباد فجَعَلهُ أمراً حَتْماً عليهم قاطعاً، وكذلك قوله: ﴿وقَد فَرَضْتُم لَهُنَّ فَرِيضَةً فنِصفُ مَافرَضْتُم﴾[1] أي جعلتم لهُنَّ قطعة من المالِ وقد فرضتُ الرجُلَ جعلتُ له قطعة من مال الفيءِ، فأما قول الشاعر:[2]

إذا أكلتُ سمكاً وفَرْضا ذهبت طولاً وذهبت عرضا

فالفَرضُ ههنا التمر، وإنما سُمّي التّمر فَرضاً لأنه يؤخذ في فِرَاضِ الصدقة.

وقوله: ﴿ولأُمَنِّيَنَّهُم﴾.

أي أجمع لهم مع الإضْلَال أن أُوهِمهُم أنهم ينالون من الآخرة حظاً، كَمَا قال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطَانُ أَعمَالَهُمْ﴾.

﴿ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُن آذَانَ الأَنْعَامِ﴾.

كأنه - والله أعلم - ولآمُرنَّهم بِتَبْتِيكِ آذان الأنعام فليبتكُنَّ[3]، [أي] يشقِقْن، يقال بتكْتُ الشيءَ أبْتِكه بَتْكاً إذا قطعته، وبِتْكَةٌ وبِتَكٌ، مثل قطعة وقِطعٌ، وهذا في البَحِيرةِ، كانت الجاهلية إذا ولدت الناقة خمسة أبطن فكان الخامس ذكَراً شقوا أُذن الناقة وامتنعوا من الانتفاع بها ولم تطرد عن ماءٍ ولا

---

(١) سورة البقرة ٢٣٧.

(٢) الشعر في اللسان (فرض). والفرض نوع من صغار التمر يعتبر من أجود أنواعه، ونوع منه يشتهر بعمان عندما يجف على نخله ينساقط التمر ويبقى النوى وحده في عراجينه. وذهبت طولاً وعرضاً، أي تباهيت وافتحرت.

(٣) تقدير لمفعول «آمرنّهم» - ويجوز تقدير مفعول غير هذا أو سيأتي نظائر له.

مَرْعًى، وإذا لقيها المعْـي[1] لم يركبها. فهذا تأويل ﴿فليُبتكن آذان الأنعامِ﴾.

سَوَّلَ لهم إبليس أن في تركها لا ينتفع بها قربة إلى اللَّه،

﴿ولآمُـرنَّـهـمْ فـليُـغَـيِّـرُنَّ خَـلْقَ الـلَّهِ﴾.

قيـل إن معناه أن اللَّه خلق الأنعـام ليركبـوها ويـأكلوها فحـرمـوهـا على أنفسِهِم، وخلق الشمس والقمر والأرض والحجارة سخْـرة للناس ينْتَفعـون بها فعبدهَا المشرِكون، فغيـروا خلق اللَّه، أي دِينَ اللَّه، لأن اللَّه فطر الخلق على الإسلام، خلقهم من بطن آدَمَ كـالذر، وأشهـدَهُمْ أنه ربهم فـآمنوا، فمن كفـر فقد غير فِطْرَة اللَّه التي فَطَرَ الناسَ عليها.

فـأمَّا قـوله: ﴿لاَ تَبْـدِيـلَ لِخَلق اللَّه﴾[2]، فـإن معنـاهُ مـا خلقـه اللَّه هـو الصحيح، لا يقْدِرُ أحـد أن يُبَدِّل معنى صحـة الدين، وقـال بعضهم: فَلْيُغيِّرُن خلق اللَّه هو الخصاءُ لأن الذي يخصي الفحل قد غير خلق اللَّه.

ومـعنـى ﴿إنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِه إلا إنَاثاً﴾.

أي ما يعبدون إلا ما قد سموه باسم الإناثِ، يعني به المشركون، سَمُّـوا الأصنام اللاَّت والعزى ومناةً، وما أشبهه، وقيل إن مَعْنى قوله: «ما يعبـدُون من دونه إلا إناثاً» أي مَوَاتا[3]، والموات كلهـا يخبر عنهـا كما يخبـر عن المؤنث، تقـول من ذلـك: هـذه الأحجـار تعجبني، ولا تقـول يعجبـونني[4]، وكـذلـك الدراهم تنفعني.

وقوله: ﴿ ولاَ يَجدُونَ عنهَا مَحِيصاً ﴾.

---

(١) المتعب المنهك.

(٢) آية ٣٠ من سورة الروم، ذكرت استطراداً.

(٣) جمادات.

(٤) في الأصل يعجبوني.

أي لا يجدون عنها مَعْدِلاً ولا مَلْجأً.

يقال حِصْتُ عَن الرجُل أَحِيصُ، وروَوْا جِضْتُ عنه أجيضُ بالجيم والضاد المعجمة، بمعنى حِصْتُ، ولا يجوز ذلك في القرآن، وإن كان المعنى واحداً والخط غير مخالف، لأن القرآن سنة لا تخالف فيه الرواية عن النبي ﷺ وأصحابه والسلف وقرَّاءِ الأمصار بما يجوز في النحو واللُّغَة، وما فيه أَفْصَحُ ممَّا يَجُوزُ(١). فالاتباع فيه أولى.

يقال حُصْتُ أُحُوصُ حوْصاً وحياصاً، إذا خِطْتُ، قال الأصمَعي: يقال حُصْ عين صَقْرك أي خِطْ عينه، والْحَوصُ في العَيْن ضيقُ مُؤَخَّرِها(٢).

والخَوصُ (٣) بالخاءِ - مُعْجمة - غُؤورُهَا.

وقوله: ﴿لَيْسَ بأَمانِيِّكُمْ ولاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.

اسم ليس مضمر، المعنى ليس ثواب اللَّه بأمانيكم ولا أمانِي أهل الكتاب، وقد جرى ما يدل على إضمار الثواب، وهو قوله: ﴿والذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ سنُدخِلُهُمْ جنَّاتٍ تَجري مِنْ تَحتِها الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبداً وَعْدَ اللَّه حَقًّا﴾.

أي إنما يدخل الجنة من آمن وَعَمَل صَالحاً. ليس كما يتمنى أهل الكتاب، لأنهم كانوا يزعمون أنهم أبناءُ اللَّه وأحباؤه، وقالوا: ﴿لنْ تَمَسَّنَا النَّار إلَّا أَيَّامَاً معْدُودَةً﴾(٤)، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن دخول الجنة وثواب اللَّه على الحسنات والسيئات ليس بالأماني ولكنه بالأعمال. ثم ذكر بعض ذلك فقال عزّ وجلّ:

---

(١) أي اللفظ الذي ذكر في القرآن أفصح وفي الأصل فأفصح.

(٢) في الأصل مؤخره.

(٣) خوص - كفرح - فهو أخوص.

(٤) سورة البقرة آية ٨٠.

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ﴾.

أي لا ينفعه تمنيه.

﴿وَلاَ يَجِد لهِ مِن دون اللَّه وَلِيًّا ولاَ نَصيراً. وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحاتِ من ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤمِنٌ فأُولَئِكَ يدخُلُونَ الجَنَّة﴾.

فأعلم اللَّه أن عامل السوءِ لا ينفعه تمنيه، ولا يتولاه مُتَوَلٍّ ولا ينصره نَاصِرٌ.

وقد احتج قومٌ من أصحاب الوعيد بقوله: ﴿وَلاَ يَجد لَهُ مِنْ دُون اللَّهِ وليًّا ولاَ نصِيراً﴾. فزعموا أن هذا يدل على أن من عَمِلَ السوءَ جُزِيَ به[1]. وقد أعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه يَغْفِر ما دُونَ الشِّركِ لمن يشاءُ، فعامِلُ السوءِ - ما لم يكن كافِراً - مرجُوٌّ له العَفْوُ والرحمةُ، والنبي ﷺ شافِعٌ لأمته يشفع فيهم.

ومعنى: ﴿وَلاَ يُظلَمُونَ نَقيراً﴾.

النقير النقطة في ظهر النواة، وهي مَنْبتِ النخلة، والمعنى «ولا يظلمون مقدار ذلك».

وقوله: ﴿واتّخَذَ اللَّه إبْراهِيمَ خَلِيلاً﴾.

الخليل المحب الذي ليس في محبته خَلَلٌ فجائز أن يكون إبراهيم سمي خليلَ اللَّه بأنَّه الذِي أَحَبه اللَّه واصطفاه محبةً تامَّةً كامِلةً. وقيل أيضاً الخليل الفقير، فجائز أن يكون فقير اللَّه، أي الذي لم يَجْعَلْ فقره وفاقته إلا إلى اللَّه مخلِصاً في ذلك، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّها الناس أَنْتُمْ الفُقَراءُ إلَى اللَّهِ﴾[2].

ومثل أن إبراهيم الخليل الفقير إلى اللَّه قول زهير يمدح هرم بن سنان.

---

(١) أي إن السيئات لا تُغفر، وجملة «وقد أعلم اللَّه - عز وجل»... لهذا الزعم.

(٢) سورة فاطر ١٥.

وإنْ أتــاه خليــل يــوم مسـغبــةٍ   يقـولُ لا غائب مـالي ولا حَرِمُ[1]

وجـاءَ في التفسير أَن إبـراهيم كـان يضيفُ الضِّيفـان ويـطعِم المسـاكينَ الطعامَ، وأَصاب الناسَ جَـدْبٌ فبعث إلى خليل لـه كان بمصـر يمْتارُ منـه[2]، فقال ذلك الخليل لنفسه: لو كان إبراهيم إنما يـريد المِيـرَةَ لنفسه لـوجهْت إليه بها، ولكنه يريدها للناس فرجع غلمان إبراهيم بغير ميرة، فاجتازوا ببطحاءَ لَيِّنَةٍ فأَخذوا من رَمْلٍ كان فيها وجعلوه في أَوعِيتِهِمْ استحياءً من النـاس أَن يرجِعـوا بغير شيءٍ، فلما رآهم عليه السلام، سأَلهم عن الخبر فـأَعلموه، فحملتـه عينه فنام مهموماً، وانتبهت امرأَته وقد بصرت بالأَوعية مملوءَة، فأَمـرت بأن يخـرج منها ويخبز فـأَخرج منهـا طعام في غـاية الحسْن فـاختُبِزَ، وانتبـه إبراهيم وشمَّ رائحة الطعام، فقال: مِن أَين هذا؟ فقالت امـرأَته من عنـد خليلك المصري. فقال إبراهيم هذا من عند خليلي اللَّه عزّ وجلّ.

فهـذا مـا روي في التفسيـر وهـو من آيـات الأَنبيـاءُ عليهم السـلام غيـر منكـر. والذي فسرنا من الاشتقاق لا يخالف هذا.

والخلة الصداقة، والخلة الحاجة.

فأما معنى الحاجةِ فإنه الاختلال الذي يلحق الإنسـان فيما يحتـاج إليه، وأَما الخلة الصداقة فمعناهـا أَنه يسُـد كل محب خَلَلَ صـاحبه في المـودة وفي الحـاجة إليـه، والخلل كل فـرجة تقـع في شيء، والخِلاَل الـذي يتخلل بـه، وإنما سمي خلالاً [لأَنه] يتبع به الخلل بين الأَسْنانِ. ، وقوله الشاعر:[3]

---

(١) الخليل ذو الخلة المحتاج. وحـرم بوزن (كتف) بمعنى ممنـوع محرم ـ يـريد لامـالي غائب ولا ممنوع. انظر العيني ٤ ـ ٤٢٩ وابن يعيش ٨ ـ ١٥٧ وشرح شواهد المغني ٢٨٣.

(٢) يسأله الميرة، وهي جلب الطعام. مار عياله يمير وامتار وأمار.

(٣) هو ابن ميادة المري من عطفـان ـ يصف هؤلاء النسوة بـالصون وعـدم التبرج. فهن ينـظرن من فروج الستائر، ويروى: من خلل الخدور. جمع خـدر، وهو مـا تحتجب المرأة وراءه، ولهـذا=

ونظرن من خَلَلِ الستور بأَعينٍ مرضَى مخالِطها السِّقام صحاح

فإن معناه نظرن من الفرجُ التي تقع في الستور.

وقوله القائل: «لـك خلَّةٌ مِن خِلاَلٍ» تـأْويله أني أُخلَى لك من رأيي أو مما عندي عن خلة من خِلاَل. وتأْويل أَخلَّى إنما هـو أُخلل، وجائـز أن يكون أُخلي من الخلوْةِ، والخلوةُ والخلل يـرجعـان إلى معنى، والخِـلُّ الـطريق في الرملِ معناه أنه انفرجتْ فِيه فـرجة فصـارت طريقـاً. والخَلُّ الـذي يؤكل إنمـا سمي خلاًّ لأنه اختلَّ منه طعم الحلاوةِ.

وقوله: ﴿ ولِلَّهِ ما فِى السَّمَواتِ ومَا فِي الأَرضِ ﴾.

أي إن إبراهيم الذي اتخذه اللَّه خليلاً هو عبد اللَّه، وهو له وكـلُّ ما في السموات والأَرض(١).

وقوله: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قلِ اللَّهُ يُفتِيكم فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيكُمْ ﴾:

موضع «ما» رفع. المعنى اللَّه يفتيكم فيهن، ومـا يتلى عليكم في الكتاب، أيضاً يفتيكم فِيهِن. ويجوز أن يكون «ما» في موضع جر، وهو بعيد جداً، لأن الظاهر لا يعطف على المضمر(٢)، فلذلك اختير الرفع، ولأن معنى الـرفع أيضـاً أُبيَنُ، لأن مـا يتلى فِي الكتاب هـو الذي بين مـا سـأَلـوا. فـالمعنى: ﴿قل اللَّه يفتيكم فيهن﴾، وكتابه يفتيكم فيهن.

وقوله: ﴿وتَرْغَبُونَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾.

= تسمى مخدرة. وقد وصف عيونهن بالفتور والانكسار لغير مرض، وفتور الطرف كناية عن الحياء وعدم التبجح، وتوصف المرأة عادة بأنها ناعسة الطرف أو سقيمته، وكلمة «صحـاح» احتراس. أي ليس هذا السقام لمـرض. بل للحياء وحسن الأدب.

انظر اللسان (ريش)، والشنتمري ١/٢٢٧، وكتاب سيبويه حـ ٢/٢٠.

(١) أي وكل ما في السموات والأرض له.

(٢) يعطف بإعادة حرف الجر، وجاء بدونه ومنه قراءة ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ بجـر الأرحام.

المعنى وترغبون عن أن تنكحوهنَّ.

وقوله: ﴿ والمسْتضْعَفِينَ مِنَ الولْدَانِ﴾.

يعني اليتامى، وموضع «المستضعفين» جر، عطف على قوله: ﴿وما يُتلى عليكم فِي الكِتَاب فِي يَتَامَى النِّساءِ﴾ المعنى وفي [المستضعفين من] الولد والذي يفتِيهم من القرآن قوله عزّ وجلّ: ﴿وآتوا اليَتَامَى أَمْوالَهُم ولاَ تَتَبَدلوا الخَبِيثَ بالطَّيِّبِ وَلاَ تأْكلوا أَمْوالَهمْ إِلَى أموالِكُمْ﴾والذي تُلِيَ عليهم في التزويج [هو] قوله:﴿فانْكِحوا مَا طَابَ لَكُمْ مِن النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاَث ورُبَاعَ﴾[1].

فالمعنى قل اللّه يفتيكم فيهنَّ، وهذه الأَشْياءُ التي في الكتاب يُفْتيكُم فيهن[2].

وقوله:﴿وَأَنتَقُومُوا لِلْيَتَامَى بالْقِسْطِ﴾.

«أَن»في موضع جر :المعنى وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء وفي أَن تقوموا لليتامى بالقسط.

وقوله:﴿وإِن إمرأَةٌ خَافَتْ مِن بعلِهَا نشوزاً أَو إِعْراضاً فلاَ جُنَاح عَلَيْهِمَا أن يُصْلِحا بينهمَا صلحاً﴾.

النشوز من بعْلِ المرأَة أَن يسيء عشرتها وأَن يمنعها نفسه ونَفَقَتَه واللّه عزّ وجلّ قال في النساءِ:﴿وعاشِروهن بالْمعْروفِ﴾،وقال: ﴿فإِمسَاكٌ بِمَعْروفٍ أَو تَسريحٌ بِإِحْسَان﴾[3]، وقال: ﴿وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لتَعْتَدُوا﴾[4]. فَشدد

(١) تقدمت الآيتان أول هذه السورة ٢، ٣.

(٢) أي قل اللّه يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب يفتيكم فيهن ويفتيكم في الولدان وفي المستضعفين الخ.

(٣) آية: ٢٢٩ سورة البقرة.

(٤) البقرة ٢٣١.

اللّه في العدل في أمر النِّساءِ، فَلَوْ لَمْ يعْلَم عزّ وجلّ أن رضَا المـرأةِ مِنْ زوجِهَا بالإقامة على منعها ـ في كثير من الأوقاتِ ـ نَفسَه ومَنعِها بعض ما يَحْتَاج إليه لما جاز الإمساك إلا على غاية العدل والمعروف، فجعل اللَّه عزّ وجلّ الصُّلحَ جائزاً بين الرجلِ وامرأتِهِ إذا رضِيت منه بإيثار غيرها عليه. فقال: « لا إثم عليهما في أن يتصالحا بينهما صلحاً، والصُّلح خير من الفرقة ».

وقوله: ﴿ وأُحْضِرتِ الأنفُسُ الشُحَّ ﴾.

وهو أن المرأة تشح على مكانها من زوجها، والرجل يشح[1] على المرأة بنفسه إن[2] كان غيرها أحب إليه منها.

وقوله: ﴿وإِن تحسِنُوا وَتَتَّقُوا﴾.

أي أن تحسنوا إليهنَّ، وتحملوا عشرتهن.

﴿فإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾.

أي يخْبُـرُ ذلك فيجـازيكم عليه، فـإن قال قـائل إنما قِيلَ: ﴿ وإن امـرأة خافت﴾، ولم يُقَلْ وإنْ نَشَـزَ رجُلٌ على المـرأة لأن الخائف للشيء ليس بمتيقِّنٍ له، فالجواب في هذا إنْ خَافَتْ الإقامةَ منهُ على النُّشُوزِ والإعراضِ، وليس أن تخـاف الإقامـة إلا وقد بـدا منه شيء، فـأمـا التفـرقة بين «إنَّ» الجـزاءِ والفعـل الماضي فجيّدٌ[3]. ولكن «إن» وقعت التفرقة بين «إنْ» والفعلِ المستقبلِ فـذلك قبيح. إن قلتَ: إن امرأة تخاف ـ فهو قبيح، لأنّ «إنْ» لا يفصل بينهـا وبين ما يُجْزَمُ، وذلك في الشعر جائز في «إنْ» وغيرها. قال عدي بن زيد[4].

---

(١) الشح مثلثة البخل. شح به وعليه حـرص. شحح يشـح وشحح بفتـح عينه يشح ويشح. وهـو شحاح وشحيح وشحشاح.

(٢) ك: إذ.

(٣) وضع كلمة امرأة بين «إن» والفعل «خافت» ويقدر فعل بعد إن.

(٤) من قصيدة له يستعطف بها النعمان بن المنذر وهو في سجنه، وأول القصيدة:

فمتى واغِـلٌ يَنُبْهُـم يُحيُّــوهُ وَتُعـطَفْ عليـه كـأْسُ السَّـاقي

فـأما المـاضي فـ «إنْ» غير عَـامِلةٍ في لفظه، و «إنْ» أُمُّ حُرُوفِ الجَـزْم، فجاز أن تفرق بينها وبينَ الفِعْل، وامرأةٌ ارتفعت بفعل مضمرٍ يدل عليه ما بعـد الاسم، المعنى إنْ خافت امْرأَةٌ خَـافَتْ فأَمـا غير «إن» فـالفصل يقبـح فيه مـع الماضي والمستقبل جميعاً، لو قلت: «متى زيـد جاءني أكـرمته»، كـان قبيحاً، ولو قلت أن اللَّهُ أمكنني فعلتُ كان حسناً جميلاً.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوابُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

كان مشركو العرب لا يؤمنون بالبعث، وكـانوا مُقِـرِّين بأن اللَّهَ خـالقُهم، فكان تقرُّبُهم إلى اللَّه عزّ وجلّ إنما هو ليُعْطِيهُمْ من خير الدنيا، ويَصرِفَ عنهم شَرَّها، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن خير الدنيا والآخرة عنده.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا كُونُوا قَوَّامِينَ بالقِسْطِ﴾.

القسط والإقساطُ العدلُ، يقال أقسط الرجل يُقسِط إقْساطاً إذا عدل وأتى بالقسطِ، ويقال قسط الرجل قُسُوطاً إذا جَارَ، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿وَأَقْسِطُوا إنَّ اللَّه يُحِبُّ المقْسِطِينَ﴾[(١)].

أي أعدلوا إنّ اللَّه يُحب العَادِلينَ، وقال جلّ وعزّ: ﴿وأَما القَاسِطُونَ فكَانُوا لِجَهَنم حَطَبًا﴾، أي الجـائرون، يقـال قسط البعيرُ قَسْـطاً إذَا يَبِسَتْ يـدُه، ويـدٌ قَسْطاءُ أي يابسـة، فكأن أقسط أقـام الشيءَ على حقيقةِ التعـديل، وكـأَنَّ قَسَطَ [بمعنى] جارَ معناه يَبَّسَ الشّيءَ، وأَفْسَدَ جِهَتَهُ المستقيمةَ.

وقوله: ﴿ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الوَالِدَينِ والأَقـربِينَ﴾:

= ليس شيء على المنون بباق - وهي جيدة، والواغل من يدس نفسه على الشاربين أما الفضولي على الطعام فهو وارش، انظر الخزانة ٣ ـ ٤٠.

(١) سورة الحجرات آية ٩.

المعنى قوموا بالعدل وأشهدوا للّه بالحقِّ، وإن كان الحق على نفس الشاهد أو على والديه وأقْربيه.

﴿إنْ يَكُنْ غَنِيًّا أوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾.

أي إن يكن المشهود له فقيراً فاللّه أولى به، وكذلك إن يكن المشهود عليه غنياً فاللّه أولى به، فالتأويل أقيموا الشهادةَ لِلَّهِ على أَنْفُسِكُمْ وأقاربكم، ولا تميلوا في الشهادة رحمةً للفقير، ولا تَحِيفُوا لاحتَفَالِ غِنَى غَنِيٍّ عِندَكم.

وقوله: ﴿ فَلاَ تَتَّبِعُوا الهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا ﴾.

أي لا تتبعوا الهوى فتعدلوا.

﴿ وَإِنْ تَلْوُوا أو تُعْرِضُوا ﴾.

قرأ عاصِمٌ وأبو عمرو بن العلاءَ وأهلُ المدينَة «تَلْوُوا» بواوين، وقرأ يَحيى ابنُ وثاب والأعمشُ وحمزةُ بواو واحدة «تَلُوا»[1]، والأشبه على ما جاءَ في التفسير ومَذْهَبِ أهل المدينة وأبي عمروٍ، لأنه جاءَ في التفسير أنَّ «لَوَى الحاكِمُ في قضيتِهِ» أعرَضَ.

﴿فإنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعملُونَ خَبِيراً﴾.

يقال لويت فلاناً حقه إذا دَفَعتُه به ومطَلْته، ويجوز أن يكون «وأن تَلُو» أصله تَلْوُوا فأبدلوا من الواو المضمومة - همزة فصارت تلؤوا - بإسكان اللام - ثم طُرِحَت الهمزَةُ وطُرِحَتْ حَركتها على اللام فصار تلُوا كما قيل في أدؤُرٍ أُدُورٍ ثم طرحت الهمزة فصارَتْ آدُر.

ويجوز أن يكونَ وإنْ تَلُوا من الولاية، وتُعْرِضُوا أي إن قمتم بالأمر أو أعرضتم عنه، فإنَّ اللَّهَ كان بمَا تَعملون خَبيراً.

---

(١) وتوجيه هذه القراءة سيذكره قريباً.

وقوله : ﴿فَتَذَرُوهَا كَالمعَلَّقَةِ﴾.

قيل كالمحبوسة لا أَيِّماً ولا ذات بَعلٍ.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا باللَّه وَرَسُوله والكِتَابِ الَّذِي نَـزَّلَ عَلَى رَسُولِه﴾.

قيل فيه قولان: يا أيها الذين آمنوا أَقيموا على الايمان باللّه كما قال عزّ وجلّ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجراً عَظيماً﴾[1]، أي وَعَدَ مَنْ أَقام على الإيمان من أصحاب النبي ﷺ الذين ذكروا في هذه القصة مغفرة وأجراً عظيماً.

وقيل يُعْنَى بهذا المنافقون الذين أَظهروا التصديق وأسرّوا التكذيب، فقيل :يا أَيُّها الذين أَظْهَرُوا الإيمان آمِنُوا باللّه ورسوله أي أَبطنوا مثل ما أَظهرتم.

والتأْويل الأَول أَشبه واللّه أَعلم.

وقوله : ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُم ازدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾.

قيل فيه غير قول: قال بعضهم يُعْنَى به اليهودُ لأَنَّهم آمنوا بموسى ثم كفروا بعزير ثم آمنوا بعزيرٍ ثم كفروا بعِيسَى، ثم ازدَادُوا كفْراً بكفرهم بمحمد ﷺ.

وقيل جائز أَنْ يكون محاربٌ آمن ثم كَفَر ثم آمَن ثم كَفَر.

وقيل جائز أَن يكون منافِقٌ أَظْهَر الإيمان وأَبطن الكفرَ ثم آمن بعد ثم كفر وازداد كفراً بإقامته على الكفر.

---

١) سورة الفتح آية «٢٩». ومحل الاستشهاد أن الآية في وصف المؤمنين وذكر مثلهم في التوراة وفي الإنجيل، ثم ختمت بهذه الجملة ـ فلا معنى للذين آمنوا من المؤمنين إلا الذين ثبتوا على الإيمان وداوموا عليه.

فإن قال قائل: اللَّه جلّ وعزّ لا يغفر كُفْر مرةٍ واحدةٍ فلم قيل ههنا فيمن آمن ثم كفرتم آمن ثم كفر: لم يكن اللَّه ليغفر لهم وما الفائدة في هذا؟ فالجواب في هذا - واللَّه أعلم - أن اللَّه عزّ وجلّ يغفر للكافر إذا آمن بعد كفره، فإن كفر بعد إيمانه لم يغفر اللَّه له الكفر الأول، لأن اللَّه جلّ وعزّ يقبل التوبة، فإذا كفر بعد إيمان قبله كفْر فهو مطالب بجميع كفره. ولا يجوز أن يكون إذا آمن بعد ذلك لا يغفر له، لأن اللَّه جلّ ثناؤه يغفر لكل مؤْمن بعد كفره، والدليل على ذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَعفو عَنِ السَّيِّئَآتِ﴾[1]. وهذا في القرآن كثير، وهو شبيه بالإجماع أيضاً.

ومعنى ﴿ولا لِيَهْدِيهم سَبِيلاً﴾:

أي لا يجعلهم بكفرهم مهتدين بل يضلهم، لأنه جلّ وعزّ يضل الفاسقين.

وقوله - جلّ وعزّ: ﴿بَشِّرِ المُنافِقِينَ بِأَنَّ لَهُم عَذاباً أَلِيماً﴾.

معنى أليم موجع، قال «بشر» أي اجعل في مكان بشارتهم «لَهُمْ العَذَابُ». العرب تقول تَحيَّتكَ الضرْبُ، وعتابك السيف أي لك - بدلاً من التحية... هذا. قال الشاعر:[2]

وخيل قد دَلَفْتُ لها بِخيل   تحية بينهم ضرب وجيع

وقوله جلّ وعزّ ﴿أَيَبْتَغُون عندهُمُ العزَّة﴾ أي أَيَبْتَغِي المنافقون عند الكافرين العزة، والعزة المَنْعَة وشدة الغَلَبَةَ وهو مأخوذ من قولهم أَرْضٌ عَزاز[3]. قال

---

(١) سورة الشورى الآية ٢٥.

(٢) هو عمروبن معديكرب الزبيدي. والخيل هي خيل الأعداء تقدم لها بخيل من رجاله، وبدلاً من التحية تضاربوا بالسيوف. أنظر الخزانة ٥٣/٤، الخصائص ٣٥/٤ وابن يعيش ٨٠/٢ وكتاب سيبويه ٣٢٣/٢.

(٣) العزاز الأرض الصلبة، وأعز الرجل وقع في هذه الأرض.

الأَصْمَعيُّ: العَـزَاز: النَّفَلُ مِنَ الأَرضِ والصُّلْبُ الحجـارة، الذي يسـرع منـه جريُ الماءِ والسيل هذا لفظ الأَصْمعي.

فتأْويل العزة الغَلَبَةُ والشِّدَّةُ التي لا يتعلق بها إذلال، قالت الخنساءَ:(١)

كـأَن لـم يكـونـوا حـمىً يُـتَّـقـى إذ الـنـاسُ إذ ذاك مـن عـزّ بـزَّا

أي من قوى وغلب سلب.

ويقال: قد استُعِز على المريض إذا اشتد وجَعَه، وكـذلك قـول الناس: يَعِزُّ عليَّ أن تَفْعل، أي يشتد، فأَما قولهم قد عَزَّ الشيءُ إذا لَم يوجد فتأْويله قد اشتد وجُودُه أي صعب أن يُوجَدَ، والمآب، واحدٌ.

وقوله: ﴿وَقَـدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَـابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آياتِ اللَّه يُكفَـرُ بِهَا وَيُسْتَهْزأُ بِهَا﴾.

أَعلَمَ اللَّه عزّ وجلّ المؤْمنين أَنَّ المنافقين يَهْزأُونَ بكتاب اللَّه، فأُمروا أَلا يقعدوا مَعَهُمْ حَتَّى يخوضوا في حديث غيره أي في حديث غير القرآن.

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُم﴾.

أي إنكم إذا جـالستمـوهم على الخـوض في كتـاب اللَّه بـالهـزؤ فـأَنتم مِثْلُهُمْ.

---

(١) الديوان ص ٤٨ من أبيات أولها.

تـعـرقني الـدهـر نهسـاً وحـزا وأوجعني الـدهـر قـرعـاً وغمـزا

من تعرقت العظم أخذت ما عليه من اللحم والنهس القبض بالأسنان، والقرع الضـرب والغمز ضغط الشيء اللين باليد ـ تريد أن الدهر أنهكها وقسا عليها بكبار نـوائبه ثم بكت قـومها الـذين ذهبوا ـ وعز بمعنى غلب، وبز: سلب، أي حين كان الناس من قدر على شيء نهبـه كانـوا هم يحمون الناس بقوتهم وينصفون الضعيف.

وانظر شواهد المغني ٨٨ والكامل ٢/٥٨، ٢٨٧ (تجارية).

وقوله: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

هـذا يقولـه المنافقـون إذا كـان للكـافـرين نصيبٌ قـالـوا: ألم نستحـوِذ عليكم، أي ألم نغلب عليكم بـالمُوالاة لكم، ونمنعكُم من المؤْمنين بمـا كنـا نُعلمكم مِن أَخْبَارِهم.

ونَسْتَحوِذ في اللغة: نستولي على الشيءِ، يقال حـاذ الحمار آتُنَـه[1] إذا استولى عليها وجَمعَها، وكذلك حازها، قال الشّاعر.

يـحُوذهُـــنَّ ولـــه حُـــوذِيُّ[2]

ورَوُوه أيضاً:

يـــحـــوزُهـــن ولـــه حـــوزيُّ

قـال النحويـون: اسْتَحْوَذَ خـرج على أَصْله، فمن قال حَـاذَ يحـوذُ لم يقـل إلا استحاذ يستحيذ، ومن قال أحوَذَ [فهو] كما قال بعضهم أَجْودتَ وأَطيَبْتَ بمعنى أَجذْتَ وأَطبْتَ، فأخرجه على الأَصْل قال: اسْتَحْوَذَ[3].

وقوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ للكَافرينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.

أي إن اللَّه ناصِرُ المؤمنين بـالحجة والغلبـة، فلن يجعل للكـافرين أبـداً على المؤْمنين سَبِيلاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يخَادعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾.

أي يخادعون النبي ﷺ بـإظهارهم لـه الإيمان وإبـطانِهم الكُفْرِ، فجعـل

(١) جمع أتان ـ والأتانة قليلة. والأتان الحمارة يجمع أتن وأتن أيضاً.

(٢) للعجاج يصف ثوراً تـطارده الكلاب فيتغلب عليهـا. الديـوان ٧١، واللسان (حـوز) ومجاز أبي عبيـدة ١ ـ ١٤١، والخصائص ١/١١٩ ـ وعجـزه ـ كمـا يجـوز الفئـة الكمي ـ وجمـل حـوزي منقطع النظير.

(٣) وهو تصريف شاذ لا يقاس عليه.

اللَّه عزّ وجلّ مخادعة النبي ﷺ مخادعة له، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعونَكَ إنَّما يُبَايعونَ اللَّهَ﴾(١).

ومعنى قوله: ﴿وهو خَادِعُهُمْ﴾.

فيه غير قول: قال بَعْضُهُمْ: مُخادعةُ اللَّه إياهم جزاؤهم على المخادعة بالعذاب، وكذلك قوله: ﴿ويمكُرونَ ويمْكُر اللَّهُ﴾(٢). وقيل وهو خادِعُهُم بأمره عزّ وجلّ بالقبول منهم ما أظهروا، فاللَّه خادعهُمْ بذلك.

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخذُوا الكَافِرِينَ أَوْلِياءَ من دُون المُؤْمِنِينَ.

أي لا تجعلوهم بِطَانَتَكُمْ وخَاصَّتَكُمْ.

﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجعلُوا لِلَّهِ عَليكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً﴾.

أي حجة ظاهرة، والسُّلطان في اللغة الحجَّةُ، وإنما قيل للخليفة والأمير سلطان لأنَّ معناه أنه ذو الحجة. والعربُ تُؤنِّث السلطان وتذكره، فتقول: قَضَتْ عليك بهذا السُّلْطَانُ، وأَمَرَتْكَ به السلطانُ. وزعم قوم من الرواة أن التأنيث فيه أكثر، ولم يُخْتلَفْ في التذكير. وأحسب الذين (رَووْا)(٣) لم يَضْبطُوا مَعْنَى الكثرة من القلة.

والتذكير (فيه)(٤) أكثر، فأما القرآن فلم يأت فيه ذكر السلطان إلا مذكراً، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿لَوْلاَ يأْتون عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيّن﴾(٥) وقال: ﴿هَلَكَ

---

(١) سورة الفتح آية «١٠».

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠.

(٣) ساقطة من ط ويظهر أن ذلك من سهو الناسخ ـ والمعنى الذين رووا هذه المسألة.

(٤) ليست في ك.

(٥) سورة الكهف آية ١٥.

عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾(١)، وقال: ﴿سُلْطَاناً مُبِيناً﴾(٢). فجميع ما في القرآن من ذكر السلطان مذكر، ولو كان التأنيث أكثر لكان في كتاب اللّه جلّ وعزّ.

فإن قال قائل إنما رَووْا أن السلطان بين الناس هو المؤنث قيل إنما السلطان معناه ذو السلطان. والسلطان الحجة. والاحتجاج والحجة معناهما واحد. فأما التأنيث فصحيح، إلا أنه أقل من التذكير، فمن قال: قضت به عليك السلطان أراد قضت عليكَ به الحجة، وقضت عليك حجة الوالي، ومن قال قضى به عليك السلطانُ ذهب إلى معنى صاحبُ السلطانِ. وجائز أن يكون ذهب به إلى البرهَانِ والاحتجاجِ، أي قضى به عليك البرهان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إن المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾.

قال أبو عبيدة معمر بن المثَنَى: جهنم أدْرَاك، أي مَنازِل، فكل منزلة منها دَرَك.

والقراءَة: الدَّرَك بفتح الراءَ. والدَّرْكُ بتسكين الراء، فأما أهل المدينة وأهل البصرة فيقرأونها. «الدَّرَك». بفتح الراءَ وأما أهل الكوفة والأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب، فيقرأون «الدَّرْك». وقد اختلف فيها عن عاصم، فرواها بعضهم عنه الدَّرَك ورواها بعضهم الدَّرْك - بالحركة والسكون جميعاً - واللغتان حكاهما جميعاً أهل اللغة، إلا أن الاختيار فتح الراءَ، لإجماع المَدَنيين والبصريين عليها وأن أحداً من المحدِّثين ما رواها إلا الدَّرَك بفتح الراءَ، فلذلك اخترنا الدَّرَك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾.

أي لا يمنعهم مانع من عذاب اللّه عزّ وجلّ ولا يشْفَعُ لهم شافعٌ.

---

(١) سورة الحاقة - ٢٩.

(٢) في هذه الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ المُؤْمِنينَ أَجْراً عَظِيماً﴾.

الخط حـذفت منه الياءُ في هذا المـوضـع، وزعم النحـويـون أن اليـاءَ حذفت من الخط كما حذفت في اللفظ، لأن الياءَ سقطت من اللفظ لسكونهـا وسكون اللام في «اللَّه» وكذلك قوله: ﴿يَومَ يُنَادِ المُنَـادِ﴾[1] الـياءَ من ينـاد حـذفت في الخط لهذه العلة، وكـذلك ﴿سَنـدْع الـزَّبَـانِيـة﴾[2] و ﴿يَـوْمَ يَـدْعُ الدَّاعِ﴾[3] فالواوات حذفت ههنا لالتقاءِ السـاكنين، فأمـا قول اللَّه عـزَّ وجلّ: ﴿ذلك مَا كُنَّا نَبغِ﴾[4]، فهو كقوله ﴿يُنادِ المُنَادِ﴾، و ﴿يدعِ الداعِ﴾، فهذه الياءَاتُ من نحو ﴿نَبْغِ﴾ حذفت لأن الكسرة دلت على الياءَ فحذفت الياءَ لثقلها، وليس الوجه عند النحويين حَذْفها. فأما المنادي والداعي فحذفت الياءَ منها كما حذفت قبل دُخُـول الألف واللام، لأنـك تقول: هـذا داعٍ وهذا منـادٍ. فـأمـا ﴿وَاللَّيـلِ إِذَا يسرِ﴾[5]. فحذفت الياءَ لأنها رَأْسُ آيةٍ، ورُؤُوس الآي الحذف جائز فيهـا كما يجوز في آخر الأبيات.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾.
وإلَّا مَنْ ظَلَم، يقرأُ بهما جميعاً.

فالمعنى أن المظلوم جائز أن يظهر بظُلَامَته تَشكياً، والظالم يجهر بالسوءِ من القول ظلماً واعتداءً، وموضع «مَنْ» نصبٌ بالـوجهين جميعاً، لأنـه استثناءَ ليس من الأول[6].

---

(١) سورة ق آية ٤١.

(٢) سورة العلق ١٨.

(٣) سورة القمر ٦.

(٤) الكهف ٦٤.

(٥) سورة والفجر ٤.

(٦) على الوجه الثاني استثناء منقطع، وعلى الأول تام موجب.

المعنى: لا يحب اللَّه الجهر بالسوءِ من القول لكن المظلوم يظهر بظلامته تشكياً، ولكن الظالم يجهر بذلك ظلماً. ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» رفعاً على معنى لا يحب اللَّه أن يجهر بالسوءِ من القول إلَّا من ظلم فيكون «من» بَدلاً من معنى أَحدٍ، المعنى: لا يحب اللَّه أن يجهر أحد بالسوءِ من القول إلا المظلوم.

وفيها وجه آخر لا أعلم النحويين ذكروه، وهو أن يكونَ «إلَّا مُنْ ظَلَمَ» على معنى لكن الظالم أجهروا له بالسوء من القول، وهذا بَعْدُ استثناءُ ليس من الأول. وهو وجه حَسَنٌ، وموضعه نَصْبٌ.

وقد روي أن هذا ورد في الضيف إذا أُسِيءَ إليه، فله أن يشكو لك، وحقيقته ما قلناه. واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿يسأَلُك أَهلُ الكِتَابِ أن تُنزِّلَ عَليهم كِتاباً من السَّمَاءِ﴾ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وهذا حين قالوا للنبي ﷺ: ﴿وَلَنْ نؤْمِنَ لرُقِيك حَتَّى تُنزِّلَ عَلَيْنَا كتاباً نَقْرُؤُهُ﴾[1].

أي فقد سألوا موسى بعد أن جاءَهم بالآيات، فقالوا: ﴿أَرنَا اللَّه جَهْرَةً﴾.

وقال أهل اللغة في ﴿جهرة﴾ قولين: قال أَبُو عبيدة: قالوا جهرةً أَرِنَا اللَّه[2]، لأنهم إذا رأَوا اللَّه فالسر جهرة، فإنَّما جَهْرَةٌ صفةٌ لقولهم.

وقال بعضهم أَرِنَا اللَّه جَهْرَةً، إنما معناه أَرنا رؤْيةً بينةً منكشفةً ظاهرة لأن من علِم اللَّه عزّ وجلّ فقد زَادَ عِلْماً، ولكن سأَلوه رؤْية يُدْرِكونها بأَبصَارِهم.

---

(١) سورة الإسراء ٩٣.

(٢) أي قالوا ذلك جهاراً.

ودليل هذا القول قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْتُم يا مُوسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتى نَرَى اللَّه جَهرةً﴾[1]. وهذا عندي هو القول البين إنْ شَاءَ اللَّه.

وقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهَم ﴾.

«ما» لغْوٌ في اللفظ، المعنى فبنقضهم ميثاقهم حقًّا، فكما أن حقًّا لتوكيد الأمر فكذلك «ما» دخلت للتوكيد.

وتأويل نَقْضِهم مِيثَاقَهُم أن اللَّه عزّ وجلّ أخذ عليهم الميثاق في أن يُبَيّنُوا ما أُنْزل عليهم من ذكْر النبي ﷺ وغيره، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّه مِيثَاقَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ لتبيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَه فَنَبذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2].

والجالب للباءَ والعامل فيها قوله عزّ وجلّ:
﴿حَرَّمَنَا عَلَيهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُم﴾-
المعنى بنقضهم ميثاقهم، والأشياءَ التي ذكرت بعدَه.
وقوله «فبظلم» بدل من قوله: فبما نقضِهم.
وقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾: أي أوعية للعلم.
﴿بَلْ طَبعَ اللَّه عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾.

وإن شئت أدغمت اللام في الطاء، وكذلك: ﴿بَلْ تُؤْثِرونَ الحَيَاةَ الدُّنيا﴾[3] يُدْغَمُ فتقول: بَطَّبَعَ، وبتُّؤْثِرنَ، جعل اللَّه مُجَازاتَهُمْ على كفرهم أن طبع على قلوبهِم.

وقوله: ﴿ وَقَوْلِهم علَى مَرْيَم بُهْتَاناً عَظيماً ﴾.

---

(١) سورة البقرة ـ ٥٥.

(٢) سورة آل عمران ١٨٧.

(٣) سورة الأعلى آية ١٦ ـ والشاهد جواز الادغام، «بتؤثرون».

البهتان الكذب الذي يُحيّرُ من شِدَّتِه وعِظَمِه، وذلك أَنَّ اليهود ـ لعنها اللّه ـ رمت مريم، وهي صفوة اللّه على نساءِ العالمين، بأَمْرٍ عظِيمٍ.

وقوله: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا المَسِيحَ عِيسَى بنَ مَريَمَ رَسُولَ اللَّه﴾.

أَي باعترافهم بقتلهم إِياه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وما صَلبُوهُ وَلكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

فإنما عُذِّبوا أَو يُعَذبون عذابَ من قتل، أَو كان شُبِّهَ لَهم لأنهم قد أُتوا الأَمر على أَنه قتل نبّى. وجاءَ في التفسير أَن عيسى لما أَراد اللَّه جلّ ثناؤُه رفعه إِليه وتطهيره منهم، قال لأَصحابه: أَيُكم يرْضَى أَن يُلْقَى عليه شبهي فَيُقْتلَ ويُصلَب ويدخل الجنة، فقال رجل منهم أَنا فأَلقى عليه شبهه فقتل، ورفع اللَّه عيسى إِليه، وهذا كله غير ممتنع، لأَنا لا نشك في أَنه شُبِّه لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ﴾.

أَي الذين اختلفوا في قتله شاكُّون، لأَن بعضهم زعم أَنه إِله، وما قُتِلَ، وبَعضُهم ذكر أَنه قُتِلَ، وهم في ذلك شاكُّون.

﴿مَا لَهُمْ به مِنْ عِلْمٍ إِلا اتباعَ الظَّنِ﴾.

اتباعَ منصوبٌ بالاستثناء، وهو استثناء ليس من الأَول. المعنى ما لهم به من علم لكنهم يتبعون الظن. وإِن رُفِعَ جاز على أَن يُجْعَلَ عليهم اتباعُ الظَّن، كما تقول العرب: تحيتك الضربُ وعتابُكَ السَّيفُ.

قال الشاعر:(١)

وخيل قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ   تحية بينهم ضربٌ وجيعُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً﴾.

---

(١) تقدم ص ١٢٠.

قال بعضهم: الهاءَ للعلم. المعنى وما قتلوا علمهم يقيناً، كما تقول: أنا أقتل الشيءَ علماً، تأويله إني أعلمه علماً تامًّا.

وقال بعضهم: «وما قتلوه» الهاء لعيسى كما قال: وما قتلوه وما صلبوه، وكلا القولين جائز.

وقوله: ﴿بَلْ رَفَعَه اللَّه إِلَيْهِ﴾.

إدغام اللام في الراء هو الكلام وعليه القراءَة، لأن اللام قريبة من مخرج الراء، والراء متمكنة، وفيها كالتكرير، فلذلك اختير الإدغام فيها، وَإِنْ لَمْ تُدْغم لأنه مِنْ كلمتين جاز.

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبلَ مَوتِهِ﴾.

المعنى: ومَا منهم من أحد إلا ليُؤْمِنَنَّ به، وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ مِنكُمْ إلا وَارِدُهَا﴾[١].

المعنى ما منكم أحدٌ إلا واردها، وكذلك ﴿وَمَا مِنَّا الَّا لَه مَقَامٌ مَعْلومٌ﴾[٢] المعنى وما منا أحد إلا له [مَقَامٌ مَعْلومٌ].

ومثله قول الشاعر:[٣]

لو قلتَ ما في قومها لم تيثَم ... يَفْضُلُها في حَسبٍ ومِيسَمِ

المعنى ما في قومها أحد يَفضلها.

فالمعنى ﴿ليؤْمنَّن به بعد موته﴾[٤]، فالهَاءُ في «موته» راجعة على

---

(١) مريم - ٧١.

(٢) الصافات ١٦٤.

(٣) تقدم ص ٥٨.

(٤) ليست في ك. وتفسير قبل ببعد مستبعد والعبارة في ك: فأما ليؤمنن به قبل موته فالهاء في موته راجعة.. الخ.

كافرٍ في بعض الأَقاويل، وقد قيل: ما من أَحد إلا ليُؤمننَّ بعيسى ممَّن كفـر به قبل مَوْتِه، لأَن الميت قبل مـوته يعـاين عمله فيعلم صالحه من طـالحه، وكـل كافر إِذا عَاينَ آمَنَ بكل نبي كَفرَ به قبل مَوْته.

وقـالـوا في الهـاء في قـولــه: ﴿ليؤْمننّ به﴾ أَي بعيسى، وقــال بعضهم بمحمد ﷺ. والقولان واحدِ، لأَن من كفر بنبي عَـاينَ قبل مـوته أَنـه كان على ضلالٍ، وآمن حيث لا ينفعه الإِيمانُ.

وقال بعضهم: ﴿إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به﴾ أَي سيؤْمن بعيسى إذا نـزل لقتل المسيـخ الدَّجّال، وهذا بعيدٌ في اللُّغَةِ، لأَنه قال: «وإن منهم إلا ليؤْمِنَنَّ به قبـل موته»، والذين يبقون إلى ذلك الوقت إنما هم شرذمة منهم، ولكنه يحتمـل أَنهم كلهم يقـولون إن عيسى الـذي ينزل لقتـل الدجـال. نحن نؤْمن، فيجوز على هـذا، واللَّه أَعلم بحقيقته.

وقوله: ﴿لَكنِ الـرَّاسِخُونَ في الْعِلْم مِنْهُمْ والمؤْمِنُـونَ يُؤْمِنُـوَن بمـا أُنْـزِلَ إلَيْكَ».

يُعْنَى بـالرَّاسخين الثـابتـون(١) في العلم من أَهـل الكتـاب أَنهم لِعِلْمِهِمْ آمنوا بالنبي ﷺ وسائر الأَنبياء عليهم السلام.

ـ﴿والمُقِيمِينَ الصَّلاةَ﴾.

نسق عَلى «ما»(٢) المعنى يؤْمنون بمـا أُنزل إليـك وبالمقيمين الصـلاة أَي ويؤمنون بالنبيين المقيمين الصلاة.

وقــال بعضهم «المقيمين» عــطف على الهـاء والميـم، المعنـى: لكـن

(١) ك الثابتين.

(٢) ك اختلف الناس في إعراب المقيمين فقال بعضهم هو نسق.. الخ.

الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلاة يؤمنون بما أُنزل إلَيْك، وهذا عند النحويين رَدِيءٌ، أعني العطف على الهاء والميم لأنه لا يعطف بالظاهر المجرور على المضمر المجرور إلا في شعْرٍ، وذهب بعضهم أن هذا وهمٌ من الكاتب[1].

وقال بعضهم: في كتاب اللَّه أشياءَ آستصلحها العرب بألسنتها، وهذا القول عند أهل اللغة بعيدٌ جداً، لأن الذين جمعوا القرآن أصحاب رسول اللَّه ﷺ وهم أهل اللغة وهم القدوة وهم قريبو العهد بالإسلام فكيف يتركون في كتاب اللَّه شيئاً يصلحه غيرهم، وهم الذين أخذوه عن رسول اللَّه ﷺ وجمعوه، وهذا ساقط عَمَّنْ لا يَعْلَم بَعْدَهُمْ وساقط عمن يعْلَمُ، لأنهم يُقْتَدى بهمْ فهذا مما لا ينبغي أن ينسب إليهم رحمةُ اللَّه عليهم. والقرآن محكَم لا لحن فيه، ولا تَتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، كما قال عزّ وجلّ ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيم حَمِيد﴾[2]، وقال: ﴿بِلِسانٍ عَربي مُبِينٍ﴾[3].

ولسيبويه والخليل وجميع النحويين في هذا باب يسمونه باب المدحِ قد بَينوا فيه صحةَ هذا وجَوْدتَهَ. وقال النحويون: إذا قُلتَ مَرَرْتُ بزيدِ الكريمَ، وأنتَ تريد أن تخلص زيداً من غيره فالجرّ هو الكلام حتى يُعْرَفَ زيد الكريمُ من زيد غير الكريمِ، وإذا أردت المدح والثناءَ فإن شئت نصبت فقلت مررتَ بزيد الكريمَ كأنك قُلتَ أذكُرُ الكريمَ، وإن شئت قلت بزيد الكريمُ على [تقدير] هو الكريم، وجاءني قومُكَ المطعمينَ في المحل، والمغيثون في الشدائد، على معنى أذكر المطعمينَ، وهم المُغيثُون في الشّدَائد، وعلى هذا الآية، لأنه لما قال: ﴿يُؤْمِنونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ عُلمَ أنهُمْ

(١) أي انها بالرفع وأخطأ الكاتب ـ وهذا كما ذكر خطأ.

(٢) سورة فصلت آية ٤٢.

(٣) سورة الشعراء آية ١٩٥.

يُقِيمون الصَّلاَة ويُؤْتُـون الزَّكـاةَ. فقال: ﴿والمقيمين الصـلاة، والمُؤْتُونَ الزكاةَ﴾، على معنى، أذكُـر المُقِيمينَ الصـلاةَ، وهم المؤْتـوْنَ الـزكـاة، وأنشـدوا بيت الخزنق بنت بدر بن هفان[1]:

لا يَبْعَـدَن قـومي الـذين همُـو سمُّ الـعـداةِ وآفَـةُ الـجـزُرِ
الـنـازلين بـكـل مـعتـرك والـطيبـون مـعـاقـد الأزُر

على معنى أذكـر النازلين، رفعـه ونصبـه على المـدح. وبعضهم يـرفـع النازلين وينصب الطيبين، وكله واحد جائز حسن. فعلى هذه الآية.

فأما من قال إنه وهم فقد بينا ما فيه كفاية. والـذي ذكرنـاه من الاحتجاج في ذلك مذهب أصحابنا البصريين.

وقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْـكَ كَمَا أَوْحَيْنَـا إِلى نُوحٍ وَالنَبِيّينَ مِنْ بعدِهِ﴾. هـذا جواب لهم حين سألوا النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتـاباً من السمـاءِ، وقد جـرى ذكر ذلك قبل هذه الآية. وهو قوله: ﴿يَسْأَلُكَ أَهلُ الكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِم كِتَاباً مِن السَّماءِ﴾ فأعلم اللّه نبيـه أن شأنـه في الوحي كشـأن الأنبياءِ الـذين سلفـوا قبله، وهـذا احتجاج عليهم، فقـال: ﴿إنا أوحينـا إليـك كمـا أوحينـا إلى نـوح والنبيين من بعده﴾ وسائر الأنبياءُ الذين ذكروا في هذه الآية.

وقوله: ﴿وآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

القـراءَة فيه بفتـح الزاي وضمهـا، وأكثر القـراء على فتح الـزاي، . وقد قرأت جماعة زُبُوراً بضم الزاي، منهم الأعمش وحمزة، فمن قرأ زَبُوراً، بفتح الزاي فمعناه كتاباً، وهذا الوجـه عند أهـل اللغة، لأن الآثـار كذا جـاءَت زَبُور دَاوُدَ، كما جاءَ تَوْراةُ مُوسَى وإنْجِيل عِيسى.

---

(١) الكلمة غامضة في ب، ط، وفي ك بنت عبعبة والمعروف أنها خـرنق بنت بدر بن هفـان. أنظر الخـزانة ٢ ـ ٣١٧، والكتـاب ١ ـ ٨١ وأمالي المـرتضى ١ ـ ١٤٦، وينسب البيتان أيضـاً لغيـر خرنق.

ومن قرأ زُبوراً بضم الزاي فمعناه وآتيناه كُتُباً، جمع زَبْر وزُبُور ويقال ذَبرت الكتاب أَذْبُرُه ذَبْراً إذا كتبتَ، وذَبرتُ أَذْبُرُ ذَبْراً، وأَذْبِرُ إذا قرأْتَ[1].

والزَّبْرُ في اللغة إحكام العمل في البئر خاصة، تقول: بئر مزبورة إذا كانت مطوية بالحجارة، والزبر إحكام الكتاب، وقول الشاعر:[2]

هَوْجَاءُ لَيْسَ لِلُبهَا زَبْرُ

يصف ريحاً، جعل هذا مثلاً لَهَا، كأنه قال ليس لشأنها قوة في الاستواءِ. وقوله جلّ وعزّ: ﴿آتوني زُبَرَ الحدِيد﴾[3] واحدها زُبْرَة، وهي قطع الحديد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُم عَلَيْكَ﴾.

«رسلاً» منصوب من جهتين، أَجودهما أَن يكون منصوباً بفعل مضمَرٍ، الذي ظهر يفسِرهُ، المعنى وقد قصصنا رسلاً عليك قد قصَصْناهم، كما تقول رأيت زيداً وعمراً أكرمته، المعنى وأكرمت عمراً أكرمته. وجائز أن يحمل ﴿ورسُلاً﴾ على معنى ﴿إنَّا أوحينا إليك﴾، لأن معناه إنا أُرسلنا إليك: موحين إليك، وأُرسلنا رسلاً قد قصصناهم عليك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّه موسَى تَكْلِيماً﴾.

أَخْبَرَ اللَّه عزْ وجلّ بتخصيص نَبِي مِمَّن ذكر، فأعلم عزّ وجلَ أَن موسى كُلِمّ بغير وَحي، وأَكد ذلك بقوله تكليماً، فهو كلام كما يعقلُ الكلام لا شك في ذلك.

---

(١) في القاموس: الذبر الكتابة يزبر ويزبر كالتذبير والنقط والقراءة الخفية، والزبر القوي الشديد والعقل والحجارة والرمي بها وطي البئر بها.. والكتابة وهي بالذال والزاي.

(٢) هو ابن أحمر، وصدر البيت: ـ ولهت عليه كل معصفة ـ الزبر هنا القرار. ويقال آراء هوجاء أي ليست محكمة، والزبر الحجارة وطي البئر ـ أنظر اللسان ـ زبر ـ، وكتاب سيبويه ٢/٧١.

(٣) سورة الكهف آية ٩٦.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾.

القراءَة الرفع مع تخفيف «لكن»، والنصب جائز «لكنَّ اللَّه يَشهَدُ» إلا أنه لا يقرأ بما يجوز في العربية إلا أن يَثْبُتَ به رواية عن الصحابة وقراءَ الأمصار، ومعنى ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بما أَنْزل إِلَيْكَ﴾: [يبين]، لأن الشاهِدَ هو المبين لما يشهَدُ به. فاللَّه جلّ وعزّ يبينه ويعلم مع إبانتِهِ أنه حق.

﴿ وَالْمَلاَئِكَةُ يَشْهَدُون وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾:

معناه: وكفى اللَّه شهيداً، والباءُ دخلت مؤكدة، المعنى اكتفوا باللَّه في شهادته، ومعنى ﴿ أَنْزَلَهُ بعِلْمِهِ﴾ أي أنزل القرآن الذي فيه علْمُه.

وقوله: ﴿فآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾.

اختلف أهل العربية في تفسير نصب «خير»، فقال الكسائي: انتصب لخروجه من الكلام، قال: وهذا تقوله العرب في الكلام التام نحو قولك لتقومَن خيراً لك، فإذا كان الكلام ناقصاً رفعوا فقالوا: إن تنته خيرٌ لك. وقال الفَرَّاءُ: انتصب هذا وقوله ﴿خيراً لكم﴾ لأنه متصل بالأمر وهو من صفته، ألا ترى أنك تقول انته هو خير لك فلما سقطت هو اتصل بما قبله، وهو معرفة فانتصب، ولم يقل هُو ولاَ الكسائِي من أي المنصوبات هو، ولا شرحوه بأكثر من هذا.

وقال الخليل وجميع البصريين: إنَّ هذا محمول على معنا، لأنك إذا قلت: إِنْتَهِ خيْراً فأنت تدفعه عن أمر وتدخِله في غيره، كأنك قلت انْتَهِ وائتِ خيرٌ(١) لك وادخُلْ فيما هو خير لك.

وأنشد الخليل وسيبويه قول عمر بن أبي ربيعة:

---

(١) أي يكن ذلك خيراً لك.

فـواعِـديـه سَـرْحَتيْ مـالِـكٍ   أو الـزُّبى بينهمـا أَسْهَـلاَ[1]

كأنه قال إيتي مكاناً أَسْهلا.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾.

معنى سبحانه تبرئته من أن يكون له ولد، وهذا قول أهل العربية. وجاءَ عن النبي ﷺ أن معنى «سبحان اللَّه» تبرئة اللَّه من السوءِ، وتفسير أهل العربية موافق لما جاءَ عن النبي ﷺ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا﴾:

الرفع لا غير، ورفعه بإضمار لا تقُولوا آلِهتُنَا ثَلاَثَةٌ.

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾:

أي ما هو إلا إله واحِدٌ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَم رسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتهُ﴾:

[أي] فكيف يكـون إلٰهاً وهـو ابن مريم، وكيف يكـون إلٰهاً وأُمـه قبله[2] واللَّه عزّ وجلّ القديم الذي لم يَزُل.

﴿لا تَغْلُوا فِي دِينُكمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾.

الغُلو مجاوز القدرِ في الظلم.

وقوله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ﴾:

أي ليس يستنكف الذي تزعمون أنه إله أن يكون عبداً للَّه.

﴿ولا الْملائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

---

(١) انظر الخزانة الشاهد رقم ١٠٠ ـ ٣: ١ ط السلفية وهـو صفة لمحـذوف أي أئت مكانـاً أسهل. وهو الشاهد إذ نصبه لفعل محذوف ـ ويروى البيت برواية أخرى لا شـاهد فيهـا. أنظر الأغـاني ٨ ـ ١٤٤، وابن الشجري ١ ـ ٣٤٤.

(٢) أي هو ليس بقديم ـ إذ تسبقه أمه في الوجود فهو ليس بإله ـ والإِله لا يكون محدثاً ولا مولوداً.

والملائكة - واللّه أعلم - أكرم من النبيين، ألا ترى أن نُوحاً عليه السلام قال: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾(١)، فقال عزّ وجلّ: لن يستنكف المسيح من العبودةِ للّه.

ومعنى يستنكف أي لن يأنف، وأصله في اللغة من نَكَفْتُ الدَّمْعَ إذا نحيته بإصبعك من خدك، قال الشاعر:(٢)

فبانوا فلولا ما تذكر منهم   من الخُلفِ لم يُنْكَفْ لعَينيك مَدمعُ

فتأويل لَنْ يستنكف لن ينقبض، ولن يمتنع من عبودَةِ اللّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نوراً مُبيناً﴾.

يُعنَى به - واللّه أعلم - القرآن، لأن النور هو الذي يُبَينُ الأشياءَ حتى تُرَى. وَمَثَّلَ اللّه عزّ وجلّ ما يَعْلم بالقلب عِلْماً واضِحاً لما يرى بالعَيْن رُؤْيَةً منكشفة بَيِّنَة.

والكلاَلَةَ قد بَيَّناها أول السورة.

وقوله: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَد﴾.

جاز مع «إن» تقديم الاسم قبل الفعل، لأن «إنْ» لا تعمل في الماضي، ولأنها أُم الجزاءِ. والنحويون يذهبون إلى أن مَعَها فعلاً مضمراً، الذي ظهر يفسره، والمعنى إن هلك امرؤٌ هلك.

وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾.

قيل فيها قولان، قال بعضُهم: المعنى يبين اللّه لكم أن لَا تضلوا

---

(١) سورة هود ٣١.

(٢) اللسان (نكف) - أي أن الأحبة قد نأوا فلولا ما يتذكره من مخالفتهم له وقسوتهم لظل دمعه سيالاً لا يستطيع كفكفته ولا مسحه عن خده ويروى فماتوا! ونكف من باب نصر.

فأضمرت لا، . وقال البصريون إن «لا» لا تضمر، وإن المعنى: يبيّنُ اللَّه لكم كراهة أن تضلوا، ولكن حذفت «كراهة»، لأن في الكلام دليلًا عليها، وإنما جاز الحذف بمندهم على [حد] قوله: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ والمعنى واسأل أهل القرية، فحذف الأول جائز، ويبقى المضاف يدل على المحذوف، قالوا فأما حذف «لا» وهي حرف جاءَ لمعنى النفي فلا يجوز، ولكن «لا» تدخل في الكلام مؤكدة، وهي لغو كقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ﴾[1] ومثله قول الشاعر:

ومـا أَلـوم الـبيض أَلَّا تـسخـراً   لمـا رأين الشمط الـقَفَنْـدَرا[2]

المعنى وما أَلوم البيض أَن تسخر.

ومثل دخول «لا» توكيداً قوله عزّ وجلّ: ﴿لا أُقْسِمُ بِيَوم الْقِيَامَةِ﴾[3]، و﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[4].

فإن قال قائل: أفيجوز أن تَقُول لا أحلف عليك، تريد أحلف عليك؟. قيل «لا» لأن لا، إنما تلغى إذا مضى صدر الكلام على غير النَّفي، فإذا بنيت الكلام على النفي فقد نقضت الإيجاب، وإنما جاز أن تلغى «لا» في أول السورة، لأن القرآن كله كالسورة الواحدة، ألا ترى أن جواب الشيء[5] قد

---

(١) سورة الحديد ٢٩.

(٢) لأبي النجم والبيت في الخزانة ١ ـ ٤٨ وفي القرطبي ٢ ـ ١٨٢، واللسان (قفندر) ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٦، والشاهد فيه زيادة «لا». أي لا ألوم البيض أن تسخر من أن رأين الشيب لاح برأسي.

(٣) سورة القيامة آية ١.

(٤) سورة البلد آية ١.

(٥) الرد عليه ورد شبهته.

يقع وبينهما سُورٌ كما قال جلّ وعزّ جواباً لقوله: ﴿وقالوا يا أيُّها الَّذي نزل عليه الـذِّكر إنَّـك لَمجْنُونٌّ﴾[1]، فقـال: ﴿نُون والقَلمِ ومـا يَسطرونَ مـا أنت بنعمة رَبِّكَ بمَجنُون﴾[2]، (ومثله في القرآن كثير)[3].

---

(١) سورة الحجر ٦.

(٢) سورة ن آية ١ ـ ٢.

(٣) ك فقط.

ومن سورة المائدة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله جلّ وعزّ: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بالعُقُودِ﴾.

خاطب اللَّه جلّ وعزّ جميعَ المؤْمنين بالوفاءِ بالعقود التي عقدها اللَّه عليهم، والعقود التي يعقدها بعضهم على بعضٍ على ما يوجبه الدين، فقال: يا أَيُّها الَّذين آمنُوا، أي يا أَيُّها الذين صدقوا النبي ﷺ أَوْفُوا بالعُقُود، والعقود العهود، يقال وفيت بالعهْدِ وأَوفيتُ. والعقود واحدُها عَقْد، وهي أوكد العهودِ يقال: عهدت إلى فلان في كذا وكذا، تأْويله أُلزِمتُه ذلك، فإنما قلت عاقدته أو عَقَدتُ عليه، فتأْويله أنك أُلْزِمْته ذلك باستيثاق.

وقال بعضهم أَوْفوا بالعقُودِ أي بما كان عقد بعضُكم على بعض في الجاهلية، نحو الموالاة، ونحو قوله: ﴿والذين عقَدتْ أَيْمانُكُم، فآتُوهُم نَصِيبهمْ﴾[1] والمواريث تنسخ العقودَ في باب المواريث.

يقال عقدت الحبلَ والعهد فهو معْقودٌ. قال الحطيئة:

قومٌ إذا عَقَدوا عقْداً لِجارِهِمُو   شدُّوا العِناجَ وشدُّوا فَوقَه الكَرَبا[2]

---

(١) النساء: الآية ٣٣.

(٢) الديوان ٦، واللسان (كرب). وشواهد الكشاف. العناج ككتاب حبل يشد به أسفل الدو، وعرقوته، والكرب حبل يربطهما معاً. والبيت من قصيدته في مدح عامر بن الطفيل وتفضيله =

تأويله أنهم يوفون عهودَهم بالوفاءِ بها، ويقال أعقَدْتُ العسَل ونحـوه فهو مُعقـدَ وعَقِيـدٌ، وروى بعضهم: عقـدت العسـل والكـلام أعقَـدْتُ، قـال الشاعِر:[1]

وكـأن ربًّـا أوْ كُحيـلًا مُـعْقَـداً حشَّ الـوقُـودُ بـه جـوانب قُمقُم

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أُحِلَّت لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعام﴾.

قال بعضهم: بهيمة الأَنعام: الظباءُ والبقر الـوحْشِيَّةُ والحُمْـرُ الوحشيَّـة.
والأَنعام في اللغة تشتمل على الإبل والبقر والغنمَ.

فالتأْويل ـ واللَّه أعلم ـ أُحلت لكم بهيمة الأَنعـام، أَي أُحلت لكم الإبل والبقرُ والغنمُ والوحْشُ. والدليل على أَن الأَنعـام مشتملة على ما وصفنـا قولـه عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَـةً وفَرْشـاً﴾[2] فالحـمـولة الإبـل التي تُحَمَّلُ[3] والفَرْشُ صغار الإبل، قال ﴿ثمانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِن الضَّأْنِ اثْنَيْنْ. ومن المعز اثنين﴾[4] ثم قـال: ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾[5] وهذا مردود على قوله: ﴿وهو

= على الزبرقان بن بدر، وجاء قبلها:

قـوم هم الأَنف والأذنـاب غيـرهم ومن يسـوي بـأنف النـاقـة الـذنبـا
قـوم يبيت قـريـر العين جـارهمـو إذا لـوى بـقـوى أطنـابـهم طـنبـا

يريد أنهم يفون بعهدهم وينصرون من يحالفهم.

(١) هو عنترة العبسي يصف العرق الذي يتصبب من ناقته، بأنه خاثر مما علق به من الأتربة، فصار كـالطلاء أو القـطران الذي أوقـدت عليه النـار حتى تخثر، والـرب الطلاء، والكحيـل القـطران وحش النار أوقدها أو جمع لها الوقـود. وعرق الإبـل أسود، والقمقم هنـا هو رأس النـاقة على التشبيه، والبيت في معلقته رقم ٣٢.

(٢) سورة الأنعام آية ١٤٢.

(٣) فهي فعولة بمعنى مفعولة أي محملة. ولهذا دخلتها تاء التأنيث.

(٤) سورة الأنعام. آية ١٤٣.

(٥) سورة الأنعام ـ ١٤٤ ـ أي خلق من الأنعام ما هو كبير يحملكم ويحمـل متاعكم في أسفـاركم، وما هو دون ذلك، تأكلون لحمه وتنتفعون بجلده وبوبره.

الذي أنشأ جناتٍ مَعْرُوشاتٍ﴾[١]، وأنشأ ﴿من الأنعام حمولة وفرشاً﴾ . ثم ذكر ثمانية أزواجٍ بدلاً من قوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾. والسُّورَة تُدعَى سورة الأنعام، فبهيمة الأنعام هذه[٢]، وإنما قيل لها بهيمة الأنعام لأن كل حي لا يميز فهو بهيمة، وإنما قيل له بهيمة لأنه أبهم عن أي يميز، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الذي أُحِلَّ لنا مما أُبهِم هذه الأشياءُ.

وقوله: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُم﴾.

موضع ما نصب بإلا، وتأْويله أُحلت لكم بهيمة الأنعام ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ من الميتةِ والدَّم والموقُوذَةِ والمُتَرَدِّيَةِ والنطِيحَة ﴿غيرَ مِحلِّي الصَّيْدِ﴾ أي أُحلَّتْ لكم هذه لا مُحِلينَ الصَّيْدَ ﴿وأنتم حرم﴾.

وقال أبو الحسن الأخفش: انتصب ﴿غيرَ محِلِّي الصيد﴾ على قوله: ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾، كأنه قيل: أُوفوا بالعُقودِ غيرَ مُحِلَى الصَّيْدِ، وقال بعضهم يجوز أن تكون «ما» في موضع رفع على أنه يذهب إلى أنه يجوز جاءَ إخوتك إلَّا زيدٌ، وهذا عند البصريين باطل لأن المعنى عند هذا القائل:[٣] جاءَ اخوتك وزيد[٤]. كأنه يعطف بها كما يعطف بلا، ويجوز عند البصريين جاءَ الرجال إلا زيد على معنى جاءَ الرجال غَيرُ زيد، على أن تكون صفة للنكرة أو مَا قَاربَ النكرةَ من الأجناسِ.

وقوله: ﴿وأَنْتُمْ حُرمٌ﴾.

أي مُحرمونَ. وأَحَدُ الحُرُم حرام، يقال رجل حَرامٌ وقوم حُرُم، قال الشاعر:[٥]

---

(١) الأنعام آية ١٤١.

(٢) أي هذه الأصناف الثمانية. والإضافة في «بهيمة» الأنعام بيانية، أي بهيمة هي الأنعام.

(٣) أي من يرفع المستثني بعد الموجب التام.

(٤) أي إلا عاطفة وتفيد النفي، وكان الأولى أن يكون التقدير: جاء إخوتك لا زيد.

(٥) في اللسان (لبب) للمضرب بن سعد، وهو للمضرب بن كعب بن زهير وأنظر القرطبي ٦ -:

فقلت لها فِيئي إليك فإنَّني حرامٌ وإني بعد ذاك لبيب

أي ملبٍّ.

وقوله: ﴿إنَّ اللَّه يحْكُمُ ما يُريدُ﴾.

أي الخلق له عزّ وجلّ، يُحِل منه ما يشاءُ لمنْ يَشَاءُ، ويُحُرِّمُ مَا يُرِيدُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّها الذينَ آمنُوا لا تُحِلُّوا شعَائِرَ اللَّهِ وَلاَ الشهر الحرام ولا الهَدْيَ ولاَ القَلائِد﴾.

الشعائر واحدتها شعيرة، ومعناه ما أُشْعِرَ أي أُعْلَمَ ليُهدَى إلى بيت اللَّه الحرام. وقال قوم شعائر اللَّه يُعنَى بِهِ جميع مُتَعَبَّداتِ اللَّهِ التي أَشْعَرهَا اللَّه، أي جعلها أعلاماً لنا.

﴿وَلاَ الْهديَ﴾ الهَدْيُ واحِدَتُهُ هَدْيةٌ مثلُ جَدْيةَ وجَدْيٌ يعني حَدَبةُ السَّرج(١).

و﴿القلائد﴾: كانوا يقلِّدون بِلِحاءِ الشَّجرَ ويعتصمون بذلك وهذا كله كان للمشركين، وكان قد أُمِرَ المسلمون بأن لا يحلوا هذه الأَشياءَ التي يَتَقرَّبُ بها المشركون إلى اللَّه وكذلك ﴿ولا آمِّينَ البيتَ الحَرَامَ﴾ وهذا كله منسوخ، وكذلك ﴿ولا الشهر الحرام، وهو المُحرَّم لأَن القِتَال كان مرفوعاً فيه، فَنسخَ جميعَ ذلك قوله: ﴿فاقْتُلوا المُشْرِكِينَ حَيْث وَجَدتمُوهُم، وَخُذُوهُم واحْصُرُوهمْ واقعدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدِ﴾(٢).

= ٣٦، ومجاز أبي عبيدة. ١ ـ ٤٥.

يقول عودي لرشدك فإني لا أقربك لأنني محرم، ولو لم أكن محرماً ما قربتك لأنني ذكي لبيب لا أفعل قبيحاً.

(١) في القاموس هدية الأمر مثلثة جهته، والهدي والهدية ـ ويكسر الطريقة والسيرة، والهادي المتقدم والعتق ـ ومن الليل أوله، ومن الإبل أول رعيل يطلع منها.

(٢) سورة التوبة ـ ٥ والاستدلال غير قوي ـ لأن صدر الآية: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا=

وقوله: ﴿وإذَا حَلَلْتُم فاصطَادوا﴾.

هـذا اللفظ أمرٌ ومعنـاه الإباحـة، لأن اللَّه عـزّ وجـلّ حـرَّم الصيـدَ على المحْـرم، وأباحَـه لَهُ إذَا حَـلَّ من إحْرامـه، ليس أنـه واجب عليـه إذا حَـلَّ أن يَصـطاد، ومثله قولـه: ﴿فإذا قُضِيتِ الصَّـلاَة فَانْتَشِـرُوا فِي الأَرضِ وابتغوا مِن فضـلِ اللَّهِ﴾[1] تأْويله أنـه أُبيح لكم بعـد الفراغ من الصـلاة، ومثل ذلـك في الكلام: لا تَدْخُلَنَّ هـذه الدار حتى تُـودِّيَ ثمنها، فـإذا أديت فَادْخُلْهـا، تأْويله فإذا أُديت فقد أُبيح لك دُخولها.

وقوله: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنآن قَوْمٍ﴾.

أي لا يحملنكم بغضُ قومٍ، يقال شنئتـه شنآنـاً معناه أَبغضتـه إبغاضـاً، والشنآن مصدر مثل غَلَى غَليَاناً، ونَزَا نَزَوَاناً، فـالمعنى لا يكْسَبَنكم بُغْضُ قومٍ أن تعتدوا[2].

وموضع «أن» نصب، أي تعتـدوا لأن صَـدُّوكم عَن المسْجـد الحـرامِ فمـوضعُ أَنْ الأُولى نصبُ مفعـولٌ له، ومـوضع أَنْ الثـانيـةِ نصب مفعـول بـه، المعنى لا يكسبنكم بغضُ قـوم أي بغضكم قومـاً الاعْتِدَاءَ بصـدِّهم إيَّـاكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحرامِ يُقالُ فلان جريمة أَهْله أي هـو كاسبهم[3]. وقيـل في التفسير لا يحملنكم بغض قـوم، والمعنى واحـد، وقـال الأخفش لا يَجْنِفَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ[4]. وهذه أَلفاظ مختلفة والمعنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ وَالتَّقْوَى﴾.

= المشركين.... ﴾ ولكن في آية اخرى - ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾.

(١) سورة الجمعة آية ١٠.

(٢) لا يحملنكم بعضهم على عدم العدل.

(٣) يقال: جرم لأهله وعليهم وإليهم جريمة أي جنى جناية، أو كسب.

(٤) لا يحملنكم على الجنف، وهو الظلم.

وهذا كله منسوخ إلا التعاوُنَ مِن المسلمين على البِّر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ﴾.

أَصله الميِّتَة بالتشديد، إلَّا أَنه مخفَّفٌ، ولو قرئت الميِّتَةُ لجاز يقال مَيِّتٌ، ومَيْت، والمعنى واحد. وقال بعضهم الميِّت يقال لما لَمْ يَمُتْ، والميْتُ لما قَدْ مَاتَ، وهذا خطأٌ إنما ميت يصلح لما قد مات، ولما سَيَمُوتُ، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إنَّكَ مَيِّتٌ وإنَّهُمْ مَيِّتونَ﴾[١].

وقال الشاعر في تصديق أَن الميْتَ والميِّتَ بمعنى واحد:

ليس من مات فاستراح بمَيْت ... إنما المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْياءِ[٢]

فجعل الميت مخففاً من الميت.

وقوله: ﴿والدَّمُ﴾.

قيل إنهم كانوا يجعلون الدم في المباعر[٣] ويشوونها ويأْكلونها، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن الدم المسفوح، أَي المصْبُوبَ حرام، فأَما المُتَلَطِّخُ بالدم[٤] فهو كاللحم في الحل.

وقوله: ﴿وَمَا أُهِلَّ لغَيرِ اللَّهِ بِه﴾.

موضعه رفع، والمعنى: وحرم عليكم ما أُهل لغير اللَّه به، ومعنى ﴿أُهِلَّ لغير اللَّه به﴾ ذكر عليه اسمُ غيرِ اللَّه، وقد فسرنا[٥] أن الإِهلال رفع الصوت

---

(١) سورة الزمر ٣٠.

(٢) لعدي بن الرعلاء ـ انظر ابن يعيش ١٠ ـ ٥٧. والخزانة ٤/١٧٤ وفي ياقوت ١٢/٩ لصالح بن عبد القدوس.

(٣) في أمعاء الحيوان.

(٤) أي الدم الذي يبقى باللحم كالدهان فهو حلال كاللحم، وفي ك التلطخ في اللحم.

(٥) انظر ص ٢٤٣ ج ١.

بالشيءِ فَمَا[١] يتقَرَّبُ به من الذبح لغير اللَّه، أو ذكر غير اسمه فحرام، ﴿ولحمُ الخنزير﴾ حرام، حرَّم اللَّه أكله، وملكه، والخزير يشمل[٢] على الذكر والأُنثى.

وقوله ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ﴾.

وهي التي تنخنق بِربْقَتِها أي بالحبل الذي تشك به، وبأي جِهة اختنقت فهي حرام.

وقوله: ﴿والمَوْقُوذةُ﴾.

وهي التي تُقْتَلُ ضرباً، يقال وَقَذْتُها أَوْقِـذُها وَقْذاً وأَوْقَذْتُها أُوقِذُها إيقَاذاً، إذَا أَثْخَنْتُهَا ضرباً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والنَّطِيحَةُ﴾.

وهي التي تَنْطِحُ أو تُنْطَحُ فَتموتُ.

وقوله: ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾.

موضع «ما» أيض ً رفع عطف على ما قبْلَها.

وقوله: ﴿إِلَّا مَاذَكيتمْ﴾.

أي إلَّا مـا أدركْتُم ذَكاتَـه مِنْ هَذه التي وصفْنـا، وموضـع «ما» نصبٌ أي حُرِّمت عليكم هذه الأَشياءُ إلَّا الشيء الذي أُدْرِكَ ذَبحُه مِنْهَا، وكل ذَبحٍ ذكـاةٌ، ومعنى التذكية أن يدركها وفيها بقية تَشْخُبُ معها الأَوداج، وتضطرب اضطراب المذبوح الذي أُدْرِكَتْ ذَكاتُه، وأَهل العلم يقولون إنْ أَخْرجَ السَّبُعُ الحَشْوةَ، أو قَطَعَ الجَوفَ قطعاً خرج معه الحَشْوة[٣] فلا ذكاة لذلـك، وتأْويله أَنـه يصير في حالة مَا لَا يُؤثر في حياتِه الـذَّبْحُ، وأَصـل الذكـاء في اللغة كلهـا تمام الشيءِ،

---

(١) في الأصل فيما نقرب.

(٢) ك يشتمل.

(٣) أي ما في جوف الحيوان ـ وجمع الحشوة أحشاء.

فمن ذلك الذَّكاءُ في السن والفهم، وهو تمام السِّنِّ، قال الخليل: الذَّكـاءُ في السِّنِ أنْ يأْتي على قُروحِه سنةٌ[١]، وذلك تمامُ استِكمال القُوَّةِ، قال زهير:

يُـفَضّـله إذَا اجْـتـهَـدا عـليـهـا   تَمَـامُ السـنِّ منـه والـذَّكـاءُ[٢]

وَقيـل جريُ المـذْكِيَاتِ غِـلابٌ[٣] أي جَرْي المَسَـانِّ التي قـد تـأَسَنَّتَ. وتأْويل تمام السِّن النِّهايةُ في الشباب فـإذا نقص عن ذلك أَو زاد فـلا يقال لهـا الذكاءُ. والذكاءُ في الفهم أَن يكون فَهِماً تامّا سريعَ القَبول، وذَكَّيْتُ النارَ إنمـا هــو مِنْ هذا. تأْويله أَتَممت إشعالها.

﴿إلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾: ما أَذْكَيْتم ذَبْحة على التمام.

وقوله: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾.

والنُصبُ الحجارة التي كانُوا يعْبُدونَهـا، وهي الأَوثانُ واحِـدُها نِصـابٌ، وجائز أَن يكون واحداً، وجمعه أَنصاب.

وقوله: ﴿وأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالأَزْلَامِ﴾.

مـوضع «أن» رفع، والمعنى وحـرم عليكم الاستقسـام بـالأزلام. وواحـد الأَزلام زُلَم، وزَلَم، وهي سِهَـام كانَتْ فـي[٤] الجـاهلية مَكْتـوبٌ على بعضها «أَمَرَنِي رَبّي» وعَلى بعضها: «نهاني رَبّي» فإذا أَراد الرَّجُلُ سَفَراً أَو أَمْراً يهتّم به

(١) ذكي تذكية أسن وبدن ـ والمذاكي من الخيل جمع مذكية وهي ما أتى عليها بعد قروحهـا سنة ـ وقرح الفرس كخجل ومنع قرحاً وقرحاً ـ وهي قارح وقارحة ـ وجمعه قوارح وقرح ومقاريح.

(٢) يروى أيضاً ويفضله ـ وكذلك ورد في لك ـ والبيت في الديوان ص ٧٢، الكامل ١ / ٢٢٩.

(٣) من الأمثال الجارية، ويروى ـ غلاء ـ جمع غلوة ـ وهي الشـوط أي شوط بعـد شوط. بمعنى لا تـظهر نجـابتها من أول جـربة أو غلوة، أمـا رواية غـلاب فهي من المغالبـة. والمذكيـات جمع مذكية.

(٤) الزلم ـ كبطل وصرد ـ الظلف أو ما خلفه، والقدح سهمٌ لا ريش عليه وسهـام كانـوا يستقسمون بها في الجاهلية. وزلمه تزليماً سواه ولينه بمعنى أزال أزلامه أي الزوائد التي به.

اهتماماً شديداً ضرب تلك القِدَاح، فإن خرج السهم الذي عليه «أمرني رَبِّي» مضَى لحاجته، وإن خرج الذي عليه «نهاني ربي» لم يمض في أمره، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك حرام، ولا فرق بين ذلك وبين قول المنجمين: لا تخرج من أَجْل نَجْم كَذَا، واخرج من أجل طلوع نجم كذا، لأن اللَّه جلّ وعزّ قال: وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً[1] وروي عن النبي ﷺ، خمس لا يَعْلَمُهن إلّا اللَّه، وذكر الآية التي في آخر سورة لقمان. ﴿إنَّ اللَّه عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَام، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِب غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بأيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[2].

وهذا هو دخول في علم اللَّه الذي هو غيب، وهو حرام كالأزلام التي ذكرها اللَّه جلّ وعزّ أنها حرام.

والاستقسام بالأزلام فِسْقٌ. والفِسْقُ اسم لِكُلِّ ما أعلم اللَّه أنه مُخْرِجٌ عن الحلال إلى الحرام، فقد ذَمَّ اللَّهُ به جميعَ الخارجين مِن مُتَعَبَّداته وأَصْلُه عند أَهْلِ اللغة قد فَسقَتِ الرُّطَبَة إذَا خَرَجَتْ عَنْ قِشْرها.

ولو كان بَعضُ هذه المَرْفُوعَاتِ نَصْباً على المعنى لجاز في غير القرآن. لو قلتَ حُرِّمَتْ على الناس الميتَةُ والدَّمَ ولحمَ الخنزير، وتحمله على مَعْنَى وحَرَّمَ اللَّه الدَّمَ ولحمَ الخِنْزير لجاز ذلك، فأما القرآن فخطأٌ فيه أن نقْرأ بما لم يَقْرأْ به مَنْ هو قُدْوةٌ في القِراءَةِ، لأن القراءَة سنة لا تُتجاوَزُ.

وقوله: ﴿اليَوْمَ يَئِسَ الذين كَفَرُوا مِنْ دِينكُمْ﴾.

«اليومَ» منصوب عَلى الظرف، وَلَيْسَ يُرادُ به - واللَّه أَعلم - يوماً بعَيْنه.

---

(١) ك كانت في الجاهلية غدا.

(٢) سورة لقمان آية ٣٤.

معناه الآنَ يئِس الذين كفروا من دينكم، وهذا كما تقول أَنا اليومَ قَدْ كَبِرْتُ. وهذا الشأْن لا يصلح في اليوم. تريد أَنا الآن، وفي هذا الزمان ومعناه: أَن قد حَوَّل[1] اللَّه الخَوفَ الذي كاد يلحقكم منهم اليوم ويئِسُوا مِنْ بُطْلان الإِسْلَام وجاءَكُمْ مَا كُنتم توعدون من قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[2]، والدِّين اسم لجميع ما تعَبَّدَ اللَّهُ خلقَهُ، وأَمرهم بالإِقامة عليْه، والذِي به يُجزون، والذي أَمرهم أَن يكون عادَتَهم. وقد بينَّا ذلك في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾.

أي فليكن خوفُكم لِلَّه وحده، فقد أَمِنْتُم أَنْ يَظْهَرَ دين على الإِسلام وكذلك - واللَّه أَعلم -.

قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ﴾.

أي الآنَ أَكْمَلْتُ لكم الدِّينَ بأَن كَفَيتكُم خوف عَدوكم وأَظهرتكم عليهم، كما تقول: الآن كَمُلَ لَنَا الملكُ وكَمُلَ لَنَا ما نريد، بأَن كُفينا مَنْ كنا نَخافه. وقد قيل أَيضاً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أي أَكملت لكم فَرْض ما تحتاجون إِليه في دينكم. وذلك جائز حسن، فأَما أَن يكون دين اللَّه في وقت من الأَوقات غيرَ كامل فلا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾.

أي فمن دَعته الضرورة في مجاعة، لأَنَّ المخمصَةَ[3] شدةُ ضمور البطنِ.

﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾.

---

(1) أزال وصرف.

(2) سورة الصف آية ٩، والفتح آية ٢٨، والتوبة ٣٣.

(3) في القاموس: خمص الجرح وانخمص سكن ورمه، والخمصة الجوعة - والمخمصة المجاعة وخمص البطن (مثلثة).

أي غير مائِل إلى إثم.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٍ﴾.

أي فإن اللَّه أباحه ذلك رحمة منه وتسهيلاً على خلقه، وكذلك فَمَنِ اضْطُرَّ غير بَاغٍ وَلَا عَادٍ، أي غير آكل لها على جهة الاستحلال وَلا عَادٍ: أي مجاوزِ لقدر الحاجة، وغير آكل لها على جهة التلذذ فإنّ اللَّهَ غَفُورٌ رحيم.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾.

موضع «ما» رفع، إن شئت جَعلتها وحدها اسماً، ويكون خبرها قوله: «ذا». ويكون أَحَلَّ من صلة ما، والتأويل: يسألونك أيَ شيءٍ أُحِلَّ لهم، وجائز أن تكون «ما»، و «ذا»، اسماً واحداً، وهي أيضاً رَفْعٌ بالابتداءِ والتأويل على هذا: يسألونك أيَّ شيءٍ أُحِلَّ لهُم، وأُحل لهم خبر الابتداءِ.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ﴾.

فالطيبات كل شيءٍ لم يأت تَحريمه في كتاب ولا سنة، والكلام يدل على أنهم سألوا عن الصَّيْدِ فيما سألوا عنه، ولكن حُذِفَ ذكرُ صيدِ «مَا عَلَّمْتُمْ».. لأن في الكلام دليلاً عليه، كما قال: ﴿واسأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(١). المعنى واسأل أهل القرية.

«وقوله: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾.

أي في هذه الحال يقال رجل مُكلّب، وكَلَّاب، أي صاحب صيد بالكلاب، وفي هذا دليل أن لحم صيد الكلب الذي لم يُعلَّم حرام إذا لم تُدْرَك ذَكاتُه، فإذا أَرْسَل المرسلُ كلب الصَّيْدِ فصادَ فقَتَل صَيْدَه، وقد ذكر الصائدُ اسم اللَّه على الصيد فهو حلال بلا اختلاف بين الناس في ذلك.

---

(١) سورة يوسف ٨٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيكُمْ﴾.

فاختلف الفقها فيه إذا أكل من الصيدِ، فقال بعضهم يؤْكل (منه)[1] وإن أكل منه. وكل ذلك في اللغة غيرُ مُمتنعٍ لأنّه قدْ يُمْسك الصيدَ إذا قَتَله ولم يأْكل منه، وقد يُمسَكُ وقد أكل منه.

ومعنى: ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي تُؤَدِّبُونَهنَّ أَنْ يُمسِكنَ الصَّيدَ عليكمٍ، فإنْ غابَ الصَّيْدُ فماتَ فإنه غيرُ مُمْسَكٍ. وفي الحديث: «كُلْ مَا أَصْمَيْتَ ولا تأْكُلْ مَا أَنْميت». ومعنى كل مَا أَصْمَيْتَ أي إن صِدْتَ صيداً بكلبٍ أو غيرِه فمات وأَنْت تَرَاهُ مات بصَيْدك فهو ما أَصْمَيتَ، وأَصل الصَّمَيَان في اللغة السُّرعةُ والخِفَّةُ.

فالمعنى: كلْ ما أَصْمَيتَ أيْ ما قتلته بصَيْدِك وأَنت تراه أَسرع في الموت، فرأيته وعلمت ـ لا محالة ـ أَنه مات بصيدك، ومعنى ما أَنميت، أي ما غاب عنك فمات ولم تره، فلست تدري أَمات بصيدك أَم عَرَضَ له عَارضٌ آخَرُ فقتله، يُقَالُ نمتِ الرَّمِيَّةُ إذا مضتْ والسهمُ فيها، وأَنميتُ الرَّميَّةَ إذَا رَميتُها فمضت والسهم فيها، قال أَمرؤُ القيس:

فهو لا يَنمِي رميتَه ... ماله، لا عُدَّ من نفره[2]

وقال الحَرِث بن وعْلَة الشَّيْبَانِي:

قالت سليمى قد غَنيتَ فتًى ... فالآن لا تصمِي ولا تَنْمِي[3]

---

(١) ليست في ب ـ والمراد يجوز لنا أن نأكل منه وإن كان الجارح أكل منه.

(٢) نمى رميته وصيده إذا ضربها فجرت وماتت بعيداً. يتعجب من مهارته إذ لا يفلت صيد منه ـ ولا عد من نفره دعاء عليه للتعجب، وهو في حقيقته دعاء له ـ مثل تربت يداك، ولا أب لك. أنظر اللسان (نمى ـ نفر) وشرح الحماسة ١ / ٢٨٩.

(٣) قد كنت في شبابك ذا قوة والآن ذهبت قواك فلا قدرة لك على الصيد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ حِـلٌّ لَكُمْ، وَطَعَامُكُمْ حِـلٌّ لَهُمْ﴾.

أي ذبائح أهل الكتاب حلّ لكم، وقد أجمع المسلمون أن ذبـائحَ أهـلِ الكتاب حلال للمسلمين، واختلفوا فيما سواها من الأطعمة، والذبائح هى من الأطعمة، فالظاهر ـ واللَّه أعلم ـ أن جميع طعامهم حلال كالذبائح.

﴿وَطَعَامُكُم حِلٌّ لَهُمْ﴾.

تأويله حل لكم أن تطعموهم، لأن الحلال والحرام والفرائض بعد عقد التوحيد[1]، إنما يعقد على أهل الشريعـة والملة، فأمَّـا الكفَّارُ فـالواجِبُ فيهم القتلِ إلَّا مَنْ أَدَّى الجِزْيَةَ مِنْ أَهِلِ الكِتَابِ.

وقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أوتوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكم﴾.

أي وأُحل لكم المحصنات وهن العفائف وقيل الحـرائر، والكتـاب يدل على أن الأمَـةَ إذا كانت غيـرَ مُؤْمِنَةٍ لم يجـز التزويـج بها، لقـولـه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَـطِع مِنْكُم طَوْلاً أَنْ ينكِـحَ المُحْصَنَاتِ المـؤْمِنَات فمِمَّـا مَلَكَتْ أَيْمَانُكم مِنْ فَتَيَـاتِكُمُ المُؤْمِنَـاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـانِكمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْض فَـانكِحُـوهُنّ بِـإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيرَ مُسَافِحَاتٍ﴾[2].

فإذا آتيتموهُنَّ أي إذا أعطيتموهن الأجر على جهة التزويج لا على جهـة السِّفَاح وهو الزِّنَا.

وقوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾.

---

(١) أي الإيمان والعقيدة أولاً ثم التكاليف بعد ذلـك، وهؤلاء لا إيمان عنـدهم. فليأكلوا مـا يأكلون ولا حرج علينا في تقديم ذلك لهم.

(٢) سورة النساء ٢٥ ـ وتزويج الكافرة أياً كانت غير جائز لقوله تعالى: ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ ـ ولا تمسكوا بعصم الكوافر.

وهن الصديقات والأصدقاءُ، فحرم اللّه عَزّ وجلّ الجماع على جهة السّفاح، أو على جهة اتخاذ الصَّدِيقة[1]، وأَحَلَّهُ على جهة الإحصَانِ، وهو التزويج، على ما عليه جماعة العلماءِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾

أي من بدل شيئاً مما أَحَلَّ اللّه فجعله حَراماً، أو أَحَلَّ شيئاً مما حَرَّمَ اللَّهُ فهو كَافِرٌ بإجماعٍ، وقد حَبِط عَمَلُه أي حَبِطَ جميع ما تَقَرَّب بِه إلى اللَّهِ جَلَّ ثَناؤُه، ومن غير ذلك[2].

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

المعنى إذا أَردتم القيام إلى الصلاة، وإنما جاز ذلك لأن في الكلام والاستعمال دليلاً على معنى الإرادة، ومثل ذلك قول اللّه عزّ وجلّ ﴿فإِذا قرأْت القرآن فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم﴾، المعنى إذا أَردت أَن تقرأَ القرآن فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم.

وقوله: ﴿وأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

القراءَة بالنصب، وقد قرِئت بالخفض، وكلا الوجهين جائز في العربية فمن قَرَأَ بالنصب فالمعنى: فاغسلوا وُجُوهَكُم وَأَيديَكم إلى المرافق وأَرجُلَكم إلى الكعبين، وامسحوا برؤُوسكم على التّقْديم والتّأْخير والواو جائز فيها ذلك كما قال جلّ وعزّ: ﴿يَا مريَمُ اَقنُتِي لِرَبِّكِ واَسجُدِي واَركَعِي مَعَ

(١) وكان مألوفاً أن يصادق الرجل المرأة، ويعاشرها معاشرة زوجية متكررة - فالمعنى أن كل ذلك سفاح سواء كان صداقة وعشرة أو كان لقاء عارضاً.

(٢) جملة لا فائدة فيها، وهو يريد - فيما يبدو - كل عمل تقرب به إلى اللّه سواء من طريق النكاح الحلال أو غيره، يحبط إذا أحلّ ما حرّم اللّه.

الـرَّاكِعِينَ﴾[١] ، والمعنى وآركعي واسجـدي لأن الـركوع قبـل السجـود، ومن قرأ: وَأرجُلِكم ـ بالجر عطف على الرؤوس . وقال بعضهم نزل جبريل بالمسح ، والسنـة في الغَسل[٢]، وقـال بعض أهـل اللغـة هـو جَـرٌّ على الجِـوَارِ، فـأما الخفض على الجـوار فـلا يكـون في كلمـات اللّه، ولكن المســح على هـذا التحـديـد في القـرآن كـالغُسـل لأن قـولـه: ﴿فاغسلوا وُجُـوهَكم وأيـديَكم إلى المَرافِق﴾، فذكر الحدَّ في الغسل لليد إلى المرافق، ولليد من أطراف الأصابع إلى الكفِ، ففـرض علينـا أن نغسـل بعض اليـد من أطـراف الأصـابــع إلى المرفق، فالمرفق منقَطِعٌ ممـا لا يُغْسَل ودخـل فيما يُغْسَـل[٣]، وقد قـال بعض أهل اللغة معناهُ مع المرافق، واليَدُ المرفق داخل فيها، فلو كان اغسلوا أيديَكم مع المرفَق، لم تكن في المرافق فَائِـدةٌ وكانت اليـد كلها يجب أن تغسـل[٤]، ولكنه لما قيل إلى المرافق اقتـطعت في الغسل من حَـدِّ المِرفق، والمِـرفَق في في اللغـة ما جـاوز الأبره وهـو المكان الـذي يُـرتَفَقُ بـه، أي يتكـأ عليـه على المرفقة[٥] وغيرها. فالمرافق حَد ما ينتهِي إليه في الغسْل منهـا، وليس يحتاج إلى تأويل «مع».

ولما حدَّ في الرِّجْلِ إلى الكعْبين، والرِّجْلُ من أصـل الفخذ إلى القَـدَم عُلمَ أن الغُسْـلَ من أطراف الأصـابع إلى الكعبين، والكعبـان همـا العـظمـان الناتئان في آخر الساق مـع القدم، وكـلُّ مِفْصَل من العـظام فهو كعب، إلا أن

---

(١) سورة آل عمران ٤٣ .

(٢) يريد السنة هي التي بينت الغسل، أما القرآن فجاء بالمسح إذ عطف الأرجـل على الرأس وفي ك : فالسنة الغسل.

(٣) وداخل فيما يغسل. والمعنى فيهما أنه ليس من اليد ولكنه يغسل.

(٤) لأن اليد تطلق على الذراع كله.

(٥) الوسادة ونحوها.

هذين الكعبين ظاهران عن يَمْنَة فوق القدم ويَسْـرَتِه، فلذلـك لم يحتج إلى أن يقال الكعبان اللذان صِفَتهما كذا وكذا.

فـالدَّلِيـل على أن الغسل هـو الواجب في الـرجل، و[الـدليل على] أنَّ المَسْحَ على الرجل لا يجوز [هو تحديد] إلى الكعبين(١) كما جـاءَ في تحديـد اليد إلى المرافق، ولم يجئ في شيء في المسح(٢) تحديـد، قال فـامسحوا برؤوسكم بغير تحديد في القرآن وكذلك قوله:

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾: ويجوز وأرجُلِكم بالجر على معنى واغسلوا، لأن قوله إلى الكعبين قد دل على ذلك كما وصفنا، وينسق بالغسل على المسح كما قال الشاعر:

يـا لـيت بـعلك قـد غـدا ... متـقـلداً سـيـفـاً ورمـحـا

المعنى متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً، وكذلك قال الآخر:

عـلفتهـا تـبنـاً ومـاءً بـارداً(٣)

المعنى وسقيتها ما بارداً.

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾.

يقال للواحد رجل جُنُبٍ، ورجُلان جُنُبٌ، وقوم جُنُب وامرأةٌ جُنبٌ، كما يقال رَجُلٌ رِضًى وقومٌ رضًى وإنما هـو على تأويـل ذَووا أجْنُبٍ، لأنه مصـدر، والمصـدر يقوم مقـام مـا أضيف إليـه، ومن العـرب من يُثَنِّي ويَجْمَـعُ ويجعـل

(١) ط. تحديد قوله إلى الكعبين.

(٢) ك في شيء.

(٣) تقدم ص ٦: ورواية ـ حتى شتت همالة عيناها، وفي شواهد الكشاف:
لمّا حططت الرحل عنها وارداً.. علفتها... والرواية الأولى رواية الفراء أي كانت عيناها دامعة زمن الشتاء ـ ويروى غدت.

المصدر بمنزلة اسم الفاعل، وإذا جمع جنب، قلت في الرِّجال جُنُبون، وفي النساءِ جُنُبات، وللاثنين جُنُبان.

وقوله: ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾.

معناه فتطهروا، إلَّا أن التاءَ تدغم في الطاءِ لأَنهما من مكان واحد، وهما مع الدال من طرف اللسان، وأُصول الثنايا العليا، فإذا أُدغمت التاءُ في الطاءِ. سقط أَول الكلمة فزيد فيها أَلف الوصل، فابتدأَت فقلت اطهَّروا.

وبيَّن عزّ وجلّ ما طهارة الجنب في سورة النساءِ بالغسل فقال: ﴿وَلَا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلوا﴾[1].

والغائط - كناية عن مكان الحَدَثِ، والغِيطَانُ ما انخفض من الأَرض.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

أَي اقصدوا، وقد بينا الصعيد في سورة النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أَي من ضيق.

﴿وَلكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُم﴾.

واللام دخلت لتبيّنَ الإرادة. المعنى إرادته ليطهركم، قال الشاعر:

أُرِيدُ لأَنْسى ذكرها فكأَنما ... تَمَثَّلُ لي لَيلَى بكُلِّ سَبِيلِ[2]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَوَّامِينَ للَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾.

أَي بالعدل.

---

(١) الآية ٤٣.

(٢) ينسب لقيس بن الملوح، ولكثير، ولجرير، ويروى بفتح اللام وهي لغة عكل. وبالكسر على اللغة المشهورة. أي أريد نسيانها. أنظر شواهد الكشاف، وفي اللسان (ورد) أنه لكثير. وانظر شواهد المغني ١٩٩.

﴿شُهَدَاءَ﴾.

أي مُبَينين عن دين اللَّه لأن الشاهد يبيِّن ما شهد عليه.

وقوله: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾.

فشنآن قوم معناه بُغْضِ قوم [أي] لا يحملنكم بغضكم المشركين على ترك العدل. ومن قال شنْآن قوم، فمعناه بُغْضُ قوم، ويقال: أجرَمَني كذا وكذا، وجَرَمَنِي، وجرَّمني، وأجرَمتُ بمعنى واحد، وقد قيل لا يَجرِمنَّكُم: لا يُدخِلَنَّكُم في الجُرم كما تقول آثمته أي أدخلته في الإثم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

هذا تمام الكلام، يقال وعدت الرجل تريد وعدته خيراً، وأوعَدتُ الرَّجُلَ تريد أوعَدتُه شرًّا، وَإِذَا ذكرت الموعود قُلْتَ فيهما جميعاً واعَدتُه. وإذا لم تذكر الموعود قلت في الخير وعدته وفي الشر أوعدتُه. فقال عزّ وجلّ: ﴿وعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فدل على الخير[1]، ثم بين ذلك الخير فقال:

﴿لَهُم مَغْفِرةٌ﴾: أي تغْطِيةٌ على ذنوبهم.

﴿وأجرٌ عَظِيمٌ﴾: جزاء على إيمانهم.

وقوله: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبسُطُوا إِلَيْكُم أَيْدِيَهُم فَكَفَّ أَيدِيَهُمْ عَنْكُم﴾.

يُرْوى في التفسير أَن بني قُرَيظة و[بني] النَّضِير كانوا عاهدوا النبي ﷺ على تَرك القِتَال وعلى أَنْ يُعينهم في دِيَاتِهم ويُعينُوه في ديات المسلمين، فأُصِيبَ رَجُلان من المسلمين فقال النبي ﷺ لهم في دياتهما[2]، فوَعَدُوه

---

(١) الاستدلال غير جيد، لأن آمنوا وعملوا الصالحات تؤذن بالخير وأنه خير.

(٢) سألهم المساعدة فيها حسبما أنفقوا.

لِوَقْتٍ يصيرُ[1] إليهم فيه، فصار النبي هو وأبو بكر وعمرُ وعليٌ، فلما صاروا إليهم هموا بالغدرِ وأن يَقْتُلوا النبي ﷺ ومن معه، فأوحى اللَّه إليه وأعلمه ما عزموا عليه، فخرجوا من المكان الذي كانوا فيه، فأعلمهم اليهود أَنَّ قُدُورَهُم تغلي[2]، فأعلمهم ﷺ أنَّه قد نزل عليه الوحي بما عزموا عليه، وهذه من الآيات التي تدل على نبوته. وقيل إن هذا مردود على قوله: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكم﴾[3] أي قد أُعطِيتُم الظَّفَر عليهم، فقال: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾.

وكلا الوجهين ـ واللَّه أعلم ـ جائز، لأن اللَّه جلّ ثناؤه قد أظهر الإسلام على سائر الأديان.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أي أخذ اللَّه منهم الميثاق على توحيده والإيمان برسله.

﴿وَبَعَثْنَامِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾.

النقيب في اللغة كالأمير، والكفيل، ونحن نُبَيِّنُ حقيقَتَه واشتقاقه إن شاءَ اللَّه.

يقال: نَقَبَ الرجل على القوم يَنْقُبُ إذا صار نَقيباً عليهم، وما كان الرجل نقيباً[4]، ولقد نقُبَ، وصناعته النقابة وكذلك عَرَفَ عَلَيْهم إذَا صار عريفاً،

---

(١) ينتهي إليهم، أي يقابلهم في حلتهم. وفي ك يسير ـ بالسين ـ أي يمشي إليهم لأخذ المال منهم.

(٢) أي إنهم يعدون له الطعام ويطبخونه.

(٣) سورة المائدة من الآية: ٣.

(٤) لم يكن من قبل ولكنه أصبح كذلك.

ولقد عَرِفَ، ويقال لأول ما يبدو من الجرب النُّقْبة، ويُجْمَعُ: النُّقُب، قال الشاعر(١):

متبذ لا تبدو محاسنه يَضَعُ الهِناءَ مواضع النُّقْب

والنُّقْبَة وجمعُها نُقُب سراويل تلبسه المرأة بلا رجلين، ويقال فلانة حسنة النُّقْبة والنِّقَابِ، ويقال في فلان مناقب جميلة، وهو حسن النَّقِيبَة، أي حسن الخليقة، ويقال كَلْبٌ نقِيبٌ، وهو أَنْ تُنْقَبَ حَنْجَرَةُ الكلْب لئلا يرتفع صوته في نُباحِه، وإنما يفعل ذلك البخلاءُ من العرب لئلا يطرقهم ضيف بسماع نُبَاح الكلاب.

وهذا الباب كله يجمعه التأْثير الذي له عمق ودخول، فمن ذلك نقبتُ الحائط، أي بلغت في الثقب آخره، ومن ذلك النقبة من الجَرَبِ لأَنه داءٌ شديد الدخول، والدليل على ذلك أَنَّ البعيرَ يُطْلَى بالهَنَاءِ فيوجد طعم القطران

---

(١) هو دريد بن الصمة ـ من جشم بن بكر، واسمه معاوية بن الحرث؛ ذكره الجمحي على رأس الشعراء الفرسان، قتل ـ على شركه ـ يوم حنين في غير معركة،قتله ابن الدغنة في قصص معروف.
وكان قد رأى الخنساء تهنأ بعيراً، أي تطليه بالقطران، وقد خلعت ثيابها عدا بذلة العمل التي كشفت عن أجزاء من جسمها ـ وقيل خلعت ثيابها لتغتسل فرآها دريد خفية.
أنظر الأغاني ١٠ ـ ٢٢، وشواهد المغني ٣٢٣.
وذكر القالي في أماليه هذه القصة، وأول القصيدة.

حيوا تماضر واربعوا صحبي وقفوا فإن وقوفكم حسبي
ما إن رأيت ولا سمعت به كاليوم طالي أينق جرب

وقد رفضت الخنساء خطبته قائلة:

معاذ اللّه ينكحني حبركي قصيد للظهر من جشم بن بكر

والخنساء هي السيدة تماضر الصحابية الجليلة ـ كان رسول اللّه ﷺ، يستنشدها ويقول: هيه يا خناس ـ واستشهد أولادها الأربعة يوم القادسية. فحمدت اللّه وسألته أن يلحقها بهم في جنته، رضي اللّه عنها.
انظر الإصابة ج ٨. ت ٣٥٥.

في لحمه. ، والنُّقْبَةُ هذه السراويل التي لا رِجلَين لها، قد بُولغ في فتحها ونَقْبِها، وَنِقاب المرأةِ وهو ما ظهر من تَلَثُّمِها من العينين والمَحَاجر، والنَّقَبُ والنُّقْب الطريق في الجبل، وإنما قيل نقيب لأنه يعلم دخيلة أمر القوم ويعرف مناقبهم، وهو الطريق إلى معرفة أمورهم(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾.

قال أبو عبيدة: ﴿عَزَّرْتُموهم﴾ عظمتموهم. قال غيره: عزرتموهم: نَصَرْتموهم. وهذا هو الحق - واللَّه أعلم - وذلك أن العَزْر في اللغة الرّدّ، وتأويل عزَّرْت فلاناً - أي أَدَّبْتُه - فعلت به ما يَرْدَعُه عن القبيح كما أَنَّ نَكَّلتُ به، فعلت به ما يجب أن ينكل معه عن المعاوَدَةِ، فتأويل عزرتموهم نصرتوهم بأن تردوا عنهم أعداءَهم. وقال اللَّه عزّ وجلّ ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾(٢) فلو كان التعزير هو التوقير لكان الأجود في اللغة الاستعانة والنصرة إذا وجبت، فالتعظيم داخل فيها، لأن نصرة الأنبياءِ هي المدافعة عنهم والذَّبُّ عن دَمِهِم وتعظيمهم وتوقيرهم(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

أي فقد ضل قصد السبيل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثَاقَهُمْ﴾.

«ما» لغوٌ، المعنى: فبنقضهم ميثاقهم، ومعنى «ما» الملغاة في العمل توكيد القِصَّةِ.

﴿لَعَنَّاهُمْ﴾: أي باعَدْنَاهم من الرّحمةِ، وجعلنا قلوبهم قاسية أي يابسةً،

---

(١) أي هو كالثقبة التي ينفذ منها إليهم.

(٢) سورة الفتح من الآية: ٩.

(٣) لأن التوقير يكون مكرراً إذا كان بمعنى التعذير، وإنما المراد تنصروه وتجلوه.

يقال للرجل الرَّحيم: لَيِّنُ القلب، وللرجل غير الرحيم: قاسي القلب ويابس القلب، والقاسي في اللغة، والقاسِح ـ بالحاءِ ـ: الشديد الصلابة.

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.

الكلم جمع كلمة، وتأْويل يحرفون؛ يُغيِّرونه على غير ما أُنزل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

معنى نسوا: ﴿تركوا نصيباً مما ذكروا به﴾.

وقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ﴾.

خائنة في معنى خيانة، المعنى: لا تزال تطلع على خيانة منهم، وفاعلة في أَسماءِ المصادر كثيرة، نحو عافاه اللَّه عافية، وقوله: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾[1]، وقد يقال رجل خائنة، قال الشاعِر:[2]

حَدَّثتَ نفسك بالوفاءِ ولم تَكُنْ ... لِلغَدرِ، خَائنةً مُغِلَّ الإِصبَعِ

(قال خائنة على المبالغة لأَنه يخاطب رجلاً، يقول: لا تحملن فتغلل

---

(١) سورة الحاقة من الآية: ٥، أي بالطغيان.

(٢) البيت لرجل من السواقط من بني كلاب قدم وأخاله اليمامة في جوار عمير بن سلمى، فقتل قرين أخو عمير أخا الكلابي، فأتى الكلابي قبر سلمى ـ والد عمير وقرين. وأنشد أبياتاً منها:

أقرين إنك لو رأيت فوارسي ... بعمايتين إلى جوانب ضلفع

حدثت نفسك بالوفاء.....

وعمايتان جبلان، وضلفع مكان ـ يقول إن شجعان قبيلتهم كثر يملأون هذا الفضاء، يعني لو رأيت هذا العدد الكثير لأوجبت على نفسك الوفاء ولم يجرؤ أخوك على قتل أخي ـ وقوله للغدر، أي من أجل الغدر ـ ومغل يقال أغل فهو مغل، كما يقال غل ـ والغلول ما يختان ويحتجن، يستعمل في غير المال مجازاً ـ وخائنة مصدر ـ وهو يأتي على فاعل قليلاً جداً، مثل عوفي عافية، وقم قائماً، أي قم قياماً.

وانظر الأبيات وتفاصيل القصص في الكامل ١ ـ ٢١١ ـ ٢١٢ ـ (ط ـ التجارية) وانظر القرطبي ـ ١ ـ ٢٥٠، والطبري ٦ ـ ٩٠، واللسان (صبغ. خور). وشواهد الكشاف.

اصبعك في المتاع فتدخلها للخيانة، (ومُغِل يَدَك مِنْ خَائِنَةٍ)[1] ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ على خائنة أن على فِرْقَةٍ خائنة.

وقوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾.

مَنصُوبٌ بالاستثناءِ.

وقوله: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يُعنى به النصارى، ويَعْنِي قولُه: أَغْرَيْنَا أَلْصَقْنَا بهم ذلك، يقال: غريتُ بالرجل غَرىً -مَقْصُورٌ- إِذَا لصِقتَ به، وهذا قول الأصمعي وقال غيرُ الأَصْمَعِي: غَرِيتُ به غَرَاءً، وهو الغِرَاءُ الذي يُغْرَّى إنما تلصق به الأشياءُ، وتأويل أُغْرَينا بينهم العداوة والبغضاءَ أَنَّهُمْ صَارُوا فِرَقاً يُكفِّر بعضُهم بَعضاً، مِنهُم النِّسْطُورِيَّةُ، واليَعْقُوبيَّةُ والمَلْكَانِيَّةَ، وهم الرُّوم، فكل فرقة مِنهم تعادي الأُخرى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.

النور [هو] محمدٌ ﷺ والهدى أو النور هو الذي يبين الأشياءَ، ويُرى الأَبْصَارَ حقيقتَها[2]، فمثل ما أُوتي به النبي ﷺ في القلوب في بيانه وكشفه الظُّلمات كمثل النور.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾.

ورُضوانه ـ بالكسر والضم.

﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

جميع سبيل، والسُّبُل: الطُّرُق، فجائز أن يكون ـ والله أعلم ـ طرق السلام [أي] طرق السَّلاَمَةِ التي من ملكها سلم في دينه، وجائز أن يكون ـ والله أعلم ـ سبل السلام، طرق الله، والسلام اسم من أسماءِ الله.

---

(١) ليست في ك.

(٢) يمكن الأعين من رؤيتها على حقيقتها.

وقوله :﴿عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾.

[أي] على انقطاع، لأن النبي ﷺ بُعث بعد انقطاع الرسل لأن الرسل كانت إلى وقت رفع عيسى تَتْرى، أي متواترة، يجيءُ بعضها في أثر بعض.

وقوله جلّ وعزّ:﴿أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ ﴾.

قال بعضهم معناه أنْ لاَ تقولوا ما جاءَنا من بشير، أي بعث اللَّه النبي ﷺ لئلا تقولوا ما جاءَنا من بشير، ومثله قوله عزّ وجلّ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾[1] معناه أن لا تضلوا، وقال بعضهم: أن تقولوا: معناه كَراهَةَ أَنْ تَقُولوا، وحذفت كراهة، كما قال جلّ وعزّ:﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾، معناه: سَلْ أَهْلَ القَرْيَةِ، وقد استقْصَيْنا شرح هذا في آخر سورة النساءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً﴾.

مثل جعلكم تملكُون أمركم[2] لا يَغْلبكم عليه غالب. وقال بعضهم: جعلكم ذَوي مَنازِل لا يُدْخل عليكم فيها إلاَّ بإِذْن، والمعنى راجع إلى ملك الأمر.

وقوله: ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

وهو أن اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أَنْزَلَ علَيْهِم المَنَّ والسَّلْوَى، وظلَّلَ عَلَيْهم الغمام.

وقوله: ﴿ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهَ لَكُمْ ﴾.

المقدسة: المطهَّرة، وقيل في التفسير إنها دمشق، وفلسطين، وبعض

---

(١) النساء ـ ١٧٦.

(٢) ليس معنى جعلكم ملوكاً أن كل واحد كان ملكاً، إنما معناه: جعلكم في هذه الحالة. أي منكم ملوككم ولستم تحت حكم غيركم.

الأردن وبيت المَقْدِسِ، وإنما سمي بالمَقْدِس لأن المَقْدِس:[١] المكان الذي يتطهر فيه. فتأويله البيت الذي يُطَهِّرُ الإنسان من العيوب، ومن هذا قيل:

القدس، أي الذي يتطهّر منه، كما قيل: مَطْهَرة لما يُتَوضأُ مِنْه، إنما هي مَفْعَلَةٌ من الطهر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾.

تأويل الجبار من الآدميين: العاتي الذي يَجْبرُ النَّاسَ عَلَى مَا يُرِيدُ، واللَّه -عزّوجلّ- الجبار العَزِيزُ، وهو الممتنع من أن يُزَلّ، واللَّه عزّ وجلّ يأمر بما أراد، لا رَادَّ لأمْرِه، ولا مُعَقِّبَ لحُكْمِه.

وإنَّمَا وَصَفوهم بالقُدرَةِ والتَّكَبُّر، والمَنَعةِ.

و﴿قوماً﴾ منصوب بإنَّ، و ﴿ جبارين﴾ من صفتهم، والخَبرُ قوله: ﴿فيها﴾.

وقوله: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾.

أي أَنْعَمَ اللَّهُ عليهما بالإيمان.

﴿ٱدْخُلُوا عَلَيهِم البَابَ ﴾.

فكأنَّهما عِلِمَا أن ذَلِك البابَ إذا دُخِلَ منه وقع الغَلبُ.

وقوله: ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُوا فِيهَا ﴾.

أي لسْنَا نقْبل مَشُورَةً في دُخُولها، ولا أَمْراً، وفيها هؤُلاءِ الجبارون، فأعلم اللَّهجلّ ثناؤه أن أهل الكتاب هؤلاءِ غير قابلين من الأنبياءِ قَبْلَ النبي ﷺ[٢]، وأن الخلافَ شأْنُهم.

وفي هذا الإعلام دليل على تصحيح نبوة النبي ﷺ لأنه أعلمهم ما لا

(١) أي هو اسم مكان من قدس، ويسمى أيضاً المقدس: اسم مكان من الرباعي.

(٢) أي من طبيعتهم أن لا يقبلوا رسالة الأنبياء ولا يستجيبون لهم.

يُعْلَمُ إلا من قراءَة كتاب أو إخْبارٍ، أو وَحْي، والنبي ﷺ منشؤه معروف بـالخُلوِّ من ذكـر أقاصيص بني إسـرائيل[١]، وبحيث لا يقـرأ كتبَهُمْ، فلم يبق في علم ذلك إلا الوحي.

وقوله: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾.

كلام العرب: اذهب أنت وزيد، والنحويُّون يستقبحون اذهب وزيد[٢]، لأنه لا يعطف بـالاسم الظاهـر على المضمر، والمضمـر في النية[٣] لا عـلامة له، فكان الاسم يصير معطوفاً على ما هو متصل بالفعل غير مفارق له.

فأما قوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾[٤] فمن رفع فإنما يجـوز ذلك لأن المفعول يقوي الكلام، وكذلك ضربْتُ زيـداً وعمرٌو. كمـا يقوي الكـلام دُخولُ لا، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾[٥].

وقوله: ﴿قَالَ ربِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وأَخِي﴾.

أخي في موضع رفع، وجائز أن يكون في موضع نصبٍ.

المعنى: قـال ربي إني لا أملك إلا نفسي، وأخي أيضـاً لا يـملك إلا نفسه، ورفعه من جهتين إحـداهما: أنْ يكـون نَسَقاً على مـوضع إنِّي. المعنى أَنا لا أَملك إلا نفسي وأَخي كذلك، ومثله قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْـرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[٦] وجائز أن يكـون عطفاً على «ما» في[٧] قـوله أملك فـالمعنى أنا لا

(١) معروف بأنه لم يقرأ هذه الأقاصيص ولم يعلمها. ونشأته خالية من التعليم.

(٢) هو ممنوع، وليس قبيحاً فقط.

(٣) أي هو ضمير مستتر.

(٤) سورة يونس من الآية: ٧١.

(٥) سورة الأنعام ١٤٨، والمعروف نحوياً أنه يجوز العطف إن وجد فاصل ما، وقـد ورد بلا فـاصل وهو ضعيف جداً.

(٦) سورة التوبة من الآية: ٣.

(٧) أي على الضمير المستتر.

أملك أنا وأخي إلاَّ أنفسنا، وجائز أن يكـون أخي في موضـع نصب من جهتين إحداهما: أن يكون نسقاً على الياء [في إني]. المعنى إني وأخي لا نملك إلا أنفسنـا، وأني لا أملك إلا نفسي، وأن أخي لا يملك إلا نفسـه، وجـائـز أن يكـون معطوفـاً على نفسي، فيكـون المعنى لا أملك إلاَّ نفسي، ولا أملك إلا أخي، لأن أخاه إذا كان مطيعاً له فهو ملك طاعته.

وقوله: ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِياءَ﴾.

لا يصرف ﴿أنبياءِ﴾ لأنه مبني على ألف التـأنيث، وهـو غيـر مصـروف في المعرفة والنكرة لأن فيه علامة التأنيث، وهي مع أنهـا علامـة التأنيث مبنيـة مع الاسم على غير خروج التأنيث عن التذكير نحو قائم، وقائمة.

وقوله: ﴿فَإِنَّها مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِم أَرْبَعينَ سَنَةً يَتِيهونَ في الأَرْضِ﴾.

يعني أن الأرض المقـدسة مُحـرَّمٌ عليهم دخولُهـا أي هم ممنـوعـون من ذلك، قال بعض النحويين: أَرْبَعينَ سَنَةً يجوز أن تكون منصوبة بقوله مُحرَّمَةٌ، ويجوز أن يكون منصوباً بقوله يَتيهُون، أما نصبُـه بمَحَرَّمَـة فخطأ، لأن التفسيـر جاءَ بأنها محرمة عليهم أبداً[1]. فنصب[2] أربعين سنـة بقولهم يتيهـون. وقيل عذَّبهم اللّه بأن مكثوا في التيه أربعين سنة سَيَّارَةً[3] لا يُقِرُّهُمْ قَرارٌ إلى أن مات البـالغون الـذين عصوا اللّه ونشـأ الصغار ووُلِـدَ مَنْ لـم يدخـل في جملتهم في المعصية، وقيل إن مـوسى وهـرون كانـا معهم في التِّيهِ. قـال بعضُهم لم يكن موسى وهرون في التِّيه لأن التِّيه عذاب، والأنبياءُ لا يعذبون. وجائز أن يكـون

---

(١) هم دخلوها فعلاً بعد أربعين سنة، ولكن كان قد نشأ جيل جديد غيـر الذين خـرجوا مـع موسى من مصر.

(٢) في الأصل ونصب الكبار.

(٣) متجولين لا يستقرون ولا يهتدون للطريق.

كانَا في التِّيه وأَن اللَّه جلّ اسمه سَهّل عليْهما ذلك كما سهَّل على إبراهيم النار فجعلها عليه بَرداً وَسَلاماً وشأْنها الإِحراق.

وقوله: ﴿فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾.

جائز أَن يكون هذا خطاباً لموسى، وجائز أَن يكون خطاباً لمحمد ﷺ أَي لا تحزن على قوم لم يزل شأْنهم المعاصي ومخالفة الرسل.

وقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيهِمْ نَبأَ ابْنَى آدَمَ بالحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً﴾.

قيلَ كانا رجلين من بني إسرائيل لأَن القُرْبانَ كان تأْكله النار في زمن بني إسرائيل، ومثل ذلك قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بقرْبانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾[1] وقيل ابنا آدم لصلبه، أَحدهما هابيل والآخر قابيل، فقربا قرباناً.

﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحدِهِمَا. [ولم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ]﴾.

وكان الرجل إذا قرَّب قُرباناً سجد وتَنْزِل النار فتأْكل قربانه، فذلك علامة قبول القُرْبان، فنزلت النار وأَكلت قربان هابيل، ولم تأْكل قربان قَابِيل، فحسده قابيل وتوعده بالقتل فقال:

﴿لأَقْتُلَنَّكَ، قَالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّه مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى قال الذي لم يُتَقبَّلْ منه لأَقتلنك، وحذف ذكر الذي لم يتقبل منه، لأَن في الكلام دليلاً عليه، ومثل ذلك في الكلام إذا رأَيت الحاكم والمظلوم كنت معه، المعنى كنت مع المظلوم، ويقال إِن السيف كان ممنوعاً في ذلك الوقت كما كان حين كان النبي ﷺ بمكة وكما كان ممنوعاً في زمن عيسى، فقال:

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ﴾.

---

(١) سورة آل عمران ١٨٣.

[أي] ما أنا بمجازيك ولا مُقَاتِلُك، ولا قاتِلُك: ﴿إنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ العَالَمِينَ﴾.

﴿إنِّي أُرِيدَ أن تَبُوءَ بِإِثْمِي وإِثْمِكَ﴾.

أي أن ترجع إلى اللَّه بإثمي وإثمك.

﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

معنى بإثمي: بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يُتَقَبَّلْ قربانك[1] أي إن قتلتني فأنا مريدٌ ذلك. وَذَلِكَ جزاءَ الظَّالِمِينَ.

﴿فَطَوَّعَتْ لَه نَفْسُه﴾.

تَابَعَتْهُ. وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: فَطَوَّعَتْ له نفسه فَعَّلَتْ من الطَّوْع. والعرب تقول: طاع لهذه الظبية أُصول هذه الشجرة[2]، وطاع له كذا وكذا، أي أتاه طوعاً.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾.

أي مِمَّن خَسِر حَسَناتِه. وكان حين قتله سلَبه ثيابَه وتركه عَارِياً بالأرض القفار.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ﴾.

قال بعضهم بعث اللَّه غراباً يبحث على غراب آخر مَيِّت

﴿لِيُرِيَهُ كيفَ يُوارِي سَوأَةَ أَخِيهِ﴾.

وقيل بل أكرمه اللَّه بأن بعث غراباً حثا عليه التراب، ليُرِيَه كيف يواري.

﴿قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مثلَ هَذَا الغُرَابِ﴾.

يقال عَجَزْت عن الأمر أَعْجِزُ عَجْزاً ومعْجَزَةً ومَعْجِزَةً، فأما «يا ويْلَتا»

---

(١) لم يتقبل قربان الثاني منهما لأنه كان آثماً ـ وهو يريد الآن ليقتله. فسيكونان آثمين.

(٢) استجابت لها ولانت حين جذبتها لتأكل ورقها.

فالوقف عليها في غير القرآن يا ويلتاه، والنداءُ لغير الآدميين نحو ﴿يا حسرتا على البعاد﴾[1] و ﴿يا ويلتا أأَلِدُ وأنا عَجُوزٌ﴾[2]، وقال يا ويلتا أعجَزْتُ. فإنما وقع في كلام العرب على تنبيه المخاطبين، وأن الوقت الذي تدعى له هذه الأشياءَ هو وقتها، فالمعنى يا ويلتا تَعالَيْ، فإنه من إبَّانِك[3]، فإنه قد لزمني الويل، وكذلك يا عجباً، المعنى يا أيُّها العجب هذا وقتك فعلى هذا كلام العرب.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾.

الأجود أن يكون ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إسْرَائِيلَ﴾.

يقال أَجَلْتُ الشيء أأْجِلَهُ أَجَلاً إذَا جنيتُهُ قالَ خَوَّاتُ بن جبير[4]:

وأهل خَيَاءٍ صالح ذَاتُ بينهِم قد احْتَرَبُوا في عاجل أنا أأجِلهُ

أي أنا جَانِيه. وتأويل الويل في اللغة قال سيبويه، الويل كلمة تقال عند الهلكة، وقيل الوَيْلُ واد في جهنم، وهذا غير خارج من مذاهب أهل اللغة، لأن من وقع في ذلك فقد وقع في هلكة:

وقوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ﴾.

«فساد» معطوف على «نفس»، المعنى بغير فسادٍ، فكأنما قتل الناس جميعاً،

---

(١) سورة يس آية ٣٠ - وقراءة عاصم يا حسرة:

(٢) سورة هود ٧٢.

(٣) أي الوقت الذي من شدة الحزن فيه يدعو الإنسان بالويل.

(٤) آجله - فعل مضارع بمعنى أجنيه، أي هم أقاموا حرباً في أمر عاجل أنا أتجنبه، وبعده.

فأقبلت في الساعين أسأل عنهم سؤالك بالشيء الذي أنت جاهله

وهو من شعر الخنوت - وهو توبة بن مضرس. والخنوت المستصغر وله ترجمة في المؤتلف والمختلف والإصابة ١ - رقم ٤٢٠ وانظر الكامل في التاريخ ٤ - ٢٣١. وانظر البيت في شواهد الكشاف واللسان (أجل) والطبري ٦ - ١١٦، ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٦٣.

أما خوات بن جبير فأنصاري - قيل حضر بدراً. وقيل رجع لحجر أصاب رجله، وضرب له بسهم. وشهد المشاهد بعد ذلك، وكان حسن الصوت والغناء - طلبه عمر ليغني في حجة له =

أي المؤْمنون كلهم خُصَماءُ القاتِلِ ، وقد وَتَرهم وِتْرَ مَن قَصَد لِقَتلهم جميعاً[1] .

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ .

أي من استنقذها من غَرقٍ أو حَرقٍ أو هَـدْمٍ ، أو ما يُميت لا محـالة ، أو استنقذّها من ضلالةٍ .

﴿فَكَأَنَّما أَحْيَا الناسَ جميعاً﴾ .

أي أجـره على اللَّه أجـرُ من أَحيـاهم أجمعين . وجـائـز أن يكـونـه في إسدائه[2] إليهم المعـروفَ بإحيـائه أخـاهم المؤْمِنَ بمنزلـة من أحيا كـلَّ واحد منهم ، فإن قال قائل ، كيف يكون ثوابه ثوابَ من أحياهم جميعاً ، فالجواب في هـذا كالجـواب في قولـه [تعالـى] ﴿مَنْ جَـاءَ بالحَسَنَـة فَلَهُ عَشْـرُ أَمثَـالِهَـا﴾[3] فالتأْويل أَن الثواب الذي إذا جعل للحسنة كان غاية مَا يُتَمَنَّى يُعطَى العاملُ لها عشرةَ أَمثَالِه .

وقـوله : ﴿إِنَّمَـا جَزَاءُ الـذَينَ يُحَارِبُـونَ اللَّهَ وَرَسُولَـه ويَسْعَـوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ .

مـوضـع «أَنْ» رفـع المعنى : إنمـا جـزاؤهم القتـل أَو الصلب أَو القـطع للأيدي والأَرجل من خلاف ، لأن القائل إذا قال : إنما جزاؤك دينار ، فـالمعنى ما جزاؤُك إلا دينار .

وقـولُ العلمـاءِ أنَّ هـذه الآيـة نـزلت في الكفـار خـاصـة[4] . وروي في التفسيـر أَنَّ أبا بَـرْزَة الأَسْلَمِي كان عـاهد النبي ﷺ ألا يعـرض لما يُـريدُ النبي

فغنى حتى أسحر القوم ،وهو صاحب ذات النحيين في جاهليته . له ترجمة مطولـة في الاصابة رقم ٢٢٩٨ - وينسب له هذا الشعر أيضاً .

(١) اعتدى عليهم جميعاً . (٢) ط ابتدائه . (٣) سورة الأنعام - ١٦٠ .

(٤) أي الذي قاله العلماء هو أنها في الكفار خاصة . فكلمة «أن هذه الآية» خبر «قول» .

بسوءٍ[١]، وألا يمنع من ذلك، وأن النبي لا يمنع من يـريد أبـا بَرْزَةَ، فمـرَّ قوم يريدون النبي بأبي بَرْزَةَ، فَعرَضَ أصحابُه لهم فقتلوا وأخذوا المـال فأنـزل اللَّه تعالى على نبيه وأتاه جبريـل فأعلمـه أنّ اللَّه يأمـره أن من أدركه منهم قـدْ قَتَلَ وأخذَ المالَ قَتَلَه وصَلَبه، ومن قَتَل ولم يأْخذ المـال قَتَله، ومن أخذ المـال ولم يقتـل قَطَع يـدَهُ لأخذه المـال وقطَع رِجْلَهُ لإخـافـة السبيـل. . وقـال بعضهـم: المسلمون مخيَّرون في أمـر المشركين، إن شـاءُوا قتلوهم وصلبوهـم أوْ قـطعوا أيْـديَهم وأرجلَهم من خـلاف، ومعنى: ﴿يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ فيـه قـولان، قـال بعضهم من قتله فَـدَمُهُ هَـدَرٌ أي لا يـطالب قـاتله بـدمـه. وقيل: ﴿أو يُنْفَـوْا من الأَرْضِ﴾[ان] يُقَاتَلُوا حَيْثُ توجَّهوا منها، لا يتـركُوا فـارين. يقال نفيت الشيءَ أنْفِيه نَفْياً ونِفَايَةً والنُّفَايَةُ ما يطرح ويُنْفَى، القليل[٢]. مثل البُراية والنُّحَاتَة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾.

يقال خَزِيِ الرجل يَخْـزَى خِزْيـاً إذا افتُضحَ وتَحيَّـر فضِيحةً، وقـد خَزَى يَخْزِي خِزَاية، إذَا استَحا كأنَه يتحيّرُ أن يَفْعَلَ قبيحاً.

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾.

جائز أن يكون موضع الذين رفعـاً بالابتـداءِ، وخبره ﴿فَاعْلَموا[٣] أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

المعنى غفور رحيم لهم، المعنى: لكن التائبون من قبل القدرة عليهم، فاللَّه غفور رحيم لهم، . وجائز أن يكون ﴿إلَّا الَّذين تَـابُوا منْ قَبـلِ أَنْ تقْدِرُوا

---

(١) عاهد النبي على ألا يعتدي على المسلمين ولا يمنع مسلماً من الذهاب إلى رسول اللَّه ﷺ.

(٢) كلمة القليل مستأنفة. تفسير لما يطرح وينفي.

(٣) هذا غير سائغ أصلاً، لأن الاستثناء تام موجب، ووجهة نظر المؤلف أن الجملة كلهـا في محل نصب، وهي مكونة من مبتدأ وخبر ـ وهذا غير جيد.

عَلَيْهِمْ﴾ موضعُ «الذين» نصب، فيكون المعنى جزاؤُهم الذي وَصفَنا إلَّا التَّائِبين، ثم قال بعد: ﴿أَنَّ اللَّه غفُورٌ رحيم﴾ واللَّه جلّ وعزّ، جعل التوبةَ لك، فادْرَأُوا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كُفرهم ليكون ذلك أَدعى إلى الدخول في الإسلام، وجَعَل توبة المؤْمنين من الزنا والقتل والسَّرَقِ لا ترفع عنهم إقامة الحدود عليهم، وتدفع عنهم العذاب في الآخرة، لأَن في إقامة الحدود الصلاح للمؤمنين، والحياةَ، قال اللَّه جلّ ثناؤه: ﴿وَلَكُم في القِصَاصِ حَيَاةٌ يا أُولِي الأَلْبَابِ﴾[1].

وقوله: ﴿وابْتَغُوا إِلَيْهِ الوسِيلَةَ﴾.

معناه أُطلبوا إليهِ القُرْبةَ.

﴿وجَاهِدُوا في سَبِيله لعلَّكمْ تُفْلِحُونَ﴾.

أي لعلكم تظفرون بعَدُوِّكم، والمُفْلح الفائزُ بما فيه غايةُ صلاح حاله.

وقوله: ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقطعُوا أَيْديَهُمَا﴾.

اختلف النحويون في تفسير الرفع فيهما. قال سيبويه وكثير من البصريين إن هذا وقوله: ﴿الزَّانِيةُ والزَّانِي فاجْلدُوا كُلَّ واحد منهما مائة جلدة﴾[2]، وقوله: ﴿واللَّذانِ يَأْتِيانِهَا مِنْكُمْ فآذُوهُمَا﴾[3]. هذه الأشياءَ مرفوعة على معنى: وفيما فَرض اللَّه عليكم السارقُ والسارقة، والزانِيَةُ والزَّانِي، أَو السارق والسارقة فيما فرض اللَّه عليكم. ومعنى قولِهِمْ هذا: فيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة، وقال سيبويه: الاختيار في هذا النصبُ في العربيَّة، كما تقول زيداً أضربْهُ، وقال أبتِ[4] العامَّةُ القراءَة إلَّا بالرَّفْع، يعني بالعامة

(١) سورة البقرة ـ ١٧٩.

(٢) سورة النور ـ ٢. وفي الأصل واحدة وهو خطأ.

(٣) سورة النساء ـ ١٦.

(٤) يعني لم يجر عامة القراء على الوجه الذي اختاره.

الجماعةَ. ، وقرأ عيسى ابن عمر: والسّارِقَ والسَّارِقَةَ فاقطعوا أيديهما، وكذلك الزانية والزانيَ، وهذه القِراءَةُ وإن كان القــارئ بها مُقَـدَّماً[1] لا أُحب أن يُقـرأ بها[2]، لأن الجماعة أولى بالاتباع، إذْ كانتِ القراءَة سنَّةً. (قال أبو إسحاق)[3] ودليلِي أن القـراءَةَ الجيدةَ بـالرفـع في. . والزَّانيَـةُ والـزاني، و[في] والسَّـارِقُ والسَّارِقَةُ قوله جلّ ثناؤه: ﴿واللذان يأْتيانها منكم فآذوهما﴾[4].

وقال غير سيبويه من البصريين. وهو محمـد بن يزيـد المبرد: أَخْتَـارُ أن يكـون والسارقُ والسـارقةُ رفعـاً بالابتـداءَ، لأن القصد ليس إلى واحـدٍ بعينه، فليس هو مثل قولك زيداً فأضـربه، إنمـا هو كقـولك: من سـرق فآقـطع يده، ومن زنى فـاجْلِدْه، وهذا القـول هـو المختـارُ، وهـو مـذهب بعض البصـريين والكوفيين[5].

وقيـل «أَيْدِيَهُما» يعْنَي به أَيْمانهُما[6]. وفي قـراءَة ابن مسعود والسَّـارقون والسارقاتُ فاقطعوا أَيْمانَهُمْ.

قال بعض النحويين: إنما جعلت تثنية ما في الإنسان منه واحدٌ لأنَّ أكثر أَعضـائه فيـه منه اثنـان فحمل مـا كان فيـه الواحـد على مثل ذلـك. قـال لأن للإنسان عينين فإذا ثنيت قلت عيونهما فجعلت قلوبكما وظهورهما في القرآن، وكـذلك أَيـديهما، وهـذا خطأْ، إنمـا ينبغي أَن يُفصَّـل بين مـا في الشيء منـه واحد، وبين ما في الشيء منه اثنان.

---

(١) أي عيسى بن عمر كان عالماً مقدماً على العلماء ويعتبر في نظر بعضهم إمام النحو لأنه صاحب كتاب الجامع وكتاب الإكمال الذي بنى سيبويه كتابه عليه. وفي الأصل فلا أحب.

(٢) ك ـ فلا أحب أن يقرأ ـ بدون كلمة بها ـ ولعلها فلا أحب أن تقرأ.

(٣) ليست في ط. وأبو إسحاق هو الزجاج. (٤) سورة النساء آية ١٦.

(٥) ويخرج على أن «أل» في السارق والسارقة اسم موصول. والفاء واقعة في خبره ـ كما في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم. . .﴾.

(٦) اليد اليمنى فقط.

وقال قوم: إنَّما فعلْنا ذلِك للفصل بين ما في الشيء منه واحد وبين ما في الشيءُ منه اثنان فجعل ما في الشيء منه واحد تثنيته جمعاً نحو قول الله عز وجل: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾(١).

قال أبو إسحق: وحقيقة هذا الباب أن كل ما كان في الشيء منه واحد لم يُثنَّ، ولفِظَ به على لفظ الجمع، لأن الإضافة تُبينه، فإذا قُلْتَ أَشْبَعت بطونهما علم أن للاثنين بطنين فقط، وأصل التثنية الجمعُ لأنك إذا ثنيت الواحدَ فقد جمعتَ واحداً إلى واحِدٍ، وكان الأصل أن يقال أَثْنا رِجال، ولكنْ «رجلان» يدل على جنس الشيء وعدده، فالتثنية يحتاج إليها للاختصار، فإذا لم يكن اختصار رُدّ الشيءُ إلى أَصْله، وأَصلُهُ الجمع(٢). فإذا قلت قلوبهما فالتثنية في «هما» قد أغنتك عن تثنية قَلْب فصار الاختصار ههنا ترك تثنية قلب، وإن ثني ما كان في الشيء منه واحد فذلك جائز عند النحويين(٣)، قال الشاعر:

ظهراهما مثل ظهور الترسين(٤).

فجاءَ بالتثنيةِ والجمع في بيت واحد. وحكى سيبويه أنه قد يجمع المفرد والذي ليس من شيء إذا أردت به التثنية. وحُكِيَ عن العرب: «وَضَعَا رِحالهما» يريد رَحْلَيْ راحِلتِهما.

---

(١) التحريم ـ ٤.

(٢) جمهور النحويين أن إضافة المثنى إلى المثنى مستثقلة، فلذلك يؤتى بالجمع أو المفرد، والمفرد حينئذ في معنى الجمع.

(٣) في الأصل «وذلك».

(٤) ومهمهين قذفين مرتين. ظهراهما... جبتهما بالنعت لا بالنعتين.

يقول: إنهما فلاتان مستويتان كظهر الترس. جاء في كتاب سيبويه ٣ ـ ٤٨ ـ (ت. هرون). أن الراجز اسمه خطام، وانظر الخزانة ٣ ـ ٣٧٤، وابن يعيش ٤ ـ ١٥٥، العيني ٤ ـ ٨٩ شواهد المغني ٣١٦ ومعاني الفراء ٣ ـ ١٧.

وأجمعت الفقهاءَ أن السارق يقطع حُرًّا كانَ أو عبداً، وأن السارقة تقطع حرَّة كانت أو أمة، وأجمعوا أن القطع من الرسغ، والرسغ المفصل بين الكف والساعد، ويقال رُسْغ ورُصْغ والسنين أجود

﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾.

﴿جزاءً﴾ نصبٌ لأنه مفعول به.

المعنى فاقْطَعوا بجزاءِ فعلهم، وكذلك ﴿نَكالاً من الله﴾، وإنْ شئتَ كانا منصوبين على المصدر الذي دل عليه فاقطعوا، لأن معنى فاقطعوا جازوهم وَنكِّلُوا بهم.

وقوله جلْ وعزّ: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُون فِي الْكُفر﴾:
إن شئت قلت يَحْزُنْك ويَحزَنْكَ بالفتح والضم. أي لا يحزنك مُسَارَعَتهُمْ في الكفر إذ كنت موعوداً بالنصر عليهم، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿ مِنَ الَّذِين قَالُوا آمنَّا بأفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

أي لا تحزنك المسارعةُ في الكُفْر منَ المُنَافِقين ومنَ الَّذِين هادُوا، ثمَّ قالَ: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخرينَ لَمْ يأْتُوكَ ﴾.

هذا تمام الكلام، ورفع «سمَّاعُون» من جهتين، إحداهما هم سمَّاعون للكذب أي منافقون، واليهود سماعون للكذب، [وسماعون] فيه وجهان - واللَّه أعلم - أحدهما أنَّهم مُسمعُونَ لِلكَذِبِ، أي قَابُلون للكَذب، لأن الإنسان يسمعُ الحقَّ والبَاطِلَ، ولكن يقال: لا تسمع من فلان قوله أي لا تقبل قوله، ومنه «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَه»، أي تَقَبَّلَ اللَّه حمده، فتأويله أنهم يَقْبَلُونَ الكَذِبَ، والوجه الآخر في «سمَّاعُون» أن معناه أنهم يسمعون منك لِيَكذِبُوا عليك، وذلك أنهم إذا جالسوه تهيأ أن يقولوا سَمِعْنَا مِنْهُ كذَا، وكَذَا.

﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

أي هم مستمعون منك لقوم آخرين «لَمْ يأْتُوك» أي هم عُيُونٌ لأولئك الغيَبِ ويجوز أن يكون رفع «سماعون»[1] على معنى ومن الذين هادوا سماعون فيكون الإخبار أن السَّماعين مِنهم، ويرتفع منهم كما تقول: في قومك عقلاءُ. هذا مذهب الأخفش، وزعم سيبويه أن هذا يرتفع بالابتداء[2].

وقوله: ﴿يُحَرِّفُونَ الكلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِه﴾: أي من بعد أَنْ وضَعه اللَّهُ موضِعَهُ أي فرض فروضَه، وأَحلَّ حلاله وحرَّم حرامه.

وقوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

إِنْ أُوتِيتُم هذا الحكمَ المحرفَ فخذوه، وإن لم تُؤْتوه فاحذروا، أي احذروا إن أفتاكم النبي ﷺ بغير ما حدَّدْنَا لكم، فاحذروا أن تَعْمَلوا به.

وكان السبب في هذا فيما رُوِيَ أن الزِّنَا كثُر في أَشراف اليهودِ وخَيْبر، وكان في التوراة أن على المحصنين الرجم فزنى رجُلٌ وامْرأَةٌ، فطمعت اليهودُ أن يكون نزل على النبي ﷺ الجلد في المحصنين[3]، وكانوا قد حَرَّفُوا[4] وَصَارُوا يَجْلِدُون المحصنيْن وَيسُودُونَ وجُوهَهُمَا، فأَوحى[5] اللَّه جلّ ثناؤه أَنَّهُمْ يستفتونه في أمر هاتين المرأتين، وأَعْلَمَهُ أن اللَّه يأمرهم عن أَعْلَمِهِمْ بالتوراة، فأعلموه أنه ليس بحَاضِرٍ[6]، فقال النبي ﷺ قَدْ علِمتُ، وكان جبريل قد أعلمه مكانه فأمرهم أن يحضروه، فأحضروه، وأَوحى اللَّه إلى نبيِّهِ أن يستحلفهم

---

(١) في الأصل «سماعين» على أنها مضاف إليه، وسماعون على حكاية اللفظ.

(٢) وتكون «من» مبتدأ بمعنى بعض.

(٣) ط الجلد والتحصين، ولا معنى لها.

(٤) حرفوا التوراة وغيروا أحكامها.

(٥) ط فأوحى اللَّه إلى نبيه ﷺ يعلمه أنهم يستفتونه في أمر هاتين المرأتين.

(٦) ط أنه ليس بحاضر، والنسخ الأخرى «أنه حاضر».

ليصْدُقُنّه، فلما حَضَر عالِمُهم قال له النبي: أسألك بالذي أنزل التوراة على موسى، ورفع فوقكم الطور، وفلق لكم البحرَ، هل في التوراة أن يُرجَمَ المحصنان إذا زَنَيا؟ قال: نَعَمْ. فوثب عليه سفلة اليهود، فقال خفتُ إن كذبْته أن ينزل بنا عذابٌ، ويقال إن الذي سأله النبي ﷺ ابنُ صُورِيَا اليهودي، وكان حديث السِّن، فقال له النبي ﷺ أنت أعلم قومك بالتوراة، قال: كذا يقولون، وكان هو المخبر له[1] بأن الرجم فيها، وأنه ساءَل النبي ﷺ عن أشياءَ كان يعرفها من أعلامه فلما أنبأه النبي ﷺ بها قال أشهد أن لا إله إلا اللّه وأنك رسول اللّه الأمي العربيُّ الذي بشَّر به المرسلُونَ.

وهذا الذي ذكرناه من أمر الزانيين مشهور في روايةِ المفسِّرينِ وهو يُبَينَ قوله:

﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾.

والقائل يقول ما تفسير هذا، فلذلك شرحناه، وباللّه الحول والقُوَّة.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾.

قيل فضيحته وقيل أيضاً كفره، ويجوز أن يكون اختباره بما يظْهر به أمره، يقال فتنت الحديد إذا أَحْمِيتُه، وفتنت الرجل إذا أزلته عما كان عليه، ومنه قوله: ﴿وإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَن الذي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ﴾[2] أي وان كادوا لَيُزِيلُونَك.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي أن يُهينَهمُ.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾.

---

(١) ك وهو كان المجيب له بأن أمر الرجم فيها.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٣.

قيل لهم في الدنيا فضيحةٌ بما أظهر اللَّه من كذبِهِمْ، وقيل لهم في الدنيا خزي بأخذ الجزية منهم، وضرب الذِّلَّةِ والمسكَنة عَلَيْهم، ثم عاد عزّ وجلّ في وصفهم فقال:

﴿سَمَّاعُون لِلْكذبِ أَكَّالون للسُّحْتِ﴾.

ويقرأ للسُّحُتِ جميعاً، تأويله أن الرِّشَا التي يأكلونها يعاقبهم اللَّه بها أن يُسْحِتَهُمْ بعذَابٍ، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لا تفترُوا على الله كذباً فَيُسْحِتَكُمْ﴾[1] ومثل هذا قوله: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾[2]. أي يأكلون ما عاقبتهُ النار، يقال سَحَته وأسْحَتَه إذا استأصله، وقال بعضهم سَحَتَهُ: أَذْهَبَهُ قليلاً قليلاً إلى أن استأْصله ومثل أسحته قول الفرزدق.

وعَضُّ زمانٍ يا ابن مروان لم يدَعْ ... مِنَ الْمال إلا مُسْحتاً أَو مُجَلَّفُ[3]

ويجوز أَن يكون سحتَهُ وأَسْحتَهُ إذا استأصله، كان ذلك شيئاً بعد شيءٍ، أَو كان دفعة واحدةً.

وقوله: ﴿فإنْ جاءُوكَ فَاحْكُمْ بينَهُمْ أَو أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾.

أجمعت العلماءَ على أن هذه الآية تدل على أن النبي ﷺ مُخَيَّر بها في الحكم بين أهل الذِّمَّةِ، وقيل في بعض الأقاويل إن التخيير نسخ بقوله: ﴿وأَن احكم بينهم بما أَنزل اللَّه﴾.

وقوله: ﴿فاحكم بينهم بالقِسْط﴾.

أي العَدْل.

---

(١) سورة طه آية ٦١.

(٢) سورة النساء ١٠.

(٣) البيت معروف من شواهد النحو المشهورة للفرزدق، ومما عابة عبد اللَّه الحضرمي. أنظر الخزانة ٢ ـ ٣٤٧ اللسان (خلف ـ سحت)، والقرطبي ١١ ـ ٢١٥ وديوانه ٢٥٥. والعيب فيه هو رفع مجلف.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فيها هُدًى ونُورٌ يَحْكُمُ بهَا النبيُّونَ﴾: فيها نور[1] أي بيان أَنّ أَمْر رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حق، وفيها بيـان الحكم الذي جـاءَوا يستفتون فيـه النبي ﷺ، ويجـوز أَن يكون المعنى على التقـديم والتأخيـر، على معنى: إنـا أنزلنا التـوراة فيها هـدى ونور للذين هـادوا، يحكم بها النبيـون الذين أَسلمـوا والرَّبَّانِيُّون، ويجوز أَن يكون «يحكم بهـا النبيـون الذين اسلمـوا للذين هادوا» أي يحكم النبي ﷺ فيما سأَلُوهُ بما في التَّـوْراة، ويجوز أَن يكـون للذين هادوا للذين تابوا، أَي النبيـون والربـانيون هم العلمـاءُ والأحبار وهم العلمـاءُ الخُيَّارُ يحكمُون للتَّائبين مِنَ الكفر.

﴿بما استُحْفِظُوا مِنْ كتَابِ اللَّهِ﴾.

أَي استُودِعُوا.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِك هُمُ الكَافِرُونَ﴾:

أَي من زعم أَن حكمـاً من أَحكـام اللَّه الَّتي أَتَتْ بهـا الأنبيـاءُ[2] عليهم السلام باطل فهو كافر، أَجمعت الفقهـاءَ أَنَّ من قال إِن المحصَنَيْنِ لا يجب أَن يرجما إِذا زنيا وكانا حرين - كـافِرٌ، وإنمـا كفر من ردّ حكمـاً من أَحكام النبي، لأَنه مكذِبٌ له، ومن كذّب النبي فهو كافر.

وقوله: ﴿ وكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ﴾:

أَي في التوراةِ.

﴿ أَنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ والعيْنَ بالعيْنِ ﴾.

وروي أَن النبي قرأَ والعَينُ بالعَيْنِ والقراءة والعَيْنَ بالعَيْن

﴿والأَنْفَ بالأَنْفِ والأُذُنَ بالأُذُنِ والسِّنَّ بالسِّنِّ، والجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾.

---

(١) في الأصل أي فيها نور.

(٢) في الأصل وك الذي أتت به - أي الحكم.

بالرفع والنصب جميعاً لا اختلاف بين أهل العربيّة في ذلك، فَمَنْ قرأ العَيْنَ بالعيْنِ أراد أن العيْنَ بالعَيْنِ، ومن قرأ، والعَيْنُ بالعين فرفْعُهُ على وجهين، على العطف على موضع النّفس بالنّفس والعامل فيها[1]، المعنى وكتبنا عليهم النفسُ بالنَّفِس، أي قلنا لهم النفس بالنفَس، ويجوز كسر إن، ولا أعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأن[2] بها إلا أن تثبت رواية صحيحة، ويجوز أن تكون العينُ بالعَيْن، ورفعُه على الاستئناف، وفيها وجه آخر، يجوز أن يكون عطفاً على المضمر في النّفس، لأن المضمر في النفس في موضع رفع، المعنى أن النفس مأخوذة هي بالنفس، والعَيْنُ معطوفة على هي.

وقوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾:

قال بعضهم من تصدق به أي بحقه فهو كفارة للجارحِ إذا ترك المجروحُ حقَّهُ، رفع القصاص عن الجارح، وقال بعضهم هو كفارة للمجروح أي يكفر اللَّه عنه بعفوه ما سلف من ذنوبه.

وقوله: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيهِ﴾:

رواها بعضهم ومهيمَناً - بفتح الميم الثانية - وهي عربيَّة ولا أحب القراءَة بها، لأن الإجماع في القراءَة على كسر الميم في قوله: ﴿المؤمن المهيمِنُ﴾[3].

واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿المؤمنُ المُهَيْمِنُ﴾، واختلف الناس في تفسير قوله: ﴿وَمُهَيْمِناً عَلَيْه﴾:

فقال بعضهم: معناه وشاهداً عليه، وقال بعضهم رقيباً عليه، وقال

---

(١) عطف على إن والعامل معاً.

(٢) في الأصل ولا تقرأن.

(٣) سورة الحشر آية ٢٣.

بعضهم معناه مُؤتَمناً عليه. وقال بعضهم: المهيمنُ اسم من أسماءِ اللَّه في الكتب القديمة، وقال بعضهم: مُهيمِن في معنى مُؤْتمن إلا أن الهاءَ بدل من الهمزة، والأَصْلُ مؤتمناً عليه كما قالوا: هَرَقْتُ الماءَ، وأَرقت الماءَ، وكما قالوا: إياك وهياك، وهذا قول أبي العباس محمد بن يزيد، وهو على مذهب العربية حَسَنٌ ومُوافِقٌ لِبعْضِ ما جاءَ في التفسير، لأَن معناه مؤتمن.

وقوله: ﴿ولْيَحْكُمْ أَهْلُ الانْجِيلِ﴾.

قرئت بإسكان اللام وجزم الميم على مذهب الأَمر، وقرئت ولِيَحْكمَ بكسر اللام وفتح الميم على معنى ولأَن يحكمَ ويجوز كسر اللام مع الجزم وَلِيَحكُمْ أهل الأَنجيل، ولكنه لم يقرأ به فيما علمتُ، والأَصل كان كسر اللام، ولكنّ الكَسرَةَ حُذِفَت استثقالاً. والإِنجيل القراءَة فيه بكسر الهمزة، ورويت عن الحسن الأَنجيل بفتح الهمزة، وهذه قولة ضعيفة، لأَن أَنجيل أفعيل، وليس في كلام العرب هذا المثال، وإنجيل إفعِيلُ من النجل وهو الأَصل، وللقائل أن يقول إن إنجيل اسم أَعجَميٌّ فلا يُنْكَرُ أن يقع بفتح الهمزة لأَنّ كثيراً من الأَسماءَ الأَعجمية تخالف أَمثلة العرب نحو آجرّ وإبرَاهيم وهَابيل وقابيل، فلا ينكر أن يجيء أَنجيل وإنما كُرِهَتِ القراءَة بها لأَنّ إسنادها عن الحسن لا أَدري[1] هل هو من ناحية يوثق بها أَم لا.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبغونَ﴾.

أي تطلب اليهود في حكم الزانيين حكماً لم يأمر اللَّه به وهو أهل الكتاب كما تفعل الجاهلية.

وقوله: ﴿وَمَن أَحسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

---

(١) ط ما أدري.

أي من أَيْقَنَ تبيَّن عدلَ اللَّهِ وحكمَهُ، وحكماً منصوب على التفسير[1].

وقوله: ﴿وَمَن يَتولَّهم مِنكم فإنه مِنْهُمْ﴾.

أي من عاضدهم على المسلمين فإنه من عاضدَه.

وقوله: ﴿فَترى الَّذِينَ فِي قلوبِهم مَرَضٌ يُسَارِعونَ فِيهِم﴾.

والمرض ههنا النفاق في الدِّين، ومعنى يسارعون فيهم، أي في معاونتهم على المسلمين.

﴿يَقُولونَ نَخشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾.

أي نخشى أَلَّا يتم الأمر للنبي ﷺ، ومعنى دائرة أي يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها.

وقوله: ﴿فَعَسى اللَّه أَن يَأْتِيَ بالْفَتْح﴾.

أي فعسى اللَّه أن يُظْهِر الْمسلِمين، و «عَسَى» من اللَّه جلّ وعزّ واجبة[2].

وقوله عزّوجلّ: ﴿أو أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾، أي أو أن يؤمر النبي ﷺ بإظهار أمر المنافعين بقتلهم.

﴿فَيصبحوا عَلى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفسِهِم نَادِمِينَ﴾.

وقوله: ﴿وَيقول الَّذِينَ آمنَوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَموا بِاللَّهِ جهدَ أَيمَانِهم﴾.

أي يقول المؤمنون الذين باطنهم وظاهرهم واحدٌ: هؤلاءِ الذين حَلَفوا وأكَّدوا أَيمَانَهم إنَّهم مؤْمِنونَ وإنهم معكم أعوانكم على من خالفكم.

﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهم﴾.

---

(١) تمييز.

(٢) لأن الترجي لا يكون من اللَّه عالم كل شيء، فهي تدل على حدوث قطعاً

أي ذَهَب مَا أَظْهروهُ مِنَ الإيمان، وبطل كل خيرٍ عَمِلُوه بكفرهم وصَدِّهِم عن سبيل اللَّه كما قال: ﴿ الَّذِينَ كَفروا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيل اللَّهِ أَضَلّ أعمَالَهم ﴾[1].

المعنى ويقـول الذين آمنـوا في ذلـك الـوقت، أي في وقتٍ يـظهـر اللَّه نفاقهم فيه.

وقوله: ﴿يا أيُّها الذِينَ آمَنُوا مَن يَرتَدَّ مِنْكُم عَنْ دِينِه ﴾.

فيها من العربية ثلاثة أوجه، مَنْ يَرتدِدْ، ومن يَرْتَّد بفتح الدَّال وَمَنْ يَـرْتَدِّ مِنْكُم، بكسر الدال. ولا يجـوز في القراءَة الكسـر لأنه لم يُـرْوَ أنه قـرئ به، وأمـا «مَنْ يَرتَـدِدْ» فهو الأصـل، لأن التضعيف إذا سَكَنَ الثـاني من المضَعَفَيْنِ ظَهرَ التضعيف[2]، نحو قوله: ﴿إنْ يمسَسكُم قـرحٌ﴾[3] ولو قـرئت إن يمسكم قرح كان صواباً، ولكن لا تَقْرَأَنَّ بِهِ لمخـالفتِه المصحفَ، ولأن القـراءَة سُنَّةٌ. وقد ثبت عن نافع وأهل الشام يرتدِدْ بدالَيْنِ، وموضع يرتدَّ جزم، والأصل كمـا قُلْنَا يرتدد، وأُدغمت الدال الأولى في الثـانية، وحـركت الثانيـة بالفتـح لالتقاءِ الساكنين، قال أبوعبيدٍ: إنهم كَـرِهوا اجتمـاعَ حَرْفَيْن متحـركين وأحسبه غلِطَ، لأن اجتمـاع حرفين متحـركين من جنس واحدٍ أكثـر في الكلام من أنْ يحصَى نحو شَرَرٍ وَمَددٍ[4]، وَقِدَدٍ، وجُدَدٍ[5]، والكسر في قـوله من يـرتَدِّ يجـوز لالتقاءِ الساكنين لأنه أصـل. والفاءُ جـواب للجزاءَ، أي إن ارتـد أَحَدُ عن دينـه، أي الذي هو الإيمان.

---

(١) سورة محمد. آية ١.

(٢) الأصل في التعبير «يرتدد» لأن الحرفين المتماثلين إذا سكن ثانيها لم يكن ثم مجال للإدغام. فيفك التضعيف.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٤٠.

(٤) المدد قطع الطين اليابس، والمدن والحضر، يقال أهل الوبر للبدو، وأهل المدر لسكان المدن والحضر.

(٥) القدد القطع جمع قدة، والجدد الطرق جمع جدة. وفي ط: نحو شدد ومدد.

﴿فَسَوفَ يَأتي الله بِقَومٍ يُحِبُّهُمْ ويُحِبُّونه﴾.

أي بقوم مؤمنين غير منافقين.

﴿أذِلَّةٍ عَلَى المُؤمِنِينَ﴾.

أي جانبهم ليّنٌ على المؤْمنين، ليس أنهم أذلاءِ مهَانون.

﴿أعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾.

أي جانبهم غليظ على الكافرين.

وقوله: ﴿ يُجَاهِدونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لاَئِمٍ ﴾.

لأن المنافقين كانوا يراقبون الكفارَ ويظَاهِرونَهم، ويخَافونَ لَوْمَهُم، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنّ الصّحيحَ الايمانِ لا يخاف في نصرة الدِّين بيدِه ولا لِسَانِه لَوْمَةَ لاَئِم. (ثم)[1] أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك لا يكون إلا بتسديده وتوفيقه فقال عزّ وجلّ:

﴿ذَلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[2].

أي محبتهم للّه ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكافرين فضل من اللَّه عزّ وجلّ عليهم، لا توفيق لهم إلا به عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّه وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنوا ﴾.

بيّن[3] من هم المؤْمنون فقال:

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾.

وإقامتها تمامها بجميع فَرْضِها، وأولُ فروضها صحة الإيمان بِها وهذا كقولك: فلان قائم بِعِلْمِه الذِي وَلِيَه، تأْويله أنه يوَفِّي العَمَلَ حقوقه، ومعنى

---

(١) ليست في ط.

(٢) ط ذلك الفضل من اللَّه.

(٣) ط ثم بين.

«يُقِيمُونَ» من قولك هذا قِوام الأمر، فأما قوله: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾. فمخفوض على نعتِ قوم، وإن شئت كانت نصباً على وجهين أحدهما الحال، على معنى يحبهم ويحبونه في حال تذللهم على المؤمنين وتعزُّزِهم عَلى الكافرين، ويجوز أن يكون نصباً على المدح.

فأما قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

أي قفينا على آثارِ الرُّسل بعيسَى أي جعلناه يقفوهم.

وقوله: ﴿مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْراةِ﴾.

أي لما تَقَدَّم من التّوراة، ونصب «مُصَدِّقاً» على الحال وهو جائز أن يكون من صفَةِ الإنجيل فهو منصوب بقوله: «آتيناه» المعنى. آتيناه الإنجيل مُستقِراً فيه هدًى ونورٌ ومصدقاً. وَيَجُوزُ أَنْ يكونَ حالاً من عيسى. المعنى وآتيناه الإنجيل هَادِياً ومُصَدِّقاً، لأَنَّهُ إذا قيل آتيناه الإنجيل فيه هدى، فالذي أتى بالهدى هو هادٍ والأَحسَنُ أَنْ يكونَ على معنى وقَفَّيْنا بِعِيسَى آتِياً بالإِنْجيل وهادياً ومصدقاً لما بين يديه من التوراة، والدليل على أنه من صفة عيسى قوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِني رَسُولُ اللهِ إِليكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بينَ يَدَيَّ مِنَ التَّورَاةِ﴾(١).

وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾.

قال بعضهم: الشِّرعَةُ الدينُ والمنهاج الطريق، وقيل: الشرعة والمنهاج جميعاً الطَّريق، والطريق ههنا الدين، ولكن اللفظ إذا اختلف أُتِي مِنْهُ بألفاظ تُؤكدُ بِها القصة والأَمر نحو قول الشاعر:(٢)

---

(١) سورة الصف الآية ٦.

(٢) هو عنتر العبسي، والبيت هو السادس من معلقته ـ وأم الهيثم هي حبيبته عبلة، والأقواء والأقفار الخلاء، قال الزوزني أنه جمع بينهما لضرب من التوكيد كما قال طرفة:

متى أدن منه ينأ عني ويبعد

حُيِّيتَ مِن طلل تقادم عهدُه ... أقوى وأقْفر بَعْدَ أُمِّ الْهَيْثَم

فإن معنى أقوى وأقفر يدل على الْخَلْوَةِ، إلاَّ أَنَّ اللفظين أوكد في الخُلوِّ من لفظ واحدٍ. وقال أبو العباس محمد بن يزيد: شرعة معناها ابتداءُ الطريق، والمنهاج الطريق المستَمِرُّ، قال: وهذه الألفاظ إذا تكررت في مثل هذا فللزيادة في الفائدة، قال وكذلك قول الحطيئة: (١)

أَلا حَبَذَا هِنْدٌ وَأَرْضٌ بها هندُ ... وَهِنْدٌ أَتى مِنْ دونها النَّأْيُ والبُعْدُ

قال: النَّأْيُ لكل ما قل بعده منك أَوْ كثرَ، كأنه يقول:

النأي المفارقة قلَّت أَوْ كثرتْ، والبُعْدُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ في الشيءِ البعيد ومعنى البعيدِ عندَه ما كَثرتْ مسافةُ مُفَارقَتِه، وكأَنَّهُ يقُولُ لِمَا قرب منه هو نـاءٍ عني، وكذلك لما بعُدَ عنه، والنأي عنده المفارقة (٢).

وقوله: ﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينكُمْ هُزُواً وَلَعِباً﴾.

هُزءَاً فيه لغات، إن شئت قلت هُزُؤا بضم الزاي وتحقيق الهمزة، وهو الأصل والأَجْودُ، وإن شئت قلت هُزُواً وَأَبْدَلْتَ من الهمزة واواً، لانضمام ما قبلها وأنها مفتوحة، وإنْ شئتَ [قلت] هُزْءَاً بإسكان الزاي وتحقيقِ الهمزة. فهذه الأوجه الثلاثةُ جَيدَة يُقْرأُ بِهِنَّ. وفيها وجه آخر. ولا تجوز القراءَة به لأنه لم يقرأْ به، وهو أن يقول هُزَاً مثل هُدًى وذلك يجوز إذا أردت تخفيفَ همزة

= جمع بين النأي والبعد لضرب من التوكيد.

(١) من قصيدته في مدح آل شماس بن لأي وذم الزبرقان بن بدر والشاهد جمعه بين النأي والبعد الديوان ٧٢ ـ حواشي المرتضي ٤/١٩٨.

(٢) أي محمد بن يزيد المبرد يقول للشيء الذي ليس بعيداً ولكنه منفصل عنه هو ناء عني كما يقولها لما هو بعيد.

هُـزءٍ فيمن أسكن الزاي أن يقـول هُزاً. تـطرح حركتهـا على الزاي كمـا تقـول رَأَيْتَ خَباً تُريدُ خَبْئاً(١).

وقوله: ﴿مِـنَ الَّذِينَ أُوتوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُـمْ والْكُفَّارَ﴾(٢).

النصب فيـه على العطف على قـوله: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الَّـذِينَ اتَّخَـذُوا دِينَكُمْ هُزُوا ولَعِباً﴾ [أي] ولَا تَتَّخِذُوا الكُفَّار أَوْلِياءَ، ويجوز والكفارِ أولياءَ على العطف على الَّذِينَ أُوتواالكتاب، المعنى من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم وَمِن الكفارِ أولياءَ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا﴾.

يقـال: نقَمْتُ على الرَّجُـلِ أَنْقِمُ، ونقِمْتُ عليه أَنْقَم(٣) والأَجْـودُ نقَمْتُ أَنقِمُ، وكذلك الأَكثر في القراءَة: ﴿ومانَقمُوا مِنْهُمْ إلَّا أن يُؤْمِنُـوا بِالله العَـزِيزِ الحَمِيد﴾(٤)، وأَنشد بيت ابن قيس الرقيات.

مَـا نَـقِـمُـوا مِـنْ أُمـيَّـة إلَّا … أَنَّـهمْ يـحْلُمُـون إن غَـضِبُـوا(٥)

بالفتح والكسر، نقَمُوا ونقِمُوا، ومعنى نقمت بالغت في كراهة الشَّيءِ.

وقوله: ﴿وأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقونَ﴾.

المعنى: هل تكرهـون منا إلا إيمـاننا وفِسْقَكُمْ، إي إنمـا كرهتم إيمـاننا

---

(١) الخبأ ما خبيء وغيب، ومن الأرض النبات ومن السماء القطر.

(٢) ط: تريد خبئاً، والكفار فالنصب فيه.

(٣) مثل ضرب يضرب، وعللم يعللم.

(٤) سورة البروج آية ٨.

(٥) من قصيدة له في مدح عبد الملك بن مروان أولها: «عاد له من كثيرة الطرب» وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم. أي لا عيب فيهم إلا أنهم يحلمون، والقصيدة في ديوانـه ٦٧، والمغني ٢١١، والخزانة ٣ ـ ٢٦٨ وشواهد الكشاف، والقرطبي ٦ ـ ٢٣٤.

وأنتم تعلمــون أنـا على حق لأنَّكم فَسَقْتُمْ، بـأن أقمتم على دينكم لمحبتكم الرياسة، وكسبكم بها الأموالَ، فإن قـال قائـل: وكيف يعلم عالِمٌ أن دِينـاً من الأدْيانِ حق فيؤْثر البـاطِلِ على الْحق؟ فـالجواب في هـذا أن أكثر مـا نشاهـده كذلك. مِنْ ذلِكَ أنَّ الإنْسانَ يعْلَمُ أنَّ الْقَتْل يُوردُ النَّار فيَقْتُلُ، إما إيثاراً لِشِفَـاءِ غيظه أو لأخْذِ مال. ومنها أنَّ إبْلِيسَ قَدْ علِم أنَّ اللَّه يُدْخِلُه النَّارُ بِمعْصِيتِهِ فـآثر هواه على قُرْبه من اللَّه، وعمِل على دُخول النَّارِ وهذا بابٌ بينٌ.

وقوله: ﴿[قُلْ] هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بشَرٍ مِنْ ذَلِكَ مثُوبةً عِنْدَ اللهِ﴾.

أي بِشَرٍّ مما نَقَمْتُمْ مِن إيمانِنا ثواباً، و«مثوبة» منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿مَنْ لَعنهُ اللهُ﴾.

وضع «منْ» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان جراً فأمـا من جر فيجعله بـدلاً مِنْ شَر. المعنى أُؤنبِّئُكُمْ بمن لعنـه اللَّه، ومن رفع فبـإضمـار هـو، كـأن قائــلاً قـال: منْ ذلك؟ فقيـل هو من لعنـه اللَّه، كما قـال جـلّ ثناؤه: ﴿[قل] أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَر من ذَلِكُمْ النَّارُ﴾[1] كأنه قال: هي النار.

وقوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾.

الطاغُوتُ هو الشيطان، وتـأويل وَعَبَـدَ الطَّاغـوتَ: أطَاعـه فيما سَـوَّلَ له وأغْراهُ به، وقـدْ قُرِئَتْ: ﴿وعَبْدَ[2] الطَّاغـوتِ﴾. والذي أخْتارُ ﴿وَعَبَدَ الطاغوتَ﴾ وروي عن ابن مسعودٍ وعَبَدوا الطَّاغوتَ، وهـذا يقوي ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾، ومن قـال: وعَبُدَ[3] الـطاغوتِ. فَضَمَّ البـاءَ وجَرَّ الـطاغوتَ، فـإنه عنـد بعض أهل العرَبيَّةِ ليس بالوجـه من جهتين إحداهمـا[4]، أن عَبُد على فَعُلٍ، وليس هذا

(١) الآية ٧٢ من سورة الحج.

(٢) هو في بمعنى الجمع.

(٣) بمعنى عباد.

(٤) ط أحدهما.

من أمثلة الجمع، لأنهم فسروه خَدَمُ الطاغوتِ(١) والثاني أن يكونَ محمولاً على وجعل منهم عَبُدَ الطاغوتِ(٢). فأما من قرأ «وَعُبُدَ الطَّاغُوتِ» فهو جمع عبيدٍ وَعُبُد، مثل رغِيفٍ ورغُفٌ وسَرِيرٍ وسُررٍ، ويكون على معنى وجعل منهم عُبُدَ الطاغوتِ على جعلت زيداً أخاك، أي نَسَبْتُه إليكَ، ووجه وعَبُد الطاغوت - بفتح العين وضم الباء - [أن](٣) الاسم يبنى على فَعُلٍ كما قالوا عَلُمَ زيدٌ. وكما أقول رَجُلٌ حَذُرٌ، تأويل حَذرٍ أنه مبالغ في الحَذَرِ، فتأويل عَبُد أنَّهُ بلغ الغاية في طاعة الشيطان، وكأن اللفظَ لفظُ واحدٍ يَدُل على الجمع. كما تقول للقوم: منكم عَبُدُ العصا، تريد منكم عَبِيدُ العَصَا. ويجوز بعد هذه الثَلاَثَةِ الأوْجُهِ الرفعُ في قوله وعَبُدَ الطاغوتِ، فيقول وعَبُدُ الطاغوتِ، وكذلك وعُبُدُ الطَّاغُوتِ بالرفع، ولا تقرأن بِهذين الوجهين وإن كانا جائزين، لأن القراءَة لا تبتدع على وجه يجوز، وإنما سبيل القراءَة اتباع مَنْ تَقَدَّم، فيجوز رفع، وعَبُدُ الطَّاغُوتِ، وعُبُد الطاغوت، على معنى الذَّمِّ، والمعنى وهم عُبُد الطاغوت، كأنه لما قال: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وغَضِبَ عَلَيهِ وجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ والخنازيرَ﴾، دَلَّ الكلامُ على اتِّبَاعِهم الشَّيَاطينَ، فقيل وهم عُبُدُ الطاغوتِ.

ويجوز أن يكون بدلاً من «مَنْ» في رَفع «مَنْ» كَأنه لما قِيل(٤) منهم من لعَنَهُ اللَّه، وغضِبَ عليه، قيلَ هم عَبُدُ الطاغوت وعُبُدُ الطَّاغُوتِ، ويجوز في الكلام أيضاً، وعَبْدَ الطاغوت - بإسكان الباء - وفتح الدَّال. ويكون على وجهين، أحدهما أنْ يكونَ مخفَّفاً من عَبُد - كما يُقَال في عَضُدٍ عَضْد. وجائز أن يكون «عَبْد» اسْماً واحداً يدل على الجنس، وكذلك يجوز في عبد الرفع

(١) مطيعوه وخاضعون لوساوسه فهو جمع، وعَبُدَ ليس بجمع.
(٢) بمعنى عبيد، ويتلاقى مع الوجه الأول.
(٣) ليست في ط.
(٤) ط. قال.

والنصب من جهتين كما وصفنا في عبد، ويجوز أن يكون النصبُ من جهتين: إحداهما على وجعل منهم عَبْدَ الطاغوتِ ويجوز أن يكون منصوباً على الـذم، على أعني عبدَ الطاغوت، . ويجوز فـي وعَبْد وعَبُد وعُبُدِ الجرُّ على البَدَل من «من» ويكون المعنى: هل أُنبِّئُكم بمَنْ[1] لعنه اللَّه وعَبُدِ الطاغوت. ولا يجـوز القراءَة بشيء من هذه الأوجه إلا بالثلاثة التي رُويَتْ وقرأ بها القراءَ، وهي عَبَدَ الطَّاغُوتَ. وهي أجودها، ثم وعَبُدَ الطاغُوتِ ثم وعُبُدَ الطاغوتِ.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً﴾.

أي هؤلاءِ الذين هذه صَفْتهم ﴿شَرٌّ مكاناً، وأَضَلُّ عَنْ سَواءِ السَّبِيلِ﴾.

أي عن قصد السبيل، و «مكاناً» منصوبٌ على التفسير.

وقـوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الـرَّبَّانِيُّـونَ والأَحْبَارُ﴾. وهُم عُلَمـاُؤهم ورؤسـاُؤهم. والحَبْـرُ العالِمُ، والحِبْـرُ المِـدَادُ بـالكسـرِ، فـأعلم اللَّه أن رُؤسـاءَهم وسِفْلَتَهُمْ مُشْترِكونَ في الكفر.

ومعنى: ﴿لوْلا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيونَ﴾: هلاَّ ينها م، ثم أَخْبَرَ عَـزَّ وَجَلَّ بعـظيم فِريتهم فقال:

﴿وقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولةٌ، غُلَّتْ أَيْدِيهِـ ﴾.

أي [قـالوا] يـده مُمْسِكةٌ عن الاتِّسـاع عَا نا. كما قال اللَّه جَلَّ وَعزَّ: ﴿ولا تَجْعَلْ يَدكَ مغلُولةً إلى عُنُقِكَ﴾ تأويله لا تُمسِكها عنِ الإنفاق قال بعضهم: معنى ﴿يدُ الله مَغْلُولةٌ﴾ نعْمَتُـه مقبوضـة عَنَّا، وهـذا ـول خـطأً ينقضُـه: ﴿بَلْ يَـدَاهُ مبْسُوطَتَانِ﴾.

فيكون المعنى: بلْ نِعْمَتَـاهُ مبسُوطتـانِ، ـِنعَمُ اللَّهِ أَكثرُ مِن أن تُحصى.

---

(١) من بدل من «شر» في «بشر من ذلكم» وعبد معطوف عليه

وقال بعضهم: وقالوا يَدُ اللَّهِ مغْلُولَةٌ عَنْ أعدائنا، أي لا يُعذِّبُنا. وقال بعض أهل اللغة إنما أُجِيبُوا على قَدْرِ كَلاَمِهِمْ. كما قالُوا يدُ اللَّه مغْلُولَةٌ، يريدون به تبخيل اللَّه.

فقيل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾. أي هو جَوادٌ ﴿يُنْفِق كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ومعنى غُلَّتْ أيدِيهِمْ أي جُعِلُوا بُخَلاَءَ. فهُم أَبْخَلُ قَوْمٍ وقيلَ ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِم﴾ أي غُلت في نَارِ جَهَنَّم.

وقوله: ﴿وَلَيزِيدَنَّ كَثيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ ربِّك طُغْيَاناً وكُفْراً﴾.

أي كلما نزل عليك شيءٌ من القرآن كفروا به فيزِيدُ[1] كفرهم والطغيان الغُلوّ والكفر هَهُنَاكَ.

وقوله: ﴿وأَلْقَيْنَا بَيْنهُمْ العَدَاوَة والبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ جعلهم اللَّه مختلفين في دينهم متباغضين، كما قال: ﴿تحسَبُهم جميعاً وقُلُوبُهُمْ شتَّى﴾[2] فألقى الله بينهم العداوة، وهي أحدُ الأسباب التي أذهب الله بها جَدَّهم[3] وشَوْكَتَهُمْ.

وقوله: ﴿كُلما أَوْقَدُوا نَاراً للحَرْبِ أَطْفَأَها اللَّهُ﴾.

هذا مثل[4] أي كلما جمعوا على النبيِّ والمسلمين وأعدُّوا لحِربِهم فرق اللَّه جمعهم وأفْسد ذات بينِهمْ.

وقوله: ﴿وَيَسْعَوْنَ في الأَرْضِ فَساداً﴾.

---

(١) ط فيزيدهم كفرهم.

(٢) سورة الحشر ١٤.

(٣) حظهم وسعادتهم.

(٤) ذكر النار للاستعداد للحرب تمثيل.

أي يجتهدون في دفع الإسلام ومحو ذكر النبي ﷺ من كُتُبِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ﴾.

أي لَوْ عَمِلُوا بِمَا فِيهِمَا، ولم يكتُمُوا ما علموا من ذكر النبي ﷺ فيهمَا.

﴿وما أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

وهو - واللَّه أعلَم - القرآن. أي [لو] عَمِلُوا بما في هذه الكتب من ذكر النبي، وأظهروا أمره، ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

قيل إنه كان أصَابهم جَدْبٌ، فأعلم اللَّه أنَّهم لو اتَّقوا لأوسع عليهم في رِزقِهِمْ، ودَلَّ بهذا على ما أصابَهُم من الجدب فيما عاقبَهمْ به.

ومعنى ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

أي لأكلوا من قطر السَّماءِ.

﴿ومِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾.

مِن نَبَات الأرضِ. وقيل قد يكون هذا من جهة التوسِعَةِ كما تقول فلان في خير من قرنه إلى قدمِه[1]، وقد أعلم اللَّه جلّ وعزَّ أن التُّقى سعة في الرزق فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهلَ الكتاب آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾. وقال: ﴿مَنْ يَتَّقِ الله يَجعَلْ لهُ مَخْرجاً. ويرزُقْهُ مِنْ حَيثُ لا يَحتَسِبْ﴾[2] وقال في قصة نوح: ﴿استغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنه كان غفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَليكُمْ مِدْرَاراً، ويُمدِدْكُمْ بِأموالٍ وَبنِين ويَجعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾[3] وهي البساتين. فوعدهم اللَّه أتم الغنى على الإيمان والاستغفار.

وقوله: ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾.

---

(١) من رأسه إلى قدمه - أي يشمله ويعمه.

(٢) سورة الطلاق ٢ - ٣.

(٣) سورة نوح ١٠ - ١٢.

أي من أهل الكتاب، قال بعضهم يعنى بهذا مَنْ آمَن مِنْهُمْ وقيل يعنى به طائفة لم تُناصِب النبيَّ ﷺ مناصبة هؤلاءِ، والذي أَظُنه ـ والله أعلم ـ أنه لا يسمي اللَّه من كان على شيءٍ من الكفر مُقْتصِداً.

﴿وكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

المعنى بئس شيئاً عَمَلُهم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لم تَفْعَلْ فما بلَّغت رِسَالَتَه﴾.

وتقرأْ رسالاته. والمعنى بلغ جميع ما أُنزل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك، وإن تركت منه شيئاً فما بلغتَ، أي لا تراقبن أَحداً ولا تتركن شيئاً من ذلك خوفاً مِنْ أن ينالك مكروه.

﴿والله يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

أي يحُولُ بَيْنَهُمْ وبين أَنْ ينالكَ منهم مَكْرُوهٌ، فَأَعْلَمَهُ اللَّه جلّ وعزّ أنه يَسْلَمْ مِنهمْ. وفي هذا آية للنبي ﷺ بَيِّنَةٌ.

قوله: ﴿إِن الَّذِينَ آمنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابئُونَ والنَّصَارَى مَنْ آمنَ باللَّه وَاليوْمِ الآخِرِ وَعملَ صالحاً فلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ [ولاَ هُمْ يَحْزنُونَ]﴾.

اختلف أَهل العربية في تفسير رفع الصابئين، فَقَالَ بعضهم نَصْبُ «إنَّ» ضَعُفَ فنُسقَ «بالصَّابئون» على «الّذينَ» لأَن الأصل فيهم[1] الرفع. وهو قول الكسائي، وقال الفراءُ مثل ذلك إلا أَنه ذكر أَن هذا يجوز في النسق على مثل «الذين» وعلى المضمر، يجوز إني وزيد قائمان، وأنه لا يجيز إنَّ زيداً وعمرو قائمان. وهذا التفسير إقدام عظيم على كتاب اللَّه وذلك أَنهم زعموا أَن نَصْبَ

(١) تقدم أن هذه طريقة الزجاج في إعادة ضمير العقلاء على اللفظ.

«إنَّ» ضعيف لأنها إنما تغيِّرُ الاسم ولا تغير الخبرَ، وهذا غلط لأن «إنَّ» عملت عَملَيْن النَّصْبَ، والرفع، ولَيْسَ في العربيَّة ناصب ليس معه مرفُوع لأن كل منصوب مشبه بالمفعول، والمفعول لا يكون بغير فاعل إلا فيما لم يسم فاعله، وكيف يكون نصب «إنَّ» ضعيفاً وهي تتخطى الظروف فتنصب ما بعدها. نحو قوله: ﴿إنَّ فيها قوماً جَبَّارين﴾[1] ونَصْبُ إنَّ مِنْ أَقْوَى المنْصُوبَاتِ.

وقال سيبويه والخليلُ، وجميعُ البصريين إنّ قوله: والصَّابئُون محمول، على التأْخير، ومرفوع بالابتداءِ. المعنى إن الذين آمنوا والذين هادوا مَنْ آمن باللَّهِ واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم، والصابئون والنصارى كذلك أَيْضاً، أي من آمن باللّه واليوم الآخر فلا خوف عليهم، وأَنشدوا في ذلك قول الشاعر:[2]

وإلا فاعلموا أَنا وأَنتم بغاة ما بقينا في شقاق

المعنى وإلا فاعلموا أَنَّا بُغَاةٌ ما بقينا في شقاق، وأَنتم أَيضاً كذلك.

وزعم سيبويه أَنَّ قوماً من العرب يغْلِطُونَ فيقولون إنهم أَجمعُونَ ذاهبُون، وإنك وزيدٌ ذاهبان. فجعل سيبويه هذا غلطاً وجعله كقول الشاعر:[3]

---

(١) سورة المائدة ـ ٢٢.

(٢) هو بشر بن أبي حازم.

والبيت في العيني ١/٢٧١، والخزانة جـ ٤ وكتاب سيبويه جـ ٢ ١٥٦ (ت هرون) وشواهد الكشاف.

(٣) لزهير بن أبي سلمى، من قصيدة أولها:

ألا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا

والبيت في ابن يعيش ٧ ـ ٥٦، والخزانة ٣ ـ ٦٦٥، وشرح شواهد المغني ٩٨ وكتاب سيبويه ٢ ـ ٢٣٨ ـ أميرية.

بــدا لي أَنِّي لسْتُ مـدرِك مَــا مَضى   ولا سَــابِقٌ شيئاً إذا كــان جــائيــاً

فأما ﴿مَن آمَنَ بِاللهِ﴾ وقد ذكر الذين آمنـوا، فإنمـا يعني الذين آمنـوا هَهنا المنافقين الذين أظهـروا الإيمان بـأَلْسنتهم، ودلَّ على أن المعنى هنـا مَـا تقدَّم من قوله:

﴿لا يَحْزُنْكَ الذين يُسارِعُونَ في الكُفر مِنَ الـذينَ قَالُـوا آمنا بـأفواهِهِمْ ولم تُؤمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

ومعنى الصابـئ الخارج عن جملة الأَدْيان لأنهم[1] لا يدينـون بالكتُبُ، والعرب تقول قـد صبأَ نَـابُ البعير، وصبـأَ سِنُّ الصَّبِيِّ إذا خرج. فـأما قـولهم ضبأت بالضادِ المعجمة فمعناه اختبأت في الأَرض، ومنه اشتُق اسم ضابـئ.

وقال الكسائي، الصابئون نسق على ما في هادوا[2]، كأنه قال هادوا هم والصابئون[3]. وهذا القول خطأ من جهتين، إحداهما أن الصابئ يشارك اليهودِيَّ في اليهوديّة وَإن ذَكَرَ أَنَّ هادوا في معنى تابوا[4] فهذا خطأٌ في هذا الموضع أيضاً لأن معنى الذين آمنوا ههنا إنما هو إيمانٌ بأفواههم، لأنه يُعْنَى بِـه المنَافِقُونَ، أَلَا ترى أَنَّـه قال من آمَنَ باللَّه، فلو كانوا مؤْمنين لم يحتج أن يقال إنْ آمنوا فلهم أجرهم.

وقوله: ﴿فَرِيقاً كذَّبُوا وَفريقاً يقْتُلُون﴾.

المعنى كُلَّمـا جَاءَهُم رسُـولٌ كذَّبـوا فريقـاً وقَتلوا فريقـاً، أَمَّـا التَّكْـذيبُ فـاليهودُ والنصـارى مشتـركـة فيـه، وأمـا القتـل فكـانَتْ اليهـود خـاصَّـة ـ دون

---

(١) أي الصابئين.

(٢) عطف على واو الجماعة في هادوا.

(٣) أي يلزم على هذا التقدير أن يكون «الصابئون» فاعلاً للفعل «هاد» من هادوا ـ لأنه معطوف على فاعله وهو الواو.

(٤) إن أراد الذين تابوا ـ ولم يرد اليهود.

النَّصَارى - يَقْتُلون الأَنبياءَ، وكانت الرسل على ضربين، رسل تأْتي بالشرائع والكتب نحو موسى وعيسى وإبراهيم ومحمد[1]، فهؤُلاءْ معصومون من الخلق، لم يوصل إلى قتل واحدٍ منهم، ورُسُل تأْتي بالأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحث على التمسك بالدين نحو يحيى وزكريا[2].

وقوله: ﴿وحَسِبُوا أَلَّا تكونَ فِتْنَةٌ﴾.

تقرأُ ﴿أَلَّا تكونَ﴾ بالنَّصْب، وأَلَّا تكونُ بالرَّفْع، فمن قرأَ بالرفع فالمعنى أَنه لا تكون فتنة[3]، أَي حسبوا فعلهم غير فَاتنٍ لهم وذلك أَنَّهم كانوا يقولون إنهم أَبناءُ اللَّه وأَحباؤُه.

﴿فعَمُوا وَصَمُّوا﴾.

هَـذا مثلٌ، تـأْويله أَنَّهم لم يعملوا بما سمعـوا ولا بما رَأَوْا من الآيـات، فصاروا كالعُمْي الصُّمِّ.

﴿ثم تَاب عَلَيْهِم﴾.

أَي أَرسل إليهم محمداً ﷺ يعلمهم أَن اللَّه جـلّ وعزّ قـد تاب عليهم إن آمنوا وصَدَّقوا، فلم يُؤمنوا أَكثرهم، فقال عزّ وجلّ:

﴿ثمَّ عَمُوا وصَمُّوا كثِيرٌ مِنْهُمْ﴾.

أَي بعد أَن ازداد لهم الأمر وضوحاً بالنبي عليه السلام. كثير منهم يرتفع من ثلاثة أَوجه، أَحدهـا أَن تكون بـدلاً من الواو، كـأنه لما قال ﴿عموا وصَمُّوا﴾ أَبـدل الكثيـر منهم، أَي عمي وصم كثيـرٌ منهم كمـا تقـول: جـاءَني قـومُـك أَكْثَـرهُمْ، وجائـز أَن يكون جُمـعَ الفعلُ مُقَـدَّماً كمـا حكى أَهـل اللغـة أَكلوني

---

(١) ك - صلّى اللَّه عليهم أجمعين.

(٢) زكريا ويحيى قتلا - كما هو معروف.

وهو يعني أنهما لم يأتيا برسالة جديدة، بل كانا يبشران برسالة موسى عليه السلام.

(٣) وتكون «أن» مخففة من الثقيلة لوقوعها بعد «حسب».

البـراغيث، والوجـه[1] أن يكون كثيـر منهم خبر ابتـداءٍ محذوف، المعنى ذوو العمى والصمم كثير مِنهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفر الَّذِينَ قَالُوا إنَّ اللَّهَ ثَالثُ ثَلاثَةٍ﴾.

معناه أنهم قالوا اللَّه أحد ثلاثة آلهة، أوْ وَاحِد من ثلاثة آلهـة، ولا يجوز في ثلاثة إلا الجرُّ، لأن المعنى أحد ثلاثة، فـإن قلت زيد ثـالث اثنين أو رابع ثلاثة جاز الجرُّ والنَّصْبُ، فأما النصب فعلى قولك كـان القوم ثـلاثة فَـرَبَعَهُم، وأنا رابعهم[2] غداً، أو رابع الثلاثة غداً، ومن جـرَّ فعلى حذف التنـوين، كما قال عزّ وجلّ: ﴿هَدياً بالغَ الكَعْبَةَ﴾[3].

وقوله: ﴿ومَا مِنْ إلهٍ إلاَّ إلهٌ واحِد﴾.

دخلت «من» مؤكدة، والمعنى ما إله إلا إله واحد.

وقوله: ﴿وَإنْ لَمْ يَنْتَهوا عَمَّا يَقُولونَ لَيَمَسَّنَّ الذينَ كَفَرُوا مِنْهُم عذابٌ أَلِيمٌ﴾.

معنى الذين كفروا منهم. الذين أقاموا على هذا الدين[4] وهذا القول.

وقوله: ﴿إلاَّ رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِنْ قَبْله الرَّسُلُ﴾.

أي إبراؤه الأكمه والأبرص وإتيانه بالآيات المعجزات ليس بأنه إله، إنما أتى بالآيات كما أتى موسى بالآيات، وكما أتى إبراهيم بالآيات.

﴿وأُمُّهُ صِدِّيقةٌ﴾.

أي مبالغة في الصدق والتصديق، وإنمـا وقع عليهـا صدِّيقـة لأنه أرسـل إليهـا جبريـل، فقال اللَّه عـزّ وجـلّ: ﴿وصـدَّقتْ بكلمـات ربهـا وكتُبُه﴾[5]،

---

(١) هذا هو الوجه الثالث وهو الذي يختاره.

(٢) مصيرهم أربعة.

(٣) المائدة ٩٥.

(٤) هذا الاعتقاد بأن اللَّه ثالث ثلاثة.

(٥) سورة التحريم ١٢.

وصِدّيق فِعيلٌ من أبنية المبالغة كما تقول فلان سِكِّيت أي مبالغ في السكوت.

وقوله: ﴿ كَانَا يأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾.

هذا احتجاج بيِّن، أي إنما يعيشان بـالغذاءِ كمـا يعيش سائـر الآدميين، فكيف يَكُونُ إلَهاً من لا يقيمه إلَّا أكلُ الطعام.

وقوله: ﴿ انظرْ كَيْف نُبيّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ﴾.

أي العلامات الواضحة.

﴿ثُمَّ انْظُرْ﴾: أي انظر بعد البيان.

﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

أي من أين يُصرَفُونَ عَن الحقِّ الواضح.

وكل شيءٍ صرفته عن شيءٍ وقَلَبْتَه عَنْه، تقول أَفَكْتُـه آفِكُه أفْكـاً، والإفك الكـذب إنما سُمِّيَ لأنـه صرف عن الحق، والمؤْتفكـات الريـاح التي تأْتي من جهات على غير قصد واحد.

وقوله: ﴿وَلَا تتَّبعُوا أَهَواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قبْلُ﴾.

أهواءَ جمع هوى، وهَوَى النَّفْسِ مقصـورٌ لأنه مثـل الفَرقَ وفَعَـل جمعُه أفْعال، وتأْويله لا تتبعوا شَهَواتِهمْ لأنهم آثروا الشهوات على البيـان والبرهـان. ومـا في القُرآن مِن ذكـر اتباع الهَـوَى مَذْمُـوم(١) نحو قـوله: ﴿وَلَا تَتبـع الهـوى فيُضلَّك عنْ سبيلِ الله﴾(٢) وقوله: ﴿واتَّبَعَ هواهُ فَتردى﴾(٣) وقوله: ﴿وما ينَطق عن الهوى﴾(٤).

---

(١) لم يذكر الهوى إلا مذموماً.

(٢) سورة ص آية ٢٦.

(٣) سورة طه آية ١٦.

(٤) سورة النجم آية ٣.

ومعنى ﴿وأضلُّوا كثيراً﴾ الكثير اتبعوهم.

﴿وَضَلُّوا عَن سَواءِ السَّبيلِ﴾.

أي ضلوا بإضلالهم عن قصد السبيل.

وقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيل﴾.

تأْويل لُعِنُوا بُوعِدُوا من رحمة اللَّه.

﴿عَلى لِسَانِ دَاودَ وعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

جاءَ في التفسير أَنَّ قوماً اجتمعوا على مُنْكرٍ، فأَتاهم داود عليه السلام ينهاهم عنه، فاستأْذن عليهم فقالوا نحن قرودٌ وما نفقه ما تقول، فقال كونوا قِرِدَةً، فمسخهم اللَّه قِرِدَةً، وأَن قوماً اجتمعوا على عيسى يَسُبُّونه في أُمِّه وَيَرْجُمُونَه فسأَل اللَّه أَن يجعلهم خنازير فصاروا خنازير، وذلك لعنهم على لسان داودَ وعيسَى.

وجائز أَن يكون داود وعيسى أُعْلِمَا أَنَّ مُحمداً ﷺ نَبيٌّ وأَنَّهُما لَعنا مَنْ كَفَرَ بِه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا عصوْا وكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

أَي ذلك اللَّعْن بمعصيتهم واعتدائهم.

و«ذلك» الكاف فيه للمخاطبة، واللام في ذَلِك كسرتْ لالتقاء الساكنين، ولم يذكر الكوفيون كسر هذه اللام في شيءٍ من كُتبهم ولا عَرَّفُوه، وهذه من الأَشياءِ التي كان ينبغي أَن يتكلموا فيها[١]، إذ كان «ذلك» إشارة إلى كل متراخ عنك، إلا أَن تركهم الكلام أَعْودُ علَيْهم[٢] مِنْ تَكلُّمِهمْ إذ كان أَول ما نطقوا به في فَعِلَ قد نقض سائر العربية، وقد بينا ذلك قديماً[٣].

---

(١) ط فيه.

(٢) أكثر فائدة لهم إذ لا لحجة لديهم.

(٣) لم يتكلم عنه في هذا الكتاب.

وقوله: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفعَلُونَ﴾.

أي لبئس شيئاً فعِلهم، واللام دَخَلَتْ للقَسم والتَّوكِيد وقد بيَّنا لِم فُتِحت، وسائر الحروف التي جاءَت يعْني لم فُتِحتْ وكسرت[1] ولم يبين الكوفيون شيئاً من ذلك.

وقوله: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّه علَيْهِمْ﴾.

«أَنْ» يجوز أَن يكون نصباً على تأْويل بئس الشيءُ ذلك لأَنْ سخط اللَّه عَلَيْهم، أَي لأَن أَكسبهم السَّخْطةَ، ويجوز أَن يكون «أَنْ»[2] في موضع رفع على إضمار هو، كأنه قيل هو أَنْ سَخط اللَّهُ عَليهمْ، كما تقول نِعْمَ الرَّجُلُ زيْدٌ.

وقوله: ﴿لَتجِدَن أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشركُوا﴾.

وذلك أَن اليَهودَ ظاهَروا المشركين على المؤْمنين، والمؤْمنون يؤْمنون بموسى والتوراة التي أَتى بها، وكان ينبغي أَن يكونُوا إلى من وافقهم في الإيمان بنَبيِّهمْ وكتابهم أَقربَ، فظاهروا المشركين حَسَداً للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿لَتَجِدَنَ﴾: هذه اللام لام القسم، والنون دَخَلَتْ تَفْصِلُ بينَ الحال والاسْتقْبَالِ، هذا مذهب الخليل وسيبويه، ومن يُوثَقُ بعِلْمِه.

وقوله: ﴿عَدَاوَةً﴾ مَنْصُوب على التمييز.

﴿وَلتجدَنَّ أَقْربَهم مَوَدَّةً للذين آمَنُوا الذِينَ قَالُوا إنَّا نَصارَى﴾.

في هذه غير وجه، جاءَ في التفسير أَن نيفاً وثلاثين من الْحَبَشِ من

(١) انظر ص ٤٢ جـ ١

(٢) ط في «أن» في موضع رفع.

النصارى جاءُوا وجماعةً معهم، فأسلموا لما تلا عليهم النبي ﷺ (القرآن)[1].

وجائز أن يكون يُعْنَى بِه النَّصارَى لأنهم كانوا أَقَل مظاهرة للمشركِينَ من اليهود، ويكون قوله:

﴿وإِذَا سَمِعُوا ما أُنزلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾.

على معنى ﴿ذلك بأَنَّ منهم قسيّسين ورهباناً﴾، ومنهم قوم إِذَا سَمِعُوا ما أُنْزلَ إلى الرَّسُولِ، يعني به ههنا مؤمنيهم، والقُسُّ والقِسِّيسُ من رُؤساءِ النَّصارَى، فأما القَسُّ[2] في اللُّغَة فهي النميمة ونشر الحديث، يقال: قسَّ فلان الحديث قسًّا.

ومعنى ﴿فَاكتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدينَ﴾.

أي مع من شهد من أَنْبيائك علَيْهِم السلامُ ومُؤْمِني عِبَادك بأَنَّكَ لا إله غيْرُك.

وقوله: ﴿وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ باللهِ﴾.

موْضع ﴿لا نؤْمن بالله﴾ نصب على الحال، المعنى أي شيءٍ لنا تاركين للإيمان، [أي] في حال تركنا للإيمان، وذلك أن قومهم عنفُوهم على إيمَانِهم فأَجَابُوهم بأن قالوا ما لنا لا نُؤمنُ باللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآيَاتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ الجَحِيمِ﴾.

الجَحِيم النَّار الشدّيدةُ الوَقُود، وقد جَحِمَ فلان النّار إذا شدَّد وقُودَها، ويُقال لِعَيْن الأَسَد جَحْمة لشدة توقدها، ويقال لوقود الحرب، وهو شدة القتال فيها: جَاحِم، قال الشاعر:[3]

---

(١) كلمة القرآن ليست في ط ـ ويكون المعنى أسلموا حين قرأ عليهم، أو لما قرأه عليهم.

(٢) القس مثلثلة تتبع الشيء وطلبه كالتقسس والنميمة ـ وبالفتح صاحب الإبل الذي لا يفارقها. ورئيس النصارى في العلم ـ كالقسس. اهـ قاموس.

(٣) تقدم في الجزء الأول بيت من القصيدة ـ هو من صد عن نيرانها ـ والأبيات لسعد بن مالك بن=

والـخيـل لا يـبـقـى لـجـاحـمـهـا الـتـخـيـل والمراحُ
إلا الـفـتـى الـصَّـبَّـارُ في الـنَّـجَـداتِ والـفـرس الوَقَاحُ

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّموا طَيّباتِ مَا أَحَل اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعتَدوا﴾.

هذه قيل نزلت لأَنَّ جماعةً من أَصحاب النبي كانوا هَمُّوا بأَن يرفضوا الدنيا ويجتنبوا الطيبات ويخْصُوا أنفسهم، فأَعلم اللَّه أن شريعة نبيه عليه السلام غير ذلك، والطيبات لا ينبغي أَن تجتنب البتة، وسمي الخصاءُ اعتداءً، فقال عزّ وجلّ: ﴿ولا تعتدوا﴾، أي لا تَجُبُّوا أَنفسكم فإن ذلك اعتداءَ.

وقوله: ﴿لاَ يُؤاخِذُكُم اللَّهُ باللَّغْوِ﴾.

اللغو في كلام العرب ما اطرح ولم يعقد عليه أَمر، ويسمى ما ليس مُعتَدًّا به ـ وإن كان مَوجُوداً ـ لغواً، قال الشاعر:

أو مِـائـةً تـجعـل أَولاَدَهـا لَغْواً، وعُرْضُ المائةِ الجَلْمَدُ[1]

(الذي يعارضها في قوة الجلمد)[2]، يعني بذلك نوقاً، يقول: مائة لا تجعل أَولادها من عددها.

أَعلم[3] اللَّه عزّ وجلّ أن اليمين التي يُؤاخَذُ بها العَبْدُ وتجب في بعضها

= ضبيعة وهو جد طرفة ـ بن العبد ـ ورواية البيتين في شواهد المغني ـ والحرب لا يبقى لجاحمها. وجاحم الحرب شدتها واستعارها، والتخيل الخيلاء والعجب، والمراح، النشاط والفرح، والأبيات تعريض بالحرث بن عباد، ومن اعتزل الحرب معه ـ والنجدات الشدائد، والفرس الوقاح الصلبة الشديدة.

(١) البيت في اللسان «جلمد» والجلمد الصخرة والقطيع الضخم من الإبل، يريد أنها ناقة قوية لا يعارضها إلا الجامد ولا تجعل أولادها من عددها.

(٢) ليست في ط.

(٣) ط فأعلم.

الكفارَةُ ما جرى على عقدٍ، ومعنى فكفارته إطعـامُ عَشَرةِ مَسَـاكِين، أي فكفارة المُؤاخذَةِ فيه إذا حَنَثَ أن يُطْعَم عَشَرَة مساكين إن كانـوا ذكوراً أو إنـاثاً وذكـوراً أجزاه ذلك، ولكن وقع لفظ التذكير لأنه المُغَلَّبُ في الكلام.

ومعنى ﴿من أوْسَطِ ما تُطْعِمُونَ أهْلِيكُمْ﴾.

قال بعضهم أعْدله كما قال جلّ وعزّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطا﴾(١) أي عَـدْلاً، و﴿أوْسَط ما تـطعمون أهْليكُمْ﴾ على ضـربين أحـدهمـا أوسـطه في القدر والقيمة، والآخر أوسَطه في الشبع لا يكون المأكول يفرط في أكله فيؤكل منه فوق القصدِ وقدر الحاجة، ولا يكون دون المعنى عن الجوع.

﴿أوْ كِسْوَتُهُم﴾.

والكسوة أن يكسوهم نحو الإزَار والعِمَامة أو ما أشبه ذلك.

﴿أوْ تَحْرِيرُ رَقَبةٍ﴾.

فخير الحالف أحدَ هذه الثلاثة، وأفضلها عند اللَّه أكثرُها نَفْعاً، وأحسنُها مـوقعاً من المسـاكين، أو من المعتق، فإن كـان الناس في جَـدْب لا يقـدرون على المأكول إلاَّ بما هو أشد تكلفاً من الكسوة أو الإعتاق، فـالإطعام أفضـل، لأن به قِوَامَ الحياةِ وإلا فالإعتاق أو الكسوة أفضل.

﴿فَمنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أيّام﴾.

أي من كان لا يقدر على شيء مما حُدَّ في الكفـارة، فعليه صيـام ثلاثـة أيـام، وصيام ثـلاثة مـرتفع بـالابتداءِ، وخبـره كفارتـه أو فكفارتـه صيام ثـلاثة أيام(٢). ويجوز فصيامُ ثلاثةَ أيَّامٍ كمـا قال عـزّ وجلّ: ﴿أوْ إطْعـامُ فِي يَوْمٍ ذِي

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) أي هو خبر لمبتدأ محذوف.

مَسْغَبَةٍ. يتيماً﴾[1].

﴿أو عَدْلُ ذَلِكَ صِياماً﴾[2].

﴿ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾.

أي ذلك الذي يغطي على آثامكم، يقال كَفَرْتُ الشيءَ إذا غطَّيته، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿أعجب الكُفَّارَ نباتُه﴾[3]، والكفار الذين يغطون الزرع ويصلحونه، والكافر إنما سمي كافراً، لأنه ستر بكفره الإيمان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الخَمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصَابُ والأَزْلامُ رجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾.

فالخمر معروف وهو ما خامر العقل، وقد فسرناه[4]، والميسرُ القَمارُ كله[5]، وأصله أنه كان قماراً في الجزور، وكانوا يقسمون الجَزُورَ في قول الأصمعي على ثمانية وعشرين جزءاً، وفي قول أبي عمرو الشباني على عشرة أجزاء، وقال أبو عبيدة لا أعرف عَدَدَ الأجزاء، وكانوا يضربون عليها بالقداح وهي سهامُ خَشبٍ. لها أسماء نبينها على حقيقتها في كتابنا إن شاءَ اللَّه، فيحصل كل رجل من ذلك القمار على قدر إمكانه، فهذَا أَصْلُ المَيْسرِ، والقمار كلُّه كالميْسر وقد بينا الأنصاب والأزلام في أول السورة.

فأعلم اللَّه أن القِمارَ والخَمرَ والاسْتِقْسَامَ بالأَزْلام وعبادةَ الأوثان رجسٌ. والرجس في اللغة اسم لكل ما استُقْذِرَ من عمل، فبالغ اللَّه في ذَمِّ هذه الأشياء، وسماها رجْساً، وأعلم أن الشيطان يُسَوِّلُ ذلك لِبَني آدم، يقال رَجِسَ الرجلُ يَرْجَسُ، ورجَسَ يَرْجُسُ، إذَا عمل عملاً قبيحاً، والرَّجْسُ بفتح الراء

---

(١) سورة البلد ١٤.

(٢) الأظهر في «صياماً» أنها تمييز، ولكن يجوز أن تكون مفعولاً لعدل، أي معادلة ذلك صوماً.

(٣) سورة الحديد ـ ٢٠.

(٤) انظر تفسير الآية: يسألونك عن الخمر ص ٢٩١ ج ١.

(٥) بجميع أنواعه.

شِـدَّةُ الصَّوْتِ، فكـان الرجس العمـل الذي يقبـح ذكره، ويـرتفع في القبـح، ويقال سحاب ورَعْدٌ رجَّاسٌ إذا كان شديد الصوت، قال الشاعر:

وكــل رَجَّــاس يَـسُــوقَ الـرُّجَّسَــا(١)

وأما الرجز بالـزاي فالعـذابُ، أو العمل الـذي يؤدي إلى العذاب، قـال اللّه: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾(٢) أي كشفت عنا العذاب، وقوله: ﴿وَالـرُّجْزَ فَـاهجُـر﴾(٣) قـالوا عبـادة الأوثان. وأصـل الرِّجْـز في اللغـة تتـابـع الحركات، فمِنْ ذلك قولهم رجزاءَ إذا كانت ترتعد قـوائمها عنـد قيامهـا، ومن هـذا رَجَزُ الشِّعـر لأنه أقْصَـرُ أبيَاتِ الشِّعْـرِ، والانتقال [فيـه] من بيت إلى بيت سريع نحو قوله(٤):

يـا لـيتـني فيهـا جـذع　　أخــب فـيــهـا وأضــع

ونحو قولهم:

صَبْـــراً بَـــنِي عَبْـــدِ الـــدَّارِ(٥)

ونحو قولهم:

مـــا هــــاج أحــزانـا وشــجوا قــد شـجا(٦)

---

(١) للعجاج ـ وبعده ـ من السيول والسحاب المرسا. أنظر الديوان ص ١٦ واللسان (رجس).

(٢) الأعراف ـ ١٣٤.

(٣) سورة المدثر آية ٥.

(٤) من رجز لدريد بن الصمة قاله يـوم هوازن (اللســان ـ جدع) وسيـرة ابن هشام ٨٩٠، والأغـاني جـ٩ ـ ٣٤٥، جـ ١٠ ـ ٣١.

(٥) الرجز في سيرة ابن هشام جـ٣ ـ ٥٨٨ ـ ويهـابني عبد الـدار ـ ويها حمـاة الأدبار، ضـرباً بكـل بتار.

(٦) لرؤبة ـ وبعده: من طلل كالاتخمى أنهجا ـ انظر معـاهد التنصيص. وأراجيـر العرب ١٧ ورؤبـة اسمه عبد اللّه، بصري تميمي والرؤبة القطعة من الخشب يشبه بها الإناء.

وزعم الخليل أن الرَّجَزَ ليس بشعر، وإنما هو أنصاف أَبْيَات أو أثـلاث، ودليل الخليل في ذلك ما روي عن النبي ﷺ:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً وتأتيك من لم تزوَّدْ بالأخبار.

قال الخليل: لو كان نصف البيت شعراً ما جرى على لسان النبي ﷺ:

سَـتُبدِي لـك الأيّـامُ مَـا كَنْـتَ جَاهِـلاً(١)

وجاءَ النصف الثاني على غير تأليف الشعر، لأن نصف البيت لا يقال له شِعـرٌ ولا بَيتٌ، ولو جـاز أن يقال لنصف البيت شعـر لقيـلَ لِجُـزْءٍ منـه شعـر. وجرى على لسان النبي ﷺ فيما روَى:

أنـا النبي لا كـذب
أنـا ابـن عـبـد المطلب

قال بعضهم: إنما هـوَ لا كذِبَ أنـا ابن عبد المـطلب، بفتح البـاءِ على الوصل(٢).

قـال الخليل: فلو كـان شعراً لم يجـر على لسان النبي ﷺ، قـال اللّه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾(٣)، أي ما يَسَهَّل له، قال الأخفش كان قول الخليـل إن هذه الأشيـاءَ شعرٌ، وأنـا أقول: إنهـا ليست بشعر، وذكـر أنه ألْـزَمَ الخليـلَ أن الخليل اعتقـده(٤). ومعنى الرِّجـزُ العذاب المُقَلْقِـلُ لشـدَّتِـه قَلْقَلة شَدِيدَةً متتابعة، ومعنى فاجتَنِبُوهَ: أي اتركوه.

(١) بيت من معلقة طرفة ـ وبقيته: ويأتيك بالأخبار من لم تـزود ـ ولكن النبي ﷺ لم يشأ أن ينشـده على صورة الشعر الموزون.

(٢) وبذلك لا يكون رجزاً ولا شعـراً.

(٣) سورةيس. آية ٦٩.

(٤) أي ان الخليل عدل عن رأيه لهذا، وما هو مقرر هنا هو رأي الأخفش.

واشتقاقه في اللغة كونوا جانباً منه أي في ناحية.

وقوله: ﴿لَيَبلُونكُم اللَّهُ بِشَيءٍ مِنَ الصَّيدِ تَنالُه أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُم﴾ هذه اللام لامُ القَسَمِ، واللام[1] مفتوحة لالتقاءِ الساكنين في قول بعضهم أغزُوَنَّ يا رَجُلُ، فأما لام لَتُبْلَوُنَّ، فزعم سيبويه أنها مبنية على الفتح.

وقد أحكمنا شرحَ هذا قبل هذا الموضِع[2].

ومعنى: «ليبلونكم»: ليختبرنّ طاعتكم من معصيتكم.

﴿بِشَيءٍ مِنَ الصيدِ﴾.

فَقال عزّ وجلّ بشيءٍ من الصَّيْدِ فبَعض، وهو يحتمل وَجْهَيْن أَحدهما أنه على صيد البَرِّ دُونَ صَيْدِ البَحْر، والثاني أَنه لَمَّا عَنى الصَّيدَ ما داموا في الاحرام كان ذلك بعضَ الصَّيْدِ. وجائز أَن يكون على وجه ثالث، ويكون «مِنْ» هذه تبين جنساً من الأَجناس، تقول: لأمتحننك بشيءٍ من الوَرِق، أَي لامتحننك بالجنس الذي هو ورق، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[3] والأَوثان كلها رجس، المعنى فاَجتنبوا الرجس الذي هو وثن.

ومعنى قوله: ﴿تَنالُه أَيْدِيكمْ ورماحُكُمْ﴾.

الذي تناله الأَيدي نحو بيض النَّعام وفِراخِه وما كان صغيراً ينهض من مجْثِمِهِ مِن غَيرِ النعام وسائر ما يفوق اليد بحركته من سائر الوحش. فحرم جميع صيد البر الجراد وكل ما يصطاد فحرام [صيده] ما داموا حرماً. وبيّن رسول اللّه ﷺ أَن كل ما اصْطِيد في الحرمِ حرامٌ، كانوا محرمين أَو غير محرمين.

وقوله: ﴿ومنْ قَتلَهُ مِنكمْ مُتعَمّداً﴾.

---

(١) هكذا في جميع الأصول ـ وبيد أنه و«النون».

(٢) جـ ١ الآية لتبلون في أموالكم... سورة آل عمران آية ١٨٦. ص ٤٩٦ جـ ١.

(٣) سورة الحج الآية ٣٠.

أي عمداً لِقتلِه، كأنه ناسٍ أنه مُحرِمٌ، ومتَعمِّدٌ للقتل، وجائز أن يقصد القتل وهو يعلم أنه محرم.

وقوله: ﴿فَجزَاءُ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِن النَعَمِ﴾.

و﴿فجزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ﴾ برفع مثل وجرّها، فمن رفَعهُما جميعاً فرفعه على معْنى فعليه جزاءُ مثل الَّذِي قَتلَ، فيكون «مِثْل» من نَعْتِ الجزاءُ، ويكون أن ترفع «جزاءَ» على الابتداءِ ويكون مثل قتَل خبر الابتداءِ، ويكون المعنى فجزاءَ ذلك الفعل مِثلُ ما قَتَلَ، ومن جرَّ أَراد فعليه جزاءُ مِثل ذلك المقتول من النَّعمِ، والنعمُ في اللغة هي الإبل والبقر والغَنَمُ، وإن انفَردت الإبل منها قيل لها نَعم وإن انفردت الغنمُ والبقرُ لم تُسَمَّ نعَماً.

فكان عليه بحذاءِ حمار الوحش وبقرةِ الوحش بَدَنةً، وعليه بحذاءِ الظباءِ من الغنم شاة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَحْكُمُ به ذَوا عَدْلٍ مِنكمْ﴾.

أَي من أَهل ملتكم، فعلى قاتل الصيد أَن يسْأَل فقِيهيْنِ عَدْلَيْن عن جزاءِ ما قَتَل، ويقولان له: أَقتلتَ صيْداً قبْل هَذَا وأَنْتَ مُحرِم فإن اعْترف بأنه قتل صيداً قبْل ذَلِك لم يَحْكُمَا عليه بشيء، لقول اللَّه عزَّ وجلّ: ﴿ومن عاد فينتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾. وإن لم يعترف نَظَرا فيما قتل. فإن كان كالإبل حكماً عليه بها ﴿هَدْياً بَالِغَ الكعْبةِ﴾ وإن كان كالشاءَ حكما عليه بمثل ذلك. وإن كانت القيمة لا تبلغ نظرا فقدرا قيمة ذلك، وأَطعم بثمن ذلك المساكينَ، كلَّ مِسكين - قال بعضهم - صاعاً من حِنطة، وقال بعضهم نصف صاع أَوْ صَامَ بعَدْلِ ذلك على ما توجبُه السُّنَّةُ، ويجوز أَن تكون «أو» - وهو الأَجود في اللغة - للتخيير، فإن شاءَ أَهدى وإن شاءَ قوَّما له الهدْيَ وأَطْعَم بَدلَه على ما وصفنا. وجعل مثل ذلك صياماً لأَن «أَو» للتخيير، وقال بعضهم كأَنَّهُ إن لم يقدر على الإبلِ والغَنمِ

فينبغِي أن يُطعِم أو يصُومَ، والـذي يوجبـه اللفظُ التخييـرُ، وأهـلُ الفِقْـهِ أعلمُ بالسنة في ذلك، إلَّا أَني أَختارُ على مذهب اللغة أنه مخيَّر.

وقوله: ﴿هَدْياً بَالِغَ الكعْبَةِ﴾.

منصوب على الحال. المعنى يحكمان به مُقَدَّراً أن يُهْدَى، و﴿بالغ الكعبة﴾ لفظُه لفظ مَعْرفةٍ، ومعناه النكـرة، المعنى بالغـاً الكعبة، إلَّا أنَّ التَّنْـوِينَ حُذِف استِخفَافاً.

ومعنى قوله: ﴿أَوْ عَدْلُ ذلِك﴾.

أَو مِثل ذلك، قال بعضهم عَدْلُ الشيء مثله من جنسـه، وعَدْلُـه مثلُه من غير جنسه - بفتح العين، وقال إلا أَن بعض العرب يغلط فيجعل العدْل والعِدْل في معنى المثل، وإن كان من غير جنس الأَول. قال البصريون العَـدْل والعِدل في معنى المثـل، والمعنى واحد كـان المثـل من الجنس أَو من غيـر الجنس، كما أَن المثل ما كان من جِنْسِ الشيءِ ومِنْ غير جِنْسِه، مِثْـل، ولم يقولـوا إنَّ العـرب غلطت، وَلَيْسَ إذا أَخْـطأَ مـخـطئ يـوجب أَن تقـول ان بعض العـرب غلط.

وقوله: ﴿صِيَاماً﴾.

منصوب على التمييز. المعنى أو مثل ذلك من الصيام.

﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾.

«الوَبَالُ» ثِقْلُ الشّيءِ في المكروه، ومنه قولهم طعام وبيل، وماء وبيل، إذا كانا ثقيلين غيرُ نَامِيَينِ في المَالِ، قال عـزّ وجلّ: ﴿فَـأَخَذْنَـاهُ أَخْذاً وَبِيـلاً﴾(١) أَي ثقيلاً شديداً، والوبيلُ خشبةُ القصَّارِ ومن هذا(٢) قيل لها وبيـلٌ. قال طـرفة ابن العبدِ.

---

(١) سورة المزمل - ١٦.

(٢) من ثقلها وشدتها.

عقيلــة شــيخ كـالـوبيــل يــلنْــدَدٍ(١)

وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾.

الفاءُ جواب الجزاءِ، والمعنى أنه - واللَّه أعلم - ومن عاد مُستَحِلاً للصيد بعد أَنْ حَرَّمَه اللَّه منه فينتقم اللَّهُ مِنه أي فيعذبه اللَّهُ.

وجائز أَنْ يكون: من عاد مستخفاً بأمر اللَّه فجزاؤه العـذاب كجزاءِ قـاتل النفس.

وقوله: ﴿وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وللسَّيَّارَة﴾.

أي أَحَل لكم صيدَ البحر، وأَحلَّ لكم طَعَامَ البحر للسَّيَّـارَةِ، فَأَمَّـا صَيدُه فمعـروفٌ، وأَما طَعَـامُه فقـد اختُلِفَ فيه، فقـالَ بعضهم: ما نَضَبَ المـاءَ عنـه فأُخِذَ بغَيْر صَيد فهو طعامه، وقال طعامه هو كل ما سقاه الماءَ فأَنبت فهـو طعام البحر، لأَنه نبت عن ماءِ البحر، فأَعلمهم اللَّه أن الذي أَحَلَّ لهم كثير في البـر والبحـر، وأَن الذي حُـرِّمَ عَليهم إنما هـو صيد البـرّ في حـال الإِحـرام. وسَنَّ النبيُّ ﷺ تحريمَ الصيد في الحرم ليكون قد أَعْذَر إِليهم من الانتقام ممَّن عاود ما حرم اللَّه عليه مع كثرة ما أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ.

و«مَتَاعاً»: منصوب مصدر مؤكد، لأَنه لما قال أُحِلَّ لكم كان دَليلاً على أَنَّه قد مَتَّعَهُمْ به، كما أنه لما قال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيكُمْ أُمَّهَاتكُمْ﴾ كان دليلاً على أنه قد كتب عليهم ذلك، فقال: «كتاب الله عليكم»(٢).

---

(١) عجز بيت من معلقته، وصدره: فمرت كهاة ذات خيف جلالة - والكهاة والجلالة الناقة الضخمة السمينة والخيف جلد الضرع، والعقيلة الكريمة، واليلندد السدينة - يقول انه مر بسيفه بين الإبل ليختار واحدة ينحرها - فنفرت واحدة سمينة. وهي كريمة مال شيخ قد يبس جلده ونحل حتى صار كالعصا الضخمة - وهو شيخ شديد الخصومة. قيل عنى أباه، وأنه نحر إبله على كره منه، وقيل عنى من يغير عليه من الناس.

(٢) على هـذا يكون «متـاعـاً» مفعـول مـطلق - ويمكن أن يكـون حـالاً أي أحـل لكم متعـة وشيئـاً يستزيحون به.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾.

قيل إنما سُمِّيتِ الكعبةَ لتربيع أعلاها.

ومعنى قِياماً للنَّاسِ أي مما أُمِرُوا بِهِ أن يقوموا بالفرض فيه[1]. وكذلك: ﴿والشَّهْرَ الحَرامَ والهَدْيَ والقَلائِدَ﴾.

فأمَّا مَن قَال إنه أَمْنٌ فلأن اللَّه قال: ﴿وَمَنْ دَخله كَانَ آمِناً﴾[2] ولم تَزَلْ العربُ تتركُ القتال في الشهر الحرام، وكان يسمى رَجَبُ الأَصَمَّ لأنه لا يسمع فيه صوت السلاح. وأما من قال جُعِلت هذه الأشياء لِيَقُومَ الناس بها فإنما عنى متعبداتهم بالحجّ وَأَسْبَابِه.

وقوله: ﴿ذلك لتَعْلَمُوا أَنّ اللَّه يعلم ما في السموات وما في الأرض﴾.

فيه قولان: أحدهما أن اللَّه لما آمَنَ مِنَ الخوف البلدَ الحَرَامَ، والناسُ كان يقتل بعضُهم بعضاً، وجعلَ الشهرَ الحرامَ يُمتَنَعُ فِيه من القتل، والقوم أهل جاهليه، فدل بذلك أنه يعلم ما في السَّمَاوات ومَا في الأَرْض إذْ جَعَل في أَعْظمِ الأَوْقَاتِ فساداً ما يؤمن به، وفيه قول آخر وهو عندي أبين، وهو أن ذلك مَرْدُودٌ على ما أنبأ اللَّه به على لسان نبيّه في هذه السُّورةِ من قوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْواهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾.

فأخبر بنفاقهم الذي كان مسْتَتَراً عن المسلمين، وما أخبر به أنَّهم ﴿سمَّاعُونَ للكذب سمَّاعُون لقَوْمٍ آخرينَ لَمْ يأْتوكِ﴾. فأظهر الله ما كانوا أَسَرُّوه من قصة الزانيين، ومسألَتِهِمْ إياه ﷺ وما شَرَحْناهُ مما كانوا عليه في ذلك، فأظهر[3] اللَّه جلّ وعزّ: نبيَّه والمُؤْمِنِينَ على جميع ما ستروا عَنْهُمْ.

---

(١) في البيت الحرام.

(٢) سورة آل عمران ـ ٩٧.

(٣) أطلع اللَّه.

فالمعنى ـ والله أعلم ـ ذلك لتعلموا الغيب الذي أنبأتُكُمْ به عن الله، يدلكم على أنه يعلم ما في السموات وما في الأرض. ودليل هذا القول قوله جلّ وعزّ:

﴿ما عَلَى الرَّسُولِ إلاَّ البَلاغُ واللَّهُ يَعْلَمُ ما تُبْدونَ وَمَا تكتمونَ﴾.

وقوله: ﴿يَا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عنْ أَشْيَاءَ إنْ تُبْدَ لَكمْ تَسُؤْكم، وإنْ تَسْأَلُوا عَنهَا حِينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ تُبْدَ لَكُمْ﴾.

[تُبْدَ لكم] ـ تُظْهَر لَكُم، يقال بدا لي الشَّيْ يبدو إذَا ظَهَر.

جاءَ في التفسير أن النبي ﷺ خطب الناس فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم الحج، فقام رجل من بني أسدٍ فقال: يا رسول الله أفي كل عام، فأعرض عنه ﷺ فعادَ الرجلُ ثانية، فأعرض عنه، ثم عاد ثالثة فقال ﷺ ما يؤْمنك أن أقول نَعَمْ فَتجبُ فلا تقومون بها فتكفرون.

تأويل «تكفرون»، ـ والله أعلم ـ ههنا أنكم تَدْفَعُونَ لِثِقَلِهَا وُجُوبَهَا فتكفرون. وقال ﷺ:[1] اتركوني ما تركْتُكُمْ فإنما هلك مِنْ كَانَ قَبلَكم بكثرة اخْتِلاَفِهِمْ على أنبيائهم. وسأله ﷺ رجل كان يتنازعه اثنان يدَّعِيَ كل واحد منهما أنه أبوه فأخبر ﷺ بأبيه منهما، فأعلم الله عزّ وجلْ أن السؤال عن مثل هذا الجنس لا ينبغي أن يقع، فإنه إذَا ظهرَ منهُ الجوابُ سَاءَ ذَلك. وخاصَّةً في وقت سُؤالِ النبي ﷺ عن جهة تبيين الآيات، فنهى الله عن ذلك، وأعلم أنه قد عفا عنها، ولا وجهَ عَن مسألة ما نهى الله عنه[2]، وفيه فضيحة على السائل إن ظهر.

(١) أي في هذا الموقف نفسه.

(٢) لا سبب ولا داعي له.

وأشياءَ في موضع جر إلا أنهـا فتحت لأنها لَا تَنْصـرِفُ. وقال الكسـائي أشبه آخرُها آخرَ حَمْرَاءَ، ووزْنُها عندَهُ أَفْعال، وكثر اسْتِعْمَالَهُمْ[1] فلم تُصْرَف.

وقـد أجمع البصريون وأكثـر الكوفيين على أن قـول الكسائي خـطأً في هـذا، وألزمـوه ألَّا يصْرفَ أبنـاءً وأسماءً. وقـال الأخفش ـ سعيـدُ بنُ مسعـدة ـ والْفَرَّاءُ: أصلها أفعلاءَ كما تقول هَيْن وأهونَـاءَ إلَّا أنه كـان الأصلُ أشْيئـاءَ على وزْنِ «أشبِعـاع»[2] فاجْتَمَعَتْ هَمـزتَان بينهمـا ألِف، فحـذفت الهمـزة الأولى. وهـذا غلط أيضاً. لأن شيئاً فَعْلٌ، وفَعْـلٌ لا يجمع على أفعـلاءَ، فـأمـا هَيْن، فأصله أهيِنُ، فجمع على أفعلاءَ، كما يجمـع فعيل على أفعـلاءَ، مثل نصيب وأنصبـاءَ. وقـال الخليـل: أشيـاءَ اسم للجميـع كـان أصله فعـلاءَ ـ شيئـاءَ، فاستثقلت الهمزتان فقلبت[3] الأولى إلى أول الكلمة فَجعلَت لفْعـاءَ كما قـالوا أنْوق فقلبوا أينق، كما قلبوا قووس فقالوا قِسيّ.

ويُصَـدّقُ قولَ الخليـل جمعهُم أشيـاءَ [على] أشـاوى، وأشَـايَـاه وقــول الخليـل هـو مَـذهَب سيبـويـه وأبِي عُثْمـانَ المـازني وجميـع البصـريين إلا الزيادى[4] منهم، فإنه كان يميل إلى قول الأخفش.

وذكـروا أن المازني نـاظـر الأخفش في هـذا فقـطع المـازنيُّ الأخْفَشَ، وذلك أنه سـأله: كيف تُصغِّـرُ أشياءَ فقـال: أُشَيَّاء، فـاعلم. ولو كـانت أفعلاءُ لرُدَّتْ في التصغير إلى واحدها، فقيل شُيَيْئَات، وإجمـاع البصريين أن تصغيـر

---

(1) كثر استعمال الناس هذه الكلمة فخففت بحذف التنوين.

(2) كلمة لا معنى لها، ذكرها لمجرد الوزن، وهذه عادته كما ذكر: حضاعي.

(3) نقلت إلى أول الكلمة.

(4) هو إبراهيم بن سفيان ـ من نسل عبد الرحمن بن زياد بن أبيه ـ كان نحوياً لغوياً راوية ـ وكـان شاعراً ذا دعابة ومزح، وله تصانيف حسنة. أنظر ياقوت ١ ـ ١٥٨، ١ ـ ٤١٤.

أصدقاءَ إذا كان للمؤنثات صُدَيِّقَاتٌ وإن كان للمذكرين صُدَيِّقُون[١].

وقوله: ﴿ما جَعَلَ اللَّهُ منْ بَحِيرة وَلا سَائِبَةَ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾.

أَثبتُ ما رَوينا في تفسير هذه الأَسماءَ عن أَهل اللغة ما أَذكره ههنا:

قال أَهل اللغة: الْبَحِيرةُ ناقةٌ كانت إذا نُتجت خمْسة أَبطُن وكان آخرُها ذكراً، نحروا أُذْنَها - أي شَقُّوهَا - وامتنعوا من ركوبها وذبْحهَا، ولا تطرد عن ماءٍ ولا تمنع مِن مَرْعًى، وإذا لقِيها المعْيى[٢] لم يركبها.

والسائبة. كان الرجل إذَا نذَر لقدوم من سَفَر أَو بُرءٍ منْ عِلَّة أَو ما أشبه ذلك قال ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة في أَن لا ينتفع بها وأَنْ لَا تُجْلَى عن مَاءٍ، ولا تَمْنعُ من مَرْعًى.

وكان الرجل إذا أَعْتَقَ عبداً قال هو سائِبَةٌ، فلا عقل بينهما ولا ميراث[٣].

وأَما الوَصِيلَةُ ففي الغنم، كانت الشاة إذا ولدت أُنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أَخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم.

وأَمَّا الحامِي فالذكر من الإبل. كانت العرب إذا نتجت من صلب الفحل عشرة أَبْطن، حُمِي ظهرهُ فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماءٍ ولا مرعى. فأعلم اللَّه أَنه لَمْ يُحرِّمْ من هذه الأَشياءِ شيئاً، وأَن الذين كفروا افْترَوْا على اللَّه.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُم أَنْفُسَكُمْ﴾.

معناه إِنَّما أَلزمكم اللَّه أَمْرَ أَنْفسِكُمْ.

---

(١) صغّروا ثم جمعوا.

(٢) المعيي المتعب.

(٣) إذا جنى هذا المعتق جناية لا يلزم بأرش أو عوض، كما لا يتحمل شيئاً عن مولاه، وإذا مات وله مال لا يرثه سيده.

﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾.

أي لا يُؤَاخذكم اللَّه بذنوب غيركم، وليس يُوجبُ لفظُ هذه الآيةِ ترك الأَمْرِ بالمعروف والنهيِ عَن المنكر، وأَعلم أنه لا يضر المؤْمِنَ كفرُ الكافِرِ، فإذا تَركَ المؤْمنُ الأَمرَ بالْمَعروفِ وهو مستطيع ذلك فهو ضَالٌّ، وليس بِمُهْتَدٍ.

وَإِعْرَابُ: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ﴾: الأَجود أَن يكون رفعاً ويكون على جهة الخبرِ. المعنى ليس يضُركم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيتُم. وَيَجُوزُ أَن يكونَ موضعُهُ جزماً، ويكون الأَصل لا يضرُركم إِلَّا أَنَّ الراءَ الأُولى أُدغِمَتْ في الثَّانِيَةِ فَضُمَّتِ الثَّانية لالتقاءِ الساكنين، ويجوز في العرَبِيَّةِ على جهة النهيِ لا يضرَّكم بفتح الراءِ، ولا يَضُرِّكم بكسرها. ولكن القراءَة لا تُخَالَفُ، ولأَنَّ الضم أَجْوَدُ كان الموضعُ رفعاً أَو جَزْماً.

فأَما من ضَمَّ لالتقاءِ الساكنين فأتبع الضمَّ الضَّمَّ، وأَما من كسر فلأَن أَصل التقاءِ الساكنين الكسر، وأَما من فتح فلخفة الفتح فتح لالتقاءِ الساكنين.

وهذا النهي للفظ غائب يراد به المخاطبون، إذا قلت: لا يَضْرُرْكَ كفرُ الكافر، فالمعنى لا تَعُدَّنَّ أَنت كفْرُه ضَرَراً، كما أَنك إِذَا قلتَ لا أُرنيك ههنا، فالنهي في اللفظ لنفسك، ومعناه لمخَاطَبِكَ، معناه لا تكونن ههنا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾.

معناه أَنَّ الشَّهادةَ في وقت الوصية هي للموت ليس أَن الموتَ حاضرُه وهو يُوصِي بما يَقُولُ الموصِي، صحيحاً كان أَو غَير صحيحٍ: إذا حَضَرَنِي الموتُ، أَو إِذَا مِتُّ فافعلوا واصْنَعُوا. والشهادة ترتفع من جهتين، أَحدهما أَن تَرتَفِعَ بالابتداءِ ويكون خبرها «اثنان»، والمعنى شهادة هذه الحال شهادةُ اثنين، فتحذف شهادة ويَقُومُ اثنانَ مقامها.

ويجوز أن يكون رفع ﴿شهادةُ بينِكم﴾ على قوله: [١] وفيما فرض اللَّه عليكم في شهادتكم أن يشهد اثنان، فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان[٢] فيرتفع اثنان بشهادة، والمعنى أن يشهد اثنان ذوا عَدْل منكم.

معنى «مِنْكُمْ» قيل فيه قولان، قال بعضُهم منكم من أهل دينكم.

﴿أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من غير أَهْلِ مِلَّتكم.

وقال بعضهم: ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم﴾: من أهل الميت، أو آخرَان مِن غَيْركُم مِن غَيرِ أَهْلِ الميّت، واحتج هؤُلاءِ بأَن (قوله)[٣]: ﴿فَيُقْسِمَان باللَّهِ إِن ارتَبْتُم لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَو كَانَ ذَا قُرْبَى﴾: يَدُل على أَنّ مِنْكم مِنْ ذَوِي قَراباتِكم.

وقال هؤُلاءِ إذا كانوا أَيضاً عُدولاً مِنْ قَرَابَاتِ الميّتِ، فهم أَولى لأَنهم أَعلم بأَحوال الأَهْل مِن الغرائب، وأَعلمُ بما يُصلِحُهُم، واحتجوا أَيضاً بأَن «ذَوَى عَدْلٍ» لا يكونان من غير أَهل ملة الإسلام لأَن الكفر قد باعدَ من العدالة.

فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أن الوصيةَ ينبغي أَن يكونَ شاهدها عَدلَيْن من أَهل الميت أَو من غير أَهله إن كان الْمُوصِي في حضرٍ وكذلك إن كان في سفر.

فقوله: ﴿إِن أَنْتُمْ ضَرَبتُم في الأَرضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾.

ذكر[٤] الموت في السفر بعد قوله: إذا حضر أَحدكم الموت حين الوصيّة، فكأَنَّ في الآية - واللَّه أَعلم - دليلاً على الشهادة في الحضر والسفر.

وقد جاءَ في التفسير أَن اثنين كانا شَهِدَا في السفر غير مسلمين

---

(١) أي هو مبتدأ.

(٢) أي هو فاعل للمصدر في المعنى وهو خبر المبتدأ.

(٣) ليست في ط.

(٤) في الأصل فذكر.

وللإجمـاع أن الشهـود لا يجب أن يحلفوا. وقـد أجاز قـوم في السفـر شهـادة الـذِّميين، وقال اللَّه عَـزَّ وجلّ: ﴿وأشهـدوا ذوى عدل منكـم وَأقِيمُـوا الشَّهَـادَةَ لِلَّهِ﴾(١) وقال: ﴿مِمَّنْ تَرضَونَ منَ الشهَدَاءِ﴾(٢) والشاهد إذا عُلِمَ أنه كذاب لم تجر أن تقْبَل شهادته، وقـد علمنا أن النصـارى زعمت أن اللَّه ثالث ثـلاثة وأن اليهـود قالت أن الْعَـزَيرَ ابنُ اللَّه وعَلِمنَـا أَنَّهم كَاذِبُـونَ، فكيف يجوز أن تُقْبَـلَ شهادَةُ منْ هُوَ مُقِيمٌ على الْكَذِب؟

ومعنى قوله: ﴿تَحبِسُونَهُمَا من بَعْد الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ باللَّهِ﴾.

كـان الناس بـالحجاز يحلفـون بعد صـلاة العصـر، لأنـه وقت اجتمـاع الناس.

وقوله: ﴿إن ارتَبْتُمْ﴾.

إنْ وَقَعَ في أنفسكم مِنهم رَيْبٌ، أي ظننتم بهم رِيبَة،

وقوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أنهُمَا استَحَقَّا إِثْماً﴾.

أي فإن اطلِع على أنهما قَد خَانَا.

﴿فآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذينَ استَحَقَّ عَلَيهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾.

وقد قرئت الأَوْلَيْـنَ ويجوز (مِن الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَـانِ)(٣) وهذا موضع من أصعب ما في القرآن في الاعراب. فأوليان في قول أكثـر البصريين يرتفِعان على البدل مما في «يقـومان». المعنى: «فَلْيَقُمْ الأولَيـان بالميت مقـام هذين الخائنين».

﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لشهادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾.

---

(١) سورة الطلاق آية ٢.

(٢) سورة البقرة ٢٨٢.

(٣) ليست في ك.

فإذا ارتفع الأوليان على البدل، فاللذانَ في استحق من الضمير معنى الوصية، المعنى فليقم الأَوليان من الَّذين استحقت الوصية عليهم، أو استحق الإيصاءُ عليهم.

وقال بعضهم: مَعْنَى ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَ عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾ معناه: استُحِقَّ فيهم، وقامت «على» مقام «في» كما قامت «في» مقام «على» في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[1] ومعناه: على جذوع النخل.

وقال بعضهم معنى على ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ منْهُمُ الأَوْلَيَان﴾ كما قال: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾[2] أي إذا اكتالوا من الناس، وقيل أن في «استحق» ذكر الإثم، لأن قوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إثماً فَآخَرَانِ يَقومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتحق عَلَيْهِمُ الأَوْلَيَانِ﴾، كان المعنى: الذين جَنِيَ الإِثْمُ عَلَيْهِم. وقيل إن «الأَولَيَانِ» جائز أن يرتفعا باستحق، ويكون معناهما الأَوليان باليَمِينِ، أي بأَن يُحلفا من يشهدُ بعدهما، فإن جاز شهادة النّصرانيين كان «الأَولَيَانِ» على هذا القول النصرانيين، أو الآخران من غير بيت الميت. وأجود هذه الأقوال أن يكون الأَولَيَان بَدَلا، على أَنَّ المعنى: لِيَقُمِ الأَولَيَانِ من الذين استحقت عليهم الوصية، ومن قرأ «الأَوَّلِينَ» رده على الذين، وكان المعنى من الذين استحق عليهم الإيصاء الأَوّلين، واحتج من قرأ بهذا فقال: أرأيت إن كان الأَولَيَانِ صغيرين؟.

وقوله: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلى وَجْهِهَا﴾.

أي ذلك أقرب من الإتيان بالشهادة على وجهها، وأقرب إلى أن يخافوا.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقولُ ماذَا أُجِبْتُم﴾.

---

(١) سورة طه ٧١.

(٢) سورة المطففين ٨٣ آية ١.

أما نَصْبُ «يوم» فمحمول على قوله. . . واتَّقُوا الله واسمَعُوا [أي] واتَّقوا يـومَ يجمَـع الله الـرسـل، كمـا قـال: ﴿وَاتَّقُـوا يَـوْمـاً لا تَجزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيئاً﴾(١).

ومعنى المسألة من اللّه تعالى للرسل [تكـون] على جهة التـوبيخ الـذين أُرسلوا إليهم، كمـا قال عـزّ وجـلّ: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سئِلَتْ. بأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(٢) فَإِنَّمَا تُسأَلُ ليوَبِّخ قَاتِلُوهَا، وأَما إجـابة الـرسل وقـولهم: «لَا عِلْم لَنَا» فقـد قال الناس(٣) في هذا غير قوله:

جاءَ في بعض التفسير أَنه عزَبَتْ عنهم أَفهامهم لهول يوم القيامة فقالوا: لا علم لنا مع عِلْمِك، وقال بعضهم: لو كانت عزبت أَفهامهم لم يقـولوا إنـك أَنت علام الغيوب، وَقَال بعضهم معنى قول الرسل لا علم لنـا [أَي] بما غـاب عَنّـا مِمن أُرْسِلْنَا إليـه، أَنت يا رَبنَـا تَعْلمُ بَاطِنَهم ولَسنَـا نعلم غيبهم إنـك أَنت علام الغيوب.

وقـوله: ﴿إِذْ قَـالَ اللَّهُ يَـا عِيسَى بنَ مَـريَمَ اذْكُـرْ نِعْمَتِي عَلَيـكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ﴾.

أَمـا نعمتُه على وَالِـدَتِه فَـإِنّه اصـطفاهـا وطهرهـا واصطفاها على نسـاءِ العالمين، وكان رِزْقُها يأْتيها من عنده وهي في محرابها.

وقوله: ﴿إِذْ أَيَّدْتُك بِرُوحِ القُدُسِ﴾.

أَي أَيّدتك بجبريل، جائز أَن يكون قولـه به(٤)، إذ حـاولت بنو إسـرائيل

(١) البقرة ١٢٣.

(٢) سورة التكوير: ٨ ـ ٩.

(٣) أي الجمهور أو المفسرون.

(٤) أي تأييده به.

قتله، وجائز أن يكون أَيَّده به في كل أحواله، لأن في الكلام دليلاً على ذلك.

وقوله: ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي المَهدِ﴾.

أي أَيَّدتُكَ مُكَلِّماً النَّاسَ في المهد ﴿وكهلا﴾ أي أَيَّدتُكَ كَهْلا،[1] وجائز أن يكون ﴿وَكَهْلاً﴾ محمولاً[2] على تكلم، كأن المعنى أيدتك مخاطباً للناس في صغرك ومخاطباً الناس كهلاً، وقرأ بعضهم: «أأيَدْتُكَ» على أفْعَلتك من الأَيد[3] وقرأ بعضهم آيَدْتك على فاعلتك أي عاونتك.

وقوله: ﴿وتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي﴾.

الأكمه قال بعضهم: الذي يولد أعمى، قال الخليل هو الذي يولد أعمى، وهو الذي يَعْمَى بعد أن كان بصيراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بي، وَبِرَسُولِي﴾.

قال بعضهم: ﴿أوحَيْتُ إلى الحواريين﴾ أي أَلْهَمتُهم كما قال: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أن اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً﴾[4] أي ألهمها، وقال بعضهم ﴿أوحيت إلى الحواريين﴾ [معناه] أمرهم، وأنشدوا قول الشاعر:[5]

الحمد لله الذي استَهلّتِ   بإذنه السماءُ واطمأَنّتِ
أَوحَى لها القَرارَ فاسْتَقَرَّتِ

قالوا معناه: أمرها.

وقال بعضهم: معنى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إلى الْحَوَارِيِّينَ﴾: أَتَيْتُهمْ في الوحي

(١) ط وأيدتك به كهلاً.

(٢) في ط إلا محمول.

(٣) أي مددتك بهذه القوة.

(٤) سورة النحل ٦٨.

(٥) هو العجاج. ديوانه ٥ والشطر الأخير في اللسان (وحي). وفي ط وحي لها.

إليك بالبراهين والآيات التي استدلوا بها على الإيمان فآمنوا بي.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ الحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ﴾.

جائز أن يكون موضع «عيسى» نصباً، كما تقول: يا زيدَ بنْ عَمْرو، لأن ابْناً إذا أُضيف إلى اسمٍ مَعْروفٍ عَلمٍ أو أُضيف إلى كُنيةٍ معروفة جُعِلَ وما قبله كالشيء الواحد فجميع النحويين يختارون يا زيدَ بنَ عَمْرٍو، وكلهم يجيزون: «يا زيدُ بنَ عَمرٍو». وعلى هذا جائز أن يكونَ موضع عيسى موضِعَ اسم مبني على الضّم، قالوا كلُّهم فإنْ قلت يا زيدُ بنَ أخِينا، ويا زيدُ ابنَ الرَّجُلِ الصَّالحِ[1] فضممت زيداً لا غيْر. لأن النصب إنما يكون إذا أُضيف ابن إلي عَلَمٍ كما وصفنا. وقد قُرئ: هل تَسْتَطِيعُ رَبَّك، و﴿هل يَستَطيعُ رَبُّك﴾، فمن قرأ هل تستطيع ربك. فالمعنى هل تستدعي إجَابَتَه وطاعَتَه في أن يُنْزِلَ علينا، ومن قرأها ﴿هل يَسْتَطِيعُ رَبُّك﴾ كان معناه هل يقدر ربُّك.

قال أبو إسحق: وليس المعنى عندي - واللَّه أعلم - أنهم جهلوا أنّ اللَّه يقدر على أن ينزل مائدة، ولكن وجه السؤال هل ترينا أنت أنَّ ربَّك يُرينَا ما سَأَلْنَا من أجْلِكَ من آياتك التي تدل على نبوتك فأما المائدة فقال أبو عبيدة إنها في المعنى مَفعُولة ولفظها فاعلة، قال: وهي مثل عِيشَةٍ راضية، وقال إن المائدة من العطاءِ، والممتاد المفتَعل المطلوب منه العطاءَ، قال الشاعر[2]:

إنِّي أمِيرُ المؤْمِنينَ المُمتَاد

وَمَادَ زيدٌ عمراً إذا أعطاه. والأصل عندي في مائدة أنها فاعلة من ماد يميدُ إذَا تحرَّكَ فكأنها تميد بما عليها.

وقيل في التفسير إنها أنزلت عليهم في يوم الأحد وكان عليها خبز

(١) في الأصل «الرجل» وهو غير مناسب.

(٢) هو رؤبة - من أرجوزة له - وانظر اللسان (ميد) ومجاز أبي عبيدة ١ - ١٥٩ والطبري ٧ - ٨٩.

وسمك، فالنصارى تجعل الأَحد عيدا ـ فيما قيل[1] ـ لذلك، وقال بعضهم إِنه لم تُنْزَل للتَّهوُّدِ الذي وقع في الكفر بعد نزولها، والأَشبه أَن تكون[2] لأَنَّ نُزولَها قد جَاءَ ذكره في هَذِه القِصَّةِ.

قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكِمْ﴾.

وقال غير أَهل الإِسلام إِنها نزلت، والأَخبار أَنها انتهت، فالتصديق بها واجب.

فأَما وجه مَسْأَلَةِ الحواريين عيسى المائدة فيحمل ضربين أَحدهما أَن يكُونُوا ازْدَادُوا تثبيتاً، كما قال إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِني كَيْفَ تحْيِي المَوْتَى﴾[3]. وجائز أَن تكون مسأَلتهم المائدة قبل علمهم أَنه أَبرأَ الأَكمه والأَبرص وأَنه أَحيا الموتى. وأَما قول عيسى للحواريين:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فإِنَّما أَمَرهُم أَلَّا يقترحوا هم الآيات، وأَلا يقوموا بين يدي اللَّه ورسوله، لأَن اللَّه قد أَراهم الآيات والبراهين بإِحياءِ الموتى وهو أَوكد فيما سأَلوا وطلبوا.

وقوله: ﴿قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيم اللَّهُمَّ ربَّنَا﴾.

ذكر سيبويه أن اللَّهُمَّ كالصَّوتِ وأَنه لَا يُوصَف، وأَن رَبَّنا منصوب على نداءٍ آخر، وقد شرحنا هذا قبل شرحاً تاماً[4].

ومعنى قوله: ﴿وآيَةً مِنْك﴾.

---

(١) لم يكن يوم الأحد عيداً لهم على عهد المسيح، والذي جعل الأحد عيداً هو قسطنطين سنة ٣٢٦.

(٢) أي أن تكون نزلت لأنها ذكرت هنا.

(٣) سورة البقرة ـ ٢٦٠.

(٤) سبق في شرح الآية: ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ سورة آل عمران.

أي فتكون لنا علامة منك.

وأما قوله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذبُه أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فجائز[1]، أن يكون يُعجِّلُ لهم العذابَ في الدنيا، وجائز أن يكون في الآخرة لقوله: ﴿لا أُعذِّبُهُ أحداً مِنَ العَالَمِين﴾.

وقوله: ﴿أأنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنَ دُونِ اللَّه﴾.

فَالمسألة ههنا على وَجْهِ التَّوْبِيخِ للَّذين ادَّعَوْا عليه لأنهم مُجْمِعُونَ أنه صادق الخبر وأنه لا يكذبهم و[هو] الصادق عندهم فذلك أوْكَدُ في الحجَّةِ عَلَيْهِمْ وأَبلَغُ في توبيخهم، والتوبيخ ضَرْبٌ من العقوبة[2].

قال: ﴿سُبْحَانَكَ﴾. أي براءٌ أنت من السوءِ[3].
﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بحَقٍّ﴾.

وأما قوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا في نَفْسِكَ إِنَّك أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيوبِ﴾.

و «الغِيُوب» بالكسر والضم[4].

قال أبو إسحق: هذا موضع أعني ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ يُلَبِّسُ به أهلُ الإلحَادِ على مَنْ ضَعُفَ علمه باللغة ولا تعلم حقيقة هذا إلَّا من اللغة، قال أهل اللغة: النفس في كلام العرب تجري على ضربين أحدهما قولك خرجت نفس فلان وفي نَفْسِ فلانٍ أَنْ يَفْعَل كذا وكذا. والضرب الآخر معنى النفس فيه معنى جملة الشيء ومعنى حقيقة الشيءِ، قتلَ

---

(١) في الأصل بدون فاء.

(٢) أي عقوبة بحتة، وفي ب من صنف أي نوع منها.

(٣) أي أنزهك والظاهر أنها تعجب.

(٤) في الأصل بعد هذا «أي في اللغتين جميعاً» وليس في ك.

فـلانٌ نفسه، وأَهْلك فـلان نفسه، فليس معنـاه أن الإهلاك وقـع ببعضه، إنمـا الإهلاك وقع بذاته كلها، ووقع بحقيقتـه، ومعنى تعلم ما في نفسي، أي تعلم ما أُضْمره، ولا أعلم ما في نفسك. لا أعلم ما في حقيقتك وما عندي علمـه، فالتأْويـل أنك تعلم مـا أعلم ولا أعلم ما تعلم، ويـدل عليه: ﴿إِنَّـكَ أَنْتَ عَلَّامُ الغُيوبِ﴾.

فإنما هو راجع إلى الفائدة في المعلوم والتـوكيد أن الغيب لا يعلمـه إلا اللَّه جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿أَنِ اعبُدُوا اللَّه رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

جـائز أن تَكُـون[1] في معنى «أي» مُفَسِّرةً، المعنى مـا قلت لهم إلا مـا أمـرتني به أي اعبـدوا، ويجوز أن تكون «أن» في مـوضـع جَـرٍّ على البَـدَل من الهاءِ، وتكون «أن» موصولة بـ ﴿اعبدوا اللَّه﴾ ومعناه إلَّا مَا أَمَرْتَني بِهِ بأَنَّ يَعبدوا اللَّه، ويجوز أَنْ يكونَ موضعها نصباً على البدل، من ما، المعنى ما قلت لهم شيئاً إلا أن اعبدوا اللَّه، أي ما ذكرت لهم إلا عبادة اللَّه.

وقـوله: ﴿إِن تُعَـذِّبْهُمْ فَـإِنَّهُمْ عِبَـادُكَ وَإِنْ تَغْفِـرْ لَهُمْ فَـإِنَّـكَ أَنْتَ العَـزِيـزُ الحَكيمُ﴾.

معنى قول عيسى [عليه السـلام] وإن تَغْفِر لهم، اختلف أَهـل النظر في تفسيـر قول عيسى: ﴿إِنْ تَغْفِـرْ لَهُمْ﴾، فَقَال بعضُهم معنـاه إن تغفر لَهُمْ كـذِبَهُم عليّ، وقـالوا لا يجـوز أن يقول عيسى عليـه السـلام: إن اللَّه يجـوز أن يغفِـرَ الكُفْرَ، وكأنه[2] على هذا القـول: إن تغفر لهـم الحكـاية فقط، هـذا قول أبي

---

(١) أي «أن» في أن أعبدوا.

(٢) ط فكأنه.

العباس محمد بن يزيد، ولا أدري (أشيءٌ)[١] سَمِعَه أم اسْتَخْرجَه، والذي عندي والله أعلم، أن عيسى قد علم أن منهم من آمن ومنهم من أقام على الكفر، فقال عيسى في جملتهم. إن تُعَذِّبْهُمْ أي إن تعذبْ من كفر منهم، فإنهم عبادك وأنت العادلُ عليهم لأنك أوضحت لهم الحق وكفروا بعد وجوب الحجة عليهم، وَإِنْ تَغْفِرْ لمن أَقْلعَ منهم وآمن فذلك تفضل منك لأنه قد كان لك ألَّا تَقْبلهم وألا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، «حكيم» في ذلك.

وقال بعض الناس: جائز أن يكون الله لم يُعْلمْ عِيسى أنه لَا يَغْفِرُ الشرك، وهذا قول لا يعرج عليه لأن قوله [تعالى] ﴿إِنَّ اللَّه لا يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ﴾ لا يخص شيئاً من أُمة محمد ﷺ، دون غيرها، لأن هذا خبرٌ والخبر لا ينسخ، وهذا القول دار في المناظرة[٢] وليس شيئاً يعتقده أحد يوثق بعلمه.

وقوله: ﴿قالَ اللَّهُ هَذَا يَومُ يَنْفعُ الصَّادقين صِدْقُهُم﴾.

القراءَة برفع «اليوم» ونصب «اليوم» جميعاً، فأما من رفع اليوم فعلى خبر هذا اليوم، قال الله اليوم ذو منفعة صدق الصادقين ومن نصب فعلى أن يوم منصوب على الظرف، المعنى قال الله: هذا لعيسى في يوم ينفع الصادقين صدقهم، أي قال الله هذا في يوم القيامة[٣]، ويجوز أن يكون قال الله هذه الأشياء وهذا الذي ذكرناه يقع في يوم ينفع الصادقين صدقهم، وزعم بعضهم أن يوم منصوب لأنه مضاف إلى الفعل[٤]، وهو في موضع رفع بمنزله يومَئذ

---

(١) ليست في ط.

(٢) كلام دار في مناظرة بين هذا القائل وغيره، ولم يكن تقريراً لهذه المسألة. فلا ينبغي أن يعول عليه.

(٣) فهو ماض بمعنى المستقبل أي سيقوله.

(٤) أي انه مضاف للجملة الفعلية.

مبني على الفتح في كل حال، وهذا عند البصريين خطأ، لا يجيزون هـذا يومَ آتيك يريدون هذا يومُ إتيانك لأن آتيك فعلٌ مضارع، فالإضافة إليه لا تزيل الإعراب عن جهته ولكنهم يجيزون ذلك يومَ نفعَ زيداً صِدْقُه، لأن الفعل الماضي غيرُ مضارع، فهي إضافة إلى غير متمكن وإلى غير ما ضارع المتمكن، وفيها وجه ثالث. ﴿هذا يومٌ يَنْفَعَ الصادقين﴾ بتنوين «يوم» على إضمار ﴿هذا يوم ينفع فيه الصادقين صدقهم﴾، ويكون كقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئاً﴾(١).

ومثله قول الشاعر: (٢)

وما الدهر الا تارتان فمنهما ... أموت وأخرى ابتغي العيش أكدح

المعنى فمنهما تارة أموت فيها.

---

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) لتميم بن عقيل ـ وبعده:

وكلتاهما قد خط لي في صحيفة ... فلا العيش أهوى لي ولا الموت أروح

أي الدهر ذو حالتين احداهما أموت بها، والأخرى أود العيش معها مع كونه عسيراً شاقاً، وكلتا الحالتين مكتوبة في اللوح المحفوظ، فلا العيش أحب إليّ ولا الموت أهنأ لي.

انظر الخزانة ٢ ـ ٣٠٨. معاني الفراء ـ ٢ ـ ١٤٢، الكامل ٥٣٨ ط مصر، شواهد الكشاف. سيبويه حـ ٢ ـ ٣٤٦.

جاء في ك. بعد هذا.

تمت المجلة الأولى من معاني القرآن للزجاج بحمد لله ومنه، وصلى الله على النبي وعلى آله، ويليه السورة التي تذكر فيها الأنعام.

وبهذا انتهت النسخة ك.

سورة الأنعام

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قال أبو إسحق: بلغني مِنْ حَيث أَثِق به[1] أن سورةَ الأَنعام نزلتْ كلها جملةً واحدة، نزل بها سبعون ألف ملك لهم زَجَلٌ بالتسبيح[2]، وأن أكثرها احتجاج على مشركي العرب. على من كذَّب بالبعث والنشور، فابتدأ اللَّه عزّ وجلّ بحمده فقال:

﴿الحمدُ للَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرضَ﴾.

فذكر أعظم الأشياءَ المخلوقة[3] لأن السماءَ بغير عمد ترونها والأرض غيرُ مائِدةٍ بنا، ثم ذكر الظُلُماتِ والنورَ، وذكَر أَمرَ الليل والنهار، وهو مما به قِوَامُ الخَلق، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أن هذه خَلْقٌ له، وأن خالقها لا شيءَ مثْلُه، وأَعلم مع ذلك أن الذين كفروا بِرَبِّهِم يَعدِلونَ، أي يجعلون للَّه عَديلاً، فيعبدون الحجارة المَوَاتَ، وهم يُقرُّون أنَّ اللَّه خَالِقُ مَا وَصف، ثم أَعلمهم اللَّه عزّ وجلّ أَنَّهُمْ خَلْقُهُم مِنْ طِينٍ، وذكر في غَيرِ هذا المَوْضع أَحوالَ المخلوقين في النُّطَفِ والعَلَقِ والمُضَغِ المُخَلَّقَةِ وَغيرِ المُخَلَّقَةِ، وذلك أن المشركين شَكوا في البعث وقالوا: ﴿مَنْ يُحيِي العِظَامَ وَهِيَ رَميمٌ﴾؟ فأَعلمهم

---

(١) الضمير يعود على المصدر المفهوم من الجملة من حيث أثق بهذا البلاغ أو بمن بلغني به.

(٢) صوت كصوت الحمام.

(٣) مخلوقة له.

عزّ وجلّ أنّ الذي أَنشَأَهُمْ وأنشأ العِظَامَ وخلق هذه الأَشْيَاءَ لَا مِنْ[1] شَيءٍ قادر على أن يخلقَ مِثلَهَا، وهُو يُحيِيهِمْ بَعدَ مَوتِهِم، فقال عزّ وجلّ:

﴿هُوَ الذِّي خلقكُم مِنْ طِينٍ ثم قَضَى أَجَلاً﴾.

أي جعل لحياتكم أجلاً أي وَقْتاً تَحيون فيه، ﴿وأَجَلٌ[2] مُسَمًّى عِنْدَه﴾ يعني أمرَ السّاعة والبعث، ﴿ثُمَّ أنْتُم﴾ بعد هذا البيان. ﴿تمتَرُونَ﴾ أي تَشكُّونَ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَهُوَ اللَّه في السَّمٰواتِ وفي الأرضِ﴾.

«في» موصولة[3] في المعنى بما يدل عليه اسم اللَّه، المعنى هو الخالق العالم بما يصلحُ به أمرُ السماءِ والأرضِ، المعنى هوَ المتفرد بالتّدبِير في السموات والأرض، ولو قلتَ هو زيد في البيت والدار لم يجز إلاّ أن يكون في الكلام دليلٌ على أنَّ زَيداً يدبر أمر البيت والدار، فيكون المعنى هو المُدَبِّر في الدارِ والبيتِ، ولو قلتَ هو المعتَضِدُ الخليفةُ في الشّرق والغَربِ، أو قلت هو المعتَضِدُ في الشّرق والغَربِ جَازَ على هذا. ويجوز أن يكون خَبَراً بعد خبرٍ كأنه قيل إنه هو اللَّه، وهو في السموات وفي الأَرض، ومثل هذا القول الأول ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ﴾[4] ويجوز أن يكون وهو اللَّه في السموات وفي الأَرض، أي هو المعبود فيهما، وهذا نحو القول الأول.

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَسوفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَستَهْزِئُونَ﴾.

دَلَّ بهذا أنهم كانوا يستهزئُون، وقد ذُكر استهزاؤهم في غير هذا المكان، ومعنى إتيانه أي تَأْوِيلُه: المعنى سيعلَمُونَ ما يؤول إليه استهزاؤُهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهم مِنْ قَرْنٍ﴾.

---

(١) من غير شيء، أنشأها من عدم. (٢) في الأصل: وأجلاً.

(٣) مرتبطة ومتصلة.

(٤) الزخرف ٨٤.

موضع «كَم» نصب بأهلكنا، إلَّا أَنَّ هذا الاستفهامَ لا يَعمـل فيه مَـا قَبلَهُ وَقِيـلَ القرنُ ثَمَـانُون سنـةً وقيل سَبعـونَ، والذي يقـع عندي ـ واللَّه أعلم ـ أن القرن أَهْلُ مُدَّةٍ كان فيها نَبَيٌّ أو كان فيها طبقة من أهل العلم، قَلَّت السِّنُونَ أو كثرت، والدليل على هذا قول النبي ﷺ خَيركُم قَـرْنِي، أي أَصحَابِي، رحمـة اللَّه عليهم ثمّ الـذين يَلُونَهم يَعني التـابعين، ثم الـذين يلونهم يعني الـذين أَخَـذُوا[1]. عَن التَابِعين. وجـائز أن يكـون القـرن لجملة الأمـة وهؤلاءَ قُـرونٌ فيها.

وإنمـا اشتقاق القـرن من الاقتـران، فتـأويله أن القـرن[2] الـذين كـانـوا مقْتَـرِنِينَ في ذلك الوقت، والذين يأتون بعدهم ذوو اقتران آخر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَرسَلْنَا السَّماءَ عَليهم مِدْرَاراً﴾.

أي ذات غيث كثير، ومِفْعَالٌ من أسمـاءَ المبالغـة يقال دِيمَـةٌ مِدْرَار، إذا كان مطرها غَزِيـراً دائماً، وهـذا كقولهم امـرأة مِذْكـار، إذا كانت كثيـرة الولادة للذكور، وَكَذَا مِئْنَاثٌ في الأناث[3].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَو نَزَّلْنَا عَليكَ كِتَاباً فِي قِرطَاسٍ فَلَمَسُـوه بأَيْـدِيهِمْ لَقَالَ الذينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إنْ هَذَا إلَّا سِحرٌ مُبينٌ﴾.

أَعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم قد أَصِلُوا[4] في السَّيِّءِ البَاطِل في دفع النبـوة، لأنّهم قد رَأَوا القَمَر انشقَّ فأَعرَضُوا، وقالوا سحرٌ مستمر.

وكذلك يقولون في كل ما يَعْجِزُ عنه المخلوقون سحر، هـذا عين الدفـع

(١) تلقوا.

(٢) القوم.

(٣) في الكثيرة الإناث.

(٤) تأصلوا.

لغاية الحق والنور الساطع المبين، فلو رَأَوا الكتاب ينزل من السماءِ لقالوا سِحرٌ كما أنهم قالوا في انشقاق القمر سحر.

﴿وَقَالُوا لَولاَ أُنْزِلَ عَلَيه مَلَكٌ﴾.

يعنون على النبي ﷺ.

﴿وَلَوْ أَنْزَلْنا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمرُ ثم لاَ يُنْظَرُونَ﴾.

يعني ـ والله أعلم ـ أن الآيات مما لا يَقعُ مَعَهُ إنْظارْ(١).

ومعنى ﴿لَقُضِيَ الأَمرُ﴾ أي لتم بإهْلاَكِهِمْ. و «قُضِيَ» في اللغة على ضُروبٍ كَلَها يَرجِعُ إلى معنى انقطاع الشيءِ وتمامه، فمنه قوله [تعالى]: ﴿ثم قَضَى أَجَلاً وأَجلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ معناه ثُمَّ حَتَمَ(٢) بعد ذلك فأتمَّه، ومِنْه الأَمر وهو قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تعبدوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾(٣) معناه أَمَرَ إِلَّا أَنَّه أمرٌ قَاطِعٌ حَتْمٌ، ومنه الإعلاَمُ وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلى بني إسرائيلَ في الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرضِ مَرَّتَين﴾(٤) أي أَعلمناهم إعلاماً قاطعاً، ومنه القضاءُ الفَصلُ في الحُكْمِ، وهو قوله: وَلَولاَ أَجَلٌ مُسَمًّى لقُضِيَ بَينَهُمْ ومثل ذلك قولك قَد قَضَى القَاضِي بَينَ الخُصُوم، أي قد قطع بينهم في الحكم، ومن ذلك قد قضى فُلانٌ دَيْنَه، تأويله قطع ما لغريمه عليه فأَدَّاه إلَيه وَقَطع ما بَينَه وبَينَه، وكل ما أُحكِم فقد قُضِيَ، تقول قد قضيت هذا الثوب، وقد قضَيتُ هَذه الدّارَ إذا عَمِلْتُها وأَحكمت عمَلها، قال أَبو ذُؤَيب الهذلي(٥):

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود، أو صَنَع السَّوابغَ تبَّع

(١) أي مهله.

(٢) أي قضى بمعنى حتم هنا ـ أي أوجب.

(٣) الإسراء: ٢٣.

(٤) الإسراء آية: ٤.

(٥) ديوان الهزليين ١٩، اللسان (تبع) القرطبي ٢ ـ ٨٧، مجاز أبي عبيد ١ ـ ٥٢.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَو جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾.

أي لو أرسلنا إليهم مَلَكاً لم نرسله إلا في صورة إِنْسَانٍ، لأن الملَكَ فيمَا قِيلَ لو نَظَرِ إِلَيه نَاظِرٌ على هَيئَتِه لَصَعقِ، وكانت الملائكة تأْتي الأَنبِيَاءَ في صُورَةِ الأنْس، فمن ذلك أَنَّ جِبرِيلَ كان يأْتي النبي عليه السلام إِذَا نَزَل بِالوَحيِ في صورة دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ ومنه نبأ الخَصْم إِذ تَسَوَّرُوا المِحْراب، لأَنَّهُمَا ورَدَا على دَاودَ وهُما مَلَكَانِ في صورَة رَجُلَين يَخْتصِمَانِ إليه[1]، ومنه أَنَّ الملائِكَةَ أَتَتْ إبراهيم في صورة الضِّيفان وكذلك أَتَتْ لوطاً، فلذلك قيل: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاه مَلَكاً لجعَلْنَاه رَجُلاً﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وللَبَسنَا عَلَيهِمْ مَا يَلْبِسُون﴾.

يقال لَبَستُ الأَمْرَ عَلَى القوم أَلْبِسُه إذا شَبَّهتُه عَلَيهِم، وأَشكَلْتُه عليهم، وكانوا هم يَلْبِسُونَ عَلَى ضَعَفَتِهِمْ في أمر النبي ﷺ فيقولون: إنما هذا بشر مثلكم فقال لو أنزلنا ملكاً فرأَوْا هُمُ المَلَكَ رَجُلاً لكان يَلْحَقُهُمْ فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم.

وقوله: ﴿فَحَاقَ بالَّذينَ سَخِروا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِه يَستَهزِئُونَ﴾.

الحَيْقُ في اللغَةِ ما يشتمل على الإنسان من مكروه فَعَلَهُ، ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِيقُ المكرُ السيىء إلَّا بأَهْله﴾[2]، أي لا ترجع عاقبةُ مَكْرُوهِهِ إلَّا عليهم.

وقوله عزّ وجل: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِه الرَّحمَةَ لَيَجْمَعنَّكُمْ إِلَى يَوم القِيَامَةِ﴾.

اللّه عزّ وجلّ تفضل على العباد بأَن أَمهَلَهُم عِنْدَ كفرهم وَإِقْدَامِهم على

---

(١) يتقاضيان وقصتهما في سورة ص آية ٢١ وما بعدها.

(٢) سورة فاطر ٤٣.

كَبائِرِ مَا نَهاهُم عَنْه بأن أَنْظَرهُم وَعَمَّرهم وَفَسَح لَهُم ليَتُوبُوا، فذلك كَتْبُه الرحمةَ على نفسه، فأما ﴿لَيَجمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْم القِيَامَة﴾ فهو احتجاج على المشركين الذين دفعوا البعث، فقال عزّ وجلّ: ﴿لَيَجمَعنَّكُمْ إِلَى يَوم القيامة﴾ [أي] إلى اليوم الذي أنكرتموه، كما تقول قد جمعت هؤلاءِ إلى هؤلاءِ، أي ضممت بينهم في الجَمع.

وقوله: ﴿آلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

ذكر الأخفش أن «الذين» بدل من الكاف والميم[١]، المعنى ليجمعن هؤلاءِ المشركين الذين خسروا أنفسهم إلى هذا اليوم الذي يجحدونه ويكفرون به، والذي عندي أن قوله: ﴿الذين خَسرُوا أَنْفُسَهم﴾. في موضع رفع على الابتداءِ[٢]، وخبره ﴿فهم لا يؤْمنون﴾، لأن «لَيَجْمَعنَّكم» مشتمل على سائر الخلق، على الذين خسروا أنفسهم وَغَيْرِهم، وهذه اللام في ليجمعنَّكم لام قسم، فجائز أن يكون تمامُ الكَلَامِ كَتَبَ ربكُمْ عَلَى نَفْسِه الرحمةَ، ثم استأنف فقال لَيَجْمَعَنَّكُمْ، وكأنَّ المعنى: واللَّه ليجمعنكم، وجائز أن يكون ليجمعنكم بدلاً من الرحمة مُفَسِّراً لها، لأنه لما قال كتب ربكم على نفسه الرحمة فَسَّر رحمته بأنه يُمْهلهم إلى يوم القيامة، ويكون في الإمهال ما فسرنا آنفاً.

وقوله: ﴿وَلَه مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾.

هذا أيضاً احتجاج على المشركين لأنهم لم يُنْكِرُوا أَنَّ مَا استقر في الليل والنَّهارِ للَّه، أي هو خالقه وَمُدَبِّره، فالذي هو كذلك قادر على إحياءِ الموتى، ثم زَادَ في الاحتجاج والبيان فقال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ﴾.

---

(١) أي في ليجمعنكم، والقاعدة العامة في الإبدال من ضمير الحاضر لا تجيزه.

(٢) هذا رأي له خاصة، ولا يوافقه جمهور النحويين لوجود الفاء في الخبر.

أي خالق السموات والأرض.

فإن قال قائل فقوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[1] معناه انشقت فكيف يكون الفَطْرُ في معنى الخَلْق والانفطار في معنى الانشقاق؟ فإنهما يَرْجِعَان إلى شيءٍ واحد، لأن معنى فطرهما خَلقهما خلْقاً قاطعاً، والانْفِطَارُ والفُطُورُ تقطع وتَشققُ.

وقوله: ﴿وَهو يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

ويُقْرَأ «ولا يَطْعَمُ»، والاختيار عند البصراء بالعربية، وهو يُطْعِمُ وَلَا يَطعَمُ بفتح الياء في الثاني. قالوا معناه: وهو يرزق ويُطْعِم ولا يَأْكل لأنه الحي الذي ليس كمثله شيءٌ، ومن قرأ ولا يُطْعَمْ فالمعنى أنه المولى الذي يَرْزُق وَلَا يُرْزَقُ، كما أن بعض الْعَبيدِ يَرْزُق مولاه. والاختيار في «فاطِر» الجرُّ لأَنَّه مِن صفة اللَّه جلّ وعزّ، والرفع والنصب جائزان على المدح للَّه جلّ وعزّ والثَّناءِ عليه، فمن رفع فعلى إضمار هو. المعنى هو فاطر السموات والأرض، وهو يُطعِم ولا يُطعم، ومن نصب فعلى معنى أذكر، وأعني بهذا الاحتجاج عليهم، لأن من فطر السموات والأرض وأنشأ ما فيهما وأحكم تدبيرهما وأطعم من فيهما فهو الذي ليس كمثله شيءٌ.

وقوله: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عنه يَومئذٍ فَقدْ رَحِمه﴾.

أي من يَصْرِفْ اللَّهُ عنه العذاب يومئذ - يعني يوم القيامة الذي ذكر أنهم يجمعون فيه، وتُقْرأ أيضاً من يُصرَف عَنْهُ يومئذ فقد رَحِمه، أي من يُصْرَف عنه العذابُ يومئذ.

وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهادَةً، قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَيْنِي وبَيْنَكُمْ﴾.

---

(١) الانفطار - ١.

والشاهد هو الْمُبَيِّن لدَعْوَى المدعِي، فأمر اللَّه جَلَّ ثناؤه نبيَّه بأن يحتج عَلَيْهم باللَّه الواحِد الذي خلق السموات الأرض وخلق الظلمات والنور، وخلقهم أطواراً على ما بَيَّن في كتابه، وأمر أن يعْلِمهم أن شهادة اللَّه بأنه واحد، وَإقامةَ البراهين في توحيده أكبر شهادةً، وأن القرآن الذي أتى به يشهد له بأنه رسوله فقال: ﴿قل اللَّهُ شهيدٌ بَيْني وَبَيْنَكُمْ﴾، الذي اعترفتم بأنه خالق هذه الأشياءَ:

﴿وَأُوحِيَ إِليَّ هذا الْقُرْآنُ لأُنذرَكُمْ به﴾.

ففي الإنذار دليل على نبوته، لأنه لَمْ يَأْت أَحدٌ بمثله، ولا يأْتي بمثله لأن فيه أخبارَ الأمم السَّالفة، جاءَ بها عليه السلام. وهو أُمِّيٌّ لا يقرأُ الكُتُبَ، وأنبأ بما سيكون، وكان ما أنبأ به حقًّا، ثم قال: ﴿واللَّه يَعْصِمُك من النَّاس﴾[1] وكان ﷺ مَعْصُوماً منهم، وقال: ﴿ليُظهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّه ولو كره المشركون﴾[2] فأظهر اللَّه دين الإسلام على سائر الأديان بالحجة القاطعة، وغَلَبَة المسلمين على أكثر أقطار الأرض وقال في اليهود. وكانوا في وقت مبعثه أعزَّ قومٍ وأمتنه[3]: ﴿وضربت عليهمُ الذِّلةُ والمسكَنةُ﴾[4]، فَهُمْ أَذلَّاءُ إلى يوم القيامةِ. فأنبأ اللَّه في القرآن بما كان وما يكون، وأتى به مُؤَلَّفاً تأْليفاً لم يَقْدرْ أحَد مِن العرب أن يأْتِيَ بسورة مثله، وهو في الوقت الذي قيل لهم ليأْتوا بسورة [من مثله] خُطَباءُ شعراءُ لم يكن عندهم أَوْجَزَ من الكَلام المنثور، والموزون، فعجزوا عن ذلك.

وقوله: ﴿الذينَ آتيناهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَه كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم﴾أي يَعرِفون محمداً ﷺ أنه نَبيٌّ كما يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم، ويُروَى عن عمرَ بنِ الخطابِ أنهُ قال

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧. (٢) سورة التوبة آية ٣٣ والصف، آية ٩ والفتح. آية ٢٨.

(٣) أمنع قوم ـ أعاد الضمير على اللفظ ولم يكونوا أعزة بل كانوا أثرياء.

(٤) سورة البقرة ٦١.

لعَبد اللّهِ بنِ سَلَام: يا أبا حمزة: هل عرفت محمداً كما عرفت ابنك؟ قال نَعَم، لأن اللّه بعثَ أمِينه في سَمائه إلى أمِينِه في أرضِه بِنعتِه فعرفْتُه، فأمّا ابني فما أدري ما أحدَثَتْ أُمُّه. فقال صدقت يا حمزة[1].

وقوله: ﴿الذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم﴾.

رفع على نعت ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ وجائز أن يكون على الابتداءِ. ويكون ﴿فَهُم لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ خبَره.

والذين خسروا أنفسهم الأشبه أن يكون ههنا يعني بِه أهل الكتاب؛ وجائز أن يكون يعني به جملة الكفار من أهل الكتاب وغيرِهم.

وقوله: ﴿ثم لَم تكُنْ فتنتُهُم إلا أَنْ قَالُوا﴾.

إنْ شِئْتَ نصبت «فِتْنَتَهم» على خبرِ يَكنْ، ويكون أَنْ قَالوا هو الاسم وأنث «تكن» وهو[2] ﴿إلاَّ أَنْ قَالُوا﴾ لأن «أَن قالوا» ههنا هو الفتنة. ويجوز أن يكون تأويل «أَنْ قَالوا» إلا مَقَالَتُهم. ويجوز رفع الفتنة وتأنيث «تكن» ويكون الخبر «أن قالوا» والاسم فِتْنَتُهُم. ويجوزُ ثم لَم يَكُنْ فتنتَهُم إلا أن قالوا، فتذكر «يكن» لأنه معلق بأَنْ قَالُوا، ويجوز ثم لم يكن فتنتهم بالياءِ ورفع الفتنة، لأن الفتنة والافتتانِ في معنًى واحد.

وتأويل هذه الآية تأويل حسن في اللغة لطيف لا يفهمه إلا من عرف معانيَ الكلام وتَصرُّفَ العربِ فِي ذلك، واللّه جلّ وعزّ ذَكَرَ في هذه

---

(١) هو عبد اللّه بن سلام بن الحرث ـ من ذرية النبي يوسف عليه السلام ـ كان حليف النواقل من الخزرج ـ وكان من بني قينقاع ـ كان اسمه الحصين فسماه النبي ﷺ عبد اللّه، أسلم حين دخل النبي المدينة، وروى عنه عدد من الصحابة كما روى عنه أبناه محمد ويوسف، وفيه نزلت الآية ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ والآية: ﴿قل كفى باللّه شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ ـ ووقف بجانب عثمان في محنته ومات سنة ٤٣ هـ.

انظر: الإصابة ت ٤٧٢٥.

(٢) اسم يكن: أي وهو يعود على المصدر في «أن قالوا».

الأَقاصِيص التِي جَرتْ في أَمر المُشْرِكِينَ وهم مُفْتَتِنُونَ بشِركِهِم. أَعلم اللَّهُ أَنه لم يكن افتتانهم بشركهم، وإِقَامتُهم عليه إِلا أَن تبرأُوا مِن منه وانْتَفَوا مِنْه، فَحَلَفُوا أَنهم ما كانوا مشركين.

وَمِثْلُ ذَلِكَ في اللغة أَنْ ترى إِنْسَاناً يُحِب غَاوِياً[١]، فإذا وقع في هَلَكَةٍ تَبرأَ منه، فتقول له ما كانت محبتك لفلان إِلا أَنِ انْتَفيتَ مِنْهُ.

ويجوز ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا﴾ على جرِّ رَبّنَا على النعتِ والثناءِ لقوله «وَاللَّهِ». ويجوز ﴿واللَّهِ ربَّنَا﴾ بنصب رَبنَا، ويكون النصب على وجهين، على الدعاءِ، قالوا واللَّه يا ربنَا ما كنَا مشركين. ويجوز نصبه على أَعني: المعنى أَعني رَبنا، وأَذْكُر ربنا، ويجوز رفعه على إضمار هو، ويكون مَرفُوعاً عَلَى المَدحِ. والقراءَةُ الْجَر والنَّصبُ، فأَما الرفع فلا أَعلَمُ أَحداً قرأَ به.

وَقَوله: ﴿[وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهم] أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهوه﴾.

«أَكِنةً» جمع كِنان وهو الغِطاءُ، مثلُ عِنَان وأَعِنَّة، فأَما ﴿أَن يفقَهوه﴾ فمنصوب على أَنه مَفْعولٌ له، والمعنى وجَعَلْنَا عَلى قُلوبِهم أَكِنةً، لكراهة أَن يفقهوه فلما حذفت اللام نصبت الكراهة، ولما حذفت الكراهة انتقل نصبها إلى أَنْ[٢].

وقوله: ﴿وَفي آذَانِهِم وَقْراً﴾.

الوقر ثقل السمع [وهو] بالفتح[٣]، يقال في أُذنه وَقْر، وقد وُقِرَتْ الأُذن توقَر[٤]، قال الشاعر:[٥]

---

(١) إنساناً يحب شخصاً ضالاً ليس على طريق الهدى.

(٢) إلى المصدر المضاف إليه.

(٣) قرأ طلحة بكسر الواو.

(٤) في القاموس وقر كوجل ونصر ووفر كعنى.

(٥) أي تصاممت عن هذا الكلام، وأنا صحيح الأذن أسمعه والبيت للمثقب العبدي وبعده:

وَكَــلامٍ سَــيِّــئٍ قَــد وقَــرت   أُذُني منـــه ومــا بـي مِنْ صَمَمْ

والوِقْر - بكسر الواو - أن يحمل البعير أو غيره مقدار ما يطيق، يقال عليه وِقْرٌ، ونَخْلةٌ موقِرٌ وَموقرةٌ بالكسر أكثر، وموقِر مِثْل مرضِعٌ، أي ذات وِقْر، كما أن تلك ذات رَضاعٍ. وإنما فعل بهم ذَلكَ مجازَاة لهم بإقامتهم على كُفْرِهِم، وليس المعنى أنهم لم يَفْهَموه ولم يَسمَعوه، ولكنهم لَما عَدَلُوا عَنْه وصَرَفُوا فِكْرهم عَما هم عليه، في سوءِ العاقبة كانوا بمنزلة من لم يعلم ولم يسمع.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾.

أي كل علامة تَدلهم على نبوتِكَ، ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ مقدارَ احتجاجِهِم وجَدَلِهِم وأنهم إنما يستعملون في الاحتجاج أن يقولوا هذا أساطير الأولين، ويقولون افترى على اللَّه كذباً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم ليس يعَارِضُونَ ما احتُج بِه عَلَيهم من الحق، حيث قيل لهم: ﴿فَأْتوا بسورَةٍ مِن مِثْلِهِ﴾(١)، وحَيثُ شَق لهم القمرَ، وحيث أنزل على نبيه عليه السلام ﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ الناسِ﴾(٢). فما أتى أَحَدُ بسورةٍ ولا قدَرَ على ضَرِّ النبي ﷺ ولا على قَتْلِهِ، وأنْبأ عزّ وجلّ بما سيكون في كتابِهِ فَوُجِدَ ذلكَ أجمَعُ. فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿حَتى إِذَا جَاءُوك يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِير الأَوَّلِين﴾.

واحدها إسطارٌ، وأُسطُورةٌ. وتأْويل السَّطْر في اللغة أَنْ تَجعَل شيئاً مُمتَدًّا

= فتصامَمت لكيما لا يرى   جاهل أني كما كان زعم

انظر اللسان (زعم).

(١) سورة البقرة آية ٢٣.

(٢) سورة المائدة آية ٦٧.

مؤلفاً، فمن ذلك سَطرُ الكتاب، يقال: سَطرٌ وَسُطَر، فمن قال سطر جمعه أَسطار، قَال رُؤبةُ[1].

إني وأسطارٍ سُطِرنَ سَطْراً ... لقائِلٌ: يا نَصرُ، نَصراً نَصْراً

وجمع أَسْطَار أَسَاطير، فعلى هذا - عِنْدي - أَساطير الأَولينَ.

ومن قال سَطَرٌ. فجمعُه أَسْطُرٌ، وجمعُ الجمع أَساطِرَةٌ، وأَساطير قال الشماخ في جمع سَطْر:[2]

كما خط عبرانية يمنية ... بتيماءَ حَبرٌ ثم عرَّض أسطرَا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُم يَنْهَوْنَ عَنْه وَيَنْأَونَ عَنْهُ﴾.

أي عن النبي ﷺ أَنْ يُتَّبَعَ، ويَنْأَونَ عنه، أي يتَبَاعَدُونَ عنه، يقال: نَأَيْتُ عن الشَّيْءِ أَنأَى نَأْياً، إِذَا بَعُدت عنه، والنُّؤى حاجز يُجعَل حول البيت لِئَلَّا يَدخُلَهُ الماءُ من خَارِجٍ، تحفَر حَفِيرَةٌ حولَ البَيتِ فيجْعَلُ تُرَابُها على شَفِيرِ الحَفِيرةِ، فيمنَعُ الترابُ الماءَ أَن يدخل من خارِجٍ، وهو مأْخُوذٌ مِنَ النَّأيِ أَي مباعِدٌ للماءِ من البيْتِ.

وقال بعضهم: إنه يعنى به بعض أَهل النبي ﷺ، أَي وهم ينهون عن أَذى النَّبيِّ ﷺ ويَتَباعَدُونَ عَنْهُ، أَي لا يَتّبعُونَهُ. والكلامُ مُتَّصِلٌ بذكر جَماعَةِ أَهل الكتاب، والمشركين.

---

(١) الديوان ١٧٤، مجاز أبي عبيدة ٢ - ٢٣٠، الخزانة للشاهد ١١٧ جـ ٢ - ١٩٠ شواهد الكشاف (ط السلفية) والطبري ٢٧ - ٩ وكان رؤبة أراد الدخول إلى نصر بن سيار وهو والي خراسان فمنعه حاجبه، وكان يسمى نصراً أيضاً، ويروى البيت. يا نصر نصر نصراً - نصر الأولى لابن سيار والثانية للحاجب، أي يا نصر الوالي. نصر الحاجب منعني، ونصرا بمعنى أنصرني.

(٢) الحبر والحبر - بفتح الباء وكسرها - واختلف أيهما أفصح وهو عالم، وأحد أحبار اليهود - أنظر اللسان (حبر - عرض) وعرض الأسطر بهمها ولم يبينها.

والقول الأول أَشْبَهُ بالمعنَى.

وقوله: ﴿وَلَوتَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾.

القراءَة - أكثرها بالفتح والتَّفْخِيم(١)، والإمالة حسنة جَيِّدَةٌ، وهي مذهب أبي عمرو. أعني كسر الألف من(٢) «النَّارِ»، وإنما حَسُنَتْ الإمالة في قوله: ﴿كمثل الحِمَارِ يحمل أسفاراً﴾(٣)، وأصحَابُ النَّارِ، لأن الراءَ بعد الألف مكسورة، وهي حرف كأنه مُكَرَّرٌ في اللسان، فصارت الكسرة فيه كالكسرتين.

ومعنى ﴿وُقِفُوا﴾ على النَّار يحتمل ثلاثة أَوجُهٍ - جائز أن يكونوا عَايَنُوها، وجائز أن يكونوا عليها وَهِيَ تَحتَهُم، والأجود أن يكون معنى وقفوا على النار أُدخِلُوها فَعَرَفوا مقدارَ عَذَابِهَا، كما تقول في الكلام: قد وَقَفْتَ على ما عندَ فُلانٍ، تريد قد فهمته وتَبَيَّنْتَهُ.

﴿فَقالُوا يَا لَيتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا ونكونُ مِنَ المؤْمِنِينَ﴾.

أكثر القراءِ بالرفع في قوله: وَلَا نُكَذِّبُ [بآيَاتِ رَبِّنَا] ويكون المعنى أَنَّهم تمنَّوا الرَّدَّ، وضَمِنُوا أنهم لا يُكَذِّبُونَ، المعنى: يا ليتنا نرد، ونحن لَا نكذِّبُ، بآيات ربنا رُدِدنا أم لم نرد، ونكونَ من المؤمنين، أي قَد عَايَنَّا وَشَاهَدنَا مَا لَا نُكَذِّبُ مَعَه أبداً.

قال سيبويه مِثلُهُ دَعني ولا أعودُ، أي وأنا لا أعودُ تركْتَنِي أو لم تَتْرُكْني، ويجوز الرفع على وجه آخر، على معنى يا ليتَنَا نرد، ويا ليتنا لا نكَذِّبُ بآيات رَبِّنا، كأنهم تَمَنَّوا الرد والتوفيق للتصديق، ونَكونُ مِنَ المؤمِنينَ الرفع والنصب أيضاً فيه جَائِزَانِ، فأما النَّصبُ فعلى يا ليتنا نرد وتكون يا ليتنا نرد ولا نكذب

---

(١) في كلمة النار تفتح النون ولا ترقق الراء.

(٢) إمالتها.

(٣) سورة الجمعة آية ٥.

على الجواب بالـواو في التمني كما تقـول ليتك تصير إلينا ونكرِّمَكَ[1]، المعنى لَيتَ مَصِيرَكَ يَقَعُ، وَإِكْـرَامَنَا، ويكـون المعنى: لَيتَ ردَّنا وقـع وأن لا نُكَذِّبَ، أي إن رُدِدْنا لم نكذبْ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبلُ﴾.

أي بـل ظهر للذين اتَّبَعُـوا الغُوَاةَ مـا كـان الغـواةُ يخفـون عنهم من أمـر البعث والنُّشُورِ. لأن المتَّصِلَ بهذا قولُـه عزّ وجـلّ: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَـا الدنْيَا وَمَا نَحن بِمَبعُوثِينَ﴾.

فأنكروا البعث ليُجرِّئوا على المعاصي.

﴿وَلَو رُدوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه﴾.

قال بعضهم لَو رُدوا ولم يُعَايِنوا العَذَاب، لعَـادُوا، كأَنـه يَذْهب إلى أَنَّهم لَم يُشَـاهِدوا مـا يضطرهم إلى الارتِـدَاع، وهذا - عَلَّهُ - بيِّنٌ. لأن هـذا القـول منهم بعد أَن بُعِثوا وعَلِمُوا أَمْرَ القِيَامَةِ وَعَايَنُوا النَّـارَ، فالمعنى أَن أَكثـر من عايَنَ مِنَ اليَهودِ والمشركين قَدْ عَلِمَ أَنَّ أَمْر اللَّهِ حَق فرَكَنَ إلى الرَّفَـاهِيةِ، وأَن الشيء متأخر عنه إلى أمدٍ كما فَعَل إبليس الذي قد شاهد من بَـراهين اللَّه ما لا غـاية بعـده، فأعلم اللَّه عـزّ وجلّ أنهم لَـوْ رُدُّوا لعَادُوا لأَنّهم قَـدْ كَفَرُوا بَعْـدَ وُجُوبِ الحُجَّةِ عَلَيْهم.

وقال بعض المفسِّرين: ان النبي ﷺ سئـل فقيل لـه: ما بـال أَهْل النـار عملوا في عُمْرٍ قصيرٍ بعَمَـل أهل النـار فَخُلِّدُوا في النَّارِ وأَهـلُ الجنة عملوا في عمر قصير بعمـل أَهل الجنَّـةِ فخلدوا في الجنَّةِ، فقـال: إن الفريقين كـان كل واحدٍ مِنهمَا على أنه لو عاش أبداً عَمِل بذلك العَمَل.

وقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاء اللَّه حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَة بَغْتَةً﴾.

---

(١) أي هي واو المعية، وهي قراءة عاصم.

كلُّ ما جاءَ فُجَاءَة فقد بَغَتَ، يقال قد بَغَتَهُ الأمر يَبْغَتُه بغْتاً وبَغْتةً، إذَا أتاه فُجاءَةً، قال الشاعر:[1]

ولكنهم مـاتـوا ولم أخْشَ بغتـةً   وأفْـظَعُ شيء حين يَفْجَؤكَ البَغْت

وقوله: ﴿يَا حَسْرَتَنَا عَلَى ما فَرَّطْنَا فِيهَا﴾.

إن قـال قـائـل: مـا معنى دُعَـاءِ الحَسْـرَةِ، وَهِيَ لاَ تعقـل ولا تجيب؟ فالجواب عن ذلك أنَّ العربَ إذا اجْتَهـدتْ في الإخْبارِ عنْ عَـظِيمٍ تقع فيـه[2] جعلته نداءً، فلفظه لفظ ما ينبَّه، والمنبَّه غَيْرُهُ، مثل قَوله عزّ وجلّ: ﴿يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّه﴾[3]، و [قوله]: ﴿يَا وَيْلَتَا أأَلد[4] وَأَنَا عَجُوزٌ﴾[5] و [قوله]: ﴿يَا ويْلَنَا من بعثنا من مَرْقَدِنَا هَـذَا﴾[6].. فهذا أبلغ من أن تقـول: أنا حَسِرٌ عَلَى العباد، وأبلغ من أن تقول: الحسرة علينا في تفريطنا.

قـال سيبويـه: «إنَّكَ إذا قلت يـا عجباه، فكـأنك قلت احضُـرْ وتعال يـا عجبُ فإنه مِنْ أزْمَانِكَ، وتأْوِيلُ «يا حَسْرتَاهُ» انتبَهُوا على أننا قد خسـرنا» وهـذا مثله في الكلام في أنك أدْخَلْتَ عليـه يا للتنبيـه، وأنت تريـد الناس قولك: لاَ أرَيَنَّكَ هَهُنَا، فلفظُك لفْظُ النَّاهِي نفسه، ولكنه لمّـا علم أن الإنسان لا يحتـاج أن يلفظ بنهي نَفْسِهِ دَخل المخَاطَبُ في النَّهيِ فصار المعنى: لا تكـونَنَّ ههنا،

---

(1) هو يزيد بن ضبة، شاعر إسلامي نسب لأمه ضبة، لأن أباه «مقسماً» مات وهـو صغير، وهـو من موالي ثقيف. أنظر الأغاني ٦ ـ ١٤٦، (ساسي) والكامل ٥٢٠، واللسان (بغت).
يـريد أن أحبتـه فارقـوه حين لم يكن يتوقـع فراقهم، وقـد كانت هـذه المفاجـأة شـاقـة عليـه، والمفاجآت دائماً شاقة على الناس.

(2) أمر عظيم يحدث لها.

(3) الزمر آية ٥٦.

(4) في الأصل آلد، وهي غير قراءة عاصم. ـ والألف فيها بدل من ياء المتكلم.

(5) سورة هود آية ٧٢.

(6) سورة يس آية ٥٢.

فإنك إذَا كنْتَ رأيتُكَ، وكذلك يَا حَسْرتَنَا، قد علم أن الحسْرَةَ لا تُدْعَى، فوقع التنبيه للمخاطبين.

ومعنى: ﴿فَرَّطْنَا فِيها﴾: قَدَّمْنا العَجْزَ.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾.

أي يحملون ثِقل ذُنوبهم، وهذا مَثَلٌ. جائز أن يكون جُعِل ما ينالهم من العذاب بمنزلة أثقل ما يُحَمَّل، لأن الثِّقل قد يستعمل في الوِزْرِ، وفي الحال، فَتقُول في الحالِ قد ثقل عليَّ خطاب فلان، تأْويله قد كَرهتُ خِطَابَه كراهةً اشْتَدَّت عَلَيَّ، فتأْويل الوزر الثقل من هذه الجهة، واشتقاقه من الوزر[1]، وهو الجَبَل الذي يَعْتَصِم به الملك والنبي، أي يُعينُه، ومنه قوله [تعالى]: ﴿وَجَعَلْنَا مَعهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً﴾[2]. سأَل مُوسَى رَبَّه أن يجعل أخاه وزيراً له، وكذلك قوله [تعالى]: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

أي بِئس الشَّيءُ شيئاً أي يَحْملونه، وقد فسرنا عمل نعم وبئس فيما مضى من الكتاب[3]، وكذلك ﴿سَاءَ مَثَلًا القَوْمُ﴾[4]، [أي] مثل القوم.

وقوله: ﴿فَإِنَّهم لَا يُكذِّبُونَكَ﴾.

ولا يُكْذِبُونك، ومعنى كذَّبْتُه قُلت لَه كذبْتَ، ومَعْنى أكذبتُهُ ادَّعيت أنَّ ما أتى به كذِبٌ[5]، وتفسير قوله: ﴿لا يُكذِّبُونَكَ﴾، أي لا يَقْدِرُونَ أن يقولوا لك فيما أَنْبأْتَ به مِمَّا فِي كُتُبِهُمْ كذبت. ووجه آخر: إنهم لا يكذبونك بقلوبهم، أي يَعْلَمُون أنك صادقٌ.

---

(١) الوزر كما في القاموس الجبل المنيع وكل معقل والملجأ والمعتصم.

(٢) الفرقان ٣٥.

(٣) انظر الجزء الأول.

(٤) الأعراف آية ١٧٧.

(٥) نسبته للكذب.

﴿ولكنَّ الظَّالِمِين بِآياتِ اللَّه يَجْحَدُون﴾.

لأنهم إنما جحدوا براهين اللَّه جلّ وعزّ وجائز أن يكون فإنَّهم لا يُكذِّبُونك، أي أنت عندهم صادق، لأنه ﷺ كان يُسَمَّى فيهم الأمين قبل الرسالة، ولكنهم جحدوا بألسنتهم ما تشهد قلوبهم يكذبهم فيه.

ثم عَزَّى اللَّه نبيه وصَبَّرهُ بأن أخبره أنّ الرسلَ قبلَه قد كَذبتهم أُمَمٌ فقال:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا، وأُوذُوا حَتَّى أَتاهُم نَصْرُنا وَلاَ مُبَدِّلَ لكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

أي إذ قال اللَّه لرسوله: ﴿وَاللَّه يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1]، و [إذ] قال: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه، فَلا مُبدِّلَ لِكَلِماتِ اللَّهِ أي لا يخلف اللَّه وعده ولا يغلب أولياءَه أَحَدٌ.

ثم أعلم اللَّه عزّ وجلّ رسُوله أنه[2] يأْتي من الآيات بما أحب، وأنه ﷺ بشر لا يقدر على الإتيان بآية إلا بما شاءَ اللَّه من الآيات فقال:

﴿وإن كانَ كَبُر عَلَيْكَ إعْرَاضُهُمْ﴾.

أي إن كان عَظُمَ عليك أن أَعْرضُوا إذ طَلبُوا منك أَنْ تُنزِّلَ عليهم ملَكاً، لأنهم قالوا: ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾[3] ثم أعلم اللَّه جلّ وعزّ أنهم لو نُزِّلتْ عليهم الملائِكةُ وأتاهم عظيم من الآيات ما آمَنُوا.

وقوله: ﴿فإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) المائدة - ٦٧.

(٢) أي اللَّه سبحانه وتعالى.

(٣) آية ٨ من هذه السورة ولم تكمل الجملة بذكر جواب الشرط في كلامه، والمعنى العام للآية أنه إذا كان قد شق عليك إعراضهم وما طلبوا من الآيات فافعل ما تستطيع، وحقيقتهم أنهم لن يؤمنوا حتى ولو جئتهم بما طلبوا.

والنفق الطريق النافذ في الأَرض، والنافقاءُ ممدود أَحَـدُ جِحَرَةِ اليَـرْبُوع يَخْـرِقُـهُ من بـاطن الأَرْض إلى جلدَة الأَرض فـإذا بَلَغَ الجلدة أَرَقَّهـا حتى إن رابَـهُ[١] دَبِيبٌ رفع بـرأْسه هـذا المكان وخـرج منـه. ومن هـذا سُمِّيَ المنـافق منافقاً، لأَنه أَبطن غير ما أَظهر، كالنافقاءِ الذي ظاهـرهُ غَيْرُ بَيِّنٍ، وبـاطنه حَفْـر في الأَرْض.

وقوله: ﴿أَوْ سُلَّماً في السَّمَاءِ﴾.

والسُّلَّم مشتق من السَّـلامَةِ، وهـو الشيءُ الذي يسلمـك إلى مصعـدك. المعنى فإن استطعت هذا فافعل، وليس في القرآن فَافعَل[٢] لأَنه قد يحذف ما في الكلام دليل عليه، ومثل ذلك قولـك: إن رأَيت أَن تمضي معنا إلى فلان، ولا تذكر فافعل.

فأَعلم اللَّه نبيَّه ﷺ أنه لا يستطيـع أَنْ يأْتي بـآية إلا بـإذن اللَّه. وإعلامـه النبي هـذا هـو إعْـلام الخلق أَنهم إنمـا اقتـرحـوا هم الآيـات[٣] وأَعلم اللَّه جلّ وعزّ أَنـه قادر على أَن يُنَـزِلَ آيَّة آيـة، وأَنه[٤] لـو أُنزلت المـلائكة وكلمهم الموتى ما كانوا ليؤْمنوا إلا أَن يشاءَ اللَّه.

وقوله: ﴿وَلَو شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى﴾.

فيـه غير قـوْل، فأَحـدُها أَنـه لو شـاءَ اللَّه أَن يَطْبَعَهُم عَلى الهـدى لفعل ذلـك، وقول آخر: ﴿ولو شـاءَ اللَّه لجمعهم على الهدى﴾[أَي] لـو شـاءَ لأَنْـزَل عليهم آيـة تَضْطرُّهم إلى الإيمـان كقولـه جـلّ وعزّ: ﴿إِنْ نَشَـأْ نُنَـزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ

---

(١) كلمة غامضة في المخطوطات، وهذا أقرب ما تحمل عليه.

(٢) أي جواب الشرط غير مذكور في القرآن في هذه الآية ولكنه مفهوم من السياق.

(٣) أي هم الذين اقترحوا هذه المعجزات، ولو تحققت ما آمنوا.

(٤) ضمير الشأن.

السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَتْ أَعْنَاقُهُمْ لَها خاضِعِينَ﴾[1] فإنما أَنْزَل اللَّه الآيات التي يُفكر الناس مَعها، فيُؤجَرُ ذو البَصَر، ويثاب على الإيمان بالآيات، ولو كانَتْ نَارٌ[2] تنزل على من يكفر أو يُرْمَى بحَجَرٍ من السَّماءِ لان كل واحد.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ إِنَّمَا يَستَجِيبُ الَّذِينَ يَسمَعُونَ ﴾.

أي الذين يسمعون سَماعَ قَابِلِينَ، وجَعَلَ من لم يَقْبَل بِمَنْزِلَة الأَصَمّ، قال الشاعر:

أَصَمٌّ عَمَّا سَاءَه سَمِيعُ

﴿والمَوتَى يَبعَثُهم اللَّهُ﴾.

أي يحييهم ﴿ثم إليه يُرْجَعُون﴾.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَة ﴾.

أي آية تجمعهم على الهُدَى.

وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ في الأَرضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطيرُ بِجَنَاحَيْه﴾.

يجوز ولا طائرٌ بالرفع على العطف على موضع دابّة، التأويل وما دابّة في الأرض ولا طائرٌ، والجرّ أجود وأكبر على معنى وما من دابَّة وَلاَ طَائِرٍ. وقال ﴿يطير بجناحيه﴾ على جهة التوكيد، لأنك قد تقول للرجل: طِرْ في حاجتي أي أَسْرِع، وجميع ما خلق اللَّه عزّ وجلّ فليس يخلو من هاتين المنزلتين، إمَّا أَنْ يَدِبَّ أو يَطيرَ.

﴿إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾.

[أي] في الخلق والموت والبعث.

---

(١) الشعراء آية ٤.

(٢) كان تامة أي لو وجدت نار.

وقوله :﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُم إنْ أَتَاكُم عَذَابُ اللَّهِ أَو أَتَتْكُمْ السَّاعة﴾ .

الساعة اسم للوقت الذي يُصْعَقُ فيه العباد، واسم للوقت الذي يُبْعَثُ فيه العباد، والمعنى إن أتتكم الساعة التي وُعِدْتُم فيها بالبَعْثِ والفناءِ، لأَنَّ قبلَ البعث موتَ الخلق كله.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾.

أي أتدعون هذه الأصنَام والحجارةَ التي عبدتموها من دون اللَّه، فاحتج اللَّه عليهم بما لا يَدْفَعُونَه، لأَنهم كانوا إذا مَسَّهُمُ الضّرُّ دعوا اللَّه.

وقال النحويون في هذه الكاف التي في قوله: ﴿ أَرَأَيتَكُمْ﴾ غيرَ قَولٍ:

قال الفراء لفظها لفظ نصبٍ، وتأْويلها تأْويل رفع، قال: ومثلها الكاف في قوله: دُونَك زيداً، قال: الكاف في موضع خفض، وتأْويلها تأْويل الرفع، لأَن المعنى خذ زيداً.

وهذا لم يقله من تقدَّم من النحويين، وهو خطأٌ لأَن قولك أَرأَيتكَ زيداً ما شأْنه! تصير «أَرأَيت» قد تعدت إلى الكاف وإلى زيد، فيصير لـ (رأَيتَ) اسمان[١]، فيصير المعنى أَرأَيت نفسك زيداً ما حاله. وهذا محال[٢].

والذي يذهب إليه النحويون الموثوقُ بعلمهم أَن الكاف لا موضع لها، وإنما المعنى أَرأَيت زيداً ما حاله. وإنما الكاف زيادة في بيان الخطاب. وهي المعتمد عليها في الخطاب، اعلم أَنك تقول إذا كانت الكاف زائدة للخطاب، للواحد الذكر: أَرأَيتكَ زيداً ما حَالُه بفتح التاءِ والكاف، وتقول للمؤنث أَرَأَيتَكِ زيداً ما حاله يا امرأة، وتفتح على أُصل خِطابِ الذكر، وتكسر الكاف لأَنها قد صارت آخر ما في الكلمة والمبيِّنة عن الخطاب، وتقول

(١) يصير لها فاعلان. هما التاء والكاف.

(٢) ناقش ابن هشام في المغني رأي الفراء وبين خطأه، وصحح أن الكاف حرف خطاب وأنه رأي سيبويه (المغني جـ ١ /١٥٦).

للاثنين أرأيتَكُما زيداً مَا حَالُه وأرَأيتَكُم زيداً ما حاله ـ للجماعة، فَتُوحَّد التَّـاءُ، فكما وجب أن توحدَها في التثنية والجمع وجب أن تذكرهـا مع المؤنث، فـإذا سَألْتَ النسوة قلت أرأيتَكُنَّ زيداً ما حَالُه. وتثنية المؤنث كتثنية المذكر في كـل شيء، فـإنْ عَدَّيتَ الفـاعِلَ إلى المفعـول[1] في هذا البـاب، صـارت الكـاف مَفْعُولَه، تَقُولُ: رَأيتُنِي عالماً بِفُلَانٍ، فإذا سألت عن هذا الشَّرطِ قُلْتَ للرجل: أرأيتَـكَ عَالِمـاً بِفُلَانٍ، وتقـول للاثنين على هـذا: أرأيتـاكمـا عـالمين بفـلانٍ، وللجميع أرأيتَموكم عَالِمينَ بفلان، لأن هـذا في تأويـل أرأيتم أنفُسَكُم. وتقول للمرأة: أرأيتكِ عالمةً بفلَانٍ ـ بكسر التاءِ والكاف ـ وتقـول للاثنين أرأيتُمـا كما عـالمين بفلان وللجمـاعـة أرأيْتَكُنَّ عـالمـات بفـلان فعلى هـذا قيـاس هـذين البابين[2].

وقوله: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾.

«بل» استدراك، وإيجابٌ بَعد نفي، تقول: مَا جَاءَ زَيدٌ بل عَمْرٌو فـأعلمهم اللّه جلّ وعزّ أنهم لا يدعون في حال الشدائد إلا إيَّاهُ، وفي ذلك أعظم الحجة عليهم، لأنهم قد عبدوا الأصنام.

وقوله: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾.

المعنى فيكشف الضر الذي من أجله دَعَوْتُمْ، وهذا على اتساع الكلام، مثل سَل القَريَةَ: المعنى سَلْ أهْلَ القرية.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾.

«وتنسون» ههنا على ضربين: جائـز أن يكون تَنْسَـوْنَ تَتْرُكُـونَ، وجائـز أن يكون المعنى إنكم في ترككم دعاءَهم بمنزلة من يَسْهُونَ.

---

(١) وهـو من خصوص هـذه الأفعال. نقـول ـ رأيتني وحسبتني ولا يجوز ضـربتني وكلمتني، وهـذا تعبير يخالف أرأيتك وقل أرأيتكم.

(٢) باب أرأيتكم، وباب رأيتني.

وقوله: ﴿وَلَقَد أرسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بالبأْسَاءِ والضَّرَّاءِ﴾. قِيلَ البأْسَاءُ الجُوعُ، والضرَّاءُ النقصُ في الأموال والأنفس. والمعنى أن اللَّه جلّ ثناؤه أعلم نبيّه أنه قد أرْسَل الرسلَ قبله إلى قوم بلغوا من القسوة إلى أن أُخِذُوا بالشدة في أنْفُسِهم وأمْوَالِهم ليخضعوا ويَذِلُّوا لأمْرِ اللَّه، لأنَّ القُلوبَ تخْشعُ، والنفوسَ تضْرَعُ عند ما يكون[1] من أمر اللَّه في البأْساءِ والضراءِ. فَلَمْ تخْشَعْ ولم تَضْرَعْ[2].

وقال: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

ومعنى لعل ترج، وهذا الترجي للعباد، أَخَذَهُمُ اللَّه بذلك ليكونَ ما يَرجُوه العبادُ منه بالتضرع، كما قال عزّ وجلّ في قصة فرعون: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[3] قال سيبويه: المعنَى إذهبا على رجائكما، واللَّه عالم بما يكون وراءَ ذلك.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا﴾.

المعني فهَلَّا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضرعُوا.

﴿وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: أي أقاموا على كفرهم.

وقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كلِّ شَيْءٍ﴾.

أي فتحنا عليهم أبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ كان مغلقاً عليهم من الخير.

﴿حَتَّى إذا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾.

أي حتى إذا ظَنُّوا أَنَّ كل مَا نَزلَ بهم لم يكن انْتِقَاماً مِنَ اللَّه جلّ وعزّ، وأنهم لَمَّا فُتِحَ عليهم ظَنُّوا أن ذلك باسْتِحْقَاقِهِمْ ﴿أَخذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾.

أي فاجأهم عذابُنَا من حيثُ لا يَشْعُرُون.

---

(١) عندما يحدث.

(٢) لم تخشع تلك القلوب، أي أخذوا بالشدة ليخضعوا فلم يخضعوا.

(٣) سورة طه آية ٤٤.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فإذا هم مُبْلِسُونَ﴾.

«المبلس» الشديد الحسرة، واليائس الحزين.

وقوله: ﴿فقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِين ظَلَمُوا والْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين﴾.

حَمِد اللّه عزّ وجلّ نفسه على أن قطع دَابِرَهُم، واسْتَأصَل شأْفَتَهُمْ[1]، لأنه جلّ وعزّ أرسل إليهم الرُّسُلَ، وأنْظَرَهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ، وَأَخَذَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ والضَّراءِ، فبالغ جلّ وعزّ في إنْذَارِهِمْ وإمْهَالِهِمْ، فحَمِدَ نَفْسَهُ، لأنه محمودٌ في إمْهَالِهِ مَنْ كفَرَ بِهِ وانتظارِه تَوْبَتَه.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ أَخَذَ اللّه سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَه غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ به﴾.

أي بسمعكم، ويكون ما عطف على السمع داخلاً في القصة إذ كان معطوفاً على السمع[2].

وقوله: ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾.

أي «يُعْرِضُونَ». أعلم اللّه جلّ وعزّ أنّه يُصَرِّفُ لهم الآيات، وهي العلامات التي تدل على توحيده، وصحة نبوة نَبِيِّهِ ﷺ ثم هم يُعْرِضون عما وضح لهم وظهر عندهم.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾.

الْبَغْتَةُ الْمُفَاجَأَةُ، والجهر أو يَأْتِيَهِمْ وَهُمْ يَرَوْنَه.

﴿هَلْ يُهْلَكُ إلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾.

---

(١) الشأفة القرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب، أو إذا قطعت مات صاحبها، واستأصل اللّه شأفته أذهبه كما تذهب تلك القرحة، أو معناه أزاله من أصله.

(٢) أولى أن يكون الضمير للمذكور، أي يأتيكم بهذا كله.

أي هَـلْ يُهْلَك إِلاَّ أَنْتُمْ ومَن أَشبَهَكُمْ، لأنكم كفـرتم مُعَـانِـدين، فقـد علمتم أَنكم ظالمون.

وقوله: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِين إِلاَّ مُبشِّرين وَمُنذِرِينَ﴾.

أي ليس إِرْسَالُهم بأن يأتوا الناس بما يَقْتَـرِحُون عليهم من الآيـات وإنما يـأْتـون من الآيـات بمـا يُبيِّن اللَّه [بـه](1) بـراهينهم، وإنمـا قصـدُهم التبشيـرُ والإِنذارُ.

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لكُمْ عِندِي خزائنُ اللَّهِ﴾.

هذا متصل بقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾. فأَعلمهم النبي ﷺ أَنَّـه لا يملك خزائِنَ اللَّه الَّتِي بِهَا يَـرزُقُ ويُعْطِي، و[أنه](2) لا يعلم الْغَيْبَ فيُخْبِرَهُمْ بِمَا غَابَ عَنْهُ مِمَّا مضَى، وما سَيكُونُ إلاَّ بِوَحْيٍ من اللَّهِ جلّ وعزّ.

﴿ولَا أَقُولُ لكمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾.

أي الْملَك يشاهِدُ مِن أُمورِ اللَّه عزّ وجلّ ما لا يُشَـاهِدُهُ الْبشـرُ، فأَعْلَمهُمْ أَنه يتبعُ الوحْي فقال: ﴿إِنْ أَتبعُ إِلاَّ ما يُوحى إِليَّ﴾.

أي مـا أَنْبأْتكم بـه مِنْ غيبٍ فيما مضى، وفيمـا سيكُون فهـو بـوحي من اللَّه، فَـأَمَّا الإِنبـاءُ بِما مَضى، فـأَخبارٌ بقصصِ الأُمَمِ السَّـالِفةِ، والأخبَـارُ بمـا سيكـونُ كقـولــه: ﴿غُلِبَتِ الـرُّومُ. في أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِن بَعـدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلبُونَ. في بِضْعِ سِنِينَ﴾(3).

فوجد من ذلك ما أنبأ به، ونحو قوله: ﴿واللَّهُ يَعْصِمُكَ مِـن النَّـاسِ﴾(4)

---

(1) زيادة لا بد منها.

(2) زيادة للإيضاح.

(3) الروم آية ٢ ـ ٤.

(4) المائدة ٦٧.

فاجتهدوا في قَتْله، فلم يَصِلُوا إلَى ذلك. وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّين كُلِّهِ﴾[1] وما يُرْوى مِن الأخبَار عنه بما يَكُونُ أكثرُ من أن يُحْصَى.

وقوله: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾.

قوله: ﴿وَأَنذِرْ به﴾، أي بالقُرْآن، وإنما ذكر الذين يخافون الحشر، دُونَ غَيْرهم وهو ﷺ منذرٌ جميع الْخلْقِ، لأن الَّذين يَخافُونَ الْحَشرَ الحجةُ عليهم أوجبُ، لأنهم أفْهمُ بـالْميعاد. فهم أَحَدُ رَجُلَيْن، إمَّا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فيؤدي حقَّ اللَّهِ في إسْلَامِهِ، وإما رَجُلٌ مِنْ أهلِ الْكِتَابِ، فأَهْلُ الْكِتَابِ أجمعُونَ مُعْترِفُونَ بأن اللَّهِ جَل ثَنَاؤُه خَالِقهمْ، وَأَنهُمْ مَبْعوثون.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِه وَلِيٌّ لَا شفِيع﴾.

لأن النصارى، واليهود ذكرت أنها أبناءُ اللَّه وأَحِبَّاؤه، فـأعلم اللَّه أنه لا ولي له إلَّا المؤمنون، وأنَّ أهلَ الكُفْر ليسَ لهم منْ دُون اللَّهِ ولي وَلَا شَفِيعٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذين يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

كان قوم من المشركين أرادوا الحيلة على النبي فقالـوا لوْ بـاعَدْت عَنك هَؤُلاءِ السِّفْلة والْعَبِيدَ لجلَسَ إليك الكبراءُ والأشْرَافُ. وكانوا عَنَوْا بالذين قَدَّرُوا أن يباعِدَهم النبي ﷺ صُهَيْباً وخَبَّاباً، وعمَّار بنَ يَاسرٍ وسلمانَ الفارسي وبِلالاً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ، أن أمْرَ الدِّين هو المقدَّم، ونهاه أنْ يُبَاعِدَ هَؤُلَاءِ، وَأَعْلَمَـهُ أنهم يُرِيدُون مـا عند اللَّه فَشهِـدَ لهم بصحة النيـات وأنهم مُخْلِصُونَ في ذلـك لِلَّهِ، فقال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾، أي يُرِيـدُونَ اللَّهَ وَيَقْصِـدُونَ الـطُّرقَ التي أمَـرهم بقصدها وإنما قَدَّرُوا بهذا أن يُبَاعِدَهُم فتكونَ لهم حُجَّـة عَلَيْهِ. واللَّه قـد أعلم

(۱) التوبة ـ ٣٢ والصف ـ ٩.

في قصة نوح أنه اتَّبَعَ نُوحاً مَنْ كانَ عندهم مِن أَرَاذِلهم، فقال: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾(١)، وقالوا: ﴿مَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾(٢).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

جوابُ ﴿ولا تَطْرُدُ﴾، وقوله «فتطردهم» جواب ﴿مَا عَلَيْك مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِك عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ - فَتَطْرُدَهُمْ﴾.

ومعنى: ﴿وَكَذَلِك فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾.

أي اخْتَبَرْنا وابْتَلَيْنا، ﴿لِيقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

أي ليكُونَ ذَلك آيةً أَنَّهم اتَّبَعُوا الرَّسُولُ وَصَبَرُوا عَلى الشِّدَّة، وهم في حال شديدة.

وقوله: ﴿وإذا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنا﴾، أي الذين يُصَدِّقُون بِحُجَجِنا، وبراهيننا ﴿فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾.

سمعت أبا العباس محمد بن يزيد يذكر أن السلام في اللغة أربعة أشياءَ فمنها سَلَّمْتُ سَلاماً - مصدر(٣) سَلَّمْتُ، ومنها السلام جمع سلامة(٤)، ومنها السلام اسم من أسماءِ اللَّه تعالى، ومنها السلامُ شجر(٥)، ومنه قوله:

إلَّا سلامٌ وَحَرْمَلُ(٦).

ومعنى السلام الذي هو مصدر سَلَّمْتُ، أنه دعاء للإنْسَانِ أن يَسْلَم من

(١) سورة الشعراء ١١١.

(٢) سورة هود آية ٢٧.

(٣) اسم مصدر.

(٤) اسم جنس جمعي كورق وورقة.

(٥) شجر السلم.

(٦) الحرمل حب السمسم، ولم أقف على بقية البيت ولا على قائله.

الآفـات في دينه ونفسـه، وتـأويله التَّخَلُّص. و «السَّـلاَمُ اسمٌ من أسْمَـاءِ اللَّه» تأويله ـ واللَّه وأعلم ـ ذُو السَّلاَمِ أي هو الذي يملك السلام الذي هـو تخليصٌ من المكروه، فأمـا السَّلامُ الشَّجَـر فهو شَجَر عِظَامٌ قـوِيٌّ أَحْسَبُه سُمِّيَ بِـذلك لسلاَمَتِه مِنَ الآفاتِ.

والسِّلام الْحِجَارَةُ الصُّلْبَةُ سميت بذلك لسلامتهـا من الرخـاوة، والصُّلْح يُسَمَّى السِّلْمَ والسَّلْم والسَّلَمَ، سمي بهذا لأن معناه السلامة مِنَ الشَّرِّ. والسَّلْمُ دَلْوٌ لَهَا عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ نحو دَلْوِ السَّقَائِينَ، سُميتْ الدَّلْوُ سَلْماً لأنهـا أَقَلُّ عُـرًى من سائر الدِّلاءِ، فَهِيَ أَسْلَمُهَا من الآفاتِ والسُّلَّمُ الذي يرتقى عليه سُمي بهذا لأنه يُسَلِّمُك إلى حَيْثُ تُرِيدُ، والسُّلَّمُ السَّبَبُ إلى الشَّيءِ، سُمي بهذا لأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى غَيْرِهِ، كما يُؤَدِّي السُّلَّم الَّذي يُرْتَقَى عَلَيْهِ.

وقوله: ﴿كَتَبَ ربُّكُمْ عَلى نَفسِهِ الرَّحْمَـةَ أنه مَنْ عَمِـلَ مِنكُمْ سُوءاً بجهـالة ثم تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌرحيم﴾.

بفتحهما جميعاً، ويجوز أَن يكونَ «إنه ـ فإِنَّـه» بكسرهمـا جميعاً ويجـوز فتح الأُولى وكسر الثانية، ويجـوز كسر الأُولى وفتـح الثانيـة. فأمـا فتح الأُولى والثـانيـة فعلى أَن مـوضـع أن الأُولى نصب، المعنى: كتب ربكم على نفسـه الْمَغْفِـرَةَ، وهي بَدَلٌ مِنَ الـرَّحْمَةِ، كـأنه قـال: كتب رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الـرحمةَ وهي المغفرةُ للمذْنِبِينَ التائبين، لأن معنى أنه ﴿غفورٌرحيم﴾ المغفرة منه، ويجوز أَنْ تكـون الثـانيـة وقعت مؤكـدة لـلأُولى، لأن المعنى: كتب ربكم أَنَّـهُ﴿غَفُورٌ رحيم﴾ فلمـا طال الكـلام أُعيد ذكـر إنَّ. فأَمـا كسرهمـا جميعـاً فعلى مـذهب الحكاية[1]، كأَنَّه لما قال﴿ كتب رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِـهِ الرحمة﴾ قال: ﴿ إِنَّـهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سـوءاً بِجَهالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غفور رَحِيمٌ﴾ بالكسر.

(١) استئناف لتوضيح الجملة السابقة.

وجعلت الفاءُ جواباً للجزاءِ وكُسِرَتْ إنَّ دخلت على ابتداءٍ وخبرٍ، كأنك قلت فهو غفُورٌ رَحِيمٌ. إلا أَن الكلام بإنَّ أَوكدُ. وَمَنْ كسرَ الأُولَى فعل ما ذكرنا من الحكاية، وَإذا فتح الثانية مع كسر الأُولى. كان مَعناها المصدَرُ، والخبرُ محذُوفٌ. المعنى إِنَّه مَن عَمِل كذا وَكذا فمغفرةُ اللَّه له، ومن فتح الأُولى وكسرَ الثَّانِيةَ فالمعنى رَاجعٌ إلى المَصْدَرِ، وكأَنَّكَ لَم تَذْكُر إنّ الثانية، المعنى كتب ربكم على نفسه أنه غفورٌ رَحِيمٌ.

ومعنى ﴿كتب﴾ أوجَبَ ذَلِكَ إيجاباً مؤَكَّداً، وجائز أن يكون كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وإنما خوطب الخلقُ بما يعقلون، فهم يعقلون أنّ توكيد الشيء المؤَخّر إنما يحفظ بالكِتَابِ، ونحن نشرح ذلك في موضعه شرحاً أَوكد من هذا إنْ شَاءَ اللَّهُ.

ومعنى﴿يعملون السوءَ بجهاله﴾، أي ليس بأَنهم يجهلون أنَّه سُوء. لو أَتى المسلم ما يجهل أنه سوءٌ لكان كمن لم يتعمد سوءَاً، ولَم يُوقع سوءاً.

وقولك عمل فلان كذا وكذا بجهالة يحتمل أَمرين، فأَحَدُهما أنه عمله وهو جاهل بالمكروه فيه، أَي لم يعرف أن فيه مكروهاً، والآخر أَقدم عليه على بصيرة، وَعَلِمَ أَن عاقبته مكروهة، فآثر العَاجِلَ فجعل جاهلاً، فإنه آثر القليل على الراحة الكثيرة والعافية الدائمة.

فهذا معنى: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُم سُوءًا بِجَهَالَةٍ ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سبِيل المُجرمِين ﴾.

يقرأ بالتاءِ والياءِ، فمن قرأ بالتاءِ فلأَن السبيل الطريق، وَهُو يُذكّر ويؤنَّثُ، ويجوز وجه ثالث: ولتَستَبينَ سبيلَ المُجرِمِينَ - بنصب السبيل -، لأَن المعنى ولتستبين أَنت يا محمد سبيلَ المجرمين، فإن قال قائل أفلم يكن النبي ﷺ مُستبيناً سبِيلَ المجرمين، فالجواب في هذا أَن جميع ما يخاطب به

المؤْمنون يخاطب به النبي ﷺ. فكأنه قال ولتستبينوا المجرمين ، أي لتَزْدَادُوا استِبَانَةً لها، ولم يحتج أن يَقُولَ ولتَستبين سبيل المؤْمنين[1] مع ذكر سبيل المجرمين، لأن سبيل المجرمين إذا استبانت فقد بانت معها سبيل المؤْمنين، وجائز أن يكون المعنى: ولتستبين سبيلُ المجرمين ولتستبين سبيلُ المؤْمنين[2] . إلا أن الذكر[3] والخطاب ههنا في ذكر المجرمين فَذُكِرُوا وتُرِكَ ذِكر سبيل المؤْمنين، لأن في الكلام دَليلاً عليها كما قال عزّ وجلّ:﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾[4] ولم يقُلْ تقيكم البردَ، لأن الساترَ يَستُر منَ الحَرِ والبَردِ، ولكن جرى ذكر الحر لأنهم كانوا في مكانهم أكثرَ مُعَانَاةً له مِن البرد.

وقوله :﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

كانوا يعبدون الأصنام، وقالوا ﴿ما نعبدهم إلَّا لِيُقَرِّبُونَا إلى اللَّهِ زُلْفَى﴾[5]، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه لا يُعبَدُ غيرُه.

وقوله :﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُم﴾.

أَي إنما عَبَدْتُموهَا على طَرِيقِ الهَوَى لا على طريق البيِّنَةِ والبُرهان.

وقوله : ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذَنْ﴾.

معنى إذَن معنى الشرط، المعنى قَدْ ضَلَلْتُ إنْ عَبَدْتُها.

وقوله :﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

أي وما أنا من النبيين الذين سلكوا طريق الهدى[6]

وقوله :﴿قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾.

---

(١) ط المجرمين وهو خطأ.

(٢) أي معنى الآية ـ نفصل الآيات لتستبين كل من السبيلين.

(٣) سياق الحديث.

(٤) سورة النحل ـ ٨١.

(٥) سورة الزمر آية ٣.

(٦) أي إن اتبعت أهواءكم أكون ضالاً ولا أكون من المهتدين.

أي على أمرٍ بيّن، لا مُتبعٌ هَوًى.

﴿وَكَذَّبتُمْ بِهِ﴾ هـذه الهاءُ كنـاية عن البيـان[1]، أي وكذبتم بـالبيان، لأن البينة والبيان في معنى وَاحدٍ، ويكون ﴿وكذّبتم به﴾ أي بمـا أَتَيْتُكُمْ به، لأنـه هو البيان.

وقوله .﴿مَاعِنْدِي ما تَسْتَعْجِلون به﴾.

والذي استعجلوا به الآيات التي اقْتَرَحُوهَا عَليه. فأعلم ﷺ أن ذلك عند اللّه، فقال:

﴿إنِ الحكْمُ إلا للَّهِ يَقض الحَق وَهوَ خَيْر الفَاصِلِينَ﴾.

هذه كتبت ههنا بغير ياءٍ على اللفظ، لأن الياءَ أُسقطت لالتقـاءِ الساكنين كما كَتَبُوا. ﴿سَنَـدْعُ الزبَـانِيَةِ﴾[2] بغير واو. وقرئت:﴿يَقُصُّ الحقَّ﴾[3]، وقرأ ابن عبـاس «يقضي بـالحق»، إلا أَنَ القُـرَّاءَ لا يقـرأون «يقضي بـالحق» لمخـالفـة المصحف.

و«يقضي الحق» فيه وجهان: جائز أن يكون الحق صفة للمصـدر، المعنى يَقْضِي القَضَاءَ الحق، ويجوز أن يكـون يقضي الحق يَصنَع الحق، أي كـل ما صنَعَه عزّ وجلّ فهو حق وحِكمةٌ، إلا أنّ ﴿وَهُوَخَير الفَاصِلين﴾ يـدل على معنى القضاءِ الذي هو الحكم، فأما قضى في معنى صنع فمثله قول الهُذَلِيِّ.

وعليْهمـا مَسـرُورتـانِ قضـاهمـا داود، أو صَنَـع السَّـوابـغ تُبَّـعُ[4]

---

(١) الها في به.

(٢) سورة العلق آية ١٨.

(٣) وهي قراءة عاصم.

(٤) من عينية أبي ذؤيب الهذلي في رثاء بنيه الخمسة. انظر المفضلية ٧٨، وديوان الهذليين ١٩، واللسان (صنع)، والقرطبي ٢ ـ ٨٧ ـ ومواضع أخرى منه.

أي صنعهما داود، ومن قرأ ﴿يَقصُّ الحقَّ﴾ فمعناه أن جميع ما أَنبأ بـه وأمر به فهو من أَقاصيص الحق.

وقوله: ﴿وَعِنْدَه مَفَاتِيح الغَيبِ لَا يَعْلَمُها إلَّا هُوَ﴾.

معنى مفاتح الغيب، أَي عنده الوصلةُ إلى علمِ الغَيْبِ، وكل مَا لَا يُعْلم إذا اسْتُعلِمَ يقال فيه افتـحْ عَليَّ[1].

قوله: ﴿ويَعْلَمُ مَا فِي البرِّ وَالبَحْرِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلَّا يَعْلَمُهَا﴾.

المعنى: أنَّه يَعْلَمُها سَاقِطَة وثَابتَةً، وأَنْتَ تَقُول: مَا يجيئـك أَحدٌ إلا وأَنـا أَعْرِفه، فليس معناه إلا وأَنا أَعرفه في حال مَجيئه فقط.

ويجـوز ﴿ولا حبَّةٍ﴾ ويجـوز ولا حبَّةٌ. فمن رفـع فعلى ضربين، جـائـز أَنْ يكـونَ على معنى ما تسقط ورقـةٌ وَلَا حبـةٌ في ظلمـاتِ الأَرضِ ولا رَطبٌ وَلَا يَابسٌ ﴿إلا في كتَابٍ مبين﴾.

و ﴿في كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ههنا على معنيين يَتَصرَّف[2]، ويجوز أن يكون معنى ﴿فِي كِتَـابٍ مُبِينٍ﴾ أن يكون اللَّه أثبت ذلـك في كتـاب من قبـل أن يُخْلَقَ كمـا قال: ﴿مَا أَصَـابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأرضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إلَّا فِي كِتَـابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[3]، فأَعلم أنه قد أَثبت ما خلق من قبل خلقه.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾.

أَي يُنِيمُكَمْ فيتوَفى نفوسَكم التي بها تميزون كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿اللَّه يَتوفى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها والتي لم تمت في منامها﴾[4].

ومعنى: ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيه﴾.

---

(١) أي عرفني.
(٢) أي يجري الكلام فيه على وجهين.
(٣) سورة الحديد ـ ٢٢.
(٤) سورة الزمر آية ٤٢.

أي ينبهكم من نومكم فيه في النهار.

﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

أي يَبْعَثُكُمْ من نومكم إلى أَنْ تبلُغُوا آجالكمْ.

وقوله: ﴿وَهوَ القَاهِرُ فوقَ عِبَادِه وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

الحفظة الملائكة، واحِدُهم حَافِظٌ والجمع حَفَظَةٌ. مثل كاتِبٍ وَكَتَبَة، وفَاعِلٍ وفَعَلَة.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ المَوْتُ توفَّتْهُ رُسُلنَا﴾.

أي هؤلاءِ الحَفَظَةُ لِأَنه قَال: ﴿ويُرْسِلُ عليكمْ حَفَظَةً﴾.

﴿وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُون﴾.

أي لا يَغْفُلون ولا يَتَوانَوْنَ، ومعنى التفْريطِ في اللغَةِ، تقدمة العجز، فالمعنى أنهم لا يعجزون.

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِن ظُلُمَاتِ البَرِّ والبَحْرِ﴾.

يجوز في القراءَة يُنْجِيكم بالتخفيف. لقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجيتنَا﴾[1]. و ﴿لئن أَنْجَانا﴾[2] والأَجود يُنَجيكُمْ بالتشْدِيد للكَثْرةِ.

ومعنى ﴿ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾ شَدَائِد البَرِّ والبَحْرِ، والعَرَبُ تَقول لِليوم الذي تلقى فيه شِدَّةً يَوْمٌ مُظْلِم، حتى إنهم يقولون يوم ذُو كواكب أي قد اشْتَدتْ ظُلْمَتُه حتى صَارَ كالليل، قال الشاعر[3].

---

(١) سورة يونس ـ ٢٢.

(٢) سورة الأنعام ـ ٦٣.

(٣) في شواهد الكشاف الشطر الثاني هو: إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعا ـ وقال الشيخ المرزوقي أن الاستفهام للوعيد أو للتقرير. وقدر اسم كان محذوفاً أي إذا كان اليوم يوماً، أو هو ضمير يعود

بني أَسَدٍ هل تعلمون بلاءَنا   إذا كان يومٌ ذو كواكبَ أَشْهب

وأنشدوا:

فِدًى لبني ذُهْلِ بنِ شيبان ناقتي   إذا كان يوماً ذا كواكب أشنعَا[1]

معنى: ﴿ظلمات البر والبحر﴾ شدائدهما.

وقوله: ﴿تَدْعُونَه تَضَرُّعاً وخُفْيَةً﴾.

بالضم والكسر في «خُفْية»، والمعنى تدعونه مُظْهِرين الضَّراعةَ، وهي شدة الفَقْر إلى الشَّيءِ والحَاجة، وتدعُونَه خُفيةً أي تدعونه في أنفسكم تُضْمِرُون في فقركم وحاجاتكم إليه كما تضمرون.

وقوله: ﴿لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هذِه لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرينَ﴾.

أي في أيِّ شدة وقَعتم قُلْتُم: لئِن أنجيتنا مِنْ هَذِه لنكونَنَّ مِنَ الشَّاكِرينَ.

فأَمَر الله عزّ وجلّ - أَنْ يسألهم على جهة التوبيخ لهم والتقرير بأنه ينجيهم ثُمَّ هُمْ يُشركُون مَعه الأَصنامَ التي عَلِمُوا أَنَّهَا مِن صَنْعَتِهِمْ، أنها لا تنفع ولا تضر، وأنه قادر على تعذيبهم فقال: ﴿قلْ هوَ القَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمَ عَذَاباً مِنْ فَوقِكُمْ﴾.

نحو الحجارة التي أَمْطَرَهَا على قومِ لُوط، ونحو الطوفان الَّذي غرَّقَ به قَومَ فِرعَوْن.

﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُم﴾.

= على البلاء - وكنى بالكواكب عن ظلمة اليوم أو عن السيوف - والظلمة تنشأ من الغبار. والبيت من شواهد سيبويه. والمراد أظلم حتى ظهرت الكواكب.

(١) لم أقف على قائله.

نحو الخسف الذي نال قارُون ومَن خسِف بِهِ.

﴿أو يَلبِسَكُم شِيعَاً﴾.

معنى ﴿يَلبِسَكُم﴾ يخلط أمَركم خَلْطَ اضطراب، لا خلط اتفاق يقال لبَسْتُ الأمر ألْبِسُه لم أبيّنه، وخلطت بعضه بِبَعض ويقال: لبِستُ الثوبَ ألْبَسُه.

ومعنى شِيعاً: أي يجْعَلكم فِرَقاً، لا تكونون شيعة وَاحدةً فإذا كنتم مختلفين قاتل بعضكم بعضاً، وهو معنى قوله ﴿ويذِيق بعضَكم بأْسَ بَعض﴾.

ويروى أن النبي ﷺ سأل اللَّه جلّ وعزّ ألَّا يَبْتَلِيَ هذه الأُمة بعذاب يَستأْصِلُها به، وَألَّا يُذيق بعضها بأْسَ بَعض، فأَجابَه في صرف العذاب، ولم يُجِبْهُ في ألا يذيق بعضها بأْسَ بعض وأن لا تختلف.

﴿وكذَّبَ بِه قوْمُك وَهُوَ الْحَقُّ قل لستُ عَلَيْكم بِوَكيلٍ﴾.

أي إنما أدعوكم إلى اللَّه وإلى شريعته، ولم أُومَر بحربكم ولا أخذكم بالإيمان كما يؤخذ الموكل بالشّيءِ يُلزمُ بُلُوغ آخره.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لِكُلِّ نبأ مسْتَقَرٌّ﴾.

أي لأخذكم بالايمان على جهةِ الحَرْب، واضْطِرَارِكم إليهِ ومُقَاتلتكم عَليه، مُسْتقرٌّ، أي وَقْتٌ.

﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُون﴾.

جائز أن يكون وعدهم بعذاب الآخرة، وجائز أن يكون وعدهم بالحربِ، وأخذهم بالإيمان شاءُوا أو أَبَوْا، إلَّا أنْ يُعْطِيَ أَهْلُ الكِتاب الجزية(١).

---

(١) أي يأخذهم بالحرب حتى يعطوا الجزية أو يسلموا.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِين يَتَّقُون مِنَ حِسَابِهِم مِن شيءٍ ولكِن ذِكْرَى﴾.

أي وما عليك أيُّها النبي وعلى المؤْمنين من حسابهم أي من كفرهم، ومُخالفتِهم أمرَ اللَّهِ.

﴿وَلَكِنْ ذِكْرَى﴾.

أي ولكن عليكم أن تُذكِّرُوهُم.

وذكرى يجوز أن يكون في موضع رفع ونصب، فمن نصب فالمعنى ولكن ذكرُوهم ذِكْرَى، ومن رفع فعلى وجهين، أحدُهما ولكن عليكم أن تُذَكِّرُوهم[1]، كما قال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا البلاغ﴾[2]. وجائز أن يكون: ولكن الذين تأمرون به ذكرى[3].

﴿لعَلَّهُمْ يَتَّقُون﴾.

أيْ لِتُرجَى مِنْهم التَّقْوى.

وقوله: ﴿وَذَكِّر به أن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَت﴾.

معنى تُبْسل - بِعَمَلِهَا [تكون] غير قادرة على التخلُّص، والمُسْتَبْسِلُ المُسْتَسْلِمُ الذي يعلم أنه لَا يقدرُ عَلى التخلُّص، قال الشاعر:[4]

وَإِبْسَالي بَنِيّ بغير جُرْمٍ بَعَونَاهُ وَلا بِدَمٍ مُراقِ

أي إسلامي إيَّاهُم، وقيل «أَنْ تُبْسَل» تَرْهَنَ، والمعنى واحدٌ ويقال أَسدٌ

---

(١) أي في عنقكم تذكيرهم - فهي مفعول مطلق.

(٢) الشورى ٤٨.

(٣) أي هي خبر لمبتدأ محذوف.

(٤) لعوف بن الأحوص الباهلي - كان أسلم أبناءه لرجل من بني قشير رهينة في دم رجل منهم ثم ندم على ذلك - وبعوناه - بالعين المهملة أي جنيناه - أي انه أسلمهم من غير أن يكون هو أو أحد منهم ارتكب جريمة - انظر شواهد الكشاف ٨٣.

بَاسِل، وشُجَاعٌ بَاسِـلٌ، وتأْويلُه أَن معـه من الإقْدام ِ مـا يستبسل[1] لـه قِرنُـه. ويُقَالُ هذا بَسْلٌ عَلَيْكَ أي حَرامٌ عَليك فجائز أن يكون أَسَدٌ بَاسِلٌ من هذا، أي لا يُقْدَرُ عَلَيه، ويقـال أعط الرَّافِيَ بسلَتَـه، أي أُجرَتَـهُ، وإنما تـأْويله أنه عمـل الشيءَ الذي قد استبسل صَاحِبُه معه.

وقوله: ﴿ونُردعَلى أعقابِنَا بَعدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

أي نـرجع إلى الكفـر، ويقال لكـل من أُدبَرَ قَـدْ رَجَعَ إلى خلف ورَجَـعَ القَهْقَرى.

وقوله: ﴿كَالذِي استَهْوَتْه الشيَاطِينُ فِي الأَرض ِ﴾.

أي كالذي زَينَتْ له الشَّياطِين هواه[2].

وقوله: ﴿حَيرَانَ﴾.

منصوب على الحال، أي كالذي إستهوته فِي حَال ِ حَيرتِه.

وقوله: ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَه إِلَى الهُدَى﴾.

قيل في التَّفْسِيرِ يُعنى بهذا عبد الـرحمن بن أَبي بكر، ﴿إئْتِنا﴾ أي تابِعنا في إيماننا.

﴿وأَمِرنا لِنُسلِمَ لِربِّ العَالَمِين﴾.

أي يدعونه ويقولون له ﴿أمِرنا لنُسلِمَ لربِّ العَالمِين﴾. العـرب تقول أَمَـرْتُك بأَنْ تفْعل، وأَمَرتُك لِتفْعَل، وَأَمَرْتُك بأَنْ تَفْعَلَ، فمن قال أَمَرتُك بأن تفعَل فالباءُ لـلإلصاق، المعنى وقـع الأَمر بهـذا الفِعل ِ، ومن قـال أَمَرتُـك أَنْ تفعل فعلى حـذف الباءِ، ومن قـال أمرتـك لتفعَل فقـد أَخبر بـالعِلَّةِ التي لها وقـع الأَمـر. المعنى أمِرْنا للإِسلام.

(١) يستسلم.

(٢) ملكت عليه هواه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلاة﴾.

فيه وجهان أحدهما أن تكون أمرنا لأن نسلم ولأَنْ نُقيم الصلاة ويجوز أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى أُمِرنا بالإِسْلَامِ. وبإقامة الصلاة، ومَوضِع أَنْ نصبٌ، لأن الباءَ لما سقطت أَفْضَى الفعل فنصب. وفيه وجه آخر، يجوز أن يكون محمولاًعلى قوله: ﴿يَدْعُونه إلى الهُدى آئْتِنا﴾ ﴿وأن أَقيمواالصلاة﴾. أي ويدعونه أن أقيموا الصلاة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فيكُون﴾.

نصب «يوم» على وَجهين، أحدهما على معنى واتَّقُوهُ ويَوْمَ [يَقُولُ] فيكون نسقاً على الهاءِ، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَاتَّقُوا يوْماً لا تجزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾(١) والأَجوَد أن يكون على معنى وأذكر يقول كن فيكون، لأن بعده.. ﴿وإِذْ قال إِبْرَاهِيمُ لِأَبيهِ آذَرَ﴾ وفيه وجه ثالث وهو العطف(٢) على السموات والأرض. المعنى وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق وخلق يوم يقول كن فيكون.

فإن قال قائل: إنَّ يوْم القِيَامَةِ لم يَأْتِ بَعْدُ. فإن مَا أَنبأنا(٣) اللَّه بكونه فحقيقته واقع لا محالة.

وقوله: ﴿كُنْ فَيكُون﴾.

قال بعضهم: المخاطبة ههنا للصُّورِ المعنى ويوم يقول للصور كن فيكون، وما ذكر من الصور يدل عليه.

وقيل إنَّ قولَه «كن» فيه أَسماءُ جميع ما يخلق في ذلك الوقت المعنى:

---

(١) سورة البقرة آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) ط المعطوف.

(٣) جواب الشرط ـ أي إن قال فإجابته أن ما أنبأنا به.

«وَيَوْمَ يَقُولُ للشَّيءِ كُن فيكونُ» وهذا ذُكِرَ لِيَدل على سرعة أَمر البَعْثِ والسَّاعة، كأنه قال: ويوم يقـول للخلق مُوتـوا فيموتُـون وانْتَشِرُوا فينْتَشِـرُون. كأنَّـه يَأْمُـر الحيَاة فتكون فيهم، والموت فيحلْ أَوَّلاً يفنى جميع الخلْقِ.

وقيل ﴿ويوم يقول: كُنْ فَيَكُون﴾ ﴿قولُهُ﴾ أي يأْمر فيقع أَمْرُه، و﴿الحقُّ﴾ من نعتِ ﴿قوْله﴾[1] كما تقول: قد قلت فكانَ[2] قولك، فالمعنى ليس أَنك قلت فكـان الكلام، إنما المعنى أَنّـه كان مـا دَلَّ عليه القـول. وعلى القول الأَول قـد رُفِعَ ﴿قوله﴾ بالابتداءِ و﴿الحق﴾ خبر الابتداءِ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

يجوز أَن يكون نصب «يوم» على ﴿وَلَهُ المُلْكُ يَـوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّـورِ﴾ مُبَيِّناً عن قوله: ﴿يوم يقول: كن فيكون﴾، ويجوز أَن يكـون منصوبـاً بقولـه ﴿الحق﴾، المعنى و﴿قَوْله الحقُّ يَوْمَ يُنفخُ في الصُّورِ﴾، فإن قـال قائـل: للّه الملك في كل وقت، فلم خُصَّ يَوْمُ القِيامة، ويَوم ينفـخُ في الصُّورِ.؟ فـالجواب في هـذا أَنه في اليوم الذي لا يظهر فيـه من أَحدٍ نفـع لأحدٍ ولا ضَـرٌّ. كما قـال: ﴿والأمر يَوْمَئِذٍ للّه﴾[3] والأمر في كل وقت للّه جلّ وعزّ.

وقالوا في الصُّورِ قولَيْن: قيل في التفسير: إن الصُّورَ اسمٌ لقَرْنٍ يُنفخُ فِيهِ وقيل: الصور جمع صورة[4]، وكلاهما جائز، وأَثبتُها في الحديث والـرواية أَن الصور قرنٌ، والصور جمع صورة: أَهل اللغة على هذا[5].

---

(١) أي يوم يقول كن فيحدث قوله الحق الذي لا يتخلف.

(٢) ط مكان. ويوم يأمر فيحدث أمره الحق.

(٣) سورة الانفطار ١٩.

(٤) لم يقله أحد «قبل أبي عبيدة، ولم يجر الناس على رأيه. لوجود مـا يعارض مثـل﴿فإذا نقر في الناقور﴾.

(٥) إسم جنس جمعي لصورة، أي ينفح في صور الآدميين.

وقوله: ﴿وإذْقَالَ إبرَاهِيم لأَبِيهِ آذَرَ﴾.

بالنصب والضم، فمن قرأ بالضم فعلى النداءِ[1]، المعنى يا آذَر أتَتَخِذ أصناماً آلهةً. وليس بين النسَّابِيَن خِلافٌ أن اسم أَبي إبراهيم «تارِح» والذي في القرآن يَدُل على أَن: اسمه آذرُ، وقيل آذرُ عندهم ذَمٌّ في لُغتِهم، كأنه: وَإذ قال إبراهيم لأَبيهِ يا مخطىء أتتَّخِذُ أَصناماً. وَإذا كان كذلك فالاختيار الرَّفعُ. وجائز أَن يكون وصفاً له، كأَنه قال: وإذ قال إبراهيمُ لأَبِيهِ المخطئ، وقيل آذرُ اسمُ صنم، فإذا كان اسم صَنمٍ فموضعُه نصبٌ على إضمار الفِعْلِ كأَنه قال وإذ قال إبراهيم لأبيه أَتتخِذُ آذرَ إلهاً؟ أَتتخذ أَصناماً آلهة؟.

وقوله عزّ وجل: ﴿وكذلِك نُري إبرَاهِيم مَلكُوت السَّموات والأَرضِ﴾.

أي وَمِثلُ مَا وصَفْنا من قِصَّةِ إبراهيم من قوله لأَبيه ما قال نُريه ملكوت السمواتِ والأَرضِ، أي القدرة التي تقوى بها دلالته على توحيد اللَّه جلّ وعزّ. وتقول في الكلام لِمَن فعل بك خيراً أَو شراً كذلك أَجزيك.

ومعنى قوله: ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ﴾.

أي نريه ملكوت السموات والأَرض لما فعل، وليَثبُت على اليقين، والملكُوت بمنزلة الملك، إلا أَن الملكوت أَبلغ في اللغة من الملك، لأَن الواو والتاءَ تزادان للمبالغة، ومثل الملكوت الرَّغبُوت، والرَّهَبُوت، وَوَزْنه من الفعل فَعَلُوت وفي المثل رَهَبُوتي خَيْرٌ مِنْ رَغبُوتي، وهذا كقولهم، أَو فرقاً خيراً من حُبٍّ، وَمن روَى رَهَبُوتِي خيرٌ من رحموتِي فمعنى صحيح[2]. يحقق من اللسان أَن تكون له هيبة ترهب بها خير من أَن يُرْحَم.

---

(١) الضم في «آذر» ـ أي وإذ قال إبراهيم لأبيه: يا آذر.

(٢) رهبوتي أو رهبوت خير من رحموت، أي لأن يرهبك الناس خير من أن يرحموك ـ أو لأن يرهبوك خير من أن يرغبوا أي يطمعوا فيك. وجملة «فرق خير من حب» بهذا المعنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فلمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَيْلُ رَأَى كَوْكَباً﴾.

يقال جَنَّ عليه الليلُ وأَجَنَّه الليلُ إذا أَظلمَ حَتَّى يَستتِر بظلمته ويقال لكل ما سَتَر قَدْ جَنَّ، وقد أَجَنَّ، ويقال جَنَّه الليلُ، ولكن الاختيار جَنَّ عليه الليل وأَجَنَّه الليلُ.

وقيل إنَّ قومَ إبراهيم كانوا يعبدون الأَصنامَ والشمسَ والقمرَ والكواكِبَ[1]، فلما بلغ إبراهيم المبلغ الذي يجب معه النظر، وتجب به على العبد الحجة، نظر في الأَشياءِ التي كان[2] يَعبُدُها قومُه فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه، قال لهم هذا رَبِّى أي فى زعمكم، كما قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿أَيْنَ شركائي الذين كنتم تزعمون﴾[3] فأَضافهم إلى نفسه حكايةً لقولهم.

﴿فلمَّا أَفَلَ﴾.

أي فلما غاب، يقال أَفَلَ النَّجمُ يأْفِل ويَأْفُلُ أُفولاً، إذا غَابَ:

﴿قال لا أُحِبُّ الآفِلين﴾.

أي لا أُحب من كانت حالته أن يطلع ويَسِير على هيئةٍ يُتبيَّن معها أنه محدَثٌ منتقل من مكان إلى مكان، كما يَفْعَلُ سائرُ الأَشياءِ التي أَجمعتم معي على أنها ليست بآلهة، أَي لا أَتخِذُ ما هذه حالُه إلٰهاً، كما أَنكم لا تتخذون كلَّ ما جرى مجرى هذا من سائر الأَشياءِ آلِهة، ليس أنه جعل الحجة عليهم أَنَّ ما غاب ليس بإِله، لأَن السماءَ والأَرض ظاهرتان غيرُ غائِبَتَيْنِ وليس يُدَّعَى فيهما هذه الدعْوَى. وإنما أَرادَ التَّبيين لهم القريب[4]، لأَن غَيْبُوبَتهُ أَقْربُ ما

---

(١) ط ـ والكوكب، أي كوكباً معيناً كانوا يعبدونه.

(٢) في الأصل كانوا.

(٣) سورة القصص آية: ٦٢.

(٤) الأولى أن يكون التعبير أراد التبين القريب لهم.

نناظرون به فيما يظهر لهم، كما قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشمسِ مِنَ المَشْرِق فَأْتِ بِهَا مِن المَغْرِبِ﴾(١).

وقد قيل إنه قال هذا وهو ينظر لِنفْسِه، فكأنه على هذا القول بمنزلة قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى﴾(٢). وإبراهيم قد أنبأ اللَّهُ عنه بقوله(٣)، ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّه بِقلْبٍ سَلِيمٍ﴾(٤)، فلاشك أنه سلِيمٌ من أن يكون الشك دَخَلَه في أمر اللَّه. واللَّه أعلم.

وجائز أن يكون على إضمار القول، كأنه قال: ﴿فلمَّا جَنَّ عَلَيْه اللَّيلُ رَأَى كَوْكباً قالَ هَذا رَبِّى﴾، كأنَّه قال: تَقُولُون هذا ربي، أي أنتم تقولون هذا رَبِّي، كما قال جلَّ وعزّ: ﴿وَإِذ يَرْفعُ إِبْراهيمُ القَواعدَ مِنَ البَيْتِ وإِسمَاعِيلَ رَبَّنا تَقَبَّل مِنَّا﴾(٥).

المعنى يقولان تقبل منا. واللَّه أعلم بحقيقة هذا.

والذي عندي في هذا القول أنه قال لهم: تَقُولونَ هذا رَبِّي، أي هذا يُدَبِّرني، لأنه فيما يُرْوَى أنهم كانوا أصحاب نجوم، فاحتج عليهم بأن الذي تزعمون أنه مُدَبِّرٌ إنما يرى فيه أثر مُدَبِّر لا غير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَما رَأى الشَّمسَ بَازِغَةً﴾ و.. ﴿ فَلمَّا رأى القَمَرَ بازغاً﴾.

يقال قد بَزَغَ القمرُ إذا ابتدأ في الطلوع، وكذلك الشمس. والحجة في الشمس والقمر كالحجة في الكوكب.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) سورة الضحى: ٧ ـ أي انه كان حائراً ثم اهتدى.

(٣) هذا تفنيد للقول السابق ـ وفي ط بأنه قال.

(٤) سورة الصافات آية: ٨٤.

(٥) سورة البقرة: ١٢٧ ـ أي قائلين ذلك.

واحتج الذين قالوا انه قال ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على وجه الظن والتفكُّر بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِينَ﴾.

وهذا لا يوجب ذلك. لأن الأنبياءَ تسأل اللَّه أن يُثَبِّتَهَا على الهدى وتعلم أنه لولا هدايَة اللَّه ما اهتَدَتْ، وإبراهيم يقول: ﴿واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾(1).

وقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْت وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطر السَّمَوات والأَرْض حَنِيفاً﴾أي مَائِلاً إلى الإسلام ميلاً لا رجوع مَعَهُ، والحنف أن يكون في القدم ميل، وهو أن تميل إبهام القدم إلى إبهام القدم، فتقبل هذه القدمُ على هذِه القَدم، ويكون ذلك خِلْقَةً. والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت فيه.

ومعنى ﴿وَجَّهْتَ[وَجْهِيَ]﴾ أي جعلت قصدي بعبادتي توحيدي اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله جلّ وعلا: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾.

المعنى حَاجُّوه في اللَّه، فقال: ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾.

ومحاجّتهم إياه كانت - واللَّه أعلم - فيما عبَدُوا مع اللَّه عزّ وجلّ من الكواكب والشمس والقمر والأصنام، فقال: ﴿أَتُحاجُّونِّي في اللَّهِ﴾.

أي في توحيد اللَّه.

﴿وَقَدْ هَدَانِي﴾.

وقد بيّن لي ما به اهتديت.

﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾.

أي هذه الأشياء التي تعبدُونها لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولا أخافها.

﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شيئاً﴾.

---

(1) سورة إبراهيم اية: ٣٥.

إلا أن يشاءَ أن يعذِّبني بذَنْبٍ إن كان مني. وموضعُ «أن» نَصْبٌ، أي لا أخاف إلا مشيئة اللّٰه.

﴿وكيْفَ أخَافُ ما أشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخافُونَ أنكُمْ أشْرَكْتم بـاللّٰهِ مَا لَم يُنَزِّل بِهِ عليكم سُلْطاناً﴾.

أي ولا تخافون أنتم شِرْكَكُمْ باللّٰه مـا لم[1] يُنزِّلْ بِهِ عليكم سلطاناً، أي حُجَّةً بَيِّنَةً.

﴿فَأَيُّ الفَريقَينِ أَحَقُّ بالأَمْنِ﴾.

أيْ أَحَقُّ بأن يأْمَنَ من العذاب، المُوحِّد أم المُشْرك وقوله: ﴿الذِينَ آمَنُوا وَلَم يَلْبِسُوا إيمَانهمْ بِظُلْم، أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ﴾.

قالوا جائز أن يكـون هذا قـول اللّٰه ﴿أُولئِكَ لَهم الأَمْنَ﴾ غيـر حكايـة عن إبراهيم، وجائز أن يكون إبراهيم قال ذلك.

وقوله: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَن﴾.

داود وسليمان نسق على نوح، كأنه قال: وهدينا داود وسليمان وجائز أن يكون من ذرية نوح، وجائز أن يكون من ذرِّيَّة إبرَاهِيمَ، لأَنَّ ذِكْرَهُما جميعاً قد جرى. ، وأسماء الأنبياء التي جاءَت بعـد قولـه: ﴿وَنُوحاً هَدَيْنـا مِنْ قَبْلُ﴾ نسق على نوح، إلا أن الْيَسَع يُقَال فيه اللَّيْسَع واليَسَعَ، بتشديد اللام وتخفيفها.

وقوله: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَإِخوَانِهِمْ﴾.

أي هدينا هؤُلاءِ، وهدينا بعض آبائهم وَإِخْوَانِهِمْ.

ومعنى قوله: ﴿وَاجْتَبَيْناهُمْ﴾.

مثل اخترناهم، وهو مأْخوذ من جبيت الماءَ في الحوْضِ إذا جمعته.

---

(١) أي إشراككم مخلوقاً لم ينزل به حجة.

وقوله: ﴿ فَإِنْ يَكفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ ﴾.

[أي] الذين قد كفَروا، ويكفرون، مِمَّن أرسلت إليه.

﴿فَقَدْ وَكَّلْنا بها قَوْماً لَيْسُوا بهَا بكافرين ﴾.

أي قد وَكَّلْنـا بالإِيمان بها، وَقِيلَ في هذه ثلاثة أَقْوال.

قيل يعني بذلك الأَنبياءَ الـذين جرى ذكـرهم آمنوا بمـا أتى به النبي ﷺ في وقت مَبعثِهم، وقيـل يعني به المـلائكة، وقيـل أيضـاً يعني بـه مَنْ آمَنَ مِنْ أَصحاب النبي وأتباعـه، وهو واللَّه أعلم يعني بـه الأَنبياءَ الـذين تقدمـوا لقولـه تبارك وتعالى:

﴿أُولئَكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّه فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ﴾.

أي الأنبياء الذين ذكرناهُمُ الذين هدى اللَّه فبهداهم اقتده أي إصْبِـرْ كَمَا صَبَرُوا، فإن قومهم قد كذبوهم فصبروا على ما كذبوا وَأُوذُوا، فاقْتَدِ بِهِمْ.

وهـذه الهـاء الَّتي في «اقتَـدِهْ» إنمـا تثبت في الـوقف، تبين بهـا كسـرة الدال، فإن وَصَلْتَ قلتَ «اقتدِ»[١] ﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ﴾.

قال أَبو إسحق: والذي آختارَ من أَثِقُ بعلمـه أَن يُوقَف عنـد هذه الهـاء، وكذلك في قوله﴿هَاؤُمُ اقْرأُوا كِتابِيَـهْ﴾[٢] و ﴿[إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُـلاقٍ] حسابيَـهْ﴾ وكـذلك ﴿لم يَتَسنَّـه﴾[٣] وكذلـك ﴿وما أَدْراكَ مـا هيهْ﴾[٤] وقـد بينا مـا[٥] في «يتسنّه» في سورة البقرة.

وقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ عَلى بَشَر مِنْ شيءٍ﴾.

(١) هاء السكت ـ وهي جائزة هنا.

(٢) سورة الحاقة: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة البقرة آية: ٢٥٩.

(٤) سورة القارعة آية: ١٠.

(٥) جـ ١، ص ٢٤٣ ـ الآية ﴿فانظر إلى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّهْ﴾.

معناه ما عظَّموا اللَّه حقَّ عَظَمَته إذ جحدوا تنزيله، وذلك أن جماعة من اليهود - من منافقيهم - جاءُوا وهم يعاندون النبي ﷺ يجادلونه ويصُدُّون عنه، وكان سِمَتُهم سِمَةَ الأَحْبَارِ، وكانوا يتنعَّمُونَ ولا يتعبدونَ، فأَعلمهم النبي ﷺ أن في التوراة أن اللَّه جلَّ وعزّ لا يحب الحَبْرَ السَّمِين، فجحدوا التوراة، وقالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّه عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ به مُوسَى نوراً وَهُدًى للنَّاسِ تَجْعَلُونَه قَرَاطِيسَ تُبْدُونها وَتُخْفونَ كثِيراً﴾.

يُظهرون ما يُحبون من ذلك ويُخفون كثيراً.

﴿وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾.

أي عُلِّمتمُ على لسان محمد ﷺ ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ ولا آباؤُكُمْ قُلْ اللَّه ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقال لكل من كان في عمل لا يجدي إنما أَنت لاعب.

وقوله: ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَها﴾.

تقرأ بالتاء والياء جميعاً في ﴿لِتُنْذِرَ﴾ المعنى أنزلناه للبركة والإنذار، ومعنى أُم القرى أي أَهل أُم القرى، و «مَنْ حَوْلَهَا» عطف عليهم[1]، وأُم القرى مكة سميت أُمَّ القُرى لأَنها كانت أَعظم القرى شأْناً.

وقوله: ﴿ومَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْترى عَلى اللَّهِ كَذباً، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إليَّ وَلَمْ يُوحَ إلَيْه شَيءٌ﴾.

جاءَ في التفسير أَنه يعني به مسيلمة، وَصَاحِبَ صَنْعَاءَ، لأَنهما ادعيا النبوة.

---

(١) أي عطف على أهل أم القرى. . وهو ناظر للمعنى.

﴿ومن قال سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾.

موضع «من» جرٌّ. المعنى: ومن أظلم ممن افترى ومن قال سَأُنزِلُ مثل ما أنزل اللَّه، وهذا جواب لقولهم: لو نشاءُ لقلنا مِثْلَ هَذَا.

وقوله: ﴿ولوْ ترىَ إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ المَوْتِ﴾.

جواب «لو» محذوف، المعنى: ولو ترى إذ الظالمون فِي غَمَرات المَوْتِ لرأيت عذاباً عظيماً، ويقال لكل من كان في شيءٍ كثير: قد غَمرَ فُلاناً ذلك، ويقال قد غمر فُلَاناً الدَّيْنُ، تأْويله: قد كثر فصار فيما يعلم بمنزلة ما يُبْصَرُ قَدْ غَمَرَ وَغَطَّى من كثرتِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾.

(أي) عليهم بالعذاب.

ومعنى.... ﴿أَخرِجُوا أَنْفَسَكُمْ﴾.

فيه وجهان - اللَّه أعلم -.

يقولون ﴿أخرجوا أنفسكم﴾: فجائز أن يكون كما تقول للذي تعذِّبهُ لأُزْهقَنَّ نفسك، ولأُخرجَنَّ نَفْسك - فهم يقولون - واللَّه أعلم.

أخرجوا [أَنفسكم] على هذا المعنى[1].

وجائز أن يكون المعنى خلِّصُوا أَنفسكم. أي لستم تقدرون على الخلاص[2].

﴿اليَوْم تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ﴾.

أي العذاب الذي يقع به العذاب الشديد..

---

(١) أي ذوقوا العذاب ولتزهق أنفسكم أي موتوا.

(٢) هو أمر للتحدي، أي لستم قادرين على إخراج أنفسكم.

وقـوله تعـالى : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُـرَادَى كَمَا خلَقْنَـاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أَمَّا معنى «فرادى» فكل وَاحِدٍ مُنْفَرِدٌ مِن شريكه في الغَيِّ وشَقِيقِهِ[1].

ومعنى : ﴿ كَمَا خلقْناكُمْ أَولَ مَرَّةٍ ﴾.

جـاءَ في التَّفْسِير: عُـرَاةً غُـرْلاً، والغُـرْلُ هُمُ الغُلْف[2]. والـذي تحتمله اللُّغة أيضاً. كما بدأْناكم أول مَرَّةٍ، أي كان بعثكم كخلقكم.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾.

الرفع أجود، ومعناه لقد تقطع وصْلُكم. والنصب جائز.

المعنى : لقد تقطع ما كنتم فيه من الشركة بينكم.

وقوله :﴿ إنَّ اللَّه فَالِقُ الحَبِّ والنَّوَى﴾.

أي يشق الحبة اليابسة الميتة والنـواة اليابسـة فيُخْرِجُ مِنهـا ورقاً أخضَـر، وهو معنى، ﴿يُخْرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾.

أي يخـرج النبات الغضَّ الـطرِيَّ الخَضِـرَ من الحب اليـابس، ﴿ومُخْـرِجُ المَيِّتَ مِن الحَيِّ﴾.

ويخرج الحب اليابس من النَبات الحيّ النَّامي.

احتج اللَّه جلّ ثناؤه عليهم بما يُشَـاهدُونَ من خَلْقِـه لأنَّهم أنكرُوا البعث فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياءَ وأنه قادر على بعثهم.

وقوله : ﴿فَأَنَّى تُؤْفكونَ﴾.

أي فمن أين تصرفونَ عن الحقِّ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾.

---

(١) منفرد من شريكه وشقيقه.

(٢) جمع أغلف ـ الذي لم يختن.

مَعنى الإصباح والصبح واحد، جائز أن يكون خـالِقُ الإصباح وجـائز أن يكون معناه شاقُّ الصبح، وهو راجع إلى معنى خالق الصبح.

وقوله: ﴿وَالشَّمْس والقَمَرَ حُسْبَاناً﴾.

النصب في الشمس والقَمر هي القراءَة. والجر جائز على معنى وجاعـل ﴿الشمس والقمرحسباناً﴾، لأن في جاعـل معنى جَعَلَ، وبه نصبتَ ﴿سكناً﴾ ولا يجوز جَاعِلُ اللَّيلُ[1] سكناً، لأن أسماءَ الفاعلين إذا كان الفعـل قد رفـع أُضيفت إلى ما بعدها لاَغَيْـر تقول هذا ضارِبَ زَيْدٍ أَمْسِ.

فـإجمـاع النحـويين أنـه لا يجـوز في زيـد النَّصْب، وعلى ذلــك أكثـر الكـوفيين، وبعض الكوفيين يجيـز النَّصْبَ. فإذا قلت هـذا مُعْطِي زَيْـدٍ درهمـاً فنصب الدِّرْهَمَ محمول على أعطى.

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُستَقرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾.

الأكثر في القراءَة «مُسْتَقَـر» بفتح القاف، وقد قرئت بكسرها و﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ بـالفتـح لا غيـر. وأمـا رفـع مستقـرٌّ ومستــودعٌ فعلى معنى لكم مستقرٌّ ولكم مستـودعٌ، ومن قرأ بـالكسر، فمستقـرٌّ ومُسْتَـوْدَع فعلى[2] معنى فمنكم مستقرٌّ ومنكم مستـودَعٌ. وتـأويـل مستقـر أي مستقرّ في الرحم ومستــودَع أي منكم مستودع في أصلاب الرجال، وعلى هذا أيضاً فمستَقَرٌّ بفتح القاف، ومستودَعٌ، أي فلكم مستَقَـرٌّ ولكم في الأصلاب مستـودَعٌ[3] وجـائـز أن يكـون فمستقِـرٌّ - بالكسر - ومستـودَع [أي] فمنكم مستقر في الأحيـاءِ ومنكم مستودَع أي مستقـر في الـدنيا مـوجود، ومستـودَع في الأصلاب لم يخلق بَعْـدُ. وجائـز أن يكـون

---

(١) لا يجوز رفع الليل على أنه فاعل.

(٢) في الأصل على بدون فاء.

(٣) مصدر ميمي أو اسم مكان..

فمستقِرٌّ بـالكسـر، ومستـودَعٌ فمنكم مستقـر في الأحيـاءِ ومنكم مستــودع في الثَّرى.

وهذه الأقوال كلها قد قبلت والله أعلم بحقيقة ذلك

وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً﴾.

قـال أهل اللغـة أصل كلمـة[1] ماء مـاه إلَّا أن الهمزة أبـدلت من الهـاءِ لِخفَاءِ الهاءِ، والدليل على ذلك قولهم أمواه في جمعه، ومياه، ويصَغَّر مُـوَيْه، قال الشاعر:

سقى الله أمـواهاً عـرفت مكانهـا جُـرَاباً وملكـوماً وبـذَّرَ والغَمْـرَ[2]

وقوله: ﴿فأَخْرَجْنا منه خَضِراً﴾ معنى خَضِر كمعنى أَخْضَر، يقال اخْضـر فهو أخضر وخضِر، مِثل اعورَّ فهو أعْوَر وعَوِر.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنوانٌ دَانِيَةٌ﴾.

[قِنْوانٌ] جمع قِنْو مثل صِنْو وصِنْوَانٌ، وإذا ثَنَّيتَ القِنْو فهما قِنْوانِ يا هـذا بكسر النون، والقِنْوُ العِذْق بكسر العين وهي الكباسة، والعَذْق النخلة، ودانيـة أي قـريبة المتنـاوَل، ولم يقل ومنهـا قنـوان بعيـدةٌ. لأن في الكـلام دليـلاً أن البعيدة السحيقة من النخل قد كانت غير سحيقة، واجتُـزِئ بـذكر القـريبة عن ذكر البعيدة، كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ ولم يقل وسرابيل تقيكم البرد. لأن في الكلام دليلاً على أنها تقي البرد لأن ما يستر من الحر يستـر من البرد.

---

(١) في الأصل «كل ماء» وظاهر أنه تحريف.

(٢) هو كثير عزة، وجراب ـ بضم أوله ـ وملكوم وبذر كلها آبار بمكة يـدعو لأهلهـا بالسقيـا ـ وبذر ـ فعل ـ مشدد العين مفتـوح الفاء وهـذا الوزن قليـل أو نادر في العـربية لـلأسماء ـ ذكـر صاحب اللسـان ستة أسمـاء على هذا الـوزن منهـا اسم عبـراني وهـو شلم لبيت المقـدس، وبقم اسم أعجمي لشجر ـ انظر اللسان (بذر) وانظر الخزانة ٢ ـ ٣١٠، وسيبويه ٢.

وقوله: ﴿وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ﴾.

عطف على قوله خضِراً، أي فأخرجنا من الماءِ خَضراً وجَنَّاتٍ من أعناب والجنة البستان، وإنما سمي البستان جنة، وكل نبت متكاثف يستر بعضه بعضاً فهو جنَّة، وهو مشتق من جننت الشيءَ إذا سترته، ومن هذا قيل للترس مِجَنٌّ لأنه يستر.

وقوله: ﴿وَالزَّيْتُونَ والرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغير مُتَشَابِهٍ﴾.

أي في الطعم وفيه ما يشبه طعمُ بعضِه طعْمَ بَعْضٍ.

وَقرَنَ الزيتُونَ بالرمان لأنهما شجرتان تعرف العرب أنّ ورقهما يشتمل على الغصن من أوله إلى آخره، قال الشاعر:(١)

بورك الميت الغريب كما بورك نَضْرُ الرُّمَّانِ والزيتون

ومعناه أن البركة في ورقه واشتماله على عوده كله.

وقوله: ﴿انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾.

يقال ثمرة وثَمَرٌ وثِمَارٌ، وثُمُر جمع ثِمارٍ، فمن قرأ إلى ثُمُره بالضَّم أراد جَمْعَ الجَمْعِ، وإن شئت قُلْت إلى ثمْرِه فخففت لثقل الضَّمةِ.

﴿وَيَنعِهِ﴾.

اليَنعُ النُّضْجُ، يقال يَنَعَ الشجرُ وأينع إذا أدرك. قال الشاعر:(٢)

---

(١) في اللسان ـ (برك) لأبي طالب بن عبد المطلب وعبارته: «... كما بورك نضح الرمان والزيتون». وفي مختار الأغاني ٦/٣٨٢ «غصن الريحان» ـ وهي قصيدة ليست قصيرة، ومسافر أخو أبي معيط شقيق له، أمهما آمنة بنت أبان بن كليب بن ربيعة ـ وهما أخوان لأعمامهما آبي العاص وإخوته من بني أمية، لأن أبا عمرو ـ والد مسافر ـ تزوج آمنة هذه بعد أبيه، فأولاده منها أخوة لأعمامهم. وكنيته مسافر أبو أمية، وهو والد أم المؤمنين السيدة أم سليمة وهو أحد أزواد الراكب ـ وله شعر غير كثير، وكان يناقض عمارة بن الوليد، وكان قد خطب هند بنت عتبة، وخرج إلى النعمان ليعينه، ثم عاد فلقيه أبو سفيان فأخبره أنه تزوج هنداً ـ فحزن ومات وانظر ترجمته في الأغاني.

(٢) ينسب البيت للأحوص ـ وقال الأخفض راوية الكامل: الصحيح أنها ليزيد يصف جارية. =

فـي قبــاب حــول دَسْكَــرَةٍ   حــوْلَهـا الـزيتـون قَــدْ يَنَعَـا

قال أبو عبيدة البيت ليزيد بن معاوية أو للأحوص.

احتج اللَّه عليهم بتصريف ما خلق ونقْلِه من حال إلى حال، بما يعلمون أنه لا يقدر عليه المخلوقونَ، وأنـه كذلـك يبعثهم لأنهم كانـوا يُنكِرُونَ البَعْث فقال لهم: ﴿إن في ذلكم لآياتٍ لِقَوْم يُؤْمِنُونَ﴾.

فأعلمهم أن فيما قص دليلاً لمن صَدَّق.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنّ﴾.

المعنى أنَّهم أطـاعـوا الجنَّ فيمـا سـولت لهم من شِــرْكِهِمْ. فَجَعَلُوهم شركاءَ للَّه عـزّ وجلّ وكـان بعضهم ينسب إلى الجن الأفعال التي لا تكـونُ إلاَّ للَّه عزّ وجلّ فقال: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الجِنَّ وَخَلَقَهُمْ﴾.

فالهاء والميم إن شئت كانت عائدة عليهم، أي فجعلوا للَّه الذي خلقهم شركاءَ لا يخلقون. وجائز أن تكون الهاءَ والميم تعودان[1] على الجن، فيكون المعنى: وجعلوا للَّه شركاءَ الجن واللَّه خلق الجن. وكيف يكون الشريـك للَّه المحدَثَ الذي لم يكُنْ ثُمَّ كَانَ.

فـأما نصب الجن فمن وجهين أحـدهما أن يَكـون الجن مفعـولاً فيكـون المعنى وجعلوا للَّه الجن شـركاءَ، ويكـون الشركـاء مفعـولاً ثـانيـاً كمـا قـال: ﴿وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً﴾[2].

وجائز أن يكون الجن بَدَلاً من شُرَكَاءَ، ومفسراً للشركاءَ.

وقوله: ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.

= انـظر الكامـل ١/ ٢٢٧ (تجاريـة) وهو في اللسـان ـ ينع ـ بـدون نسبة، وفيـه (دسكـر) منسـوبـاً للأخطل.

(١) في الأصل تعود، وهو كما سيأتي ـ وهو يعني الهاء والميم في خلقهم.

(٢) سورة الزخرف: ١٩.

كثيراً ـ يستعمل حروف الضمير ويعيد الضمير عليها مفرداً.

معنى خرقوا اختلقوا وَكَذَبُوا، وذلك لأنهم زعموا أن الملائكة بنات اللَّه، وزعمت النصارى أن المسيح ابنُ اللَّه، وذكرت اليهود أن عزيرَ ابنُ اللَّه، فأعلم جلّ ثناؤه أنهم اختلقوا ذلك بغير علم، أي لم يَذكُروه[1] عَنْ عِلْمٍ، وإنما ذكروه تكذباً.

وقوله: ﴿سُبْحَانَه وَتَعَالَى﴾.

[أي] براءته من السوءِ، ومعنى سبحانه التَّبْرِئَة عَنْ كُلِّ سُوءٍ، لا اختلاف بين أهل اللغة في معنى التسبيح أَنَّ التبرئة للَّه جلّ وعزّ.

وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّموَاتِ وَالأَرْض﴾.

أي هو خالق السموات والأرض.

﴿أَنَّى يَكُونُ له وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾.

أي من أين يكون له وَلَدٌ، والولد لا يكون إلا من صَاحِبَةٌ.

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

فاحتج جلّ وعزّ في نَفْيِ الْوَلَد بأنّه خَالق كُلِّ شيءٍ، فليس كمثله شيء، وكيف يكونُ الولدُ لمن لاَ مِثْلَ له، فإذا نسب إليه الولَدُ فَقَدْ جُعِلَ لَهُ مِثلٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وهُو يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾.

أعلم عزّ وجلّ أنه يُدْرِك الأبصارَ، وفي هذا الإِعْلاَم دَليلُ أن خَلْقَهُ لا يُدْرِكُونَ الأَبْصَارَ، أي لا يَعْرفونَ كيف حَقيقَةُ البَصَر، وما الشيء الذي صار به الإِنسان يُبْصرُ بعَيْنَيه دُونَ أَنْ يُبْصِرَ من[2] غيرهما من سائر أعضائه، فأعلم أَنْ خَلْقاً مِنْ خَلْقِهِ لاَ يُدْرِك المخلوقون كنهه، ولا يحيطون بعلمه، فكيف به عزّ وجلّ:

---

(١) لم يذكروا هذا الذي أذاعوه واختلقوه.

(٢) دون أن يكون أبصاره من خلال أعضاء أخرى.

فالأبصار لا تحيط به ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾.

فأما ما جاءَ من الأخبار في الرؤية وصح عن رسول الله فغير مدفوع.

وليس في هذه الآية دَلِيـلٌ عَلَى دفْعِه، لأن معنى هـذه الآية معنى إدراك الشيء، والإحاطة بحقيقته. وهذا مذهب أهل السنة والعِلْمِ والحديث.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ منْ رَبِّكُمْ﴾.

أي قد جاءكم القرآن الذي فيه البيانُ والبصائرُ.

﴿فَمَنْ أَبْصرَ فَلِنَفْسِه﴾.

المعنى فلنفسه نَفْعُ ذَلِكَ.

﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيهَا﴾.

أي فَعَلَى نَفْسه ضَرَرُ ذلك، لأن اللَّه جلّ ثناؤه غَنِي عن خَلْقِه.

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا عَليكم بِحَفِيظٍ﴾.

أي لستُ آخذُكم بالإيمان أَخْذَ الحفيظ والوكيل، وهذا قبل الأمر بالقتال، فلما أُمر النبي ﷺ بالقتال صار حفيظاً عليهم ومسيطراً على كل من تَوَلّى.

وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآياتِ ﴾.

أي وَمِثْلَ ما بيَّنَّا نُبَيِّنُ الآيَات.

وموضعُ الكاف نَصبٌ. التي في أول كذلك. المعنى ونصرف الآيات في مثل ما صرفناهما فيما تُلِيَ عَلَيكَ.

وقوله: ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ ﴾.

فيها خمسة أوجه، فالقراءة دَرَستَ. بفتح الدَّال وفتح التاءِ ومعناه وليقولوا قرأت كتُبَ أهل الكتاب وتقرأ أيضاً دَارَسْتَ، أي ذاكرت أهل

الكتـاب. وقالَ بعضهم: ﴿وليقولوا دَرَسْتْ﴾ أي هـذه الأَخبارَ التي تَتْلُوهَـا عَلَينَـا قـديمةٌ قـد دَرَسَتْ، أي قد مضت وامَّحَتْ، وذكـر الأَخْفَشُ دَرُسَتْ بضـم الراءِ ومعنـاهـا «دَرَسَتْ» إلا أن درُست بضم الـراءِ أشـد مبـالغـة[1]، وحَكَى دُرِسَتْ بكسر الراءِ أي قرئت.

وقوله: ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لقَومٍ يَعلَمُون﴾.

إن قال قائل: إنما صُرِّفَت الآياتُ ليقولُوا دَرَسْتَ[2]، فـالجواب في هـذا أَن السبب الـذي أَدَّاهُمْ إلى أَنْ يقُولُـوا دَرَسَتَ هُوَ تـلاوة الآيات، وهـذه الـلام يسميها أَهل اللغـة لام الصيرورة، وهـذا كقولـه تعالى: ﴿فَـالْتَقَطَهُ آلُ فِـرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[3] فهم لم يلتقطوه يطلبـون بأَخـذه أَن يعاديهم ولكن كانت عاقبة أَمره أَن صار لهم عدواً وحَزَناً. وكما تقول: كتب فلان هذا الكتاب لِحَتْفِهِ[4]، فهو لم يقصد بالكتاب أَن يُهْلِكَ نَفْسَه، ولكن العَاقِبَةَ كانت الهلاكَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ شَاءَ الله مَا أَشْرَكُوا﴾.

أَي لـو شاءَ اللَّه لجعلهم مؤمنين، وقيـل لـو شـاءَ اللَّه لأَنـزل عليهم آيـة تَضْطَرهم إلى الإيمان، وقال بعضهم ﴿لَوْ شَا الله مَا أَشْرَكُوا﴾.

أَي لو شاءَ لاستأصـلهم فقطع سبب شركهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

نُهُـوا في ذلـك الـوقت قبـل القِتـالِ أَن يَلْعَنُـوا الأَصْنَـامَ التي يَعْبُـدهَـا المشركُونَ.

---

(١) لأن فعل يدل على أن ذلك صار سجية وفطرة في الشيء.

(٢) الجملة في معنى الاستفهام، أي هل صرفت الآيات لهذا.

(٣) سورة القصص ـ ٨.

(٤) لهلاكه.

﴿فَيَسُبُّوا اللَّهُ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾.

أي فَيَسُبُّوا اللَّه ظلماً، وقال بعضهم فيسبوا اللَّه عُـدُوًّا. وعُدُوًّا ههنا في معنى جماعة، كأنه قيل: فيسبوا اللَّه أعداءً.

وعُـدُوًّا منصوب في هذا القول على الحال. وعَدْواً منصوب على المصدَرِ(١) على إرادة اللام، لأن المعنى فيعتدون عَدْوَاً، أي يظلمون ظُلماً، ويكون بإرادة اللام [أي فيسبوا اللَّه للظلم] وفيها وجه آخر. فيسبوا اللَّه عُـدُواً ـ بضم الدال ـ وهو في معنى عُـدُوّا! ويقال في الظلم عَدَا فلان عَدْواً وعُـدُوّاً، وعُدُواناً، وعَدَاءً. أي ظلماً جاوز فيه القدْرَا.

وقوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾.

فيه غير قول: أنه بمنزلة ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فذلك تزيين أعمالهم، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِم﴾(٢).

وقال بعضهم: ﴿زَيَّنَّا لكل أمةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي زَيّنَ لِكلِّ أُمةٍ العَمل الذي هو فرض عليهم. والقول الأول أجودُ. لأنّهُ بمنزلة ﴿طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلوبِهم﴾. والدليل على ذلك، ونقض هذا(٣) قوله: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَـهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً، فإن اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾(٤).

وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

أي اجتهدوا في المبالغة في اليمين.

﴿لَئِنْ جَاءَتْهُم آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾.

---

(١) على الأول تقديره يسبونه عادين، وعلى الثاني يسبونه لأجل العدو، فهو مفعول لـه، أو مصدر. أي يعدون بسبه عدواً.

(٢) النساء ـ ١٥٥.

(٣) الدليل على صحة القول الأول ونقض الثاني.

(٤) سورة فاطر ـ ٨.

وإنما حلفوا على ما اقترحُوا هُمْ[1] من الآيات، وإنما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾[2] إلى قوله: ﴿والملائكةِ قَبيلاً﴾[3]. أي تأتي بهم كفيلاً، أي يَكْفُلون.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنَّ الآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ.

ويروى أن المؤمنين قالوا: لو أُنْزِلَ عليهم آيةٌ لعلهم كانوا يؤمنون، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي وما يُدريكم، أي لَستُم تعلمون الغيبَ، فلا تدرون أنهم يؤمنون، كما تقول للرجل إذا قال لك: افْعَل بي كذا وكذا حتى أَفْعَل كذا وكذا مما لا تعلم أنه يفعله لا محالة: ما يدريك[4]. ثم استأنف فقال: ﴿أنها إذا جاءَت لا يؤمنون﴾[5]. هذه هي القراءَة، وقرئت أيضاً ﴿أَنها إِذا جاءَت لا يؤمنون﴾.

وزعم سيبويه عن الخليل أن معناها لعلها إذا جاءَت لا يؤمنون، وهي قراءَة أهل المدينة، وقال الخليل: إنها كقولهم إيت السوق أنَّك تشتري شيئاً، أي لعلك.

وقد قال بعضهم إنها «أنَّ» الَّتِي على أَصل الباب، وجعل «لا» لَغْواً، قال: والمعنى وما يُشْعِرُكم أنها إذا جاءَت يُؤْمِنُونَ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَحَرامٌ عَلى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[6].

---

(١) أي على آيات خاصة اقترحوها على النبي ﷺ مثل التي ذكرها المؤلف.

(٢) سورة الإسراء الآيات ٩٠ وما بعدها.

(٣) أول الآية: ﴿أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تاتي باللَّه والملائكة قبيلاً﴾ وبعدها: ﴿أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾.

(٤) أي تجيبه بقولك ما يدريك.

(٥) تابع في هذا أبا عبيدة والمبرد وانظر انباه الرواة ٣ ـ ٢٤٣.

(٦) سورة الأنبياء ـ ٩٥. والمعنى أنهم يرجعون.

والقول الأولُ أقوى وأجودُ في العربية والكسرُ أَحَسَنُها وأجودهـا. والذي ذكر أَنّ «لا» لَغْوٌ غَالِطٌ، لأن ما كان لغواً لا يكون غير لغو[1].

من قرأ: إنها إذا جاءَت ـ بكسر إنَّ ـ فـالإجماع أن «لا» غيـر لغو، فليس يجوز أن يكون معنى لفظةٍ مرَّةً النفي ومرة الإيجاب. وقـد أجمعوا أن معنى أن ههنا إذا فتحت معنى لعل، والإجماع أولى بالإتباع.

وقد بينْتُ الحجَّة في دفع. ما قاله من زعم أن لا لغو.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْأَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ المَـلَائِكَةَ وَكلَّمَهُمْ المَـوْتَى وَحَشَرْنَـا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيءٍ قُبُلًا مَا كَانوا لِيُؤمِنُوا إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

هذا جواب قول المؤمنين:[2] لعلهم يؤمنون.

فأعلم الله عزّ وجلّ أنهم لا يؤمنون، وهذا كإعْلام نوح: ﴿أَنَّـهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[3].

ومعنى ﴿قُبُلًا﴾ جمع قبيـل، ومعناه الكفيـل. ويكـون المعنى: وحَشَـرْنَـا عَلَيْهِم كلَّ شيء قبيلاً قبيلاً. ويجوز أن يكون قُبُلٌ جمعَ قبيل، ومعناه الكفيل، ويكون المعنى: لو حشرنا عليهم كل شيءٍ ونجعل لهم بصحة ما نقول ما كانوا ليؤمنوا، ويجوز أن يكون «قُبُلًا» في معنى ما يقابِلهم، أي لَوْ حَشَرْنَا عليهم كل شيء فقابَلهمْ.

ويجوز وحشرنا عليهم كل شيء قِبَلاً أيْ عِيَاناً، ويجوز قُبْلاً على تخفيف قُبُـل وكل مـا كان على هـذا المثال فتخفيفـه جائـز، نحـو الصُّحف والصحْفُ والكُتب والكتْبُ، والرسُل والرسْل.

---

(١) لا تكون لغواً في مكان وأصيلة في مكان آخر.

(٢) في الأصل أنهم لعلهم.

(٣) انظر الآية ـ ٣٦ من سورة هود.

ومعنى إِلاَّ أَنْ يَشَـاءَ اللَّهُ أي إلا أَنْ يَهْدِيَهُمْ الله، وجـائز أن يكـون نُنَـزِّلُ عليهم آية تضطرهم إلى الإيمَانِ.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكلِّ نَبيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنْسِ والجِنِّ﴾.

أي وكما جعلنا لك ولأُمَّتِك شياطين الجن والإنس أعداءً كـذلك جَعَلْنَـا لِمَنْ تَقَـدَّمَـكَ من الأَنبيـاءِ وأُمَمِهم. و «عَـدُوًّا» في معنى أَعــداءِ، و «شيـاطين الإنْسِ وَالجِنِّ» منصوب على البَدلِ مِنْ عَـدُو، ومُفَسِّراً لـه، ويجوز أن يكـون «عَدُوًّا» مَنْصُوبـاً على أنه مفعـول ثان. المعنى وكـذلك شيـاطين الجن والإنس أعداءِ للأَنبياءِ وأُممهم.

﴿يُوحِي بَعْضُهم إلى بعْضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُروراً﴾.

الزخرف في اللغة الزينة.

والمعنى أن بعضهم يُـزَيِّن لبعض الأَعمـالَ القبيحـة، و«غروراً» مَنْصـوب على المصدَر، وهذا المصدرُ محمول على المعنى، لأَن مبنى إيحاءِ الزخْـرف من القول معنى الغرور، وكأنه قال يَغرونَ غُروراً.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلوهُ﴾.

أيْ لَـوْ شَاءَ الله لَمَنَـع الشَّيَاطِينَ من الـوَسْوَسَـةِ للإنْس والجِنِّ ولكن الله يمتحن ما يعلم أنه الأَبْلغ في الحكمة والأَجْزل في الثواب والأَصْلَحُ للعبَادِ.

وقوله: ﴿ولِتَصْغَى إلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنونَ بِالآخِرَةِ﴾.

معنى «لِتَصغى» لتمِيلَ، أي وليَصِيرَ أَمرهم إلى ذلك.

ويجوز، وَلِتَصْغَى إلَيْهِ أَفْئِدَة.

يقال صَغَوْت أَصْغَى مثل محوتُ أَمْحى، وإنمـا جاز أَصغَى وكـان ينبغي أن يكونَ أَصْغُو لموضع الغَيْن، لأَنها تفتح هي وأَخواتها. وهو أن يفعُل ويفْعِـلُ

يصير معها في كثير من الكلام يفعَل نحو صبَغ يصْبَغُ وأصله يصبُغ، وهو يقـال ومِثْلُ ذهَبَ يذهبُ، كأنه كـان يَذْهُب، ويقـال صَغَيْتُ أصْغَى أيضاً، وصغَيْتُ، أصغَى شاذ[1]، وأصْغَيْتُ أُصْغِي جَيِّدٌ بَالغٌ كثيرٌ وأَفْئِدَة: جمع فؤاد، مثل غراب وأغربة.

ومعنى: ﴿ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴾.

جائز أن يكون وليعملوا ما هم عاملون من الذنوب، يقال قد اقترف فلان ذنباً، أي قد عمل ذنباً.

ويجوز «ولْيقْتَرفُـوا» أي ليخْتَلِقُوا ولْيَكْـذِبُوا، وهـذه لَام أَنْ، المعنى ولأَنْ يَرْضَوْه ولْيَقْتَـرِفُوا على أَن الـلام لامُ أَمر[2] ومعنـاه معنى التهدُّدِ والـوعيدِ، كمـا تقول افْعَل ما شِئت، فلفظه لفظ الأَمر ومعناه معنى التهدُّدِ.

وقوله: ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

أَعْلَمَ اللَّه عـزَّ وجلّ ـ أَن أكثـرهم من الـذين اتبعـوا أكـابِـرَهم لَيْس عنـد أنفسهم أنهم على بصـائر، وأنهم إنمـا يَظُنـون، ومنهم من عانَدَ، ومن يعلم أن النبي حق.

فإن قال قائل: كيف يعذَّبُون وهم ظانّون، وهل يجوز أن يعَذَّبَ من كفر وهو ظَانٌّ، ومَنْ لم يكفر وهو على يقين؟ فـالجواب في هـذا أن اللَّه جلّ ثنـاؤه قد ذكر أنه يعذِّبُ على الظَّنِ، وذلك قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّموات والأَرْض وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً، ذَلِكَ ظَن الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذِينَ كَفَـرُوا مِنَ النَّارِ﴾[3] والحجـة

---

(١) في القاموس: صغا يصغو، ويصغي صغواً، وصغى كرضى صغياً وصغياً ـ والشذوذ في أصغى ـ وعينه حرف حلق ـ لأن صغا المفتوح العين واوي وليس يائياً.

(٢) في ط ليقترفوا فقط.

(٣) سورة ص ـ ٢٧.

في هـذا أنهم عُذِّبُـوا عَلى هذا الـظن، لأنهم اتبعوا أهْـواءَهم وتركـوا التمـاس البصيرة من حيث يجب واقتصروا على الظن والجهل.

وقوله: ﴿إنَّ رَبَّكَ هُو أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَن سَبِيلِه﴾.

موضع «مَنْ» رفع بالابتداءِ، ولفظها لفظَ الاستفهام.

المعنى: إنَّ ربك هو أعلم أَي الناس يَضِل عن سبيله، وهذا مثل قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَي الحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾[1].

وقوله عز وجلّ: ﴿ فَكُلُوا ممَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْه ﴾.

معنـاه كلوا مما أَخْلَصْتُم ذبحـه للَّه، والمنْعُ من الميْتَـةِ دَاخِلٌ في هـذا، وليس بين النـاس اختلاف في أن المشـركين ناظـروا المسلمين، فقالـوا لهم: تتركون ما سبقكم اللَّه إلى إماتَتِه وتأْكلون ما أَمَتُّم أَنْتُمْ فأَعلم جلّ وعزّ أَن الميتةَ حرام وأَن ما قصِدَ بِتَزكِيته اتِّبَاعُ أَمْرِ اللَّه عزّ وجلّ فذلك الحَلالُ، فقال:
﴿ومَا لَكُمْ أَلَّا تأْكُلُوا مما ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْه﴾.

وَمَوْضِعُ «أَنْ» نَصْبٌ لأَنَّ «في» سقـطت فَـوَصَـل المَعْنَى إلى «أَنْ» فَنَصَبَها. المعنى أَي شيءٍ يقع لكم في أَن لا تأْكلوا.

وسيبويه يجيز أَنْ يكُونَ موضع «أَنْ» جرًّا وإِن سَقَطتَ «في»، والنصْبُ عنده أَجود.

قال أَبو إسـحق: ولا اختلافَ بين الناسِ في أَن الموضع نصْبٌ.
﴿وَقَدْ فَصَّل لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

وحُـرِّمَ جميعـاً، أَي فصـل لكم الحـلالَ مِن الحـرامِ، وأَحَـلَّ لكمْ في الاضطرار ما حَرَّمَ عليكم.

---

(١) سورة الكهف ـ ١٢.

فموضع «ما» نصب في قوله: ﴿إلّاَ مَا اضْطُرِرْتُمْ إلَيْه﴾.

ومعنى ما اضْطُرِرْتم دعَتْكمُ شِدَّةُ الضَّرورَةِ، أي شِدَّة المَجَاعةِ إلى أكله.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

اي إن الذين يُحِلُّون المَيْتة ويُنَاظِرونكم في إحلالها، وكذلك كل ما يضلونَ فيه، إنما يتَّبعون فيه الهوى والشهوة ولا بَصِيرةَ ولا علمَ عندهم.

وقوله: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾.

جاءَ في التفسير أن ظاهرهُ الزِّنَا، وباطنه اتخاذ الأخدان والأصدقاء على جهة الريبة. والذي يدُل عليه الكلام أن المعنى - واللَّه أعلم - اتركوا الإثم ظَهراً، أو بَطْناً، أي لا تقربوا ما حرَّم اللَّه عليكم جَهْراً ولا سِرًّا.

وقوله: جلّ وعزّ: ﴿وَلاَ تأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرَ اسمُ اللَّهِ عَلَيْه﴾: أي مِمَّا لَمْ يُخْلَصْ ذَبْحُه للَّه عزّ وجلّ.

﴿وإنه لَفِسْقٌ﴾ ومعنى الفِسْق الخروجُ عن الحق والدِّين، يقال فسقت الرطبة، إذا خرجت عن قشرتها.

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلى أوْلِيائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾.

أي يُوَسوِسُ الشيطانُ لوَلِيِّه فَيُلْقي في قلبه الجدال بالباطِل، وهو ما وصفنا من أنَّ المُشْركين جادلوا المسلمين في الميتة.

﴿وإنّ أطَعْتُموهُمْ إنكُمْ لمُشْرِكُونَ﴾.

هذه الآية فيها دليل أنَّ كل مَنْ أَحَلَّ شيئاً مما حرَّمَ اللَّه عليه أو حرَّم شيئاً مما أحل اللَّه له فهو مُشرِكٌ. لو أحل مُحِل الميتةَ في غير اضطرار، أو أحل الزنا لَكان مُشركاً بإجماع الأُمَّةِ، وإن أطاع اللَّه في جميع ما أمر به، وإنما سمي مُشْرِكاً لأنه اتبع غير اللَّه، فأشرك باللَّه غيره،

وقوله: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَه نَوراً يَمْشِي بِه في النَاسِ كَمَنْ مَثَلُه فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.

جاءَ في التفسير أنه يعني به النبي ﷺ وأبو جهل بن هشامٍ فالنبي ﷺ هُدِيَ وأُعْطِيَ نُورَ الإِسْلامِ والنُّبوَّةَ والحكمَةَ، وأبو جهل في ظلمات الكفر. ويجوز أَنْ تكون هذه الآية عامةً لكل من هداه اللَّه ولكل من أَضَلَه اللَّهُ. فأَعلم اللَّه جلّ وعزّ أن مَثَل المُهْتدِي مَثَلُ الميتِ الذي أُحْيَى وجُعِلَ مستضيئاً يمشي في الناس بنور الحكمة والإيمان، ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات لا يتخلص منها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾.

موضع الكاف نصبٌ معطوفة على ما قبلها، وهو قوله: ﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، المعنى مثل ذلك الذي قصصنا عليك زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ عملُهم، وكذلك جعلنا، أي ومثلَ ذلك جعلنا في كل قرية أكابِرَ مُجْرميها ليمكروا فيها، لأن الأكابر ما هم فيه من الرياسة والسَّعةِ أَدعى لهم إلى المكر والكفر، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّه الرِّزْقَ لعبادِهِ لبغَوْا في الأَرْضِ﴾[1] وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحمن لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِنْ فِضَّة﴾[2].

ومعنى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بأَنْفُسِهِمْ﴾.

أي ذلك المكر يحيق بهمْ، لأنهم بمكرهم يُعَذَّبُونَ.

وقوله: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾.

هذه الهاءُ والميم تعودان[3] على الاكابر الذين جَرَى ذِكْرُهُمْ لأنهم

(١) الشورى ـ ٢٧.

(٢) الزخرف ـ ٣٣.

(٣) في الأصل يعود أي كلمة هم، وتقدم مثل هذا.

قالوا: لَن نُؤمِنَ حتى نُعْطَى منَ الآيَاتِ مثل ما أُعْطِيَ الأنْبياءُ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه أعلم من يصلح، فقال جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾[1].

وقوله: ﴿ اللَّه أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَته ﴾.

أي هو أعلم بمَن يخْتَصُّ للرسالة.

وقال بعضهم لا يبلغ في تصديق الرسل إلا أن يكونوا قبل مَبعثهم مُطَاعِين في قَوْمِهِمْ، لأن الطعن كان يتسع عَلَيْهم، ويقال إنما كانوا أكابرَ ورؤساءَ فاتُّبِعُوا.

﴿سَيُصِيبُ الَّذِين أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾.

أي هم وإن كانوا أكابرَ في الدنيا سيصيبُهم صغارٌ عِنْد اللَّه أي مَذَلَّةٌ، و «عِند» متصلةٌ بِسيُصِيبُهم عند اللَّه صغار. وجائز أن تكون «عند» متصلة بصغار فيكون المعنى سيصيب الذين أَجْرَمُوا صَغَارٌ ثابت لهم عند اللَّه.

ولا تصلح أن تكونَ «من» محذوفة من «عِنْدَ» إنما المحذوف «في» من «عند» في المعنى إذا قلت: زيد عند عمروٍ والمعنى زيد في حضرة عمرو[2].

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلَامِ ﴾.

يروى عن ابن مسعودٍ أنه سأل النبي ﷺ: وهَل ينشرح الصدر، فقال نعم، يدخل الْقَلْبَ النُّورُ، فقال ابن مسعودٍ: هل لذلك من علم قال نعم، التجافي عن دَارِ الغُرُورِ، والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل الموت.

---

(١) الدخان - ٣٢.

(٢) يريد أن المحذوف من هذا الظرف هو «في» وليس «من».

﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾.

يُروى عن ابن عباس أنه قال: الْحَرَجُ موضع الشجر الملتف، فكأن قلبَ الكافرَ لا تَصِلُ إليه الحكمةُ، كما لا تصل الراعيةُ إلى الموضع الذي يلتف فيه الشجر. وأهل اللغة أيضاً يقولونه: الشجر الملتف يقال له الْحَرَجُ[1]. والحرجُ في اللغة أضيق الضيق والذي قال ابن عباس صحيح حَسَنٌ. فالمعنى عند أهل اللغة أنه ضيق جدًّا.

ويجوز حَرِجاً ـ بكسر الراءِ ـ فمن قال حَرِجٌ فهو بمنزلة قولهم: رجل دَنِفٌ[2]، لأن قولك دَنَف ههنا وَحَرَجٌ ليس من أسماءِ الفاعلين. إنما هو بمنزلة قولهم: رَجُلٌ عَدْل أي ذو عَدْل.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ﴾.

ويَصَّاعَدُ أيضاً، وأصله يَتَصَاعَدُ ويَتَصَعَّدُ، إلَّا أَنَّ التَّاءَ تدغم في الصَّاد لقربها منها.

ومعنى ﴿كأنما يصَّعَّد في السماءِ﴾ـ واللَّه أعلم ـ كأنه قد كلف أن يَصْعَد إلى السماءِ إِذَا دُعِيَ إلى الإسلام مِنْ ضِيق صَدْرِهِ عنه، ويجوز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ كأنَّ قلبه يصعد في السماءِ نُبُوًّا على الإسلام واستماع الحكمة.

﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي مثل قصصنا عليك يجعل اللَّه الرجس على الذين لا يؤْمنون.

وَالرِّجْسُ اللعنةُ في الدنيا والعذابُ في الآخرة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

---

(١) في القاموس الحرج جمع حرجة لمجتمع الشجر.

(٢) الدنف السقم والضنى، ودنف سقم.

أي للمؤْمنين دار السلام، وقال بعضهم: السلام اسم من أسماءِ اللّه، ودليله: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾[1]. ويجوز أن تكون سميت الجنة دار السلام لأَنها دارُ السّلامة الدائمة التي لا تنقطع.

وقوله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَر الْجِنِّ ﴾.

المعنى - واللّه أعلم - فيقال لهم: ﴿يَا مَعْشَر الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإنْسِ﴾.

المعنى قد استكثرتم ممن أضللتموهم من الإنس.

﴿وَقَالَ أَولِيَاؤُهُمْ مِنَ الإنْسِ: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْض﴾.

جاءَ في التفسير أَن استمتاع الإنس بالْجِن أَنَّ الرَّجُلَ كان إذا سافر سفراً فخاف أو أصابَ صيداً، قال أَعُوذُ بِرَبِّ هذا الوادي، وبصاحب هذا الوادي يعني به الجِنَّ، واستمتاعُ الجِنِّ بالإنس أَنَّ الإنْسِي قد اعترف له بأَنَّه يقدر أن يدفع عنه.

والذي يدل عليه اللفظ - واللّه أَعلم - هو قبول الإنس من الجن ما كانوا يُغْوُونهم به لِقَوْله: اِسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإنْسِ. فأَما من كان يقول هذا أَعني يستعيذ بالجنِّ فقليل.

﴿قال النارُ مَثْوَاكُمْ﴾.

الْمَثْوَى الْمُقَامُ.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

منصوب على الحال، المعنى: النار مُقَامُكم في حال خُلُودٍ دائم.

وقوله: ﴿إلاّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

معنى الاستثناء عندي ههنا - واللّه أَعلم - إنَّما هو من يوم القيامة، لأَن

---

(١) سورة الحشر - ٢٣ - ويكون المعنى لهم دار اللّه - أي الجنة -.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ هو يوم القيامة، فقال خالدين فيها مُذْ يُبعثون إلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ مِن مِقْدَارِ حَشْرِهِمْ من قبورِهم، ومقدارِ مدَّتِهم في محاسبتهم، وجائز أن يكون إلا ما شاءَ اللّه أن يعذبهم به من أصناف العذاب، كما قال جلّ وعزّ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ. خالِدِينَ فِيها مَا دَامَتِ السَّمَواتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾(١)، فيجوز واللّه أعلم إلا ما شاءَ ربك من مقدار حشرهم ومحاسبتهم ويجوز أن يكون إلا ما شاءَ ربك مما يزيدهم من العذاب.

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

أي هو حكيم فيما جعله من جزائهم، وحكيم في غيره.

وقوله: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾.

فقال: ﴿رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ وإنما المرسل من الإنس دون الجنّ، فإنما جاز ذلك لأن الجماعة تعقل وتخاطب، فالرسل هم بعض من يعقل، وهذا كقوله: عزّ وجلّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللؤْلُؤُ والْمَرْجَانُ﴾(٢) وإنَّما يخرجُ ذلك مِنَ الْمِلح. أي البحر الذي ليس بعذبٍ، فقال منهما لأن ذكرهما قَدْ جُمِعَ، فهذا جائز في اللغة، في كل ما اتَّفَقَ في أصله كما اتفقت الجن مع الإنس في باب التمييز(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾: فَزَعَمَ سيبويه أَنَّ موضِعَ ذلك رفع، المعنى: الأمر ذلك لأنه لم يكن ﴿رَبُّكَ مُهلكَ القُرى بظُلْمٍ﴾.

وقال بعضُهُم: يجوز أن يكون موضعها نصباً، المعنى: قيل ذَلك(٤) لأنه

(١) سورة هود - ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) الرحمن ٢٢.

(٣) نودي الجن والإنس معاً في الآية فجمعهما الخطاب، وكل منهما مميز.

(٤) على هذا التقدير يكون «ذلك» نائب فاعل مرفوعاً أيضاً، ولكنه يريد أنه مفعول لفعل محذوف مثل فعل ربك ذلك.

لم يكن ربُّك مُهْلِكَ القرى بظلم، والمعنى يخرج على جميع القولين لأن المعنى يدل على أَمْر الإرسال، فكأنه ـ والله أعلم ـ ذلك الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل أَمْر عَذَاب مَنْ كذَّبَ بها لأنه لم يكن مهلك القرى بظلم، أي لا يهلكهم حتى يبعث إليهم رسولاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(١).

وقوله: ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾.

مَوضع الكاف نصب، المعنى ﴿ويستخلفْ من بعدكم ما يشاءُ﴾ مثل ما أنشأكم.

يقال: أنشأَ الله الخلق إذا خلقه وأَبدأَه، وكل من ابتدأَ شيئاً فقد أَنشأَه، ومن ذلك قولك فأَنشأَ الشاعر يقول، أي ابتدأَ من نفسه، والنشَأُ الصغارُ من الأولادُ، قال نُصَيبٌ:(٢)

وَلَوْلاَ أن يقال صَبَا نُصَيبٌ لقلت بنفسي النَّشَأُ الصِّغَار

ولهذا يقال للصغار نَشءٌ حَسَنٌ، ونُشُوءُ حَسَن، أي قد ظهر له ابتداء حَسَنٌ.

وقوله: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

ومكاناتكُمْ، المعنى اعملوا عَلَى تمكنكم. ويجوز أن يكون المعنى اعملوا على ما أنتم عليه، ويقال للرجل إذا أَمرته أن يثبت على حال: على مكانتك يا فلان، أي أثبت على ما أنت عليه.

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥.

(٢) البيت في اللسان «نشأ» ونصيب هو ابن رباح ـ كان أسود اللون عبدا لرجل من كنانة من الـ ودان، وهو من فحول الشعراء الاسلاميين، ذو فصاحة ـ وتقدم في النسيب ولم يشبب بغير امرأته، وكان عفيفاً كبير النفس، مدح عبد العزيز بن مروان، فأعطاه ألف دينار فك بها نفسه واتصل بعده بسليمان بن عبد الملك ـ وله في معجم الأدباء أشعار تنسب أيضاً إلى مجنون ليلى وله=

فإن قال قائل فكيف يجوز أن يَأْمُرَهُمْ النبيُّ ﷺ أَنْ يُقِيمُوا على الكفر فيقول لهم: ﴿اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾، فإنما معنى هذا الأَمْرِ المبَالغة في الوَعِيدِ، لأَنَّ قوله لهم: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالمونَ﴾.

قد أَعلمهم أَن من عمل بعملهم فَإلى النار مصيرُه، فقال لهم: أَقيموا على ما أَنتم عليه إن رضيتم العذاب بالنار.

والحامي الذي حَمَى ظهرَه أَنْ يُرْكَبَ، ﴿وَأَنْعَامٌ لاَ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنَّ ذَلِكَ افتَرَاء، أَي يفعلون ذلك افتراءً عليه، وهو منصوب بقوله: ﴿لاَ يَذْكُرُونَ اسمَ اللَّهِ﴾.

وهذا يسميه سيبويه مَفْعُول لَهُ. وَحَقِيقَتُهُ أَن قوله: لاَ يَذْكُرونَ بمعنى يَفْتَرُون، فكأَنه قال يفترون افتراءً.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُون هَذِهِ الأَنْعَام خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا ومُحَرَّم عَلى أَزْواجِنَا﴾.

وكأَنَّهُ إِذَا جَعَلُوا لأَصْنَامِهِمْ مما في بطون الأَنعام شيئاً جَعَلُوهُ مَا يَكُون ذَكَراً مَوْلُوداً حيًّا يَأْكُله الذُّكْرَانُ خَاصَّةً، ولا يجيزون أَن يأْكلَ النساءُ شيئاً، فإن كان ذكراً ميتاً اشترك فيه الرِّجَالُ والنساءُ، وهو قوله عزّ وجلّ:

﴿وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيه شُرَكَاءُ﴾[1].

ثم قال: ﴿خَالِصَةٌ لِذُكُورنَا﴾.

فهو على ضربين: أَجودهما أَن يكون أَنثَ الْخَبَرَ، وجعل معنى «ما»[2] التأْنيث لأَنها في معنى الجماعة، كأَنهم قالوا جَمَاعَةً مَا فِي بُطُون هذه الأَنعام

ترجمة في بغية الوعاة ـ انظر المعجم ١٩ /٢٢٨ وما بعدها.

(١) تكن بالتاء قراءة، وقراءة عاصم: وأن يك ميتة.

(٢) «ما» في.. ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام...﴾.

خالصةٌ لـذكورنـا، وَيُرَدُّ ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ على لفظ ما[1]، وقـال بعضهم أَنَّه لتـأْنِيث الأَنعـام، والذي في بـطون الأَنعـام ليس بمنـزلـة بعض الشيءِ، لأَن قـولـك: سَقَطَتْ بعض أَصَابعه «بعض أصابع» إصْبَعٌ وهي واحدة منها، والذي في بطون الأَنعام: مَا في بَطْنِ كل وَاحِـدَةٍ غيرُهـا، وَمَنْ قال يجـوز على أن الجملة أَنعام فكأَنه قال: وقالوا الأَنعام التي في بطون الأَنعام خَالِصَةٌ لذكورنا.

والقولُ الأَوّل الذي شرحنا أَبْيَن، لقوله ﴿ومحَرَّمٌ﴾، لأَنه دليل على الحمل المعنى في «ما» عَلَى اللفظ[2].

وقرأ بعضهم ﴿خالصةٌ لِذكورنا﴾، فهو عندي ـ واللَّه أَعلم ـ ما خَلصَ حَيًّا، ويجوز وإن يَكُنْ مَيْتَةً بالياءِ، والتاءَات[3]، ونَصْبَ ميتة.

المعنى وإن تكن تلك الحمول التي في البطون ميتةً، ومن قرأ وإن يكن فعلى لفظ مـا، المعنى إن يكن ما في البـطن ميتـة، ويجـوز «وإنْ تكُن مَيْتَـةٌ» بالتاءِ ورفع الميتة، ويكون «تَكُنْ» بمعنى الحدوث والوقوع كـأَنَّه وإن تَقَـعْ مَيْتَةٌ وإن تَحْدُثْ مَيْتَةٌ.

وقوله: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾.

المعنى ـ واللَّه أَعلم ـ سيجزيهم جزاءَ وصفهم الذي هو كذِبٌ.

وقوله عـزّ وجلّ: ﴿سَفَهاً بِغَيْرِعِلْم﴾، سفهاً منصوب على معنى الـلام أَي للسفـه، مثل فعلت ذلـك حذرَ الشـر، ويجوز أَن يكـون منصوبـاً على تـأْويـل المصدَر، لأَن قتلهم أَولادهم قد سَفِهوا فيه، فكـأَنه قـال: سفِهُوا سَفْهـاً، فقال

---

(١) محرم ذكر على لفظ «ما» أي ما في بـطونها محـرم.

(٢) دليل على أن «مـا» محمـولـة على اللفظ.

(٣) ميتة. وليس ميتاً ـ الياء في يكن والتاءات في ميتة.

عزّ وجلّ: ﴿قَدْ خسِرَ الَّذِين قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفهَاً بِغيْرِ عِلْم، وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُم اللَّهُ افْتِرَاءً [عَلَى اللَّه]﴾.

وقد فسرنا نصب افتراءً.

ومعنى الافتـراءِ ههنا الكـذب. ثم احتج اللَّه عليهم ونَبَّـه على عظم مَـا أَتَوْه فِي أَنْ أَقْدَمُوا على الْكَذِب على اللَّه وأَقْدَمُوا على أن شَـرَّعُوا من الدِّينِ مَا لمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ فقال:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾.

فكأنه قال افتروا على اللَّه وهو المحدث للأشياءِ الفاعل ما لا يقـدر أَحدٌ على الإتيـان بمثله، فقـال عـزّ وجـلّ:

﴿وهو الذي أَنشـأ (أَي ابتدع) جنَّـاتٍ مَعْرُوشـاتٍ﴾، والْجَناتُ الْبَسَاتِينُ.

﴿وَغَيرَ مَعْرُوشَات﴾.

ومعنى المعروشات ههنا الكروم.

﴿والنّخلَ والزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ﴾.

في حال اختلاف أُكْلِهِ. وهذه مسأَلة شديدة في النحو إلاّ على من عرف حقيقتها، لأن للقائل أن يقول كيف أنشـأَهُ في حَال اختـلاف أُكله وهو قـد نشأَ من قبلِ وقُوعِ أَكْلِهِ. وأُكْلُه ثمره فالجـواب في ذلك أَنـه عزّ وجـلّ قدَّرَ إنشـاءَه بقوله: ﴿وهو خالِقُ كل شيءٍ﴾.

فأَعلم عزّ وجلّ أَنه المنشـئ له في حال اخْتلافِ أُكلِهِ، ويجوز أَنشأَه ولا أكل فيه مختلفاً أُكُلُه، لأن المعنى مُقَدِّراً ذلك فيه، كمـا تقول: لتـدخُلُن منزل زيـد آكلين شاربين، المعنى تـدخلون مُقَدِّرِينَ ذلـك، وسيبويـه دل على ذلـك وبيَّنه في قوله: مررت بـرجل معـه صقر صـائداً بـه غداً، فنصب صـائداً على الحال، والمعنى مُقَدّراً الصيد.

ومعنى ﴿مُتَشَابِهـاً وغَيْرَ مُتَشَـابِه﴾.

على ضـربين، فأحـدهما أن بعضـه يشبه بعضـاً، وبعضه يخـالف بعضاً ويكون أن يكون مُتَشَابِهاً وغيرَ مُتَشابِه، أَنْ تكُونَ الثَّمَـارُ يُشْبِه بعضهـا بعضاً في النظر وتختلف في الطعوم.

وقوله: ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمرِهِ إِذَا أَثْمَـرَ ﴾.

ثَمَرَ جمعُ ثَمَرَةٍ، ويجوز مِن ثُمُرِهِ، ويكون الثُّمُر جمعُ ثِمَار فيكون بمنزلة حُمُر جمع حمارٍ. ويجوز من ثُمْره.. بإسكان الميم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وآتوا حَقَّه يَوْمَ حَصَادِه﴾.

يجـوز الْحَصَادُ والحِصَـادُ، وتقرأ بهمـا جميعـاً، ومثله الجـداد والْجِـدادَ لِصِرَامِ النَّخل(١).

اختلف الناسُ في تأْويـل وآتوا حقـهُ يَوْمَ حَصـادِهِ، فقيل إنَّ الآيـة مكيَّةٌ. وروي أن ثابت بن قيسٍ بن شماس(٢) صَرَمَ خَمْسَمائَةِ نَخْلة ففرَّق ثِمَـارَها كُلَّه ولم يُدْخِلْ مِنْهُ شَيْئاً إلى مَنْزِله، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿وآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾.

فيكون على هذا التأْويل أن الإِنسان إذا أعطى كلَّ مالـه ولم يوصـل إلى عياله وأَهله منه شيئاً فقد أَسْرَفَ، لأنه جاءَ في الخبر: ابْدَأْ بِمَنْ تعُول.

وقـال قومٌ إنهـا مَدَنيـة، ومعنى ﴿وآتوا حقَّه يوم حَصَادِهِ﴾، أَدُّوا مَا افْتُـرِضَ عليكم في صَدَقَتِهِ، ولا اختلاف بين المسلمين في أمر الـزكوات أن الثمـار إذا

(١) الجد، والجدد. والجداد. صرام النخل، وأجدت النخلة حان أن تجد. وصـرام النخل ـ جـزه وحصد تمره.

(٢) أنصاري خزرجي، خطيب الأنصار ـ يكنى أبا عبد الرحمن أو أبا محمـد، بشره رسـول اللَّه ﷺ بالجنة، وشهد بدراً وما بعدهـا من الغزوات وقتـل يوم اليمـامة، ورآه أحـد المسلمين في منامـه يذكر له مكان درعه ويعرفه بدين عليه، ويطلب عتق رقيق له. ونفـذت وصيته من الخليفـة أبي بكر. انظر الإصابة ت ٩٠٤، والاستيعاب ص ١٩٢.

حصدت وجب إخراج ما يجب فيها من الصدقة فيما فرض فيه الصدقة، فعلى هذا التأويل يكون: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ أي لا تُنْفِقُوا أموالكم وصَدَقاتِكُمْ على غير الجهة التي افْتُرِضتْ عليكم، كما قال المشركون: «هذا ليس كائناً» وحرموا ما أحل اللَّه، فلا يكون إسرافٌ أبْيَنَ من صرف الأموال فيما يُسْخِط اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ومنَ الأنْعَام حَمُولةً وَفَرْشاً﴾.

نسق على الجنات، المعنى وهو الذي أنشأ جناتٍ، وأنشأ من الأنعام حَمُولةً وَفَرْشاً والحَمولة الإبل التي تُحَمَّلُ[1]. وأجْمَعَ أهل اللغة على أن الفَرْشَ صغارها.

وقال بعض المفسرين: الفرشُ صغارُ الإبلِ وإن البقر والغَنم من الفرش الذي جاءَ في التفسير، يدل عليه قوله:

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾: وقوله:

﴿وَمِنَ الإبِلِ[2] اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ﴾.

فلما جاءَ هذا بدلاً من قوله ﴿حَمُولةً وَفَرْشاً﴾ جعله للبقرِ والغنم مع الإبل.

وقوله: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه﴾.

أي لا تُحَرِّمُوا ما حَرَّمْتُمْ مما جرى ذكره.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾.

في خُطُوات ثلاثة أَوجه: ضمُّ الطاءِ وفتحُها وإسْكانُها. ومعنى خُطُوَاتِ الشيطانِ طُرُق الشيطان، قال بعضهم تَخَطِّي الشَّيطانِ الحلالَ إلى الحرامِ. والذي تدل عليه اللغة أن المعنى لا تسلكوا الطريقَ الذي يُسَوِّلُه لَكُمُ الشيطانُ.

---

(١) أي التي تحمل، فيكون فعولة بمعنى مفعول. ولذا جاز أن تلحقه التاء.

(٢) ثمانية أزواج بدل من حمولة، ومن الضأن وما عطف عليه بيان للأزواج الثمانية.

وقوله: ﴿ثَمَـانِيَـةَ أَزْوَاجٍ﴾.

بَدَلٌ من ﴿حَمولَةً وَفرْشاً﴾ والزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه اخر:

﴿مِن الضأْنِ اثْنَيْنِ﴾.

والضَّأْنُ جمع ضائن وضَأْن، مثل تاجر وتَجْر.

﴿وَمِن الْمَعزِ اثْنَينِ، قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنْثَيَيْـنِ﴾.

هذا احتجاج عليهم. بَيَّن اللَّه عزّ وجلّ بِهِ فِرْيَتَهمْ وَكذِبَهمْ فيما ادَّعَوْه مِنْ أَنَّ مَا فِي بُطونِ الأَنْعَامِ حلال للذكور ومحرم على الإناث وما حرَّمُوا مِنْ سائر ما وَصَفْنَا، فقيل لهم آلذَّكرَيْنِ حرَّمَ فإن كان حرَّمَ من الغنَم ذُكُورَهَا فكل ذُكُورِها حرام، وإن كان حرَّم الأُنثيين فكل الإناثِ حَرَامٌ، وإن كان حرَّمَ ما إشتملت عليه أَرحام الأنثيين فقد حرم الأَوْلاَدَ، وكلُّهَا أَوْلاَدٌ فَكُلُّها حَرامٌ.

وكذلك الاحتجاج في قوله: ﴿وَمِنَ الإبل اثْنَيْنِ وَمِن البَقر اثْنَيْنِ﴾.

فقيل لهم ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾.

أي فسروا ما حرمتم بعلم، أي وأنتم لا علم لكم لأنكم لا تُؤْمِنُونَ بكِتَابٍ.

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا﴾.

أي هل شاهدتم اللَّه قد حرم هذا[1] إذ كنْتُمْ لَا تُؤْمِنُونَ برسول. ثم بيَّن ظلْمَهُم فقال:

﴿فَمَنْ أَظلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وقد بَيَّن الاحتجاجُ أنهم لا يؤْمنون بِنَبيّ ولا يَدَّعُون أن نبياً خبَّرهم عن اللَّه أَنَّ هذا حرام، ولا أَنَّهم شاهدوا اللَّه قد حَرَّمَ ذلك. ثم قال:

(١) بمعنى قال لكم ذلك مشافهة. وسمعتموه منه.

﴿قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً . . .﴾ .

فأعلمهم ﷺ أَنَّ التحريم والتحليل إنما يَقْبَلُه بالوَحي أو التّنزيل فقال:

﴿قُلْ لاَ أَجِدُ فيما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحرَّماً على طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ: إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَو دَماً مَسْفُوحاً﴾ .

والمسْفُوح المصْبُوب، فكأنه إذا ذَبحوا أَكَلُوا الدَّمَ كما يأْكلونَ اللحمَ .

﴿أَو لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ .

والرِّجْسُ اسم لما يُسْتَقْذَرُ، وللعذاب .

﴿أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ .

أي رُفِعَ الصَّوْتِ على ذَبْحِهِ باسمِ غَيْرِ اللَّهِ، وكانوا يذكرون أَسماءَ أَوْثانَهم على ذَبَائحهم. «فَفِسْق» عطف على لَحْمِ خِنْزِيرٍ، المعنى إلا أَن يكون المأْكول ميتةً أو دَماً مسْفُوحاً أو لحمَ خِنْزِيرٍ أو فِسْقاً. فسُمِّيَ ما ذكر عليه غير اسم اللَّه فِسْقاً، أي خُرُوجاً مِنَ الدِّينِ .

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ .

أَيْ دَعَتْه الضَّرُورةُ إلى أَكْله فَأَكَلَه غيرَ باغٍ ، أَي غير قاصد لتحليل ما حرَّم اللَّه .

﴿وَلا عَادٍ﴾ .

أَي ولا مُجَاوِزٍ للقَصْد وقَدْرَ الحاجة . و«العَادِي» الظالمُ .

﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

أَي يغفر لمن لم يَتَعَدَّ . فأَما إعراب آلذَّكَرَيْنِ : فالنَّصْبُ بحرَّمَ .

وَتَثْبُتُ[1] أَلف المعرفة مع أَلف الاستفهام لئلا يلتبس الاستفهام بالخبر،

---

(١) تدغم وتندمج .

لأنه لو قيل أَلذكرين حرَّم بألف واحدة لالتبس الاستفهام بالخبر، وقد يجوز مع أم حذف الألف لأن أم تدل على الاستفهام لأنه لو قيل ألرجلَ ضربت أم الغلامَ لَدَلَّتْ «أَمْ» على أَنَّ الأول[1]، داخل في الاستفهام.

وقد أجاز سيبويه أن يكون البيت على ذلك وهو قوله:

لعمرك ما إدري وإن كنت داريا شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر[2]

فأجاز أن يكون على أشعيثُ بن سهم، ولكنَّ القراءَة بتبيين الألف الثانية في قوله: ﴿آلذَّكَرَيْنِ﴾.

وقوله: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾.

يُعْنَى بِهِ الإبل والنعامُ، لأن النعام ذوات ظفر كالإبل.

﴿وَمِنَ البَقَرِ والغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾.

فقال بعض الناس: حُرِّمَتْ عليهم الثُروب[3]، وأُحل لهم ما سواها مما حملت الظهور.

﴿أو الحَوَايَا﴾.

وهي المبَاعرُ واحدها حَاوِية وحاوِيَاءُ وحَوِيَّة.

﴿أو مَا اخْتلَطَ بِعَظْمٍ﴾.

نحو شحمِ الألية. وهذا أكثرُ القولين[4]، وقال قوم حُرِّمَتْ عَليهم الثُّروبُ، وأُحل لهم ما حملت الظهور وصارت الحوايا أو ما اختلط بعظم إلا ما حملت الظهور فإنه غير محرم، و «أَوْ» دخلت على طريق الإباحة، كما قال جَلِّ وعزّ:

---

(١) أي الرجل.

(٢) تقدم ٨١ ج ١.

(٣) الثرب: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء. يجمع على ثروب وأثراب وأثارب.

(٤) أي وصار تقدير الجملة هكذا.

﴿وَلَا تطِع مِنْهُم آثِماً أو كفوراً﴾[1]، فالمعنى كل هؤلاءِ أَهْلٌ أن يُعصَى، فأعصِ هذا، وأعصِ هذا و «أو» بليغة في هذا المعنى، لأنك إذا قلت: لا تطع زيداً وعمراً فجائز أن تكون نهيتني عن طاعتهما معاً في حال إن أَطعتَ زيداً على حِدَتِه لم أَكُنْ عَصيتُكَ، وإذا قلتَ: لا تطعْ زيداً أو عمراً أو خالداً، فالمعنى أن هؤلاءِ كلهم أهلٌ أَلَّا يُطاعَ فلا تطع واحداً منهم ولا تطع الجماعة.

ومثله جالس الحسن أو ابن سِيرين أو الشَّعبي، فليس المعنى أني آمرك بمجالسة وَاحدٍ منهم، ولكن مَعْنَى «أَوْ» الإباحة. المعنى كُلُّهم أهلٌ أن يُجَالَس، فإن جالست واحداً منهم فأنت مصيب وإن جالست الجماعة فأنت مصيب.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَيَقُولُ الَّذِين أَشْرَكُوا: لو شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنا وَلَا آباؤُنا﴾.

زعم سيبويه أن العَطْفَ بالظاهر على المضمر المرفوع قبيح، يستقبح قمت وزيدٌ، وقام وزيدٌ، فإن جاءَت «لَا» حَسُنَ الكلامُ فقلت: [لا] قمتُ ولَا زيدٌ، كما أَنَّه إذا أكد فقال قمت أنت وزيد حَسُن، وهو جائز في الشعر[2].

فأما معنى الآية فإن اللَّه جلّ ثناؤه أخبر عنهم بما سَيَقولُونَه، وقولهم: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ جَعَلُوا هَذَا القَوْلَ حُجةَ فِي إقامَتهِمْ عَلى شِركِهِمْ، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أَنْ ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِين مِنْ قَبْلِهِمْ حَتى ذاقُوا بَأْسَنا﴾.

والحُجَّةُ عَليهم في هذا أَنَّهُم إذا اعْتَقَدُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ كان على شيءٍ، والأَشياءُ تجري بمشيئة اللَّه تعالى - فهو على صَوابٍ فلا مَعنى إذن - على قولهم - للرِّسَالةِ والأَنبياءِ، فيقال لهم: فالذين على دين يخالفكم، أَليس هو على ما شاءَ اللَّه، فينبغي أَلَّا تَقُولُوا إنهمْ ضالُّونَ، وهو عزّ وجلّ يَفْعَلُ مَا يَشاء،

(١) سورة الإنسان - ٢٤ - وهي فيهما للتنويع.

(٢) لا يجوز العطف على ضمير الرفع المتصل إلا بعد فاصل، وقد جاء في الشعر بلا فاصل وهو ضعيف.

وهو قادر على أن يَهْدِيَ الخلْق أجمَعين، وليس لِلعِباد على اللَّه أن يَفْعَل بهم كلَّ مَا يَقْدِرُ عَليهْ، فقال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ فلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

فحجته البالغة تَبْيينهُ أَنَّهُ الواحدُ وإرْسَالُه الأَنبياءَ بالحجج التي يعجز عنها المخلوقون:

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾.

زعم سيبويه أنها «ها» ضمت إليها «لُمَّ» وجَعلتا كالكلمة الواحدة. فأكثر اللغات أن يقال هَلُمَّ للواحد والاثنين والجماعة. بذلك جاءَ القرآن نحو قولهم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾(١).

ومعنى ﴿هَلُم شُهَدَاءَكم﴾ أي فهاتوا شهداءَكم، وقربوا شهداءَكم، ومن العرب من يثني ويجمع ويؤنّث، فيقول للذكر هَلُمَّ، وللاثنين هلما وللجماعة هَلُمُّوا، وللمرأة هَلُمِّي وللاثنتين هلما، وللنسوة هَلْمُمْنَ.

وفتحت [الميم] لأنها مُدْغمة كما فتحت رُدَّ في الأمر لالتقاءِ الساكنين، ولا يجوز هَلُمُّ إلينا للواحد بالضمِّ. كما يجوز في رُد الفتح، والضم والكسر، لأنها لا تتصرف.

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾.

فَـ «مَا» في مَوْضِع نصب إنْ شِئْتَ بأَتْلُ، والمعنى تعالوا أَتْلُ الذي حرَّمَ ربكم عليكم، وجائز أن تكون «ما» منصوبة بحرم، لأن التلاوة بمنزلة القول، كأنه قال: أقول أي شيءٍ حرم ربكم عليكم، أهذا أم هذا، فجائزٌ أَنْ يكون الذي تَلاهُ عَلَيْهم قَوْله: ﴿إلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دماً مَسْفُوحاً﴾، ويكون ﴿أَلَّا تُشرِكُوا﴾ منصوبة بمعنى طرح اللام أي، أُبين لكم الحَرامَ لئلاَّ تُشْرِكُوا بِه شَيْئاً، لأنهم

---

(١) سورة الأحزاب آية ١٨ ﴿والقائلين لإخوانهم هلم إلينا﴾

إِذَا حَـرَّمُوا مـا أَحَـل اللَّه فقـد جَعَلُوا غيـرَ اللَّه ـ في القَبُـول منـه ـ بمنـزلـة اللَّه جلّ وعزّ فصَارُوا بِذلك مُشْرِكينَ.

ويجـوز أَنْ يَكونَ ﴿أَلاَّ تُشْركُوا﴾ مَحْمُـولاً على المعنى، فيكـون: «أَتْـلُ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشرِكُوا به شيئاً، فالمعنى أَتْلُ عَلَيْكُم تَحْرِيمَ الشِّرْكِ بِهِ.

وجـائز أَن يكـون على معنى أُوصِيكم ﴿أَلاَّ تُشْرِكوا بِهِ شيئاً﴾ لأَن قـولـه: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ محمولٌ على معنى أُوصيكم بالوالدين إحساناً.

وقوله: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُم مِنْ إِمْلاَق ﴾.

أَي لاَ تَقْتُلُوا أولادكم من فَقْرٍ، أَي من خَوْفِ فَقْرٍ(١).

﴿ولاَ تَقْرَبُوا الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن ﴾.

بدل من الفواحش في موضع نصب.

المعنى لا تَقْرَبُوا ما ظهر من الفواحش وما بطن، جاءَ في التفسيـر أَنَّ مَا بَطنَ منها الزِّنَا، وما ظهر اتخاذُ الأَخْدَان وَالأَصدقاءِ على جهـة الريبـة، وظاهـر الكلام أَن الذي جرى من الشرك باللَّه عزّ وجلّ وقتل الأَولاد وجميـع ما حـرموه مما أَحَلَّ اللَّهُ(٢) عزّ وجلّ فَوَاحِشُ، فقال: ولا تَقْـربُوا هـذه الفَوَاحِشَ مُـظْهرين ولاَ مُبْطِنِينَ، واللَّه أَعلم.

وقوله: ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ ﴾.

يدل على أَن معنى ﴿ أَلاَّ تُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْن إِحْسَاناً ﴾.

وقوله: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتيم إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن ﴾.

قال بعضهم: التي هي أَحسن رُكُوبُ دابَّتِه واستخدام خادِمه، وليس في

---

(١) من فقر واقع، لا من فقر متوقع، بخلاف ما جاء في الاية الأخرى خشية إملاق، فذلك فقر مخشي لا واقع.

(٢) ما حرمه اليهود على أنفسهم من الأطعمة.

الظاهر أَنَّ هذا هو المراد، وإنما التي هي أَحسن حفظ مـاله عليـه[1]، وتَثْمِيرُه بما وُجِدَ إليه السبيل،

وقوله: ﴿حَتَّى يَبلُغَ أَشُدَّهُ﴾.

«حتى» محمـولة على المعنى، المعنى احْفَـظُوه عليه حتى يبلغ أَشُـدَّهُ، أي فإذا بلغ أَشده فادفعوه إليه.

وبلوغ أَشُـدِّه أن يؤنَس منه الـرُّشْدُ مَـعَ أَنْ يكونَ بـالغاً، وقـال بعضهم: حتى يَبْلُغْ أَشُدَّه، حَتَّى يَبْلُغَ ثمانيَ عَشْرة سَنةً، ولسْتُ أَعْرفُ مَا وَجْهُ ذلك بـأَنْ يبلغَ قبلَ الثماني عشرة وَقد أُنِسَ منه رشدًا! فدفْعُ مالِه إلَيه واجب.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ وإذَا قُلتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾.

أَي إذا شَهِدْتم أَوْ حَكَمْتُم فاعْدِلوا، ولو كان المشهودُ عليه أَوْ لَهُ ذا قربى.

وقوله: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ تَماماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾.

الأَكثـر في القراءَة بفتـحَ النـون[2]، ويجـوز «أَحْسنُ» على إِضْمـارِ على الذي هو أَحسنُ. فأَما الفتـح فعلى أَن «أَحسنَ» فعلٌ مـاض مبني على الفتح. وأَجاز الكوفيون أَن يكون في مـوضع جَـرٍّ، وأَن يكون صفـةً الَّذي، وهَـذَا عند البصـريين خَـطَأً فـاحشٌ[3]، زعم البصـريــون أَنهم لا يعـرفــون «الَّـذِي» إلا مَوْصُولَةً، ولا تُوصَفُ إلَّا بَعْدَ تَمام صلتها، وقد أَجمعُ الكوفِيُّـونَ مَعَهُمْ على أَنَّ الوَجْهَ صِلتُها، فيحتاجون أَن يثبتوا أَنها رفعت موصولة ولا صلة لها، فأَما دخول «ثم» في قوله: ﴿ثمَّ آتَيْنا﴾ وقد علمنـا أَن ثم لا يكون الـذي بَعْدَهَـا أَبداً مَعنـاه التَّقْـدِيم، وقد علمنـا أَن القرآن أُنـزل مِن بعْدِ مـوسى، وبعد التـوراة. فقال:

---

(١) في الأصل حفظ ما له عليه هي أحسن وتثميره، الخ.

(٢) من أحسن أي جعلها فعلاً.

(٣) لأن الموصول لم يتم بذكر الصلة.

﴿ثمَّ آتَيْنا مُوسَى الكِتَابَ﴾ فإنما دخلت ثم في العطف على التلاوة[1]، والمعنى قُـلْ تَعَالَـوْا أَتْـلُ مَـا حَـرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ، أَتْـلُ عليْكم أَلاَّ تَقْتلُوا أَوْلادَكم، ولا تقتلوا النفس التي حرم اللَّه، ثم أتـلو ما آتاه اللَّه موسى.

ومعنى ﴿على الذي أَحسن﴾ يكون على[2] «تمـامـاً على المحسن» المعنى تمـاماً من اللَّه على المحسنين، ويكـون ﴿تَمَامـاً عَلَى الَّـذِي أَحْسَنَ﴾ أي على الذي أَحْسَنَه مُـوسَى مِنْ طَاعَـةِ اللَّهِ واتِّبَاع أَمْـرِه، ويجوز تمـاماً على/ الـذي هُوَ أَحْسنُ الأَشْياءِ.

و «تمام» منصوب مفعول له، وكذلك وتفصيلاً لكل شيء، المعنى آتيناه لهذه العلة أي للتمام والتفصيل.

وقوله: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾.

والمبـارَكُ ما يـأْتي من قِبَلِهِ الخيرُ الكثيـرُ، وهو من نعت كتـاب ومن قـرأ «أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكاً» جاز ذلك في غير القراءَةِ، لأَن المصحف لا يُخَالَفُ البَتَّةَ.

وقوله: ﴿ فَاتَّبِعُوهُ واتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

أَيْ لِتَكونُوا رَاجِينَ للرَّحْمَةِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾.

قال بعضهم: معناه أَنْزَلْنَاهُ لئلاَّ تَقولُوا إنما أُنزِلَ الكتابُ أي أَنزلناه لتَنْقَطِعَ حُجتُهمْ، وإِنْ كـانت الحجَّـةُ للَّه عـزّ وجـلّ، لأَن الكتُبَ التي أُنْـزِلَتْ قبـلَ النبي ﷺ قد كانت فيهـا الحجَّةُ، ولم يكن اللَّه عـزّ وجلّ: لِيَتْـرِكَ خَلقَه سُـدًى بغيـر حجة، ولكن في تنـزيل الكتـاب والنبي ﷺ غايـة الحجة، والـزيـادة في الابَانةِ.

---

(١) أي الانتقال من كلام لآخر بقطع النظر عن الزمن.

(٢) على هذا التقدير.

وقال البَصْريُّون: معناه أنزلناه، كراهةَ أن تقولوا، ولا يُجيزون إضمار «لا» لَا يقولون جئتُ أنْ أُكْرِمَك، أي لئلا أكرِمَك، ولكن يجوز فعلت ذلك أن أكرِمَك، على إضمار محبة أن أكرمك، وكراهة أن أكرمكَ، وتكون الحال تنبئ عن الضمير. فالمعنى: أنزل الكتاب كراهة أن يقولوا: إنما أنزلت الكتُب على أصحاب موسى وعيسى.

﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾.

المعنى: وما كنا إلَّا غافلين عن تلاوة كتبهم[1].

﴿أَوْ تَقُولُوا﴾: المعنى أو كراهة أن تقولوا.

﴿لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾.

وإنما كانوا يقولون ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لأنهم كانوا مُدِلِّين[2] بالأذهان وحُسْنِ الأَفْهَام، وذلك أنهم يحفظون أشعارهم وأخبارهم وآثارهم، وهم أُمِّيُّونَ لا يَكْتُبونَ.

وقوله: ﴿ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنَ رَبِّكُمْ ﴾.

أي فقد جاءكم ما فيه البيان وقطعُ الشُّبُهَاتِ عَنْكُمْ.

وقوله: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾.

أي إلا أنْ تأتيهم ملائكةُ الموْتِ.

﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾.

أو يأتي إهْلَاكُ رَبِّك إيّاهم وانْتِقامُهُ مِنْهُم، إمّا بعذَاب عاجل أو بالقيامة، وهذا كقولنا: قَدْ نَزَلَ فُلانٌ ببلَد كَذَا وكَذَا، وقد أَتَاهُمْ فُلانٌ أي قَدْ أَوْقَع بِهِمْ.

وقوله: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾.

---

(١) ليس في الآية ما يفيد الحصر ـ ولكن «إن» المخففة واللام في خبرها تفيدان التوكيد.

(٢) متباهين متفاخرين.

نحو خروج الدابة: أو طلوع الشمس منْ مغربها.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانها لَمْ تكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي لا يَنْفَعُها الإيمَانُ عِند الآية التي تضْطَرّكم إلى الإيمان، لأن الله جلّ ثناؤه قال: ﴿ إِنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تعْمَلُون﴾[1] وبعث الرسل بالآيات التي تُتَدَبَّر، فيكون للمؤمِنِ بها ثوابٌ ولو بعث الله على كل من لم يؤمن عذاباً، لاضطر الناس إلى الإيمان به: وسقط التكليف والجزاء.

وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

قال بعضهم: هذه نزلت قبل الحرب، أي ليس عليك قِتالُهم إنمَا أَمْرُهُمْ إلَى اللّهِ.

ومعنى﴿وَكانُوا شِيعاً﴾ أي كانوا مُتَفَرّقِينَ فِي دِينهمْ.

يعنى به اليهود والنصارى، لأن النصارى بَعْضُها يكفر بعضاً وكذلك اليهودُ، وهم أيضاً أَهْلُ التوراة، وبعضهم يكفر بعضاً، أعني اليهود تكفر النصارى، والنَّصارى تكفر اليهودَ.

وفي هذه الآية حَثٌّ على أن تكون كلمةُ المسلمين واحدة، وأن لا يتفرَّقُوا في الدين وأن لا يبتدعوا البدَعَ ما استطاعُوا.

فقوله: ﴿لَسْتَ مِنهُمْ فِي شَيءٍ﴾.

يدل على أَن مَن فَرَّقَ دِينَه مِن أَهْلِ مِلةِ الإسْلاَمِ وابْتَدَعَ البِدَعَ فقد صَارَ بِهِ مِنْهُمْ[2].

ومعنى شَيَّعْتُ في اللغة اتَّبَعْتُ. والعرب تقول: شاعكم السِّلْمُ وأشاعكم

---

(١) سورة التحريم آية: ٧.

(٢) صار يعمل التفريق والابتداع منهم.

السَّلْمُ، ومَعْنَاهُ: تَبِعكُمْ السَّلْمُ، قال الشاعر:[1]

أَلا يـا نَـخْـلةً مـن ذَاتِ عـرقٍ　　بَـرود الـظل شـايَعَـكِ الـظلام

وتقول: آتيتك غداً أو شِيَعَهُ [أي] أو اليومَ الذي يتبعه، فمعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً، ومعنى الشِّيَعُ الفرقُ التي كل فرقة منهم يتبع بعضهم بعضاً وليس كلهم متفقين.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَه عَشرُ أَمْثالِها﴾.

القراءَة: فلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا، والمعنى فله عَشْرُ حَسَنات أَمثالها وكما يجوز عندي خمسةٌ أثواباً، ويجوز فله عَشْرُ مِثْلِها في غير القراءَة فيكون المثل في لفظ الواحد وفي معنى الجميع، كما قال: ﴿إنكم إذاً مِثْلُهمْ﴾[2]، ومن قال أمثالها فهو كقوله: ﴿ثمَّ لَا يكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[3] وإنما جاءَ على المثل التوحيدُ، وَأَنْ يكون في معنى الجميع، لأَنه على قدر ما يشبه به، تقول مررت بقوم مِثلكم، وبقوم أَمثالكم.

---

(١) لم يعرف قائله وجاء في الخزانة في شرح الشاهد الثالث والستين وقال: أنشده ثعلب في أماليه، وصاحب الجمل في باب النداء. وفسر شاعكم بأنه بمعنى تبعكم. أما النخلة فقد تكون كناية عن المرأة، وذات عرق موضع بالحجاز، وقد يكون أراد نخلة حقيقية ذكرها لحبه المكان الذي هي به، وبرود الظل ترشح لهذا، أي المكان الذي تظله هذه النخلة بارد لطيف الهواء، ويروى البيت برواية أخرى ومعه أبيات ذكرها صاحب الخزانة أيضاً على أنه نوع من الكناية المستحبة عن المرأة:

ألا يا نخلة من ذات عرق　　عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني　　هَناً من ذاك تكرهه الكرام

وليس بما أحل الله بأس　　إذا هو لم يخالطه الحرام

وهو يتهمها فكنى عن الرفث بكلمة «هن» أي سألت الناس فأخبروني بسوء سيرتها.

(٢) سورة النساء ١٤٠.

(٣) سورة محمد الآية ٣٨.

فأما معنى الآية فإنه من غامض المعاني التي عند أهل اللغة لأن المجازاة على الحسنة من اللّه جلّ ثناؤه بدخول الجنة شيء لا يُبْلَغُ وصفُ مِقْدارِه، فإذا قال: عَشْرُ أَمْثَالها، أو قال: ﴿مَثلُ الَّذِين يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كلِّ سُنْبُلَةٍ مائةُ حبةٍ﴾[1].

مع[2] قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرضاً حَسَناً فيضاعِفَه له أَضْعَافاً كثيرة﴾[3]، فمعنى هذا كله أن جزاءَ اللّه جلّ ثناؤه على الحسنات على التضعيف للمثل الواحد الذي هو النهاية في التَّقدير في النفوس، ويضاعف اللّه ذلك بما بين عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف إلى أَضعاف كثيرة.

وأجمع المفسرون على قوله: ﴿وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فلا يُجْزَى إلَّا مِثْلَهَا﴾ ـ لأن السيئة ههنا الشرك باللّه.

وقالوا: ﴿من جاءَ بالحسنة﴾: هي قول لا إله إلا اللّه، وأَصل الحسنات التوحيد، وأَسوأ السيئات الكفر باللّه جلّ وعزّ.

﴿قُلْ إنَّنِي هَدانِي رَبِّي إِلَى صِرَاط مُسْتَقِيم﴾.

والصراط الدين الذي دلني على الدِّين الذي هو دين الحق، ثم فسر ذلك فقال:

﴿دِيناً قِيَماً﴾.

والقيم هو المستقيم، وقرئت ﴿ديناً قَيِّماً﴾ وقِيَمَ مصدر كالصغر والكبر، إلا أنه لم يقل «قِوَمٌ» مثل قوله: ﴿ لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[4] لأن قولك قام قيماً

---

(١) سورة البقرة ٢٦١.

(٢) في الأصل وقوله.

(٣) سورة البقرة ٢٤٥.

(٤) سورة الكهف الآية: ١٠٨.

كأنه على قَوُمَ أو قَوِمَ ، فلما اعتل فصار قام اعتل قِيَمٌ، فأمَّا حِوَلٌ فهـو على أنه جـار على غيـر فعـل. وأمـا نصب ﴿ديناً قيماً مِلـةَ إبـراهيـمَ﴾. فمحمـول على المعنى، لأنه لما قال: هَدَاني إلى صراطٍ مستقيم، دل على عَرَّفَنِي دينـاً قِيماً، ويجـوز أن يكـون على البـدل من معنى هـدَاني إلى صـراط مستقيم، المعنى هداني صراطـاً مستقيماً، دِينـاً قِيماً، كمـا قال جـلّ وعزّ: ﴿ وَيَهْـدِيكَ صِـراطاً مُسْتَقِيماً﴾[1] و ﴿ملة إبراهيم﴾ بدل من ﴿دِيناً قِيَماً﴾و ﴿حنيفاً﴾ منصوب على الحال من إبراهيم، المعنى هداني وعـرفني ملة إبراهيم في حـال حنيفيته، وهـو ههنا لإبراهيم حسَن منه لغيره.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقد فسرنا معنى الحنيفية وأنها الميل إلى الإسلام ميلاً لا رجوع معه.

وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾.

قالوا: النسك الذَّبْحُ، والنُّسكُ مَا يُتقرَّبُ به إلى اللَّه جلّ وعزّ، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾.

الياء ياء الإضافة، فتحت لأن أصلَها الفتح، ويجوز إسكانها إذا كان مـا قبلها متحركاً. يجوز ﴿مماتي﴾ وإن شئتَ قرأت «مَمَـاتِي اللَّه» بفتح اليـاء، وإنْ شئْتَ أسْكنْتَ فأمَّا يَاءُ محيايَ فلا بُدَّ من فتحها لأن قبلها ساكن.

ومعنى الآية أنه يخبر بأنه إنما يتقرب بالصـلاة وسائـر المناسـك إلى اللَّه جلّ وعزّ لا إلى غيره، كما كان المشركونَ يذبحـون لأصنامهم. فـأعلم أنه اللَّهُ وحده بقوله: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾.

وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّه أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كلِّ شَيْءٍ﴾.

أي هو ابتدع الأشياءَ كلها لا يقدر أحد على ابتداع شيءٍ منها.

---

(١) سورة الفتح الآية: ٢.

وقوله: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾.

أي لا تؤخذ نفس آثمة بإثم أُخرى، لا يؤخذ أَحَدٌ بذنب غيْره.

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلكمْ خَلَائفَ الأَرْض ﴾.

قيل خلائف الأرض أُمة محمد ﷺ لأن النبي ﷺ خاتم النبيين فأُمَّتُه قد خلفت سائر الأُمم، وقال بعضهم: خلائف الأرض يخلف بعضكم بعضاً.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فيمَا آتَاكُمْ ﴾.

فدل بهذا أَنه فضَّل بعضَ الناس ليختبرهم فيما رزقهم وهو جلّ ثناؤه عالم بما يكون منهم قبل ذلك، إلا أَنه اختبرهم ليظهر منهم ما يكون عليه الثواب والعقاب.

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ العقَابِ وَإِنَّه لَغَفُور رَحيمٌ ﴾.

إن قال قائل: كيف قيل سريع العقاب. وعقابَه إنما يكون في القيامة، وإن كان بعضُه قد وقع في الدنيا؟ فإنما ذلك لأن أَمرَ الساعة سريعٌ، لأن كلَّ ما زال وإن تَطَاوَلَ فهو بمنزله ما لم يُحَسَّ سُرْعَةً، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا أمْرُ السَّاعَة إلَّا كَلَمحِ البَصَرِ أوهُوَ أقْرَبُ﴾[1]، وكذلك قوله جلّ وعزّ: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَه بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[2].

---

(١) سورة النحل آية: ٧٧.

(٢) المعارج الآيتان: ٦، ٧.

سورة الأعراف

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿المصّ﴾.

قد فسرنا هذه الحروف في أول سورة البقرة، إلَّا أنا أعدنا ههنا شيئاً من تفسيرها لشيءٍ في إعرابها، والذي اخترنا في تفسيرها. قولُ ابن عباس أَنَّ ﴿المص﴾ معناه أنا اللَّه أعلم وأفصلُ وقال بعض النحويين موضع هذه الحروف رفع بما بعدها، قال: ﴿المص كتاب﴾، كتاب مرتفع بالمص، وكأن معناه المص حروف كِتَابٍ أُنزل إليك، وهذا لو كان كما وصف لكان بعد هذه الحروف أبداً ذكر الكتاب؛ فقوله: ﴿الم اللَّهُ لاَ إِلهَ إلاَّ هُوَ﴾(١)؛ يدل على أن ﴿الم﴾ لا مرافع(٢) لها على قوله، وكذلك: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾(٣)، وكذلك: ﴿حم عسق كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ﴾(٤)، وقوله: ﴿حم والكتاب المبين إنا أنزلناه﴾(٥).

فهذه الأشياءُ تدل على أن الأمر على غير ما ذكر، ولو كان كذلك أيضاً لما كان ﴿ألم﴾ مكرراً، ولا ﴿حم﴾ مكرراً(٦).

---

(١) أول سورة آل عمران.

(٢) هكذا بالأصول والظاهر أنه يريد لا مرفوع لها أي لا خبر لها أو لعلها لا موقع لها من الإعراب.

(٣) أول سورة يس.

(٤) أول سورة الشورى. وقراءة حفص: «يُوحي».

(٥) أول سورة الدخان.

(٦) كان يجب ـ لو كان المراد أن هده حروف الكتاب ـ أن يكتفي بذكرها مرة واحدة. وهو استدلال =

وقد أجمع النحويون على أن قوله عزّ وجلّ ﴿كتاب أُنزِلَ إليك﴾ مرفوع بغير هذه الحروف، المعنى هذا كتاب أُنزلَ إليك، وهو مُجْمِعٌ مَعَهُم على أَنَّ ما قَالُوه جائز فيجب اتباعُهم من قولِهِ وَقَوْلِهِمْ، ويجب على قائل هذا القول التثبيت على مخالفتهم، ولو كان كما يصف لكان مُضمِراً اسمين[1] فكان المعنى الم بعض حروف كتاب أُنزل إليك، فيكون قد أُضمر المضاف وما أُضيف إليه، وهذا ليس بجائز[2].

فإن قال قائل قد يقول ألِف. با. تا. ثا[3]. ثمانية وعشرون حرفاً، وإنما ذكرت أَربعة فمن أَين جاز ذلك، قيل قد صار اسم هذه أَلِف. با. تا. ثا، كما أنك تقول: الْحَمْدُ سَبْعُ آياتٍ فالحمد اسم لجملة السورة، وليس اسم الكتاب آلم، ولا اسم القرآن «طسّم». وهذا فرقٌ بَيْنٌ.

وهذه الحروف كما وصفنا حروف هجاء مَبْنِيَّةٌ على الوقف، وهي في موضع جُمَلٍ، والجملة إذا كانت ابتداءً وخبَراً فقط لا موضع لها. فإذا كان معنى كهيعص، معنى الكاف كافٍ، ومعنى الهاء هادٍ، ومعنى اليَاء والْعَيْن مِنْ عَلِيم ومعنى الصاد من صَدُوقٍ، وكان معنى «آلم» أَنا أَعْلَمَ، فإنما موضعها كموضع الشيء الذي هُوَ تأْويل لَهَا[4]. ولا موضع في الإعراب لقولك: أَنا اللَّه أَعلم، ولا لقولك؛ هو هاد، وهو كاف، إنما يرتفع بعض هذا ببعض، والجملة لا موضع لها.

= غير قوي، فقد كررت في القرآن أدلة كثيرة.

(١) لكان المحذوف مضافين.

(٢) انظر مدى تحامل الزجاج ـ ففيما عدا الدليل الأول أدلته خطابية، وليس المراد في قوله تعالى واسأل القرية أن يسأل كل أهل القرية ـ بل أن يسأل بعض أهل القرية، فالمراد: واسأل بعض أهل القرية ولم يعبه أحد، وهنا المراد، تلك بعض أحرف الآيات. ولا يلزم أن يطرد التقدير في جميع فواتح السور، بل يجوز هذا التقدير حيث أمكن.

(٣) أي حروف الهجاء.

(٤) موضع هذه الحروف موضع الجمل التي جاءت هي في موضعها.

وقوله: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنهُ﴾.

فمعنى الحرج الضيق. وفيه وجهان، أحدهما أن يكون لَا يَضِق صـدْرُكَ بـالإبلاغ ولا تخـافن، لأنه يـروى عن النبي ﷺ أنـه قـال: رب إني أخـاف أن يثلغـوا(١) رأسي فيجعلوه كالخبـزةِ، فأعلم اللَّه عـزّ وجلّ أنـه في أمـان منهم، فقـال: ﴿وَاللَّهُ يَعصِمُك مِنَ النَّـاسِ﴾(٢)، وقـال: ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَـدْرِكَ حَـرَجٌ مِنْهُ﴾.

أي فلا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ من تَأْدِيَةِ مَا أُرْسِلْتَ بِهِ.

وقيل أيضاً: فلا تَشُكَّنَّ فيه.

وكلا التفسيرين له وجه، فَأَمَّا تأويل فلا تَشُكَّنَّ، وتأويل ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٣)، وتأويل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَـكٍّ مِمَّا أَنْـزَلْنَا إِلَيْـكَ فاسْـأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾(٤) فإن ما خوطب به ﷺ فهو خطاب لأمتِـهِ، فكأنـه بمنزله «فلا تشكُّوا ولا ترتابوا».

وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ بِهِ﴾.

معناه التقديم، والمعنى واللَّه أعلم ـ كتـاب أُنزل إليـك لتنذر بـه وذكرى للمؤمنين، فلا يكن في صدرك حرج منه.

﴿وَذِكْرَى﴾ يصلح أن يكون في موضع رفع ونصب وَجَرٍّ فأما النصب فعلى قولك: أُنْزِلَ لِتُنْذِرَ به وذكرى للمؤمنين، أي ولتذكر به ذكرى، لأن في الإنـذارِ مَعنى التذكير.

---

(١) ثلغ رأسه كمنع: شدخه.

(٢) سورة المائدة الآية: ٦٧.

(٣) سورة البقرة آية: ١٤٧.

(٤) سورة يونس: ٩٤.

ويجوز أن يكون وَهُوَ ذكرى للمؤمنين كقولك وهو ذكر للمؤمنين.

فأما الجر فعلى معنى لِتُنْذِرَ، لأن معنى «لِتُنْذِرَ» لأن تُنْذِرَ فهو في موضع جر. المعنى للإنذار والذِّكرَى. فأما ذِكْرَى فمصدرٌ فيه ألف التأنيث، بمنزلة دعوت دعوى، وبمنزلة رَجَعْتُهُ رُجْعَى. واتَّقَيْتُ تقوى، إلا أنه اسم في موضع المصدر.

وقوله: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي اتَّبِعُوا القرآن، وَمَا أُتِيَ به عن النبي ﷺ لأنه مما أُنزل عليه لقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾(1).

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾.

أي لَا تَتَوَلَّوْا مَنْ عَدَلَ عن دين الحق، ومن ارتضى مذهباً من المذاهب، فالمؤْمن وليُّ المؤْمِن،

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(2).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

ما زائدة مُؤَكِّدَة، المعنى قليلًا تذكرون، وفي تذكرون وجهان في القراءَة: قليلاً مَا تَذَّكَّرون - بالتشديد - في الذال، والمعنى: قليلاً ما تتذكرون، إلا أن التاءَ تدغمُ في الذال لقرب مكان هذه من مكان هذه.

ومن قرأ «تَذَكَّرُونَ»(3) فالأصل - أيضاً - تتذكرون، إلَّا أنه حذف إحدى التاءَين، وهي التاءُ الثانية لأنهما زائدتان، إلا أن الأُولى تدل على معنى الاستقبال فلا يجوز حذفها، والثانية إنما دَخَلَتْ على معنى فعلت الشيءَ عَلَى تمهُّل، نحو تَفَهَّمْتُ وَتَعَلَّمْتُ، أي أحدثت الشيءَ على مَهَلٍ، وتدخل على

---

(1) سورة الحشر: ٧.

(2) سورة التوبة: ٧١.

(3) هذا هو الوجه الثاني.

معنى إظهار الشيءِ والحقيقة غيره، كقولك تقيَّسْتُ أي أظهرت أني قَيْسِيٌّ[1].

فإنما المحذوف من تتفعلون الثانية، لأن الباقي في الكلمة من تشديد العين من تفعل يدل على معنى الكلمةِ، ولو حذفت تاءَ «استقبال» لبطل معنى الاستقبال[2].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَة أهلَكْنَاها﴾.

المعنى وكم من أهل قرية أهلكناهم، إلا أن أهل حذف لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله: ﴿فجَاءَها بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾.

محمول على لفظ القرية، ولو قيل فجاءَهم لكان صواباً.

وقوله: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

قال بعض النحويين: المعنى وهم قائلون[3]، والواو فيما ذكر محذوفة وهذا لا يحتاج إلى ضمير الواو، ولو قلت: جاءَني زيد راجلاً أو وهو فارس، أو جاءَني زيد هو فارس لم تحتج إلى واو، لأن الذكر قد عاد إلى الأول.

ومعنى «بَيَاتاً»: ليلاً، يقال بات بياتاً حسناً، وبيتةً حسَنَة، والمصدر في الإصابات بيتاً. والبيت بيت الشعر وكذلك بيت المدَرِ، وإنما أصل تسميته من أنه يصلح للمبيت، ويقال لفلان بيتة وليلة وَبَيْتُ ليلة، أي ما يكفيه من القوت في ليلة.

ومعنى ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾.

أي أو جاءَهم بأسنا نهاراً في وقت القائلة، يقال قِلتُ من القائلة،

---

(١) أي من قبيلة قيس أى انتسبت إليها.

(٢) المادة «قبل» زيد عليها الألف والسين والتاء، وثلاثتها زيادة واحدة فلا يجوز حذف حرف منها.

(٣) والتقدير حينئذ: بياتاً أو وهم قائلون، وهو أوضح من رأي الزجاج.

فالمعنى إنهم جاءَهم بأسنا غفلة، وهم غير متوقعين له، إما ليلاً وهم نائمون، أو نهاراً وهم قائلون كأنهم غافِلون.

وأو ههنا دخلت على جهة تصرف الشيءِ ووقوعِه، إما مرَّة كذا، وإما مرةً كذَا، فهي في الخبر ههنا بمنزلة أو في الإباحة، تقول جالس زيداً أو عمراً، أي كلُّ واحدٍ منهما أهلٌ أنْ يُجَالِسَ، وأو ههنا أحسن من الواو، لأن الواو تتضمن اجتماع الشيئين، لو قلت: ضربت القوم قياماً وقعوداً، لأوجَبَتِ الواو أنك ضربتهم وهم على هاتين الحالتين، وَإذَا قلتَ: ضربتهم قياماً أو ضربتهم قعوداً، ولم تكن شاكًّا، فإنما المعنى أنك ضربتهم مرة على هذه الحال، ومرة على هذه الحال[1].

وموضع «كم» رفع بالابتداءَ، وخبرها أهلكناها، وهو أحسن من أن تكون في موضع نصب، لأن قولك زيدٌ ضربْتُه أجْوَدُ[2] من زيداً ضربتُه. والنصب جَيِّدٌ عربي أيضاً مثله قوله جلّ وعزّ: ﴿إنَّا كُلَّ شْيءٍ خلقنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[3].

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهمْ إذ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إلا أَنْ قَالُوا إنَّا كُنَّا ظَالِمِين﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - أنهم لم يحصلوا مما كانوا ينتحلونه من المذهب والدّين ويدعونه إلاَّ عَلَى اعتراف بأنهم كانوا ظالمين، والدعوى اسم لما يَدَّعِيهِ، والدَّعوى يصلح أنْ تكونَ في معنى الدُّعَاءِ لو قلت: اللهم أشركنا في صالح دعاءِ المسلمين ودعوى المسلمين جاز، حكى سيبويه ذلك وأنشد:[4]

---

(١) للتنويع.

(٢) لأنه جملة اسمية، أما زيداً ضربته فجملته فعلية.

(٣) سورة القمر ٤٩، والرفع هنا ضعيف موهم، لأن كل شيء «نكرة»، فيكون موقع «خلقناه» ههنا صفة، فيكون التقدير: وكل شيء مخلوق لنا بقدر، وهذا يوهم أن هناك شيئاً مخلوقاً لغير اللَّه.

(٤) في اللسان (دعا) وفي كتاب سيبويه ٢ - ٢٢٨ أن البيت لبشر ابن النكت - قال سيبويه: وأما الدعوى فهو ما ادعيت، وأورد الآية وشطر البيت جميعاً - وكذلك أورد الأعلم الشنتمري الشعر وقال إنه بناء الدعاء على دعوى، كما قالوا الرجعى في معنى الرجوع والذكرى في معنى الذكر.

وَلَّــت ودَعْــوَاهَـــا كثيــر صَخَبُــه

وموضع «أنْ» الأحسن أن يكـون رفعاً، وأن تكـون الدعـوى في موضـع نصب، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿مَا كانَ حجتَهم إلا انْ قَالُوا﴾[1] ويجوز أن يكون في موضع نصب، ويكون الدعوى في موضع رفع إلا أن الدعوى إذا كانت في مـوضع رفـع فالأكثـر في اللفظ «فما كـانَتْ دَعْوَاهمْ» كـذا وكذا، «إلا أن»، لأنَّ الدعوى مؤنثة.في اللفظ، ويجوز كان دعواه باطلاً وباطلة.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿والْوَزْنُ يَوْمَئِـذ الحقُّ فمنْ ثقُلَتْ مَوَازينـه فَأُولئـكَ هُمُ الْمُفْلِحُون﴾.

اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامـة، وجاءَ في بعض التفسيـر أنه ميزان له كِفَّتَان، وأن الميزانَ أُنْزلَ إلى الدنيا ليتعامـل الناس بـالعدل وتـوزن به الأعمـال، وقال بعضهم: الميـزانُ العدلُ[2]، وذهب إلى قـولك هـذا في وزن هذا، وإن لم يكن مما يوزنُ، وتأويله أنه قد قام في النفس مساويـاً لغيره كمـا يقوم الوزن في مِـرآةِ العَيْنِ. وقال بعضهم: الميـزانُ الكتابُ الـذي فيه أعمـال الخلق، وهذا كلُّه في باب اللغة ـ والاحتجاج سائغ، إلا أن الأَوْلَى مِنْ هذا أن يُتَّبَعَ مَا جَاءَ بالأسانيد الصحـاح. فإن جـاءَ في الخبر أنـه ميزانٌ لـه كِفَّتَان، من حيثُ يَنقُلُ أهلُ الثقة، فينبغي أن يُقْبَلَ ذَلِكَ. وقد روي عن جرير عن الضحاك أن الميزانَ الْعَدْلُ، والله أعلم بحقيقة ذلك، إلا أن جملة أعمال الْعِبَادِ مَوْزُونَةٌ على غاية الْعَدْل والحَقِّ، وهو قوله:

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٥.

(٢) أي الميزان معناه العدل، وإذن فمعنى نضع الموازين نقيم العدل بين الناس.

(٣) ولعل الأقرب في الميزان أنه التقدير والاحصاء ـ بمعنى تحصى حسنات الشخص وسيئاته وتقدر ثم يجزى على هذا الاساس. فهذا وزن.

وقد فسرنا المفلح فيما تقدم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ مكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِش﴾

معنى التمكين في الأرض التمليك والقدرة.

ومعنى المعايش يحتمل أن يكون ما يعيشون به، ويمكن أن يكونَ الوصلةَ إلى ما يعيشون به.

وأكثر القراءِ على ترك الهمْزِ فِي معايش، وقد رَوَوْهَا عَن نَافِع مَهْمُوزَةً. وجميعُ النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ، وذكروا أن الهمز إنما يكون في هذه الياء إذا كانت زائدة نحو صحيفة وصحائف، فأما مَعَايش فمن الْعَيْش، الياءُ أصلية وصحيفة من الصُّحُف لأن الياءَ زائدة، وإنما همزت لأنَّهُ لاحَظَّ لها في الحركة، وقد قَرُبَتْ من آخر الكلمة وَلَزِمَتْهَا الْحَرَكَةُ فَأَوْجَبُوا فيها الهمزَ، وإذا جَمَعْتَ مَقَاماً قلت مَقَاوِمَ.

وأنشد النحويون:

وإني لقوام مقاوم لم يكن جرير ولا مولى جرير يقومها[1]

وقد أجمع النحويون على أن حكوا مصائِب في جمع مصيبة، بالهمز، وأجمعوا أن الاختيار مصاوب، وهذه عندهم من الشاذ، أعني مصايب، وهذا عندي إنما هو بدل من الواو المكسورة[2]، كما قالوا في وسادة: إسادة، إلَّا أن هذا البدل في المكسورة يقع أولاً كما يقع في المضمومة، نحو﴿أُقِّتَتْ﴾[3] وإنما هو من الوقت والمضمومة تبدل في غير أول نحو أدْؤُر، يقولون أَدْؤُ فحملوا المكسورة على ذلك.

---

(١) تقدم ص ٢٠٦ ج ١.

(٢) إبدال شاذ، إذا الواو متحركة بعد حرف مد.

(٣) في سورة المرسلات: ﴿وإذا الرسل أقتت﴾.

ولا أعلم أحداً فَسَّرَ ذَلِكَ غيري، وهـو أحسن من أن يجعل الشيءُ خـطأً إذا نطقت به العرب وكان لـه وجه من القيـاس، إلا أنه من جنس البـدل الذي إنما يتبع فيه السماع، ولا يجعل قياساً مستمراً.

فأما ما رواه نافع من معائش بالهمز فلا أعرف له وجهاً، إلا أن لفظَ هذه الياءِ التي من نفس الكلمة أُسْكِنَ في معيشـة فصار على لفظ صحيفـة، فحمل الجمع على ذلك، ولا أُحب القـراءَة بالهمـز إذ كَانَ أَكْثَـرُ النَّاسِ إِنَّمَـا يَقْرَأُونَ بترك الهمز، ولو كان ممـا يهمزُ لجـاز تحقيقه وتـرك همزه، فكيف وهـو مما لا أصل له في الهمز؟ وهو كتـاب اللَّه عزّ وجـلّ الذي ينبغي أن يمـال فيه إلى مـا عليه الأكثر لأن القراءَة سنة فالأَوْلى فيها الاتباع، والأَولى اتباع الأكثر.

وزعم الأخفش أنَّ مصـائب إنمـا وقعت الهمـزة فيهـا بـدلاً من الـواو[1] أُعلَّت في مصيبـة، وهذا ردِيءٍ. لا يلزم أن أقـول في مقام مقـائِم وفي معونـة معائن.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَـوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَـا لِلْمَلَائِكَـةِ اسْجُدُوا لآدَمَ﴾.

زعم الأخفش أن «ثم» ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعربيته، إنما ثمَّ للشيءِ الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير، وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداءُ خلق آدم أولاً، فإنما المعنى إنا بدأنا خلق آدم ثم صورناه، فابتداء خلق آدم التراب، الدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ مثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَاب﴾.

فبـدأَ اللَّه خلق آدم ترابـاً، وبدأ خلق حـواءَ من ضلع من أضـلاعـه، ثم

---

(١) بدلاً من الواو المعلولة في مصيبة أي التي أعلت. لأن الفعل صاب يصوب.

وقعت الصورة بعد ذلك، فهذا معنى ﴿خلقناكم ثم صورناكم﴾. أي هذا أصل خلقكم. ثم خلق اللَّه نطفاً ثم صُوِّرُوا. فثمَّ إنما هي لما بعدُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلمَلاَئِكَة اسْجُدُوا لآدَمَ﴾.

أي بعد الفراغ من خَلْق آدمَ أُمِرَتِ الملائكَةَ بالسجود.

وقوله: ﴿إلَّا إبْلِيسَ لمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجدِين﴾.

استثناء ليس من الأول، ولكنه[1] ممن أُمِرَ بالسجـود، الدليـل على ذلك قوله.

﴿ما مَنَعك ألَّا تَسْجُدَ إذْ أمَرْتُك﴾.

فدل بقوله: ﴿إذ أمرتك﴾ أنَّ إبْلِيسَ أُمِرَ بالسجود مع الملائكة، ومعنى ﴿مَا مَنَعَـكَ ألَّا تَسْجُدَ﴾الْغَـاءُ «لا»[2]، وهي مؤكدة، المعنى: مـا منعك أن تسجـد فمسألته[3] عن هذا واللَّه قد علم ما منعه، توبيخ لـه وَلْيُظْهِـرَ أنه معـاند، وأنـه ركب المعصية خلافاً[4] للَّه، وكل من خالف اللَّه في أمره فلم يَـرَهُ وَاجِباً عليـه كافرٌ بإجماع، لو ترك تارك صلاةً قال إنها لا تجب كـان كافـراً بإجمـاع الأُمة، فأعلم اللَّه جلّ ثناؤه أن معصية إبليس معصية معانَـدَة وكفر، وقـد أعلم اللَّه أنه من الكافرين فقال:﴿إلا إبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فَالْفَصْلُ بين معصية إبليس ومعصيةِ آدمَ وحَوَّاءَ أَنَّ إبليس عانـد وأقام ولم يتب، وأن آدم وحـواءَ اعترفـا بالـذنب وقالا: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنـا وإلا تَغْفِرْ لنـا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِين﴾[5].

---

(١) أي إبليس.

(٢) أي «لا» زائدة.

(٣) سؤاله عن عدم السجود.

(٤) مخالفة وعصياناً.

(٥) ثم إنهما عصيا نسيانا لا معاندة.

ومثل «ألَّا» في قوله: ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ قوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهلُ الْكِتَابِ﴾ (أي) لأن يعلم أهل الكتاب، وقول الشاعر:

أبى جودُه «لَا» البخل واستعجلت به «نعم» من فتى لا يمنع الجوعَ قاتله[1]

قالوا معناه أبى جودُه البخلَ.

وقال أبو عمرو بنُ العلاءِ: الرِّوَايَةُ أبى جوده البخل.

واستعجلت به «نَعَمْ»، والذي قاله أبو عمرو حسن، المعنى أبى جوده «لا» التي تُبخِّل الإنسان، كأنه إذا قيل: لا تسرف ولا تبذر مالك أبى جودُه «لا» هذه، واستعجلت به «نعم»، فقال: نعم أفعل ولا أترك الجودَ.

وهذان القولان في البيت هما قولا العلماء، وأرى فيه وجهاً آخر وهو عندي حسن. أرى أن تكون «لا» غير لغو، وأن يكون البخل منصوباً بدلاً من «لا». المعنى أبى جودَه البُخْلَ واستعجلت به «نعم».

وموضع «ما» في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ﴾ رفع، المعنى أي شيء منعك في السجود، فلم يقل منعني كذا وكذا فأتى بالشيء في معنى الجواب، ولفظه غير جواب، لأن قوله: ﴿أَنَا خَيرٌ مِنْهُ﴾ في معنى منعني من السُّجود فَضلي عَلَيْه. ومثل هذا في الجواب أن يَقول الرجل كيف كنت، فَيَقولُ: أنا صالح، وإنما الجواب كنت صالحاً، ولكن المعنى أنه قد أجابه بما احتاج إليه وزاده أنه في حال مسألته إياه صالح فقال اللَّه عزّ وجلّ:

---

(١) البيت في اللسان «لا». والخصائص ٢/٣٥، وشواهد المغني ٢١٧.

ذكر يونس أن أبا عمرو كان يجر «البخل» - أي بإضافة «لا» إليه - وقد أشكل إعرابه على الشراح - وأقربها جر البخل ونصب «قاتله» على الحال أو على أنه مفعول به أي لا يمنع الجود ممن يريد قتله، والرواية إذن «لا يمنع الجود قاتله» أما رواية «الجوع» فغامضة. ومعنى «لا البخل» لا الدالة على البخل وفسر السيوطي البيت بأنه مدح لشخص كريم، يأبى له جوده أن يقول «لا» التي تستعمل للبخل، واستعجلت به كلمة «نعم» أي سبقت «لا» - كقول الشاعر:

واستعجلونا وكانوا من صحابتنا

﴿فاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

لأنه قد استكبر بهذا الجواب فأعلمه اللّه أنَّه صاغرٌ بهذا الفِعْل.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

أي أخِّرني إلى يَومِ البَعْثِ، فلَم يُجَب إلى الإنْـظَارِ إِلَى يَـوْمِ البعث بعينه، وأُعْلمَ أنه منظور إلى يوم الوقْت المعْلُومِ.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

في قوله: ﴿أغويتني﴾ قولان. قال بعضهم: فبما أَضْلَلْتَنِي وقال بعضهم: فبما دَعَوْتني إلى شيء غَوِيت به، أي غويتُ من أَجْل آدم.

﴿لأقْعُدنَّ لَهُمْ صِراطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

ولا اختلاف بين النحويين في أَن «على» محذوفة، ومن ذلك قولك: ضُرِبَ زيد الظهْر والبَطْنَ.

وقوله: ﴿ ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْـدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وعَنْ أَيْمَـانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِم﴾.

معناه - واللّه أعلم - ثم لآتينَّهمْ في الضَّلَال من جميع جهاتهم، وقيل من بين أيديهم أي لأضِلنهم في جميع ما يُتَوَقَّـعُ، وقيل أيضـاً: لأُخوِّفنَّهم الفقـرَ، والحقيقةُ - واللّه أعلم - أي أنْصَرِفُ لهم في الإضلال في جميع جهاتهم.

وقوله: ﴿قَالَ اخْرُجْ منْهَا مَذْؤُوماً مَدْحُوراً﴾.

معنى مَـذْءُومٍ كمعنى مَـذْمُـومٍ، يُقَـالُ: ذَأَمْتُـه أَذْأَمُـه ذَأْمـاً، إِذَا رَعَبْتَه وَذَمَمْتَه[1].

ومعنى ﴿مَدْحُوراً﴾. مُبْعَداً من رحمة اللّه.

---

(١) رعبـه - كمنعه - خـوفه - فـرعب، وذأمـه - كمنعـه ايضاً: حقـره وذمـه وطـرده، فـإبليس هنـا ذم باللعنة، وطرد من الجنة.

وقوله: ﴿لَمَن اتَّبِعَكَ مِنْهُمْ﴾.

هذه اللام لام القسمِ تدخلُ توطئة للأمر.

﴿لأملأنَّ﴾.

والكلام بمعنى الشرط والجزاء، كأنه قيل: من تبعك أُعَذِّبُه، فدخلت اللام للمبالغة والتوكيد[1]، ولام لأملأن لام القسمِ ولام «من تبعك» توطئة لها[2]، يجوز في الكلام: واللّه من جاءَكَ لأَضْربنَّه، ولا يجوزُ: واللّه لَمَنْ جَاءَكَ أَضربه[3]، وأنت تريدُ لأضربنه، ولكن يجوز: واللّهِ لمنْ جاءَكَ أَضْرِبْهُ تريد لأَضْرِبَنَّه[4]، وقال بعضهم في قوله: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي لأُغْوِيَنَّهُمْ فيما أُمِرُوا به.

وقوله: ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾ أي لأُغوينَّهم فيما نُهُوا عَنْه والذي أظنه ـ واللّه أعلم ـ على هذا المذهب: أني أُغويهم حتَّى يُكَذِّبُوا بأُمور الأمم السالِفةِ وبالبَعْث، كما ذكر في هذا، ومعنى: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾. أي لأُضِلَّنَّهمُ فيما يَعْمَلُونَ، لأنَّ الكسب يقال فيه: ذَلِكَ بمَا كسبتْ يَداك، وإن كانت اليدان لم تجنيا شيئاً، إلا أنه يقال لكل ما عمله عامل كَسَبَتْ يَدَاكَ، لأَنَّ اليَدَيْن الأَصلُ في التصرف فجعلتا مثلاً لجميع مَا عُمِلَ بغيرِهِمَا، قال اللّه عزّ وجلّ ذَلِكَ بمَا كَسَبَتْ يَدَاكَ[5]، وقال: ذلك بما كسبت أَيْديكم[6]، وقال:

---

(١) اجتمع الشرط والقسم ـ فاللام في «لأملأن» في جواب القسم.

(٢) اللام في «لمن تبعك» لام القسم. موطئه للام في لأملأن.

(٣) لأن توكيده هنا واجب.

(٤) لأن المذكور جواب الشرط، وجواب القسم محذوف مقدر فيه التوكيد ولهذا جزم المضارع، والأولى دائماً حذف جواب المتأخر من الشرط والقسم.

(٥) لا توجد آية بهذا اللفظ ولكن يوجد: ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ (آل عمران) ١٨٢.

(٦) لا توجد آية بهذا اللفظ. ولكن في القرآن: ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾: سورة الروم الآية ٤١، ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ سورة الشورى الآية ٣٠.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَب﴾[1] ثم فَسَّر فقال: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مالُهُ ومَا كَسَبَ﴾.

وقوله: ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ ﴾.

هـذا الاختيـارُ، أَعْنِي ذكـر أَنْتَ، تقـول إذهب أَنْتَ وزيـدٌ، ولـو قلت: إذهب وزيد كان قبيحاً[2].

وقد فسَّرناهُ فيما سَلَف:

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾.

قال بعضهم: هي السُّنْبلَةُ، وقيل هي شَجرةُ الكَرْمِ.

وقوله: ﴿فَتكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

الأَجود أَن يكون. «فتكونا» في موضع نصب على جوانب الأمر بـالفاءِ. أَي فإنكما إن قربتماها كنتما من الـظالمين. ويجوز أَن يكـونَ في موضـع جزم عطفاً على قوله: وَلَا تَقْرَبَا فَتكُونَا، أَي فلا تكونا من الظالمين.

وقوله: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾.

تدل واللَّه أَعلم على مَعْنى قوله:

﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾.

ويجـوزُ مَلِكين، لأَنّ قـولـه: ﴿هَـلْ أَدُلُّـكَ عَلَى شَجـرَةِ الخُلْدِ وَمُلْك لَا يَبْلَى﴾[3] يدل على مَلِكَيْن وأحسبه قد قـرئ به، فتـدل - واللَّه أَعلم - على أَن القـول إنما كـان وسوسـة من إبليس. والأَجود أَنْ يكـون خـطابـاً[4]، لقـولـه: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصحينَ﴾[5].

---

(١) لا تدل اليد هنا على الكل لأنه ذكر بعدها «وتب».

(٢) أي ممنوع، وإنما ينصب المعطوف هنا مفعولاً معه حيث لا فاصل بعد ضمير الرفع.

(٣) سورة طه آية ١٢٠.

(٤) جهراً وليس وسوسة، لأنه تقاسم وإياهما، والمخالفة لا تكون وسوسة.

(٥) على هذا «وسوس» بمعنى همس وزين.

أي فَحَلَفَ لَهما:

﴿فَدَلَّاهُمَا بغُرُورٍ﴾.

أي دَلَّاهُمَا فِي المعصية بأن غرهما.

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾.

أي ظهرت لهما فروجُهُمَا، وإنما السَّوْءَةُ كناية عن الفَرْجِ، إلَّا أَنَّ الأصلَ - في التسمية السَّوءَةُ.

وقوله عزّ وجل: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الجَنَّةِ﴾.

مَعْنى طَفِقَا أَخَذَا في الفِعْل، والأكثر طَفِقَ يَطْفَقُ. وقَدْ رُوِيَتْ طَفق يطفِقُ، بكسر الفاءِ.

وقِيلَ: كان ورقُ الجنَّةِ ذلك ورقَ التِّين، ومعنى يَخْصِفَانِ، يجعلانِ وَرَقَةً على ورَقَة، ومنه قيل للخَصَّافِ الذي يَرْقَع النَّعْلَ: هو يخصِفُ، قال الشاعر:[1]

أو يخصف النعلَ لَهْفِي أَيَّةً صَنَعَا

وَيَجُوزُ يَخْصِفَانِ وَيخصِّفَان، والأصل الكسر في الخاءِ، وفتحها وتشديدُ الصَّادِ[2]، ويَكون المعنى: يَخْتَصِفَانِ.

وفي هذه الآية دليل على أن أَمْرَ التكشُّفِ وإظهَارَ السوءَة قبيح من لَدُنْ[3]

---

(١) هو الأعشى من عينيته التي تقدمت أبيات منها، وهو يتحدث عن زرقاء اليمامة، وقبله:

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها ... حقاً كما نطق الذئبي إذ سجعا

وصدره: قالت أرى رجلاً في كفه كتف

وكذبوها بما قالت فصبحهم ... ذو آل غسان يزجى الموت والشرعا

انظر الكامل جـ ٢ / ٣١.

(٢) يخصفان مثل يخطف ويهدي.

(٣) أي منذ عهده.

آدم. ألا ترى أنه ذكر عظم شأنها في المعصِية فقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾.

وأنهما بادرا يسْتَتِرَانِ لقُبْحِ التكَشُّف.

وقوله: ﴿وُورِيَ عَنْهُمَا﴾.

يجوز فيه أُورِيَ، لأنَّ الواوَ مَضْمومَةٌ، إنْ شِئْتَ أبْدلتَ منها همزة، إلَّا أن القراءَة تُتَّبَعُ في ذلك. والقراءَةُ المشهورةُ وخط المصحف ﴿وُورِيَ﴾ بالواو.

ومعنى إلَّا أنْ تكُونَا مَلَكَيْنِ، وقوله: ﴿ذاقَا[الشَّجرَةَ]﴾.

يدل على أنهما ذاقاها ذَوْقاً ولم يُبالِغَا في الأكْلِ.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً﴾.

ويقرأ وَرِيَاشاً.

والرِّيشُ اللباس. العرب تقول: أعْطَيْتُه بريشتهِ، أي بكسوته، والريش، كل ما سَتَر الرَّجُلَ في جِسْمِه ومعيشتِه، يقال: تَرَيَّشَ فلان أي صار له مَا يَعيشُ بِه، أنشد سيبويه وغيرُه [1].

فريشي منكمو وهواي معكم وإن كانت زيارتكم لماما

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾.

برفع اللباس، فمن نصَبَ عطفَ به على الرِّيش يكون المعنى: أنزلنا عليكم لباس التقوى، وَيَرْفَعُ خيراً بذَلِكَ [2]، ومن رفع اللباسَ فَرَفْعُه على ضربين: أحدهما أن يكون مبتدأ ويكون ذلك من صفته، ويكون ﴿خَيْرٌ﴾ خبرَ الابتداء. المعنى ولباس التقوى المشارُ إليه خَيْرٌ.

ويجوز أن يكون. ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ مرفوعاً بإضمار «هو» المعنى [هو]

---

(١) تقدم جـ ١ ص ٨٨.

(٢) أي يكون خيراً والمبتدأ ذلك. أي ذلك اللباس أفضل.

لباس التّقوى: أي وستر العورة لبَاسُ المتَّقِينَ،ثم قال: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ويكـون[1] على أن لباس التقوى مرفوعٌ بالابتداءِ، ويكون «ذَلِكَ» خَيْرٌ يرتفع به «خَيْرٌ» على أنه خير ذلك[1]. ويكون ذلك بمنزلـة «هو» كـأنه ـ والله أعلم ـ ولبـاس التقوى هـو خير، لأن أسمـاءَ الإشارة تقـرب فيمـا يعـود من الـذكـر من المضمـر[2]، والوجهان الأَوَّلاَنِ أبينُ في العربية.

وقوله: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُه مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾.

«حيثُ» في مـوضوع جـر إلا أنهـا بُنِيَتْ على الضَّمِّ، وأَصلهـا أَن تكـون موقوفةً، لأنها ليست لمكانٍ بعينه وأن ما بعدها صلة لها، لَيْسَتْ بمضافة إليه.

ومَنَ العَربِ من يقول. . [و] «من حَيْثَ خَرَجْتَ»[3] فيفتح لالتقاءِ الساكنين، ومنهم من يقـول مِن حَوْثُ خَـرجتَ. ولا تقـرأ بهـاتين اللغتين لأَنهمـا لم يقـرأ بواحد منهما ولا هما في جودة حَيْثُ المبنيّةِ على الضَّمِّ.

وقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[4].

«جَعَلْنَا» في اللغة على ضُرُوب، منها جعلتُ بعض الشيءِ فـوق بَعْض، أي عملته وهَيَّأْتُه على هذه الصِّيغَة، ومنها جَعلَ زيدٌ فُلاناً عاقِلاً، تأْويله: سماه عَاقِلاً، ومنها جَعلَ يَقُولُ كذا وكذا، تأْويله أنه أَخذ في القول.

فأَما مَعْنَى الآيَةَ فعلى ضربين ـ والله أعلم ـ.

أَحدهما أَن يكون الكفارُ عُوقبوا بأَن سُلِّطَتْ عليهم الشَّيَاطين تزيدهم فِي غَيِّهم عُقُوبةً على كُفْرِهِمْ كما قَالَ عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيـاطِينَ عَلَى

---

(١) أي هذا وجه آخر. جعل فيه «ذلك خير» جملة مخبر بها عن لباس التقوى.

(٢) الخبر إذن جملة، وذلك هي الرابط.

(٣) ذلك رابط تقوم مقام الضمير.

(٤) سورة الأعراف. آية ٢٧.

الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[1]، أي تَحْمِلُهمْ على المعاصي حَمْلاً شَدِيداً، تَزعجهم في شدّةِ الغَيّ.

ويجوز إِنَّا جعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤمِنُونَ، أي سوينا بين الشياطين والكافرين في الذهاب عن اللَّه. كما قال: ﴿المنَافقون والمُنَافِقَاتُ بعْضُهُم منْ بَعْضٍ﴾[2].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾.

معنى الفاحشة ما يشتد قبحه من الذنوب.

﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آباءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه لا يأمر بالفحشَاءِ لأن حكمتَه وجميعَ ما خلق تدل على أنه لاَ يفعلُ إلاَّ المُسْتَحسَنَ، فكيف يأْمُرُ بالفحشاءِ. وقد احتج عليهم في غير هذا الموضوع بما قد بيَّنَّاهُ في سورة الأنعام.

وقوله: ﴿قلْ أَمَرَ رَبِّي بالقِسْطِ﴾.

أي بالعَدْلِ، فكيف يأْمُرُ بالفَحشاءِ من يُعْلَمُ أنه لا يفعل إلا الحكمة، ولا يثبتُ إلا العدلَ مِنْ أَمْرِه، فإذا كان يأْمر بالعدل ـ والعدْلُ ما قام في النفوس أنه مستقيم لا ينكره مميز ـ فكيف بالفحشاءِ، والفحشاء ما عظم قبحه. ثم وبَّخَهُم فقال:

﴿أَتقُولُونَ عَلى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

أي أَتَكْذِبونه.

وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجد﴾.

أي وَقْتَ كُلِّ صَلاَةٍ اقصدوه بصلاتكم.

---

(١) سورة مريم ٨٣.

(٢) سورة التوبة ٦٧.

﴿وادْعُوه مُخْلِصِين لَه الدِّينَ﴾.

أي مخلصين له الطاعة. احتج عليهم في إنكارهم البعث، وهو متصل بقوله:

﴿فِيهَا تَحيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرجُونَ﴾. فقال:

﴿كمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

أي فليس بعثكم بأشدَّ من ابتدائكم.

وقوله: ﴿فَرِيقاً هَدَى، وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾.

معناه إنه أضَلَّ فَرِيقاً حَقَّ عليهم الضلالة. ثم قال:

﴿إِنَّهُمُ اتخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّه﴾.

ولو قُرِئَتْ أَنَّهم اتَّخَذُوا الشياطين لكانت تجوز[1]، ولكن الإجماع على الكَسْرِ.

وقوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أنهمُ مُهْتَدُونَ﴾.

يدل على أن قوماً ينتحلون[2] الإسلامَ ويزعمونَ أن من كان كافراً، وهو لَا يعلمُ أنه كافر فليس بكافرٍ مُبْطِلُون[3] لأمر نِحْلتِهِمْ، لأن اللَّه جلّ ثناؤه قد أعلمنا أنهم يَحْسَبُون أنهُمْ مهتدون، ولا اختلاف بين أهل اللغة في أن الحُسْبَانَ ليس تأويله غيرَ مَا يُعْلم من معنى حسب[4].

والدليل على أن اللَّه قد سماهم بظنهم كَفَرةً قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا خلقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُما بَاطِلاً، ذَلِكَ ظَنُّ الذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للذين كفَرُوا مِنَ النارِ﴾[5] فأَعلم أَنهم بالظنِ كافِرونَ، وأَنهم معذبون.

---

(١) أي بتقدير لأنهم اتخذوا.

(٢) «ينتحلون» نعت لقوم، أي ان أي قوم يعقلون ذلك مبطلون.

(٣) خبر «إن قوماً».

(٤) أي هم يظنون أنهم مهتدون وليس الأمر كذلك.

(٥) سورة ص آية ٢٧.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِد﴾.

هذا أَمْرٌ بالاسْتِتَارِ في الصلوات، وكان أَهلُ الجاهليّة يطوفون عُراةً، ويَقُولون: لا نطوف حول البيتِ في ثياب قَدْ أَذْنَبْنَا فِيهَا، وكانت المرأة تطوف عُرْيَانَةً أيضاً إلا أنها كانت تشُدُّ في حَقْوَيْها أشياءَ من سُيورٍ مقطعة، تُسَمِّي العرب ذلك الرهْط، قالت امرأة تطوف وعليها رهط:(1)

الـيَـوْمَ يَبْـدو بـعـضُـه أو كُـلُّه فـمـا بـدا مـنـه فـلا أُحِـلُّه(2)

تعني الفرجَ، لأن السيور لا تسترُ سَتْراً تامًّا.

فأمر اللَّه بَعْدَ ذِكره عقوبةَ آدم وحواءَ في أن بَدَتْ لهما سوءَاتُهما، بالاستتار في وقت كل صلاة، بعد أن أعلم أن التعرِّيَ وظُهورَ السوءَةِ مكروه من لدن آدم، وقوله بعقب الاستتار:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.

لأنهم ادَّعَوْا أنَّ اللَّه جلّ ثناؤه قد حرم عليهم شيئاً مما في بطون الأنعام، وحرم عَلَيْهم البَحِيرَةَ والسائبة، وكانوا يزعُمونَ فيما يأْتون من الفحشاءِ كالتعرِّي وما أَشبَهَهُ - أن اللَّه جلّ ثناؤه - أمرهم بذلك فأمرهم اللَّه بالاستتار، وأن يأْكلوا ما زعموا أنَّ اللَّه عزّ وجلّ حرمَه مما لم يحرِّمه، وأن يشربوا مما

---

1) الرهط جلد يشق من أسفله ليمكن المشي فيه، تلبسه الأطفال والحيض، أو جلد يشق سيوراً.

2) كان قوم من العرب يطوفون بالبيت عرايا، ويطوف النساء ليلاً أو يلبسون «رهطاً» حتى جاء الإسلام فحرم ذلك، وهذه المرأة تتحدث عن فرجها، تقول: إنها مع ما يبدو من فرجها عفيفة وما بدا من سوءتها لا تحله، بل هي مع هذا محافظة على عفتها. وصاحبة الشعر هي أسماء بنت مخربة أم أبي جهل والحرث، وتزوجت عبدالله بن ربيعة بن المغيرة فولدت له عياشاً - واختلف في إسلامها، واختار ابن حجر أنها أسلمت وماتت في خلافة عمر. وذكر مع هذا البيت بيتاً آخر: هو:

كـم مـن لـبـيـب عـاقـل يـضـلـه ونـاظـر يـنـظـر مـا أعـلـه

انظر الإصابة جـ ٤/٢٣٢، ٥٥ من تراجم النساء، ويقال ان الآية نزلت فيها.

والبيت في معاني الفراء جـ ١ - ٧٧ والطبري ٨/١٠٤، ١٠٩.

زعموا أن اللَّه جلّ وعزّ حرم عليهم شربه، لأن ألبان البحيرة والسائبة كانت عندهم حراماً.

وقوله: جلّ وعزّ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ﴾.

والإسراف أن يَأْكُلَ مَا لَا يَحِلُّ أَكْلُه مما حرمَ اللَّه تعالى أَنْ يُؤكَلَ شَيءٌ منه، أو تأكل مما أُحل لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يُحْبِبْهُ اللَّه عزّ وجلّ فهو في النار. ثم قَرَّرَهم وَوَبخهم فقال:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّه الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾.

أي من حرم أن تلبسوا في طَوَافِكُمْ مَا يَسْتُرُكُمْ.

﴿والطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.

أي ومن حرم الطيبات مما رزق اللَّه، أي من حرم هذه الأشياءَ التي ذكرتم أنها حرام.

ثم قال عزّ وجلّ:

﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

وتقرأُ خالصةً وخالصةٌ يومَ القيامة.

المعنى أنها حلال للمؤْمنين، وقد يَشْرَكُهُمْ فيها الكافرون.

أعلم عزّ وجلّ أَنَّ الطَّيبَات تَخْلُصُ للمؤْمنين في الآخرة ولا يَشْرَكُهُمْ فيها كافر.

فأما إعراب «خَالِصَةٌ» فهو أَنَّـهُ خبر بعد خبر، كما تقول: زيد عاقِلٌ لَبِيبٌ. فالمعنى قل هي ثابتةٌ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يومَ القيامة، ومن قرأ خالصةً جعل خالصة منصوباً على الحال، على أن العامل في قولك في الحياة الدنيا في تأْويل الحال. كأنك قلتَ: هي ثابتة للمؤْمنين مستقرة في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة.

وقوله: ﴿وأَنْ تُشْرِكُوا باللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾.

موضع أَن نَصْبٌ: المعنى حرم اللَّه الفواحش تَحريمَ الشِّرك.

ومَعْنَى ﴿لَمْ يُنَزِّلْ بِه سُلْطَاناً﴾: أي لم ينزل به حجَّةً.

وقوله عزّ وجلّ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾: أي وَقْتٌ مؤقَّتٌ.

﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

المعنى: ولا يستقدمون ساعة، ولا أقل من ساعة، ولكن ذُكِرَتِ الساعة لأنها أقلُّ أسماءِ الأوقات.

وقوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾.

آدم لا ينصرفُ لأنه على قدر أَفْعَل وهو معرفة، وهو مشتق من أَدَمَةِ الأَرْض، وهو وجهها، فسمي بما خلق منه، واللَّه عزّ وجلّ أعلم.

وقوله: ﴿إما يأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾.

هذه «إن» التي للجزاء، ضمَّتْ إليها ما. والأصل في اللفظ «إِنْ ما» مفصولة، ولكنها مدغمة، وكتبتْ على الإدغام، فإذا ضُمَّتْ إن إلى ما، لزم الفِعْلَ النونُ الثَّقِيلةُ أَو الخفيفة، وجواب الجزاءِ في الفاءِ، أَي في قوله: ﴿فَمَن اتَّقى وأَصْلَحَ﴾.

فإنما تلزم «مَا» النونُ لأن ما تدخل مؤكِّدة فتلزمها النون كما تلزم اللامَ النُّونُ في القَسمَ إذا قلت: واللَّه لَتَفْعَلنَّ، فما توكيد، كما أَنَّ اللام توكيد، فلزمت النونَ كما لزمت لامَ القسم.

وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افتَرَى عَلى اللَّه كَذِباً﴾.

أيُّ ظُلْم أشنع من الكذب على اللَّه.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الكِتَابِ﴾.

أَي ما أَخبر اللَّه جلّ ثناؤه من جزائهم نحو قوله: ﴿فأَنْذَرتُكُمْ نَاراً

تَلَظَّى﴾[1] ونحو قوله: ﴿يَسْلُكْهُ عَذَاباً صُعُداً﴾[2] ونحو قوله: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[3]،ونحو: ﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ. في الحَمِيمَ﴾[4]، فهذه أَنْصِبَتُهُمْ من الكتاب على قدر ذُنُوبهم في كفرهم.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾.

زعم سيبويه ـ والخليل ـ أن «حَتَّى» و «إِمَّا» و «إِلَّا» لا تجوز فيهن الإمالة. لا يجيز: ﴿حتى إذا جاءَتهم﴾ ولا يجيز «أَمَّا»، ولا «لا إله إِلَّا اللَّهُ»[5]، هذا لحنٌ كله، وزعم أن هذه أَلفات الفَتح لأَنَّها أَواخر حروف جاءَت لمعنًى، فَفُصِلَ بينها وبين أَوَاخر الأَسماءِ التي فيها الأَلف نحو حُبْلَى وهدى، إلَّا أَن حتى كُتبتْ بالياءِ، لأَنها على أَربعة أَحرف، فأَشبهت سكرى. و«إِمَّا» الَّتِي للتخيير شبهت بإن التي ضمت إليها «ما» مثل قوله: ﴿إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ، وإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِم حُسْناً﴾[6]، كُتِبَتْ بالأَلف لما وصفنا، و «إِلَّا» أَيضاً كُتِبتْ بالأَلف لأَنها لو كُتِبَتْ بالياءِ لأَشبهت إلى.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾.

فيه ـ واللَّه أَعلم ـ وَجْهان:

يكون: حتى إذا جاءَتهم ملائكة الموت يتوفونهم سألوهم عند المعاينة، فيعرفون عند موتهم أَنهم كانوا كافرين، لأَنهم ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدعُونَ مِنْ دُونِ اللَّه قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾.

أَي بطلوا وذهبوا.

---

(١) سورة والليل الآية ١٤.

(٢) سورة الجن ١٧.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٥.

(٤) سورة غافر ٧١ ـ ٧٢.

(٥) لا يجوز إمالتها، وإمالتها لحن.

(٦) سورة الكهف الآية ٨٦.

ويجوز ـ والله أعلم ـ أن يكون: حتى إذا جاءتهم رسلنا ملائكة العذاب يتوفونهم، فيكون ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ في هذا الموضع على ضربين، أحدهما يتوفونهم عذاباً، وهذا كما تقول: قد قتلت فلاناً بالعَذاب وإن لم يمت. ودليل هذا القول قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَأْتِيه المَوْت مِنْ كلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بمَيِّت﴾[1].

وجائز وهو أضعف الوجهين أنهم يتوفون عدَّتهم والله أعلم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾.

لأنهم ضل بعضهم بأتباع بعض.

﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيها﴾.

أي تداركوا، وأُدغمت التاءُ في الدال، فإذا وقفت على قوله «حتى إذا» لم تبتدئ حتى تَأْتيَ بألف الوصل، فتقول: ادَّارَكوا فتأْتي بألف الوصل لسكون الدال فيها.

ومعنى تداركوا اجتمعوا.

وقوله ﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، المعنى حتى إذا تداركوا فيها مجتمعين.

﴿قالَتْ أُخرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ أَضَلُّونَا﴾.

أي قالت أُخراهم: دعتهم أُولاهم فاتبع الآخِرُ الأَوَّلَ. فأَعلم التابعونَ أن المتبوعين أَضَلُّوهُمْ بأَن دَعَوْهم إلى الضلال، والمعنى قالت أُخراهم يا ربنا هؤلاءِ أضلونا، لأُولاهم، تعني أُولاهم[2].

وقوله: ﴿فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ﴾.

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١٧.

(٢) قالت أخراهم مشيرة إلى أولاهم يا رب هؤلاء أضلونا، وقوله تعني أولاهم أي تعني بكلمة هؤلاء الإشارة إليهم.

أي عذاباً مُضاعَفاً لأن الضعف في كلام العرب على ضربين أحدهما المثل، والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيءِ.

﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾.

أي للتابع والمتبوع لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعاً، أي لكل عذاب مضاعف، فمن قرأ: ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ بالتاءِ.

أي ولكن لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم من العذاب، ومن قرأ وَلكِنْ لَا يَعْلَمُون ـ بالياءِ، أي ولكن لا يعلم كل فريق مقدار عذابِ الفريق الآخر.

ويجوز ـ والله أعلم ـ ولكن لا تعلمون يا أهل الدنيا مقدار ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآياتنا واسْتَكبَرُوا عَنْهَا﴾.

أي كذَّبُوا بحججنا وأعلامِنَا(١) التي تدل على نبوة الأنبياءِ وتوحيد الله.

﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾.

أي لا تَصْعَدُ أرواحهم ولا أعمالهم، لأن أعمال المؤْمنين وأرواحهم تصعد إلى السماءِ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَيْه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِبُ﴾(٢).

ويجوز لا تُفْتَح ولا تُفَتَّحُ بالتخفيف والتشديد، وبالياءِ والتاءِ.

وقال بعضهم: لا تفتح لهم أبواب السماءِ، أي أبواب الجنة، لأن الجنة في السماءِ، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الجنَّةَ﴾.

فكأنه لا تفتح لهم أبواب الجنة ولا يدخلونها﴿حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِيَاط﴾.

---

(١) جمع علم أي إخباراتنا.

(٢) سورة فاطر الآية ١٠.

فالخياط الإبرة، وسمها ثقبها.

المعنى لا يدخلون الجنة أبداً.

وسئل ابن مسعود عن الجَمَلِ فقال هو زوج الناقة. كأنه إستجهل من سأله عن الجمل.

وقرأ بعضهم الجُمل، وفسَّروه فقالوا قَلسُ[1] السفينة.

وقوله عزّ وجلّ ﴿وكذلك نجزي المجرمين﴾، أي ومثل ذلك الذي وصفنا نجزي المجرمين.

والمجرمون - واللَّه أعلم - ههنا الكافرون، لأن الذي ذكر منْ قصتهم التكذيبُ بآيات اللَّه، والاستكبار عنها.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّم مِهَادٌ﴾.

أي فراش من نار.

﴿وَمِنْ فوقِهِمْ غَوَاشٍ﴾.

أي غاشية فوق غاشية من النار.

وقوله: ﴿وَكَذلك نَجزي الظَّالمينَ﴾.

والظالمون ههنا الكافرون.

وقوله «غَوَاشٍ» زعم سيبويه والخليل جميعاً أن النون ههنا عوض من الياءِ، لأن غواشيَ لا تنصرف، والأصل فيها غَوَاشيْ، بإسكان الياءِ[2]. فإذا ذهَبَت الضَّمَّةُ أدْخَلْتَ التنوين عوضاً منها، كذلك فسر أصحاب سيبويه، وكان سيبويه يذهب إلى أن التنوين عوَضٌ من ذهاب حركة الياءِ، والياءُ سقطت لسكونها وسكون التنوين. فإذا وقفت فالاختيار أن تقف بغير ياءٍ، فتقول

(١) الحبل الضخم الغليظ.

(٢) في الوقف، والفتح في حال الوصل.

غَوَاشٍ، لتدل أن الياءَ كانت تحذف في الوَصْل. وبعض العرب إذا وقف قال غَواشي، بإثبات الياءِ، ولا أرى ذلك في القرآن لأن الياءَ محذوفة في المصحف، والكتاب[1] على الوقف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذينَ آمَنُوا وعملُوا الصَّالحات، لَا نُكَلِّفُ نفْساً إلا وسْعها﴾.

أي عملوا الصالحات بقدر طاقتهم، لأن معنى الوسع ما يقدر عليه.

وقوله: ﴿أولئك أَصْحَابُ الجنَّة هُمْ فيها خَالدُونَ﴾.

أولئك رفع بالابتداءِ، وأصحاب خبر، وهم والجملة خبر الذين، ويرجع على الذين أسماءِ الإشارة، أعني أولئك.

قوله: ﴿وَنَزَعْنا مَا فِي صُدُورهمْ من غل﴾.

قال بعضهم: ذهبت الأحقاد التي كانت في قلوبهم، وحقيقته - والله أعلم - أنه لا يحسد بعضُ أهل الجنَّة بعضاً في عُلوِّ الرُّتبة، لأن الحسدَ غلٌّ.

وقوله تعالى: ﴿تجْرِي من تحْتهُمُ الأَنْهارُ﴾.

في معنى الحال، المعنى ونزعْنا ما في صدورهم من غل في هذه الحال، ويجوز أن يكون «تجري» إخباراً عن صفة حالهم، فيكون تجري مستأنفاً.

ومعنى ﴿هَدَانا لهذا﴾.

أي هدانا لما صيرَنا إلى هذا، يقال: هديت الرجل هداية وهدى وهدْياً، وأهْدَيت الهَدْيَة فهي مُهداة، وأهديت العروس إلى زوجها وهديْتُها.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَنودُوا أَنْ تلكُمُ الجَنَّةُ﴾.

---

(١) أي الكتابة والرسم.

في موضع نصب، وهَهُنَا الهاءُ مضمرة[1]، وهي مخففَة من الثقيلة[2]. والمعنى نودوا بأنه تلكم الجنَّةُ.

والأجود - عندي - أن تكون أن في موضع تفسير النداءِ[3]، كان المعنى، ونودوا أن تلكم الجنة، أي قيل [لهم]: تلكم الجنَّة، وإنما قال: تلكم، لأنهم وُعدوا بها في الدنيا، فكأنه قيل: هذه تلكم التي وعدتم بها. وجائز أن يكون عاينوها فقيل لهم من قبل دخولها إشارة إلى ما يرَوْنَه: تلكم الجنَّة، كما تقول لما تراه: ذلك الرجل أخوك. ولو قلت: هذا الرجل لأنه يراك جاز، لأن هذا وهؤُلاءِ لما قرب منك، وذاك وتلك لما بَعُدَ عنك، رأيته أو لم تره.

وقوله: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الجنَّة أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾.

معنى «أن» ههنا إن شئت كان مفسراً لما نادى به أصحاب الجنة، والمعنى أي قد وجدنا، ويجوز أن تكون أن الشديدة وخففت، المعنى أنه قد وجدنا، قال الشاعر:

في فتية كسيوف الهند قد علموا   أن هالك كل من يحفى وينتعل[4]

وقوله: ﴿قَالوا نَعَمْ﴾.

وفي بعض اللغات قالوا نَعِمْ في معنى نَعَمْ - موقوفةُ الآخر - لأنها حرف جاءَ لمعنى.

---

(١) في هذا الموضع هاء ضمير الشأن مضمرة بعد أن.

(٢) أن هنا مخففة من الثقيلة والتقدير أنه أي الحال والشان.

(٣) وهو جيد لأن «أن» المفسرة تأتي بعدما فيه معنى القول دون حروفه.

(٤) تقوم شرح البيت، والاستشهاد هنا غير جيد، لأن أن في البيت سبقت يعلم التي يأتي بعدها أن المخففة، أما في الآية فهي مسبوقة بما فيه معنى القول دون حروفه.

وقوله: ﴿فأَذَّن مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالمينَ﴾.

ويجـوز أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه على الـظَّالمين، وقد قــرئ بهما جميعـاً والمخففة مخففةٌ من الشديدة، ويجوز أن تكون المخففة في معنى أي الخفيفة التي هي تفسير، كأنها تفسير لما أَذَّنُوا فيه.

وقوله: ﴿فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَمَا نَسُوا لقاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾.

أي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاءِ يومهم [هذا].

ومعنى: ﴿وَمَا كانُوا بآيَاتنَا يَجْحَدُون﴾.

و «كجحدِهم» و«ما» نسقُ على «كما» في موضع جر(١).

وقوله: ﴿هُدًى ورَحْمة لقـوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٢).

هـدى في موضـع نصْبٍ، أي فصلناه هـادياً وذا رحمـة. ويجـوز هـدى ورحمةٌ لقوم يؤمنون على الاستئناف، المعنى هو هُدًى ورحمةٌ لقوم يؤمنون.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ تَأْوِيلَه﴾.

معناه هل ينظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من البعث، وهذا التأويل واللَّه أعلم ـ هو قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلاَّ اللَّهُ﴾(٣)، أي ما يعلم متى يكون البعث، وما يؤول إليـه إلا اللَّه: ﴿والراسِخُـونَ في العِلْمِ يَقُولُـونَ آمَنَّا بِـهِ﴾(٣) أي آمنـا بالبعث ـ واللَّه أعلم ـ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿يومَ﴾ منصوب بقوله: ﴿يقول﴾: و ﴿الذين نسوه﴾ على ضربين:

---

(١) ما مصدرية والمعنى ننساهم جزاء نسيانهم وجحدهم.

(٢) نص الآية: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة..﴾ الخ وفي الأصـل: وهدى ورحمة، وهو خطأ.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

جائز أن يكون صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نُسِيَ وجائز أن يكونوا نسوه وتركوا العمل له والإيمانَ به.

وقوله: ﴿أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غيرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

«أو» نسق على قوله ﴿من شفعاءَ﴾، كأنهم قالوا: هل يشفع لنا شافع أو هل نرد.

وقوله عز وجلّ ﴿فنعمل﴾ منصوب على جواب الفاءِ لـلاستفهام. ويجـوز أن تنصب أو نُرَدَّ فنعمَلَ، أي إن رددنا استغنينا عن الشفاعة.

وقوله: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾.

ويُغشِّي الليل النهار، جميعاً يقرأ بهما.

والمعنى أن الليل يأْتي على النهار فيغطيه، ولم يقل يغشى النَّهارَ اللَّيْلَ، لأن في الكـلام دليلاً عليـه، وقد جـاءَ في موضـع آخـر: ﴿يكـوِّرُ اللَّيْـلَ عَلى النَّهارِ، ويُكوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿والنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

أي خلق النجوم جاريَاتٍ مَجَارِيَهُنَّ بأَمْرِهِ.

وقوله: ﴿وَعَلى الأَعْرافِ رِجَالٌ﴾.

وقوله: ﴿وَنادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ﴾[2].

اختلف النـاس في أَصحـاب الأَعـراف، فقـال قـوم: هم قـومُ استـوت حسنـاتهم وسيئاتُهم، فلم يستحقـوا الجنة بـالحسنـات، ولا النـار بـالسيئـات، فكانوا على الحجاب الذي بين الجنة والنار، والأَعـرافُ أَعَالي السُّـورِ، ويُقَالُ لكلِّ عَالٍ عُرْف وجمعُه أَعْراف.

---

(١) سورة الزمر الآية ٥.

(٢) هذه الآيات موضعها في المصحف قبل ذلك.

ويجوز أن يكون - والله أعلم - على الأعراف على معرفة - أهل الجنة وأهل النار هؤلاءِ الرجال، فقال قوم ما ذكرنا، وإنَّ الله يدخلهم الجنة، وقال قوم أصحاب الأعراف أنبياءٌ، وقال قوم ملائكة.

ومعرفتهم كُلًّا بِسيماهُمْ يعرفون أصحاب الجنة بأن سيماهم إسْفَارُ الوُجوه والضَّحِكُ والاسْتِبْشَارُ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[1]. ويعرفون أصحاب النار بسيماهم وسيماهم اسوداد الوجوه وَغُبْرَتُها - كما قال جلّ وعزّ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتسود وُجُوهٌ﴾[2]، و ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عليها غَبَرَةٌ ترهَقُها قَتَرَةٌ﴾[3] والقَتَرة كالدُّخَان.

وقوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وما كنتم تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

هذا - والله أعلم - خطاب أصحاب الأعراف لأهل النار، وقرئت تستكثرون بالثاءِ.

وأما قوله: ﴿أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾.

يعني أهل الجنة كأنه قيل لهم: يا أهلَ النار أهؤلاءِ الذين حلفتم لَا ينالهم الله برحمة﴾.

﴿ادخُلُوا الجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾.

وإن شئتَ بالفتح لا خوفَ عليكم.

فجائز أن يكون ﴿ادْخُلوا الجنَّةَ﴾ خطاباً من أصحاب الأعراف لأهل

---

(١) سورة عبس آية ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٣) الغبرة ما يعتري الوجه من تغير واربداد، وزنه فعله كحمرة وصفرة وزرقة، والغبرة أيضاً اسم للتراب، وكذلك الغبرة محركة هي التراب - فغبرة الوجوه، وغبرتها بالتحريك تحتمل أن عليها غباراً وأنها متغيرة مسودة.

الجنة، لأن كل ما يقوله أصحاب الأعراف فَعَنِ اللّٰه تعالى. وجائز أن يكون خطاباً من اللّٰه عزّ وجلّ لأهل الجنة.

وقوله: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ المَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

فأعلم اللّٰه عزّ وجلّ: أن ابن آدم غيرُ مستغن عن الطَّعام والشراب وإن كان معذّباً.

فأعلمهم أهلُ الجنّة أنّ اللّٰه حرمها على الكافرين، يَعْنُون أن اللّٰه حرم طعامَ أهل الجنة وشرابَهم على أهل النار، لأنهم إنما يشربون الحميمَ الذي يُصْهَرُ به مَا في بُطُونِهِمْ.

وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾.

قال قوم: تضرعوا تملقاً، وحقيقته - واللّٰه أعلم - أن يَدْعُوه خاضعين متعبدين.

وخُفْيةً أي اعتقدوا عبادته في أنْفُسِكم، لأن الدعاءَ معناه العبادة.

وقوله: ﴿إِنَّهُ لا يُحبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

والمعتدون المجاوزون ما أُمِروا به، وَهُمُ الظَّالمونَ.

وقوله: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفاً وطَمَعاً﴾.

أي ادْعوه خائِفين عذَابه وطامعين في رحمته، ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: لَنْ يَدْخُلُ الجنة أحدٌ بعَمَلِه، قالوا: ولا أنت يا رسول اللّٰه، قال ولا أنا، إلا أن يتَغمدنيَ اللّٰهُ برحمته.

وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

إنما قيل قريبٌ لأن الرحمة والغُفْرَانَ في معنَى واحدٍ وكذلك كل تأنيث ليس بحقيقي. وقال الأخفش جائز أن تكون الرحمةُ ههنا في معنى المَطَر.

وقال بعضهم: هذا ذُكرَ ليفصل بين القريب من القرابة، والقريب من القُـرْبِ، وهـذا غلط، لأن كل مـا قَرُبَ من مكـان أَوْ نَسَبٍ فهو جـارٍ على ما يصيبـه من التأنيث والتذكير.

وقوله: ﴿بُشرًى بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه﴾.

ونُشْرا أيضاً بضم النون وفتحها ـ وقرأ عاصم بُشْرًى بالياء. فمن قرأ نَشْراً فالمعنى وهو الذي يُنْشِر الرياح مُنْشَرةً نشْراً، ومن قـال نُشْراً فهـو جمع نشـورٍ ونُشُرٍ. ومن قرأ بُشْـراً فهو جمـع بشيرةٍ وبُشُـرٍ كما قـال جلّ وعـزّ: ﴿وَهُوَ الَّـذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرَاً﴾(١).

وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه﴾.

أي بين يدي المطر الذي هو رحمةٌ، ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحاباً﴾ أي حتى إذا أقلت الريح سحـاباً، يقـال: أَقل فـلان الشيء إذا هو حمله، وفـلان لا يَسْتقلُّ بحَمْلِه.

فالمعنى حتى إذا حملت سحاباً ثقالاً، والسحـاب جمع سحابة، ﴿ثِقَالاً﴾ أي ثقالاً بالماءِ.

﴿سُقْنَاهُ لبَلَد مَيِّت﴾.

ومَيْتٍ جميعاً.

﴿فَأَنْزَلْنَا به الماءَ فَأَخْرَجْنَا به مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

جائز أن يكون: فأنزلنا بالسحاب الماءَ، فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كلِّ الثَّمَرَاتِ.

الأَحسن ـ واللَّه أعلم ـ فأخرجنا بالماءِ من كل الثمرات، وجائز أَن يكون فأَخرجنا بالبلد من كُلِّ الثَّمرات، لأن البَلَدَ ليس يُخَصُّ به ههنا بلَدٌ سوى سائـر البُلْدَانِ.

---

(١) سورة الاعراف. الآية ٥٧.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتَى﴾.

أي مثلَ ذَلكَ الإخراجِ الذي أَشرنا إليه نُخرج الموتى.

وقوله: ﴿لَعَلكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

لعل ترج، وإنما خوطب العباد على قدر علمهم، وما يرجوه بعضهم من بعض، واللَّه يعلم أَيتَذَكّرون أم لا.

وقوله: ﴿لَعَلكُم تَذَكَّرُونَ﴾.

أي لعلكم بما بينَّاهُ لكم تستَدِلُّونَ على توحِيد اللَّهِ وأَنه يبعث الموتى.

وقوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّب يَخْرُجُ نَبَاتُه بِإِذْن رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرجُ إِلَّا نَكِداً﴾.

وقرأها أَهل المدينة نَكَداً - بفتح الكاف - ويجوز فيه وجهان آخران: إِلَّا نَكْداً ونُكْداً - بضم النون وإسكان الكاف ولا يقرأُ بالمضمومة، لأَنه لم تثبت به رواية في القرآن.

وقوله: ﴿قَالَ الملأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

وهم الرؤساء والأَشراف، وقال بعضهم يعنى به الرجال.

وقد بينا المَلأَ فيما سبق من الكتاب(١).

وقوله: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

هذه الواو واو العطف. دخلت عليها أَلف الاستفهام، فبقيت مفتوحة، وقد بينا أَمرها في الكتاب.

وقوله: ﴿في الفُلْكِ﴾.

والفلك السفينة، يكون الفلك واحداً، ويكون جمعاً.

---

(١) جـ١ ص ٣٢٥.

وقوله: ﴿قَوْماً عَمِينَ﴾.

أي قد عَموا عن الحق والإيمان.

وقوله: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً﴾.

المعنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم هوداً، وقيل للأنبياءِ أخوهم وإن كانوا كفرة، يعني به أنّه قد أتاهم بَشَرٌ مثلُهم من وَلَدِ أبيهم آدمَ، وهو أَرْجح[1] عليهم. وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم ليكون أفهمَ لَهُمْ بأن يأخذوا عن رجل مِنْهُمْ.

وقوله: ﴿إِنَّا لَنراكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾.

السفاهة خِفَّةُ الحلم والرأي، يقال ثوبٌ سفيه إذا كان خفيفاً.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَنظُنُّك مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

وكفروا به ظانينَ لاَ مُسْتَيْقنين.

وقوله: ﴿يا قَوْمِ لَيْسَ بي سَفَاهَةٌ﴾.

هذا موضع أدب للخلق في حسن الجوار وفي المخاطبة، أنه دفع ما نسبوه إليه من السفاهة بأن قال ليس بي سفاهة، فدفعهم بنفي ما قالوا فقط.

وقوله: ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

أي الذي أُنبئكم به مِنْ عند اللَّه، لأنه أَمَرَهُمْ بِعِبَادَةِ اللَّه جلّ وعزّ وتوحيده:

وقوله: ﴿وَاذْكُروا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوح وَزَادَكم في الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

وَخُلَفَاءَ جمع خليفة على التذكير لا على اللفظ، مثل ظَريف وَظُرَفَاءَ.

---

(١) أوجب في الحجة على من كفر منهم.

وجائز أن يجمع خلائف على اللفظ، مثل طريفة وَطَرَائف.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾.

في التفسير أَنَّه كان أَقْصَرُهُمْ، طولُهُ ستُّونَ ذِرَاعاً وَأَطْوَلهُمْ مائة ذِراع.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه نِعَمَ اللّه، واحدها إِلًى، قال الشاعر[1]:

أَبيضُ لا يَرْهَبُ الهزَال ولا يقطعُ رِحْماً، وَلَا يخُونُ إِلًا

ويجوز أن يكون واحدها إِلْيٌ وإِلًى.

وقوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾.

أي أَرْسَلْنَا إلى ثَمُودَ أخاهم صَالِحاً.

وثمودُ في كتاب اللّه مصروفٌ وغيرُ مصروف. فأما المصروف فقوله: ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُوداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِثَمُودَ﴾[2]، الثَّاني غَيْرُ مصروفٍ، فالذي صرفه جَعَلَهُ اسماً للحيّ، فيكونُ مُذَكَّراً سمي به مُذَكَّرٌ وَمَنْ لم يصرِفْه جعله اسْماً للقَبيلة.

وقوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾.

وتقرأ غَيرِه، فمن رفع فالمعنى ما لكم إِله غيرُهُ، ودخلت «مِنْ» مؤكدةً، ومَنْ جَرَّ جعله صفةً لإِلَـهٍ. وأجاز بعضهم النصبَ في غَيْر وهو جائز في غير القرآن، على النصب على الاستثناءِ وعلى الحال من النكرة، ولا يجوز في القرآن لأنه لم يقرأ به، وأجاز الفراء.. ما جاءَني غيرَكَ بِنَصْبِ غير، وهذا خطأٌ

(١) هو الأعشى يمدح سلامة ذي فائش، من قصيدته: إن محلاً وإن مرتحلاً- أي لا ينقض عهداً- الديوان. ١٧٥، واللسان - إلى - والمرتضى ٢٨/١ وشواهد المغني ٢٣٨ (ط بيروت) والطبري ١١٧/٥، ومجاز أبي عبيدة ٢٧١/١ والخزانة ٣٨١/٤.

(٢) سورة هود الآية ٦٨.

بيّن، إنما أنشد الخليل وسيبويه بيتاً أجازا فيه نصبَ غير، فاستشهد هو بذلك البيت واستهواه اللفظ في قولهما إنَّ الموضعَ موضِعُ رفع. وإنما أُضيفت غير في البيت إلى شيءٍ غير متمكن فبنيت على الفتح كما يبنى يوم إذَا أُضِيفَ إلى إذْ على الفتح[1].

والبيت قول الشاعر:

لم يَمْنِعَ الشرب منها غيرَ أن نطقت[2] حمامة في غُصُون ذاتِ أَوْ قَال

وأكثرهم ينشده غيرَ أن نطقت، فلما أضاف غير إلى «أنْ» فتح غير، ولو قلت: ما جاءَ في غيرَك لم يجز. ولو جاز هذا لجاز ما جاءَني زيداً.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

دعاهم إلى التوحيد ودلهم على نُبُوَّتِهِ بالناقة فقال:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾.

[آية] انتصب على الحال، أي انظروا إلى هَذه النَّاقَةِ آيةً أي عَلامَةً.

وقد اختلف في خبرها، فقيل في بعض التفسير: إنَّ الملأ من قوم صالح كانوا بين يديه فسألوه آية وكانت بين يديه صفاةٌ - وهي الصخرة - فأخرج اللَّه منها ناقة معها سَقْبُها أي وَلَدُها.

وجاءَ في بعض التفسير أنه أخذ ناقة من سائر النوق، وجعل اللَّه لها

---

(١) يومئذ ليست مبنية عند جمهور النحويين البصريين، وإنما هي ظرف منصوب.

(٢) هو أبو قيس بن رفاعة من الأنصار، يصف ناقته بالحدة ورهافة الحس، فقد همت أن تشرب فسمعت حمامة تهتف في شجرة مقل فتركت الشرب والأوقال جمع وقل كجبل وهو شجر قال في القاموس: الوقل شجر المقل - بضم الميم - أو ثمره أو يابسه، وأما رطبه فبهش اهـ - وقيل هي الحجارة أو ما بقي من جذوع الشجر بعد تقليمه - والشرب - بالضم - مصدر، وبالكسر الحظ من الماء. والمقل شجر الكندر (كفلفل) يتدخن به ويستعمل عقاراً لأدواء كثيرة.

أنظر الخزانة الشاهد ٢٣٧، وشواهد الكشاف (حرف اللام).

شِرْباً[١] يوماً وَلَهُمْ شربُ يومٍ. وذُكِرَتْ قصتُه في غير هذا الموضع فقال: ﴿هَـذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُوم﴾[٢] فكانت تشرب يوماً ثم تُفْجِجُ[٣] يوماً آخر في وادٍ فلا تزال تحتلب ولا ينقطع حلَبُها ذلك اليوم.

فجائز أن يكون أمْرُ خروجها من الصخرة صحيحاً، وجائز أن يكون أمر حلبها صحيحاً. وكل منهما آية معجزة تدل على النبوة. وجائز أن تكونَ لرِّوَايَتَانِ صحيحتَيْنِ فَيُجْمَعُ أنها خرجت من صخرة وأن حَلْبَهَا على ما ذَكَرْنَا. ولم يكن ليقول: قد جاءتكم بينة من ربكم فتكون آيةٌ فيها لبس.

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَاد﴾.

أي لما أهلكهم وورثكم الأرض.

﴿وَبَوْأَكُمْ فِي الأَرْضِ﴾.

أي أنزلكم، قال الشاعر:[٤]

وبُوِّئَتْ في صميم معشرها فَتَمَّ في قومها مَبَوَّؤُهَا

أي أُنزلت من الْكَرَم في صميم النسب.

وقوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ﴾.

يقال: نَحَتَ يَنْحِتُ، ويقال أيضاً نَحَتَ يَنْحَتُ، لأن فيه حرفاً من حروف الحلق.

ويروى أنهم لطول أعمارهم كانوا يحتاجون أن ينحتوا بيوتاً في الجبال،

---

(١) الشرب ـ بالكسر ـ الماء والحظ منه، والمورد، ووقت الشرب.

(٢) سورة الشعراء الآية ١٥٥.

(٣) من أفجج بمعنى أحجم.

(٤) هو ابن هرمة. اللسان (بوأ) ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢١٨ وشواهد المغني ٢٧٩، قيل انه ذكر له أن قريشاً لا تهمز فأنشأ هذه القصيدة مهموزة كلها أولها:

إن سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وهذا البيت من شواهد المغني والقصيدة جيدة ـ ويكلؤها يحفظها ويرزؤها ينقصها.

لأن السقوفَ والأبنية كانت تبلى قبل فناءِ أعمارهم.

وقوله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾.

أي جاوزوا المقدارَ في الْكُفْر.

﴿فَأَخَذَتهُمُ الرَّجْفَةُ﴾.

والرجفة: الزلزلة الشديدة.

ويروى أنه لما قال لهم: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أيامٍ﴾[١] أصبحوا في أول يوم مصفرّة وُجُوهُهم، وفي اليوم الثاني محمرة وجوههم وفي اليوم الثالث مسودَّةً وجوههم، وفي اليوم الرابع أتاهم العذاب.

ويقال إن ابتداءَ عقرهم الناقة كان في يوم الأربعاءِ، وأخذهم العذاب في يوم السبت.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا نَادمينَ﴾[٢].

[أي] في وقت لا ينفعهم الندم.

وأَصْبَحُوا جَاثِمِينَ. في اليوم الذي أَخذتهم فيه الرجفة.

ومعنى ﴿جَاثِمِينَ﴾ قد خمدوا من شدة العذاب.

وقال بعضهم أَصبحوا كالرماد الجاثِم.

وقوله: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾.

أَي وأَرسلنا لوطاً إذ قال لقومه، وقال الأَخفش ويجوز أَن يكون منصوباً على واذكر لوطاً إِذ قال لقومه. والوجهُ أَن يكون معطوفاً على الإرسال.

وقال بعض أَهل اللغة: لوط مشتق من لطتُ الحَوْضَ إِذا مَلَّسَته بالطِّين. وهذا غلط. لأن لوطاً من الأَسماءِ الأَعجمية ليس من العربية، فأما لطت

---

(١) سورة هود آية ٦٥.

(٢) سورة الشعراء ١٥٧. وذكرت للمناسبة بين التعبيرين.

الحوض وهذا أَلوط بقلبي من هذا، فمعناه أَلصق بقلبي. واللِّيطُ القِشرُ. وهذا صحيح في اللغة. ولكن الاسم أَعجميٌّ كإبراهيم وإسحق، لا نقول إنه مشتق من السُّحْقِ وهو البعدُ. وهو كتاب اللَّه الذي لا ينبغي أَن يقدم على تفسيره إلَّا برواية صحيحة وحجة واضحة[1].

وقوله: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِن أَحَد مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

هذا دليل أَن فاحشة اللواط لم يفعلها أَحد قبل قوم لوط.

وقد اختلف الناس في حَدِّ اللُّوطِيّ، فقال بعضهم هو كالزاني.

وروي أَن أَبا بكر حرق رجلاً يقال له الفجاءَة بالنار في اللواط[2].

وقال بعضهم: يجب أَنْ يقتلَ مُحْصَناً أَو غير مُحْصَنٍ، لأَن اللَّه تبارك وتعالى قتل فاعليه بالحجارة.

فخاطبهم لوط فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾. وقال في موضع اخر: ﴿إنكمْ لتأْتون الفاحشة﴾[3].

والفاحشة الشيءَ الغليظ القبيح.

وقوله: «وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾.

يجوز أَن يكون «جواب» مرفوعاً. ﴿وَمَا كان جوابُ قومه إلا أَن قالوا﴾ والأَجود النصب وعليه القراءَة[4].

---

(1) سبق للمؤلف أن ذكر اشتقاق آدم من أديم الأرض، وذكر اشتقاق هذه الأسماء لا لبيان أنها أطلقت لهذا السبب ولكن لبيان الصلة بينها وبين أصل الكلمة، والنحويون يفعلون ذلك في الأسماء غير العربية - وليس هذا تفسيراً للقرآن وإنما هو بيان لما تدل عليه حروف اللغة.

(2) أحرق أبو بكر الفجاءة السلمي في حرب الردة، لأنه ارتد وحارب المسلمين وتفاجر في عدائه لهم. ويقال إنه قال عند موته وددت أني لم أحرقه.

(3) سورة العنكبوت الآية ٢٨.

(٤) لأن المصدر المؤول من «أن» والفعل أحق أن يكون مبتدأ - كقوله تعالى: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾.

﴿إلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

أي يتطهرون عن عملكم.

وقوله: فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾.

في التفسير أن أهله ابنتاه.

﴿إلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرينَ».

قيل في الغابرين ههنا قولان. قال أهل اللغة: من الغابرين من الباقين، أي من الباقين في الموضع الذي عذبوا فيه، وَأَنْشَدَ أبو عَبْيدَة معمر بن المثنى.

فما ونى محمدٌ مذ أن غفر   له الإله ما مَضى وَمَا غَبَرَ[1]

أي ما بقي.

وقال بعضهم: ﴿من الغابرين﴾ أي من الغائبين عن النجاة.

وكلاهما وجه. والله أعلم.

وقوله: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً﴾.

مَدْيَنُ لا ينصرف لأنه اسم للقبيلة أو البلدة، وجائز أن يكون أعجمياً.

وقوله: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ منْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالميزَانَ﴾.

قال بعض النحويين؛ لم يكن لشعيب آية إلا النبوة، وهذا غلط فاحش. قال قد جاءَتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل فجاءَ بالفاءَ جواباً للجزاء، فكيف يقول: قد جاءَتكم بينة من ربكم ولم يكن له آية إلا النبوة، فإن كان مع النبوة آية فقد جاءَهم بها. وقد أخطأ القائل بقوله: لم تكن له آية، ولو ادَّعى مُدَّع النبوة بغير آية لم تُقْبَلْ منه، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بيِّنَةٌ. إلا

---

(١) من رجز العجاج، وهما في مجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢١٩، والطبري ١١ ـ ١٩٨ (بولاق)، والقرطبي ٧ ـ ٢٤٦، ١٣ ـ ١٣٢.

ان اللَّه جلّ ثناؤه ذكـر بعض آيات الأنبيـاءِ في القرآن وبعضهم لم يـذكر آيتـه، فمن لم تذكر آيته لا يقال: لا آية له. وآيات محمد النبي ﷺ لم تذكر كلها في القرآن ولا أكثرها.

وقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

البَخْسُ النقْصُ والقِلَّة، يقـال بخست أبخس بـالسين، وبخصت عيْنَــه بالصاد لا غير مثل فقأت عينيه.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

أي لا تعملوا فيها بالمعاصي وَبخِس الناس بعـد أنْ أصلحها اللَّه بـالأمر بالعدل وإرسال الرُّسُل.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بكل صِرَاط تُوعِدُونَ﴾.

أي بكل طريق.

ومعنى تـوعدون أي تـوعدون من آمن بشعيب بـالعذاب والتهـدُّد يقـال: وعدته خيراً، ووعدته شرًّا، فإذا لم تذكر واحداً منهمـا. قلت في الخير وعـدته وفي الشر أوعدته.

وقوله: ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

أي عن الطريق التي آمن[1] اللَّه من آمن بها.

﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾.

أي وتريدون الاعوجاج والعدول عن القصد. يقال في الدين وفيما يعلم إذا كـان على غير استـواء عوج بكسـر العين وفي الحـائط والعـودِ عَـوَج بفتـح العَيْن.

---

(١) آمنه منحه الأمن من العذاب، أي من صدق بها جعله اللَّه في مأمن من العذاب.

وقوله: ﴿وَاذْكُروا إذْ كُنْتُم قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾.

جائز أن يكون ﴿فكثركم﴾ جعلكم أغنياءَ بعد أن كنتم فقراءَ، وجائز أن يكون كان عددهم قليلاً فكثرهم، وجائز أن يكونوا غير ذوي مقدرة وأقدار فكثرهم، إلا أنه ذكرهم بنعمة اللَّه عليهم كما قال: ﴿فاذكروا آلاءَ اللَّه﴾ أي نعم اللَّه.

وقوله: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجُنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُن في مِلَّتِنا﴾.

المعنى: ليكونن أَحَدُ الأَمْرَين، ولا تُقارُّ على مخالفتنا[1]

وقوله: ﴿قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾.

أي أتعيدوننا في ملتكم وإن كرهناها. فإن قال قائل: كيف قالوا لشُعَيب: أو لتعودُن في ملتنا، وشعيب نَبِيٌّ ففيه قولان[2].

أحدهما: لما أشركوا الذين كانوا على مِلَّتهم قالوا: أو لتعودُنَّ في مِلَّتِنا[3]. وجائز أن يقال: قد عَادَ عليَّ من فلان مكروه وإن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وإنما تأويله أنه قد لحقني منه مكروه.

وقوله: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

اختلف الناس في تأويل هذه، فأولى التأويلات باللَّفْظ أن يكون: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيها إلا أن يشاءَ اللَّه عزّ وجلّ لأنه لا يكون غير ما يشاءَ اللَّه. وهذا مذهب أهل السنة، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وما تشاءُون إلا أن يشاءَ اللَّه﴾[4]. والمشيئة في اللغة بيِّنة لا تحتاج إلى تأويل.

---

(١) لا ندعك تستقر على هذه المخالفة، لا نتركك ولأنها دنك.

(٢) يريد أن شعيباً لم يكن وثنياً من قبل فكيف يقال له «لتعودن».

(٣) حين حملوا قوماً على الشرك وجعلوهم وثنيين معهم.

(٤) سبورة الإنسان آية ٣٠.

فالمعنى: ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يكون اللَّه عزّ وجلّ قد سبق في علمه ومشيئته أنا نعود فيها. وتصديق ذلك قوله:

﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلماً﴾.

ثم قال: ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾.

وفي موضع آخر: ﴿وما توفيقي إلَّا باللَّه عليه توكَّلتُ﴾(١).

وقال قوم: وما يكون لنا أن نعود فيهَا إلا أن يشاءَ اللَّه رَبُّنا: أي فاللَّه لا يشاءُ الكفر، قالوا: هذا مثل قولك: لَا أُكلِّمك حتى يبيضَّ الفأر ويَشيبَ الغُرابُ، والفأرُ لا يبيض، والغراب لا يشيب. قالوا فكذلك تأويل الآية.

قال أبو إسحق: وهذا خطأ لمخالفته أكثر(٢) من ألف موضع في القرآن لا تحتمل تأويلين، ولا يحدث شيءٌ إلا بمشيئته وعن علمه. إما أن يكونَ عَلِمَهُ حادثاً فشاءَه حادثاً، أو عَلِمَهُ غيرَ حادثٍ فشاءَه غيرَ حادث. ولا يجوز لما مُكِّنَ الخلق من التصرف أن يُحدثَ الممتنعَ موجوداً(٣)، ولا يكون ما علمه أنَّه يُوجَدُ ممتنعاً. وسنةُ الرَسول عليه السلام تشهد بذلك ولكن اللَّه تبارك وتعالى غيب عن الخلق علمه فيهم، ومشيئته من أعمالهم فأمرهم ونهاهم، لأن الحجة إنما تثبت من جهة الأمر والنهي، وكل ذلك جائز على ما سبق في العلم وجرت به المشيئة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا تَسقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا﴾ . الآية(٤).

فسقوط الورقة منسوب إليها وهو خلقه فيها كما خلقها، وكذلك إلى آخر الآية.

---

(١) سورة هود الآية ٨٨.

(٢) في الأصل أقل من ألف ولا معنى له.

(٣) يجعل الممتنع موجوداً.

(٤) سورة الأنعام - ٥٩.

وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فاحْذَروه﴾[1]، وما في النفوس من الخواطر الجائلة والهم الجائل والعزم الجائل فيها. فلا يجوز عدم ما علمه كائناً فيها، ولا يجوز كون ما علمه معدوماً.

فحذّرهم مخالفةَ ظاهرَ أمره ونهيه لأن عليهم السمعَ والطّاعةَ للأمر إذا أُمِرُوا به، وهم جارون على ما عَلِمَ منهم أنَّهم يختارون الطاعة، ويختارون المعْصِيَة، فلا سبيل إلى أن يختاروا خلاف ما علم أنهم يختارونه. وإنْ لم يكن الأمر على ما قلنا وجَب أن يكون قولهم: علم اللّه أفعال العبَادِ قبل كونها إنما هو علم مجاز لا علم حقيقة.

واللّه تعالى عالم على حقيقة لا مجاز، والحمد للّه.

وقال قوم ـ وهو بعد القول الأول قريب ـ: إن المعنى. وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاءَ اللّه ربُّنا. أي قد تبرأْنَا من جميع ملَّتِكُمْ فما يكون لنا أن نعود في شيءَ منها إلاَّ أن يشاءَ اللّه وجهاً من وجوه البر الذي[2] تتقربون [به] إلى اللّه، فيأمرنا به، فنكونَ بهذا قد عُدْنا.

قال أبو إسحق: والذي عندي ـ وهو إن شاءَ اللّه الحقُّ ـ القول الأول، لأن قوله: ﴿بعْدَ إِذْ نجَّانا اللَّهُ مِنْها﴾، إنما [هو] النجاة من الكفر وأعمال المعا[صي] لا من أعمال البر.

وقوله: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُل شَيْءٍ عِلْمَاً﴾.

«علماً» منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿رَبنَا افْتحْ بيْنَنَا وَبَيْن قَوْمِنَا بِالحَقِ﴾.

أهل عُمان يسمُون القاضي الفاتح والفتاح.

---

(١) البقرة ـ ٢٣٥.

(٢) في الأصل الذين.

وجائز أن يكون افتح بيننا وبين قومنا بالحق، أي أظهر أمْرِنَـا حتَّى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف، فجائز أن يكون يسألون بهذا أن ينزلَ بقومهمْ من العذاب والهلكة ما يظهر به أن الحق مَعَهُمْ.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَة﴾.

هي الزلزلة الشديدة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثمينَ﴾.

أي أجْسَاماً مُلْقاة في الأرض كَالرَّمَاد الجَاثِم».

وقوله: ﴿كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

[أي] كأن لم ينزلوا فيها. قال الأصمعي: المَغَاني المنازِلُ التي نزلوا بها، يقال غَنينا بمكان كذا وكذا، أي نَزَلْنَا به. ويكون ﴿كأَنْ لمْ يَغْنَوْا فيها﴾ كأن لم ينزلوا كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، كما قال حاتم طيٍّ:(١)

غنينا زمانـاً بـالتصَعْلك والغنَى ... فكـلاً سقانـاه، بكأسيهمـا الدهـرُ
فمـا زادنـا بغيـاً على ذي قـرابـة ... غِنـانَا ولا أَزْرَى بـأَحْسَابِنَـا الفَقْـرُ

والعرب تقول للفقير الصعلوك.

وقوله: ﴿فتولَّى عنهم﴾.

أي حين نزل بهم العذاب تولى عنهم.

﴿وقال يـا قَـومِ لَقـدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسـالاتِ رَبيَ ونَصحْت لكُم، فكَيفَ آسى على قوْمٍ كافرين﴾.

---

(١) الأغاني ١٧ ـ ٣٧٦، دار الكتب. ونقل شارحه من ديوانه البيتين هكذا

عـنـيـنـا زمـانـاً. . . . ... كـذا الـدهـر في أيامه العسر واليسـر
لبسنـا صروف الـدهر ليناً وغلظة وكـلاً ... سـقـانـاه بـكـأسـيـهـمـا الـعـصـر

ورواية أبي الفرج في البيت الأول هي العصر، وليس الدهر كما ذكر الزجاج.

معنى آسى أَحْزَن ـ أي كيف يَشْتد حُزني.

يقال: أَسِيتُ عَلى الشّيءِ آسَى أَسىً إذا اشتدَ حزنُك عَليْه.

قال الشاعر: (١)

وانْحَلَبَتْ عيناه مِن فَرْطِ الأَسى

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَرْسَلنا فِي قَرْيةٍ مِن نبيٍّ﴾.

يقال لكل مدينة قرية، وإنما سمِّيَتْ بأنه يجتمع فيها الناس، يقال قريت الماءَ في الحوض إذا جمعته فيه، فسمِّيَتْ قريةً لاجتماع الناس فيها، ومكَّةُ أم القرى، لأن أَهل القُرَى يؤُمونها أَي يقصدونها.

وقوله: ﴿إلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بالبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾.

قيل: البَأْسَاءِ كل ما نالهم مِن شِدَّة في أَموَالهم، والضَّـرَّاءُ ما نالهم من الأمراض، وقيل: الضراء ما نالهم في الأموال، والبأْساء ما نالهم في أَنْفسهم.

وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾.

أي يَخْضعون، والأَصْلُ يتَضَرَّعُون، فأدغمت التاءِ في الضادِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكانَ السَّيِّئَةِ الحَسَنَة حَتَّى عَفَوْا﴾.

أي كَثُروا وَكَثُرَتْ أَمْوالهم.

وقوله: ﴿قدْ مَسَّ آبَاءَنا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾.

فأَخذهم اللّه ليعتبروا ويُقْلعُوا عن الكفر وتكذيب الأنبياءِ، فقالوا مسّ

---

(١) هو العجاج في ديوانه ٢٠، وشواهد الكشاف، والكامل ١ ـ ٣٥٢ (تجارية) ومعاني القرآن للفراء ٢ ـ ٣٢٣، وقبله:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً ... قال نعم أعرفه، وأبلسا

وانحلبت عيناه من فرط الأسى

وأورده كذلك اللسان (كرس) ـ والمكرس الذي بعرت فيه الإبل وبولت فركب بعضه بعضاً ـ وأبلس صمت من الحزن ـ ثم فاضت عيناه بالدمع كالدلو.

اباءَنا مثلُ هذا، أي قد جرت عادة الزمان بهذا، وليست هذه عقوبة، فبين اللّه تأولهم بخَطئِهِمْ، وقد علموا أن الأممَ قد أُهْلِكتْ بِكُفْرِهِم قَبْلَهُم.

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهم بَغْتَةً﴾ أي فجأة ﴿وهُمْ لاَ يَشعرُون﴾.

فهـذا ما أخبـر اللّه تعالى بـه عن الأمم السالفـةِ لتعتبرَ أُمَّـةُ محمـد ﷺ فقال:

﴿ولَوْ أن أَهْـل القـرى آمَنُـوا وَاتَّقَـوْا لفتَحنـا عَليْهِم بَـرَكَـاتٍ من السَّمَـاءِ وَالأَرْض﴾.

أي أتـاهم الغيث من السماءِ، والنَّبـاتُ من الأَرض. وجعل ذلـك زاكيـاً كثيراً.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً﴾.

أي ليـلاً، [أي] أَفَأَمِنت الأَمـةُ التي كذبت النبي محمـداً ﷺ أن يـأْتيهم بأْسنا بياتاً. أي ليلاً.

﴿وَهُمْ نَائمُونَ﴾.

يقال نام الرجل ينام نوماً فهو نـائم. وهو حسن النِيمـةِ، ورجل نُـومةٌ إِذا كان خَسِيساً لا يؤبه له، ورَجُلٌ نُوَمة إذا كان كثير النوم، وفلان حسن النِّيمة أي حسن هيئة النوم، والنِّيمُ ـ الفرو، والفاءَ في قـوله: أَفَـأَمِنَ، والواو في قـوله أَوَ أَمِنَ، فتحت لأنها واو عطف وفاء عطف دخلت عليها أَلف الاستفهام.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

يقال لكل من كـان في شيء لا يُجْدي أو في ضـلال: إنما أنت لاعب، وإنما قيل لهم: ﴿ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. أي وهم في غير ما يجدي عليهم.

وقوله: ﴿أَفَأَمِنوا مَكْرَ اللّهِ﴾.

أي وأمنوا عذاب اللّه أن يأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهم بِذُنُوبِهِمْ﴾.

وتقرأ «نَهْدِ» بالنُّونِ، فمن قرأ نهدي بالنون فمعناه أَوَلَمْ نُبَيِّنْ. لأن قولك: هديته الطريق معناه بَيَّنْتُ له الطريق.

ومن قرأ بالياءَ كان المعنى أو لم يُبيّنِ اللَّه لهم أنه لو يشاء أَصَابَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ.

وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

ليس بمحمول على أَصَبْنَاهم.

المعنى ونحن نطبع على قلوبهم، لأنه لو حمل على أَصَبْنَاهمْ لكان ولطبعنا، لأنه على لفظ الماضي، وفي مَعْنَاهُ.

ويجوز أن يكون محمولاً على الماضي، ولفظه لفظ المستقبل كما أن لو نشاءَ معناه لو شئنا.

وقوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بما كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الكَافِرِينَ﴾.

وهذا إخبار عن قوم لا يُؤْمِنُونَ. كما قال جلّ وعزّ:

﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمن﴾[1]، وكما قال للنبيِّ ﷺ:

﴿قُلْ يا أيُّها الكَافِرُونَ لا أعبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ ما أَعْبُد﴾[2].

فهذا إخبار من اللَّه جَلّ وعزّ أَنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يُؤْمِنُون.

---

(١) سورة هود ـ ٣٦.

(٢) سورة الكافرون ١ ـ ٣.

وقال قوم: ﴿فمَا كَانُوا ليُؤمِنُوا بما كَذبُوا منْ قَبْلُ..﴾ أيْ لَيْسُوا مؤمنين بتكذيبهم، وهذا ليس بشيءٍ، لأن قوله: كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلوبِ الكَافِرينَ.. يَدُلَ على أنهم قد طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وموضع الكاف في «كذلك»[١] نصْبٌ. المعنى مثل ذلك يطبعَ اللّه على قُلوبِ الكافِرين.

وقوله: ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لفَاسِقِينَ﴾.

هذه «إن» تدخل واللامَ على معنى التوكيد واليمين[٢]. وتدخل على الأَخْبَار. تقول: إن ظننت زيْداً لَقَائِماً.

وقوله: ﴿فظَلَمُوا بِهَا﴾.

أي بالآيات التي جاءَتهم، لأنهم إذا جاءَتهم الآيات فكفروا بها فقد ظلموا أبْين الظُّلْم، لأنّ الظلم وضعُ الشيء في غير مَوْضِعِه، فجعلوا بدل وجوب الأيمان بها الكفر، فذلك معنى قوله ﴿فظَلموا بِهَا﴾.

وقوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أن لاَ أَقُول عَلى اللّه إلا الحَق﴾.

وتقرأ حقيق عَلَيَّ أن لا أَقُول. ومن قرأ حقيق عَلَيَّ أن لا أَقُول فالمعنى واجب عَليَّ تركُ القول على اللّه إلا بالحقِّ.

وقوله: ﴿قال إن كُنْتَ جِئْتَ بآيةٍ فَأْتِ بِهَا إن كُنْت منَ الصَّادِقِينَ﴾.

قد أوجب فرعونُ أنّه ليس بآيةٍ كما ادَّعى، لأنه قد أوجَبَ له الصدق إن أتى بآية يعجز عنها المخلوقون.

وقوله ﴿فَألقى عصَاهُ﴾.

(١) في الأصل: في ذلك.

(٢) القسم. وهي إن المخففة.

إن شئت قلت: «عَصَا هُو» بالواو. والأَجْوَدُ حَذْفُها، أَعْنِي الواوَ لسكونها وسكون الألف، والهاء ليست بحاجز.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبين﴾.

قال أبو عبيدة وغيره: الثعبان الحية. وقال غيره: الحَيَّـة الذَّكَـرُ[1]. وقال [اللَّه] في موضع آخر ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾[2].

ومعنى ﴿مُبينٌ﴾.

أي مبينٌ أنها حَية.

وقوله: ﴿ ونَزَعَ يدهُ فإِذَا هِي بيضَاءُ للناظِرِينَ﴾.

معنى نـزع يـده أظهرهـا وأبـانهـا، وقـال في مَـوضـع آخـر ﴿وَأَدْخِـل يَـدَكَ في جَيْبِـكَ تَخْـرجْ بَيْضـاءَ﴾[3]، وفي مـوضـع آخـر ﴿واضمم يَـدَكَ إلى جنـاحك تَخْـرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غيـر سوءٍ﴾[4]. فهـذا دليل أن معنى نـزع يده إخراجُها من جيبه. وإخراجهـا من جناحِـهِ، وجناح الـرجل عَضُـدُه وقَل جنـاحُ الرجل عِطفُه[5].

وتـأْويل الجنـاحين من الإنسـان أنهمـا كـالجَنَـاحَين من الـطائـر، وهمـا العَضُدانِ.

وقوله :﴿تخْرُج بَيْضاءَ مِن غيْر سُوءٍ﴾.

أي تخرج لونها أبيض حُوريّاً.

---

(١) أي الثعبان هو ذكر الحيات.

(٢) سورة طه الآية ٢٠. أي وهذا يؤيد رأي أبي عبيدة.

(٣) سورة النمل الآية ١٢.

(٤) سورة طه الآية ٢٢.

(٥) يسمى عطف الرجل جناحاً أيضاً ولكن ذلك قليل.

وكان موسى فيما يُرْوَى أَدِمَ[١].

﴿مِنْ غيرِ سُوء﴾.

أي تخرج بيضاءَ بياضاً ليس بِبرص، بياضاً يدل على أنه آية. وكانت عصا موسى إنما تكون حيَّة، عندَ إظهارهَا بها الآية[٢]، ثم تعود عصا، كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿سَنُعيدُهَا سيرَتَها الأُولَى﴾[٣].

وقوله: ﴿قال للمِلأ حَوْلَهُ إن هذا لسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

وفي هذا الموضع[٥]﴿قال المَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَون﴾.

الملأُ هُمُ الوُجُوهُ، وذوُو الرأْي، وإنما سُمُّوا ملأً أنهم مُلئوا بما يحتاج إليه مِنهُم، وقُرِئَتْ لسَحَّارٌ عَليمٌ.

﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾.

قال فرعون مجيباً لهم: ﴿فمَاذَا تَأْمُرونَ﴾.

ويجوز أن يكون «فمَاذا تأْمُرون» من قول الملأ، كأَنَّهمْ خاطبوا فرعون ومن يَخُصُّهُ[٦]، وجائز أن يكون الخطاب لفرعونَ وحده، لأَنه يقال للرئيس المطاع: ما ترون في هذا، أي ما ترى أَنت وجندُكَ[٧].

و «مَاذا» يصلح أَن تكون «ماذا» اسماً واحِداً، ويكون في موضع نصب، ويكون المعنى أي شيء تأْمُرون.

---

(١) من الأدمة وهي سمرة البشرة.

(٢) أي عند ما يظهرها ليبين بها المعجزة ـ جملة «بها الآية» حال ـ أي تظهر مبينة المعجزة.

(٣) سورة طه الآية ٢١.

(٤) سورة الشعراء الآية ٣٤.

(٥) في الحديث عن قوم فرعون في هذه السورة.

(٦) من يتصل به ويطلع على خواصه.

(٧) لا داعي لهذا إذا كان الخطاب للعظيم.

ويصلح أن يكون «ذا» في موضع الذي، وتكون ما في معنى رفع، ويكون المعنى ما الذي تأمُرون.

وقوله ﴿أَرْجِهْ وَأَخاهُ﴾.

تفسير أَرْجِهْ أَخِرّهُ، ومعناه أَخِّرْ أَمرَهَ ولا تعجل في أَمرِه بحكم فتكون عَجَلتكَ حجة عليك.

وفي قوله «أَرْجِهْ» ثلاثة أَوْجُه قد قرئ بها. قرأَ أَبُو عَمْرُو: أَرجِئْهُ وأَخاه، وقرأَ جماعة من القراءِ: أَرْجِهِ وأَخاه، وقرأَ بعْضُهمْ أَرْجِهْ وأَخَاهُ ـ بإسكان الهاءِ.

وفيها أوجه لا أعلمه قرئَ بها. يجوز أَرْجِهو وأَخاه، وأَرْجهي، وأَرْجِئهي، وأَرجئهو بغير همزٍ. فأَما من قرأَ أَرْجِه بإسكان الهاء فلا يعرفها الحذاق بالنحو، ويَزعُمُون أَن هاءَ الإِضْمارِ اسم لا يجوز إسكانها. وزعم بعضُ النحويين أَن إسكانها جائز، وقد رُويت لعمري في القراءَة إلا أَنَّ التحريك أَكثر وأَجْوَدُ، وزعم أَيضاً ـ هذا أَن هاء التأْنيث يجوز إِسكانها وهذا لا يجوز. واستشهد في هذا بشعر مجهول، قال أَنشدني بعضهم:

لـمّـا رأى أَلَّا دَعَــهْ ولا شِــبَــعْ ... مـالَ إلى أَرْطـاةِ حِقْف فَـالـطجع[1]

وهذا شعر لا يعرف قائله ولا هو بشيء، ولو قاله شاعر مذكور لقيل أَخطأَت، لأَنَّ الشاعِر قد يجوز أَن يخطئ.

(١) لمنظور بن حية الأسدي يصف ذئباً طارد ظبية فلم يلحقها فلما يئس من إدراكها أوى إلى شجرة فاستلقى تحتها، وقبله:

يـا رُبَّ أبـاز من العفر صدع ... تقبض الذئب إليه واجتمع

والأباز الذي يجيد القفز، العفر جمع عفراء وأعفر ـ الظبي يعلوه حمرة، والأرطاة جمع أرطى ـ شجر ـ، وصدع أي شق الفلاة وأسرع في جريه ـ والدعة الهدوء ـ أي لم يجد الذئب أن هناك راحة من الجري ولا لحم يؤكل.

أنظر اللسان (ضجع) وابن يعيش ٩ ـ ٨٢، ١٠ ـ ٤٦، والخصائص ١/ ٣٦٢.

وأنشد أيضاً آخر أجهل[1] من هذا وهو قوله[2]

لســـت إذن لــزغْـبَــلهْ إن لــم أُغـيّـر بَــكْـلتــي
إن لـــم أُســاو بـالطُول

فجزم الهاءَ في زغبله، وجعلها هاء، وإنما هي تاء في الوصل.

وهذا مذهب لا يعرج عليه.

وقوله: ﴿يأْتوك بكل سَاحِرٍ﴾: وَسَحَّارٍ جميعاً قد قرئ بهما.

وقوله: ﴿وَإِنَّكمْ لمِن المُقَرَّبِينَ﴾.

أي لكم مع الأَجر المنزلة الرفيعة عندي.

وقوله: ﴿وَاسْتَرْهَبُوهُم﴾.

أي استدعوا رهبَتَهُم حتى رهبهم الناس.

وقوله: ﴿فَإذا هِيَ تَلقَفُ مَا يأْفِكُونَ﴾.

وتلقَفُ مخففةٌ ومثقلةٌ، يقال لقفْت الشيء [أَلْقَفُه].

ومعنى قوله﴿يأْفِكون﴾: أي يأْتون بالإفْك وهو الكذب، وذلك أنهم زعَموا أَن حبَالهم وعصيِّهم حيات فكذبوا في ذلك، وإنما قيل أَنَّهُمْ جعلوا الزئبق وصورُوها بصُوَرِ الحيَّات، فاضطرب الزئبق لأَنه لا يستقر.

وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْه مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾[3].

فلمَّا أَلْقَى مُوسَى عصاهُ بَلَعتْ عصيَّهم وحِبَالَهم، قال الشَّاعِر[4].

أَنت عصــا مــوسى التـي لم تــزل تــلقـف مــا يَــأْفِــكُــه الـسَّــاحِــر

(١) عبير خطأ إذ هو يريد أكثر مجهوليه لا أكثر جهلاً، فبنى «أفعل» من فعل مبني للمجهول.

(٢) لم أقف على قائله ـ وهو مجهول كما ذكر المؤلف.

(٣) سورة طه. آية ٦٦.

(٤) لم أقف على قائله.

هـذا البيت أُنشِد لأَبي عبيـدة، وزعم التَّوَّزي صـاحَبُ أَبي عُبَيْدَة أنـه لا يعرفه. وهو صحيح في المعنى.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾.

يقـال نقِمت أنْقِمُ، ونقِمْتُ أنقمُ، والأَجود نَقَمتُ أنقِمُ والقـراءَة مَا تَنْقِمِ وهي أفصح اللغتين.

وقوله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً﴾.

[أي] يشتمـل علَيْنَـا.

وقوله: ﴿أَتذَرُ مُوسَى وَقَوْمَه لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيذَرَكَ وآلِهَتَك﴾.

ويُقْرأ وإلاَهَتَك. ويجوز ويذرُك وآلهتَـك. فَمن نَصَب «ويذرَك» رده على جـواب الاستفهام بـالواو. المعنى أيكـون منك أن تـذر موسى، وأَنْ يـذَرَك، . ومن قال وَيَذَرُك جَعَلَهُ مستأْنفاً، يكون المعنى: أَتَذَرُ موسى وهويذرك وآلهتك، والأَجود أن يكون معطوفاً على «أَتـذَرُ» فكون أتـذرُ موسى وأَيـذَرُكَ موسى، أي أَتُطْلِقُ هذا له. وأما من قـرأ وآلهتك، فـإنَّ المعنى أن فِرعَـوْنَ كانت لـه أَصنام يعبدها قومُه تقرباً إليه.

وقوله: ﴿قَال عَسَى ربكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾.

«عسَى» طمعٌ وإشفاق، إلا أن ما يطمع اللَّه فيه فهـو واجبٌ، وهو معنى قول المفسّرين: أنَّ عَسَى من اللَّه واجبٌ.

وَمعَنى: ﴿فينْظُرَ كيْفَ تَعْمَلُون﴾.

أَي يرى ذلك بوقوع منكم، لأن اللَّه جلّ وعزّ لا يجازيهم على ما يعلمه منهم من خطيئاتهم التي يعلم أَنهم عامِلُوهَا لا محـالة، إنمـا يجازيهمْ على مـا وقع منهم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنا آل فِرْعَونَ بالسِّنِينَ﴾.

السنين في كلام العرب الجدُوبُ، يقال مستهم السَّنَةُ، ومعناه جَدْبُ السنة وشِدَّةِ السنة ونقصْ الثمرات.

﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكرونَ﴾.

إنما أُخِذُوا بالضرَّاءِ لأن أحوال الشِدَّةِ تُرِقُ القُلُوب وتُرَغِّبُ فيما عند اللَّه وفي الرجوع إليه، ألا ترى إلى قوله جلّ وعزّ:

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ في البحر ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إلَّا إِيَّاهُ﴾(١)، وقال جلَّ وعز: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا على الإنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِه وإِذَا مَسَّه الشَّرُ فذُو دُعاءٍ عَرِيض﴾(٢).

وقوله: ﴿فإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾.

أي إذا جاءَهم الخِصْبُ قالوا أُعْطِينَا هذا باستحقاق.

﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيئَةٌ﴾.

أي جَدْبُ أو ضُرٌّ.

﴿يطَّيَّروا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾.

المعنى: يتطيَّرُوا. فأُدغمَت التاءُ في الطاءِ، لأنهما من مَكان واحد من طرف اللسانِ وأُصول الثنايا.

وتفسير قوله: يطَّيَّروا: يتشاءَموا، وإنما قالت العرب الطيرةُ ويتطير فيما يكرهونَ، على ما اصطلحوا عليه بينهم، جعلوا ذلك أَمراً يتشامون به فقال عزّ وجلّ: ﴿ألا إنما طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّه﴾.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٦٧.

(٢) سورة فصلت آية ٥١.

المعنى: ألَا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا، وقال بعضهم: «طَائِرهم» حظهم، والمعنى واحد.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِه من آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِهَا﴾.

زعم بعض النحويين أن أصل «مهما»: مَا تأتنابه، ولكن أبدل من الألف الأولى الهاء، ليختلف اللفظ، فما الأولى هي ما الجزاءُ، وما الثانية هي التي تزاد تأكيداً للجزاءِ، ودليل النحويين على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاءِ إلَّا و «ما».. تزاد فيه، قال اللّه جلّ ثناؤه: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ في الحَرْبِ فَشَرِدْ بهم مَنْ خَلْفَهُم﴾[1] كقولك إن تثقفهم في الحرب فشَرِدْهم. وقوله: ﴿وَإِمَا تُعْرِضَنَّ عنهم﴾[2] أيضاً وهذا في كتاب اللّه كثير.

وقالوا: جائز أن تكون «مَهْ» بمعنى الكف، كما تقول مَهْ أي أكفف، وتكون «ما» الثانية للشرط والجزاءِ، كأنهم قالوا واللّه أعلم - أكفف مَا تأتينا به من آية[3].

والتفسير الأول هو الكلام وعليه استعمال الناس. وهذا ليس فيما فيه من التفسير شيءُ لأنه يخل اختلاف هَذين التفسيرين بمعنى الكلام.

وقوله: ﴿ فأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفان ﴾.

قال الأخفش: الطوفان جمع طوفانه[4]، وقيل في التفسير إن الطوفان المطر الذي يُغرقُ من كثرته، قال اللّه جلّ وعزّ في قصة نوح: ﴿فَأَخَذَهُمْ

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٧.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٨.

(٣) ويتم الكلام عند «مه» بمعنى اكفف، ويقتضي هذا أن تفصل «مه» في الكتابة عن ما.

(٤) اسم جنس جمعي.

الطوفان وهم ظالِمُون﴾[١]. وقيل الطوفان الموت العظيم.

وقوله: ﴿وَالقُمَّلَ﴾.

قال فيه أبو عبيدة هو الْحَنْمَان صِغار القِرْدَان[٢].

واختلف في تفسيره فقال بعضهم هِيَ دَوَاب أَصْغَرُ من الْقَمْل.

﴿وَالدَّمَ﴾.

قيل إن اللَّه جلّ وعزّ: جعل مَاءَهمْ دَماً، فكان الإسرائيلي يستقي الماءَ عذباً صافياً، فإذا أخذه القبطِيُّ تحوَّلَ دماً صَافِياً.

وقوله: ﴿آياتٍ مُفصَّلَاتٍ﴾.

أي إن بعضها منفصل مِنْ بعض، ويقال إنه كان بين الآية والآية ثمانية أيَّامٍ، وأُرسلت عليهم الضفادِع تَدْخل في ثِيَابِهِمْ وفي طعامِهِمْ.

و﴿آيات﴾ منصوب على الحال، وهي العلامات.

وقوله: ﴿ وَلمَّا وَقعَ عَلَيْهِمْ الرِّجْزُ﴾.

والرجز اسم للعذاب.

﴿قالوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عندكَ لئِن كَشَفْتَ عنا الرِّجْز لَنُؤْمِنَن لك وَلنُرْسِلَنَّ معكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

وكانوا قد أخذوا بني إسرائيل بالكد الشَدِيدِ[٣] حتى قالوا لموسى:

﴿أُوذِينَا مِن قبْل أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعدِ مَا جِئْتَنَا﴾.

فيقال إنهم كانوا يستعملون بنى إسرائيل في تلبين[٤] اللَّبِن، وكان

---

(١) سورة العنكبوت ١٤.

(٢) القردان جمع مفرده قُرَد كصرد، وقراد كغراب، ـ وهو دويبة كالحشرة، والحَمْنُ والحَمنانُ صغار القردان واحدتهما بالتاء.

(٣) العمل الدائب الذي لا هوادة فيه.

(٤) عمل الطين ليصنعوا منه الطوب النيء.

فرعون وأصحابه من القبطِ يفعلون ذلك ببني إسرائيل، فلما بعث موسى أَعطوهم اللَّبِنَ يُلَبِّنُونَه[1] ومنعُوهم التبْن لِيكون ذلِكَ أشق عليهم.

وقوله: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقنَاهمْ فِي اليَمِّ﴾.

وهو البحرِ، وكذلك هو في الكتبِ الأُوَل.

﴿وكانُوا عَنْهَا غَافِلِين﴾.

أي كانوا لا يعتبرون بالآيات التي تنزل بهم.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِين كانوا يُسْتَضعَفون مَشارِقَ الأَرْضِ وَمَغارِبَهَا﴾.

يعني بني إسرائيل، وكان منهم داوُد وسليمان مَلكُوا الأَرْضَ[2]

وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كلِمَة رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾.

يعنى ما وعدهم اللَّه به من إهلاك عَدوِّهِمْ واستخلافِهِمْ في الأَرْضِ.

﴿وَدَمَّرْنَا مَا كان يَصْنَعُ فِرْعَونُ وَقوْمُه وَمَا كانُوا يَعْرِشُونَ﴾.

وَيَعْرُشون جَمِيعاً. يقال عرَش يَعْرِش وَيَعْرُشُ، إذا هو بنى.

ومعنى: ﴿يَعْكُفُون عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾.

أي يواظبون عليها ويلازمونها، يقال لكل من لزم شيئاً وواظب عَلَيْهِ، عَكفَ يَعْكِف ويعْكفُ. ومن هذا قيل للملازم للمسجد معتكف.

وقوله: ﴿إِن هؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَا هم فيهِ وبَاطِلٌ [مَا كانوا يَعْمَلُونَ]﴾.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ مُهلكٌ وَمُدَمر، ويقال لكل إناءٍ مكسَّرٍ متبَّر، وَكُسَارَتُه[3] يقال له التِّبْر.

وقوله: ﴿قالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً﴾.

---

(١) أعطوهم الطين ليصنعوا منه الآجر بدون تبن. وتماسكه بدون تبن شاق.

(٢) لم يملك داود ولا سليمان الأرض المصرية، ولكن ملكا أرض فلسطين وهي الأرض التي بارك اللَّه فيها.

(٣) قطعه وفتاته.

أي أغيْرَ اللَّه أطلبُ لكم إلٰهاً: ﴿وهُوَ فَضَّلكُمْ عَلَى العَالَمين﴾.

وقوله: ﴿ وَإذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِن آلِ فِرْعَونَ﴾.

المعنى: واذكروا إذ أنجيناكم من آل فِرْعَوْن.

﴿يَسُومُونَكم سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

معنى يسومونكم يُولُونكم.

وقوله: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىَ﴾: وَوَعَدنا موسى.

﴿ثَلاثِين لَيْلةً وَأَتمَمْنَاها بِعَشْرٍ﴾.

قيل أمره اللَّه أن يصوم ثلاثين يَوْماً، وأن يعمل فيها بما يُقَـرِبـه إلَى اللَّهِ، وقيل في العَشرِ أنزلت عَليْهِ التَّوْراة وكُلِّمَ فِيهَا.

وقـال بعضهم لما صـام ثلاثين يـوماً أنْكـرَ خُلُوفَ[1] فِيـهِ فـاسْتَـاكَ بعـود خَرُّوبٍ، فقالت المـلائكة إنـا كنا نَسْتَنْشِـئُ مِن فيـكَ رائحة المسـك فأفسـدته بالسواك. فزيدت عَليـه عَشْرُ ليـالٍ. وقد قـال في موضـع آخر: ﴿وَإِذْ وَاعَـدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْـلَةَ﴾[2]. فهذا دليـل أن المواعـدة كـانت أَرْبعين ليلةً كـاملة، واللَّه جلّ وعزّ أعلم.

وقوله: ﴿وَقالَ مُوسَى لأخيهِ هارون [اخْلُفْني فِي قَوْمِي]﴾.

يجوز هارونَ بـالفتح وهـو في موضـع جر بـدلاً من أخيه، ويجـوز لأخيه هارونُ بضمِّ النُّونِ، ويكون المعنى وقال موسى لأخيه، يا هَارُون ﴿أخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنا﴾.

أي للوقتِ الذي وقَّتْنَا له.

﴿وَكَلَّمَهُ ربُّه﴾.

---

(١) خلوف فمه: رائحته وهي تتغير عند الجوع.

(٢) سورة البقرة الآية ٥١.

كلم اللّه موسى تكليماً. خصّه اللّهُ أنه لم يكن بينه وبين اللّه جلّ ثناؤه وفيما سَمِعَ أَحدٌ، ولا مَلَكٌ أَسْمَعه اللّهُ كَلامَهُ، فلما سمع الْكَلاَمَ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾.

أي قد خاطبتني من حيْثُ لا أراك، والمعنى أَرِني نفْسَك.

وقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ﴾: مجزوم جواب الأمر.

﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾: ولن نفي لما يستقبل.

﴿وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوفَ تَرَانِي﴾.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾.

أي ظهر وبان.

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾.

يجوز «دكًّا» بالتنوين، ودَكَّاءَ بغَير تنوينٍ، أيْ جَعله مَدْقُوقاً مع الأَرض، يقال دككت الشيءَ إذا دققته، أَدُكه دَكا، والدكَّاءُ والدَّكَّاوَاتُ الروابي التي مع الأَرض ناشزة عنها، لا تبلغ أن تكون جبلا.

وقوله: ﴿وَخَرَّ مُوسى صَعِقاً﴾.

صَعِقاً منصوب على الحال، وقيل إنه خر مَيِّتاً، وقيل خرَّ مَغشيّاً عليه.

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾.

ولا يكاد يقال للميت قد أفاق من مَوْته، ولكن للذي غشي عليه والذي يذهب عقله قد أفاق من علته، لأن اللّه جلّ ثناؤه قال في الذين ماتوا: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾(١).

وقوله: ﴿قَالَ سُبحَانَكَ﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ٥٦، أي لم يقل أفاقوا.

أي تنـزيهاً لـك من السوءِ. جـاءَ عن النبي ﷺ، أَن قوْلـه «سبحان اللَّه» تنزيه للَّه من السُّوءِ. وأَهل اللغـة كذلـك يقُولـون من غير مَعْـرِفةِ بمـا فيه، عن النبي ﷺ ولكن تفسيره يجمعون عليه(1).

وقوله: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤمِنِين﴾.

أَي أَول المؤمنين بأَنك لا ترى في الدنيا.

هذا معنى ﴿أَرِني انظرْ إليك﴾ إلى آخره الآية، وهو قول أَهل الْعِلْم وأَهـل السنة.

وقـال قوم: معنى ﴿أَرني انْظُر إِليك﴾، أَرني أَمـراً عظيمـاً لا يُـرَى مِثْلُه في الدنيا مما لا تحتمله بنية مـوسى، قالـوا فأَعلمـه أَنه لن يـرى ذلك الأَمْـر، وأَن معنى. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾: تجلى أَمر رَبِّه.

وهذا خطأٌ لا يعرفه أَهـل اللغة، ولا في الكـلام دليل أَن مـوسى أَراد أَن يرى أَمراً عـظيماً من أَمْـرِ اللَّه، وقد أَراه اللَّه من الآيـات في نفسه مـا لا غايـة بَعْدَه. قد أَراه عصـاه ثعبانـاً مبيناً، وَأَراه يـده تخرج بيضـاءَ من غير سـوءٍ وكان أدم(2)، وفـرَق البحر بعصـاه. فأَراه من الآيـات العظام مـا يستغنى بـه عن أَنْ يطلُبَ أَمْراً من أَمر اللَّه عظيماً، ولكن لما سَمِعَ كلام اللَّه قـال: رب أَرِني أَنظُر إِليك، سمعت كلامك فأَنا أَحب أَن أَراك. فأَعلمه اللَّه جلّ ثنـاؤه أَنه لن يـراه. ثم أَمره اللَّه أَن يشكره، فقال:

﴿يا مُوسَى إِنِّي اصْطفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾.

أَي اتخذتك صفوةً على الناس.

﴿برسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي﴾.

---

(1) أي لا يعرفون اشتقاقه.

(2) كانت يده بيضاء تتلألأ مع أن لونه أسود.

ولـو كان إنمـا تَبعَ كَـلاَمَ غيـر اللَّه لمـا قـال بـرسـالاتي وبكـلامي، لأن الملائكة تنزل إلى الأنبياءِ بكلام اللَّه.

وقوله: ﴿فَخُذْ مَا آتيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرين﴾.

ثمَّ أعلَم اللَّه جلّ ثناؤه أنه قد أعطاه من كل شيءٍ يحتـاج من أمْر الـدِّين مع ما أراه من الآياتِ فقال جلّ وعزّ:

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الألْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْعِظَةً وَتفصِيلاً لِكُلِّ شَيءٍ﴾.

وقيل في التفسير إنهمـا كانـا لوحين. ويجـوز في اللغة أن يقـال للوحين ألواح. ويجوز أن يكون ألواح جمع أكثر مِنَ اثْنَين.

وقوله: فَخُذْهَا بِقُوَّة، أي خُذْها بقوةٍ في دينك وَحجَّتِكِ.

وقوله: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بأَحْسَنِها﴾.

في هـذا وجهان، وهـو نحو قـوله: ﴿الَّـذِين يَسْتَمِعُـونَ القـولَ فَيَتَّبِعـون أحْسَنَهُ﴾[1] ونحو قوله: ﴿اتَّبعُوا أحسَن مَا أنْزِلَ إلَيْكُم مِنْ رَبّكمْ﴾[2].

فيحتمل وجْهيْن: أحَدُهمَا أنَّهُمْ أمِرُوا بالخيْرِ ونُهُوا عن الشَّرِ، وعرِّفوا مَـا لَهُم فِي ذَلِكَ، فقيلَ ﴿وَأْمُرْ قَوْمَك يأخذوا بأحسَنِها﴾ ويجوز أن يكون نَحوَ ما أمِرْنا به من الانتصار بعد الظلم، ونحـو القصَاصِ في الجـرُوحِ إذ[3] قال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَر إن ذلِك لمِنْ عَزْم الأمُورِ﴾[4]، ﴿وَلَمَن انتصرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فأولئكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيل﴾[5] فهذا كله حَسَنٌ والعفـو أحسنُ من القِصاصِ والصَبْـرُ أحسن من الانتصار.

---

(١) سورة الزمر آية ١٨.

(٢) سورة الزمر آية ٥٥.

(٣) أي من أن العفو خير من القصاص، وكل جائز.

(٤) سورة الشورى الآية ٤٣.

(٥) سورة الشورى الآية ٤١.

وَقوله: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بغَيْرِ [الحق]﴾.

أي أَجعَلُ جزاءَهم الإضْلالَ عن هداية آياتي، ومعنى ﴿يتكَبَّرُونَ﴾ أي انَّهم يرون أنَّهم أفضَلُ الخلقِ وأن لهم من الحق ما ليس لغَيْرِهِم. وهذه الصفة لا تكون إلَّا للَّه جلّ ثناؤه خاصَّةً لأن اللَّه تبارك وتعالى هو الذي له القدرَةُ والفضلُ الذي ليس مثله، وَذَلِكَ يَسْتحقُ أن يقال له: المتكَبِّر، وليس لأحدٍ أَنْ يتكَبر لأن الناس في الحقوق سواءٌ. فليس لأحدٍ مَا لَيْسَ لِغَيره واللَّه جلّ ثناؤه المتكبرُ.

أعلم اللَّه أن هؤلاءِ يتكبرون في الأرض بغير الحق.

وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذوهُ سَبِيلاً، وَإِنْ يَرَوْا سَبيلَ الغَي يتَّخِذُوه سَبيلاً﴾.

وسبيلُ الغَيّ هو سبيل الضَّلال، يقال: غوَى الرجل يَغْوِي غيًّا وهو غاوٍ إذا ضَلَّ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بأَنَّهُمْ كذَّبوا بآياتِنا﴾.

«ذَلِكَ» يصلح أن يكون رفعاً، أي إن أَمْرَهُم ذلك، ويجوز أن يكون نصباً على معنى فَعَل اللَّهُ بهم ذلك بأنهم كذَّبوا بآياتِنَا.

﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾.

«غافلين» يصلح أن يكون - واللَّه أعلم - كانوا في تركهم الإيمان بها والنظَرِ فيها والتدبُّر لها بمنزلة الغافلين.

ويجوز أن يكون ﴿وكانوا﴾ عن جوابها غافلين كما تَقول: ما أَغْفَلَ فلاناً عما يُرَادُ به.

وقوله: ﴿وَاتَّخذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِه مِنْ حَلْيِهِمْ﴾.

و﴿من حُلِيِّهِمْ﴾ ومن حِلِيِّهِمْ.

فمن قرأ من ﴿حَلْيِهِم﴾ فالحَلْيُ اسم لما يُحَسَّنُ به من الذهب والفضة، ومن قرأ ﴿من حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاءِ - فهو جمع حَلْيٍ على حُلِيٍّ مثل حَقْوٍ وحُقِيٍّ[1]، ومن كسر الحاءِ فقال من حِلِيِّهِمْ - أَتْبَعَ الحاءِ كسر اللام.

ومعنى ﴿من بَعْده﴾ أي من بعد ما جَاءَ الميقات، وخَلفَهُ هارون في قومه، وكان لهم حَلْيٌ يجمعونه في أيام زِينتهم، وكان لِلْقِبْطِ حَلى عند بني إسرائيل. فقال لهم السامري، وكانَ رجلاً مطاعاً فِيهم ذَا قَدْر، وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم إلٰهاً يعبدونه كما رأوا قوم فرعون يَعْبُدُون الأصنامَ. فجمع السامِرِيّ ذلك الحلى، وهو قولهم:

﴿ولَكنَّا حُمِّلنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فقَذَفْنَاهَا﴾[2] أي ألقيناها.

﴿فكذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾[2] أي وكذلك طرح السّامِريُّ ما كان عندَهُ من الحلى فصاغه في العجل.

فقال [اللَّه تعالى]:

﴿وَاتَّخَذ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً﴾.

والجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز، إنما معنى الجَسَد معنى الجثة فقط.

﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: أي له صوت.

وقيل له جُوأر - بالحاءِ والجيم - وكلاهما من الصوت، وكان قد عمله، كما تُعْمَلُ هذه الآلات التي تصوِّتُ بالْخَيْل، فجعله في بيت وأعلمهُمُ أن إلَهَهُمْ وإله موسى عنده. ويقال في التفسير إنّه سُمِعَ صَوْتُه مرةً واحدةً فقط، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

---

(١) الحقو: الكشح والإزار أو معقده كالحقوة والحقاء، ويجمع على أحق وأحقاء وحقي وحقاء. والحقو الموضع الغليظ المرتفع عن السيل وموضع الريش من السهم.

(٢) سورة طه الآية ٨٧.

﴿أَلم يروا أَنَّه لاَ يُكَلِّمُهُم وَلاَ يَهْدِيَهُمْ سَبيلاً﴾ .

أي لا يُبَيِّن لهم طريقاً إلى حجة .

وقوله : ﴿ولما سُقِطَ في أَيْدِيهمْ﴾ .

يقال للرجل النادم على مَا فَعَـلَ الْخَسِر عَلَى مـا فرط منـه ، قد سُقِطَ في يـده وأُسْقِطَ ، وقـد رُوِيَتْ سُقِطَ في القـراءَة ، فـالمعنى : ولمـا سقط النـدم في أيديهم ، كما تقول للذي يحصل على شيءٍ - وَإِنْ كَانَ مما لا يكـون في اليد - قد حصل في يده من هذا مكروه ، تُشَبِّهُ مـا يحْصُل في القلب وفي النفس بمـا يرى بالعَيْنِ .

وقوله : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَان أَسِفاً﴾ .

﴿غضبان﴾ منصوب على الحال ، وهو على مثـال فعلان ، ولـه فَعْلى[(١)] نحو غَضْبَى - لم ينصـرف ، لأن فيـه الأَلفَ والنُّـونَ ، كـألفي حمــراءَ ، والأَسف : الشديد الغضب ، قال اللَّه جلّ وعزّ : ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتقمنا منْهُمْ﴾[(٢)] ، أي فلما أغضبونَا .

وقوله : ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ .

يقال عجلت الأمر والشيءَ سبقته ، وأَعجلته استحثثته .

﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ﴾ .

بالفتح وإن شئت بن أُمِّ بالكسر ، فمن قال ابن أم بالفتح فإنه إنما فتحـوا في ابن أمٍ وابنَ عم لكثـرة استعمالهم هـذا الاسم . وأَن النداءَ كـلام محتمـل للحذف فجعلوا «ابن» و «أُمّ» شيئاً واحـداً نحو خمسـة عشر . ومن قـال ابن أُمِّ - بالكسر - فإنه أَضـافه إلى نفسـه بعدَ أن جعله اسمـاً واحداً ، ومن العـرب من

---

(١) أي وله هذا الوزن مؤنثاً ولا يقال لأنثاه فعلانة .

(٢) سورة الزخرف الآية ٥٥ .

يقول: يا ابن أُمِّي بإثباتِ الياء، قال الشاعر:[1]

يــا ابـن أمي ويــا شُـقَيِّـقَ نَـفْـسِـي   أَنْـتَ خَـلَّيْـتَـنِـي لِــدَهْــرٍ شَــدِيــدِ

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾.

المعنى اتخذوا العجل إلهاً.

وقوله :﴿وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

لحقتهم الذلة أنهم رأوا أنهم قد ضلوا وذَلُّوا، والذِّلَّةُ هـو ما أمـروا به مِنْ قَتْـل أَنْفُسِهِمْ، وقيل إن الـذِّلَّة أَخـذ الجزيـةِ، وأَخذ الجـزية لم يقـع في الذين عبدوا العجل، لأن اللَّه جلّ وعزّ تاب عليهم بِقَتْلِهِمْ أَنْفُسَهمْ[2].

وقوله :﴿ولمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾.

يقـال سكت يسكُتُ سَكْتاً إذا هـو سكن، وسكت يسكتُ سُكُوتـاً وَسَكْتاً إذا قطع الكلام، ويقـال: رجل سِكِّيت بيِّنَ السُّكُـوت والساكـوتةِ إذا كـان كَثِيرَ السكوتِ، وأصاب فلاناً سُكَّـاتٌ إذا أصابـه داء منعه من الكـلام، والسُّكَيْتُ ـ بالتخفيف والتشديد ـ الذي يجيء آخِـرَ الْخَيْلُ، وروى بعضهم: «ولمـا سُكِتَ عن موسى الغضبُ» ولا تقرأَنَّ به لأنه خـلاف المصحف، قول بعضهم: ولمـا سكت عن مـوسى الغضبُ معنـاه: وَلَمَّـا سَكَتَ مُـوسَى عن الغضب، على القلب، كمـا قـالـوا: أَدْخَلْتُ الْقَلَنْسُـوَةَ في رَأْسِي، المعنى أدْخلت رأسي في الْقَلَنْسُوَةِ، والقول الذي معناه سكن قول أهل العربية.

وقوله: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا﴾.

---

(١) البيت لأبي زبيد الطائي من قصيدة يرثي بها أخاه، وشقيق تصغير شقيق صغره للرحمة. والبيت في العيني ٤ ـ ٢٢٢ وابن يعيش ٢ ـ ١٢، وابن الشجـري ٢ ـ ١٧٩، والكتـاب ٢ ـ ٢١٣ ت هرون. ومن شواهد النحو الشائعة.

(٢) المراد بهذا الحديث بنو إسرائيل جميعاً أي الطائفة التي فعلت ذلك.

معناه واختار موسى من قومه، وكان موسى اختار من اثني عشر سِبطاً من كل سبطٍ ستَّة رجال، فبلغوا اثنين وسبعين رَجُلاً فَخَلَّفَ منهم رَجُلَيْن.

ومعنى اختار قومه، اختار من قومه فحذفت «من» وَوُصِلَ الفعلُ فَنُصِبَ، يقال اخترت من الرجال زيداً واخترت الرجال زيداً.

وأنشدوا: (١)

ومنا الذي اختارَ الرجالَ سماحة   وجوداً إذا هب الرياح الزعارع

وقوله: ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُم الرَّجفَة﴾.

وهي الحركة الشديدة والزلزلة الشديدة.

يقال إنه رجف بهم الجَبلُ فماتوا فقال:

﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلكتَهُم مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾.

أي لو شئت أَمَتَّهم من قبل أن تأتيهم بما أَوْجَبَ عليهم الرجفة.

وقوله: ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْك﴾.

معناه تُبْنَا إليك.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ﴾.

أَي كلُّ ما خَلَقْتُه فبرحمتي وفضلي يعيش، فمعناه ورحمتي وَسِعَتْ كل شيءٍ في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فسأَكتُبها للذينَ يَتَّقُونَ﴾.

في الآخرة، أي أُجازيهم بها في الآخرة.

---

(١) البيت للفرزدق من قصيدة ينقض بها عينية على هذا الوزن لجرير ورواية البيت اختير الرجال - أي اختير من الرجال والزعازع واحدها زعزع، وزعزوع، والزعزع وهي الرياح الشديدة - يريد زمن الشتاء والجدب، أي الناس يقصدون أهله للعطاء حين يشح الناس ويجدب الزمان انظر شواهد المغني ص ٣ وديوان الفرزدق ٥١٩.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿الّذينَ يَتّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبيّ الأُميَّ﴾.

الأُمي هو على خلقة الأُمَّة، لم يتعلم الكتاب فهو على جِبِلَّتِهِ.

وقوله: ﴿الَّذِي يجدُونَه مكْتُوباً عِنْدَهُم في التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيل﴾.

وهذا أبلغ [في] الاحتجاج عليهم لأنه إخبار بما في كُتُبهم، والنبي ﷺ لم يكن يكتب ولا قرأ التوراة والإنجيلَ، ولا عَاشَر أهلَهما فإتيانه بما فيهما من آيات اللَّه العظام. ومُحال أن يجيءَ مُدَّعٍ إلى قوم فيقول لهم ذِكْرِي في كتابكم، وليس ذلك فيه. وذكره قد أنبأ من آمن من أهل الكتاب [به].

وقوله: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾.

يجوز أن يكون يأمرهم مستأنفاً.

وقوله: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيبَاتِ﴾.

أي يحل لهم ما حُرِّمَ عليهم من طيباتِ الطَّعام. ويجوز ﴿وَيُحُلُّ لهم الطيباتِ﴾ أي ما أخذ مِن وجْهِهِ طيِّباً.

﴿ويُحَرّمُ عَلَيْهِمُ الخَبائِث وَيَضَعُ عَنْهُمْ إصْرَهُمْ﴾.

والاصر ما عقدته من عَقْد ثقيل.

﴿والأَغْلاَلَ الّتي كانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.

والأغلال تمثيل، ألا ترى أنك تقول: جَعلت هذا طوقاً في عُنُقِك، وليس هناك طوق، وإنما تأويله أنّي قَدْ وَلَّيْتُكَ هذا وألزمتك القِيَامَ بِه، فجعلتُ لزومَه لك كالطوق في عنقك.

والأغلال التي كانت عليهم: كان عليهم أنه من قتَلَ قُتِل، لا يُقْبَلُ في ذلك ديَةٌ، وكان عليهم إذا أصاب جلودَهُم شيءُ من البَوْل أن يَقْرِضُوه، وكان عليهم ألا يَعْمَلُوا في السَّبْتِ. فهذه الأَغْلال التي كانت عليهم.

وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾.
أي بمحمد ﷺ.
﴿وَعَزَّرُوه ونَصَرُوهُ﴾.

اختلف أهل اللغة في معنى قوله: ﴿وعَزَّرُوه﴾ وقوله: عَزَّرْتُ فُلاناً أُعَزِّرُه وأَعْزُرُه عزْراً، قال بعضهم: معنى عَزَرْتـه رَدَدتُه، وقال بعضهم معنى عَزْرتـه أَغَثْتُه، وقال بعضهم: يقال عَزَرْتُ الرجلَ أَعْزِرُه إذا لمتُهُ، ويقال عزَّرْتُ فلاناً، قال بعضهم عَزَّرْتُ فُلاناً نصرتُه، وقال بعضهم منِعتُ منه، فالمعنى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا به وعَـزَّرُوه وَنَصَرُوه﴾ معنَى عـزَّروه منعوا أعـداءه من الكُفْرِ به، وقال بعضهم: عَزَّروه بمعنى نصروه، والمعنى قريب لأن مَنْعَ الأعـداء منه نصرته.

ومعنى عزَّرْتُ فلاناً إذا ضَرَبْتُه ضربـاً دونَ الحدّ، يمنعـه بِضَرْبـه إياه عن مُعَاودَةِ مثل عمله.

وقوله: عَزَّرْتُه رَدَدْتُه يجوز أن يكون منه التعزيز، أي فَعَلْتُ به ما يَـرُدُّه عَنْ المعْصِيَةِ.

وقوله: ﴿واتَّبَعُوا النُّورَ الذي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾.
أي واتَّبَعُوا الحقَّ الذي بيانه في القلوب كبيان النُّورِ في العيون.
وقوله: ﴿وَمِنْ قَوْم مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالْحَق﴾.
أي يَدْعُونَ الناس إلى الهداية بالحق.
﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.
أي وبالحق يحكمون.
وقوله: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً﴾.

ويجوز عَشِرة - بكسر الشين - المعنى قطعناهم اثنتي عشرة فـرقة أَسْبَـاطاً

من نعت «فرقه»[١] كأنه قال: جَعَلْنَاهم أسباطاً وفرقناهم أَسْبَاطاً فيكون أسباطاً بدلاً من اثنتي عشرة. وهو الوجه.

وقوله: ﴿أُمماً﴾ من نعت أسباطاً.

قال بعضهم: «السِّبْطُ القرن الذي يجيء بَعْدَ قَرْنٍ، والصحيح أن الأسباط في وَلَدِهِ إسحاق[٢] بمنزلة الْقَبَائِلِ في وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ» فَوَلَدُ كُلٍّ من وُلِدَ من أولاد يعقوب سبط[٣] وَوَلَدُ كُلٍّ من وَلَدِهِ من وَلَدِ إسماعيل قبيلة. وإنما سُمِّيَ هؤُلاءِ بالأَسْبَاطِ، وهؤُلاءِ بالقبائل، لِيُفْصَلَ بين وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَوَلَد إِسْحَاقَ. ومعنى القبيلة من وَلَدِ إسماعيل معنى الجماعة يقال لِكل جماعة مِنْ وَلدٍ قَبِيلَةٌ وكذلك يقال لكل جمع على شيءٍ واحد: قبيلٌ، قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ من حيث لا تَرَوْنَهُمْ﴾[٤]، فأما الأَسباط فهو مُشْتَقٌّ من السَّبَطِ، والسُّبَطُ ضرب من الشَّجر تَعْلفُهُ الإبلُ، ويقال للشجرة لها قبائلُ. فكذلك الأَسباطُ من السَّبَطُ. كأنه جَعَلَ إسحاق بمنزلة شجرة، وجُعِلَ إسماعيلُ بمنزلة شجرة.

وكذلك يَفْعَلُ النسابُونَ في النسب يجعلون الوالد بمنزلة الشَّجَرَةِ ويجعلون الأَولاد بمنزلة أغصانها، ويقال: طُوبىَ لِطَرْحِ[٥] فلانٍ، وفلانٌ من شجرةٍ صَالِحَةٍ ـ فهذا ـ واللَّه أعلم ـ معنى الأَسبَاطِ والسِّبْطِ.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿واسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السبْتِ﴾.

---

(١) قدر فرقة لأن الأسباط جمع سبط وهو مذكر، فقدر تمييز العدد محذوفاً ـ و «أسباط» نعت له.

(٢) الأسباط هم أبنا يعقوب الأثنا عشر، ويعقوب ابن إسحاق. وكان الأقرب نسبة الأسباط إلى يعقوب.

(٣) في الأصل سبطاً.

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٧.

(٥) أي لأولاده ـ والطرح الثمر والنتاج.

السؤال على ضربين، فأحد الضربين أن تسأل لِتَسْتَخْبرَ عما لاَ تَعْلَمُ لَتَعْلَمَ، والضرب الثاني أن تسأل مستخبراً على وجه التقرير، فتقولُ للرَّجُلِ أأنا فعلتُ كذا؟ وأنت تعلم أنَّك لم تفعل، فإنما تسأله لِتُقَرِّرَهُ وَتُوَبِّخَهُ. فمعنى أمر النبي ﷺ أن يسأل أهل الكتاب عن أهل هذه القرية ـ وقد أخبر اللَّه جلّ ثناؤه ـ بِقِصَّتِهَا لِيُقرِّرَهُم بقديم كفرهم، وأن يُعْلِمهُمْ ما لا يُعْلم إلَّا بكتاب أو وَحْي.

﴿إذ يَعْدُون فِي السَّبْتِ﴾.

أي إذ يظلمون فِي السَّبْتِ، يقال [عَدَا] فلانٌ يَعدُو عُدْواناً، وعِدَاءَ وَعَدْواً، وَعُدُوًّا ـ إذَا ظَلَمَ.

وقوله: ﴿إذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ﴾.

حيتان ـ جمع حوتٍ، وَأَكْثرُ ما تُسَمِّي العربُ السمَك الْحِيتَانَ والنينان(١).

﴿إذ يَعْدُون فِي السَّبْتِ﴾.

موضع «إذ» نصبٌ، المعنى سَلْهُم عن عُدُوِّهِمْ في السَّبْتِ، أي سلهم عن وقت ذلك.

﴿إذ تَأتِيهِمْ﴾.

في موضع نصبٍ أيْضاً بـ«يعدون». المعنى سلهم إذ عَدَوْا في وقت الإتْيانِ.

﴿شُرَّعاً﴾.

أي ظاهرة، وكانت الحيتان تأْتي ظاهرة فكانوا يحتالون بِحَبْسِها في يوم السبت ثم يأْخذونها في يوم الأحد، ويقال إنَّهم جاهروا بأَخذها في يوم السبتِ.

---

(١) جمع نون وهو الحوت، وبه سمي يونس عليه السلام ذا النون أي صاحب الحوت.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ﴾.

أي مثل هذا الاختبار الشديد نختبرُهُمْ.

وموضع الكاف نصب بقوله: ﴿نَبْلُوهُمْ بِمَا كانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

أي شددت عليهم المحنة بِفِسْقِهِمْ. ويحتمل ـ على بعد ـ أن يكون: ويوم لا يَسْبِتُونَ لا تأتيهم كذلك[1] أي لا تأتيهم شُرَّعاً، ويكون نَبلوهم مستأنفة، وذلك القول الأول قول الناس[2] وهو الجيد.

﴿وَإِذْ قَالَت أُمَّةٌ مِنْهُم لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾.

الأصل لِمَا، ولكن الألف تحذف مع حروف الجر نحو لِمَ وعَمَّ وَبِمَ، قال الله تعالى: ﴿فبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[3]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾[4].

ومعنى الآية أنهم لَامُوهُمْ في عظة قوم يعلمون أنهم غير مُقْلِعينَ. هذا الأَغلَبُ عليْهم في العلم بهم.

﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُم عَذَاباً شَدِيداً﴾.

ومعنى «أَوْ» ـ والله أعلم ـ أنهم أخبروهم ـ على قدر ما رأوا من أعمالهم ـ أنهُم مُهْلَكُونَ في الدنيا أو معذبونَ في الآخرة لا محالة.

وقوله: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾.

المعنى قالوا موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم وَلَعَلهُمْ يتقُونَ.

فالمعنى أنهم قالوا: الأمر بالمعْروف وَاجبٌ علينا، فعلينا موعظة هؤلاءِ لعَلهُمْ يتقُونَ، أي وجائز عندنا أن ينتفعوا بالمعذرة.

---

(١) لا تأتيهم على هذه الحالة.

(٢) قول جمهور المفسرين.

(٣) سورة الحجر الآية: ٥٤.

(٤) سورة النبأ الآية: ١.

ويجـوز النصْبُ في «مَعْذِرَة» فيكُـون المعنَى في قوله: ﴿قالوا معذرة إلى رَبِّكم﴾ على معنى يعتذرون مَعْذِرةً[1].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾.

﴿نَسُوا﴾ يجوز أن يكون في معنى تركوا، ويجوز أن يكون تركهم بمنزلة من نَسِيَ.

وقـوله: ﴿أنجَيْنا الَّذِينَ يَنْهَـوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَـذْنَا الَّـذِينَ ظَلَمُـوا بِعَـذابٍ بَئِيسٍ﴾.

أي شديد، يقال بَئِس يَبْؤُس بَأْساً إِذَا اشْتَد، وقيل إنَّ القوم كـانوا ثَـلاثَ فِرقٍ، فرقةٌ عملت بالسوءِ، وفرقة نهت عن السوءِ، وفـرقةٌ أمسكت عن النهي، وقيل كانوا فرقتين، فرقة نَهتْ عن السّوءِ وفرقة عملت بالسـوءِ، وبعض الفرقـة التي فيها من نهى عن السوءِ مؤمن غير راض بما فَعَـل أَهلُ السّـوءِ فدخلوا في النجاة مع الذين ينهون عن السوءِ، ونَزَلَ العَذابُ بالذِينَ عَدَوْا في السبت.

وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ﴾.

العاتي: الشديدُ الدخولِ في الفساد، المتمرد الذي لا يَقْبَلُ موعِظة.

وقوله: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

جائز أن يكونُوا أُمـروا بأن يكـونوا كـذلك بقـول سُمِعَ، فيكـون أبلغ في الآية والنازلة بِهِمْ، وجائز أن يكون «فقلنا لهم» من قولـه: ﴿إِنَّمَا أَمْـرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يقول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

ومعنى «خَاسِئينَ»: أي مُبْعَدِينَ.

---

(١) الأولى أنهـا مفعول لـه، أي وعظنـاهم لأجل المعـذرة، وعلى تقديـره هي مفعـول مـطلق، أي فليتعذروا معذرة، أو هو مصدر بمعنى الأمر وكلاهما بعيد.

(٢) سورة يس اية ٨٢. أي غيرناهم قردة.

وقال قوم: جائز أن تكون هذه القردة المتوَلِّدةُ أصلها منهم وقال قوم المسخُ لا يبقى ولا يَتولدُ، والجملة أنا أُخْبِرْنَا بـأَنهُمْ جُعِلُوا قردة، والقِـرَدَةُ هي التي نعرفها. وهي أكثر شيءٍ في الحيوان شبهاً بابن آدم، واللَّهُ أَعلم كيف كانَ أَمْرُهُمْ بعدَ كونِهم قِرَدَة.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾.

قال بَعضهم: تأذن: تَأَلَّى[1] ربك ليبعثن عَلَيْهم، وقيل: إن تأَذنَ أَعلم، والعرب تقول: تعلم أَن هذا كذا، في معنى اعلم، قال زهير:

تَـعـلَّمْ أَن شـر الـنـاس حـي ينـادي في شعـارهمـو يسـار[2]

وقال زهير أيضاً:

فـقلت تـعَلَّمْ أَن لـلصـيـد غِـرةً وإلا تضيعهـا فـإنـك قَـاتله[3].

وقوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

أي من يوليهم سوءَ العذاب.

فإن قال قائل قد جعلوا قِردةً فكيف يبْقَـون إلى يوْمِ القِيَـامَةِ فـالمعنى أن الذكر لليهودِ، فمنهم من مُسخ، وجُعِل منهم القِردة والخنَازيرَ ومن بقي فمعانِدٌ لأمر اللَّه، فهم مُذَلُّون بالقتل، إلا أن يُعْطُوا الجزية، فهم مذَلُّون بهـا وهم في كل مكان أَذَل أَهْله، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الـذِّلَّةُ أَيْنَمَـا ثُقِفُوا إِلَّا

---

(١) أي حلف وأقسم.

(٢) من شعر زهير بن أبي سلمى، ويسار راع له، كان الحرث بن ورقاء من بني أسد أغار على بني عطفان واستاق يساراً هذا وإبلا لزهير فهجاهم زهير، فرده الحرث عليه، وكان قومه يريدون قتله، فمدحهم زهير. انظر الأغاني ٣٠٨ جـ١٠.

(٣) الديوان ـ ص ٧٨.

بَحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾[1] أي إلا أن يعطوا الذِّمَّةَ والعَهدَ.

وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾.

يقال للذي يجيءُ في أثر قرنٍ خَلْفٌ. والخَلَفُ ما أَخْلفَ عليْك بُدَلاً مما أُخذ منك، ويُقَالُ: في هذا خَلَفٌ أيضاً، فأمَّا ما أخلف عليك بدلاً مما ذهب منك فهو الخَلَفُ بفتح اللام.

وقوله: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى﴾.

قيل إنهم كانوا يَرْتَشون على الحكم، ويحكمون بجورٍ، وقيل إنهم كانوا يرتشون ويحكمون بحق، وكل ذلك عرَضٌ خسيس.

وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، وإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يأْخُذُوهُ﴾.

فالفائدة أنهم كانوا يذنبون بأخذهم الرِّشِيَ، ويقولوا سيغفر لنا من غير أن يَتُوبُوا، لأن قوله: ﴿وَإنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُه يَأْخُذُوهُ﴾ دليل على إصرارهم على الذنب، واللَّه جلّ وعزّ وَعَدَ بالمغْفِرَةِ في العظائم التي توجب النار مع التوبة. فقال:

﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مُيثَاقُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾.

أي فهم ذاكرون لما أُخِذَ عليهم.

وقوله: ﴿والَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ إنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ المُصْلِحينَ﴾.

«الذين» في موضع رفع، وفيها قولان، أعني في﴿إنا لا نُضِيعُ أَجْر المصلحين﴾، قال قوم: إنا لا نضيع أجر المصلحين منهم[2]، وهو الذي نختار

---

(1) سورة آل عمران ١١٢.

(2) الخبر جملة ليس بها رابط، فاختار هو تقدير محذوف أي «منهم» وذكر الآراء الأخرى بعد

لأن كل من كان غير مؤمن وأصلح فأجره ساقط، قال اللّه جلّ وعزّ:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]، وقال:

﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾[2].

فالمعنى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بالكِتَابِ﴾ أي يؤمنون به، ويحكمون بما فيه إنا لا نضيع أجر المصلح منهم. والمصلح المقيم على الإيمان المؤدِّى فرائضه اعتقاداً وعَمَلاً، ومثله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحسَنَ عَمَلاً﴾[3]. أي لا نضيع أجر من أحسن منهم عملاً.

وقال قوم: المصلحون لفظٌ يخالف لفظ الأول، ومعناه معنى الأول فَعَادَ الذكرُ في المعنى وإن لم يكن عائداً في اللفظ، ولا يجيز هؤلاءِ زيد قام أبو عمرو[4]. لأن أبا عمرو لا يوجبه لفظ زيد[5].

فإن قال قائل: المؤْمن أنا أكرم من اتقى اللّه، جاز، لأن معنى من اتقى اللّه معنى المؤمن، فقد صار بمنزلة قولك زيد ضربته، لأن الذكر إذا تقدَّم فالهاءُ عائدة عليه، لا محالة، وإن كان لفظها غير لفظه، لأن ضمير الغائب لا يكون إلا هاءً في النصبِ.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾.

ذلك. ولا يحتاج الأمر لهذا كله، فإنه إذا كان الخبر «الجملة» عين المبتدأ، نحو ﴿قل هو اللّه أحد﴾ أو كان عاماً يشمل المبدأ كالآية التي ذكرها من سورة الكهف ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾. فلا حاجة لرابط. والمراد لسقوط أجره أنه لا يثاب على صلاحه.

(١) القتال آية: ١.

(٢) الغاشية آيات ٢ ـ ٤.

(٣) الكهف الآية ٣٠.

(٤) لأنه لا عائد، وإذا كان «أبو عمر» كنية زيد. فإن كلمة زيد لا توحي به.

(٥) لا يتضمنه.

موضِع «إذ» نصب. المعنى واذكر ﴿إذ أخذ ربك من بني آدم مِن ظهورِهِم﴾.

[من ظهورهم] بَدل من قوله: ﴿من بني آدم﴾ المعنى وإذ أخذ ربُّك ذُرِّيَتِهُمْ وذرياتِهِمْ جميعاً.

وقوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلَى﴾.

قال بعضهم: خلق اللَّه الناسَ كالذَّرِ من صلب آدَمَ، وأشهدَهُمْ على توحيده، وهذا جائز أن يكون جعل لأمثال الذَّرِ فهْماً تعقل به أمره، كما قال: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[1]: وكما قال: ﴿وسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾[2]، وكل مولودٍ يُولَدُ على الفطرة معناه أنه يُولَدُ وفي قلبه توحيد اللَّه، حتى يكون أبواه هما اللَّذان يهودانه وينصرانه.

وقال قوم: معناه أَنَّ اللَّه جَل ثَنَاؤه، أخرج بني آدم بعضهم من ظهور بعضٍ.

ومعنى ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾.

أَنَّ كلَّ بالغ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ واحدٌ، لأن كل ما خلق اللَّه تعالى دليل على توحيده، وقالوا لولا ذلك لم تكن على الكافر حجة، وقالوا فمعنى ﴿أشهدهم على أَنْفُسِهِم ألست بربكم﴾ دَلَّهُمْ بخَلْقِه على توحيده.

وقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ منْهَا﴾.

هذا نسق على ما قبله، المعنى اتلُ عليهم إذ أخذ ربك من بني آدم.

﴿واتْلُ عَليهِمْ نبَأَ الَّذِي آتَيْناهُ آياتِنَا فانْسَلَخَ منْها﴾.

هذا فيه غير قول، قيل إنه كان عنده اسم اللَّه الأعظَم فدعا به على

---

(١) سورة النمل.

(٢) لا يتضمنه.

موسى وأصحابه، وقيل إنه أُمَيَّةُ بن أَبِي الصلت، وكان عنده علم من الكتب، وقيل إنه يعني به منافقو أهل الكتَاب.

وقوله: ﴿فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ﴾.

أي الفاسدين الهالكينَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لرَفَعْنَاهُ بهَا﴾.

أي لو شئنا أن نحول بينه وبين المعْصِيةِ لفعلْنا، ﴿ولكنّه أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾.

معناه ولكنه سكن إلى الدنيا، يقال أَخْلَدَ فلان إلى كذا وكذا، وخلد إلى كذا وكذا، وأَخْلَدَ أَكْثرُ في اللغة، والمعنى أنه سكن إلى لذات الأَرْض.

﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾.

أي لم يرفعه بها لاتباعه هواه.

وقوله: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلْبِ﴾.

ضرب اللَّه عزّ وجلّ: بالتّارِك لآياته والعَادِلِ عنها. أحسن مثل في أَخَسِّ أحْوالِه، فقال عزّ وجلّ: ﴿فمَثَلُه كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ إذا كان الكلب لهثان، وذلك أن الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضَرٍّ وَلاَ نَفْع، لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال حملت عليه أو تركته، فالمعنى فمثله كمثل الكلب لاهثاً ثم قال:

﴿ذَلِكَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا﴾.

وقال: ﴿سَاءَ مَثَلاً القَوْمُ﴾.

المعنى: ساءَ مثلاً مَثَلُ القَوْم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَل﴾.

وصفهم بأنهم لا يُبْصرون بعُيُونِهم ولا يعقلون بقلوبهم. جَعَلَهُم في

تركهم الحق وإعراضهم عنه، بمنزلة من لا يُبْصر ولا يعقـل. ثم قال جـلّ وعزّ ﴿بَلْ هُمْ أَضلُّ﴾.

وذلك أن الأنعام تُبْصـرُ منافِعَهـا ومضارَّهـا فتلزم[1] بعض ما لا تُبصِـرُه، وهؤلاءِ يعلم أكثَرُهُمْ أنه مُعَاندٌ فيقـدمُ عَلى النَّار.

وقـال جلّ وعـزّ: ﴿فَمَا أَصْبَـرَهُمْ عَلَى النَّـارِ﴾[2]. أي على عمـل أهـل النار.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الأَسمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

لا ينبغي أن يدعوه أحد بما لم يصف نفسـه [به]، أو لم يسم بـه نَفْسَه، فيقول في الدعاءِ. يا اللَّه يَا رَحْمَـنُ يَا جَوَادُ، ولا ينبغي أن يقول:

«يـا سبحان» لأنـه لم يصف نفسه بهـذه اللفـظة. وتقـول يـا رحيم، ولا يقول: يا رفيق، وتقول يا قوي، ولا تقول يا جَلْدُ.

وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَنْـظُروا فِي ملَكُوت السَّمَـواتِ والأَرْضِ ومَا خَلق اللَّهُ منْ شيءٍ﴾.

أي ألم يَسْتدِلوا بمـا أنبأَهُم بـه منْ ملكوت السَّمَـواتِ والأَرْض. ﴿وأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجُلهُمْ﴾.

أن إن كانوا يُسَوِّفُونَ بالتوبة فعسى أن يكون قد اقترب أَجَلهُمْ.

فالمعنى: أو لمْ ينظروا فيما دَلَّهم اللَّه جلّ ثناؤه على توحيـده فكفروا بـه بذلك فَلعلَّهُم قد قَرُبَتْ آجالُهم فيموتون على الكفر.

﴿فَبِأَيَ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنونَ﴾.

---

(١) تفهم أن لهما منفعة في أشياء لا تبصرها فتلزمها.

(٢) سورة البقرة ـ ١٧٥.

وقوله: ﴿وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، الطغيانُ: الغلو في الكفر. ويعمهون: يتحيَّرون.

ويجوز الجزمُ والرفعُ في ﴿يذَرُهم﴾. فمن جَزَمَ عطف على موضع الفاء، المعنى من يضلل اللَّه يذرهُ في طغيانه عَامِهاً. ومن قرأ﴿ويذَرُهُمْ﴾ فهو رفع على الاستئناف.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاها﴾.

والساعة ههنا التي يموت فيها الخلق.

ومعنى مُرساها مُثْبَتُها، يقال - رسا الشيء يرسو إذا ثبت فهو راس وكذلك جبال راسيات، أي ثابتات. وأَرْسَيْته إذا أَثْبتُّه.

فالمعنى يسألونك عن الساعة متى وقوعها(١).

وقوله: ﴿لَا يُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾.

أي لا يظهرها في وقتها إلا هو.

ومعنى: ﴿ثَقُلَتْ فِي السمواتِ والأَرْضِ﴾.

قيل فيه قولان، قال قوم: ثقلت في السماوات [والأَرض] ثقل وقوعها على أهل السماوات والأَرْضِ(٢). ثم أعلم جلّ ثناؤه كيف وقوعها فقال جلّ وعزّ:

﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾.

أي إلا فجأة.

وقوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - يسألونك عنها كأنك فَرِحٌ بسؤالهم، يقال تحفيتُ بفلان

---

(١) مرساها إذن مصدر ميمي.

(٢) لم يذكر القول الثاني.

في المسْأَلَةِ إذا سألت سؤالاً أظهرت فيه المحبَّةَ والبِربهِ، وأَحْفَى فُلانٌ بفُلانٍ في المسألة، وإنما تأويله الكثرة ويقال حَفِت الـدَّابَّةُ تَحْفَى حَفىً، مَقْصُـورٌ إذا كثر المشي حتى يُؤلمها(١) والحفاء ممدود أن يَمْشِيَ الرَّجُلُ بغيرِ نَعْلٍ.

وقيل: ﴿كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾، كأنك أكثرت المسألة عنها.

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّما عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.

مَعْنَى ﴿إِنَّمَا علمُها عندَ اللَّه﴾ لا يعلمها إلا هوَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخيرِ﴾.

أي لادّخرتُ زمن الخِصْبِ لزمن الجَدْب.

وقيل ﴿لو كنت أعلم الغَيبَ﴾ أي لو كنت أعلم ما أُسأل عنه من الغيب في الساعة وغيرها.

وقوله: ﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾.

أي لم يَلْحَقْني تكذيبٌ.

وقيل أيضاً: وما مَسَّنِيَ السوءُ أي ما بي من جُنُون، لأنهم نسبوا النبي ﷺ إلى الجنون، فقال: ﴿مَا مَسنِيَ السُّوءُ إن أَنَا إلا نَذِيرٌ وَبَشِير لقَوْمٍ يُؤْمنون﴾(٢).

ثم بَيَّن لهم ما دَلَّهُم عَلى توحيدِ اللَّه عزّ وجلّ فقال:

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

يعني آدمَ.

﴿وجَعَلَ مِنْها زَوْجَهَا ليَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

﴿فلَمَّا تَغشَّاهَا﴾.

---

(١) في الأصول: حفي الدابة يحفي.. إذا كثر عليه المشي حتى يؤلمه.

(٢) أي ان «ما» نافية والكلام غير مرتبط بلو.

كناية عن الجماع أحسن كناية.

﴿حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً﴾.

يعني المَني، والحمْـل ما كـان في البَطْـن ـ بفَتْـح الحاءِ ـ أو أخْـرجَتـه الشجرة، والحمْلُ بكسر الحاءِ ما يُحْمَلُ.

وقوله: ﴿فمرَّتْ بِهِ﴾.

معنى مرت به استمرت، قعدت وقامت لَمْ يُثْقِلهَا.

﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾.

أي دَنت ولاَدَتُهـا، لأنه أولَ أمـره كان خفيفـاً، فلما جُعِـل إنسانـاً ودنت الولاد أثْقلتْ.

وقوله: ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾.

أي دعا آدم وحواءُ رَبهمَا.

﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَنَكُونَن مِنَ الشَّاكِرِينَ، فَلَمَّـا آتَاهُمَـا صَالحـاً جَعَلاَ لَـهُ شُرَكَاءَ فِيما آتَاهُمَا﴾.

يروى في التفسير أنَّ إبليس ـ عليه اللعنة ـ جاء إلى حوَّاءَ فقال: أتدرين مـا في بطنـك، فقالت لا أدري، قـال فَلعلَّه بهيمة ثم قـال: إن دعوت اللَّه أن يجعله إنسـانـاً أتَسمِينَّـه بـاسمي؟: فقـالت نعم فسمته عَبْـد الحـارِث، وهـو الحارث. وهذا يروى في التفسير[١].

وقيـل أن آدمَ وحواءَ أَصْـلٌ. فضرب، هـذا مثلاً لمشـركي العرب وَعُـرِّفُوا كيف بَدَأ الخلقَ، فقيل فلما آتاهما اللَّه ـ لكل ذَكـر وأُنْثى ـ آتاه اللَّهُ ولـداً ذكراً أو أنثى ـ هو خَلَقَه وصوّره[٢].

(١) وهو بعيد كل البعد، فآدم وحواء لا يشركان باللَّه أحداً.

(٢) وهذا واضح ولعله الصحيح.

﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ : يعني الذين عبدوا الأَصنام.

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

الأَول هو الذي عليه التفسير، ومن قرأ «شِرْكاً» فهو مصدرُ شَرِكْتُ الرَّجُلَ أَشركه شِرْكاً.

قال بعضُهم: كان يَنْبغِي أَنْ يكونَ على قراءَة من قرأَ شِرْكاً جعلا لَغَيره شِرْكاً، يقول لأَنهما لا ينكران أَن الأَصل اللَّه عزّ وجلّ فالشرك إنما يجعل لغيره، وهذا على معنى جعلا له ذَا شِرْكٍ فحذف ذا مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ .

وقوله: ﴿خُذْ الْعَفْوَ﴾ .

والعفوُ الفضلُ، والعفوُ ما أَتى بغير كُلْفَة.

﴿وَأْمُرْ بِالعُرْفِ﴾ .

أَي بالمعروف.

﴿وَأَعْرِضْ عن الجَاهِلِينَ﴾ .

وقوله: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ .

لأَدنى حركة تكون، تقول: قد نَزَغْتهُ إِذَا حرَّكْتهُ.

فالمعنى إنْ نَالَكَ مِن الشيطان أَدْنى نزغ [أَي] وسْوسة.

وقوله: ﴿مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ .

يقال: طُفْت أَطُوفُ، وطاف الخيالُ يَطيفُ.

وقوله: ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ .

أَي تفكروا فيما [هو] أَوضح لهم من الحجة.

﴿فإذا هم مُبْصِرونَ﴾ : على بصيرة.

وقوله: ﴿وإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ .

هـذا معنـاه التَّقْـدِيمُ، المعنى «لا يَسْتَـطِيعُــونَ لَهُمْ نَصْـراً، وَلاَ أنفسَهُم يَنصُرُون»[١].

﴿وَإخوَانُهُم يَمُدُّونَهمْ فِي الْغَيّ ثُمَّ لاَ يُقصِرُون﴾.

يعني الشياطين، لأنَّ الكفار أخوانُ الشياطين، والْغَيُّ الْجَهْـلُ، والوقـوع في الحركة. ويقال أقصر يُقصِرُ، وقَصَّرَ، يُقَصِّرُ.

وقوله: ﴿وَإذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا﴾.

أي هلا اختلقتها، أي هلا أتَيْتَ بها من نفسك، فأعْلَمَهُم ﷺ أن الآيات من قِبل اللَّه جلّ ثناؤه.

وقوله: ﴿إنَّمَا اتَّبِعُ مَا يُوحَى إليَّ مِن رَبِّي. هَذا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي هذا القرآن الذي أتَيْتُ به بصائرُ من ربكم، واحـدة البصائـر بصيرة، والبصيرة والبصائر طرائق الدَّم[٢]، قال الأشْعَر الْجُعْفِي[٣].

راحـوا بصـائــرهم على أكْتَـافِهِمْ وَبَصِيــرَتي يَعْـدُو بهــا عَتَـدٌ وَأَيُّ

والبصيرةُ التُّرْس، وجمعها بصائر.

وجميع هذا أيضاً معناه ظهور الشيء وبيانه.

---

(١) يريد أنـه متصل بـالآية التي سبقت وهي: ﴿والذين تدعـون من دونه لا يستـطيعـون نصـركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ يعني أن الشياطين التي تغريهم بهذا كالآلهة التي يعبدونها لا يستطيعون عمل شيء لهم ولا لأنفسهم.

(٢) خطوطه وبقعه.

(٣) قـال الآمدي في المؤتلف والمختلف (ص ٥٨) أنـه شاعـر فارس مشهـور وأنه الأسعـر بـالسين لقوله:

فـلا يـدعني قـومي لسعـد بن مـالـك إذا أنــا لـم أسعــر عـليـهـم وأثـقـب

أي لا أستحق النسب إليه إذا لم أسعر الحرب، وهو مرثد بن أبي خمـران الحرث بن معـاوية، شاعر جاهلي. وأكثر رواية البيت.. حملوا بصائرهم «على أن البصيرة هي التـرس، أو الدرع، والبيت في اللسان (بصر ـ عقد) وفي مجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٣٨ ـ وروايته: حملوا بصائرهم.

وقوله: ﴿وإذا قُـرِئَ القُرْآنُ فاسْتَمِعُوا له وَأَنْصِتُوا﴾.

يروى أن الكلام في الصلاة كان جائزاً، فكان يدخل الرجلُ فيقول: كم صَلَّيْتُمْ فيقال: صلينا كذا. فلما نـزلت فاستمعـوا له وأَنصِتُـوا حرم الكـلامُ في الصلاة إلا ما كان مما يتقرب به إلى اللَّه جلّ ثناؤه. وممـا ذكَرَتْـهُ الفقهاءُ نحـو التسبيـح والتهليل والتكبيـر والاستغفار ومـا أشبه ذلـك. من ذكر اللَّه جـلّ وعزّ ومسألته العفو.

ويجوز أن يكون فاستمعوا له وأَنْصِتُوا، اعملوا بمـا فيه ولا تجـاوزوا لأن معنى قـول القائـل: سمع اللَّه دُعـاءَكَ. تأويله: أجـاب اللَّه دُعَـاءَك، لأن اللَّه جلّ ثناؤه سميع عليم.

وقوله: ﴿بِالْغُدُوِّ والآصَال﴾.

الآصال جمع أُصُـلٍ، والأُصل جمـع أصيل، فـالآصال جمـع الجمع، والآصال العَشِيَّاتُ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾.

يعنى به الْمَلَائكة.

﴿ويسبحونه﴾ ينزهُونَهُ عَنِ السُّوءِ، فإن قال قـائل: اللَّه جـلّ ثناؤه في كـل مكانٍ، قال اللَّه تعـالى: ﴿وَهـوَ اللَّهُ فِـي السَّمَوَاتِ وَفِـي الأَرْضِ﴾[1] فمن أين قيـل للملائكـة: عِنْدَ رَبـكَ، فتأويله إنَّـهُ من قَـرُب من رحمـة اللَّه وَمِنْ تَفَضُّلِهِ وإحسانه.

---

(١) سورة الأنعام من الآية ٣.

سورة الأنفال(*)

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله جلّ وعزّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.

﴿الأَنْفَالُ﴾: الْغَنَائِمُ، واحدها نَفَل، قال لبيد:(۱)

إن تقوى ربنا خير نَفَل وبإذن اللَّه رَيْثِي وَعَجَلْ

وإنما يَسْأَلُوا عَنْهَا لأَنَّهَا فيما رُوِيَ كانت حَراماً عَلَى من كَانَ قبلهم، ويُروى أَنَّ الناسَ في غَزَاةِ بَدْرٍ كانوا قليلين، فجعل النبي ﷺ لمن جاءَ بأسير غُنْماً ومن جاءَ بأسيرين على حسب ذلك، وقيل أيضاً إنه نفل في السرايا فقال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿الأَنفَالُ للَّهِ والرَّسُولِ﴾.

وقوله: ﴿كَما أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾.

أي بالحق الواجب، ويكون تأْويلهُ: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالحَقِ وَإِنَّ فَرِيقاً من المؤمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾. كذلك نَنْفُلُ من رأَيْنَا وإن كرِهُوا. لأَن بعض الصحابة قال للنبي ﷺ حين جعل لكل مَن أَتى بأَسير شيئاً، قال يبقى أكثر الناس بغير شيءٍ.

(*) كما في سور اخرى كثيرة بضع الزجاج بسم اللَّه الرحمن الرحيم قبل اسم السورة، ولأن هذا غير مطرد، ويختلف بين نسخة وأخرى آثرنا الطريقة المتبعة وهي جعل البسملة بعد عنوان السورة لتكون قبل القراءة مباشرة.

(۱) يعني أن تقوى اللَّه خير ما يغتنمه الإنسان، وكل عملي بإذ له وحده. والبيت في ديوان لبيد =

فموضع الكاف في «كما» نصبٌ، المعنى الأنفال ثابتة لك مثل إخْراج ربّكَ إياك مِن بَيْتِكَ بالحق.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾.

معنى ﴿ذات بَيْنكم﴾: حقيقة وصْلِكُم[1]، والبَيْنُ: الوَصْلُ. قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي وصلكم.

فالمعنى: اتَّقُوا اللَّهَ وكُونوا مُجْتَمعينَ على ما أَمر اللَّه ورسُولُه، وكذلك اللهم أَصلح ذات البَيْن، أي أَصلح الحال التي بها يجتمع المسلمون.

وقوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه﴾.
أي اقبَلُوا ما أُمِرْتُم بِهِ في الغنائم وغيرها.
وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

تأْويله: إذا ذكِرَت عظمةُ اللَّهِ وقُدْرَتُه، وما خوَّف به مَنْ عصاه، وَجِلَتْ قُلُوبُهُم أي فَزِعَتْ لذلك قال الشَّاعِر:[2]

لعمرك ما أدري وإني لأوجل   على أينا تعدو المنية أوّل[3]

يقال: وَجِل يَوْجل وَجَلاً، ويقال في معنى يوجَل ياجَلُ يِيجل وَيَيْجَلُ،

= ٢/ ١١ ـ وتفسير الطبري ٩/ ١٠٨ (بولاق) واللسان (نفل) وشواهد الكشاف والقرطبي ٧/ ٣٦١.

(١) الصلاة والروابط التي بينكم.

(٢) هو معن بن أوس المزني. وكان قد طلق زوجةً وتزوج بأخرى، فغضب أخوها وآلى ألا يكلمه. وكان صديقاً له. فأخذ معن يستعطفه بهذه الأبيات وهي قصيدة جيدة في العتاب ـ أنظرها في الحماسة ٣ ـ ١٣٢، وقد ادعى عبد اللَّه بن الزبير لنفسه بعض هذه الأبيات أمام معاوية، ثم دخل معن فقرأها ـ وكان عبد اللَّه مسترضعاً في مزينة، انظر الكامل ١ ـ ٣٦٤ ـ ٣٦٥، حـ ٢ ـ ١٤.

(٣) يريد إنه يؤثر أن يكون هو السابق، وهو شيء لا يعرفه، وهو وجل أن يبقى بعد صاحبه فيذوق مرارة فراقه «أوجل» بمعنى وجل ومؤنثه وجلة ولا يوجد فعلاء له ـ فهو ليس أفعل تفضيل.

هذه أَربع لغَات حكاها سيبويه وأَجودُها يَوْجَل، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿لا تَـوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ علِيمٍ﴾(١).

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُه زَادَتْهُمْ إيماناً﴾.

تأْويل: الإِيمـان التصديق، وكـل ما تلى عليهم من عنـد اللَّه صدقـوا به فزاد تصديقهم بذلك زيادَة إيمانهم.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ المؤْمِنونَ حَقًّا﴾.

حَقـاً منصـوب بمعنى دلَّت عليـــه الجملةُ، والجملة [هي] «أُولئـك همُ المؤْمِنُون» حقًّا.

فالمعنى أُحُق ذَلك حقًّا.

وقـوله: ﴿لَهُمْ دَرَجَـات عِندَ رَبّهِم﴾: أَي لهم مَنَـازِل في الرفعـة على قدر منازلهم.

وقوله: ﴿يُجَادِلُونكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَينَ﴾.

وعدهم اللَّه جلّ وعزّ في غَزَاةِ بدر أَنَّهُم يظفرون بأَهل مكة وبـالعِيرِ وهي الإِبل لِكراهَتِهم القِتالَ، فَجَادَلوا النبي ﷺ وقالوا إنما خرجنا إِلى العير.

وقوله: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾.

[أَي] وهم كـانوا في خـروجهم للقتال كـأَنهم يساقـون إِلى المـوت لِقلَّةِ عدَدهم وأَنهم رَجَّالَةٌ(٢)، يروى أَنهم إنما كان فيهم فارسان فخافوا.

وقوله: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتيْن أَنَّها لَكمْ﴾.

المعنى: وآذكروا إِذ يعدكم اللَّه أَن لكم إِحدى الطائفتين.

---

(١) سورة الحجر الآية ٥٣.

(٢) مشاة لا ظهور كافية معهم.

﴿أنَّها لكمْ﴾ في موضع نَصْب على البدَل من ﴿إحدى﴾ومثله قوله: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مؤمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُم أَنْ تَطَؤُوهُمْ﴾[1] المعنى: ولولا أن تطؤوهم.

وقوله: ﴿وَتَوَدُّون أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوكَةِ تكونُ لكُمْ﴾.

أي تودُّون أَنَّ الطائفة التي ليسَت فيها حرب وَلا سِلاح، وهي الإبلِ تكونُ لكم، وذاتُ الشَّوْكةِ ذاتُ السِلاح، يقال: فلان شَاك في السلاح، وشائِك في السلاح وشَاكٌّ في السلاح بتشديد الكاف من الشِّكَةِ، ومثل شاكي قول الشاعر:

فتوسموني إنني ذَاكُمُ شاك سلاحي في الحوادث مُعْلَمُ[2]

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَع دَابِرَ الكَافِرِينَ﴾.

أي ظفركم بذات الشوكة أَقطعُ لدابرهم.

وقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾.

لما رأوا أنفسهم في قلة عَدَدٍ استغاثوا فَأَمَدَّهم اللَّه بالملائكة.

قال اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

يقال: رَدِفت الرجلَ إذا ركِبْت خَلْفَهُ، وَأَرْدَفته إذا أَرْكَبْته خلفي، ويقال: هذه دابة لا ترادِف[3]، ولا يقال لا تُرْدَفُ، ويقال أَرْدَفْتُ الرَّجُلَ إذا جئتُ بعده، فمعنى ﴿مُرْدِفِين﴾ يأتون فرقة بعد فِرْقة، ويقرأ مُرْدَفِين، ويجوز في اللغة

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٥.

(٢) لطريف بن تميم العنبري. شاعر جاهلي من الفرسان. ويروى البيت. فتعرفوني. هو بمعنى فتوسموني، شاك سلاحي، لابسه، وهو مقلوب. شائك في كتاب سيبويه ٣ ـ ٤٦٦، وشرح شواهد الشافية ٣٧٠ شائك. ومعلم. بمعنى ظاهر معروف بعلامتي. يريد أنه شجاع مشهور. وانظر ترجمة طريف في المقتضب ١/١١٦.

(٣) لا تلحقها دابة أخرى فتكون خلفها.

مَرِدِّفِين، ويجوز مُرِدِّفين ومُرَدِّفِين. يَجوز في الراءِ مع تشديد الدال: كسرُها وفتحها وَضمَها، والدال مُشدَّدَة مكسورة على كل حال: قال سيبويه: الأَصل مُرْتَدِفِينَ. فأُدغمت التاءُ في الدال فصارت مُرَدِّفينَ، لأَنك طرحت حركة التاءِ على الراءِ، قال: وإن شئت لم تطرح حركة التاءِ وكسرت الراءَ لالتقاءِ الساكنين، والذين ضمُّوا الراءَ جعلوها تابعة لضمة الميم.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾.

أَي ما جعل اللَّه المدَدَ إلَّا بشرى.

وقوله: ﴿ إِذ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾.

«إِذْ» مَوْضِعُها نصبٌ على معنى وما جعله اللّه إلا بشرى [في] ذلك الوقت، ويجوز على أَن يكون: اذكروا إِذ يغشيكم النعاس.

يقال: نَعَسَ الرجل يَنْعَسُ نُعَاساً وهو نَاعس، وبعضهم يقول: نَعْسان ولكنْ لا أَشتهيها.

وَ ﴿أَمَنَةً﴾ منصوب مفعول له[1].كقولك: فعلت ذلك حَذَرَ الشَّرِّ.

والتَّأْوِيل أَن اللَّه أَمَّنَهم أَمْناً حتى غشيهم النعاس لِمَا وَعَدهم من النَّصر، يقال:

قد آمنتُ آمَنُ أَمْناً ـ بفتح الأَلف ـ وَأَمَاناً وأَمَنَةً[2].

وقوله: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾.

كان المشركون قد نزلوا على الماءِ وسبقوا المسلمين، ونزل المسلمون في رَمْلٍ تسوخ فيه الأرجُلُ، وأَصابت بعضهم الجنابةُ فوسوس لهم الشيطانُ بأَن عَدُوَّهم يقدرون على الماءِ وهم لا يقدرون على الماءِ، وَخُيِّلَ إِليهم أَن

(١) أي لأجل أمنكم، فأمنة مصدر أمن.

(٢) المعنى يجعل النوم يستولي عليكم لأجل أمنكم واطمئنان نفوسكم .

ذلك عَوْنٌ من اللّه لعدوهم، فأمطر اللّه المكان الذي كانوا فيه فَتَطَهَّرُوا من الماءِ، واستوت الأرض التي كانوا عليها حتى أمكن الوقوفُ فيها والتصرفُ، وهذا من آيات اللَّه جلّ ثناؤه التي تدل[1] على نبوة النبي ﷺ. وأَمْر بدر كان من أعظم الآيات لأن عَدَدَ الْمُسْلِمين كان قليلاً جداً، وكانوا رجَّالةً فأيدهم اللّه، وكان المشركون أَضْعَافَهُم، وَأَمَدَّهُم اللّه بالملائكة، قالَ بعضهم: كان الملائكة خمسةَ آلاف، وقال بعضهم تسعة آلاف[2].

وقوله: ﴿وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَان﴾.

أي وَسَاوِسَهُ وخطاياه.

﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾.

أي يُثَبِّت بالماءِ الذي أنزله على الرَّمْل حَتَّى إسْتَوى، وجائز أن يكون زيّن به للربط على قلوبهم، فيكون المعنى «وَلِيَرْبطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتُ» بالربط الأقدام.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ﴾.

«إذ» في موضع نصب على «وَلِيَرْبِطَ إِذْ يُوحِي»[3] ويجوز أن يكون على «اذكروا».

﴿فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

جائز أن يكون [أنهم] يُثَبِّتُوهم بأشياءَ يلقُونَهَا في قُلُوبِهِمْ تَقْوَى بها[4].

وَجَائِزٌ أن يكونوا يَرَوْنهم مدداً، فإذا عاينوا نصر الملائكة ثبتوا.

---

(١) في الأصل والتي.

(٢) في الأصل تسعة ألف.

(٣) أي على هذا التقدير فتكون الآية متصلة إعراباً بما قبلها، وليس بجيد إذ يقتضي الربط في وقت الإيحاء. وتعليقه باذكر يجعله جملة مستأنفة مستقلة وهو أولى.

(٤) تقوى بها قلوبهم.

وقوله: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾.

أباحهم اللَّه قتلهم بكل نوعٍ في الحرب.. وَاحِدُ الْبَنَانِ: بَنَانَةٌ، وَمَعْنَاهُ ههنا الأَصابعُ وغيرها من جميع الأَعضاء.

وإنما اشتقاق البنان من قولهم أَبَنَّ بِالمكان إذا أَقَام به، فالبناءُ به يَعْتَملُ كلَ ما يَكُونُ للإقامة والحياةِ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

﴿شاقُّوا﴾. جانبوا،صَارُوا في شِقٍّ غَيْرِ شِقِّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِثْلُ شَاقُّوا جَانَبُوا وَحَازَبوا وَحَارَبوا.

معنى حَازَبوا صارَ هؤُلاءِ حِزْباً وهؤُلاءِ حِزْباً.

﴿ومن يشَاقِق [اللَّهَ وَرَسولَهُ فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَاب]﴾.

[يُشَاقِقْ] وَيُشَاقَّ جميعاً، إلا أَنها ههنا يشاقق، بإظهار التضعيف مع الجزم وهي لغة أهل الحجاز، وغيرهم يدغِم، فإذا أدْغمَتَ قلتَ: من يشاقَّ زيداً أَهِنْه، بفتح القاف، لأَن القافين ساكنتان فحركت الثانية بالفتح لالتقاءِ الساكنين ولأن قبلها أَلفاً، وإن شئت كَسَرْتَ فقلتَ يشاقِّ زَيْداً، كسرت القاف لأَنَّ أَصل التقاءِ الساكنين الكسر. فإذا استقبلْتَها أَلف ولام اخترت الكَسْر فقلت «وَمَنْ يُشَاقِ اللَّه». ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً﴾.

يقال: أَزْحَفْتُ لِلْقَوْمِ إذا ثَبَت لهم، فالمعنى: إذا وَاقَفْتموهم[١] للقتال.

﴿فَلَا تُوَلوهُمْ الأَدْبَارُ﴾.

أي لا تنهزموا حتى تُدْبِرُوا[٢].

---

(١) واجهتموهم ووقفتم معهم في موقف واحد.

(٢) لا تستسلموا لدرجة تجعلكم تفرون وتولون الأعداء أدباركم.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُولِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً﴾.

يعني يوم حربهم، إلا متحرفاً. منصوب على الحال ويجوز أن يكون النصب في متحرِّف، ومتحيز على الاستثناءِ[1]، أي إلا رجلاً متحيزاً، أي يكون منفرداً فينحاز ليكون مع المقاتلة.

وأصل مُتَحَيِّز متَحَيْوِز[2] فأُدْغمت الياءُ في الواو.

وقوله: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّه قَتَلَهُمْ﴾.

ويقرأ، وَلَكِن اللَّه قَتَلَهُمْ، فمن شَدَّدَ نَصَبَ لَنَصْبِ إنَّ[3]، وَمَنْ خفف أبطل عملها ورفع قولَه: اللَّهُ بالابتداءِ.

أَضافَ اللَّهُ قتلهم إليه، لأنه هو الذي تَوَلَّى نَصْرَهُمْ، وَأَظْهَرَ فِي ذلك الآيات المعجزات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾.

ليس هذا نَفْيَ رمي النبي ﷺ ولكن العرب خوطبت بما تعقل.

ويروى أن النبي ﷺ قال لأَبي بكر الصديق: ناولني كفًّا من بَطْحاءَ[4]، فناوله كفًّا فرمى بها فلم يبق منهم أَحَدٌ - أعني من الْعَدُوِّ - إلَّا شُغِلَ بعينه فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن كفًّا من تُراب أَوْ حصًى لَا يَمْلأُ عيونَ ذلك الجيش الكثير

---

(١) هو مستثنى على كلتا الحالتين والاختلاف في تقدير المستثنى منه، فعلى الأول هو مستثنى من عموم الأحوال، والتقدير ومن يولهم دبره في حال من الأحوال إلا في حال اتخاذ حرفة لغلبتهم أو حال تحيز لطائفة - مسلمة وعلى التقدير الثاني يكون تركيب الجملة وأي رجل يولهم دبره إلا رجلاً له هذه الصفة.

(٢) لأنها من حاز يحوز، فالفعل واوي العين.

(٣) من شدد «لكن» اللَّه قتلهم نصب لفظ الجلالة اسماً لها، ومن خفف «لكن» كانت مجرد حرف استدراك فيرفع ما بعدها بالابتداء.

(٤) أي ناولني حفنة من تراب هذه البطحاء، أي الأرض التي كانوا عليها.

برَمْية بَشَرٍ، وأنه عزّ وجلّ تولى إيصَال ذلكَ إلى أَبْصَارِهم، فقال عزّ وجل: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾. أي لَمْ يُصِبْ رَمْيُكَ ذَاكَ ويبلغْ ذلك المبلغ بِكَ، إنما اللَّه عزّ وجلّ تولى ذلك، فهذا مجازُ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً﴾.

أي لينصرهم نصراً جميلاً، ويختبرهم بالتي هي أَحسن.

ومعنى يبليهم ههنا يُسْدِيَ إليْهم.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوَهِّنُ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾.

بتشديد الهاءِ والنصب في «كَيْدِ» ويجوزالجرّ في ﴿كيد﴾ وإضافة ﴿مُوهِن﴾ إليه. ففيه أَرْبَعة أَوجُه. في النصب وجهان، وفي الجر وجهان. وموضع ذلكم رفعٌ، المعنى الأَمر ذلكم وأَنَّ اللَّه، والأَمرُ أَنَّ اللَّه موهن.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ فَذُوقُوه﴾.

موضعِ ذلكم رفع على إضمار الأَمر، المعنى: الأَمر ذلكم فذقوه، فمن قال: إنه يَرْفَعُ ذلكم بما عادَ عليه من الهاءِ أَو بالابتداءِ وجعل الخبر فذُوقُوه، فقد أَخطأَ من قبل أَنَّ مَا بَعدَ الفاءِ لا يكونُ خبراً لمبتدأً. لا يجوز زيد فمنطلق، ولا زيد فاضربُه، إلا أَن تضمر «هذا» تريد هذا زيد فاضربه، قال الشاعر: (١)

وقائلة خَوْلانُ فانكح فتاتهم ... وَأَكرُومَةُ الحيين خلْوٌ كماهِيَا

(١) لم يعرف قائله. وهو من الخمسين التي لم يعرف قائلها من شواهد سيبويه، والمعنى رب قائلة لي تزوج هذه الفتاة من قبيلة خولان، فأجبت: هذه الفتاة الكريمة الأب والأم خلو من الزوج وهي أولى بأن أتزوجها - وخولان حي من اليمن أو قبيلة ولهذا يروى البيت: «فانكح فتاتها» وأكرومة بمعنى مكرمة، والحيان قبيلة الأب وقبيلة الأم. وزيادة الفاء هو مذهب الأخفش وانكح خبر، ويجوز على هذا نصب خولان، ومذهب سيبويه ما ذكره المؤلف والبيت من شواهد الكشاف، وفي الخزانة الشاهد ٧٧ ص ٤١٠ / حـ ١ (السلفية).

وابن يعيش ٨/٩٥، وشواهد المغني ١٥٩.

وذكر بعضهم: أن تكون في موضع نصب على إضمار واعلموا أن للكافرين عذاب النار. ويلزم على هذا أن يقال: زيد منطلق وعمراً قائماً، على معنى وَاعْلَمْ عمراً قائماً، بل يلزمه أن يقول عمراً منطلقاً، لأن المخبر مُعْلِمٌ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجُز إضمارُ أعلم ههنا، لأن كلَّ كلام يُخبَرُ به أو يستخبر فيه فأنت مُعْلِمٌ [به]. فاستغنى عن إظهار العلم أو إضماره.

وهذا القول لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّحويِّين.

وقوله: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾.

معناه: إن تستنصروا فقد جاءكم النصر، ويجوز أن يكون معناه إن تستحكموا فقد جاءكم الحُكْمُ. وقد أتى التفسير بالمعنيين جميعاً.

رووا أن أبا جهل قال يوم بدرٍ: «اللهم أَقْطَعُنَا للرَّحم، وأَفْسَدُنَا للجماعة فأحنه اليومَ» فسأل اللَّه أَنْ يحكُمَ بحَيْنُ(١) من كان كذلك، فنصر النبي ﷺ ونال الحَيْنُ أبَا جهلٍ وأصحابه، فقال اللَّه جلّ وعزّ:

﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فقد جاءَكم الفتحُ﴾: أي إن تَستَقْضُوا فقد جاءَكم القضاءُ.

وقيل إنه قال: اللهم انصرْ أَحَبَّ الفِئَتَينْ إليك، فهذا يَدُلُّ على أن معناه: إنْ تَسْتَنْصِروا. وكلا الوجهين جَيِّدٌ.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾.

يُعنَى به الذين قالوا: قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا.

فسماهم اللَّه جلّ ثناؤه لَا يَسْمَعُونَ، لأنهمْ اسْتَمَعُوا استماعَ عداوة وبغضاءَ، فلم يتفهموا، ولم يتفكرُوا، فكانوا بمنزلة من لم يسمَعْ.

وقوله: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ﴾.

---

(١) بموت ونهاية أقطعهم للرحم.

يعنى به هؤُلاءِ الذين يسمعون ويفهمون فيكونون في تـرك القبول بمنـزلة من لم يسمع ولم يَعْقِل.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّه فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾.

أي لو علم اللَّه فيهم خيراً لأَسمَعَهُم جوابَ كل ما يَسأَلونَ عَنْهُ.

ثم قال جلّ وعزّ:

﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُون﴾.

أي لـو بَيَّن لَهُم كـلَّ مـا يعتلجُ في نفـوسهم لتـوَلَّـوْا ـ وَهُمْ مُعْـرِضُونَ ـ لمعانَدَتِهِمْ.

وقوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.

أي لمـا يكون سببـاً للحياة [وهـو] العلم. وجائـز أن يكون [لمـا يكون] سبَباً للحياة الدائمة، في نعيم الآخرة.

ومعنى استجيبوا في معنى أجيبوا. قال الشاعر:

وداع دعــا يـا من يجيب إلى النــدا فلم يستجبـه عنــد ذاك مـجيـب[1]

أي فلم يُجبْه.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه يَحُولُ بَيْن المرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

قيل فيه ثـلاثةُ أقـوال، قال بعضهم يَحُـولُ بينَ المؤْمِنِ والكُفْر، ويحـول بين الكـافِرِ والإِيمـان بالمـوت، أي يحول بين الإِنسـان ومـا يسـوف بـه نفسـه بالموت، وقيل: ﴿يَحُولُ بينَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ معناه: واعلموا أن اللَّه مع المرءِ في القـرب بهذه المنـزلة. كمـا قـال: جـلّ وعــزّ: ﴿وَنَحْنُ أَقْـرَبُ إِلَيْـهِ مِنْ حَبْـلِ الْوَرِيدِ﴾[2] وقيل إنهم كانوا يفكرُون في كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ فيدخل في

---

(١) تقدم ص ٢٥٥ جـ ١.

(٢) سورة ق الآية ١٦.

قلوبهم الخوفُ، فأعلم اللّه جلّ ثناؤه أنه يحول بين المرءِ وَقَلْبِهِ بأن يبدُله بالخوفِ الآمن، ويُبَدّلَ عَدُوَّهم ـ بظنهم أنهم قادرون عليْه ـ الجُبْنَ والخَوَرَ[1].

﴿واتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّةً﴾.

أي اتقوا أن يُبَدَلَ الظالمون بنقمة من اللّه، يُعنى بهذا مَرَدَهُ المنافِقِين الذين كانوا يصدُّونَ عن الإيمان باللّه.

وزعم بعض النحويين أَنَ الكلام جزاءُ، فيه طرف من النهي، فَإِذَا قلْتَ: أنزل عن الدّابَّة لا تَطْرَحْكَ ولا تَطْرَحَنَّك، فهذا جواب الأمر بلفظ النهي، فالمعنى: إنْ تَنْزل عنها[2] لا تطرحك فإذا أتيت بالنُّون الخفيفة أو الثقيلة كان أَوْكَدَ للكلام، ومثله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[3] إنها أَمرتْ بالدخول ثم نَهَتْهم أَنْ يُحْطِمَهُم سليمانُ فقالت: ﴿لَا يَحْطِمنكمْ سلَيْمَانُ وجنوده﴾[3]. فلفظ النهي لِسلَيْمانَ، ومعناه للنمْلِ، كما تقول: لا أَرَيَنكَ هَهنَا، فلفظ النهي لنَفْسِكَ ومعناه: «لا تَكُونَنَّ هَهُنَا فإني أراك».

وقوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾.

المعنى: واذْكُرْ إذ يمكرُ بك الذِين كفروا. فأَذْكَرَه اللّه جلّ ثناؤه نِعْمَةَ مَا أَنْعَمَ عليه من النَّصْرِ والظَّفرِ يوم بدْرٍ ذلك فقال ﴿وَإِذْ يمكُرُ بك الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي اذكر تلكَ الخلال.

﴿ويَمكُرُونَ ويمكُرُ اللّهُ، وَاللّهُ خَيْرُ الماكِرينَ﴾.

لأن مكر اللّه إنما هو مجازاة ونصرٌ للمؤمنين، فاللّه خير الماكرين.

---

(١) يبدل عدوهم الجبن والضعف بما يلقي في قلوبهم من الرعب.

(٢) في الأصل عنه، وبقية الكلام بصيغة المذكر، وهو غير مناسب.

(٣) سورة النمل الآية ١٨.

﴿وَإِذَا تُتْلى عَلَيْهِمْ آياتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

وقد دُعُوا بأن يَأْتُوا بِسُورَةٍ واحِدَةٍ من مثل القرآن فلم يَأْتُوا.

وقوله: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

واحدتها أُسطورة، يعنون ما سَطَّرَهُ الأَوَلُونَ من الأَكاذيب.

ثم قالوا:

﴿اللَّهُمْ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾.

القراءَة على نصب «الحق» على خَبَرِ «كان» وَدَخَلَتْ «هُوَ» للفَصْل[1]. وقد شرحنا هذا فيما سلف من الكتاب.

وَاعْلَمْ أَنَّ «هُوَ» لا موضع لها في قولنا، وأَنها بمنزلة «ما» المؤكِّدَة، ودخلت لِيُعْلَمَ أَن الحق ليس بصفة لهذا أَو أَنه خبر، ويجوز هو الحقُّ مِنْ عِنْدِكَ[2] ولا أَعلم أَحداً قرأَ بها. ولا اختلاف بين النحويين في إجازتها ولكن القراءَة سُنَّةٌ لا يقرأُ فيها إلا بقراءَة مَرْوِيَّةٍ.

وقوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

المعنى: واذكر إذ قالوا هذا القولَ، وقالوا على وجه الدفع لَـهُ[3] وقالوه والنبي ﷺ بين أَظهرهم. فأَعْلَمَ اللَّه أَنَّه لم يكن لِيُعَذِبَهُمْ وَرَسُوله بين أَظهرهم. فقال:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

---

(١) لو أن الجملة كانت بغير ضمير فصل «ان كان هذا الحق» لكان محتملاً أن يلتبس كلمة «الحق» بأنها بدل من اسم الإشارة، أما مع ضمير الفصل فلا ليس.

(٢) يخرج هذا على أن هو «مبتدأ» والحق خبر ـ والجملة خبر «هذا».

(٣) على وجه إنكار أن القرآن حق.

يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي وَمَا كَانَ اللَّهُ ليعذبهم ومنهم من يَؤُول أَمرُه إلى الإسلام.

قال: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾.

المعنى: أي شيءٍ لهم في ترك العذاب، أي في دَفْعِه عَنهُم.

﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾.

المعنى: وهم يَصُدُّونَ عن المسجدِ الحَرام أَولياءَهُ[1] وما كانوا أَولياءَه.

﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا المتَّقُونَ﴾.

المعنى: ما أَولياؤه إلا المتقون.

فأعلم اللَّه النبي ﷺ أَنه لم يكن ليعذِبَهم بالعذاب الذي وقع بهم من القتل والسبي وهو بَيْن أَظْهُرهِم، ولا لِيُوقع ذلك العذاب بمن يؤول أَمْرُه إلى الإسلام مِنْهُمْ، وأَعلمه أَنه لا يدفع العذاب عن جملتهم الذي أَوقعه بِهِمْ، ثم أَعلم أَنهم ما كانوا مع صَدِّهِمْ أَوْلِياءَ[2] الْمسجدِ الحرام وَأَوْلِياءَ اللَّه، إنهم إنما كانَ[3] تَقَرُّبُهُمْ إلى اللَّه جلّ وعزّ بالصفير والتصفيق فقال جلّ وعزّ:

﴿وَمَا كان صلاَتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾.

فالمكَاءُ الصفير، والتصدِيَةُ التصفيق.

وقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّب﴾.

أَي ليميز ما أَنفقه المؤمنون في طاعة اللَّه مما أَنفقه المشركون في معصية اللَّه، ﴿[وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ] فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً﴾.

(١) أي مفعول يصدون محذوف، قدره بكلمة «أولياءه» أي هم يصدون المسلمين عنه وهم أولى به، وجعل المفعول المحذوف عاماً أولى أي هم يصدون الناس عنه وهم ليسوا أولياءه، أي لا حق لهم في هذا الصد.

(٢) لم يكونوا بارين به إذ صدوا الناس عنه.

(٣) في الأصل إنما كانوا تقربهم ـ وهو مستقيم إذ يكون الخبر جملة.

والرَّكْمُ أن يَجْعَلَ بعضَ الشيءِ على بعض، ويقال رَكمتُ الشيءَ أرْكُمهُ ركماً، والرُّكام الاسم.

﴿فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّم﴾.

أي يجعل بعض ما أنفقه المشركون على بعض، وَيَجْعَلُ عليهم في النار، فيكون مما يُعذَّبُونَ بِه، كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾.

وقوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾.

أي حَتى لا يُفْتَنَ الناسُ فتنة كُفْر، ويدل على معنى فتنة كفر[1] قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُم﴾.

المعنى: فإن أقاموا على كفرهم وعَدَاوتهم فاعْلَمُوا أن اللَّه مولاكم، أي هو المولى لكم، فلا تضركُم مُعَادَاتهم.

وقوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ من شَيْءٍ، فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ﴾.

كثر اختلاف الناس في تأْوِيلُ هذه الآية والعمل بها وجُمْلَتُها أنها مالٌ من الأَمْوَالِ الَّتي فَرَضَ اللَّه جلّ ثناؤه فيها الفُروضَ، والأموال التي جرى فيها ذكر الفُروض للفُقَراءِ والمسَاكينِ وَمَنْ أشْبههم ثلاثة أصنافٍ، سمى اللَّه كلَّ صنف منها، فسمى ما كان من الأموال التي يأْخذها المسلمون من المشركين في حال الحرب أنْفالاً وغَنَائِمَ، وسمى مَا صَار إلى المسلمين مما لم يُؤخَذ في الحرب من الخراج والجزية فيْئاً، وسَمَّى ما خرج من أموال المسلمين

---

(١) على أن الفتنة هنا يراد بها الكفر.

كالزكاة، وما نذروا من نذر، وتقربوا به إلى اللَّه جلّ وعزّ صَدَقَةً، فهذه جملة تسمية الأموال.

ونحن نبين في هذه الآية ما قاله جمهور الفقهاء وما توجبه اللغة إن شاءَ اللَّه.

قال أبو إسحق: أجمعت الفقهاءُ أن أَربَعَةَ أخماس الغنيمة لأهل الحرب خاصة، والخمس الذي سُمِّي في قوله: ﴿فأَنَّ للَّهِ خُمُسَه ولِلرَّسُول﴾ إلى آخر الآية في الاختلاف(١).

فأما الشافعي فذكر أن هَذَا الخُمس مقسوم على ما سمى اللَّه جلّ وعزّ من أهل قسمته وجعل قوله: ﴿فَأَنَّ للَّهِ خُمُسَهُ﴾ افتتاحُ كلامٍ.

قال أبو إسحاق، وأحسب معنى «افتتاح كلام» عنده في هذا أَنَّ الأشياءَ كلها للَّه عزّ وجلّ، فابتدأ وافتتح الكلام(٢).

فإنَّ قال قائل: ﴿فأَنَّ للَّه خُمُسَهُ﴾ كما قال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للَّهِ والرَّسُولِ﴾، ثم قَسّم هذا الخمسَ على خمْسَةِ أَنْصِبَاءَ، خمسٍ للنبي ﷺ وخمس ليتامى المسلمين لا ليتامى آل النبي ﷺ وخمسٍ في المساكين - مَساكين المسْلمين لا مساكين النبي ﷺ، وخمس لابن السبيل، ولا يرى الشَافعي أن يَتْرُكَ صنفاً من هذه الأصناف بغيرِ حظ في القسمة(٣).

قال أبو إسحاق: وبلغني أنه يرى أن يُفضَّلَ بعضُهم على بعض على قدر الحاجة، ويرى في سهم الرسولِ أن يُصْرف إلى ما كان النبي ﷺ يصرفه فيه، والذي رُوِيَ أنه كان يصرف الخمس في عُدَدٍ للمسلمين نحو اتخاذ

---

(١) أي محل خلاف بين الفقهاء.

(٢) إذ لا تصلح كلمة فأن للَّه أن تكون أول جملة. فالخبر محذوف.

(٣) لم يأت جواب الشرط في «فإن قال قائل» ولم يذكر غير أربعة أخماس لأنه ترك ذوي القربى.

السلاح الذي تقوى به شوكتهم. فهذا مذهب الشافعي وهو على لفظ ما في الكتاب[1].

فأما أبو حنيفة - ومن قال - بقوله - فيقسم هذا الخمس على ثلاثة أصناف، يسقط ما للرسول من القسمة، وما لذوي القُرْبَى، وحجته في هذا أنَّ أبا بكر وعمرَ لم يعطيا سَهْمَ ذوي القربى، وأن سهم النبي ﷺ ذهب بوفاته، لأن الأنبياء لا تورثُ. فيُقَسَّم على اليتامى والمساكين وابن السبيل على قدر حاجة كل فريق منهم ويعطي بعضاً دون بعضٍ منهم خاصةً، إلاَّ أنه لا يخرج القَسْم عن هؤلاءِ الثلاثة.

وأما مذهب مَالِك فيُرْوَى أن قوله في هذا الخمس، وفي الفيءِ أنه إنما ذكر هؤلاءِ المُسَمَّوْنَ لأنهم من أهم مَنْ يدفع إليهم، فهو يجيزُ أن يَقْسِمَ بينهم، ويجيز أن يُعْطِيَ بعضاً دون بعض، ويجوز أن يُخْرِجَهُمْ مِن القسم إن كان أمرُ غيرهم أهمَّ من أمرهم، فيفعل هذا على قدر الحاجة.

وحجته في هذا أن أَمْرَ الصدَقاتِ لم يزل يجري في الاستعمال على ما يراه الناس. وقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَسَاكِين وَالعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[2]. فلو أن رَجُلاً وجبت عليه خمسة دراهم[3] لأخرجها إلى صنف من هذه أو إلى ما شاءَ من هذه الأصناف، ولو كان ذكر التَّسْمِية يوجب الحق للجماعة لما جاز أن يُخَص وَاحد دون غيره، ولا أن يُنْقَصَ واحدٌ مِما يُعطى غَيْرُه[4].

---

(١) على لفظ ما في القرآن، وقد ترك ذوي القربى ولعله سهو.

(٢) سورة التوبة الآية ٦٠.

(٣) في الأصل: خمسة درهم.

(٤) أي كان يجب أن تعطى كل زكاة للأنواع الثمانية بالتساوي.

قال أبو إسحاق: مِنْ حُجَج مالك في أن ذكر هؤلاءِ إنما وقع للخصوص قوله تعالى: ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلاَئِكَته وَرُسُلِه وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾[1].

فذكر جملة الملائكة، فقد دخل جبريل وميكال في الجملة وذُكِرَا بأسمائهم لخصُوصِهِمَا، وكذلك ذكر هؤلاءِ في القسمة والفيءِ والصدقة، لأنهم من أهم مَنْ يصرف إليه الأموالُ من البرِّ والصدقة.

قال أبو إسحاق: ومن الحجَّةِ لمالك أيْضاً قول اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم منْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ﴾[2]، فللرجل أن ينفق في البر على هذه الأصناف وعلى صنف منها، وله أن يخرج عن هذه الأصناف، لا اختلاف بين الناس في ذلك.

قال أبو إسحاق: هذا جملة ما علمناه من أقوال الفقهاءِ في هذه الآية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنْ كُنتُمْ آمَنتُم باللَّهِ وَمَا أَنْزَلنا عَلَى عَبْدِنَا﴾.

يجوز أن يكون «إنْ كُنتُمْ» مُعَلقَةً بقوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ. . . إنْ كُنتُمْ آمَنْتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ فأيْقِنُوا أَنْ اللَّهُ نَصَرَكُمْ إذ كنتم قد شاهدتم مِنْ نَصْره ما شاهدتم.

ويجوز أَنْ يَكُونَ ﴿إنْ كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّه﴾ معناها: اعلموا أن مَا غَنِمْتُمْ من شيءٍ فأن للَّه خمسه وللرسول يأمران فيه بما يريدان إنْ كنتم آمَنْتُمْ باللَّه فاقبلوا ما أُمِرْتم به في الغنيمة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾.

هو يوم بدر، لأن اللَّه عزّ وجلّ أظهر فيه مِنْ نَصْرِهِ بإرداف الملائكة

---

(١) سورة البقرة ٩٨.

(٢) سورة البقرة ـ ٢١٥.

والإمداد بهم للمُسْلِمِينَ مَا كانَ فيه فُرْقانٌ بين الحق والباطل، ثم أكد التبينَ في ذلك فقال عزّ وجلّ:

﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾.

أي الدنيا منكم[1]، والعُدوةُ شفير[2] الوادي، يقال: عِدْوة، وعُدْوَة وعدى الوادي مقصور، فالمعنى إذ أنتم بالعدْوَةِ الدُّنْيَا، أي بشفير الوادي الذي يلي المدينة.

﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾.

بشفير الوادي الذي يلي مكّةَ.

﴿وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

الرَّكْبُ العير التي كان فيها أبو سفيان على شاطئ البحر.

فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن نَصْرَ المؤمنين وهم في هذا الموضع فرقانٌ[3].

قال أبوإسحاق: قد بينا أنه كان رَمْلاً تسوخ فيه الأَرْجُل، ولم يكونوا على ماءٍ، وكان المشرِكُونَ نَازِلينَ على مَوْضِع فيه الماءُ، وهم مع ذلك يُحَامُونَ عن العِيرِ، فهو أشدُّ لِشوْكَتِهِمْ، فجعل اللَّه جلّ وعزّ النصرَ في هذه الحال، مع قلة عَدَدِ المسلمين وكَثْرَة عَدَد المشركين وشِدةِ شَوكَتِهم، فُرقَاناً.

ويجوز في قوله: ﴿والركب أسْفَلَ منكم﴾ [وجهان]، الوجه أن تنصب ﴿أسفل﴾، وعلَيه القراءةُ، ويجَوز أن ترفع أسفل على أنك تريد والركبُ أسْفَلُ منكم أي أشَد تَسَفُّلاً[4]. ومن نصب أرادَ والركب مكاناً أسفل منكم.

---

(١) القريبة منكم.

(٢) شاطئ الوادي وجانبه.

(٣) في الأصل «فرقاناً».

(٤) الكلمة ليست ظرفاً في هذه الحالة.

وقوله: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عن بَيِّنَةٍ ويَحيَا مَنْ حَيَّ عن بَيِّنَةٍ﴾.

جعل اللَّه عزّ وجلّ القاصِدَ للحق بمنزلة الحيِّ، وجعل الضَّالَّ بمنزلة الهَالِك، ويجوز حَيِيَ بياءَين، وحَيَّ بياءٍ مشددَة مُدْغَمة، وقد قرئ بهما جميعاً. فأما الخليل وسيبويه فيجيزان الإدغام والإظهار إذا كانت الحركة في الثاني لازِمةً، فأما من أدْغَم فلاجتماع حرفين من جنس واحد. وأما من أظهر فلأن الحرف الثاني ينتقل عن لفظ الياءِ، تقول حَيِيَ يَحْيَا، والمحيا والممات. فعلى هذا يجُوزُ الإظهارُ. فأما قوله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ يُحْيِي وُيميتُ﴾[1] وقوله: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾[2]. فلا يجوز فيه عند جميع البصريين إلا يُحْيِي بياءَيْنِ ظاهرَتَيْنِ وأجاز بعضهم[3]. يُحيّ بياءَ واحدة مشددة مُدْغَمة، وذكر أنَّ بعضهم أنشد:

وكأنها بين النساءِ سبيكة ... تمشي بسدة بَيْتِهَا فَتَعي[4]

ولو كان هذا المنشد المستشهد أعلمنا من هذا الشاعر، ومن أي القبائل هو وهل هو مِمَّن يؤْخذ بشعره أم لا مَا كان يضره ذلك. وليس ينبغي أن يُحْمل كتاب اللَّه على «أنشدني بعضُهُمْ» ولا على بيْت شَاذ لو عرف قائله وكان مِمنْ يؤْخذ بقوله لم يجز.

وهذا عندنا لا يجوز في كلامٍ ولا شِعْرٍ، لأن الحرفَ الثانِيَ إذَا كانَ

---

(١) سورة يونس، ﴿هو يحيي ويميت وإليه ترجعون﴾، الآية ٥٦.

(٢) سورة القيامة الآية ٤٠.

(٣) أجاز ذلك الفراء وبعض الكوفيين ـ واحتجوا بالبيت الآتي:

(٤) كأنها بين النساء قطعة من الذهب المذاب صبت في قالب، وسدة البيت فناؤه. يصفها، على عادة العرب بالكسل والتراخي لامتلاء جسمها فهي تعيى إذ تمشي بفناء بيتها، أي يرهقها قليل المشي لترفها، وتعيى من أعيا إذا ضعف ووهن.

والبيت في معاني الفراء ٣ ـ ٢١٣ ـ وانظر البحر المحيط ٨ ـ ٣٩١.

وكلام الزجاج بعد هذا موجه للفراء لاحتجاجه ببيت لم يعرف قائله.

يسكن من غير المعتل نحـو: «لم يَوَدَّ» فـالاختيار إظهـار التضعيف، فكيف إذا كان من المعتل.

وقوله: ﴿إِذْ يريكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً﴾.

رويت عن الحسن أن معناها في عينك التي تنام بها. وكثير من أصحابِ النحو يذهبون إلى هذا المَـذْهَب، ومعناه عنـدهم: إذ يريكهم اللَّه في مـوضع منـامك أي بِعَيْنـك ثم حذف المـوضِعُ، وأقـام المقام مكـانـه، وهـذا مَـذْهَبٌ حسن. ولكنه قد جاءَ في التفسير أن النبي ﷺ رآهم في النـوم قليلاً[1]، وقص الرؤيا على أصحابه فقالوا: صَدَقَتْ رُؤيَاكَ يا رسول اللَّه، وهذا المذهب أسوغ في العـربيـة، لأنَّـه قَـد جـاءَ: وَإِذْ يُـرِيكُهمُـوهم إِذِ الْتَقَيْتُم فِي أَعْيُنِكُمْ قليـلاً، ويُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ، فدَلَّ بهذا أن هذا رؤية الالتقاءِ، وأن تلك رؤيةُ النوم.

ويجوز على هذا المذهب الأول أن يكون الخطاب الأول للنبي ﷺ وأن الخطاب الثاني لجميع من شاهدَ الحربَ وللنبي ﷺ.

وقوله: ﴿ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَفَشِلْتُمْ﴾.

أي لتـأخرتم عن حـربهم وكِعْتُم[2] ـ وَجَبُنْتُمْ، يقـال فشِـلَ فشَـلاً إذا جَبنَ وهابَ أن يَتَقدم.

وقوله: ﴿إِن شَر الدوَابِّ عِندَ اللَّهِ الذِينَ كَفَرُوا فهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾.

عنى أن هؤلاءِ لا يؤمنون أبداً، كما قال لنُوح: ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[3].

وقوله: ﴿فَإما تَثْقَفَنهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ﴾.

---

(١) رأى عددهم قليلاً رؤيا نوم.

(٢) أي جبنتم من كعا يكعو والأكعاء الجبناء، والكاعي المنهزم.

(٣) سورة هود الآية ٣٦.

معناه افعل بِهِمْ فعلاً من القَتْلِ تُفرقُ به مَنْ خَلْفَهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَثْقَفَنهُمْ﴾ معناه تصادفَنهُمْ وَتَلْقينَّهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾.

أي نقضاً للعهد.

﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.

أي انبذ عهدهم الذي عاهَدْتهم عليه أي أرم به.

على سواءَ، أي لِتكُونَ وَهُمْ سَواءً في العداوة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾.

أي الذين يخونون في عهدهم وغيره.

وقوله: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم﴾.

معناه عادةُ هؤلاءِ في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم، فجوزي هؤلاءِ بالقتل والسَّبيِ كما جوزيَ آل فرعونَ بالإغراق والإِهْلاَكِ، كذا قال بعض أهل اللغة، فِي الدأْب أنه العادة.

وقال أبو إسحاق: وحقيقة الدأب إدَامَة العَمَل، تقول: فلان يدأب في كذا وكذا أي يداوم عليه ويواظب، ويُتْعِبُ نفسه فيه. وهذا التفسير معنى العادة إلا أن هذا أَبيَنُ وأكشفُ.

وقوله: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾.

موضع «إِذْ» نصبٌ، المعنى اذكر إذ زيَّنَ لهم الشيطان أعمالهم.

﴿وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ اليَوْمَ مِنَ النَّاسِ [وإِنِّي جَارٌ لَكُمْ]﴾.

تمثل لهم إبليس في صورة رَجُل يقالُ له سُراقة بنُ مالك بنُ جُعْشُم من كنانة(١)، وقال لهم: لَنْ يَغْلِبكم أَحَدٌ، وَأَنا جَارٌ لكم من بني كنانة، ﴿فَلَمَّا تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ﴾.

---

(١) هو سراقة صاحب قصة الهجرة الشهيرة، إذ طارد النبي ﷺ وأبا بكر وكاد يمسك بهما ليظفر =

توافقتا حتّى رَأَتْ كُلُّ وَاحِدةٍ الأُخْرَى، فَبَصُرَ إبليسُ بالمَلائكَة تنزل من السّماءِ فنكص على عقبيه.

﴿وَقَالَ إنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾.

وذلك أنه عُنِّفَ لهَرَبه، فقال:

﴿إنِّي بَرِيءٌ منْكُمْ إنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، واللَّهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾.

ومعنى نكص رجع بِخزْيٍ، فإن قال قائل: كيف يقولُ إبليس: إني أخاف اللَّه وهو كافِرٌ. فالجواب في ذلك أنه ظن الوقت الذي أُنْظِرَ إلَيْه قَدْ حَضَر.

وقوله: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ﴾.

معناها: لا يُحْسَبَنَّ من أفلت من هذه الحرب قَدْ سَبَق إلى الحياة. والقراءَة الجيّدةُ لا تَحْسَبَنَّ بالتاءِ على مخاطبة النبي ﷺ وتكون «تَحْسَبَنَّ» عاملة في الذين، ويكون «سبقوا» الخبر(١).

ويجوز فتح السين وكسرها(٢)، وقد قرأ بعض القرّاءِ، ولا يحسَبَنَّ الذين كفروا، بالياءَ وَوَجهُها ضعيف عند أهل العربية إلا أنها جائزة على أن يكون المعنى، ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا، لأنها في حرف ابن مسعود أنهم سبقوا، فإذا كانت كذلك فهو بمنزلة قولك: حسبت أن أقوم وحسبت أَقُومُ على حذف أن، وتكون أقوم وقام تنوب عن الاسم والخبر كما أنك إذا قلت: ظننتُ لَزَيْدٌ خَيْرٌ مِنْكَ. فقد نابت الجملةُ عن اسم الظَّنِّ وخَبرِه وفيها وجه آخر: ولا يحسبَنَّ قبيلُ المُؤْمِنينَ الَّذين كَفَرُوا سَبَقُوا.

= بجائزة قريش. ودعا عليه رسول الله فساجت أقدام فرسه، فتطير وطلب منه الخلاص على ألا يدل عليه ففعل وكتب له أمانا، وقال له: كيف بك إذا لبست سواري كسرى - وقد كان سواره وتاجه ومنطقته من نصيب كسرى في موقعة القادسية، ألبسه عمر إياها. أسلم سراقة يوم الفتح ومات سنة ٢٤ هـ.

(١) المفعول الثاني.

(٢) في «يحسبن».

ويجوز فيها أوجُهٌ لَمْ يُقْرأْ بِهَا، يجوز «ولا يُحْسَبَنَّ الذينَ كفروا سبقوا» و «لا يَحْسبُنَّ الذين كفروا»، أي لا يحسب المؤْمنون الذين كفروا سبقوا.

ولكن القراءَة سنة، لا يُقْرأُ إلا بما قرأت به القراءَ.

ويجوز إنهم بكسر إنَّ، ويجوز أنَّهم، فيكون المعنى: ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كفروا أَنهم يعجزون، ويكون أَنَّ بَدَلاً مِن سَبقُوا.

قال أبو إسحاق: هذا الوجه ضعيف، لأن «لا» لا تكون لَغْواً في موضع يجوز أن تقع فيه غير لغوٍ.

وقوله: ﴿يُعْجِزُونَ﴾ فتحُ النون الاختيارُ، ويجوز كسرها على أن يكون المعنى أنهم لا يَعجزُونَنِي، بحذف النون الأُولى لاجتماع النونين. قال الشاعر:[1]

رأَتـه كـالنعـام يُعَلُّ مِسْكـاً   يسـوءُ الغـاليـات إذا فَلَيـنِي

يريد فلينني.

وقوله: ﴿وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ. اللَّهُ يَعلَمُهُمْ﴾.

﴿آخرين﴾ عطف على قوله ﴿تُـرهِبُونَ بـه عدوَّ اللَّه وعدوَّكم﴾. أي وترهبـون آخرين منْ دُونِهِمْ.

وقوله: ﴿وإن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾.

السلم: الصلح والمسالمة، يقال: سِلْمٌ وسَلَمٌ وسَلَمٌ في معنى واحِد، أي إن مالُوا إلى الصلح فَمِلْ إلَيْه.

﴿وإن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوك﴾.

أي إن أَرَادُوا بإظهارِ الصُّلْح خَدِيعَتك، ﴿فإنَّ حَسْبَك اللَّهُ﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول ٢١٦ - ويروى «تراه».

أي فإن الذي يتولى كفايتك اللَّه.

﴿وَمَنِ اتبَعُكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

موضع «مَنْ» نصْبٌ ورَفْعٌ، أما مَنْ نَصَبَ فعلى تـأْويل الكـاف، المعنى فإن اللَّه يكفيك ويكفي من اتبَعَكَ من المؤْمنين، ومن رفع فعلى العـطف على اللَّه والمعنى: فإن حسبك اللَّهُ وتُبَّاعُك مِن المؤْمنينَ.

﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾.

ومعنى أيَّدَكَ قَوَاكَ.

﴿وَبِالْمُؤْمِنِين وَأَلَّف بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾.

أي جمعهم على المودة على الإيمان.

وقوله: ﴿لَوْ أنفقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

[جميعاً] منصوب على الحال.

﴿ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّه أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾.

أَعلم اللَّه جلّ وعزّ أن تأْليف قلوب المؤْمنين من الآيات العظام وذلك أَن النبي ﷺ بُعِث إلى قـوم أَنفتُهم شديـدةٌ، ونصرةُ بعضهم بعضـاً ومعـاوَنَتُـه أَبلغُ نصرةٍ وَمُعَاوَنَةٍ، كان يُلْطَمُ من القبيلة لطمةً فيقاتلُ عنـه حَتَّى يُدْرَكَ ثَـأْرُهُ، فأَلَّف الإيمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل أَباه وأَخاه وابنه[1]، فـأَعلم اللَّه عزّ وجـلّ أَن هذا ما تَوَلَّاهُ منهم إلا هو.

وقوله: ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ حَرِّضِ المؤمنينَ على القِتَالِ﴾.

تأْويله حُثَّهم على القتال.

وتأْويل التحريض في اللغة أَن يحث الإنسان على الشَّيءُ حثاً يعلم معـه أَنه حَارِضٌ إن تخلف عنه، والحارض الذي قدْ قَارَبَ الهلاكَ، وقَـوله تعـالى:

(١) أصبح المسلمون وحدة حتى كان الرجل يحارب ذويه إبقاء على وحدة الجماعة الإسلامية.

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾[1] أي حتى تَذوب غَمَّاً فتقارب الهلاك فتكون من الهالكين.

وقوله: ﴿إِنْ يَكُنْ منكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾.

لا يجوز إلَّا كسر العين. وزعم أهل اللغة أن أول عشرين كُسِرَ كما كُسِرَ أولُ اثنين، لأن عِشْرين من عَشْرةٍ مثل اثنين من واحِدٍ. ودليلهم على ذلك فتحهم ثلاثِين كفتح ثلاثةٍ، وكسرة تِسعين ككسرة تسعة.

وقوله: ﴿وعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً﴾.

قرئت على ثلاثةِ أَوْجُهٍ: قرئت ضَعْفاً بفتح الضَّادِ، وضُعْفاً بضم الضَّادِ والمعنى واحِدٌ، يقال هو الضَّعفُ والضُّعْفُ، والمَكْثُ والمُكْثُ، والفَقْرُ والفُقْر، وباب فَعْلٍ وفُعْل بمعنًى واحِدٍ في اللغة كثير.

وقرأ بعض الشيخة: وعلم أَنَّ فيكم ضُعَفَاءَ على فُعَلاَءَ[2]، على جمع ضعيف وضُعَفاءَ ولم يَصْرفْ[3] ولم يُنَوِّنْ لأن فعلاءَ في آخرها ألف التأنيث.

﴿فإِنْ يَكُن مِّنكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ﴾.

وقرئت «فإن تكن» بالتاءِ، فمن أَنث فلأن لفظَ المائة مؤنث، ومن ذكر فلأن المائة وقعت على عَدَد مُذكر.

وقوله: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾.

ويقرأ أُسَارَى، فمن قرأ أَسْرَى فهو جمع أَسِير وأَسْرَى.

وَفعْلى جمعٌ لكل ما أُصِيبُوا به في أبدانهم وعُقُولهم، يقال: هالك وهلكى، ومريض ومَرْضَى، وأَحمق وحَمْقَى، وسَكْران وسَكرى.

---

(١) سورة يوسف الآية ٨٥.

(٢) هذا هو الوجه الثالث.

(٣) أي هو ضعفاء ـ حذفت منه الهمزة، وهو ممنوع من الصرف لألف التأنيث.

ومن قرأ أُسارَى فهو جمع الجمع، تقول أَسير وأسارى.

قال أبو إسحاق: ولا أعلم أحداً قرأها أُسارى. وهي جائزة ولا تقرأن بها إلا أن تثبت رواية صحيحة.

﴿حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾.

معناه حتى يبالغ في قتل أعدائه، ويجوز أن يكون حتى يتمكن في الأرض. والإثخان في كل شيء قوة الشيء وشدته يقال قد أثخنته.

ومعنى: ﴿وأُولو الأَرْحَام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبْعضٍ﴾.

أي بعضهم في المواريث أولى ببعض.

وهذه المواريث في الولاية بالهجرة منسوخة، نسخها ما في سورة النساءِ من الفرائض.

وقوله: ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

معناه تذهب صَوْلتكم وقوتكم، ويقال في الدُّولِ: الرِّيحُ معَ فُلان، أي الدَّوْلَةُ.

سورة براءة

قوله جلّ وعزّ ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسولِه﴾.

سئل أُبَيُّ بنُ كعب: ما بال براءَة لم تفتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم.

فقال: لأنها نزلت في آخر ما نزل من القرآن، وكان رسول اللَّه ﷺ يأمر في أول كل سورة ببسم اللَّه الرحمن الرحيم: ولم يأْمر في سورة براءَة بذلك فَضُمَّتْ إلى سورة الأنفال لشبهها بها.

يعني أن أَمْرَ العهودِ مذكور في [سورة] الأنفال وهذه نزلت بنقض العهود فكانت ملتبسة بالأنفال في الشبه(١).

قال أبو إسحاق: أخبرنا بعض أصحابنا عن صاحبنا أبي العباس محمد ابن يزيد المبرد أنه قال: لم تفتتح بـ «بسم اللَّه الرحمن الرحيم»، لأن «بسم اللَّه» افتتاح للخير. وأَوّل «براءَة» وَعيدٌ ونقض عُهود، فلذلك لمْ تفتتح ببسم اللَّه الرحمن الرحيم.

و«براءَة» نزلت في سنة تسع من الهجرة، وافتتحت مكة في سَنَةِ ثمان. وَوَلَّى رسولُ اللَّه ﷺ عَتَّابَ بنَ أُسَيدٍ(٢) للوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في

---

(١) مرتبطة بها لما بينهما من الشبه.

(٢) عتاب هو أبو عبد الرحمن أموي من عبد شمس، أسلم يوم الفتح وولاه رسول اللَّه مكة حين خرج لحنين، وثبته أبو بكر وقد حدث أنه لما أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج بنت أبي جهل أن أسرع عتاب فتزوجها فولدت له عبد الرحمن وبه يكنى الإصابة ت ٥٣٩١.

تلك السنة في الموقف ومعالم الحج وأسبابه المسلمون والمشركون. فلما كان في سنة تسع وَلى رَسُولُ اللَّه ﷺ أبا بكر الصديق الوقوفَ بالناس وأمر بتلاوة براءَة، وولى تلاوتها عَلياً[١] وقال في ذلك: لن يُبَلِّغَ عني إلا رجُلٌ مني، وذلك لأن العربَ جَرت عادتها في عقد عقودها ونقضِها أن يتولى ذلك على القبيلة رَجلٌ منها، فكان جائزاً[٢] أن يقول العربُ إذا تلى عليها نقض العهد من الرسول:

هذا خِلاف ما نعرف فينا في نقض العهود، فأزاح رسول اللَّهِ ﷺ هذه العِلَّةَ، فَتُلِيَتْ براءَة في الموقف:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي قدْ بَرِئَ من إعطائهم العهودَ والوفاءَ لهم، ذلك أن نكثوا[٣].

﴿بَرَاءَةٌ﴾ مرتفعة على وجهين أحدهما على خبر الابتداءَ، على معنى هذه الآيات براءَة من اللَّه ورسوله، وعلى الابتداء، يكون الخبر ﴿إلى الذين عاهدتم﴾ لأن براءَة موصولة بِمِنْ[٤]، وصار كقولك: القصد إلى زيد، والتبرُؤ إليك، وكلاهما جائز حسن، يقال بَرِئْتُ من الرجُلِ والدين براءَةً، وبرِئْتُ من المرَضِ وبَرَأتُ أيضاً بُرْءَاً، وقد روَوْا برأت أبرُؤ بُرُوءاً، ولم نجد فيما لامه همزة فعَلْت أفْعُل، نحو قرأت أقْرُأ، وهنأت البعير أهنُؤه[٥].

---

(١) أرسل النبي علياً بها بعد أن فصل أبو بكر بالحجيج ليتلوها على الناس لأن إبرام العقود ونقضها لا يكون إلا من كبير الجماعة أو أحد أقاربه.

(٢) متوقعاً محتملاً إذا قرأه أبو بكر.

(٣) أي بأنهم نكثوا العهد ـ نكثت بعض القبائل فبرئ منها ـ وبقي بعض على عهده وهم الذين استثنوا في قوله: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوا عهدهم﴾.

(٤) أي هي نكرة موصوفة يجوز الابتداء بها.

(٥) لا يوجد هذا في اللغة.

وقد استقصى العلماء باللغة هذا فلم يجدوه إلا في هذا الحرف[1].

ويُقال برَيْت القَلمَ - وكل شَيءٍ نَحَتُّه - أَبْرِيه بَرْيًا، غير مهموز، وكذلك بَرَاةُ السيْرُ غير مهموز، والبُرَةُ حَلَقَةٌ من حَدِيد في أَنف الناقة، فإذا كانت من شعر فهي خِزَامَةُ.

والذي في أَنف البعير من خَشب يقال له الخِشَاش، يقال أَبْريت الناقة أَبْريها براءَ إذا جَعَلْت لها بُرَةً.

ولا يقال إلا بالألف أَبْريْتُ، ومن الخزامة خَزَمْتُ - بغير ألف - وكذلك من الخِشاش خَشَشْتُ، والبُرَةُ الخلخال من هذا، وتجمع البرةُ بُرين والبُرِيَ.

وقوله: ﴿فَسِيحُوا في الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُر﴾.

أَي اذهبوا؛ وأَقْبلوا وَأَدْبرُوا أَربعةَ أَشْهُرٍ.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾.

[أي] وإن أَجّلْتُم هذه الأربعة الأشهر فلن تفوتوا اللَّه ﴿وَأَن اللَّه مُخْزِي الكَافِرِينَ﴾.

الأَجْوَدُ فتح «أ» على معنى اعلموا أن اللَّه مخزي الكافرين، ويجوز كَسْرها على معنى الاستئناف، وهذا ضمان من اللَّه عزّ وجلّ بنَصْرِهِ المؤمنين على الكافرين.

﴿وَأَذانٌ منَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

عطفٌ على ﴿بَرَاءَةٍ﴾ ومعناه: وإعلان من اللَّه ورسوله، يقال آذنته بالشيء إذا أَعلمته به.

﴿إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ منَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

قيل يَومُ الحج الأكبر هو يوم عرفة، والحج الأكبر الوُقوف بعرفة، وقيل الحج الأصغر العمرة.

---

(١) أي برأت أبرؤ فقط.

والإجماع أنه من فاته الوقوف بعرفة فقد فاته الحج، وقال بعضهم إنَّما سُمي يومَ الحج الأكبر لأنه اتفقت فيه أعياد أهل المِلّةِ، كان اتفق في ذلك اليوم عيدُ النصارى واليهودِ والمجوسِ وهذا لا يُسمى بهِ يومُ الحج الأكبر، لأنه أعيادُ غير المسلمين، إنما فيها تعظم كفر باللّه، فليست من الحج الأكبر في شيء.

إجماع المسلمين على أن الوقوف بعرفة أكْبَرُ الحجّ.

وقوله: ﴿إلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم منَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب، أي وقعت البراءَة من المعاهدين الناقضين للعهود.

﴿إلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾.

أي ليسوا داخلين في البراءَة ما لم ينقضوا العهود.

وقوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْث وَجَدتُّمُوهُمْ﴾.

أي اقتلوا هؤلاءَ الذين نقضوا العهدَ، وَنُقِضَ عَهْدُهُمْ وَأُحِلُّوا هذه المدةَ.

ويقال إن الأربَعَةَ الأشْهرِ كانت عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعاً الأول، وعشرا من ربيع الآخر، لأن البراءَة وقعت في يوم عرفة، فكان هذا الوقت ابتداءَ الأجل.

﴿واقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَد﴾.

قال أبو عُبَيْدَة: المعنى كل طريقٍ. قال أبو الحسن الأخْفَش «على» محذوفة، المعنى اقعدوا لهم على كل مَرْصَدَ وأنشد:

نُغَالي اللحمَ للأَضْيَافِ نيئاً ونُرْخِصهُ إذا نَضَج القُدورُ[1]

---

(١) تقدم جـ ١ ص ٢١٠.

المعنى نغالي باللحم، فحذف الباءَ ههنا، وكذلك حذف «على».
قال أبو إسحاق: كل مَرصَد ظرف، كقولك ذهبت مَذْهَباً.

وذهبت طريقاً، وذهبت كلَّ طريق. فلست تحتاج أن تقول في هذا إلا ما تقوله في الظروف مثل خلف وأمام وقدام.

وقوله: ﴿فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾.

أي إن تابوا وآمنوا فهم مثلكم، قد درأ عَنْهم إيمانُهم وَتَوْبَتهمْ إثمَ كفرهم ونكثهِم العهودَ.

وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ منَ الْمُشرِكينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حتَّى يسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾.

المعنى إن طلب منك أحدٌ منهم أن تجيرَهُ منَ القَتْل إلى أن يسمع كلام اللَّه، فَأَجِرْهُ ﴿ثم أَبْلغْهُ مَأْمَنَهُ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

أي الأمر ذلك، أي وجب أن يعرفوا وأن يُجَازوا بجَهْلِهِمْ وبِمَا يَتَبينُونَ الإسلام.

وأما الإعراب في أَحَد مع «إِنْ» فالرفع بفِعل مُضْمر الذي ظهر يفسِّرُه.
المعنى وإن استجارك أحد.

ومن زعم أنه يرفع أَحَداً بالابتداءِ فخطأ[1].
لأن الجزاءَ لا يتخطى ما يرفع بالابتداء ويعمل فيما بعده[2].

---

(١) «إن» مختصة بالأفعال، فلا بد من تقدير فعل قبل أحد.

(٢) يريد أن «إن» الشرطيه عملت في موضع «أجارك» وفي «فأجره»، فلو كان «أحد» مبتدأ ما تخطته للعمل فيما بعده.

فلو أظهرت المستقبل لقلت: إن أحدٌ يقمْ أُكرمهُ ولا يجوز إنْ يَقمُ أَحَدٌ زَيْدٌ يَقُمْ. لا يجوز أن ترفع زَيْداً بفعل مضمر الذي ظهر يفسِّره ويَجزم[1].
وإنما جاز في «إن»[2] لأن «إن» يلزمها الفِعْلُ، وجواب[3] الجزاءِ يكون بالفِعْل وغيره، ولا يجوز أن تُضْمِرَ وتجزم بعد المبتدأ، لأنك تقول ههنا إن تأتني فزيد يقوم، فالموضع موضع ابتداءٍ.

وإنما يجوز الفصل في باب «إنْ» لأن «إنْ» أُمُّ الجزاءِ، ولا تزول عنه إلى غيره، فأما أَخَواتُها فلا يجوز ذلك فيها إلا في الشِعر.

قال عدي بن زيد[4].

فمتى واغل يزرهم يُحيوه   وتُعطَفْ عليه كأسُ السَّاقي

وقوله: ﴿إِلَّا الذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾.
أي ليس العهد إلا لهؤلاءِ الذين لم ينكثوا.
﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.
أي ما أقاموا على الوفاءِ بعَهْدِهِمْ، وموضع «الذين» نصب بالاستثناءِ.

---

(١) لا مساغ لإضمار فعل قبل زيد، لأن إن الشرطية ذكر بعدها فعل وكفى. وجملة زيد يقوم هي جواب الشرط فيجب قرنها بالفاء ورفع الفعل بعدها وتقدير الجملة في الأصل ان يقم أحد فزيد يقوم.

(٢) جاز تقدير فعل محذوف بعد إن وجعل الاسم بعدها فاعلاً له، لأن إن مختصة بالأفعال.

(٣) جواب الشرط.

(٤) عدي بن زيد شاعر جاهلي من شعراء النصرانية ـ لم يكن من فحول الشعراء ولكنه بمنزلة سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها. اتصل بملوك الحيرة، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى ـ سجنه النعمان بن المنذر لوشاية ومات في سجنه، وقد استعطف النعمان بقصائد منها هذه القصيدة أولها:

ليس شيء على المنون بباق   غير وجه المسيح الخلاق

والواغل الذي يشارك في الشراب بدون دعوة. الشاهد ١٦١ في الخزانة ٣ ـ ٤٠.

وقوله: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلاَ ذِمة﴾.

وحذف مع كيف [جملة] «يكون لهم عهدٌ» لأنه قد ذكر قبل ذلك.

قال الشاعر يرثي أخاً له مات:

وخَبرتُماني أنما الموت بالقُرَى فكيف وهاتا هَضبة وقليب[1]

أي فكيف مات وليس بقرية. ومثله قول الحطيئة:

وكيف ولم أعْلمْهمُو خَذَلُوكُمُو عَلَى مُعْظَمٍ ولاَ أدِيمَكُمُو قَدُّوا[2]

أي فكيف تَلومونني على مدح قوم، وتَذُمُّونَهُمْ، واستغنى عن ذكر «ذَلِك» مع ذكر كيف، لأنه قد جرى في القصيدة ما يدل على ما أُضْمِرَ.

قال أبو عبيدة الإِلُّ: العهدُ، والذِّمَّة ما يتذَمَّمُ منه، وقال غيره: الذمة. العهد، وقيل في الإِل غير قول.

قيل: الإِلُّ القرابة، وقيل: الإِل: الحلف، وقيل: الإِل: العهْدُ، وقيل الإِلُّ اسم من أسماءِ اللَّه، وهذا عندنا ليس بالوجه لأن أسماءَ اللَّه جلّ وعزّ معروفة معلومة كما سُمِعَت في القرآن وتُلِيَتْ في الأخبار قال اللَّه جلّ وعزّ: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادعُوهُ بهَا﴾[3].

فالداعي يقول: يا اللَّه، يا رحمن، يا ربُّ، يا مؤْمِنُ، يَا مُهيَمن.

---

(١) لكعب الغنوى يرثي أخاه أبا المغوار ـ «هاتا» إشارة إلى الهضبة والقليب يقول: لقد ذكرتماني أن الموت بالقرى المأهولة لزهامة هوائها، فكيف أصاب الموت أخي وهو ليس بالقرى ـ وإنما حوله هضبة وبئر ماء، والبيت في كتاب سيبويه ٣ ـ ١٣٩ (بولاق) وفي ابن يعيش ٣ ـ ١٣٦ «نبأتماني».

(٢) من داليته في مدح البغيض وهجاء الزبرقان، أي لم تطلبوا منهم أمراً عظيماً لم يجيبوكم إليه، ولا نالوا منكم بقول شيء فكيف تلومونني على مدحهم. والبيت في الديوان ٧٢ ومعاني الفراء ١ ـ ٤٢٤.

(٣) سورة الأعراف ١٨٠.

ولم يَسْمَعْ «يا إلٌّ» في الدعاءِ.

وحقيقة «الإلّ» عندي على ما تُوحيه اللغة تحديد الشيءِ[١] فمن ذلك: الإلَّةُ: الحربة، لأنها محدَّدَة، ومن ذلك: إذُن مُؤَلَّلةٌ، إذا كانت محدَّدَة.

والأل يُخرَجُ في جميع ما فُسِرَ من العهْدِ والجوار على هذا، وكذلك القرابَةُ، فإذا قلت في العهد بَيْنَهُما إلٌّ فمعناه جِوارٌ يحادُّ الإنسان، وإذا قُلْتَهُ في القرابة فتأويله القرابَة الدانِيةُ التي تحادُّ الإنسانَ[٢].

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهِمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا في دينكمْ فقاتلوا أئمَّة الكُفرِ﴾.

أي رُؤساءَ الكافرين[٣]، وقادتهم، لأن الإمام متَّبَعٌ.

وهذه الآية توجب قَتلَ الذِميّ إذا أَظْهَرَ الطعنَ في الإسلام لأن العهد معقود عليه بألّا يطعَنَ، فإذا طعنَ فقد نكثَ.

وقوله: ﴿أئمة الكفرِ﴾فيها عند النحويين لُغةٌ واحدةٌ: أَيمة بهمزة وياءَ، والقرَاءُ يقرَأون أئِمة بهمزتين، وأَيمة بهمزة وياءٍ، فأما النحويُّون فلا يجيزون اجتماع الهمزتين ههنا، لأنهما لا يجتمعان في كلمة، ومن قرأ أئمة - بهمزتين - فينبغي أن يقرأ يا بني أأدم، والاجتماع أن آدم فيه همزة واحدة، فالاختلاف راجع إلى الإجماع، إلا أن النحويين يستصعِبُون هذه المسألة، ولهم فيها غير قول:

يقولون إذا فضلنا رجلاً في الإمَامة: هذا أَوَمُّ من هذا ويقول بعضهم أَيَمُّ من هذا، فالأصل في اللغة أأممَةُ لأنه جمع إمامٍ، مثلُ مِثَال وأَمْثِلَةٍ، ولكن

---

(١) إرهافه وجعله دقيقاً.

(٢) تمنحه قوة وشدة ومضاء.

(٣) في الأصل أي أئمة الكفر رؤساء الكفر.

الميمين لما اجتمعتا ادغمت الأُولى في الثانية وأُلغِيت حركتها على الهمزة، فصار أَئِمَّة، فأبدل النّحويون من الهمزة الياءَ.

ومن قال: هذا أَيَمُّ من هذا جعل هذه الهمزة كلما تحركت أَبْدَلَ مِنها ياءً.

قال أَبو إسحاق: والذي قال: «هَذا أَوَمُّ مِن هذا» كانت عنده أَصلها أَأَم، فلم يمكِنْه أَن يُبدِلَ منها أَلِفاً لاجتماع الساكنين، فجعلها واواً مفتُوحة، لأَنه قال: إذا جمعت آدمَ قُلتَ أَوادِمَ.

وهذا هو القياس الذي جعلها ياءً.

قال: قد صارت الياءُ في أئمة بدَلاً لازماً.

وهذا مذهب الأَخفشِ، والأول مذهب المازني.

قال أَبو إسحاق وأَظنه أَقْيَسَ الوَجْهَيْن، أَعني: هذا أَوَمُّ مِنْ هَذَا، فأَما أَئِمة باجتماع الهمزتين، فليس من مذاهب أَصحابنا، إلا ما يحكى عن ابن إسحاق فإنه كان يحب اجتماعهما وليس ذلك عندي جائزاً، لأَن هذا الحرف في أئمة قد وقع فيه التضعيف والإدغام، فلما أُدغم وقعت علة في الحرف، وطرحت حركته على الهمزة فكان تركها دليلاً على أَنها همزة قد وقع عليها حركة ما بعدها، وعلى هذا القياسِ يجوز: هذا أَأَمُّ مِنْ هذا والذي بدأْنا به هو الاختيار من أَن لا تجتمع همزتان.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ لا ايمَان لَهُمْ﴾.

وتقرأُ لا أَيمان لَهُمْ، فمن قرأَ: ﴿لا أَيمَان لهمْ﴾ بالفتح فقد وصفهم بالنكث في العهد، وهو أَجودُ القراءَتين، ومن قرأَ «لا إيمَانَ لهم» فقد وصفهم بالرِّدةِ، أَي لا إِسْلامَ لَهم، ويجوز أَن يكون نَفَى عنهم الإيمان لأَنهم لم يؤْمنوا، كما تقول: لا عِلْمَ لِفُلانٍ.

ويجوز أن يكون لا أَيمَانَ لَهُمْ إذَا كنتمْ أَنْتُمْ آمَنْتُموهُمْ، فنقضوا هم عَهدكُم، فقد بطل الأمان الذي أَعطيتموهم، أي لا إيمانَ لَهُمْ: على «آمنته إيماناً على المصدر».

﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهونَ﴾.

أي لِيُرْجَى منهم الانتهاءُ، والنكث: النقض في كل شيءٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً﴾.

هذا على وجه التوبيخ، ومعناه الحضُّ على قتالهم، وقيل في قوله: ﴿وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أنهم كانوا قاتلوا حُلفاءَ الرسول اللَّه ﷺ.

وقوله: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾.

معناه أَتَخْشَونَ أَنْ يَنَالَكُمْ مِنْ قِتَالِهم مَكْرُوهٌ.

﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشُوْهُ﴾.

أي فمكرُوهُ عَذابِ اللَّهِ أَحقُّ أن يُخْشَى.

﴿إن كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ﴾: أَيْ مصدقِينَ بعقاب اللَّه وثوابه.

وقوله: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

فيه دليل أنه اشتد غضبهم للَّه عزّ وجلّ، فوعد اللَّه في هذه الآية النَّصْرَ، وفيها دليل على تثبيت النُّبُوَّة، لأنه قال عزّ وجلّ: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مؤْمِنِينَ﴾.

فوعدهم اللَّه النَّصْرَ وَوَفىَ به، ودل على صدق ما أتى به النبي ﷺ، وقوله تعالى:

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾.

ليس بجـواب لقولـه: ﴿قَاتِلُوهُمْ﴾ ولكنـه مستأنف، لأن «يتـوب» ليس من جنس ما يُجابُ به «قاتلوهم».

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا ولَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهدُوا مِنْكُمْ﴾.

اللَّه جلّ وعزّ قد علم قَبْلَ أَمْرهِم بالقِتَالِ من يُقَاتـلُ مِمَّنْ لاَ يُقَاتِـلُ ولكنه كان يعلم ذلك غيباً، فأرادَ العلمَ الذي يُجازي عَلَيْهِ لأَنَّه جلّ وعزَّ إنمـا يجازي على ما عملوا.

وسورة «براءَة» كانت تُسَمَّى الْحافِرةَ، لأَنها حَفَرت عن قلوبِ المنافقين، وذلـك أنه لمـا فُرِضَ القِتـالُ تبين المنافقُ من غيـره، ومن يُوالي المؤْمِنين مِمَّن يوالي أعداءَهم فقال جلّ وعزّ:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّـا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَـاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِـذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمنينَ وَلِيجَةً﴾.

والوَليجة: البِطَانَةُ، وهي مأْخوذة مِنْ وَلَـجَ الشيءَ، يلِجُ إذا دَخَلَ. [أي] ولم يَتَّخِذوا بينهم وبينَ الكافرين دَخيلَةَ مَوَدَّةٍ.

وقوله: ﴿مَاكَانَ لِلْمُشْرِكينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجدَ اللَّهِ شَـاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بالكُفْرِ﴾.

﴿شَاهِدِينَ﴾ حال. المعنى ما كانت لهم عمارةُ المسجد الحرام في حـال إقرارهم بالكفر.

﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾.
أي كُفْرُهُمْ قد أذهبَ ثوابَ أعمالهم.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّه وَالْيَوْمِ الآخر وَأَقَامَ الصَّـلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾.

ولم يذكر الرسول في هذا[1]، لأن فيه دليلاً بقوله وأقامَ الصلاةَ التي أتى بتحديدها الرسول.

﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾.

تأويله لم يخف في باب الدين إلا الله.

﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

عسى واجبة من الله.

وقوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لا يَسْتَوُونَ عندَ اللَّهِ﴾.

المعنى أجعلتم أهل سِقَايَةَ الحَاجِّ وأَهلَ عِمَارَةِ المَسْجِدِ الحرامِ كمن آمن باللَّه واليوم الآخِر وجَاهَد.

واختلف الناسِ في تفسير هذه الآية:

فقيل: إنه سأل المشركون اليهودَ فقالوا نحن سُقَاةُ الحَاجِّ وَعُمَّارُ المسجد الحَرامِ. أَفَنَحْنُ أَفْضَلُ أم محمد وأصحابه؟ فقالت لهم اليهود عناداً للنبي ﷺ: أنتم أفضل.

وقيل إنه تفاخر المسلمون المجاهدون والذين لم يهاجروا ولم يجاهدوا، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن المجاهدينَ والمهاجرين أعظمُ دَرَجَةً عند اللَّه، فقال:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ﴾.

﴿درجةً﴾ منصوب على التمييز، المعنى أعظمُ من غَيْرِهِمْ درَجَة.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

---

(١) لم يأت في الآية «من آمن باللَّه ورسوله واليوم الآخر»، لأن الرسول معلوم ضمناً لأنه الذي أتى بتحديد الصلاة.

والفائز الذي يظفر بأمنيته من الخير.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾.

أي يُعْلِمْهم في الدنيا ما لهم في الآخرة.

وقوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ في مَواطِنَ كَثيرَةٍ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾.

أي وفي حنين، أي ونصركم في يوم حنين، وحنين: اسمُ وَادٍ بين مكة والطائفِ.

وقوله: ﴿فِي مَوَاطِنَ كَثيرةٍ﴾: أي في أمكنةٍ، كقولك في مقامَاتٍ.

تقول استوطن فلان بالمكان إذا أقام فيه.

وزعم بعضُ النحويينَ أن﴿مواطن﴾لم ينصرف ههنا لأنه جَمْعٌ. وأنها لا تُجْمَعُ.

قال أبو إسحاق: وإنما لم تُجْمَعْ لأنها لا تدخل عليها الألف والتاءُ، لا نقول مَوَاطِنات، ولا حَدَائدات إلَّا في شِعْر، وإنما سَمِعَ قَوْلَ[1] الخليل أنه جمع لا يكون على مثال الواحد، وتأويله عند الخليل أن الجموع أبَداً تَتَنَاهى إليه فليس بعده جمع، لو كسّرت أي جمعت على التكسير أقوال، فقلت[2] أقاوِيل لم يتهيأ لك أن تكَسِّر أقاوِيل، ولكنك قد تقول أقاويلات، قال الشاعر: [3]

فَهُنَّ يَعْلُكْنَ حَدائداتها

(١) أي سمع هذا النحوى قول الخليل ولم يفهمه.

(٢) في الأصل لقلت.

(٣) الشطر في اللسان منسوباً للأحمر، وفي معاني الفراء ١ ـ٤٢٨ يجمعن -حدائداتها. وهو حديث عن خيل تعلك لجمها كما جاء في شعر النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

ولم أقف على صدر البيت... وانظر القرطبي في الآية نفسها.

وإنما لم ينصرف ﴿ مواطن ﴾ عند الخليل لأنه جمع وأنه ليس على مثال الواحدِ ومعنى ليس على مثال الواحد، أي ليس في ألفاظ الواحد ما جاءَ على لفظه وأنه لا يجمع كما يجمع الواحد جمعَ تكْسِيرٍ.

ومعنى الآيـة أن اللَّه جلّ وعـزّ أَعْلَمهم أنه لِيس بكثـرتهم يَغْلِبُـون وأنهم إنمـا يغلبون بنصر اللَّه إيَّاهم فقال جلّ وعزّ:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾.

يـروى أنهم كانـوا اثنى عشر ألفـاً في ذلك اليـوم، وقال بعضهم: كـانوا عَشَرة آلاف[١] فأُعجبوا بكثرتهم، فجعل اللَّه عقوبتهم على إعجابهـم بالكثـرة - وَقَـوْلِهم: «لن نُغْلَب اليـومَ مِنْ قِلَّةٍ» بـأن رَعَّبهم[٢] حتى وَلَّـوْا مُـدْبِـرِين، فلم يبق مع رَسُول اللَّه ﷺ إلاَّ العَبَاسُ بنُ عبدِ المطلِب وأبو سُفيانَ بن حَرْبٍ[٣]، ثم أَنْزَلَ اللَّه عليهم السكينة حتى عادوا وَظَفِرُوا فأراهم اللَّه في ذلك اليوم من آياتِه ما زادهم تَبْييناً بنُبُوة النبيِ ﷺ.

وقوله: ﴿إِنَمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾.

وقـرئت مَسْجِدَ اللَّه، فمن قـرأ «مَسْجِـدَ اللَّه» عَنَى بـه المسجـدَ الحـرامَ ودَخَل معه غيْرُه، كما تقول: ما أَسْهَلَ عَلَى فُلانٍ إِنْفـاقَ الدِّرْهَم والـدينَارِ، أيْ هَذَا الجنس سَهْلٌ عَليْه إنفَاقُه.

ويجوز أن يكون مسـاجد اللَّه يعني بـه المسجد الحـرام، كما تقـول إذا

(١) في الأصول عشرة ألف وهو خطأ.

(٢) أخافهم وأرهبهم من الرعب.

(٣) هكذا في الأصول وهو سهو فالذي ثبت مع الثابتين هو أبو سفيان بن الحرث بن عبـد المطلب - وقد دعا له رسول الله ﷺ - وسامحه فيما كان منه - أما أبو سفيان بن حرب فكان لا يزال مدخول الإسـلام، وقال: لا تنتهي هـزيمتهم دون البحر. انـظر سيرة النبي، وانسـاء العيـون في غـزوة حنين.

ركب الرجل الفرس، قد صار فلانٌ يركب الخَيْلَ، فعلى هـذا تجري الأَسماءُ التي تُعَبِّرُ عَنِ الأَجْنَاسِ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعدَ عَامِهِمْ هَذا﴾.

يقال لكل مُسْتَقْذرٍ نَجسٌ، فإِذا ذكرتَ الرِّجسَ قلتَ: هو رِجْس نَجِسٌ.

وهذا وقع في سنةِ تسع من الهجرةِ، أُمِرَ المسلمون بمنع المشركين من الحج وَبِقتْلِهِمْ حيثُ ثَقِفُوهُمْ.

﴿وَإِنْ خفْتُمْ عَيْلَةً فسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فضْلِهِ إِن شَاءَ﴾.

كان لأَهل مكة مكسبة، ورفق[1] ممن كان يحج من المشركين، فأَعْلَمَهُمُ اللَّه أَنه يعوّضهم من ذلك.

والعيلة: الفقر، قال الشاعر:[2]

ومـا يـدري الفقيـر متى غنـاهُ ... ومـا يـدري الغني متى يعيـلُ

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُون بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾.

معناه: الذين لا يؤْمنون باللَّه إِيمانَ الموحّدِين، لأَنهم أَقرُّوا بأَن اللَّه خالِقُهم، وأَنه له ولدٌ. وأَشرك المشركون معه الأَصنام، فأَعلم اللَّه عزّ وجلّ أَن هذا غيرُ إِيمانٍ باللَّه، وأَن إِيمانهم بالبعث ليس على جهة إِيماننا لأَنهم لا يقرون بأَن أَهل الجنة يأْكلون ويشربُون وليس يقرون باليوم الآخر كما أَعلم اللَّه جلّ وعزّ وليس يدينون بدين الحق، فأَمر اللَّه بقتل الكافرين كافةً إِلَّا أَنْ يُعْطُوا الجِزيَةَ عَنْ يَدٍ، وَفُرِض قَبولُ الجِزْيَةِ من أَهلِ الكتابِ وهم النَّصَارى واليهود.

---

(١) ما يستعينون به من الارتفاق بمعنى الكسب.

(٢) تقدم ص ٤٤١ من هذا الجزء.

وَسَنَّ رسول اللَّه ﷺ في المجوس والصابئين أن يجروا مجرى أهل الكتاب في قبول الجزية. فأمَّا عَبَدَةُ الأوثان من العرب فليس فيهم إلا القتْلُ. وكذلك مِنْ غَيْرِهِمْ.

وقوله: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزيَة عَن يَدٍ وَهمْ صَاغِرُونَ﴾.

قيل معنى ﴿عَنْ يَدٍ﴾، عنْ ذُلٍّ، وقيل عن يَدٍ عن قهر وذُلٍّ، كما تقول اليدُ في هذا لِفلان. أي الأمر النافذ لفُلانٍ.

وقيل ﴿عَنْ يَدٍ﴾ أي عن إنْعَامٍ عليهم بذلك، لأن قبول الجزية منهم وتركَ أنْفُسِهِم نعمة[1] عليهم، ويد من المعروف جزيلة.

وقوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابنُ اللَّهِ﴾.

قُرِئتْ ﴿عزيرٌ﴾ بالتنوين وبغير تنوين، والوجه إثبات التنوين لأن «ابْناً» خبَر، وإنما يحذف التنوين في الصِّفةِ نحو قولك: جاءَني زيدُ بنُ عمروٍ، فيحذف التنوين لالتقاء الساكنين وأنَّ ابناً مضاف إلى عَلَم وأن النعت والمنْعُوتَ كالشيء الواحد. فإذا كان خبراً فالتنوين[2] وقد يجوز حذف التنوين على ضعف لالتقاء الساكنين وقد قرئت: ﴿قل هُوَ اللَّه أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، بحذف التنوين، لسكونها وسكون الباءِ في قوله: ﴿عُزَيْرُ ابنُ اللَّهِ﴾.

وفيه وجه آخر: أن يكون الخبر محذوفاً، فيكون معناها[3] عزيرُ ابن اللَّه معبودنا، فيكون «ابْنُ» نَعْتاً.

ولا اختلاف بين النحويين أنَّ إثبات التنوين أجود.

وقوله: ﴿ذلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

---

(١) في الأصل: وترك أنفسهم عليهم نعمة عليهم.

(٢) أي فحكمه أن ينون.

(٣) في الأصل معناهم.

إن قال قائل: كل قول هو بالفم فما الفائدة في قوله بـأفواههم فـالفَائِـدَة فِيه عظيمة بيِّنَةٌ. المعنى أنه ليس فيه بيان ولا برهان إنما هو قول بالفم لا معنى تحتـه صحيح، لأنهم معتـرفون بـأن اللَّه لم يتخذْ صَـاحِبَة فكيف يَـزْعُمُونَ لَـه ولَداً، فإنما هو تَكذُّبُ وقولُ فقط.

وقوله: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفرُوا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي يُشَابِهون في قولهم هذا مـا تقدم مِنْ كَفَـرَتِهِمْ، أي إنما قـالوه اتبـاعاً لمن تقدم من كَفَرَتِهِمْ. الدليل على ذلك قوله:

﴿اتَّخذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي قبلوا مِنْهمْ أن العُـزَيْـرَ والمسيـحَ ابنـا اللَّه تعـالى. وهـذا معنى: ﴿يُضَاهِئون قَوْلَ الَّذين كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ وقرئ يضَاهِيُونَ، وأصل المضاهاة في اللغة المشابهة، والأكثرُ تَرْكُ الهمزةِ، واشتقاقه من قولهم: امْرَأَةٌ ضَيْهَاءُ. وهي التي لا ينبت لها ثدي، وقيـل هي التي لا تحيض. وإنما معنـاها أنهـا أشبهت الرجال في أنها لا ثدْيَ لها، وكذلك إذا لم تحض. وضهياء فعلاء.

الهمـزة زائدة كمـا زيدت في شمـأل[1]، وغرقىء[2] البيضـة، ولا نعلم [أنها] زيدت غير أوَّل، إلا في هذه الأشياءَ.

ويجوز أن تكون[3] «فَعْيَـل» وإن كانت بِنيَـةً ليس لها في الكـلام نظيـر، فـإنا قـد نعرف كثيـراً مما لا ثـاني له[4]. من ذلـك قولهم كَنَهْبَـل وهو الشجـر العظام، تقديره فَنَعْلل، وكذلك قَرَنْفُل، لا نظير له وتقـديره فَعَنْلُل. وقـد قيل:

---

(١) الهمزة في يضاهئون زائدة كما زيدت في شمأل، أي شمال، ومنه عن اليمين والشمائـل. فهي جمع شمأل.

(٢) غرقىء البيض الجلدة الرقيقة التي تحت القشرة.

(٣) يجوز أن تكون ضهياء من فعيل ـ أي الياء زائدة.

(٤) توجد كلمات على وزن لا نظير له.

إِبِل لا نظير له وإن كان قد جاءَ إِطِل وهو الخصْرُ، وقالوا إِيْطِل ثم حذفوا فقالوا إِطِلٍ ، فيجوز أَن يكون «يُضاهِئون» من هذا بالهمز، وتكون همزة ضهياءَ أَصلاً في الهمز[١].

وقوله: ﴿سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

معناها تنزيهاً له عن شركهم.

وقوله: ﴿وَالَّذِين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

أَكثر التفسير إنما هو للمشركين، وقد قيل إنها فيمن منع الزكاة من أَهل القِبْلة[٢] لأَن من أَدى من ماله زكاته فقد أَنفق في سبيل اللَّه ما يجب من ماله.

وقوله: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾.

دخلت إلَّا، ولا جُحْدَ في الكلام، وأَنت لا تقول ضربت إلا زَيْداً، لأَن الكلام غير دال عَلى المحذوف، وإذا قلت: وَيَأْبَيَ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، فالمعنى يأْبى اللَّه كل شيءَ إلا أَن يُتم نُورَه.

وزعم بعض النحويين أَن في «يأْبى» طرفاً من الجحد، والجَحْدُ والتحقيق ليسا بذي أَطراف[٣]، وآلةُ الجحد لا، وَمَا، ولم، ولن، وليس، فهذه لا أَطراف لها. ينطق بها على جمالها[٤]، ولا يكون الإِيجاب جُحْداً ولو جاز هذا على أَنَّ فيه طرفاً من الجحد لجاز: كرهت إلا أَخاك، ولا دليل ههنا على

(١) أي أصل الفعل «ضهيأ».

(٢) من المسلمين، إذ هم يسمون أهل القبلة.

(٣) أي ان هذا البعض يقول إن يأبى فيها جزء من الجحود وهو مخطئ لأن النفي والإثبات لا يتجزءان، فإما إثبات وإما نفي، ولا يقال جزء نفي ـ وجزء إثبات.

(٤) أي على جملتها ولا داعي لكل هذا فكل ما أراده أن يأبي تحمل معنى النفي، وليست أداة نفي، ولا متمحضة له.

المكروه، ما هو ولا من هو، فكرهتُ مثل أَبَيْتُ، إلا أن أبيتُ الحذف مستعمل معها.

وقوله: ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فقال: ﴿الذهب والفضَّة﴾ ولم يقل ولا ينفُقُونَهما في سبيل اللّه، فإنما جاز ذلك لأن المعنى يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقون المكنوز في سبيل اللّه، ويجوز أن يكون محمولاً على الأموال، فيكون: ﴿ولا ينفقونها﴾، ولا ينفقون الأموال، ويجوز أن يكون: ولا ينفقونها. ولا ينفقون الفضة، وحذف الذهب لأنه داخل في الفضَّةِ كما قال الشاعر:(١)

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف.

يريد نحن بما عندنا راضون، وأنت بما عندك راض، فحذف(٢) «راضون» فكذلك يكون المعنى: «والذين يكنزون الذهب ولا ينفقونه في سبيل اللّه، والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّه».

وقوله: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

أعلم اللّه جلّ وعزّ: أن عدة شهور المسلمين، الذين تُعُبِّدُوا بأن يجعلوا لِسَنَتِهِمْ(٣) ـ اثنا عشر شهراً، على منازل القمر، فجعل حجهم وأَعْيَادَهمْ(٤)

---

(١) لقيس بن الخطيم من قصيدة أولها:

رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا

وهو شاعر جاهلي كان شجاعاً جميل المنظر، وهو والد ثابت بن قيس الصحابي الجليل ـ انظر العيني ١/٢٢٨، معاهد التنصيص /٩٠، وتفسير الطبري جـ ١٢٢/١٠ ط الحلبي، وابن الشجري ١/٣٣، وينسب أيضاً إلى عمرو بن امرئ القيس الخزرجي ١/٣٩.

(٢) في الأصل ينفقونها.

(٣) يقدروا لها، أو يجعلوا لها نظاماً خاصاً.

(٤) ط ـ عباداتهم.

وَصَلَاتهُمْ في أعبادهم هذا العَدَد، فالحجُّ والصوْمُ يكون مرة في الشتاءِ ومرة في الصيف، وفي فصول الأزمان على قدر الشُّهور ودَوَران السِّنين، وكانت أعيادُ أهل الكتاب وَمُتَعَبَّدَاتهُمْ في سَنَتِهم يَعْمَلُونَ فيها على أن السنة ثلاثمائة يوم وخمسة وستون يوماً وبعضُ يوم، على هذا يجري أمر النصارى واليهود. فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن سِنِي المُسْلِمِينَ على الأَهِلَّةِ.

وقوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾.

الأربعة الحرم: المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجَّة.

﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفسَكُمْ﴾.

قيل في الأربعة، وقيل في الاثني عشر. فمن قال في الأربعة قال: أراد تعظيم شأن المعاصي - كما قال جلّ وعزّ: ﴿فَلَا رَفث وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدالَ فِي الحَجِّ﴾ فالفسوق لا يجوز في حج ولا غيره، ولكنه عزّ وجلّ عرَّف الأيام التي تكون فيها المعَاصِي أكْثَرَ إثماً وعقاباً.

وقوله: ﴿وَقاتِلوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كافَّةً﴾.

فـ «كافَّة» منصوب على الحال، وهو مصدر عَلَى فَاعِله كما قالوا العاقِبة والعافِية. وهو في موضع قَاتِلُوا المشركين محيطين بهم باعتقاد مُقاتَلِتِهمْ[1].

وهذا مشتق من كُفَّةِ الشيء، وهي حَرْفُه، وإنما أخذ من أن الشيءَ إذا انتهى إلى ذلك كُفَّ عن الزيادة، ولا يجوز أَنْ يُثَنَّى ولا يَجْمَعُ، ولا يقال قاتلوهم كافاتٍ ولا كافِّين، كما أنك إذا قلت: قاتلوهم عامَّة لم تُثَنِّ ولم تجمَعْ، وكذلك خَاصَّةً.

---

(١) بسبب ما لمقاتلتهم من اعتقاد فاسد.

(٢) في الأصل «وهو».

هذا مذهب النحويين،

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

تأويله أنه ضامن لهم النَّصْر.

وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

النسيء ـ هـذا ـ تأْخيـر الشيء، وكانوا يُحَرِّمونَ القتال في المحرم فإذا عزموا على أن يقاتلوا فيه جعلوا صفراً كالمحرم، وقاتلوا في المحرم وأبدلوا صَفَراً منه، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن ذلك زيادة في الكفر.

﴿لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾.

فيجعلوا صَفَـراً كالمحـرم في العدةِ، ويقـولـوا: إن هـذه أربعـة بمنـزلـة أربعة. والمواطأة المماثلة والاتفاق على الشيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَالَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِـرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّـاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾.

الإجمـاع في الروايـات أن هذا كـان في غَزْوَةِ تَبُـوكَ، وذلك أن النـاس خرجوا فيه على ضَيْقَةٍ شديدة شاقَّةٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اثاقلْتُمْ إلى الأَرْضِ﴾.

المعنى تثـاقلتم، إلاَّ أن التاءَ أُدْغِمَتْ في الثَّـاءِ، فصـارت ثـاءً سـاكنـة، فابتدئت بألف الوصل ـ الابتداء ـ.

وفي ﴿اثَّاقَلْتُم إلى الأَرض﴾ عندي غير وجه.

منها أن مَعْنَاهُ تثـاقلْتُمْ إلى الإقامـة بأَرْضِكم، ومنهـا اثَّاقَلْتُمْ إلى شهـوات الدنيا.

وقوله: ﴿أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ﴾.

أي أَرضيتم بنعيم الحياة الدُّنيا من نعيم الآخرة[1].

---

(١) بدلاً من نعيم الآخرة.

﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾.

أي ما يتمتع به في الدنيا قليل عندما يتمتع به أولياءُ اللَّهِ في الجَنَّةِ.

وقوله: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾.

هذا وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وأعلم أنَّه يستبدل لِنَصْرِ دينه ونبيه قوماً غيرَ مُثَّاقِلِين عنِ النَّصْرِ إلى أعدائه إذ أعلمهم اللَّه عزَّ وجلّ أَنَّهم إن تركوا نصره فلن يَضُرَّهُ ذلك شيئاً كما لم يضرره إذ كان بمكة لا ناصرين له، فقال عزّ وجلّ:

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾.

وكان المشركون قد أجمعوا على قتله ﷺ فمضى هو وأبو بكر الصديق هارباً منهم في الليل، وترك عَلِياً عَلَى فِراشِهِ ليَرَوْا شخصه على الفراش فلا يعلمون وقت مُضيِّهِ، وأطلعا أسماءَ بنت أبي بكر على مكانهما في الغَار، وَمَرَّ رسول اللَّه ﷺ عَلَى ثُمَامَةٍ، وهي شجرة صغيرةٌ ضعيفة فأمر أبا بكر أن يأخذها معه، فلما صارا إلى الغار، أمر أبا بكرٍ فجعلها عَلَى باب الغار، ثم سبق أبو بكر إلى دُخُولِ الغارِ فانبطح فيه، وألقى نفسه، فقال رسول اللَّه: لم فَعَلْتَ ذلك فقال: لأَنَّ هَذِهِ الغِيرَانَ[1] تكون فيها الهوامُّ المؤْذية والسباع فأَحْبَبْتُ إن كان فيها شيء أن أَقِيكَ بِنَفْسِي يا رسول اللَّه. ونظر أبو بكر إلى جحر في الغار فسدَّه برجله، وقال إنْ خَرَجَ منه ما يُؤْذِي وقيتُكَ منه.

فلما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر الصِّدِّيق فقال له رسول اللَّه ﷺ ما يُبكيكَ، فقال: أخاف أَنْ تُقْتَلَ فلا يُعْبد اللَّهُ بَعْدَ اليوم، فقال له رسول اللَّه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، أي إنَّ اللَّه تعالى يمنعُهُم مِنا وَيَنْصُرُنَا،

---

(١) جمع غار. أي هذه الكهوف عادة يكون بها الحشرات.

فقال: أهكذا يا رسول اللَّه: قال نَعمْ فرقاً دمعُ أبو بكر وسكن. وقال المشركون حين اجتازوا بالغار: لو كان فيه أَحَدٌ لم تكُنْ ببابه هذه الثمامة. ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَه عَلَيْه وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾.

أيده بملائكة يَصْرِفون وجوهَ الكُفَّار وأَبْصَارَهُمْ عن أَنْ يَرَوْه.

وقوله: ﴿سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾.

يجوز أَن تكون الهاءَ التي في عليه لأبي بكر، وجائز أَن تكون ترجع على النبي ﷺ لأَن اللَّه جلّ ثناؤه أَلقى في قلبه ما سَكَن بِه وعلم أَنَّهمْ غيرُ وَاصِلين إليه.

فأَعلم اللَّه أَنهم إنْ تَركوا نصْرَه، نَصَرَه كما نصره في هذه الحال.

وَثَانِيَ اثنين مَنصُوبٌ على الحال، المعنى فقد نَصَرَهُ اللَّه أَحدَ اثنين، أي نصرَهُ منفرداً إلَّا مِنْ أَبِي بكر رضي اللَّه عنه.

وقال جلّ وعزّ: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالاً، وَجاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾.

فقيل ﴿خِفَافاً وثقالاً﴾، أَي مُوسِرين ومُعْسِرين، وقيل ﴿خِفَافاً وثقالاً﴾ خفَّتْ عليكم الحركة أَوْ ثقلت، وقيل ركباناً ومُشاة، وقيل أيضاً شباباً وشيوخاً.

وَيُروَى أَن ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ جاءَ إلى النبي ﷺ فقال أَعَليَّ أَن أنفر، فقال نَعَم، حتى أَنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ﴾[1].

﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاتَّبَعُوكَ﴾.

العرَضُ كل ما عرض لك من منافع الدنيا، فالمعنى: لو كانت غنيمة قريبة، أَي لو كان ما دُعُوا إليه غُنْماً، وسفراً قاصِداً أَي سَهْلاً قريباً لاتبعوك وَلكِنْ بَعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ.

---

(١) سورة الفتح الآية ١٧.

أي بعدت عليهم الغاية التي تقصدها. وكان هذا حين دُعُوا إلى غزوةِ تبوك، فَثَقلَ عَلَيهِمُ الخروجُ إلى نواحي الشام.

وقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنك لِمَ أَذِنت لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِين﴾.

أي حتى يَتبيَّن لك من يُنَافِق مِمَّن يصُحِّح. ثم أعلمه جلّ وعلا أن عَلامة النفاق في ذلك الوقت الاستئذان في التخلُّفِ عن الجهاد فقال:

﴿لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْم الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾.

موضع «أَنَّ» نَصْبٌ. المعنى لا يستأْذنك هؤُلاءِ في أن يجاهدوا، ولكن «في» حُذِفتْ فأَفضى الفعلُ فنَصَبَ «أَن». قال سيبويه، ويجوز أن يكونَ موضعها جَرًّا، لأن حَذْفها هَهُنا إنما جاز مع ظهور «أَنْ» فلو أَظهرت المصدَر لم تحذف في «لا يستأْذنك القوم الجهادَ» حتى تقول في الجهاد ويجوز لا يستأْذنك القوم أن يجاهدوا.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنك الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُون بِاللَّهِ وَالْيَوْم الآخر وَارْتَابتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ في رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

وأَعْلَمَ اللَّهُ جلّ ثناؤُهُ أَنَّ مَنِ ارْتَابَ وشكَّ فِي اللَّهِ وفي البَعْثِ فهو كافر.

﴿وَلوْ أَرَادُوا الْخُروجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّة﴾.

أي فَتَرْكَهُمْ العُدَّةَ دليلَ على إرَادَتهم التَّخلُّف.

﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾.

والتَّثْبِيط ردُّكَ الإنسانَ عَنِ الشيءِ يفعله، أي كره اللَّه أن يخرجوا معكم فردهم عن الخروج. ثم أعلم عزّ وجلّ: لم كره ذلك فقال:

﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إلَّا خَبَالاً﴾.

والخبال الفساد، وذهاب الشيء. قال الشاعر:[١]

أبني لُبيْني لستُما بيَدِ ... إلا يداً مخبولة العَضُد

أي فاسدة العَضُدِ.

﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾.

يقال أَوْضعتُ في السّير إذا أسرعت، ولأسرعوا فيما يخل بكم.

﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

أي فيكم من يسمع ويؤدي إليهم ما يريدونَ.

وجائز أن يكون ﴿سَماعونَ لَهمْ﴾ من يقبل مِنهُمْ.

وفي المصحف مكتوب «ولأوضَعوا» ولا أُوضعوا[٢]، ومثله في القرآن: ﴿أَوْ لا أَذْبَحَنَّهُ﴾[٣] بزيادة ألف أيضاً، وهذا إنما حَقُّه على اللفظ وَلَأَوْضَعُوا، ولكن الفتحة كانت تكتبُ قبل العرَبيّ[٤] ألفاً. والكتاب[٥] أبتدئ به في العربي بقرب نُزُولِ القرآنِ فوقع فيه زيادات في أمكنة واتباع الشيء بنقص عن الحروف. فكتبت «ولا أوضعوا» بلام وألف، بدلاً من الفتحة، وبهمزة.

فهذا مجاز ما وقع من هذا النحو في الكتاب.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.

أي لا تُؤْثِمْني[٦] بأمرك إياي بالخروج، وذلك غير متيسِّر لي فآثم.

وقيل إن المنافقين هزئوا بالمسلمين في غزوة تبوك، فقالوا أتريدون بنات

---

(١) تقدم هذا الشاهد في الجزء الأول. ص ٤٦٢.

(٢) كتبت اللام لام ألف وبعدها ألف.

(٣) سورة النمل الآية - ٢١.

(٤) قبل أن يوجد الخط العربي - ويظهر أنه يعني الخط الآرامي.

(٥) الكتابة.

(٦) لا تعرضني للإثم.

الأَصْفَر: فقال: ﴿لا تَفْتِنِّي﴾ [أي] لا تَفْتِنِّي ببنات الأَصفر. فأَعلم اللَّه تعالى أَنهم قد سقطوا في الفتنة أَي سقطوا في الأَثم[1].

﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُـمْ، وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾.

أي قـد علمنـا بـالحـزم في التخلف عنــك. فـأعلم اللَّه جــلّ وعـزّ أَنَّ المسلمين لَنْ يُصيبهم إلا ما كتب اللَّه لهم فقال جلّ وعزّ: ﴿قُلْ لنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾.

أَي مـا قدَّر علينـا كما قـال: ﴿مَا أَصـابَ مِنْ مُصيبَةٍ في الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾[2]. ثم أَكّـدَ ذلك فقـال: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[2].

وفيه وجه آخر أَنه ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إلا مَا كَتَبَ اللَّه لَنَا﴾ ما بيّن لنـا في كتابـه، من أَنَّا نَظْفَر، فتكون تلك حسنى لنا أَو نُقْتَل فتكـون الشهادة حسْنَى لنـا أَيضاً، أَي فقد كتب اللَّه لنا ما يصيبنا أَو عَلِمْنَا ما لنا فيه حظ، ثم بيَّنَ جـلّ ثناؤه فقـال تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾.

إلَّا الظفَر أَو الشهادة.

﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾.

فأَنتم تربصونَ بنا إِحدى الحسنيَيْن، ونحن نَترَبَّصُ بكم إِحدى الشَرَّتَيْن، فبين ما تنتظرونه وننتظره فرق عظيم.

---

(١) أي بتباطؤهم وتخلفهم عن القتال. قـال الجد بن قيس: لقـد علم قومي أنـه ما من أحـد أشـد عجباً بالنسـاء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفـر الا أصبر ـ فأذن لي ولا تفتني، وقال جماعة من المنافقين ـ إئذن لنا ولا تفتنا والآية بعدها أشبه بالمنافقين.

(٢) سورة الحديد الآية: ٢٢

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾.

وإن شئت كُرْهاً بالضم، هذا لفظ أَمْرٍ ومعناه معنى الشرط والجزاء. والمعنى أَنفقوا طائعين أو مكرهين لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ.

ومثل هذا من الشعر قول كثير:(١)

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ... لدينا ولا مقلية إنْ تَقَلَّتِ

فلمْ يأْمرها بالإساءة، ولكن أَعْلَمَها أنها إن أساءَت أو أَحْسَنَتْ فهو على عهدهَا.

فإن قال قائل كيف كان الخبر في معنى الأَمر، [قلنا هو] كقولك: غفر اللَّه لزيدٍ، ورحم اللَّه زيداً، فمعناه: اللهم ارحم زيداً.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا﴾.

مَوْضِعُ «أن» الأولى نَصْبٌ، وموضِع «أنِ» الثانية رفع. المعنى ما منعهم من قبول نفقاتهم إلَّا كُفْرُهم، ويجوز «أن يُقبَلَ مِنْهُم نَفَقَاتُهُمْ»(٢) لأن النفقَات في معنى الإنفاق، . . ، ويجوز: وما منعهم من أَنْ يَقْبلَ مِنهُمْ نَفَقَاتِهِمْ إلا أَنهُمْ كَفَرُوا، وهذا لا يجوز أن يقرأ به لأنه لم يروَ في القراءَة.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾.

وكَسَالى - بالضمِّ والفتْحِ - جمع كسلان، وكقولكَ سكران وسُكارى وسَكارى. ويجوز ولا يَأْتُونَ الصلَاةَ إلَّا وهم كَسْلى، ولا يجوز ذلك في القرآن.

﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إلَّا وَهُمْ كَارِهونَ﴾.

---

(١) من تائيته المشهورة، وتقدم. بيت منها ص ٣٨١ جـ ١ وانظر الأمالي جـ ١ ص ١٠٨، وكتاب سيبويه ٢/٤٦ (بولاق).

(٢) بتذكير الفعل يقبل.

القراءَة على فتح الكـاف[١]، ويجوز الكَسـر إلاّ وهم كارِهـونَ، ولم يرْوَ في القرآن[٢].

وقوله: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ ولاَ أَوْلاَدُهُمْ إنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعـذِّبَهُمْ بهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيا﴾.

معنـاه ـ واللَّه أَعلم ـ فلا تعجبـك أَموالهم ولا أَولادهم في الـدنيا، إنمـا يريد اللَّه ليعذبهم بها في الآخرة.

ويجوز واللَّه أَعلم: إنما يريد اللَّه ليعذبهم بها في الدُّنيا أَي هم ينفقونها في الدنيا، وهم منافقون فهم متعذِّبون بإِنْفَاقها إذ كانوا ينفقونها على كرهٍ.

وقوله: ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وهُمْ كَافِرُونَ﴾.
معناه، وتخرج أَنْفُسهم أَي يغْلُظ عليهم المكروه حتى تزهق أَنفُسهم.

﴿ويَحْلِفونَ باللَّهِ إنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكمْ﴾.
أَي يحلفـون باللَّه أَنهم مؤْمنـون كما أَنتم مُؤْمِنـونَ، وما هُمْ مِنْكُمْ لأَنهم يظهرون الإيمان ويُبطنون الكُفر ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾.

أَي يفرقون أَن يُـظْهِرُوا مـا هم عليه فيقتلُوا، ثم أَعلم جـلّ وعزّ أَنهم لـو وجدوا مخْلَصاً فيه لفارقوكم، فقال جلّ وعزّ:
﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلجأً أَوْ مَغَارَاتٍ﴾.

والملجـأُ واللَّجَأُ، مقصـورٌ ومهموزٌ، وهـو المكـان الَّـذِي يُتَحَصَّنُ فيـه. ومَغَارَات جمع مَغَارة، وهو الموضع يغور فيه الإنسان، أَي يستتر فيـه. ويقرأُ: أَو مُغارات بضم الميم لأنه يقال أَغْرَتُ وَغُرْتُ، إِذا دخلت الغَوْر.

---

(١) بدون إمالة، والمراد بالكسر الإمالة.

(٢) في القراءة بهـذه الإمـالة.

وقوله: ﴿أَوْ مُدَّخَلاً﴾.

ويقرأُ أو مُدْخَلاً بالتخفيف، ويقرأُ أو مَدْخلاً.

فأمَّا مُدَّخلٌ فأصله مُدْتخلٌ، ولكن التا والدال من مكان واحد فكان الكلام من وجه واحدٍ أخفّ، ومن قال مَدْخَلاً فهو من دَخَلَ يَدْخُل مدْخلاً، ومن قال مُدْخَلاً فهو من أَدْخَلْتُه مُدْخَلاً.

قال الشاعر: (١)

الحمدُ للَّه مُمْسَانا ومُصْبَحُنا بالخَيْر صبحَنا ربِّي وَمَسَّانَا

ومَعْنَى مُدَّخل ومُدْخل أنهم لو وجدوا قوماً يدْخُلون في جُمْلَتِهِمْ أو يُدْخلونَهُمْ في جُمْلَتِهِمْ: ﴿لولَّوْا إليْهِ وَهُمْ يَجمحُونَ﴾.

المعنى لوْ وَجَدوا هذه الأشياءَ ﴿لوَلَّوْا إلَيْهِ وهُمْ يَجْمَحُونَ﴾.

أي يسرعون إسراعاً لا يَرُدُّ وجُوهَهَمْ شَيءٌ. ومن هذا قيل: فرس جمُوحٌ للذي إذا حمَل لم يَرُدَّهُ اللجام.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾.

وتقرأُ يَلْمُزُونَكَ: يُقالُ لَمَزْتُ الرَّجُلَ أَلْمِزُهُ بكسر الميم، وأَلْمُزُه بِضَمِّ الميم إذَ عِبْتُهُ، وكذلك هَمزْتُه أهمزُه إذا عِبْتُه، قال الشاعر: (٢)

إذَا لقيتُكَ تبدي لي مُكَاشَرةً وإن تَغَيَّبْتُ كنتَ الهامزَ اللمزَةْ

---

(١) لأمية بن أبي الصلت. وهو بديوانه ٦٢، واللسان (مسى) وخزانة الأدب ١ ـ ١٢٨ (سلفيه) ومعاني القرآن للفراء ١ ـ ٢٦٤ وأمية هو عبد اللَّه بن أبي ربيعة ـ ثقفي كان يتوقع أن يكون النبي، قال فيه رسول اللَّه ﷺ آمن شعره وكفر قلبه، وقال فيه الأصمعي: ذهب أمية في شعره بعامة ذكر الآخرة. وترجمته في الخزانة حـ ١/٢٢٧. ومختار الأغاني ٧٢ ـ ٨٣ ـ وهو شاعر وأبوه شاعره وأخ له شاعر.

(٢) في اللسان (همز). إذا لقيتك عن شمط تكاشرني، وهو في القرطبي ٢٠/١٨١ ـ مع بيت مشابه لزياد الأعجم ولم يذكر قائل هذا البيت.

واللُّمـزَة الكثير العيْب للنـاس، وقال بعضهم:[١] اللُّمـزَةُ العَيِبُ. بكسر العَيْنِ أي بكسْرِ عيْنِهِ[٢] [عيبٌ كنهم] إذَا عاب. يراد بـه عيْب صاحِبـه وقالـوا: اللُّمْزَةُ الْعيبُ بالمُسارَّة. وهذا كله يرجع إلى العَيب.

وقـوله جـلّ وعزّ: ﴿إِنَّمَـا الصَّدَقَـاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسـاكِينِ والعامِلِينَ عَلَيْهَـا والْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾.

وهم قـوم كانـوا يُعْطَوْنَ: يُتَـأَلَّفُون عَلى أَنْ يُسْلِمُـوا. وهذا غيـر مُسْتَعْمل اليَوْمَ لظهور الإسلام.

﴿وفِي الرِّقَابِ﴾.

كأَنْ يُعَاوِنَ الْمُكَاتَبَ حَتَى يفكَّ رقبتَهُ[٣]:

﴿والْغَارِمِينَ﴾.

وهم الـذين لزمهم الـدَّينُ في الحمَالَـةِ، والحمالـةُ، الإعْطاءُ في الـذِّمَة ويجوز أن يكون الغارم الَّذِي لـزمَه الـدَّيْنُ في غيْرِ مَعْصِيَـةٍ، فالأَولى أن يكـون الـدَّينُ الَّذِي يقضى عَنْـهُ في غير مَعْصِيَـةٍ، لأَنَّ ذَا المعْصِيَةِ إن أُدِّيَ عنـه الدَّيْنُ كان ذلك تَقوية عَلَى المَعَاصي.

﴿وَفِي سَبيلِ اللَّهِ﴾.

أي وللمجاهدين حَقٌ في الصَّدَقَةِ[٤].

﴿وابْنِ السبِيلِ﴾: ابنُ الطَّريقِ.

وتأْويله الذى قُطعَ عليه الطريق.

﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ.﴾.

---

(١) في الأصل: ويقال بعضهم.

(٢) وهي الياء.

(٣) في الأصل: رقبتين. ولعل العبارة التالية: الذي لزمه الدين في معصية.

(٤) يريد الإنفاق في إعانة المجاهدين على جهادهم.

مَنْصُوبٌ على التَّوْكِيدِ، لأَن قوله: إِنَّما الصَّـدَقَاتُ لهؤُلاءِ كقـولك فَـرَضَ اللَّه الصدقَاتِ لهؤُلاءِ.

وقد بينًا في أَول الأَنفالِ ما قيل في جميع الأَموال، واسْتَقْصَيْناهُ[1].

ويجوز فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ على ذلك ولا أَعلمه قـرئ به[2].

وقوله: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُو أُذُنٌ، قُلْ أُذُن خَيْرٍ لكُمْ﴾.

وتفسير الآية أَنَّ مِنَ المنَـافِقِينَ مَنْ كانَ يَعيبُ النبيَّ ﷺ ويَقُـولُ: إِنْ بَلَغه عَنِّي حَلَفْتُ له وَقَبِل مِنِّي لأَنَّهُ أُذُنٌ. فأَعلم اللَّه تعالى أَنَّهُ أُذُنُ خَيْرٍ لكُمْ.

أَي مُسْتَمِعُ خَيْرٍ لَكُمْ، ثم بَيَّن مِمَّنَ يَقْبَلُ فقال:

﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ويُؤْمِنُ لِلمُؤْمِنِين﴾.

أَي هـو أُذُن خَيْرٍ لا أُذُنُ شَـرٍّ، يَسْمَعُ مـا ينزلـه اللَّه عليه، فيصَـدِّق بـه، ويُصدق المؤمنين فيما يُخْبِرُونَه بِه.

﴿وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾.

أَي هو رحمةٌ، لأَنه كان سَبَبَ المؤْمنين في إِيمَـانِهِمْ. وَمَن قرأَ أُذُنٌ خَيـرٌ لَكُمْ، فالمعنى فإِن من يَسْمَعُ منكم ويكون قريباً منكم قابلاً للعُذْرِ خيرٌ لكم.

ويـروى في هذه الآيـة أَن رَجُلاً مِنَ المُنَـافِقِينَ قال: لـو كان مـا أَتى بـه محمد حقًّا فنَحن حَمِيرٌ، فقال له ابن امرأَته إِنَّ مَا أَتَى بِه لحقٌّ، وإِنَّكَ لَشَرٌّ من دَابَّتِـكَ هَذِهِ[3] وبلغ ذلـك الـنبي ﷺ فقـال بعـض مـن حَضَـرهُ نَعْتَـذِر إِليـه ونحلف له فإِنه أُذُنٌ.

---

(١) ص ٤١٣ من هذا الجزء وما بعدها.

(٢) في الأصل: ولا أعلمه قـرئ بها.

(٣) في الأصل هذا.

وقوله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾.

قال بَعْضُ النحويِّينَ: إن هـذه اللاَّمَ بِمعنَى القَسَم، أيْ يَحْلِفُـون بـالله لكم لَيُـرْضُنَّكُمْ وهـذا خـطأٌ لأَنهم إنَّمـا حَلَفُـوا أنَّهُمْ مَـا قـالُـوا مـا حُكِي عنهُمْ لِيُرْضُوكُمْ[1] باليمين، ولم يَحْلِفُوا أنَّهُمْ يُرضُون فيما يستقبل.

﴿واللَّهُ وَرَسُولُه أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾.

وقوله: ﴿إِنْ كانُوا مُؤْمِنِين﴾.

أي إن كانوا على ما يُظْهـرُون فكان ينبغي ألاَّ يَعِيبُـوا النبي ﷺ فيكونـون بتوليهم النبي ﷺ وتَرْكِ عَيْبِه مؤمنين.

ويجوز في قَوْلِهِ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ الجر على العطف عَلَى ﴿خَيْرٍ﴾. فيكون المعنى قل إذُن خير لكم وأُذُنُ رَحْمَةٍ للمؤْمنين.

وقوله: ﴿أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوه﴾،ولم يَقُـلْ يُـرْضـوهُمَـا، لأَن المعْنَى يَـدُلُّ عليـه فحذف استخفافاً: المعنى واللَّه أَحق أَنْ يُرضوه، وَرَسُوله أَحق أَن يُرْضُوه، كما قال الشاعر:[2]

نحن بمـا عنـدنـا وأَنت بمـا عنـدك راض والأَمـرَ مختلفُ

المعنى نحن بما عندنا راضون وأَنت بما عندكَ رَاض.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

معناه من يعادي اللَّه ورَسُوله، ومن يشاقِق اللَّه ورَسُوله.

واشتقَاقُه من اللُّغَة كقولـك من يجانب اللَّه ورَسُـوله، أَي من يكـونُ في حَدٍّ، واللَّه ورسوله في حَدٍّ.

---

(١) في الأصل ليرضوا، أي ليحدثوا رضا. ـ أي أقسموا لأجل رضاكم

(٢) تقدم ص ٤٤٥ من هذا الجزء.

﴿فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

والقـراءَةُ بالفتـح والكسر: «فَـأَن لَه»، فمن كسـر فعلى الاستئنـاف بعـد الفاءِ، كما تقـول فله نار جهنم، ودَخلت إن مؤكـدَة، وَمَنْ قَال فـأَن له، فـإنما أعاد «فَأَنَّ» توكيداً، لأنه لما طال الكلام كان إعَادَتُها أَوْكَدُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾.

لفظ يَحـذرُ لفظ الخبر، ومعنـاه الأَمرُ، لأَنـهُ لَا لَبْسَ في الكـلام في أَنـه أَمْرٌ، فهو كقولك لِيْحـذَر المنافقـونَ، وعلى هذا يجـوز في كل مـا يُؤْمَرُ بـه أَن تقول يُفْعَلُ ذَلكَ، فَيَنُوبُ عن قَولك لِيفُعلْ ذلكَ.

ويجوز أَن يكون خبراً عَنْهُم لأَنهم كانوا يكفرون عناداً وَحَسَداً.

وَدَليل هذا القول: ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.

وذلك أَنهُمْ قالوا: إنما كنا نخوض كما يَخُوضُ الركْبُ(١).

وقوله: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

تأْويله أنه قد ظهر كفركم بَعدَ إظهاركُم الإيمان.

﴿إِنْ نَعْفُ عن طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾.

والقـراءَةُ إِنْ نَعْفُ وَ[إِنْ يُعْفَ، وإِنْ يَعْفُ] جيّـدَةٌ، ولا أَعلم أَحـداً من المشهورين قرأَ بها.

ويروى أَن هاتين الـطائفتين إنما كـانوا ثـلاثة نَفـر فَهـزِئَ اثْنَـان وضَحِكَ وَاحِدٌ، فجُعِل طائفة للواحد.

وكذلك قالوا في قوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَـةٌ منَ المُؤْمِنِينَ﴾. يَرادُ بـهِ نَفْسٌ طائفَةٌ.

---

(١) نذهب هنا وهناك ـ أي كنا نذهب في الكلام هنا وهناك للتسلية والمتعة.

والطائفة في اللغَةِ أَصْلها الجماعةُ، لأَنها المقدار الذِي يطيف بـالشيءِ. وقد يجوز أَن يقال للواحد طائفة يراد بها نفس طائِفةٌ يراد به نفس طائفَةٌ.

وقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْض﴾.

هذا يتلو قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمنْكُمْ﴾.

أي ليس المنافقون من المؤْمنين، لأَن المنافقين، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾: أي يأْمرون بالكفر بالنبي ﷺ.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ﴾.

أَي ينهون عن الإِيمان به.

﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾.

أَي لا يصْدُقون ولا يزْكوْنَ.

﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾.

أَي تركوا أَمر اللَّه فتركهم [اللَّهَ] من رحمته وتوفيقه.

وقوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾.

أَي كفايةُ ذُنُوبِهِمْ كما تقول: عذبتك حسب فعْلِكَ، وحَسْبُ فُلان ما نَزَل بهِ، أَي ذَلكَ عَلى قَدرْ فعله.

وقوله: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

موضع الكاف نصب، أَي وعدهم اللَّه على الكفر به كما وعد الذين من قبلهم.

وقوله: ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِم﴾: قيل فـاستمتعوا بحـظهم منَ الدنيـا وقيل فاستمتعوا بدينهم، والخلاق النصيب الذي هو عند صاحبه وافرُ الحظ.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾.

أَ لم يأتهم[1] خبر الذين هلكوا في الدنيا بذنوبهم فيتعظوا.

﴿والمُؤْتَفِكَاتِ﴾.

جمع مؤْتفكة، ائتفكت بهم الأرض، أي انقلبت، يقال إنهم قوم لـوط، ويقال إنهم جميعُ مَنْ أُهْلِكَ، كما تقول للهالك انقلبت عليه الدنيا.

﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظلِمُونَ﴾.

أَعلَمَ اللَّه جـلّ ثناؤه أن تعـذيبه[2] إيـاهم باستحقـاقهم، وأن ذلك عـدل منه.

وقوله: ﴿وَرِضْوانُ﴾.

وتقرأ ورُضْوان ورِضوان، وهما جميعاً عن عاصم.

ومعنى ﴿وَرِضْوَانٌ من اللَّهِ أكبرُ﴾، أي أكبر مما هم فيه من النعيم.

وقوله: ﴿يَا أيُّها النَّبيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ والْمُنَافِقِينَ﴾.

أَمـر بجهـادهم، والمعنى جـاهـدهم بـالقتـل والحجـة، فـالحجـة على المنافقين جهاد لهم.

وقوله: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالوا﴾.

قيل إنهم كانـوا هَمُّوا بقتـل رسول اللَّه ﷺ وأنهم كـانوا اثني عَشَـر رجُلاً عزموا على أن يقفوا له بعقبة على طريقه، ويغتالـوه، فأعلمـه اللَّه ذلك. فلمـا بلغ إليهم أَمَرَ مَنْ نحاهم عن طريقه، وسماهم رَجُلاً رجُلاً.

فهذه من أعظم آياته، لأن الأمر إنما عُلِمَ في قصتِهم بالوحي.

﴿وَمَا نَقمُوا إلاّ أَنْ أغناهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهَ﴾.

---

(١) في الأصل ألم يأت.

(٢) في الأصل تعذيبهم.

وإنما قيل أغناهم اللَّه ورسولـه، لأن أمْوالهم كثـرت من الغنائم، فكـان سبَبَ ذلك رسولُ اللَّه ﷺ.

وقوله: ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذاباً أَلِيماً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ﴾.

معناه مُؤْلِماً.

وإنما قال في الدنيا لأنهم أُمِرَ بقتلِهم.

ويَجُوز: ﴿وما نَقِمُوا﴾.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾.

الأصل لنتصَدَّقن، ولكن التاءَ أدْغِمَتْ في الصّاد لقربها منها.

وقوله: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً في قُلُوبِهم﴾.

يجوز أن يكون «فَلَما أَتاهم مِنْ فَضلِه بخِلُوا بِه»، قال: ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ أي أضلهم اللَّه بفعلهم.

وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ مِنَ المُؤْمِنينَ﴾.

يَلْمِزُون، ويلْمُزون ـ بكسـر الميم وضمها ـ ومعنـاه يَعيبونَ وكـانوا عـابُوا أَصحاب رسول اللَّه ﷺ في صدقات أتوا بها النبي ﷺ.

يروى أن عبد الرحمن[١] أَتَى بصُرةٍ تملأ الكف، وأن رجُلاً كان يقال له أبو عقيل، أَتَى بصَاعٍ من تَمْر، فعابوه بذلك وقالوا: إن محمداً غَنِيٌّ عن صاعِ هذا وإنما أَتَى بهذا لِيُذَكِرَ بنفسِهِ.

فهو معنى ﴿والذينَ لا يجدون إلا جُهْدَهم﴾ و «جَهْدَهُمْ»، بالفتح والضم.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنهُمْ﴾.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف الصحابي الجليل أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين عينهم عمر ليختاروا خليفة منهم بعد موته.

﴿فَيسخَرونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾.

والسِخْرِيَّ[1] من اللَّه المجازاة على فعلهم وقد بينا ذلك.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُم﴾.

فيروى أن النبي ﷺ قال: أستَغْفرُ لهم أكثَرَ مِنْ سَبعين مرة فنزلت ﴿سواءٌ عَلَيْهِمْ اسْتَغْفَرتَ لَهُم أَمْ لَمْ تَستَغفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَرِحَ المخَلفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خلاَفَ رَسُولِ اللَّه﴾.

بمعنى مخالَفة رسول اللَّه.

وهو منصوب لأنـه مفعول لـه، المعنى بأن قعـدوا لمخالفـة رسول اللَّه، ويقرأ خَلْفَ رسول اللَّه، ويكون ههنا أنهم تأخروا عن الجِهاد في سبيل اللَّه.

﴿وَقَالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الحَرِّ قُلْ نَارُ جهَنَّم أَشَدُّ حَرًّا﴾.

وهذا وعيد في ترك الجهاد. ويجوز لا تنفُروا بضم الفاءِ.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾.

﴿جزاءً﴾ مفعول له، المعنى: وليبكوا جزاءً لهذا الفعل.

وقوله: ﴿وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾.

يروى أنها نزلت في عبد اللَّه بن أُبيّ، وكَانَ رأْسَ المنَافِقينَ فلما حضرته الوفاة بعث إلى رسول اللَّه ﷺ يسـأله أَحـدَ ثَوْبيْـه ليُكفَّنَ به، فبعث إليـه رسول اللَّه بأحدهما، فأرسل المنافقَ إلى رَسـول اللَّه أُريد الـذي كان يلي جلدك من ثِيَابِك، فوجه إليه رسول اللَّه ﷺ بذلك. فقيل له فيه: لم وجَّهت إليه بقميصك يكفن فيه وهو كافر، فقـال: إن قميصي لن يغني عنه شيئاً من اللَّه، وإني أؤمل من اللَّه أن يَـدْخُلَ في الإسـلام خلق كثير بهـذا السبب، فيروى أنـه أسلم من الخزرج ألفٌ لما رأوه يطلب الاستشفاءَ بثوب رسول اللَّه، وأراد الصلاةَ عَليْه.

---

(١) بكسر الراء وتشديد الياء.

فنزل الوحي عليه ﷺ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾.

ويروى أنه ﷺ صلى عليه وَإِنَّما مجاز الصلاة عليه أنه كان ظاهره ظاهر الإسلام، فأعلمه اللَّه جلّ وعزّ أنه إذا عَلِمَ منه النفاق فلا صلاة عليه ﴿ولا تقم على قبره﴾.

كان رسول اللَّه ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له.

وقوله: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾.

المعَذِّرُونَ - بتشديد الذال - وتُقْرَأُ المُعْذِرُونَ، فمن قرأ: المُعْذِرُونَ، فتأويله الذين أَعْذَرُوا [أي] جاءُوا بِعُذْرٍ، ومنْ قرأ: المعَذِّرُون بتشديد الذال فتأويله المعْتَذِرُونَ، إلَّا أن التَّاءَ أُدْغِمَتْ في الذال لقرب مخرجهما.

ومعنى المعْتَذِرينَ الذين يعتذرون، كان لهم عذرٌ أو لم يكن لهم.

وهو ههنا أشبه بأن يكون لهم عذرٌ، وأنشدوا: (١)

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

المعنى فقد جَاءَ بعذر، ويجوز المُعِذّرون - بكسر العين - لأن الأصل المعتذرون، فأسكنت التاءُ وأدغمت في الذال ونقلت حركتها إلى العَيْن فصار الفتح أولى الأشياءِ، ومن كسر العين حرك لالتقاءِ الساكنين، ويجوز المُعُذِّرُون، باتباعِ الضمةَ التي قبلَها وهذان الوجهان - كسر العين وضمها - لم يُقْرَأ بِهِما، وإنما يجوز في النحو، وهما جهتان يثقل اللفظ بهما، فالقراءَة بهما مطروحة. ويجوز أن يكون المُعذِرُونَ: الذين: يعَذِّرون، يُوهمون أَنَّ لهم عذار ولا عُذْرَ لهم.

وقوله: ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولو الطَّوْلِ مِنْهُم﴾.

---

(١) للبيد بن ربيعة العامري، يوصي ابنتيه بزيارة قبره حولاً بعد موته، ويقول ان هذا كاف. انظر ديوان حاتم حـ ٢/ ٢١، ومجاز أبي عبيدة حـ ١/ ١٦، والقرطبي ١/ ٨٦.

قيل ﴿أُولو الطول﴾ [هم] أُولو الغِنى، وقيل أُولو الفَضْـلِ في المعنى والرأْي والجاه.

والطَّوْلُ الفضل في القدرة على هذه الأَشياءِ.

وقوله: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الخَوالِفِ﴾.

الخـوالف: النساءَ، وقـد يجـوز أن يكـون جمـع خـالفـة في الـرجـال. والخـالف الذي هـو غير مُنْجِب. ولم يـأْت في فاعـل فواعـل إلا في حرفين، فارس وفوارس، وهالك، وهوالك.

وقوله: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾.

هؤُلاءِ أعراب كانوا حول المدينة، فكفرهم أَشدُّ لأَنهم أَقسى وأَجفى من أَهل المدَرِ، وهم أَيضاً أَبعد من سماع التنزيل وإنذار الرسول.

وقوله: ﴿وَأَجدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِه﴾.

«أن» في موضع نَصْبٍ، لأن البـاءَ محذوفـة من أن. المعنى أَجْدَرُ بتـرك العلم، تقول: أنت جدير أن تفعل كذا، وبأن تفعل كذا، كما تقول أنت خليق أن تفعل، أي هذا الفعـل ميسَّر فيـك، فإذا حُـذِفَتْ الباءُ، لم يصلح إلا بـأن، وإن أتيت بالباءِ صلح بأن وغيره، تقول أنت جدير أن تقوم وجدير بالقيام، فإذا قلت، أنَت جـدير القيـامَ، كان خـطأً، وإنمـا صلح مـع أن لأن أن تـدل على الاستقبال، فكأنها عوض من المحذوف.

وقوله: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾.

أي الموت والقتل.

وقوله: ﴿قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

فيها ثلاثة أَوْجهٍ قُرُبات بضم الرَّاءِ، وقُرْباتٌ[1] بإسكانها وقُرَبات بفتح الراءِ.

---

(١) إسكان العين لا يجوز إلا في ضرورة الشعر.

﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾.

وكذلك: وَصَلِّ عَلَيْهِمْ. معناه دعاء الرسول، قَالَ الأَعشى:

تقول بِنْتِي وقد قربت مُرْ تَحَلاً يا ربُّ جَنِب أَبي الأَوْصَابَ والوَجَعَا
عَليكِ مثلُ الذي صليت فاغتمضي عيناً فإن لجنبِ الأَرضِ مُضطجعا[1]

إن شئت قلت عليك مثلُ الذي، ومثلَ الذي، فمن قال:

«عليك مثلَ الذي صَلَّيتِ» فقد أَمرها بالدعاءِ، كأَنه قال ادعي مِثْلَ الذي دعوت، ومن قال مثلُ فالمعنى عليك مثل هذا الدعاءِ. أَي ثبت عليك مثل هذا.

وقوله: ﴿والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ والأَنصَارِ﴾.

ويجوز والأَنصارُ، فمن قال: «والأَنصْارِ» نَسَقَ عَلَى المُهَاجِرين.

المعنى: والسابقون الأَولون من المهاجرين ومن الأَنصار، ومن قال: والأنصارُ نسق به على «والسَّابِقون» كأَنه قال: «والسابقون والأَنصارُ».

وقوله: ﴿والَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

أَي من اتبعهم إلى يَوْمِ القيامة.

﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنَهُ﴾.

تأْويله: - واللَّه أَعلم - أَنَّ اللَّه رَضِيَ أَفعَالَهم، وأَنهم رضوا ما جازاهم اللَّه به.

وقوله: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرابِ مُنَافِقُونَ، وَمِنْ أَهْلِ المَدِينةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾.

---

(١) تقدم البيت الثاني في الجزء الأول ويروى الأول - وقد قربت راحلتي - أي عزمت على السفر وأعددت ناقتي للسير وانظر ديوانه ص ٨٦.

مقدَّم ومؤخر، مَرَدُوا متصل بقوله منافقون.

﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾.

أي سنعذبهم بالإنفاق وبالفعل، وقيل بالقَتْل وعذابِ القَبْر.

﴿ثمَ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيم﴾.

أي يُعذبون في الآخرة.

وقوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِيهِمْ بِهَا﴾.

يصلح أن تكون تطهرهم بها نعْتاً للصدقة، كأنه قال: خذ من أموالهم صدقة مطهرة، والأَجْودُ أن يكونَ تطهرهم للنبي ﷺ.

المعنى خذ من أموالهم صدقة فإنك تطهرهم بها، ويجوز «تطهرْهُمْ» بالجزم على جواب الأَمْر. المعنى إن تأْخذ من أموالهم تطهرهم وتزكِّهمْ. ولا يجوز في القراءَة إلا بإثبات الياءِ في تزكيهم، اتباعاً للمصحف.

﴿وَصَلِ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنُ لهُمْ﴾.

أي ادع لهم. و«سَكَنٌ».

(أي) يسكنون بها.

وقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويأْخذ الصَّدَقَاتِ﴾.

تأْويله ويقْبَلُ الصَّدَقَاتِ، وكذلك ما يروى «إِنَّ الصَّدَقَةَ تقع في يد اللَّه جلّ وعزّ تأْويله أن الصَّدَقَةَ يتقبَّلُها اللَّه جلّ ثناؤه ويضاعف عليها.

وقوله جلّ وعزّ ﴿وآخَرُونَ مُرْجَأُونَ لأَمْرِ اللَّه﴾.

معنى مُرجَأُونَ - مؤخرون. يقال أرجأْتُ الأَمْرُ، إذا أَخَّرْتَهُ.

ويقرأ ﴿مُرْجَوْنَ﴾ على أَرْجَيْتُ. و ﴿آخرون﴾ عطف على قوله: ﴿ومِمَّنْ حَوْلكم مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونِ وَمِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ﴾ المعنى من أهل المدينة منافقون ومنهم آخرون مُرْجَوْنَ.

ويقال إنهم الثلاثة الذين خُلِّفُوا

﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾.

«إمَّا» لوقوع أحد الشيئين، واللَّه عزّ وجلّ عالم بما يصير إليه أمرهم، إلا أن هذا للعباد، خوطبوا بما يعْلَمُونَ، فالمعنى لكنْ أمرهم عندكم على هذا في الخوف والرَّجَاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً﴾.

«الذين» في وضع رَفع، المعنى ومنهم الذين اتَخذُوا مَسْجداً ضِراراً.

انتصب [ضراراً] مفعولاً له. المعنى اتخذوه للضرار والكفر والتفريق والإرصاد. فلما حُذِفتِ اللام أفضى الفعلُ فنصبَ، ويجوز أن يكون مصدراً محمولاً على المعنى، لأن اتخاذهم المسجدَ على غير التقوى معناه ضارُّوا به ضِراراً.

وتفسير الآية أن قوماً من منافقي الأنصار أرادوا أن يفرقوا عن النبي ﷺ من يصلي معه من المؤْمنين فاتخذوا مَسْجِداً يقطعون به المؤْمنين والنبي ﷺ عن مَسْجِد قُباءَ.

﴿وَإِرْصَاداً لمَنْ حَارَبَ اللَّه وَرَسُولَه مِنْ قَبْلُ﴾.

كان رجل يقال له: أبوعمرو[1] الراهب حَارَب النبي ﷺ ومضى إلى هِرَقْلَ، وكان أَحَدَ المنافقين، فقالوا نبني هذا المسجد وننتظر أبا عَامِرٍ حتَّى يجيءَ، فيصلي فيه، فالإرصادَ، الانتظار.

(١) في كتب التفسير أنه رجل يقال له أبو عامر. قال ابنوا مسجداً واستمدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر فآتِ بجند من الروم تخرج محمداً وأصحابه، فلما فرغوا منه جاءوا إلى النبي يطلبون أن يصلي فيه وكان على جناح سفر لغزوة تبوك، فلما رجع من سفره أتاه خبر المسجد فأمر بهدمه. وسمي مسجد الضرار.

واتخذوا هذا المسجدَ مُضارَّةً وكُفْراً، لأنّ عِنادَ النبي ﷺ كفر وأَطْلَعَ اللَّه نبيه ﷺ على طَوِيَّتهِمْ، وعلى أنهم سيحلفون كاذبين، فقال جلّ وعزّ:

﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الحُسْنَى، واللَّهُ يَشْهَدُو إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

وكانوا دعوا النبي ﷺ ليصَلِّيَ فيه فأنزل اللَّه جلّ ثناؤه:

﴿لَا تَقُم فِيهِ أَبَداً﴾.

ثم بين اللَّه عزّ وجلّ: أيُّ المسجدين أحقُّ بالقيام فيه فقال:

﴿لَمَسْجِدٌ أُسِسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾.

يعني به مسجد قُبَاءَ.

﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾.

«وَأَنْ» في موضع نصبٍ، المعنى: لـمسجد أُسس على التَّقوى أحق بأن تقوم فيه.

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَّهرُوا﴾.

يـروى أن النبي ﷺ وقف بـاب المسجـد فقـال: إنَّ اللَّهَ أحسن عليكم الثناءَ في طَهوركم فبِمَ تَطَّهَّرون؟ فقـالوا نغسـل أثر الغـائط بالمـاء. وهَؤلاء قومٌ من الأنصار.

وقوله: ﴿أفمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانهُ﴾.

ويجوز أفمَنْ أُسِّسَ بُنْيانُه، ويجوز أفمن آسَاسُ بنيانِه ويجوز أفمن أُسُسُ بنيانِه.

فأما أَسَّسَ بنيـانَهُ، وأُسِّسَ بُنْيـانُه، فقـراءَتان جَيِّـدَتان، والـذي ذُكِرَ غيـر هاتين جائزٌ في العربية، غير جائز في القراءَة، إلا أن تثبتَ به رواية.

المعنى أن من أُسس بنيانه على التقوى خير ممن أَسَّسَ بُنْيَانَهُ على الكفر فقال: ﴿عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾.

وشفا الشيء حَرْفُه وحدُّه، والشفا مقصور يكتب الألف ويثنى شفوين، ومعنى ﴿هَارٍ﴾ هَائِرٌ وهذا من المقلوب، كما قالوا في لاث الشيءُ إذا دار فهوَ لاثٍ والأصل لَائِث وكما قالوا شاك السلاح وشائك، قال الشَّاعِر:(١)

فتعرّفوني إنني أناذاكم   شاكٍ سلاحي في الحوادثِ مُعْلِمُ

وكما قال العجاج:

لَاثٍ بـه الأشَـاءُ والعُبْـرِيُّ(٢)

الأَشَاءُ النخل، والعُبْرِيّ السِّدْرُ الذي على شاطئ الأنهار ومعنى لاثٍ به مطيف به.

﴿فانْهارَ بِه في نَارِ جَهَنَّم﴾.

وهذا مثل، المعنى أن بناءَ هذا المسجد الذي بني ضراراً وكفْراً كبناء على جَرْف جهنم يتهور بأهله فيها.

وقوله: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

قال بعضهم لا يزال كفراً، وقال بعضهم لا يزال شكاً. والرِّيبة من الرّيب، والرَّيْبُ: الشَّكُ.

فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أن بناءَهم لا يزالون شاكّين فيه، وجائز أن يكون اللَّه جلّ ثناؤه جعل عقوبتهم أنْ أَلْزَمَهُمْ الضلال بركوبهم هذا الأمر الغليظ.

﴿إلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قلُوبُهُمْ﴾.

---

(١) هو طريف بن تميم العنبري من الشعراء الفرسان الجاهليين والبيت في اللسان (علم) وانظر الأصمعيات ١٢٨ وكتاب سيبويه ١٢٩ (بولاق) اللسان (علم).

(٢) والعبري شجر السدر ينبت على عبر النهر وسمي عبرياً نسبة إلى عبرة ـ وقيل هو ما لا ساق له منه وإنما يكون ذلك فيما قارب العبر وقيل هو ما شرب الماء، وما لا يشرب هو الضال. والبيت في القرطبي ٨/٢٣٧ ومجاز أبي عبيدة١/ ٢١٩، واللسان (عبر ـ لثى).

ويجوز: «إلاَّ أنْ يَقْطِعَ قُلوبَهم» معنـاه إلا أنْ يَموتـوا، وقال بعضهم: إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبُهم ندماً وأسَفاً على تفريطهم.

وقوله: ﴿إنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أنفسَهُمْ وَأمْوَالَهُمْ بِأنَّ لَهُمْ الجنَة﴾.

يروى: أنه تاجرهم فأغلى لهم الثمن (١).

وهـذا كما قـال: ﴿أولَئِكَ الَّـذِينَ اشْتَرَوُا الضَّـلاَلَـةَ بِـالهُـدَى فَمَـا رَبحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾(٢).

﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيَقْتُلُونَ ويُقْتَلُون وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا﴾.

بالمعنى(٣) لأن معنى قوله: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّة﴾، وعدهم الجنّة وعْداً عليـه حَقًّا.

ولو كانت في غير القرآن جاز الرفع على معنى ذلك وعد عليه حقٌّ.

وقوله: ﴿فِي التَّورَاةِ والإنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾.

يَدُلّ أنّ أهل كُلِّ مِلَّةٍ أُمِروا بالقتال وأُوعدوا عليه الجنّة(٤).

وقوله: ﴿التَّائِبُون الْعَابِدُونَ﴾.

يصلح أن يكون رفعه على وجوهٍ أحدها المدحْ كأنه قال هؤلاءِ التائبون، أو هم التائبون. ويجـوز أن يكون على البـدل. المعنى يقاتـل التائبـون، وهذا مذهبُ أهْلِ اللُّغة.

قال أبو إسحاق: والذي عندي واللَّه أعلم أن قـوله: التـائبون العـابدونَ رفع بالابتـداءِ، وخبرُه مُضمـرَ، المعنى التائبـون العابـدون إلى آخر الآيـة لهم الجنة أيضاً، أي من لم يجاهِده غيرَ معانِدٍ ولا قَاصِد لتَرْكِ الجهـادِ، لأن بعض

(١) أي يروى في شرح الآية وتفسيرها. (٢) سورة البقرة آية ١٦.

(٣) أي «وعدا» مفعول مطلق بالمعنى.

(٤) أي وعدوا الجنة من اللَّه جزاء عليه، وأوعد تستعمل للتهديد لا لجزاء الخير.

المسلمين يجزى عن بعضٍ في الجهاد. فمن كانت هذه صفته فَلَهُ الجَنَّةُ أيضاً.

التائبون الذين تابوا من الكُفْرِ، والعابدون: الذين عبدوا اللَّه وحدَه، والراكعون السَّاجدُونَ الذين أَدّوا ما افترض اللَّه عليهم في الركوع والسُّجُودِ.

﴿الآمِرُونَ بالْمَعْرُوفِ﴾.

الآمِرُونَ بالإيمانِ باللَّهِ.

﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾: عن الكفر باللَّه.

ويجوز [الآمرون] بجميع المعروف، الناهون عن جميع المنكر.

﴿والحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾.

القائمون بما أَمر اللَّه به.

وقوله: ﴿السَّائِحُونَ﴾.

في قول أهل اللغة والتفسير جميعاً: الصائمونَ. ومَذْهَبُ الحسن أنهم الذين يصومون الفرض، وقد قيل إنهم الذين يديمون الصيام، وقول الحسن في هذا أَبْيَنُ.

وكذلك ﴿الراكعون السَّاجِدُون﴾ عند الحسن هم الذين يُؤَدُّونَ ما افتُرِضَ عليهم في ركوعهم وسجودهم.

وقوله: ﴿مَا كَانَ للنَّبِيِّ والَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا للمُشْرِكِينَ، وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾.

يروى أَن النبي ﷺ عرض على عَمِّه أَبي طالب الإِسْلَامَ عند وَفاتِه، وذكر له وجُوبَ حَقِّه عَليه، فَأَبَى أَبُو طَالبٍ فقال النبي ﷺ: لأَستغفرنَّ لك حتى أُنْهَى عن ذلك، ويروى أنه استغفر لأُمِّه، ويروى أنه استغفر لأَبيه، وأن

المؤمنين ذكروا محاسن ابائهم في الجاهلية وسألوا أن يستغفروا لآبائهم لما كان من محاسنَ كانت لهم[1]، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك لا يجوز فقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾

أي من بعد ما تبين لهم أنهم ماتوا كافرين.

ثم أعلم جلّ وعزّ كيف كان استغفار إبراهيم لأبيه فقال:

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾.

فيروى أنه كان وعده أن يستغفر له أيام حياته، ويروى أن أبا إبراهيم كان وعد إبراهيم أن يُسْلم إن استغفر له، فلما تبين له إقامته على الكفر تبرّأ منه. وقال اللَّه تعالى: ﴿قَدْ كَانَت لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[2].

أي تأسَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ فِي هذا القول.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.

يروى أن عمر سأل النبي ﷺ عن الأوّاه، فقال: الأوّاه الدَّعَّاءُ، والأوّاهُ فِي أكثر الرّوَاية الدَّعَّاءُ ويروى أن الأواه الفقيه، ويروى أن الأوَّاهَ المؤمن بلغة الحبشة، ويروى أن الأواه الرحيم الرفيق.

قال أبو عبيدة: ﴿الأواه﴾ المتأوّهُ شَفَقاً وفرقاً المتضرع يقيناً، يريد أن يكون

---

(١) سألوا النبي الإذن لهم في ذلك. وهذا الوجه غير جيد، لأن الذين ماتوا قبل البعثة غير معذبين.

(٢) سورة الممتحنة من الآية ـ ٤.

تضرعه على يقين بالإجابة ولزوماً للطاعة، وقد انتظم قولُ أبي عبيدَةَ أكثرَ ما رُوِي في الأَوَّاه وأنشد أبو عبيدة(١):

إِذَا مَا قُمتُ أَرْحَلُها بليل تأَوَّه آهَةَ الرَّجُلِ الحزِينِ

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾.

يروى أنه لما نزل تحريم الخمر ووقعت الحدود قال المسلمون فيمن مات قبل ذلك ولم يدرك التحريم اسألوا عن حالهم، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أنه لا يؤاخذهم بِمَا حَرَّم مما لم يحرَّم عَلَيْهِم. وجائز أن يكون: إذا وفَّقَ اللَّه للهداية فلا إضلال بعدَهَا، لأن من يهد اللَّهُ فلا مُضِلَّ له.

وقوله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارَ الَّذِينَ اتبعُوه فِي سَاعَةِ العُسْرَةِ﴾.

معناها في وقت العُسْرَةِ، لأن السَّاعَةَ تقعُ على كل زمانٍ، وكان في ذلك الوقت حر شديد، وكان القوم في ضيقة شديدة، وكان الجمل بين جماعة يَعْتَقِبُونَ عليه، وكانوا من الشدَّة والفقْر ربّما اقتسم الثمرةَ اثنان وربما مصَّ الثمرة الجماعة ليشربوا عليها الماءَ، وربما تَحرَّوْا الإبل فشربوا من ماءِ كُرُوشِهَا(٢) من الحرِّ.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنه قد تاب عليهم من بعد ما كاد يَزِيغُ قُلوبَ فريق منهم، أي من بعد ما كادوا يَقْفِلون مِنْ غَزْوَتِهِم للشدَّةِ، ليس أنه يزيغ عن الإيمان، إنما هو أن كادوا يرجعون فتاب اللَّه عليهم بأن أَقْفَلهم من غَزْوَتِهِمْ.

---

(١) للمثقب العبدي يتحدث عن ناقته، والقصيدة في ديوانه ـ ٥ وانظر شرح المفضليات ٥٨٦ ومجاز أبي عبيدة ١ ـ ٢٤٧ ـ ويرحلها أي يضع عليها الرحل ـ فهي تشكو كثرة أسفاره.

(٢) من الماء الذي في أكراشها.

وقوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

على نسق الكلام يدل على أنهم أُمِروا بأن يكونوا مع النبي ﷺ في الشدة والرخاءِ، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ على هذا قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾[1].

وقد رويت عن بعضهم «مِنَ الصادِقِينَ» والمعنى واحد، ويجوز أن يكون ممن يصدق ولا يكذب في قول ولا فعل.

وقوله: ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾.

الظمأ العطشُ، والنصَب: التعَبُ.

﴿ولا مخمصةٌ﴾: المخمصة: المجاعة، فأعلم اللَّه أنه يجازيهم على جميع ذلك، وأنه يكتب لهم عَمَلاً صالحاً.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾.

هذا لفظ خبر فيه معنى أمر كما كان﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾والمعنى أنهم كانوا إذا كانت سَرِيةٌ نفروا فيها بأجمعهم، فأعلم اللَّه جلّ وعزّ أنه ينبغي أن ينفر بعضهم ويبقى مع النبي ﷺ بعضٌ لئلا يبقى وحدَه، ولئلا يخلو من خرج منهم من فائدة منه، فقال جلّ وعزّ:

﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾.

المعنى أنهم إِذَا بَقِيَتْ منهم بحضرة النبي ﷺ بقية فَسَمِعُوا منه وَحْياً أَعْلَمُوا الذين نفروا ما علموا فاستوَوْا في العلم، ولم يخلوا منه.

وجائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون هذا دليلاً على فرض الجهاد يجزى الجماعةُ فيه عن الجماعَة.

---

(١) سورة الأحزاب من الآية: ٢٣.

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾.

﴿غلظة﴾ فيها ثلاث لغات غِلْظَة، وغُلْظَة، وغَلْظَةً.

فهذا دليل أنه ينبغي أن يُقَاتِلَ أهلُ كُلِّ ثغرٍ الـذِينَ يَلُونَهُمْ وقيل ان هـذا يعنَى به العربُ، وقيل إن النبي ﷺ كانَ رُبَّما تخطى في حربه الـذين يَلُونه من الأعداءِ ليكون ذلك أهيبَ له فأمر بقتال من يليه لِيُسْتَنَّ بذلك.

وقوله: ﴿واعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

أي اللَّهُ آمرٌ مَنْ نَصَرهُ بالحرب.

وقوله: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾.

المعنى: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا، ويقال إنهم هم المرجَوْن لأمر اللّه.

وقوله: ﴿وإذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أيُّكُمْ زادَتْهُ هَذِهِ إيماناً﴾.

وأضاف الإيمان إلى السُّورةِ لأنه يزيدُ بسببها.

وقوله: ﴿وَأمَّا الذِين في قُلُوبهِمْ مَرَضٌ﴾.

أي شك ونفاق.

﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ﴾.

أي زادتهم كُفْراً إلى كُفرهم، لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم.

وقـوله: ﴿أوَلا يَـرَوْنَ أنَّهُمْ يُفْتَنُـونَ فِي كُـلِّ عَـامٍ مَـرَّةً أوْ مَـرَّتَيْنِ﴾: معنـاه يُخْتَبَرُونَ في كل عام، وقيل يُختبرون بالدعاءِ إلى الجهـاد، وقيل يختبـرون أنه ينزل عليهم العذاب والمكروه.

وقوله: ﴿وَإذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ﴾.

يقولون ذلك إيماء لأنهم منافقون لا يظهرون ذلك.

﴿هَلْ يَراكُمْ مِنْ أحَدٍ﴾.

يقولون ذلك اسْتِسْراراً وتَحَذُّراً من أن يُعلِمَ بِهمُ اللَّه -عزّ وجلّ- [وهو] أعلم.

﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا﴾.

أي يفعلون ذلك وينصرفون، فجائز أن يكون ينصرفون عن المكان الذي اسْتَحقُوا فيه، وجائز أن يكون ينصرفون عن العمل بشيء مما يستمعون.

﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي أَضلهم اللَّه مُجازَاةً على فعلهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

أي هو بَشَرٌ مثلكم. أي فهو أوكد للحجَّة عليكم لأنكم تفهمون عمَّن هو مثلكم.

وجائز أن يكون عنى به أنه عربي كما أنكم عربٌ، فأنتم تَخْبُرونَه وقد وقفتم على مذهبه.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

أي عزيز عليه عنتكم، والعنتُ لقاءُ الشِّدةِ.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾.

أي حريصٌ عَلَى إيمَانِكم.

﴿فَإِنْ تَوَلوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾.

أي الذي يكفيني اللَّه.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾.

والعظيمُ ههنا جائزان.

* * *

وقوله: ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾(١).

---

(١) رجوع إلى الآية ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾.

دخلت «مِنْ» في الزمان، والأَصل مُنْذُ ومُذْ، هذا[1] أكثَرُ الاستعمال في الزمان، و «من» جائز دخولها لأَنها الأَصل في ابتداءِ الغاية والتبعيض. ومثل هذا قول زهير:[2]

لمن الـديـار بقنـة الحجـر   أَقـوين مِنْ حِجَـج ومن شهـر

وقيل إن معنى هذا مِنْ مَرِّ حِجج ومن مَرِّ شَهْرٍ.

---

(١) في الأصل هذه. أي وهذه العبارة.

(٢) القصيدة في ديوان زهير ص ٨٩. ويروى البيت:

أقوين مذجحج ومذدهر.

الـفـهارس

١ ـ بحوث لغوية ونحوية وتفسيرية.
٢ ـ الشواهد الشعرية.
٣ ـ أنصاف الأبيات.
٤ ـ تراجم.
٥ ـ فهرس الكتاب.

بحوث لغوية ونحوية وتفسيرية

الشواهد الشعرية

أنصاف الأبيات

تراجم

فهرس الكتـاب

الفهـارس :

مَعَانِي القُرآنِ وَإعْرَابُهُ

لِلزَّجَّاج

أبي إسْحٰق إبْراهيم بن السَّرِي

المتوفى سَنَة ٣١١ هـ

شَرحُ وتحقِيق

دكتور عَبد الجليل عَبدُه شلبي

الجزءُ الثالِث

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣

تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سورة يونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿الٓر تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ﴾.

قد بيَّنا في أول البقرةِ ما قيل من ﴿الٓر﴾ وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾.

أي الآياتِ التي جرى ذِكرُها هِيَ آيابَتُ الكِتاب الحكيم.

وقوله: ﴿أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أن أوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾.

يعنى بالناس ههنا أهل مكة، ويروى أنهم قالوا: العجب أن اللَّهَ لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلَّا يتيمَ أبي طالب[١]، وجائز - واللَّه أعلم - أنهم عجبوا من أن النبي ﷺ أنذرهم وبَشَّر الذين آمنوا، والإنذار والبِشَارَةُ مُتَّصِلَان بالبعث والنشور، فعجِبوا أَنْ أَعْلَمَهُمْ أنهم يبعثون. ويجازَوْنَ بالحسنة والسَّيئةِ. فقال: ﴿أَكَانَ للنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَن أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشرِ الَّذِينَ آمَنوا أنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

فموضع «أَنْ» الأُولى رفع، المعنى: أكان للناس عَجباً وَحْيُنَا وموضعُ «أن» الثَّانيةِ نصبٌ بـأَوْحَيْنَا[٢]، وموضع «أنّ»[٣] المشددة نصب ببَشِّرْ، والقراءة

---

(١) كان النبي (ﷺ) يسمى يتيم أبي طالب لأنه تربى في حجره بعد وفاة جدّه - وظل هذا الاسم يطلق عليه حتى بعد بلوغه سن الرشد ودرجة الرجولة.

(٢) أي أوحينا إليه إنذار الناس.

(٣) يعني «أن» من: ﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق...﴾.

الفتح، ويجوز كسرها: «وبشر الذين آمنوا إِنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ»، لأنَّ البِشارة قول، فالمعنى: قُلْ لَهُمْ إِنَّ لهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِهِّمْ ولكنَّه لا يُقْرأُ بِهَا إلا أَن تثبُتَ بها روايةٌ لأن القراءةَ سنةٌ(١).

وَالقَدَمُ الصِّدْقُ: المنزلة الرفيعة.

﴿قال الكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْر مُبِينٌ﴾ - وَ ﴿لَسَاحِرٌ مبِينٌ﴾ - جميعاً(٢).

وإنما قالوا «لسحر مبين» لَمَّا أنذرهم بالبعث والنشور.

وقـوله: ﴿إِنَّ رَبَكُمُ اللَّهُ الَّـذِي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ في سِتَّـةِ أَيَّـامٍ ثُمَّ آسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ يُدَبِّر الأَمْرَ﴾.

أعلمهم أنَّ الَّذِي خَلَق السَّمَوٰاتِ والأَرْضَ وَقُدْرَتُه هـذه القُدرَةُ قـادِرٌ على بَعْثِهِمْ بعْدَ مَوْتِهم.

وقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾.

ولم يجر للشفيع ذكر قبل هـذا، ولكن الذِينَ خُـوطِبُوا كـانوا يقـولون إنّ الأصنامَ شُفَعَاؤُنا عندَ اللَّهِ، فالذِّكْرُ جرى بعدُ في الشُّفَعَاء. فقوله: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إلاَّ مِنْ بَعْـدِ إِذْنِهِ﴾، أي لَا يَشفَـعُ شَفِيـعٌ إلاَّ لِمَنْ ارْتَضى اللَّهُ. قـال اللَّه - جلَّ وعزَّ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾(٣) ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبَّكُمْ فَاعْبُدُوهْ﴾.

أي فاعبدوه وحده.

وقوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَميعاً﴾.

---

(١) الأولى أن تكون كسرها لأن الجملة مستأنفة، ويكون المبشر به غير مذكور والتقدير قدم البشـارة للمؤمنين، لا ريب أن لهم قدم صـدق عند ربهم وحـذف المبشر به يؤذن بعمـومه، ويجعـل النفس تذهب فيه كل مذهب.

(٢) أي قرىء بهما جميعاً. وقراءة حفص عن عاصم لساحر.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

يـــدُلّ على أنَّ الأمْـرَ في العَجَبِ كــان في البَعْثِ والنُّشُـورِ. ﴿جَميعـا﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾.

﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ منصوبٌ على معنى وَعَدَكُم اللَّهُ وَعداً، لأن قوله: ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ معناه الوعدُ بالرُّجوع، وَحَقاً منصوب على أُحُقُّ ذلك حَقًّا (١).

ويجوز من غير القراءة وَعْدُ اللَّهِ حقٌّ.

﴿إنَّهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾.

قرئت ﴿إنَّه يبدأ الخلق ثم يُعيدُه﴾، وقرئت أَنَّه ـ بفتـح الألف وكسرهـا، جميعاً(٢). كثيرتان في القراءة، فمن فتح فالمعنى: إليـه مَرْجعُكم جميعـاً لأنه يبـدأ الخلق، ومَنْ كَسرَ كَسـرَ على الاسْتِئْنَافِ والابْتِدَاءِ. ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّـذِينَ آمَنُـوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالقِسْطِ ﴾.

أي بالعدل.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً والقَمَر نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ﴾.

وقدَّره يَعْنِي القَمَرَ، لأنـه المقدَّرُ لِعِلْمِ السِّنين والحسـاب، وقد يجـوز أن يكـون المعنى وقدّرهمـا منازل فحـذف أحدهمـا اختصـاراً وإيجـازاً كمـا قـال الشاعر(٣):

نحن بمـا عنـدنـا وأنت بمـا   عندك راض والـرأي مختلف

(١) يقتضي هذا الشرح أن هناك وجهين في نصب «حقـاً» ـ أن يكون منصـوباً بـوعد ـ عـلى أنه صفـة للمصدر المحذوف، والتقدير وعدكم وعداً حقاً، أو أن يكون منصوباً بفعل محذوف تقديره أحق ـ فيكون «حقاً» هو المفعول وليس صفة له.

(٢) وعلى الفتح هي بدل من الوعد الحق وعلى الكسر تكون الجملة مستأنفة.

(٣) تقدم جـ ٢ ٤٤٥.

وقوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾.

معنى ﴿دعواهم﴾ دعاؤهم، يعني إن دعاء أهلِ الجنة تنزيه اللَّه وتعظيمه.

﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾.

جائز أن يكون ما يُحَيِّي به بعضهم بعضاً سلام، وجائز أن يكون اللَّه يحييهم منها بالسلام.

﴿وآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

أعلم اللَّه أنهم يبتدئون بتعظيم اللَّه رب العالمين.

وَ ﴿أَنِ الحمدِ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ - بالتخفيف - على حذف أَنَّ الشديدة[1] والهاء، والمعنى أنه الحمد للَّه رب العالمين.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالخَيْرِ﴾.

يُروَى أنهم لَوْ أُجِيبُوا في الدُّعَاءِ على أنفسهم وأهليهم، كقول الرَّجُلِ لابنه وحميمه: أماتَكَ اللَّهُ، وفعل بك كذا وكذا. وجائز أن يكون عنى قوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[2]، وما أشْبَهَ ذِلِكَ فلو عجل اللَّه ذلك كما يُعجّلُ لَهُم الخيرَ لأَهْلَكَهُمْ بِهِ.

ونصب ﴿استعجالهم﴾ على مثل[3] استعجالهم بالخير، [أي] على نعت مصدرٍ محذوف. والمعنى وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ للنَّاسِ الشَّرَّ تَعْجيلاً مثل استعجالهم بالخير، ﴿لَقُضِيَ إِلَيهِمْ أَجَلُهُمْ﴾.

وَيقرأ: لقَضَى إليهم أَجَلَهم جميعاً، جَيِّدَتَانِ[4]، وَلَقُضِيَ أحسنهما، لأن

---

(١) أي على تخفيفها وحذف اسمها.

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٢.

(٣) أي على تقدير مثل محذوفة.

(٤) أي هما قراءتان جيدتان.

قوله: ﴿ولو يعجل اللَّه للناس الشر﴾ يتصل به ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهم﴾[1].

﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾.

الطغيان في كل شيء ارتفاعه وعُلوُّه. والعَمَهُ التَّحَيُّر، المعنى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في غُلُوِّهِمْ وكُفْرِهِمْ يتحيَّرُونَ.

وقوله:﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسانَ الضَّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً ﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - : وإذا مسَّ الإنسانَ الضرُّ من حال من الأحوال فجائز أن يكون دعانا لجنبه، ودعانا وهو سَطِيح[2]، أو دَعَانَا قَائِماً.

ويجوز أن يكون: وإذا مس الإنسانَ الضر لجنبه أو مَسَّهُ قاعداً، أو مَسَّهُ قائِماً، دَعَانَا[3].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾.

المعنى مَرَّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يُبْتَلَى، ولم يتعظ بما نَالَه.

وقوله:﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ للمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

ويجوز زَيَّن للمسرفين.

موضع الكاف نصب على مفعول ما لم يسم فاعله المعنى زُيِّنَ للمُسْرِفين عملُهم كذلك أي مثل ذلك، أي جعل جَزاءَهم الاضلالَ بإسرافهم بكفرهم.

---

(١) أي لو استجاب اللَّه دعاءهم في هذا لانتهى أجلهم تلقائياً؛ فالفعل المبنى للمجهول أولى.

(٢) أي ملقى منسطحا، ولعله يريد جالساً ليستوفي الحالات الثلاث المذكورة.

(٣) أي أن«لجنبه» يجوز أن يكون متعلقاً بمس وبدعا.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبينات وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾.

المعنى كالمعنى من قوله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾[1]. أعلم الله - جل ثناؤه أنهم لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ أَبْقَاهُمْ أَبَداً. فجائز أن يكون جَعَلَ جَزاءَهُمْ الطَّبْعَ عَلَى قُلُوبِهم، وَجَائِزٌ أن يكون أعلم ما قَدْ عَلِمَ منْهُمْ[2]. والدَّليلُ عَلَى أنه طبع على قلوبهم جَزاءً لهم قولُه: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾.

قوله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّه﴾.

[كأن] مخففة من الشديدة، المعنى كأنَّه لَم يَدْعُنَا. قالت الخنساء:

كَأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقى ... إذْ الناسُ إذاك من عزَّ بزَّا[3]

أي كأنهم لم يكونوا.

وقوله: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

موضع ﴿كَيْفَ﴾ نَصْبٌ بقوله ﴿تَعْمَلُونَ﴾ لأنها حرف استفهام، ولَا يعملُ فيها ﴿لِنَنظُرَ﴾ لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام. ولو قلت: لننظر أخيْراً تعمَلُونَ أمْ شَرًّا كان العاملُ في خيرٍ وشَيءٍ تَعْمَلُونَ[4].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾.

منصوب على الحال[5].

﴿قَالَ الذينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾.

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠١.

(٢) أي طبع على قلوبهم فلن يؤمنوا مهما عاشوا، أو هو سبحانه علم ذلك منهم وأخبر به.

(٣) تقدم جـ٢/١٢١.

(٤) الفعل ينظر معلق عن العمل بالاستفهام، والاستفهام له الصَّدارة في جملته، فما بعد كيف هو العامل فيها.

(٥) أي «بينات» حال.

لا يؤمنون بالبعث والنشور.

﴿إئتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أوْ بَدِّلْهُ﴾[1].

أي إيت بقرآنٍ لَيس فيه ذكرُ البعْثِ والنُّشور وليس فيه عَيْبُ آلِهَتِنَا.. أو «بَدِّلْه» أي أو بدل منه ذكر البعث والنشور.

﴿قُلْ مَا يَكُونُ لي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي، إنْ أتَّبعُ إلاَّ مَا يُوحَى إلَيَّ﴾ تأويله: إنَّ الَّذي أتَيْتُ به مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لا مِنْ عِنْدِي فأبدله.

﴿قُلْ لَوْشَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمراً [مِنْ قَبْلِهِ]﴾.

ويجوز ﴿عُمْراً﴾ بإسكان الميم، أي قد لبثت فيكم من قبل أن يُوحَى إليَّ لا أَتْلو كِتَاباً ولا أَخُطُّه بيميني، وهذا دليل على أنه أوحي إليَّ؛ إذْ كنتم تعرفونني بينكم، نَشأْتُ لا أقرأ كتاباً، وإخْبارِي إيَّاكُم أَقَاصِيصَ الأولين مِنْ غيرِ كِتابٍ ولا تلقينٍ يَدُلُّ عَلَى أنَّ مَا أتيتُ به من عند اللَّه وَحْيٌ.

وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ﴾.

المعنى: ما لا يَضرهم إن لم يعبدوه، ولا ينفعهم إن عبدوه.

﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ، قُلْ أتُنَبِّئُونَ اللَّه بِمَا لاَ يَعْلَمُ في السَّمَوَاتِ [وَلاَ فِي الأَرْضِ]﴾.

أي أتعبدون مَا لاَ يسمعُ ولاَ يُبصِرُ ولا يُميِّزُ، وتزْعُمون أنها تَشْفعُ عندَ اللَّه، فتُخْبِرونَ بالكَذِبِ[2].

﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾.

---

(١) أي إيتِ بقرآن آخر أو عدل في هذا القرآن بترك ما تكرهه منه.

(٢) في الأصل فتختبرون.

قيل يعنى بالناس ههنا العرب الذين كانوا على الشرك.

اختلفوا: آمن بعضٌ وكفر بعضٌ.

وقيل: ما كانَ الناسُ إلا أُمَّـةً واحدةً، أي وُلِـدُوا على الفطرة، واختلفـوا بعد الفطرة.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِك لَقُضِيَ بينَهُمْ﴾.

ويجـوز لقَضَى بينهم، أي لولا أنَّ اللَّه ـ جـل وعزّ ـ جعـل لهم أجلاً في القضاء بينهم، لفَصَلَ بينهم في وقت اختلافهم[1].

وبَيْنَ منصوبة لأنها ظرف.

وقوله: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ ﴾.

يُعنَى بالناس ههنا الكافرونَ.

وقوله: ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا ﴾.

جواب الجزاء، وهو كقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ . .﴾[2] المعنى وإن تصبهم سيئة قنـطوا، وإذا أُذقنـا النـــاس [رحمة][3] مكروا. فإذا تنـوب عن جواب الشرط كما ينوب الفعل[4].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ﴾.

ويجوز هو الذي يَسِيرُكُمْ، ولا أعلم أحَداً قرأ بها[5].

---

(١) أي في هذه الدنيا.

(٢) سورة الروم الآية ٣٦.

(٣) زيادة يقتضيها السياق وليست بالأصول.

(٤) إذا الفجائية تقع في جواب الشرط تسد مسد الفعل الذي هو جواب الشرط.

(٥) يسيركم بمعنى يسير بكم ويسيِّركم، وسار فعل لازم فوصله بالمجرور على وجه التوسع.

﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُم فِي الفُلْكِ﴾.

الفُلك يكون واحداً ويكون جمعاً، كما أن فُعْلاً في قَوْلك أُسْـدُ، جمع أَسَـدٍ، وفُعْلٌ وفَعَل من باب واحد، جاز أَنْ يَكُونَ جَمعُ الفَلَكِ فُلُكاً.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾.

ابتداءُ الكَلام خطابٌ، وبعد ذلك إخبارٌ عن غـائبٍ لأن من أقام الغـائبَ مقام مَنْ يُخَاطِبُه جاز أنْ يردَّه إلى الغائب، قال الشاعر[1]:

شـطت مـزار العـاشقين فـأصبحت عسـراً على طـلابـك ابْنَـةَ مَخْـرَمِ

ومثل الآية قول كثير[2].

أسيئي بنـا أو أحسـني لا مـلومـةً لـديـنـا، ولا مـقلـتـة إنْ تـقـلَّتِ

وقرأ بعضهم: هو الذي يَنْشُرُكُمْ.

وأكثر ما جاء في التفسير في قـوله: ﴿وَمَـا كَانَ النَّـاسُ إلاَّ أُمَّةً وَاحِـدَةً﴾ يعنى به آدم عليه السلام.

﴿فَاخْتَلَفُوا﴾: اختلف هابيل وقابيل[3].

وقوله: ﴿جَاءَتْها رِيحٌ عَاصِفٌ[4] وَجَاءَهُمُ الموْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

---

(١) من معلقة عنترة ـ البيت السابع منها ـ ورواية الزوزني له:

نَـزَلَـتْ بأرض الـزائريـن فـأصبحت

ويعني بالزائرين الأعداء جمع زائر، من زأر الأسد يزأرُ ـ أي الأعداء الأشداء. والرواية المشهورة كما هي هنا، ونبه الزوزني إلى هذا الالتفات ويستشهد به النحويون على تأنيث الفعل إذا كان الفاعل المذكر مضافاً لمؤنث، وانظر شرح العشر ٩١، ومجاز أبي عبيدة ١/٢٣.

(٢) من تائيته الشهيرة ـ انظر ديوانه ٢/٤٦ ـ وأمالي القالي ٢/١٠٩.

(٣) الأولى أن يكون المراد اختلاف الناس عامة، واختلاف ولدى آدم كان فقط بداية الخلافات.

(٤) في وصف الريح بالمذكر انظر ما سبق.

المعنى من كل أمكنة الموج.

﴿وَظَنُّو أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾.

يقال لكل من وقع من بلاء[1] قد أحيط به، أي أحاط به البلاء وَقيل أحاطت بهم الملائكة.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ في الأَرْضِ﴾.

المعنى فلمَّا أنجاهم بغَوْا، والبغي التّرامي في الفساد. قال الأَصْمَعِي: يقال بغى الجَرْحُ يبغي بَغْياً إذا ترامى إلى فَسادٍ، وبغت المرأة بِغَاءً إذا فَجَرَتْ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

وتقرأ ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾، خبراً لقوله: ﴿بغيكم على أنفُسِكمْ﴾. ويجوز أن يكون خبر الابتداء ﴿على أَنْفُسِكم﴾. ويكون ﴿متاعُ الحياة الدنيا﴾ على إضمار هو، ومعنى الكلام أن ما تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾.

ومن نصب ﴿متاعَ الحياة الدنيا﴾ فعلى المصدر، المعنى تتمتعون متاع الحياة الدنيا، لأن قوله إنما بغيكم عَلى أَنفسكم يدل على أنهم يتمتعون[2].

ومعنى ﴿بغيكم على أنفسكم﴾ أي عملكم بالظلم عليكم يرجع[3]، كما قال جل وعزَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْها﴾[4].

وقوله: ﴿حَتَّى إذا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وأَزَّيَنَتْ﴾.

ويقرأ، وأَزْيَنَتْ[5].

(١) في الأصول ملأ - ولا معين له وما بعده يدل على ما صححناه.

(٢) الظاهر أن متاع مفعول لأجله. وهو في قراءة عاصم منصوب.

(٣) لا يعود إلّا عليكم. (٤) سورة فصلت الآية ٤٦.

(٥) فالهمزة للدخول في الوقت نحو أحصد الزرع، أو كما فسرها هو

والزخرف كمـال حسن الشيء، فمن قرأ.. و«ازّيَّنَتْ» فـالمعنى وتزَيَّنتْ فأدغمت التاء في الزاي، وسكنت الزاي فاجتلبت لها ألف الوصل، ومن قـرأ: «وأَزْيَنَتْ» بـالتخفيف فهو على أفعلتْ أي جـاءت بالـزينة، وازّيَّنتْ بـالتشـديـد أجود في العربية، لأن أَزْيَنَتْ الأجود فيه في الكلام أَزَانَتْ.

﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا أنهم قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾.

أي قادرون على الانتفاع بها.

وقوله:﴿كأَنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ﴾.

أي كأن لم تَعْمَرْ بـالأمس، والمغاني المنازل التي يعمرها الناس بـالنزول بها، يقال: غنينا بمكان كذا وكذا إذا نزلوا به.

وقوله :﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾.

السلام هو اللَّه جلّ وعزّ - فـاللَّه يدعـو إلى داره، ودارُه الجنّة، ويجــوز - واللَّه أعلم - أن يكون دار السلام الدار التي يُسْلَمُ فيها من الآفات.

وقوله:﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

الحسنى الجنة، و «زيادة» في التفسيـر النظر إلى وجـه اللَّه - جلّ وعـزّ، ويجـوز أن تكون الـزيادة تضعيف الحسنـات، لأنه قـال -جلَّ وعزّ : -﴿مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[1]. والقول في النـظر إلى وجه اللَّه كثيـر في التفسير وهو مَرْوِي بالأسانيد الصِّحاح، لا يُشَكّ في ذلك.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ﴾.

القَتَرَ الغَبَرة التي فيها سواد، ولا يَرْهق لا يَغْشَى.

(١) سورة الأنعام الاية ١٦٠.

وقوله جل وعزّ، لأهل النار: ﴿كأنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ الليل مُظْلِماً﴾.

ويقرأ قِطْعاً من الليل مظلماً من نعت القطْع، ومن قرأ قِطَعاً جعل مظلماً حالاً من الليل[1]. المعنى أُغْشِيَتْ وجوهُهُم قِطَعاً من الليل في حال ظُلْمته.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جميعاً﴾.

﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال

﴿ ثُمَّ نَقُول لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وشُرُكَاؤُكُمْ ﴾.

مكانكم منصوب على الأمر، كأنه قيل لهم انتظروا مكانكم حتى نَفْصِلَ بينكم، والعرب تتوعد فتقول مكانك[2]، وانتَظِرْ، فهي كلمة جرت على الوعيد.

﴿فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ﴾.

من قولك زِلْتُ الشيءَ عَنْ مَكانِه أَزِيلُه، وزيَّلْتُ للكثْرة، ومن هذا إذا نحيته عن مكانه.

وقوله: ﴿فَكَفَى باللَّهِ شَهيداً﴾.

معناه كفى اللَّه شهيداً، وشهيداً منصوب إن شئت على التمييز، وإن شئت على الحال.

﴿إنْ كُنَّا عَنْ عِبادَتِكُمْ لَغافِلِينَ﴾.

معناه: ما كنا عن عبادتكم إلَّا غافلين[3].

وقوله: ﴿هُنالِكَ تَبْلُو كلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ﴾.

---

(١) في الأصل: حالا من الليل مظلماً.

(٢) اسم فعل أمر

(٣) لا مجال للقصر هنا، وإنما معناه لقد كنا، فهي «إن» المخففة في خبرها لام التوكيد.

﴿هنالك﴾ ظرف،المعنى :في ذلك الوقت تبلو، وهو منصوب بتبلو إلاّ أنه غير متمكن، واللام زائدة، والأصل هناك، وكسرت اللام لسكونها وسكون الألف، والكاف للمخاطبة.

ومعنى ﴿تبلو﴾ تُخْبَرُ، أي تعلم كل نفس ما قدمت، ومثل هنالك قول زهير

هُنالِكَ إنْ يسْتَخْبِلُوا المالَ يَخْبِلوا وإن يُسْأَلُوا يُعطُوا وإن يَيسروا يُغْلوا[1]

وقرئت هنالك تَتْلو بتاءين، وفسرها الأخفش وغيره من النحويين تتلو من التلاوة، أي تقرأ كل نفس، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكُلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْناه طَائِرَهُ في عُنُقِهِ﴾ ـ إلى قوله: ﴿إقرأ كتابَك﴾[2].

وفسروه أيضاً: تَتْبَعُ كُلُّ نَفْسٍ ما أسلفت، ومثله قول الشاعر:

قد جعلت دَلْوِي تَسْتَتْلِيني ولا أحب تبع القرين[3]

أي تستتبعني، أي تستدعي اتباعي لها.

﴿وَرُدُّوا إلى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الحَقِّ﴾.

القراءة «الحقِّ» من صفة اللَّه عزّ وجلّ ـ ويجوز الحقَّ والحقُّ. والنصب

---

(١) الديوان ١١٢، واللسان (خَوَل ـ خَبَل) والقرطبي ١/٢٥٧ ومجاز أبي عبيدة ٢/١٨٨، ١٨٩، ورواية فيها جميعاً إن يُستخولوا المال يخولوا وأشار أبو عبيدة إلى الرواية التي هنا أنه سمعها من يونس وفي اللسان (خبل) الإخبال أنه يعطي الرجل البعير أو الناقة ليركبها ويجتز وَبَرَها وينتفع بها ـ يقال: أخبلت الرجل أخبله إخبالاً. وذكر البيت، وأما أن يستخولوا ـ فهي من خوله الشيء أي منحة وأباحه إياه.

(٢) الآية ١٣ ـ ١٤ من سورة الإسراء. ونصها: ﴿وكُلَّ إنسانٍ أَلزمناهُ طَائِرَهُ في عنقه ونُخْرِجُ لَهُ يومَ القِيامَة كِتاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. إقْرأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

(٣) تقدم هذا الرجز في الجزء الأول ٤٥٩.

من جهتين إحداهما رُدُّو حَقًّا، ثم أدخِلت الألف واللام[1]، ويجوز على [تقدير] هو مَوْلَاهُمُ الحقَّ، أي يحق ذلك حقاً، وفيه جهـة ثالثـة في النصب على المدح: [هي] اذكر مولاهم الحقَّ.

ومن قـرأ «الحقُّ» ـ بضم القاف ـ فعلى هـو مولاهم الحقُّ، لا من جعلوا معه من الشركاء.

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ﴾.

بعد أنْ قُرِّروا فقيل لهم:

﴿قل مَنْ يَرْزُقُكُم [مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمعَ والأَبْصَـارَ، وَمَنْ يُخْـرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ وَمَنْ يُخْـرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَيِّ ومن يُـدَبِّـرُ الأَمْـرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ]﴾.

لما خوطبـوا بما لا يقـدر عليه إلا اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ كـان فيه دليـل على توحيده[2].

وقوله:﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾.

الكاف في موضع نَصْبٍ، أي مثل أفعالهم جَازَاهُمْ ربُّك.

وقوله:﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

أي حق عليهم أَنهم لا يؤمنون، فإنهم لا يؤمنون بدل من كلمة رَبِّك.

أعلم اللَّه أنهم بأعمالهم قد مُنِعُوا من الإيمان، وجائـز أن تكون الكلمـة حَقَّت علَيْهم لأنهم لا يؤمنـون، فأنهم لا يؤمنـون بدل من كلمـة ربـك وتكـون الكلمة ما وُعِدوا به من العقاب.

---

(١) أي ردوا الرَّدّ الحقّ.

(٢) أي بعد أن ذكر لهم أن اللَّه هو المولى الحق جيء في هذه الآية بما يثبت أنه الحقُّ وحده.

وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾.

تَقُول هديت إلى الحق، وهدَيتُ الحقَّ بمعنى واحدٍ، لأن «هَدَيْتُ» يتعدى إلى المهدِيِّين وإلى الحقّ. يتعدى بحرف جر. المعنى يهدي من يشاء للحقّ.

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّن لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [أي] قَرِّرُوا، فقيلَ لهم: أيٌّ أولى بالاتباع؟ الذي يهدي أم الذي لا يَهْدِي إلَّا أَنْ يُهْدَى.

وجاء في التفسير أنه يعني به الأصنام.

وفي يهدي قراءات، قرأ بعضُهم أَمْ مَنْ لَا يَهْدِّي بإسْكان الهاءِ والدَّال، وهذه القراءة مَرْوِيَة إلا أن اللفظ بها ممتنع، فلست أدري كيف قُرِئَ بها وهي شاذّة. وقد حكى سيبويه أن مثلها قد يتكلم به(١).

وقرأ أبو عمرو بن العلاء أم لا يَهَدِّي - بفتح الهاء - وهذا صحيح جَيدٌ بالغٌ - الأصل يَهْتَدِي فأُدْغَم التاء في الدال وطرح فتحتها على الهاء والذين جمعوا بين ساكنين. الأصل عندهم أيضاً يَهْتَدِي، فأدغمت التاء في الدال وتركت الهاء ساكنة، فاجتمع ساكنان.

وقرأ عاصم أَمْ مَنْ لَا يَهِدِّي، وهي في الجودة كفتح الهاء في الجودة. والهاءُ على هذه القراءة مكسورة لالتقاء الساكنين، ورويت عن عاصم أيضاً «يِهِدِّي» بكسر الهاء والياء. أُتْبِعَ الكسرةَ الكسرةَ، وهي رديئة لنقل الكسر في الياء.

---

(١) انظر الجزء الأول ص ٩٥ وما ذكرناه في شرح البيت:

كأنها بعد كلال الزاجر ومسحه مر عقاب كاسر

وقرئت أم من لا يَهْدِي بدال خفيفة.

فهذه خمسة أوجه قد قـرئ بها هذَا الحرفُ

وقوله: ﴿فَمَالَكُمْ، كَيْفَ تَحْكُمون﴾.

﴿ما لكم﴾ كلام تامّ، كأنه قيل لهم: أي شيء لكم في عِبادَةِ الأَوثانِ، ثم قيل لهم: ﴿كيْفَ تحكُمُونَ﴾: [أي]على أي حال تحكمون، فموضع كيف نصب بتحكمون.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرآنُ أنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

هـذا جواب لقـولهم: إيتِ بِقُرآنٍ غَيْـر هَـذَا أَوْ بَـدِّلْـهُ، وجَـوَابٌ لقـولهم افتراه، والمعنى وما كان هذا القـرآن لأن يفترى من دون اللّه ويجـوزُ أن يكون المعنى: ومـا كان هذا القرآن افتراءً، كما تقول: وما كان هذا الكلامُ كِذباً.

﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بيْنَ يَدَيْهِ﴾.

وفيه وجهان أحدهما أن يكون تصديق الشيء الذي القرآن بين يديه، أي الـذي قبل سمـاعكم القرآن، أي تصـديقٌ من أنباء الأمَمِ السـالفة وأقـاصيص أنْبائِهِمْ.

ويجـوز أن يكون «ولكن تصـديق الذي بين يـدي القرآن»، أي تصـديق الشيء الذي تقدمَه القرآنُ أي يدل على البعث والنشور[1].

وقرئ ولكن تَصْدِيقُ الذي بين يديه، فمن نصب فإن المعنى ولكن كان تصديق الذي بين يديه، ومن رفع فعلى ولكن تصديق الذي هو بين يديه.

ومن رفع قال: ﴿وَتَفْصِيلُ الكِتَابِ﴾.

---

(١) ما بين يديه يجوز أن يكون الشيء الذي سبقه وتقـدّم عليه كـما يتقدم الـرجلُ الـرجُلَ، ويجـوز أن يكون الذي سيأتي لأنه مستقبل بالنسبة للقرآن فهو بين يديه.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُون افْتَراهُ﴾.

المعنى بل أَيَقُولُونَ افْتَراهُ[1] هذا تقرير لهم لإقامةِ الحجةِ عليهِمْ: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْـلِهِ﴾.

أي أتقولون النبيُّ اختلقه وأَتَى به من ذَاتِ نَفْسِه، فَأْتُـوا بسُورةٍ من مثله، أي بسورة مثل سُوَرةٍ منه، وإنما قيل مثله، يراد سُورةٌ منه لأنه إنمـا التمس من هذا شبه الجنس.

﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾.

ممن هو في التكذيب مثلكم، وإنْ خالفكم في أشياء.

﴿إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ﴾: في أَنَّه اختلقه.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا يُحِيطُوا بعِلْمه﴾.

هـذا، ـ واللَّه أعلم ـ قيل في الـذين كذَّبـوا، وهـم شَاكُّونَ ﴿وَلَمَّـا يَـأْتِهِمْ تَـأْوِيلُه﴾.

أي لم يكن معهم عِلْمُ تَأويله، وهذا دليلٌ أن علم التأويل ينبغي أن يُنْظَرَ فِيه، ويجوز أن يكون: ﴿ولَمَّـا يَـأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ لَمْ يـأْتِهِمْ ما يؤول إليـه أمرهم في التكـذيبِ به من العقـوبة، ودليـل هذا القـول: ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّـذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

كيْفَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ على خبر كان، ولا يجوز أن يعمل فيها. «انْظَر» لأن ما قبل الاستفهام لا يعمل فيه.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤمِنُ بِهِ ومِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤمِنُ بِهِ﴾.

أي منهم من يعلم أنه حق فيصدِّق به، أويعاند فيظهر الكفر،

---

(١) أم منقطعة فلا يفارقها معنى الاستفهام، والتقدير بل أيقولون.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهِ﴾: أي منهم من يشك ولا يُصَدِّقُ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾.

أي ظاهرهم ظاهر من يستمع، وهم لِشَدَّةِ عَـدَاوَتِهم وبغضهم للنبيِ ﷺ وسوء استماعهم بمنزلة الصُّم.

﴿وَلَوْ كَانوا لاَ يَعْقِلُونَ﴾.

أي ولو كانوا مع ذلك جُهَّالاً، وهل مثل قولِ الشَّاعر.

أصـم عـمـا سـاءه سـميـعُ[1]

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي العُمْيَ﴾.

أَيْ يُقْبِلُ عليك بالنظر وهو كالأعمى من بُغْضه لك وكـراهته لمـا يراه من آياتك، كما قال اللَّه ـ جل ثناؤه ـ. ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كالَّذي يُغْشَى علَيه مِنَ الموتِ﴾[2].

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كأنْ لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً مِنَ النَّهارِ﴾ أي قَرُب عندهم ما بين مَوْتِهِم وبَعْثِهِم، كما قال ـ عزّ وجلّ: ﴿لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْم﴾[3].

﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾.

يَعْرِفُ بعضهُم بعضاً، وفي معرفة بعضِهِم بعضـاً وعلم بعضهم بإضـلال بعض، التوبيخُ لهم وإثباتُ الحجَّةِ عَلَيْهِمَ.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾.

يجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون هَـذا إعْلَامـاً من اللَّه ـ جَلَّ وعَـزَّ ـ بعد أن

---

(١) تقدم في الجزء الأول. ٨٢، ٢٤٢، ٣٦٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٩.

(٣) سورة الكهف الآية ١٩.

بيّن الدَلالة على أمْـرِ البَعْثِ والنُّشورِ، أنَّـه من كذَّبَ بَعْـدِ هذه الآيـة فقد خَسِرَ ويَجوزُ أن يكون ـ والله أعلم ـ بِتَعارُفِهِمْ بَيْنَهُم يقولون قَدْ خسر الَّذِينَ كَذَّبُوا بلقـاء اللَّه.

وقوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾.

يقال في التفسير إنّه يعنى به وَقْعَةُ بَدْرٍ، وقيـل إنَ اللَّهِ ـ جلّ وعـزّ ـ أعلم النبي ﷺ أنه ينتقم من بعض هذه الأُمَّةِ ولم يُعْلِمْـهُ أيكـونُ ذلك قبـل وفاتـه أَمْ بَعْدَهَا.

والذي تدل عليه الآية أنَّ اللَّه ـ جَل وعز ـ أَعْلمَه أنه إن لم ينتقم منهم في العاجل انتقم منهم في الآجل، لأن قوله: ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّـكَ فَإِلَيْنَـا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يدل على ذلك](١).

وقد أعلم كيف المجازاة على الكفر والمعاصي.

وقوله: ﴿وَلِكلِ أمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَـاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بـالقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾.

المعنى ـ والله أعلم ـ أنَّ كل رسول شَاهِدٌ على أمَّتِه بإيمـانهم وكُفْرهم. كمـا قال ـ جـلّ وعزّ ـ . . ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّةً وَسَـطاً لِتَكُونُـوا شُهَـدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾(٢)، وكما قـال جل وعزّ: ﴿وَقَالَ الـرَّسُولُ يَا رَبِّ إنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرآنَ مَهْجُوراً﴾(٣).

ويجـوز ـ والله أعلم ـ أنَّ اللَّه أعلم أنه لا يعـذِّبُ قومـاً إلَّا بعد الإِعْـذَارِ إليهم والإنذار، أي لم يعذبهم حتى يجيئهم الرسول، كمـا قال ـ جـلّ وعزّ ـ:

---

(١) ليس في الأصل خبر لأن فزدنا هذه الجملة.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٣.

(٣) سورة الفرقان الآية ٣٠.

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1]، وكَما قال: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[2].

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُم عَذَابُه بَيَاتاً أَوْ نَهاراً﴾.

البَيَاتُ كلُّ ما كان بِلَيْلٍ، وهو منصوبٌ على الوَقْتِ.

وقوله: ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

ما في موضع رفع من جهتين: إحداهما أن يكون ذَا بمعنى. . «ما الَّذِي» يستعجِلُ منه المُجرِمُونَ، ويجوز أن يكون «مَاذَا» اسماً وَاحِداً، ويكون المعنى: أي شيء يستعجل منه المجْرِمُون[3] والهاء في منه يعود على العذاب نصب، فيكون المعنى: أي شيء يستعجل المجرمون من اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ.

والأَجْوَدُ أن تكون الهاء تعود على العذاب، لقوله: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِه﴾.

وقوله: ﴿آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

المعنى: آلْآنَ تؤْمِنُونَ، فَزعمَ القرَّاءُ أن. . «آلآن» إنما هو «أَأَنْ كَذَا وكَذَا»، وأن الألف واللام دخلت على جهة الحكاية.

وما كان على جهة الحكاية نحو قولك «قام» إذا سميت به فجعلته مبنياً على الفتح لم تدخله الألف واللام.

وَ «الْآن» عِند سيبويه مبني على الفتح. نحو «نحن مِنَ الآنَ نصيرُ إليك». فتفتح لأن الألف واللَّامَ إنما تدخلُ لِعهْدٍ، و «الآنَ» لم تعهده قبل هذا

---

(1) سورة الإسراء الآية ١٥.

(2) سورة النساء الآية ١٦٥.

(3) انظر جـ ١. ١٠٥، ٢٨٧، ٢٨٨.

الـوقت، فدخلت الألفُ والـلَّامُ للإشـارة إلى الوقتِ،ة والمعنى نحن من هـذا الوقت نفعل، فلما تضمنت معنى هذا، وجب أنْ تَكُونَ موقوفة[1] ففتحت لالتقاء الساكنين، وهما الألف واللام[2].

وقوله: ﴿وَيَستَنْبِئُونَك أَحَقٌّ هو قُلْ إي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾: المعنى نعم وربي.

﴿وَمَـا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أي لستم ممن يُعْجِزُ أن يُجازَى عَلَى كُفْره[3].

﴿وَأَسَرُّوا النـدامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ﴾.

هَؤُلاء الدُّعاةُ الرؤَسَاءُ الكفرة، أسَرُّوا ندامتهم.

وقوله:﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يعني القرآنَ.

وقوله:﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّه وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.

الـلام أصلهـا الكسـر[4]. و﴿فَبِـذَلـك﴾بـدل من قـولـه.. ﴿بِفَضْـلِ اللَّهِ وبرَحْمتِهِ﴾.

وهو يدل على أنه يعني به القرآن أيضاً.

وقـولـه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَـا أَنْـزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِـنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُـم مِنْـه حَـرامـاً وحَلالاً﴾.

«مَا» في موضع نصب بأَنْزَلَ، والمعنى إنكم جعلتم البحائر والسوائب[5] حراماً واللَّه لم يُحَرِّمْ ذلك.

---

(١) مبنية.

(٢) الآن عنده مبنية، وهذا تعليل لبنائها، وهو غير جيد كما ترى.

(٣) لا تعجزون اللَّه أَنْ يُجازيَكُمْ.

(٤) لام الأمر في «فَلْيَفْرَحُوا».

(٥) البحائر جمع بحيرة والسوائب جمع سائبة، وهي أنواع من الإبل كانوا يحرمون ذبحها ـ ارجع إلى الآية ١٠٣ من سورة المائدة.

وقوله: ﴿وَمَا تكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْه مِنْ قُرآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً﴾.

أيْ أَيُّ وَقْتٍ تكونُ في شأن من عبادة اللَّه، وما تلوث بهِ ـ من الشَّأْنِ مِنْ قُرآنٍ.

﴿إِذْ تُفيضُون فِيهِ﴾:

أي إذ تَنْتَشِرُونَ فيه، يُقال: أفاض القوم في الحديث إذَا انْتَشَرُوا فيه وخاضوا.

﴿وَمَا يَعْزَبُ عنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾.

يقرأ يَعْزُبُ ويَعْزِبُ ـ بضم الزاي وكسرها ـ ومعناه ما يبْعُد، والمثقال: والثِّقْلُ في معنىً واحدٍ.

﴿وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَر﴾.

فالفتح على.. ما يعزب عن ربك من مثقال ذَرة ولا مِثْقَالٍ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ ولا أكبرَ، والموضع موضع جر إلا أنه فتح لأنه لا ينصرف. ومن رفع فالمعنى: ما يَعْزُبُ عن ربك مثقالُ ذرَّةٍ ولا أصْغَرُ من ذلك ولا أكبَرُ إلاَّ في كِتَابٍ مُبين.

والخبر قوله: ﴿إلاَّ في كِتَابٍ مُبينٍ﴾[1].

وقَولُه: ﴿لَهُمُ البُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

جاء في أكثر التفسير: البشرى، الرؤيا الصالحة يراها المؤمن في منامه، وفي الآخرة الجنة، وهو ـ واللَّه أعلم ـ أن البشرى ما بشرهم اللَّه به، وهو

---

(١) أي تمام معنى الجملة ـ وهو ليس خبراً لمبتدأ.

قوله: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾[1]، وهذا يدل عليه: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ العِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

أي لا يحزنك إيعادُهُمْ[2] وتكذيبُهم وتظاهُرهُم عليكَ.

﴿إِنَّ العِزَّةَ للَّهِ﴾.

إن الغلبة للَّه فهو ناصِرُكَ وناصر دينه.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّه مَنْ في السَّمَواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ﴾.

يفعل فيهم ما يشاء.

وقوله: ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بهَذَا﴾.

المعنى ما عندكم من حُجَّة بهذا.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

هذا وقف التمام، وقوله:

﴿مَتَاعٌ في الدُّنْيَا﴾.

مَرْفُوع على معنى ذلك متاع في الدنيا، ولو كانت نصباً لجَازَتْ، إلّا أنه لا يقرأ بها لمخالفة المصحف.

وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.

ويقرأ. فَٱجْمَعُوا أمرَكم وشُركاءَكُمْ.

زعم القُرَّاءُ أنَّ معناه: فَٱجْمَعُوا أمركم وادْعُوا شركاءكم. وهذا غلط لأن الكلام لا فائدة فيه، لأنهم إن كانوا يدعون شركاءهم لأَنْ يجمعوا أمرهم،

---

(١) سورة التوبة الآية ٢١.

(٢) وعيدهم وتهديدهم.

فالمعنى فأجمعوا أمركم مع شركائكم[١]، كما تقول لو تَرِكَتِ الناقةُ وفصِيلَها لَرَضعها، المعنى لو تُرِكَتْ مَعَ فصيلها لَرَضَعَها.

ومن قرأ ـ «وشُرَكَاؤُكُمْ» جاز أن يعطف به على الواو، لأن المنصوب قد قوَّى الكلام[٢]. لو قلت لو تُرِكْتَ اليومَ وزيدٌ لعلمت [جاز] ولو قلت لو تركت وزيدٌ لقبح، لأنك لا تعطف على الضمير المرفوع حتى تقوِّيَ المرفوع بلفظ معه.

ومن قرأ.. «وشُركاءَكم» في قوله[٣] فاْجْمَعُو أمركم ـ بوصل الألف. فنصبه على ضربين أحدهما العطف على الأمر، المعنى فاْجْمَعوا أمركم واجمَعُوا شُركاءكم، ويكون فاجمعوا مع شركائكم أَمْرَكُمْ[٤].

﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾.

أي ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً[٥]، كما قال رؤبة:

بَلْ لَو شَهِدتَ النَّاسَ إذ تُكُمُّوا
بغمة لو لم تُفَرَّجْ غُمُّوا[٦]

غُمُّوا بالمكروه، بِغُمَّةٍ، أي ما يَسْتَرهم، واشتقاق ذَلِكَ من الغَمَامَةِ التي تستُر، ويجوز ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّةً أي غَمًّا.

---

(١) بتقدير «ادعوا» يكون «شركاءكم» مفعولاً به، ودعوة الشركاء تكون أيضاً لإجماع الأمر. فأقرب من هذا أن تكون الواو للمعية أي أجمعوا أمركم مع شركائكم. هذا كلامه، والتقدير الأول يستقيم على معنى أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم ليجمعوا أمرهم.

(٢) أي وجد فاصل بين ضمير الرفع والمعطوف.

(٣) أي في القراءة التي يجعل أجمعوا من الثلاثي جمع وتنصب شركاء.

(٤) المعنى حينئذ دبروا مع شركائكم أمركم.

(٥) ليكن الرأي واضحاً وفكرتكم لا غموضَ فيها في أذهانكم.

(٦) تكُمُّوا ـ من الكمّ وهو غلاف الثمر والحب قبل أن يظهَرَ، ويقال كُمَّ الفصيلُ إذا أُشفِق عليه فسُيِّر حتى يقوى. والغمُّ والغُمَّةُ الكرب، وتُكمُّوا غُطُّوا بالغمَ.
والرجز في اللسان (غمم ـ كمم).

﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنْظِرُونِ﴾.

قرئت ثم أفضوا إلي، فمن قال: ثم اقْضُوا إليَّ فالمعنى: ثم افعلوا ما تريدون. و «ثُمَّ افْضُوا» - بالفاء - وهي قريبة المعنى منها[1].

وقوله: ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا﴾.

هذا الكلام تقريرٌ لقولهم:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ للحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾. هذا اللفظ؟ أيْ إنَّ هذا لسحر مبين. ثُمَّ قَرَّرَهُمْ فقال: ﴿«أَسِحْرٌ هَذَا»؟ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾.

والمفلح الذي يفوز بإرادته أي فكيف يكون هذا سحراً[2] وقد أفلح الذي أتى به، أي فاز، وفلح[3] في حجَّتَه.

﴿قالوا أجِئتِنا لِتَلْفِتَنا عما وَجَدْنَا عَلَيه آباءَنَا﴾.

أيْ لتَصْرِفَنَا وَتَعْدِلَنَا، يقال لفَتُّه عن الأمر ألفِتُه لَفْتاً إذا عَدَلْتُه عنه، ومن هذا قولهم التفت إليه أي عدل وجْهَهُ إليه.

﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الكِبْرِيَاءُ في الأَرْضِ﴾.

الكبرياءُ المُلكُ، وإنما سُمِيَ[4] المُلْك كبرياء لأنه أكبر ما يُطلَب من أمر الدنيا.

وقوله: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ﴾.

---

(١) أي انْتَهوا إليَّ.

(٢) المفلح الذي ينال ما يريد، والسحر أوهام وشعبذة، فكيف تسمون الحق سحراً.

(٣) الفلج هو الظفر والفوز - يقال فُلجَ الرجُلُ على خصمه يَفْلُج ويَفْلَجُ - كينصر وضرب - فَلْجاً.

(٤) في الأصل «سُمِّيتْ».

أي قال موسى: الـذي جئتم به السِّحْـرُ[1]، ويقرأ مـا جئتم به، آلسِّحرَ، والمعنى أي شيء جئتم به آلسّحرُ. هو على جهة التوبيخ لهم.

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾.

قيل إنه مكث يدعو الآباء فلم يؤمنوا، وآمنت طائفة من أَوْلادِهم.

﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾.

جـاز أن يقال مَلَئِهِمْ لأن فـرعون ذو أصحـابٍ يأتمـرون لـه، والمـلأ من القوم الرُّؤَسَاءُ الَّذِينَ يُرْجَعُ إلىَ قولِهم[2].

وقوله: ﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

أي لا تُهلكنا وتعذِّبْنا فَيَظُنُّ آلُ فـرعون إنا إنما عُذِّبْنَا لأَنَّنَا على ضلال.

وقوله: ﴿واجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾.

جـاء في التفسير: اجعلوا صـلاتكم إلى البيت الحـرام، وقيـل: اجعلوا بيوتكم قبلة أي صلوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف لأنهم آمنوا على خـوف من فرعون.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لِيَضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾.

ويقرأ لِيُضِلّوا عن سَبِيلك، [أي] إنك آتيت فرعون وملأه زينةً وأَمْوَالاً في الحياة الدنيـا فأَصَـارَهم ذلك إلى الضـلال كما قـال ـ جلّ وعزّ ـ ﴿فالْتَقَـطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُـونَ لَهُمْ عَدُواً وَحَزَناً﴾[3] أي فـالتَقَطُوهُ وآلَ أمـرُه أنْ صار لهم عَـدْوًّا وَحَزَناً، لا أنهم قصدوا إلى أن يكون لهم عدواً وحزناً.

﴿رَبَّنَا اطْـمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾.

---

(١) تتم الجملة بهـذا، فكلمة السحـر خبر، وجملة إن الله سيبـطله مستأنفـة، وعلى الـوجه الثـاني يتم المعنى عنـد «ما جئتم بـه» فتكون استفهاماً و«آلسحر»، جملة ثانية استفهامية أيضاً.

(٢) اي على خوف منه ومن الملا.

(٣) سـورة القصص الآية ٨.

جاء في التفسير أي اجعل سُكَّرَهُمْ حجارة[1]. وتأويل تطميس الشيء إذهابُه عن صورتِه والانتفاعِ به على الحال الأولى التي كان عليها.

﴿واشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

أي اطبع على قلوبهم.

﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

دعاءٌ أيضاً عليهم. ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ ما قاله محمد بن يزيد. ذكر أن قوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ عطف على قوله: ﴿لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي ربنا إنك أتيتهم ليضلوا فلا يؤمنوا.

وقوله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾.

يروى في التفسير أن موسى دعا، وأن هارون أَمَّنَ عَلَى دُعائِهِ. وفي الآية دليل أنهما دَعَوَا جَميعاً لأن قوله: ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُما﴾ يدل أن الدَّعْوَةَ منهما جميعاً، والمُؤَمِّنُ عِلى دُعاء الداعي دَاعٍ أَيْضاً لأن قوله «آمين» تأويله استجب فهو سائل كسؤال الداعي.

وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعانِّ سَبِيلَ [الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ]﴾.

موضع ﴿تَتبعان﴾ جزم، إلا أن النون الشديدةَ دخلت للنهي مؤكِّدةً، وكُسِرتْ لسكونها وسُكون النون التي قبلها[2]، واختير لها الكسر لأنها بعد الألف، فشبهت بنون الاثنين.

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرائِيلَ البَحْرَ﴾.

---

(١) اجعل أموالهم الثمينة شيئاً تافهاً لا قيمة له.

(٢) هكذا في الأصول ـ ولعله الألف التي قبلها. إذ لا نون ونون الرفع حذفت ولم تكن ساكنة ـ والتعليل الذي ذكره يؤيد هذا. كما يقال للنسوة اكْتُبْنَانِّ.

جسمه اللَّهُ يَبَساً حتى جَاوَزُوه

وقوله:﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾.

﴿ننجيك ببدنك﴾نلقيك عُرياناً[1]وقيل ننجيك ببدنك نلقيك على نَجْوةٍ من الأرض، وإنما كان ذلك آيةً لأنه كان يَدَّعِي أنه إلٰهٌ وكان يعبُده قومُه، فبيَّنَ اللَّه أمْرَه وأنه عَبْدٌ.

وفيه من الآية أنه غرِق القومُ وأُخْرِجَ هو مِنْ بيْنهم فكان في ذلك آية.

وقوله:﴿فَإِنْ كُنْتَ في شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرأُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هذه آية قد كثر سُؤَالُ الناسِ عنها وخوضُهم فيها جِدًّا، وفي السورة ما يدل على بيانها وكشف حقيقتها: -

والمعنى أن اللَّه - جلّ وعزّ - خاطب النبي ﷺ وذلك الخطاب شامل للخلق فالمعنى: إن كنتم في شك فاسألوا، والدليل على ذلك قوله في آخر السورة: ﴿قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾.

فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن نبيُه ﷺ ليس في شَكٍّ، وأمرُه أن يتْلُوَ عليهم ذَلِكَ.

ويروى عن الحسن أنه قال: لم يَسأَلْ ولم يَشُكَّ، فهذا بَيِّنٌ جداً.

والدليل على أن المخاطبة للنبي مخاطبةٌ للنَّاس قوله:﴿ يَاأَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[2]. فقال طَلَّقْتُم ولفظ أول الخَطاب للنبي

(١) من نجوت الشاة أي سلختها ونجوت الرجل أي كشفت ثيابه.

(٢) أول سورة الطلاق.

وحده فهذا أحسن الأقوال وفيها قولان اخران.

فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين، كما تقول للرجل: إن كنت أبي فتعطف عليَّ، أي إن كنت أبي فواجِبٌ أَنْ تتعطف عليَّ، ليس أنه شك في أنه أبوه.

وفيها وجْهٌ ثَالِثٌ(١): أن تكون «أنْ» في معنى «مَا» فَيكون المعنى ما كنت في شكٍّ مِمَّا أنْزَلنا إليْكَ، فاسأل الذين يقرأون، أي لسنا نأمرك لأنك شاك، ولكن لتزداد، كما قال إبراهيم: ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾(٢) فالزيادة في التثبيت ليست مما يبطل صحة القَصْد ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾.

فهلاَّ كانت قرية، قال الشاعر(٣).

تَعُدُّون عَقْرَ النِّيبِ أفْضَل مَجْدكم ... بني ضَوْطَرَى، لَوْلَا الكميَّ المقنَّعا

---

(١) هذا هو الوجه الثاني من الوجهين الآخرين اللذين ذكرهما.

(٢) كما قال إبراهيم ... ﴿أَوَلَمْ تُؤمن﴾.

(٣) هو جرير يهجو الفرزدق. وكانت حدثت مجاعة بالكوفة، حَمَلتِ الناس على الخروج إلى البادية، فذبح غالب والد الفرزدق نَاقة - لقومه وأَهْدي سحيمَ بن وثيل منها فلم يقبل وذبح مثلها. وذبح غالب اثنين وباراه سحيم فذبح غالب مائة وعجز سحيم عن ذبح مثلها. ولكن قومه لاموه بعد ذلك فذبح ثلاثمائة وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب فنهى الناس عن الأكل منها وبقي لحمها مطروحاً. وسحيم هذا قد يلتبس بسحيم عبد بني الحسحاس. ولكنه سحيماً هذا شاعر مخضرم يمني شريف من بني يربوع له شعر جيد وصفات حميدة، يقال إنه عاش مائة عام منها ستون في الإسلام.

وانظر البيت والقصة في الخزانة ١٦٤/٣ (السلفية) الشاهد ١٦٤ وانظر العيني ٤٨٢/١، وشواهد المغني ٢٢٩، والأغاني ١٥٣/٨، وذيل الأمالي ٥٢ وبه. أشعار أخرى في هذا الحادث.

ورجل ضوطرى أي ضخم كثير الشحم. أراد جرير أن يسخر من الفرزدق بهذه التسمية.

والمعنى أن عقر النوق لا فخر فيه لكم، وإنما يفتخر بقتل الشجعان الشاكي السلاح وأنتم لا تستطيعون ذلك. وينسب البيت أيضاً لغير جرير.

أي فهلاَّ تَعُدّون الكميَّ، والكمي الداخل في السلاح، والمعنى: فهلا كان أهل قرية آمنوا.

وقوله: ﴿إلاَّ قَوْمَ يُونُسَ﴾.

استثناء ليس من الأول، كأنه قال لكن قوم يونس لما آمنوا.

وقوله: ﴿فَنَفَعها إيمَانُها﴾.

معناه هلا كانت قرية آمنت في وقت ينفعهم الإيمان، وجرى هذا بعقب قول فرعون لما أدركه الغرق: ﴿آمَنْتُ أَنَّه لَا إلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِه بَنُو إسْرائِيلَ﴾. فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن الإيمان لا ينفع عند وقوع العذاب ولا عند حُضُورِ الموت الذي لَا يُشَكُّ فيه. قال اللَّه - جلّ وعزّ -: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوبَةُ للَّذِينَ يَعْمَلُون السَيئَاتِ حَتَّى إذَا حَضَر أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ إنّي تُبْتُ الآنَ وَلَا الَّذين يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[1].

وقوم يونس - واللَّه أعلم - لم يقع بهم العذاب، إنما رأوا الآية التي تدل على العذاب، فلما آمنوا كُشِفَتْ عنهم.

ومثل ذلك العليل الذي يتوب في مَرَضِه وهو يرجو في مرضه العافيةَ ولا يخافُ الموتَ فتوْبتُه صحيحةٌ.

أما الذي يعاين[2] فلا توبة له، قال اللَّه - عزّ وجلّ في قِصَّتِه: ﴿وَإنْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[3].

فأمَا النصب في قوله: ﴿إلاَّ قومَ يُونسَ﴾ فمثله من الشعر قول النابغة:

---

(١) سورة النساء الآية ١٨.

(٢) يُعاينُ الموتَ ويُوقن وُقُوعَه.

(٣) سورة النساء الآية ١٥٩.

وقفت فيهـا أُصَيْـلالاً أسـائلهـا أعْيت جـواباً ومـا بـالـربـع من أحـد
إلّا الأواري لأيـاً مـاأُبَـيِّـنُـهـا والنؤي كالحوض بالمظلومة الجَلدِ[١]

ويجوز الرفع على أن يكون على معنى فَهَلَّا كانت قـرية آمنت غيـرُ قوم يونس، فيكون. . ﴿إلَّا قَوْمَ يُونُسَ. . ﴾ صفة.

ويجـوز أن يكون بـدلاً من الأول، لأن معنى قـوم يـونس محمـول على معنى هلّا كان قَوْمُ قريةٍ، أو قوم نبي آمنـوا إلا قوم يـونس. ولا أعلم أحداً قـرأ بالرفع.

وفي الـرفـع وجـه آخـر وهـو البـدل، وإن لـم يكن الثـاني من جنس الأول[٢]، كما قال الشاعر[٣].

وبـلدة لـيس بـهـا أنـيس إلا الـيـعـافـيـر وإلا الـعـيسُ

وقوله:﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إلَّا بِإذْنِ اللَّهِ[٣]﴾.

---

(١) البيتان الثاني والثالث من قصيدته:

يـا دَار ميـة بـالـعـليـاء فـالسَّـنَـدِ أقـوت وطـال عليهـا سـالف الأمَـد

ويروى البيت الأول ـ وقفت فيها أصيلاً كي، ووقفت فيها طويلاً.
والأواري جمع آرِي، وهو مربط الدواب، ولأياً ما أبينها، أي انطمست فلا تكاد تعـرف إلا بمشقة.
والنؤي الحفـرة حول الخيمـة ليجتمع فيهـا المـاء والمـظلومـة الأرض التي لم تمـطر، والجلد الأرض الصلبة الغليظة.

انظر شرح العشر للزوزني ١٩٦ ط صبيح، والديوان من الستة ٢٤.

(٢) أي هو استثناء منقطع.

(٣) هو جران العود النميري، وهو عامر بن الحرث. وقبله:

قـد نـدع المـنـزل يـا لمـيس يـعـتس فـيـه الـسـبـع الجـروس

ولميس هي زوجته، ويعتس فيه السبـع أي يجول ليـلاً، والجروس من الجـرس وهـو الصـوت، أي السبع ذو الصوت. ويروى البيت: ـ بسابسا ليس به أنيس ـ، أي ما يؤتنس به إنساناً كان أو غيره.
والبيت في ابن يعيش ٢/ ٨٠ والخزانة ١٩٧/٤ والعيني ١٠٧/٣ والشاهد أن الاستثاء منقطع، ومع ذلك رفع.

معنـاها ومـا كان لنفس الـوصلة إلى الإيمـان إلا بمَـا أعْلَمهـا اللّهُ منـه، ويكون أيضاً إلا بتوفيق اللّه، وهو إذنه.

﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ ﴾.

والرجس العذاب، ويقال هو الرّجزُ.

وقوله:﴿ثُمَّ نُنَجيِّ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنْجِي المُؤْمِنِينَ﴾.

ونُنْجِـئ، أي إذا أهلكت قـرية أنجى اللّه الأنبيـاء، والمؤمنين مما يَنْـزِلُ بأهْلها.

فإن قال قائل: فهلّا كانت قرية آمَنَتَ، ألم يؤمن أَحَـدٌ من أهل القـرى؟ فـالمعنى أن أهل القـرى ذكر اللّه في جمهـورهم الكفر، فقال: ﴿ وَلَـوْ أَنَّ أَهْـلَ الْقُـرَى آمَنُوا واتَّقَـوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَـرَكَـاتٍ مِنَ السَّمَـاءِ وَالأَرْضِ وَلكِنْ كَـذَّبُـوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[1].

فـأمـا من قــرأ. . «نُجّي المُؤْمِنِينَ» فـلا وجــه لـه. وقــد نجّي النجـاء المؤمنين. . وهذا روي في القراءة عن عاصم في سورة الأنبياء ولا وجْهَ لــه.

(١) سورة الأعراف الآية ٦٦.

سورة هود

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾.

كتاب مرفوع بإضمارِ هذا كتابٌ، وقال بعضهم: كتـابٌ خبرُ «الـر» وهَذَا غلطٌ، لأن قوله: ﴿كتابٌ أُحْكِمتْ آياتُهُ (ثم فُصِّلَتْ﴾ ليس هو «الر» وحدها. وفي التفسير أحكمت آياتـه)[1] بالأمـر والنهي والحلال والحـرام ثم فصلت بالـوعد والوعيد.

والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ أنَّ آيَاتِه أُحْكِمتْ وَفُصِّلَت بجميـع ما يحتـاج إليه من الـدلالـة على التـوحيـد، وإثبـات نبـوَّة الأنبياء ـ عليهم السـلام ـ وإقَـامَـةِ الشرائع.

والـدليل على ذلـك قوله: ﴿مَا فَـرَّطْنَـا فِي الكِتَـابِ مِنْ شَيءٍ﴾[2] وقـوله: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾[3].

ويدل على هذا قوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدوا إلَّا اللَّهَ إنني لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾.

المعنى ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثم فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكيمٍ خَبِيرٍ﴾.

---

(١) هذه الجملة ـ ساقطة من ط ـ ولا يتم المعنى بدونها.

(٢) الأنعام الآية ٣٨.

(٣) سورة يوسف الآية ١١١.

أي من عند حكيم خبير، لإنْ لا تعبدوا إلَّا اللَّه.

وموضع أن نصب على كل حال[1].

(وقوله: ﴿إنني﴾. مقول قول مُقَدَّرٍ، أي قل يا محمد لهم إنَّنِي لكم منه، أي من جهة اللَّه «نَذِيرٌ» أي مُخَوِّفٌ من عَذَابِه لمنْ كفرَ، و «بَشِير» بالجنة لمن آمَنَ)[2].

وقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾.

أي وأمركم بالاستغفار.

﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً﴾.

أي يُبْقِيكُمْ ولا يَسْتَأْصِلُكُمْ بالعذاب كما استأصلَ أهل القرى الذين كفروا.

﴿ويؤتي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾.

أي من كان ذا فَضْلٍ في دينه فَضَّله اللَّه بالثواب، وفَضَّله بالمنزلة (في الدنيا)[3] بالدين كما فَضَّلَ أَصْحَابَ نبيه (عليه السلام)[3].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُم لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ «أَلَا» معناها التنبيه ولا حَظَّ لها في الاعراب، وما بَعْدَها مبتدأ.

ومعنى ﴿يَثْنُونَ صُدورَهُمْ لِيَسْتَخْفوا﴾، أي يُسِرُّون عداوة النبي ﷺ.

وقيل إن طائفة من المشركين قالت: إذَا أغْلَقْنَا أبوَابَنَا وأَرْخَيْنَا سُتُورَنا، واسْتَغْشَيْنَا ثِيَابَنَا، وثَنَيْنَا صُدُورَنَا على عداوةِ محمد ﷺ كيف يعلم بِنَا، فأَعْلَمَ

(١) على هذا التقدير هو في موضع نصب بعد حذف الجار، والأولى تقدير قول محذوف أو ما فيه معنى القول أي قائلاً أو منادياً فتكون أن تفسيرية.

(٢) هذه الجملة في ر فقط.

(٣) ساقط من ط.

ـ جلَّ وعزّ ـ بما كتموه فقال جلّ ثناؤه: ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهم يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾.

وقُرِئَتْ أَلَا إنهم يَثْنَوْنِي صدورُهم. قرأها الأعمش ورُوِيتْ عن ابن عباس «تَثْنَوْني» صُدورُهم، عَلَى مِثال تَفْعَوْعِلُ[1] ومعناها المبالغة في الشيء، ومثل ذلك قد احْلَوْلَى الشيءُ إذَا بلغ الغايةَ في الحلاوة.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾.

قِيلَ ﴿مُسْتَقَرَّهَا﴾ مأْواها على ظهر الأرض، ﴿وَمُسْتَوْدَعَها﴾ ما تصير إليه، وقيل أيضاً: مُسْتَقَرُّها في الأصْلاب ومستودعها من الأرحام.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

أي ذلك ثابت من علم اللَّه. فجائزٌ أن يكون في كتاب، وكذلك قوله ـ جلّ وعزّ ـ : ﴿إلاّ في كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرأَهَا﴾[2].

وقوله: ﴿وَهُوَ الّذي خَلَقَ السَّموَاتِ والأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ اللَّه قادر على أن يخلقَها في لحظة، لأنه على كل شيء قدير، وإذا خَلَقَهُمَا وقَدَّرَهُمَا هذا القَدْر العَظِيم ـ والسَّمَاءُ ليسَ بينها وبَيْنَ الأَرْضِ عَمَدٌ يُرَى ـ في سِتَّة أيَّامٍ علم أنَّ مَنْ كانَتْ قُدرَتُه هذه القدرة لم يُعْجِزْه شَيءٌ. قال اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أنَّ اللَّه الَّذي خَلَق السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[3].

وكان المشركون يُكذِّبُونَ بأَنَّهُ يَبعَثُ الموتَى، ويُقِرُّونَ أنَّه خَالِق السَّموات والأرضِ.

---

(١) الفعل اْثَنَوْنَى، بمعنى انثنى.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٢.

(٣) سورة الأحقاف الآية ٣٣.

وقوله : ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ﴾.

هذا يدل على أن العرشَ والماءَ كانا قبلَ السَّمواتِ والأرضِ.

وقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

معناه ليختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه، وهو قد علم قبل ذلك أَيُّهم أحْسَنُ عملاً، إلاَّ أنَّه يجازيهم على أعمالهم لاَ عَلَى عِلْمِه فيهم.

﴿وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُم مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

ويقرأ إلا ساحِرٌ مبين، والسحر باطل عندهم، فكأنهم قالوا: إنْ هَـذَا إلاّ بَاطِلٌ بَيِّنٌ.

وأعلمهم اللَّه - عزّ وجلّ - أنَ القدرةَ عَلَى خَلْقِ السَّمَواتِ والأَرْضِ تدل على بَعْث الموْتى. وأهلُ الكفر مختلفون في البعث فالمشركون يقولون إنهم لا يُبْعَثُونَ البَتَّةَ ولا يرْجعُونَ بعد موتهم، واليهود والنصارى يَـزْعُمُ أن[1] لا أكْلَ ولا شُربَ ولاَ غَشْياً للنساءِ في الجنة وكلٌّ كافرٌ بالبعث على جهته[2].

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾.

معناه إلى أجل وحين معلوم، كما قال اللَّه تعالى ﴿.. وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾[3]. أي بعد حين.

وقوله :﴿أَلاَ يَوْمَ يَأتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ﴾.

﴿يَوْمَ يَأْتيهم﴾ منصوبٌ بمصروف، المعنى ليس العذاب مصروفاً عَنْهُمْ يَوْمَ يأْتيهمْ.

---

(١) ر - يزعم.

(٢) ر - وكلهم كافرٌ.

(٣) سورة يوسف الآية ٤٥.

﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

كما تقول أحاط بفلان عَمَلُه، وأهلَكَهُ كَسْبُه، أي أهلكه جزاءُ كسبِه وعاقبتُه.

وقوله ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رحْمةً ثُم نزعْنَاهَا مِنْه إنَّه لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ﴾.

يعني الكافر، والرَّحْمَةُ الرِّزقُ، ههنا، والإنسانُ اسم للجنس في معنى الناس.

وقوله: ﴿إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾.

استثناء ليس من الأول[١]، المعنى لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ﴾.

يُرْوَى أنّ المشركين قالوا للنّبيّ ﷺ لَوْ تَركْتَ عيْبَنَا وسَبَّ آلِهتِنَا لجالسناك، ومعنى أن يقولوا لَوْلَا أُنْزِلَ عليه كَنْزٌ معناه كراهةَ أن يَقُولُوا.

﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾.

أي إنما عليك أن تُنْذِرَهُم وتَأْتِيهُمْ من الآيات بما يُوحَى إليك وليس عليك أن تأتيهم بشهواتهم واقتراحهم الآيات. ثم أعلمهم وجه الاحتجاج عليهم فقال جلّ وعزّ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [أي] أيقولون افتراه[٢].

---

(١) منقطع.

(٢) ر ـ المعنى بل أيقولون.

﴿قُلْ فَأْتوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مثْله﴾.

أي مثل سورة منه، أيّ سورة منها(١).

﴿وادْعُواَمَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أي اطلبوا أن يعاونكم على ذلك كلُّ من قدرْتُم عَليه، ورجَوْتُمْ مُظاهَـرَتَه ومعاوَنَته.

﴿فَإنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿أُنْزِلَ بِعلْمِ اللَّهِ﴾، أي أُنْزِلَ واللَّه عَالِم بإنْزَاله، وعـالم أنه حقٌّ من عنده.

ويجوز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ ﴿بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ أي بما أَنْبأَ اللَّه فِيهِ من غَيْب وَدَلَّ على ما سَيكُونُ وما سلف مما لم يَقْرأ بِه النبي ﷺ كتـابـاً(٢) وهـذا دليل على أنه من عند اللَّه.

وقوله تعـالى: ﴿مَنْ كَانَ يُـرِيدُ الحَيَـاةَ الدُّنْيَـا وَزِنَتيهَا نُـوَفِّ إلَيْهِمْ أَعْمَالَهُم فِيهَا﴾.

أي نجازيهم على أعمالهم في الدُّنْيَا.

فأمَّا كان في باب حُروفِ الجزاء ففيها قولان:

قـال أبو العبـاس محمد بنُ يـزيدَ: جـائزٌ أن تكـون لِقُـوَّتهَـا عَلى معنى المَضِيّ عبارةً عن كل فعل مَاضٍ، فهـذا هو قـوتها، وكـذلك تتـأوَّلُ قولـه ﴿إِنْ كنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾(٣).

---

(١) في الأصول كل سورة.

(٢) أنزل بعلم اللَّه أي مشتملاً عـلى علم اللَّه ومتلبساً بغيبـه من الأحداث التي لا يعلمهـا إلا قـارئـو الكتب والنبي لم يقرأ كتاباً.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.

وحقيقها ـ والله أعلم ـ من تعلم منه هذا، فهذا على باب سائر الأفعال، إلا أنَّ معنى ﴿كان﴾ إخبارٌ عن الحالِ فيما مضى من الدهر، فإذا قلت سيكون عالماً فقد أنبأتَ أنَّ حاله سَتَقع فيما يستقبل، فإنما معنى كان ويكون العبارة عن الأفعال والأحوال(١).

وقوله ـ جلّ وعزّ: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾.

قيل في التفسير إنه يعني محمداً ﷺ ويتلوه شاهد منه، أي شاهد مِنْ رَبِّه، والشاهِدُ جبْريلُ، وقيل يَتْلوه البرهانُ، والذي جرى ذكر البَيِنَةُ، لأن البينة والبرهان بمعنىً واحدٍ.

وقيل ويَتْلوه شَاهدٌ منه يعني لسان النبي ﷺ أي أفمن كان على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه، وكان معه من الفضل ما يبين تلك البينة كان(٢) هو وغيره سواء، وترك ذكر المضادِّ لَهُ لأن فيما بعده دليلاً عليه(٣) وقوله: ﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾(٤).

ويجوز أن يكون ـ والله أعلم ـ أفمن كان على بينة من ربه يعني به النبي ﷺ وسائر المؤمنين، ويكون معنى.. ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ يتلوه ويتبعُه، أي يتبع البيانَ شاهدٌ من ذَلِكَ البيانِ، ويكون الدليل على هذا القول: ﴿أُولئِكَ يُؤمِنُون به﴾ ويكون دليله أيضاً: ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت﴾، فاتّباع الشاهد بعد البيان كاتباع التفصيل بعد الأَحْكَامِ.

وقوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِه كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾.

---

(١) كان تقع في الشرط تعبيراً عن حُدُوثِ أَيِّ شيء، فشرحها المبرد بما فصله النص ـ وهذا هو الوجه الأول فيها، والوجه الثاني ما شرحه هو من أنها على باب الأفعال الأخرى.

(٢) أي أيكون هو وغيره سواء؟

(٣) المضادّ أي أفمن كان كذلك كمن ليس له هذه الصفة.

(٤) أي في هذه الجملة دليل أيضاً على المحذوف.

أي وكـان من قبل هـذا كتابُ مـوسى دَليلاً على أمـر النبي ﷺ، ويكون كتاب موسى على العطف على قوله ويتْلُوه شاهـدٌ مِنْه ومِنْ قبله كتَـابُ موسى، أي وكـان يتلوه كتـاب مـوسى، لأن النبي بَشَّـر بـه مـوسى وعيسى في التّـورَاةِ والإنجيل، قال اللَّه ـ جـلّ وعزّ ـ : ﴿الَّذِينَ يتَّبِعُونَ الـرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّـذي يَجدُونَه مَكْتُوباً عندهم في التَّورَاةِ والإنْجِيل﴾[1].

ونصب ﴿إمَاماً﴾ على الحال، لأن كِتَابَ موسى معرفة.

﴿فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾.

يجـوز كسر الميم في مِـرْيةٍ وضمُّهـا، وقد قُــرئ بهما جَميعـاً في مِرْيَـة ومُرْية.

ويجـوز نصب ﴿كتاب موسى﴾، ويكون المعنى: ويتلوه شـاهدٌ منـه وهو الذي كان يتْلِو كتابَ موسى. والأجْودُ الرفعُ، والقِراءةُ بالرّفع لا غير.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُـونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهـادُ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَـذَبُوا على رَبِّهِمْ﴾.

الأشهـاد هم الأنبيـاء والمؤمنـون، وقـال أُولئـك يعْـرضـون على رَبّهم، والخلقُ كلهم يُعْـرضون على ربهم، كمـا قال جـلّ ثناؤه ﴿إلَيْنا مَرْجِعُهُمْ﴾[2] و ﴿إلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾[3] فذكر عرضهم على ربهم توكيداً لحالهم في الانتقام منهم.

وقوله: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَىٰ الظَّالِمينَ﴾.

لعنة اللَّه ابعاده من يلعنه من عفوه ورحمته.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَها عِوَجاً﴾.

---

(١) الأعراف الآية ١٥٧.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٣.

(٣) سورة مريم الآية ٤٠. ﴿إنَّا نَحْنَ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإلَيْنا يُرْجَعُونَ﴾.

أي يَصُـدُّونَ عن طريق الإيمـان بالنبي ﷺ يـريدون رَدَّ السبيـل التي هي الإيمان والاستواء إلى الكُفْرِ والاعوجاجِ عن القصد.

﴿وَهُمْ بالآخِرةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾.

ذكرت هم ثانية على جهة التوكيد لشَأْنِهِمْ في الكُفْر

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ في الأَرْضِ﴾.

أي اللَّه لا يعجزه انتقامٌ من دَارِ الدنيا، ولا وَليَّ يمنع من انتقام اللَّه لمن أراد به النقمة، ثم استأنف فقال: ﴿يُضَاعَفُ لَهُـمُ العَذَابُ﴾.

فوصف مضاعفة العذاب على قَدْر ما وَصَفَ من عِـظَم كُفْرهم بنبيه ﷺ وبالبعث والنشور.

﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾.

أي مِنْ شدَّةِ كُفْرِهم وعَداوَتِهم للنبي لا يستطيعون أن يسمعوا مـا يقول، ثم بيّنَ - جلّ وعزّ - ضَرَرَ ذلك عليهم فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُم وَضَلَّ عَنْهُم مَا كَانُوا يَفْتَرونَ﴾.

وقوله: ﴿لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ﴾.

قـال المفسرون: المعنى جزاء حقاً[1]، أَنَّهم في الآخـرة هم الأخسـرون وزعم سيبويه أنّ جرم بمعنى حَقَّ، قال الشاعر[2].

---

(١) ط قال المفسرون جزاء حقاً.

(٢) هو أبو زياد بن أسماء بن الضربة أو عطية بن عفيف، يرثي كرز ابن عامر، وكان طعن حصين بن حذيفة الفزاري طعنة مميتة يوم بني عقيل وهو يوم الحاجر - وقد ولى حصينة على بنيه عند موته ابنه عيينة، وهو حذيفة بن حصن لقب أبا عيينة لجحوظ عينه وانـظر أمالي المـرتضى ١٦٩/٤، والبيت في كتاب سيبويه ١٣٨/٣، والخزانـة ٣١٠/٤ - واللسان (جـرم) ومجاز أبي عبيـدة ١٤٧/١ ومعاني الفراء والبيت طعنتَ بالخطاب لأنه يخاطب كرزاً.

ولقــد طَعَنْتَ أبــا عـيينــة طعنــة جَـرَمَتْ فـزَارَةَ بعــدهـا أن يَغْضَبُــوا

معناه أَحَقَّت فزَارةَ الطعنةُ بالغضب.

ومعنى «لا» نفي لما ظنُّوا أَنه ينفعُهم، كأن المعنى لا ينفعهم ذلـك جرَمَ أَنَّهم في الآخِـرةِ هُمُ الأَخْسـرون، أي كَسَبَ ذلــكَ الفعـلُ لهم الخســرانَ ثم ضرب اللَّه مثلاً للمؤمنين والكافرين فقال:

﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كالأَعْمَى والأَصَمِّ والبَصِيرِ والسَّمِيعِ﴾.

ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم لأنهم في عداوتهم وتركهم التفهم كمن لا يسمع ولا يبصر.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلِىَ قَوْمِهِ إنّي لكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

كسر إنّ في القراءة عِلى معنى قـال لهم إنّي لكم نذيـر مُبينٌ(١)، ويجوز أَني لكم نذير مبينٌ على معنى: لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه بالإِنذار أَنْ لاَ تَعْبُدوا إلاَّ اللَّه اني أنذركم لتُـوَحِّـدوا اللَّهَ، وأَنْ تَتْركوا عبادَةَ غيره(٢).

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

يجوز في غير القراءة: إني أخاف عليكم عـذاب يوم ٍ أَلِيمـاً، لأن الأليم صفة للعذاب، وإنما وصف اليوم بـالألم، لأنَّ الأَلمَ فيه يقـع، والمعنى عذاب يوم ٍ مُؤْلِم ٍ، أي مُوجِع ٍ(٣).

﴿فَقَالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾.

---

(١) لا داعي لهذا، لأن الجملة مستأنفة.

(٢) فتحها يكون بتقدير حرف جر.

(٣) وصف اليوم بأنه أليم يستتبع أنـواعاً كثيـرة من العذاب ـ مثـل مشقة اليـوم وشدّة حـره، وإهانـة الزبانية... وهكذا ـ والعذاب يصرف الذهن عادة إلى عذاب جهنم.

﴿الملأ﴾ رُؤَسَاءُ القَوْمِ وكبراؤهم الَّذِينَ هم مُلاءُ بالرأي وبما يحتاج إليه منهم. أي فأجابوه بهذا الجوابِ وَالْقوْلِ.

﴿[مَا نَراكَ إلاَّ بَشَراً مِثْلَنَا]﴾.

أي ما نراك إلا إنساناً مثلنا، ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾.

أي لم يتَّبِعْكَ الملأُ مِنا، وإنما اتبعك أخِسَّاؤنا.

وقوله: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾.

بغير همزٍ في بادي، وأبو عَمْرٍو يهْمِزُ بَادِىءَ الرَّأْيِ، أي اتبعوا اتباعاً في ظاهر ما يُرى، هذا فيمن لم يهْمِزْ، ويكون التفسير على نوعين في هذا أحَدُهمَا أن يكون اتبعُوكَ في الظاهر، وبَاطِنُهم عَلَى خلافِ ذلِك. ويجوز أن يكونَ اتبعوك في ظاهر الرأي ولم يَتَدَبَّرُوا مَا قُلتَ ولم يفكِّرُوا فيه وقراءة أبي عمرو على هذا التفسير الثاني، [أي] اتبعوكَ ابتداء الرأيِ، أي حين ابتدأوا ينظرون وإذا فكَّروا لم يتبعوك.

فأما نصب بَاديَ الرأيِ فعلى: اتبعوك في ظاهر الرأي، وعلى ظاهر الرأي، كأنه قال: الاتباع الذي لم يفكروا فيه. ومن قال باديَ الرأي فعلى ذلك نَصَبَه(١).

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُم إنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعَمِيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

كذا أكثر القراءة - بفتح العين والتخفيف(٢) - وقد قرِئَتْ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ - بضم العَيْن وتَشْدِيد الميم -

هذا ما أجابهم به في أن قالوا: إن الذين اتَّبعُوكَ إنَّما اتبعوك غير

---

(١) على هذا هو مفعول مطلق أي أتباعاً، أو هو حال، كما تقول أتبعه غافلاً أو ناسياً.

(٢) فَعَمِيتْ - وقراءة عاصم عُمِّيَتْ.

محقّقِينَ. فأعلمهم أنهم مُحَقِّقُونَ بهذا القول لأنه إذا كان على بَيِّنَةٍ، مَن آمن به فعَالِمٌ بَصِيرٌ مَفْضُولٌ له، وأنّ من لم يفهم البيِّنَةَ فقد عَمِيَ عليه الصوابُ.

وقوله: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

أي فعَمِيتِ البينةُ عليكم[1]

﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾.

القراءة بضم الميم، ويجوز إسْكانُها عَلَى بُعْدٍ لِكثْرةِ الحركات وثِقَلِ الضَّمَةِ بعدَ الكسرة. وسيبَوَيه والخليلُ لا يُجيزَانِ إسكانَ حرف الإعراب إلا في اضطرارٍ، فأما ما رُوِيَ عن أبي عَمْرو مِن الإسْكانِ فلم يُضبْط ذلك عنه، ورواه عنه سيبويه أنه كان يخفف الحركات ويختلسها، وهذا هو الوجه[2].

وقوله: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾.

وَإِذَا لَاقُوا ربَّهُمْ جَازَى مَنْ ظَلَمهُمْ وطردَهُم، بجزائِه من العَذَاب.

وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْراً﴾.

﴿تَزدَرِي﴾ تستسفِل[3] وتستخس. يقال: زرّيْتُ على الرَّجُل إذَا عِبْتُ عَلَيْه وخسَّسْتَ فِعْلَه. وأَزْريْتُ إذَا قَصَّرتُ به وتَزْدَرِي أصله تزتَري بالتاء، إلا أن هذه التّـاءَ تبدل بعـد الزّاي دَالًا، لأنَّ التـاء من حـروف الهمس، وحـروف الهمس خفيّـة فالتاء بعد الزاي تخفى، فأبْدِلَتْ منها الدَّالُ لِجَهْرِهَا، وكذلـك يفتعل من الزينة يَزْدَان، تقول: أنت تزدان يا هذا.

وقوله: ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أعيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمْ اللَّهُ خَيْراً﴾.

---

(١) قراءة حَفص فَعُمّيَتْ.

(٢) تقدم هذا في الآية ﴿يكادُ البرقُ يخْطفُ أبصَارَهُمْ﴾ و ﴿فتوبوا إِلَى بَارِئِكُمْ﴾.

(٣) تعدُّهم سِفْلَةً أخِساء.

لأنهم قالوا: ﴿اتبَعَكَ أَرَاذِلُنَا﴾.
وقوله: ﴿اللَّهَ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي إن كنتم تزعمون أنهم إنما اتبعُوني في ظَاهِر الرَّأْي والذي أدعو إليه توحيد اللَّه، فإذا رأيت من يُوَحِّدُ اللَّه جلّ ثناؤه عملتُ على ظاهره، واللَّه أعلم بما في نفْسِه، لا يعلم الغيب إلاَّ اللَّه.

وقوله: ﴿فَأَكْثَرتَ جِدَالَنَا﴾.

ويقرأ فأكْثرتَ جَدَلنا، والجَدَل والجِدالُ المبَالَغةُ في الخُصُومةِ والمناظَرة، وهو مأخوذٌ مِنَ الجَدْلِ وهو شدة الفَتْل، والصَّقْرُ يقال له أَجْدَل لأَنَّه من أشَدِّ الطير.

وقوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ إِنْ يُغْوِيَكُمْ﴾.
﴿يُغْوِيَكم﴾ يُضِلكم ويهلككم.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ﴾.
معناه بل أيقولون افتراه.
﴿قل إن افتَريتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾.

من قولك أجرم الرجل إجراماً، ويقال جَرَّمَ في معنى أجْرَمَ، وأكثر ما تستعمل أجرم فِي كَسْبِ الإثم خاصّةً يقال رجل مُجْرِمٌ وجَارِمٌ. ويجوز فَعَليَّ أَجْرامي على جمع جُرْم وهو على نحو قوله. . ﴿واللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهم﴾[1]، وأَسْرارهم إلا أن القراءة بكسر الألف، وإجرامي على المصدرِ.

﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

فلذلك - واللَّه أعلم - استجارَ نوح بقوله: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ

(١) سورة القتال الآية ٢٦.

الْكَافِرِينَ دَيّاراً. إنَّكَ إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً ﴾[1].

أعْلِمَ أنَّهم لاَ يَلدُون إلاَّ الكَفَرةَ. بقوله تعالى: ﴿أنه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ فَلاَ تبتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلونَ﴾.

مَعْناهُ لا تحزن ولا تَسْتَكِنْ.

وقوله: ﴿واصْنَعِ الفُلْكَ بَأَعْيُنِنَا﴾.

الفُلْكُ السفينة، والفَلَك يكون واحداً ويكونُ جمعاً كما أنهم قالوا أَسَدٌ وأُسْد، قالوا في الواحد فَلَك وفي الجمع فُلْك، لأن فَعْلا وفَعَلا جمعُها واحدٍ ويأتيان بمعنى كثيراً، يقال العُجْم والعَجَم، والعُرْب والعَرَبِ والفُلكْ والفَلَكَ. والفَلْكة يُقَالُ لكلّ شيءٍ مسْتَديرٍ أو في استدارة.

ومعنى: ﴿بأَعْيُنِنا ووَحْيِنَا﴾.

أي بإبْصَارنا إلَيْكَ وحفظنا لك، وبما أوحيْنا إليْك

﴿وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾.

(المعنى: لا تخاطبني في إمهال الذين كفروا إنهم مغرقون)[2].

ثم أخبر اللَّه ـ جَلَّ ثناؤه ـ بعَمله الفلك فقال:

﴿وَيَصْنَعُ الفُلْكَ وَكُلَّما مَرَّ عَلَيْه مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِروا مِنْه﴾.

يقال في التفسير إنهم كانوا يَقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي مُرْسَلٌ صار نجاراً، فقال: ﴿إنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسْخَر مِنكُمْ كما تسْخَرونَ﴾.

أي نحن نستجهِلُكُمْ كما تستجهلوننا[3]، ثم أعْلَمَهُمْ بِمَا يَكُون عاقبة أمْرِهم فقال:

---

(1) سورة نوح الآية ٢٦ ـ ٢٧.

(2) ليست في ط.

(3) في الأصل تستجهلونا وهو خطأ.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾.

أي فسوف تعْلَمون من هو أحق بالسُّخْريِّ[1]، ومن هو أحْمدُ عاقِبةً.

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ﴾.

أعلم اللَّه - جلّ وعزّ - نوحاً أنْ وَقْتَ إهلاكهم فَوْرُ التَّنُّور. وقيل في التَّنُّور أقْوالٌ. قيل إن التَّنُّورَ وجه الأرْض. ويقال إن الماء فارَ من ناحيةِ مَسْجد الكُوفَةِ ويقال إن الماء فار من تَنُّورِ الخابزَةِ، وقيل التَّنُّور تنوير الصُّبْح.

والجملة أن الماء فار من الأرض وجاءَ من السَّماء قال اللَّه - جلّ وعزّ - ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ. وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[2].

فالماء فَوْرُه[3] من تَنُّورٍ أو من ناحية المسجد أو من وجه الأرض، أو في وقت الصبح لا يمنع أن يكون ذلك العلامةَ لإهلاكِ القوم.

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

[أي] من كل شيء، والزوج في كلام العرب واحدٌ ويجوز أن يكون معه واحد، والاثنان يقال لهما زَوْجَانِ يقول الرجل: عليَّ زوجان من الخفاف، وتقول: عِنْدي زوجان من الطير، وإنما تريد ذكر أو أنثى فقط. وتقرأ من كل زوجين - على الإضافة - والمعنى واحد في الزَّوْجين أضَفْتَ أم لم تضِفْ.

﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ﴾.

---

(١) السخريّ - بضم السين وكسرها - يعني السخرية والاستهزاء - وبهما قرىء قوله تعالى: ﴿نحن قَسَمْنا بَينهم مَعِيشَتَهُم في الحياةِ الدُّنْيا ورَفَعْنا بَعْضَهُم فوقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بعضاً سُخْرِياً﴾. (الزخرف آية ٣٢).

(٢) سورة القمر الآيتان ١١، ١٢.

(٣) بدأ فورانه.

أي واحملْ مَنْ آمَن، ويقال إن الذين آمنوا معه كانوا ثمانين نفساً، فقال تعالى: . . ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قليلٌ﴾.

لأن ثمانين قليل في جُمْلَةِ أُمَّةِ قَوْمِ نوحِ

. . ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ ـ أي باللَّه تجري، وبه تستقرُّ.

ومعنى قُلْنَا بِاسْمِ اللَّه أي باللَّه(١).

وقد قرئت على وجوه، قرئت مَجْراها بفتح الميم، ومُرسَاهَا بضم الميم. وقرئت مُجْراها ومُرْسَاها بضم الميمين جميعاً. ويجوز مَجْرَاها ومَرْسَاها، وكلٌّ صواب حسن.

فأما من قرأ مجراها بفتح الميم، فالمعنى جَرْيُها ومُرْسَاها المعنى وباللَّه يقع إرساؤها، أي إقْرارُها. ومن قرأ مُجْراها ومُرْسَاهَا. فمعنى ذلك باللَّه إجراؤها وباللَّه إرْسَاؤها يقال: أجريته مُجْرى وإجْراءً في معنى واحد. ومن قال مَجْرَاها ومَرْسَاهَا، فهو على جَرَتْ جَرْياً ومَجرًى، وَرَسَتْ رسُوًّا ومَرْسىً. والمُرسَى مستقرها.

والمعنى أن اللَّه جلّ وعزّ أَمَرَهُمْ أن يُسَمُّوا في وقت جريها ووقت استقرارها.

ومُرْساها في موضع جرّ على الصفة للَّه ـ جلّ وعزّ ـ(٢).

ويجوز فيه شيء لم يقرأ به ولا ينبغي أن يقرأ به لأن القراءة سنة متبعة:

(١) راجع ما كتبه تفسيراً لبسم اللَّه الرحمن الرحيم و «وعلم آدم الأسماء كلها». ومجاراته أبا عبيدة. في أن كلمة اسم زائدة.

(٢) لا يتأتى هذا الإعراب إلا إذا قرئت مُرْسِيها. أي باسم اللَّه مُسَيِّرها ومُقِرُّها ـ أما مرساها فهو اسم مكان من أرسى.

باسم اللَّه مُجْرِيَها على وَجْهَيْنِ - أحدهمـا الحال، المعنى مُجْـرِياً لَهَـا ومُرْسِيـاً لها. كما تقول مررت بزيدٍ ضَارِبَها على الحال. ويجوز أن يكون منصوباً على المدح، أعني مُجرِيَها ومُرْسِيَهَا. ويجوز أن يكون مُجْرِيها ومُرْسِيها في موضـع رفع على إضمار هو مجريها ومرسيها.

وقوله: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالجِبَالِ﴾.

قيـل إنَّ السَّماءَ والأرضَ التقى مـاؤهما فـطبق بينَهُمَا وجـرت السفينة في ذلك الماء، وقوله:

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كالجِبَالِ﴾.

إن الموج لا يكون إلاَّ فوقِ الماء، وجاء في التفسير أن المـاء جَاوَزَ كـلَّ شيء خَمَسَـةَ عَشَر ذِرَاعـاً، قال اللَّه - عـزّ وجـلّ: ﴿فالْتَقَى المـاءُ على أمْـرٍ قَـدْ قُدِرَ﴾[1].

فجـائز أن يكـون يلتقي ماء السمـاء وماء الأرض ومـا يطبق مـا بينهمـا، وجائز أن يطبق ما بينهما.

والموج تَمَوُّجُ المَـاءِ، وأكثر مـا يُعْرَفُ تكـونُه في عُلُوِّ المـاء، وجائـز أن يتموج داخل الماء.

والرواية في السفينة أكثر مـا قيل في طـولها أنـه كان ألفـاً ومائتي ذراع، وقيل ستمائة ذراع. وقيل إن نوحاً بعث وله أربعون سنةً ولبث في قومه كما قال اللَّه - جلّ ثناؤه - ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسين عَاماً. .﴾[2] وعمل السفينـة في خمسين سنة ولبث بعد الطوفان ستين سنة.

---

(١) سورة القمر الآية ١٢.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٤.

﴿وَنَادَى نوحٌ ابْنه وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾.

يجوز أن يكون كان في معزل من دينه، أي دين أبيه ويجوز أنْ يكون ـ وهو أشبه ـ أن يكون في معزل من السفينة.

﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾.

الكسر أجودُ القراءة أعني كسر الياء[1]، ويجوز كسرها وفتحها من جهتين، إحداهما أن الأصل با بُنَيِّيَ، والياءُ تحذف في النداء، أعني ياء الإضافة، وتبقى الكسرة تدل عليها، ويجوز أنْ تحذَفَ الياءُ لسكون الراء منَ ارْكبْ، وتقرُّ في الكتاب على ما هي في اللفظ[2].

والفتح من جهتين، الأصل يا بُنيًّا فتبدل الألف من ياء الإضافة. العرب تقول: يا غلاما أقبل، ثم تحذف الألف لسكونها وسكون الراء، ويُقَرّ في الكتاب على حذفها في اللفظ ويجوز أن تحذف ألف النداء كما تحذف ياء الإضافة، وإنما حذفت ياء الإضافة وألف الإضافة في النداء كما يُحْذَفُ التنوين، لأن ياء الإضافة زيادة في الاسم كما أن التنوين زيادة فيه، ويجوز وجه آخر لم يقرأ به وهو إثبات الياء، يا بُنَيِّي، وهذه تَثْقُل لاجتماع الياءات.

﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ﴾.

أي يمنعني من الماء، والمعنى [من] تَغْرِيقِ الماء

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾.

هذا استثناء ليس من الأول، وموضع «مَنْ» نَصْبُ المعنى لكن مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، فإنه مَعْصُوم، ويكون ﴿لَا عَاصِمَ﴾ معناه لا ذَا عِصْمَةٍ، كما قالوا: ﴿عِيشَةٌ رَاضِيَةٌ﴾، مَعناه مُرْضية وجاز راضية على جهة النسب أي في عيشه ذات رضا.

---

(١) الياء من بُنَيَّ.

(٢) يريد أنهما ياءان. للتصغير وياء المتكلم وحذفت ياء المتكلم والكسرة تدل عليها.

وتكون «من» على هذا التفسير في موضع رفع[1]، ويكون المعنى لا مَعْصُومَ إلا المرحوم.

وقوله: ﴿وَغِيضَ المَاءُ﴾.

يقال غاض الماء يغيض إذا غاب في الأرض، ويجوز إشْمامُ الضَّم في الغين[2].

﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾: أي هلاك قوم نوح

﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الجُودِيِّ﴾.

والجوديُّ جبل بناحية آمِدَ[3].

وقوله: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ﴾.

.. ﴿قَالَ يَانُوحُ إِنَّه لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾.

قرأ الحسنُ وابنُ سيرين «عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» وكان مذهبُهمَا أنه ليس بابنه، لم يولد من صلبه، قال الحسن: واللَّه ما هو بابنه، وقال ابن عباس وابن مسعود إنه ابنه، ولم يبتل اللَّه نبيًّا في أهْلِه بمثلِ هَذِه البَلْوَى.

فأما من قرأ: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيرَ صَالِحٍ﴾[4].

فيجوز أن يكون يعني به أنه ذو عمل غير صالح، كما قالت الخنساء.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي إقبال وإدبار[5]

---

(١) خبر لا.

(٢) الميل إلى الضم قليلا في الغَينْ.

(٣) آمد من الثغور المعروفة ينسب إليها علماء أشهرهم أبو الحسن الآمدي.

(٤) أي غير الحسن وابن سرين ـ وقرىء أيضاً: عَمِلَ ـ فعلاً ماضياً وبنصب غير.

(٥) من أبياتها السائرة في رثاء أخيها صخر وقبله:

فما عجول على بَوٍّ تطيف به ... قد ساعدتها على الحَنان أظآرُ

أي ذات إقبالٍ ، وقد قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ونادى نوح ابنه﴾ فنسبه إليه .

وللقائل أن يقول نسبه إليـه على الاستعمال، كمـا قال اللّه ـ جـلّ وعزّ ـ ﴿أينَ شُرَكَائِيَ الذين كنتم تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾(١)، فنسبهم إليه على قولهم، واللّهُ لا شـريك لـه، ولكن الأجودَ في التفسيـر أن يكـون: إنـه ليس من أهلك الـذين وَعَـدْتُكَ أن أُنَجّيَهُمْ، ويجـوز أن يكون ﴿إنَّهُ ليس من أهْلك﴾ إنه لَيْسَ من أَهْـلِ دينِك .

﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ .

ويقرأ فلا تسأَلَنْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ .

وقوله :﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ .

المعنى وأرْسلنـا إلى عـادٍ أَخَـاهُم هُـودًا. وقيـل أخـاهم من جهتين، إحْدَاهُما أنـه منهم وبيَّنَ(٢) بلسانهم، والأخـرى أنه أخـوهم من ولد آدم، بشـر مثلهم .

= وجواب النفي قولها:

يـومـاً بـأوجـد مـني يـوم فـارقـني صـخـرٌ، ولـلدهـر أحـلاء وإمْـرارُ

والعجول الثكلى ـ ويروى أُم شَعْب، وهو الذكر من ولد الناقة، والبَوّ جلد ولد الناقة يحشى ليوهم الناقة أنه ابنها فتشمه وتعطف عليه وتدر اللبن، والظئر التي تعطف على وَلَـدِ غَيْرِهَـا. وترتـع أي ترعى ويروى ترتع ما غفلت ـ أي ما نسيت ولدها فهي ترعى حتى إذا ذكرتـه ظلت تذهب وتجيء وجدا على ولدها ـ تريد أن وجد مثل هذه الناقة ليس بأشـد من حزنها عـلى أخيها صخـر، والأيام تحلو حيناً وتمر آخر.

وهي إقبـال وإدبار أي ذات إقبـال وإدبار والشيـخ عبد القـاهر الجـرجاني يجعـل المصدر بمعنى اسم الفاعل ـ أي مقبلة مدبرة والمبالغة ظاهرة في كلا التقديرين.

والقصيـدة في الـديـوان ص ٤٨، وانـظر الشـاهـد ٧٠ من خـزانـة الأدب حـ١ / ٢٠٧، ٣٨٩ ط السلفية. وهو من الشواهد الشائعة.

(١) سورة النحل الآية ٢٧ .

(٢) بيَّنَ الدين الذي جاء به بلغتهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُه﴾.

وإن شئت غَيـرِه، غيرِه من نعت الإلـه، و «غَيْرُه» على معنى مـا لكم إلهٌ غَيرُه[1].

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾.

كان أصابهم جَدْبٌ فأعْلَمَهُم أنَّهم إن اسْتَغْفَرُوا ربَّهُمْ وتابوا أرسل السماء عليهم مدراراً.

والتـوبة النـدم على مـا سلف، والعـزمُ على تـرك العَـوْدِ في الـذُّنـوب، والإقامةِ على أداء الفرائض.

وَنَصَّبَ مِدْرَاراً على الحال، كأنه قال يرسـل السماء عليكم دارّة، ومعنى مدرار المبالغة، وكان قـومُ هودٍ ـ أعني عـاداً ـ أهلُ بسـاتين وزُرُوعٍ وعَمَـارَةٍ، وكـانت مساكنهم الـرمـالَ التي هي بين الشـام واليَمَن[2]، فـدعـاهم هـودٌ إلى تـوحيد اللَّه واستغفـاره وترك عبـادة الأوثان، فلم يـطيعوه وتـوعدهم بـالعـذاب فـأقامـوا على كفرهم، فبعث اللَّه عليهم الـريح، فكـانت تـدخـل في أنـوفهم وتخرج من أدْبَارِهم وتُقَطِّعُهمْ عُضْواً عُضْواً

﴿وَيَزِدْكُمْ قوّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْا﴾.

أيْ يزِدْكُم قوةً في النعمة التي لكم.

ويجوز أن يكون: ويزدكم قوةً في أبْدَانِكُمْ.

﴿إِنْ نَقُولُ إلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾.

أي ما نقول إلا مسَّـك بعض أصنامنـا بجنونٍ، بِسَبِّـكَ إيَّاهَــا فقال لهم هو:

---

(١) لأن «من زائدة» فيأتي الوصف على المعنى

(٢) منازلهم هي الأحقاف في جنوب الجزيرة.

﴿إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ، وَٱشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾.

وهـذه من أعظم آيات الرُّسُل أن يكون الرسول وَحْدَهُ، وأمَّتُه متعاونة عليه، فيقول لها: كِيدُونِي ثُمَّ لَا تُنْظِرُون، فلا يستطيع وَاحدٌ مِنهم ضَرَّه. وكذلك قال نوحٌ لِقَوْمِه: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُم وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثمَّ اقْضُوا إِليَّ وَلَا تُنْظِرونَ﴾[1]. وقال محمد ﷺ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾[2].

فهذه من أعظم آيات الرسل وأدَلِّها على رِسَالَاتِهِمْ.

﴿مَامِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُو آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾.

أي هي في قبضتِه، وَتَنَالُهَا بِمَا تَشاء قُدرَتُه، ثم قال:

﴿إِنَّ رَبيِّ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أي هو [سبحانه] وإن كانت قُدْرَتُه تنالها[3] بما شاء، فهو لا يشاء إلَّا العَدْل.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾.

المعنى فإن تَتَولَّوْا.

﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾.

فجعل ﴿فقد أبلغتكم﴾ في موضع قَدْ ثَبَتَتِ الحجةُ عليكم

﴿وَيَسْتَخْلِفُ ربي قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾.

وقوله: ﴿نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾.

يحتمل أن يكون بما أَرَيْنَاهُم من الهُدى والبيان الذي هو رحمة،

---

(١) سورة يونس، آية ٧١.

(٢) سورة المرسلات، آية ٣٩.

(٣) تنال كل دابَّةٍ بما تشاء القدرة.

ويحتمل أن يكون ﴿بِرَحْمةٍ مِنا﴾ آي لا ينجو أحدٌ وإن اجتهد إلا برحمة من اللّه ـ جلّ وعزّ ـ

﴿وَنَجّيْنَاهُمْ مِنْ عَذابٍ غليظٍ﴾.

أي مما عُذِّب بِهِ قوم عاد الكفار في الدنيا ومما يُعذَّبُونَ به في الآخرة.

﴿ألاَ بُعْدَاً لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾.

«ألا» ابتداء وتنبيه. وَ ﴿بُعْداً﴾ منصوب على أَبْعَدَهُمُ اللّه بعْداً، ومعنى بُعْداً أي بُعْداً من رحمة اللّه.

﴿وَإلَى ثَمُودَ أخَاهُمْ صَالِحاً﴾.

المعنى: وأرْسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً. وثمود لم ينصرف لأنه اسم قبيلة، ومن جعله اسماً للحي صرفه وقد جاء في القرآن مصروفاً: ﴿ألاَ إنَّ ثَمُوداً كَفَروا رَبَّهُمْ﴾(١).

﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(٢).

ثم بين ما هي فقال:

﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللّه لكُمْ آيَة﴾.

يقال(٣): إنّها خرجت من حَجَرٍ، وفي هذا أعظم الآيات، ويُقَال إنها كانت تَرِدُ المَاءَ، لا تَرِدَ الماء معها دَابَّةٌ، فإذا كان يومُ لا تَرِد، وردَتْ الوَارِدَةُ كلُّها. وفي هذا أعظَمُ آية.

---

(١) قراءة حفص «ألا» إن ثمودًا بدون تنوين.

(٢) ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ جاءت في سورة الأعراف ٧٣. أما في هذه السورة فالآية هي: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إن كنت عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَبي وآتاني مِنْهُ رَحْمَةً﴾.

(٣) في الأصل قال.

ونَصْبُ آية علىَ الحَال. المعنى إن قـال هذه نَـاقَةُ اللَّهِ آيـةً أو آيةً لكُمْ، فكأنه قال: انتبهوا لها في هذه الحالة. والآية العلامة.

﴿فَذَرُوهَاتَأْكُلْ في أَرْضِ اللَّهِ﴾.

وتأكلُ من أرض اللَّهِ، فمن قرأ تَأْكُلْ بالجزم فَهُوَ جَوَابُ الأمر، وقـد بيَّنا مثله في سورة البقرة، ومن قرأ تأكلُ فمعناهُ فذروها في حال أكلها. ويجـوز في الرفع وجه آخر، على الاستئناف، المعنى فإنها تأكل في أرض اللّه.

﴿وَلاَتَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾.

﴿فيأخذكم﴾ جواب النَّهْيِ، والمعنى عذاب يَقْرُبُ مِمَّن مَسَّها بـالسُّوءِ، أي فإن عقرتموها لم تُمْهَلُوا.

﴿فعَقَروها فقال تَمتَّعوا في دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾.

فأهلكوا بَعْدَ الثَّلاثِ، وَقَدْ بيَّنا في الأعراف كيف أهلكوا[1].

وقوله: ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

معناه كان لم ينـزلوا فيهـا. قال الأَصْمعي: المَغَـانِي المَنازِل التي نـزلوا بها، يقال غَنِينَا بمكان كذَا وكَذا إذَا نَـزَلُوا به.

وقـوله - جلّ وعزّ -: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾.

بالبشرى، بالولد.

﴿قالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ﴾.

وقَالُوا سَلاَمٌ، يُقْـرأان جميعـاً، فأمـا قوله ﴿سَلاماً﴾ فمنصوبٌ على سَلّمْنـا سَلاَماً، وأما سَلاَمٌ فمرفوع على معنى أمري سَلاَمٌ (وَمَنْ قَرَأَ سَلاَمٌ فمرْفُوعٌ عَلَىٰ أَمْري سلام)[1].

---

(١) ليست في ط.

أي لَسْتُ مُرِيداً غير السلامة والصُّلْح

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾.

أي ما أقام حتى جاء بعجل حنيذٍ. والحنيذ المشويُّ بالحِجَارَة وقيل: الحنيذ المشوي حَتَّى يَقْطُرَ[1]. والعربُ تقولُ: احْنِذِ الفرس أي اجعل عليه الجُلَّ حَتَّى يقطرَ عَرقاً، وقيل الحنيذ المشوي فقط. وقيل: الحنيذ السَّمِيطُ، ويقال حَنَذَته الشمْسُ والنار إذا شوته.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾.

لم يأكلوا لأنهم ملائكة، ويقال إنهم كانت العلامةُ [لَدَيْهم][2] في الضيفان إذا قصدوا لِخَيْرٍ الأكلَ.

يقال: نكِرْتُ الشيءَ وأنكرت، ويقل في اللغة أنكر ويَقِل منكور، والكلام أنكر ومنكور.

و﴿أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾.

معناه أضمر منهم خوفاً

﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾.

ألا تراه قال في موضع آخر: ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِم حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾[3].

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا﴾.

يروى أنها ضحِكتْ لأنها كانت قالت لإبراهيم: اضْمُمْ لوطاً ابنَ أخيك

---

(١) يسيل منه الدهن.

(٢) زيادة لا بد منها للتوضيح.

(٣) سورة والذاريات / ٣٢ - ٣٣.

إلَيْك، فإني أعلمُ أنه سينزل بهؤلاء القـومِ عذابٌ، فضحكت سـروراً لمُا أتى الأمر على ما تَوَهّمَتْ.

فأما مَن قال: ضحكت: حَاضَتْ فليس بشيء

﴿فَبَشَّرنَاهَا بإسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إسْحَاقَ يَعْقُوب﴾.

يقرأ يعقوبُ ويعقوبَ ـ بالرفع والنصب

وفي هذه البشارة بشارة بالـوَلَدِ وَوَلَـد الوَلَـدِ، يقالُ هـذا ابني من الوراء، أي هذا ابن ابني.

فبشرناها بأنها تلد إسحاق وأنها تعيش حَتَّى ترى وَلَدَه.

وروينا في التفسير أن عُمْرَهَا كان تسعاً وثمانين، وأن عمر إبراهيم كـان تسعاً وتسعين في وقت البشارة.

فـأمـا من قـرأ: وَمِن وراءِ اسحقَ يعقـوبَ، فيعقـوب في مـوضـع نصب محمول على موضع فبشرناها بإسحاق، محمـول على المعنى، المعنى: وهبنا لها إسحق ووهبنا لها يعقوب.

ومن قرأ يَعْقُوبُ فرفْعُه على ضربين، أحدهمـا الابتداء مؤَخَّـراً[1]، معناه التّقـديم، والمعنى ويعقـوب مُحْـدَثٌ لهـا من وراء إسحاق. ويجـوز أن يكـون مرفوعاً بالفعلَ الذي يعمل في «مِنْ وَرَاء»[2] كأنه قال وثبت لها من وراء إسحاق يعقوب.

ومن زعم أن يعقـوب في موضـع جر فخـطأ زعمُه، ذلـك لأن الجَـارَّ لا يفصلُ بينه وبين المجرور، ولا بينه وبين الواو العاطفة، لا يجوز مـررت بزيـد

---

(١) في الأصل مؤخر بالرفع، ويستقم على أنها جملة ثانيةً.

(٢) الزجاج يجري على المذهب الكوفي في تقدير المتعلق فعلا، أي ويكون أو يأتي.

في الـدَّارِ، والبيْتِ عَمْـروٍ ولا في البيتِ عَمْـرِو، حتى تقـولَ وَعَمْـروٍ(١) في البيت.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾.

المصحف فيـه يـا ويلتي بـاليـاء، والْقِـرَّاءَةُ بـالألف، إن شِئت على التضخيم، وَإِنْ شِئْتَ عَلَى الإِمَالة.

والأصـل يَا وَيْلَتِي فَـأُبْدِلَ من اليـاء والكسـرةِ الألف، لأن الفتـح والألف أخف من الياء والكسرة.

ويجـوز الوقف عليـه بغير الهـاء، والاختيارُ أَنْ يـوقف عليه بـالهـاء، يـا وَيْلَتَاهُ. فأما المصحف فلا يخالف، ولا يوقف عليه [بغير الهاء](٢) فإن اضـطر واقف وقف بغير الهاء.

فأما الهمزتان بعد «يَا وَيْلَتَـا» ففيهما ثـلاثة أوجـه، إن شئت حَقَّقْتَ الأولى وخَفَّفْتَ الثانيةَ، فقلتَ يـا وَيلَتَا آلِـدُ، وإن شئتَ ـ وهو الاختيـارُ خفَّفْت الأولى وخفّفْتَ الثـانيـة فقلت يـا ويْلَتَـا آلِـدُ، وإن شئت حَقَّقْتَهُمـا جميعـاً فقلت أَأَلِـدُ وتحقيق الهمزتين مذهب ابن أبي إسحاق.

﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً﴾.

القراءة النصب وكذلك هي في المصحف المجمع عليه، وهو منصـوب على الحال، والحال ههنا نصبها من لطيف النحو وغامضه.

وذلـك أنك إذَا قلت هـذا زيد قـائماً، فـإن كنت تقصد أن تخبـر من لم يعرف زيداً أنه زيدٌ لم يجز أن تقول: هذا زيد قـائماً، لأنـه يكون زيـداً ما دَامَ

(١) في الأصل أو.

(٢) زيادة لا بد منها لإصلاح هذه الجملة الركيكة، وفي الأصل بأن أضطر.

قائماً، فإذا زال عن القيام فليس بزيدٍ، وإنما تقول ذاك لِلَّذي يعرف زيداً: هذا زيدٌ قَائِماً فيعمَلُ في الحال التنبيه[1]، والمعنى انتبه لزيد في حال قيامه، وَأُشِيرُ لك إلى زيد حال قيامه، لأن «هذا» إشارة إلى ما حضر، فالنصب الوجْهُ كما ذكرنا ويجوز الرفع.

وزعم سيبويه والخليلُ أن النصبَ من أربعةِ أَوْجهٍ:

فوجه منها أن تقول: هذا زيد قائمٌ فترفع زيداً بهذا وترفع قائماً خبراً ثانياً، كأنك قلت: هو قائمٌ أو هذا قائم.

ويجوزُ أن تجعل زَيْداً وقَائِماً جميعاً خبرين[2] عن هذا فترفعهما جميعاً خبراً بهذا، كما تقول: هذا حُلْوٌ حَامِضٌ تريد أنه جمعَ الطعمين.

ويجوز أن تجعلَ زيداً بدلاً من هذَا، كأنك قلت زيد قائم[3].

ويجوز أن تجعل زيداً مُبَيِّناً عن هذا، كأنك أردت: هذا قائم، ثم بينت من هو بقولك زيد.

فهذه أربعة أوجه[4].

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ﴾.

الرَّوعُ الفزعُ. يعني ارتياعُه لمّا نكرهم حين لم يأكلوا من العِجْلِ. والرُّوع - بضم الراء - النفس. يقال وقع ذلك في رُوعِي، أي في نَفْسي ومن خَلَدِي.

﴿وَجَاءَتْه الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾.

يجادلنا حكاية حال قد مضت لأن «لَمَّا» جعلت في الكلام، لِمَا قد وقعَ

---

(١) الإشارة، أي أُشير إليه حال كونه قائماً.

(٢) الأولى أن يقول خبرا، لأنه هنا غير متعددٍ.

(٣) والتقدير هذا قائم.

(٤) وليست أوجه نصب وإنما هي أوجه إعراب.

لـوُقُوعِ غَيـرِه. تقول: لمـا جَاءَ زيـدٌ جاءَ عمـروٌ، ويَجوز لمّـا جاء زيـد يتكلم وعمرو، على ضربين:

أحدُهُمَا أنَّ إنْ لمـا كانت شـرطاً للمستقبـل وقع المـاضي فيها في مَعنى المستقبـل، نحو إن جـاء زيدٌ جِئتُ. والـوجه الثـاني - وهو الـذي أختارُه - أن يكون حالاً لحكاية قـد مضت.

المعنى فلمـا ذهب عن إبـراهيـم الـروع وجـاءَتْـه البُشْـرى أَخَـذَ يُجَـادِلُنـا في قـوم لـوط، وأقبـل يجـادِلُنَـا. ولم يـذكـر في الكـلام أخـذ وأقبـل، لأن في كل كـلام يخاطب بـه المخاطب معنى أَخَـذَ وأقْبَـلَ إذَا أرَدْتَ حكـايَةَ الحَـالِ، لأنك إذَا قُلتَ: قـام زيدٌ، دللت على فعـل ماضٍ، وإذا قلت أخَذ زيْدٌ يَقُولُ(٢) دللت على حال ممتدة من أجلها ذكرتَ أَخَذَ وأَقْبَلَ. وكذلك جعل زيد يقول كذا وكذا، وكَرَبَ(٣) يَقُول كذا وكذا.

وقـد ذكرنـا «الأوَّاه» في غير هـذا المـوضـع(٤)، وهـو المبتهـل إلى اللَّه المتخشّع في ابتهاله، الرحيم الذي يكثر من التأوّه خوفاً وإشفاقاً من الذنوب.

ويـروى أن مجادلتـه في قوم لـوط أنه قـال للملائكـة وقـد أَعْلَمُـوه أنهم مُهْلِكُـوهم، فقـال أرأيتم إنْ كـانَ فِيهـا خمسُـونَ من المؤمنين أتُهلكـونَهُمْ(٥) مَعَهُمْ(٦) إلى أن بلغ خمسةً، فقالوا لا، فقال اللَّه - عزّ وجلّ - : ﴿فَمَا وَجَدْنا فيها غيرَ بيتٍ مِنَ المسلمين﴾(٧).

---

(١) ليست في ط.

(٢) ر - يقوم.

(٣) هي من أفعال المقاربة وعدها هنا من أفعال الشروع.

(٤) انظر ص٤٧٣ حـ ٢ سورة التوبة.

(٥) في - ر - أتهلكوهم.

(٦) ليست في ط.

(٧) خشي إبراهيم أن ينـال الهلاك المسلمين إذا كانوا قلة، فسأل عما إذا كانوا ينجون إذا كانوا خمسين،

ويـروى أنهم كانـوا جَمْعاً كثيـراً، أكثرُ مـا رُوِي فيهم أنهم كانـوا أربعـة آلاف[١].

﴿يا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

المعنى جَادَلَنا فقلنا يا إبراهيم أَعْرِض عن هذا.

ويروى أن إبراهيم لَمَّـا جَاءتـه الملائكـةُ كان يَعمَـلُ في أرض له وكلمـا عمل دَبْرَةً من الدِّبَارِ وهي التي تسمى المشـارات[٢] غَرَّز بَالَتَهُ وصَلَّى، فقـالت الملائكة حقيق على اللَّه أن يتَّخِذَ إبراهيم خليلاً[٣].

وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ﴾.

معناه ساءَه مَجيئُهم، لأنهم استضـافوه فخـاف عليهِمْ قومَـه، فلما مَشَى معهُمْ قليـلاً قال لهنَّ: إن أهـل هذه القـرية شَـرُّ خلقِ اللَّه وكان قَـدْ عُهِـدَ إلى الرُّسُل ألَّا يهلكوهم حتى يَشْهَد عليهم لـوطٌ ثلاث مـرات، ثم جَازَ عليهم بعـد ذلك قليلاً، وردَّ عليهم القول ثم فَعلَ ذلكَ ثالثةً ومَضَوا معه.

﴿سِيءَ بِهِمْ﴾: أصله سُوِئَ بهم، من السّـوءِ إلا أن الـواو أُسْكِنتْ وثُقِلت كسرتها إلى السِّين، ومن خفَّفَ الهمزة قال: سِي بِهِمْ ﴿وضاق بهم ذَرْعاً﴾. يقال ضاق زيدٌ بأمْرِهِ ذَرْعاً إذا لـم يجد من المكروه في ذلك الأمر مَخْلَصاً.

﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾.

= فلما أجاب الملائكة أنهم ينجون. سأل عن الأربعين والثلاثين حتى بلغ إلى خمس من المؤمنـين، ولم يكن هناك غير بيت واحد من المسلمين. والآية في سورة «الذاريات» ٣٦.

(١) في ط أربعة ألف، وفي ر أربعة ألف ألف.

(٢) الـدبرة القـطعة من الأرض تـزرع مثل مـا يسمى الآن «الحوض» أي الجـزء الصغـير من الأرض المقسمة للزراعة ـ وأيضاً الساقية بين المزارع. وهي المشارات، واحدها مشارة. والبالة وتسمى المَرُّ هي ـ المسحاة. أي إن إبراهيم ـ كان يغرُز فأسه في الأرض وينصرف إلى الصلاة.

(٣) أي يستحق أن يتخذه اللَّه خليلاً.

أي شديد، فلما أضافهم مضت امرأته ـ عجوز السوء ـ فقالت لقومه إنه استضاف لوطاً[١] قومٌ، لم أر أَحْسنَ وجُوهاً مِنْهُمْ وَلاَ أَطْيَبَ رَائِحةً، ولا أنظف ثياباً.

﴿وَجَاءَهُ قَومُه يُهرَعُونَ إلَيْه﴾.

أي يسرعون في المجيء، فراوَدُوه عن ضيفه، وحاولوا فتح بابه، فأعلمته الملائكة أنّهم رُسُلُ اللَّهِ وأن قومَه الفسقَةَ لن يصلوا إليهم.

فقال لهم لوط حين رَاوَدوه: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِي في ضَيْفِي﴾.

فقيل إنهم عُرِضَ عليهم التزويج، وكأنه عرضه عليهم إنْ أَسْلَمُوا

وقيل: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾: نساء أمّتي، فكأنه قال لهم التزويج أطهر لكم، فلما حاولوا فتح البابِ طمس اللَّه أعْيُنَهُمْ. قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوه عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾[٢].

ولما استعجلوه بالعذاب، قالت لهم الرسل: ﴿إنَّ مَوْعِدَهُمْ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾.

القراءة بالرفع في أَطْهرُ، وقد رُوِيَتْ عن الحسن هن أطهرَ لكم، وعن عيسى بن عمر. وذكر سيبويه أن ابنَ مَرْوانَ لَحنَ في هَذِه في نَصْبهَا.

وليس يُجيزُ أحدٌ من البصريين وأصحَابِهِمْ نصبَ أَطْهر، ويجيزها

(١) في الأصل لوطاً قوماً ـ ويستقيم كما هنا ـ أي سأله قوم أن يستضيفهم.

(٢) سورة القمر ٣٧.

غيرهم. والذين يجيزونها يجعلون «هُنَّ» في هذا بمنزلتها في «كان»[1] فإذا قالوا: هؤلاء بَنَاتِي أطْهَرَ لَكُمْ، أجازوا هُنَّ أَطْهَر لَكُمْ، كما يجيزون كان زيدٌ هو أطهر مِنْ عَمْرٍو[2].

وهذا ليس بمنزلة كان. إنما يجوز أن يقع «هو» وتثنيتها وجمعُها «عماداً»[3] فيما لا يتم الكلام إلاَّ به، نحو كان زيدٌ أخاكَ[4]. لأنهم إنما أدخلوا «هُمْ» لِيُعْلِمُوا أن الخَبَرَ لا بد منه، وأنه ليس بصفة للأول. وباب «هذا» يتم الكلام بخبره[5]، إذا قلت: هذا زيد فهو كلام تام. ولو جاز هذا لجاز جاء زيد هو أنْبَلُ من عمرو. وإجماع النحويين الكوفيين والبصريين أنه لا يجوز قدمَ زيد هو أنْبلَ مِنك حتى يرْفَعُوا فيقولوا هو أنبل منك[6].

وبعد فالذين قرأوا بالرفع هم قُرَّاءُ الأَمْصارِ، وهم الأكثر. والحسن قد قرأ «الشياطون» والشياطون ممتنع في العربيَّةِ.

وقد قال بعضهم: إن المشركين في ذلك الدهر قد كان لهم أن يتزوجوا من المسلمين[7].

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

أي بظلمةٍ من الليل. يقال: معنى قِطْعٍ من الليل أي قطعةٍ صالحةٍ،

---

(١) ضمير فصل لا محل لها من الأعراب.

(٢) فيكون تقدير الجملة هؤلاء بناتي حال كونهن أطهرَ لكم ـ و «هن» زائدة.

(٣) العماد هو ضمير الفصل الذي لا محل له من الأعراب.

(٤) يؤتى بالضمير في الخبر الواضح ـ فتقول كان زيد هو أخاك ـ فهو ضمير فصل على هذا لا محل له من الاعراب.

(٥) يتم معنى الجملة ولا يكون هناك وهم أن الخبر صفة.

(٦) فيكون في الكلام جملتان ـ جاء زيد جملة، وهو ابنك منك جملة.

(٧) أي أن قول لوط لقومه المشركين: هؤلاء بناتي ـ كانت دعوة للزواج منهنّ وهو كان جائزاً في ذلك الوقت.

وكذلك مَضى(١) عِنْكٌ(٢) من الليل، وسِعْوٌ مِنَ اللَّيْلِ(٣).

ويقرأ: ﴿فَأَسْرِ﴾ بإثباتِ الهمزَةِ في اللفظ، ويقرأ: فَاسْرِ يقال أَسْرَيْت وسَرَيْتُ إِذَا سِرْتُ ليلاً، قال الشاعر(٤):

سَرَيْتُ بهمْ حَتّى تكِلّ مَطيهُم ... وحتى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأَرْسَانِ

وقال النابغَةُ(٥)

أسرَتْ عَلَيْهِمْ من الجوزاء سارِيةٌ ... تُزْجِي الشَّمَال عليها جامدُ البَردِ

وقد روَوْا في هذا البيت سَرَتْ، وقال اللّه - جَلَّ وعزَّ - : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾(٦).

وقوله: ﴿إِلَّا آمْرَأَتَكَ﴾.

يجوز فيه النصب والرفعُ فمن قرأ: إلَّا أمرأتَكَ. بالنَّصْبِ فَعَلَى معنى

---

(١) ليست في ط.
(٢) العِنْكُ سُدفةٌ من الليل من أوله إلى ثلثه أو قطعة منه مظلمة - أو الثلث الباقي. ويُثَلَّثُ أي حركة أوله تثلث (قاموس).
(٣) السِّعْوُ - بالكسر - الساعة أي الزمن، وسعو من الليل ساعة منه.
(٤) البيت لامرىء القيس - وفي اللسان (مطا):
مطوت بهم حتى يكل غَزِيُّهُمْ
وفيه (غزا) سريت بهم، والغزى جمع غاز.
يقول سريت بهم حتى وهنت قوى الفرسان وضعفت خيولهم فلا تحتاج أن تقاد برسَنٍ.
(٥) من داليته - يا دار مية - البيت الحادي عشر. يروى سرت وأُسْرَتْ والسارية السحابة، وتزجي تسوق. يصف ثوراً وحشياً يرتع من مرعى له. أي مرت به سحابة ممطرة ودفعت ريح الشمال عليه البرد الجامد، فهو مذعور خائف انظر شرح العشر للزوزني ١٩٨ (ط صبيح) واللسان (شرى). والديوان ٦ والقرطبي ٩ / ٧٩ ومجاز أبي عبيدة ١/ ٢٩٥. ورواية البيت «عليه» أي على الثور - ويبدو أن «عليهم» سهو من الناسخ.
(٦) أول سورة الإسراء.

فأسر بأهلك إلَّا أمْرأَتَكَ، ومن قرأ بالرَّفـع، حَمَلَهُ عَلَى مَعْنَى:﴿ولا يلتفِتْ منكم أحدٌ إلا امْرَأَتُك﴾[1].

وقوله: ﴿جَعَلْنَا عَالِيَها سَافِلَهَا﴾.

يقال أن جبريل جعل جناحه في أَسْفَلِهَا ثم رَفَعها إلى السماء حتَّى سمع أهلُ السَّماءِ نُباحَ الكِلابِ وصِيَاح الدَّجَاجِ، ثم قَلَبها عَلَيْهِمْ.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيها حِجَارَةً مِنْ سِجّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

وقـد قال النـاس في سِجيـلٍ أقْـوالاً، ففي[2] التفسيـر أنَّهـا مِنْ جِـلٍّ[3] وحِجَارَةٍ. وقال أهل اللغة: هو فارِسِيٌّ مُعرَّبٌ، والعرب لا تعرف هذا. والذي عنـدي أنـه إذَا كـان هـذا التفسيـرُ صَحيحـاً فهـو فـارِسيٌّ. أعْـرِبَ لأن اللّـه -جلَّ وَعَزَّ- قـد ذكر هـذه الحجارة في قصـة قوم لـوط، فقال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارةً مِنْ طِينٍ﴾[4] فقد تبيَّن للعرب ما عُنِيَ بسجيل، وَمِنْ كلام الفـرسِ ما لا يحْصَى مما قد أعْرَبَتْهُ العَـرَبُ. نحو جـاموس وديبـاج. فلا أُنْكِـرَ أنَّ هذا مِمَّـا أُعْرِبَ.

وقال أبو عبيدة معمرُ بنُ المثَنَّى: تأويله كَسَيْرَة شـديدة[5]، وقـالَ إن مثل ذلك قول الشاعر[6]:

(١) بدل من أحد لأن الاستثناء تام منفى. يجوز فيه الإتباع والنصب

(٢) ط فمن التفسير.

(٣) جل: الجل يـطلق على سـوق الزرع الـذي أخذت سنـابله - وهو لا ينـاسب هنا، ولكن قيـل ان الكلمة معربة من كلمتين هما سِنْك بمعنى حجـارة، وكِلْ بمعنى الـطين - فهي سِنْكِلٌ - حـولت إلى سجيل، ونقل صاحب اللسان كلام الزجـاج هنا بـأكمله، وقال الأزهـري أيضاً إنـه معرف وانـه بمعنى الطين.

(٤) سورة الذاريات الآية ٣٣.

(٥) قال هو الشديد من الحجارَة الصُّلْبُ.

(٦) رجلة جمع رجل، والبيض جمـع بيضة، وهـو الحديـد الذي يلبس للوقـاية في الحـرب، والبيت في =

ورَجْلَةً يضربونَ البَضْ ضَاحِيَةً ضرباً تواصت به الأبطال سِجِّينَا

والبيت لابن مُقْبِل، وسِجِّين وسِجِّيل بمعنى وَاحِدٍ. وقال بعضهم: سِجِّيلٌ من أسْجَلتهُ أي أرْسَلْتَهُ فكأنها مُرْسَلَةٌ عَلَيْهِم. وقال بعضهم من سِجِّيلٍ، من أسْجَلْتُ إذا أعْطيتُ، فجعله من السَّجْل وهو الدَّلْو.

قال الفَضْلُ بنُ عبَّاسٍ(١):

من يُساجِلْنِي يساجِلْ ماجِداً يَمْلأُ الدَّلْوَ إلَى عَقْدِ الكَرَبْ

وقيل من سِجِّيلٍ كقولك مما سُجِّلَ أي مما كتب لهم، وهذا القول إذا فُسِّرَ فهُوَ أثبتها(٢). لأن في كتاب اللَّه تعالى دَلِيلاً عليه، قال ـ جلّ وعزّ ـ: ﴿كلاَّ إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ. وَمَا أدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ. كِتابٌ مَرْقُومٌ﴾(٣).

= اللسان (سجل) «يضربون البيض عن عُرُض»، وفي (سجن) كما هنا، وقبله

فإن فينا صَبُوحاً إن رأيت به ركباً بهيًّا وآلافاً ثمانينا

فرجلة منصوب بالعطف على «ركبا» وابن مقبل هو تميم بن أبيّ بن مقبل شاعر مخضرم عاش نحو مائة وعشرين عاماً، وهو الذي هجا النجاشي الشاعر، وهجاه النجاشي بقوله:

إذا اللّه عادى أهل لؤم ورقة فجازى بني العجلان رهطِ ابنِ مُقْبِلْ

فاستعدى عليه عمرَ بنَ الخطّاب.. وكان ابن مقبل يبكي أهل الجاهلية.

وانظر زهر الآداب جـ ١ ص ٥٥. وخزانة الأدب ٢١٤ والعمدة ٧٣.

(١) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب. زعم أبو الفرج أن عتبة جد الفضل هو الذي قتله الأسد بدعوة رسول اللّه (ﷺ) عليه، والذي دعا عليه رسول اللّه هو عتيبة، والفضل شاعر إسلامي حسن الشعر كان آدم به سمرة ورثها عن جدته لأمه، ولهذا جاء قيل هذا البيت:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة من بيت العرب

وهو يعني بالخضرة سواد أديمه. والمساجلة المفاخرة، والكرب الخشبة تثبت بفم الدلو، يريد أنه يبلغ الغاية في الكرم.

وانظر ترجمة الفضل بالأغاني ١٦ / ١٧٢ وبها البيت، أيضاً ص ١٧٨، والكامل ١ / ١١٣ (تجارية) واللسان (سجل)، والخزانة.

(٢) إذا صح أن فسر به فهو أقواها.

(٣) سورة المطففين الآية ٧ ـ ٩.

سِجِّيل في معنى سِجِّين. فالمعنى إنها حِجَارَةٌ مما كتب اللَّه ـ جلّ ثناؤه ـ أنه يُعَذِّبُهُمْ بها.

وهذا أَحْسنُ ما مَرَّ فيها عِنْدِي.

فأمّا قوله: ﴿مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

فمعناه أن بعضها يأتي مَعَ بَعْضٍ كالمطرِ.

وأما ﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فروي عن الحسن أنها مُعْلَمَةٌ ببياضٍ وحُمْرةٍ. وقال غيرُه: مُسَوَّمَةٌ بعَلامَةٍ يعلم بها أنها ليست مِنْ حِجَارةِ أَهْلِ الدُّنيا، وتُعْلَم بسيماها أنها مما عذَّب اللَّهُ بها.

﴿وَمَاهِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾.

قِيلَ إنها ما هي من ظالمي هذه الأمة بِبَعِيدٍ.

﴿وإلى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعيباً﴾.

المعنى أرسلْنا إلى أهل مَدين أَخَاهُمْ شُعَيْباً، فحذف أهل وأقام مَدْين مقامَه. ومَدْين اسمُ المَدينة أو القبيلة فلذلك لم ينصرف.

وقوله: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾.

ومعناه طاعة اللَّه ﴿خيرٌ لكُمْ إن كنتم مؤمنين﴾، ويجوز أَنْ يكون مَعْنَاهُ الحال التي تَبْقَى لكم من الخير خير لكم.

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصلاَتُكَ﴾.

ويقرأ: أصَلَواتُك.

﴿تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آباؤُنَا﴾.

هذا دليل أنهم كانوا يعبدون غير اللَّه ـ جل وعزّ ـ

﴿أوأَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾.

المعنى إنا قَدْ تَرَاضَيْنَا بالبخس فيما بَيْنَنَا. وفي التفسير أَنه نهاهم أن يَحْذِفُوا الدَّرَاهِمَ. (أي (أن) يكسروها)[١].

﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

قيل[٢] كنى بِذَا عن أَنَّهُمْ قالوا له: إنك السَّفِيهُ الجاهِل، وقيل إِنَّهُمْ قالوا له هذا على وجه السُّخرِيِّ.

وقوله:﴿قال يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ على بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَني مِنْهُ رِزْقاً [حسنا]﴾.

وجواب الشرط ههنا متروك. المعنى إن كنت على بينَةٍ مِنْ رَبِّي أَتَّبِعُ الضَّلَالُ[٣] فترك الجواب لعلم المخَاطَبينَ بالمعنى، وقد مرَّ ما تُرِكَ جَوَابُه لأنه مَعْلُومٌ وشرحُه في أمكنتِه.

وقوله :﴿وَرَزَقَنِي منه رِزْقاً حَسَناً﴾.

[أي] حَلالاً، وقيل: رزقاً حَسَناً ما وُفِّقَ له مِنَ الطَّاعَةِ.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلى ما أنهاكم عَنْهُ﴾.

أي لست أنهاكم عن شيء وأَدْخُلُ فيه، وإنما أختار لكم ما أختار لنفسي، ومعنى «مَا أُخَالِفُكَ إليه»، أي ما أقصد بخلافك القَصْدَ إلى أن أَرْتَكِبَهُ[٤].

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾.

أي بقدر طاقَتِي، وَقَدْرُ طَاقَتِي إِبْلَاغُكم وإِنذَارُكم، ولست قادراً على إجبَاركم على الطاعةِ. ثم قال:

---

(١) ليست في ط.

(٢) في ر قال بعضهم.

(٣) أي أأتبع الضلال. فهي جملة استفهامية.

(٤) ما أريد بمخالفتك مجرد المخالفة هذا الشيء.

﴿وَمَا تَوْفِيقي إلا بِاللَّهِ﴾.

فأعْلَمَ أنه لا يقدر هو ولا غيرُه على الطاعـة إلاّ بتوفيق اللّه، ومعنى ﴿إليه أنيب﴾ إليه أرجع.

﴿وَيَا قَوْمِ لاَيَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ﴾.

مَوضع أَنْ نَصْبٌ، المعنى لا تكْسِبَنَّكُمْ عداوتكم إيَّايَ أَنْ يُصيبَكم عذابُ العاجلة ﴿مِثْلُ مَـا أَصَاب قَـوْمَ نوحٍ أَوْ قَـوْمَ هُودٍ أَوْ قَـوْمَ صَالِـحٍ ، وَمَا قَـوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾.

وكان إهلاك قوم لوط أقربَ الإِهْلاَكات التي عرفـوها، فكـأنه قـال لهم: العظةُ في قوم لوط قريبةٌ مِنكم.

﴿قَالُوا يَـا شُعَيْبُ مَا نَفْقَـهُ كَثِيراً مِمَّـا تَقُولُ وإنَّـا لَنَـرَاكَ فِينَـا ضَعِيفاً﴾ ـ وكان ضريراً.

وحِمْيـرُ تُسمِّي المكفوف ضعيفـاً، وهذا كمـا قيـل ضَـرِيـرٌ أي قـد ضُـرَّ بذهاب بَصَرِهِ، وكذلك قد كُفَّ عن التَّصرُّفِ بذهاب بصره.

﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـاكَ﴾.

أي لـولا عشيرتـك لـرجمنـاك أي لَقَتَلْنـاك بـالـرَّجْم، والـرجم من سَيء القتـلات، وكان رهـطه من أهلِ مِلَّتِهِمْ فلذلـك أظهـروا الميـل إلَيْهِمْ والإكـرام لهم.

﴿قَالَ ياقَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

أي أنتم تزعمون أنكم تتركون قَتْلِي إكـراماً لِـرَهْطِي ـ واللَّه ـ جـل وعزَّ ـ أولى بأن يتبعَ أَمْرُه.

﴿واتَّخَذْتُمُوه وَرَاءَكـمَ ظِهْرِيًّا﴾.

أيْ نَبَذْتُموه وَرَاءَ ظهوركم، والعرب تقول لكلّ من لا يعبأ بأَمْرٍ قد جعل فلانٌ الأمر بظهره، قال الشاعر(١):

تميم ابن قيس لا تكونن حاجتي   بظهرٍ فلا يعيى عليَّ جوابها

وقوله ـ جلّ وعزَّ ـ: ﴿وأخَذَتِ الذين ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جاثِمينَ﴾.

يروى أَنَّ جبريلَ صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً فماتوا في أمْكِنَتِهِمْ، فأصبحوا جاثمين لا يقدرون على حركة قَدْ مَاتوا.

﴿كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾.

كأن لم ينزلوا فيها، يقال: غَنِينَا بِالْمَكانِ إذَا أنزَلْنَا بِهِ.

﴿ألَا بُعْداً لِمدْيَنَ﴾(٢).

---

(١) هو الفرزدق، وقصة هذا الحادث كما رواها المبرد في كامله أن الحجاج ولى تميم بن زيد القيني السند، فدخل هذا البصرة وجعل يخرج من أهلها من شاء، وكان لامرأة عجوز بالبصرة ولد يسمى خُنيساً، فجاءت إلى الفرزدق بحصيات من قبر أبيه وقالت اني إستجرت بقبر أبيك، وقالت لا قرة لعيني ولا كاسب غير هذا الولد فكتب الفرزدق إلى تميم:

تميم زَيدٍ لا تكون حاجتي
وهب لي خنيساً واحتسب فيه منة   لحاجة أم ما يسوغ شراً بها
أَتَتْني فعاذت يا تميم بغالب   وبالحفرة السافي عليها ترابها

ولم تكن الكتابة منقوطة فلم يعرف تميم اسمه خنيس أم حبيش ووجد في عسكره ستة أشخاص أسماؤهم بين خنيس وحبيش فوجه بهم إليه.

ورواية البيت ـ تميم بن زيد ـ لا ابن قيس كما هنا.

وانظر البيت في الكامل ١/٢٩١ (تجارية) وذيل الأمالي ٧٧ والأغاني ٢١/٣٥٥، ٣٥٦.

جاء في النسخة ط بعد هذه الآية: هذه العبارة.

ثم الجزء الثاني والحمد للّه وصلواته على صفوته من خلقه محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

(٢) من الآن فصاعداً يكون لدينا نسخة واحدة هي نسخة ـ ر ـ من المعهد البريطاني ـ ليس لدينا سواها ـ وفى آخرها تشويه نسأل اللّه تعالى أن يعيننا على التهدي لمعرفة ـ ما كتب فيه وهوامش

﴿أَلَا﴾ حرف يُبتدأ الكلام به، وهو تنبيه للمخاطب

ومعنى ﴿بُعْداً لِمَدْيَنَ﴾ أنهم قد بُعُدوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وهو منصوب على المصدر، المعنى أَبْعَدَهُم اللَّه فبعُدوا بعداً، ودليل ذلك: ﴿كما بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾.

ويجوز بَعَدَت وبَعُدَتْ(1).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بآيَاتِنَا﴾.

أي بعلاماتنا التي تدل على صِحة نبوَّته.

﴿وَسُلْطَانٍ مُبينٍ﴾.

أي وحجة بَيِّنةٍ. والسُّلْطانُ إنما سُمِّيَ سُلْطَاناً لأنَّه حُجةُ اللَّه في أرْضِه. واشتقاق السلطان مِنَ السليط، والسليط ما يُضَاءُ بِهِ، ومن هذا قيلَ للزَّيْت سَليطٌ.

﴿إلَى فِرْعَوْنَ ومَلَئِهِ﴾.

مَلَؤُهُ أشرافُ قوْمِهِ، الَّذِينَ هم مِلاءٌ بالرَّأْيِ والمَقْدِرَة ﴿فاتبعوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾.

أي استحبُّوا العَمَى علىَ الهُدَى.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

يقال قَدَمْتُ القَوْم أقدُمُهُمْ قَدْماً وقُدُوما إذَا تَقَدَّمتُهُمْ. أي يقدُمُهم إلى النَّارِ، ويدُل على ذلك قوله: ﴿فأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾.

= هذه النسخة ـ مشحونة بتعليقات معظمها منقول من كتابي الكشاف، والنسفي ـ ولم يهتم كاتبها بالبحوث اللغوية ـ ويذكر على الهامش أحياناً كلمة نسخة وبجانبها تصحيح أو رواية ثانية ولكن هذه قليلة جداً وقد أثبتناها في أماكنها.

(1) بَعدَ يبعَدُ بمعنى هلك ومات فيكون دعاء عليهم بالهلاك كما هلكت ثمود.

وقوله :﴿بِئْسَ الرِّفْدُ المَرْفُودُ ﴾ .

كل شيءٍ جعَلْته عَوْناً لِشَيْءٍ، وأسندتَ به شيئاً فقدْ رَفَدْتَه، يقال عمدتُ الحائِطَ وأسنَدْتُه ورَفَدْتهُ بمعنى واحدٍ، والمرْفَدُ القَدَح العظيم .

وقوله:﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ .

أي من القُرى الّتي أُهْلِكتْ قَائِمٌ قد بقيت حِيطَانُه، نحو قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾(١) .

﴿وحَصِيد﴾ مخسوف به، وهي ما قد انمحى أثَرُه .

وقوله:﴿وَمَازَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ .

معناه غير تخسير، ومنه قوله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي خسِرَت .

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ له النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ فأعلم اللَّه ـ عَزَّ وجلّ ـ أنه يحيي الخلق ويبعثهم في ذلك اليوم ويشهدوا به .

وقوله عزّ وجلّ :﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ .

الذي يختاره النحويون: يوم يأتي لا تكلم نفس إلّا بإذنه. بإثبات الياء، والذي في المصحف وعليه القراء القراءات بكسر التاء [من غير ياء]. وهذيل تستعمل حذف هذه الياءات كثيراً، وقد ذكر سيبويه والخليل أن العربَ تقول لا أدْرِ فتحذف الياء وتجتزي بالكسْرِ، إلاّ أنّهم يزعمون أن ذلك لكثرة الاستعمال. والأجود في النحو إثبات الياء والذي أراه اتباع المصحف مع اجماع القراء، لأن القراءة سنة، وقد جاء مثله في كلام العرب.

وهذه الآية فيها سؤال أكثر ما يَسْأَلُ عنه أهل الالحاد في الدّين فيقولون لم قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إلاَّ بِإِذْنِهِ﴾، و﴿هذا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ. ولا

---

(١) سورة الحج الآية ٤٥.

يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾(١)، وقال في مواضع من ذكر القيامة ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾(٢)، وقال: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾(٣) وقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُون﴾(٤)، وقال ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾(٥).

ونحن نفسر هذا على ما قالت العلماء المتقدِّمون في اللغة المسلمون الصحيحو الإسلام:

قالوا: قوله - عزّ وجلّ -: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَسْؤولونَ﴾: اللَّه عالم بأعمالهم فَسُأَلهُم سؤالُ توبيخ وتقرير لإيجاب الحجة عليهم، وقوله: فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جانّ أي لا يُسْأَلُ لِيُعْلَمَ ذلك منه، لأن اللَّه قد علم أعمالهم قبل أن يعملوها. وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لا ينطقون﴾، أي لا ينطقون بحجة تجبُ لَهُم، وإنما يتكلمون بالإقرارِ بِذُنُوبِهِمْ ولَوْمِ بعضهم بعضاً وطَرْحِ بَعضِهِم الذنوبَ على بعضٍ، فأما التكلم والنطق بحجَّة لهم فلا، وهذا كما تقول للذي يخاطبك كثيراً وخطابه فارغ من الحجة: ما تكلمت بشيء، وما نطقت بشيء فسمي من تكلم بما لا حجَّةَ له فيه، غير متكلم - كما قال عزّ وجلّ: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ فَهُمْ لَا يُبصِرونَ(٦) وهم يُبْصِرُون ويَسْمَعُونَ إلاَّ أَنَّهم في أنَّهم لا يقبلون ولا يُفكِّرُونَ فيما يسمعون ولا يتأَتلونَ، بمنزلة الصّمِّ، قال الشاعر(٧):

---

(١) سورة المرسلات ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة ن ٣٠.

(٣) سورة النحل / ١١١،.

(٤) سورة والصافات ٢٤.

(٥) الرحمن ٣٩.

(٦) سورة البقرة الآية ١٨﴿فهم لا يَرْجِعُون﴾.

(٧) تقدم.

فهذا قول حسن.

وقال قوم: ذلك اليوم طويل ولـه مواضـع ومواطن ومـواقف، في بعضها يُمْنَعُـونَ من الكلام وفي بعضهـا يطلق لهم الكـلامُ، فهذا يـدل عليه ﴿لاَ تَكَلَّم نَفْسٌ إلاَّ بإِذْنِهِ﴾ ـ وكلا القولين حسن جميل.

﴿فَأَمَّا الَّذِين شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُم فِيهَا زَفيرٌ﴾ من شديد الأنين وقبيحه، ﴿[وشهيق]﴾ والشهيق الأنين الشديد المرتفع جدًّا. وزعم أهل اللغة من البصريين والكوفيين أن الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمـار في النهيق، والشهيق بمنزلـة آخر صـوته في النهيق.

وقوله تعالى: ﴿إلاَّ مَاشَاءَ رَبُّكَ﴾.

فيها أربعة أقوال. قولان منها لأهل اللغة البصريين والكوفيين جميعاً.

قالوا: المعنى خالدين فيها إلا ما شاء ربك بمعنى سـوى ما شـاء ربُّك، كما تقول: لـو كان معنـا رجل إلاَّ زَيْداً[1] أي رجل سوى زيدٍ ولـك عندي ألف درهم سـوى الألفين، وإلاّ الألفين اللذين لك عِنْـــدِي. فـالمعنى على هـذا خـالدين فيهـا مقدار دوام السمـوات والأرض سـوى مـا شـاء ربـك من الخلود والزيادة كما قلت سوى الألفين اللتين[2] عَليَّ.

وقالوا قولاً آخر: إلا ما شاء ربك وهـو لا يشـاء أن يخرجهـم منها، كمـا تقول أنا أفعل كذا وكذا إلا أن أشاء غيـر ذلك ثم تقيمُ على ذلـك الفعل وأنت قادر على غير ذلك، فتكون الفائدة في هذا الكلام أن لو شاء يخـرجهم لَقَدَرَ، ولكنه قد أعلمنا أنهم خالدون أبداً.

---

(١) في الأصل إلا زيدٌ.

(٢) في الأصل الألفان التي وهو خطأٌ.

فهذان المذهبان[١] من مذاهب أهل اللغة.

وقولان آخران:

قال بعضهم إذا حُشِرُوا وبُعِثُوا فهم في شُروط القِيامَةِ فالاستثناء وقع من الخلود بمقدار موقفهم للحساب. والمعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا مقدار موقفهم للمحاسَبةِ.

وفيها قول رابع: انّ الاستثناء وقع على أن لهم فيها زفيراً وشهيقاً إلاَّ ما شاء ربك من أنواع العذاب التي لم تُذْكر، وكذلك لأهل الجنّة نعيمُ ما ذُكر[٢] ولهم ما لم يذكر مما شاء ربُّك، ويدل عليه ـ واللّه أعلم ـ عَطاءً غَيرَ مَجْذُوذٍ.

أي غير مقطوع. قَالَ النّابعةُ[٣]

تجدُّ السلوقي المضاعَفَ نسجُه وتوقدُ بالصُّفَّاح نارَ الحُباحِبِ

يصف السيوف وأنها تقطع الدُّرُوع

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾.

أي نوفيهم ما يصيبهم من خير أو شرٍّ

وقوله:﴿وَإِن كُلاً لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ [رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ]﴾.

قرئت بتشديد النون وتخفيفها، وقرئت «لَمَّا» بتخفيف الميم ولمَّا

---

(١) أي فهذان هما المذهبان اللذان تقدم ذكرهما.

(٢) نعيم الخلود الذي ذكر.

(٣) من قصيدته:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

وروايته المشهورة تقد، وتجذ وتقد بمعنى تقطع ـ يقول إن ضرباته تقطع الدروع وتقتل الفارس وتضرب بعد ذلك حجارة الأرض فتقدح بها ناراً كنار الحباحب، والحباحب حشرات طائرة يكون لأجنحتها لمعان كالنار وانظر القصيدة في الديوان من الستة والبيت في اللسان (سلق).

بتشـديدهـا. فأمـا تشديـد «إنَّ» والنصب فعلى بـاب إنّ، وأمـا تخفيفهـا وتـرك النصب على حـاله فـلأن «أنّ» مشبهة بـالفعل فـإذا حذف منهـا التشـديـد بقي العمل على حاله، وأما تخفيف «لما» فهوالوجه والقياس، ولام لمَّا لام «إنّ»[١] و «مَا» زَائدةٌ مؤكدة. لم تغيّر المعنى ولا العمل. وأمَّا التشديد في «لَمَّـا» فزعم بعض النحويين أن معناه «لَمَنْ مَا» ثمَّ انْقلبتْ النون ميماً فاجتمع ثلاث ميمـات فحذفت إحداها[٢] ـ وهي الوسـطى، فبقيت لمَّا ـ وهـذا القول ليس بشيء لأنَّ «مَنْ» لا يجوز حذفهـا[٣]، لأنها اسم على حـرفين، ولكن التشديـد فيه قـوْلاَنِ أحـدهما يـروى عن المازني. زعم المـازنيّ أن أصْلَها لَمـا ثم شددت الميم، وهذا القول ليس بشيء أيضـاً. لأن الحروف نحـو «رُبَّ» وما أشبههـا تخفف، ولسنا نُثَقِّلُ ما كان على حرفين فهذا مُنْتَقِضٌ.

وقـال بعضهم قـولاً لا يجـوز غيره ـ واللّه أعلم ـ أن «لمَّـا» في معنى: إلاّ. . كما تقول سألتك لَمَّا فعلت كذا وكذا. وَإلاَّ فعلت كذا. ومثلهُ: ﴿إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[٤]. معناه «إلا» وتأويل اللام مع «إن» الخفيفة إنما هـو تـأويل الجُحـد والتَّحقْيقِ، إلا أن «إنْ» إذا قلت إنْ زَيداً لَعَـالمٌ هيِ «مَا» ولكن الـلام دخلت عليها لئـلا يُشْبِهَ المنفيُّ المثبتَ فتكـون المشددة بـدخـول الـلام عليها بمعنى المخففة إذَا دخلت عليهـا اللام. فعلى هـذا جاءَتْ «أَنَّ» الناصبة. فجائز أن تكون «أنَّ» النَّاصِبَةُ مِنْ حيث دخلت عليها الـلام كما دخلت على إن غير الناصبة دخلت عليها «لَمَّـا» ودخلت عليها «إلاَّ» فصـار الكلام في تخليص التحقيق له بمنزلة ما نفي عنه غير المذكور بعد «لما»، ووجب له ما بعـد «لَمَّا»

---

(١) لام التوكيد التي تأتي بعد «إنْ» المخففة لتميزها عن «إن» النافية.

(٢) في الأصل إحداهما.

(٣) لا يجوز حذف شيء منها.

(٤) سورة الطارق الآية ٤.

فتقول على هذا الحدّ إن كلهم لَمَّا يُحبّني - معناه يؤول إلى معنى ما كلهم إلاّ يُحبُّني، وكذلك يجوز إنْ كلًا لما يُحِبُّني، بحذاء إنْ كُلًا لَما يُحِبُّني، فدخلت «لَمَّا» محقّقَةً كما دخلت اللام محَقِّقةً وصار تأويل الجملة تأويل المنفي والمحقق.

وحكى سيبويه وجميع البصريين أن «لَمَّا» تستعمل بمعنى إلَّا. ويجوز إنّ كلا «لَمًّا»[1] لَيُوفينّهم، معناه وأن كُلًّا لَيُوفِّيَنَّهم جَمْعاً. لأنَّ معنى اللَّمّ الجمع يقال لممت الشيء أَلُمُّهُ لماً إذا جَمَّعْتُه، فَأَمَّا قولهم: لَمَّ اللَّه شَعَثَك، وفتأويله جمع اللَّه لكِ ما يُذْهِبُ شَعَثَك.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهار وزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ﴾ فَطَرفا النهار غُدُوُّه وعَشِيُّه، وصلاة طرفي النَّهارِ الغدَاة والظهر والعصرُ.

﴿وَزُلَفاً مِنَ اللَّيل﴾.

ويجوز وزُلُفاً من الليل - بضم الزاي واللام - وهو منصوب على الظرف كما تقول حَيِّنا طَرفي النَّهارِ وأولَّ الليل - ومعنى زُلَفاً من الليل الصلاة القريبة من أول الليل، وزلَفاً جمع زُلْفة، يعنى بالزلف من الليل المغرب وعشاء الآخرة.

﴿إنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيئات﴾.

أي إن هذه الصلوات تكفِّر ما بينها من الذنوب. وهذا يُصَدِّقُ ما في الخبر مِنْ تكفير الصَّلَواتِ الذنوبَ.

والزُّلُف واحدٌ مثل الحُلُم. وجائز أنْ يكونَ جَمْعاً - على زَلِيف مِنَ الليل فيكون مثلَ القَرِيبِ والقُرُب، ولكن الزُّلَف أجودُ في الجمع. وما علمت أَنَّ زَليفاً يستعملُ في اللَّيْل.

---

(١) منونة.

وقوله: ﴿أُولُو بَقِيَّةٍ﴾.

معناه أولو تمييز، ويجوز أن يكون معناه «أولو» طاعة.

ومعنى البقية إذَا قلتَ فلانٌ في بَقِيةٍ، معناه[1] فيه فضل فيما يمدح به.

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾.

استثناء منقطع، المعنى لكنّ قليلاً ممَّن أنجينا منهم ممن نهى عن الفساد.

﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾.

معناه اتبعوا الشيء الذي به تدوم لهم التُّرْفَةُ والنعيم، وركنوا إلى الدنيا فلم يقبلوا ما ينقص تُرْفَتَهُمْ في كسب أو عمل.

﴿وَمَا كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وأَهْلُها مُصْلِحُونَ﴾.

يجوز أن يكون وَمَا كَانَ ربُّكَ ليهلك أحداً وهوَ يظلمهُ - كما قال: ﴿إِنَّ اللَّه لَا يَظْلِمُ النَّاس شَيْئاً﴾[2]. وجائز أن يكون معناه: وما كان ربك لِيهلِك القرى - ومعناه أهل القرى - بظلم وأهلها يتَعاطَوْن فيما بينهم بالنصفة.

﴿وَلَوْشَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لو شاء لجمعهم على هدايته، كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهَ لَجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى﴾[3].

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾.

«مَنْ» استثناء، على معنى: لكن من رحم ربك فإنه غير مخالف.

---

(1) في الأصل فمعناه، وحذفنا الفاء لتكون هذه الجملة هي الخبر عن معنى.

(2) سورة يونس الآية ٤٤.

(3) سورة الأنعام الآية ٣٥.

وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

أي خَلَقَهُمْ للسعادة والشقاء، فاختلافهم في الدّين يؤدي بهم إلى سعادة أو شَقَاء. وقيل: ولذلك خَلَقَهُمْ أي لرحمته خَلَقَهم، لقوله إلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، والقَوْلُ الأول يدل عليه.

﴿وتَمَّتْ كلمةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جهنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أجْمَعينَ﴾.

لأملأنَّ لَفْظُ القَسمِ، أيْ فتمَّ قَولُه لأملأنّ جهنم[1]

﴿وَكُلًّا نَقصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

«كُلًّا» منصوب بنَقُصُّ، المعنى وكلَّ الذي يُحتاجُ إليه من أنباء الرسل نقُصُّ عليْكَ. و «ما» منصوبة بدل من كل.

المعنى: نقص عليك ما نُثبتُ به فؤادك. ومعنى تَثْبِيْتُ الفؤادِ تسكين القلب، [وهو] ههنا ليس للشك، ولكن كلما كان الدّلالة والبرهان أكثر كان القلب أثبت كما قال إبراهيم: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي﴾[2].

﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى للمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون وجاءك في هذه السُّورة، لأن فيها أقاصيص الأنبياء ومواعظ وذكر مَا فِي الجنَّةِ والنَّارِ.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿وجاءك في هذه الحق﴾.

أي في ذكري هذه الآيات التي ذُكِرَتْ قبل هذا الموضع.

أي جاءك الحق في أن الخَلقَ يُجَازَوْنَ بأنْصِبَائِهِمْ في قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصيبَهُمْ﴾، وَفِي قَوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾.

---

(١) أي لأملأن بدل من كلمة، أي تم ما أقسم اللّه عليه.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

وقد جاءَهُ في القرآن كُلِّهِ الحقُّ، ولكنه ذكرها هنا توكيـداً، وليس إذا قيل قـد جاءك في هـذه الحق وجب أن يكون لم يـأتك الحق إلا في هـذه، ولكن بعض الحق أوكدُ من بَعض ٍ في ظهوره عندنا وخفـائه علينـا، لا في عينه. إذَا قُلْتَ: فُـلانٌ في الحق وأنت تريـد أنه يجـود بنفســه، فليس هـو في غيـر تلك الحـال في باطـل، ولكنه ذِكْـرُ الحقَّ ههنا أغنَى عَنْ ذكـر الموتِ لعـظمه وأنـه يحصل عنده على الحق.

سورة يوسف
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَر تِلكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾.

المعنى هذه الآيات، تلك الآيات. ﴿المُبِينُ﴾ الذي وعدتم به في التوراة[1] كما قال: ﴿الم ذلك الكتاب﴾.

وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً﴾.

هذه الهاء تصلح لشيئين، أحدهما أن تكون للكتاب، المعنى إنا أنزلنا الكتاب قرآناً عربياً. ومعنى «قُرْآن» مجموع[2]، ويجوز أن يكون إنّا أَنْـزَلنَاهُ أي أنزلنا خَبَرَ يُوسُفَ وقِصَّتَهُ.

ويروى أن علماءَ اليهود قالوا لِكُبَراءِ المُشْرِكِين: سَلُوا محمـداً لم انتقل آلُ يعقـوبَ من الشَّام إلى مصـر، وعن قصة يُـوسُفَ فقال الله عـزّ وجلّ: ﴿إِنَّـا إِنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيًّا﴾.

ودليل هذا القول قولُه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْـوَتِه آيـاتٌ لِلسَّائِلينَ﴾.

وقوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾.

---

(۱) أي الكتاب المبين الحجة والدلالة الذي وُعِدْتم به.

(۲) تقدم شرح قرآن في الجزء الأول.

أي نبين لك أحْسَن البَيَانِ[1] والقاصُّ الذي يأتي بالقِصَّةِ على حقيقتها.

﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾.

أي بِوَحْيِنَا[2] إِلَيْكَ هذا القرآنَ. القراءةُ نصبُ القرآنِ ويجوز الجرُّ والرَّفْعُ جميعاً، ولا أعلم أحداً قَرأَ بهما. فأما الجرُّ فعلى البدل من قوله:﴿بِمَا أوحينا إليك﴾،فيكون المعنى نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن، ولا تَقْرأَنَّ بها. والرفع على ترجمة[3] مَا أَوْحَيْنا إليك، كأن قَائِلًا قال: ما هو؟ وما هذا فقيل هذا القرآن، ولا تقرأن بها أيضاً.

﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ﴾.

أي من الغافلين عن قصة يوسف وإخوته، لأنهُ عليه السلام إنما عَلِمَ ذلك بالوحي.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ﴾.

يجوز أن يكون موضع «إذْ» نَصْبا[4]. المعنى نَقُصُّ عليك إذْ قال يوسف لأبيه ويجوز أن يكون على معنى اذكر إذ قال يوسف لأبيه.

﴿يا أبَتِ إنّي﴾.

في قوله: ﴿يَا أبتِ إنّي﴾ قراءتان: يَا أَبَتِ إنّي، ويَا أَبَتَ إني - بالخفض والنصب[5]. وأجاز بعض أهل العربية يا أبةُ إنّي.

فمن قرأ﴿يا أبتِ إني﴾ - بكسر التاء - فعلى الإضافة إلى نفسه وحذف الياء، لأنّ ياء الإضافةِ تحذف في النداء، وقد ذُكِرَ ذَلِكَ فيما سلف من

---

(١) القصص مصدر، بمعنى الحديث والرواية.

(٢) «ما» إذن مَصْدرية.

(٣) أي على توضيحه وبيانه - فهي جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٤) هي نصب على أي حال والاختلاف في تقدير العامل.

(٥) في تاء «أبت».

الكتاب، وأما إِدْخَالُ التَأنِيثِ في الأب فإنما دخلت في النداء خاصة، والمذكر قد سمّي باسمٍ لِمؤنثٍ فِيه عَلاَمَةُ التَّأنِيثِ، وَيُوصَفُ بما فيه هاء التـأنيث. فأما المذكر الذي يسمى بِمُؤنَّثٍ فقولهم عين ونفس يراد به الـرجل[١]، وأمـا الصِّفة فقولهم غلام يَفَعَةٌ[٢]، ورَجُل رَبْعَةٌ[٣]. والتاء كثرت ولزمت في الأب عوضاً من تاء الإضافة. والوقف عليها يا أَبَهْ وإن كانت في المصحف بالتاء، وزعم الفراء أنك إذا كسرت وقفت بالتاء لا غير، وإذا فتحت وقفت بالتاء والهاء،

وَلاَ فرق بين الكسر والفتح[٤].

وزعم قـطرب أن الفتح على جهـات إحْـداهـا[٥] أنـك أردت يـا أبـةً ثم حذفت التّنْوينَ، وعلى يَا أَبتاه[٦] وَعَلَى قولٍ قولُ الطرماح[٧].

يـا دارَ أقـوت بعـدَ أَصْـرَامهـا عاماً ومـا يَعْنِيكَ مِنْ عَـامِها[٨]

وهـذا الـذي قـالـه قـطرب خـطأ كله. التنـوين لا يحـذف من المنادى

(١) يسمّى الرجل بذلك ـ أو يوصف به مثل رجل عين، أي جاسوس.

(٢) ناشىء حديث.

(٣) لا بالطويل ولا بالقصير.

(٤) أي الفراء مخطىء في هذه التفرقة.

(٥) في الأصل أحدهما.

(٦) نادى «يَا أبتاه» فحذف الهاء.

(٧) الطرماح بن حكيم بن الحكم من طيىء شاعر إسلامي فحل، ولـد ونشأ بـالشام، ثم انتقـل إلى الكوفة فكان معلماً وخارجياً من الشراة، وكان متصلاً بخـالد بن عبـد اللّه القسري، وكـان خالـد يكرمه ويستجيد شعره، وكان من أصدقاء الكميت لا يكادان يفترقان ـ والكميت شيعي والطرماح خارجي ـ وهو من الهجائين والشجعان. قيل لو تقدمت أيامه قليلاً لفضل على جرير والفرزدق.

انـظر الأغـاني ٤١٨/١٠ (بـولاق)، والبيـان والتبيـين ٢٧/١، والخـزانـة ٤١٨/٣، وانـظر شـرح التبريزي على الحماسة ٢٢٥/١. ت محمد محيى الدين، وسيبويه ٢٠١/٢.

(٨) الأصرام بفتح الهمزة جمع صِرْم ـ بكسر أوله ـ وهو الفرقة والجماعة من الناس ـ أي أقفرت بعد أن كانت مأهولة ـ وروايـة اللسان (صـرم): «وما يبكيـك» ثم يقول: ومـا الذي يعنيني أو يبكيني من شأنها ـ ينكر على نفسه هذا العمل، أي انه خليق أن يتصرف إلى شيء أهم.

المنصوب، لأن النصب إعرابُ المنادى، ولا يجوز معرَبٌ منصرف غير منون في حال النصب[1] وأما قوله: يا دارَ أقوت، بنصب الدَّارِ فلم يَرْوِه أَحَدٌ من أصحابنا ولا أعْرِفُ له وجهاً. أنشد سيبويه والخليل وجميع البصريين يَا دَارُ أقْوتْ، بضَم الراء، وأما يا أبتاه، فَالنُّدبة ههنا لا معنى لها.

ولكنَّ الفَتْحَ يجوزُ على أنَّه أَبْدَلَ من تَاء الإضافة أَلفاً ثم حذف الألف وبقيت الفتحة، كما تحذف بالإضافة[2].

وَأَمَّا «يَا أبةُ إني» بالرفع فلا يجوز إلّا على ضعف، لأن الهاء ههنا جعلت بدلاً من ياء الإضافة.

﴿إنّي رَأيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً﴾.

القراءة بفتح العين وفتح جميع الحروف في أَحَدَ عَشَر. وقد روي بتسكين العين في القراءة: «أَحَدَ عْشْرَ كوكَباً» قرأ بها بَعْضُ أهلِ المدينة وهي غير منكرة مَا كَانَ قبل العين حرف متحرك لكثرة الحركات في قوله أحَد عَشَر فأما اثنا عَشَر فلا يجوز فيها الإسكان في العين. وقد رويت لغة أخرى [وهي] أَحد اعْشَرَ وهذه الرواية في الرداءة وتَرْكِ الاستعمال بمنزلة الحمدِ للَّه، لا يلتفت إليها.

فأما التسكين في العين[3] فقراءة صحيحة كثيرة ولكنَّ سيبويه والخليلَ وجميعَ أصحابهم لا يجيزون إلّا فتح العين، إلّا أنَّ قُطْرُباً قد روى إسكان العين ورواه الفراء أيضاً، وقد قُرِئ به. فأما ما لا اختلاف فيه ففتح العين.

و ﴿كوكباً﴾ منصوب على التمييز.

---

(١) لا يجوز حذف التنوين من الاسم المنصرف.

(٢) الأصل يا دارا بمعنى يا داري.

(٣) العين من عَشَر وهي الشّين.

﴿والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

فكرر رأيتهم توكيداً، المعنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقَمَرَ لِي سَاجِدين فكرر «رأيتهم» لَمَّا طال الكلام.

فأمّا قوله ﴿سَاجِدِينَ﴾ فحقيقته[1] فِعْلُ كُلِّ ما يعقل، وجَمعُه وجمعُ ضميرَه بالواو والنون في الرفع، والياء والنون في النصب والجر. فإذا وصف غير الناس والملائكة بأنه يعبد ويتكلم فقد دخل في المُمَيِّزين وصار الإِخْبَارُ عنه كالإِخبَارِ عنهم.

فمن ذلك قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يا ايُّها النَّمْل ادْخلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾[2] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَه كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[3] وقال: ﴿وَكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون﴾[4].

فَالوَاوُ والنّونُ دَخَلَتا لِمَا وَصَفْنَا مِنْ دخولهم في التمييز[5]، والألف والتاء والنون لكل مؤنث ولكل مَوَاتٍ لا يَعقل غَيْرِ المميزين، فإذا جَعَلَ اللَّه عزّ وجلّ غير المميزة كالمميزَةِ فكذلك تكون أفعالُها والأنْباء عنها.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.

معناه يختارك ويصطفيك، وهو مشتق مِنْ جَبَيْتَ الشَّيءَ إِذَا حَصَّلْتَه لنفسِكَ، ومنه جَبَيْتُ الماءَ في الحوض. وموضع الكاف في قوله «كذَلِكَ» نصبٌ، المعنى ومثلَ ما رأيتَ تأويلَه، ﴿يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل

(١) حقيقة السجود.

(٢) سورة النمل الآية ١٨.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٦٣.

(٤) سورة يس الآية ٤٠، وسورة الأنبياء ٣٣.

(٥) دخول هذه الأصناف غير المميزة في جنس الأصناف المميزة حيث أسند إليها فعلهم. والأولى أن يقول: «من دخولها».

الأحـاديث﴾ قيل يعلمك تأويل الرؤيـا وقيـل يعلمـك تـأويـل أحـادِيثِ الأنبيـاء والأمَمِ ، يعني الكتب وكلاهما جائز ـ والله أعلم ـ.

﴿ويُتِمُّ نعمَتَه عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُـوبَ كَمَـا أَتَمَّهَـا عَلَى أَبَـوَيْـكَ مِنْ قَبْـلُ إِبْرَاهِيمَ وإِسْحَقَ ﴾.

المعنى يتمهـا كما أتمهـا على أبويـك، فقد فَسَّـر لَـهُ يَعْقـوبُ الـرؤيـا، والتأويل أنه لما قال له إني رأيت أحد عشر كـوكباً والشَّمْس والقَمَـرَ رَأَيْتُهمْ لي سَاجِدين، فتأَوَّلَ الأحَدَ عَشَـرَ كوكبـاً أَحَدَ عَشَـرَ نفْساً لَهُمْ فَضْـلٌ وأَنهم يُسْتَضَاءُ بهِمْ، لأَنَّ الكَـواكِبِ لاَ شَيْءَ أَضْـواُ مِنْهَـا وبهـا يُهْتَـدَىَ. قـال الله جـلّ وعـزّ: ﴿وبالنَّجْمِ هُمْ يَهتَدُونَ﴾[1] . فتأول الشَمسَ والقَمَرَ أَبَـوَيْه. فـالقمرُ الأبُ والشمسُ الأُمُّ والأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً إِخْوَتُه، فتـأوّل له أنـه يكون نَبِيًّـا، وأن إخوتـه يكونـون أنبيـاء لأنه أعْلَمَـهُ أن الله يُتِمُّ بنعمتَه عَلَيْـه وَعَلَى إِخْوَتِـه كما أَتَمّهـا على أَبَوَيْـهِ إبراهيمَ وإسحاقَ فإتمام النِّعمَةِ عَلَيْهِم أن يكونوا أَنْبِيَاءَ، إذ قال: ﴿كَمَا أتمها عَلَى أبويكَ مِنْ قَبْلُ إبرَاهيمَ وإسحَقَ﴾.

وقوله: ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾.

الرؤيا فيها أربعُ لغاتٍ. رُؤْيَا بالهمز، ورُوْيا بالواو بلا همز، وهاتـان يُقْرأُ بِهمَا. ورُيَّـاك بالإدغامِ ، ورِيَّاك بكسر الرّاء ـ وَلاَ تَقْرأُ بِهاتَيْنِ.

ويـوسف فيه لغتـان، يوسُفُ بضم السِّينِ ويـوسف بكسر السِّينِ وكـذلك يُونُس، ويُونِس. وحَكَوْا يُونَسَ بفتح النُّونِ، حكاها قطرب وهي شاذَّة.

وقوله عز وجل: ﴿آيَاتَ لِلسَّائِلِينَ﴾.

وَقُـرِئَتْ آيـةٌ. ومعنـاه عِبْـرَةٌ، وقَـدْ رُويت في غيـر هـذا المصحف عِبْـرَةٌ للسـائلين، وهذا معنى الآيـة. ويجوز أن تكـون «آيةٌ» بَصِيـراً للسـائلين الـذين

---

(١) سورة النحل الاية ١٦.

سألوا النبي ﷺ فَأَنْباهُم بقصَّةِ يُوسُفَ. وهو عنها غافل لم يقْرأ كتاباً ولم يأته إلاّ من جهة الوحي جَوَاباً لهم حين سألوه.

وقوله:﴿إذْ قَالُوا لَيُوسَفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحن عُصْبَةٌ﴾أي إنّ أبَانَا قَدَّمَ اثنين صَغِيرَيْن في المَحبَّةِ عَلَيْنا، ونحن عُصْبَةٌ، أي جماعةٌ نفعنا أكثر من نفع هذين.

﴿إنَّ أَبانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾.

هذا موضع ينبغي أن يُتَفَهَّمَ، إنما عَنَوْا أن أبَاهُمْ ضَالٌّ في محبَّة هذين ولَوْ وَصَفُوه بالضلالة في الدين كانوا كُفَّاراً. والعُصْبَةُ في كلام العرب العَشِيرةُ ونحوهم.

وقوله عز وجل:﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ﴾.

أي تَتُوبونَ من بعد قتله.

وقوله: ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً﴾.

معناه ـ واللّه أعلم ـ أرضاً يَبْعدُ بها عن أَبِيه لأنَّه لن يَخْلُوَ مِن أَنْ يكونَ في أرضٍ.

قوله:﴿يَخْلُ لَكُم وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾.

يدل على أنَّهم تآمروا في أن يَطْرحُوه في أَرض لا يَقْدِرُ عليه فيها أبوه[1] وأرضاً منصوب على إسقاط في وإفْضَاءِ الفِعْل إليها، لأن أَرْضاً لَيْسَتْ من الظروف المبْهمة.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾.

الغَيابَةُ كلُّ مَا غَابَ أَو غَيَّبَ عَنْكَ شيئاً، قال المنخل[2].

---

(١) لا يقدر على إرجاعه أو الوصول إليه.

(٢) هو المنخل بن سُبَيْع بن معاوية، روى له الآمدي في المؤتلف أبياتاً قالها في أخويه حين هاجرا من =

وإن أنــا يَــوْمــاً غـيبـتنـي منـيَّـتِـي فسيري بسيري في العشيرة والأَصْلِ

والجب البئر التي ليست بمطويَّـةٍ، وسُمّيت جُبًّا من أنهـا قُطِعَتْ قَـطْعاً، ولم يحدث فيها غير القطع، مِنْ طيٍّ وما أشْبَهَهُ.

وروَوْا أن اسم الــذي أشــارَ عَليهم بِــأَلَّا يَقْــتُلوهُ يَهُــوذَا، وَكــانَ مِـنْ أَشَدّهم[1].

﴿يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾.

هذا أكثر القراءة ـ باليا ـ وقرأ الحسن تلتقـطه بالتـاء، وأجاز ذلـك جميع النحـويين، وزعموا أن ذلـك إنما جـاز لأن بعض السّيارة سيَّـارةٌ، فكأنـه قال: تلتقطه سَيَّارةُ بعض السَّيارَةِ، وأنشدوا:

وتشرقُ بالقول الذي قد أذعَتَهُ كما شرِقتْ صدرُ القناة من الدم[2].

وقوله عز وجل: ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنُنَا عَلَى يُوسُفَ﴾.

قـرئت على أربعـة أوجُـهٍ، على إشْمَـامِ الميم الضَّمَّ[3]ـ تأمنُنَّا، وعلى الإدغام وترك الإشمام، ﴿تأمَنَّا﴾، وقرئت ﴿تأمَنُنا﴾ بنونَين وضمة بينهُما، وقرأ يحيى ابن وَثَّـابٍ تِيْمَنًّا. وقـراءة يحيى تخالف المصحفَ، وهي في العَـرَبيَّـةِ جَـائـزةٌ بكسـر التاء في كـل ما مـاضيـه على فَعِـلَ نحـو أَمِنَ ـ يـا هـذا ـ والإدغـام لأن الحرفين من جنسٍ واحدٍ

= حِلّتِـه، وهو غـير المُنخل اليَشْكُـري، وهما غـير المتَخَنّل الهـذلي والسعـدي، انـظر المؤتلف ٢٧١، ٢٧٢، والبيت في شواهد الكشاف ٩٦، والقرطبي ١٣٢/٩، ومجاز أبي عبيدة ٣٠٢/١.

(١) يهوذا الابن الرابع ليعقوب، وإليه ينتسب اليهود.

(٢) البيت لـلأعشى، وشرق بـالقول غص بـه؛ كما يغص الشـارب بالمـاء، وشبهه بـالقناة التي يتلوث صـدرها بـالدّم. ولا يخف لتـوالي الضرب. انـظر الديـوان ٩٤، وشواهد المغني ٢٩٨، واللسان (شرق). والشاهد فيه تأنيث تشرق وفاعله صدر مؤنث.

(٣) لعله إشمام النون.

والإشمام يدل على الضَّمَّة المحذوفة، وترك الإشمام جَيِّدٌ، لأن الميم مفتوحةٌ فلا تُغَيَّر، والإظهار في ﴿تأمَنُنَا﴾ جيِّدٌ، لأن النونين من كلمتين.

وقوله - عز وجل -: ﴿غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

بالياء، وقرئت نرتع ونلعب [بالنون] وَقُرِئَتْ يُرْتَعْ ويُلْعَبُ - بضم الياء - وقرئت نَرْتَع ونَلْعَبْ. فجَزْمُ هذه القراءاتِ. كُلِّها على جواب الأمر، المعنى أَرْسِلْهُ إنْ ترسله يرتعْ، وكذلك يُرْتَع، وكذلك يَرْتَع ويَلْعَبْ - بكسر العين -، وكسر العين من الرَّعْي، المعنى يَرْتَعِي وَيَلْعَبْ، كأنهم قالوا يرعى ماشيَتهُ ويَلْعَبْ، فيجتمع النَّفْعُ والسُّرورُ[1]، ويَرْتَعُ من الرَّتْعَة، أي يتّسع في الخِصْب، وكل مُخْصِبٍ فَهُوَ رَاتِع.

وقوله: ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ﴾.
وقرئت غيابات الجُبِّ، وقد فسرنا الجُبَّ.
وجاء في التفسير أَنَّها بئر بَيْتِ المَقْدِسِ.
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

هذا جائز أن يكون من صلة لَتُنَبِّئَنَّهُمْ وهم لا يشعرون، وجائز أن يكون من صلة «وأوحينا» - المعنى: وأوحينا إليه وهم لا يشعرون - أي أنبأناه بالوحي وهم لا يشعرون أنه نبي قد أُوحي إليه.

﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾.
﴿عشاء﴾ منصوب على الظرف.
﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.
وقِيلَ نَنْتَضِلُ[2]

---

(١) الكوفيون ونافع يقرأون (يرتع ويلعب بالياء فيهما) والباقون بالنون.
(٢) نستبق نتبارى في الجري، وننتضل نتبارى في الرَّمْيُ.

﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾.

أي بمصدّق لَنا.

﴿وَلَوْ كنا صَادِقِينَ﴾.

ليس يُريدون أنّ يَعْقُوبَ ـ عليه السلام ـ لا يُصَدِّقُ من يَعْلَمُ أَنَّه صادق، هذا مُحالٌ، لَا يُوصَفُ الأنْبياءُ بذلـك، ولكن المعنى: لو كنـا عندك من أهـل الثِّقَةِ والصِّدْق لاتَّهمتَنا فِي يُوسُفَ لمحبَّتِكَ إيَّاهُ، وظننت أنا قد كَذَبْنَاكَ.

وقوله: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾.

يـروى أنهم ـ رحمةُ اللَّه عَلَيْهم ـ لمَّـا طَرَحُـوا يُـوسُفَ عليـه السـلام في الجُبِّ أَخَذُوا قميصَه وذَبَحوا جَدْياً فلطَّخوا القميصَ بدم الجَدْي، وقيل سخْلَة. والمعنى واحد، فلما رأى يعقوب (ﷺ) القميصَ قال: كَذَبْتُم، لو أكله الـذئبُ لخَرَّقَ قمِيصَهُ. وقيل إنه قال إنْ كَان هَذا الذئبُ لَحَليمـاً، أشْفَقَ على القميص فلم يمـزِّقْهُ، وأكَـل ابني فالـدَّمُ دمٌ كذِبٌ، أَيْ ذُو كـذِبٍ، والمعنى دم مكذوب فيه.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾.

أي بل زَيَّنَتْ أنفسُكم أَمْراً في قِصَّةِ يُوسُفَ.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

معناه صبر لا جَزَعَ فيه ولَا شَكْوى إلى النَّاسِ. وصبر جميل مرفوع على ضربَيْنِ، المعنى فشأني صَبْر جميلٌ، والـذي أعتقده صبـرٌ جميل، ويجـوز أن يكون عَلَى «فصَبْرِي صبـرٌ جَميلٌ» وهـذا لفظ قُطْربُ: فَصَبْـري صَبرٌ جَميـلٌ. والأول مـذهب الخليل وجميـع أصحـابـه[١]، ويجـوز في غيـر القـرآن فصَبْـراً جميلاً، وأنشدوا في الرفع:

(١) يقدرون المبتدأ عاما وقطرب يقدره من جنس الخبر

تشكو إلى جملي طول السُّرى ... يا جملي ليس إليَّ المشتكى

صبرٌ جميلٌ فكلانا مبتلى[1]

وصَبراً جميلاً منصوب على مثل «فاصْبِر صبراً جميلاً».

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾.

الوارد الذي يرد الماء ليسقي للقوم.

﴿فَأَدْلَى دَلْوَهُ﴾.

يقال: أَدْلَيْتَ الدَّلْوَ إذَا أرْسلتَها لتملأها، وَدَلَوْتَها إذَا أخرجْتَها.

﴿قَالَ يَا بُشْرَايَ﴾.

بألف وياء مفتوحة، وقرئت يا بُشْرِيَّ، وقد فسرناها في قولِه: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾[2]، وتفسيرها أن ياء الإضافة تغيِّر ما قبلها ولا يُـبَيَّـنُ معها الإعراب، فإذا كان قبلها ألف فالاختيار ألَّا تغيِّر الألف، وبعض العرب يبدل الألف معها ياء، فيكون بدَلَها بمنزلة تغيير الحروف قبلها، وقرئت: ﴿يا بُشْرَىْ هَذَا غلامٌ﴾، بغير ياء[3].

ومعنى النداء في هذه الأشياء التي لا تجيب ولا تعقل إنما هو على تنبيه المخاطبين، وتوكيد القصَّةِ. إذا قلتَ يا عجَباهُ فكأنك قلت: اعجبوا ويا أيها العجبُ هذا مِنْ حِينِكَ. وكذلك إذَا قال يا بُشراي فكأنه قال: أبشروا، وكأنه قال يا أيتها البشرى هذا من إبَّانِكِ وأوَانِكِ.

وقوله - عز وجل - : ﴿وَأَسَرُّوه بِضَاعَةً﴾.

لَمَّا وجَدُوهُ أحبوا أَنْ لَا يُعْلَم بأنه مَوجُودٌ، وأَن يُوهِمُوا أنَه بضاعةٌ دفعَها

---

(١) لا يعرف قائله، والشعر في اللسان (شكا) والقرطبي ٩/١٥٣، والشطر الأول والثالث في كتاب سيبويه ١/٣٢١، ومعاني الفراء ٢/٢٥٤، ١٥٦. وفي شواهد الكشاف: شكا إلى جَملي.

(٢) سورة البقرة ٣٨، وانظر في الجزء الأول.

(٣) هكذا - ويبدو أن صحته بغير ألف.

إليهم أهل الماء، وبضاعة منصوب على الحال، كأنه قال: وأَسَرُّوه جَاعِلِيه بضاعةً.

وقوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾.

قيل بخسٍ: ظلم، لأن الانسانَ الموجود(١) لا يحل بيعُه، وقيل: بخسٍ نقصان، وأكثر التفسير على أن بخساً ظلماً.

وجاء في التفسير أنه بيع بعشرين درهماً، وقيلَ باثنَيْن وَعِشرينَ دِرْهماً أخذ كل واحد من إخوته درهمين، وقيل بأربعين درهماً، ورُوِيَ كُلُّ ذَلِكَ.

وقوله: ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾.

«فيه» ليست بصلة الزاهدين، المعنى: وكانوا من الزاهدينَ ثم بيَّنَ في أي شيء زهدوا. فكأنه قال: زهدوا فيه(٢)، وهذا في الظروف جائز، فأما المفعولات فلا يجوز فيها، لا يجوز كنت زيداً من الضاربين، لأن زيداً من صلةِ الضاربين فلا يتقدم الموصول صلته.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾.

مصر مفتوحة في موضع الجر إلَّا أنَّها لا تَنْصَرِفُ، لأنها اسم والمدينة بعينها(٣)، وهي معرفة

﴿لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾.

﴿مَثْوَاهُ﴾: مُقَامُه. المعنى أحسني إليه في طول مُقامِه عنْدَنَا.

ويروى أن أَفْرَسَ الناس ثلاثة، وأن أجودهم فراسة العزيز في فراسته في

(١) الملتقط أو الضال عن أهل.

(٢) أل في الزاهدين موصولة، والزاهدين صلة، ولا يجوز أن يتقدم معمول الصلة على الاسم الموصول، لكن الظرف والجار يجوز تقديمها والتضارب في كلامه واضح.

(٣) ولكنه مثلث ساكن الوسط فيجوز فبه الأمران.

يوسف، وابنة شعيب في فراستها في موسى حين قالت: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ﴾[1] وأبو بكر في تَوْليتهِ عمرَ الخلافة بعدَهُ.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ﴾.

أي ومثل الذي وصفنا مَكَّنَّا ليوسف في الأرض.

﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾.

جائزان يكون تأويل الرُّؤْيَا، وأن يَكُونَ تأويل أحاديثِ الأَنْبِيَاءِ.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.

الأَشُدّ من نحو سبع عشرة سنة إلى نحو الأربعين، آتيناه حُكْماً وعِلْماً، أي جَعَلْنَاه حَكيماً عَالِماً، ولَيْس كلُّ عالمٍ حَكِيماً. الحكيم العالِمُ المستعملُ علمَه، الممتنع من استعمال ما يُجَهَّلُ فيه[2]،

وأصل أَحْكَمْتُ في اللُّغَةِ مَنَعْتُ، ومن هذا حَكَمَةُ الدَّابَّةِ، لأن الفارس يمنع بها الدابَّةَ من إرَادَتِها.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي ومثل مَا وَصَفْنَا من تعليم يُوسُفَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

المعنى أنها رَاوَدْته عما أرادَتْهُ ممَّا يُرِيدُ النساءُ من الرِّجَالِ، فَعُلِمَ بِتَرْكِهِ ذكرَ الفَاحِشَةِ نفسها ما راودته عليه[3].

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾.

المعنى هَلُمَّ لَكَ، أي أَقْبل إلى مَا أَدعُوكَ إليْهِ.

---

(١) سورة القصص الآية ٢٦.

(٢) ما ينسب بسببه إلى الجهل.

(٣) مفعول راودته محذوف، ولكن المقام يفيد أنها راودته على ارتكاب الفاحشة.

وفي ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ لُغَاتٌ: يجوز هَيْتُ لك، وهَيْتِ. وأَجْودها وأكثرها هيتَ ـ بفتح التاء ـ ورُوِيَتْ عن علي صلوات اللّه عليه: هِيتِ لَكَ فأما الفتحُ مع فتح التاء والهاء، فهو أكثر كلام العرب، قال الشاعر:(١).

أبلغ أمير المؤمنين ـ أخا العِراقِ ـ إذا أَتَيْتَا
أنَّ العِراقَ وأهْلَهُ عُنُقٌ إليكَ فهيْتَ هَيْتَا

أي فأقبل وتعالَ.

وحكى قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة بن العبد:

ليس قومي بالأبعدين إذا ما قال داع من العشيرةِ هَيْتُ
هم يُجيبونَ ذَا هَلُمَّ سِرَاعاً كالأبَابِيلِ لا يُغَادَرُ بَيْتُ(٢)

رُوِيَتْ عن ابن عباسٍ هِئْتُ لَكَ مهموزةً مكسورة الهاء، من الهَيْئَةِ كأنها قالت تَهَيَّأْتُ لك، فأما الفتح في «هيْتَ» فلأنها بمنزلة الأصوات، ليس منها فعلِ يتصَرَّفُ ففُتحت التاءُ لسكونها وسكون الياء، واختير الفتح لأن قبل التا ياءً كما قالوا: كَيْفَ وأيْنَ، ومن قال هيتِ لك ـ بكسر التاء، فلأن أصل التقاء الساكنين حركة الكسر، ومن قال: هَيتُ ضمها لأنها في معنى الغاياتِ، كأنها قالت: دُعائي لك، ولما حذفت الإضافةُ وتضمنتْ معناها بُنيتْ على الضَّم كما بُنيتْ حَيْثُ ومُنْذُ يا هذا. وَقِراءةُ عَلِيٍّ «هِئْتُ لك» بمنزلة هيتَ والحجة فيها كالحجة فيها مفتوحة(٣).

---

(١) مما وجه إلى علي بن أبي طالب استحثاثاً له أن يسرع نحو العراق ـ ولم يعين قائله وعنق إليك مائلون إليك ومنتظروك. ويمكن أن تفتح في أن العراق على أنها مفعول أبلغ، ويجوز أن تكسر على أنها جملة مستقلة هي التي تنقل إلى علي ـ والبيتان في اللسان «هيت»، والقرطبي ١٦٤/٩، ومجاز أبي عبيدة ٣٠٥/٢، وابن يعيش ٣٢/٤، والبيت الثاني في معاني الفراء ٤٠/٢ وروايته فيه وفي اللسان ـ سلم إليك.

(٢) أنشد ثعلب هذا البيت الأخير للسموأل بن عاديا، وجاء قبله:

رب شتم سمعته وتصاممت وغيٍّ تركته فكفيت

(٣) الحركة فيها للتخلص من التقاء الساكنين، والكسر أصل في التخلص والفتح لتكون على وزن كيف.

ثم قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾.

مصدرٌ، المعنى أعوذُ باللَّهِ أَنْ أَفْعَلَ هَذا، تَقُولُ: عُذْتُ عِياذاً ومَعَاذاً.

﴿إِنَّه رَبِّي﴾.

أي إنَّ العزيز صَاحبي ﴿أَحْسَن مَثْوايَ﴾، أي تَولَّاني في طُول مَقَامِي ﴿إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾.

أكثَرُ المفسِّرين أنه هَمَّ بها حتى رأى صورة يعقوب عليه السلام، وهو يقول له: يا يوسف أَتَهُمُّ بِفِعْلِ السُّفَهاءِ وأنت مكتوب فِي ديوانِ الأنبياء، وقيل أنه رأى في البيت مكتوباً: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[1]. وهذا مذهب أهل التَّفْسِير، ولسنا نشك أنه قد رأى برهاناً قطعه عَما هَمَّ بـه.

وقال قوم: المعنى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ به وهَمَّ بِها لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرهَانَ رَبِّه﴾، وذَهَبُوا إلى أنَّ المعنى لَوْلَا أن رَأَى برهان رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا[2].

والذي عليه المفسرون أنه هَمَّ بها وأنه جَلَسَ منها مجلس الرَّجُلِ من المرأة إلَّا أَنَّ اللَّه تفضل بأن أراه البُرهانَ، أَلَا تَراه قال: ﴿وما أُبَرِّئُ نَفْسِي إنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[3]، والمعنى لَوْلَا أَنْ رأى بُرْهَان رَبِّه لأَمْضَى ما هَمَّ بِهِ.

وليس في الكلام بكثير[4] أن تقول: ضربتك لولا زيد، ولا هممت بك لولا زيدٌ، إنما الكلام لولا زيد لهَمَمْتُ بك. و «لولا» تجابُ باللَّامِ، فلو

---

(١) من سورة الإسراء الآية ٣٢.

(٢) ولا يستقيم على مذهب البصريين لما فيه من تقدم جواب «لولا».

(٣) هذا بعيد جداً، وإلا لما استبق إلى الباب، وهي تجري خلفه، وكلمة وما أبرىء نفسي أقرب أن تكون من كلامها هي، وذكر صاحب المنار بأدلة واضحة، ان كلا منهما هم بعمله، همت هي به تجذبه إليها وهم هو بها يضربها ويدفعها، فليرجع إلى شرحه من يشاء.

(٤) يريد ليس هذا الاستعمال شائعاً.

كـان: ولقد هَمَّتْ بـه وَلَهمَّ بها لـولا أن رأى أي برهـان رَبّه لكـان يجـوز على بعد[1].

وقوله:﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْه السُّوءَ والفَحْشَاءَ﴾.

أي كذلك أَرَيْنَاهُ البُرهَانَ لنَصْرِفَ عنه السُّوءَ والفَحْشَاءَ، فالسُّوءُ ـ خيانـة صاحبه، والفحشاء ركوب الفاحشة.

﴿إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخْلَصِينَ﴾.

أي الـذين أخلصـوا، أَخْلَصَهُمُ اللَّهُ مِن الأَسْـوَاءِ والفـواحش، مثـل المُصْطَفَيْنَ. وَقُرِئَتْ مِنَ المخْلِصِينَ بكسر اللام، أي الـذين أَخْلَصُوا دينَهُمْ للَّه عز وجل.

وقوله: ﴿واسْتَبَقَا البَابَ﴾.

أي استبقا إلى الباب، يعني به يوسف وامرأة العزيز.

﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾.

والقَدُّ القطع، أي خَرَّقَتْه خَرْقاً انقَدَّ مِنْه.

﴿وألفيَـا سَيِّـدَهَـا لَـدَىَ البَـابِ﴾.

أي صادفا سيدها لدى الباب فحصرها في ذلك الـوقـت كيدُ لَمَّا فَـاجأَتْ سَيِّدَهَا.

﴿قالت ما جزاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إلاَّ أَنْ يُسْجَنَ﴾.

أي ما جزاؤه إلاَّ السِّجْنُ.

﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي عذاب مُوجع. قال يوسف:

﴿هي رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾.

---

(١) كان يجوز لوجود اللام، وبعده لما سبق من أن جواب الشرط لا يتقدم عليه.

أي هي الَّتِي أرادَتِ السُّوءَ.

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾.

قيل إنه رجل حكيم، وقيل إنّه طِفْلٌ

﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

أي إن كان هو المقبل عليها وهي الدافعة له عن نفسها فيجب أن تكون خرقت قميصه من قُبُلٍ، وإن كان هو المتباعدَ مِنْهَا، وهي التابعة له في استباقهما فيجب أن يكونَ قَدُّ القَميصِ من دُبُرٍ.

والقراءة من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ، ومن قَبْلٍ ومن دُبْرٍ. ويجوز من قُبلُ بغير تنوين، ومن دُبرُ، على الغاية، أيْ مِنْ قُبْله. أما الفتح فبعيدٌ في قوله: من قُبْلَ ومن دُبْرَ. لأن الذي يفتح يجعله مبنياً على الفتح فيشبهه بما لا ينصرف فيجعله ممتنعاً من الصرف لأنه معرفة ومُزَالٌ عن بابه، وهذا الوجه يجيزه البصريون[١].

فأما قُبْلُ وقُبُلُ فالتسكين في الباء جائز، وقد روي عن ابن أبي إسحاق[٢] الفتح والضمُّ جميعاً، والفتح أكثر في الرواية عنه[٣]، ولا أعلم أحداً من البصريين ذكر الفتح غيرَه.

﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾.

أي إن قولَكِ: ﴿ما جزاءُ مَنْ أَرَادَ بأَهلِكَ سُوءًا﴾... من كَيْدِكُنَّ.

---

(١) حيث أجرينا الكلمة مجرى الغايات فلا مانع من بنائها على الفتح، بناء لا إعراباً ومنعاً من الصرف.

(٢) هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.

(٣) من قَبَل.

فأما دخول «كَانَ» مع «إِنِ» الجـزاءَ، وَكـونُ الفِعْلِ بعـدَهَا لِمَـا مَضَى ففيه قولان: (١)

قال محمد بن يزيد: «كان» لقوَّتِها وأنها عبارة عن الأفعال لم تغيـرها إِنِ الجـزاءالخَفِيفَةُ. والقول الثاني أَنَّ «كان» عبارةٌ عَنِ الأفعَالِ ـ وأن كان في معنى الاستقبال ههنا ـ عَبَّرتْ عن فعل مـاضٍ، المعنى إن يكن قَمِيصُهُ قُـدَّ، أيْ إِنْ يُعْلَمْ قَمِيصُه قُدَّ مِنْ قُبلٍ فالْعِلْمُ مَا وقع بعد، فكذلك الكون لا يكـون لأنه مؤدٍّ عن العلم.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾.

معناه يا يوسف اكتم هذا الأمر ولا تذكره.

﴿واسْتَغْفِري لِذَنْبِكِ﴾.

ويروى أنَّهُ كان قَليلَ الغَيْرَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ﴾.

«بَـدَا» فعل استغْنى عَنْ فَـاعِلٍ. العـربُ تقولُ: قـد بَدا لي بَدَاء أي تغير رأيي عما كان عليه. وأكثر العرب تقول: قد بدا لي، ولم يذكر بَـدَاءً، لكثرتـه لأنّه في الكلام دَلِيلاً على تغير رأيه، فَتُرِكَ الفاعلُ وهُـوَ مُراد، ثم بين مـا البَدَاءُ فقال لَيَسْجُننَّه حَتَّى حينٍ، كأنَّهم قالوا: لَيَسْجُنَنَّهُ، والرأي الذي كـاد لهم قبل: قيل إن العزيز أمره بالإعراض فقط ثم تغير رأيه عن ذلك.

وقوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ﴾.

يقال نِسوة ونُسْوةٌ ـ بالضَّم والكَسْرِ ـ

وقيل: ﴿تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾.

---

(١) يريد أن جملة «إن كـان قميصه» وقعت فيهـا كان المـاضية بعـد إن الشرطيـة، وإن تجعـل الماضي بعدها في معنى الاستقبال تقول: إن اشتريت ثوباً فاختر الجيد، فجعلهـا هنا للمضي غـير قريب، لأنّ غرض الشاهـد انظروا إن كـان قد من قبـل أو من دبر. ولكن الفعـل قد حـدث فهي تحتمل الاستقبال والمضي.

أي عَبْدَهَا وغلامَهـا، لأن استعمالَهم كـان للغـلام المملوك أن يُسَمَّى فتًى.

﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾.

أي بلغ حُبُّه إلى شِغَافَ قَلْبها، وفي الشغاف ثلاثة أقـوال: قال بعضهم الشَّغَاف غلاف القلب، وقيـل: هو داء يكـون في الجوف في الشـراسيف[1]، وأنشدوا:[2]

وقـد حـال هَمٌّ دون ذلـك دَاخِـلٌ   دخـولَ الشُّغَـافِ تبتَغِيـه الأَصَـابِـعُ

وقد قُرِئَتْ شَعَفَها بالعين، ومعنى شَعَفها ذهب بها كـل مذهب مشتق من شَعَفَاتِ الجبال، أي رُؤوس الجبال، فإذا قلت فلان مشعُوف بكذا، فمعناه أنه قد ذهب به الحبُّ أقصى المذاهب.

﴿فلمَّا سَمِعَتْ بمَكْرِهِنَّ﴾.

إن قـال قائـل: لم سُمِّيَ قولُهنَّ مكـراً فالجـواب فيه أنهـا قد أطلعتهن، فاسْتَكْتَمَتْهُنَّ فمكرنَ بها وأَفْشَيْنَ سِرَّها، فلما سمعت بمـا فَعَلْنَ أرادت أَنْ يُوقَعْن فيما وقعت فيه فأرسلت إليهن.

﴿[أرْسَلَتْ إلَيْهِنَّ] وَأعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾.

﴿أَعْتَدَتْ﴾ أفعلت من العَتَادِ، وكل ما اتَّخَذْتَه عُـدَّةً للشيء فهو عَتَـادٌ ومعنى ﴿مُتَّكَأً﴾ ما يُتَّكأ عليه لطعام أو شَرَاب أو حديث.

---

(١) الشراسيف جمع شُرسُوف كعصفور غُضْروف معلق بكل ضِلْع أو الطرف المشرف على البطن.

(٢) للنابغة من قصيدته:

عفـا ذو حسـا مـن فـرتني فالفوارع

وهو في اللسان شغف: «هَمٌّ دون ذلك والج» والشُّغَـاف داء من القلب يأخذ تحت الشراسيف من الشق الأيمن. يخرجه الأطباء بأصابعهم.

والقصيدة في الديوان ومن مشهور الشعر.

﴿وآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً. وقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

يعالجن بالسكّين ما يأكلْنَ، وقال بعضهم مُتْكاً، وقالوا واحدته مُتْكَةٌ وهي الأُتْرُجُّ[١]. والقراءة الجيدة مُتَّكأً بالهمز، يقال تكىءَ الرَّجُلُ يتكأُ، تُكَأً، والتكَأُ أصله من وَكَأْتُ، وإنما متكأ مفتعل، وأصله موتكأ مثل مُوتَزن من الوزن.

﴿وَقَالَتِ اخرجْ عَلَيْهِنَّ﴾.

إن شئت ضممت التاء، وإن شئت كسرتَ، والكسر الأصل لسكون التاء والخاء، ومن ضم التاء فلثقل الضَّمَّة بعد الكسرة[٢]. وأعتدت لهن الطعام وجعلت في أيديهن السكاكين، وأمرته بالخروج عليهن في هيئته، ولم يكن يتهيأ له أن لا يخرج[٣]؛ لأنه بمنزلة العبد لها.

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَه أَكْبَرنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾.

أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فَدَهِشْنَ لَمَّا رأينَه فَخَدشْنَ أيديَهُن. ولم يقطعن الأيدي حتى تَبِين منهنَّ. وهذا مسْتعمل في الكلام، يقول الرجل: قد قطعتُ يَدِي. يعني أنك قد خدشتها.

ومعنى ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أعظمنه. ويقال: أكبرنه: حِضْنَ. وقد رُوِيتْ عن مجاهد. وليس ذلك بمعروف في اللغة، وقد أنشدوا بيتاً في هذا وهو قوله:

يأتي النساء على أطهارهن ولا ... يأتي النساء إذا أَكْبَرنَ[٤] إكْباراً

---

(١) الأُتْرجُ والتُّرُنجةُ والتُّرُنْجُ ثمرة ونبات معروف - كالبرتقالة - حامضة تسكن غُلْمةَ النساء.

(٢) ضم الهمزة في اخرج بعد كسر التاء - وتقدمت في «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا»، ضم تاء «الملائكة» لأن همزة الوصل في اسجد ومثلها اخرج - تضم مراعاة لضم عين الفعل - وضم التاء هنا أيضاً قد يكون لإلقاء حركة همزة الوصل عليها.

(٣) لا يستطيع مخالفتها - لم يكن يمكن أن يمتنع عن الخروج.

(٤) في اللسان (كبر) نأتي النساء - بالنون - وروى أن هذا التفسير مروي عن مجاهد وعن ابن عباس.

وهذه اللفظة ليست بمعروفة في اللغـة. والهاء في «أكبرنه» تنفي هـذا؛ لأنـه لا يجوز أن يقـول: النساء قـد حِضْنَهُ يـا هذا؛ لأن حضن لا يتعـدى إلى مفعول[1].

﴿وَقُلْنَ: حاشَ للَّهِ﴾.

وحـاشى للَّه، يقــرأان ـ بحـذف الألف وإثبـاتهـا ـ ومعنـاه الاستثنــاء.

المعنى فيما فسّره أهل التفسير: وقُلْنَ: معاذ اللَّه ما هذا بشراً،

وأما على مذهب المحققين من أهـل اللغة، فحـاشا مشتقـة من قولـك: كنْتُ في حشـا فُلانٍ، أي في نـاحية فـلانٍ، فالمعنى في «حَـاشَ لِلَّهِ» بَرَّأَهُ اللَّه من هذا. من التَّنَحّي، المعنى قد نحّى اللَّه هذا مِنْ هَذَا، إذا قلت حاشا لزيد من هذا فمعناه قد تنحى زيد من هذا، وتباعـد منه، كمـا أنك تقـول قَدْ تَنحَّى من الناحية، وكذلك قد تحاشى، من هذا الفِعْلِ.

وقوله عز وجل: ﴿مَـا هَذَا بَشَـراً﴾.

هـذه القراءة المعـروفة، وقـد رُوِيَتْ: ما هـذا بِشِرًى، أي مـا هذا بعـد مُشْتَـرًى. وهذه القـراءة ليست بشيء، لأن مثل «بِشِـريّ»[2] يكتب في المصحف بالياء، وقولها: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ مَلَكٌ كريمٌ﴾ «مَلَكٌ» مطابق في اللفظ لِبَشرٍ.

وسيبويه، والخليل وجميع النحويين القدمـاء يزعمـون أَنَّ بشراً منصـوبٌ

: والتمس أبو منصور لها وجهاً قال أنه مخرج حسن وذلك أن الفتـاة أول ما تحيض تكون قد خرجت من حد الصغر إلى حد الكبر فيقال انها أكبرت، وسأل أبو الهيثم رجلاً من طيء عن سِن خطيبة له، فقال انها أكبرت أو كَبِرَتْ ـ ولغة طيء تصحح أن إكبار المرأة أول حيضها. اهـ ملخصاً.

(١) وقـال أبو منصـور: انها تكون هـاء سكت إن صحت هذه الـروايـة عن ابن عبـاس. ولكن هـذا ضعيف، لأن هاء السكت تكون ساكنة.

(٢) ليس من الارقاء الذين يشترون ويباعون.

خبرَ مَا، ويجعلونه[1] بمنزلـة ليس وَ «مَا» مَعنـاها معنى ليس في النفي، وهـذه لغـة أهل الحجـاز، وهي اللغَةُ القُـدْمَى الجيِّدَةُ. وزعم بعضهم أنّ الـرَّفْـعَ في قولك: ﴿مَا هذَا بَشراً﴾ أقْـوى الوجهين، وهذا غلط، لأن كتاب اللّه ولغة رسول اللّه أقْـوَى الأشياء وأقـوى اللغات. ولغـة بني تميم: ما هـذا بشـرٌ. ولا تجـوز القـراءة بها إلاَّ بـروايةٍ صَحيحـةٍ. والدليـل على ذلك إجمـاعهم على: ﴿مَا هُنَّ أمَّهَاتِهِمْ﴾[2] وما قرأ أحَدٌ ما هُنَّ أُمَّهاتُهمْ.

وقوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

القـراءة الجيدة تخفيف ليَكْـونـاً. والـوقـوف عليهـا بـالألف، لأن النـون الخفيفـة تبدل منهـا في الوقف الألف، تقول: إضْربـاً زيداً، فـإذا وقفت قلت: اضربَـا، كما أبدلت في: رأيتُ زيداً الألف من التّنوين، وقد قرئت: ولَتكونَنَّ ـ بتشـديـد النُّونِ، وأكرهها لخلاف المصحف، لأنَّ الشديدة لا يُبْدَلُ منها شيء.

﴿مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.
مِنَ المذَلّين.
﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا يـدْعُونَنِي إلَيْهِ﴾.

والسِّجْن جميعـاً ـ بكسـر السين وفتحهـا ـ فمن فتـح فعلى المصـدر، المعنى أَنْ أُسْجَنَ أَحَبُّ إليَّ، ومن كسـرَ فعَلَى اسم المكَانِ، فيكـون المعنى: نُزولُ السجنِ أَحبُّ إليَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إليْهِ، أي من ركوب المعصية.

﴿وَإلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إلَيْهِنَّ﴾.

أي إلاّ تَعْصِمْني أَصْبُ إليْهِنَّ، أَي أَمِـلْ إلَيْهن. يقـال: صبـا إلى اللَّهْـوِ يصبو صُبُوًّا، وصِبِيًّا، وَصَبًّا، إذا مالَ إلَيْه.

---

(١) يجعلون «ما».

(٢) سورة المجادلة الآية ٢. بنصب أمهات.

وقـال: ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْـدَهُنَّ﴾[1]. وجـائـز أن يكـون يَعْني امـرأة العزيز وحدها، إلاّ أنه أراد كيْدَها وكيدَ جميع النساء، وجَـائزٌ أن يكـون كيدَهـا وكيدَ النِّسْوَةِ اللاَّتِي رَأَيْنَ يوسُف حِينَ أَرَتْهُنَّ إيَّاهُ.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾.

ولم يقـل فحبس لأن في قولـه: ﴿وَدَخَلَ مَعَـه السِّجْنَ﴾ دليلاً أنـه حُبسَ. و «فَتَيان» جَائزٌ أَنْ يكونَا حَدَثَيْنِ أوْ شَيْخَيْن، لأنهم كانوا يُسَمُّونَ المملوك فَتًى.

﴿وَقَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً﴾.

ولم يقل إني أراني في النوم أعْصِرُ خَمراً، لأن الحال تدُلُّ على أنه ليس يرى نفسه في اليقـظة يَعْصِرُخمـراً، وقـال أهـل اللغة: الخمـرُ في لُغَةِ عُمَـان اسم للْعِنَبِ، فكأنـه قـال: أراني أعصـر عِنَبـاً، ويجـوز أن يكـونَ عَنَى الخمْـرَ بعينها، لأنه يُقَالُ للَّذِي يَصْنَعُ من التَّمْرِ الدِّبْس[2] هذا يَعْمَلُ دِبْساً، وإنما يَعْمَلُ التَّمرَ حتَّى يصيرَ دِبْساً، وكذلك كلُّ شيء نُقِـلَ مِنْ شيء، وكذلـك قولـه أعصِرُ خمراً، أي أعصِرُ عِنَبَ الخمْرِ أي العِنَبَ الَّذِي يكونُ عَصِيرُه خمراً.

﴿وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِـلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْـزاً تَأْكُـلُ الطَّيْـرُ مِنْهُ، نَبِّئْنَـا بِتَأْوِيلِهِ﴾.

أي تأويل ما رأينا.

وقولهما﴿نبئنا بتأويله﴾ يدلعلى أنهما رأيـا ذلك في النـوم، لأنه لا تـأويل لرُؤية اليقظة غير ما يراه الإنسان.

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المحْسِنِينَ﴾.

---

(١) أي استعمل ضمير الجمع والمتحدث عنها واحدة.

(٢) عسل البلح.

جاء في التفسير أنه كان يعين المظلوم وينصر الضعيف، ويعود العليل، وقيل من المحسنين، أي ممن يُحسِنُ التأويل. وهذا دليل أنَ أمر الرؤيا صحيح، وأنها لم تزل في الأمم الخالية، ومن دفع أمر الرؤيا وأنَّه منها ما يصح[1] فليس بمسلم لأنه يدفع القرآن والأثر عن رسول اللّه ﷺ لأنه روي عن رسول اللّه أن الرؤيا جزء من أربعين جزءاً من النبوة.

وتأويله أن الأنبياء يُخْبِرُونَ بما سَيَكُون. والرؤيا الصادقة تدل على ما سيكونُ.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾.

وليس هذا جواب ما سألا عنه، إنما سألا أن يخبرهما بتأْوِيلِ مَا رَأَياه فأحب يوسف عليه السلام أن يدعُوهما إلى الإيمان وأن يعلمهما أنه نَبيٌّ، وأن يدلهما على نبوَّته بآية معجزة، فأعلمهما أنه يخبرهما بِكُلِّ طَعَام يؤتيان به قبل أن يرياه، ثم أعْلَمَهُما أن كل ذلك مما عرفه اللّه إياه فقال:

﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾.

أي لست أخبركما عَلَى جِهَةِ التَكَهُّنِ، والتَنَجُّمِ، إنما أخبركما بِوَحيٍ مِنَ اللّهِ وعِلْمٍ، ثم أعْلَمَهُمَا أن هذا لا يكون إلَّا لمؤمِنٍ بِنَبِيٍّ فقال:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ. وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ، مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا [وعلى الناس]﴾.

أي اتباعنا الإيمان بتوفيق اللّه لنا وبفضله علينا ﴿وعلى الناس﴾ بأن دلهم على دينه المؤدي إلى صلاحهم.

---

(١) في نسخ: أن منها ما هو صحيح.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾.

ثم قال لهما:

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ﴾.

فَدَعَاهم إلى توحيد اللّه بعد أَنْ علمهما أنه يخبرهما بالغيب، ثم قال

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِه إلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤُكُم﴾.

أي أنتم جعلتم هـذه الأسماء آلهـةً. ثم أخبرهم بتـأويل الـرؤيا بعـد أن دعاهم إلى الإيمان. فأما تكرير قوله هم فعلى جهة التوكيد[1].

وقوله: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً﴾.

فكان هذا صاحبَ شَراب الملك، فأعلمه أن تـأويل مـا رأى [هو] هـذا. ويجوز فيُسْقِي، والأجود فيَسْقِي، تقـول سقيته بمنـزلة نـاولته فشـرب. وأسقيته جعلْتُ له سَقْياً، تقول أسقيته من كذا وكذا أي جعلت له سقياً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَان﴾.

لَمَّا تأول لهما الرؤيا قال الـذي أَنْبَأَهُ بأَنَّه يُصْلَبُ [إنه] لم يَرَ شَيئاً فـأعلَمهُ أنَ ذلك واقع به وإنْ لَمْ يَرَ، كما أَعْلَمَهُمَا بخبر ما يَأْتِيهما من الطعام.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّه نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

اي عند الملك صاحبك.

﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾.

---

(١) تكرير الضمير في ﴿وهُمْ بالآخرة هُمْ كافرون﴾، في الآية السابقة.

أنسى يُوسُفَ الشيطانُ أن يَذْكُرَ اللَّهَ[١].

﴿فلبِث في السِّجْنِ بِضْعَ سِنينَ﴾.

اختلفوا في البِضْعْ فَقَال بعضهم: البضع ما بين الثلاث إلى الخمس، وقال قطرب إلى السبع، وقال الأصمعي وهو القول الصحيح: البضْعُ ما بين الثلاث إلى التِّسْع، واشتقاق البِضْع والبَضْعَةِ مِنْ قَطَعْتَ الشيءَ فمعناه القِطعَة من العَدَدِ، فَجُعِلَ لِمَا دُون العَشَرةِ من الثلاث إلى التِّسع.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿سَبْعٌ عِجَافٌ﴾.

العجَاف التي قد بلغت في الهُزَالِ الغايةَ والنهايَةَ.

﴿يَا أَيُّها ٱلمَلأُ أَفْتُوني في رُؤْيَايَ﴾.

الملأ الذين يرجع اليهم في الأمور، ويقتدي بآرائهم[٢].

﴿إنْ كُنْتُم لِلرُّؤْيَا تَعْبُرونَ﴾.

هذه اللام أدخلتِ على المفعول لِتُبيِّنَ المعنى إن كنتم تعبرون، وعابرين ثمَّ بين باللام فقال للرؤيا.

ومعنى عبَّرت الرؤيا وعَبَرْتُها خبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها. واشتققته من عَبْرِ النَّهْرِ، وهو شَاطِئ النَّهرِ، فتأويل عبرت النَّهـرَ، أي بلغتُ إلى عَبْرِه، أي شاطئه، وهو آخر عَرْضِهِ.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

والضغث في اللغة الحُزْمَةُ والباقَةُ من الشيء، كالبقل وما أشبهه، فقالوا له: رُؤْيَاكَ أضغاثُ أحلام، أي حُزَم أخلاطٍ ليست برؤيا بينةٍ.

---

(١) هذا رأي لبعض المفسرين، والاقرب ان الشيطان أنسى الرجل الناجيَ ان يذكر يوسف عند الملكَ، ويقوي هذا ما يأتي من قوله «وادّكر بعد أمة».

(٢) سبق تفسير الملأ في الجزء الأول ٣٢٥ - ٢٦.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾.

أي ليس للرؤية المختلطة عندنا تأويل.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾.

أي بعد حين، وقرأ ابن عباس: وادّكَرَ بَعْدَ أَمَهٍ، والأَمـهُ النسيَانُ، يقـال أَمِهَ يَأْمَهُ أَمهاً. هذا الصحيح بفتح الميم، وروى بعضهم عن أبي عبيدة: أَمْـهٌ بسكون الميم، وليس ذلك بصحيح عنه، لأن المصدَرَ أنه يأمَهُ أَمَـهٌ لا غير[1]. وقرأ الحسَنُ: أنا آتيكم بتأويله، وأكرهها، لخلاف المصحف[2].

وادّكَـر أصله واذْتَكَرَ، ولكن التـاء ابدل منهـا الـدَّال وادغمت الـذَّالُ في الدال. ويجوز واذَّكَر بالذال، والأجود الدال.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾.

أراد يا يوسف، والنِّدَاء يجوز في المعرفة حذف يا منـه، فتقول: يـا زيد أقبل، وزيدُ أقبل، قال الشاعر[3]:

محمـد تفـد نفسـك كـل نفسٍ   إذا مَـا خِـفْـتَ مِـن أَمْـرٍ تَـبَـالا

أرادَ يا مُحَمدُ.

والصِّدِّيق المبالغ في الصِّدْقة، والتَّصديق.

وقوله :﴿لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

أي لعلهم يعلمون تأويل رؤيا الملك، ويجوز أن يكون: لعلهم يعلمون

---

(١) مثل فرح يفرح.

(٢) لأن الذي في المصحف ﴿أَنَا أُنبئكم﴾.

(٣) ينسب لأبي طالب عم رسول الله (ص) وللأعشى، ويستشهد به النحويـون على حـذف الياء لأن الفعل مجزوم بلام أمر محذوفة. أي لتفدِ، والتبال الـوبال. قيـل مرادف وقيـل كلمةٌ واحـدةٌ قلبت الواو تاء فيها. والبيت في شواهد الكشاف. وشواهد المغني ٢٠٤ .وسيرة ابن هشام.

مكانك فيكون ذلك سبب خَلاَصِكَ من الحبْسِ .

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً﴾ .

أي تَدْأَبُونَ دَأَباً، ودَلَّ على تَدْأَبُونَ ﴿تَزْرَعُونَ﴾ . والدَّأْبُ المـلازَمَةُ للشيء والعادةُ[1] .

وقوله : ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ .

وقرئت : وفيه يُعْصِرَونَ، فمن قال وفيه يَعْصِرونَ بالياء أيْ يأتي العام بعد أَرْبَعَ عشرةَ سنةً الذي فيه، يُغَاثُ الناس فيَعصِرُونَ فيه الزَّيْتَ والعِنبَ، ومن قرأ يُعْصَرونَ أَرادَ يُمْطَرُونَ، من قوله :﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّـاجاً﴾[2]، وَمَنْ قرأ: وَفِيه تَعْصِرون[3]، فإن شاء كان على تأويل يَعْصِرُونَ، وإن شاء كان على تأويل وفيه تَنْجوْنَ من البلاء، وتعتصمون بالخِصْب. قال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ[4] :

لــو بغيــر المــاء حلقي شَـرِق كنت كـالغصَّـانِ بـالمـاء اعتصَـارِي

ويقال: فلان في عَصَرٍ وفي عُصْرةٍ، إذا كان في حِصْنٍ لا يُقْدَرُ عليه.

وقولـه سبحانه : ﴿وقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ .

لما أُعْلِمَ بمكانه من العلم بالتأويل طَلَبَه

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلَه﴾[5].

أي إلى صاحبك، ورب الشيء صاحبُه

---

(١) كلمة دأب. تدل على موالاتهم الزرع فهم يدأبون في عمله.

(٢) سورة عمَّ آية ١٤.

(٣) الذي قرأ بالتاء حمزة والكسائي فقط، ومن عداهما قرأوا بالياء.

(٤) تقدمت ترجمة عدي بن زيد وكان اتصل بالنعمان بن المنذر، وسجن طويلاً لديه ثم قتل، وفي هذه القصيدة يستعطف النعمان.وجزء من القصيدة وأخبار عَديّ بالأغاني حـ ٢/١١٤، والبيت مما يتمثل به، وانظر شواهد المغني ٢٢٦.

(٥) في الأصل فسَلْهُ.

﴿فَاسْأَلْه مَا بَالُ النِّسْوةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيدِيَهُنَّ﴾.

ويجوز اللَّائي قطَّعْن، أي اسألْه أن يستعمِل صحةَ بَراءَتِي مما قُرِفْتُ به.

وَيُرْوَى أنَّ النبي ﷺ قال: لو كنت في مكان يوسف ثم جاءني الرسول لبادرت إليه، أنه ﷺ استحسن حزم يوسف وصَبْرَه حين دعاه الملكُ فلم يبادِرْ إليه حتى يعلَمَ أنه قد استقرَّ عند الملك صحةُ بَراءَتِه.

﴿قَالَ مَاخَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ﴾.

لم يفرد يوسفُ عليه السلام امرأة العزيز بالذكر، حُسْنُ عِشْرَةٍ منه وَأدَبٍ. فخلطها بالنِّسْوةِ.

وقوله: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾.

قُرِئَتْ «حَاشَ للَّه» و «حَاشى للَّهِ» وقرأ الحسنُ: حَاشْ للَّهبتسكين السين. ولا اختلاف بين النحويين أنّ الإسْكَانَ غيرُ جائزٍ، لأنَّ الجَمْعَ بين ساكنين لا يجوز ولا هُوَ مِنْ كَلام العَرَب.

﴿ماعَلِمْناعَلَيه مِن سُوءٍ﴾.

فأعلم النسوةَ الملكَ ببراءة يُوسُفَ، وقالت امرأةُ العزيز:

﴿الآنَ حَصْحَصَ الحقُّ﴾.

أي بَرزَ وتبيَّنَ، واشْتِقَاقُه في اللغة من الحِصَّةِ، أي بانت حصَّةُ الحق وجهتُه من جهة الباطل.

﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ﴾.

هذا قول يُوسُفَ عليه السلام، المعنى إني أردت التبيين للمَلِكِ أَمْرَ آمرأته والنسوة، ليعلم أني لم أخنه بالغيب. و «ذلك» مرفوع بالابتداء، وإن شئت عَلَى خَبرِ الابْتِداء، كأنَّه قال: أمْري ذَلِكَ.

ويُروَى أن جبريل عليه السلام قال له: ولا حِينَ حَللْتَ التكة، وقيل ولا حين هممت، فقال:

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾.

موضع ما نصب على الاستثناء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾.

جزم جواب الأمر، ومعنى استخلِصْه أي أجْعَلْه خالصاً لي، لا يشركني فيه أحد.

﴿فَلَمَّا كلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

أي عرفنا أمانتك وبراءتك مما قرفت به.

﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾.

أي على أموالها

﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾.

أي أحْفظها وأعْلَمُ وُجُوهَ مُتَصَرَّفَاتها، وإنما سأله أن يجعله على خزائن الأرض لأنَّ الأنبياء بُعِثُوا لإقَامة الحقّ والعدْلِ ووضع الأشياء مواضعَها، فعلم يوسف عليه السلام أنه لا أحد أَقْوَمُ بذلك منه، ولا أوْضَعُ له في مواضعها.

فسأل ذلك ارادةً للصلاح.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ قال ائتوني بأخٍ لكم مِنْ أَبِيكُمْ﴾.

وهذا ـ والله أعلم ـ قد كان قبله كلام جرَّ إليه ما يُوجب طلبَ أخيهم منهم، لأنه لا يقول ائتُوني بأخٍ لكم مِنْ أبيكم من غَيْر أن يجريَ مَا يُوجِبُ هذا القولَ. فكأنه ـ والله أعلم ـ سألهم عن أخبارهم وأمْرِهِمْ وعَدَدِهِمْ، فاجْتَرَأ لقول هذه المسألة.

﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ المُنْزِلِينَ﴾.

لأنه حين أنزلهم أحسن ضيافتهم.

وقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُون﴾.

القراءة بكسر النُّون، ويجوز الفتح بفتح النون لأنها نون جماعة كما قال: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[1] بفتح النون، وتكون ﴿وَلَا تَقْرَبُونَ﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه معنى الأمر.

﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾.

﴿وإنا لفاعلون﴾ توكيد.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ﴾.

ولِفِتْيَتِهِ، قُرِئَتَا جميعاً، والفتيان والفتية المماليك في هذا الموضع.

﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهم في رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وفي هذا وجهان، أي إذا رأوا بضاعتهم مردودة عليهم، علموا أن ما كيلَ لهم مِنَ الطعام لم يؤخذ منهم[2] ثمنُه، وأنَّ وضع البضاعة في الرحال لم يكن إلَّا عن أَمْر يُوسُفَ، ويجوز أن يكون ﴿لعلهم يَرْجِعُونَ﴾ يَرُدُّون البضاعة، لأنها[3] ثمن ما اكتالوه. ولأنهم لا يأخذون شيئاً إلَّا بثمنه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي إن أرسلته معنا اكتلنا، وإلا فقد مُنِعْنَا الكيلَ.

﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾.

---

(١) سورة الحجر ٥٤، وتقدير الآية هنا: (فلا كيل لكم عندي ولا أنتم تقربون).

(٢) في الأصل منه.

(٣) في الأصل لأنه.

أي كذلك قلتم لي في يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا يرتعْ ويلْعَبْ، وإنا له لحَافِظُون﴾ فقد ضمنتم لي حفظ يوسف وكذلكم ضمانكم هذا عندي.

﴿فَاللَّه خَيْرٌ حِفْظاً﴾.

وتقرأ ﴿حافِظاً﴾. وحفظاً منصوب على التميز، و ﴿حافظاً﴾ منصوب على الحال، ويجوز أن يكون حافظاً على التمييز أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَدُوا بِضَاعَتَهُم رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾.

وتقرأ رِدَّتْ بكسر الراء، والأصل رُدِدَتْ، فأدغمت الدال الأولى في الثانية وبقيت الراء مضمومةً. ومن كسر الراء جعل كسرتها منقولة من الدال، كما فعل ذلك في قِيلَ وبيع لتدل أن أصلَ الدال الكسر.

وقد حكى قطرب أنه يقال في ضُرِبَ زيد؛ ضُرْبَ زَيْدُ وضِرْبَ زيدٌ - بكسر الضاد. اسكن الراء، ونقل كسرتها إلى الضاد، وعلى هذه اللغة يجوز في كَبِدٍ كِبْدٌ.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾.

أي ما نريد، وما في موضع نصب، المعنى أي شيء نريد وقد رُدَّتْ علينا بضاعتنا، ويجوز أن يكون «ما» نفياً، كأنهم قالوا ما نبغي شيئاً، ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.

﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾.

يقال: مِرْتُهم أميرهم ميراً إذا أتيتهم بالمير.

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾.

لأنه كان يكال لكل رجل وَقْرُ بَعيرٍ.

﴿ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾.

أي ذلك كيل سهل، أي سهل على الذي يمضي إليه
﴿إلاَّ أنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾.

فموضع أن نصب، والمعنى لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إلاَّ لإحَاطَةٍ بِكُمْ، أي لا لتمتنعوا من الإتيان به إلا لهذا، وهذا يسمى مفعولاً له، وإلا ههنا تأتي بمعنى تحقيق الجزاء، تقول: ما تأتي - إلاّ لأخْذِ - الدَّرَاهِم وإلا أن نأخذ الدراهم، ومعنى الإحاطة بهم، أن يحال بينهم وبينه فلا يقدروا على الإتيان به.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾.

قد خاف عليهم العين، وأمر العين صحيح - والله أعلم - وقد روي عن النبي ﷺ أنه عَوّذَ الحسَنَ والحسَيْنَ فقال في دعوته: وأعيذكما من كل عين لامة.

وقوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِنَ اللَّهِ اللَّه مِنْ شَيءٍ إلاَّ حَاجَةً فِي نَفْس يَعْقُوبَ قَضَاها﴾.

أي إلا خوف العين، وتأويل ﴿مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهم مِنَ اللَّه مِنْ شَيءٍ﴾ لو قُدِّرَ أن تصيبهم لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم مجتمعين، وجائز أن يكون: لا يغني مع قضاء الله شيء.

﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾[1].

أي لذو علم لتعليمنا إياه، ونصب حاجة استثناء ليس من الأول، المعنى لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾.

أي ضَمَّ إليه أخاه.

﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾: أي لا تحزن ولا تستكن

---

(١) أي يعقوب ذو علم لما علمه الله.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجِهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي أعلم معلم، يقال آذنته بالشيء فهو مُؤذَنٌ به أي أعلمته وأذنت أكثرت الإعلام بالشيء.

﴿أَيَّتُها العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

المَعنى: ياأيها الأصحاب للعير، ولكن قال: أيتها العير، وهو يريد أهل العير، كما قال: ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ﴾ يريد أهل القرية وأَنَّثَ «أَيًّا» لأنه جعلها للعير.

وقوله: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ﴾.

وقرئت «صَوَاعَ» الملك، وقرئت «صَاعَ» الملكِ، قرأ أبو هريرة صاع الملك، وقرئت صوغ الملك - بالغين معجمة.

﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾.

أي حمل بعير من الطعام

﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

أي كفيل.

الصُّواع هو الصاع بعينه، وهو يذكر ويؤنث، وكذلك الصَّاعُ يذكَّر ويؤنث، وجاء في التفسير أنه إناء مستطيل يشبه المكوك، كان يشرب به الملكُ، وهو السقاية. وقيل إنه كان مصنوعاً من فضة مموَّهاً بذهب، وقيل إنه كان من مَسٍّ[1]، وقيل إنه كان يشبه الطاسَ.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ﴾.

معنى تاللَّه: واللَّه، إلاَّ أن التاء لا يقسم بها إلا في «اللَّه» لا يجوز تالرَّحمن ولا تَـرَبِّي لأفعلن[2]، والتاء بدل من الواو كما قالوا في وراثٍ تُرَاث،

(١) لعله من ماس، وربما من ميس - وهو شجر عظم - وآثرنا كتابته على ما جاء في أصله.

(٢) سمع وترب الكعبة وتحياتك - ولكنه غير مستعمل.

وكما قالوا يتَّزِنُ، وأصله يَوْتَزِنُ مِنَ الوزن وإنما قالوا :﴿لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض﴾، لأنهم كانوا لا يَنْـزِلُونَ على قـوم ظلماً. ولا يـرعـون زرع أحَـد. وجعلوا على أفواه إبلهم الأكِمَّةَ لئلا تعبث في زرع، وقالوا:

﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾.

لأنهم قد كانوا فيما روي ردوا البضـاعة التي وجـدوها في رحـالهم، أي فمن رَدَّ مَا وَجَده كيف يكون سارقاً.

﴿قالوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾، ﴿كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمينَ﴾.

أي مِثْلُ هذا الجـزاءِ نجزي الـظالمين، وكان جـزاء السارق عنـدهم أن يُستَعْبَدَ بسَرقَتِهِ، يَصيرُ عَبْداً لأنه سرق.

فأما رفعُ ﴿قَالُوا جَزَاؤُه مَنْ وُجِدَ في رَحْلِهِ﴾ فمن جهتين: أحدهما أنَّ هو جزاؤه ابتداء، ويكون من وجد في رحله الخبـر، ويكون المعنى جـزاء السَّرَق الإنسانُ الموجود في رحله السَّرَقُ. ويكون قوله ﴿فهوجزاؤه﴾ زيادةً فى الإبـانة. كما تقول: جزاء السارق القطع فهو جزاؤه. فهذا جزاؤه، زيادةٌ في الإبـانـة.

ويجـوز أن يكون[1] يـرتفع بـالابتداء، ويكـون من وجـد في رحله فهـو جزاؤه. هذه الجملة خبـر الجزاء، والعـائد عليـه من الجملة «جزاؤه» الذي بعد قـوله «فهـو»، كأنـه قيل: قـالوا جـزاؤه من وجـد في رحله فهـو هـو، أي فهـو الجـزاء، ولكـن الاظهار كـان أحسن ههنا لئـلا يقـع في الكـلام لبس، ولئـلا يتـوهم أن «هو» إذا عـادت ثـانيـة فليست بـراجعـة على الجـزاء، والعـرب إذا أقحمت أمـر الشيء جعلت العـائـد عليـه اعـادة لفـظه بعينــه، أنشـد جميــع النحويين:[2]

(١) أن يكون جزاؤه مرفوعـاً بالابتـداء، أي جزاؤه مبتـدأ خبره جملة «من وجـد في رحله فهو جـزاؤه» ودخلت الفاء في خبر مَنْ إما لأنها شرطية أو موصولة.

(٢) تقدم في الجزء الأول ٤٥٦ .

لا أرى المـوت يسبق المـوت شيء   نغص المـوتُ ذا الـغنـى والفـقيـرا

ولم يقل: لا أرى الموت يسبقه شيء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾.

رجع بالتأنيث على السقاية، ويجوز أن يكون أنث الصواع.

﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الملِكِ﴾.

أي في سيرة الملك، وما يـدين به الملكُ، لأن السـارق في دين الملك كان يغرم مِثْلَيْ مَا سَرِقَ، وكان عند آل يعقـوبَ وفي مَذْهَبِهِم أنْ يَصِيـرَ السارق عَبْداً يَسْتَرِقُّهُ [صاحب الشيء المسروق].

﴿إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

موضع أن نصب، لما سقطت الباء أفضى الفعل فنصب، المعنى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا بمشيئة اللَّه.

﴿نَـرْفَعُ دَرَجَاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾.

على إضافة الدرجات إلى «من» ويجوز درجات بالتنوين، على أن يكون «من» في موضع نصبٍ، المعنى نرفع من نشاء دَرَجاتٍ. ويجـوز رفع درجـات من نشـاء، وهي حسنة[1]، ولا أعلمهـا رُوِيَتْ فـلا تقـرأن بهـا إن لـم تصح فيها روايةٌ.

﴿وَفَـوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيم﴾.

قيـل في التفسيـر: فـوق كـل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى اللَّه عزّ وجلّ.

﴿قَالُوا إنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

---

(١) لا يبدو لها حسن، لأن الجملة الأولى تنتهي حينئذ عند ترفع.

يعنون يوسف، ويروى أنه كان في صغره أَخَذَ صُورَةً مما كان يتعبد به بعض من يخالف أهْلَ مِلَّةِ الإسلام من ذهب، وهذا الذي أخذه [كان] على جهة الإنكار، لئلا يُعظَّمَ مثل ذلك

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾.

أي لم يظهرها لهم.

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَاناً﴾.

وهذا إضمار على شريطة التفسير[1]، لأن قوله ﴿قال أنتم شرٌّ مكاناً﴾ بَدَلٌ من «ها» في قوله: ﴿فَأَسَرَّهَا﴾. المعنى. فأسر يوسف في نفسه قوله: ﴿أَنْتُم شَرٌّ مَكَاناً﴾[2]. المعنى - والله أعلم - أَنْتُمْ شَرٌّ مكاناً في السرقِ بالصَّحَةِ لأنكم سَرَقْتُمْ أَخَاكُمْ مِنْ أبيكم.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾.

أي اللَّه أعلمُ أسرق أَخٌ لَهُ أَمْ لا

﴿قَالُوا يَا أَيُّها الْعَزِيزُ﴾:

والعزيز الملك

﴿إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً﴾.

﴿شيخاً﴾ من نعت أَبٍ، وأَبٌ مَنْصُوبٌ بإنَّ، و ﴿كَبِيراً﴾ من نعت شيخٍ.

﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَه إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أي ممن يُحسِنُ ولا يُعَامِلُ بالتحديد في واجب لأنه كان أعطاهم الطعام واعطاهم ثمنه في رده البضاعة لهم، فطالبُوه بأن يُحْسِنَ.

---

(١) أي جاء الضمير في «أسرَهَا» من غير سابق مرجع ثم فسرّته الجملة بعده.

(٢) لا يتناسب هذا مع قوله ﴿قالَ أنْتُمْ شرٌمَكَاناً﴾ فإنه جهر بها. والأولى أسر حزازة الكلمة، وكتم في نفسه أنه يوسف ولم يسرق. أو كتم الكراهية.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾.

﴿معاذ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدر المعنى أعوذ باللّه مَعاذاً، وموضع أن نَصْبٌ، المعنى أعوذ باللّه من أخذ أحَدٍ إلَّا مَنْ وَجَدْنا متاعنا عنده، فلما سَقَطَتْ «من» أفضى الفعل فنصب.

﴿إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾.

أي إن أخذنا غيره فنحن ظالمون.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْه خَلَصُوا نِجِيًّا﴾.

المعنى خَلَصوا يَتَناجَوْنَ، أي خَلَصُوا مُتَنَاجِينَ فيما يعْملُون في ذهابهم إلى أبيهم، وليس معهم أخوهم، و«نجِيٌّ» لفظ واحد في معنى جمع، وكذلك ﴿وإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾(١). ويجوز قوم نجيٌّ وقوم نَجْوَى وقوم أَنْجِية، قال الشاعرُ(٢)

إنـي إذا مـا القـومُ صـاروا أَنْـجِيَـهْ
واختلف الـقـولُ اختـلاف الأَرْشِيَـة
هـنـاكَ أوصيـنـي ولا تـوصي بَـيَـهْ

ومعنى خلصوا انفردوا وليس معهم أخوهم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾.

أجود الأوجه أن يكون «مَا» لغواً، فيكون المعنى ومن قبل فَرَّطْتُمْ في يوسف، ويجوز أن يكون ما في موضع رفع، فيكون المعنى ومن قَبْلِ

(١) سورة الإسراء الاية ٤٧.

(٢) هو سحيم بن وثيل اليربوعي، وروايته في اللسان (نجا) «كانوا أنجية» و «اضطرب القوم» وروي أيضاً «واختلف القوم» و «والْتَبَس» وضبطه علي بن حمزة بكسر الكاف في «هناك» حظا بالأنثى ولهذا قال: «أوصيني» - قيل ضربه مثلا لنزول الأمر المهم واختلاف الآراء واضطرابها، وقيل يصف سَفْراً أجهدهم السير وشدوا أنفسهم على ركائبهم بالرحال لئلا يسقطوا لأن النوم جعل أجسامهم تميد - والأول أظهر - والأرشية الحبال، وهو يريد إظهار تفوقه على أقرانه.

تفريطكم في يوسف، أي وقع تفريطكم في يوسف، ويجوز أن يكون ما في موضع نصْبٍ نسقٌ على أنَّ، المعنى ألم تعلموا أن أباكم، وتعلموا تفريطكم في يوسف.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حتى يَأذَنَ لِي أَبِي ﴾.

أي لن أبرح أرض مصر، وإلاَّ فَالناس كلهم على الأرض.

﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لي ﴾.

نسق على ﴿حتى يأذَنَ﴾، ويجوز أن يكون «أو» على جَوابِ لَنْ المعنى لن أبرح الأرض حتى يحكم اللَّه لي.

وقوله :﴿إِنَّ ابنَكَ سَرَقَ ﴾.

ويجوز سُرِّقَ، ألا أن سرق آكـد في القراءة، وسُرِّقَ يكون على ضربين، سُرِّق عُلِم أنَّهُ سَرَقَ، وسُرِّق اتُّهمَ بالسرق.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ ﴾.

أي زينت لكم أنفسكم، وحببت إليكم أنفسكم.

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

المعنى فأمري صبر جميل أو فصبري صبر جميل، وقد فسـرنا هـذا فيما سبق من السور:

وقوله عز وجل:﴿يَا أَسَفَا عَلَى يُوسُفَ﴾.

معناه يا حزناه، والأصل يا أسفي إلا أن «يا» الإضافة يجوز أن تبـدل ألفاً لخفة الألف والفتحة.

﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ : أي محزون.

﴿قالوا تاللَّهِ تَفْتَأُ تذكرُ يُوسُفَ﴾.

معنى تـاللَّه : واللَّه، و «لا» مضمرة، المعنى واللَّه لا تفتـأ تذكـر يوسف أي لاَ تزال تذكر يوسف[1].

﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً﴾.

والحَرَضُ الفاسد في جسمه، أي حتى تكـون مُدْنَفـاً مريضـاً. والحرض الفاسد في أخلاقه، وقولهم: حَرَّضْتُ فلاناً على فلانٍ، تَأْويلُه أفسدته عليه.

وإنما جاز إضمار «لا» في قوله ﴿تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ لأنه لا يجوز في القسم تاللَّه تفعل حتى تقول لتفعلن. أو لا تفعل. والقسم لا يجـوز للناس إلاَّ باللَّه عز وجل، لا يجوز أو يحلف الرجل بأبيه، ولا ينبغي أن يحلف بـالأنبياء، ولا يحلف إلاَّ باللَّه، ويروى عن النبي عليه السلام أنه قال لِعُمَر: لا تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف باللَّه. فإن قال القائل: فما مجاز القسم في كتاب اللَّه عز وجل في قوله: ﴿والليل إذا يغشى﴾، ﴿والسماء ذات البـروج﴾ ﴿والتين والزيتون﴾ وما أشبه هذه الأشياء التي ذكرها اللَّه جل جلاله في كتابه، ففيها أوجه كلها قد ذكرها البصريون، فقالوا: جائز أن يكون اللَّه عز وجل أقسم بها لأن فيها كلها دليـلاً عليـه وآيـات بينـات، قـال اللَّه - عـز وجـل -: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـواتِ والأَرْضِ واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾ألخ الآيـة[2]. وقال: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَـا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آياتٌ﴾[3]. فكان القسم بهذا يدل على عظمة اللَّه.

وقال قطرب جائز أن يكون معناها: ورب الشمس وضحاها، وربِّ التِّين والزيتون، كما قال: ﴿والسماء ذات البروج﴾[4]، وقال: ﴿والأرض وما طحاها﴾[5]،

---

(١) تحذف لا في القسم، وتزاد فيه أيضاً، تقول إني وربك أدري ما سيحدث أي لا أدري وتقول: لا أقسم أنه لحق أي أقسم.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠ والبقرة آية ١٦٤.

(٣) سورة الجاثية الآية ٤.

(٤) أول سورة البروج.

(٥) سورة والشمس وضحاها آية ٦.

وقال: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ والأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[1].

وقـالوا أيضـاً: جـائـز أن يكـون وخَلْقِ السمـوات والأرض، وخَلْقِ التّين والزيتون.

وقالوا: يجوز أن يكـون لما كان معنى القسم معنى التحقيق، وأن هـذه الأشياء التي أقسم اللّه بها حق كلها، وكذلك ما أقسم عليـه حق فالمعنى كمـا أن التين والزيتون حق، لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم.

وأجْود هذه الأقوال ما بدأنا به في أولها.

وقوله عز وجل: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾.

قالوا ﴿مزجاة﴾ قليلة، وقالوا كانوا جَاءُوا بمتاع الأعراب كالصوف والسمن، وما أَشْبَهَ ذلك مما يبيعه الأعراب، وقيل ان البضاعة كانت مما لا يُنْفَقُ مثلهُ في الطعام، لأن متـاع الأعْراب كـذلك كـان تحتـه رديءَ المـال[2]. وتـأويله في اللغة، أن التـزجية الشيء القليل الذي يُدَافَعُ به، تَقُـول: فلان يُـزَجِّي العَيْشَ أي يَدْفَع بالقليل ويكتفي به. فالمعنى على هذا: إنَّا جئنا ببضاعـة إنما يُـدَافِع بها [أي] يتقوّت، لَيْسَ مِمَّا يُتَّسَعُ بِه، قال الشاعر:

الواهب المائةَ الهِجَانَ وعَبْدَهَا عـوذا تُزَجّي خَلْفَها أطفالَها[3]

---

(١) سورة والذاريات الآية ٢٣.

(٢) لا يدفع في مقابلته إلا رديء المال.

(٣) البيت للأعشى من قصيدة يمدح بها عمرو بن معد يكرب الزبيـدي - وهي قصيدة جيّـدَةٌ معروفـة مطلعها:

رحـلت سُـمـيَّـةُ غـدوةً أجمـالَهـا غضبى عليـك فـما تـقـول بـدا لهـا

والهجان من الإبل الكريمة الجيدة - وقيل البيضاء لأن البياض دليل الجودة، والعوذ جمع عائذ - وهي الناقة الحديثة العهد بالولادة لأن فصيلها يعوذ بها ويتبعهـا وتزجى بمعنى تسـوق وتدفـع، يريـد أن يهب الإبل الكريمة مع أولادها وراعيها.

انظر الخزانة ص١٩١ (سلفية) الشاهد ٢٩٤ - والديوان تحقيق محمد حسين.

أي تدفع أطفالها.

وقوله عز وجل:﴿أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ﴾.

فيها أربعة أوجه:

بجمع الهمزتين، قالوا أَئِنَّكَ ـ على تحقيقهما، ويجوز أئنك ـ على أن يجعل الثانية بين الياء والهمزة. ، وقرئت. «أَئِنَّك» على إنك بفصل بين الهمزتين بألف لاجتماع الهمزتين، قال الشاعر:[1]

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل   وبين النقا آأنت أم أمُّ سَالم

ويجوز قالوا إنك لأنت على لفظ الخبر.

وقوله عز وجل:﴿لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾.

أي لا إفساد عليكم.

وقوله عز وجل: ﴿لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونَ﴾.

معناه لولا أن تجهّلونِ، ويروى تسفهُّونَ[2].

وقوله:﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾.

يقال قد خطئ يخطأ خطأ وخَطأ، وأخطأ يخطئ إخطاء، قال امرؤ القيس:[3]

---

(١) هو ذو الرمة، والبيت في اللسان ـ (جل)، وجلاجل ـ بفتح أوله موضع وقيل جبل من جبال الدهنا، والوعساء والأوعس، والوعْسة والوعَسة والوغْس ـ كله بمعنى الأرض اللينة ذات الرمل، أو الرمل السهل تغوص فيه القدم، وذكر صاحب الأغاني (١٧/٣٠٤ ـ قصة طريفة لهذا البيت بين ذي الرمة وأخيه مسعود، وكان ذو الرمة ـ وهو غيلان بن عقبة ويكنى أبا الحارث ـ يشبب بمية بنت مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ـ الذي قدم على رسول الله في وفد بني تميم ـ وهو أحد العشاق المشهورين ـ كما كان يشبب بخرقاء وليس هذا أسمها ـ ولكن الخرقاء التي لا تعمل بيديها شيئاً لكرمها ـ والبيت من شواهد المغني ١/٤١٣، وفي الخزانة ١/٥٠، والعيني ١/٤١٢.

(٢) لا توجد قراءة بهذا ـ ولكنه يريد فند الشخص معناه كذبه أو سفهه.

(٣) يروى البيت أيضاً: يا لهف نفسي ـ والحلاحل القوي الشديد ـ والبيت في الديوان ١٤٣، ٣٦٨؛

يا لهف هند إذْ خَطِئْنَ كَاهِلا   القاتلين الملك الحلاحلا

وقوله عز وجل: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾.

قال ذلك يعقوب إِرَادَةَ أَن يستغفر لَهم في وقت وجه السَّحَرِ، في الوقت الذي هو لإِجَابَة الدعاء لاَ أَنه ضَنَّ بالاستغْفار وذلك أشبه بأخلاق الأنبياء، أعني المبالغة في الاستغفار، وتعمد وقت الإجابة.

﴿آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْه﴾.

أي ضم إليه أبويه.

﴿وَرَفَع أَبَوَيْه عَلَى العَرْشِ﴾.

﴿العرش﴾ السرير.

﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾.

كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أن يُسْجَدَ للمعظَّم، وَقِيلَ: ﴿وَخَرُّوا له سُجَّداً﴾: وَخَرُّوا للّه(١).

وقوله عز وجل: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ

نيها قولان، أعني في دخول «مِنْ»، جائز أن يكون أراد عَلَّمتَنِي بعض لتأويل، وآتيتني بعض الملك، وجائز أن يكون دخول «من» لِتُبيِّنَ هذا الجنس من سائر الأجناس، ويكون المعنى: رب فد آتيتني الملك وعلمتني تأويل الأحاديث، مثل قوله عز وجل: ﴿تُؤْتِي المُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ﴾ يدل على أن «من» ههنا إنما هي لتبيين الجنس، ومثله قوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ ولم يُؤْمَرُوا باجتناب بعض الأوثان، ولكن المعنى: واجْتَنِبوا الرِّجْسَ الذي هو الأَوْثَانُ(٢).

= من الستة، واللسان (حلل) والشطر الأول في مجاز أبي عبيدة.

(١) أي الضمير في له يعود على اللّه.

(٢) «من» في «من الأوثان» بيانية، فإذا اعتبرت كذلك في الآية قدر مفعول محذوف ـ أي آتيتني شيئاً أو بعضاً.

وقوله عزوجل: ﴿ فَاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ ﴾.

ينتصب على وجهين: أحدهما على الصفة لقوله ﴿رَبِّ﴾ قد آتيتني من الملك، والمعنى: يَا ربِّ قد آتيتني، وهذا نِدَاء مضاف في موضع نصبٍ، ويكون ﴿فَاطِرَ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾ صفة لِلاول، وجائز أن ينتصب على نداء ثانٍ، فيكون المعنى: يَا فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي.

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.

أي أَلْحِقْنِي بمرَاتبهم مِنْ رحمتك وغفرانك

﴿ذَلكَ مِنْ أَنباءِ الغَيْبِ نُوحِيه إليك﴾.

هذا خِطاب للنبي عليه السلام، المعنى الذي قَصَصْنَا عليك من أَمْر يُوسُفَ وَإخوته مِنَ الأخْبَارِ التي كانت غائبة عنك. فأنزلت عَلَيْهِ دلَالَةً على إثبات نُبُوَّتِه، وإنْذَاراً وتَيْسِيراً بتفصيل قِصَص الأمم السالفة. وموضع ﴿ذلك﴾ رفع بالابتداء ويكون خبره ﴿من أنباء الغَيْب﴾، ويكون ﴿نُوحيه إِلَيْكَ﴾ خَبَراً ثَانِياً، وإن شئت جعلت «نوحيه» هو الخبر، وجعلت ذلك في موضع الذي، المعنى الذي مِنْ أنباء الغيب نوحيه إليك ذلا،

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَكثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

معناه وما أَكْثَرُ النَّاسِ بمؤمنين ولو حَرَصْتَ على أن تَهْدِيَهُمْ لأنك لا تهدي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ اللّه يَهْدي مَنْ يَشَاءُ.

﴿وَمَا تَسْألهم عليه مِنْ أَجْرٍ﴾.

أي وَمَا تَسْأَلهم على القرآن وتلَاوته وهِدَايتك إيَّاهم من أَجْر، ﴿إِنْ هُوَ إلَّا ذكرٌ لِلْعَالمِينَ﴾.

أي ما هو إلا تذكرة لهم، بما هو صلاحهم ونجاتهم من النَّارِ وَدُخولهم

الجنة، وإنذارُهم وتبشيرُهم، فكل الصلاح فيه.

﴿وَكَأَيِّنْ مِن آيةٍ في السّمواتِ والأَرْضِ﴾.

أي مِن علامة وَدلالة تَدُلُّهم على توحيد اللَّه، مر ـرِ السَّمَاءِ وأنها بغَيْرِ عَمَـدٍ لا تقع على الأرض، وفيها من مجرى الشمس والقمر ما فيها، وفيها أعظم البرهان والدليل على أن الّذي خلقها واحد، وأن لها خالقاً، وكذلك فيما يشاهد في الأرض من نباتها وبحارها وَجَبالِهَا.

﴿وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ﴾.

أي لا يفكرون فيما يدُلُّهمْ عَلَى توحيد اللَّه ـ عز وجل ـ والدليل على أنهم لا يفكرون فيما يستدلون به قوله عز وجل:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾.

أي إن اعترفوا بأن اللَّه خالقهم وخالق السموات والأرض، أشركوا في عبادته الأصنام، وأشركوا غيْر الأصنَام.

﴿أفأمِنُوا أَنْ تَأْتِيهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَاب اللَّهِ﴾.

أي أن يأتيهم ما يعجزهم من العذابَ

﴿أَوْ تَـأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾.

أي فجـأةً، و ﴿بغتة﴾ مصدر منصوب على الحال، تقول لقِيتهُ بَغْتَةً وَفَجْأةً، ومعناه من حيث لم أتوقع أن ألقاه.

وقوله عز وجَلّ: ﴿وَلَـدَارُ الآخِرةِ خَيرٌ للَّذِينَ اتَّقَوْا﴾.

وفي غير مَوْضِعٍ ولَلدَّار الآخرةُ، فمن قال الدَّارُ الآخرة فالآخرة نعت للدار، لأن لجميع الخلق دَارَيْن، الدّارُ التي خُلِقُوا فيها وهي الـدُّنْيا، والـدَّارُ الآخرةُ التي يُعَادُونَ فيها خلقاً جدِيداً، ومَنْ قالَ «دَارُ الآخِرة» فكأنَّهُ قال: وَدَارُ

الْحَالِ الآخِرَةِ، لأنَّ للناس حَالَيْنِ، حالَ الدُّنْيَا وحال الآخرة[1]، ومثل هذا في الكلام الصَّلاَةُ الأُولَى، وصَـلاَةُ الأُولى. فمن قال الصَّـلاةُ الأولى جعل الأولى نعتـاً للصلاة، ومن قـال صلاةُ الأُولى أراد صـلاة الفـريضـة الأولى، والسَّـاعَـةِ الأولى.

﴿حَتَّى إذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا[2] أَنَّهُمْ قَدْ كَذِبُوا﴾.

قُرِئَتْ كُذِّبوا وكُذِبُوا، بِالتخفيف والتشديد، وقـرئت «وكَذَبُـوا» فأمـا من قرأ وَظَنُّوا أَنهم قد كُذِّبـوا بالتشـديد ـ فـالمعنى حتى إذا استيأس الرُّسُـل من أنْ يُصَدِّقَهُمْ قومُهم جَاءَهُمْ نَصْرُنَا. ومن قرأ قـد كُذِبُـوا بالتخفيف، فـالمعنى وظن قومهم أنهم قد كُذِبُوا فيما وُعِدُوا، لأن الرُّسُل لا يظُنُّون ذلك. وقد قال بعضهم وظنوا أنهم قد أُخْلِفوا أي ظن الرُّسُلُ، وذلك بعيدٌ في صفة الرسل.

يروى عن عائشة أن النبي ﷺ لم يوعد شيئـاً[3] أُخْلِفَ فيه وفي الخبـر: ومَعاذَ اللَّه أن يَظُنَّ الرُّسُلُ هَذَا بِربّها.

ومعنى: وظنوا أنهم قد كُذِبُوا ظن قَومُهم أيضاً أنهم قد كُذِبُوا[4].

وقوله عز وجل: ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَـاءُ﴾.

قـرئت فنُنجّي، وفَنُنْجِـيَ، وقُرِئَتْ فَنَجَـا مَنْ نَشَاءُ، وقـرأ عـاصم فَنُجِّيَ مَنْ نشـاء بفتـح اليـاء، فـأمـا من قـرأ فنُنْجِي فعلى الاستقبـال، والنُّون نُـونُ الاستقبال، أعني النون الأولى، ومن قرأ فَنُجِّي ـ بإسكان الياء ـ فحـذف النون الثانية لاجتماع النونَين، كما تقول: أنت تَبَيَّنُ هذا الأَمْرَ، تريد تَتَبيَّنُ، فحـذف لاجتماع تاءين، ومن قرأ فنجا من نشـاء عطف على قـوله جـاءهم نصرنـا فنجا

(١) الأولى دار الحياة الآخرة.

(٢) أي ظن قومهم.

(٣) في الأصل «شيء».

(٤) ظنوا أن قومهم مكذبوهم ولن يؤمنوا برسالتهم.

من نشـاء على لفظ الفعل المـاضي، ومن قـرأ فنُنجّيَ من نَشَـاءُ. فبمعنى الماضي على ما لم يسم فاعله، ويَكون موضع «مَنْ» رَفْعاً. ويُعْلَمُ بالمعنى أن اللَّه عز وجل ـ نَجَّاهُمْ.

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

أي الذي تقدمه من الكتب.

ونصب تَصْـدِيقاً على معنى كـان، المعنى: ما كـان حديثـاً يفترى ولكن كـان تصديق الـذي بين يديـه، ويجوز: ﴿مَـا كَانَ حـديثاً يفتـرى ولكن تصديقَ الَّذي بين يديه﴾. فمن قرأ هكـذا رفع البـاقي المعطوفَ على تصـديق، ويكون مـرتفعاً على معنى ولكن هـو تصديقُ الـذي بين يديـه، ويكون ﴿وَتَفْصِيـلَ كُـلِّ شَيءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ نَسَقـاً عَلَيْـه.

وهـذا لَمْ تثبت بقراءتـه رواية صحيحـة، وَإِنْ كانَ جـائزاً في العـربية لا اختلاف بين النحويين في أنـه جَيِّدٌ بـالغٌ، فـلا تَقْرأَنَّ بـه ولا تُخَالِفْ الإجمـاع بمذاهب النَّحْويّينَ.

سُورَةُ الرَّعْدُ
مدنيـــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿الٓمٓر﴾:

قد فسرنا في سورة البقرة ما قيل في هذا وأشباهه، ورُوِيَ أنّ معناه أَنَا اللَّهُ أرَى، ورُوِي أنا اللَّه أعلم وأرى، وروي أن «المر» حروف تدل على اسم الرب جَلَّ جَلالُه

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ﴾.

جاء في التفسير أنَّ الذي أُنْزِلَ قَبْل القرآن آياتُ الكتاب.

﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الحَقُّ﴾.

أي والقرآن المنزلُ عَليكَ الحقُّ، ويجوز أن يكونَ موضِعُ ﴿الذي﴾ رفعاً على الابتداء، ويجوز أن يكون رفعاً على العطف على ﴿آياتُ﴾ ويكون ﴿الحَقُّ﴾ مَرْفُوعاً على إضمار هُوَ، ويجوز أن يكون موضع الذي خَفْضاً، عطفاً على الكتاب، المعنى تلك آيات الكتاب وآياتُ الَّذِي أُنْزِلَ إليكَ، ويكون الذي أنزل من نعت الكتاب وإن جاءت الواو[1]، ويكون الحق مرفوعاً على الإضمار، ويجوز أن يكون الحق صفة للذي.

(١) يَعتبر بعض النحويين الواو زائدة - في مثل قوله تعالى: ﴿وسيق الذين اتّقوا رَبَّهُم إلَى الجنّةِ زُمراً حَتَّى إذَا جَاءُوهَا وفتِحَتْ أبْوابُهَا﴾ فاعتبر «جاءوهَا» جواب الشرط، فكذلك الواو هنا يمكن اعتبارها زائدة.

المعنى: تلك آيات الكتاب والذي أُنْزِلَ إليك من ربك الحقّ[1]، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾.

لَمَّا ذكر أنهم لا يؤمنون عرف الدَّليلَ الذي يوجب التصديق بالخالق عزّ وجلّ - فقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَع السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾، وفي ذلك من القدرة والدلالة ما لا شيءَ أوضحُ منه. أن السماء محيطة بالأرض متبرية منها[2]، بغير عَمَدٍ. والمعنى بغير عمدٍ وأنتم ترونها كذلك[3]، ويجوز أن تكون ﴿ترونها﴾ من نعت العَمَدِ، المعنى بغير عَمَدٍ مرئيةٍ، وعلى هذا تعمدها[4] قدرة اللَّه عزّ وجلّ.

﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمَرَ كُلٌّ [يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى]﴾.

كل مقهور مُدبَّرَ لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر، فذلك معنى السُّخْرَةِ، فالشمس والقمر مسخران يجريان مجاريهما التي سخرا جاريين عليها.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾: يحكمه.

﴿يُفَصِّلُ الأيَاتِ لَعَلَكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾.

أي يبين الآيات التي تدل على قدرته على بعثكم، ﴿لعَلَكُم تُوقِنُون﴾، لأنهم كانوا يجحدون البعث، فأعلموا أن الذي خلق السموات وأنشأ الإنسان ولم يكن شيئاً، قادر على إعادته.

﴿وَهُوَ الَّذِي مدَّ الأَرْضَ﴾.

---

(١) وتنتهي صلة الموصول عند «أنزل إليك»، وتكون «من ربك» خبراً.

(٢) بعيدة عنها لا ترتكز عليها، منفصلة عن جميع أجزائها.

(٣) على أن ترونها جملة مستقلة.

(٤) تعمدها: تمسكها وتقيمها.

دلهم - بعد أن بين آيات السماء - بآيات الأرض، فقال - عزّ وجلّ -: ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ روي في التفسير أنها كانت مُدَوَّرَةً فمُدَّت[1].

ومَعْناهُ بَسَطَ الأَرْضَ.

﴿وَجَعَلَ فِيها رَوَاسيَ﴾.

أي جِبَالاً ثوابِتَ، يقال: قد رَسَا الشَّيءُ يَرْسُو رُسُوًّا فهو راسٍ إذا ثبت.

﴿وأَنْهاراً وَمِنْ كَلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَل فِيهَا زَوْجَيْن اثْنَيْنِ﴾.

جعل فيها نوعين، والزوج الواحد الذي ليس له قرين

﴿يُغْشِّي الليل النَّهارَ﴾.

وتقرأ يَغْشِي الليل النَّهَارَ، ثم أعلم أنَّ ما ذكر من هذه الأشياء فيه برهان وعلامات بينات فقال:

﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

ثم زادهم من البرهان فَقَال.

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ متَجاوِرَاتٌ﴾.

يروى في التفسير أنها تتجاوَرُ، بعضُها عامرٌ، وبعضها غير عَامِر، وكذا في التفسير أيضاً أن معناه قطع متجاورات.

﴿وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ﴾.

الأجود رفع جنات، المعنى وفي الأرض قطع متجاورات، وبينهما جناتٍ، ويجوز النصب في جناتٍ، ويقرأ وجنات من أعناب، المعنى جعل فيها رواسي وجعل فيها جنات من أعناب، ويجوز أن يكون وَجَنَّاتٍ خفضاً، ويكون نسقاً على كل، المعنى: ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين،

---

(١) في الأصل مَدَرَة، والرواية الثانية على هامش النسخة، وَمَدَرة أي قطعة من الطين اليابس، ثم زيد حجمها.

ومن جنات من أعناب ﴿وَزَرْعٌ﴾، فأما ﴿وزرع﴾ فيجوز فيه الرفع والخفض، وكذلك ﴿صِنْوانٌ وَغَيْرُ صِنْوانٍ﴾.

والصِّنْوَانُ جمع صِنْوٍ وصُنْوٍ، ومعنى الصنوان أن يكون الأصل واحداً وفيه النخلتان والثلاث والأكثر، ويجوز في جمع صنو أصْنَاءٌ، مثل عِدْل وأعدال، وكذلك صُنْو فإذا كثرت فَهِيَ الصُّنيُّ والصِّنيّ.

﴿يُسْقى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾.

ويجوز تسقى بالتاء، بماءٍ واحدٍ

﴿وَنُفَضِّلَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ﴾.

والأُكُل الثَّمَرُ الَّذِي يُؤكَلِ، ويجوز، ويُفَضِّل بعضَها عَلَى بعضٍ لأنه جرى ذكر اللَّه، فالمعنى يُفَضِّل اللَّهُ، وكذلك إذا قال: ونفضِّلُ بالنونِ لأن الإخبار عن اللَّه بلفظ الجماعة كما قال: ﴿إِنَّا نحنُ نُحْيي وَنُمِيتُ﴾[1] وهذا خوطب به العَربُ لأنهم يستعملون فيمن يُبَجّلُونَه لفظ الجمَاعة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجبٌ قَوْلُهُمْ﴾.

هذا خطاب للنبي عليه السلام.

﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي هذا موضع عجب، لأنهم أنكروا البعث، وقد بين لهم من عِظَمِ خلقِ السمواتِ والأرض ما يدل على أنَّ البَعْثَ أَسْهَلُ في القدرة مما قد تَبيَّنُوا. فَأمَّا موضع ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً أإنا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فموضع إذَا نَصْبٌ فمن قرأ.. ﴿أإذَا كنا تراباً﴾ على لفظ الاستفهام، ثم قرأ ﴿أئنَّا لفي خلقٍ جديد﴾ فإذا منصوبة بمعنى نبعث ويجَدَّدُ خَلْقَنا، المعنى إذا كنا تراباً نبعث ودل على إرادتهم «إِنَّنَا لفي خَلْقٍ جَدِيدٍ».

---

(١) سورة ق الآية ٤٣.

ومن قرأ إذا كنَا تراباً إنا لفي خَلق جديد أدْخَل ألف الاستفهام على جملة الكلام، وكانت إذا نصباً بكُنَّا، لكن الكلام يكون في معنى الشرط والجزاء، ولا يجوز أن تعمل «جَدِيد» في إذَا، لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها. لا اختلاف بين النحويين أنَّ ما بَعْدَ إنْ وإذا لا يعمل فيما قبلهما.

ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنَّ المستفهِمَ بعد البَيَانِ والبُرْهَانِ عن هذا على جهة الإنكار كافرٌ، فقال:

﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾.

جاء في التفسير أن الأغلال الأعْمَالُ في أعناقهم يومَ القيامة، والدليل على ذلك في القرآن قوله: ﴿إذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلَاسِلُ يُسْحبُونَ فِي الحَمِيمِ﴾[1] وقيل أولئك[2] الأغلال في أعناقهم، أي الأغلال التي هي الأعمال، وهي أيضاً مؤدية إلى كون الأغلال في أعناقهم يوم القيامة، لأن قولك للرجل: هذا غُلٌّ في عنقك للعمل السّيّء معناه أنه لازم لك وأنّك مُجازًى علَيْه بالعذاب يَوْمَ القيامة.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالسَّيئةِ قَبْلَ الحَسَنَةِ﴾.

أي يطلبون العذاب بقولهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[3].

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلَاتُ﴾.

والمُثُلات ـ بضم الميم وفتحها، فمن قَرأ المُثُلات، فهي جمع مُثْلة، ومن قرأ المَثُلَات فهي جمع مَثُلَة. ويجوز في المثلات ثلاثة أوجه. يجُوز:

---

(١) سورة غافر الآية ٧١ ـ ٧٢.

(٢) في شرح الآية المستشهد بها، وهو استدلال يحتاج إلى تفسير أيضا. ويحل التركيب على أنه أولئك الذين تكون الأغلال في أعناقهم بسبب أعمالهم السيئة.

(٣) الأنفال الآية ٣٢.

د خلت المُثْلاتُ، بإسكان التاء، ويجوز فتح الثاء المَثُلاتُ، ومن قرأ المثلات تُضَمُّ الثَّاءُ والمِيمُ، وهي في الواحدة ساكنة مضمومة في الجمع فهذه الضمة عوض من حذف تاء التأنيث، ومن فتح فلأن الفتحةَ أَخَفُّ الحركات، روت الرُّوَاةُ:

ولما رَأَوْنا بَادياً رُكَبَاتُنَا على مَوْطِنٍ لا نَخْلِطُ الجدَّ بالهَزْلِ[1]

ومن قرأ المُثْلات بإسكان الثاء فلأن كل ما كان مضموماً أو مكسوراً نحو رُسُل وعَضُدٍ وفَخِذٍ فإسكانه جائز لنقل الضمة والكسرة. والمعنى أنَّهم يَسْتَعْجِلُونَ بالعَذَابِ وقد تقدم من العذاب ما هو مُثْلةٌ وما فيه نَكَالٌ لهم لو اتعظوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِين كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْه آيَةٌ مِنْ رَبِّه﴾معناه هلاّ أُنْزِلَ عليه وإنَّما طَلبُوا غير الآيات التي أتى بها النبي ﷺ نحو انْشِقَاقَ القمر، والقرآنِ الذي دُعُوا أن يأتوا بسورة من مثله - وَما أشبه هذا النحو، فالتمسوا مثلَ آيات عيسى وموسى، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ - أنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادِياً، فقال جلّ وعزّ:

﴿إِنَّمَا انتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

أي نبي وداعٍ إلى اللَّه يَدْعُوهم بما يُعْطَى من الآيات لَا بِمَا يُريدونَ ويتحكمون فيه.

وقوله: ﴿وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾.

معنى غاض في اللغة نقص. وفي التفسير ما نقص الحمل من تسعة أشهر وما زاد عنها على التسعة، وقيل ما نقص عن أَنْ يتمَّ حَتَّى يموتَ، وما زاد حتى يتم الحمل.

---

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٢٤١.

وقوله: ﴿سَوَاءٌ منْكُم مَنْ أَسَرَّ القَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾.

مَوضع «مَنْ» رَفْعٌ بسواء، وكـذلك من الثـانية يـرتفعان جميعـاً بسواء، لأن سواء يطلب اثنين، تقول: سواء زيد وعمروٌ، في مَعْنى ذَوَا سَواءٍ زيدٌ وعمـروٌ، لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يـرتفع مـا بعده إلَّا على الحـذف، تقول: عـدلٌ زيـد وعمـروٌ، والمعنى ذوا عـدل زيـد وعمـرو لأن المصـادر ليست بـأسمـاء الفـاعلين، وإنما تـرفـع الأسمـاءُ أَوْصَـافَهـا، فـإذا رفعتهـا المصـادر فهي على الحذف كما قالت الخنساء:

تــرتـع مــا رتعت حتى إذا ادكــرت   فــإنــمــا هــي اقــبــال وإدْبَــار[1]

المعنى فـإنما هي ذات اقبـال وذات إدبار، وكـذلك زيـد اقبال وإدبـار. وهذا مما كثر استعماله أعني سواء، فجرى مجرى أسماء الفاعلين، ويجوز أن يرتفع على أن يكون في موضع مُسْتَوٍ، إلا أن سيبـويه يستقبـح ذلك، لا يجيـز مُسْتَوٍ زيد وعمرو، لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرةً لا يُبْتَدَأُ بها لضَعْفها عن الفِعْل فلا يُبْتَدأ بها، ويُجْرِيها مَجْرَى الفعلِ.

ومعنى الآية إعلامهُم أنَّ اللَّه عزّ وجلّ يَعلمُ ما غاب عنهمْ وما شُهِدَ.

فقال عزّ وجلّ:

﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾.

أي من هو مستتر بالليل، والليل أَسْتَر مِنَ النهار

وَمَنْ هُوَ سَارِبٌ بِالنَّهار.

أي من هو ظاهـر بالنَّهـارِ في سَرَبِـه، يقال: خَـلَّ لَهُ سَـرَبَه أي طـريقه،

---

(١) الخزانة الشاهد ٣٨٩ ط السلفية.

فـالمعنى الظاهـرُ في الطرقـاتِ، والمستخفِي في الظلمـاتِ، والجاهـر بنطقـه والمضمِرَ في نفسه علم اللَّه فيهم جميعاً سواء.

وذكر قطرب وجهاً آخر، ذكر أنه يجوز أن يكون «مُسْتَخْفٍ بالليل» ظاهراً بالليل، وهذا في اللغة جائـز، ويكـون مع هـذا «وسارب بـالنهار» أي مُسْتتـر، يقال: انسرب الوحْشيُّ إذا دخل في كِناسِـه[1].

والأول بَيِّنٌ، وهو أبلغ في وصف علم الغيب.

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾.

أي للإنسان ملائكة يَعْتَقِبُونَ، يأتي بعضهم بِعَقِبِ بَعْضٍ

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾.

المعنى حفظهم إياه من أمْرِ اللَّهِ، أي مما أمَـرَهُـمُ اللَّـه تعالى [بـه]، لا أنهم يقدرون أن يدفعوا أمر اللَّه، كما تقول: يحفظونه عن أمر اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾.

أي لا يلي أمرهم أحدٌ من دون اللَّه.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾.

خَوْفاً للمُسَافِرِ، لأن في المَطَرِ خَوْفـاً عَلَى المُسَافِـر، كما قـال اللَّه تعالى ﴿إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ﴾[2]. وطَمَعاً[3] للحَاضِرِ لانتفاعه بالمطر، ويجوز أن يكون - واللَّه أعلم - ﴿خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ خوفاً لمن يَخـاف ضُرَّ المَـطَرِ، لأنه ليس كل بَلدٍ ينتفع فيه بالمطر نحو مصر وما أشبهها، وطَمَعاً لمن يَرْجُو الانتفاع به.

---

(١) كناسه: جحره ومخبؤه.

(٢) سورة النساء / والآية ١٠٢: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنتُمْ مَرْضَى﴾ والفرض أن الأذى من المطر.

(٣) في الأصل طمع.

﴿وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾.

أي التي قد ثقلت بالماء.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدَ بِحَمْدِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه ملك يزجر[1] السحاب، وجائز أن يكون صوت الرعد تسبيحه لأن، صوت الرعد من أعظم الأشياء، وقد قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وإنْ مِنْ شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[2]. وخص ذكر الرعد لعظم صوته - واللَّه أعلم.

﴿وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾.

جائز أن يكون الوَاوُ وَاوَ حالٍ. فيكون المعنى فيصيبُ بها من يشاء في حَال جِدَاله في اللَّه، وذَلِكَ أنه أتى في التفسير أَنَّ رَجلاً من الجاهلية يقال له «أَرْبَدُ» سأل النبي ﷺ فقال أخبرني عن ربنا أمِنْ نحاس أم حَدِيدٍ، فأنزل اللَّه عليه صاعقة فقتلته، فعلى هذا يجوز أن يكون الواو وَاوَ حَالٍ. ويجوز أن يكون: لما تمم اللَّه أوصاف ما يدل على توحيده وقُدْرَتِهِ على البَعْثِ قَالَ بَعْدَ ذلك ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ المِحَالِ﴾.

أي شديد القدرة والعَذَابِ. ويقال في اللغة مَاحَلْتُه مِحَالاً، إذا قَاوَيْتُهُ، حتى يتبين له أيكما أشَدُّ. والمَحْلُ في اللغة الشدة، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دَونِه لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾.

جاء في التفسير: دَعوةُ الحق شهادة أن لا إله إلاَّ اللَّهُ، وجائز - واللَّه أعلم - أن تكون دَعْوةُ الحقّ أنه مِنْ دَعَا اللَّه مُوَحِّداً استجيب له دَعَاؤُه.

---

(١) بالهامش في نسخه يرجع.

(٢) سورة الإسراء الآية ٤٤.

﴿وَالَّذِينَ يدْعُونَ مِنْ دُونِه لاَ يَسْتَجِيبُونَ [لَهُمْ بِشَيءٍ] ﴾.

ثم بين اللَّه عزّ وجلّ كيف استجابةُ الأصْنَامِ لأنَّهمُ دَعَوُا الأَصْنَام من دون اللَّه فقال:

﴿إلاَّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلىَ الـمَاءِ﴾.

[أي] إلا كما يستجاب الذي بسط كَفَّيْه إلى المَاء يَدعو الماء إلى فيـه، والمـاء لا يستجيب، فـأعلم اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ أن دعــاءهم الأصنـام كَـدُعَـاءِ العَطْشَانِ الماءَ إلى بُلوغ فيه، ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِه﴾.

وقال بعضهم: إلاّ كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه كإنسان على شفير بئر يدعو الماء من قرار البئر ليبلغ فاه، والتَّفْسِيرَانِ وَاحِدٌ.

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ في السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً﴾.

جاء في التفسير أن المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً، وجاء أن مِنَ النَّاسِ مَنْ دَخَل في الإِسـلام طوعـاً ومنهم من لم يدخـل حتى فحص عن رأسه بالسيف، أي فسجَدَ ودَخَلَ في الإسلام في أول أمْرِه كرهاً. وجائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون طوعاً وكُرهاً أن يكونَ السُّجـودُ الخُضُوعَ للَّه، فمن النـاس من يخضع ويقبل أمر اللَّه فيما سهل عليه، ومنهم من تَقَبَّلَهُ وإن كانَ عليه فيه كُرْهٌ.

﴿وظِلاَلُهُم بالغُدُوِّ والآصَالِ﴾.

أي وتسجد ظلالهم. وجاء في التفسير أن الكافر يسجد لغير اللَّه، وظله يسجد للَّه، وقيل وظلالهم أشخاصهم، وهذا مخالف للتفسير.

وقوله: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِه فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾.

أي هل ـ أو أغير اللَّه خلق شيئاً فاشتبه عليهم خلق اللَّه من خلق غيره.

وقوله عزّ وجلّ ـ: ﴿قُـلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾.

أي قل ذلك وَبيِّنه بما أخبر اللّه به من الدلالة على توحيده من أول هذه السورة بما يدل على أنه خالق كل شيء، ثم قال ـ عزّ وجلّ ـ ضارباً مثلاً للكافرين والمؤمنين:

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾.

أي بما قَدّرَلَهَا مِن مِلْئِها، ويجوز بقدرها أي بقدر مِلْئِها، ﴿فَاحْتَمل السَّيْلُ زَبَداً رَابِياً﴾.

[أي] طافياً عالياً فوق الماء.

﴿ومِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾.

أي ابتغاء متاعٍ.

﴿زَبَدٌ مِثْلُهُ﴾.

والذي يوقد عليه في النار ابتغاء حلية: الذَّهَبُ والفِضَّةُ، والذي يوقد عليه ابتغاء أمْتِعةٍ الحديدُ والصُّفْر[1] والنحاس والرصاص، وزَبَدٌ مثلُه أي مثل زَبَدِ الماءِ.

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الحَقَّ والبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾.

[أي] مِنْ زَبَد الماء، والزَّبَدُ من خَبَثِ الحديد، والصُّفْرِ والنحاسِ والرَّصاصِ

﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾.

أي فيذهب ذلك لا ينتفع به، والجفاء ما جفا، الوادي، أي رمى به.

﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمكَثُ فِي الأَرْضِ﴾.

وأما ما ينفع النَّاسَ مِنَ الماءِ والفضَّةِ والذهب والحديد وسائر ما ذكرنا فيمكث في الأرض. فمثلُ المؤمن واعتقاده ونفْعِ الإيمان كمثل هذا الماء

(١) الصُّفْر النحاس، أو نوع منه، ويُطْلَق أيْضاً على الذهب.

المنتفَع به في نبات الأرض وحياة كل شيء، وكمثل نفع الفضة والذهب وسائر الآلات التي ذُكِرَتْ لأنها كلها تبقى منتفعاً بها، ومثل الكافر وكفره كمثل هذا الزَّبَد الذي يذهب جَفاءً، وكمثل خبث الحديد، وما تخرجه النار من وسخ الفضة والذهب الذي لا ينتفع به.

وموضع كذلك نصْبُ، قال أبو زيد: يقال جَفَأتُ الرَّجُلَ إذا صَرَعْته وأجْفَأتِ القِدْرُ بِزَبَدِها إذَا ألقت زَبَدها فيه، ﴿فيذهب جُفاءً﴾. من هذا اشتقاقه، وموضع «جُفاءً» نصبٌ على الحال، وهو ممدودٌ. وزعم البصريُّونَ والكوفيون جميعاً أنَّ ما كان مثلَ القُمَاشِ والقُمَامِ والجُفَاء فهذه الأشياء تجيء على مثال فُعَالٍ.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿لِلَّذِينَ استَجابُوا لِرَبِّهِمُ الحُسْنَى﴾.

أي لهم الجنة، وجائز أن يكون لهم جزاءُ المحسنين، وهُوَ راجعٌ إلَى الجنَّةِ أيضاً كما قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إلَّا الإِحْسَانُ(١)﴾.

﴿أُولَئِكَ لَهُم سُوءُ الحِسَابِ﴾.

وسوء الحساب ألا تقبل منهم حسنة ولا يُتَجَاوَزُ لَهُم عَنْ سَيئَةٍ، وأن كُفْرَهُمْ أحْبَطَ أعمَالَهم كما قال: .. ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمُ﴾(٢) وقيل سوء الحساب أن يُسْتَقصى عليه حسابه ولا يتجاوز له عن شيءٍ من سيئاته، وكلاهما فيه عطب(٣). ودليل هذا القول الثاني: من نوقش الحساب عُذِّبَ، وتكون سوء الحساب المناقشة(٣).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَدْرَأُونَ بالحَسَنةِ السَيِّئَةَ﴾.

---

(١) سورة الرحمن.

(٢) أول سورة القتال.

(٣) استقصاء الحساب أو عدم التجاوز. أي سوء المناقشة.

أي يدفعون، يقال: دَرَأْتُه إذَا دَفَعْتَه.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾.

﴿جنَّاتُ﴾ بَدَل مِنْ ﴿عُقْبَى﴾، وعَدن: إقامة،يقال: عَدَنَ بالمكان إذَا أقام فيه.

﴿يَدْخُلُونَها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

موضع «مَنْ» رفع، عطف على الواو في قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾[1] وجائز أن يكون نصباً، كما تقول قد دخلوا وزيداً أي مع زيدٍ.

أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن الأنسابَ لا تنفع بغير أعمال صالحة فقال: يَدْخُلونَها وَمَنْ صَلَح مِمَّنْ جَرَى ذِكْرُه[2].

﴿والمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾.

أي يقولون سلام عليكم بما صبرتُم. هذه مكرمة من اللَّه عز وجل لأهل الجنَّةِ، والمعنى يدخلون عليهم من كل باب يقولون ﴿سلام عليكم﴾، فأضمر القولْ ههنا لأن في الكلام دليلاً عليه.

وقوله:﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾.

يعني من رجع إلى الحقِّ.

﴿الذين آمنوا﴾ في موضع نصب رَدًّا على مَنْ، المعنى يهدي إليه الذين آمنوا ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾، أي إذا ذكر اللَّه بوحدانيته آمنوا به غير شَاكِّينَ.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

---

(١) القاعدة العامة عند البصريين أن لا يعطف على ضمير الرفع المتصل إلا إذا كان هناك فاصل بينه وبين المعطوف، وورد العطف بغير فاصل وهو ضعيف، فهو هنا مفعول معه فما جوزه الزجاج هو الأولى والأصح، لأن الضمير فاصل ضعيف.

(٢) أي: (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّيَاتهم)، أي إن كان هؤلاء صالحين ألحِقوا بِذويهم.

«ألا» حرف تنبيه وابتداء، ومعنى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ القُلوبُ﴾ أي التي هي قلوب المؤمنين لأن الكافرَ غير مطمئن القلب.

﴿الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب ﴾.

القراءة بالرفع في ﴿وَحُسْنُ مآب﴾. عطف على ﴿طوبى﴾ كما تقول: الحمدُ للَّه والكرامةُ وإن شئت كان نصباً على ﴿طوبى لهم وحُسْنَ مآب﴾، أي جعل اللَّه لهم طوبى وحُسْنَ مآبٍ، وطوبى عند النحويين فُعْلَى من الطِيبِ، المعنى العيش الطيب لهم. وجاء في التفسير عن النبي ﷺ أن طوبى شجرة في الجنة، وقيل طوبى لهم حسنى لهم، وقيل طوبى لهم خَيْرٌ لهم. وقيل «طوبى» لهم اسم الجنة بالهندية. وقيل طوبى لهم خيرة لهم، وهذا التفسير كله يشبهه قول النحويين أنها فُعْلَى من الطِّيب.

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِه الجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أو كُلِّمَ بِه المَوْتَى﴾.

تُرِكَ جواب «لو» لأن في الكلام دليلاً عليه، وكان المشركون سألوا النبي ﷺ أن يفسَحَ لهم في مكة ويباعد بين جبالها حتى يتخذوا فيها قطائع وبساتين وأَنْ يُحْيِيَ لهم قَوْماً سَمَّوْهُمْ لَهُ، فأعلمهم اللَّه - عز وجل - أن لو فعل ذلك بقرآن لكان يفعل بهذا القرآن.

والذي أَتَوَهَّمُه - واللَّه أعلم - وقد قاله بعض أهل اللغة، أنَّ المعنى: لو أن قرآناً سُيِّرتْ به الأَرْضُ أوْ كُلِّمَ به الموتى لما آمنوا به. ودليل هذا القول قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنا نَزَّلْنا إِلَيْهِمُ المَلائِكَةَ وَكلَّمَهُمُ المَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللَّه﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام الآية ١١١.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِين آمَنُوا أنْ لو يَشَاءُ اللَّه لَهَدى النَّاسَ﴾.

قيل إنها لغة للنخع، ييأس في معنى يَعْلَمُ، وأنْشدوا[١].

أقــول لهم بــالشعب إذْ يَيْســرُونني ألم تيـأسـوا أني ابن فَـارِسِ زَهْـدَم

وقـرئت: أفلم يتبيّن الذين آمنـوا[٢]، وقال بعض أهـل اللغة: أفلم يعلم الذين آمنوا علماً ييأسوا معه من أن يكون غير ما علموه.

والقـول عنـدي واللَّه أعلم أن معنـاه أفلم ييأس الـذين آمنـوا من إيمـان هؤلاء الذين وصفهم اللَّه بأنهم لا يؤمنون لأنه قـال: ﴿لَوْ يَشَاء اللَّـهُ لَهَدَى النَّـاسَ جميعاً﴾[٣].

﴿جميعاً﴾ منصوبٌ على الحَالِ.

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾.

قيل سَرِيَّةٌ، ومعنى قارعة في اللغة نازلة شديدة تنزل بأمر عظيم.

وقوله ـ عز وجل: ﴿مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ﴾.

قال سيبويه: المعنى فيما يقص عليكم مثل الجنة، أو مثـل الجنة فيمـا يقص عليكم، فـرفعه عنـده على الابتداء. وقـال غيره: مثـل الجنة التي وعـد المتقون مرفـوع [على الابتداء] وخبـره ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ كمـا تقول:

---

(١) الشعر لسحيم بن وثيل اليربوعي، وقيل لولده جابر بن سحيم ـ وزهدم فرس سحيم، ويسرونني أي يَقتسمونني كما تقسم الجزور، ويروي يأسرونني من الأسر لأنه كـان قد وقـع في سباء، ويـروى أني ابن قـاتل زهـدم، وهو رجـل من عبس ـ فعلى هذا يكـون الشاعـر سحيم ـ ويروى البيت: ألم ييأسوا أني ابن فارس لازم ـ وعليها يكون الشعر له أيضاً، وييأس بمعنى يعلم في لغة هوازن، ويقال هي لغة حي من النخع

انظر اللسان (يئس) وشواهد الكشاف ١١٠ ـ والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٢) قرأها جماعة من الصحابة منهم ابن عباس وعلي بن أبي طالب.

(٣) وتكون «أن لو يشاء اللَّه» في موضـع جر بحـرف محذوف أي لأن لـو يشاء اللَّه، والـظاهر أنهـا تفسيرية.

صفةُ فُلانٍ أسْمَـرُ كقولـك: فلان أسمـر. وقالـوا معناهـا صفة الجنـة التي وعد المتقون. وكلا القولين حسن جميل.

والذي عندي ـ واللَّه أعلم ـ أن اللَّه عز وجل، عَرَّفنا أُمُـورَ الجنة التي لم نَرَهَا. ولم نُشَاهِدْهَا بما شَاهِدناه مِن أمور الدنيـا وعايَنَّاه. فالمعنى ﴿مثلُ الجنةِ التي وُعِدَ المتقون﴾ جَنَّةٌ ﴿تَجْري مِنْ تحتِها الأنهارُ أُكُلها دَائِم وَظِلُّهَا﴾.

وقوله عز وجل:﴿يَمْحوُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾.

أي يمحـو اللَّه مـا يشـاء ممـا يكتبـه الحفـظة على العبـاد ويثبت. قـال بعضهم: يمحـو اللَّه مـا يشـاء ويثبت، أي من أتى أجَلُه مُحِيَ، ومن لم يـأت أَجَلُه أثْبِتَ، وقيل يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشاءُ ويُثْبِتُ أي ينْسَخُ مما أَمَرَ به ما يشاء ويُثْبتُ أي ويُبْقِي مِن أمْره ما يشاء.

﴿وَعِنْدَهُ أمُّ الكِتَابِ﴾.

أي أصل الكتاب.

وقيل يمحو اللَّه ما يشاء ويثبت أي مَنْ قدَّرَ لَهُ رِزْقـاً وَأَجَلاً مَحـا مَا يَشَـاءُ من ذلك وأثبت ما يشاء.

وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّـا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾.

«إن» أُدْخلَت عليها ما لتوكيد الشرط. دخلت النون مؤكدة للفعل.

﴿أَوْ نَتوَفَّيَنَّكَ﴾.

عـطف على ﴿نُرِيَنَّـكَ﴾ وجواب الجـزاء: ﴿فإِنَّمَـا عَلَيْـكَ البَلاَغُ وَعَلَيْنَـا الحِسَابُ﴾ أي علينا الحساب لِنَجْزيَ كلَّ نفس بما عملت.

والمعنى إما أرَيْنَاكَ بعض الـذي وعدنـاهم من إظهار دين الإسـلام على الـدين كله، أو توفينـاك قبل ذلـك، فليس عليك إلاَّ البَـلاغُ ـ كَفَروا هم بـه أو

آمنوا. ثم أعلم اللَّه أن بَيانَ ما وُعِدُوا به قد ظهر وتبيَّنَ فقال عز وجل:

﴿أَوَلَم يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾.

أي أو لم يروا أنا قد فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم، ودليل هذا القول قوله عز وجل في موضع آخر: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْض نَنْقُصُها مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[1].

وقيل في تفسير هذه الآية ما وصفنا، وقيل غير قولٍ. قيل نَقْصُها من أطرافها موتُ أهلها. ونقص ثمارها، وقيل ننقصها من أطرافها بموت العلماء، والقول الأول بين.

وقوله عز وجل:﴿وَسَيَعْلَمُ الكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

وقُرِئَتْ: وَسَيَعْلَمُ الكافِر، ومعنى الكفار والكافر ههنا وَاحِدٌ. الكافر اسم للجنس، كما تقول قد كثرت الدراهم في أيدي الناس، وقد كثر الدِّرْهَمُ في أيدِي الناس..

وقرأ بعضهم وسيَعلم الكافرون، وبعضهم وسيعلم الذين كفروا. وهاتان القراءتان لا تجوزان لمخالفتهما المصحفَ المجمعَ عليه، لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل:﴿قُلْ كَفَى باللَّهِ شَهِيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ﴾.

الباء في موضع رفع مع الاسم[2]، المعنى كفى اللَّه شهيداً، وشهيداً مَنْصُوبُ على التمييز.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْـمُ الكِتَابِ﴾.

و «من» يعود على اللَّه عَزَّ وجَلَّ، وقيل في التفسير يعنى به عبد اللَّه بن

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٤٤.

(٢) الباءُ حرف جرّ زائد، ولفظ الجلالة فاعل، ولا معنى لاعتبارها مع الاسم بعدها كلمة واحدة.

سَلَّام(١) وقيل ابن يامين(٢)، والذي يدل على أنه راجع إلى اللّه عز وجل ـ قراءة من قـرأ «ومِنْ عِنْدِه» علمُ الكتـابُ، ومن عنده علم الكتـاب لأن الأشبه، واللّه أعلم ـ أن اللّه لا يَسْتَشْهِدُ على خلقه بغيْره.

وذلـك التفسير جـائزٌ لأنّ البراهين إذا قـامَتْ مع اعتـراف من قرأ الكتب التي أنزلت قبل القرآن فهو أمرٌ مُؤكّدٌ.

(١) عبد اللّه بن سلام بن الحرث من بني قينقاع أسلم سنة ثمان من الهجرة. وكان اسمـه الحصين فسمـاه رسول اللّه ﷺ عبـد اللّه، روى عنه عـدد من الصحابـة ومن بعدهم ومنهم ابنـاه محمـد ويوسف. وأوصى معاذ بن جبل أن يؤخذ العلم عن أربعـة هم أبو الـدرداء، وسلمان الفـارسي، وابن مسعود وابن سلام هذا. وكان حصيف الرأي. عندمـا جاء يعلن إسـلامه طلب من رسـول اللّه ﷺ أن يسأل اليهود عنه فإنه سيدهم وقد يطعنونه بعد إسلامه، وهو الذي أشـار على علي ألا يخرج من المدينة إلى العراق وقال له: الزم منبر رسول اللّه فإنك إن تركته لا تراه، وفيه نزل من القـرآن هذه الآيـة، وآية ﴿قـل أرأيتـم إن كان من عنـد اللّه وكفرتم بـه وشهد شـاهـد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ انظر ترجمته في الإصابة ٤٧٢٥.

(٢) هو يامين بن يامين الاسرائيلي. لما أسلم ابن سلام قال يامين أنا أشهد بمثل ما شهد ونزلت فيه الآية «وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.» الإصابة ٩٢١٧.

سُورَةَ إبْراهِيمَ

مكية إلاّ اثنَتَين مِنهَا

نـزلت بالمـدينة ﴿ألم تر إلى الذين بـدلوا نعمـة اللّه﴾ إلى قوله: ﴿ وبئس القرار﴾.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾.

كتاب مرفوع على خبر الابتداء، المعنى هذا كتاب أنزلنـاه إليك، وقـال بعضهم كتـاب مرتفـع بقولـه «الر» و«الر» ليست هي الكتاب إنمـا هي شيء من الكتاب. ألا ترى قوله ﴿الـر تلكَ آيَاتُ الكِتَـابِ وقُـرآنٍ مُبِينٍ﴾[1]، فإنما الكتاب جملة الآيات وجملة القرآن.

وقوله: ﴿لِتَخْرِجَ النَاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

﴿الظلمات﴾ ما كانوا فيه من الكفر، لأن الكفر غير بَيِّنٍ فمُثِّلَ بالظُّلمات، والإيمان بيِّنٌ نَيِّرٌ فَمُثِّلَ بالنور، والباء متصلة بيخرج، المعنى ليخرج الناس بإذن رَبِّهِمْ، أي بمـا أذن اللّه لك من تَعْلِيمِهِمْ، ويجـوز أن يكون بـإذن رَبِّهِمْ أنـه لا يهتدي مهتدٍ إلا بـإذن اللّه ومشيئته، ثم بيَّن ما النور فقـال: ﴿ إِلَى صِراطِ العـزِيزِ الحَمِيـدِ﴾.

---

(١) أول سورة الحجر.

﴿الحميد﴾ خفض من صفة ﴿العزيز﴾ ويجوز الرفع على معنى الحميدُ اللَّه، ويرتفع الحميدُ بالابتداء وقولك «اللَّه» خبر الابتداء، ويجوز أن يرفع اللَّه ويخفض الحميدُ على ما وصفنا. ويكون اسم اللَّه يرتفع بالابتداء.

وقوله عز وجل:﴿وَيَبْغُونَهَا عِوجاً﴾.

أيْ يَطْلِبُونَ غير سَبِيل القَصْدِ وصراطِ اللَّه وهو القَصْد، والعوج في الدين مبني على فِعَل، وفي العَصَا عَوَجٌ بفتح العَيْن. ونصب ﴿عوجاً﴾ على الحال مصدر موضوع في موضع الحال.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّن لَهُمْ﴾.

أي بلغة قومه ليَعْقِلَ عنه قومُه، ﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾، الرفع هو الوَجْهُ وهو الكلام وعليه القراءة، والمعنى إنما وقع الإرسال للبيان لا للإضلال، ويجوز النصبُ على وجه بعيدٍ، فيكون ﴿لِنُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، ويكون سبب الإضلال الصيرورة إليه كما قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[1]، أي التقطوه فآل ذلك إلى أن صار لهم عدواً وحزناً، ولم يلتقطوه هم ليكون لهم عدواً وحَزَناً، وكذلك يكون:﴿فَيُضِلَّ الله من يشاء﴾، أي فيؤول الأمر إلى أَنْ يَضِلُّوا فيضلهم اللَّه. والقول الأول هو القول وعليه القراءة.

وقوله عز وجل:﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي البرهانِ الذي دل على صحة نبوَّته، نحو إخراج يده بيضاء وكون العصا حية.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾.

---

(١) سورة القصص آية ٨ ـ وهو يريد أن عدو تحتمل الرفع والنصب ـ والرفع يأتي على أنه اسم كان، وفي هذه الحالة ترفع حزناً أيضاً. أي ليحدث لهم عدو وحزن.

أي بأن أَخْرجْ قومَكَ. المعنى أرسلناه بأن يخرج قومه ﴿من الظلمات إلى النور﴾، أي من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، و «أَنْ» ههنا يصلح أَنْ يكون في معنى «أنْ» المخففة، وتكون مُفَسِّرةً، ويكون المعنى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أي أخرج قومك، كأن المعنى قلنا له: أَخْرِجْ قومَكَ[1]، ومثل هذا: ﴿وانطَلَقَ المَلأُ منهم أَنِ امْشُوا﴾[2]، أي امشوا. والتأويل: قالوا لهم: امشوا.

قال سيبويه تقول كتبت إليه أن قُمْ، وأمرته أَنْ قُمْ، إن شئت كانت «أن» وصلت بالأمر، والتأويل تأويل الخبر، المعنى كتبْت إليه أن يَقُومَ وأمرته أنْ يَقُومَ، إلاّ أنّها وُصِلَتْ بلفظ الأَمْر للمخاطب، والمعنى معنى الخبر، كما تقول، أنت الذي فعلت، والمعنى أنت الذي فَعَلَ[3]، قال: ويجوز أن يكون في معنى أي، ومثله أرسلت إليه أَنْ مَا أنْتَ وذَا.

وقوله: ﴿وذَكِّرْهُمْ بأَيَّامِ اللَّهِ﴾.

﴿ذَكِّرْهُمْ﴾ عطف على ﴿أَخْرِجْ﴾، وتذكيرهم بأيام اللّه، أي تذكيرهم بنَعَمِ أيَّامِ اللّه عليهم، وبنقم اللّه التي انتقم فيها من قوم نوح وعاد وثمودَ، أي ذكرهم بالأيام التي سَلَفَتْ لمن كفر وما نزل بهم فيها، وذَكِّرْهُمْ بنعَم اللّه، والدليل على أن التذكير مشتمل على الإِنْذار والتَّحْذِير مما نزل بِمَنْ قبلهم قوله عز وجل بعد هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وعادٍ وَثَمودَ [والَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ]﴾.

أي ألم يأتهم أَخبارُ أُولئك والنَّوَازِلِ بهِمْ، ﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ﴾.

فأعلم اللّه أن بعد هؤلاء أُمَماً قد مضى من كان يعلم أَنْباءَهَا، ومن هذا

---

(1) أن المفسرة هي التي تسبق بكلام في معنى القول دون حروفه.

(2) سورة صّ الآية ٦.

(3) أنت وهي في هذا الوضع كالاسم الظاهر ـ وهو كالغائب ـ فأنت كتبت إليه يقوم ـ وكتبت إليه أن قم ـ وأن هنا تفسيرية.

قيل: كذب النَّسَّابُونَ لأنهم لا يعلمون من كان بعد هؤلاء، وهذا يروى عن النبي ﷺ.

﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾.

يروى عن ابن مسعود أنهم عَضُوا أناملهم غيظاً مما أَتَتْهُم به الرُّسُلُ، وقيل: ﴿رَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾، أومأوا إلى الرسل أن اسكتُوا، وقيل ردوا أَيْدِيَهُمْ، الهاء والميمَ يرجعان على الرسل، المعنى ردوا أيدي الرُّسُل أي نِعَمَ الرُّسُل لأن مَجيئهم بالبيِّنات نِعَمٌ، تقول: لفلان عندي يَدٌ أي نِعْمَةٌ، ومعنى في أفْوَاهِهِم بأفواههم، أي ردوا تلك النعم بالنطق بالتكذيب لِمَا جاءت به الرُّسُلُ، والمعنى أنَّ الرَّدَّ جَاء في هذه الجهة، وفي معناها، كما تقول: جلست في البيت، وجلست بالبيت.

وقالوا:﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾.

هذا هو الرَّد[1].

وقوله عز وجل:﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

﴿استفتحوا﴾يُعْنَى به الرُّسُلُ، سألوا اللَّه أن يفتح عليهم أي ينصرهم، وكل نَصْرٍ فهو فَتْحٌ، والجَبَّار الذي لا يَرى لأَحدٍ عَلَيْه حَقاً، والعنيد الذي يعدل عن القَصْدِ، يقال جبار بَين الجَبْرِيَّة، والجِبْرِيَّةُ - بكسر الجيم - والجِبِرِيَّة بكسر الجيم والباء، والجَبَرُوَّة والجَبَرَوَّة[2]، والتَّجْبَارُ والجبرياء، والجَبُّورة والجبرُوتُ.

﴿مِنْ وَرائِـه جَهَنَّمُ﴾.

أي جهنم بين يديه، و «وراء» يكون لخلف وقُدَّام، وإنما معناه ما توارى

---

(١) أي الرِّدة والكُفْر.

(٢) الأولى بضم الراء والثانية بفتحها.

عنك أي ما استتر عنك، وليس من الأضداد كما يقول بعض أهل اللغة، قال النابغة: (١)

حَلَفْتُ فلمْ أتركْ لنفسكَ ريبةً ... وليس وراءَ اللَّه للمرءِ مَذْهَبُ

أي ليس بعد مذاهب اللَّه للمرء مذهب.

﴿وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾.

أي مما يسيل من أهل النّار من الدَّم والقيح.

﴿يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُه﴾.

أي لا يقدر على ابتلاعه، يقال ساغ لي الشراب وأَسَغْتُه.

﴿وَمِنْ وَرَائِه عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾.

أي من بعد ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾.

فهو مرفوع على معنى وفيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بِرَبِّهم، أو مَثَلُ الذين كفروا بربهم-فيما يتلى عليكم، وجائز أن يكون - واللَّه أعلم - مثل الذين كفروا بربهم صفة ﴿الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾(٢)، كأنك قلت: ﴿الذين كفروا بربهم أعمالهم﴾، كما تقول صفة زيد أسمر، المعنَى زَيْدٌ أَسْمَرُ وتأويله أن كل ما يتقرب به الذين كفروا إلى اللَّه فمُحْبَطٌ، قال اللَّه عز وجل: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فِي الدُّنْيَا والآخِرَة﴾(٣). ومثله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أضل أعمالهم(٤)﴾.

---

(١) من اعتذاريات النابغة انظر الأغاني ١١/٧، ٢٢.

(٢) مبتدأ وخبر، أي أعمالهم تحدد صفاتهم، أو صفاتهم ظاهرة من أعمالهم.

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٢: ﴿أُولَئِكَ الذينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُم في الدُّنيا والآخرة﴾ والآية ١١٦: ﴿إِنَّ الذينَ كَفَرُوا لنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ ولاَ أَوْلاَدُهُمْ من اللَّهِ شَيْئاً وأُولئك أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(٤) أول سورة القتال.

وقوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً﴾.

أي جمعهم اللَّه في حشرهم فاجتمع التابع والمتبوع.

﴿فَقَالَ الضُّعَفَاء﴾، وهمُ الأتباعُ.

﴿للذين استكبروا﴾ وَهُمُ المَتْبُوعُونَ.

﴿إنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبعاً﴾.

أي اتَّبعناكم فيما دعوتمونا إليه، وتَبَعاً جمعُ تَابع، يقال تابع وتَبَعُ، مثل غائب وغَيَبٌ، وجائز أن يكون تبع مَصْدَراً سُمِّيَ به، أي كنا ذوي تبع.

وقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾.

﴿سواء﴾ رفع بالابتداء، و ﴿أَجَزِعْنَا﴾ في موضع الخبر.

﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾.

أي ما لنا من مهرب ولا مَعْدِل عن العذابِ، يقال حاص عن الشيء يَحِيصُ، وَجَاصَ عنه يَجِيصُ في معنى واحدٍ. وهذه اللغة لا تجوز في القرآن ويقال: وقع في حَيْصَ بيْصَ، وَحَاصَ باصَ وحَاصٍ بَاصٍ، إذا وقع فيما لا يقدرُ أن يتخلص منه.

﴿وَقَالَ الشَّيطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ﴾.

روي أنه إذا استقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النَّارِ قام إبليس عليه لعنة اللَّه خطيباً، فقال: ﴿إن اللَّه وعدكم وعْدَ الحق﴾، أي وَعَدَ من أطاعه الجنة ووعد مَن عَصاه النَّارَ، ﴿ووعدتكم﴾ خلاف ذلك وَمَا كَانَ لي عَلَيْكُم مِنْ سُلْطَانٍ. أي ما أظهرت لكم مِنْ حُجَّةٍ.

﴿إلَّا أنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾.

أي أغويتكم وأضْللتُكُمْ، فاتبعتموني. ذكر اللَّه ـ عز وجل ـ أن إبليس

وما يقوله في القيامة تحذيراً من إضلاله وإغوائه.

﴿مَآأَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾.

أي ما أنا بمُغيثكم، ولا أنتم بمُغِيثِيَّ، قُرِئَتْ بِمُصْرِخِيَّ - بفتح الياء، كذا قرأه الناس، وقرأ حمزة والأعشى بمُصْرِخِيِّ بكسر الياء، وهذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيفٌ ذكره بعض النحويين، وذلك أن ياء الإضافة إذَا لم يكنِ قبلها ساكن حُرِّكَتْ إلى الفتح: تقول: هذا غلامِيَ قد جاءَ، وذلك أن الاسم المضمَرَ لمَّا كان على حرف واحدٍ وقد منع الاعراب حرك بأخف الحركات، كما تقول: هو قائم فتفتح الواو، وتقول: أَنَا قُمْتُ فتفتح النون، ويجوز إسكانُ الياء[1] لِثِقَلِ الياء التي قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء سَاكِنٌ حُرِّكَتْ إلى الفتح لا غير، لأنَ أصلها أن تحرك ولا ساكن قبلها، وإذا كان قبلها ساكنٌ صارت حركتها لازِمَةً لالتقاء الساكنين، . ومن أجاز بمُصْرخيِّ بالكسر لَزِمَهُ أن يقول: هذه عَصَايِ أتوكأ عليها[2]، وأجاز الفراء على وجه ضعيفٍ الكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسرُ، وأنشد:

قال لها هل لك يا تافيِّ ... قالت له مَا أَنتَ بالمَرْضِيِّ[3]

(١) من غلامي.

(٢) تفتح الياء للسكون قبلها.

(٣) من رجز للأغلب العجلي، شاعر مخضرم من أَرْصَنِ الرجاز شعراً، وهو أول من أطال الرجز وكان الرجل قبله يقول البيت أو البيتين يفاخر أو يشاتم وقد شبه العجاج نفسه به فقال:

أني أنا الأغلب أضحى قد نشر

أسلم الأغلب وحسن إسلامه، وحارب في العراق مع سعد بن أبي وقاص واستشهد يوم نهاوند. انظر الخزانة ٣٣٢ حـ ١، والبيت في ٢٥٧ حـ ٢، وفي معاني الفراء ٧٦ حـ ٢، قال سمعت بعض العرب ينشد... فإن يك ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فينخفض الآخر منهما

وهذا الشعر مما لا يلتفت إليه، وعَمَلُ مثلِ هذا سهلٌ، وليس يعرف قائل هذا الشِّعرِ من العرب، ولا هو مما يحتج به في كتاب اللَّه عز وجل.

﴿إنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمونِي مِنْ قَبْلُ﴾.

إني كفرت بشرككم - أيُّهَا التُّبَاعُ - إياي باللَّه(١)، كما قال - عز وجل -: ﴿ويومَ القيامةِ يَكْفُرُون بِشِرْكِكُمْ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معناه وجيعٌ مُؤْلِمٌ.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كلمةً طيِّبَةً كشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أصلها ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾.

ضرب اللَّه - عز وجل - للإيمان به مثلاً، وللكفر به مَثَلاً، فجعل مَثل المؤمِنِ في نطقه بتوحيده والإيمان بنبيه واتِّباع شريعته، كالشجَرَة الطيبة. فجعل نفع الإقامة على توحيده كنفع الشجرة الطيبة التي لا ينقطعَ نفعُها وثمرها، وجاء في التفسير أن الشجرة الطيبة النخلة، والدليل على أن هذا المثل يراد به توحيد اللَّه، والإيمانُ بنَبِيِّهِ وشرِيعَتِه قوله - عز وجل -:

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرةِ﴾.

وقوله: ﴿تُؤْتِي أُكلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإذْنِ رَبِّهَا﴾.

اختلف الناس بتفسير الحين، فقال بعضهم كلَّ سَنَةٍ، وقال بعضهم: كل

= وإن كان له أصل في الفتح، وجعله مثل مُذِ اليوم.

وتا اسم إشارة للمؤنث، أي يا هذه فِيَّ، يعرض عليها أن تتزوجه، وذكره المرزوقي في شواهد الكشاف وقال إنه مجهول القائل. قال البغدادي: واعلم أن الفراء والزجاج وغيرهما قد أنكروا هذه القراءة والشعر، وقد خفض الياء من مصرخي الأعمش ويحيى بن وثاب.

(١) كفرت بجعلكم لي شريكاً لله.

(٢) سورة فاطر الآية ١٤.

ستَّةِ أشْهُر، وقال بعضهم: غُدْوة وعشية. وقال بعضهم: الحين شهران.

وجميع من شاهدنا من أهل اللغة يذهب إلى أنَّ الحينَ اسم كالوقت، يصلح لجميع الأزمان كلها طالت أو قصرت. فالمعنى في قوله[تعالى] ﴿تؤتي أُكُلَهَا كل حين﴾ أنها ينتفع بها في كل وقتٍ، لا ينقطع نفعُها البتةَ، والدَّليل على أن الحين بمنزلة الوقت قول النابغة، أنشده الأصمعي في صفة الحيَّةِ والملدوغ(١).

تناذرها الراقون من سوء سمها تطلقه حيناً وحيناً تُرَاجِعُ

فالمعنى أن السم يخط ألمه في وقت ويعود وقتاً.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجرةٍ خَبِيثَةٍ﴾.

قيل إن الشجرة الخبيثة الحنظل وَقيلَ الكُوث(٢).

﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾.

معنى ﴿اجتثت﴾ استؤصلت من فوق الأرض، ومعنى اجتُثَّتْ في اللُّغَةِ أُخِذتْ جُثَّتَهُ بكمالها:

﴿مَالَها مِنْ قَرَارٍ﴾.

فالمعنى أنَّ ذكرَ اللَّه بالتَّوْحِيدِ يَبْقَى أَبداً ويَبْقَى نَفْعُه أبداً، وأن الكُفْرَ والضَّلَالَ لَا ثُبوتَ لَه.

---

(١) من عينية التي مطلعها:

عفا ذو حسا من فَرتني فالفوارع

وقبله:

فبت كاني ساروتني ضئيلة من الرقط في أنيابها السم ناقع

انظر الديوان ص ٦٧.

(٢) نبت كالعليق يتسلق أغصان الشجر من غير أن يضرب يعرق في الأرض قال الشاعر:

هو الكوث فلا أصل ولاَ وَرَق وَلاَ نسيمٌ ولا ظل ولا شجرُ

وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾.

روي أن هذه الآية نزلت في عذاب القبر، فإذا مات المَيِّتُ قيل له: مَنْ ربُّك وما دِينُـكَ ومن نبيُّكَ، فـإذا قال: اللَّه ربي ومحمـدٌ نبيّ والإسلام ديني، فقد ثبَّته اللَّه بالقول الثابت في الآخرة لأن هذا بَعْدَ وفـاته، وتثبيتـه في الدنيـا، لأنه لا يلفقه في الآخرة إلا أن يكون ذلك عقدة في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَـوْمَهُمْ دَارَ البَوَارِ﴾.

والبوار الهلاك والاستئصال.

﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾.

﴿جهنم﴾ بـدل من قولـه ﴿دَارَ البَوَارِ﴾ ومُفَسِّـرة... وجهنم لم تُصْـرَفْ لأنها مؤنثة وهي معرفة.

وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً﴾.

النِّدُّ المِثْل، بيّن وجه كفرهم.

﴿لِيُضِلُّوا عن سَبِيلِهِ﴾، ولِيَضِلُّوا، قرئ بهما جميعاً.

وقوله: ﴿قُلْ لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾.

إن شئت حـركتَ اليـاء[١]، وإنْ شِئْتَ أسْكَنْتَهـا، ويقيمـون جـزم على جواب الأمر، وفيه غير وجه، أجودهـا أن يكون مبنيـاً، لأنه في مـوضع الأمـر، وجـائز أن يكـون مجزومـاً بمعنى اللام إلا أنهـا أُسْقِطَتْ، لأن الأمـر[٢] قد دل على الغائب بِقُلْ، تقول: قل لزيد لِيَضْرِبْ عمراً، وَإنْ شئت قلت: قـل لزيْـدِ

---

(١) من عبادي.

(٢) رأي له والأكثرون على الرأي الثاني.

يَضْرِبْ عَمرا، ولا يجـوز قـل يضـرب زَيْـدٌ عمـراً ههنـا بـالجـزم حتى تقـول ليضربْ، لأن لام الغائب ليس ههنا منها عوض إذا حذفتهـا. وفيها وجـه ثالث على جـواب الأمر على معنى قـل لعبادي الـذين آمنـوا أقيمـوا الصـلاة يقيمـوا الصـلاة، لأنهم إذا آمَنُـوا وَصَـدَّقـوا، فـإن تصـديقهم بق[illegible][1] أمـر اللّـه - عزَّ وجلّ - .

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾.

إن شئتَ رفعتَ البيعَ والخلالَ جميعـاً، وإن شئت نصبتهُما جميعـاً بغير تنوين وإن شئت نصبت أحدهما ورفعت الآخر، فـالنصب على النفي بلا، وقـد شرحنا ذلك فيما سلف من الكتاب، والخلال والخلة في معنى الصداقة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ والقَمَرَ دَائِبَيْن﴾.

معناه: دائبين في إصلاح ما يصلحانه من الناس والنبات لا يَفْتُرَانِ.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾.

وتقرأ من كُلٍّ مـا سألتمـوه [بتنوين كـل]، فموضـع «ما» خفضٌ بـالإضافـة والمعنى من كـل الذي سـألتموه، ومن قـرأ مِنْ كلٍّ مـا سألتمـوه، فموضـع مـا نَصْبٌ، والمعنى وآتاكم من كل الأشياء التي سألتموه[2].

فإن قال قائل: فقد أعطى العباد مَا لَمْ يَسألوا. قيـل له ذلـك غير نـاقض هذه الآية، إذَا قال: «وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ الَّذِي سَـأَلْتُموهُ» لم يـوجب هذا أن يكـون لم يعطهم غير ما سألوه، ويجوز أن يكون «ما» نفياً، ويكون المعنى وآتاكم من كلٍّ ما لم تسألوه، أي آتاكم كل الشيء الذي لم تسألوه[3].

---

(١) بقبولهم - خبر أن، أي إن تصديقهم يتحقق بقبولهم أمر اللّه. وانظر الجزء الأول.

(٢) أعطاكم من كل الأشياء التي طلبتموها ولم يحرمكم شيئاً.

(٣) لا يبدو هذا الوجه جيداً - وإنما يكون التقدير أعطاكم من كلٍّ، أي من كل شيء وتكون جملة «ما سألتموهُ» جملة مستقلة - بمعنى لم تسألوه ولكنه أعطاكم فضلاً منه، بدون سؤال.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الإنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

هـذا اسم للجنس يقصد بـه الكافـر خـاصَّـةً، كمـا قـال: ﴿وَالعَصْـرِ إنَّ الإنْسَـانَ لَفِي خُسْـر، إلاّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَات﴾[1]، والإنسـان غيـر المؤمن ظلومٌ كفَّارٌ.

﴿وَإِذْقَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً﴾.

يعني مكة

﴿واجْنُبْني وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَام﴾.

وتَقرأ وأَجْنِبْني وبَني عَلى أُجْنَبْتُهُ كذا وكذا إذا جعلته ناحية منه، وكـذلك جنبتُه كذا وكذا.

ومعنى الـدعاء من إبـراهيم عليه السـلام أن يُجَنَّبَ عبادة الأصنـام، وهو غير عابد لها على معنى ثَبِّتْني على اجتناب عبادتها كما قال: ﴿واجعلنا مسلمين لك﴾[2] أي ثبتنا على الإسلام.

﴿رَبِّ إنَّهُنَّ اضْلَلْنَ كَثيراً مِنَ النَّاسِ﴾.

أي ضُلِّلُوا بسببها، لأن الأصنام لا تعقـل ولا تَفْعَلُ شيئـاً، كما تقـول قـد فتنتني هذه الدَّارُ، أي أنا أَحْبَبْتُها واسْتَحْسَنْتُها، وافتتنت بها.

﴿فَمَنَ تَبِعَنِي فإنَّه مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي فإنك غفور رحيم له إن تاب وإن آمن، لا أنه يقول إنّ من كفر [فـإن اللَّه غفور رحيم] فإن اللَّه لا يغفر له، ألا ترى قوله في أبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّن لَهُ أَنَّـهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[3].

---

(١) أول سورة والعصر ـ والغرض أن أل في الإنسان للجنس.

(٢) سورة البقرة الاية ١٢٨. (٣) سورة التوبة الآية ١١٤.

﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾.

أي اجعل أفئِدَةً جماعةً مِن الناس تنزع إلَيْهِمْ، ويجوز تَهْوَى إلَيْهِمْ، فمن قرأ تهوي إليهم فَهُوَ على هَوَى يَهْوِي إذا ارتفع[1]، ومن قرأ تَهْوَى إليهم فعلى هَوِيَ يَهْوَى إذا أحب، والقراءة الأولى هي المختارة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾.

أي واجعل من ذريَّتِي من يقيم الصلاة.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.

القراءة بغير ياء [في دعائي] إذا وقفت، فإذا وصلت فأنت بالخيار إن شئت قلت دعاءِ بغير ياء، وكانت الكسرة في الهمزة تنوب عن الياء، والأجود إثبات الياء، وإن شئت أَسْكَنْتَها، وإن شئت فتحتها.

وقوله: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وللمُؤْمِنِينَ﴾.

هذا قبل أن يتبين لإبراهيم أن أَبَاهُ عَدُوٌ للّه، فلما تبيَّنَ لَهُ ذلك تبرأ منه، وقيل إنه يَعْنِي بوالديه هنا آدمَ وحواءَ، وقيل أَيْضاً ولوَلَدَيَّ، يعني به إسماعيل وإسحاق، وهذه القراءة ليست بشيء لأنها خلاف ما عليه أهل الأمصار من أهل القراءات.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾.

يعني يوم القيامة، و «يوم» منصوب باغْفِرْ لِي.

وقوله: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِم﴾.

﴿مهطعين﴾ منصوب على الحال، المعنى إنما يؤخرهم ليوم تَشخص فيه

---

(١) كذا بالأصل وهو سهو إذ هو بمعنى سقط ووقع.

أبصارُهُمْ مُهْطِعِينَ أي مُسْرعين، قال الشاعر[1]:

بـدجـلة أهـلهـا ولـقـد أراهُـمْ   بـدجلة مهـطعين إلى السمـاع

أي مسرعين.

و ﴿مُقْنِعي رؤُوسهم﴾ رافعيها ملتصقة بأعناقِهِمْ، والمقنع الرافع، والمقْنَع المرتفع قال الشاعر: [2].

يُبَـادِرْنَ العِضَـاة بمقْنِعـات   نـواجـذهن كـالحـدَأ الـوقيـعِ

يصف إبلاً ترعى الشجر وأن أسنانها مرتفعة كالفؤوس.

وقوله: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾.

أي منحرفةٌ لا تَعي شيئاً من الخوف، وقيل نزعت أفئدتهم من أجوافهم قال الشاعر[3]:

كـأن الـرحـل منهـا فـوق صَعْـلٍ   من الـظلمـاء جَـوَجؤهـا هـواء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْه الجِبَالُ﴾.

القراءة بكسر اللام الأولى، من «لِتَزُولَ» وفتح اللام الأخيرة، هي قراءة حسنة جيدة[4]، والمعنى وما كان مكرهم لتزول منه الجبال، أي ما كان

---

(١) هو يزيد بن مفرغ ـ اللسان (هطع) ـ القرطبي ٢٧٩/٩.
ومجاز أبي عبيدة ٣٤٣/١.

(٢) هو الشماخ. انظر اللسان (غضه ـ قنع ـ حدأ) وروايته هناك يباكرن، وفيه (عضه) يبادرن كما هنا ـ والعضاه كل شجر يعظم وله شوك، والواحد عضه. والحدأ بكسر الحاء، ويروى بالفتح أيضاً جمع حدأة، وهي فؤوس صغيرة تنقر بها الحجارة، وأيضاً الفأس ذات الرأسين ـ يصف الأبل بأنها تأكل هذه الأشجار بأسنان حادة وبقوة وسرعة فكأنها تقتطعها بهذه الفؤوس ـ والفم المقنع الذي تنحني أسنانه إلى الداخل.

(٣) لزهير بن أبي سلمى يصف ناقته، والصعل المنجرد شعر الرأس والصغير الرأس، والظلمان جمع ظليم وهو ولد النعام، والجؤجؤ الصدر، يقول كأن رحله ليس على سنام ناقة وإنما هو على ظليم غير مثقل بالطعام نشيط خفيف الحركة. انظر شواهد الكشاف ص ٥.

(٤) على أن «ما» نافية.

مكرهم ليزول به آمر النبي ﷺ وأمر دين الإسلام وثبوته لَثبوت الجبال الراسية، لأن اللَّه عزّ وجلّ وَعَدَ نبيَّه عليه السلام إظْهَارَ دِينِه عْلى كل الأديان فقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ على الدينِ كُلِّهِ﴾[1] ودليل هذا قوله:
﴿فَلَاتَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه﴾.

أي لا يخلفهم ما وعدهم من نصرهم وإظهار نبوتهم وكلمتهم، ويقرأ ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَتَزُولُ مِنْهُ الجِبَالُ﴾ على الرفع وفتح اللام الأولى. ومعناه معنىً حَسَنٌ صحيحٌ، والمعنى: وعند اللَّه مكرُهم وإن كان مكرُهم يبلغ في الكيد إلى إزالة الجبال، فإنَّ اللَّه ينصُرُ دينه، ومَكْرُهم عنده لا يخفى عليه.

فإنْ قَالَ قَائِلٌ: فهل زالت الجبال لمكرهم؟ فقد روي في بعض التفسير قصةُ التابوت والنُّسُورِ، وأن الجبال ظنت أن ذلك أمر من أمر اللَّه عظيم فزالت، وقيل هذا في قصة النمرود ابن كنعان؛ ولا أرى لنمرودَ ههنا ذكراً[2]، ولكنه إذا صحت الأحاديث به فمعناه أنَّ مَكْرَ هؤلاء لو بلغ مكر ذاك لم ينتفعوا به، وأمَّا مَا تُوجِيه اللُّغَة وخطابُ العَرَبِ فأن يكون المعنى وإن لم يكن جبل قط، زال لمكرِ المبالغة في وصَف الشيء أن يقال: لو بلغ ما لا يُظَنُّ أنه يبلُغُ ما انتفع به، قال الأعشى[3]:

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣، وسورة الصف الآية ٩.

(٢) قصة النسور والتابوت والنمرود ـ تنسب إلى علي بن أبي طالب وإلى عكرمة، وهي من الإسرائيليات التي لا تصدق ـ وخلاصتها أن نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه اتخذ تابوتاً حمله أربعة فروخ من النسور ظلت تعلو به يومين حتى غابت عنه الأرض ولم ير السماء تغيرت فأخذ سهماً ورمى للأعلى فعاد إليه ملوثاً بالدم. فقال قد قتلت إله إبراهيم، واتجه نازلاً فسمعت الجبال خفق التابوت فظنت الساعة قد قامت فكادت تتزعزع وتزول من أماكنها.

وقول الزجاج: لا أرى لنمرود هنا ذكرا ـ يعني أنه لا مكان لذكره هنا، والقصة كما ترى لا مساغ لصحتها.

(٣) من قصيدته التي أولها:

أَلَا قلْ لتيا قبل بنيتها اسلمي ... تحية مشتاق إليها متيم

لئن كنت في جب ثمانين قامة ... ورُقيتَ أسباب السماء بسلم
لَتَسْتَدْرِجَنْكَ القولُ حتى تهزّه ... وتعلم أنه عنكم غير منجم

فإنما بالغ في الوصف وهو يعلم أنه لا يُرَقَّى أسباب السماء، ولا يَكُونُ في جُبّ ثمانين قامةً فيستَدْرِجَهُ القَوْلُ.

فالمعنى على هذا: لو أزال مكرهم الجبَالَ لما زال أَمْرُ الإسلام وما أتى به النبي ﷺ.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه﴾.

وقرئت مخلفُ وَعْدَه رُسُلِهُ، وهذه القراءة التي بَنَصْب الوَعْدِ وخَفْض الرُّسُل شاذَّةٌ رديئة، لا يجوز أن يفرق بين المضَافَ والمضاف إليه، وأنشدوا في مثل هذا(١).

وتَيًّا تصغيرتا، اسم الإشارة للمؤنث، فصغر المبني والبيتان من شواهد الكشاف ومعهما البيت:
وتشرق بالقول الذي قد أذعته ... كما شرقت صدر الفتاة من الدم
انظر شرح شواهد المغني ٢٩٨ - ورواية المرزوقي فلو كنت في جب.
وقد ذكر له وجهين من الشرح - وأقربهما أنه تهديد بالهجاء وأنه لا يغلق من لسانه مهما غاص في الأرض أو صعد إلى السماء. وتهزه أي تكرهه وتبغضه وتشرق بهجائي فلا تكاد تسيغه، وقيل إنه يصف رجلاً بعدم القدرة على كتم السر - ولكن بعيد - وانظر شرح القصيدة في الديوان تحقيق محمد حسين.

(١) البيت في ابن يعيش ١٩/٣، ومعاني الفراء ٣٥٨/١، ٨١/٢. ولم يذكر قائله - ويروى زج القلوص أبو مزادة. وأيضاً رواية فرجحتها متمكناً وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثمائة من شواهد الخزانة - وقد أفاضت في شرحه وتوجيهه وجاء فيها: «وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه» - وأنه من زيادات الأخفش فظنه الشراح من شواهد سيبويه - ويرجع اختلاف الشراح الكثيرين إلى مذهب البصريين وسيبويه من عدم جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه. وهو هنا فصل بينهما بكلمة القلوص، وهي مفعول به.
واختلف في مرجع الضمير في زججتها - فقيل للناقة، ومعنى زججتها طعنتها بالزج وهو الحديدة التي في أسفل الرمح - وقيل الضمير للمرأة - يريد القائل أنه زج امرأته بمزجة - وهي آلة الزج - بكسر الميم - ولم يرضه البغدادي صاحب الخزانة.

فــزَجّــجــتــهـــا بـــمــزجَّـــةٍ   زَجَّ الــقَــلُوصَ أبــي مَــزَاده

المعنى فزجْجتها بِمَزَجَّةٍ زجَّ أبي مزادة القَلُوص. والقراءة: مُخْلِفَ وَعْدِه رُسُلَه، كما تقول: هذا مُعْطِي دِرْهَمٍ زيداً.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾.

إنْ شئت نَصَبْتَ اليوم عَلَى النَّعْت لقولـه: يَوْمَ يَقُـومُ الحسَابُ يَـوْمَ تبدل الأَرْضَ وإن شئت أن يكون منصوباً بقولـه ذُو انْتِقَامٍ، المعنى أن اللَّه عـزّ وجلّ ذو انتقام أي بَيْنَهُمْ يوم تبدل الأرض غير الأرض، والأرض مـرفوعـة على اسم ما لم يسمَّ فاعله، وغَيـر منصوبـة على مفعول مـا لم يسم فاعله، تقـول: بُدِّلَ الخاتَمُ خاتَماً آخَر إذا كسر وَصِيغَ صيغة أخرى، وقد تقول بُدِّلَ زَيْدٌ إذا تغيـرت حاله، فمعنى تبدل[1] الأرض غير الأرض تسيير جبالها وتفجير بحـارها وكـونها مستوية لا يرى فيها عِوَجٌ وَلاَ أَمْتٌ[2]، فهذا ـ واللَّه أعلم ـ تبديلها.

﴿والسَّمَوَاتُ﴾.

أي وتبـدل السموات غيـر السموات، وتبـديل السمـوات انتشـار كـواكبها وانفطارها وانشقاقها وتكوير شمسها وخسوف قمرها.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّه الوَاحِدِ القَهَّارِ﴾.

أي خرجوا من قُبُورهم بَارزينَ

﴿وَتَرَى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾.

= أما زج القلوص ـ فهو مفعول مطلق ـ وأبو مزادة شخص يعينه ـ أي طعنت الناقة بالزج كما يطعن أبو مزادة ناقة ـ والقلوص الناقة الشابة ـ ويروى البيت:

فــزجــجــتــهـــا مــتــمــكــنـــاً   زج الــقــلــوص أبـــو مـــزادة

ويبدو أن البيت ـ على كثرة ما أفاض الشراح القدامى والمحدثون فيه ـ مصنوع لا يصلح للاحتجاج به.

(١) لعل الأصح أن تكون تبديل الأرض لأنه أخبر بمصدر.

(٢) العِوج: الانكسار والانخفاض، وتقدم تفسيره في المعاني والأجسام، والامت: الارتفاع.

والأصفاد الأغلال، واحدها صَفَدٌ، يقال صَفَدْتُه بالحديد، وَأَصْفَدته، وصفدتُ في الحديد أكثر، وأصفدته إذَا أعطيتُه، وصفدته إذا أعطيته أيضاً إلا أن الاختيار في العطية أصفدته وفي الحديد صفدته، قال الشاعر[1]:

وإن جئْتُه يوماً فقرَّب مَجْلِسِي ... وأَصْفدني على الزّمانَةِ قائدا

معناه أعطاني قائداً.

﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾.

السربال كل ما لبس، وجعلت سرابيلهم من قطران - واللَّه أعلم - لأن القطران يبالغ في اشتعال النار في الجلود، ولو أراد اللَّه المبالغة في احراقهم بغير نار وغير قطران لقدر على ذلك، لكن عذَّب بما يعقل العباد العذاب من جهته وحذرهم ما يعرفون حقيقته، وقرئت مِنْ قِطْرٍ آنٍ، قرأ بها جماعة.

والقِطْر النحاس، وآنٍ قد انتهى مَرُّه[2].

---

(1) هو الأعشى، وروايته، في مجاز أبي عبيدة ١/٢٣٤٥، والطبري ١٣/١٥٢: تضيفته يوماً فقرب مقعدي - والزمانة الإصابة بمرض مستمر باق على الزمن، والعاهة التي لا تبرأ يقال زمن - كفرح - يزمَن، زمَناً وزمانة وزمنة فهو زَمِنٌ، - والصفد والصفد - بفتح الفاء وسكونها - العطاء، يقال أصفده، وقد يتعدى لمفعولين كما في البيت، وروايته في اللسان (صفد):

تضيفته يوماً فقرب مجلسي: يريد وهب لي قائداً يقودني وأنا أعاني زمانة في جسمي.

(2) أي بلغ النهاية حتى صار سائلاً.

سُورَةُ الحِجْرِ
مكيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قرئت رُبَّما يود بتشديد الباء وتخفيفها، والعرب تقول: رُبَّ رجل جاءني، ويخففون فيقولون رُبَ رَجُلٍ، قال الحادرة[1]

فَسُمَيَّ مـا يـدريـك أن رُبَ فِتْيَـةٍ   بـاكـرتُ لَـذَّتَهُمْ بِـأَدْكَنَ مُتْـرعِ

يريد سُمَيَّة، فَرَخَّم.

---

(١) الحادرة أو الحويدرة هو قطبة بن أوس الذبياني غلب عليه لقبه لبيت قاله له زياد بن سيار الفزاري وهو:

كـأنـك حـادرة المـنـكـبـين   رصـعـاء تـنـقض في حـادر
عـجـوز ضـفـادع محـجـوبـة   يـطـيـف بهـا ولـد الحـاضر

وكان الحادرة قد تجرد ليبترد في غدير، وكان ضخم المنكبين أرسح ـ فغلب عليه اللقب، وهو شاعر جاهلي مقل، وقصيدته هذه جيدة، ذكر صاحب الأغاني جزءاً منها، وذكره ابن سلام في الطبقة التاسعة من الجاهليين، وذكر أربعة أبيات من أول القصيدة، وهي بأكملها في المفضليات والأصمعيات، ـ ولهذا البيت روايات أخرى ليس بها شاهد. منها: أسمى ما يدريك كم من فتية ـ والمعنى واحد لأن رب هنا تفيد التكثير، وأول القصيدة:

بـكـرت سميـة غـدوة فـتمـتـع   وغـدت غـدو مفـارق لم يسـمـع

ويروى هذا البيت أيضاً رحلت سمية

والقصيدة جيدة، وكان حسان إذا تنوشدت الأشعار يقول: هل أنشدت كلمة الحادرة. ـ وباكرت لذتهم أسرعت إليهم لأمتعهم، ويعنى بالأدكن المترع الزق المليء بالخمر ـ وانظر الجزء الأول ص ٤٢٥.

ويسكنون في التخفيف فيقولـون: رُبْ رَجُلٍ قـد جاءني، وأنشـدوا بيت الهذلي:

أَزُهَـيْــرُ إنْ يَشِـبِ القَــذَال فــإنـني رُبْ هَيْضَـلٍ مَرسٍ لَفَفْتُ بهَيضَلِ[1]

ويقولون ربَّتَا رجل، وربَّتْ رَجُـلٍ، ويقولـون رَبَّ رَجْلٍ، فيفتحـون الرا ورُبَمَا رَجُلٍ جاءني - بفتح الراء، وَرَبَّتَمَا رجل فيفتحون. حكى ذلك قطرب.

فأما تفسير الآية ففيه غير قول، قيل إنه إذا كان يوم القيامة وعاين الكـافِرُ القيامة وَدَّ لو كان مسلماً، وقيل إنــه إذا عاين الموت وَدَّ لَوْ أنـه مُسْلِم، وقيل إذا كان يوم القيامة أخرج المسلمون من النار فوَدَّ الذين كفروا لـو كانـوا مسلمين. وقيـل يُعَيّر أهْـلُ النار الكفَـرَةُ المُسْلِمينَ [قائلين] مـا نفعكم إِيمَانُكُمْ، فيغضب اللَّه عزّ وجلّ لذلك، فيخرجهم من النَّارِ فيود الذين كفروا لو كانوا مسلمين.

والذي أراه - واللَّه أعلم - أن الكافـر كلما رأى حـالاً من أحوال العـذاب ورأى حالاً عليها أحوال المُسْلِم وَدَّ لـوكان مُسْلِمـاً. فهذه الأحوال كلهـا تحتملها الآية.

فإن قال قائل: فلم كانت «رُبَّ» ههنا، ورُبَّ للتقليل[2]، فالجواب في هذا أن العـرب خوطبت بمـا تعقله في التهدُّدِ، والـرجل يتهـدَّدُ الرَّجُـلَ فيقول لـه: لَعلك سَتَنْـدَمُ على فعلك، وهو لاَ يَشُـكّ في أنه يَنْـدَم، وتقول لـه: ربما نَـدِم الإِنْسَانُ من مثل ما صنعتَ، وهو يعلم أن الإِنسان يندم كثيراً، ولكن مجازه أن

(١) لأبي كبير الهذلي من قصيدة قالها في تأبط شراً وكان أبو كبير قد تزوج أمـه وأراد قتله ولكنه خـافه، والقذال ما بين الأذن والقفا، والهيضل والهيضلة المجموعة من الناس يغـزى بهم - والهيضل أيضـاً الناقة العـظيمة وأصـوات الناس والمـرأة النصف والجماعـة، والمرس ذو المـراسة، وقـوة المعالجـة، والمرس: الجبل، ويقال: مرس الحبل إذا وقع بين الخطاف والبكرة فأنت تعالجه وتخرجه انظر ديوان الهذليين ٨٩، والخزانة ٤/١٦٥، وشواهد المغني ٨١.

(٢) أي لماذا اختيرت رب.

هـذا لو كـان مما يُـوَدُّ في حَالٍ وَاحِـدَةٍ من أحوال العـذاب، أو كـان الإنسـانُ يخافُ أنْ يندمَ على الشيء لوجَبَ عَليه اجْتِنَابُه. والـدليل على أنـه عَلَى مَعْنَى التهدُّدِ قوله عزّ وجَلَّ:

﴿ذَرْهُمْ يَـأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُـوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

وجائز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ [أن] أهوال يوم القيامة تسكرهم وتَشْغَلُهم عن التَّمَنّي، فإذا أفاقوا مِنْ سَكْرةٍ من سَكَرات العَذَابِ ودوا لو كانـوا مسلمين. فـأما من قـال إن رُبَّ يُعْنِيَ بها الكثيـر فهذا ضِـدُّ مَـا يَعْـرِفُـه أهـلُ اللُّغـةِ، لأن الحروف التي جاءت لمعنىً [تكون] على ما وضعت العَـربُ. فربَّ مـوضوعـة للتقليل، وكم موضوعة للتكثير، وإنما خوطبوا بما يعقلـون ويستفيــدون.

وإنمـا زيدت مـا مع رُبَّ ليليهـا الفعْلُ، تقـول رُبَّ رَجُلٍ جَـاءَنِي وربما جاءني رَجُلٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾.

أي إلا ولها أجلٌ لا تتقدمُهُ ولا تتأخُرَ عَنه.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالمَلَائِكَةِ.﴾ الآية.

معناه هَلَّا تأتينا بالملائكـة، روى ذلك. قـالوا للنبي عليـه السلام: لـولا أنزل عَلَيْهِ ملك. فقال:

﴿مَا نُنَزِلُ المَلَائِكَةَ إلَّا بِالحقِّ﴾.

أي إنما تنزل بآجال أو بوحي من اللَّه.

﴿وَمَا كَانُوا إذاً مُنْظَرِينَ﴾.

أي لو نزلت المـلائكة لم ينـظروا، وانقطعت التـوبات، كمـا قال: ﴿وَلَوْ

أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنْظَرُونَ﴾(١).

وتقرأ ما تَنَزَّلُ الملائِكَةُ [إلاَّ بِالحقِّ] وما تُنَزِّلُ الملائِكَةَ، وما تُنَزَّل الملائكة، وَمَا تَنْزِلُ الملائِكَةُ.

وقوله:﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

أي نَحْفَظُهُ من أن يقع فيه زيادة أو نقصانٌ، كما قال: ﴿لا يأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(٢).

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿في شِيَعِ الأَوَّلِينَ﴾.

أي في فرق الأولين

﴿وَمَا يأتيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلَّ أن سفهاء كل أُمَّةٍ يستهزئون برُسُلها.

﴿كَذَلِكَ نسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ﴾.

وتقرأ نُسْلِكُه، أي كذلك نسلك الضلال في قلوب المجرمين، أي كما فُعِلَ بالمجرمين الذين استهزأوا بمن تقدَّم مِنَ الرُّسُلِ كذلك نسلك الإضلال في قلوب المجرمين. ثم بين ذلك فقال:

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾.

أي وقد مضَت سنة الأولين بمثل ما فعله هؤلاء، فهم يقتقون آثارهم في الكفر، ثم أعلم تعالى أنهم إذا وردت عليهم الآية المعجزة قالوا سِحْرٌ وقالوا: ﴿سُكِّرَتْ أبْصَارُنَا﴾ كما قالوا حين انشق القمر: هذا سِحْرُ مُسْتَمرٌ، فقال عزّ وجلَّ:

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فيه يَعْرُجُونَ﴾.

ويقرأ يَعْرِجُونَ، أي يصعدون ويذهبون ويَجِيئُونَ ويصلح أن يكون

(١) سورة الأنعام الآية ٨.

(٢) سورة فُصِّلَتْ الآية ٤٢.

﴿يَعْـرُجُـونَ﴾ للملائكة والناس، وقد جاء بهما التفسير.

﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾.

وسُكِرَت، ويجوز سَكَـرت بفتح السين، ولا تَقْـرأَنَّ بها إلا أن ثبتت بهـا رواية صحيحة.

وفســـروا سُكِّـرَتْ أُغْشِيَتْ، وسَكِـرتْ تَحَيَّـرَتْ وسكنت عن أن تَنـظُر، والعرب تقول: سَكِرَتِ الريح تسكرُ إذا سَكنت وكذلك سكر الحرُّ يسْكَـرُ، قال الشاعر(١):

جــاء الـشتــاء واجـثألَّ الـقَـنْـبَـرُ

وجَـعَلَتْ عـيـنُ الـحَـرُورِ تَـسْـكَـرُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾.

جـاء في التفسير نجـوماً وكـواكب، وقيل منـازل الشمس والقمر. وهـذه البُـروجُ التي يُسمِّيهَا الحُسَّـابُ: الجَمَل، والثَّـوْر، ومـا أشبهَهَـا، هي كـواكب أيضـاً، صُوَرُهـا على صُورِ أسْمـاء أصحابهـا. فـالبـروج نجـوم كمـا جَـاءَ في التفسير.

﴿وَحَفِظْنَاهَا من كل شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

---

(١) أورد أبو عبيدة هذا الرجز في أربعة أبيات كما يلي:

جــاء الـشتــاء واجـثــأل الـقـنـبــر واستخفت الأفعى وكـانـت تـظهـر
وطـلعـت شـمـس عـليـهـا مـغـفــر وجعـلت عـين الحـرور تـسـكـر

وهما في اللسان (قبر وسكر) كما هنا. وفي (جثل) الشطر الأول والثالث والرابع

اجثأل تجمع وانكمش - والقنبر طائـر كالعصفـور أو أكبر قليـلاً - يقال قنبـر وقبر والـواحدة بـالتاء، ويقال قبراء.

انـظر مجاز أبي عبيـدة ١/٣٤٨ وفي الطبـري ١٣/٩ منسوبـة للمثنى بن جنـدل، والصحيـح مـا في اللسـان (جثل) أنها لجنـدل بن المثنى - ولعـل ما في الـطبري خـطأ مطبعي. وانـظر أيضاً القـرطبي ١٠/١٢٩.

معنى رَجِيمٍ قيل مَلْعُون، وجائزٌ أن يكون رَجمٌ مرجوماً بالكواكب، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾.

مَوْضِع «مَنْ» نَصْبٌ، المعنى لكن من استرق السمع، وجائز أن يكون في موضع خفض، على معنى ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شِهَابٌ مُبينٌ﴾. والشُّهُبُ الكواكب المنقضَّةُ من آيات اللَّه للنبي عليه السلام، والدَّلِيلُ على أنها كانت انْقَضَّتْ بعد مولد النبي ﷺ أن شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعة بالبرق وبالسيل وبالأشياء المسرعة لم يوجد في أشعارها بيتٌ واحدٌ فيه ذكر الكواكب المنْقَضَّة، فلما حدثت بعد مولد النبي عليه السلام استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة(٢).

كأنه كوكب في إثْر عِفْرِيَةٍ مسوَّمٌ في سواد الليل مُنْقَضِبُ(٣)

﴿والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيها رَوَاسِيَ وأنبتنا فيها من كُلِّ شَيءٍ مَوْزُونٍ﴾.

كانت الأرض طينة فمدت، وقيل مُدَّتْ من تَحْتِ البيتِ الحرام والرَّواسِي الجبال الثوابت، ومعنى: ﴿مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْزُونٍ﴾ أي من كل شيء مقدور جرى على وزنٍ مِنْ قَدَرِ اللَّه عزّ وجلّ لا يُجَاوِزُ ما قَدَّره اللَّه عليه، لا يستطيع خلقَ زيادة فيه ولا نقصاناً. وقيل ﴿مِنْ كُلِّ شَيءٍ مَوْزُونٍ﴾، أي من كل شيءٍ يُوزَن نحو الحديد والرصاص والنحاس والزرنيخ.

---

(١) سورة الملك الآية ٥.

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٧، واللسان (قضب) والقرطبي ١٣/٢٠٣ ـ وذيل الأمالي ٦٥.

(٣) العفر والعفرية ـ بالكسر ـ وعفارية ـ بالضم ـ، والعفرية الداهية، يريد كأنه في سرعته كوكب ينقض في إثر عفريت.
ومسوم أي واضح ظاهر كالذي به علامة تميزه ـ ومنقضب أي منقض.

﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾.

موضع «مَنْ» نصبٌ من جهتين إحداهما العطف على معايش، المعنى وجعلناكم من لستم له برازقين، وجائزٌ أن يكون عطفاً على تأويل لكم، المعنى في جعلنا لكم فيها معايش أعشناكم ومن لستم له برازقين.

وفي التفسير أن من لستم له برازقين الدَّوابُّ والأَنْعَامُ. وقيل في بعض التفسير الوُحُوش. والنحويون يذهبون إلى أن «مَنْ» لَا يكادُ أن يكُونَ لِغَيْرِ مَا يعْقل، وقد قال عزّ وجلَّ: ﴿فَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِه ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[1]، فجاءت «من» لغير الناس إذ وُصِفَ غيْرُ الناس بصفاتهم[2]، كما جاءت الواو لغير الناس في قوله ﴿وَكُلٌّ في فلك يَسبحُونَ﴾. والأجود والله أعلم أن يكون «مَنْ» ههنا أعني ﴿وَمَنْ لَسْتُم لَـهُ بِرَازِقِينَ﴾ يراد بها العبيد والأنعام والدواب فيكون المعنى جعلناكم فيها معايش وجعلنا لكم العبيد والدوّابّ والأنعام وكُفِيتُمْ مؤونة أرزاقها.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾

﴿لواقح﴾ تأتي بالسحاب، ولواقح تُلْقح السحاب وتُلْقِحَ الشَّجر، وجاز أن يقال للريح لقحَت إذا أتت بالخير، كما قيل لها عقيم إذا لم تأت بخير، وأتت بعذاب، كما قال عزّوجلَّ: ﴿وَفِي عادٍ إذْ أَرْسَلْنَا عَلَيهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾[3]، ويجوز أن يقال لها لواقح وإن لقحت غيرها لأن معناها النسب.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا المُسْتَأْخِرِينَ﴾

---

(١) سورة النّور الآية ٤٥.

(٢) كلمة «كل دابة» تجمع كل ما يدب على الأرض مما يعقل وغيره، وفي هذه الحالة توقع «من» على ما لا يعقل.

(٣) سورة والذاريات الآية ٤١.

قيل فيها غير قول، قيل المستقدمين ممن خلق والمستأخرين ممن يحدُث من الخلق إلى يوم القيامة ثم قال:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هو يَحْشُرُهُم﴾.

أي الذي أنشأهم وعَلَّمَهُمْ هو يحشرهم مبعوثين كما بدأهم أول خلق:

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

أي تدبيره يجري بحكمة وعلم، وقيل: ولقد علمنا المستقدمين منكم في طاعة اللَّه والمستأخرين فيها، وقيل إنه كانت امرأةٌ حسناءُ تصلي خلفَ رَسُولِ اللَّه ﷺ فيمن يُصَلّي من النِّسَاءِ، وكان بعض من يصلي، يتأخر في آخر الصفوف، فإذا سَجَدَ اطلع إليها من تحت إبطه، والذين لا يقصدون هذا المقصِدَ إنّما يَطلُبُونَ التقدم في الصفوف لما فيه من الفضل.

﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

فمن قرأ ﴿صراط عَلَيَّ مستقيمٌ﴾، فالمعنى هذا صراط مستقيمٌ عَليَّ أي على إرَادَتِي وأمري، ومن قرأ «عَلِيٌّ» أرَادَ: طريقٌ رفيعٌ في الدِّين والحقّ.

وقوله: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾.

الصَّلْصَال الطين اليابس الذي يَصِلُّ لِيُبْسِه، ومعنى يَصِلُّ يُصَوِّتُ قال الشاعر(١):

رَجَعتُ إلى صدر كجرة حَنْتِمٍ إذا قَرَعَتْ صِفْراً من الماء صَلَّتِ

---

(١) لعمرو بن شاس من رثاء لزوجته أم حسان وقبله:

ألم تعلمي يا أم حسان أنني إذا عبرة نهنهتُها فتخلت

ونهنهت العبرة زجرتها والحنتم جرار سود تضرب إلى الحمرة، والمادة التي تصنع منها - والبيت في الأغاني ١١/١٩٩ واللسان (حنتم) ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٩ وترجمة عمرو في الأغاني ١١/١٩٦ وما بعدها.

و ﴿مَسْنُونٍ﴾.

قيل فيه مُتَغَيِّرٌ. وإنما أخذ من أنه على سُنَّةِ الطريق لأنه إنما تغيُّرَ إذا قام بغير ماء جارٍ.

﴿والجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾.

﴿الجانَّ﴾ منصوبٌ بفعل مُضْمَرٍ، المعنى وخلقنا الجانَّ خلقناه، وخلق اللَّه الملائكة من نور العزَّةِ، وخلق آدم من ترابٍ وخَلَق الجَانَّ من نَارِ السَّمُومِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَجَدَ المَلاَئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

قال سيبويه والخليل: ﴿أجمعون﴾ توكيدُ بعدَ تَوْكيدٍ، وقال محمدُ بن يزيد: أجمعون يَدُل على اجتماعهم في السجود، المعنى فسجدوا كلُّهم في حالٍ واحدةٍ. وقول سيبويه والخليل أجود، لأن أجمعين معرفة، فلا يكون حالاً[١].

﴿إلاَّ إِبْلِيسَ﴾.

إبليس مستثنى ولَيْسَ مِنَ الملائكة إنما هو من الجن كما قال عزّ وجلّ: ﴿إلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٢]. وهو منصوب استثناء ليس من الأول، كما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ﴾.

المعنى لكن إبليس أبى أَنْ يكونَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَالَكَ أَلاَّ تَكُونَ مع الساجدين﴾.

موضع أن نصب بإِسْقَاطِ في، وإفضاء الناصِبِ إلى أن، المعنى أيّ شيءٍ يقع لك في أن لا تكون مع السَّاجِدينَ.

وقوله: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

---

(١) وإذا كانت حالاً كان يجب أن تنصب لا أن تكون مرفوعة.

(٢) سورة الكهف الآية ٥٠.

معناه مَرْجُومٌ مَلْعُونٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

لجهنم سَبْعَةُ منازلَ لكل مَنْزِلَةٍ صِنفٌ ممَّن يُعذَّبُ على قدر منزلته في الذَّنْبِ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ من غِلٍّ﴾.

الغِلُّ الحِقدُ، ويُرْوَى أنَّه يخلص المؤمنونَ من النار فيحبسون على قنطرةٍ بين الجنة والنَّارِ، فيقتص لبَعْضِهم من بَعْضٍ، ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نُقُوا وهذِبُوا فخلصت نياتهم من الأحقاد.

﴿إخواناً﴾.

منصوب على الحال.

﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

في التفسير لا ينظر بعضهم في قَفَا بعض.

﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾.

أي لا ينالهم تعب

﴿أَنِّي أَنَا الغفورُ الرَّحِيمُ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ العَذَابُ الأَلِيمُ﴾.

يروى في التفسير أن العبد لو علم قدرَ عَفو اللّه لما أَمْسَكَ عن ذنبٍ، ولو علم مقدار عقوبة لبَخَعَ نفسه في العبادة، ولما قَدِمَ عَلَى ذَنْبٍ.

﴿فَقَالُوا سَلَاماً﴾ قَالَ سَلَامٌ.

﴿سَلَاماً﴾ منصوب على المصدر كأنهم قَالوا سَلَّمنا سَلاماً.

وقوله: ﴿قَالَ: إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ﴾.

أي خائفون، فإنما وجِلَ لما قدَّم إليهم العجلَ فرآهم لا يَأْكُلُونَ منه وَجِلَ.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾.

يقال وَجِلَ يَوْجَلُ، ويِاجَل ويَبْجَلُ وَيِجَلُ، إذا خاف.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾.

بفتح النون وهو أجود في القراءة، وقرئت: فَبِمَ تُبَشِّرُونِ - بكسر النون - قرأ بها نافع، والأصل فبم تبشرونَنِ فاستُثْقِلَ النّوناانِ، فحذفت إحداهما وقيل الحذف من الأدغام، كأنها فبم تُبَشِّرنِّ، بتشديد النون، فحذفت إحدى النونين لثقل التضعيف، كما قالوا رُبَّما، ورُبَمَا، قال الشاعر في حذف النون:

تـراه كـالثَّغـام يُعَـلُّ مِسْكـاً يسـوء الغـاليـات إذا فلينـي

يريد فلينني[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يَقْنُط [مِن رَحْمَةِ رَبّه]﴾.

يقال قَنَط يقنِطُ، وقَنِطَ يقنَطُ، وهما جميعاً جائزتان[2]، والقنوط بمعنى اليأس.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُم﴾، أي فما أمركم.

وقوله: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾.

استثناء ليس من الأول، المعنى: ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوط إنا لَمُنَجُّوهُمْ أجمعين﴾، المعنى إنا أُرْسِلْنَا بالعذاب إلى قوم لوط.

وقوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرنا إِنَّها لَمِنَ الغَابِرِينَ﴾.

المعنى علمنا انها لمن الغابرين، وقيل دبرنا إنها لمن الغابرين، وقدرنا ههنا لا يحتاج إلى تفسير، المعنى الا امرأته قدرنا أنها لمن الباقين في

---

(١) تقدم جـ ١ ص ٢١٦.

(٢) ولغة ثالثة قَنطَ يقْنُط.

العذاب، والغابر الباقي، قال الشاعر[1]:

فما ونى محمد مذ أن غفر   له الإلهُ ما مضى وَمَا غبر

المعنى وما بقي

وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

أي جئناك بالعذاب الذي كانوا يَشْكُّونَ في نزوله.

وقوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾.

وتقول: فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ - بقطع الألِفِ ووصلِها. وسَيْرُ الليل يقال فيه أسْرى وسَرَى ومعنى بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ، أي بعدما يمضي شيءٌ صَالح من اللَّيْلِ

﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾:

أُمِرَ ﷺ بترك الالتفات لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب - والله أعلم -.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

موضعُ أن نَصْبٌ، وهو بدل من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ ثم فسَّرَ ما الأمْر، فالمعنى وقضينا إليه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

﴿مُصْبحينِ﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾.

الضيف يوحَّدُ وإن وُصِفَتْ به الجماعة، تقول: هذا ضيف، وهَذَان ضيفٌ وهَؤُلَاءِ ضيف. كما تقول: هؤلاء عَدْلٌ، وإنْ شِئْتَ قلت أضيافٌ، وضِيفَانٌ. فمَنْ وحَّد فلأنه مصدر وصف به الاسم، فلذلك وَحَّدَ، وإنما وُحِّدَ المصدَرُ في قولك: ضربتُ القوْمَ ضَرْباً، لأن الضرب صنف وَاحِدٌ. وإذا كانَ

---

(١) هو العجاج - والبيت في الطبري ١١/١٩٨، والقرطبي ٧/٢٤٦ ومجاز أبي عبيدة ١/٢١٩ - وما غبر: أي ما بقي.

أصنافاً وجَمعْتَ، فقلت ضربتهم ضربَنْ، وضـربتهم ضروبـاً، أي أجناسـاً من الضرب، والضَّيفُ مصدر ضِفْتُ الرَّجُلَ أُضِيفُـه ضَيْفاً. فـأنا ضـائف، والرَّجُـلُ مَضِيفٌ إذَا كانَ مفعُولاً، وأضَفْتُه إذا أنزلتُه.

﴿قالواأَوَلَمْ نَنْهَك عَنِ العَالَمِينَ﴾.

معناه: ألم ننهك عن ضيافة العالمين.

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

فـالجواب محمـول على المعنى، لأَنهم أرَادُوا الضيفَانَ للفَسَـادِ، فقـال لهم لوط: هؤلاء بناتي لأن نساء أمَّة كل نَبِيّ بمنزلـة بَنَاتِـه وأَزْواجُـه بـمنـزلة أُمَّهاتِهِمْ، المعنى النساء على جهة التزويج أطْهَرَ لَكُمْ.

ومعنى ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾.

أي إن كنتم مُريدين لهذا الشَّأْنِ فعليكم بالتزويج ببناتي.

﴿لعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

هذه الآية آية عظيمـة في تفضيل النبي عليـه السلام أعني قـوله سبحـانه لعَمْرُكَ، جاء في التفسير أنه قسم بحياة محمد ﷺ كذلك أكثر التفسير، وقد جاء في بعض التفسيـر: «لَعَمْـرُكَ» كلِمَــةٌ من كـلام العَـرَبِ، ولسْتَ أُحِبُّ هـذا التفسير، لأن قوله: كلمة من كلام العرب لا فائدة فيـه، لأن القرآن كله عـربي مبين، وَكَلِمُهُ من كَلَامِ العَرَب، فلا بد من أن يقال ما مَعْنَاهَا[١].

وقال سيبويه والخليلُ وجَميـعُ أهْل اللُّغَـةِ: العَمْرُ والعُمْـرُ بمعنًى واحدٍ، فإذا استعمل في القَسِمَ فتـح أوّله لا غيـر، لا تقول العـربُ إلا لعَمْرُكَ، وإنمـا آثـروا الفتح في القَسِمَ لأن الفتـح أخف عَلَيْهِمْ وهم يكثرون القَسَمَ بِلَعَمْـرِي، ولعَمْرُكَ، فلما كثر استعمالهم إياهُ لزموا الأَخَفَّ عليْهِمْ.

---

(١) لا بـد من بيـان معنــاهـا.

وقال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخَبَرُ محذوف، المعنى لَعَمْرُكَ قَسَمِي، ولعَمْرُكَ ما أقسِمَ به. وحذف الخبرِ لِأَنَّ في الكلام دليلاً عليه، المعنى أقسم إنهم لفي سكرتهم يعمَهُونَ، ومعنى يعمهون يتحيَّرون. وباب القسم قد يحذف معه الفعل، تقول: واللَّه لأفعَلَنَّ وتاللَّه لأفعَلَنَّ، والمعنى أحلف باللَّه، وأحلف واللَّه، فيحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف، وكذلك يحذف خبر الابتداء كما ذكرنا.

وقوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيحَةَ مُشْرِقِينَ﴾.

أي أخذت قومَ لوط الصيحةُ بالعذاب مشرقين، يقال أشرقنا فنحن مشرقون، إذا صادفوا شُروقَ الشمس[1]، وهو طلوعها، كما تقول أصبحنا إذا صادفوا الصبح. يقال شَرَقَتِ الشمس إذا طلعت وأشرقت بمعنى واحدٍ، إلاّ أن معنى «مُشْرِقِينَ» في معنى مصادفين لطلوع الشمس.

وقوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

معنى من سجيل من طين عليه كتاب[2]. واشتقاق ذلك من السجل، ودليل هذا التفسير قوله: ﴿حِجارةً من طين، مُسَوَّمَةً عند رَبِّكَ﴾[3]، فأعلم أنها مِن طين وأنها مسومة أيْ مُعلّمَةٌ لعلامات الكتاب.

﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ للمتَوَسِّمِينَ﴾.

قيل المتَوَسِّمُونَ المتفَرِّسُونَ، وقيل المتفكرون. وحقيقته في اللغة المتوسمون النُّظَّارُ المتثَبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء تقول تَوَسَّمْتُ في فلان كذا وكذا، أي عرفت وسم ذلك فيه.

---

(١) يقال أصبح أي دخل في وقت الصباح وأحصد دخل في وقت الحصاد. ومشرقين من هذا، أي أخذتهم الصيحة وهم في وقت الشروق.

(٢) كتابة.

(٣) سورة الذاريات الآية ٣٣ - ٣٤.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾.

أي لبطريق واضح بَيِّنٍ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي لعلامة بَيِّنَة للمصدقين.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾.

أي أصحاب الشجر، والأيك الشجر وهؤلا أهل موضع كان ذا شجر، فانتقم اللَّه منهم بكفرهم، قيل إِنَّهُ أخذهم الحرُّ أياماً ثم اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا عن آخرهم. ومعنى «إِنْ واللام» التوكيد.

﴿وَإِنَّهُما لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾.

أي لبطريق يؤتَمُّ أي يُقْصَدُ فيبيَّن، وأصحاب الحجر أصحاب واد يقال له الحِجْرُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي والقرآنَ العظيم﴾.

قيل: السبع من المثاني هي فاتحة الكتاب، وهي سبع آيات، وإنما قيل لها المثاني لأنها يُثَنَّى بِها في كلِّ ركعة من ركعات الصلاة، ويثنى بها مع مَا يُقْرأ من القرآن. ويجوز ـ واللَّه ـ أعلم ـ أن يكون من المثاني أي مما أُثْنِيَ به على اللَّه، لأن فيها حَمْدَ اللَّه، وتَوْحِيدَه وذكر مَلاَئكته وملكه يوم الدِّينِ.

وروي في التفسير أنه مَا أُعْطِيَتْ أمَّةٌ كما أعْطِيَتْ أمَّةُ محمد ﷺ من سورة الحمد. فأما دُخُول «مِنْ» فهي ههنا تكون على ضربين، تكون للتبعيض من القرآن، أي ولقد آتيناك سبع آياتٍ من جملة الآيات التي يُثْنَى بها على اللَّه ـ عز وجل ـ وآتيناك القرآن العظيم، ويَجوزُ أن يكون السبع هي المثاني، وتكون «من» الصفة[1] كما قال عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأَوْثانِ﴾[2]، المعنى اجتنبوا الأَوْثَانَ، لا أَنَّ بعضَها رِجْسٌ.

---

(١) بيانيَّة.

(٢) سورة الحج الآية ٣٠.

ويجوز أن يكون المعنى سبعاً مثانيَ على هذا القياس، ويدل على القول الأول قوله عز وجل:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾(١). وقيل سبعاً من المثاني: السبع الطوال، من البقرة إلى الأعراف سِتٌّ، واختلفوا في السابعة، فقال بعضهم: سورة يونُس، وقيل الأنفال وبراءة، وإنما سميت مثاني لذكر الأقاصيص فيها مثناةً. ويجوز «والقُرْآنِ العظيم» بالخفض، ولكن لا تقرأن بِهِ إلا أَنْ تثبُتَ به رواية صَحيحةٌ.

﴿أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ أي أمثالاً في النِعَم.

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

أي أَلِنْ جانبك للمؤمنين، أي لمن آمنَ بِكَ وَبمَا أَتَيْت بِهِ ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى المُقْتَسِمينَ الَّذِينَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِينَ﴾.

يُروَى أنَّ المشركينَ قالوا أساطير الأولين، وقالوا سحرٌ، وقالوا شاعِر، وقالوا كاهِنٌ. فقسَّمُوه هذه الأقسام، وَعَضَوْهُ اعضاء.

ويروى أن أهل الكتاب هُمُ المقتسِمُونَ، آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، وقالوا نحواً مما روي عن المشركين.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾.

قيل في التفسير أجهرْ بالقرآن، ويكون ـ واللَّه أعلم ـ فاصدع بما تؤمَرُ، أي أَبِنْ ما تؤمر به، وأظهره، وأُخِذَ ذلك منَ الصَّدِيع وهو الصبح. قال الشاعر:

كأن بياضَ غُرّته الصديع(٢).

---

(١) سورة الزمر الآية ٢٣.

(٢) هو عمرو بن معد يكرب الزبيدي، يصف ذئباً، وصدرُهُ:

ترى السِّرحانَ مُفترشاً يَدَيْه

وتأويل الصَّـدْع في الزجـاج، أو في الحائط، أن يبين بعضُ الشيء عن بَعْضٍ.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُستهزِئينَ﴾.

قيل هؤلاء جماعة من المشركين، خمسَةُ نفَرٍ كانوا يستهزئون برسول اللَّه ﷺ فنزلت بهم آفـاتٌ مات أكثرهم منهـا، وَعَمِيَ واحِدٌ مِنْهُمْ. والخمسـة سُمّوُا في التفسيـر منهم الوليـدُ بن المغيـرة، والعـاص بن وائـل، وعـدي بن قيس، والأسـود بن المطَّلِب، والأسـود بن عبد يَغُـوثَ. أعلم اللَّه أنهم من المشركين بقوله:

﴿الذِيـنَ يَجْعَلُـونَ مَــع اللَّـهِ إلٰهـاً آخَـر﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾.

أي حتى يأتيك المـوت، كما قـال عيسى بن مريم: ﴿وَأَوْصَانِـي بِالصَّـلَاةِ والزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(١) فإن قال قـائل كيف تكـون عبادةٌ لغيْـرِ الحي، أي كيف يَعْبُدُ الإنسانُ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَإِنَّ مجاز هذا الكلام مجاز «أبَداً»، المعنى اعبد ربك أبَداً، واعبده إلى الممات، لأنه لو قيل: اعْبُدْ ربك ـ بغيـر التوقيت ـ لجـاز إذَا عبدَ الإنسانُ مَرَّةً أن يكون مُـطِيعاً، فـإذا قال حتى يـأتيك اليقين، أي أبَـدًا وما دمت حياً، فقد أُمِرْتَ بالإقامة على العبادة.

والصديع الفجر (اللسان ـ صدع).

(١) سورة مريم الآية ٣١.

سُورَةُ النَّحْل
مكية

ما سوى ثلاث آيات من آخرها فإنهن نزلن بين مكة والمدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ .

﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ ما وَعَدهم اللَّه به من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب، والدليل على ذلك قوله:﴿حَتَّى إِذا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنورُ﴾[١] أي جاء ما وعدناهم به، وكذلك قوله:﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيلاً أَوْ نَهاراً فَجعَلْنَاهَا حَصِيداً﴾[٢] وذلك أنهم استعجلوا العذاب واستبطأوا أَمْرَ الساعة، فأعلم اللَّه - عز وجل - أنّ ذلك في قُرْبِهِ بمنزلة ما قد أتى، كما قال:﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾[٣] وكما قال :﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَة إلاَّ كَلَمح البَصَر﴾[٤].

وقوله :﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ .

معناه تنزيهه من السُّوء، كذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ وكذلك

---

(١) سورة هود الآية ٤٠ .

(٢) سورة يونس الآية ٢٤ .

(٣) سورة القمر / ١ .

(٤) سورة النحل الآية ٧٧ .

فسّره أهل اللغة، قالوا: معناه تنزيه اللَّه من السوء، وبراءة اللَّه من السوء. قال الشاعر: [1]

أقول لما جاء في فخره سبحان من علقمة الفاجر

أي براءة منه.

وقوله: ﴿يُنَزِّلُ المَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾.

ويقرأ: تُنَزَّلُ الملائكةُ، ويجوز فيها أوجه لا أعلمه قرىء بها: ينزِّل الملائكة، ويُنْزِلُ الملائكةَ، وتَنَزَّلُ الملائكةُ بالروح - والروح - واللَّه أعلم - ما كان فيه من أمر اللَّه حياة للنفوس والإرشاد إلى أمر اللَّه، والدليل على ذلك قوله: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّه لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾.

المعنى أنْذِرُوا أهلَ الكُفْر والمَعَاصِي بأنه لا إله إلَّا أَنا، أي مروهم بتوحيدي، وألَّا يشركوا بي شيئاً. ثم أعلم ما يَدُلُّ على توحيده مما خلق فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ بِالحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ارتفع عن الذين أشركوهم به، لأنهم لَا يَخْلُقُون شيئاً وهم يُخْلَقُون.

وقوله: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾.

اختصر ههنا، وذكر تقلبَ أحْوال الإِنْسانِ في غير مكان من القرآن.

وقوله: ﴿والأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾.

نصب الأنعام على فعل مضمر، المعنى خلق الأنعام خلقها، مفسِّر للمضمر، والدفء ما يُدْفِئُهِمْ من أَوْبَارِهَا وأَصْوَافِهَا. وأَكْثَرُ ما تستعمل الأنعام في الإبل خاصة، وتكون للإبل والغَنَم والبقر، فأخبر اللَّه - عز وجل - أن في الأنعام ما يدفئنا، ولم يقل لكم فيها مَا يُكِنُّكُمْ ويدفئكم من البرد، لأن ما ستر

(1) للأعشى تقدم في الجزء الأول ص ١١٠.

من الحرِّ سَتر مِنَ البَرْدِ، وما ستر من البردِ ستر من الحرّ، قال الله ـ عز وجل ـ في موضع آخر: ﴿سرَابيلَ تَقِيكُمُ الحرَّ﴾(١) فعلم أنها تقي البرد أيضاً، وكذلك إذ قيل: ﴿لكم فيها دفء﴾ علم أنها تستر من البَرْدِ، وسَترٌ من الحرِّ.

وقوله: ﴿وَمَنَافِعُ﴾.

أي ومنافعها ألبانُها وأبوالها وغير ذلك.

﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾.

الإراحة أن تروح الإبل من مراعيها إلى الموضع الذي تقيم فيه وحينَ تسْرَحُونَ، أي حين تُخَلُّونها للرَّعْي، وفيما ملكه الإنسان جمال «وزينة ـ كما قال عز وجل: ﴿المَالُ والبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(٢)، والمال ليس يخص الوَرِق والعينَ دونَ الأمْلاكِ، وأكثر مال العرب الإبل، كما أن أكثر أمْوال أهل البصرة النَّخَلُ. إنما يقولون مال فلان بموضع كذا وكذا يعنون النخل.

وقوله: ﴿وَتَحْمِلُ أثْقَالَكُمْ إلَى بَلَدٍ لَمْ تكُونُوا بَالِغيهِ إلَّا بِشقّ الأَنْفُس﴾.

تقرأ بالفتح والكسر(٣)، أي لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل لشَقَّ عليكم ذلك.

وقوله: ﴿والْخَيْلَ وَالْبِغَالَ والْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾.

أي وخلق الخيل والبغال والحمير للركوب، وكثير من الناس يقولون إنّ لحومَ الخيلِ والبِغَالِ والحَمِيرَ دَلّتْ عليه هذه الآية أنها حرام، لأنه قال في الإبل ﴿وَمِنْهَا تأكُلُونَ. . . . وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً في صُدُورِكم﴾(٤) وقال في الخيل ﴿والخيل والبِغَالَ والحَمِيرَ لتَرْكَبُوهَا وزينَةً﴾ ولم يذكر فيها الأكل. وقال قوم: لو

---

(١) الآية ٨١ من هذه السورة.

(٢) سورة الكهف الآية ٤٦.

(٣) إثقالكم وأثقالكم.

(٤) سورة غافر الآية ٧٩ ـ ٨٠ وأولها: ﴿اللَّهُ الَّذي جَعَلَ لكم الأنْعَامَ لتَرْكَبُوا مِنْها ومِنْها تأكُلُونَ، ولَكُم فيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا. . الخ﴾.

كانت حرّمت بهذه الآية لم يحرم النبي ﷺ لحومَ الحُمرُ الأهلية، ولكفاه ما دلَّ عليه القرآن. وهذا غلط لأن القرآن قد دَلَّ على أن الخَمْرَ حرام، وقال النبي ﷺ: حَرّمَتْ الخمرَ بعينها. فذكر النبي ﷺ ما حُرِّمَ في الكتاب بأنه حرام، توكيداً لَهُ وزيادةً في البيان.

ونصب ﴿وزينةً﴾ مفعول لها، المعنى وخَلَقَها زِينَةً.

وقوله:﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾.

أي على اللَّه تبيينُ الطريق المستقيم إليه بالحججَ والبراهين.

وقوله: ﴿وَمِنْهَا جائر﴾.

جائر أي من السبل طرق غير قَاصِدَةٍ للحقِّ.

وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

أي لو شاء اللَّه لأنزل آيةً تَضْطَرُّ الخلْقَ إلى الإيمان به، ولكنه عز وجل: يهدي من يشاء ويدْعُو إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وقوله:﴿مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾.

المعنى أنه ينبتُ الشجرَ التي تَرْعَاهَا الأبِلُ، وكلُ ما أُنْبِتَ على الأَرْضِ فهو شجر، قال الشاعر يصف الخيل:(١)

نَعْلُفُهَا اللحم إذا عَزَّ الشَّجَر والخيل في إطْعَامِهَا اللحمَ ضَرَر

يعني أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجْدَبَتِ الأرض.

وقوله: ﴿فيهِ تُسِيمُونَ﴾.

أي تَرْعَوْنَ، يقال: أَسَمْتُ الأبلَ إذا رعيتها، وقد سَامَت تسوم وهي سائمة إذَا رعَتْ، وإنما أخذ ذلك من السُّومَةِ، وَهِي العَلاَمَةُ وتأويلها أنها تؤثر في الأرض برَعْيِها علامات.

---

(١) في اللسان و (علف). وسمى اللبن لحماً لأنه ينبت اللحم.

وقوله: ﴿وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾.

معنى ﴿مواخر﴾ جواري تجري جرياً، وتشق الماء شقًّا.

﴿وأَلْقى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رواسيَ﴾ جِبَالاً رواسي ثوابت، ﴿أن تميدَ﴾ معناهُ كَرَاهةَ أَنْ تميد ومعنى تميد لا تستقر، يقال ماد الرجل يميد ميداً، إِذَا دِيرَ به والمَيْدَى: الـذين يدار بهم إذا ركبوا في البحر، وأن تميد في موضع نصب، مفعول لها.

﴿وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً﴾.

المعنى وجعـل فيها رَوَاسِيَ وأنهـاراً وسُبُـلاً، لأن معنى ألقى في الأرض رواسي جعل فيها رواسي، ودليل ذلك قوله: ﴿وَالجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[1].

وقوله: ﴿وَبالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

النجم والنجـوم في معنى واحـدٍ، كمـا تقـول: كثـر الـدِّرهَمُ في أيـدي الناسِ وكثرت الدراهم، خلق اللَّه ـ جل ثناؤه ـ النجوم لأشياء منها أنها جُعِلَتْ زينةً للسَّماء الدُّنْيا، ومنها أنها جعلت رُجُوماً للشياطين ومنها أنهـا يُهْتَدى بِهَـا، ومنها أنها يعلم بها عدد السنين والحساب.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

ويقرأ تدعونَ من دون اللَّه بالتاء والياء.

﴿لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

يُعنَى به الأوثانُ التي كانتِ تَعْبُدُهَا العَربُ.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

أي وهم أموات غير أحياء.

وقوله: ﴿وَمَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

أي ما يشعرون متى يبعثون، وأيان في موضع نصْبٍ بقوله يُبْعَثُـونَ ولكنه

---

(١) سورة عم يتساءلون الآية ٧.

مَبني غيرُ منونٍ، لأنه بمعنى الاستفهام فلا يعرب كما لا تعرب كم ومتى وكيف وأين، إلَّا أن النون فتحت لالتقاء الساكنين.

فإن قال قائل: فهَلَّا كُسِرتْ، قيل الاختيار إذا كان قبلَ الساكن الأخير ألف أن يفتح، لأن الفتح أشبه بالألف وأخفّ معها. وزعم سيبويه والخليل أنك إذا رَخَّمْتَ رجلاً اسمه أَسْحَار، قلت يا أَسْحَارَّ ـ بتشديد الراء ـ أقبل، ففتحت الراء لالتقاء الساكنين، وكذلك تختار مع المفتوح الفتح، تقول إذا أمَرْت من غُضَّ: غضَّ يا هذا.

وقوله: ﴿لَا جَرَم أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

معنى ﴿لا جرم﴾ حقٌّ أن اللّه يعلم، ووجب، وقوله: ﴿لا﴾ رَدٌّ لفعلهم، قال الشاعر:

ولقد طعنتَ أبا فَزَارَةَ طعنةً جرمت فزارةَ بعدها أن يغضبوا[1]

المعنى أحقت فزارة بالغضب

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

«ما» مبتدأ، و «ذا» في موضع الذي. المعنى ما الذي أنزل ربكم. وأساطير مرفوعة على الجواب، كأنهم قالوا: الّذِي أَنْزَلَ أساطير الأولين، أي أكاذيب الأولين، واحدها أُسْطورة.

وقوله: ﴿ليحمِلوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، ومِنْ أَوْزَارِ الذينَ يُضِلُّونَهُم بغير علم﴾.

(١) تقدم. ورواية البيت في الخزانة ش ٨٥٠ ـ برفع فزارة فاعلا لجرم وان يغضبوا بدل اشتمال. أي حُقَّ غضب فزارة بعده، وجاء البيت في تفسير الفراء حـ ٢/ ٩ ـ بنصب فزارة بمعنى ان الطعنة كسبتهم الغضب. ففزارة مفعول به وقال الأعلم الشنتمري أن مذهب سيبويه: ـ حقتها للغضب ـ والبيت لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل لغيره ـ وهو يخاطب كرازة العقيلي، وكان طعن أبا عيينة وهو حصن بن حذيفة ابن بدر الفزاري، وانظر العقد ٥/ ٢١١ ـ وأبو أسماء جاهلي، وعطية بن عفيف مخضرم له ترجمة في الاصابة ٥٥٦٤ ـ راجع الشاهد ٨٥٠ في الخزانة، وكتاب سيبويه ١/ ٤٦٩، ومجاز أبي عبيدة ١/ ٢١٤٧.

هؤلاء كانوا يصدون مَنْ أَرادَ اتّباعَ النبي ﷺ، وإذا سُئِلُوا عما أَتى به قالوا الذي جاء، أساطير الأولين، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنهم يحملون بذلك آثام الذين كفروا بقولهم. ولا يُنْقِصُ ذلك من إثم التابع.

وقوله: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

«ما» في موضع رفع، كما ترفع بنعم وبئس، المعنى ساء الشيء وِزْرُهم، هذا كما تقول: بئسِ الشيءِ.

وقوله: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾.

أي من أساطين البناء التي تعْمِده[1].

﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

يروى أن ذلك في قصة نَمْرُودَ بنِ كنعانَ، بنى صَرْحاً يَمْكُرُ بِهِ[2] فخر سقفه عليه وَعَلى أَصْحَابِه، وقال بعضهم: هذا مثل، جعلت أعمالهم التي عملوها بمنزلة الباني بناء يسقط عليه فمضرة عملهم عليهم كمضرَّةِ الباني إذا سقط عليه [بناؤه].

وقوله: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾.

و ﴿تشاقُّون فيهم﴾ بكسر النونِ، وقد فسرنا مثل هذا، وإنما... شركائي حكاية لقولهم، واللَّه ـ جل ثناؤه ـ لا شريك له. المعنى أين الذين في دعواكم أنهم شركائي.

﴿فَأَلْقَوُا إِلَيْهِمُ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾.

أي ألقوا الاستسلام، وذكر السَّلَمَ، والسَّلَمُ الصُّلحُ، لذكره المُشَاقَّةَ، وبإزاء المشاقة والمعاداة الصلح.

---

(١) في الأصل الذي يَعْمِدُ. وتصح ببناء الفعل للمجهول.

(٢) يدبر به مكيدة.

﴿مَا كُنَّا نَعْمَل مِنْ سُوءٍ، بَلَى﴾.

أي قالوا: ما كنا نعمل من سوء.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾.

«ما» و «ذا» كالشيء الواحد، والمعنى أي شيء أنزل ربكم.

﴿قَالُوا خَيراً﴾.

على جواب «ماذا» المعنى «أنزل خيراً».

﴿لِلَّذينَ أَحْسَنُوافِي هَذِه الدُّنيَا حَسَنَةٌ﴾.

جائز أن يكون هذا الكلام ذُكِرَ لِيَدُلَّ عَلَى أن الذي قالوه اكتسبوا به حسنة، وجائز أن يكونَ تفسيراً لقولهم خيراً، وحسنةٌ، بالرفع القراءةُ. ويجوز «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِه الدُّنْيَا حَسَنَةً»، ولا تقرأن بها، وَجوازُهَا أن معناها أَن «أنزل خيراً» - جعل للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنةً، أي جَعَلَ لَهُمْ مكافأةً في الدنْيَا قَبْلَ الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾.

المعنى، ولنعم دار المتقين دارُ الآخرة، ولكنَّ المبيَّنَ لقوله «دار المتّقين» [هو] قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾.

وهي مرفوعة بإضمار «هي» كأنك لما قلت، ولنعم دار المتقين على جواب السائل أَيْ دَارٌ هي هذه الممدوحة، فقلت: جنات عَدْنٍ يدخلونها. وإن شئت رفعت على الابتداء، ويكون المعنى: جناتُ عَدْنٍ نعمَ دارُ المتقين.

وقوله: ﴿هَلْ يَنْظُرونَ إلَّا أَنْ تَأْتِيهُمُ المَلائِكَةُ﴾.

[أي] لقبض أرواحهم، أو يأتي ما وَعَدَهُمُ اللَّهُ به من عذابه.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُم اللَّهُ﴾.

أي كذلك فعلوا فأتاهم أمر اللّه بالعذاب، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا، ولا حَرَّمْنَا مِنْ دُونه مِنْ شَيْءٍ، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

هذه الآية وأشباهها فيه تنازع وينبغي أن يقف أهل القرآن والسنة على حقيقة تفسيرها لأن قوماً زعموا أن من قال هذا فقد كفر وأن من قال من العباد أن لا يفعل إلاّ ما شاء اللّه فقد كفر، وهذا تأويل رَديءٌ، وإنما كفر أولئك وكذبوا، لأنهم كانوا يقولون: لو شاء اللّه ما عبدنا من دونه من شيء على جهة الهزؤ، والدليل على ذلك أنَّ قوْمَ شعيب قالوا لشعيب: ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُد آبَاؤُنَا، أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الحكِيمُ الرَّشِيدُ﴾(1). فلو قالوا له هذا معتقدين لكانوا مؤمنين(2)، وإنما قالوه مستهزئين، وقد اتفقت الأمَّةُ على أن اللّه لو شاء ألاَّ يُعْبَدَ غيرُه مَشِيئَةً اضطرارٍ إلى ذلك لم يقدر أحد على غير ذلك، ولكن اللَّهَ جل ثناؤه تَعَبَّد العبادَ وَوَفَّقَ من أحبَّ تَوْفيقه، وأضل من أحب إضْلاَلَه، وهؤلاء قالوا هذه مُحقِّقِينَ ما قيل لهم أنهم مكذبون إذ كان الإجماع على أن اللّه - عز وجل - يقدر على أن يجْبُرَ العبادَ على طاعته وأعلم اللّه أنهم مكذبون كما كذَّبَ الذين من قبلهم فقال:

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ﴾..

أي الإبْلاغ الذي يُبَيِّنُونَ مَعَهَ أَنَّهم أنبياء.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً إِنِ اعْبُدوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.

فأعلم اللّه أَنَّهُ بَعَثَ الرُّسُلَ بالأَمْر بالعِبَادةِ، وهو من وراء الإضلال والهداية، فقال:

---

(1) سورة هود الآية ٤٦.

(2) لو قالوا لشعيب: «إنك لأنت الحليم الرشيد» عن عقيدة ما كفروا ولكنهم قالوه هزؤا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيهِ الضَّلاَلَةُ﴾.

فهذا يدل على أنهم لو قالوا ذلك معتقدين لكانوا صادقين، ثمَّ أكَّدَ ذلك فقال:

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يَضِلُّ﴾.

وقرئت فإن اللَّه لا يهدي من يُضِلُّ، كما قال:﴿من يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ له﴾[1]. وَفيها وجه ثالث في القراءة. . «لاَ يَهْدِي مَنْ يَضل» وهو أقل الثلاثة[2].

وقوله: ﴿بَلَى وَعْداً عَلَيْه حَقًّا﴾.

﴿وعداً﴾ منصوب مُؤَكَّد، المعنى بلى يبعثهم اللَّه وعداً عليه حقاً، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمَ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

فهذا على ضربين، جائز أن يكون معلقاً بالبعث، ويكون المعنى: بلى يبعثهم اللَّه لِيُبيِّن لهم وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، وجائز أن يكون ﴿لِيُبَيِّن لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فيه﴾ معلقاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً﴾ لِيُبَيِّنَ لهم اختلافهم، وأنهم كانوا مِن قبله على ضلالة.

وقوله ـ عزّ وجلَّ ـ :﴿إنَّما قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ له كُن فيَكُونُ﴾.

القراءة الرفع[3]، وقد قرئت بالنصب، فالرفع على فهو، ويكون على معنى ما أراد اللَّه فهو يكون، والنصب على ضربين أحدهما أن يكون قوله فَيَكونَ عَطْفاً على «أَنْ نَقُولَ فيكونَ». ويجوز أن يكون نصباً على جواب «كن» فـ (قَوْلُنَا) رفع بالابتداء، وخبره «أن نقول»، المعنى إنما قولنا لكل مرادٍ قولنا كن، وهذا خوطب العباد فيه بِمَا يعْقِلُونَ وما أراد اللَّه فهو كائن على كل حال،

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

(٢) الكوفيون «يَهْدي» ـ وضعفه أن معناه من ضَلَّ بنفسه فإن اللَّه لا يهديه، واللَّه سبحانه يهدي من يشاء.

(٣) في يكون.

وعلى ما أراده من الإسراع ولو أراد خلق الدنيا - السموات والأرض - في قدر لمح البصر لقدر عَلَى ذلك ولكن العباد خوطبوا بما يعقلون، فأعلمهم اللَّه سهولة خلق الأشياء عليه قبل أن تَكُونَ، فأعلم أنه متى أراد الشيء كان، وأنه إذا قال كن كان. ليس أن الشيء قبل أن يخلق كان موجوداً، إنما المعنى: إذا أردنا الشيء نقول من أجله «كن» أيُّها المُرادُ فيكون على قدر إرادة اللَّه، لأن القَوْمَ أعنِي المشركِين أنكروا البعث، ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾(١).

وهو معنى قوله: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ﴾(٢) أي كانوا يحلفون أنهم لا يبعثون. ولقد جاء في التفسير أن الحنثَ الشِّرْكُ لأن من اعْتَقَدَ هذا فضلاً أن يحلف عليه فهو مشرك. فقال جلّ وعلاّ.

﴿بَلَى وَعْداً عَليه حَقًّا﴾.

أي بلى يبعثهم وعداً عليه حقاً، وحقاً منصوب مصدر مؤكد لأنه إذا قال يبعثهم دل على «وعد بالبعث وعداً».

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا في اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ولأَجْرُ الآخِرةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء قوم كان المشركون يعذبونهم على اعتقادهم الإيمان منهم صهيب وبلال، وذلك أن صُهَيباً قال لأهل مكة: أنا رجل كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضركم، خذوا مالي وَدَعُوني فأعطاهم ماله وهاجر إلى رسول اللَّه ﷺ فقال له أبو بكر الصديق: رَبِحَ البيع يا صهيب، وقال عمر: نعم الرجل صهيب لو لم يخف اللَّه لم يعصه، تأويله لو أنه أمن

---

(١) ترتيب الآية: ﴿وأقسموا بالله جَهْدَ أَيْمَانِهِم لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يموت، بلى وَعْداً عليه حقاً﴾.
(٢) سورة الواقعة الآية ٤٦.

عذابه وعقابه لما ترك الطاعة ولا جنح إلى المعصية لأمنه العذاب.

ومعنى ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾.

[أي] لأنهم صاروا مع النبي ﷺ ودخلوا في الإسلام وسمعوا ثناء اللَّه عليهم.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالاً يُوحَى﴾.

و﴿نوحِي إليهم﴾، ويُوحِي إليهم. أما القراءتان الأوليان فجيدتان والثالثة ضعيفة لذكره أرسلنا. فأن يكون اللفظ على نوحِي ويوحَىٰ أحسن، لأن نوحي يوافق اللفظ والمعنى، ويوحى إنما هو محمول على المعنى، لأن المعنى: وما أرسل اللَّه إلا رجالاً يوحى إليهم. وإنما قيل لهم لأنهم قالوا لولا أنزل عليه ملك أو جاء مع نذير، فأعلم اللَّه - جلّ وعزّ - أن الرسل بشر إلا أنهم يوحى إليهم. ثم أعلم كيف يستدل على صحة نبُوتِهِمْ فقال:

﴿بِالبيّنَاتَ والزُّبُرِ﴾.

أي بالآيات والحجَج، والزُّبُرُ الكُتُب، واحدها زَبُورٌ، يقال زَبَرْتُ الكتابَ وذَبَرْتُه بمعنى واحد، قال أبو ذؤيب:

عرفت الديار كرقم الوحِيّ   يَذْبِرُها الكاتِبُ الحميرِيُّ(١)

وقَوله: ﴿فَاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

فيها قولان، قيل فاسألوا أهل الكتب أهل التوراة والإنجيل وأهل جميع

---

(١) يروى: عرفت الديار كرقم الدواة - ويروى «الدَّوِيّ» وهو بمعنى الدواة، وقال الأصمعي: نظر حميرى إلى كتاب فقال: أنا أعرفه بـزبْري - وَيُرْوَى بزبرتي -، وقيل الزبر العلم واستشهد بهذه الجملة، أي أعرفه بعلمي - انظر ديوان الهذليين١/٦٤، مجاز أبي عبيدة ١٥/٣٥٩.

(٢) الآية كاملة المعنى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذّكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزُّبُر، وأنزلنا إليك الذكر﴾.

الكتب يعترفون أن الأنبياء كلهم بشر. وقيل ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكر﴾ أي فاسألوا مَنْ آمَنَ من أهل الكتاب. ويجوز والله أعلم ـ أن يكون قيل لهم أسألوا كلَّ من يُذْكَرُ بعلمٍ وافق أهل هذه الملة أو خالفهم.

والدليل على أن أهل الذكر أهل الكتب قوله تعالى: ﴿وأنْزَلْنا إليْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إلَيْهِمْ﴾، وقوله: ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾[1].

وقوله: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ﴾.

أي أفأمنوا أَنْ يَفْعَلَ بهم ما فَعَلَ بقوم لوط، والذين أهلكوا من الأمم السالفة بتعجيل العذاب في الدنيا.

﴿أَوْيَأْتِيَهُمُ العَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرونَ﴾.

عطف على ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾.

﴿أَوْ يأْخُذَهُمْ في تَقَلُّبِهِمْ﴾ أي فِي تَصَرُّفِهِم في أسفارهم، وَسَائِرِ مَا يَنْقَلِبُونَ فِيه.

﴿أو يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾.

أي أو يأخذهم بعد أن يخيفهم، بأن يهلكَ فرقة فَتخافَ الَّتي تليها. وقيل على تخوف على تنقص، ومعنى التنقص أن ينتقصهم في أموالهم وَثِمَارِهِمْ حتى يهلِكَهُمْ.

ويروى عن عُمَرَ قَال: ما كنت أدري ما معنى أو يأخذهم على تخوف حتى سمعت قول الشاعر[2]:

---

(١) الآية ٥٠ من سورة الأنبياء.

(٢) هو ابن مقبل (اللسان ـ خوف).

التامك السنام المرتفع، والمكتنز ـ وناقة تامك عظيمة السنام وأتمكها المرعى، والقِرد المتلبد الشعر ـ والسَّفْنُ القشر، مصدر «سَفِنَ» بمعنى بَرَى وقشر، والسَّفِنُ الفأس التي يُقْشَرُ وينحت بها ـ والقدُّوم. والنبع شجر قوي تتخذ منه القِسيُّ ـ يقول إن ناقته أضناها السفر وبراها كما يبري صانع القسي عود النبع فيجعله دقيقاً.

تخـوف السَّيْـرُ منهـا تَـامِكـا قـرِداً   كمـا تَخَـوَّفَ عـودَ النَّبْعـةِ السَّفِنُ

يصف ناقة وأن السير تنقص سنامها بعد تمكنه واكتنازه.

وقوله:﴿فإنَّ ربَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من رحمته أن أمهل فجعل فسحةً للتوبةِ

وقوله:﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شيءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُه عَنِ اليَمِينِ﴾.

... وتقرأ تتفيأ ظلاله.

﴿سُجَّداً﴾ منصوب على الحال.

﴿وَهُمْ دَاخِرُون﴾.

ومعنى ﴿دَاخِرُونَ﴾: صَاغِرُونَ، وهذه الآيـة فيهـا نـظر، وتـأويلهـا ـ واللَّه أعلم ـ أن كـل ما خلق اللَّه مِنْ جِسْم وعـظمٍ ولحم ونجْم وشَجَرٍ خـاضـع للَّه سـاجدٌ، والكـافر إن كَفـر بقلبه ولِسَـانه وقصْـدِه فنفس جسمه وعـظمه ولحمـه وجميع الشجر والحيوان خاضعة للَّه ساجدة. والدليل على ذلك قـوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ والقَمْرُ والنُّجُـومُ والجِبَالُ والشَجَرُ والدَّوابُّ وَكَثيرٌ مِنَ النَّاسِ وكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيه العَذَابُ﴾[1].

روي عن ابن عباس أنه قال: الكافر يسجد لغير اللَّه، وظلُّه يسجُدُ للَّه. وتأويل الظل تأويل الجسم الذي عنه الظل.

وقوله: ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾.

أي هذه الأشياء مجبولة على الطاعة.

وقـولـه: ﴿وَلِلَّه يَسْجُدُ مَا فِي السَّمـواتِ وَمَـا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّـةٍ والملائكَةُ﴾.

المعنى وللَّه يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة

---

(١) سورة الحج. الاية ١٨.

والملائكة، أي وتسجد ملائكة الأرض، والدليل على أن الملائكـة في الأرض أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(١) وقوله: ﴿له مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْه وَمِنْ خَلْفه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْر اللَّهِ﴾(٢) وقوله: ﴿وإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً﴾(٣).

وقوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، يَخافُونَ رَبَّهُم مِنْ فَوْقِهِمْ﴾.

أي يخافون ربهم خوف مُخْلِدِين(٤) مُعظِّمين.

﴿ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾.

وصفهم بالطاعة وأنهم لا يجاوزون أمراً له ولا يتقدمونه.

وقوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾.

قيل معناه دائماً، أي طاعة واجبة أبـداً، ويجوز ـ والله أعلم ـ أن يكـون ﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً﴾ أي له الدين والطاعة، رضي العبد بما يؤمر به أو لم يَرْضَ، وسهـل عليه أو لم يسهـل، فله الدين وإن كـان فيه الـوَصَبُ. والـوَصَبُ شـدَّةُ التعب. ثم قال:

﴿أَفَغَيرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾.

أي أفغير الله الذي قد بَانَ لكم أَنَّه وحـده، وأنه خـالق كل شيء وأن ما بكم من نِعمةٍ فمن عنده، وأنـه لو أراد إهـلاككم حين كفرتم وألَّا يُنْـظِرَكم إلى يوم التوبة لقدَرَ، وأَعْلَم أنه مع إقامته الحجج في أنه واحِدٌ، وأنه أَمَـر ألَّا يُتَّخَذَ معه إله [عبدوا غيره](٥) لأنهم قالوا عن الأصنام: ﴿مَا نَعْبُدُهُم إلَّا لِيُقَرِّبُـونَا إلَى

---

(١) سورة ق. الآية ١٨.

(٢) سورة الرعد. الآية ١١.

(٣) سورة الانفطار. الآية ١٠ ـ ١١.

(٤) في الأصل مُحِلين.

(٥) زيادة لا بد منها لأن الجملة خالية من الخبر.

اللَّه زُلْفَى﴾[١]. فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن لا إله إلاّ هو، ولا يجوز أن يَعْبد غيره، وَإن قَصد التقرِبَ بالعبادة للّه وحده، فقال ـ جلّ وعلاّ ـ:

﴿[وقال اللَّه] لاَ تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾.

فذكر اثنين توكيداً لقوله إلٰهَيْن، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

وقوله: ﴿وَمَابِكُمْ مِنْ نُعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.

دخلت الفاء، ولا فعل ههنا لأن الباء متصلة بالفعل[٢]، المعنى ما حل بكم من نعمةٍ فمن اللَّه، أي ما أعطاكم اللَّه من صحة جسمٍ أو سعة في رِزْقٍ، أو متاع بمالٍ أو ولد فكل ذلك من اللَّه.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْه تَجْأَرُونَ﴾.

أي إليه ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، يقال: جأر الرَّجُلُ يَجأرُ جُؤاراً، والأصوات مبنية على فُعَال وفَعِيلٍ، فأما فُعال فنحو الصُّراخ، والجُؤَار، والبُكاء. وأما الفَعِيل فنحو العويل والزئير، والفُعَالُ أكثر.

وقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ منكم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

هذا خاص فيمن كفر به.

وقوله: ﴿ليكفروا بما آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي ليكفروا بأنا أنعمنا عليهم، أي جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم

---

(١) سورة الزُّمر. الآية / ٣.

(٢) «ما» في «وما بكم» إما موصولة وإما شرطية، ولا فعل في حيزها سواء في الصلة أو فعل الشرط، وقد قدر المؤلف فعلا يتعلق به الجار في «بكم» ولا داعي لهذا غير أنه يجاري الكوفيين في تقدير فعل يتعلق به الجار أما الفاء فلأن الجملة اسمية.

سبباً إلى الكفر كما قال تعالى: ﴿ربنا إنك آتيْتَ فرعونَ ومَلأَهُ زينةً وأمْوَالاً في الحياة الدُّنْيا، ربَّنا ليُضِلوا عَنْ سَبيلكَ﴾(١). ويجوز أن يكون ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي ليَجْحَدُوا نعمة اللَّه في ذلك، كما قال:

﴿أفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وَقوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

لم يأمُرْهُمْ اللَّه جلّ وعلاّ أن يتمتعوا أمْرَ تَعَبُّدٍ، إنما هو لفظ أمْرٍ ليهدِّدَ كما قال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا﴾(٢). أي فَقَدْ وَعَد اللَّه وأوعَدَ وأنذر وبالغت الرسُلُ فمن اختار بعد ذلك الكفر والتمتع بما يباعد من اللَّه فسوف يعلم عاقبة أمره. وقد بين اللَّه عاقبة الكفر والمعصية بالحجج البالغة والآيات البينات.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾.

[هو] معنى قوله [تعالى]: ﴿فقالوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنا﴾(٣) فجعلوا نصيباً يتقربون به إلى اللَّه تعالى، ونصيباً يتقربون به إلى الأصنام والحجارة.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾.

أي تاللَّه لتسألُنَّ عنه(٤) سؤال توبيخ حتى تعترفوا به على أنْفُسِكُمْ، وتُلْزِمُوا أنفسَكُم الحجة.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ﴾.

لأنهم زعموا أن الملائكة بنات اللَّه، ﴿سبحانه﴾ معناه تنزيهاً له من السُّوءِ.

﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

(١) سورة يونس. الآية ٨٨.

(٢) سورة الإسراء. الآية ١٠٧.

(٣) سورة الأنعام. الآية ١٣٦.

(٤) في الأصل عن سؤال توبيخ.

[...] في موضع رفع لا غير، المعنى سبحانه ولهم الشيءُ الذي يَشتهَـون كمـا قال: ﴿أم له البنات ولكم البَنُونَ﴾[١]. فإن قـال قائـل لم لا يكـون المعنى وَيَجْعَلُونَ لَهُمْ ما يَشْتَهُونَ. قيل العربُ تستعملُ في هذا الموضع: جعل لِنَفْسِهِ ما يشتهي، ولا يقولون جَعَل زيدٌ له ما يَشْتَهِي، وهو يعني نفسه، ثم أعلم أنهمْ يَجْعَلُونَ للَّه البنات. [فقال]:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾.

فيجعلون لمن يعترفون بـأنه خـالقهم البنَاتِ الـلَّاتِي مَحَلُّهُنَّ منهم هـذا المحل[٢]. ومعنى ظَلَّ وجهُهُ مُسْوَدًّا، مُتَغيِّراً تَغَيُّرَ مَغْمُوم. ويقال لكـل من لقِي مكروهاً: قد اسود وجهه غماً وحُزْناً، ومِنْ ذلك قولك سوَّدْت وجه فُلَانٍ

وقوله: ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾.

قيل كان الرجل في الجاهلية إذا حزبَ امرأتَهُ المخاضُ توارى لكي يعلم ما يُوَلَدَ لَهُ، فإن كان ذكراً سُرَّ بـه وابْتهج، وإن كـانت أنثى اكْتَأَبَ بهـا وحَزِنَ، فمنهم من يَئِدُ ولَدَهُ[٣] يَدْفِنُها حَيَّـةً، أو يمسكها على كـراهة وهَـوَانٍ. فقال اللَّه تعالى: ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِـهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُـونٍ أَمْ يَدُسُّـه فِي التُّرابِ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

أي ألَا سَـاءَ حُكْمُهُمْ في ذلـك الفِعْـلِ وفي جعلهم للَّه البنـاتِ وجعلهم لأنفسهم البنين، ونَسْبِهم للَّه اتخاذ الوَلَد.

وقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

معنى ﴿عليها﴾ على الأرض، ودل الإضمار على الأرض لأن الـدَّوَابَّ إنما هي على الأَرْض.

---

(١) سورة الطور الآية ٣٩.

(٢) ينسبون البنـات للَّه، ومكانة البنـات في أنفسهم هذه المكانة البغيضة.

(٣) ولده، أي المولود الذي ولد له، وولد تطلق على الذكر والأنثى.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾.

جاء في التفسير [أنه] قوله: لا إله إلاَّ اللَّهُ، وتأويله أن اللَّه ـ جل ثناؤه ـ له التوحيد، ونفي كل إله سواه.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾.

أي يجعلون لِلَّه البنات اللاتي يكرهَونَهُنَّ.

وقوله: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُم الكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الحُسْنَى﴾.

﴿انَّ﴾ بدلٌ من ﴿الكذب﴾ المعنى وتصف أَلسنتهم أَنَّ لهم الحُسْنَى، أي يصفون أن لهم ـ مع فعلهم هذا القبيح ـ من اللَّه جل ثناؤه ـ الجزاء الحسن[1].

وقوله: ﴿لا جَرَمَ أنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾.

«لَا» ردٌّ لقولهم. المعنى ـ واللَّه أعلم ـ ليس ذلك كما وصفوا، جرم أن لهم النَّارَ، المعنى جَرَمَ فعلُهم هذا أن لَهُم النارَ، أي كسب فعلهم أن لهم النَّارَ. وقيل إنَّ «أَنَّ» في موضع رفع، ذكر ذلك قطربٌ، وقال المعنى أنَّ لهم النَّار.

﴿وأَنَّهم مُفْرَطُونَ﴾.

فيها أربعة أوْجُهٍ: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بإسكان الفاء وفتح الراء، ومُفَرَّطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وبفتحها، ومُفْرِطُونَ ـ بإسكان الفاء وكسر الراء، ومُفَرِّطُونَ بفتح الفاء وتشديد الراء وكسرها.

فأما تفسير مُفْرَطونَ، ومُفَرَّطونَ فجاء عن ابن عباس، متروكون وقيل عنه: مُعْجَلُونَ. ومعنى الفَرْط في اللغة: التَّقدم، وقد فرط إليَّ منه قولٌ أي

---

(١) يدعون أن اللَّه سيجزيهم جزاء حسناً، مع هذا الفعل القبيح الذي فعلوا.

تَقَـدَّمَ، فمعنى مُفْرَطُـونَ مُقَدَّمُـونَ إلى النـار، وكـذلـك مُفَـرَّطُـون، ومن فسَّـرَ متروكون فهو كذلك، أي قد جُعِلُوا مُقَدَّمِين في العذاب أبداً متروكين فيه.

ومن قرأ مُفَرِّطُـونَ، فالمعنى أَنـه وَصْفٌ لهم بأنهم فَـرَّطُوا في الـدنيا فلم يعملوا فيها للآخرة. وتصديق هذه القراءة قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[1].

وَمَنْ قَـرأَ مُفْرِطُـونَ، فالمعنى على أنهم أفْـرَطُـوا في مَعْصِيـةِ اللَّه، كَمـا تقول: قد أفرط فلان في مكروهي.

وتأويله أنه آثر العجْزَ وقدَّمه[2].

وقوله :﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَـابَ إلاَّ لِتُبيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُـوَا فِيهِ وَهُـدًى وَرَحْمَةً [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ]﴾.

بِنَصْب﴿رَحمَةً﴾المعنى: وما أنزلنا عليـك الكتابَ إلا هُـدًى ورحمةً، أي ما أنزلنَاهُ عليك إلا للهداية والرحمة، فهو مفعول لـه. ويجوز: وهـدًى ورحْمَةٌ في هذا الموضع، المعنى: وما أنزلنا عليك الكتاب إلاَّ لِلْبيَانِ وهو ـ مع ذلك ـ هدًى ورحْمَةٌ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ في الأَنْعَامِ لَعِبْرةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطونِه﴾.

وتقـرأ نَسْقِيكم، ويقال سَقيتُـهُ وأَسْقَيْتُهُ في مَعْنى وَاحـدٍ[3]. قال سيبـويه والخليل سقيته كما تقول نَاوَلْتُه فشرب. وأسقيتُهُ جعلت له سقياً، وكذلك قـول الشاعر يحتمل المذهبين[4]:

(١) سورة الزُّمَر ٥٦.

(٢) تأويل لا جرم أنَّ لهم العذاب. أن هؤلاء آثروا الراحة.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر بالفتح. من الثلاثي.

(٤) هو لبيد بن ربيعـة العامـري.. والبيت في ديوانه ١٢٨/١، ورواه أبـو عبيدة في مجـازه ٣٥٠/١،

سَقَى قَوْمِي بني مَجْدٍ وأَسْقَى   نُمَيْراً والقبائل من هلال

وهذا البيت وضعه النحويُّونَ على أنَّه سَقَى وأسْقَى بمعنى واحد، وهو يحتمل التفسير الثاني.

والأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، يقال هو الأنعام وهي الأنعام. نسقيكم مما في بطونه، وفي موضع آخر ﴿مما في بطونها﴾[1]. فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن في إخْراجه اللَّبَن ﴿من بيْنِ فَرْثٍ ودَمٍ﴾ دَلِيلاً على قدرةٍ لا يقدِر عليها إلا اللَّه الذي ليس كمثله شيء.

وقوله عَزّ وجلّ: ﴿وَمِنْ ثَمَراتِ النَّخِيل والأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً، إن في ذلك لآيةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

أي فيما بيَّنا علامةٌ تدل على توحيد اللَّه.

وقالوا في تفسير قوله: ﴿سَكَراً وَرِزْقاً حَسَناً﴾ إنه الخمرُ من قبل أن تحرَّمَ، والرزق الحسَنُ يؤكل من الأعناب والتُّمُوِرِ. وقيل إن معنى السكر الطعم وأنشدوا:

جعلت أعراض الكرام سَكَراً[2]

أي جعلتَ دَمَهُم طُعماً لك. وهذا بالتفسير الأوَّلِ أشبَهُ، المعنى جعلْتَ تتخمَّرُ بأعراضِ الكرام، وهو أبين - فيما يقال: الذي يتبرك[3] في أعراض الناس.

= والأعلم الشنتمري ٢/٢٣٥ وكذلك في اللسان (سقى). والذي أنكره هو الأصمعي، قال لو كان شاعراً مطبوعاً ما استعمل غير لغة قومه ولا يستعمل لغتين: وانظر معاني الفراء ٢/١٠٨.

(١) سورة المؤمنون الآية ٢١.

(٢) قال أبو عبيدة في مجازه ٥/٣٦٣ أنه لجندل ولم يبين من هو جندل وأبو عبيدة هو الذي جعل السكر الطعام، ولم يقله غيره، وأنكر ذلك الزجاج، انظر اللسان (سكر). والطبري ١٤/٨٤، والقرطبي ١٠/١٢٩.

(٣) تخوض فيها كما يبرك الجمل في مبركه.

وقوله:﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتخذي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾.

وبِيوتاً. فمن قرأ بُيُوتاً بَالضَّم فهو القياس، مثل كعب وكُعُوب وقلْب وقُلُوبُ، ومن قرأ بِيُوتاً بالكسر فهذا لم يذكر مثله أحَدٌ من البَصْرِيّينَ لأنهم لا يجيزون مثله. ليس في الكلام مثل فِعُل ولاَ فِعُول، والذين قرأوا به قلبوا الضمة إلى الكسرة من أجل الياء التي بعْدَها.

ومعنى الوحي في اللغة على وجهين يرجعان إلى معنى الإعْلامِ والإفهَام فمن الوحي وَحْيُ اللَّه إلى أنبيائه بما سمعت الملائكة من كلامه، ومنه الإلهام كما قال اللَّه: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ إلى ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَها﴾[1] معناهُ أَلْهمَهَا. فاللَّه أوحى إلى كل دابَّةٍ وذِي رُوحٍ في التماس منافعها واجتناب مضارِّهَا، فذكر من ذلك أمر النحل، ـ وواحدُ النَّحْلِ نحلةٌ، مثل نخل ونخلة ـ لأن فيها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه أعظم معتبر بأنْ ألهمَها اتخاذَ المنازل والمساكن، وأن تأكل من كل الثمرات على اختلاف طعومها.. ثم سهل عليها سبيل ذلك فقال جلّ وعزّ:﴿ثمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فاسلُكِي سُبُلَ ربِّكِ ذُللاً﴾ أي قد ذللها اللَّه لك وسهل عليك مَسَالِكَها.

ثم قال:﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه﴾ [2].

فهي تأكل الحامض والمر وما لا يُوصَف طعمه فيُحِيلُ اللَّه ذلك عَسَلاً يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها ولكنه قال:﴿مِنْ بُطونِهَا﴾، لأن استحالة الأطعمة لا تكون إلاّ في البطون فيخرج بعضها من الفم كالرّيق الدائم

---

(١) تمام الآية: ﴿وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن رَبّك أوحى لها﴾ سورة الزلـزلة، (٢ ـ ٥).

(٢) الآية: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النحل أنِ اتَّخِذِي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سُبَلَ ربكِ ذُلَلًا يَخْرَجُ من بُطونِها شَرَابٌ مختلفٌ الوانه﴾.

الذي يخرج من فم ابن آدم، فالنحل تخرج العسلَ من بطونها إلى أفوَاهِهَا.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾.

في هذا قولان، قيل إن الهاء يرجع على العَسَل، المعنى في العَسَلِ شفاء للناس. وقيل إن الهاء للقرآن، المعنى في القرآن شفاءٌ للنّاس وهذا القول إذا فسّرَ علم أنه حَسَنٌ، المعنى فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن اللَّه واحد شفاء للناس. والتفسير في العَسَل حسنٌ جدًا.

فإن قال قائل: قد رأينا من ينفعهُ العسلُ ومن يضره العسل، فكيف يكون فيه شفاء للناس، فجواب هذا أن يقال له الماء حياة كل شيء فقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يصادف من علة في البدَنِ، وقد رأينا شفاء العسل في أكثر هذه الأشربة، لأن الجَلَّاب[1] والسكنجبين[2]، إنما أصلهما العَسَلُ، وكذلك سائر المعجونات. وهذا الاعتراض في أمْر العَسَلِ إنما هو اعتراض جهلة لا يعرفون قدرة في النفع، فأما من عرف مقدار النفع فهو وإن كان من غير أهل هذه الملةِ فهو غير رافع أنَّ في العَسَلِ شفاءً.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم ثُمَّ يَتَوفَاكُمْ وَمِنْكُم من يُرَدُّ إلى أرْذَلِ العُمُرِ لكي لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

أي منكم من يكبر ويُسِنُّ حتّى يذهب عقله خَرَفاً فيصير بعدَ أنْ كَانَ عَالماً جاهلاً، والمعنى - واللَّه أعلم - ﴿لكيلا يَعْلم بعد علمٍ شيئاً﴾ أي ليريكم من قدرته أنه كما قدر على إمَاتَتِه وإحْيَائِه أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهْلِ. وأعلم - عزّ وجلّ - أن الموتَ والحياةَ بيدِه، وأنه [الإنسان] قد

(١) الجلاب: ماء الورد: فارسي معرب.

(٢) السكنجبين: فارسي أيضاً معرب وهو شراب عذب يتطبب به.

يَتغذَّى بالأغـذية التي يَتَعَمَّـد(١) فيها الغـاية في الصَّـلاح والبقاءِ، فـلا يقدِرَ أن يزيدَ في مقدار مُدَّته شيئاً.

وقـوله: ﴿وَاللَّهُ فَضَّـلَ بَعْضَكُم عَلَى بَعْضٍ في الـرِّزْقِ فَمـا الَّـذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ﴾.

أي قد فضل اللَّه الملاَّكَ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ، فجعـل المملوك لا يقدر عَلَى مِلْكٍ مع مَوْلاَه وأعلم أن المـالك ليس يَـرُدُّ على مملوكَه من فضـل ما في يـده حتى يستوي حالهما في المُلكِ. وقيل لهم: إنكم كلكم من بني آدم، وأنتم لا تسـوون بينكم فيما ملكت أيمـانكم، وأنتم كلكم بَشـرٌ. فكيف تجعلون بعض الـرزق الـذي رزقكم اللَّه لـه، وبعضَـهُ لأصنـامكم، فتشـركـون بينَ اللَّهِ وبين الأَصْنَامِ، وأنتم لا تَرْضَوْنَ لأنفسكم فيمن هو مثلكم بالشركَة.

وقوله: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

فيهـا وجهـان: يجـوز أن يكـون، أَفَبِـأَنْ أَنْعَمَ اللَّه عليكم اتَّخَـذْتُمْ النعم لتجحدوا وتشركوا به الأصنام. وجائز أن يكون ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾: أفبما أنعم اللَّه عليكم بأن بَيَّن لكم ما تحتاجون إليه تجحدون.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾.

جاء في التفسير أن اللَّه خلق حَوَّاءَ مِنْ ضِلعٍ من أضلاع آدم، فهو معنى جعَل لكُمْ من أَنْفُسِكُمْ أزواجاً أي من جنسكم.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وحَفَدَةً﴾.

اختلف النـاس في تفسيـر الحَفَـدَة، فقيـل الأولاد، وقيـل البنـات وقيـل الأختان، وقيل الأَصْهَارُ، وقيل الأَعْـوَانُ. وحقيقة هـذا أن اللَّه عزّ وجـلّ جعل

---

(١) عمد وقصد، بأن اختار.

من الأزواج بنين وَمَنْ يعاوِنُ على ما يحتاج إليه بِسُرْعَةٍ وطاعةٍ، يقال حَفَدَ يَحْفِدُ حَفْداً وحَفَداً وحَفَدَاناً إذا أسْرع. قال الشاعر:[1]

حَفَدَ الولائدُ بينَهُنَّ وأسْلمت بِأَكُفِّهِنَّ أزِمَّةُ الأجْمال

معناهُ أسْرَعُوا في الخِدْمة.

وقوله:﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾.

أي لا تجعلوا للَّه مثلاً لأنه واحد لا مثل له، جلَّ وعزَّ، ولا إلـٰه إلاَّ هُوَ - عزَّ وَجَلَّ. ثم ضرب لهم المثل فقال:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾.

فأعلم اللَّه - جلَّ وعزّ - أنَّ الاثنين المتساويين في الخلق إذا كان أحدهما مقتدراً على الإنفاق مالكاً والآخر عاجزاً لا يقدر على أنْ ينفق لا يستَوِيَانِ، فكيف بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تَعْقلُ وَبَيْنَ اللَّه عزّ وجلّ الذي هو على كل شيء قديرٍ، وهو رازقُ جميع خلقه، فبين لهم أمْرَ ضلالتهم وبُعْدِهم عن الطريق في عبادتهم الأوثان، ثم زاد في البيان فقال جلَّ وعزَّ:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾.

والأبكم المطبق الذي لا يسمع ولا يُبْصِر ولا يَعْقِل، ثم قال:

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾.

أي على وَلِيّه

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ، هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

---

(١) البيت في اللسان (حَفَد) ولم أقف على قائله.

أي هل يستوي القَادر التام التمييز والعاجز الذي لا يحس ولا يأتي بخير، فكيف يسوون بين اللَّه وبين الأحجار.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمواتِ والأَرْضِ﴾.

ومعناه ـ واللَّه أعلم ـ: وللَّه عِلْمُ غيبِ السَّمواتِ والأَرْضِ

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ﴾.

والساعةُ اسم لإِمَاتَةِ الخَلق وإِحْيائِهِمْ. فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنّ البَعْثَ والإِحْيَاءَ في قدرته ومشيئته ﴿كلمح البصر أو هو أَقْرَبُ﴾ ليس يريد أنَّ السَّاعةَ تأتي في أقربَ من لمح البصر، ولكنه يصف سرعة القدرة على الإتيان بها.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وإِمَّهَاتِكُمْ ـ بالكسر[1] ـ، والأصل في «أُمَّهَاتٍ» أُمَّاتٌ، ولكن الهاء زيدت مُؤَكِّدةً كما زادوا هاء في قولهم أهْرَقْتُ الماءَ، وإنما أصله أرقت الماء، والأفئدة جمع فؤاد مثل غراب وأغربة. ولم يجمع فؤاد على أكثر العَدَدِ، لَمْ يُقَلْ فِئْدان، مثل غُرْابٍ، وَغِرْبَانٍ.

ثم دلهم ـ سبحانه ـ على قُدْرَتِه عَلَى أَمْرِ السّاعَةِ بما شاهدوا من تدبيره فقال:

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾.

﴿جَوُّ السماء﴾ الهَوَاءُ البعيدُ من الأرض، وأبعد منه من الأرض السُّكاكُ، ومثل السُّكَاكِ اللَّوح، وواحد السُّكَاكِ سُكاكَةٌ[2].

وقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَناً﴾.

---

(١) كسر الهمزة.

(٢) اللوح والسكاك والسكاكة ـ الهواء بين السماء والأرض ـ تقول لا أفعله ولو نزوت في السكاك، أي في السماء.

أي مَوْضِعاً تسكُنُونَ فِيه.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتاً﴾.

والأنعام اسم للإبل والبقر والغنم

وقوله:﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾.

معنى تستخفونها، أي يخف عليكم حَمْلُها في أسفاركم وإقَامَتِكُمْ، ويقرأ يومَ ظعنِكُمْ، وظَعَنِكُمْ.

﴿وَمِنْ أَصْوَافِهاوَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثاً وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ﴾.

الأوبار للإبل، والأصواف للضأنِ، والأشعار للمعزِ. والأثَاثُ متاعُ البيتِ، ويقال لمتاع البيت أيضاً، الأَهَرَةُ[1]، ويقال: قد أَثَّ يئيثُّ أثاً إذا صار ذا أَثَاثٍ.

وقوله:﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لكمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً﴾.

أي جعل لكم من الشجر ما تَسْتَظِلُّونَ بِهِ

﴿وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الجِبَالِ أَكْنَاناً﴾.

واحد الأكنان كنٌ، على وَزْنِ حِمْل وأَحْمَالٍ، ولا يجوز أَن يكونَ واحدها كناناً، لأن جمع الكنان أكنة. أي جعل لكم مَا يُكِنُكُمْ.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرابِيلَ تَقِيكُمُ الحرَّ﴾.

كل ما لَبِسْتَه فَهو سربالٌ. من قميص أو دِرْع أو جَوْشَنٍ[2] أو غيرِه، قال اللَّه عز وجل:﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾[3]، وقال تقيكم الحرّ ولم يقل تقيكم البردَ لأنّ ما وَقَى من الحرّ وَقى من البردِ.

---

(١) الأهرةُ ـ بوزن عقبة متاع البيت ـ قالوا: بيت حَسَنُ الأهرة والظهرة والعقار، وهو متاعه، والظهرة ما ظهر منه والأهرة ما بطن، والجمع أهرة وأهرات.

(٢) الجوشن اسم الحديد الذي يلبس من السلاح.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٥٠.

وقوله: ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾.

أي جعل لكم دُرُوعاً تتقُون بها في الحروب مِنَ بأْسِ الحَدِيد وَغيره.

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمته عَليكُمْ لَعَلَّكُم تُسْلِمُونَ﴾.

أكثر القراء تُسْلِمُونَ، ويقرأ لعلكم تَسْلَمُونَ، أيْ لعلكُم إذَا لبستم الدروع في الحرب سَلِمْتُمْ من الجِرَاحِ، ثم قالَ بَعْدَ أنْ بيَّنَ لهم الآيات:

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ البَلَاغُ المُبِينُ﴾.

أي عليك أن تبلغ الرسالة وتأتي بالآيات الدالة على النبوة.

وقوله: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾.

أي يعرفون أن أمر النبي ﷺ حق ثم ينكرون ذلك.

وقوله: ﴿فَأَلْقَوْا إليهمُ القَوْلَ إنَّكُمْ لَكَاذِبونَ﴾.

أي لما رأى الذين أشركوا ما كانوا يشركون باللَّه غيْر نَافِعهِمْ وجحَدَتْهُمْ آلِهَتُهُمْ كما قال اللَّه جل وعز: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرونَ بِعِبَادَتِهِمْ ويكونون عَليهِمْ ضِدًّا﴾ (١).

وقوله: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾.

رُوِيَ في التفسير أن الَّذِي زيدوا(٢) عقاربُ لها أنيابٌ كالنَّخْلِ الطِّوَالِ، وقيل أيضاً: انهم يخرجون من حَرِّ النار إلى الزَّمْهَرِير، فَيُبَادِرونَ من شدة برده إلى النَّارِ.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

كُلُّ نبيٍ شاهدٌ عَلَى أمَّتِه، وهو أعدل شاهِدٍ عليها.

وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

---

(١) سورة مريم الاية ٨٢.

(٢) العذاب الذي زيدوه.

تبيان: اسمٌ في معنى البيان، ومثل التِّبْيَان التِّلْقاء، وَلَوْ قُرِئَتْ تَبْياناً على وزنِ تَفْعَال لكانَ وجهاً، لأن التَّبيانَ في معنى التَّبيينَ، ولا تجوز القراءة به لأنه لم يَقْرَأْ به أَحَدٌ من القُرَّا.

وقوله: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾.

يقال: وكَّدتُ الأَمْر، وأَكَّدْتُ الأمْرَ. لغتان جَيِّدَتَانِ، والأصل الوَاوُ، والهمزة بدل منها.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثاً﴾.

﴿أَنْكَاثاً﴾ منصوب لأنه في معنى المصْدَرِ لأن معنى نكثت نقَضْتُ، ومعنى نقضت نكثت[1]، وواحد الأنقاض نِكْثٌ وهو ما نُقِضَ بعْدَ أن غزل، قال الشاعر:[2].

تــرعيَّةً تعـرفُ الأربـاعَ ضجعَتُـه　　لـه نِكَـاثٌ مِنَ الأنْجـادِ والفُضَـلِ

وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ﴾.

أي غِشًّا بينكم وَغِلاًّ. ودَخَلاً منصوب لأنه مفعول له، المعنى: تتخذون أيمانكم للغش والدَّخَل، وكل ما دَخلهُ عيبٌ قيل هو مَدْخُول، وفيه دَخَلٌ.

وقوله: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾.

لتغترَّ إحْداهُمَا بالأخرى، وأربى مأخوذٌ من رَبَا الشيء يَرْبُو إذا كثر.

وقوله: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾.

يقال نفِدَ الشيء يَنْفَدُ نفاداً ونَفَداً إذا فَنِيَ.

---

(١) على هذا هو مفعول مطلق، ويمكن أن يكون حالاً، ومثله قولهم:
قطعته إرْبـاً إرْبـاً، أي جعلـة قِطَعاً

(٢) الترعية الذي يصلح المال على يديه ويجيد رعي الإبل. وترعى نادر والأرباع جمع رُبَع ورُبَعَة، وهو الفصيل الذي ينتج في الربيع.

وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾.

قيل لَنَرْزُقَنَّه حلالاً، وقيل ﴿حَيَاةً طيبةً﴾ الجنَّةُ. وَمَوضع: ﴿أَرْبَى﴾ رَفْع المعنى: أن تكون أمَّةٌ هِيَ أكثرُ مِنْ أمَّةٍ، وزعم الفراء أن موضع ﴿أَرْبَى﴾ نصبٌ و﴿هِيَ﴾ عمادٌ، وهذا خطأ، «هي» لا تدخل عماداً ولا فَصْلاً[1] مع النكرات، وشبههُ بقوله: ﴿تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾[2]. و«تجدوه» الهاء فيه معرفة، وأمّة نكرة.

وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ القُرآن فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم﴾.

معناه إذَا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ باللَّه من الشَيطَان الرجيم، ليس معناه استعذ باللَّه بعد أن تقرأ، لأن الاستعاذة أُمِرَ بها قبلَ الابتداء، وهو مستعمل في الكلام، مثله إذا أكلت فقل بسم اللَّه، ومثله في القرآن: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[3] فالهيئة[4] قبل الصلاة، والمعنى إذا أَرَدْتُم ذلك فافعلوا.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ واللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.

أي إذا نسخت آيةٌ بآيَةٍ أُخرى عليها فيها مَشَقّةٌ.

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

أي قالوا قد كذبتنا.

وقوله: ﴿إِنَّما يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بآيَاتِ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الكَاذِبُون﴾.

---

(١) وجه المنع عنده أن «أربى» إذا جعلت «هي» فصلًا تكون صفة، ويبقى الكلام ناقصاً. ولا نوافقه على ما ذهب إليه.

(٢) آخر سورة المزمل. سورة ٧٣ الآية ٢٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٦.

(٤) التهيؤ والاستعداد.

أي إنما يفتري الكذب الَّذِين إذا رَأَوْا الآيَاتِ التي لا يقدِرُ عليها إلَّا اللَّهُ كذَّبُوا بها، فَهؤلاء أكذَبُ الكَذَبَةِ.

وقوله:﴿مَنْ كَفَر باللَّهِ مِنْ بَعْد إِيمَانِه إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإِيمَانِ﴾.

﴿مَنْ﴾ في موضع رفع على البدل مِنَ الكـاذِبينَ ومُفَسِّرٌ[1] عن الكـاذبين، ولا يجوز أن يكون ﴿مَنْ﴾ رَفعاً بالابتداء، لأنه لا خبر ههنا للابتداء، لأنَّ قـوله: ﴿مَنْ كَفَر باللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِه إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾.

ليس بكلام تام، وبعده:

﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

فقوله: ﴿فعليهم غَضَبٌ من اللَّه﴾ خَبَرُ ﴿مَنْ﴾ التي بعد ﴿لكن﴾[2]

وقوله:﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾.

أعلم اللَّه عز وجلَّ نبيَّه ما يقولونه بينهم.

وقوله:﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾.

ويُقْرأ «يَلْحِدُونَ»، أي لِسَانُ الذي يميلُون القَوْلَ إليه أعجميٌّ.

وقيل هذا غُلَام كان لحُوَيْطب[3] اسمُهُ عَايِش[4]، أسلم وحسن إسْلَامُه.

---

(١) مبين المراد من الكاذبين، فيكون التقدير إنما يفتري الكذب هؤلاء، وهم الكـاذبون، لأنهم هم الذين كفروا بعد إيمانهم.

(٢) يمكن أن تكون جملة﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن﴾ ـ إلى ـ ﴿صدراً﴾ جملة معترضة وتكون ﴿فَعَلَيْهِمْ﴾ هي الخبر، والمعنى من كفر عامداً غير مكره، فعليه غضب اللَّه. وعلى الوجه الـذي ذكره ـ تكـون «من» في﴿من كفر باللَّه﴾ مبتدأ لم يذكر خبره ـ ولهذا هو يجعلها بدلاً مما قبلها.

(٣) هو حويطب بن عبد العزى، قرشي عامري. أسلم عـام الفتح، وكـان من المؤلفة قلوبهم، عـاش مائة وعشرين سنة ومات في خلافة معاوية. وصحح ابن عبد البر في الاستيعاب اسمه بأنه حوط.
ـ انظر الإصابة ١٨٨٢، وص ٣٩١ ـ بهامشه ترجمة حوط بالاستيعاب.

(٤) لم أقف على ترجمة لصحابي يسمى عائشاً غير عائش بن الصامت الذي كان يسمى الناسك. ويبدو أنه غير هذا لأنه كان سيـد بني نهد في الجاهليـة.. على أنه اختلف في اسمه فقيل اسمـه يعيش، =

﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾.

يقال: عَرَبَ الإنسان يَعْرُبُ عُروبيَّةً وَعَرابةً وعُروبةً.

وقوله: ﴿مُبِينٌ﴾.

وصفه بالبيان كما وصفه بأنَّه عَرَبِيٌّ، ومعنى عربي أن صاحبه يتكلم بالعَربيَّة وَمَعْنَاهُ مُعْربٌ: «مُبِينٌ».

وقوله: ﴿لاَجَرَمَ أَنَّهُمْ في الآخِرَةِ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

«أنَّ» يصلح أن تكون في موضع رَفِع على أنَّ «لاَ» رَدٌّ للكلام، والمعنى وجب أَنَّهُمْ، ويجوز أن تكون «أنَّ» في موضع نَصْبٍ على أن المعنى جَرَمَ فِعْلُهُمْ هذا أنهم في الآخرةِ همُ الخَاسِرُونَ. ومعنى جَرَمَ كَسَب، والمجرم الكاسِبُ، وأكثر ما يستعمل للذنوب.

وقوله: ﴿ثُمَّ إنَّ رَبَّكَ للَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثم جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أي من بعد الفَعْلِةِ التي فعلوها. وهذه الآية في قصة عمَّار بن ياسر(١) وأصحابه حين عذَّبَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ فأكْرَهُوهم على أن تركوا الايمان، وكفروا بألسنتهم وفي قُلُوبهم ونيَّاتهم الأيمانُ، ثم هربوا منهم وهاجروا إلى النبي (ﷺ) فلحقهم جمعٌ من أهل مكة فقاتلوهم حتى نجَّاهم اللّه منهم، وصبروا على جهادهم.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِها﴾.

وقيل هو غلام نصراني كان يسمى جبرا وقيل كانا اثنين.

(١) هو سيدنا عمار بن ياسر بن عامر حليف بني مخزوم وأمه سمية مولاة لهم - أحد سبعة أظهروا إسلامهم بمكة أول من أظهروه، وأسرته من المعذبين في الإسلام. شهد المشاهد كلها - وقطعت أذنه في موقعة اليمامة، وقتل يوم صفين وهو يحارب في صف علي. انظر الاصابة ٥٦٩٩.

﴿يوم﴾ منصوب على أَحَدِ شيئين، على معنى ﴿إِنَّ رَبَّك مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ، يَوْمَ تأتي﴾ ويجوز أن يكون بمعنى اذْكُر لأن معنى القرآن العِظَة والإِنْذَارُ والتَّذْكِير. أي اذكر يوم تأتي كل نفس أي كل إنسانٍ يُجَادِلُ عن نفسه.

ويروى أنه إذا كان يـومُ القيامـة زَفَرَتْ جهنمُ زَفْـرةً فلا يبقى ملك مُقَـرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ إلاَّ جَثَـا عَلَى رُكبَتَيه، وقـال يا رب نَفْسِي نَفْسِي، وتصـديق هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرّ المَرْءُ مِنْ أخِيهِ. وَأُمّهِ وَأَبيه. . .﴾ الآية[1].

وقوله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيةً كانَتْ آمِنَةً مطمئنةً﴾.

المعنى ـ واللَّه أعلم ـ وضرب اللَّه مَثَلاً مثـلَ قريـةٍ كانت آمنَـةً مُطْمئنـةً.

﴿يأتِيها رِزْقُهَا رَغداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾.

أي وَاسِعاً من كل مكان.

الـذي جاء في التفسيـر أنه يعنى بهـا مكة، وذلـك أنهم كانـوا قد أمنـوا الجُـوعَ والخـوْفَ لأنَّ اللَّه جـل ثنـاؤه جَعَـلَ أَفْئِـدَةً من النـاس تهـوي إليهم، فأَرْزَاقُهُمْ تَأْتيهم في بلدهم وكان حَرَماً آمِناً ويُتَخَطف الناس من حولهم.

﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّه لِبَاسَ الجُوعِ والخَوْفِ﴾.

و[قد] جاعوا حتى بلغوا إلى أن أكلوا الـوبر بـالدَّم، وبلغ منهم الجـوع الحـال التي لا غَايَـةَ بعْدَهـا. وأَنْعُم جمع نعمـة، وقالـوا شِدَّة، وأَشُـدّ. وقـال قطرب: جائز أن يكون جمع نُعْمٍ وأَنْعُمٍ، مثل وُدّ وَأُوُدِّ.

وقـوله: ﴿وَلَقَدْ جَـاءَهُمْ رَسُـولٌ مِنْهُمْ فَكـذَّبُـوهُ، فَـأَخَـذَهُم العَـذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

عَذَّبَهُمُ اللَّهُ بالسيف والقَتْلِ.

---

(١) سورة عبس الآيات ٣٤ ـ ٣٧.

وقوله :﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلسِنَتُكُمُ الكَذِبَ﴾.

في الكـذب ثـلاثـة أَوْجـه، قـرئت الكَـذِبَ، وقـرئت الكُـذُبُ، وقـرِئَتِ الكـذِب، فمن قرأ ـ وهُـوَ أكثرُ القِـرَاءَةِ ـ الكَذِبَ فـالمعنى: ولا تقولـوا لوصفَ ألسنتكم الكذِبَ: ﴿هَذَا حَلَالٌ وهذا حَرَامٌ﴾. ومن قرأ الكـذِب كان رَدًّا على مَـا المعنى: ولا تقـولوا لِـوصْفِ ألسنَتِكُمُ الكذب[١]. ومن قـرأ الكُذُبُ فهـو نعتٌ للألسنة، يقال لِسَانٌ كَذُوبٌ وأَلْسِنَةٌ كُذُوبٌ. وهذا إنما قيل لهم لِمَا كانوا حَرَّمُوه وأَحَلُّوه، فقـالوا :﴿مَا فِي بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَامِ خَـالِصَةٌ لِـذُكُورِنَـا ومُحَـرَّمٌ عَلَى أَزْواجِنَا﴾[٢]،وقد شرحنا ذلك في موضعه.

وقوله: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾.

المعنى مَتاعهم هذا الذي فعلوه متاع قليل. ولو كان في غير القرآن لجاز فيه النَّصْبُ: متاعاً قليلاً، على أن المعنى يَتَمتَّعُونَ كذلك مَتاعاً قليلاً.

وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً﴾.

جـاء في التفسير أنـه كان آمَنَ وَحْـدَهُ، وفي أكثر التفسيـر أنه كـان مُعلِّماً للخير وإِمَاماً حَنِيفاً قيل أُخِذَ بالخِتَانَةِ، وحقيقته في اللغة أن الحنيف المائل إلى الشيء لا يزول عنه أبداً، فكان عليه السلام مائلاً إلى الإسلام غير زائـل عنه، وقالوا في القانِتِ هو المطيع، والقانِتُ القائم بجميع أمر اللّه ـ جل وعزَّ ـ.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ﴾.

﴿لم يك﴾ أصلها لم يكن، وإنما حُذِفَتِ النُّونُ عند سيبويه لكثرة استعمال هذا الحرف، وذكر الجلة من البصريين أنه اجتمع فيها كثرة الاستعمـال، وأنها عبارةٌ عن كل مـا يَمْضي من الأفعال ومـا يُسْتَأْنَفُ، وأنهـا مع ذلـك قد أشبهت

---

(١) فهي بدل مِنْ «مَا» والمعنى لا تقولوا للوصف الكذب من ألسنتكم هذا حلال وهذا حرام.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٩ وانظر شرحها فيما سبق.

حُـرُوفَ اللين لأنها تكـون عَلَامـةً كما تكـون حروف اللين عَـلامةً، وأَنَّهـا غُنَّةٌ تخرج من الأنف. فلذلك احتملت الحذف.

وقوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِين اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾.

الكـلام يَدُلُّ على أنهم ألـزموا آيَـة نبوة مـوسى عليه السـلام. وجـاء في التفسير أنه حرَّمَهُ بعضُهم وأحلَّه بَعضُهم. وهَذَا أدَلُّ مـا جاء من الاختـلاف في السبت، وقـد جاء كثيـرٌ[1] في التفسير أنهم أُمِـرُوا بأن يَتَّخِـذُوا عِيداً فخـالفـوا وقالوا نريد يوم السبت لأنه آخر يوم فرِغَ فيه من خَلْق السمـوات والأرض، وأن عِيسَى أمر النصارى أن يَتَّخِذوا الجمعة عيداً فقالوا لا يكون عيدُنا إلا بَعْـدَ عِيد اليهودِ فجعلوه الأحَدَ، واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسنَةِ﴾.

جاء في التفسير: «الحكمة» النبوَّة، و«الموعظة» القرآنُ، ﴿وَجَادِلْهُمْ بالَّتي هِي أَحْسَنُ﴾.

أي جـادلهم غيـر فَظٍّ وَلَا غَليظِ القَلْب في ذلـك. ألِنْ لَهُم جَانِبَـكَ.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُم فَعاقِبُوا بِمثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾.

سُمّي الاوّل عقوبةً، وإنما العقوبة الثاني ـ لازدواج الكلام لأن الجنسين في الفعل معنًى واحدٌ. ومثله: ﴿وَجَزَاءُ سَيئَةٍ سَيئَةٌ مِثْلُهَا﴾[2] فالثاني ليس بِسيِّئَةٍ ولكنه سُمِّيَ به ليتفق اللفظ، لأن معنى القتل وَاحِدٌ وقد بَيَّنَا نظير هذا في سورة آل عمران في قوله: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾.

وجاء في التفسير أن المسلمين هَمُّوا بأن يمثلـوا بالمشركين، لأنهم كانوا

---

(١) أي جاء كلام كثير، ولو نصبت ظرفاً أو مفعولاً وجعل المصدر فاعلاً كان أولى.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠.

قـد مَثَّلَوا بِهِمْ، فَهَمَّ المسلمون بأن يـزيدوا في المُثْلَةِ، فـأمروا بـأن لا يزيـدوا وجـائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكـونٍ معنى: ﴿وجزاء سَيِّئَـةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهـا﴾[1] أي من فُعِلَ به ما يَجِبُ فِيه القِصَاصُ فلا يُجَاوِز القِصَاصَ إلَّا بِمثلٍ.

وقولـه جل وعز: ﴿ولئن صَبَرتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرينَ﴾.

هو مثل قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُه عَلَى اللَّهِ﴾[1].

وقوله: ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

ضَيْق، في معنى ضَيِّق مخَفَّف، مثـل مَيْتَ وميِّتٍ. وجـائـز أن يكـون بمعنى الضِيقِ، فيكون مصدراً لقولك ضاق الشيء يضيق ضَيْقاً.

وقوله: ﴿إنَّ اللَّه مَع الَّذين اتَّقوا، وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

أي ان اللَّهَ نَاصِرُهُمْ، كما قال: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[2]. فقد وَعَدَ في هذه الآيَةِ بالنَّصْرِ.

---

(١) سورة الشورى الأية ٤٠.

(٢) سورة التوبة الآية ٤٠.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ
مَكِّيَة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم(١)

قوله ـ عز وجل ـ :﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسرَى بِعَبدِه لَيْلاً مِنَ المسْجِدِ الحَرامِ﴾ .

﴿سبحان﴾ منصوب على المصدر، المعنى: أسبح اللّٰه تسبيحاً. ومعنى سبحان اللّٰه في اللغة تنزيه اللّٰه عن السوء، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ(٢).

وقوله: ﴿أسْرَى بعَبْده لَيْلاً﴾.

معناه سَيّر عبدَه، يقال أَسْرَيْتُ وسَرَيْتُ إذَا سِرْتُ لَيْلاً، وقد جاءت اللغتان في القرآن، قال اللّٰه جل وعز: ﴿واللَّيْلِ إذَا يَسْرِ﴾(٣) هذا من سَرَيْتُ ومعنى يَسْرِي يمضي(٤).

أسرى اللّٰه سبحانه بالنبي ﷺ من المسجد الحرام وهو مكة، والحرم كله مسجد، فأسرى اللّٰه به في ليلة واحدة من المسجد الحرام من مكة إلى بيت المقدس وهو قوله ـ جل وعز :﴿إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِيَ بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ .

أجرى اللّٰه حول بيت المقدس الأنهار وأنبت الثمار، فذلك مَعْنَى باركنا حوله.

---

(١) في الأصل ذكرت البسملة قبل العنوان باسم السورة وكونها مكية.

(٢) أي ما جاء في الأحاديث من قوله (ﷺ) سبحان اللّٰه فمعناه كذلك.

(٣) سوْرة والفجر الآية ٤.

(٤) حذفت الياء في القرآن لتوافق الفواصل.

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾.

أي لِنُرِيَ محمداً.

فـأراه اللَّه في تلك الليلة من الأنبياء، وآيـاتهم ما أَخْبَـرَ بِهِ في غَـدِ تلكَ الليلة أهلَ مكةَ فقالوا للنبي ﷺ إنَّ لنا في طريق الشـام إبلاً فـأخبِرنـا خبرهـا، فَخَبَّرهُم بخبرها، فقالوا فمتى تقدم الإبـل علينا، فـأخبرهم أنهـا تَقْدُمُ في يـوم سَمَّـاهُ لهُمْ مع شـروق الشمس، وأنه تقـدّمها جمـل أورق، فخرجـوا في ذلك اليوم، فقال قائل: هذه الشمس قد أشـرقت، وقال آخـر فهذه الإبـل قد أقبلت يقدمها جمل أورق كما قال محمد ﷺ فلم يؤمنوا بعد ذلك.

وقوله: ﴿وآتَينا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إسْرَائِيلَ﴾.

أي دللناهم به على الهدى.

﴿أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾.

أي لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني رَبًّا.

وقوله: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾.

القـراءة بنصب ذُرِّيَّةَ. وقـرأ بعضهم ذِرِّيّة - بكسـر الذال - والضم أكثـر. وذُرِّية فُعْلِيَّة من الذر، وهي منصوبة على النداء، كذا أكثرُ الأقوالِ المعنى: يا ذرِّيّةَ من حملنا مع نوح. وإنمـا ذكروا بنعم اللَّه عنـدهم أنه أنجى أبنـاءهم من الغرق بأنهم حملوا مـع نوح. ويجـوز النصب على معنى ألا تتخِذُوا ذرِّيّـةَ من حملنـا مع نـوحٍ من دوني وكيـلاً، فيكـون [الفعـل] تعـدى إلى الـذريَّـة وإلى الوكيل، تقول: اتخذت زيداً وكيلاً، ويجوز ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً﴾على معنى: ﴿وجعلناه هُدَىً لبني إسرائيل أَلَّا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرِّية من حملنا مع نوح﴾. ويجوز الرفعُ في ﴿ذرِّية﴾ على البدل من الواو، والمعنى ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلا﴾ أي لا تتخذوا من دوني وَكيلاً ذرِّيَّةٌ، ولا تقرأن بها إلَّا أن تثبت بها

رواية صحيحة، فإن القراءة سنة لا يجوز أن تخالف بما يجوز في العربية.

وقوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ﴾.

معناه أعلمناهم في الكتاب، وأوحينا إليهم، ومثل ذلك قوله: ﴿وقضينا إليهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾(١). ومعناه وأوحينا إليه.

وقوله: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾(٢) معناه خلقهن وفرغ منهن، ومثل هذا في الشعر قوله:

وعليهما مَسْرودَتان(٣) قضاهما داودُ أو صنع السوابغَ تبَّعُ

معناه عملهما. وجملة هذا الباب أن كل ما عُمِلَ عَمَلاً محكماً فقد قُضِيَ، وإنما قيل للحاكم قاض لأنه إذا أمر أمراً لم يُرَدَّ أمْرُه، فالقضاء قَطْعُ الأشياء عن إحْكام، والمعنى إنا أوحينا إليهم لَتُفْسِدُنَّ في الأَرْضِ ولتَعْلُنَّ عُلُوًّا كبيراً. معناه لَتَعْظُمُنَّ ولَتَبْغُنَّ، لأنه يقال لكل مُتجبّرٍ قَدْ عَلَا وتعظَّمَ.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾.

المعنى فإذا جاء وعد أُولى المرتين.

﴿بَعثْنَا عَلَيكُمْ عِبَاداً لنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

يروى أنه بعث عليهم بختنصَّر.

﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾.

أي فطافوا في خلالِ الدِّيارِ ينظرون هل بقي أحدٌ لَمْ يَقْتُلُوه، والجَوْس طَلب الشيء باستقصاء.

---

(١) سورة الحجر الآية ٦٦.

(٢) سورة فصلت الآية ١٢.

(٣) تقدم.

وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي رددنا لكم الدولة.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾.

أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّاراً[1]، ويجوز أن يكون نفيراً جمع نَفْرٍ كما يقال: العبيد والكليب والضَّئين والمعيز[2]. ونفيراً منصوب على التَّمييز.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

وتقرأ لِيَسُوءَ وجُوهَكُمْ، المعنى فإن جاء وعد الآخرة ليسوء الوعدُ وجُوهَكم، ومن قرأ «لِيَسُوءُوا» فالمعنى ليسوء هؤلاء القومُ وجوهكم، وقد قرئت لَنَسُوءَ وُجُوهَكُمْ - بالنون الخفيفة - ومعناه لَيَسُوءًا الوعدُ وجوهَكم، والوقف عليها لَيُسُوءًا. والأجود ليسوءَ بغير نونٍ، ولِيَسُوءُوا. ويجوز: لِيَسُوءْ وجوهكم، ويكون الفعل للوَعْدِ على الأمر، ولا تقرأ به، ويجوز لِنَسوءَ بالنون في موضع الياء.

وقوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً﴾.

معناه لِيُدَمِّرُوا، ويقال لكل شيء منكسرٍ من الزُّجَاجِ والحديد والذَّهَبِ تِبْرٌ، ومعنى ﴿مَا عَلَوْا﴾ أي ليدمّروا في حَالِ عُلُوِّهِمْ عليكم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلكَافِرِينَ حَصِيراً﴾.

معناه حَبْساً، أخِذَ من قوله: حصرتُ الرَّجُلَ إذَا حَبَسْتُه فهو محصور وهذا حَصِيرُهُ أي مَحْبِسُهُ، والحصير المنسوج إنما سمّيَ حصيراً لأنه حصرت

(١) يُقَال رجُلٌ ناصِرٍ من قوم نُصَّار، أي جعلنا نصراءكم أكثر.

(٢) أي عبد وعبيد وضان وضئين. . .

طاقاته بعضها مع بعض. والجَنْبُ يقال له الحصير[1] لأن بعض الأضلاع محصورٌ مع بعض.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا القُرآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

أي للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد اللّه - عز وجل - [أي] شهادة أن لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ والإيمانُ بِرُسُلِهِ، والعملُ بطاعتِه، وهذه صفة الحال التي هي أقوم الحالات.

وقوله: ﴿وَيَدْعُو الإنْسَانُ بِالشَّرِ دُعَاءَهُ بالخَيْرِ﴾.

المعنى إن الإنسان رُبَّما دَعَا على نفسه وولده وأهله بالشَّرِ غَضَباً كما يدعو لنفسه بالخير، وهذا لم يُعَرَّ منه بشرٌ.

ويروى أن النبي ﷺ رفع إلى سَوْدَةَ[2] بنت زَمْعَةَ أسيراً، فأَقْبَلَ يئن باللَّيْلِ، فقالت له: ما بالُك تَئِنُّ فشكا أَلَمَ القَدِّ والأَسْرِ.

فأرْخَتْ مِن كِتَافه، فا ما نامت أخرج يده وهرب، فلما أصبح النبي ﷺ دعا به فأعلم شأنه، فقال اللهم اقطع يديها، فرفعت سودةُ يديها تتوقع الاستجابة، وأن يقطع اللَّه يديها، فقال النبي ﷺ وإني سألت اللَّه أن يجعل دعائي ولعْنتي على من لا ستحق من أهلي - رحمةً، فقولوا لها لأني بَشَرٌ أغضب كما يغضب البشر لْتَرِدُدْ سودة يديها. فأعلم اللَّه - عز وجل - أن الإنسان خلق عجولاً، فهذا علق عليه جملةُ البشَرِ من آدم إلى آخر ولده.

والإنسان ههنا في معن الناس.

---

(١) جانب الإنسان وشقه يسمى حد يراً.

(٢) هي أم المؤمنين زوج رسول اللّ (ص)، قرشية عامرية تزوجها السكران بن عمرو، فتوفي عنها فتزوجها رسول اللّه (ﷺ)، و نت أول أزواجه بعد خديجة - كانت من الزهاد وكانت تضحك رسول (ﷺ) بكلامها أحياناً - م لها عمر غرارة مليئة بالدراهم ففرقتها وماتت في خلافة عمر وقيل ماتت سنة أربع وخمسين. إصابة ٦٠٦.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾.

أي علامتين يدلان على أن خالقهما واحد ليس كمثله شيء وتدلان على عدد السنين والحساب.

﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾.

أي جعلنا آية الليل دليلة عليه بظلمته.

﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي جعلناها تضيء لكم لتُبْصِروا كيف تَصَرَّفُونَ في أعمالكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾، ويُرْوَى أن القمر كان في ضياء الشمس فمحا اللّه ضياءه بالسواد الذي جَعَلَ فيه.

﴿وَكلَّ شيءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾.

أي بَيَّنَاهُ تَبييناً لا يلتبس مَعَه بغيره، والاختيار النَّصْبُ في «كل»، المعنى في النصب: لِتَبْتَغُوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين، وفصلنا كلَّ شيء تفصيلاً، و ﴿كلَّ﴾ منصوب بفعل مضمر الذي ظهر يفَسِّرُهُ، وهو ﴿فصَّلْنَاهُ﴾ ويجوز «وَكلُّ شَيْءٍ فصلناه تفصيلاً»[1]. وكذلك النَّصْب والرفع في قوله: ﴿وَكلَّ إنْسانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِه﴾ إلَّا إني لا أعلم أحداً قرأ بالرَّفع.

وجاء في التفسير: طائره، أي خَيْرُه وشَرُّه، وهو - واللَّه أعلم - ما يُتَطيَّر من مثله من شيء عمله كما قَالَ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة، وكما يُقال للإنسان إثْمِي في عُنُقِك، وإنما يقال للشيء اللازم له: هذا في عُنُق الإِنْسَان، أي لُزُومه له كلزوم القلادة له من بين ما يُلبس في العنق.

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً﴾.

---

(١) هو اسم مشتغل عنه بضميره - فيجوز فيه الرفع والنصب.

وفي هذه أربعة أوجه: وتُخْرَجُ له، ويُخْرِجُ له، أي ويُخْرِجُ اللَّهُ له[1].

وَيَخْرُجُ له. أي ويُخْرَجُ عمله لَهُ يَـوْمَ القِيَامَـةِ كتابـاً، وكذلـك يَخْرَج لـه عمله يوم القيامة.

﴿كتاباً يلقاه منشوراً﴾ منصوب على الحال.

وقوله: ﴿كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾.

﴿بنفسك﴾ في موضـع رفع، وإن كان مجروراً بالباء، ولـو كان في غيـر القرآن جاز. كفى بنفسـكَ اليوم حسيبـة، والمعنى كفت نفسك حسيبـة، أي إذا كنت تشهد على نفسك فكفاك بهذا. وحسيباً منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

يقال: وَزَرَ يَزِرُ فهو وَازر وَزْراً، وَوِزْراً، وزِرَة، ومعناه آثِمَ يَأْثَمُ إثماً.

وفي تـأويل هـذه الآية وجهـان: أحدهمـا أن الآثِمَ والمُذْنِبَ، لا يؤخـذ بذنبه غيرُهُ، والوجه الثاني أنه لا ينبغي للإنسان أن يعمل بـالإثم لأن غيره عمله كما قالت الكفار: ﴿إنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾[2].

وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

أي حتى نبين ما به نُعَذِّبُ، وما من أَجْله نُدْخِلُ الجنَّةَ.

وقوله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أمرنا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾.

تقرأ أَمَرْنَا مخفَّفَةً على تقدير فعلنا، وتقرأ آمرنا مترفيها على تقدير أفعلنا، ويقرأ أَمَّرْنا ـ بتشديـد الميم ـ، فأمـا من قرأ بـالتخفيف فهو من الأمـر، المعنى أمرناهم بـالطاعـة ففسقوا، فـإن قال قـائل: ألست تقـول: أمرت زيـداً فضرب عمراً، فالمعنى أنك أمرته أن يضرب عمـرا فضربـه، فهذا اللفظ لا يـدل على

---

(١) الاربعه الأوجـه هي تخرج له، بالنون ـ ويَخرج له ـ بالبناء للفاعل والمفعول من خرج: ويخرج من أخرج.

(٢) سورة الزخرف الآية: ٢٢.

غيـر الضرب، ومثـل قولـه: أَمَرْنَـا مُتْرفيهـا ففسقوا فيهـا. من الكلام: أمـرتك فعَصَيتني. فقد علم أن المعصية مخالفة الأمر، وكذلك الفَسْقُ مُخَالَفَة أمْرِ اللَّه جلّ ثناؤه. وقد قيل: إنما معنى أمرنا مترفيها كَثَّرْنَا مترفيهـا، والدليـل على هذا قول النبي ﷺ خير المال سِكَّةُ مأبورة[١] ومُهْرة مَأْمُـورَة أي مُكَثَّرَة[٢]، والعـرب تقول قَدْ أَمِرَ بنو فلان إذَا كَثرُوا، قال الشاعر:

إن يُـغْـبَـطُو يَـهْـبـطوا وَإن أَمِـرُوا   يـومـاً يصيـروا للهلك والـنَّفَـد[٣]

ويروى بالنقد ـ بالقاف[٤] ـ ومن قرأ آمـرنا فتـأويله أكْثَرنـا، والكثرة ههنـا يصلح أن يكـون شيئين، أحدهمـا أن يكثـر عـدد المتـرفين، والآخـر أن تكثـر جِدَتُهم وَيَسَارُهُمْ. ومن قرأ أمرنا بالتشـدِيد، فمعنـاه سَلَّطْنَا متـرفيها أي جعلنـا لَهُمْ إمْرةً وسلطانا.

---

(١) جاء الحديث في اللسان (أبر) خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة، والسكة الطريقـة المصطفـة من النخل، ومأبورة بمعنى ملقحة ـ يقال أبر وأبّر ـ بالتخفيف والتشديد ـ وقيـل السكة سكـة الحرث، والمأبورة المصلحة لأجله، والمأمورة الكثيرة النتاج والنسل، يقولون أمر اللّه المهرة أي كـثر ولدهـا، وأمِرَ القوم أي كثروا، وأمرهم اللّه فأمروا، ومنه حديث أبي سفيان: أَمِر أمر ابن أبي كبشة وارتفع شأنه ـ والحديث يصف خيراً قال بأنه من الحرث أو من النتاج.

(٢) البيت في اللسان «أمر» منسوب للبيد ـ وروايته بـه ـ للهلك والنكد. . وروايـة النفد التي هنـا تعني النفاد والفناء.

(٣) مما رثى به لبيد بن ربيعة العامري أخاه أربد، الذي أصابته صاعقة ذهبت به وبجمله بدعوة رسول اللّه (ﷺ) عليه وكان أراد قتله، وفيه نزلت الآية: ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾، وكان لبيد لا يزال على شركه، ورثى أربد بعدة مراث هذه المرثية من جيادها ـ والبيت السابق عـلى هذا البيت هو:

كـل بـني حـرة مـصـيـرهـم   قـلٌ، وإن أكـثـرت مـن الـعـدد

ويغبطوا: يصيرون في حـالة حسنـة يغبطهم النـاس عليها، ويهبطوا: تسوء حَـالهم وأمـروا بمعنى كثروا ـ ورواية البيت في اللسان (أمر) يصيـروا للهلك والنكد ورواه ابن هشـام حـ ٤/٢٣٧ ـ كما هنا ـ والنفد يعني النفاد والفناء.

(٤) النقد ـ بفتح القـاف ـ أراذل النـاس وسفلتهم، يقـال هو أذل من نقـد، ورب مثر أذل من نقـد، ومعنى البيت حينئذ أنهم مهما كثروا ينتهوا إلى الذلّة والهوان.

وقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ القُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾.

أي أهلكنا عدداً كبيراً من القُرون، بأنواع العذاب، نحو قوم لوط وعادٍ وثمود ومَن ذُكِرَ اسْمُه وقروناً بين ذلك كثيرا، وموضع كَمْ النصب بقوله أَهْلَكْنَا.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾(١).

أي من كان يريد العاجلة بعمله، أي الدنيا، عجل اللَّه لمن أراد أن يعجل له ما يشاء اللَّه، أي ليس ما يشاء هو، وما يشاء بمعنى ما نشاء(٢)، ويجوز أن يكون المُضْمَرُ في نشاء «مِنْ»، المعنى عجلنا للعبد ما يشتهيه، إذا أراد اللَّه ذلك(٣).

وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾.

لأنه لم يرد اللَّهَ بعمله

﴿يَصْلَاهَا مَذْمُوماً﴾.

ومذءوماً في معنى واحد.

﴿مَدْحُوراً﴾.

أي مباعَداً من رحمة اللَّه. يقال: دَحَرْتُه أَدْحَرُه دَحْراً ودُحُوراً إذا باعدته عنك. ثم أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن يعطي المسلم والكافِرَ وأَنَّ يرْزُقهما جميعاً فقال:

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَـؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾.

أي نُمِدَّ المؤمنين والكافرين مِنْ عَطَاءِ رَبِّك

وقوله سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ ألا تَعْبُدُوا إلَّا إِيَّاهُ﴾.

معناه أَمَر رَبُّك

---

(١) في الأصل ما نشاء وما يشاء لمن نريد.

(٢) أي قرئت عجلنا له فيها ما يشاء - وهي بمعنى عجلنا له ما يشتهي إذا أردنا ذلك.

(٣) عجلنا له مما نشاء - من كان يريد العاجلة عجلنا له منها ما نشاء - فتكون في بمعنى «من».

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾.

أي أمر أن يحسنوا بالوالدين[1]

﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا﴾.

ترفعُ ﴿أحدهما﴾ بِيَبْلُغَنَّ، و ﴿كلاهما﴾ عطف عليه، ويقرأ: يَبْلُغَانِّ عندك الكِبَرَ، ويكون أَحَدُهُمَا أو كلاهما بَدَل من الألف.

وقوله: ﴿فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾.

في قوله «أُفٍّ» سبع لغات: الكسر بغير تنوين، والكسر بتنوين، والضم بغير تنوين، وبتنوين، وكذلك الفتح بتنوين، وبغير تنوين، وفيها لغة أخرى سابعة لا يجوز أن يقرأ بها، وهي «أُفِيّ» بالياء، فأما الكسر فلالتقاء الساكنين، وأف غير متمكن بمنزلة الأصوات، فإذا لم تُنَوَّن فهي مَعْرِفةٌ، وإذا نُـوِّنَ فهو نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقِ في الأصوات، والفتح لالتقاء الساكنين أيضاً، والفتح مع التضعيف حسن لخفة الفتحة وثقل التضعيفِ والضَّمِّ، لأن قبله مضمُوماً - حسنٌ أيضاً، والتنوين فيه كله على جهة النكرة.

والمعنى: لا تقل لهما كلاماً تتبرم فيه بهما، ومعنى أفٍّ النتن، وقيل ان أُفَ وسخ الأظْفَارِ، والتُّف الشيء الحقير نحو وسخ الآذان أو الشظية تؤخذ من الأرض. ومعنى الآية: لا تقل لهما ما فيه أذىً بتبرُّمٍ، أي إذا كبِرَا، أو أَسَنَّا فينبغي أن تَتَولىَّ من خِدمتهما مثل الذي توليا من القيام بشأنك وخِدْمَتِكَ، ولا تنهرهما بمعنى: لا تنتهرهما، أي لا تكلمهما ضجراً صائحاً في أوجُهِهِما، يقال نهرته أنهره نهراً، وانتهرته أنتهره انتهاراً، بمعنى واحِدٍ.

وقوله: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾.

---

(١) على هامش الأصل: نسخة وأمر.

وتُقْرَأُ الذِّل ـ بكسر الذَّالِ ـ ومعنى [اخفضن لهما] جناح الـذّلّ، أي ألِنْ لهما جانبك مُتَذَلِّلاً لهما، من مبالغتك في الـرحمة لهمـا، ويقال: رجـل ذليل بيّن الـذُّلِّ، وقد ذل يـذِلّ ذُلّاً، ودَابَّةٌ ذَلُـول. بين الـذِّل، ويجـوزان جميعـاً في الإِنسانِ.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾.

الأواب بمعنى التواب، والراجع إلى اللَّـه في كل ما أَمَر به، المقْلِعُ عن جميع ما نهى عنه، يقال قد آب يؤوب أَوْباً إذَا رجع.

وقوله: ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً﴾.

معناه لا تسرف، وقيـل: التبذيـر النفقة في غيـر طاعة اللَّه، وقيـل كانت الجاهلية تنحر الإِبل وتُبَذِّرُ الأموالَ، تطلب بذلـك الفخر والسمعـة وتذكـر ذلك في أشعارها، فأمر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ بالنفقة في وُجُوهِهِمَا فيمـا يُقَرِّبُ منـه ويزلف عنده.

وقوله: ﴿إِنَّ المُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوانَ الشَّيَاطِينَ﴾.

أي يفعلون ما يسول لهم الشيطان.

وقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتغَـاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾.

﴿عَنْهُمُ﴾ هـذه الهاء والميم يـرجعـان على [ذي] القُـربى والمِسكين وابن السبيل، ﴿وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾، أي وإنأعْرضت عَنهُمُ، ابْتغَاءَ رَحْمَـةٍ مِنْ رَبِّـكَ تَرْجُوهَا، أي لطلب رزقٍ من ربك ترجوه ﴿فَقُلْ لهما قَوْلاً مَيْسُوراً﴾، ﴿ابتغاء﴾ منصوبٌ لأنه مفعول لـه، المعنى: وإن اعْرَضْتَ عنهم لابتغـاء رحمة من رَبِّكَ.

وروي أن النبي ﷺ كـان إذا سئل وليس عنـده ما يعـطى أمسـك انتـظار الرزق يأتي من اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ كأنه يكره الرَّدَّ، فلما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ لَهُمَـا قولاً مَيْسُوراً﴾. كان عليه السلام إذا سئل فلم يكن عنـده ما يعـطي قال: يَـرْزُقُنَا

اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ. فتأويل قوله: ﴿مَيْسُوراً﴾ واللَّه أعلم أنه يكسر عليهم فقرهم بدعائه لهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنقِك ولا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾.

معناه لا تبخل ولا تسرف. ﴿فتقعد﴾ منصوب على جواب النهي، و﴿محسوراً﴾ أي قد بالغت في الحمل على نفسك وحالك حتى تصير بمنزلة من قد حَسِر، والحسير والمحسور الذي قد بلغ الغاية في التعب والإعياء.

قوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾.

﴿خشية إمْلَاق﴾ منصوب لأنه مفعول له، والإملاق الفقر، يقال أملق يملق إملاقاً.

وكانوا يدفنون البنات إذَا وُلِدْنَ لهم خوفاً من الفقر، فضمن اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لهم رزقهم، فقال:

﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾.

وهي الموءودة، كانوا يَدْفِنُونَ الابنة إذا وُلِدَتْ حيَّةً.

وقوله: ﴿إنَّ قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾، وتقرأ خَطَأً كبيراً. فمن قال خِطئاً: بالكسر فمعناه إثماً كثيراً، يقال قد خطئ الرجل بخطأ خِطئاً: أثِم يَأْثَمُ إثماً «وخَطأً كبيراً» له تأويلانِ أحدهما معناه إن قتلهم كان غير صواب يقال: قد أخطأ يخطئ إخطاء، وخطأً، والخطأ الاسم من هذا لا المصدَرُ، ويكون الخطأ من خطئ يخطأ خطأً إذا لم يصب مثل لِجَجَ يَلْجَجُ قال الشاعر[1]:

والناس يلْحَوْنَ الأمير إذا همو ... خطئوا الصوابَ وَلَا يُلامُ المرشِدُ

(١) البيت في اللسان (أمر) ـ والمعنى أن الناس يلقون اللائمة على قائدهم إذا هم أخطأوا، ولا ينبغي أن يلام المرشد.

وقوله: ﴿وَسَاءَ سَبِيلاً﴾.

أي وساء الزنا سبيلاً. وسبيلاً منصوب على التمييز.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ﴾.

حرَّم اللَّه قتل المؤمن إلَّا أن يرْتَدَّ بَعْدَ إيمَانِه، أو يقتل مُؤْمِناً متعَمِّداً، أو يزنيَ بعد إِحْصَانٍ. كذلك قال قتادة في تفسير هذه الآية.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً﴾.

أي من غير أن يأتيَ بواحدة من هذه الثلاث.

﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾.

الأجود إدغام الدال في الجِيمِ، والإظهار جَيِّد بالغ، لأنَّ الجِيمَ من وسط اللسانِ، والدال من طرف اللسانِ[1]، والإدغام جائز لأنَّ حروفَ وَسَط اللِّسَانِ قد تقرب من حروف طرف اللسانِ.

وَوَلِيُّه الذي بَيْنَهُ وبيْنَه قرابة توجِبُ المطالبةَ بِدَمِهِ.. فإنْ لم يكن له ولي فالسلطان وَلِيُّه، و «سُلْطَّاناً» أي حجة.

وقوله: ﴿فَلَا يُسْرِفْ في الْقَتْلِ﴾.

القراءة الجزم على النهي، ويقرأ بالياء والتاء جميعاً، وتقرأ فلا يُسْرِفُ بالرفع[2]. والإسراف في القتل قد اخْتُلِفَ فيه، فقال أكثر الناس: الإِسْرافُ أنْ يقتُلَ الوليُّ غيرَ قاتِلِ صاحِبِه، وقيل: الإسراف أن يقتل هو القاتل دُونَ السُّلْطَانِ، وكانت العرب إذا قُتِلَ منها السَّيِّدُ وكانَ قاتله خسِيساً لم يرضوا بأنَ يُقْتَلَ قَاتِلُه وربما لم يرضَوْا أن يُقْتَل واحدٌ بواحدٍ حتَّى تُقْتَلَ جماعة بواحدٍ.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾.

---

(١) وأيضاً الدال حرف قلقة، وهي لا تظهر مع الإدغام.

(٢) أي لا ينبغي له أن يسرف في القتل.

أي ان القتيل إذا قتل بغير حق فهو منصور في الدنيا والآخرة، فأما نصرتُه في الدنيا فَقَتْلُ قاتِلِهِ، وأما في الآخرة فإجزال الثواب له، ويخلَّدُ قاتِلُه النَّارَ، ومن قرأ فلا يسرِفُ ـ في القَتْلِ ـ بالرَّفع ـ فالمعنى أن وليَّه ليسَ بمُسْرِف في القَتْلِ إذا قتل قاتِلَه ولم يقبل الدِّيَة.

وقوله:﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّه﴾.

أي لا تدّخروا مِن مَالِه، ولا تأكلوا ـ إذَا أُقِمْتُمْ[1] [عليه]ـ إلَّا ما يُسكِّنُ الجَوْعَةَ، ولا تكتسوا إلَّا ما ستر العورة، ولا تَقْرَبُوه إلَّا بالإصلاح للمال حَتَّى يبلغ أشُدَّه. وأشُدُّه أن يبلغَ النكاح، وقيل: أشُدُّه أن يأتي له ثماني عشرة سنة، وبُلوغُ أشدِّه هو الاحتلام، وأن يكون مع ذلك غير ذي عاهة في عقل وَأَنْ يكونَ حازماً في ماله.

وقوله:﴿وَأَوْفُوا بِالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مسؤولاً﴾.

قال بَعْضُهُمْ: لا أدري مَا العَهْدُ، والعَهْدُ كل ما عُوهِدَ اللَّهُ عَلَيْه، وكل ما بينَ العِبَادِ من المواثيق فهِيَ عُهُودٌ. وكذلك قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾[2].

وقوله:﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيم﴾.

والقُسْطَاسُ جميعاً ـ بالضَّمِ والكَسْرِ ـ قيل: القسطاسُ هو القرسطون[3] وقيل القفان[4]، والقسطاس ميزان العدل، أيُّ ميزان كان من موازين الدراهِم أَوْ غَيْرِها.

---

(١) صححت في هامش النسخة ـ إذا جعتم ـ وهو الأوفق لقوله تعالى: ﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾.

(٢) سورة النحل ٩١.

(٣) كلمة أعجمية اسم للميزان لنوع منه.

(٤) هو القبانُ الذي يوزنُ به.

وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

معنى ﴿وأحسن تأويلًا﴾ أن الوفاء أحسن من النقصانِ، ويجوز أن يكون المعنى أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء.

وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

أي لا تقولن في شيء بما لا تعلم.

فإذا نُهِيَ النّبِيُّ ﷺ - مع حِكْمَتِه وعِلْمِهِ وتوفيق اللَّه إيَّاهُ - أن يقول بما لا يعلم، فكيف سائر أُمَّتِه والمسرفين على أَنْفُسِهم.

يقال قفوت الشيءَ أَقْفُوه قَفْواً إذا اتَّبَعْتَ أثرَه، فالتأويل لا تُتْبِعَنْ لِسانَك من القول ما ليس لك به علم، وكذلك من جميع العَمَل[1].

﴿إنَّ السَّمَعَ والبَصَر والفُؤادَ﴾ شواهد عليك، قال اللَّه عزّ وجلّ ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهم بِمَا كَانُوا يعْمَلُونَ﴾[2].

فالجوارح شواهدُ على ابن آدم بعمله، ويقرأ.. ولا تَقُفْ ما ليس لك به عِلْمٌ بإسكان الفاء وضم القاف، من قاف يقوفُ - وكأنه مقلوب من قفا يقفو، لأن المعنى واحدٌ.

وقوله: ﴿كُلُّ أُولئكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾.

فقال ﴿مَسْؤُولًا﴾، وقال: ﴿كَانَ﴾، لأن «كل» في لفظ الواحد؛ فقال ﴿أولئك﴾ لغير الناس، لأن كل جمع أَشَرْتَ إليْه من الناس وغيرهم ومن الموات فلفظه «أولئك» قال جرير:

---

(١) عطف على من القول.

(٢) سورة النور ٢٤.

ذم المنــازل بـعــد منزلــة الـلوى والـعَيْش بـعــد أولئـك الأيَّــام[1]

وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً﴾.

ويقرأ مَرِحـاً ـ بكسر الـراء ـ، وزعم الأخفَش أن مَرَحـاً أجْودُ من مَـرِحاً، لأن مَرِحاً اسمُ الفَاعِل. وهذا ـ أعني المصدر ـ جيّدٌ بالغٌ، وكلاهما في الجودة سواء، غير أنَّ المصدرَ أوْكدُ في الاستعمال تقول: جاء زيد رَكْضاً، وجاء زيـدٌ راكضاً، فركْضاً أوْكَدُ في الاسْتِعْمَال لأن ركضاً يدل على توكيد الفِعْل. وَمَـرَحا بفتح الراء أكثر في القِراءَةِ.

وتأويل الآيةِ: ولا تَمْشِ في الأرض مختالاً وَلَا فَخُوراً

﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾.

قـالـوا: معنى ﴿تَخـرِق الأَرْضَ﴾ تقـطع الأرْضَ، وقيــل تثقب الأرْضَ، والتأويل ان قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، فيكون ذلك وصلة إلى الاختيال.

﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾.

سيئه في معنى خطيئةً، وكان أبو عمرو لا يقرأ سَيِّئُهُ، ويقرأ سَيِّئَةً، وهـذا غلط، لأَنَّ في الأقـاصيص سيئاً وغيـر سَيّءٍ، وذلك أن فيهـا ﴿وَقُلْ لَهُمَـا قَـوْلاً كَـريماً وَاخْفِضْ لَهُمَـا جَنَاحَ الـذُّلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وفيها: ﴿وآتِ ذَا الْقُـرْبَى حَقَّهُ، والمِسْكِينَ وابنَ السَّبِيـلِ﴾، و ﴿وأَوْفُوا بِـالعَهْدِ﴾، ﴿وَلَا تَقْـرَبُـوا مَـالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، أي اقرَبُوه بالَّتِي هي أَحْسَنُ[2].

ففيما جرى من الآيـات سيء وحسن، فسيئُهُ بـلا تنوين أحْسَنُ من سيئةٍ

---

(١) من ميمية له مشهورة، انتقدت سكينة بنت الحسين بيتاً منها، وهو يتغزل غزلاً عفيفاً فيقول:

لـولا مـراقـبـة الـعـيـون أريـنـنـا مـقـل الـمـهـا وسـوالـف الآرام

طـرقتـك صـائـدة القـلوب وليس ذا وقـت الـزيـارة فـارجـعـي بـسـلام

انظر شواهد الكشاف ١٧٧ ـ والديوان، والبيت من شواهد النحو الشائعة.

(٢) قراءة أبي عمرو تقتضي أن كل ما ذكر من السيئات والواقع أن فيه حسنات.

ههنا. ومن قرأ سَيِّئَةَ جعل «كلا» إحاطة بالمنهي عنه فقط، المعنى كل ما نهى اللّه عنه كان سيئةً.

وقوله: ﴿فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً﴾.

أي مباعداً من رحمة اللّه.

وقوله: ﴿أَفَأَصْفَاكُم رَبُّكُمْ بِالبَنِينَ﴾.

كانت الكفرة من العَرَب تزعم أنَّ الملائكةَ بنات اللّه، فوُبِّخُوا، وقيل لهم: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بالبَنِينَ﴾، أي اختار[1] لكم ربكم صَفْوَة الشيءِ وأَخَذَ من الملائكة غير الصَّفْوةِ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القُرآنِ لِيَذَّكَّروا﴾.

أي بينا.

﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إلاَّ نُفُوراً﴾.

أي ما يزيدهُمُ التَّبْيِينُ إلاَّ نُفوراً، كما قال اللّه - عزّ وجلّ - : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ للمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمينَ إلاَّ خَسَاراً﴾[2].

﴿قُلْ لَوْكَانَ مَعَهُ آلِهةٌ كما يَقُولُونَ﴾.

فمن قرأ كما تقولون فعلى مخاطبة القائلين

﴿إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلَى ذِي العَرْشِ سَبِيلاً﴾.

أي لتقربوا إلى ذي العرش، كما قال: ﴿أُولئكَ الذين يَدْعُونَ يبْتَغُونَ إلَى ربِّهم الوسيلةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[3]. وقال بعضهم: ﴿إذاً لاَبْتَغَوْا إِلَى ذِيَ العَرْشِ سَبِيلاً﴾، أي لكانوا مضادِّينَ له يطلبون الانفِرادَ بالرُّبُوبِيَّةِ.

---

(١) في الهامش إشارة إلى نسخة: أفيختار.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٣) الإسراء الآية ٥٧.

والقول الأول عليه المفسرون.

وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ، وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّحَ بحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

قيل إنَّ كُلَ مَا خَلقَ اللَّه يُسبح بحمده وإن صَرِيرَ السَّقْفِ وصَرِيرَ البَابِ من التسبيح للَّه عزّ وجلّ. ويكون ـ على هذا ـ الخِطَابُ للمشركين وحدهم من قوله: ﴿وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

وجائز أن يكون تسبيح هذه الأشياءِ مِمَّا عَلِمَ اللَّه به، لا يُفقَه مِنْه إلاَّ ما عَلَّمنَا.

وقال قوم: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاَّ يُسَبِّح بِحَمْدِهِ﴾ أي ما من شيء إلاَّ وفيه دَلِيلُ أن اللَّه خالِقُه، وأن خَالِقُه حَكيمٌ مُبَرَّأُ مِنَ الأَسْوَاءِ ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾.

أي ولكنكم أيها الكفار لاَ تَفْقَهونَ أثر الصَّنْعةِ في هذه المخلوقات.

وهذا ليس بشيء لأن الذين خوطبوا بهذا كانوا مُقِرِّينَ بأن اللَّه خَالِقُهُمْ وخالق السموات والأرض ومن فِيهِنَّ، فكيف يجهلون الخلقة وهم عارفون بها.

وقوله: ﴿وَإِذَا قَرأْتَ القُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾.

قال أهل اللغة معنى ﴿مستوراً﴾ ههنا في موضع ساتر، وتأويل الحجاب ـ واللَّه أعلم ـ الطَبع الذي على قلوبهم. ويدل على ذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

والأكنة جمع كِنَان وهو ما سَتَرَ.

ومعنى أن يفقهوه كراهة أن يَفْقَهُوه، وقيل معناه ألّا يفقهوه والمعنيان واحدٌ، غير أن كراهة أجود في العربيَّةِ.

وقيل: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَاباً﴾، الحجاب منع اللَّه إياهم من النبي ـ عليه السلام ـ ويجوز أن يكون ﴿مستوراً﴾ على غير معنى ساتر، فيكون الحجاب ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبِهِمْ.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً﴾.

الوقر ثقل السّمْع، والوقر أن يَحمِل الإنْسانُ وَقْرَهُ

وقوله: ﴿وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً﴾.

﴿نُفُوراً﴾ يحتمل مذهَبَيْن أحدهما المصدر. المعنى: وَلَّوْا نافِرين نُفُوراً ويجوز أن يكون نُفُوراً جمع نافِرٍ، فيكون نافِرٍ ونُفُورٌ، مثل شاهِدٍ وشهود.

وقوله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾.

﴿نجوى﴾ في معنى المصدر، أي وَإِذْ هُمْ ذَوُو نجوى، والنجوى اسم للمصدر، وكانوا يستمعون من النبي ﷺ ويقولون بَيْنَهم: هو ساحِرٌ وهو مَسْحورٌ وما أشبه ذلك من القول. وقال أهل اللغة في قوله: ﴿إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً﴾ قولَيْنِ:

أحدهما أن مَسْحوراً ذو سَحْرٍ، والسَّحْرُ الرِّئَةُ، وقالوا: إنْ تتبعون إلَّا من له سَحْرٌ بشَرٌ مِثلكم يأكل الطعام، قال لبيدٌ.

فإن تسألينا فيم نحنُ فإننا عصافير من هذا الأنامِ المسحَّرِ[1]

---

(١) اللسان (سحر) أمالي المرتضى ٣/٣٧ ـ معاني القرآن للفراء ٢/٢٨٢. والسحر الخديعة ـ أي هذا الأنام المخدوع. أما على تخريج الزجاج فمعناه الأنام الذي (سَحْر) ولا معنى له وأيضاً يكون مشتقاً من اسم جامد.

وقالوا: مَسْحوراً أي قد سحُر وأزيل عن حَدِّ الاسْتِوَاءِ

﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً﴾.

الرُّفَاتُ التُّرابُ، والرفات أيضاً كل شيء حُطِمَ وكُسِرَ، وكل ما كان من هذا النحو فهو مبني على فُعَال، نحو الفُتَاتُ والحطَامُ والرُّفَاتُ والتُّرابُ.

وقوله: ﴿خَلْقاً جَدِيداً﴾، فِي مَعْنَى مُجدَّدِ.

وقوله: ﴿قل كُونوا حِجَارَةً أو حَدِيدَاً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾.

أكثر ما جاء في التّفسِير في قوله: ﴿أو خلقاً مما يكبرُ في صُدُورِكُمْ﴾ إن هذا الخلقَ هو الموْتُ، وقيل خلقاً مما يكبر في صدوركم نحو السموات والأرض والجبال.

ومعنى هذه الآية فيه لطفٌ وَغُمُوضٌ، لأن القائل يقول: كيف يقال لهم كونوا حجارةً أو حديداً وهم لا يستطيعونَ ذلك، فالجواب في ذلك أنهم كانوا يقِرُّون أن اللّه جلّ ثناؤه خالِقُهم، وينكرونَ أن اللّه يعيدهم خلقاً آخر، فقيل لهم استشعروا أنكم لو خُلقْتُمْ من حجارة أو حديدٍ لأماتكم اللّه ثم أَحْيَاكم، لأن القدرة التي بها انشأكم - وأنتم مقرونَ أنه أنشأكم بتلك القدرة - بها يعيدكم، ولو كنتم حجارة أوْ حديداً، أو كنتم الموت الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم[1].

وقوله: ﴿فَسَيقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ﴾.

أي فسيحركون رؤوسهم تحريك من يبطل الشيء ويَسْتبطئه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾.

(١) الأمر بمعنى افترضوا أنكم كذلك.

يقال أنْغَضْتُ رأسي إذا حركتُه أنْغِضُه إنغاضاً، ونَغَضَتِ السِّنُّ تنغَضُ نَغْضاً، ونغض برأسه ينغَضُ نَغْضاً إذَا حرَّكه، قال العجاج.

أَسَكُّ نَغْضاً لاَيَنِي مُسْتَهدَجاً[1]

وقوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾.

أي يعيدكم يوم القيامةِ.

ومعنى تستجيبون بحمده. تستجيبون مقرين بأنه خَالِقكُمْ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّين عَلَى بَعْضٍ وآتيتا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

معنى ذكر داود ههنا أن اللَّهَ -جلّ ثناؤه- أعلم أنه قد فضَّل بعض النبيين على بعضٍ، أي فَلاَ يُنكِرُوا تفضَيلَ محمد ﷺ وإعطاءَه القرآنَ، فقد أعطى اللَّه داود الزبور.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونه فَلاَ يَمْلكُونَ كَشْفَ الضُّرِ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً﴾.

أي ادعوا الذين زعمتم أنَّهم آلهتكم.

وجاء في التفسير أشياء في هذه الآية، منها أنه قيل: قل ادعوا العُزَيْر وعيسى لأن النصارى واليهودَ زعموا أن هؤلاء آلِهَتهُم، فأعلمهم اللَّه -عزّوجلّ- أنهم لا يملكون كشف ضر عنهم ولا تحويلاً من وَاحِدٍ إلى آخرَ، وقيل إنه يُعْنَى به الملائكةُ لأنَّ منهمُ من كان يعبد الملاِئكة. وقيل إن قوماً من

---

(١) يصف ظلياً - جاء في اللسان (نغض).

واستبدلت رسومه سفنجا أصَكّ

وقال أنه يروى أسك، والآسك الصغير الاذنين - والأصك مضطرب الركبتين والعراقيب. والنغض الذي يحرك رأسه - وهو وصف بالمصدر. ومستهدج، وهدج بمعنى عدا. وجاء الشطر في (هدج) أصك - بالصادر وفي (سفج -: جاءت، من أسها سفنجا - والسفخ السريع والطويل أي ولدته أسود.

العرب كانوا يعبدون نفراً من الجنّ، فأسلم أولئك النفر من الجن ولم يعلم بهم من كان يعبدهم، فقيل فادعوا هؤلاء فإنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الوَسِيلةَ﴾.

بالياء والتاء.

﴿أولئك﴾ رفع بالابتداء، و﴿الذين﴾ رفع صفة لهم، و ﴿يَبْتغون﴾ خبرُ الابتداء، المعنى الجماعة الذين يدعون يبتغون إلى ربِّهِم الوسيلةَ، والوسيلة والسؤال، والسُّؤْلُ والطَّلَبَةُ، في معنىً واحد.

﴿أيُّهمْ أقْرَبُ﴾.

إن شئت ﴿أيُّهم﴾ كان رفعاً بالابتداء، والخبر ﴿أقرب﴾، ويكون المعنى يطلبون إلى ربهم الوسيلة - ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به، فإن قال قائل: فالذي أَنْكَرَ عَليهِمْ [هو] التوسُّلُ بغير عبادَةِ اللَّهِ إلى اللَّه، لأنهم قالوا: ﴿مَا نعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيقَرِّبُونَا إلى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1]، فالفرق[2] بين المتوسلين إلى اللَّه بمحبَّةِ أنبيائه وملائكته وصالحي عبادِهِ أنهم يتوسلون بهم مُوَحِّدين اللَّهَ عزّ وجلّ، لا يجعلون له شريكاً في العبادة، والكفار يتَوَسَّلُونَ بعبادة غير اللَّه، فجعلوا الكفرَ وسيلَتَهُمْ.

ويجوز أن يكون ﴿أيُّهمْ أقْرَبُ﴾ بدلاً من الواو في يبتغون[3] فالمعنى يبتغي أيُّهم هو أقربُ الوسيلة إلى اللَّهِ، أي يتقرب إليه بِالعَمَلِ الصالح.

﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَه﴾.

أي الذين يزعمون أنهم آلِهة يرجون ويخافون.

---

(١) سورة الزمَر آية ٣.

(٢) جواب الشرط في «فإن قال قائل».

(٣) ليس مثل هذا البدل مطرداً، وخرج عليه ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ وهو ليس بجيِّد.

قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

أي ما من أهل قرية إلاّ سيهلكون، إما بموت وَإِمَّا بِعَذَابٍ يَسْتَأْصِلُهُمْ.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.

أي مكتوباً

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾.

«أن» الأولى نصبٌ، و «أن» الثانية رفع.

المعنى ما منعنا الإِرْسَالَ إلَّا تكذيبُ الأَوَّلِينَ. والتأويل أَنَّهُمْ سألوا الآيَاتِ التي استوجب بها الأولونَ العذابَ، لمَّا كذبوا بها، فنزل عليهم العذابُ، والدليل على أنهم سألوا الآيات قولهم: ﴿لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾[1]، فأعلم اللَّهُ - جلّ ثناؤه - أن مَوْعِدَ كُفَّار هذه الأمَّةِ الساعة، فقال: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهم والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾[2]. فأخَّرَهم إلى يوم القيامة رحمة منه وتفضلاً.

﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾.

ويقرأ مُبْصَرَةً، فمن قرأ مُبْصِرَةً، فالمعنى تبصرهم، أي تبين لهم، ومن قرأ مُبْصَرَةً فالمعنى مبيَّنةً، ﴿فَظَلَمُوا بها﴾، أي فظلموا بتكذيبها.

وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير: أحاط بهم أيْ كُلُّهُمْ فِي قبضته، وعن الحسَن أحاط بالناس أي حال بينهم وبين أَنْ يقتلوك أو يَغْلِبُوكَ كما قال - عز وجل - ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ من النَّاس﴾[3].

---

(١) سورة القصص ٤٨.

(٢) سورة القمر الآية ٤٦.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير أنها رُؤيَا بيت المقدس حين أسْرِيَ بـه، وذلك أنـه ارتدَّ بعضهم حين أعلمهم قصـة الإسراء بـه، وازداد المؤمنونَ المخلصـون إيمانـاً، وجاء في التفسير أنه ﷺ رأى في منامِه قَوماً يرقون المنابِـرِ فساءه ذلـك، فأعلم ﷺ أنه عطاء في الدنيا.

﴿والشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي الْقُرآنِ﴾.

قيل في التفسير الملعون أكلُها، وهِيَ شجرةُ الزَّقُّومِ التي ذكرها اللّه في القرآن فقال: ﴿إنَّ شجرةَ الزَّقُّومِ، طعام الأثيم﴾[1] وقال: ﴿فإنهم لآكِلُونَ مِنْها فَمَالِئُونَ مِنْها البُطُون﴾[2]، وقال: ﴿إنَّهَا شَجَرةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الجَحِيمِ﴾[3] فافتتن بهـا المشركـونَ، فقال أبـو جهل: مـا نعرف الـزقـوم إلاَّ آكـل التمـر بـالـزبـد فتـزقمـوا[4]، وقـال بعضُ المشـركين: النـار تـأكـل الشجـر فكيف ينبتُ فيهـا الشجر، فلذلك قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَـا الَّتي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَـةً للنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِي القُرآنِ﴾.

فـإن قال قـائل: ليس في القـرآن ذكر لَعْنِهـا، فـالجـواب في ذلـك لُعِنَ الكُفَّـارُ وهـم آكلوها، وجـواب آخر أيضـاً أن العرب تقـول لكـل طعـام مكـروه وَضَارٍّ: مَلْعُونٌ.

وقوله: ﴿إلاَّ إبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً﴾.

---

(١) سورة الدخان ٤٣ - ٤٤.

(٢) سورة الصافات ٦٦.

(٣) سورة الصافات الآية ٦٤.

(٤) من معاني الزقوم أنه الزبد بالتمر، ونبات بالبادية لـه زَهْر ياسميني الشكـل، وشجرة بـأريحا، من الْغَوْرِ لها ثمر كالتّمر حُلْو عَفِصٌ ولِنَواهُ رُهن عظيم المنافع لأمراض البـرد، والزَّقْمُ اللَّقْمُ.. وقـول أبي جهل: تَزَقَّمُوا أي كلوا الزقُّومَ.

المعنى لِمَنْ خلقته طِيناً، وطيناً منصوب على جهتين: إحداهما التمييز، المعنى لمن خلقته مِنْ طِينٍ، ويجوز أن يكون «طيناً» منصوب على الحال، المعنى أنّك أنشأته في حال كونه من طين.

وقوله: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾.

جاءت ﴿قال﴾ ههنا بغير حرف عطف لأنه على معنى قال اسجُدْ لمن خَلقْتُ طيناً[١].

وقوله: ﴿أرأيتك﴾ في معنى أخبرني؛ فالكاف لا موضع لها، لأنها ذكرت في الخطاب توكيداً، وموضع ﴿هذا﴾ نصبٌ بأَرَأَيْتَ، والجواب محذوف المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت عليَّ لم كرَّمْتَه عَلَيَّ وقد خَلَقْتَنِي من نارٍ وخَلَقْتَهُ من طينٍ، فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه.

ومعنى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

لأُستأصلنهم بالإغواء لهم، وقيل لأَسْتَوْلِيَنَّ عليهم. والذي تقول العرب: قد احتنكت السَّنَةُ أموالَنَا إذا استأصلتها، قال الشاعِر:

نَشْكُو إليك سنة قد أجحفت ... جَهْداً على جَهْدٍ بنا وأَضْعَفَتْ
واحتنكت أموالَنا وجلَّفَتْ[٢]

وقوله: ﴿جَزَاءً مَوْفُوراً﴾.

أي مُوَفَّر، يقال منه وَفَرْته أَفِرُهُ فَهُو مَوْفورٌ، قال زُهَيرٌ:

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ... يفره، ومن لا يتقي الشتم يشتم[٣]

(١) فصل «أرأيتك». مما قبله، لأن في الكلام حذفاً تقديره، قال أأسجد لمن خلقت طيناً، قال الله تعالى نعم اسجد لمن خَلَقْتُ طيناً، قال... الخ.

(٢) الرجز في القرطبي ١٠/٢٨٧، ومجاز أبي عبيدة ١/٣٨٤، والطبري ١٥/٧٥ والجهد الإجهاد والمشقة، وجلفت أي ذهبت بالمال وأضرت به، ويقال للسنة الشديدة جالفة.

(٣) من معلقته. انظر الزوزني ص ٨٨.

وقوله: ﴿واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بصَوْتِكَ﴾.

معناه استدعهم استدعاء تستخفهم بـه إلى إجابتـك، وبِصَوْتِـكَ تفسيره بدعائِكِ، وقيل بصوتك بأصوات الغناء والمزامير.

وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾.

أي أجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكايدِك، وقيل في التفسير: خَيْلُه ورَجْلُه كـل خيل يسعى في معصيـة اللّه فهي من خيل إبليس، وكـل مَاشٍ في معصية فهو من رجال إبليس[1]، ورَجْل جمع رَاجل، ويجـوز ورِجَالِـك فيكون جَمْـع رَاجِل ورِجَـال مثل صـاحب وصحاب. وجـائـز أن يكـون لإبليس خيـل وَرِجَالٌ.

وقوله: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلَادِ﴾.

أي مرهم أن يجعلوا من أموالهم شيئاً لغير اللّه كمـا قال اللّه سبحـانه: ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾[2]. وما قالوه في السائبة والبحيرة.

والشركة في الأولاد قولهم: عبد العزى، وعبد الحـرث. وقيل شـركته في الأولاد يعنى به أولادُ الزنا، وهو كثير في التفسير، وكل معصية في ولـد أو مال فإبليس اللعين شريكهم فيها.

قوله: ﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيطانُ إلَّا غُرُوراً﴾.

فإن قال قائل فكيف يجوز أن يُؤْمَرَ إبليس أن يقال له شاركهم في الأموال والأولاد واجْلِبْ علَيْهم بخيلك ورجلك وعِـدْهُمْ بـأنهم لا يُبْعَثُـون؟ فـإذا فعـل ذلك فهو مطيع، فـالجواب في ذلـك أَنَّ الأمر على ضـربين، أحدهمـا متبع لا

---

(١) في الأصل من رجاله إبليس.

(٢) سورة الأنعام ١٣٦.

غير، والثاني إذا تقدمه نهي عما يؤمر به فالمعنى في الأمر الوعيد، والتهديد[1] لأنك قد تقول: لا تدخلن هذه الدار، فإذا حاول أن يدخلها قلْتُ: أدخلها وأَنْتَ رَجُلٌ، فَلَسْتَ تَأْمُرُه بدخولها ولكنك توعده وتُهدِّدُهُ وهذا في اللغة والاستعمال كثير موجودٌ، ومثله [في القرآن]: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[2]. وقد نُهوا أَنْ يَتَبِعُوا أَهْوَاءَهُم وأن يعملوا بالمعاصي.

وقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾.

أي من أخلص فلا حجة لك عليه ولا سلطان.

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾.

أيَ كفى باللّه وكيلا لأوليائه، يعصمهم من القبول من إبليس.

وقوله: ﴿رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الفُلْكَ فِي البَحْرَ﴾.

تفسير ﴿يزجي﴾ يسَيِّر، وقد زجَّيْتُ قدمت الشيء، وهذا الكلام ذكر معطوفاً على قوله: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ وقوله: ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فالمعنى أنه يبعثكم الذي بدأ خلقكم، والابتداء والإنشاء أشد من الإعادة. ثم أعلمهم أَن الذي قدر على تسخير الفلك في البحر - والفلك كالجبال - قادر على إعَادَتِهِمْ، قال اللّه تعالى: ﴿وَلَهُ الجوَارِ المُنْشَآتُ في البَحْرِ كالأَعْلَام﴾[3] أي كالجبال.

﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُوراً﴾.

الإنسان ههنا يعنى به الكفار خاصة.

وقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾.

الحاصب التراب الذي فيه الحصباء، والحصباء حَصًى صِغَارٌ.

---

(١) في الأصل التهدُّد.

(٢) سورة فصلت ٤٠.

(٣) سورة الرحمن ٢٤.

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً﴾.

أي لا تجدوا مَنْ يَتَّبِعُنَا بإنْكَارِ مَا نَزَلَ بكم، ولا من يَتَّبِعُنَا بأن يصرفه عنكم[1].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾.

تأويله أن اللّه - جل ثناؤه - فضلهم بالتمييز، وبأن سخر لهم ما في السموات والأرض وبِحَمْلِهِم في البرِّ والبحْرِ.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.

قال: ﴿عَلَى كَثِيرٍ﴾ولم يقلْ عَلَى كُلِّ مَنْ خلقنا، لأن اللّه - جل وعلا - فضل الملائكة، فقال: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2]. ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوان الذي لا يعقل ولا يميز. وجاء في التفسير أن فضيلة ابن آدم أنه يمشي قائماً وأنَّ الدوابَّ والإبلَ والحميرَ وما أشبهها تمشي مُنْكَبَّةً، وأن ابن آدم يتناول الطعام بيديه ويرفعه إلى فيه، وأن سائر الحيوان يتناول ذلك بفيه. وهذا الذي في التفسير هو بعض ما فُضِّلَ به ابن آدم. وفضله فيما أعطي من التمييز ورزق من الطيبات وبُصِّرَ من الهُدَى مع ما لا يحصى من النعم عليه كثير جدًّا.

وقوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾.

وتقرأ يوم يَدْعُو - بالياء - كلَّ أُناسٍ بإمامهم، يعنى به يوم القيامة، وهو منصوب على اذكر يوم يدعو كل أناس بِإِمَامِهِمْ، ويجوز أن يكون منصوباً بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو كل أُناسٍ بإمامهم، ومعنى بإمامهم

(١) تبيع بمعنى مطالب، يقال: فلان تَبَيَّعَ على فلان أي مطالب بحقه أي لن تجدوا منتصراً لكم أو مطالباً بنصركم.

(٢) سورة النساء الآية ١٧٢.

بدينهم الذي ائتموا به، وقيل بكتابهم، والمعنى واحدٌ. ويدل عليه ﴿فَمَنْ اوُتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه فَأُولئِكَ يَقْرأُونَ كِتابَهُمْ﴾.

أي من كان على حق أعطي كتابه بيمينه.

﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

المعنى ولا يظلمون مقدار فتيل، والفتيل القشرة التي في شق النواة.

﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِه أَعْمَى﴾.

أي في هذه الدنيا.

﴿فَهُوَ في الآخِرَةِ أَعْمَى﴾.

وهـذا من عمى القلب، أي هو في الآخـرة أَشَدُّ عَمًى[١]. وتأويله أنه إذا عَمِيَ في الدنيا، وقد عَرَّفَهُ ـ جل وعلا ـ وجَعَلَ له إلى التوبة وُصْلَةً، وفَسَخَ لَـه في ذلك إلَى وقت مماته، فعمي عن رشده ولم يَتُبْ ففي الآخـرة لا يجد متـاباً ولا مُتَخلَّصاً مما هو فيه، فهو في الآخرة أشد عمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

أي وأضـل طريقـاً، لأنه لا يجـد طريقـاً إلى الهدايـة فقـد حصـل على عمله.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾.

معنى الكلام كادوا يفتنـونك، ودخلت «إن» والـلام للتوكيـد، وتأويله أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: لا نتركُكَ تستلمُ الحجر حَتَّى تُلِمَّ بآلهتنا، فقال ﷺ في نفســه، ومـا عَلَيَّ أَنْ أفعــل ذلـك والله يعلم مــا في نفسي، وأتمكن من استلام الحجر. هذا مما جاء في التفسير[٢].

---

(١) لا يؤخذ هذا من الآية لأن أعمى ليست أفعل تفصيل وإنما هي صفة

(٢) وحـاشا لـرسول الله (ﷺ) أن يكـون كذلـك ألم يكن يعلم أنه قدوة للمسلمـين؟ وهل يقبـل نبي التوحيد أي لون من الشرك!

وجاء في التفسير أيضاً أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: اطرد عنك سقاط الناس ومَوَالِيَهُمْ وهؤلاء الذين رائحتُهُم رَائِحَةُ الضَّأْنِ، وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف، فَقالـوا: اطرد هؤلاء إن كنت أُرْسِلْتَ إلينـا حتى تجلس إلينا ونسمـع منـك فَهَمَّ النبي أن يفعل في ذلـك ما يستـدعي به إسْلاَمهم، فتوَعَّدُهُ اللَّه ـ عز وجل ـ فيه أشد الوعيد وَعَصَمَهُ اللَّه من أن يُمْضِيَ ما عَزَمَ عليه، فقال:

﴿وإِذَنْ لاتَّخَذُوكَ خَليلًا﴾.

أي إن فعلت ما أرادُوا لاتخذوك خليلاً.

﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قليلاً﴾.

وحُكِيت ﴿تركُن﴾ بضم الكاف. يقـال رَكَن يركَن، وركَن يـركُنُ، فتوعـده اللَّه في ذلك أشد التوعد، فقال:

﴿إِذَنْ لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الحَيَاةِ وضِعْفَ المَمَاتِ﴾.

والمعنى لـو رَكَنْتَ إليهم في ذلك الشّيءَ القليـلَ[1] إذن لأذقنـاكَ ضِعْفَ الحيـاة وضِعْفَ المَماتِ، أي ضِعْفَ عـذاب الحيـاة وضعفَ عَـذابِ الممـاتِ لأنك أنت نبي ويُضَاعَفُ لك العذاب على عذاب غيركِ لـو جنى هذِه الجنـاية كمـا قال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَـأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَـةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَـاعَفْ لَهَا العَـذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[2] لأن درجة النَّبِي ِوَدَرَجَةَ آله الذين وَصَفَهُم اللَّهُ فَوقَ دَرَجَةِ غيرهم.

وقوله: ﴿وَإِن كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾.

كانوا قد كادوا أن يخرجوا النبي ﷺ من مكة فأعلمهم اللَّه أنهم لو فعلوا ذلك لم يَلْبَثُوا بَعدَه إلاّ قلِيلاً، وقيل ﴿لَيَسْتفِزُّونك﴾، أي لَيَقْتُلونَكَ.

---

(١) أي لو ركنت إليهم ركوناً قليلاً.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٠.

وقوله: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾.

﴿سُنَّةَ﴾ منصوب بمعنى أنا سَنَنَّا هذه السنَّةَ فيمن أرسلنا قبلك من رُسُلِنَا، أنهم إذا أَخْرَجُوا نبيهم من بين أظهرهم أو قتلُوهُ لم يلبثهم العذاب أن ينزل بهم، وكان خروج النبي ﷺ من مكة مهاجراً بأمر الله.

وقوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

دلوك الشمس زَوالها ومَيْلها في وقت الظَهِيرةَ، وكذلك ميلها إلى الغروب هو دُلُوكُهَا أيضاً، يقال: قد دلكت بَراحِ وبِرَاحِ[1].

أي قد مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها أن يكسر الشُّعَاعَ عن بصره براحته، قال الشاعر[2]:

هذا مقام قدمي رَبَاح   للشمس حتى دلكت براح

وقوله: ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾.

أي ظُلْمَةِ الليل.

﴿وَقُرْآنَ الفَجْرِ﴾.

أي فأقم قرآن الفجر، وفي هذا الموضع فائدة عظيمة تدل على أن الصلاة لا تكون إلّا بقراءةٍ، لأن قوله أقِمِ الصلاة وأقِمْ قرآن الفجر قد أمر أن

---

(١) بفتح الباء وبكسرها.

(٢) من رجز قطرب، وقد ورد في اللسان (برح، ربح) وروايته ـ حتى دلكت براح. والشطر الأول فقط في (دلك). ورَباح اسم ساقية، بني على الكسر مثل حزام ـ ودلكت براح تعبير عربي ـ أي مالت الشمس حتى أن الشخص ليضع راحتهُ على جبهته ليقي عينيه وهج الشمس. فهيَ جمع راحة ـ أي زالت بوضع الراح على الجباه وجاء في معاني الفراء ٢/ ١٢٩ ـ ذبب أيضاً، وشرحه بأن رباح اسم الساقي وذبب أي طرد الناس. وروي البيت أيضاً ـ حتى دلكت بَراح ـ بفتح الباء، وهو اسم الشمس ـ أي حتى دلكت الشمس، ودلوكها زوالها إما ظهراً أو عند الغروب ـ واختار الأزهري في الآية أن الدلوك بمعنى الزوال لجميع أوقات الصلوات الأربع ـ عدا الصبح، والصبح يبينه ـ وقرآن الفجر.

نقيمَ الصلاة بالقراءة حتى سميت الصلاة قرآناً، فلا تكون صلاةٌ إلاّ بقراءة.

وقوله: ﴿إنَّ قُرآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾.

جاء في التفسير أن ملائكة الليل يحضرون قراءة الفجر، وملائكة النهار يحضرونها أيضاً.

وقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهجَّدْ بِه نَافِلَةً لَكَ﴾.

يقال تهجد الرجل إذا سَهِرَ، وهجَدَ إذَا نام، وقد هجَّدْتُه إذا نوَّمتُه قال لبيد:

قلت هجِّدْنا فقد طال السُّرى وقَدَرْنَا إنْ خَنَا الدَّهرِ غَفَل[1]

وهذه نافلة لك زيادة للنبي ﷺ خاصَّةً ليست لأحدٍ غيرِه لأن اللَّه - جل وعز - أمره بأن يزْدَاد في عبادته على مَا أُمِرَ به الخلقُ أجْمعونَ، لأنه فضله عليهم، ثم وعده أن يبعثه مقاماً محموداً.

والذي صحت به الرواية والأخبار في المقام المحمود أنه الشفاعة.

وقوله: ﴿أَدْخِلْني مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾.

ومَدْخَلَ صِدْقٍ، ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾.

وجاء في التفسير أدخلني مَدخل صِدْقٍ الجنَّة، وأخرجني مَخْرجَ صدقٍ، أي وأخرجني من مكة إلى المدينة. وجاء أيضاً مُدْخَلَ ومخرج صدق دخوله

---

(١) الديوان ٢/١٢، واللسان (هجد - خنى) وأمالي المرتضى ٣/١٠ يصف صديقاً له غلبه النعاس في السَّفر، لأنه مترف لم يتعود المشقة والابتذال. وخَنَا الدهر شدائده ومشقاته، وقبله:

وَمُجُودٍ من صباباتِ الكرى عَاطِفِ النَّمْرُق صَدْقِ المبتذل

والمجود هو الذي غلبه النعاس، والنعاس يسمى الجَوْد، والنَّمرق والنمرقة ما يجلس عليه الراكب فوق الرحل، ورجل صَدْق ضد رجل سَوْءٍ. والتبذل ترك الصون - والرجل المتبذل الذي يلي العمل بنفسه أي إن صاحبه كان يجهد نفسه في مقاومة النوم، وهو يقول له هجدنا ونم فقد طال سرانا.

المـدينة وخـروجه من مكّـةَ. وجاء مُـدْخَلَ صـدق ومخرج صـدق الإدخال في الدين والخروج من الدنيا وهو على الحقّ، وجاء أيضاً ـ وهو حسن ـ دخوله في الرسالة وخروجه مما يجب عليه فيها ﷺ وكل ذلك حسن. فمن قـال مُدْخَـلَ ـ بضم الميم ـ فهـو مصدر أدخلتـه مُدْخَـلاً، ومن قال مَـدخَـل صـدق فهـو على أدْخَلْتهُ فدَخَل مَدْخَل صدق، وكذلك شرح مخرج مثله.

وقوله:﴿واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً﴾.

أي اجعل نصرتي من عندك بتسليطي بالقدرة والحجة، وقد أجـاب اللّـه ـ عز وجل ـ دعاءه وأعلمه أنه يعصمه من النـاس، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُـكَ مِنَ النَّاسِ﴾(١) وقال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾(٢). وقـال: ﴿لِيُظْهِـرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾(٣).

وقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾.

معناه على طريقتـه وعلى مذهبـه، ويدل عليـه: ﴿فَـرَبُّكُـمْ أَعْلَـمُ بِـمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾.

أي أهدى طريقـاً. ويقال هـذا طريق ذو شَـوَاكل، أي يَتَشَعَّبُ منـه طرق جماعةٌ (٤).

وقوله:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الروح مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾.

سألت اليهود النبي ﷺ عن الروح وهم مقدرون أن يجيبهم بغيـر ما عَلِمَ مِن تفسيرها، فأعلمهم أن الروح من أمر اللّه، ثم قال:

---

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٣) سورة التوبة الآية ٣٣. وسورة الصف الآية ٩.

(٤) طرق كثيرة.

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

فقالوا للنبي ﷺ: قد أوتينا التوراة، وفيها الحكمة، وقَدْ تَلَوْتَ: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كثيراً﴾[1]. فأعلمهم اللّه ـ عزَّ وجل ـ أَنَّ عِلْمَ التَّوراةِ قليلٌ في علم اللّه، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[2] أي ما نفدت الحكمةُ التي يأتي بها اللّه عز وجل، فالتوراة قليلة بالإِضَافَةِ إِلَى كلمات اللّه.

وقليل وكثير لَا يصح[3] إلَّا بالإِضَافَة، فإنما يقل الشيء عندما يعلمُ أكثر منه، وكذلك يكثر عند مَعلومٍ هُوَ أَقَلُّ منه.

وقد اختلف الناس في تفسير الروح فقيل إن الرّوح جبريل ومن تأول ذلك فدليله قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ وقيل إن الروح خلق ـ كخلق بني آدم ـ في السماء. وقال بعض المفسرين:[4] ان الروح إنما يعنى به القُرآنُ، قال: ودليل ذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾[5] وكذلك قيل: الروح من أمر ربي. ، وتأويله تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب وحياة النفس فيما تَصِير إليه من الخير عند اللّه عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.

أي لو شئنا لمحوناه من القلوب ومن الكتب حتى لا يُوجَدَ له أثر.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(٢) سورة لقمان الآية ٢٧.

(٣) القلة والكثرة أُمورٌ إضافية، فالشيء الكثير قد يكون قليلاً بالنسبة لشيء آخر أكثر.

(٤) في الأصل وقال بعض تفسَّر بمعنى ادعى التفسير.

(٥) سورة الشورى الآية ٥٢.

أي لا تجد من يتوكل في رد شيء منه.

وقوله: ﴿إلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

استثناء ليس من الأول، والمعنى ولكن الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين. ثم احتج الله عليهم بعد احتجاجه بقوله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ بالقرآن فأعلمهم - وهم العرب العاربةُ أهل البيان، ولهم تأليف الكلام - فقال لهم:

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لبَعْضٍ ظَهِيراً﴾.

والظهير المعينُ.

وقوله: ﴿وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾.

هذا قولهم بعد أن انقطعت حجتهم ولم يأتوا بسورة من القرآن ولا دفعوا أن يكون معجزةً، فاقترحوا من الآيات ما ليس لهم، لأن الذي أتاهم به من القرآن وانشقاق القمر وما دلهم به على توحيد الله أبلغ وأعجز في القدرة مما اقترحوا، فقالوا: ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً﴾.

واليَنْبُوعُ تقديره تقدير يَفْعُول، من نبع الشيء.

وقوله: ﴿أو تكون لك جنةٌ من نَخِيلٍ وعِنبٍ [فَتُفَجِّرَ الأَنْهارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً]، أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً﴾.

وَكِسْفاً، فمن قرأ كِسَفاً جعلها جمع كِسْفَة، وهي القِطْعَةُ، ومن قرأ كِسْفاً فكأنه قال أو تَسقِطُهَا طبَقاً عَلَيْنَا، واشتقاقه من كسفتُ الشيء إذا غطيته.

وقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَ باللَّهِ والمَلَائِكَةِ قَبِيلاً﴾.

في «قَبِيلٍ» قولان، جائز أن يكون. تأمُرُ بهم حتى نراهم مقابلة. وأن يكون قبيلاً كفيلاً، يقال قَبُلْتُ بِهِ أَقْبُل قَبالَة، كقولك: كفلت به أكفُل كَفَالَةً،

وكذلك قول الناس: قد تقبل فلان بهذا أي تكفل به.

وقوله:﴿أَوْ يكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناه بيت من ذهب، وأصل الزخرف في اللغة والزخرفة الزِّينَةُ، والدليل على ذلك قوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها﴾[1] أي أخذت كمال زينتها. وزخرفت الشَّيءَ إذا أكْملْتُ زينتَه، ولا شيء في تزيين بيتٍ وتحسينه، وزخرفته كالذهب. فليس يخرج ما فسروه عنِ الحقّ في هذا.

وقوله:﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾.

يقال في الصعود: رقيت أرقى رقياً، ويقال فيما تداويه بالعوذة: رقيتُ أرقى رُقيَةً ورَقياً.

وقوله: ﴿حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَينا كِتَاباً نَقْـرَؤُهُ﴾.

أي حتى تنزل علينا كتاباً يشهد بِنُبُوَّتِكَ.

فأعلم الله ـ جل ثناؤه ـ أن ذلك لو نزل عليهم لم يؤمنوا فقال: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾[2].

فإذا كانوا يدعون فيما يعجز عنه أنه سحر فكيف يوصل إلى تَبْصِيرَهِمْ والتبيين لهم بأكثر مما أتى به النبي ﷺ من الآية الباقية، وهي القرآن، ومن الأنباء ما يدبرونه بينهم وبما يخبرهم به من أخبار الأمم السالفة، وهو لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينه، وقد أنبأ ﷺ ودل على نبوته كل ما يخطر بالبال.

وقوله:﴿وَمَا مَنَع النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى﴾.

---

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧.

موضع أن نصب.

وقوله: ﴿إلاَّ أَنْ قَالُوا﴾.

موضع ﴿أَنْ قَالُوا﴾ رفع، المعنى ما منعهم من الايمان إلا قولهم: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولاً﴾.

فأعلم اللّه أن الأعدل عليهم، والأبلغ في الأداء إليهم بشر مثلهم وأعلمهم أن ﴿لَوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلاَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ أي يمشون مستوطنين الأرض ﴿لنزلنا عليهم مِنَ السماءِ مَلَكاً رسولاً﴾، لأنه لا يُرْسَلُ إلى خلق إلَّا ما كان مِن جِنْسِهِ.

وقوله: ﴿قُلْ كَفَى باللَّهِ شَهِيداً بيني وَبَيْنَكُمْ﴾.

قالوا للنبي ﷺ من يشهد لك بأنك رسول اللّه، فقال: اللّه يشهد لي و﴿كفى باللّه شهيداً﴾ في موضع رفع، المعنى كفى اللّه شهيداً، وشهيداً منصوب على نوعين، إن شئت على التمييز، كفى اللّه من الشهداء، وإن شئت على الحال، المعنى كفى اللّه في حال الشهادة.

وقوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾.

أي كلما خَمَدَتْ، ونضجت جلودهم ولحومهم بدلهم اللّه غيرها ليذوقوا العذاب.

وقوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾.

هذا جواب لقولهم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبوعاً﴾ فأعلمهم اللّه ـ جل وعلا ـ أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شُحًّا وبُخْلاً، فقال:

﴿إذاً لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإنْفَاقِ، وَكَانَ الإنْسَانُ قَتُوراً﴾.

يعنَى بالإنسان ههنا الكافِر خاصة كما قال ـ عز وجل: ـ ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّه

لَكَنُـودٌ ﴾[1] ، أي لكفور، ﴿وَإِنَّـهُ لحُبِّ الخَيْـر لَشَدِيـدٌ﴾ ـ أي من أجـل حب الخير وهو المال لبخيل.

فأما ﴿أنتم﴾ فمرفوع بفعل مضمر، المعنى قل لو تملكون أنتم ـ لأنّ لو يقـع بها الشيء لوقوع غيره، فلا يليها إلا الفعل، وإذا وليها الاسم عمل فيها الفعل المضمر، ومثل ذلك من الشعر قول المتلمس:[2].

ولــو غيــرُ أخــوالي أَرَادُوا نَقِيصَتِي ... جَعَلْتُ لهم فــوق العَـرانِينِ مِيسَمــاً

المعنى لو أراد غير أخوالي.

والقتُور: البخيل.

وقوله: ﴿ولقد آتينا موسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّنَاتٍ﴾.

قيل في التفسير إنهـا أخذ آل فـرعون بـالسنين وهي الجدب حتى ذهبت ثمارهم، وذهبَتْ من أهل البـوادي مواشيهم. ومنهـا إخراج مـوسى يده بيضـاء للناظرين، ومنها إلقاؤه عصاه فإذا هي ثعبان مبين، وأنها تلقفت إفكَ السَّحرَةِ، ومنها إرسال اللَّه عليهم الطوفان ـ نعـوذ باللَّه منـه، والجرادَ والقُمَّـلَ والضفادعُ والدَّمَ، فذلـك[3] تسع آيـات. وقد قيـل إن البحر[4] منهـا. ومن آياتـه انفجار الحجر ولكنه لم يُرْوَ في التفسير[5].

---

(1) سورة والعاديات الآية ٦.

(2) المتلمس هو جرير بن عبد المسيح، وأخواله بنو يشكـر، كان نـديماً لعمـرو بن هند مـع ابن أخته طرفة، وقصة صحيفته مشهورة، وكان قـد نشأ في أخـواله بني يشكـر فسأل عمـرو بن هند خـاله الحرث فتردد في نسبه فقال عمرو ما آراه إلا كالساقط بـين الفراشـين، فلما بلغ ذلك المتلمس قـال هذه القصيدة يعاتب خاله، وهي الأصمعية ٩٢، وانظر الخزانـة ٣/٧٣، وحواشي أمـالي المرتضى ص ٤، ٥، حـ ١، واللسان (وسم) والكامل ١/١٦٤.

والعرانين جمع عرنين وهي الأنوف ـ والميسم الحديدة التي يكوى بها، وعلامة الكي، وهو المراد هنا.

(3) أي فهذا الذي ذكر، والأولى أن تكون فتلك.

(4) أي جعله طريقاً يبساً ليمر عليه.

(5) لم يرو من الآيات التسع لأنه لم يكن من الآيـات التي واجه بهـا فرعـون، وإنما هـو من آياتـه لبني إسرائيل في التيه.

وقوله: ﴿إنّي لأظُنُكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً﴾.

لم يَجِدْ فَرعَونُ ما يدفع به الآيات إلاَّ إقراره على نفسه بأنه ظانٌ أن موسى مسحور، فأعلمه اللَّه أن فرعون قد بيَّنَ أنها آيات فقال:

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾.

يعني الآيات.

﴿إلَّا رَبُّ السَّمواتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ﴾.

وقرأ بعضهم لقد علمتُ - بضم التاء - والأجود في القراءة لقد علمتَ - بفتح التاء - لأن علم فرعونَ بأنها آيات من عند اللَّه أوكد في الحجة عليه، ودليل ذلك قوله عز وجل في فرعونَ وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا واستَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُم ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾(١).

وقوله:﴿وَإنّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونَ مَثْبُوراً﴾.

أي لأظنك مُهْلَكاً، يقال: ثُبِرَ الرجل فهو مثبور إذَا هَلَكَ.

وقوله:﴿فَأَرَادَ أنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾.

أي فأراد فرعون أن يستفز موسى وقومَهُ مِنَ الأَرْضِ فجائز أن يكون استفزارهم إخراجهم منها بالقتل أو بالتنحية.

﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً﴾.

وقوله:﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾.

أي آتينا بكم من كل قبيلة، واللفيف الجماعاتُ مِن قبائل شَتَّى.

وقوله: ﴿وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ﴾.

وتقرأ فرَّقناهُ - بالتشديد، وقرآناً منصوبٌ بفعل مُضمَر، المعنى: وما

---

(١) سورة النمل الآية ١٤.

أرْسَلْنَاكَ إلاَّ مُبَشِّراً ونَذِيراً، تبشـر المؤمنين بالجنـة وتنذر من عصى اللَّه بـالنار، وقرآناً فرقناهُ[1].

أنزل اللَّه عز وجل القرآن جملة واحـدة إلى سماء الدنيا، ثم أُنْـزِلَ على النبي ﷺ في عشرين سنة، فرَّقه اللَّه في التنزيل ليفهمّهُ الناسُ، فقال:

﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾.

ومَكثٍ جميعاً، والقراءة بضمّ الميم.

وقوله:﴿يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً﴾.

لأن الذي يخر وهو قائم يخر لوجهه، والذَّقَنُ مجتمع اللَّحْيَيْنِ وهو عضـو من أعضاء الوجه، وكما يبتـدىء المبتدىء يخـرُّ فأقـرب الأشياء من وجهـه إلى الأرض الذَّقنُ، وسُجَّداً، منصُوبٌ على الحال.

وقوله:﴿إنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً﴾.

معناه ما كان وعد ربنا إلا مفعولاً.

وإن واللام دخلتا للتوكيد.

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيَّاً ما تَدْعُوا﴾.

لما سمعت العرب ذكر الرحمن قالت: أتدعـونا إلى اثنين إلى اللَّه وإلى الرحمن. واسم الرحمن في الكتب الأُوَلِ المنزلة على الأنبيـاء. فأعلمهم اللَّه أن دعاءهم الرحمن ودعاءهم اللَّه يرجعان إلى شيءٍ واحدٍ فقال: ﴿أيّا ما تَدْعُوا﴾ المعنى أي أسماء اللَّه تدعوا ﴿فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾.

﴿وَلاَ تَجْهَـرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا﴾.

المخـافتـة الإخفـاء، والجهـر رفـع الصـوت، وكـان النبي ﷺ إذا جهـر

---

(١) اسم منصوب على الاشتغال، أي وفرقنا قرآناً فرقناه.

بـالقرآن سب المشـركون القـرآن، فأمـره اللّه ـ جل وعـز ـ ألا يعـرض القـرآن لسبهم، وألا يخافت بها مخـافتةً لا يسمعهـا من يصلي خلفه من أصحابه.

﴿وابْتغ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾.

أي اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة.

وقـوله: ﴿وقُل الحَمْد لِلّه الَّـذِي لَمْ يتَّخِذْ وَلَـداً وَلَمْ يَكُنْ لَـهُ شَـرِيـكٌ فِي المُلْكِ﴾.

يعاونه على ما اراد.

﴿وَلَم يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾.

أي لم يحتج إلى أن ينتصر بغيره.

﴿وَكَبِّرْهُ تكبيراً﴾.

أي عظمه عظَمَةً تامَّةً.

سُورَةُ الكَهْفِ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الحمدُ لِلَّه الَّذِي أَنْـزَلَ عَلَى عَبْدِه الكِتَـابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَـهُ عِوَجـاً قَيِماً﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة إن معناه الحمد للَّه الذي أنـزل على عبده الكتاب قيّماً ولم يجعل له عِوَجـاً. ومعنى قيّم مستقيم، والعِـوَجُ ـ بكسر العين ـ فيمـا لا يرى لـه شخص، وما كـان له شخص قيـل[1] فيه عَـوَج بفتـح العين، تقول: فِي دينه عِوَجٌ، وفي العَصَا عَوَجٌ ـ بفتح العين ـ.

وتأويله الشكر للَّه الذي أنزل على محمد الكتابَ مستقيماً ولم يجعل لـه عِوَجاً، أي لم يجعل فيه اختلافاً كما قال جل ثناؤه: ﴿وَلَوْكَانَ مِنْ عِنْـد غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فيه اخْتلَافاً كَثيراً﴾[2].

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ﴾.

أي لينذرهم بالعذاب البائس[3].

﴿مِنْ لَدُنْه﴾ مِنْ قِبَلِه.

﴿وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الذي يعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُم أَجْراً حَسَناً﴾.

---

(١) في الأصل قلب.

(٢) سورة النساء الآية ٨٢.

(٣) الشديد ذي البأس.

المعنى بأن لهم أجراً حسناً.

وقوله: ﴿مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً﴾.

﴿مَاكثين﴾ منصوب على الحال في معنى خالدين.

وقوله: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾.

وتقرأ كلمة بالرفع والنصب، فمن نصب فالمعنى كبرت مقالتهم ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً﴾ كلمةً، فكلمةً منصوبٌ على التمييز. ومن قرأ كلمة بالرفع فالمعنى عظمت كلمةٌ هي قولهم: ﴿اتخذ اللَّه ولداً﴾ ويجوز في كبرت كبْرَتْ كلمة - بتسكين الباء، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وقوله: ﴿فلعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾.

تأويله فلعلك مهلك نفسك، وقال بعضهم قاتل نفسك، والمعنى واحدٌ، قال الشاعر: [1]

ألا أيهذا الباخعُ الوجدُ نفسَه لشيء نحته عَنْ يَدَيْه المقادر

المعنى ألا أيهذا الذي أهلك الوجد نفسه.

ومعنى ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾، أيْ مِن بَعدِهم.

﴿إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الحَدِيثِ أَسَفاً﴾.

يعنى بالحديث القرآن، و ﴿أسفاً﴾ منصوب لأنه مصدر في موضع الحال[2]،

(١) هو ذو الرمة. أي الحزين الآسف لشيء لا أمل له في إدراكه. والبيت في اللسان (بخع) والطبري ١٥/١٢٠ والقرطبي ١٠/٣٤٨، ومجاز أبي عبيدة ١٥/٣٩٣ - ونحته مخفف من نحَّته بمعنى بُعدته.

(٢) واضح أنه تمييز، أي يبخع نفسه من الأسف.

والأَسَفُ المبالغة في الحزن أو الغَضَبِ. يُقَالُ قد أسِفَ الرَّجُلُ فهو أسيفٌ وآسِفٌ، قال الشاعر: [١]

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضُم إلى كَشْحَيْه كفًّا مُخَضَّباً

وقوله: ﴿لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

أي لنختبرهم، وأيُّهُمْ مرفُوعٌ بالابتداء، إلا أن لفظه لفظ الاستفهام المعنى لِيَخْبُرَ أهذا أحسن عملا أم هذا، فالمعنى: ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها﴾، أي اختباراً ومحنة، فالحَسَنُ العَمَلِ من زهِدَ فيما زُيِّنَ له من الدنيا، ثم أعلمهم أنه مبيدٌ ومُفنٍ ذلكَ كُلَّه مقال:

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً﴾.

والصَعِيد الطريقُ الذي لا نبَاتَ فيه، والجرُزُ الأرض التي لا تنبتُ شيئاً كأنها تأكل النَّبْتَ أَكْلاً، يقال أرْضٍ جُرُزٌ، وَأَرَضُون أَجْرَازٌ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كانوا من آيَاتِنَا عَجَباً﴾.

والرَّقِيمُ قيل إنه اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، والكهف كالفَجِّ وكالغَارِ في الجبل، وقيل ان الرّقيم اسم القرية التي كانوا فيها، وقيل إنّ الرقيم لَوْحٌ كان فيه كتابٌ[٢] في المكان الذي كانوا فيه ـ واللَّه أعلم.

وقيل كان المشركون سألوا النبي ﷺ عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين، وذلك أنهم أعياهم أمر النبي ﷺ بمكة فصارتْ جماعة منهم إلى يثرب فَأَعْلَمَتْ جماعةً من رؤساء اليهود بقصة رسول اللَّه ﷺ فقالت اليهود إنَّ اسمه عندنا مكتوب وأن يبعث على فترة مِنَ الرُّسُلِ فاسألوه عن هذه الأشياء فإن أجاب عنها فهو نبي، فصارت الجماعة من المشركين إلى مكة وجمعوا

(١) في اللسان (خضب) منسوباً للأعشى، وفي معاني الفراء ١/١٢٧، قال رجل، ورجل أسيف أي حزين، وكشحا الرجل جَانِبَاه، و «كفا مخضبا» يريد كأن يَدَهُ مَقْطُوعَةٌ.

(٢) كتابة.

جمعاً كثيراً، وسألوا النبي ﷺ عن هذه الأشياء. فأعلمهم أنه لا يعلمها، وأنه إن نزل عليه وحي بها أعلمهم. فروى بعضهم أنه قال: سأخبركم بها ولم يقل إن شاء اللَّه فأبطأ عنه الوحي أياماً ونزلت: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إنّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إلَّا أنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

فأخبرهم النبي ﷺ بما أوحى اللَّه إليه وأنزله اللَّه في كتابه مما دل على حقيقة نبوته. ثم أعلم اللَّه عز وجل أنَّ قصَّةَ أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات اللَّه، لأنا نشاهد من خلق السموات والأرض وما بينهما مما يدل على توحيد اللَّه ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف فقال جل وعز:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَهْفِ والرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾.
[أي] حتى نُبَيِّنَ قِصَّتَهُمْ
وقوله: ﴿إذْ أَوَى الفِتْيَةُ إلَى الكَهْفِ﴾.

ومعنى أَوَوْا إليه صاروا إليه وجعلوه مأواهم، والفتية جمع فتًى مثل غلام وغِلْمَة، وصَبِيّ وَصِبْيَة، وَفِعْلَةٌ من أسْمَاءِ الجمع، وليس ببناء يقاس عليه، لا يجوز غُراب وغِرْبة، ولا غَني وغنية.

وقوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾.
أي أعْطِنَا من عندِكَ رَحْمَةً، أي مَغْفِرةً ورزقاً.
﴿وَهَيِّىءْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً﴾.

يجوز في ﴿رَشَداً﴾ رُشْداً إلَّا أنه لا يُقْرأ بها ههنا لأن فواصل الآيات على فَعَلٍ نحو أمَدٍ وعدَدٍ[1]، فَرَشَدٌ أحْسَنُ في هذا المكان أي أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك.

---

(١) فواصل الآيات في هذه السورة على فَعَلٍ. نحو أيهم أحسن عملاً، صعيداً جرزاً، كانوا من آياتنا عجباً. فيحسن اطراد الفاصلة.

وقوله ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾.

معنى ﴿ضربنا على آذانهم﴾ منعْناهم أن يسمعوا، لأن النائم إذا سمع انتبه. فالمعنى أنمناهم، ومنعناهم السمع. و﴿عدداً﴾ منصوب على ضربين أحدهما على المصدر، المعنى نَعُدُّ عَدَداً، ويجوز أن يكون نعتاً للسنين، المعنى سنين ذات عَدَدٍ، والفائدةُ في قولك عدد في الأشياء المعدودات أنك تريد توكيد كثرة الشَّيءِ لأنه إذا قلَّ فُهِمَ مِقْدَارُهُ ومقدار عدده، فلم يحتج إلى أن يُعَدَّ، فإذا كثُرَ احتاج إلى أن يعدَّ، فالعدد في قَوْلِكَ أقمت أياماً عدَداً أنك تُرِيدُ بها الكثرة. وجائز أن تؤكد بعدَدٍ معنى الجماعة في أنها قد خرجت من معنى الواحد.

فمعنى قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾.

أي بعثناهم من نومهم، ويقال لكل من خرج من الموت إلى الحياة أو من النوم إلى الانتباه مبعوث. وتأويل مبعوث أنه قد زال عنه ما كان يحبسه عن التصرف والانْبعاث.

وقوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً ﴾.

الأمد الغَايَةُ، و﴿أَمَداً﴾ منصوب على نوعين، وهو على التمييز مَنْصُوبٌ وإن شئت كان منصوباً على أحصى أَمَداً فيكون العامل فيه أحصى، كأنه قيل لنعلَمَ أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء، ويكونُ منصُوباً بلبثوا(١)، ويكون أحصى متعلقاً بـ (لما) فيكون المعنى أي الحزبين أحصى للُبثهم في الأمد.

وقوله: ﴿لَقَدْ قُلْنا إذاً شَطَطاً ﴾.

أي قد قلنا إذَنْ جوراً. و﴿شَطَطاً﴾ منصوب على المصدر، المعنى لقد قلنا

---

(١) هذا هو الوجه الثاني فيكون ظرفاً.

إذَن قول شطط. يقال شط الرَّجُل وأشَطَّ إذا جار، قال الشاعر: (١)

ألَا يَا لَقَوْمي قَد أشطت عَواذِلي ... ويَزْعمن أني أقْصَر اليوم باطلي

وقوله: ﴿لَوْلَا يأتون عَلَيْهِمْ بسُلْطانٍ بَيِّنٍ﴾.

أنكر الفتية عبادة قومِهم، وأن يعبدوا مع اللَّه غيره، فقالوا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون. ولولا في معنى هلَّا، المعنى هلا يأتون عليهم بحجة بَيِّنَةٍ، ومعنى عليهم أي على عبادة الآلهة.

وقوله: ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُم وَمَا يَعْبُدونَ إلَّا اللَّهَ﴾.

موضع ما نصب، المعنى إذا اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون إلا اللَّه فإنكم لن تتركوا عبادته.

﴿فأْوُوا إلَى الكَهْفِ﴾.

أي اجعلوا الكهف مَأْوَاكُم

﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

أي يَنْشُرْ لكم مِنْ رِزْق

﴿وَيُهَيِّىءْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾.

يقال هو مِرْفَق اليد بكسر الميم وفتح الفاء، وكذلك مِرْفَقُ الأَمْر مثل مِرْفق اليَدِ سواء. قال الأَصْمَعي: لا أعرف غير هٰذا. وقَرَأتِ القُرّاء مَرْفِقاً -

---

(١) البيت للأحوص. وهو ابن عبد اللَّه بن عاصم بن ثابت، حمى الدبر. شاعر مقدم لولا أن خطت منه أفعاله الدنيئة، له أخبار شائنة، يجيد الغزل والفخر والمديح، ولشعره رونق، شبب بالأشراف من نساء المدينة، ونفاه سليمان بن عبد الملك إلى دهلك - جزيرة بالبحر الأحمر تقابل مصوع - وشفع له قوم لدى عمر بن عبد العزيز في خلافته فلم يشفعهم وبقي هناك حتى أعاده يزيد بن عبد الملك. انظر الخزانة ١/٢٣٢. واللسان (شطط، وشواهد المغني ٢/٦٣٤، والطبري ١٧/٢٠٧، - أشط بمعنى أبعد يريد بالغن في لومي.

بفتح الميم وكسر الفاء. وذكر قطرب وغيرُه من أهل اللغة اللغَتَيْن جَميعاً في مَرْفَقِ الأمر ومِرْفَق اليَدِ. وقالوا جميعاً المِرْفَق لليد بكسر الميم. هو أكثَرُ في اللغة وأجود.

وقوله:﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾.

في ﴿تَزَاوَرُ﴾ ثلاثة أوجه: تَزَاوَرُ، وتَزْوَرُّ - بغير ألف، على مثال تَحْمَرُّ، وتَزْوَارُّ على مثال تحمارُّ، ووجه رابع تَزَّاور. والأصل فيه تتزاورُ فأدغمت التاء في الزاي.

﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾.

﴿تقْرِضُهم﴾ بكسر الراء، وتَقْرُضهم - بضم الراء -. والكسر القراءة عليه، وتأويله تعدل عنهم وتتركهم، قال ذو الرُّمَّةَ:

لها ظُعُن يَقْرِضْنَ أقْوازَ مُشْرِفٍ　　شمالاً وعن أيمانهن الفوارس[1].

يَقرِضنَ يتركن، وأصل القرض القطع والتفرقة بين الأشياء، ومن هذا قولك: أَقْرِضْنِي دِرْهَماً، تأويله اقطع لي مِنْ مَالِك دِرْهماً.

وقوله:﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

أي في متسع منه

﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾.

قيل إنَّ بابَ الكهفِ كان بِإِزَاءِ بَنَاتِ نَعْشٍ، فلذلك لم تكن الشمس

---

(١) رواية البيت في ديوانه ٣١٣ إلى ظعن - والظعن جمع ظعينة - والمشرف الجبل المرتفع - وأقواز جمع قوز وهو الكثيب، والنقا الصغير المنعطف، وتشبه به أعجاز النساء - وجاء البيت في مجاز أبي عبيدة ١/٣٩٦ - «يقرض أجواز مشرف» - والأجواز جمع جوز، ما يجتازه المار، كالأبعاد. وفي اللسان (قوز) كما هنا - وانظر الطبري ١٥/١٣٠، والقرطبي ١٠/٣٥٠، واللسان (قرض).

تـطلع عليهم وهـذا التفسير ليس بِبَيّنٍ، إنمـا جعـل اللّه فيهم هـذه الآيـة لأن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾.

أكثر اللغة فهو المهتدي بإثبات اليـاء، وفي المصحف في هذا المـوضع بغير ياء وهذا في هذا الموضع كالذي في الأعراف، فهذا هو الوجـه، وهو في الأعراف بالياء[1] وفي الكهف بغير ياء. ـ وحذف الياء جائز في الأسماء خاصة ولا يجوز في الأفعال، لأن حـذف الياء في الفعـل دليل الجـزم. وحذف اليـاء في الأسمـاء واقـع إذا لم يكن [مـع الاسم] الألف والـلام، نحـو مهتـدٍ ومُقْـتَـدٍ، فـأدخلت الألف واللام وتـرك الحذف على مـا كان عليـه. ودلت الكسرة على الياء المحذوفة.

وقوله: ﴿وَتَحْسَبهُمُ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ﴾.

الأيقاظ المنتبهونَ، والرقود النيامُ، وواحد الأيقـاظ يقظٌ ويقظان والجمـع أيقاظ، قال الراجز[2]:

ووجدوا إخْوتـــهم أَيْقَاظاً

وقيـل في التّفسيـر إنهم كـانـوا مُفَتَّحِي الأَعْين، الَّـذي يـراهُم يتـوهمهم منتبهين وقيل لكثرة تقلبهم يظن أنهم غير نيام، ويدل عليه ﴿ونُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وذَاتَ الشّمِاَلِ﴾ ويجوز وَتَحْسِبُهُمْ، وتحسَبهُم.

﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالوَصِيدِ﴾.

والوصيد فناء البيت، وفناء الدار.

---

(١) في سورة الأعراف آية ١٧٨ ﴿مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي، وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ﴾.

(٢) هو العجاج، والبيتان في الطبـري ١٥/١٣١ ومجاز أبي عبيـدة ١٥/٣٩٧ وروايته هنـاك: ووجدوا إخوانهم.

وقوله: ﴿لَو اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

بكسر الواو، وتقرأ لوُ اطلعت عليهم بضم الواو، والكسر أجود، لأن الواو ساكنة والطاء ساكنة، فكسرت الواو لالتقاء الساكنين، وهذا هو الأصل، وجاز الضم لأن الضم من جنس الواو، ولكنه إذا كان بعد الساكن مضْمُوم فالضَّمُّ هُنَاكَ أحْسَنُ منه ههنا. نحو﴿أوُ انْقُصْ﴾[1]-واو انقص بالضم والكسر -

وقوله: ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً﴾.

﴿فراراً﴾ منصوب على المصدر، لأن معنى وَلَيَّتْ فرَرْت منهم.

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً﴾.

ورَعْباً ورُعُباً، ورُعْباً منصوب على التمييز، تقول: امتلأت ماء وامتلأت فَرَقاً، أي امتلات مِنَ الفَرَقِ ومن الماء.

وقيل في التفسير انهم طالت شعورهم جداً وأظفارهم، فلذلك كان الرائي لو رآهُمْ لَهَرَبَ منهم مَرْعُوباً.

وقوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾.

فيها أرْبَعَةُ أوجه - بفتح الواو وكسر الراء، وبورْقكم بتسكين الراء وبورْقِكُمْ - بكسر الواو وتسكين الراء، يقال وَرِقٌ، ووَرْق، وورْقٌ، كما قيل: كَبِدٌ، وكَبْدٌ، وكِبْدٌ. وكسر الواو أردؤها. ويجوز «بِوَرِقْكُمْ» تدغم القاف في الكاف وتَصِيرُ كافاً خَالِصَةً[1].

وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّها أَزْكَى طَعَاماً﴾.

﴿أيها﴾ مرفوع بالابتداء، ومعنى أيها أزكى طعاماً، أي أي أهلها أزكى طعاماً، وأزكى خبر الابتداء، وطعاماً منصوب على التمييز. وقيل: إن تأويل

---

(١) في أول سورة المزمل: ﴿قُم الليلَ إلاّ قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوُ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ ومثله: ﴿ولكن انظر إلى الجبل﴾

(٢) وهو إدغام رديء.. لاجتلاب السكون، ولأن الحرفين غير متجانسين ولسوء النطق.

أزكى طَعَـاماً أحَـلُّ طعامـاً، وذكروا أنَّ القَـوْمَ كان أكثـرُهُمْ مَجُوسـاً، وكانـوا لا يستنظفـون ذبائحهم(١)، وقيل: أَزْكَى طَعَاماً، أي طعاماً لم يؤخذْ من غصْبٍ، ولا هو من جهة لا تَحِلُّ.

وقوله:﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾.

وفَلِيَأتِكُمْ - بإسكان اللام وكسـرها - والقـراءة بإسكـان اللام. والكسـرُ جائز.

قوله:﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً﴾.

قيل لا يُعْلِمَنَّ بكم، أي إنْ ظُهِرَ عَلَيْه فلا يُوقِعَنَّ إخْوَانَهُ فيما يقع فيه.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾.

أي يقتلوكم بالرجم، والرَّجْمُ مِنْ أَخبَثِ القَتْل.

﴿أَوْيُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ، وَلَنْ تُفْلِحُوا إذاً أَبداً﴾.

«إذاً» تدل على الشرط، أي ولن تُفْلِحُوا إن رَجَعْتُم إلى مِلَّتِهِمْ.

وقوله:﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِم﴾.

أي أطلعنـا عَلَيْهم ﴿لِيعْلَموا أَنَّ وعْد اللّه حَقٌّ﴾، أي ليعلم الذين يُكَـذِّبُـونَ بِالبَعْثِ أنَّ وعدَ اللّه حق، ويزداد من يؤمن به إيمَاناً.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا، إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾.

أي يَتَنَـاظَرون في أمـرهم، فيجوز أن يكـون «إذْ» مَنْصُوبـاً بقولـه أعثرنـا عليهم فيكون المعنى وكذلك اعثرنا عليهم أي أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمـرهم، ويجوز أن يكـون منصوبـاً بقولـه: لِيَعْلَمُوا، أي لِيَعْلَمـوا في وقت منازعتهم.

---

(١) لا يختارونها نظيفة.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾.

هذا يدل - والله أعلم - أنه لما ظهر أَمْرُهُمْ غلب المؤمنون بالبعث والنُّشورِ لأَنَّ المَساجِدَ للمؤمنين.

وقوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿ثلاثة﴾ مرفوع بخبر الابتداء، المعنى سيقول الذين يتنازعون في أمرهم؛ هم ثَلاثَةٌ رَابِعُهُم كلبهم.

﴿رَجْماً بالغَيْبِ﴾.

أي يقولون ذلك رجماً، أي ظناً وتخرصاً. قال زهير[1]

وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتمو ... وما هو عنها بالحديث المَرجَّمِ

﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

دخول الواو ههنا واخراجها من الأول واحِدٌ، وقد يجوز أن يكون الواو يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تمَّ.

وقوله: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إلَّا قَلِيلٌ﴾.

روي عن ابن عباس أنه قال، كان أصحاب الكهف سبعة، وأنا من القليل الذين يعلمونهم، وقول ابن عباس إذا صح عنه فهو من أوثَق التفسير.

وقوله: ﴿فَلَا تُمارِ فيهم إلَّا مِراءً ظاهِراً﴾.

أي لا تأْتِ في أمْرِهم بغير ما أوحي إليك، أي أَفْتِ في قِصَّتِهِمْ بالظاهِر الذي أنزل إليك.

---

(١) البيت الثامن والعشرون من مُعَلَّقتِه - يتحدث عن حرب «داحس والغبراء» والحديث المرجَّمَ حديث الظن والتخمين. الزوزني ٨٢ ط صبيح

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ﴾.

أي في أصحاب الكهف.

﴿مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

أي من أهل الكتاب.

وقوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

موضع أن نصبٌ، المعنى: لا تقولنَّ إني أفعل أبداً إلا بمشيئة اللَّه، فإذا قال القائل: إني أفعل ذاك إن شاء اللَّه فكأنه قال: لا أفعل إلا بمشيئة اللَّه(١).

وقوله: ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

أي أيَّ وقت ذكرت أنك لم تستثنِ، فاستَثْنِ، وقل: إن شاء اللَّه.

﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾.

أي قل عسى أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرُّشد وأدَلَّ من قصة أصحاب الكهف.

وقوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِم ثَلَاثِمَائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً﴾.

جائز أن يكون سنين نصباً، وجائز أن تكون جرًّا. فأما النصبُ فعلى معنى فلبثوا في كهفهم سنين ثلَاثَمائةٍ، ويكون على تقدير آخر «سِنين» معطوفاً على ثلَاثٍ عطف البيانِ والتوكيد، وجائز أن تكون سنين من نعت المائة، وهو راجع في المعنى إلى ثلاث كما قال الشاعر(٢)

---

(١) أيّ عمل قلت أنك ستعمله ولم تقل إن شاء اللَّه ثم تذكرت فقل ثانياً إن شاء اللَّه.

(٢) من معلقة عنترة ـ والحلوبة بمعنى الحالبة ـ وهي جمع حلوب عند البصريين ـ مثل قتوبة وقتوب، وركوبة وركوب وقال غيرهم هي بمعنى محلوبة ولذا جاز إلحاق التاء بفعول بمعنى مفعول.

وسود جمع أسود وسوداء، والخافة واحده الخوافي وهي أربع رياش في جناح الطائر ـ وهناك ست عشرة ريشة ـ أربع قوادم، وأربع خواف، وأربع مناكب، وأربع أباهر ـ يصف رهط عشيقته بأن به هذه الإبل السود، وهي أنفس أنواع الإبل.

فيهــا اثنتــان وأربَـعُــونَ حَـلُوبَـةً   سُــودًا كخـافِيـةِ الغُــرابِ الأَسْحَمِ

فجعل سُودًا نعتاً لحلوبةٍ، وهو في المعنى نعت لجملة العَدَدِ، فجَائز أن يكون: فَلَبِثُوا في كَهْفِهِمْ، مَحْمُـولاً على قولـه: سَيَقُولُـونَ ثَلاثَـةٌ رابعُهم كلبُهم وَيَقُولُونَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ وهذا القول دليله قوله: ﴿قلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

ويجـوز ـ وهو الأجـود عندي ـ أنـه إخْبَارٌ عن اللَّه أخبـرهم بطول لُبْثِهِم، وأَعْلَمَ أنَّهُ أَعْلَمُ بذلك. وكان هـذا أبلغ في الآية فيهم أن يكـون الصحيح أنهم قد لبثوا هذا العدَدَ كلَّهُ.

فأما قوله: ﴿وازْدَادوُا تِسْعاً﴾.

فلا يكون على معنى وازْدَادُوا تسع لَيَالٍ، ولا تسـع ساعـاتٍ، لأن العدَدَ يعرف تفسيره، وإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن اعادة ذكر التفسير (١).

تقـول: عندي مـائة درهم وخمسـة فيكون الخمسـة قـد دل عليهـا ذكـر الدرهم

وكذلك قوله: ﴿[والَّذِينَ يُتوفَّوْنَ مِنْكُم] وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾(٢). قال أبو العباس محمد بن يزيد: وعشراً معناه وعشر مُـدَدٍ، وتلك المدد كل مدة منها يومٌ ولَيلَةٌ، والعرب تقول: ما رأيته منـذ عشر، وأتيتُه لِعَشْرٍ خَلَونَ، فيغلِّبُون الليالي على ذكر الأيام، والأَيَّـامُ داخلة في اللَّيَالِي والليالي مع اليوم مُدَّة معلُومَـةٌ مِنَ الدَّهْرِ، فتأنيث عشر يدل على أنه لا يراد بـه أشْهُر فهذا أحسن ما فُسِّر في هذه الآية.

وقوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وأَسْمِعْ﴾.

---

(١) أي تسع سنين.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٤.

أجمعت العلماء أن معناه ما أسمَعَه وأبْصَرَه. أي هُوَ عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم:

وقوله: ﴿وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحداً﴾.

وقرئت: ﴿وَلاَ يُشْرِكْ﴾ عَلَى النَّهْي. والآية - واللَّه أعلم - تَدُلُّ عَلَى أَحَدِ مَعْنَيْينِ:

أحدهما أنه أَجْرَى ذكر علمه وقدرته، فأعلم عزّ وجلّ أنه لا يُشْرِكُ في حُكمِه مما يخبر به من الغَيْبِ أحداً، كما قال: ﴿عَالِمِ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدَاً﴾[1] وكذلك إذا قرئت: وَلاَ تُشْرِكْ - بالتاء - في حكمه أَحَداً، أي لا تَنْسُبَنَّ أَحَداً إلى عِلْمِ الغَيْب، ويكون - واللَّه أعلم، وهو جيّدٌ بالغ - على معنى أنه لا يجوز أن يحكم حاكم إلا بما حكم اللَّه، أو بما يدل عليه حكم اللَّه، وليس لأَحَدٍ أن يحكم من ذات نفسه، فيكون شريكاً للَّه في حكمه، يأمر بحكم كما أمر اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِه مُلْتَحَداً﴾.

أي لَنْ تَجِدَ مَعْدِلاً عَنْ أمره ونَهْيِه، ولا ملجأ إلاَّ إليه، وكذلك: ﴿لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾.

أيْ ما أخبر اللَّه به، وما أمر به فَلاَ مُبَدِّلَ له.

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾.

وقرئت بالغُدْوَةِ والعَشِّي، وبالغَدَاةِ والعَشِي أَجْوَدُ في قول جَمِيع العُلَماءِ لأن «غَدْوَة» معرفة لا تدخلها الألف واللام، والذين أدخلوا الألف واللام

(١) سورة الجنّ الآية ٢٦.

جعلوها نكرة، ومعنى يدعون ربهم بالغداة والعشي، أي يَدعونه بالتوحيد والإخلاص له، ويَعْبُدونه يريدون وجهه، أي لا يقصدون بعبادتهم إلَّا إياه.

وقوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾.

أي لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة. روي أن جماعة من عظماء المشركين قالوا للنبي عليه السلام: باعد عنك هؤلاء الذين رائحتهم كرائحة الضَّأْنِ، وهم مَوَالٍ وليسوا بأشراف لِنُجَالِسَك ولنَفْهَم عنك، يعنون خَبَّاباً، وصُهَيْباً وعَمَّاراً وبلالاً ومن أشبهَهُم[1]، فأمره الله بأن لا يفعل ذلك وأن يجعل إقباله على المؤمنين وألا يلتفت إلى غيرهم فقال: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا واتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾.

أي كان أَمْرُهُ التفريطُ، والتفريط تقديم العجزِ.

وقوله: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

المعنى وقل الذي أتيتكم به الحقُّ مِنْ رَبِّكم.

﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾.

هذا الكلام ليس بأَمْرٍ لَهُمْ، ما فعلوه منه فهم فيه مطيعون، ولكن كلام وعيد وإنذار قد بين بعده ما لكل فريق مِنْ مُؤْمِن وكافِرٍ، قال عزّ وجلّ:

﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نَاراً﴾.

معنى اعتدنا جعلناها عِتَاداً لهم كما تقول: جعلت هذا عُدَّةً لهذا، والعِتادُ الشيء الثابت اللازم.

وقوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرادِقُهَا﴾.

---

(١) من الموالي الذين دخلوا الإسلام.

أي صار عليهم سُرَادِقٌ من العذاب، والسرادق كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب والحائط المشتمل على الشيء[1].

وقوله: ﴿كَالمُهْـلِ﴾.

يعني أنهم يغاثون بماء كالرّصَاصِ المُذَابِ أي الصُّفْرِ[2] والفِضَّـةِ، وكل مـا أذَبْتَه من هـذه الأشياء فهـو مُهْل. وقيـل المهل دُرْدِيّ الـزَّيتِ أيْضاً[3]، وقيل المهل صَدِيدُ الجرح.

﴿يَشْوِي الـوُجُوهَ﴾.

أي إذا قُدِّمَ لِيُشْرَبَ أَشْوَىَ[4] الوَجْهُ مِنْ حرارته.

﴿بِئْسَ الشَّرابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾.

﴿مرتفقاً﴾ منصوب على التمييز، ومرتفقاً مَنْزِلاً، وقال أهل اللغة مرتفقاً: مُتَّكأً، وأنشدوا[5].

إنّي أَرِقْتُ فبتُّ الليـلَ مُـرتـفـقـاً ... كـأَنَّ عَيْنِي فيهـا الصَّـابُ مَـذْبُـوحُ

---

(١) في القاموس: السرادق الذي يمد فوق صحن البيت وجمعه سرادقات والبيْتُ من الكُرْسُف (القطن) والغبار الساطع والدخان المرتفع المحيط بالشيء.

(٢) النحاس ـ وكل مَعْدنٍ أذيب فهو مُهْلٌ.

(٣) درديُّ الزيت ما يبقى في أسفله.

(٤) أشوى الوجه أصاب شواته وهي جلدة الرأس.

(٥) لأبي ذؤيب الهذلي يرثي صديقاً له ـ ويروى مشتجراً ـ والشجر بوزن ضرب مفرج الفم وقيل مؤخره، أو ما بين اللحيين، واشتجر الرجلُ وضع يده تحت شجره، والصاب شجر له لبن يؤذي العينَ إذا أصابها، وفي ديوان الهذليين ١ / ١٠٤.

نام الخلي وبت الليل مشتجراً، وفي اللسان (شجر) كما في الديوان ـ ونقل عن أبي عمرو الشجر بفتحتين ما بين اللحيين، ومدبوحٌ أي مشقوق، والرخى الخلي البال.

يريد نام الخليون الذين لا هم يُؤَرِّقُهُمْ، وظللت أنا لحزني يقظان أسند رأسي بيدي ولا تغمض لي عين كأن لبن الصاب قد صب فيها. وانظر اللسان (ذبح ـ شجر).

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.

خبر إن هنا على ثلاثة أوجه، فأحدها أن يكون على إضمار «إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً منهم»، ولم يحتج إلى ذكر منهم لأن اللَّه تعالى قد أعلمنا أنه يحبط عمل غير المؤمنين، قال عزّ وجلّ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾(1). ويجوز أن يكون خبر إن: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَاتُ عَدْنٍ﴾ ويكون قوله: ﴿إنا لا نضيع أجر من أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ قَدْ فُصِلَ به بين الاسم وخَبَرِه، لأن فيه ذكر ما في الأول، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا. وَوَجْهٌ ثالث، أَنْ يكون الخبر ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ في معنى إنا لا نضيع أجرهم، لأن ذكر «مَنْ» كذكر الذي، وذكر حُسْنِ العَمَل كذِكْرِ الإيمان. فيكون كقولك: إن الذين يعملون الصالحات إن اللَّه لا يضيع أجر من آمن، فهو كقولك إن اللَّه لا يضيع أجرهم(2).

[﴿أُولئك لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ]﴾.

ومعنى ﴿جناتُ عَدْنٍ﴾ جنَّات إقَامةٍ. وقيل في التفسير جنات عَدْن، جنات من الأربع الجِنَانِ التي أعدها اللَّه لأوليائه.

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

أساور جمع أَسْوِرة، وأَسْوِرَة جمع سوار. يقال هُو سِوَارٌ في اليد بالكَسْرِ، وَقَدْ حُكِيَ سَوار وحكي قطرب إِسْوَار، وذكر أن أساور جمع إِسْوَار، على حذف الياء، لأن جمع اسوار أساوير.

---

1) سورة الفتح الآية ٢٩.

2) أي ان الخبر أعم فهو مشتمل على المبتدأ فلا يحتاج إلى رابط.

﴿[ويَلْبَسُون ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وإسْتَبْرَقٍ]﴾[1].

والسندس والاستبرق نوعان من الحرير.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ [نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً][1]﴾.

الأرائك واحدتها أريكة، والأرائك الفرش في الحجال.

ومُرْتفقاً منصوب على التمييز وقد فسرنا المرتفق.

وقوله: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ﴾.

كان المشركون سألوا النبي ﷺ بمشورة اليهود عليهم أن يسألوا النبي ﷺ عن قصة أصحاب الكهف وعن الروح وعن هذين الرجلين، فأعلمه الله الجواب وأنه مثل له عليه السلام وللكفَّار، ومثل لجميع من آمن بالله وجميع من عَنَدَ عنه وكفر به، فقال تعالى: ﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾.

﴿رَجُلَين﴾ منصوب على معنى المفعول على معنى واضرب لهم مثلاً مثل رجُلين.

﴿وَحَفَفْنَاها بنخل﴾ أي جعلنا النخل مُطِيفاً بهما، يقال: قد حف القوم بِزَيْدٍ إذَا كانُوا مُطيفين به.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً﴾.

فأعلم الله أن عمارتهما كامِلةٌ متصلة لا يفصل بينهما إلاَّ عمارةٌ، وأعْلَمنا أنهُمَا كاملتان في تأدية حملهما من نخلهما وأعنابهما والزرع الذي بينهما، فقال:

﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً﴾.

أي لم تنقص منه شيئاً، وقال آتت ولم يقل آتتا، رده على كلتا لأن لفظ

---

(١) سقطت من الأصل ولكن ذُكِرَ تفسيرها ـ فكتبناها.

كلتا لفظ واحد، والمعنى كل واحدةٍ منهمـا آتت أكلها، ولـو كان «آتتـا» لكان جائزاً، يكون المعنى الجَنَّتَانِ كلتاهما آتتا أكلَهُمَا.

﴿وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً﴾.

ولو قرئت نَهْراً لكان جائزاً، يقال نَهَر ونَهْرٌ، فأعلمنا أن شُرْبَهُمَـا كان من ماء نهر وهو من أغزر الشُّرْب.

﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾.

وقرئت ثُمُرٌ، وقيل الثَّمَرُ مَا أخرجته الشجر، والثُّمْرُ المال، يقـال قد ثمَّـر فـلانٌ مَالاً. والثُّمُـرُ هَهُنا أَحْسَنُ، لأن قوله: ﴿كِلْتَا الجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَها﴾، قَد دَلَّ على الثَّمَرِ، وتجوز أن يكون ثَمَرٌ جمع ثَمَرة. وثمارٌ وثُمرٌ[1].

وقوله: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْك مَالاً وأَعَزُّ نَفَراً﴾.

مالاً، ونفراً، منصـوبان على التمييـز، وأخبره أنـه أعز منـه ناصـراً، أي يخبر أَنَّ نُصَّارَهُ كثير.

وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾.

وكل من كفر باللَّه فَنَفْسَهُ ظَلَم، لأنه يولجها النار ذاتَ العَـذاب الدَّائِمِ، فأي ظُلْم للنفس فوق هذا.

وقوله: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.

فأخبر بكفره بالساعة وبكفره بفناء الدنيا.

﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً﴾.

فـدل على أنّ صَاحِبَـهُ المؤمن قد أعلمـه أن السَّاعَـةَ تَقُـومُ وأنـه يبعث،

---

(١) ثُمَرٌ اسم جنس جمعي لثمرة، وثمار جمع حقيقي، وثُمرٌ جمع ثِمَار فهي جمع الجمع.

فأَجَابَـهُ بأن قـال له: ولئن رُدِدْتُ إلى رَبِّي كمـا أعلمتني أن أُبْعَثَ لِيُعطِيني في الآخـرة خيراً ممـا أعطاني في الـدنيا، لأنـه لم يُعطِني هَـذا في الدُّنْيَـا إلاّ وهو يزيدني إن كـان الأَمر عَلَى هَـذَا في الآخرة، فقـال له صـاحبه منكـراً له بهـذا القول:

﴿أَكَفَرْتَ بالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾.

أي ثم أكملك، فأنكرت أمـر البعث حتى شككت فيـه، وقـد أعْلَمَنَـا أن الشاكَّ في أَمْرِ اللَّهِ كافِرٌ، وأن بعض الظَّنِ إثم أي باطِل، وقد قـال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فويْلٌ للَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[1] ثم أعلَمَهُ صاحبهُ أنه مُوَحِّدٌ للَّه، وأنّ كلَّ ما قدر عليه الإنسان من ملك ونِعْمةٍ فلا قوة له ولا قدرة عليه إلاَّ باللَّهِ، فقال:

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً﴾.

فدل خِطَابـهُ على أنَّ صَاحِبَ الجنتين مشـرك عابـدٌ مع اللَّه غيـرَه، وفي قـوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ خمسـةُ أَوْجُـه، لَكِنَّ هـو اللَّه ربي - بتشـديـد النـون وفتحها، ويوقف عليها بالألف، ويـوصل بغيـر ألف، ويُقْرَأ: لكنـا هو اللَّه رَبِّي بالألف موصـولة، ويقـرأ لكِنْ هو اللَّه رَبِّي بسكـون النون، ويجـوز - ولا أعلم أحداً قرأ به - لكنَنَ هُوَ اللَّه رَبِّي بنـونين مَفْتُوحَتَين، ويجـوز لكنَنَا هـو اللَّه ربي بنونين وألف. فمن قرأ بتشـديد النـون فالمعنى لكن أنـا هو اللَّه ربي فـطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتـح واجتمع حـرفان من جنس واحـد، فادُّغِمَت النـون الأولى في الثانيـة، وحذفت الألف في الـوصـل لأنّهـا تثبت في الـوقف وتحذف في الوصل ومن قرأ: لكنَّا فأثبت الألف في الوصل كما كان تثبيتها في

(١) سورة ص الآية ٢٧.

الوقف فهذا على لغة من قال: أَنَا قمتُ[1] فأثبت الألفَ قال الشاعر[2]:

أنــا سَيْفُ العَشِيــرة فَــاعْــرِفُــوني   حَـمِيــداً قــد تــذَرَّيــتُ السنــامــا

قال أبو إسحاق: وألف أنا في كل هـذا إثباتها شاذ في الوصـل؛ ولَكِنْ مَنْ أَثْبتَ فعلى الوقف كما أثبت الهاء في قوله: ﴿وما أدراك ماهيه﴾، و﴿كِتَابِيَهْ﴾[3]، ومن قرأ لكنَّ هو اللَّه ربي، وهي لكنَّ وحـدها ليس معهـا اسم، ومن قرأ لكنَنَ لم يدغم لأن النونين من كلمتين، وكذلك من قـال: لَكِنَنَا بنـونين وألف، على قياس لكن أنا، لم يـدغم لأن النونين من كلمتين، وفي أنـا في الوصـل ثَلاثُ لُغَاتٍ أجودها أَنا قُمْتُ، مثل قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾[4] بغير ألف في اللفظ، ويجوز أَنَا قُمْتُ بـإثبات الألف، وهـو ضعيف جداً، وحكـوا أَنْ قُمتُ بإسكـان النون[5]، وهو ضعيف أيضاً فأما لكِنَّا هو اللَّهُ رَبِّي ـ فهو الجيد بإِثْبَاتِ الأَلِف، لأن الهمزة قد حُذِفَتْ من أَنَا، فصار إثباتُ الألف عوضاً من الهمزة.

فهذا جميع ما يحتمله هذا الحرف.

والجيد البالغ ما في مصحف أُبَيّ بنِ كَعْبٍ ولم نذكره في هـذه القراءات لمخالفته المصحف وهو «لكن أنا هو اللّه ربي»، فهذا هـو الأصل، وجميـع ما قـرئ به جيد بالـغ، ولا أنكر القـراءة بهذا، لأن الحـذف قد يقـع في الكتاب كثيراً في الياءات والهمزات، فيقرأ بـالحذف وبـالتمام نحـو قولـه: ﴿يَوْمَ يَـدْعُ

(١) بمد ألف أنا.

(٢) لحميـد بن حريث بن بحدل، شاعر إسلامي من بني كلب بن وبـرة من قضاعـة، والبيت يـروى «حميداً» بالنصب بدلا من الياء في فاعرفوني، ويروى «حميد» بالـرفع بيـاناً من سيف. أي أنـا حميد. انظر ابن يعيش ٣/٩٣، ٩/٨٤.

(٣) الهـاء هاء السكت، فكـان حقها أن تسقط في الـوصـل، ولكنهـا بقيت كـما بقيت الألف في أنـا. والكلمات من قوله تعالى: ﴿وما أدراك ماهيه، نار حامية﴾ (من سورة القارعة)، و﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ (سورة الحاقة).

(٤) ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ من سورة والنازعات/ ١٦.

(٥) أي أنا قمت.

الـدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾[1]. . من قـرأ الـداعي فمصيب، ومن قـرأ الـداع فمصيبٌ، وكذلك من قـرأ لكِنا، ولكن أنـا فهو مصيب، والأجـود اتباع القُـرَّاء ولزوم الرواية، فإن القراءة سنة، وكلَّمـا كثرت الـرواية في الحـرف وكثرت بـه القراءة فهو المتبع، وما جاز في العربيـة ولم يقرأ بـه قـارئ فـلا تَقْرأَنَّ بـه فإن القراءة به بدعة، وكل ما قَلَّتْ فيه الرواية وضَعُفَ عند أهل العربيـة فهو داخـل في الشذوذ، ولا ينبغي أن تقرأ به.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾.

والجنة البستان. ومعنى: ﴿ولولا﴾ هلاّ، وتأويل الكلام التوبيخ.

﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

﴿ما﴾ في موضع رفع، المعنى قلت: الأمر ما شاء اللَّه. ويجوز أن تكون ما في موضع نصب على معنى الشرط والجزاء، ويكون الجواب مضمراً، ويكون التـأويل أيَّ شيء شـاء اللَّه كان، ويضمـر الجواب كمـا أُضْمِرَ جـواب لَـو في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾[2] المعنى لكان هذا القرآن.

وقوله: ﴿لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾.

الاختيار النصب بغير تَنْوِينٍ على النفي كما قـال لا ريب فيه، ويجـوز لا قوةُ إلَّا باللَّه على الرفع بالابتداء، والخبر «باللَّه» المعنى أنـه لا يقوى أحـد في ديدنه ولا في مِلْكِ يمينه إلَّا باللَّه، ولا يكون له إلا ما شاء اللَّه.

وقوله: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ﴾.

﴿أَقَلَّ﴾ مَنْصُوبٌ، وهو مفعول ثـانٍ بترني، وأنـا يصلح لشيئين، إن شئت كانت توكيداً للنُّونِ واليـاء[3]، وإن شئت كانت فصـلاً، كما تقـول: كنتَ أَنْتَ

(١) سورة القمر الآية ٦

(٢) سورة الرعد الآية ٣١.

(٣) الياء فقط هي الضمير الذي يؤكد، أما النون فهي حرف وقاية.

وتقلب الكفين يفعله الناس كثيراً

﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

أيْ حِيطانُهَا قائمةٌ لا سُقُوفَ عليها، وقد تهدَّمَتْ سقُوفُها فصارت في قرارها والعُرُوش: السُّقوفُ، فصارت الحيطان كأنها على السقوف.

وقوله: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَه مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

﴿ينصرونه﴾ محمول على معنى فئة، المعنى ولم يكن له آقوام ينصرونه، ولو كان ينصره لجاز، كما قال: ﴿فِئَةٌ تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1].

﴿وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً﴾.

وما كان هو أيضاً قادراً على نصر نفسه.

وقوله: ﴿هُنَالِكَ الوَلَايَةُ لِلَّه الحَقِّ﴾.

وتقرأ «الوِلَايَةُ» - بكسر الواو وفتحها - لِلَّهِ الحَقِّ، وتقرأ «الحَقُّ»، المعنى في مثل تلك الحال بيانُ الولاية للَّه. أي عند ذلك يتبيَّنُ نَصْرُهُ، ولي اللَّه - يتولى اللَّه إياه[2]. فمن قرأ الحقُّ [بالرفع] فهو نعتٌ للولاية، ومن قَرأَ الحَقِّ فهو بالجر فهو نعت للَّه - جل وعز. ويجوز الحقَّ، ولا أعلم أحداً قرأ بها. ونصبه على المصدرِ في التوكيد، كما تقول: هنالك الحقَّ، أي أَحُقُّ الحقَّ.

وقوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقُباً﴾.

وعُقْباً، ويجوز وخيرٌ عُقْبَى، على وزن بُشْرَى، وثواباً وعُقْباً منصوبان على التمييز.

وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كماء أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾.

---

(١) سورة آل عمران. الاية ١٣.

(٢) الصحيح أَنْ يُقَالَ: يتولاه اللَّه، إذ لا يستعمل الضمير المنفصِل عند تأتي استعمال المتصا

القائمُ يا هذا، ويجوز رفع أقل، وقد قرأ بها عيسى بن عمر: إنْ تَـرَنِي أَنَا أقَـلُّ مِنْـكَ مَـالاً، على أن أنـا ابتـداء، وَأَقَـلّ خَبـر الابتـداء، والجملة في مـوضـع المفعول الثاني لِتَرنِي.

وقوله:﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِنْ جَنَّتِكَ﴾.

جائز أن يكون أراد في الدنيا، أو في الآخرة.

﴿ويُرْسِلَ عَلَيهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ﴾.

وهـذا موضـع لطيف يحتـاج أن يُشرَحَ وهـو أن الحُسْبانَ في اللُّغَـةِ ـ هو الحِسَابُ قال تعـالى: ﴿الشَّمْسُ والْقَمَرُ بحُسْبَانٍ﴾[1] المعنى بحساب، فـالمعنى في هذه الآية أن يرسل عليهـا عَذَاب حُسْبـانٍ، وذلك الحُسْبَـانُ هو حِسَـابُ ما كسبَتْ يداك[2].

وقوله:﴿فَتُصْبحَ صَعِيداً زَلَقاً﴾.

الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه، وكذلك الزَّلَق[3].

﴿أَوْ يُصْبحَ مَاؤُهَا غَوْراً﴾.

معناه غائراً، يقال ماءٌ غَوْرٌ، ومياه غورٌ، وغورٌ مصدر مثل عَدْل ورِضىً.

وقوله:﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبَاً﴾.

أي يغور فلا تَقْدِرُ على أَثَرٍ تطلبُه من أَجْلِهِ

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾.

أي أحاط اللَّه العَذَابَ بثمره.

﴿فَأَصْبَحَ يُقلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا ﴾.

---

(١) سورة الرحمن.

(٢) المراد بالحسبان الصاعقة، وسميت حساباً لأنها جزاء على ما قدم.

(٣) الزلق المكان الذى لا يثت عله القدم

تأويله أنه نجع[1] في النبات حتى خالطه، فَأَخَذَ النَّبَاتُ زخرفهُ.
﴿فَأَصْبَح هَشِيماً﴾.
والهَشِيمُ النباتُ الجافّ الذي تسفيه الريح.
﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾.

ويقرأ الريح، وفي تذروه لغتان لَا يُقْـرَأُ بِهِمَا: تُـذْرِيه ـ بضم التـاء وكسر الراء، وتَذْرِيه بفتح التـاء. أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ الحَيَاةَ الدنيا زَائِلةٌ، ودَليلُ ذَلِك أنَّ مَا مَضَى منها بمنزلة ما لم يكن، وأعلم أن مثلها هذا المثل.

وقوله:﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَدِراً﴾.
أي على الإنشاء، والإفناء، مقتدراً.

فإن قال قائل: «فالكلام كان اللَّه»[2]، فتأويله أَنَّ مَا شَاهَـدْتَم من قدرتـه ليس بحـادث عنده، وأنـه كذلـك كان لم يـزل. هذا مـذهب سيبـويـه، وقـال الحسَنُ:﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ مُقْتَـدِراً﴾ أي كان مقتـدراً عليه قبـل كونـه، وقـال بَعْضُهُمْ: «كان» مِنَ اللَّه بمنـزلة كـائن ويكـون. وقـولُ الحسنِ فِي هـذَا حسنٌ جميل ومذهب سيبويه والخليـل مذهب النحـويين الحُذَّاقِ كمـا وَصَفْنَا، لأنهم يقولون: إنما خوطبت العربُ بلُغتِها ونزل القرآن بما يَعْقِلُونه ويتخـاطبون بـه، والعربُ لا تعـرف كان في معنى يكـون، إلاّ أن يدخـل على الحرف آلـةٌ تنقلها إلى معنى الاستقبال، وكذلك لا يعرف الماضي في معنى الحال.

فهـذا شرح مـا في القرآن من هـذا الباب نحـو قولـه:﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُـوراً رَحِيماً﴾، ﴿وَكَانَ اللَّهَ بكُلِّ شَيءٍ عَلِيماً﴾، وقد فسرناه قبل هذا الموضع[3].

---

(١) دخل فيه. يقال: نجع العلف في الدّابَّةِ ونجع الوعظ والخطاب في الرجل دخل فيه وأثر.
(٢) كان تقدير الكلام، واللَّه على كل شيء مقتدر ـ ولكن «كان» أفادت أنه قد تم وحدث فعلاً.
(٣) انظر تفسير سورة النساء في جـ ٢.

وقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾.

﴿الباقيات الصالحات﴾ هي الصلوات الخمس، وقيل هي: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. والباقيات الصالحات - والله أعلم - كل عمل صالح يبقى ثوابه، فالصلوات الخمس وتوحيد الله وتعظيمه داخل في الباقيات الصَّالِحاتِ، وكذلك الصدقات والصيام والجهاد وَأَعْمَالُ الخير والبرِّ كُلِّهَا.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على معنى التلاوة والذكر، المعنى واذكر يوم نسير الجبال، ويجوز أن يكون نصبه على «والبَاقِيَاتُ الصالِحاتُ خيرٌ يوم يسيِّر الجبال»، أي خير في القيامة من الأعمال التي تبقى آثامها.

وقوله: ﴿وَتَرى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾، معناه ظاهرة، وقد سُيِّرَت جبالها، واجتثت أشجارها، وذهبت أَبنِيتُهَا فبقيتْ ظَاهِرَةً، وقد ألقت ما فيها وتخلت.

وقوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أحداً﴾.

أي لَمْ نُخَلِّفْ أَحداً مِنهُم.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً﴾.

معناه أنهم كلهم ظاهرون لله، تُرَى جماعَتُهم كما يُرَى كل واحدٍ منهم، لا يَحْجُبُ واحدٌ واحداً.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كما خلقناكم أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

أي بعثناكم كما خَلَقْنَاكم. وجاء في التفسير أنهم يُحْشَرُونَ عُرَاةً غُرْلاً حُفاةً، معنى غُرْلاً، جمع أَغْرَل وهو الأَقْلَفُ[1].

(١) الذي لم يختتن.

وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُم أَنْ لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾.

أي بل زَعمتم أن لن تُبْعَثُوا، لأن اللَّه جل ثناؤه، وعدَهُم بالبَعْثِ.

وقوله: ﴿وَوُضِعَ الكِتَابُ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ وُضِعَ كتابُ كُلِّ امْـرِئٍ بِيَمينهِ أو شماله.

﴿فَتَرى المُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ، ويَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا﴾.

كل من وقع في هلكةٍ دعا بالويل.

﴿مَا لِهَذَا الكِتَابِ لا يغادِرُ صَغِيرةً ولا كبيرةً إلَّا أَحْصَاهَا﴾.

أي لا تاركاً صغيرةً.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ ربُّك أَحَداً﴾.

أي إنما يعاقبهم فيضع العقوبـة موضعهـا في مُجازاة الـذُّنوبِ. وأجمـع أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوا إلَّا إبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه﴾.

قوله: ﴿فَفَسَقَ عن أَمْرِ رَبِّه﴾ دليل على أنه أمر بالسجود مع الملائكة، وأكثر ما في التفسير أن إبليس من غير الملائكة وقد ذكـره اللَّه عز وجـل أنه كـان منَ الجِنِّ بمنـزلة آدم من الانس، وقـد قيل إنَّ الجِنَّ ضَـربٌ من الملائكـة، كانـوا خُزَّانَ الأرض، وقيل خزان الجنانِ.

فـإن قال قـائل: فكيف استثنى مـع ذكر المـلائكـة، فقـال فسجـدوا إلَّا إبليس، فكيف وقع الاستثناء وليس هـو من الأول، فالجـواب في هذا أنـه أُمِرَ مَعَهُمْ بـالسجود فـاستثنى من أنّه لَمْ يَسْجُد، والـدليل على ذلـك أنـك تقـول: أمرت عَبْدِي وأخوتي فأطاعوني إلا عبدي، وكذلك قوله عزوجل: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلَّا رَبَّ العَالَمِينَ﴾[1]، ورب العالمين ليس كمثله شيء، وقد جرى ذكره في

(١) سـورة الشعراء الآيـة ٧٧ من كلام إبـراهيم عليه السـلام ـ ذكر ان الأصنـام أعداؤه واستثنى رب العالمين وليس داخلاً فيهم.

الاستثناء، وهو استثناء ليس من الأول. ولا يقدر أحد أن يعرف معنى الكلام غيرَ هذا.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾.

فيه ثلاثة أوجه، يجوز أن يكون معناه: خرج عن أَمْر رَبِّه، يقال: فسقت الرطبة إذا خرجت عن قِشْرهَا، وقال قطرب: يجوز أن يكون معناه فسق عن رَدِّ أَمْرِ رَبِّه، ومذهب سيبويه والخليل وهو الحق عندنا أن معنى ﴿فسق عن أمْرِ رَبِّه﴾ أتاه الفسق لما أُمِرَ فعصى، فكان سبَبَ فسقِه أَمْرُ رَبِّه، كما تقول أطعمه عن جوع وكساه عن عُرْيٍ. المعنى كان سَبَبَ فسقه الأَمْرُ بالسُّجودِ لَما كان سببَ الإطعام الجوعُ، وسبب الكِسْوة العُرْى.

وقوله: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾.

معناه أنه بئس ما استبدل به الظالمون من رب العزة جل وعز، إبليسُ

وقولُه: ﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾.

أي لم يكونوا مَوْجُودين إذ خلقت السموات والأرض.

﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّين عَضُداً﴾.

ويقرأ وما كنتَ متخذَ المُضلّين ـ بفتح التاء ـ[١] المعنى في فتحها: ما كنتَ يا محمَّدُ لتتخذ المُضلِّين أنصاراً، وضم التاء هي القراءة، وعليها المعنى.

يخبر اللَّه عز وجل بقدرته، وأنه لا يعتضِدُ فيها ولا في نُصْرتِ بالمضِلِّينَ والاعتضادُ التقوى وطلب المعونة، يقال: اعتضدت بفلانٍ، معناه استعنتُ به. و «عَضُداً» فيه خمسة أوجه، وجهان منها كثيران جَيِّدان، وهما[٢]

---

(١) التاء في «كنت».

(٢) في الأصل وهي.

عَضُد بفتح العين وضم الضاد، وعُضُد ـ بضم العين والضاد ـ ويجوز عَضْـداً، وعُضْداً، بتسكين الضاد وضم العين وفتحهـا. وقد رويت عَضِـد بِكَسْر الضَّـادِ ويجوز في عَضِد بكسر الضاد «عَضْداً».

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُم﴾.

أضافهم إليه على قولهم.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً﴾.

جعلنـا بينهم من العذاب مَـا يُوبِقُهم، أي يُهْلِكُهمْ، والمَـوْبِقُ المَهْلِكُ، يقـال وَبِقَ الرجـل يَوْبَقُ، وَبَقـاً ويقال يَيْبَقُ، وبـائق، وفيه لغـة أخـرى وبَقَ يبقُ وَبُوقاً، وهو وَابِقٌ، والأوَّلُ هُوَ وَبِقٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾.

القراءة «وَرَأى»، ويجوز «ورَاءَ» المجرمون مثل ورَاعَ، كما قال كُثَيِّر:

وكـلُّ خليـلٍ رَاءني فهـو قـائـل   من أَجلك هـذا هامـة اليوم أَوْغَدِ[1]

قوله: ﴿فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾.

معناه أَيْقَنُوا. وقد بينا ذلك.

﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً﴾.

أي معدلاً، قال أبُو كَبير[2].

---

(١) هامة اليوم ـ أي هالك في هذا اليوم ـ أي كل من رآه قال انه يقضي نحبه قريباً مما أصابه من حبها وهي تهجره. انظر ديوانه ١١١

واللسان (رأى) وابن الشجري ٢/١٩ والكامل ٢/٢١٧ (تجارية) وكتاب سيبويه ٣/٤٦٧.

(٢) هو عامر بن الحليس أحد بني سعد بن هذيـل. وهو الـذي تزوج أم تـأبط شرًّا، ولـه معها قصـة مشهورة جاءت في خزانة الأدب حـ٣/٤٦٧ (بولاق) وهو صحابي اشتهر بكنيته، وقد أتى إلى النبي ﷺ بعد إسلامه يطلب منه أن يبيح له الزنا، فقال لـه النبي ﷺ أتحب أن يؤتى إليك بمثـل ذلك؟ فقال لا، قال: فارض لأخيك بما ترضى لنفسك، قال فادع اللّه أن يذهبه عني. =

أَزُهيرِ هل عن شيبةٍ مِنْ مَصْرِفٍ   أم لاَ خُلُودَ لِبَادِلٍ متكلِّفِ

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾.

أي من كل مثل يحتاجون إليه، أي بَيَّنَّاهُ لَهُمْ.

وقوله: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيءٍ جَدَلاً﴾.

معناه كان الكافرُ، ويدل عليه قوله: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

فإن قال قائل: وهل يجادل غيرُ الانسان، فالجواب في ذلك أن أبليس قد جادل، وأن كل ما يعقل من الملائكةِ والجِنِّ يجادل، وَلَكِنَّ الإنسانَ أكثر هذه الأشياء جَدَلاً.

وقوله: ﴿وَمَا مَنَع النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الهُدَى﴾.

موضع «أن» نصبٌ. المعنى وما منع الناس من الإيمان ﴿إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾.

المعنى إلاَّ طلَبَ أنْ تَأتيهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلينَ. وسنَّةُ الأولين أنهم عاينوا العذاب، فطلَبَ المشركون أن قالوا: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِن السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١).

﴿أَوْ يأْتِيَهُمْ العَذَابُ قُبُلاً﴾.

ويقرأ قِبَلاً - بكسر القاف وفتح الباء -، ويجوز قُبْلاً - بتسكين الباء - ولم يَقْرأْ بها أحدٌ. وموضع «أن» في قوله «إلاَّ أَنْ تَاتِيهُمْ» رفع، وتأويل قِبَلاً مُعَايَنَةً،

= وزهير هي زهيرة ابنته - منادى مرخم، وشيبة صديق له مات وهو يبكيه بهذا الشعر - والقصيدة في ديوان الهذليين ٢/١٠٤، واللسان (حرف) وروايته هناك: «هل عن شيبة من محرف» - ومحرف كمصرف وزنا ومعنىً.

(١) سورة الأنفال الآية ٣٢.

وتأويل قُبُلاً جمع قَبِيل، المعنى أو يأتيهم العذاب أنواعاً. ويجوز أن يكون تأويل قُبُلاً بمعنى من قُبُل أي مما يقابلهم.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَنْ أَبَداً﴾.

هؤلاء قد أخبر اللَّه عنهم أنهم من أهل الطَّبع فقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنا عَلَى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

أكِنّة جمع كنانة، وهو الغطاء، وهو مثل عِنَان وأَعِنَّة. فأعلم اللَّه عز وجل أن هؤلاء بأعيانهم لن يهتدوا أبداً.

وقوله: ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً﴾.

الموئل المنجا، يقال وَأَل يَئِلُ إذا نجا.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ القُرَى أَهْلَكنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾.

المعنى وأهل تلك القرى أهلكناهم، يعنى به من أُهْلَكَ من الأمَمُ الخالية، نحو عاد وثمود وقوم لوط ومن ذُكِرَ بالهَلاَكِ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾.

أي أجَلاً، وفيها ثلاثة أوجه: لِمُهْلَكِهِمْ، وتأويل الْمُهْلَكِ على ضربين، على المصدر[1]، وعلى الوقت، معنى المصدر لإهْلاَكهم، ومعنى الوقتِ لِوَقْتِ إهلاكهم وكل فعل ماض على أفعل فالمصدر منه مُفْعَل، أو إفْعَال، واسمُ الزَّمَانِ منه مُفْعَل، وكذلك اسم المكان، تقول أُدخَلْتُه مُدْخَلاً، وهذا مُدْخَله أي المكانُ الذي يدخل زيدٌ منه، وهذا مُدْخَلُه أي وقت إدخاله، ويجوز أن يقرأ «لِمَهْلِكِهم» على أن يكون مَهْلك اسماً للزَّمَانِ على معنى هَلَك يهلِكُ، وهذا زمن مَهْلِكِه مثل جلَس يجلس، إذا أردت المكانَ أو الزَّمَانَ، فإذا أردت المَصْدَرَ قلت مَهْلَك بفتح اللام مثل مجلَس، يقال: أَتَتْ الناقةُ عَلَى مَضْرِبها

(١) مصدر ميمي من أهلك، أو اسم زمان.

ايّ على زَمانِ ضِرَابِها، وتقول جَلَس مجْلَساً ـ بفتح اللام ـ ومثله هلك مَهْلَكاً أي هُلْكاً.

وموضع ﴿تلكَ القُرَى﴾ رفع بالابتداء، والقرى صفة لها مُبَيّنَةٌ، وأهلكناهم خبر الابتداء. وَجَائِزٌ أن يكون موضع ﴿تلك القرى﴾ نَصْباً ويكون أهلكناهم مُفسِّراً للناصِب، ويكون المعنى وأهلكنا تلك القرى أهلكناهم.

وقوله: ﴿وإذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾.

وإن شئْتَ قلت بالإِمَالةِ والكسْرِ، وهي لغة تميم، وأهل الحجاز، يفتحونَ ويُفَخِّمُونَ. ويروى في التفسير أَنَّ فتاه «يُوشَع» بنُ نون.

﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾.

معنى ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال، ولو كان لا أزول كان مُحَالاً[1]، لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أَرْضاً، ومعنى لا أبرح في معنى لا أزال، موجود في كلام العرب، قال الشاعر:[2].

وأَبْرَحُ مَا أَدام اللَّه قَوْمِي يحمد اللَّه منتطقاً مُجيداً

أي لا أزال.

(١) لا أزال أفعل. أي أظل أفعل، ولا أزول من مكاني لا أنتقل.

(٢) هو خداش بن زهير بن ربيعة من هوازن ـ شاعر مشهور وهو الذي أعان قيس بن الخطيم على الأخذ بثأر أبيه وجده من قاتله وهو من قوم خداش ـ وله ترجمة في المؤتلف والمختلف ص ١٥٣.
ويقال انتطق فرَسَه إذا جنبه ولم يركبه، ومجيداً أي جواداً أمنح المال، يريد أن قومه كفوه القتال فما داموا فهو مجتنب جواده ويفسر البيت أيضاً بأن أبرح بمعنى لا أبرح حذفت منه لا ـ وصحح صاحب اللسان كلمة قومي برهطي لقوله منتطقاً بالافراد. فمنتطقاً إذن هي خبر دام. أي ما دام رهطي منتطقاً فلا أبرح أنا مجيداً
انظر اللسان (نطق).

وإنما سمى فتاه لأنه كان يخدِمُه، والدليل على ذلك قول موسى: ﴿آتِنَا غَدَاءَنَا﴾.

وقوله: ﴿حُقُباً﴾.

الحقبُ ثمانون سنةً، وكان مجمع البحرين الموضع الذي وعد فيه موسى بلقاء الخضِر [عليه السلام]. وأحب اللَّه عز وجل أن يُعْلمَ موسى - وإن كان قد أوتي التوراة أنه قد أُوتيَ غيره من العلم أيضاً ما ليس عنده، فَوُعِدَ بلقاء الخضِر.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾.

يعني به موشى ويوشَع.

﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾

وكانت فيما روي سمكة مملوحة، وكانت آية لموسى في الموضع الذي يلقى فيه الخَضِر.

﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً ﴾.

أحيا اللَّه السمكة حتى سربَت في البحر، وسرباً منصوب على جهتين، على المفعول كقولك: اتخذت طريقي في الشرب، واتخذت طريقي مكان كذا وكذا، فيكون مفعولاً ثانياً كقولك اتخذت زيداً وَكِيلاً. ويجوز أن يكون «سَرَباً» مَصْدَراً يدل عليه ﴿فاتخذَ سبِيلَه في البحر﴾ فيكون المعنى نَسيَا حُوتَهُمَا فجعل الحوتُ طريقَه في البحر ثم بين كيف ذلك، فكأنه قال: سَرَبَ الحُوتُ سَرباً، ومعنى نسيا حوتهما، كان النسيان مِنْ يُوشَع أن تقدمه، وكان النسيانُ من موسى أن يأمره فيه بشيء.

وقوله:﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾.

والصخرة موضع المَوْعِد.

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ﴾.

وهذا قَوْلُ يُوشَع لِمُوسَى، حين قال موسى ﴿آتنا غَدَاءَنَا﴾، وكانت السمكة من عُدَّةِ غدائهما، فقال:

﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾.

كَسْرُ الهاء وضمها جائِزَان في ﴿أَنْسَانِيه﴾، ﴿أَنْ أذكره﴾ بدلٌ من الهاء لاشتمال الذكر على الهاء في المعنى، والمعنى وما أنساني أن أذكره إلَّا الشيطانُ.

﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي البَحْرِ عَجَباً﴾.

﴿عَجَباً﴾ منصوب على وجهين، على قول يوشع: واتخذ الحوت سبيله في البحر عجباً، ويجوز أن يكون قال يوشع: اتخذ الحوت سبيله في البحر، فأجابه موسى فقال: عجباً، كأنه قال: أَعْجَبُ عَجَباً، ثم قال: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي﴾.

الأكثر في الوقف نَبْغِ على اتباع المصحف. وبعد «نبغ» آيةً[1] ويجوز وهو أحسن في العربية ﴿ذلك ما كنا نبغي﴾ في الوقف. أما الوصل فالأحسن فيه نبغي بإثبات الياء، وهذا مذهب أبي عمرو، وهو أقوى في العربية.

ومعنى قول موسى (عليه السلام): ﴿ذلك مَا كُنَّا نبغي﴾، أي ما كنا نريد، لأنه وعد بالخَضِر في ذلك المكان الذي تتسرب فيه السمكة.

﴿فارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾.

أي رجعا في الطريق الذي سلكاه يقصان الأَثَر قَصَصاً، والقصص اتباع الأثر.

---

(١) أي رأس آية يوقف عليه.

﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾.

يعنى به الخضِرُ، وقيل إنما سمي الخَضِرُ لأنه كان إذا صلى في مكان اخضر ما حوله.

وفيما فعله موسى - وهو من جِلَّةِ الأنبياء، وقد أُوتيَ التوراةَ،(١) من طلبه العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحَدٍ أن يترك طلب العلم، وإن كان قد بلغ نهايته وأحاط بأكثر ما يدركه أهل زمانه، وأَنْ يتواضع لمن هو أعلم منه.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.

ورَشَداً، والفُعْلُ والفَعَلُ نحو الرُّشْدُ والرَّشَدُ كثير في العربية نحو البُخْلُ والبَخَلُ، والعُجْمُ والعَجَمُ، والعُرْبُ والعَرَبُ.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

هذا قول الخِضْرِ لمُوسَى، ثم أعلمه العلة في ترك الصبر فقال:

﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً﴾.

أي وكيف تصبر على ما ظاهِرُه منكر، والأنبياء والصالحون لا يَصْبِرُون على ما يرونه منكراً.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِراً﴾.

هذا قول موسى للخَضِر.

وقوله: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْراً﴾.

أي إنْ أنْكَرتَهُ فلا تعجل بالمسألة إلى أن أبيّن لك الوجه فيه، ونصب

---

(١) من ببانية، أي فيما أوتي من طلب العلم.

﴿خَبراً﴾[١] على المصدر لأن معنى لم تحط به لم تَخْبُرْهُ خُبْـراً،[٢] ومثله قول امرئ القيس[٣].

وَصِـرْنَـا إلى الحُسنى ورق حـدِيثُنَـا ورضـت فَـذَلَّت صَـعْبَـةٌ أيَّ إذْلَالِ

لأن معنى رُضْتُ أذلَلْتُ، وكذلك أحطت به في معنى خبـرته.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها﴾.

أي خرقها الخَضِرُ.

﴿قـال أَخَرَقْتَهـا لتغرق أَهْلَهَـا﴾، وليَغْرَقَ أَهْلُهـا، وكان خـرقها ممـا يلي الماء، لأن التفسير جاء بأنه خرقها بأن قلع لوحين مما يلي الماء، فقال:

﴿لَقَـدْ جئتَ شَيْئاً إِمْراً﴾.

ومعنى امْراً شيئاً عَظِيماً مِنَ الـمُنْكَر.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.

فلما رأى موسى أن الخَـرْقَ لم يَدْخُـل مِنْهُ المـاءُ، وأَنَّه لمْ يُضِـرْ مَن فِي السفينة:

﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً﴾.

ومعنى ترهقني تُغَشِّيني، أي عاملني باليسر لا بالعسر.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَاماً فَقَتَلَهُ﴾.

معناه فقتله الخَضِرُ، ﴿قال أَقَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّـةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَـدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾.

---

(١) من الآية: ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً﴾.

(٢) ظاهر أنه تمييز محول ـ أي لم يحط خبرك به.

(٣) من لاميته: ألا أنعم صباحاً أيها الطلل البالي ـ التي تعد معلقة ثانية له. ويروى و «عجنـا» رجعنا إلى الحالة اليسرى، وأذعنت لما راودها عنه ـ انظر ـ الديوان.

وليس في البيت دليل على ما أراد. إذ هو يريد رضيَّتها حتى ذلت في حال تشددها.

قالوا في زكيَّةٍ بريئة، أي لم يُرَ مَا يُوجِبُ قتلَها، ونُكْراً أقل من قوله إمْراً، لأن تغريق من في السفينة كان عنده أنكر مِنْ قَتْلِ نفسٍ وَاحِدَةٍ وقد قيل إنَّ نكراً ههنا معناه لقد جئتَ شيئاً أَنْكَرَ من الأمر الأول.

و ﴿نُكْرَاً﴾ منصوب على ضربين: أحدهما معناه أتيْتَ شيئاً نكراً، ويجوز أن يكون معناه: جئْتُ بشَيءٍ نكرٍ، فلما حذف الباء أفضى الفعل فنصب.

﴿قَالَ إنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيءٍ بَعْدَهَا﴾ أي بعد هذه المسألة: ﴿فَلَا تُصَاحِبْني﴾.

ويُقْرأُ فلا تصْحَبْني، وَقِرَاءةٌ شَاذَّةٌ فَلَا تُصْحِبْني..

فمن قرأ فلا تَصْحَبْني فإن معناه فَلَا تَكُونَنَّ صَاحِبِي، ومن قرأ فلا تصاحبني فمعناه إنْ طلبتُ صِحبتك فلا تتابعني على ذلك، ومن قرأ تُصْحِبْني، ففيها بأربعة أوجه، فأَجْوَدها فلا تُتابِعْنِي على ذلك، يقال قد أصحب المُهْرُ إذا انقاد، فيكون معناه فلا تتابعَني في شيء ألتمسه منك، ويجوز أن يكونَ معناه فَلَا تُصْحِبْني أحَداً[1] ولا أعرف لهذا معنى لأن موسى لم يكن سأل الخَضِرَ أن يصْحِبَهُ أحَداً.

وقوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾.

ويقرأ من لَدُنى بتخفيف النُّونِ، لأن أصل لَدُنْ الإسكان، فإذا أضَفْتَها إلى نَفْسِك زدت نوناً ليَعْلَمَ سُكُونُ النُّونِ الأولى، تقول من لَدُنْ زَيْدٍ، فتُسْكِنَ النُّونَ ثم تضيف إلى نفسك، فتقول من لَدُنِى كما تقول عن زَيْدٍ وَعَني. ومن قال مِنْ لَدْنِي لم يجز أن يقولَ عَنِي ومِنِي بحذف النُّونِ، لأن لدن اسم غير متمكن، ومن وعن حرفانِ جاءا لمعنًى، ولَدُنْ مع ذلك أَثْقَلُ مِنْ «مِنْ» و «عَنْ». والدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم: قَدْنِي في

---

(١) لم يذكر الوجوه الأربعة وإنما ذكر اثنين فقط.

معنى حَسْبِي، ويقولون قد زَيْدٍ فيدخلون النون لما ذكرناه. إذا أضيفت. ويجوز قَدِي بحذف النون لأن قَدْ اسم غير متمكنٍ، قال الشاعر فجاء باللغتين:

قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي [٢]

فأما إسكانهم دال لَدْن فأسكنوها كما يقولون في عَضُد: عَضْدٍ، فيحذفون الضَّمَّةَ.

وقوله: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾.

زعم سيبويه أنَّ معنى مثل هذا التوكيد[٣]، والمعنى هذا فراق بيننا أي هذا فراق اتصالنا، قال: ومثل هذا أمر الكلام: أخزى اللّه الكاذب مِنِّي وَمِنْكَ، فذكر بيني وبينك ثانيةً تَوْكيدٌ، وهذا لا يكونُ إلَّا بالواو ولا يجوز: «هذا فراق بيني فَبيْنِكَ» لأن معنى الواو الاجتماع، ومعنى الفاء أن يأتي الثاني في إثْر الأول.

وقوله: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَساكِينَ يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ﴾.

مَسَاكِينُ لَا يَنْصَرِفُ لأنه جمع لا يكون على مثال الواحد، وكذلك كل جمع نحو مساجد ومفاتيح وطوامير[٤]، لَا يَنصرف كما ذكرنا. وقد بينا ذلك فيما تقدم في باب ما لا ينصرف[٥].

---

(١) يقال قد زيدٍ بالإضافة، مثل حسب زيد.

(٢) الرجز لحميد بن مالك الأرقط ـ وبعده: ـ ليس الإمام بالشحيح الملحد ـ والملحد الظالم في الحرم ـ ويروى هذا الشطر: ليس أميري. وهو يتحدث إلى عبد الملك بن مروان واصفاً تقاعده عن نصر عبد اللّه بن الزبير وأخيه مصعب ـ وكان عبد اللّه يكنى أبا خبيب ـ واستعمل «الخبيبين» هنا على التغليب ـ وهو يعرض ببخلهما ووصف عبد الملك بالإمام وبأنه أميره، يريد أن الزبيريين لم يكونا أئمة ولا لهما عليه إمارة.

والبيت في شواهد المغني ١٦٦، وكامل المبرد ص ٨٤ (التجارية) والخزانة ٢/٤٤٩، وابن يعيش ١/٤٤٢ ومن شواهد النحو الشائعة.

(٣) يريد تكرار كلمة بين.

(٤) طوامير جمع طامور وطومار وهو الصحيفة.

(٥) أي في الكلام على ما لا ينصرف.

وقوله:﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَة غَصْباً﴾.

كان يأخذ كل سفينة لا عَيْبَ فيها غَصْباً، فإن كانت عائبة لم يعرض لها. وورَاءَهُم: خلفهم، هَذا أجود الوجهين، ويجوز أن يكون: كان رجوعهم في طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون بخبره فأعلم اللَّه الخَضِر خَبَرهُ، وقيل: ﴿كَانَ وَرَاءَهُمْ﴾ معناه كان قدَّامَهُمْ. وهذا جائز في العربية، لأنه ما بين يَدَيْكَ وَمَا قدَّامَك إذا توارَى عنك فقد صار وراءك، قال الشاعر(١):

أَلَيْسَ وَرَائي إنْ تَراخَتْ مَنيَّتي لـزوم العصا تحنى عليها الأَصَابعُ

وقوله:﴿وَأَمَّا الغُلَامُ فَكانَ أَبَواهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾.

﴿يرهقهما﴾ يحملهماعلى الرهق وهو الجهل، وقوله ﴿فخشينا﴾ من كلام الخَضِرِ، وقال قوم لا يجوز أن يكون فخشينا عن اللَّه، وقالوا دليلنا على أن فخشينا من كلام الخضِر قوله ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خيراً﴾ وهذا جائز أن يكونَ عن اللَّه عز وجلّ: فخشينا، لأن الخشية من اللَّه عزّ وجلّ معناه الكَرَاهَةُ، ومعناها من الآدميين الخَوْفُ.

وقوله: ﴿فَأَرَدْنَا﴾.

بمعنى أراد اللَّه - جلّ وعزّ - لأن لفظ الإِخْبَارِ عن اللَّه كذا أكْثَرُ من أن يُحْصَى.

ومعنى :﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾.

أي أقرب عَطْفاً وأَمَسُّ بِالقَرابَةِ، والرُّحْمُ والرَّحْمُ في اللُّغَةِ العطف والرحمةُ قال الشاعر(٢):

---

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري. من عينيته في رثاء أخيه أربد التي أولها: (بلينا وما تبلى النجوم الطوالع) وهي بديوانه والبيت الذي هنا أيضاً في اللسان (وراء).

(٢) أورده أبو عبيدة في مجازه ١/٤١٣ وقبله هذا البيت:

فلا ومُنَزِّلِ الفرقا ن مالك عندها ظلم

وكيف بظُلْمِ جَارِيةٍ ومنها اللين والرُّحْمُ

وقوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ وتقرأ أَنْ يُضيفُوهُمَا. يقَالُ: ضِفْتُ الرَّجُلَ نزلت عليه، وأضَفْتُه وضَيَّفْتُه، إذا أنزلتُه وقَرَيْتُه

وقوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾.

أي فأقامه الخَضِرُ، ومعنى جِدَاراً يُريدُ، -والإرادة إنما تكون في الحيوانِ المبين-، والجدار لا يُريدُ ارادة حقيقيةَ، إلاَّ أن هيئته في التهيؤ للسقوط قد ظهرت كما نظهر أفعال المريدين القاصدين، فوصف بالإرادة إذ الصورتان واحدة، وهذا كثير في الشعر واللغة، قال الراعي يصف الإِبِل:

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفُؤوسِ إذَا أَرَدْنَ نُصولاً(١)

وقال الآخر(٢):

يُريد الرُّمحُ صدْرَ أَبي بَراءٍ ويَرْغَبُ عن دِمَاءِ بني عَقِيل

ويقرأ أن ينقض، وأن يَنْقَاضَّ، فينقض يسقط بسرعة، وينقاض ينشقُّ طولاً. يقال انقاضَّتْ سِنُّه إذا انشقَّت طُولاً

وقوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾.

ويُرْوَى لَتَخِذْت، وذلك أنهما لما نزلا القرية لم يُضَيِّفْهُمَا أهْلُهَا، ولا

وانظر اللسان (رحم) - والقرطبي ١١/٣٧.

(١) من لاميته المشهورة - يصف الإبل بأنها كانت تضطرب في صحراء واسعة فلا تكاد تثبت. (انظر القصيدة في آخر ديوان جرير. ط الصادي والبيت في اللسان (ورد).

(٢) البيت في اللسان (رود). وفي مجاز أبي عبيدة ١/٤١٠، منسوباً للحارثي، ولم يبين من هو، وانظر الطبري ١٥/١٧١، والقرطبي ١١/٢٦. وشواهد الكشاف ١٠١. وروايته: (ويعدل عن دماء بني عقيل).

أَنْـزَلُوهُمَـا فَقَالَ مُـوسَى لو شِئتَ لأخَـذْتَ أجرة إقـامَتِـكَ هـذا الحـائط، ويقـرأ لتخذت عليه أجراً، يقال تَخِـذَ يتْخَذُ في اتَّخَـذَ يَتخِّذُ، وأصـل تَخِذْتُ أَخَـذْتُ وأصل اتَّخَذت ائْتَخذْت

وقوله :﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾.

قيل كان الكنز عِلْماً وقيل كان الكنزِ مالاً، والمعروف في اللغة أن الكَنْـزَ إذَا أُفْـرِدَ فمعناه المـالُ المدْفُـونَ والمدَّخَـرُ فإذا لم يكن المـال قيل: عنـده كَنْزُ عِلْمٍ وله كَنُزُ فَهْمٍ، والكنز ههنا بـالمال أشبَـهُ، لأن العلم لا يكـاد يتعـلـم إلا بمعلّمٍ، والمال لا يحتاج أن ينتفـع فيه بغيـره، وجائـز أن يكون الكنْـزُ كان مالاً مكتوباً[١] فيه عِلم، لأنه قد رويَ أنه كان لوحاً مِنْ ذَهَبٍ عليه مكتوبٌ: «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه»، فهذا مال وَعِلْمٌ عظيمٌ، هو توحيد اللَّه عزّ وجلّ وإعلام أن محمداً مبعوث.

وقوله :﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

﴿رَحْمَةً﴾ منصوبٌ على وَجْهَيْن، أحدهما قـوله فَـأَرَاد ربُّك وأَرَدْنَـا مَا ذَكَـرْنَا رحمةً أي للرحمة، أي فعلنا ذلك رَحْمةً كما تقول: أنقَذْتُك من الهلكة رحمـة بك. ويجوز أن يكون رَحْمَةً منصوباً على المصـدر، لأن معنى فأراد ربُّـك أن يَبلُغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمهما اللَّه بذلك. وجميع ما ذكر من قولـه: فَـأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا، ومن قـوله فَـأَرَدْنَا أَنْ يُبَـدِّلَهُمَا رَبُّهُمَـا، معنـاه رحمهمـا اللَّه رحمة.

وقوله:﴿وَمَا فَعَلْته عَنْ أَمْرِي﴾.

يدل على أنه فعلـه بوحي اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ﴾.

---

(١) في الأصل «مكتوب».

كانت اليهود سألت عن قصة ذي القرنين على جنس الامتحان.

﴿قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً﴾.

يقال إنه سمي ذا القرنين لأنه كانت له ضَفِيرتان، ويُـروَى عن علي عليه السلام أنه قال سمي ذا القرنين لأنه ضَرَبَ على جـانب رَأْسه الأيمن، وجـانب رأسه الأيسر، أي ضرب على قرني رأسه، ويجوز أن يكـون على مذهب أهـل اللغة أن يكون سُمِّيَ ذا القرنين لأنه بلغ قطري الدنيا ـ مشرقِ الشَّمسِ ومَغْرِبها

وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ سَبَباً فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾.

ويقـرأ ﴿فأَتْبَـعَ﴾ أي آتينـاه من كـل شيء مـا يَبْلُغُ بـهِ فِي التمَكُّنِ أَقْـطَارَ الأَرْضِ. ﴿سَبَـباً﴾ أي عِلْماً يوصِّلهُ إلى حَيْثُ يريـد، كما سخـر اللَّه عزَّ وجـلَّ لسليمان الرِّيحَ.

ومعنى ﴿فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾.

ـ واللَّه أعلم ـ أي فاتبع سبَبَاً من الأسباب التي أُوتِيَ.

﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾.

ويُقْرَأُ ﴿حِمِئَة﴾ بالهمز فَمَن قرأ حَمِئةٍ أراد في عين ذَاتِ حمأةٍ، ويقال حَمَأْتُ البئر إذا أخرجتُ حَمْأَتَها، وأَحْمأْتُها ـ إذا ألقيت فيها الحَمْأَةَ، وحمِئَتْ هي تحمأ فهي حمئة إذا صارت فيها الحماة، ومن قرأ حَامِيَـةً بغير همـز أراد حارَّةً، وقـد تكون حارّةً ذات حَمْأةٍ(١)

﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْماً﴾.

أي عند العين.

وقوله: ﴿قُلْنَا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً﴾.

---

(١) الحمأة الطين الأسود المنتن.

أباحه اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ هـذَيْن الحكمين كما أباح محمداً ﷺ الحكم بين أهْلِ الكتاب أو الإعراضَ عنهم.

﴿قالَ أمّا مَنْ ظَلَم فَسَوْفَ نُعذِّبُهُ ثُم يُرَدُّ إلَى رَبِّه فَيُعَذِّبُه عَذاباً نُكْراً ﴾.

أي فسوف نعذِّبه بالقتل وعَذَاب اللّهِ إيَّاهُ بالنار أنْكَرُ من عذاب القتل.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى ﴾.

وتُقرْأ ﴿جَزَاءً الحُسْنَى﴾، المعنى فله الحسنى جزاءً، وجزاء مصدر موضوع في موضع الحال. المعنى فله الحسنى مَجْزِيًّا بها جزاءً، ومن قرأ جزاءُ الحسنى، أضَافَ جزاء إلى الحسنى، وقد قرئ بهما جميعاً.

﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴾.

أي نقول له قولاً جميلاً

﴿ثم أَتْبَعَ سَبَباً﴾.

أي سبباً آخر مما يوصله إلى قُطْرٍ من أقطار الأرض.

﴿حتَّى إذَا بَلَغَ مَطْلَعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِها سِتْراً ﴾.

أي لم نجعل لهم شيئاً يُظلُّهُمْ من سقف ولا لباس.

وقوله: ﴿كَذَلِكَ﴾[1] يجوز أن يكون وجدها تطلع على قوم كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس، وأن حكمهم حكم أولئك.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً﴾.

أي سبباً ثالِثاً مما يبلُغُهُ قُطْراً من أَقْطَارِ الأَرْض.

---

(١) بجعل «كذلك» متصلة بما قبلها ـ بمعنى: أيضاً ـ ويقتضي هذا أن يكون القوم الذين رآهم عند مغرب الشمس لم يكن لهم ستر من دون الشمس أيضاً.

﴿حتَّى إذَا بَلَغ بينَ السُّدَّيْنِ﴾، ويقرأ ﴿بين السَّدَّيْن﴾. وقيل ما كان مسدوداً خلقة فهو سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ.

وقوله: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾.

ويقرأ يُفقِهون، فمعناه لا يكادون يُفْهِمُونَ.

﴿قالُوا يَا ذَا القَرْنَيْنِ إنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ﴾.

وتقرأ بالهمز في يأجوج ومأجوج، ويقرأ بغير همزٍ، وهما اسْمان أعجَميَّانِ لا ينصرفان لأنهما معرفةٌ.

وقال بَعضُ أهل اللغة: من هَمَزَ كأنه يجعله من أَجَّةِ الحرّ، ومن قوله مِلْحٌ أُجَاجٌ. وأجَّةُ الحَرِّ شدتُهُ وتَوَقُّدُه. ومن هذا قولهم أجَّجْتُ النَّارَ ويكون التقدير في يأجُوج يفعُول، وفي مَأْجُوج مفعول، وجائز أن يكون ترك الهمز على هذا المعنى، ويجوز أن يكون «مَاجوج» فاعول، وكذلك ياجوج، وهذا لو كان الاسمانِ عَرَبيَّيْنِ لكان هذا اشتقاقهما، فأمَّا الأعجمية فلا تشتق من العربية.

وقوله: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾.

وَتُقْرَأُ خَرَاجاً. فمن قرأ خَرْجاً، فالخَرْجُ الفَيْءُ، والخَرَاجُ الضَّرِيبَةُ وقيل الجزْيَةُ، والخراج عند النحويين الاسم لما يُخْرَج من الفرائض في الأموال، والخَرْجُ المصْدَرُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

أيْ تجعل بيننا وبين يأجُوج ومَأجُوجَ.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فيه رَبِّي خيْرٌ﴾.

ويجوز. ما مكَّنَنِي بنونين، أي الذي مكنني فيه ربِّي خيرٌ لي مما

يَجعَلُونَ لي من الخراج. فمن قرأ «مَكَّنِّي» أدغم النون في النون لاجتماع النونين، ومن قرأ مَكّنَنِي بنُونَيْنِ أَظهر النونين لأنهما مِنْ كلِمَتَيْنِ. الأُولى من فعل والثانية تدخل مع الاسم المضمر.

وقوله: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوةٍ﴾.

أي بعمل تعملونه معي لا بمال

﴿أَجْعَلْ بينكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً﴾.

والرَّدْمُ في اللغة أكثرُ مِنَ السَّدِّ[1]، لأنَّ الرَّدْم ما جُعِلَ بعضه على بعْضٍ يقال: ثوبٌ مُرَدَّمٌ، إذا كان قد رُقِعَ رُقعة فوق رُقعَة.

وقوله: ﴿آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ﴾.

أي قطع الحديد، وواحد الزُّبَرِ زُبَرَة، وهي القطعة العظيمة.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾.

وتقرأ الصُّدُفَيْنِ والصُّدْفينِ، وهُما نَاحِيتَا الجَبَلِ.

وقوله: ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾.

وهو أن أخذ قِطعَ الحديد العِظَامِ وجعل بينها الحطب والفَحْمَ ووضع عليها المنافيخ[2] حتى إذا صارت كالنار، وهو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً﴾.

والحديد إذَا أُحْمِيَ بالفحم والمِنْفَاخِ صارَ كالنَّارِ.

وقوله: ﴿قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾.

المعنى أعطوني قِطْراً وهو النحاس. فصب النحاس المُذَابَ[3] على

---

(١) أي أكبر في حجمه وأكثر في ترابه.

(٢) جمع منفاخ آلة النفخ.

(٣) في الأصل: المذوب. وهو خطأ لأن ذاب لازم.

الحديد الـذي قد صـار كالـزيت فاختلط ولَصِقَ بعْضُـه ببعض حتى صار جبلاً صَلْداً من حديد ونحاسٍ . ويقال إنه بناحية أرْمِينية .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ [وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴾ .

أي ما قَدَرُوا أن يعلو عليه لارتفاعه وامْلِسَاسِـه وما استـطاعوا أَنْ يَنْقُبُـوه. وقوله : ﴿فما اسْطَاعُوا﴾ بغير تاء أصلها استطاعوا بـالتاء ، ولكن التـاء والطاء من مخـرج واحـد ، فحـذفت التـاء لاجْتِمَـاعِهِمَـا ويخفَّ اللفظُ ، ومِنَ العَـرب من يقول : فما استـاعوا بغيـر طَاء ، ولا تجـوز القراءة بهـا . ومنهم من يقول : فمـا أَسْـطَاعـوا بقـطع الألف ، المعنى فمـا أطـاعـوا ، فـزادوا السين . قـال الخليـل وسيبويه : زَادُوهُمَا عِوَضاً من ذهاب حركة الـواو ، لأن الأصل في أطـاع أَطْوَعَ . فأما من قرأ فما اسْطَّاعوا ـ بإدغام السين في الـطاء ـ فلا حِسنٌ مخـطئ . زعم ذلك النحويون ، الخليل ويُـونُس وسيبويـه ، وجميع من قـال بقولهم . وَحُجَّتُهُمْ فِي ذلك أن السين ساكنة فإذا أدغمت التاء صارت طاء ساكنـة ، ولا يجمع بين ساكنين . ومن قال : اطرح حركة التاء على السين فأقول : فمـا اسَطاعُـوا فخطأ أيضاً ، لأن سين استفعل لم تُحرَّكْ قط .

وقوله : ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ .

أي هذا التمكين الذي أدركتُ به السُّدَّ رحمةٌ من ربي .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكاً . وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ .

وتقرأ ﴿دَكَّاءَ﴾ ، على فعلاء ـ يا هذا ـ والدَّكَّاء والـدِّكاء ، كل ما انسبط مِن الأَرْض من مُرْتَفَع . يعنى أنه إذا كان يـومُ القيامَـةِ ، أو في وقت خروج يَـأْجُوجَ ومَأْجُوجَ صار هذا الجبل دَكاً . والـدليل على أن هـذا الجبل يصيـر دَكًّا قـوله : ﴿ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ والجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴾ . (١)

---

(١) سورة الحاقة الآية ١٤ .

وقوله: ﴿وَتَـرَكْنَا بعضَهُم يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾.

ومعنى يمـوجون في الشيء يخـوضون فيـه ويكثرون القـول. فجائـز أن يكون يعنى بـ «يومئذٍ» يوم القيامة، ويكون الدليل على ذلك ﴿وَنُفِـخَ في الصُّورِ فجمعناهم جَـمْعاً ﴾.

ويجوز أن يكون﴿وَتركْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾أي يوم انقضاء أمر السَّدِ - وقوله ﴿يَمُوجُ﴾، ماجوا متعجبين مِنَ السَّدِّ. ومعنى... ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾. قال أهل اللغة: الصـور جمع صـورة[١]. والذي جـاء في التفسير أن الصور قرن يَنْفُخ فيه اسرائيل - واللَّه أعلم -، إلا إن حملته أنه عند ذلك النَّفِخْ يكون بعث العباد ونشرهم[٢]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرين عَرْضاً﴾.

تأويل عرضنا أظهـرنا لهم جهنم حتى شـاهدوهـا ورأوها.

وقوله: ﴿الَّذِين كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾.

جعل اللَّه عزّ وجلّ على أبصارهم غشاوة بكفرهم.

﴿وكَانُوالاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً ﴾.

كـانوا لعـداوتَهم للنَّبيِّ ﷺ لا يقدرون أن يسمعـوا ما يتلى عليهم، كمـا تقول للكاره لقولك ما تقدر أن تسمع كلامي.

وقـوله عـزّ وجـلّ: ﴿أَفَحَسِبَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا أَنْ يَتَّخِـذُوا عِبَـادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ ﴾.

---

(١) قائل هذا هو أبو عبيدة في «مجازه» ولم يوافقه عليه العلماء، لعدم مناسبـة ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات..﴾الخ ويؤيد رأي المفسرين ﴿فإذا نقر في الناقور﴾.

(٢) أي يحمله على النفخة الثانية فقط.

تـأويله: أفحسبـوا أن ينفعهم اتخـاذهم عِبَـادِي أوليـاء، وقـرئت ـ وهي جَيِّدَةٌ ـ أفَحَسْبُ الذين كفروا. تأويله أفيكْفيهم أن يتخذوا العبادَ أولياء مِن دون اللَّه، ثمّ بين عزّ وجلّ جزاءهم فقال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّم لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾.

يقال لكل ما اتُخِذَ ليمكث فِيه، أعتَدْتُ لفلان كذا وكذا، أي اتَّخَذْتُهُ عَتَاداً له، ونُزُلاً، بمعْنَى مَنْزِلاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بالأخْسَرِينَ أَعْمالاً﴾.

منصوبِ على التمييز لأنه إذْ قال[1]: ﴿بِالأَخْسَرِينَ﴾، دل على أنه كان منهم[2] مـا خسِرَوه، فبين ذلـك الخَسْرَانَ فِي أيِّ نـوعٍ وَقَع فـأعلم ـ جل وعـزّ ـ أنه لا ينفع عملٌ عُمل مع الكفر به شيئاً فقال:

﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَـرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيـلِ اللَّه أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ و﴿الذين﴾ يصلح أنْ يكونَ جـرًّا ورَفْعاً، فـالجر نعت لـلأخسرين، والـرفع على الاستئناف، والمعنى هم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا.

﴿وَهُـمْ يَحْسَبُونَ﴾.

وتقرأ يحْسِبُونَ

﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾.

أي يظنون أنهم بصدهم عن النبي ﷺ أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعاً.

وقوله ـ عزّ وجلّ: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـاتُ الفِرْدَوْسِ﴾.

اختلف الناس في تفسير الفـردوس، فقال قـوم: الفردوسُ الأَوْدِيـةُ التي

---

(١) في الأصل إذا.

(٢) في الأصل منهما.

تنبت ضروباً من النبت، وقالوا: الفردوس البستان وقالوا: هـو بالـرومية منقـول إلى لفظ العربية، والفِرْدَوْسُ أيضاً ـ بالسريـانية، كـذا لفظة فـردوس. ولم نجد في أشعار العرب إلا في بيت لحسان بن ثابت[١].

وإنَّ ثـواب الـلَّه كُـلَّ مـوحـدٍ   جنـانٌ من الفـرْدَوْسِ فيهـا يخـلَّدُ

وحقيقتـه أنه البُستان الـذي يجمع كـل ما يكـون في البساتين لأنه عنـد أهـل كل لغـة كذلـك، ولهذا قـال حسـان بن ثـابت: «جِنانٌ من الفـردوس»، وقولهم :إنـه البستان يحقق هذا.

والجنة أيضاً في اللغة البُسْتَانِ، إلَّا أن الجنة الَّتِي يَدْخُلُهَا المؤمنون فيهـا ما يكون في البساتين، ويدل عليه قوله: ﴿وفـيهـا مـا تـشتـهيـه الأنـفس﴾[٢].

وقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

منصوب على الحال.

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً﴾.

أي لا يُرِيدُونَ عنها تَحَوُّلاً، يقال: قد حال في مكانـه حِوَلاً، كمـا قالـوا في المصادر صَغُرَ صِغَراً، وعظُم عِظَماً، وعادني حبها عِـوَداً. وقد قيـل أيضاً: إنّ الحِوَالَ الحيلَةُ، فيكون على هذا المعنى، لا يحتالون منزلاً غيرها

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَلَوْ جِئْنَا بمثْلِهِ مَدَداً﴾.

---

(١) اللسان (فردس) ـ و «كل موحد» مفعول لثواب ـ والقصيدة في الديوان. وجاء في رثائه رسول الله ﷺ أيضاً:

يـا رب فـاجمعنـا معـاً ونـبيـنـا   في جـنـة تثني عـيـون الحسـد

في جنة الفـردوس فـاكتبـهـا لنـا   يـاذا الجلال وذا العـلا والسـرمـدِ

وهي في سيـرة ابن هشـام جـ ٤/٣٥٠.

(٢) في الأصل ما تشتهي وهو ليس من الآية. والآية من سورة الزخرف: ٧١.

﴿مَدَداً﴾ منصوب على التمييز، تقول: لي ملءُ هذا عَسَلاً، ومِثْلُ هذا ذهباً، أي مثله من الذهب.

وقد فسرنا نصب التمييز فيما سلف من الكتاب.

وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ﴾.

فيها قولان: قال بعضهم معناه فمن كان يخاف لقاء رَبِّه،ومثله: ﴿مَا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ للَّهِ وَقَاراً﴾[1]،قالوا: معناه مَا لكم لا تخافون للَّه عظمةً. وقد قيل أيضاً فمن كان يرجو صلاح المنقلب عند ربِّه، فإذَا رَجَاهُ خَافَ أيضاً عذاب رَبِّه.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾.

وتجوز «فَلِيَعْمَلْ» بكسر اللام، وهو الأصل، ولكنه يَثْقلُ في اللفظ، ولا يكاد يقرأ به، ولو ابتُدِىء بغير الفاء لكانت اللام مكسورة[2]. تقول: لِيَعْمَلْ زيدٌ بخيرٍ، فلما خالطتها الفاء، وكان بعد اللام الياء ثقلت الكسرة مع الياء، وهي وحدها ثقيلة، ألا تراهم يقولون في فَخِذٍ فَخْذٍ.

---

(١) سورة نوح الآية ١٣.

(٢) لو جاءت اللام أول الكلمة.

سُورَةُ مَرْيَمَ
مكيــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿كهيعص﴾.

فيها في القراءة ثلاثة أوجه: فتح الهـاء والياء، وكسرهما[1]. وقـرأ الحسن بضم الهاء كهُيعص، وهي أقل اللغات. فأمـا الفتح فهـو الأصل. تقـول: هَا. با. تا... في حروف الهجاء، ومن العرب من يقول ها يا. بالكسر[1]. ومنهم من ينحو نحو الضَّمِّ فيقـول هُا. يُـا، يُشِمُّ الضَّمَّ. وحكى الخليل وسيبـويه أن من العَرب من يقول في الصلاة الصَّلُوة، فينحو نحـو الضَّم[2]، فأمـا من روى ضَمَّ الهاء مع اليـاء فشَاذٌّ، لأن إجمـاع الرواة عن الحسن ضمُّ الهـاء وحدهـا، وفي الرواية ضم الياء قليل عنه.

واختلف في تفسير ﴿كهيعص﴾ فقال أكثر أهل اللغـة إنها حـروف التَّهَجِّي تدل على الابتداء بالسورة نحو ألم، والر. وقيل إن تأويلهـا أنها حـروف يَدُلُّ كُلُّ وَاحِد منها على صفة من صفات اللَّه ـ عزّ وجـلّ ـ فكاف يـدل على كريم، و «ها» يدل على هادٍ، و «يا» من حكيم، و «عين» يـدل على عالم، و «صَـادْ» يَدُلُّ على صادق. وهذا أحسن ما جاء في هذه الحـروف، وقد استقصينـا ذلك في أول سورة البقرة.

---

(١) الإمالة.

(٢) أي يشم أيضاً.

والعين قالوا يدل على عليم. وروي أن ﴿كهيعص﴾ اسم من أسماء اللَّه تعالى. وروي أن عَلِيًّا - (عليه السلام) أقسم بكهيعص، أو قال: «يا كهيعص». والدعاء لا يدل على أنه اسم واحد، لأن الداعي إذا عَلِمَ أن الدعاء بهذه الحروف يدل على صفات اللَّه -جلّ وعزّ- فدعا بها. فكأنه قال: يا كافي يا هادي يا عَالِم يَا صَادِق، فكأنه دعا بكهيعص لذكرها في القرآن وهو يدل على هذه الصفات، فإذا أقسم فقال: وكهيعص، فكأنه قال والكافي والهادي والعالم والحكيم والصادق.

وأسكنت هذه الحروف لأنها حروف تهجٍّ[1] النِّيَّةُ فيها الوَقْفُ.

﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾.

﴿ذِكْرُ﴾ مرتفع بالمضَمر، المعنى هذا الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك عبده بالرحمة، لأن ذكر الرحمن إياه لا يكون إلا باللَّه - عزّ وجلّ -، والمعنى ذكر ربك عبده بالرحمة. وزكريا يقرأ على وجهين، بالقصر والمدّ، فأعلم اللَّه -جلّ وعزّ- على لسان نبيه عليه السلام وصيَّةَ زكريا ويحيى لِيَعْلَمَ أهْلُ الكِتابِ أن محمَّداً - عليه السلام - قد أوحي إليه، وأُنزل عليه ذكر من مضى من الأنبياء وأنهم يجدون ذلك في كتُبِهِمْ على ما ذكر ﷺ و [هو] لم يتل كتاباً ولا خطَّه بيمينه، وأنه لم يَعْلَم ذلك إلا من قبل اللَّه تعالى وكان إخْبَارُهُ بهذا وما أشبهه على هذه الصفة دليلاً على نبوته ﷺ.

وقال بعض أهل اللغة إنَّ قوله ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّك عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ يرتفع بـ ﴿كهيعص﴾ وهذا محال لأن «كهيعص» ليس هو فيما أنبأنا اللَّه - عزّ وجلّ - به عن زكريا، وقد بَيَّن في السورة ما فَعَله به وبشَّرَهُ به. ولم يجئ في شيء من التفسير أن «كهيعص» هو قصة زكريا ولا يحيى ولا شيء منه، وقد أجمع

---

(١) في الأصل تهجى.

القائل لهذا القول وغيره أن رَفْعهُ بالإضمار هو الوجه.

﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خفيًّا﴾.

دعا اللَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ سِرًّا، وبين ما (الذي) سأل اللَّه عزّ وجلّ، فقال:

﴿قال رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي﴾.

ومعنى ﴿وهن﴾ ضعف.

﴿واشْتَعَلَ الرأْس شَيْباً﴾.

قيل إن كان قد أَتتْ له في ذَلك الوقتِ خَمسٌ وستُّون سَنَةً، وقيل سِتُّونَ سنةً وقيل خمس وسبعون سنة، و «شَيْباً» منصوب على التمييز المعنى اشتعل الرأس من الشيب، يقال للشيب إذا كثر جِدًّا: قد اشتعل رأس فلان.

﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.

أي كنْتُ مستجاب الدعوة. ويجوز أن يكون أراد لم أكن بدعائك رَبِّ شقياً أي من دعاك مخلصاً فقد وَحَّدك وعبدك، فلم أكن بعبادتك شقيّاً.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾.

ـ بإسكان الياء من ورائي ـ معناه من بعدي، والموالي واحدهم مولى، وهم بنو العم وعصبة الرجل، ومعناه الذين يَلُونَه في النَّسَبِ كما أن معنى القرابة الذين يقربون منه في النسب.

وقوله: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾.

أي قد بلغت هذه السِّنَّ وامْرأَتِي عاقر، والعاقر من النساء التي بها علة تمنع الْوَلَدَ، فكذلك العاقِرُ من الرجال، فليس يكون لي ولد إلا «أباً»[1] فهبه لي، فإنك على كل شيء قدير.

---

(١) أي لي أب ولا ولد لي فانقطع حبل النسل لدَيَّ.

وقوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آل يَعْقُوبَ﴾.

ويقرأ بالجَزم يَرِثْني وَيَرِثْ من آل يعقوب على جواب الأَمْرِ ومن قرأ يرثِني ويرثُ فعلى صفة الولي، وقيل يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة، وقال قوم لا يجوز أن يقول زكريا: انه يخاف أن يورث المال لأن أمر الأنبياء والصالحين أنهم لا يخافون أن يرثهم أقرباؤهم ما جعله اللَّه لهم، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: إنا معاشر الأنبياء لاَنُورَث ما تركناه فهو صَدَقَةٌ. فقالوا معناه يرثني ويرث من آل يعقوب النبوة.

وقوله: ﴿واجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

وقوله أيضاً «وليًّا» يدل على أنه سأل ولداً دَيِّناً، لأن غَيْرَ الدَّيِّنِ لا يكون ولياً للنبي عليه السلام.

وقوله: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾.

ونَبْشُرُك

﴿بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾.

أي لم يسم أحد قبله بيحيى، كذا قال ابن عباس، وقيل سمي بيحيى لأنه حَيِيَ بالعلم وبالحكمة التي أُوتيها، وقيل لم نَجْعَلْ له من قبل سمياً، أي نظيراً ومِثْلاً. كل ذلك قد جاء في التفسير.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ من الكبرِ عُتِيًّا﴾.

وتقرأ عِتيا(١)، وقد رُوِيَتْ عُسِيًّا - بالسين - ولكن لا يجوز في القراءة [لأنه] بخلاف المصحف(٢)، وكل شيء انتهى فقد عتا يعتو عِتِيًّا وعُتوًّا وعُسُوًّا، وعُسِيًّا.

(١) قرأ بالضم قراء كثيرون منهم نافع وابن كثيروأبو عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) يريد لا تجوز القراءة بخلاف ما في المصحف. وزدنا [لأنه] للتوضيح.

فأحب أن يعلم من أيّ جهة يكون له ولـد، ومثلُ امـرأته لاَ تَلِدُ ومِثْلُهُ لا يُولَدُ له.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾.

معناه - واللَّه أعلم. الأمر كما قيل لـك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾.

معناه ولم تك شيئاً موجـوداً، أي أوجدتـك بعد أن لَمْ تَكُنْ. أي فخلق الـولد لـك كخلق آدم عليه السـلام، وخلقك من نُطْفة وعَلَقـةٍ ومُضْغـةٍ ولَحْمٍ وعَـظْمٍ.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾.

أي عَلاَمَةً أعلم بها وقوع ما بشرتُ به.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.

أي تُمنـع الكلام وأنت سَـوِيٌّ، فتعلَمَ بذلـك أن اللَّه - جـلّ وعـلاّ - قـد وهب لك الولَدَ. و «سَوِيٌّ» منصوب على الحال.

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِم، أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

قيل معنى أَوْحى إليهم أَوْمَأَ إليهم ورَمَزَ، وقيل كتب لهم في الأرض بيده. وبكرةً وعشِيًّا - منصوبان على الوقت.

وقوله: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾.

المعنى: فَـوَهَبْنَا لَـه يحيى وقلنا لـه ﴿يا يحيى خُـذِ الكِتَابَ بقـوَّةٍ﴾، أي بجِدٍّ وعونٍ من اللَّه - جل وعز -.

﴿وَآتَيْنَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً وَحَنَاناً مِنْ لَدُنَّا وزكاةً﴾(1).

---

(1) الحكم يعني الحكمة.

أي وآتيناه حَنَاناً، والحنان العطف والرحمة. قال الشاعر[1]:

فقـالت حَنَـانٌ مـا أتى بـك ههنـا   أذو نسب أم أنـت بِـالحَي عَـارِفُ

أي أمرنا حنان، أو عطف ورحمة:

وقال أيضاً[2]:

أبـا منـذر أسـرفت فـاستبق بعضنـا   حنانيك بعض الشـر أهون من بعض

المعنى وآتيناه حناناً من لدنا وزكاةً، والزكاة التهطهير.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْه﴾.

أي وجعلناه برّاً بوالديه.

وقـوله عـز وجل: ﴿وَٱذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَـرْيَمَ إِذِ انْتَبَـذَتْ مِنْ أَهْلِهَـا مَكَانـاً شَرْقِيًّا﴾.

﴿انْتَبَذَتْ﴾ تَنَحَّتْ. ويقال نَبَـذْتُ الشيء إِذَا رَمَيْتُ به. ﴿مَكَـانَاً شَـرْقياً﴾ أي نحو المشرق.

﴿فاتَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً﴾.

قيل إنها قصدَتْ نَحو مـطلَع الشمس، لأنها أَرَادَتِ الغُسْـلَ مِن الحيْضِ.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾.

يعنى به جِبْرِيل ﷺ. وقيل الـرُّوُحُ عيسَى، لأنه روح من اللَّه -عزوجل- قال اللَّه - عز وجل -: ﴿إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ رَسُـولُ اللَّهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَـاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾[3].

---

(١) للمنذر بن درهم الكلبي: وهو في شواهد الكشاف ص ٧٩ ومن شواهد النحو الشائعة على حذف المبتدأ، وانظر الخزانة ١/٢٧٧، وهـو الشاهـد السادس والتسعـون وابن يعيش ١/١١٨، وكتاب سيبويه ١/٣٢٠.

(٢) تقدم أنه لطرفة.

(٣) سورة النساء الآية ١٧١.

وقيل إن الروح دخل من في مَرْيَم.

ويدل على أنَّ جبريل عليه السلام هو الروح قوله: ﴿فَتمثَّل لَهَا بَشَـراً سَوِيًّـا. قَالُ إنَّما أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيَهبَ لكِ غُلَاماً زَكِيًّا﴾.

أكثر القراءة ﴿لأَهَبَ﴾، ورُويَتَ لِيَهبَ لكَ، وكذلـك قرأ أبـو عمرو: لِنَهَبَ لكِ غُلاماً زَكيًّا.

﴿قَالَتْ إني أَعُوذُ بالرَّحْمنِ مِنْكَ إنْ كُنْت تَقِيًّا﴾.

تأويله إنيّ أَعُوذُ باللَّهِ مِنكَ، فـإن كنت تقياً فَسَتَتَّعِظُ بتعوذي باللَّه منـك. أمـا من قـرأ ليهبَ بـاليـاء فـالمعنى أرْسَلَني ليهب، ومن قـرأ لأَهَبَ فهــو على الحكـاية وحمـل الحكايـة على المَعنى، على تأويـل قال أرسلت إليـك لأهب لك.

وقوله: ﴿قَالَتْ أنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْني بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بغيًّا﴾.

أي لم يَمسَسْني بشر على جهة تَزويج، ولم أكَ بغيًّا، أي ولا قُرِبْتُ على غير حد التزويج.

﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾.

أي الأمر على ما وصفت لكِ.

﴿قَالَ رَبُّكِ هُـوَ عَلَيَّ هَيِّن وَلِنَجْعَلَـهُ آيَـةً لِلنَّـاسِ ورَحْمَـةً مِنّـا وَكَـانَ أَمْـراً مَقْضِيًّا﴾.

أي وكانَ أمراً سَابقاً في علم اللَّهِ عَزَ وجَل أنْ يقعَ.

وقوله: ﴿فَحَمَلَتْه فانْتَبَذَتْ بِه مَكَاناً قصِيًّا﴾.

﴿انتَبَذَتْ به﴾ تباعدت به. وقَصِيًّا وقَاصِياً في مَعْنَى وَاحِدٍ، معناهُ البُعْدُ.

وقوله: ﴿فَأَجَاءَهَا المَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

معناه ألجأها، وهو من جئت وأجاءني غيري، وفي معناه أَشَاءَنِي غيري، وفي أمثال العرب: شَرٌّ أجاءَكَ إلى مُخّةِ عُرْقُوبٍ[1] وبعضهم يقول: أشَاءَكَ. قال زُهَيْرٌ:

وجَارٍ سَارَ مُعْتَمِداً إلَيْنَا ... أجاءته المخافة والرَّجَاءُ[2]

واختلف في حمل عيسى عليه السلام، فقيل إنها حَمَلَت بِه وولدته في وقتها، وقيل إنه ولد في ثمانية أشهر، وتلك آية له لأنه لا يُعْرفُ أنه يعيش مولود وُلِدَ لثمانية أشْهُر غيرُه. وقوله عز وجل: ﴿فأجاءها المخاض﴾ - يدل على مكْثِ الحْملِ واللَّه أعلم.

وقوله جل وعز: ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾.

معناه إنّي لَوْخُيِّرْتُ قبلَ هَذِه الحالِ بين الموتِ أو الدفع إلى هذه الحال لاخترت الموت، وقد علمتْ - رضوان اللَّه عليها - أنها لم يكن ينفعها أوْ تتمنَّى الموت قبل تلك الحال.

وقوله: ﴿وَكُنْتُ نِسْياً مَنْسِيًّا﴾.

ويقرأ ﴿نَسْياً﴾ - بفتح النون - وقيل معنى «نَسْياً» حَيْضَةً مُلْقَاةٍ وقيل نِسْياً بالكسر في معنى مَنْسِيَّةً لَا أُعْرَفُ[3] والنِّسْيُ في كلام العَرَبِ الشيء المطروح لا يؤبه له، قال الشنفري[4]: .

---

(١) في مجمع الأمثال: شر ما يجيئك إلى مخة عرقوب» - وذلك أن العرقوب لا مخ له، وإنما يلجأ إليه من لا يقدر على شيء، وبنو تميم يجعلون الجيم شيناً ويقولون يشيئك - بمعنى يجيئك ويلجئك.

(٢) اللسان (جيأ) - والديوان ٢٧٧، والقرطبي ١١/٩٢.

(٣) فِعْل بمعنى مفعول كثير في اللغة العربية - مثل فرية وكذب، وهي قاعدة نحوية معروفة.

(٤) البيت في اللسان (نسا - بلت) وبلت - مكسورُ عين الماضي - كعلم - سكن والبَلْتُ بالتحريك الانقطاع - والمعنى أنها تنقطع عن الكلام حياء وبما يعتريها من الجهر - وانظر المفضلية ٢٠.

كان لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه   على أُمِّها وإن تُكَلِمْكَ تَبْلَتِ

وقوله: ﴿فَنَادَاهَا مَنْ تَحْتَهَا﴾.

وتقرأ ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾، وهي أكثر بالكسر في القراءة، وَمَنْ قَرأَ مَن تَحْتَهَا عَنَى عيسى عليه السلام. ويكون المعنى في مناداة عيسى لها أن يبين اللَّه لها الآية في عيسى، وأنَّه أعلمها أنَّ اللَّه - عز وجل - سيجعل لها في النخلة آية. ومن قرأ «مِنْ» تَحْتِهَا - عَنَى بهِ المَلَكَ.

﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾.

رُوِيَ عن الحَسنِ أنه قال يعني عيسى، وقال: كان واللَّه سَرِيًّا من الرجال، فعرف الحسنُ أن من العرب من يسمي النهر سرياً فرجع إلى هذا القول. ولا اختلاف بين أهل اللُّغة أَنَّ السَّرِيَّ النهر بمنزلة الجدول، قال لبيد:

فتوسَّطا عُرضَ السَّرِيِّ فغادرا   مسجورةً متجاوراً قُلَّامها[1]

وقال ابن عباس: السري النهر وأنْشَدَ[2].

سَلْمٌ ترى الدالي منه أزْوَرَا

إذا يعج في السَّرِيِّ هَرْهَرَا

وقوله عز وجل: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيًّا﴾.

يروى أنه كان جِذْعاً من نخلةٍ لا رَأْسَ عَليه، فجعل اللَّه - جل وعز - له رأساً وأنبت فيه رُطَباً، وكان ذلك في الشتاء. فأما نصب رُطَباً فقال محمد بن يزيد هو[3] مفعول به، المعنى وهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَخْلَةِ رُطباً تَسَّاقط عليكِ.

---

(١) البيت الرابع والثلاثون من معلقته - يصف عيراً وأتانا، وعرض السرى جانب النهر - ومسجورة مليئة بالماء - أي أن العير وأتانه توسطا جانب النهر وشقا عينا ممتلئة بالماء يكثر حولها شجر القلام.

(٢) البيتان في اللسان «هرر» بدون نسبة - وهرهر أي سُمِعَ له صوتٌ وهو يشرب.

(٣) في الأصل هو فقال محمد بن يزيد هو:

ويجوز تَسَاقط عليك، ويجوز يُسَاقِطْ عَلَيْكِ، ويجوز نُسَاقط عَلَيْكِ. بالنون ويجـوز يَسَّاقَطْ بـاليَاءِ، ويجـوز يـتسـاقـط عليـك. ويجـوز تُساقطُ عَلَيْـكِ ونُساقطُ . ويَسَّاقَطُ بالرفع. ويُروَى عَنِ البَراءِ بن عَازِب[1].

فمن أ يساقَطُ عَلْيكِ فالمعنى يَتَسَاقطُ فأدغمت التـاء في السِينِ ومن قرأ تسَّاقَطْ، فالمعنى تَتَساقَطُ أيضاً. فأدْغِمت الياء في السّين وأَنَّثَ لأن لَفظَ النَّخْلَةِ مُؤَنَّثٌ. ومن قرأ تَسَاقَطُ بالتاء والتخفيف فـإنه حـذف التاء من تتسـاقط لاجتماع التاءَيْن، ومن قرأ يُسَاقِطْ ، إلى معنى يُسَاقِطُ الجذْعُ عَلَيْك. ومن قرأ نُسَاقِط بالنون فالمعنى أنا نحن نُسَاقِطُ عليك فنجعل لك بِذلك آيةً.

والنحـويون يقـولون إن رُطبـاً مَنْصُوبٌ على التمييـز، إذا قـلـتَ يسَّاقَطُ أو يتساقط فالمعنى يتساقط الجذعُ رُطباً، ومن قرأ تَسَاقطُ فالمعنى تَتسـاقطُ النخلة رطباً.

وقوله: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً﴾.

أي فكلي من الرطب، واشربي من السَّرِيّ، وقَرِّيّ عَيْناً بعيسى. يقال: قرِرْت به عيناً أقَرُّ بفتح القاف في المستقبـل. وقَرِرْتُ في المكـان أقِرُّ ـ بكسـر القاف ـ في المستقبل. وعيناً منصوب على التمييز.

﴿فَـإِمَّـا تـَرَيِنَّ مِنَ البَشَـرِ أَحَـداً﴾.

بغيـر ألف [في تَرِينَّ] ويجوز «تَرْأَيِنَّ» بـألف ولم يقرأ بـالألف أَحَـدٌ وهي جَيِّدَةٌ بالغـة لكنها لا يجـوز في القراءة. وكـذلك قـوله عـز وجل: ﴿إنني مَعَكُمَا أَسَمَـعَ وأَرَى﴾[2]، ويجـوز وأَرْأي بـالألف، ولا تقـرأ بهـا، لفـظُها أَرْأى، لأن

(١) البـراء بن عازب أنصـاري أوسي روى عن رسول اللّه (ص) جملة أحـاديث. شهـد خمسَ عشـرة غزوة، ولم يشهد بدراً لأنه كان صغيراً رده رسول اللّه ﷺ لصغره. وشهد موقعة الجمل وصفين ومات في نحو سنة ٧٢.

(٢) سورة طه الآية ٤٦.

القراءة سنة لا تخالف. والأجْـوَدُ أَرَى، وكذلك تَرَيِنَّ الأجود بغير همز، والتـاء علامة التأنيث، والأصل تَرْآيِّن، والياء حـركت لالتقاء السـاكنين. النون الأولى من النون الشديدة. والياء. وكذلك تقول للمرأة اخْشَيِنَّ زيداً.

﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾.

معنى ﴿صوماً﴾ صمتاً. يقال نَذَرْتُ النَّذْرَ أنذِرُهُ وَأَنْذُرُه، ونَـذِرتُ بالقَـوْم أَنْذَرُ إذا علمت بهم فاستعدَدْتَ لهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيئاً فرِيًّا﴾.

أي شيئاً عظيماً، يقال فلانِ يَفْرِي الفَرِيَّ إذا كان يعمل عملاً يبالغ فيه.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْـرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّـكِ بَغِيًّا﴾.

اختلف في تفسير: «أُخت هَارُونَ» في هذا الموضع.

رَوِيْنَا في التفسير أنَ أَهْلَ الكتاب قالوا: كيف تقولون أنتم: مَـرَيَمُ أخت هارون وبينهما ستَّمائةِ سنة، فقيل ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقـال: إنـهـم كـانـوا يُسَمُّـون بأسْمـاء الأنبياء والصـالحين، أي فكان أخـو مَـرْيَم يسمَى هارون[١]. وقيل إنهم عَنوْا بأخت هارون في الصـلاح والدين[٢]، ويـروى أن هارون هـذا الدَّيِّنَ كان رجلاً من قومها صالحاً، وأنه حضـر جنازَتـه أربعون ألفـاً يسمى كل واحد منهم هارون.

والذي في هذا عن النبي ﷺ بَيِّنٌ.

---

(١) يقتضي هذا أنه كان لمريم أخ سموه هارون ـ وهذا غير معروف في الأناجيل.

(٢) هارون عليه السلام هو الزعيم الديني عند اليهود، وأختـه هنا بمعنى شبيهتـه في تقواه وورعـه ـ فليست أخوة نسب، وإنما هو تعبير مجازي.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَشَارَتْ إِلْيه﴾.

أي لما خاطبوها أشارت إليه، بأَنْ جَعَلُوا الكلامَ مَعَهُ، ودَلَّ على أنها أشارت إليه في الكلام قولهم ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ في المَهْدِ صَبيًّا﴾.

وفي هذا ثلاثة أوجهٍ. قال: أبو عبيدة إن معنى «كان» اللغو، المعنى كيف نكلم من في المهد صبياً[١]، لأن كل رجل قد كان في المهْدِ صبياً، ولكن المعنى كيف نكلم من في المهد صَبيًّا لا يَفهمُ مِثْلهُ، ولا ينطق لسانه بالكلم. وقال قوم إنَّ «كان» في معنى وقع وحَدَثَ. المعنى على قول هؤلاء: كيف نكلم صبياً قد خلق في المهْدِ[٢].

وأجود الأقوال أن يكون «من» في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى: من يكن في المهد صبياً ـ ويكون «صبيًّا» حالاً ـ فكيف نكلمه. كما تقول من كان لا يسمع ولا يعقل فكيف أخاطبه[٣]. وروى أبو عيسى عليه السلام لما أومأت إليه اتكأ على يساره وأشار بسبَّابَتِه فقال:

﴿إنِّي عَبْدُ اللَّه آتَانِيَ الكِتَابَ وَجَعَلَني نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنْتُ﴾.

أي معلماً للخير.

﴿وَأَوْصَانِي بالصَّلاَةِ والزَّكَاةِ ما دُمْتُ حَيّاً﴾.

ومعنى الزكاةِ هَهُنا الطَّهَارَةُ، ما دُمْتُ حيًّا ـ دُمْتُ، ودِمْتُ جميعاً.

﴿وَبَـرًّا بِوَالِدَتي﴾.

---

(١) الذي في مجازه أنها بمعنى حدث لساعته ـ قال: «كيف نكلم من حدث في المهد صبياً» ـ أي من ولد لساعته ـ وذكر أنه «كان» تأتي للأزمنة المختلطة وتأتي زائدة ـ ولكنه لم يخرج الآية على أن كان فيها زائدة ـ ونصب «صبياً» في كلامه على الحال، والظرف خبر.

(٢) هذا قرَّرَهُ أَبو عُبَيْدَة ـ أي هو موضوع في المهد.

(٣) هذا وجه متكلف جداً ومستبعدٌ وبمقتضاه تنتهي الجملة عند كيف نكلم، لأن الشرط له الصدارة ـ ولو أنه جعلها استفهامية لكان أقرب.

﴿برًّا﴾ عطفٌ على ﴿مباركاً﴾، المعنى وجعلني مباركاً وَبَرًّا بِوَالِدَتي.

﴿والسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ ويَوْمَ أَمُوتُ﴾.

﴿السلام عليَّ﴾ فيه أوجه، فالسلام مصدر سلَّمْتُ سلاماً، ومَعناهُ عموم العافية والسلامة، والسلام جمع سلامة، والسلام اسم من أسماء اللَّه جل وعزَّ، وسلام مما ابتُدئ به في النكرة، لأنه اسم يكثر استعماله. تقول سلام عليك والسلام عليك. وأسماء الأجناس يبتدأ بها، لأن فائدة نِكَرتِها قريب من فائدة معرفتها. تقول: لَبَّيْكَ وخَيرٌ بين يَدَيْكَ، وإن شئت قلت: والخير بين يديك، وتقول: السلام عليك أيها النبي، وسلام عليك أيها النبي، إلا أنه لمَّا جَرَى ذكر «سلام» قبل هذا الموضع بغير ألف ولام كان الأحسن أن يُرَدَّ ثانية بالألف واللام، تقول: سلام عليك أيها النبي، السلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين، هذا قسمٌ حسن، وإن شئت قلت سلام علينا وعلى عباد اللَّه الصالحين.

وقوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ﴾.

أي ذلك الذي قال ﴿إني عبد اللَّه آتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ هو عيسى بن مريم لا ما يقول النصارى من أنه ابن اللَّه وأنه إلٰه - جل اللَّه وعز.

وقوله - عز وجل: ﴿قَوْلُ الحقِّ﴾.

[بالرفع] ويجوز قولَ الحق بالنصب، فمن رفع فالمعنى هو قول الحق ومن نصب فالمعنى أقول قولَ الحق الذي فيه يمترون أي يشكون.

﴿مَا كانَ لِلَّه أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾.

﴿مِنْ وَلَدٍ﴾ في موضع نصب، والمعنى أن يتخذ وَلَداً، و «مِنْ» مؤكدة. تدل على الواحد والجماعة لأنّ للقَائِلِ أَنْ يَقُولَ: ما اتخَذْتُ فَرساً يريد

اتخذت أكثر من ذلك، وله أن يقول ما اتخَذْتُ فرسين ولا أكثر يريد اتخذت فرساً واحداً، فإذا قال ما اتخذت من فرسٍ فقد دل على نَفْي الواحد والجَمِيعِ.

﴿سُبْحَانَهُ﴾.

معناه تنزيهاً له من السوء.

وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

يعنى به يوم القِيَامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾.

المعنى مَا أَسْمَعَهُمْ وأبصَرَهُمْ يوم القيامة لأَنَّهم شَاهَدُوا من البعث وأَمْر اللَّه عز وجل ما يسمع ويبصر بغير إعْمال فِكْرٍ وَتَرْوِيَةٍ. وما يُدعَوْنَ إليه من طاعة اللَّه ـ جل جلاله ـ في الدنيا يحتاجون فيه إلى فكر ونظر فضلوا عن ذلك في الدنيا وآثروا اللهو على الهوى، فقال اللَّه تعالى: ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾.

﴿يوم الحسرة﴾ يوم القيامة، روي في التفسير أنه إذا كان يوم القيامة واستقرَّ أهلُ الجنة في الجنة، وأهْلُ النَّارِ في النار أُتِيَ بالموْتِ في صُورَة كَبْشٍ أملح[1] فيعرض على أهل النار فيشرئبون[2] إليه. فيقال: أتعرفون هذا، فيقولون: نعم، فيقال:

(١) كبش أملح بين المُلْحَةِ والمَلَحَ.

والكبش الأملح هو الأبلق بسواد وَبَيَاضٍ ـ والمُلْحَةُ مِنَ البَشَرةِ بياض تشوبه شعرات سود. وضحَّى رسول اللَّه ﷺ بكبشين أملحين.

(٢) يتطلعون إليه مادِّين أعناقهم للأعلى.

هذا الموت فيذبح وينادى: بأهل النار، خُلودٌ لاموت بعده، وكذلك ينادى بأهلَ الجنة خُلُودٌ لا مَوت بَعْدهْ.

﴿وَهُمْ في غَفْلة﴾.

أي هم في الدنيا في غفلة.

﴿وَاذْكُرْ في الكِتابِ إبْرَاهِيم إنّه كَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا﴾.

أي اذكر في الكتاب الذي أنزل عليك وهو القرآن قِصّةَ إبْراهِيمَ وخَبَرهُ. الصِّديقُ اسمٌ للمبالغة في الصِّدْقِ. ويقال لكل مَنْ صَدَّقَ بتوحيد اللّه وأنبيائه وعمل بما يصدِّقُ به صِدِّيقٌ، ومن ذلك سمي أبو بكر الصِّديقَ.

وقوله: ﴿إذْ قال لأَبيه يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾.

الوقف عليه يا أبَه بالهاء، والعرب تقول في النداء يا أَبَةِ، ويَا أُمَّةِ ولا تقول قال أبتي كذَا ولا قالت أُمَّتِي كذا[1]، وزعم الخليل وسيبويه أنه بمنزلة قولهم يا عمة ويا خالَةَ، وأن أبَة للمذكر والمؤنث، كأنك تقول للمذكر أبة وللمؤنث. والدليل على أنَّ لـلأُمِّ حـظاً في الأُبُوةِ أنَّه يقال أَبَوانِ، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ﴾[2]. وزعم أنه بمنزلة قولهم رجل رَبْعة[3]، وغلام يَفَعَةِ[4]. وأن الهاء [في أَبَةِ] عوض من ياء الإضافة من يا أبي ومن يَا أُمِّي ولم يقل يا أبتي ولا يا أمّتي، ولذلك لم تقع الهاء في غير النداء، لأن حذف الياء يقع في النداء كثيراً، تقول: يَا أَبِ لا تفعل، ولا تقل قال أبِ كذا وكذا تريد قال أبي.

والمؤنث قد يوصف بالمذكر كقولهم امرأة طالق وطاهر، ويقال ثَلاَثَةُ

---

(١) يقال ذلك في النداء فقط.

(٢) سورة النساء الآية ١١.

(٣) رجل ربعة متوسط القامة ليس بالطويل ولا بالقصير.

(٤) ناشيء شارف الرُّجولة.

أَنْفُسٍ[1]، والنفس أنثى سُمِّيَ بها المذَكّرُ وهذا تفسير مستقصى وقريب.

﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾.

فمن فتح[2] حذف الألف التي أُبْدِلَتْ مِنْ يَاءِ الإضافة أَرَادَ يَا أَبَتَا فالألفُ بدَلٌ من ياء الإضافة إلَّا أنَّ الواجب حذفها، إذ كانت بدلاً من ياء تحذف.

وقوله: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾.

يعني الصَنم.

وقوله: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ العِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.

يدل أنه كان قَدْ أَتَاهُ الوَحْيُ.

ومعنى: ﴿صِرَاطاً سَوِيًّا﴾.

أي طريقاً مستقيماً.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيطَانَ كَانَ للرَّحمن عَصِيًّا﴾.

معنى عبادة الشيطان ـ واللَّه أعلم ـ طاعته فيما يسول من الكفْرِ والمَعَاصِي.

وقوله: ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾.

معناه لأشتمنَّكَ، يقال: فلانٌ يَرْمي فلاناً ويرْجُمُ فُلَاناً معناه يشتمه، وكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ﴾[3] معناه يَشْتِمُونَهُنَّ، وجائز أن يكون لأرجمنك لأقتلنك رَجْماً، والذي عليه التفسير أن الرجم ههنا الشتم.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾.

---

(١) أي تؤنث العدد دليلاً على تذكير المعدُود.

(٢) من قرأ «يا أبت» بفتح التاء.

(٣) سورة النور الآية ٤.

معناه لطيفاً، يقال: قد تَحَفَّى فلانٌ بفُلَانٍ، وحَفِي فُلَانٌ بفُـلانٍ حَفْوَهُ إذا بَرَّهُ وألْطَفَهُ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

أي أبقينا لهم ثناء حسناً، وكذلك قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[1].

وقوله: ﴿واذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً﴾.

ومخلَصاً يقرآان جميعاً. والمخلص - بفتح اللام الذي أخلصه اللَّه جلّ وعزّ، أي جعله مختاراً خالصاً من الدَّنَس. والمخْلِصُ - بكسر اللام - الذي وَحَّدَ اللَّه - عزّ وجلّ -! وجَعَلَ نفسه خالصة في طاعة اللَّه غير دنِسَةٍ.

وقوله: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

معناه مناجياً. وجاء في التفسير أن اللَّه عزّ وجلّ قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبتْ به التـوْرَاةُ، ويجوز - واللَّه أعلم - [أن يكونَ] مثل: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تكليماً﴾[2] أي قربه في المنزلة حتى سمع مناجاة اللَّه - عزّ وجلّ - وهي كلامُ اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِياً﴾.

هارون لا ينصرف في المعرفة لأنه اسم اعجمي وهو معرفة.

وقوله سبحانه: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلَاةِ والزكاة﴾.

أهله جميعُ أمته، مَنْ كانت بينه وبينه قرابة أو [من] لم تكن، وكذلك أهل كُلِّ نبي أُمَتُهُ.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٨٤.

(٢) سورة النساء الآية ١٦٤.

﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾.

أصله مَرْضُوًّا، وهو جائز في اللغة[1] غير جائز في القرآن لأنه مخالف للمصحف، والخليل وسيبويه وجميع البصريين يقولون: فلان مَرْضُوٌّ ومَرضِيٌّ وأرض مَسْنُوَّة ومسنيّة إذا سقيت بالسواني[2] أو بالمطر، والأصل الواو إلا أنها قلبت عند الخليل لأنها طرف قبلها واو ساكنة ليس بحاجز حصين، وكأنها مَفْعُل [بضم العين] ومفعُل من أدوات الواو يقلب إلى مَفْعِل، لأن الواو لا تكون طرفاً وقبلها متحركٌ في الاسماء، وأما غير سيبويه والبصريين فلهم فيه قولان:

قال بعضهم: لما كان الفعل منه رضيتُ فانتقل من الواو إلى الياء، صار مَرْضِيًّا. وقيل إن بعض العرب يقول في تثنية رضىً رِضيَان ورِضَوَانِ، فمن قال رضيانِ لم يكن من قوله الا مرضيٌّ، ومن قال رضوانِ في التثنية جاز أن يقول فلان مَرْضوٌّ ومرضِيٌّ.

وقوله سبحانه:﴿ورفعناه مكاناً عَلِيًّا﴾.

جاء في التفسير أيضاً أنه رفع إلى السماء الرابعة، وجاء في التفسير أيضاً أنه سأل ملك الموت حتى سأل اللّه ـ جلّ وعزّ ـ أَنْ رَفَعَهُ فأُدْخِلَ النارَ ثم أخرج فأدخل الجنة فقيل له في الخروج فقال: قد قال اللّه عزّ وجلّ :﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[3] وقال في أهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِين﴾[4] فأقره اللّه عزّ وجلّ في الجنة.

وهذا الحِجَاج إنما هو في القرآن ـ واللّه أعلم.

---

(١) الذين أجازوه أجروه مجرى مُدْعُوٌ ومَرجُوٌ إبقاء للواو على أصلها. والتصريف المألوف مَرْضِيٌّ.

(٢) جمع سانية نوع من السواقي لا يزال باقياً في بعض القرى.

(٣) سورة مريم الآية ٧١.

(٤) سورة الحجر ٤٨.

وجائز أن يكون قد أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ إدريس ورُوُدَ الخلق النَّارَ وأنهم مُخَلَّدون في الجِنَان قبل إنْزَاله القرآن، وجاء القرآن موافقاً ما عُلِّمَ إدْرِيسُ.

وجاء في التفسير أنه رُفِعَ كما رُفِعَ عيسى.

وجائز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا..﴾ [أي] في النبوة والعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا﴾.

قد بَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَه أن الأنْبِيَاءَ كانوا إذَا سَمِعُوا بآيات اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ سَجَدُوا وبَكَوْا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وبُكِيًّا جمع باكٍ، مثل شاهد وشُهود وقَاعِد وقُعُود، وسُجَّداً حال مُقَدَّرَة المعنى: خَرُّوا مُقَدِّرينَ السُّجُودَ لأن الإنسان في حال خرُورِهِ لا يكون سَاجِداً وسُجَّداً منصوب على الحال. ومن قال: بُكِيًّا ههنا مصدر فقد أخطأ لأن ﴿سُجَّداً﴾ جمع سَاجد و﴿بُكِيًّا﴾ عطف عليه، ويقال بَكَى بُكَاءً وبُكِيًّا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ﴾.

يقال في الرداءة خَلْف ـ بإسكان اللام ـ. تقول خَلْفُ سُوءٍ وفي الصَّلاحِ خلَفُ صِدْقٍ ـ بفتح اللام ـ وقد يقال في الرداءة أيضاً خَلَف ـ بفتح اللام ـ وفي الصلاح بإسكان اللام، والأجود القول الأول.

﴿أَضَاعُوا الصَّلاَةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.

جاء في التفسير أَنَّهُمْ صَلَّوْهَا في غير وقتها، وقيل أَضَاعُوهَا وتَركُوهَا البتَّة وهذا هو الأشبه، لأنه يدل على أنه يعْنَى بِهِ الكفَارُ. ودليل ذلك قوله: ﴿إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾

أي فَسَوْفَ يلقون مُجازَاةَ الغَيِّ كما قـال عزّ وجـلّ :﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِـكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾[١] أي مجـازاة الأَثَام. وجـاء في التفسير أن «غيّـاً» وادٍ في جهنم، وقيل نهر في جهنم، وهذا جائز أن يكون نهراً[٢] أعد للغاوين فسمي غياً.

وقوله عزّ ووجلّ :﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾.

«مَنْ» في موضع نصب أي فسوفَ يلْقَوْنَ العـذابَ إلاَّ التَّائبين. وجائز أن يكـون نصباً استثنـاء من غيـر الأول، ويكـون المعنى لكن من تـاب وآمـن.

﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ﴾.

ويقرأ يُدْخَلُونَ الجنَّةَ.

وقوله تعالى : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

يجوز الرفع والنصب، الرفع على معنى هي جنات عدن، والنصب على معنى يدخلون في جنات عَدْنٍ. وعدن في معنى إقـامة، يقـال: عَدَنَ بِـالمَكانِ إذا أقام به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾.

مأتيّ مفعول من الإتيان، لأن كل ما وصل إليك فقد وصلت إليه وكل ما أتاك فقد أتيتَهُ[٣]، يقال: وصلت إلى خيـر فلان ووصـل إليَّ خير فـلانٍ وأتيت خير فلان وأتاني خير فلانٍ. فهذا على معنى أَتَيتُ خيرَ فلانٍ[٤].

---

(١) سورة الفرقان / ٦٨.

(٢) في الأصل نهرٌ بالرفع.

(٣) يقصد أن وعده مأتي هنا بمعنى آت.

(٤) يلاحظ أن هناك فرقاً بين التعبيرين، وإيثار «مَأْتِي» هنا يدل على أنهم سيرغمون إلى ملاقاة ما وعـد اللّه.

وقوله عزّ وجلّ :﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إلاَّ سَلاَماً﴾.

اللغـو ما يلغى من الكـلام ويـؤثـم فيه، و﴿سلاماً﴾ اسم جـامـع للخيـر مُتَضَمِّنٌ للسلامة، فالمعنى أن أهل الجنة لا يسمعون إلا ما يُسَلِّمُهُمْ.

وقولـه عزّ وجلّ:﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكرَةً وعَشِيًّا﴾.

قيل: ليس ثم بكرةٌ ولا عَشِيٌّ، ولكنهم خُوطِبوا بمـا يَعْقِلونَ في الدنيـا. فـالمعنى لهم رزقهم في مقدار مـا بين الغداة والعشيِّ. وقـد جـاء في التفسيـر أيضاً أن معناه: ولهم رزقهم فيها كلَّ سَاعة. وإذا قيل في مقدار الغداة والعَشِيّ فالذي يقسم في ذلك الوقت يكون مقدار ما يريدون في كل ساعة إلى أن يأتي الوقت الذي يتلوه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

يروى أن النبي ﷺ أَبْطَأَ عَنْهُ جبريلُ عليه السلام في الوحي، فقـال عليه السلام وقد أتـاه جبريـل: ما زُرْتَنَـا حتى اشتَقْنَاكَ، فقـال: وما نتنـزل إلاَّ بِأَمـر رَبِّكَ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾.

ما بين أيدينا أَمْرُ الآخرة والثوابُ والعقاب، وما خَلْفَنَا جَميعُ مَا مَضَى مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا، وما بَيْنَ ذَلِكَ ما يكون منا من هذا الوقت إلى يـوم القيامـة وجاء في التفسير وما بين ذلك قيل ما بين النفختين.

وقوله عزّ وجلّ :﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

أي قد علم اللَّه جلّ وعلاّ ما كان وما يكون وما هو كائن، حَـافِظٌ لذلـك عزّ وجلّ. لا ينسى منه شيئاً. وجائز أن يكون واللَّه أعلم: مَا نَسِيَـكَ رَبُّكَ وَإنْ تأخر عنك الوحي.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما﴾.

أي هو مالك لهما وعالم بهما وبما فيهما.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

جاء في التفسير: هل تعلم له مَثَلاً، وجاء أيضاً لم يسم بالرحمن إلا اللَّه عزّ وجلّ. وتأويله ـ واللَّه أعلم ـ هل تعلم له سمياً يستحق أن يقال له خالقٌ وقادر وعالم بما كان وبما يكون، فذلك ليس إلاَّ من صفة اللَّه تعالى.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرجُ حَيًّا﴾.

يعنى بهذا الكافر الذي لا يؤمن بالغيب خاصة، ومُتُّ ومِتُّ[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ﴾.

ويُقْرأ أو لا يذكر بالتخفيف والتَّثْقِيل.

﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ولم يَكُ شيئاً﴾.

أعلم اللَّه عزّ وجلّ أن إعادة الخلق مثل ابتداء خَلقِهِمْ، وهذا كما قال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية[2] فكان الجواب ﴿قل يحييها الذي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ والشَّيَاطِينَ﴾.

أي فوربك لنبعثنهم ولنحشرنهم مع الشياطين الذين أغوَوْهم.

﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّم جِثِيًّا﴾.

وجُثِيًّا ـ بالضم والكسر جميعاً، ومعنى جثيا على ركبهم، لا يستطيعون القيام مما هم فيه وجُثِّي جمع جَاثٍ وجُثى، مثل قاعد وقعود وبارك وبروك.

---

(١) من مات يَمُوت مُتُّ، ومن مات يَمَاتُ مِتُّ.

(٢) بقيتها: ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ سورة يس / الآية ٧٨.

(٣) سورة يس ـ ٧٩.

والأصل ضم الجيم وجائز كسرها، اتباعاً لكسرة اليَّاء، وجثيا منصوب على الحال.

وقوله تعالى:﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾.

وَعُتيًّا - بالكسر والضَّم، ومعناه لننزعن مِنْ كل أُمَّةٍ ومِنْ كُلِّ فرقةٍ الأعتى فَالْأَعْتَى منهم، كأنهم يُبْدَأُ بتعذيب[1] أشدهم عُتِيا ثم الذي يليه. فأما رفع أيهم فهو القراءة، ويجوز أَيَّهُمْ بالنصب حكاها سيبويه، وذكر سيبويه أنَّ هارون الأعوَرَ القارىء[2] قرأ بها. وفي رفعها ثلاثة أقوال:

قال سيبويه عن يونس إن قوله جلّ وعزّ لَنَنْزِعَنَّ معقلةٌ لم تعمل شيئاً، فكأنَّ قولَ يونس :﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾ ثم استأنف فقال ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾[3].

وأما الخليل فَحَكىَ عنه سيبويه أنه على معنى الذين يقال ﴿أيُّهم أشد على الرحمن عتياً﴾[4]، ومثله عنده قول الشاعر[5]:

ولقد أَبيتُ من الفتاة بمنزل فأَبيتُ لا حَرِجٌ ولا محروم

المعنى فأبيتُ بمنزلة الذي يقال له لا هو حرجٌ ولا هو محروم.

---

(١) في الأصل كأنهم يُبْدَى بالتّعذيب أشدهم عنَاء.

(٢) هو هارون بن موسى العتكي البصري أزدي بالولاء، أخذ القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم أبي النجود وعبد الله بن كثير، وعبد الله ابن أبي إسحاق، أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وبحث أسانيد الشاذ منها. مات قبل المائتين. (غاية النهاية ٣٧٦٣).

(٣) التعليق لا يعني استئناف الآية وإنما يعني أنها استفهامية فلا يعمل الفعل فيها.

(٤) فأي ما تزال استفهامية ولهذا قدر القول.

(٥) الأخطل - والبيت في الخزانة ٥٥٣/٢، وابن الشجري ٢٩٧/٣. وابن يعيش ١٤٦/٣، ٨٧/٧، ومعاني الفراء ١٢٦/٣، وكتاب سيبويه ٣٩٩/٢ ويروى: لا زان ولا محروم، والمراد أنه كان الأصل أن ينصب حرجاً ومحروماً.

وقال سيبويه أن «أيهم» مَبْنِيَّةٌ على الضم لأنها خالفت أخواتها، واستعمل معها حرف الابتداء، تقول اضرب لأيُّهُم أفْضَلُ يريد أيهم هو أفضل، فيحسُنُ الاستعمال، كذلك يحذف هو، ولا يَحْسُنُ. «اضْرِبْ من أفضلُ» حتى تقول من هو أفضل، ولا يحسن «كُلْ مَا أَطْيَبُ» حتى تقول: كل ما هو أطيب. فلما خالفت من وما والذي ـ لأنك لا تقول أيضاً: «خُذِ الذي أفضَلُ» حتى تقول هو أفضل، قال فلما خالفت هذا الخلاف بنيت على الضم في الإضافة، والنَّصْبُ حَسَنٌ، وإن كنت قد حذفت «هُوَ» لأنَّ «هو» قد يجوز حذفها، وقد قرئت ﴿تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ﴾(١) وتفصيلاً على معنى الذي هو أحسن.

قال أبو إسحاق: والذي أعتقده أن القولَ في هذا قولُ الخليل، وهو موافق للتفسير، لأن الخليل كان مذهبهُ أوْ تأْويله في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الذي مِنْ أَجْل عُتُوِّهِ يقال: أَيُّ هؤلاءِ أَشَدُّ عِتِيًّا. فيستعمل ذلك في الأشدِّ فالأشد، والله أعلم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا﴾.

وصُلِيًّا ـ بالضم والكسر ـ على ما فسرنا، وصليا منصوب على الحال.

[أي] أي ثم لنحن أعلم بالذين هم أشد على الرحمن عِتِيًّا فهم أولى بها صِليًّا.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مقضيًّا﴾.

هذه آية كثير اختلاف التفسير فيها في التفسير(٢) فقال كثير من الناس إنَّ الخلق جميعاً يَرِدُون النَّار فَيَنْجو المتَّقِي ويُتْرَكُ الظَّالِمُ ـ وكلهم يَدْخُلُهَا، وقال بعضهم: قد علمنا الوُرُودَ ولم نَعْلَمْ الصَّدَرَ.

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٤ ﴿ثم آتَيْنا مُوسَى الكِتَابَ تمَاماً عَلَى الَّذي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِ شيءٍ وهُدَىً ورَحْمةً لَعَلّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهم يُؤْمِنُون﴾.

(٢) أي في كتب التفسير اختلاف كثير في تفسير هذه الآية. وتعبير الزجاج سقيم.

وحجـة من قال بهـذا القول[1] أنـه جرى ذكـر الكـافـرين، فقـال: ﴿ثم لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ ثم قال بعد: ﴿وإنْ مِنْكُمْ إلَّا وَارِدُها﴾ فكأنـه على نظم ذلك الكلام عام.

ودليـل من قال بهـذا القول أيضـاً قـولـه: ﴿ثُم نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَـوْا وَنَـذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ولم يقل وندخل الـظالمين، وكأن «نَـذَرُ» و «نترك» للشيء الـذي قد حصل في مكانه.

وقال قوم إنَّ هَذَا إنما يُعْنَى به المشرِكُونَ خاصَّـةً، واحتجوا في هـذا بأن بعضهم قـرأ: «وإن منهم إلا وَارِدُهَـا»، ويكـون على مـذهب هؤلاء ﴿ثم ننجي الذين اتَّقَوْا﴾ أي نخرج المتقين من جملة من ندخله النار.

وقـال قوم: إن الخلق يَـرِدُونهـا فتكـون على المؤْمِنِ بَـرْداً وَسَـلامـاً، ثم يُخْرَجُ مِنها فيدْخُلُ الجنَّة فيعلمَ فضلَ النعمةِ لما يُشـاهِدُ فيـه أهلَ العـذاب وما رأى فيه أهل النار.

وقال ابن مسعود والحسَنُ وقَتَادَةُ: إن ورودها ليس دخولها، وحجتهم في ذلـك جيدةٌ جـداً من جهات: إحـداهن أن العرب تقـول: وردت ماء كـذا ولَمْ تـدخله، وقال اللّه عـزّ وجلّ :﴿وَلَمَّـا وَرَدَ مَاءَ مَـدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْـه أُمَّةً مِنَ النَّـاسِ يَسْقُونَ﴾[2] وتقول إذا بلغت البلد ولم تدخله: قد وردت بلد كذا وكذا.

قال أبو إسحاق: والحجة القاطعة في هذا القـول ما قـال اللّه عزّ وجـلّ: ﴿إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّـا الحُسْنَى أولَئِـكَ عَنْهَـا مُبْعَـدُونَ، لاَ يَسْمَعُـونَ حَسِيسَهَا﴾[3]. . فهذا ـ واللّه أعلم ـ دليـل أن أهل الحسنى لا يـدخلون النار،

(١) القول الأول ـ وهو أن الناس جميعاً يردونها.

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.

(٣) سورة الأنبياء الآيتان ١٠١، ١٠٢.

وفي اللغة وردت بلد كذا وكذا إذا أشرفت عليه، دخلته أو لم تدخله، قال زهير: (١)

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيّم

المعنى بلغن إلى الماء، أي أقمن عليه، فالورود ههنا بالإجماع ليس بدخول، فهذه الروايات في هذه الآية، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

معناه مجلساً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً﴾.

فيها أربعة أوجهٍ رِئْياً بهمزة قبل الياء، والراء غير معجمة، وَرِيًّا بتشديد بياء مشدّدَةٍ، وزِيًّا ـ بالزاي مُعجَمةً، وقد قرىء بهذه الثلاثة الأوجه، ويجوز وجه رابع لم يقرأ به ـ بياء وبعدها همزة ـ وريئا.

فأما رِئْياً ـ بهمزة قبل الياء ـ فالمعنى فيه هم أحسن أثاثاً أي متاعاً، ورئياً منظراً، من رأيت، ومن قرأ بغَيْرِ هَمْزٍ فله تَفْسِيرَانِ: عَلَى مَعْنى الأوّل بِطَرْحِ الهمزة وعلى معنى أنَّ منظَرَهم مُرْتوٍ من(٢) النِّعمةِ، كأنَّ النعيمَ بَيِّنٌ فيهم، ومن قرأ زِيًّا فمعناه أن زيَّهم حسن يعني هيئتهم، قال الشاعر: (٣)

أشاقتك الظعائن يوم بانوا بذي الزي الجميل من الأثاث

ونصب أحسن أثاثاً ورياً على نية التفسير. المعنى وكم أهلكنا قبلهم من

(١) من معلقته. البيت الرابع عشر، وجمام الماء جمع جم أي الكثير المنجمع وزرقته هي صفاؤه، ومنه زرقة العين، ووضع العصى والتخيم كناية عن الإقامة.

(٢) من الرواء وحسن المنظر ووفرة النعيم

(٣) هو محمد بن نمير الثقفي الذي شبّب بزينب أخت الحجاج ـ وخبره في الكامل حـ ١ / ٣٦١ والأغاني وانظر الوفيات ٢ / ٤٠. والبيت في مجاز أبي عبيدة ١٠ / ٣٦٦، واللسان (رأى) ـ والكامل حـ ١ / ٣٨١.

قَرْنٍ هم أحسن أثاثاً منهم وأحسن زِياً منهم. ومن قرأ رِيُئاً فهو بمعنى رئياً مقلوب لأن من العرب من يقول قد رَاءَني زَيْدٌ وتقول قَدْ رَآني.

في هذا المعنى قال الشاعر كثير[1]:

وكــلُّ خَلِيــلٍ راءَني فهــو قَــائِــلٌ من أجلكِ هـذا هامـةُ اليـومِ أو غـدِ

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾.

هـذا لفظ أمر في معنى الخبـر، وتـأويله أن اللّه عـزّ وجـلّ جعـل جـزاء ضـلالته أن يتـركه فيهـا، ويمده فيهـا، كما قـال جلّ وعزّ: ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِم يَعْمَهُونَ﴾[2] إلا أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر كأن لفظ الأمر يريد بـه المتكلم نفسه الزاماً، كأنه يقول أفعل ذلك وآمر نفسي به، فإذا قال القائل: من رآني فلأكرمه، فهو ألزم من قوله أكـرمُه، كـأنه قـال: من زارني فأنا آمر نفسي بإكرامه وألزمها ذلك.

وقوله: ﴿إما العَذَابَ وإمَّا السَّاعَةَ﴾.

العذاب والساعة منصوبان على البدل من «مـا يُوعَـدُونَ» المعنى حتى إذا رآوا العذاب أو رأوا الساعـة، فالعـذاب ههنا مـا وعدوا بـه من نصـر المؤمنين عليهم فإنهم يعذبونهم قتلاً وأسْراً. والساعة يعنى بها يوم القيامة وبمـا وعدوا به فيها من الخلود في النار.

﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وأَضْعَفُ جُنْداً﴾.

أي فسيعلمـون بالنصـر، والقتـل أنهم أضعف جنـداً من جنـد النبي ﷺ والمسلمين ويعلمون بمكانهم من جهنم، ومكان المؤمنين من الجنة من هو شرٌّ مكاناً.

(١) ديوانه ١١١، اللسان (رأى) ابن الشجري ٢/١٩، الكامل ٢/٢١٧ (تجارية). وقد تقدم.
(٢) سورة الأعراف الآية ١٨٦.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾.

قيل بالناسِخ والمنسوخ نحو ما كان من صوم رمضان من أنه كان يجوز لمن يقدر على الصوم أن يطعم مسكيناً ويفطر، فنسخ ذلك بإلزام الصوم، وجائز أن يكون:﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ يجعل جزاءهم أن يزيدهم في يقينهم هُدًى كما أضل اللَّهُ الفاسقَ بفسقه.

وقوله عزّ وجلّ:﴿والبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خيرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً﴾.

معناه الأعمال الصالحة، وأولها توحيد اللَّه، وهو شهادة أن لَا إِلَه إلَّا اللَّهُ.

وقوله:﴿أفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَر بآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً﴾.

ويقرأ: وُوُلْداً، فمن قرأ وُلْداً بالضَّم فهو على وجهين على جمع وَلدٍ، يُقَالُ وَلَدٌ وَوُلدٌ مثل أَسَدٍ وأُسْدٍ، وجائز أن يكون الوُلْدُ في معنى الوَلَدِ، والوَلَدُ يصلح للواحد والجمع، والوُلْدُ والوَلَدُ بمعنىً واحد، مثل العُرْب والعَرَب، والعَجَمُ والعُجْمُ.

وقد جاء في التفسير أنه يعنى به العاص بن وائل. ويروى أن خَبَّاباً[1] قال: كنت قَيْناً في الجاهلية. والقَيْنُ هو[2] الذي يصلح الأسِنَّةَ، والحَدَّادُ يقال له قَيْن، قال وكان لي على العاصِ بنِ وائلٍ دينٌ، فدفعني بقضائه وقال لا أدفعه إليك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال خبّاب: لا أكفر بمحمد حتى تموت وتُبْعثَ، فقال: إذَا مِتُّ ثم بعثتُ أُعْطِيتُ مالاً وولداً وقضيتك مما أُعطى، يقول ذلك مستهزئاً فقال اللَّه سبحانه:

---

(١) هو خبّاب بن الأرت ـ بتاء مشددة ـ سبي في الجاهلية وبيع بمكه ـ فكان مولى أم أنمار الخزاعية ـ وهو من السابقين إلى الإسلام الذين عذبوا عذاباً شديد ـ حتى كاد يكوت من كي بالنار آله. شهد بدراً وما بعدها ومات سنة سبع وثلاثين بالكوفة.(الإصابة ٢٢١٠).

(٢) في الأصل الذي هو ـ والتصحيح من الهامش.

﴿أَطَّلَعَ الغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾.

أي علم ذلك غيباً أم أُعطي عهداً، وهو مثل الذي قال: ﴿وَلَئِنْ رُدِدْتُ إلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنها مُنْقَلباً﴾(١).

﴿كَلَّا﴾.

رَدْعٌ وتنبيه، أي هَذَا مما يُرْتَدَعُ منه، ويُنَبَّه على وَجْه الضلالة فيه.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾.

أي سنحفظ عليه.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً﴾.

أي نجعل المال والولد لِغَيْرِهِ ونسلبه(٢) ذلك ويأتينا فرداً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾، أي أعوانا

وقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾.

أي يصيرون عليهم أعوانا.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾.

في قوله ﴿أَرْسَلْنَا﴾ وجهان أحدهما أنا خلينا الشياطين وإياهم، فلم نعصمهم من القبول منهم - قال أبو إسحاق: والوجه الثاني - وهو المختار - أنهم أُرْسِلوا عليهم وقُيِّضُوا لهم بكفرهم كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(٣).

ومعنى ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ - تُزْعِجُهُمْ(٤) حتى يركبوا المعاصي ازعاجاً فهو يَدُلّ على صحة الإِرْسَالِ والتَّقْيِيض(٥)، ومعنى الإرسال ههنا التسليط، يقال قد

---

(١) سورة الكهف الآية ٣٦.
(٢) عبارة الأصل «والولد لغيره ويكون ونسلبه...» وحذفنا كلمة «وتكون».
(٣) سورة الزخرف الآية ٣٥.
(٤) في الأصل: معنى تؤزهم أزا معناه تزعجهم.
(٥) صحة إرسال الشياطين وتقييضهم لهم.

أرسلت فلانا على فلانٍ إذا سلطته عليه، كما قال: ﴿إنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الغَاوِينَ﴾[1]. فأعلم اللّه عزّ وجلَّ: أن من اتبعه هو مسلط عليه.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ المتَّقِينَ إلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾.

معنى الوفد الركبان المكرمون.

﴿وَنَسُوقَ المُجْرِمِينَ إلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾.

مشاة عطاشاً.

وقوله: ﴿لاَ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾.

«مَنْ» جائز أن تكون في موضع رفع، وفي موضع نصب. فأما الرفع فعلى البدل من الواو والنون[2]، والمعنى لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً. والعهد ههنا توحيد لله جلَّ ثناؤه والإيمان به.

والنصب على الاستثناء ليس من الأول على: لاَ يَمْلِكُ الشَّفاعةَ المجرمون، ثم قال: ﴿إلاّ من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾، على معنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة.

وقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدًّا﴾.

وتقرأ أَدًّا - بالفتح - ومعناه شيئاً عظيماً من الكفر، وفيها لغة أخرى لا أعلم أنه قرئ بها، وهي[3]: «شَيْء آدٍّ» على وزن رَادٍ ومادٍ، ومعناه كله: جئتم شيئاً عظيماً.

وقوله جل وعز: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي محبة في قلوب المؤمنين.

---

(١) سورة الحجر الآية: ٤٢.

(٢) في يملكون، والمستثنى منه تمام منفي.

(٣) في الأصل وهو

وقوله جل وعز: ﴿قَوْماً لُدًّا﴾[1].

جمع أَلَدّ مثل أَصَمْ وَصُمّ، والأَلَدُّ الشَّدِيدُ الخُصُومَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

يقال: هل أَحْسَسْتَ صَاحِبَك أي هل رأيته، وتقول: قد حَسَّسُهمْ - بغير ألف - إذا قتلهم.

وقوله: ﴿أَوْ تَسمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾.

الرِّكزُ الصوت الخفي.

(١) الآية: ﴿فإنَّما يسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ وتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدًّا﴾.

سورة طه
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَى﴾.

يقرأ طَهَ - بفتح الطاء والهاء، وتقرأ طِهِ - بكسرهما[1] - ويقرأ طـهْ - بفتح الطاء وإسكان الهـاء، وطَهِ بفتـح الطاء وكسـرُ[2] الهاء. واختلف في تفسيـرها فقال أَهْلُ اللُّغَةِ هي من فواتح السُّوَرِ نحو حم والم، ويـروى أن النبي ﷺ كان إذا صلى رفع رجلاً ووضع أخرى فأنزل اللَّه عز وجل: طـاها، أَيْ طَـأُ الأرضَ بِقَدَمَيْكَ جَميعاً.

وقوله عز وجل :﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لَتشْقَى﴾.

أي لتُصَلِّيَ على إحْدَى رِجْلَيْك فتشتـد عليك، وقيـل طه لغة بالعجميـة معناها يا رجل، فـأما من فتـح الطاء والهـاء فلأن مـا قيل الألف مفتـوح، ومن كسر الطاء والهاء، أمال إلى الكسر لأن الحرفَ مقصورٌ، والمقصور تغلب عليه الإمالة إلى الكسر ومن قرأ طَهْ بإسكـان الهاء ففيهـا وجهان أحـدهما أن يكـون أصله «طَأْ» بالهمزة فأبدلت منها الهاء كما قـالوا في إيـاك هياك وكمـا قالـوا في أَرَقْت الماء هَرَقْتُ وجائز أن يكـون من «وَطِي» عَلَى تَرْكِ الهمـزةِ، فيكونُ «طَ»

(١) بالإمالة فيهما.

(٢) بإمالة الهاء فقط.

يا رَجُل ـ ثم أثبت فيها الهاء للوقف فقِيل طهْ[1].

وقوله عز وجل: ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّمواتِ العُلَى﴾.

المعنى أنزلناه تنزيلاً، والعُلَى جمع العليا، يقال: سماء عُلْيَا وسمواتٌ عُلًى، مثل الكبرى والكُبَر.

وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾.

الاختيار الرفعُ، ويجوز الخفض على البدل من «منْ»[2] المعنى تنزيلاً من خالق الأرض والسموات الرحمن، ثم أخبر بعد ذلك فقال: على العرش استوى، وقالوا معنى [استوى] استولى ـ واللَّه أعلم. والذي يدل عليه استوى في اللغة على ما فعله من معنى الاستواء.

قوله: ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾.

الثرى في اللغة الندى، وما تحت الأرض ندًى، وجاء في التفسير وما تحت الثرى ما تحت الأرض.

وقوله: ﴿وإن تجهر بالقول فإنَّه يَعْلَمُ السِّرَ وَأَخْفَى﴾.

فَالسِّرُّ ما أكننْتَهُ في نفسك، و «أخفى» ما يكون من الغيب الذي لا يعلمه إلا اللَّه.

وقوله: ﴿لَهُ الأَسْماءُ الحُسْنَى﴾.

يروى عن النبي ﷺ أنه قال: للَّه تسعة وتسعونَ اسْماً من أَحْصَاهَا دخل الجنة، وتأويل من أحصاها دخل الجنة، من وحَّدَ اللَّهَ وذكر هذه الأسماء الحسنى يريد بها توحيدَ اللَّه وإعْظَامَهُ دَخَل الجنَّةَ، وقَدْ جاءَ أنه من قال لا إله

---

(١) أي هي هاء السكت لأن الفعل بقي على حرف واحد.

(٢) في ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ والسَّموٰاتِ العُلى﴾.

إلا اللَّه دخل الجنة، فهذا لِمَنْ ذَكَرَ اسْمَ اللَّه مُوَحِّداً لَهُ بِهِ فكيف بمن ذَكَرَ أَسْماءَهُ كلَّها يُريدُ بها توحيدَهُ والثناءَ عليْهِ.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلِّي آتيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أو أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.

القَبَسُ ما أَخَذْتَه في رأس عُودٍ من النَّارِ أو رَأْسِ فَتيلةٍ.

﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾: جاء في التفسير أنَّه ﷺ ضل الطريق[1] وجاء أنه ضل عن الماءِ فرجا أن يجد عند النار من يهديه الطريق أو يَدُلُّه عَلَى الماء.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾.

ويقرأ أَنِّي أَنَا - بالفَتح والكسر، فمن قرأ «أَنِّي» فالمعنى نودي بأني أنا ربُّك، وموضع «أنِّي» نصبٌ، وَمَنْ قَرأ إِنِّي أَنَا ربُّكَ بالكسر فالمعنى نودي يا موسى إني أنا رَبُّكَ.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

روي أنه أُمِرَ بخَلْعِهِمَا لأنهما كانتا من جِلْد حمارٍ مَيِّت، وروي أنه أمر بخلعهما ليطأ بقدميه الوادي المقدس، وروي أنَّه قُدِّسَ مَرَّتين.

وقوله: ﴿طُوًى﴾.

اسم الوادي، ويجوز فيه أربعة أوجه، طُوَ - بضم أوّله، بغير تنوين وتنوينٍ وبكسر أوله - بتنوين وبغير تنوين. فمن نونَه فهو اسم الوادي، وهو مذكر سُمِّيَ بمذكر على فُعَل نحو حُطَم وصُرَد. ومن لم ينونه ترك صرفه من جهتين: إحداهما أن يكون معدولاً عن «طَاءٍ» فيصير مثل عُمَر المعدول عن عامر. والجهة الأخرى أن يكون اسماً للبقعة كما قال اللَّه عز وجل: - ﴿في البُقْعَةِ

(١) أي موسى عليه السلام.

المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾(١). وإذا كُسِرَ وَنُوِّنَ طِوًى فهو - مثل مِعًى وَضِلع - مَصْرُوفٌ(٢). ومَنْ لم ينون(٣) جعله اسماً للبقعةِ.

وقولِه - عز وجل -: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾.

ويقرأ وَإِنَّا اخْتَرْنَاكَ، فمن قرأ: وإنا اخترناك فالمعنى يؤدي بأنا اخترناك(٤) ويجوز وإنَّا اخترناك على وجهين: على الاستئناف وعلى معنى الحكاية لأنَّه معنى يُؤدىَ قيل له إنا اخترناك.

وقوله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾.

هذا على معنيين أحدهما أقم الصلاة لأن تَذْكُرَني لأَنْ الصَّلَاةَ لا تكونُ إلاّ بذكر اللَّه، والمعنى الثاني هو الذي عليه الناس ومعناه أقم الصلاة متى ذَكَرْتَ أنَّ عليك صلاةً كنتَ في وقتها أو لم تكن، لأن اللَّه عز وجل لا يؤاخذُنا إن نسينا ما لم نَتعمّدْ الأشياء التي تَشْغَلُ وتُلْهِي عن الصلاة، ولو ذَكَرَ ذَاكِرٌ أنَّ عليه صلاةً في وقت طُلُوع الشمس أو عندَ مَغِيبَها وَجَب أن يُصَلِّيَهَا. وقرئت لِلذِّكْرَى - معناه في وقت ذكرك(٥).

وقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

بضم الأَلِفِ، وجاء في التفسير أكاد أخفيها من نفسي، واللَّه أعلم بحقيقة هذا التفسير، وقرئت أكاد أَخْفِيهَا - بفتح الألف - معناه أكاد أُظْهِرها، قال أمرؤ القيس:

---

(١) سورة القصص ٣٠.

(٢) في الأصل: معروف.

(٣) في الأصل ومن لم ينون اسما جعله اسماً.

(٤) أي فتح أن على تقدير حرف جر محذوف.

(٥) أي هي دالة على الزمن كما في أقم الصلاة لِدُلُوك الشمس، أي عند ذكرك.

فـإنْ تبعثـوا الـداء لا نَخْفِـه   وإن تَبْعثُوا الحـربَ لا نَقْعُـدِ[1]

أي أن تدفنوا الداء لا نظهره.

وهـذه القراءة الثـانيةأبين في المعنى، لأن معنى أكـاد أظهرهـا، أي قـدْ أَخفيتها وَكِدتُ أُظْهِرُهَا. .

وقوله: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

معنى ﴿بِما تسعى﴾ بما تعمل، ولتجزى متعلق بقـولـه: إنَّ السَّـاعَـةَ آتِيَـةٌ لتجزَى كلُّ نَفْسٍ بما تسعى، ويجوز أن يكون على أَقِمِ الصلاة لذكري لتجزى كل نفس بما تسعى.

وقوله: ﴿فلا يَصُدَّنَّكَ عنها مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا﴾.

معناه واللَّه أعلم فلا يصدنك عن التصديق بها من لا يؤمن بهـا، أي من لا يؤمن بـأنها تكـون، وخطابُ النبي ﷺ هـو خـطابُ سـائـر أمَّتِـه، ومعنى لا يصُـدَّنـك عنهـا: لا يَصُـدَّنَّكُمْ، قـال اللَّه عـز وجـل: ﴿يَا أَيُّهـا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[2]. فَنُبِّه[3] النبي ﷺ بالخطاب وخوطب هو وأمته بقوله إذا طلقتم.

وقوله: ﴿فَتَرْدَى﴾.

معناه فتهلك، يقال رَدِيَ يَرْدَى ردًى، إذا هلك، وكذلـك تَرَدَّى إِذَا هلَكَ في قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالهُ إِذَا تردَّى﴾[4].

قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾.

تلك اسم مبهم يَجري مجرى التي، ويوصل كمـا توصـل التي، المعنى

---

(١) تقدّم في الجزء الأول ٣٥٥.

(٢) أول سورة الطلاق.

(٣) أي نودي، لأن ياء النداء التي هي للتنبيه وجهت إليه.

(٤) سورة والليل إذا يغشى.

ما التي بيمينك يا موسى. وهذا الكلام لفظه لفظ الاستفهام ومجراه في الكلام مجرى ما يسأل عنه، ويجيب المخاطب بالإقـرار به لتثبت عليـه الحجة بعـدما قد اعترف مستغنًى بإقراره عن أن يجحد بعد وقـوع الحجة، ومثله من الكـلام أَنْ تُرِيَ المخاطب ماءً فتقول له ما هذا فيقول ماء، ثم تحيله بشيء من الصِّبْغِ فإن قال إنّه لم يزل هكذا قلت له: ألست قد اعترفت بأنه ماء.

وقوله :﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾.

وقرىء هي عَصَيَّ بِغير ألف، وأجْـوَدُهُمَا عَصَـايَ. وَعَصَيَّ لغَةُ هُـذَيلٍ. والأصل في يا الإضافة أن يكسر ما قبلها، تقول هذا حَجَرِي فتكسر الراء وهي في موضع ضمّ وكذلك رأيت حجـرِي، فإذا جَـاءتْ بَعْدَ الألف المقصـورة لم تكسرها. لأن الألف لا تُحرَّكُ، وكذلـك إذا جاءت بعـد ألف التثنية في الـرفع في قولك هما غلاماي، وبعد ياء النصب في قولك: رأيت غلامَيَّ، وبعـد كل ياء قبلها كسرة نحو هذا قاضِيَّ ورأيت مُسْلِمِيَّ، فجعلت هُذَيْلٌ بـدلاً من كسرةِ الألف تغييرها إلى اليـاء، وليس أَحَدٌ من النحـويين إلا وقد حكى هـذه اللغة، قال أبو ذؤيب[١].

سَبَقُــوا هـوَيَّ وأعنَقُــوا لِهَـوَاهُمُ ... فَتُخـرمُـوا، ولكـل جنب مصـرعُ

قوله:﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾.

جاء في التفسير أَخْبِطُ بهـا الشجرَ، واشتقـاقه من أني أُحيـلُ الشيءَ إلى الهشاشة والإمكان.

وقوله :﴿وَلِيَ فِيـهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾.

جاء في التفسير حاجات أُخَـر، وكذلـك هُوَ في اللغـة، وواحد المـآرب

(١) من عَيْنِيَّتِهِ الَّتي رَثَى بها أولادَه، أي خـرجوا عن رغبتي وأطـاعوا رغبـاتهم فاخْتَـرمَتْهُم المنيةُ، وهي عاقبة كل حي. ـ ويروى ـ فأعنقوا لسبيلهم ـ انظر ديوان الهذليين ١/ ٢.

مَـأْرُبَةٌ ومـأرَبة. وجـاء «اخرى» على لفظ صفـة الواحـدة، لأن مارب في معنى جماعة فكأنها جماعات من الحاجات أخرى، فلو جاءت أُخَرُ كان صواباً.

قوله: ﴿سيرَتَها الأُولى﴾.

معنى سيِّرتَها طـريقتها يعني هيئتهـا، تقول إذا كـان القوم مشتبهين: هم على سيرة واحدة وطريقة وَاحِدةٍ، تريد أن هيئتهم واحدة وشبههم واحِـدٌ، وإن كان أصل السيرة والطريقة أكثر ما يقع بالفعل، تقول: فلان على طـريقة فـلانٍ وعلى سيرته أي أفعاله تشبه أفعال فلانٍ، والمعنى: سنعيدها عَصاً كما كانت، وسيرتها منصوب على إسقاط الخـافض، وأفْضى الفعل إليهـا، المعنى ـ واللَّه أعلم ـ سنعيـدها إلى سيـرتها الأولى، فلمـا حُذِفَتْ «إلى» أَفْضى الفعـل ـ وهو سنعيدها ـ فَنَصَب.

وقوله: ﴿واضْمُمْ يَدَكَ إلَى جَنَاحِكَ﴾.

جناح الإنسان عَضُدُه إلى أصل إبطه.

وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾.

﴿آيةً﴾ مَنْصوبة لأنهافي مـوضع الحـال، وهي اسم في مـوضـع الحـال، المعنى ـ واللَّه أعلم ـ تخـرج بيضاء مُبيَّنَـةً آيةً أُخْـرَى، ويجـوز أن يكـون ﴿آيةً أُخْرَى﴾ منصـوبـةً على معنى آتيناك آيـة أخرى أو نُؤْتينـك آيةً أخـرى، لأنه لمـا قال: تَخْرُج بَيْضَاءَ كان في ذلـك دَليلٌ أنَّـه يعطى آيـةً أخرى، فلم يحتـج إلى ذكر آتَينَاكَ لأن في الكلام دليلاً عليه. ويجوز آيةٌ أخرى بالرفع على إضمار هذه آية أُخْرَى.

وقوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

جاء في التفسير أنـه كان في لسانـه رُتَّة، لأنّ امْـرأةَ فِرْعَـوْنَ جَعَلَتْ عَلَى لِسَانه حجرةً لأنه كـان أخذ وهـو صبي بِلِحْيةِ فـرعَوْنَ فهمَّ بـه، وقال هـذا عدو

فأعلمته أنه صبي لا يعقل وأن دليلها على ذلك أنه التقم جمرة فدرأت عنه ما هَمَّ به فِرْعَوْنَ فيه.

وقوله:﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هارونَ أَخِي﴾.

يجوز أن يكون نصب هارون من جهتين إحداهما أن يكون «اجْعَلْ» يَتَعدَّى إلى مفعولين فيكون المعنى اجعل هارون أخي وزيري فتنصب «وَزِيراً» على أنه مفعول ثانٍ، ويجوز أن يكون هارون بدلاً من قوله «وزيراً» ويكون المعنى اجعل لي وزيراً من أهلي ثم أبدل هارون من وزيرٍ، والقول الأول أجودُ وأخي نعتٌ لهارون.

وقوله:﴿أشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾.

يقرأ على ضربين على مَعْنى اجعل أخي وزيراً، فإنك إن فعلت ذلك أَشْدُدْ به أَزْري. «أَشْدُدْ» على الإِخْبَارِ عن النفس وأظهرت التضعيف لأنه جواب الأمر وأُشْرِكُه في أَمْرِي، فيقرأ على هذا: هارون أخي أَشْدُدْ به أزري وأُشرِكُهُ في أمري بقَطْع أَلِفِ أَشْدُدْ وضم الألف من وأُشْرِكُهُ، ومن قرأ هارون أخي اشدد به أزري وأَشْرِكه فعلى الدعاء، المعنى: اللهم أشدد به أزري وأَشْرِكْهُ في أمري.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

قد بين المرة على ما هي وهي قوله:

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أنِ اقْذِفِيه في التَّابُوتِ﴾.

لأنه نَجَّاهُ بهذا من القتل، لأنَّ فرعونَ كان يَذْبَحُ الأبناءَ.

وقوله عز وجل:﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

قالوا معناه ولِتُغْذَى.

ومعنى أَزْرِي، يقال آزَرْتُ فُلاناً على فلان إذَا أَعَنْتَه عَلَيْه وقَوَّيْته، ومِثْله:

﴿فآزَرَهُ فاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوى عَلَى سُوقِهِ﴾[1]. فتأويله. أقْوَى بِـهِ واستُعين به على أمري.

فأمَّا الوزير في اللغة فاشتقاقه من الوَزَرِ، والوَزَرُ الجَبلُ الذي يُعْتَصَمُ بـه لِيُنْجِيَ مِنَ الهكلَةِ، وكـذلك وزيـر الخليفة معنـاه الذي يَعْتمـد عليه في أمُـورِه ويَلْتَجِـئُ إلى رأيـه وقولـه: ﴿كَـلاَّ لاَ وَزَرَ﴾[2] معنـاه لا شيءَ يُعْتَصَمُ بِـه من أمـر اللَّه ـ عز وجل ـ.

وقوله: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُـوناً﴾.

معناه اختبرناك اختباراً.

وقوله: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَامُوسى﴾.

قيل في التفسير: على مَوْعِدٍ، وقيل على قَدَرٍ مِنْ تَكلِيمي إياك.

﴿وَلاَ تَنِيَـا فِي ذِكْري﴾.

معناه ولا تضعُفَا، يقال: وَنَى يني وَنْياً ووُنِيًّا إذا ضَعُفَ، وقولك قد توانى فلانٌ في هذا الأمر أي قد فتر فِيه وضَعُفَ.

وقوله: ﴿لَعَلَّه يَتَذَكَّرُ أَوْيَخْشَـى﴾.

لعل في اللغة ترجٍ وطمعٌ، تقـول: لَعلِّي أَصِيرُ إلَى خيـرٍ، فمعناه أرجـو وأطمع أن أصير إلى خير، واللَّه ـ عز وجل ـ خاطب العباد بما يعقلون.

والمعنى عنـد سيبويـه فيه: إذْهَبـا عَلَى رَجَائِكُمَـا وَطَمَعَكُمَا. والعلم من اللَّه عز وجل قد أتى من وراء ما يكون[3]. وقد علم عزَّ وجل أنه لا يتذكـر ولا يخشى، إلا أن الحجـة إنما تجب عليـه بالإبـانة، وإقـامتها عليـه، والبرهـان.

---

(١) سورة الفتح من الآية ٢٩.

(٢) سورة القيامة الآية ١١.

(٣) أي يعلم ما لم يحدث، ويعرف المستقبل كما يعرف الماضي.

وإنما تبعَثُ الرسُل وهي لا تعلم الغيب ولا تدري أيقبل منها أم لا، وهم يرجون ويطمعون أن يقبل مِنهم، ومعنى «لعل» متصور في أنفسهم، وعلى تصور ذلك تقوم الحجة، وليس علم اللَّه بما سيكون تجب به الحجة على الآدميين، ولو كان كذلك لم يكن في الرسل فائدة.

فمعنى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

هو الذي عليه بُعثَ جميعُ الرُّسُلِ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّنا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾.

معنى يَفْرطَ علينا يُبَادر بعقوبتنا، يقال: قد فرط منه أمرٌ أي قَدْ بَدَرَ منه امرٌ، وقد أفرط في الشيء إذا سَقَط فيه، وقد فرَّط في الشيء أي قَصَّرَ ومعناه كله التقدم في الشَّيْءِ، لأن الفرط في اللغة المتقدم. ومنه قوله ﷺ أنا فَرَطُكُمْ على الحوض.

وقوله: ﴿وَالسَّلَام عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾.

ليس يعنى به التحية، وإنما معناه أن من اتبع الهدى سلم من عذاب اللَّه وسخطه والدليل على أنه ليس بسلام أنه ليس ابتداء لقاء وخطاب.

ومعنى ﴿فَأتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ﴾.

ولم يقل فَأَتَيَاهُ فقَالاَ لَه إنا رَسُولا ربِّكَ، لأن الكلام قد دل على ذلك فاستغنى عنه أن يقال فيه فأتياهُ فَقَالاَ، لأن قوله: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ فيه دليل على أنهما أَتياهُ فَقَالاَ لَهُ:

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذي أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾.

معناه خلق كلَّ شيء على الهيئة التي بها ينْتَفِعُ، والتي هي أصلح الخلق له، ثم هَدَاهُ لمعِيشتِه، وقد قيل ثم هداه لموضع مَا يكون منه الولد.

والأول أبين في التفسير، وهـذا[1] جائز، لأنا نرى الذَّكَرَ مِنَ الحيوان يأتي الأنثى ولم ير ذكراً قد أتى أنثى قبله فألْهَمه اللَّه - عز وجل - ذلك وهداه إلى المَأتَى. والقول الأول ينتظم هذا المعنى، لأنَّه إذا هَداه لمصْلَحَتِه فهذا دَاخِلٌ في المصْلحةِ، واللَّه أعلم.

وقوله تَعَالَى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ القُرونِ الأُولَى﴾.

قال له موسى عليه السلام:

﴿عِلْمُهَاعِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾.

معناه لا يُضِلها ولا ينساها، ولا يضله ربي ولا ينساه، يعني به الكتاب، ومعنى ضَلَلْتُ الشّيءَ وضَلِلْتُ بكسر اللام وفتحِها أَضِلُّه وَأَضَلُّه، إذا جعلته في مكان لم تدر أين هو، ويُضِلُّ من أضلَلْتُه، ومعنى أضْلَلْته أضَعْتُه، قال أبو إسحاق من قرأ بالفتح فمعناه لا يَضَلُّ أيْ لا يَضَلُّ عن رَبِّي. وإذا ضممت الياء[2] فمعناه لا يوجد ربي ضَالاً عنها.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُولي النُّهَى﴾.

معناه لذوي العقول، واحد لنهى نُهْيَة. يقال: فلان ذو نُهيةٍ، ومعناه ذو عقل ينتهي به عن المقابح ويدخل به في المحاسِنِ، وقال بعض أهل اللغة: ذو النُّهْيةِ الذي يُنْتَهَى إلى رأيه وعقله، وهَذَا حسنٌ أيضاً.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾.

يعني به الأرض، لأن اللَّه - عز وجل - خلق آدم من تراب، وَجَرَى الإضْمَارُ على قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً، وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً﴾.

وقوله: ﴿تَارَةً أُخْرَى﴾.

---

(١) هذا الوجه الثاني أي هداية لموضع الولد.

(٢) إذا ضُمَّت الياء مع فتح الضَّاءِ. ببناء الفعل للمجهول.

متعلق بقوله منها نُخرِجُكم، لأن المعنى كمعنى الأول. لأن معنى ومنها نخرجكم بمنزلة منها خلقناكم، فكأنه قال ـ والله أعلم ـ: ومنها نخلقكم تارة أُخْرَى، لأن إخراجَهُم وهم تراب بمنزلة خلق آدم من تراب.

وقوله: ﴿مَكَاناً سِوًى﴾.

وتقرأ سُوًى بِالضَّمِّ ومَعْنَاهُ مَنْصَفاً، أي مكاناً يكون النَّصفَ فيما بيننا وبينك، وقد جاء في اللغةَ «سَواءٌ» في هذا المعنى، تقول: هذا مكانٌ سَوَاءٌ، أي مُتَوسِّط بينِ المكانين، ولكن لم يقرأ إلا بِالْقَصْرِ سِوًى وسُوًى.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾.

وتقرأ يومَ الزينة، فالرفع على خبر الابتداء، والمعنى وقت موعدكم يوم الزينة ومن قرأ يومَ فمنصوبٌ على الظرف، المعنى يقع يوم الزينة.

وقوله: ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾.

موضع ﴿أن﴾ رفع، المعنى مَوعِدُكم حَشرُ الناسِ ضُحًى، وتأويله إذا رأيتم الناس قد حُشِروا ضُحًى. وقيل يوم الزينة يومُ عيدٍ كان لهم، وقيل إنه كان يوم عاشوراء.

ويجوز أن يكون في موضع خَفْضٍ عطفاً على الزينة. المعنى موعدكم يوم الزينة ويوم حَشْرِ الناس.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾.

﴿ويلَكُم﴾ منصوبٌ على أن ألزمهم الله ويلاً(١)، ويجوز أن يكون منصوباً عَلَى النداءِ كما قال تعالى: ﴿ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾(٢) و ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾(٣).

---

(١) أي هو مفعول مطلق. (٢) سورة هود الآية ٧٢. (٣) سورة يس الآية ٥٢.

وقوله :﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾.

ويقرأ فَيُسْحِتَكُمْ - بضم الياء وكسر الحاء، يقال سَحَتَهُ، وأسْحَتَهُ إذا ستأصَلَهُ وأهْلكه، قال الفرزدق:

وعضُّ زمانٍ يا ابن مروان لَمْ يَدَعْ من النَّاس إلا مُسْحَتاً أو مُجَلَّفُ[1]

معنى لم يدع لم يستقر-من الدعة من المال، وأكثر الرواية إلا مُسْحتاً، فهذا على أسْحَت فهو مُسْحَت.

وقوله عز وجل:﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾.

يعنى به السحرة، قالوا بينهم: إنْ غَلَبَنَا موسى آمنا به، وكان الأمْرُ لَهُ.

وقوله عز وجل:﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾.

يَعْنُونَ موسى وهارون. وهذا الحرف من كتاب اللَّه عز وجل مُشْكِلٌ على أهل اللغة، وقد كثر اختلافهم في تفسيره، ونحن نذكر جميع ما قاله النحويون ونخبر بما نظن أنه الصواب واللَّه أعلم، وقبل شرح إعرابه نخبر بقراءة القُرّاءِ فيه.

أما قراءة أهل المدينة والأكْمَهِ في القراءة فبتشديد إنَّ، والرفع في هذان وكذلك قرأ أهْلُ العِراق حمزةُ وعاصم - في رواية أبي بكر بن عياش - والمدنيونَ. ورُوِيَ عَنْ عاصم: إنْ هذان بتخفيف «إنْ»، ويُصَدّق ما قرأه عاصم في هذه القراءة ما يُرْوَى عَنْ أُبَيٍّ فَإِنَّهُ قرأ: ما هذان إلَّا سَاحِرَانِ، ورُوِيَ أيضاً عنه أنه قرأ: إنْ هَذَان إلَّا سَاحِرانِ، ورويت عن الخليل أيضاً: إنْ هـذان لَسَاحِرَان - بالتخفيف -. والإجماع أنه لم يكن أحد بالنحو أعلم من الخليل. وقرأ أبو عمرو وعيسى بن عُمَر: إنَّ هَـذَيْن لَسَاحرانِ، بتشديد «إنَّ» ونصب هذين.

---

(١) ديوانه ٥٥٦، واللسان - (جلف - سمت)، والخزانة ٢/٤٧، وشواهد الكشاف ٧٨.

فهذه الرواية فيه.[1]

فأما إحتجاج النحويين فاحتجاج أبي عمرو في مخالفته المصحف في هذا أَنَّهُ رُوِيَ أنه من غَلَطِ الكاتب، وأن في الكتاب[2] غَلَطاً سَتُقِيمُه العربُ بأَلْسِنَتِها، يروى ذلك عَنْ عُثْمَانَ بنِ عفَّانِ وَعَنْ عائشة ـ رحمهما اللَّه ـ. وأما الاحتجاج في أنّ هذان بتشديد أن ورفع هذانِ فحكى أبو عُبَيْدَة عن أبي الخطاب[3] وهو رأس من رؤساء الرواة، أنها لغة لِكنَانَة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنَّصْبِ والخفض على لفظ واحدٍ، يقولون أتاني الزيدان، ورأيت الزَّيْدَانِ، ومررت بالزَّيْدَانِ، وهؤلاء ينشدون:

فأطرق إطراق الشجاع ولو رأى مَسَاغاً لِنَابَاهُ الشُّجاعُ لصَمَّمَا[4]

وهؤلاء أيضاً يقولون: ضَرَبْتُه بين أُذُناه، ومن يشتري مني الخُفَّانِ وكذلك روى أهل الكوفة أنها لغة لبني الحرث بن كعْبٍ.

قال النحويُّون القُدَمَاءُ: ههنا هاء مضمرة، المعنى إِنَّهُ هذانِ لَسَاحِرَانِ،

---

(١) هذا ما روي في هذا الحرف.

(٢) في الكتابة ورسم المصحف.

(٣) أورد أبو عبيدة عدة آراء منها رأي أبي الخطاب ونصه في مجازه: «وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوماً من كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب» اهـ. ويعني بالاثنين المبتدأ والخبر، ـ ثم نقل عن بشر بن هلال رأياً آخر ـ يجعل «إن» حرف جواب، وهذان مبتدأ ـ انظر المجاز حـ ٢ ص ٢١ ـ ومن المعروف أن من العرب من يلزم المثنى والأسماء الخمسة الألف، ومن شواهد النحو الشائعة:

يا ليت عيناها لنا وفاها أن أباها وأبا أباها
قد بلغا في المجد غايتاها

(٤) البيت للمتلمس من القصيدة التي تقدم ذكر سببها وبيت منها في ص ٢٦٢ من هذا الجزء والشجاع ذكر الأفاعي ـ وأطرق وقف متحيراً، وصمم عض من العظم. والبيت في ابن يعيش ١٢٨/٣، واللسان (صمم) والمرتضى ١/ ٥.

وقــالـوا أيضــاً أن معنى «إنَّ» معنى «نَعَمْ»، المعنى نعم هَـذان لســاحِــرَانِ، وينشِدون:

ويقلـــن شـــيب قـد عـــلاك وقـد كـبرت فقلـــت إنـــه[1]

ويَحتجُّون بأن هـذه اللامَ أَصْلُهَـا أن تقع في الابتـداء، وأن وُقُوعَهـا في الخبر جائز، وينشدون في ذلك:

خــالي لأنتَ، ومن جـريــرٌ خَـالُــه ينــل الـعـلاء ويكــرم الاخـــوانــا

وأنشدوا أيضاً:

أم الـحـليس لـعـجــوز شـهــر بـه ترضى من اللحم بعظم الـرقبة[2]

قـالوا: المعنى لأنت خـالي، والمعنى لأم الحليس عجوز، وقـال الفراء في هذا: إنهم زادوا فيها النون في التثنية وتـركوا الألف على حـالها في الـرفع والنصب والجر كما فعلوا في الَّذي، فقالوا: الَّذِينَ في الرفع والنصب والجـر، فهذا جميع ما احتج به النحويون.

والذي عندي ـ واللَّه أعلم ـ وكنت عرضته على عالِمَيْنَا ـ محمد بن يزيد وعلى إسماعيل بن إسحق بن حماد بن زيد القاضي فقبلاه وذكـرا أنّه أجـود ما سمعاه في هذا، وهو «أنَّ» قد وقعت موقع «نعم»، وأن الـلام وقعت مَوْقِعَهَـا، وأن المعنى هذان لَهما ساحِرَانِ.

---

(١) لعبد اللَّه بن قيس الرقيات العامري ـ من أهل الحجاز، مدح مضعب بن الـزبير وعبـد الملك، وسمي بالرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة كل تسمى رقية وقيل لأنّ لـه ثلاث جـدات كل تسمى رقيـة ـ كان شعره يمتاز بالرقة ـ، وكان حماد الراوية يقول: إذا أردت أن تقول الشعـر فارو شعـر ابن قيس الرقيابت فإنه أرق الناس حواشي شعر.

انظر شواهد المغني ٤٧، والأغاني.

(٢) الخزانة ٣/ ١٣٠ ـ فقه اللغة للثعالبي ٣٥٧.

والذي يلي هذه في الجودة مذهب بني كنانة في ترك ألف التثنية على هيئة واحدة، لأن حق الألف أنْ تَدُلَّ على الاثنين، وكان حقها ألَّا تتغيّر كما لم تتغير ألف رحى وعصى(١)، ولكن كان نقلها إلى الياء في النّصْبِ والخفض أبينُ وأفْضَلُ [للتمييز] بين المرفوع والمنصوب والمجرور. فأما قراءةَ عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء فلا أُجيزها لأنها خلاف المصحف، وكل ما وجدته إلى موافقة المصحف أقرب لم أُجِزْ مُخَالفَتَه، لأن اتباعه سنة. وما عليه أكثر القراء، ولكني أسْتَحسِنُ إنّ هذان لساحران بتخفيف «إن» وفيه إمامان: عاصمٌ والخليلُ، وموافقة أُبيّ في المعْنَى وإن خالفه اللفظ، ويستحسن أيضاً إنَّ هذان بالتشديد، لأنه مذهب أكثر القراء، وبه يقرأ وهو قوي في العربية.

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾.

معناه في قول النحويين بجماعتكم الأشراف. والمثلى تأنيث الأمثل، ومعنى الأمثل والمثلى معنى «ذوُ الفضل» الذي يستحق أن يقال [فيه] هذا أمثل قَوْمِه.

وفي التفسير: ﴿بِطَرِيقَتِكُمْ الْمُثْلَى﴾ بأَشْرَافكم، والعرب تقول للرجل الفاضل هذا طَرِيقةُ قوْمِه، وَنَظِيرَة قومِه، ونَظُورَة قومه. كل هذا للرجل الفاضِل. وإنما تأويله هذا الذي ينبغي أن يجعلَهُ قومُه قدوةً وَيَسْلكوا طريقته. والذي قال أيضاً: هذا نظورة قومه ونظيرة قومه، معناه هذا الذي ينبغي أن يَنْظُر إليه قومُه(٢) وأن يتبعوه.

والذي عندي ـ والله أعلم ـ أن في الكلام محذوفاً يدل عليه ما بقي، إنما المعنى يذهبا بأهل طَرِيقتكم المثلى، كما قال الله عز وجل: ﴿واسْأَلِ

---

(١) أي يعامل المثنى معاملة المقصور.

(٢) ينظر إليه قومه يقلدونه.

الْقَرْيَةَ الَّتي كُنَا فِيهَا﴾[1]، معناه وَاسأل أهل القرية، وكذلك قول العرب: هذا طريقة قومه معناه هذا صاحب طريقة قومه.

وقوله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسي﴾.

تأويله اخترتك لإقَامَةِ حُجَّتِي، وجَعَلْتُكَ بَيْني وبين خَلْقِي حتى صرت في الخطاب عني والتبليغ عني بالمنزلة التي أكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾.

وقرئتْ فاجمعوا كيدكم، فمن قرأ فأَجمِعُوا بقطع الألف، فمعناه ليكن عزمكم كلكم على الكيد مُجْمَعاً عليه [أي] لا تَختلِفوا فتخْتَلُّوا. ومن قرأ فاجمعوا فمعناه جيئوا بكل كيد تقدرون عليه، ولا تبقوا مِنْهُ شيئاً.

وقوله: ﴿ثم ائْتُوا صَفًّا﴾.

معناه ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لِعيدِكم وصَلَاتِكِم، يقال: أتَيتَ صَفًّا بمعنى أتيت المُصَلَّى، ويجوز أن يكون «ثم ائتوا صَفًّا» ثم ائتوا مصطفين مجتمعين ليكون أنظمَ لأموركم، وأشد لهيئتكم.

﴿[وَقَدْ أَفْلَحَ اليَوْمَ مَن اسْتَعْلَى]﴾.

ومعنى ﴿مَنْ اسْتَعْلَى﴾ من علا بالغلبة.

وقوله عزوجل: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصيُّهُمْ﴾.

ولم يَقُل ههنا «فألقَوْا» فإذا حبالهم، لأنه قد جاء في موضع آخر، ﴿فأَلْقَوْا حِبَالَهم وعِصِيَّهُمْ﴾[2]. ويجوز في عِصِيٍّ عُصِيٍّ، والكسر أكثر، والأَصْلُ

---

(١) يوسف الآية ٨٢.

(٢) سورة الشعراء الآية ٤٤.

الضَّمُّ(١) إلا أن الكسر يثقل بعد الضم فلذلك اختير كسر العين.

ويروى في التفسير أنَّ السَّحرةَ كانـوا يومئـذٍ(٢) سبعين ألف ساحِرٍ معهم سبعون ألف حَبْلٍ وَسَبْعون ألف عصا، فـأوحى اللّه إلى موسى حين خُيِّـلَ إليه من سِحرهم أنها تسعى أَنْ يُلْقِيَ عَصَاهُ فإذا هي ثعبانٌ مُبينٌ فَاغِر فَاه فابتلع جَميعَ تلك الحبال، وقرئت ﴿فإذا حِبَالُهُم وعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾.

ومـوضع أن على هـذه القراءة رفـع، المعنى يخيل إليـه سَعْيُهـا، ويقـرأ «تُخَيَّلُ» بالتاء، وموضع أَنَّ عَلَى هذه القراءة يجوز أن يكـون نصباً، ويجـوز أن يكـون رفعا، فـأما النصب فعلى معنى يخيـل إليه أنهـا ذات سَعْيٍ ويجـوز أن يكون مرفوعاً على البدل على معنى يخيل إليه سِعَايتُها، وأبدل أنهـا تسعى من المضمـر في يخيـل لاشتمـالـه على المعنى، ويكـون إليـه الخبـر على هـذا التقدير..

ومثل ذلك ما حكاه سيبويه يقال: مالي بِهِمْ عِلْمٌ أَمْرُهُم، أي مالي علمٌ بِأمْرِهم، ومثل ذلك من الشّعر: (٣)

وذكـرت تَقْـتـدَ بَـرْدَ مـائـهـا

المعنى وذكرت بَرْدَ مَاء تَقْتد.

---

(١) لأنه فعول.

(٢) في الأصل يومئذ يومئذ، وهو سهو من الكاتب.

(٣) رجز ينسب لأبي حمزة الفقعسي: يصف إبلا بأنها اشتد ظمؤها وتخَثَّر دمهـا وتغير لـونه، وظهـر ذلك في عروقهـا، حينئذ تتـذكر تقتـد، وهي ماء من ميـاه بني سعد بن بكـر بن هوازن ـ وقبـل هذا البيت:

حـتـى إذا مـا تـم من إظـمـائـهـا ... وعَـتَـكَ الـبَـوْلُ عـلى أَنْـسَـائـهـا

أي تغير لونه بالحمرة، والأنساء عروق في باطن الفخذ واحدها نسا.

انظر ما كتبه محقق كتاب سيبويه، والمراجع التي رجع هو إليها (كتاب سيبويه ١/ ١٥١).

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾.

ويقرأ كيد سِحْـر، ويجوز إنمـا صنعوا كيـدُ سَاحِـرٍ، ويجوزُ كَيْـدَ ساحِـرٍ بنصب الدال. فمن قرأ «أنما» نصب «أَنَّمَا» على معنى تلقَفْ مَا صَنَعُوا لِأَنَّ مـا صنعوا كيد ساحِرٍ[١]، ولا أعلم أحداً قرأها هنا «أَنَّمَا»، والقراءة بـالكسر، وَهُـوَ أَبْلَغُ في المَعْنَى.

فأما رفع كيد فعلى معنى أن الذي صَنَعُوهُ كَيْدُ سَاحِرٍ على خبر إنَّ وَ «مَا» اسم، ومن قرأ كيدَ ساحِرٍ جعل «ما» تمنع «إِنَّ» العَمَل، وتَسَوّغُ للفِعْلِ أن يكون بعدها، وينتصبُ «كَيْد ساحر» بصَنعوا، كما تقول: إنما ضَرَبْتُ زيداً[٢].

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾.

قالوا معنـاه حيث كان، وقيـل معناه حيث كـان الساحـر يجبُ أن يُقْتَلَ، وكذلك مذهب أهل الفقه في السحرة.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً [موسى]﴾.

وأصلها خِوْفَة، ولكن الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها.

﴿[وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا]﴾.

و «تَلْقَف» القراءة بالجزم جواب الأمر، ويجوز الرفع على معنى الحـال، كأنه قال ألقها مُتَلَقِفَةً، على حال مَتوقَّعَةٍ، ولم يقرأ بها، ولا ينبغي أن يقـرأ بما لم تتقدم به قراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً﴾.

﴿سُجَّـداً﴾ منصوب على الحـال، وهي أيضاً حـال مقدرة، لأنهم خـروا وليسوا ساجدين، إنما خروا مقدرين السجود.

---

(١) فتح همزة إنما لأنها مجرورة تقديراً واللام محذوفة.

(٢) أي ما صنعوا إلاّ كيد ساحر.

وقوله: ﴿فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾.

معناه على جذوع النَخِل، ولكنه جاز أن تقع «في» هَهُنَا لأنه في الجذع على جهة الطول، والجذع مُشْتَمِل عليه فقد صار فيه، قال الشاعر:(١)

همو صلبوا العَبْديّ في جذع نَخْلةٍ   فلا عطسَتْ شيبان إلا بأجدعا

قوله: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

«أيّ» رفعت لأنها وضعت موضع الاستفهام، ولا يعمل ما قبل أيٍّ فيهَا لأن ما قبلها خبر وهي استفهام، فلو عمل فيها لجاز أن يعمل فيما بعد الألف في قولك: قد عَلِمْتُ أزيدٌ في الدار أم عمرو.

وقوله: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والَّذِي فَطَرَنَا﴾.

موضع الذي خفض، المعنى لن نؤثرك على اللّه، ويجوز أن يكون «الّذي» خَفْضاً على القسم، ويكون المعنى لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّناتِ وَاللّهِ، أي نحلف باللّه(٢).

قوله: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾.

[أي] اصنع ما أنت صانع، قال أبو ذؤيب:

---

(١) هو سويد بن أبي كاهل اليشكري، صاحب العينية التي كانت في الجاهلية تسمى اليتيمة ـ وأولها:

بسطت رابعة الحبل لنا   فوصلنا الحبل منها ما اتسع

وينسب سويد إلى ذبيان أيضاً ـ قيل إن أمه كانت زوجاً لرجل من ذبيان مات عنها وهي حامل فتزوجها أبوه أبو كاهل وقد هجاه زياد الأعجم بهذا،، ويقال إنه ولد في بني ذبيان وتزوجت أمه وهو يافع فاستلحقه أبو كاهل وادعاه وقد كان جاراً لبني شيبان فأساءوا جوَاره وله فيهم أهاج، وهذا البيت منها وأخبار سويد بالجزء الثالث عشر من الأغاني ط دار الكتب ص ١٠٢ وما بعدها والبيت في اللسان (عبد) منسوباً له. وفي شواهد المغني ٤٩٧ بيروت والكامل ٤٩٨، والطبري ١٦/١٢٧.

(٢) ويقدر مقسم عليه محذوف، والتقدير وحق الذي فطرنا لن نؤثرك على ما جاءنا.

وعليهما مسرودتانِ قضاهما   داود أو صنع السوابغَ تُبَّعُ[1]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّما تَقْضِي هَذِه الحَياةَ الدُّنْيَا﴾.

القراءةُ بالنصب ـ الحيَـاةَ الدُّنيـا ـ ويجوز إنمـا تقضي هذه الحيـاة الدنيـا بـالرفـع، تأويله أن الـذي تقضيه متـاع الحياة الـدنيـا، ولا أعلم أحـداً قـرأهـا بالرفع.

وقوله: ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عليه مِن السِّحْرِ﴾.

موضع «ما» نصب، المعنى لتغفر لنا خطايانا وإكراهك إيانا على السحر، ويروى أن فرعون أكرههم على تعلم السحر.

ومعنى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقى﴾.

أي اللَّه خيـر لنا منـك وأبقى عذابـاً لأنهم قالـوا هذا لَـهُ جَـوابَ قـولـه: ﴿ولتعلَمُنَّ أيُّنا أَشَدُّ عَذاباً وَأَبْقَى﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَاضْربْ لَهُمْ طَريقاً فِي البَحْرِ يَبَساً﴾.

ويجوز يابِساً وَيَبْساً، بتسكين الباء، فمن قال يـابساً جعله نعتـاً للطريق، ومن قـال يَبَساً فـإنه نعتـه بالمصـدر المعنى طريقـاً ذا يَبَسٍ، يقال يبس الشيء يَيْبَس ويَيْبِسُ يَبَساً، ويُبْساً ويَبْساً، ثلاث لغات في المصدر.

وقوله: ﴿لَا تَخافُ دَرَكاً وَلَا تَخْشَى﴾.

ويجوز: لا تَخَفْ دَرَكاً وَلَا تَخْشى، فمن قـرأ لا تخاف، فـالمعنى لست

---

(١) لأبي ذؤيب الهذلي. يصف رجلين يتأهبان للبراز ـ من عينيته التي رثى بها أولاده والمسـرودتان درعـان، وقضاهمـا أي صنعهما، وداود هـو النبي داود عليه السـلام، وتبع من ملوك حميـر. وخـطأ الأصمعي أبـا ذؤيب في هذا لأن تبعـاً لم يكن يصنع الـدروع وإنما كـان يأمـر بعملها ـ انـظر ديوان الهذليين ١/١٩، والطبري ١١/٥٦ ومجاز أبي عبيدة ١/٢٧٥.

تخاف دَرَكاً، ومن قال لا تخفْ دَرَكاً فهو نهي عن أن يخاف، ومعناه لا تخف أن يدركك فرعونُ ولا تخشى الغرقَ.

﴿فأَتبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾.

ويقرأ فاتَّبَعَهُمْ فرعَونُ بجنوده، فمن قرأ فَأَتْبَعَهُم ففيه دليل أنه أتبَعَهُم ومعه الجنود، ومن قرأ فاتَّبَعَهُمْ فرعون بجنوده فمعناه أَلْحَقَ جُنُودَهُ بِهِم. وجائز أن يكون معهم على ذا اللفظ وجائز ألاَّ يكون إلاَّ أنه قد كان معهم.

﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾.

اليم البحر، والمعنى فغشيهم من اليم ما غَرَّقَهُمْ

وقوله: ﴿وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ [عَلَيْه غَضَبِي فَقَدْ هَوَى]﴾.

ويقرأ فيحُلَّ عليكم غضبي، وَمَن يَحْلُلْ عليه غضبي. فمن قرأ فَيَحِلَّ عليكم فمعناه فيجب عليكم[1]، ومن قرأ فيحُل عليكم فمعناه فينزل عليكم. والقراءة: ومن يَحْلِلْ بكسر اللام أكثر.

﴿فقَد هَوَى﴾

أي هَلكَ وصار إلى الهَاوِيَةِ، وهي قَعْرُ نار جَهنَّمَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإنِّي لَغفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾.

أي تاب من ذنبه، وآمن بربِّه وعمل بطاعتِه، ثم اهْتَدى، أي ثم أقام على إيمانه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ هُمْ أُولاَءِ عَلَى أَثَرِي﴾.

﴿أولاء﴾ مبني على الكسر، ﴿على أثري﴾ من صلة ﴿أولاء﴾، ويجوز أن يكون

---

(١) من حَل يحلُّ له أو عليه بمعنى استحق له أو عليه، أي حق أن يكون كذلك.

خَبـراً بَعْدَ خَبـرٍ، كأنـه قال: هم على أثـري هاؤلاء، والأجـود أن يكون صلة، ورويت أُولَايَ على أثري ولا وجه لها، لأن الياء لا تكون بعد الألف آخـرةً إلا للإضافة نحو هـداي، ولا أعلم أحداً من القـراء المشهورين قـرأ بها وذكــرها الفراء، ولا وجه لها.

قوله :﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾.

أي ألقيناهُمْ في فتنة ومِحْنَةٍ، واختَبَرْنَاهُمْ.

﴿وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾.

قال بعض أهل التفسيـر: السَّامِـريُّ عِلجٌ مِن أَهْلِ كِـرْمَانَ، والأكثـر في التفسير أنَّهُ كان عظيماً من عظماء بني إسرائيل من قبيلة تعرف بـالسَّامِـرَةِ. وهم إلى هذه الغاية في الشام يعرفون بالسامريين.

وقوله عزّ وجلّ:﴿ غَضْبَانَ أَسِفاً﴾.

أَسِفُ شَدِيدُ الحُزْنِ مع غَضَبِه.

وقوله :﴿أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

القراءة فيها بالكسر [في حاء يَحِلّ] على معنَى أنه يجب عليكم، فالضمُّ يجوز فيها على معنى أن ينزل عليكم غضب من ربكم.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا﴾.

يجـوز الضم والكسر والفتـح في الميم. بمُلْكِنَـا، وبِمَلْكِنَـا، وبِمِلْكِنَـا. فـأصل الملك السلطان والقـدرة، والمِلْك ما حَـوَتْهُ اليَـدُ، والملك المصـدَرُ. تقول: ملكت الشيء أمْلِكه مَلْكاً. وقيل في بعض التفسير: ما أَخْلَفْنَـا مَوْعِـدَك بـأنْ مَلَكْنَا الصَّـوابَ. وجائـز أن يكون مـا أخلفنا مـوعدك بسلطانٍ كـان لنا ولا قدرة، ثم أَخْبَرُوا سبب تأخرهم عنه فقالوا:

﴿وَلكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ﴾.

ويقرأ حُمِّلْنَا أوزاراً، بتشديد الميم وكسرها، يعنون بالأوزار حُلِيًّا كانوا أخذوها من آل فرعون حينَ قذفهم البحرُ فألْقَاهُمْ عَلَى سَاحِلِهِ، فأخذوا الذهب والفضة، وسميت أوزاراً لأن معناها الآثام، وجائز أن يكون سُمِّيَتْ أوزاراً يعنون بها أَثْقَالاً، لأنَّ الوِزْرَ في اللغة الحِمْلُ، وسُمِّيَ الإثمُ وِزْراً لأن صاحبه قد حُمِّلَ بها ثقلاً، قال اللّه تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾[1]. فقالوا: حملنا حُلِيًّا فقذفناها في النار، وكذلك فعل السَّامِريّ، أي ألقى حَلْياً كان معه.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ﴾.

واختلف في تفسير خُوارِه، فقيل إنه كان يَخُورُ كما يَخُورُ الثورُ من الحيوان، فإذا خار سجدوا له، وإذا عاد الخُوارُ رَفَعُوا من السجود، وقال بعضهم: إنما خَارَ خَوْرَةً واحدةً، وَدَلِيله: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾.

وقال مجاهدٌ: خُوارُه حَفِيفُ الريح إذَا دَخَلَتْ جَوْفَهُ. وَيُرْوى أن هارون عليه السلام مَرَّ بالسَّامِرِيّ وهو يصنع العجل فقال له: ما تصنع. قال أصنع ما لا ينفع ولا يَضُرُّ، وقال: أدْعُ، فقال هارون اللَّهُمَّ أَعْطِه ما يَسأَلُ كما يُحِبُّ، فسأل اللّه عز وجل أن يجعل للعِجْل خُواراً، والذي قاله مجاهِدٌ من أنّ خُوارَهُ حفيفُ الريح فيه، أسرع إلى القبول لأنه شيء ممكن. والتفسير الآخر [وهو] أنه خوار ممكن في محنة اللّه عزّ وجلّ - أن امْتَحَنَ القَوْمَ بذلك، وليس في خُوارِ صُفْرٍ[2] ما يوجب عبادته لأنهم قد رأوه معمولاً مصنوعاً، فعبادتهم إياه لو خارَ وتكلم كما يتكلم الآدمي لم تجب به عبادته.

فقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾.

قيل إن السّامِريَّ نسيَ ما كان عليه من الإيمان، لأنه نافق لما عبر

---

(١) سورة الانشراح / ٢ - ٣.

(٢) ذهب أو نحاس.

البحر، المعنى فترك ما كان عليه من الإيمان، وقيل إن السَّامِريّ قال لهم إن موسى عليه السلام أراد هذا العجل فنسِيَ وترك الطريق الذي يصل إليه.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنْ لاَ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾.

كما قال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أنه لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً﴾[1]، ويجوز أَنْ لا يَرْجِعَ بنصب بأن، والاختيارُ مع رأيت وعلمتَ وَظَنَنْتُ أن لا يفعلُ، في معنى قد علمت أنه لا يفعَلُ.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي﴾.

يا ابنَ أمَّ بفتح الميم، وإن شئت يا ابن أُمِّ - بكسر الميم - وفتحت أم والموضع موضع جرٍّ لأن «ابن» و«أم» جُعلا اسماً واحداً فبنى ابن وأم على الفتح، ومن قال يا ابن أمِّ أضافه إلى نفسه. وفيها وجه ثالث «يا ابْنَ أُمِّي لَا تَأْخُذْ» ولكنه لا يقرأ بها. ليست ثابتة الياء في المصحف. ومثل هذا من الشعر:

يا ابن أمّي ويا شقيقَ نفسي   أنت خَلَّيْتَنِي لِدَهْرٍ شديدٍ[2]

ولم يجىء هذا إلا في ابن أم، وابن عم، وذلك أنه يقال لمن ليس بأَخٍ لأمٍّ. ولا بأخ البتّةَ: يا ابن أمَّ، وكذلك يقال للأجنبي: يا ابن عم، فلما أزيل عن بابه بني على الفتح، وإن كان قد يقول القائل لأخيه من أمه أيضاً يا ابن أمَّ، فإنما أدخل أخاه في جملة من يقول له يا ابن أمَّ.

وقد قيل في هارون إنَّه لم يَكُنْ أَخَا موسى لأُمِّه - والله أعلم -.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٨.

(٢) لأبي زُبيد الطائي يرثي أَخَاهُ لأمِّهِ، وشقيق تصغير شقيق - صغره للحنان والرحمة، والبيت من شواهد النحو الشائعة، انظر ابن يعيش ١٢/٢ وكتاب سيبويه ٢١٣/٢، والعيني ٢٢٤/٤، ومجاز أبي عبيدة ٢٥/٢.

قوله :﴿قَالَ فَما خَطْبُك يَا سَامِرِيُّ﴾ :

معنى ما خطبك ما أمرك الذي تخاطب به .

﴿قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِه﴾ .

يقال: قَدْ بَصُر الرَّجُلَ يَبْصُرُ إذا كان عليماً بالشيء، وأبْصَرَ يُبْصِرُ إذا نظر، والتأويل علمتُ بما لم يعلموا به، وكان رأى فرس جبريل عليه السلام فقبض قبضة من تراب حافر الفرَسِ ، يقال: قبضت قبضةً، وقَبَصْتُ قَبْصَةً - بالصاد غير معجمةٍ - فالقبضة بجملة الكف، والقبصة بأطراف الأصَابع . ويقرأ بالصاد والضاد، وفيه وجه آخر لم يقرأ به فيما علمت، يجوز فقبصتُ قَبْصَةً وقُبْصَةً، ولكن لا يجوز القراءة بها - إن كان لم يقرأ بها - فالقبضة قبض الشيء مرةً واحدةً، والقُبْصَةُ مقْدَارُ مَا يقبصُ، ونظير هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿إلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرفَةً [بِيَدِهَ﴾(1)، وغَرْفَةً بِيَدِه .

﴿فنَبَذْتُهَا﴾ .

أَلْقَيْتُها في العِجْل لتَخُورَ.

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ .

أي زيَّنَتْ لي نَفْسِي، ومثله :﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأَمْلَى لَهُمْ﴾(2) .

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فإِنَّ لَكَ فِي الحَياةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ .

وأَنَّ لك، ويجوز لا مَسَاسِ وأَنَّ لك - بفتح الميم وكَسْرِ السين الآخرةِ على وزن دَرَاكِ وتَراكِ(3)، والتأويل أن موسى عليه السلام حرم مُخَالَطةِ السامِريّ، فالمعنى إنك في الدنيا لا تخالط جزاء لفعلك، فمن قرأ لا

---

(1) سورة البقرة الآية: ٢٤٩ .

(2) سورة القتال الآية ٢٥ .

(3) فتكون علماً مبنياً على الكسر مثل حذام .

مَسـاسَ ـ بفتح السين الأخيـرة فهو منصـوب على البـدء بـه[1]، ومن قـال: لا مَسَاسِ فهو مبني على الكَسْـرِ، وهو نفي وقـولك مَسَـاسِ، أي مساس القـوم تأمر بذلك، فـإذا قلت لا مَسَاسِ فهـو نفي ذلك، وبنيت مسَـاسِ على الكسر وأصلها الفتح لمكان الألف، ولكن مساس ودَرَاكِ مؤنث، فاختير الكسر لالتقاء الساكنين لأنك تقول في المؤنث فعَلْتِ يا امرأةُ، وأعطيتك يا امرأةُ.

﴿وإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ﴾.

ولن تُخْلِفُهُ، فمن قرأ لن تخلفه فالمعنى[2] يكـافئك اللَّه على مـا فعلت في القيـامة واللَّه لا يخلف الميعـادَ، ومن قرأ لن تخلِفـه فـالمعنى إنـك تبعث وتوافي يوم القيامَةِ، لا تقدر على غير ذلك، ولن تُخْلِفَه.

وقوله عزّ وجلّ :﴿وانْظُر إلَى إلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً﴾.

وظِلْتَ بفتح الظاء وكسرها، فمن فتح فالأصل فيها ظَلِلْتَ، ولكن الـلاَّمَ حُـذِفَتْ لثقل التضعيف والكسـر، وبقيت الظاء على فتحهـا، ومن قـرأ ظِلْتَ ـ بـالكسْرِ ـ حَـوَّلَ كَسْرةَ الـلام على الظاء، وقـد يجـوز في غيـر المكسُـور نحـو أحَسْتُ تُرِيدُ أحْسَسْتُ، وقد حُكِيَتْ هَمْتُ بذلِـكَ، تريـد هَمَمْتُ ومعنى عاكف مُقيمٌ، وعاكف منصوب خبر ظلت، ليس بِمنْصُوبٍ عَلى الحال.

وقوله :﴿لَنُحْرِقَنَّهُ﴾.

ويقرأ لَنُحْرِقَنَّهُ أي لَنَحْرِقَنَّه بالنَّارِ، فإذا شَدَّدَ فالمعنى نُحَرِّقُه مرَّة بعد مرَّةٍ، وقرئت لَنحرُقَنَّهُ، وتأويله لَنَبْرُدَنَّه بالمِبْرَدِ، يقال حَرَقْتُ أَحْـرُق وأحْرِقُ إذا بـردت الشيء. ولم يقرأ لنحرِقَنَّهُ، ولو قُرِئَتْ كانَتْ جائزة.

---

(1) اسم «لا» مبني على الفتح.

(2) اللَّه وعدك به ولن يخلفك اللَّه ما وعدك.

وقوله عزّ وجلّ:﴿ثم لَنَنْسِفَنَّه فِي اليَمِّ نَسْفاً﴾.

اليمُّ البَحْر، والنسف التذرِيَةُ.

وقوله:﴿وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ حِمْلاً﴾.

المعنى ساء الوِزْرُ لهم يوم القيامَةِ، و ﴿حِمْلاً﴾ منصوب على التمييز.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

قد جرى تفسيره فيما مَضى. وأكثر ما يـذهب إليه أهـل اللغة أن الصـور جمع صورة.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَنَحْشُر المُجرمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾.

قيل عطاشا وقيل عُمْياً، يخرجون من قبورهم بُصرَاءَ كما خلقـوا أول مَرَّةٍ ويعمَوْنَ في المَحْشرِ، وإنما قيل زُرْقاً لأن السَواد[1] يزرق إذا ذهبت نواظرُهُمْ، ومن قال عطاشا فجيّدٌ أَيْضاً، لأنهم من شدةِ العَـطشِ يتغير سـواد أَعْيُنهم حتى يزرقّ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ:﴿يَتخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إنْ لَبِثْتُمْ إلاَّ عَشْراً﴾.

أصل الخفوت في اللغة السكون، والتخَافت ههنا السِّرارُ، فالمعنى أنهم يَتَسَارُّونَ بَيْنَهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ : ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقةً﴾.

أي أعلمهم عند نفسه بما يقول

﴿إنْ لَبِثْتُم إلاَّ يَوْماً﴾، معناه ما لبثتم إلاَّ يوماً

وقوله: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُها رَبِّي نَسْفاً﴾.

النسف التَّذْرِيةُ

تصير الجبال كالهباء المنثور، تذرَّى تَذْرِيَةً.

---

(١) سواد أعينهم يتحول إلى زرقة ـ فالمعنى ـ إذن ـ نحشرهم زرق العيون.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾.

القاع من الأرض المكان الذي يعلوه الماء، ويُقَالُ المكانُ الطَّيب والصَّفْصَفُ، المستوي من الأرض.

﴿لاَ ترى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً﴾.

العِوَج في العَصَا والجَبَلِ أَلَّا يكون مستوياً، والأَمْتُ أن يغلظ مكانٌ ويَدِقَّ مَكانٌ.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَعِوَجَ لَهُ﴾.

المعنى لا عِوَجَ لَهم عن دُعَائِه، لا يقدرون أنْ لاَ يَتَّبِعُوا

وقوله - عزّ وجلّ - : ﴿فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾.

الهَمْسُ في اللغة الشيءُ الخَفِيّ، والهَمْسُ - ههنا - في التفسير صوت وطء الأقدام.

وقوله: ﴿وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَيِّ القَيُّومِ﴾.

مَعنى عَنَتْ في اللغة خَضَعَتْ، يقال عنا يعنو إذا خضع، ومنه قيلَ أُخِذَتِ البِلاَدُ عَنْوَةً، إذَا أُخِذَتْ غَلَبَةً، وأُخِذَتْ بخضوعٍ من أهلها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

ما بين أيديهم من أمر القيامة، وجميع ما يكون، وما خلفهم ما قد وقع من أعمالِهِمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً﴾.

الهضْمُ النَّقْصُ، يقال فلان يهضمني حَقّي أي ينْقُصُنِي، وكذلك هذا شيء يهْضِمُ الطعام، أي ينقص ثِقْلَته.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾.

﴿فَنَسِيَ﴾ ههنا معناه فترك، لأن النَّاسِيَ لا يُؤاخَذُ بِنِسْيَانِهِ، وجاء في الحديث: لو وُزِنَ حلم بني آدم مُذْ كان آدم إلى أَنْ تقُومَ السَّاعَةُ ما وَفَى حِلْمُ جَميع من وَلَدَهُ وَحَزْمُهُمْ بحلم آدَمَ وَحَزْمِه - ﷺ.

وقال عزّ وجلَّ: ﴿ولم نجد له عَزْماً﴾.

وقوله - سبحانه -: ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾.

يجوز وإِنَّك بالكسر، وأنك بالفتح، فإذا كسرت فعلى الاستئْنَافِ وعطف جملة كلام على جملة، وإذا فتحت فعلى معنى إن لك «أنْ لا» تظمأ فيها، فَتَنْسقُ بأَنَّكَ عَلَى ﴿أَنْ لَا تَجُوعَ﴾. ويكون أنك عَلَى هَذا القَوْل في موضع نصب. ويجوز أن يكون في موضع رفع، والعطف على اسْمِ إن وأَنَّ، لأن معنى إن زيداً قائم زيد قائم فالمعنى ذلك إنك لا تظمأ فيها، ومعنى ﴿لا تظمأ﴾ لَا تَعْطَشُ، يقال ظميء الرجل يظمأ ظمأ فهو ظمآن بمعنى عطشان، ومعنى ﴿لا تَضْحَى﴾ ولا تُصيبُكَ الشمسُ، ولا تبرُز يقال ضحى الرجلُ يَضْحَى إذا بَرزَ إلى الشمس، قال الشَّاعِرُ[1]:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت ... فيضحى، وأما بالعشي فَيَخْصَرُ

ومعنى يخصر يُصِيبُه الخَصَرُ وهو شدة البرْد، وبلوغه الأطراف.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.

الضَّنْكُ أَصْلُه في اللُّغَةِ الضيق والشدَةَ، ومعناه - واللَّه أعلم - أن هذه المعيشة الضنك فِي نَارِ جَهَنَّم. وأكثر ما جاء في التفسير أنَّه عذابُ القبر.

---

(١) عمر بن أبي ربيعة - من رائيته المعروفة، انظر الأغاني حـ ١ ص ٧٢، ٨٢ ط دار الكتب. وهي في ديوانه ص ٩٤ (ت محيي الدين) - وانظر اللسان (صحو).

وقوله:﴿وَنَحْشُرُه يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

مثل ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً، وقيل أَعْمَى عن حجَّتِه، وتأويله أنه لا حُجَّة له يهتدي إليها، لا أن له حُجَّةً، وأنه يعمى عنها. ما للناس على اللَّه حُجَّة بعد الرُّسُلِ (١)، وللَّه الحجةُ البَالِغةُ وقد بَشَّرَ وأُنْذَرَ، وَوَعَدَ وأوْعَدَ.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ أو يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾.

أي لعل الوعيد يُحْدِثُ لهم تَذَكُّرَ العَذَابِ، فيزجرهم عن المعاصي وقيل:﴿أو يحدث لهم ذِكْراً﴾ [أي] شَرَفاً.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿وَلَا تَعْجَلْ بالقرآن من قبلِ أنْ يُقْضَىٰ إلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.

أي من قبل أن يُبَيَّنَ لَكَ بَيَانُه، ويقرأ من قبل أَنْ نَقْضِي إليك وحْيَهُ بالنون، ويجوز مِنْ قَبْل أَنْ يَقْضِيَ إليك وَحْيَهُ، أي من قبل أن يقضي اللَّه إليكَ وَحْيَهُ، ولم تُقْرأْ «تَقْضِي» وقرئت يُقْضَى ونَقْضِي - بالياء والنون.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْك آيَاتُنَا فَنَسِيتَها وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي كذلك تترك في النار كما تركت آيَاتِنَا.

وقوله:﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

قُرِئَتْ بالنُّونِ والياء، فمن قرأ بالنُّونِ فمعناه أفلم نبين لهم بياناً يهتدون به، ومن قرأ أفلم يَهْدِ - بالياء - فالمعنى أفلم يُبَيَّنْ لَهُم الأمْرُ بإهلاك من قبلهم من القرون، و «كم» في موضع نصب بأهلكنا، وكانت قريش تَتَّجِرُ وترى مساكن عادٍ وثمودَ وبها علامات الإهلاك، فذلك قوله:﴿يمشون في مَساكِنِهم﴾ ويجوز في مَسْكَنِهِمْ، أي في مَوضِع سُكْنَاهُمْ ولم يقرأ بها، ويقرأ: يُمَشُّوْنَ في مَسَاكِنهم بالتشديد.

---

(١) بعد أن أرسل اللَّه الرسل لم يبق لإنسان أن يحتج لعدم قبوله رسالتهم.

وقوله: ﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهىَ﴾.

أي لذوي العقول والمَعْرِفةِ، يقال: فلان ذو نُهْيةٍ إذا كان لـه عَقْلٌ ينتهي به عن المقابح.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَاماً﴾.

أي لكان القتلُ الذي نالهم لاَزِماً أبداً، ولكـان العذاب لازمـاً لهـم.

﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾.

معـطوف على ﴿كلمة﴾ المعنى لـولا كلمةٌ سَبَقَتْ وأجـلٌ مسمى [لكـان لزاماً] يُعنَى بالأجل المسمى أن اللَّه وعَدَهُمُ العذابَ يومَ القيامَةِ، وذلك قـوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُمَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(١).

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُروبِهَا﴾.

وذلك وقتُ الغداة والعَشِيِّ.

﴿ومِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهارِ﴾.

الآناء الساعات، وواحد الآناء إنْيٌ ـ وقد بيناه فيما مَضَى.

﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرافَ النَّهَارِ﴾.

وأطراف النهار الظهرُ والعَصْرِ.

﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾، ويقرأ تُرْضَى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾.

أي رِجالاً مِنْهُم.

﴿زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيا﴾.

وَزَهَرَة جميعاً ـ بفتـح الهاء وتسكينهـا ـ وزهرة منصـوب بمعنى مَتَّعْنَا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة.

---

(١) سورة القمر ٤٦.

﴿لِنفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

أي لنجعل ذلك فتنة لهم

وقوله عزّ وجلَّ:﴿[وقالوا]لَوْلَا يَأْتِينَا بآيَةٍ مِنْ رَبِّه﴾.

معناه هلّا يأتينا بآية [من رَبِّه] وقد أتتهم البينـاتُ والآيـاتُ ولكـنَّهُـمْ طلبوا أن يقترحوا هم ما يريدون من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿مِنْ قَبْلِ أن نَذِلَّ ونَخْزَى﴾. يجوز فيها يُذَل ويُخْزَى.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾.

«مَن» في موضع رفع، ولا يجوز أن يعمل فيها فستعْلَمُونَ، لأن معناه معنى التسوية، المعنى فستعلمون أصحاب الصراط السوي نَحْنُ أم هُمْ، فلم يعْمَلْ فسَتَعْلَمُونَ لأن لفظ الكلام لفظه لفظ الاستفهام، ومعنى ﴿أصْحَابُ الصراط السوي﴾ أَصْحَابُ الطريق المستقيم، ويَجُوزُ من أصحاب الصراط السُّوَي ومن اهتدى.

﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾.

أي فسيعلمون من أصحاب الطَّريقة السُّوءَى ومن المهتدي.

سُورَةُ الأنبياء
مكيـــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلَّ: ﴿اقْتَرَبَ للنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾.

معناه اقتربت القيامة، ومثله: ﴿اقْتَرَبَت السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾[1]، والمعنى - واللَّه أعلم - اقترب للناس وقت حسابهم.

وقوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾.

الخفضُ القراءةُ، ويجوز في غَير القراءة مُحْدَثاً ومُحْدثٌ. النصب على الحال، والرفع بإضمار هو.

﴿لاَهِيَةً قُلُوبُهمْ﴾.

معطوف على معنى ﴿إلاَّ اسْتَمَعُوه وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. معناه استمعوه لاعبين لاهيةً قلوبُهم، ويجوز أن يكون ﴿لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ منصوباً بقوله ﴿يلعبون﴾.

﴿وأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾.

في ﴿أسَرُّوا﴾ قولان أجْوَدُهمَا أن يكون ﴿الذين ظلموا﴾ في موضع رفع بدلاً من الواو من أسَرُّوا ومُبَيِّناً عن معنى الواو. والمعنى الا استمعوه وهم يلعبون وأسروا النجوى، ثم بيَّن من هم هؤلاء فكان بدلاً من الواو. ويجوز أن يكون

---

(١) أول سورة القمر.

رفعاً على الذم على معنى هم الذين ظلموا. ويجوز أن يكون في موضع نصبٍ على معنى أعني الذين ظلموا.

وقوله: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾.

بيَّنَ ما أسروه، والمعنى قالوا سِرًّا هل هذا إلَا بشرٌ مثلكم، يعنون النبي ﷺ أعلمهم اللَّه عزّ وجلَّ أنه يعلم القول في السماء والأرض، وأُطْلَعَ النبيَّ ﷺ عَلَى قِيلِهِمْ، وسَرِّهِمْ.

﴿[قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ القَوْلَ في السَّمَاءِ والأَرْضِ]﴾.

وقرئت قُلْ رَبِّي [يعلم القول] وقال رَبِّي

وقوله:﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾.

أي قالوا: الذي يأتي به النبي ﷺ أَضْغَاثُ أَحْلام. وجاء في التفسير أَهاوِيل[1] أَحْلام، والأضغاثُ في اللغة الأشياء المختلطة.

﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾.

أي أخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض، فيقولون مرة: هذه أحلام، ومرة هذا شعر ومرة مفترى.

﴿فلْيأتِنَا بآيَةٍ كما أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ﴾.

فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمْهَالٌ إذَا كُذِّبَ بهَا، فقال اللَّه عزّ وجلّ:

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤمِنُونَ﴾.

أي ما آمن أهل قرية أتتهم هذه الآيات حتى أوجب اللَّه استئصالهم وإهلاكهم بالعذاب، واللَّه جعل مَوْعِدَ هذه الأُمَّةِ القيامةَ، فقال: ﴿بَل السَّاعَةُ

(١) أهاويل وتهاويل: رؤى وصور غير حقيقية.

موعِدُهُمْ والساعة أدْهَى وَأَمَرُّ﴾(١) واللَّهُ قد أعطاهم الآيات التي تبيَّنُـوا بها نبـوة النبي ﷺ من القرآن الذي دُعُوا أَنْ يأتوا بسورةٍ مثله، ومن انشقـاق القمر، ومن قوله: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾فظهر أهل الإسـلام حتى صـاروا أكثر من كـل فـرقـةٍ فليس أهـلُ مِلَّةٍ واحـدة لهم كثـرة أهْـلِ الإسْـلَامِ ، وأظهـره اللَّه أيضـاً بالحجة القاطعة.

وقوله تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾.

أي سَلُوا كل من يقر برسول اللَّه ﷺ من أهل التوراة والإنجيل.

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

أي إن كنتم لَمْ تَعْلَمُـوا أنَّ الرسُـلَ بَشَرٌ. وهـذا السؤال واللَّه أعلم لمن كان مؤمناً من أهل هذه الكتب(٢)، لأن القبول يكون من أهل الصدق والثقة.

وقوله:﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلونَ الطَّعَامَ﴾.

﴿جَسَداً﴾ هو واحد ينبىء عن جماعة، أي وما جَعَلْنَاهم ذوي أَجْسَادٍ إلَّا ليأْكُلوا الطَّعَامَ، وذلك أنهم قَالُوا :﴿مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يأْكُلُ الطَّعَامَ﴾(٣) فأُعْلِمُوا أن الـرُّسُلَ أجمعين يـأكلون الطعـام، وأنهُم يَمُوتُـونَ وهوَ قـوله تعالى : ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾.

وقوله : ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾.

أي فيه تذْكِرَةٌ لكم بما تلقونه من رحمـة أو عذاب، كمـا قال عـزّ وجلَّ: ﴿كَلَّا إنّها تَذْكِرَةٌ﴾(٤) وقد قيل ﴿فِيه ذِكْرُكُمْ﴾ فيه شَرَفُكُمْ.

وقوله:﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾.

---

(١) سورة القمر. الآية ٤٦.

(٢) أي أن السؤال يوجه للمؤمنين من أهل الكتاب.

(٣) سورة الفرقان. (٤) سورة المدثر.

«كم» في موضع نصب بقَصَمْنَا، ومعنى قصمنا أهلكنا وأذهبنا، يقال قصم اللَّه عُمْرَ الكافِرِ أي أذْهَبَهُ

وقوله:﴿فلما أَحَسُّوا بَأْسَنا إذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾.

أي يهربون من العذاب.

﴿لَا تَرْكُضُوا وارْجِعُوا إلَى مَا أُتْرِفْتُم فِيه ومَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه قيل لهم ذلك على جهة الاستهزاء بهم، وقيل لعلكم تسألون شيئاً مما أُتْرفتُم فيه، ويجوز لعلكم تسألون فتجيبون عما تشاهدون إذا رأيتم ما نزل بمساكنكم وَمَا أترفتم فيه.

وقوله :﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمينَ﴾.

«ويل» كلمة تقال لكل من وقع في هَلَكَةٍ، وكذلك يقولها كل من وقع في هلكة.

وقوله:﴿فَما زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾.

أي ما زالت الكلمةُ التي هي قولُهم: ﴿يَا وَيْلَنَا إنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ دعواهم. يجوز أن تكون ﴿تلك﴾ في موضع رفع اسم زَالَتْ و ﴿دعواهم﴾ في موضع نصب خبر زالت وجائز أن يكون ﴿دعواهم﴾ الاسم في موضع رفع، و ﴿تلك﴾ في موضع نصب على الخبر لا اختلاف بين النحويين في الوجْهَيْن.

وقوله:﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْواً لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

اللَّهْوُ في لُغَةِ حَضْرَمَوْتَ الولدُ، وقيل اللهوُ المرأةُ، وتأويلُه أنّ الوَلَدَ لَهْوُ الدُّنْيَا، فلو أردنا أن نتخِذَ ذَا لَهْوٍ يُلْهَى بِهِ، ومعنى، ﴿لاتخذناه مِنْ لدُنَّا﴾ أي لاصطفيناه مما نخلق.

﴿إنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

معناه ما كنا فاعلين. وكذلك جاء في التفسير. ويجوز أن يكون للشرطِ، أي إنْ كُنَّا مِمَّنْ يَفْعَلُ ذلك ولسنا ممن يفعله. والقول الأول قول المفسرين، والقول الثاني قول النحويين، وهم أجمعون يقولون القولَ الأول ويستجيدُونه، لأن «إنْ» تكون في معنى النفي، إلا أن أكثر ما تأتي مع اللام تقول: إن كنت لصالحاً، معناه مَا كُنْتَ إلاَّ صَالِحاً[1].

وقوله:﴿بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾.

يعني بالحق القرآن على باطلهم ﴿فيدمغه﴾ فيذهبُه ذهاب الصغار والإذلال.

﴿فَإِذَا هِوَ زَاهِقٌ﴾.

أي ذاهب.

﴿وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾.

أي مِمَّا تَكْذِبُونَ في وصفكم في قولكم إنَّ لِلَّهِ وَلَداً.

وقوله:﴿وَلَهُ مَنْ في السَّمواتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ﴾.

أي هؤلاء الذين ذكرتم أنهم أَوْلاَدُ اللَّه -عزّ وجلَّ- عبادُ اللَّهِ، وهم الملائكة.

وقوله:﴿لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ولاَ يَسْتَحْسِرُونَ﴾.

أي لا يَعْيَوْنَ، يُقَال حَسِرَ واسْتَحْسَرَ إذَا تَعِب وأعْيَا، فالملائكة لا يَعْيَوْنَ.

﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ﴾.

أي لا يشْغَلُهم عن التسبيح رِسَالةٌ، ومجرى التسبيح منهم كمجرى

---

(١) في هذا المثال ليست أن نافية وإنما هي مخففة من الثقيلة. أما النافية فيكثر مجيء «إلا» بعدها - نحو أن هذا إلاَّ بشرٌ مثلكم.

النفس منا، لا يشغلنا عن النفسِ شيء، فكذلك تسبيحُهمْ دائم.

وقوله: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾.

وَيَنْشُـرونَ، فمن قرأ يُنْشِـرُونَ فمعناه أم اتخـذوا آلهـة يُحْيُـونَ المـوتَى، يقال: أَنْشَر اللَّهُ الموْتَىونَشَرُوا هُمْ[١]، ومن قرأ يَنْشُرون بفتح الياء، فمعناه: أم اتخذوا آلهة لا يَمُوتُونَ يَحيَوْنَ أَبداً.

وقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

﴿فيهما﴾ في السماء والأَرْضِ، وَ «إلاَّ» في معنى «غيـر»، المعنى لو كـان فيهمـا آلهة غيـر اللَّه لفسدتَـا، فـ «إلاَّ» صفة في معنى غيـر، فلذلك ارتفـع مـا بعدها على لفظ الذي قبلها قال الشاعر:

وكـل أخ مـفـارقـه أخـوه   لعَمْـرُ أبيـك إلاَّ الفَـرقَـدان[٢]

المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أخوه.

وقـوله: ﴿فسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

﴿سبحان اللَّه﴾ معناه تنزيه اللَّه من السوء، وقد فسرنا ذلك. وهذا تفسير عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

أي لَا يُسأَلُ في القيامة عن حكمه في عباده، وَيَسْأَلُ عِبـادَهُ عن أعمالهم سؤالُ مُـوَبِّخٍ لمن يستحق التوبيخ، ومُجَازِياً بالمغفرة لمن استحق ذلـك، لأن اللَّه عزّ وجلّ قد علم أعمَال العِبَادِ، ولكن يسألهم إيجـاباً للحجـة عليهم، وهو

---

(١) أي نشر هو مطاوع أَنْشَرَ.

(٢) لعمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقيل لغيره. انظر الخزانة ٢/٥٢، شواهد المغني ٧٨ والانصاف ١٢٣، وهو من الأبيات الشائعة.

قوله: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾(١). أي سؤال الحجة التي ذكرنا، فأما قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾(٢) فهذا معناه لا يسأل عن ذنبه ليستعلم منه، لأن اللَّه قد علم أعمالهم قبل وقوعها وحين وقوعها وبعد وقوعها. عَالِمُ الغَيبِ والشهادة،

وقوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾.

قد أَبَانَ اللَّهُ الحجَّةَ عَلَيهم في تثبيت توحيده وأن آلهتهم لا تُغْني عنهم شيئاً، ثم قيل لهم: هاتوا برهانكم بأنَّ رَسُولاً من الرسل أنبأ أمَّتَهُ بأنّ لهم إلٰهاً غير اللَّه، فهلْ في ذكرِ مَنْ معيَ وذِكْرِ مَنْ قبلي إلاَّ توحيدُ اللَّه عزّ وجلَّ، وقد قُرِئَتْ: هذا ذكرٌ مِنْ مَعِي وذكرٌ مِنْ قَبْلِي، ووجهها جَيِّدٌ، ومَعْنَاهُ هذا ذكرٌ مما أنزل عَلَيَّ مِمَّا هو مَعِي، وذكرٌ مِنْ قبلي.

قال أبو إسحاق: يريد بقوله «مَن مَعِي» أي من الذي عندي، أو من الذي قبلي. ثم بين فقال:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى إِلَيْهِ﴾.

و ﴿نوحي إليه﴾ ويجوز يُوحِي إليه ﴿أَنَّه لَا إِلَهَ إلا أَنَا فَاعْبُدونِ﴾.

وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَه بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾.

يعنى الملائكة وعيسى بنَ مَرْيَمَ عليه السلام. والذي في التفسير أنهم الملائكةُ، ولو قرئت بل عباداً مُكْرَمِينَ لم يجز لمخالفة المصحف، وهي في العربية جائزة ويكون المعنى: بل اتَّخَذَ عِباداً مُكْرَمِين، والرفع أجود وأَحْسَنُ

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمواتِ والأَرْضَ كانَتَا رَتْقاً﴾.

---

(١) سورة والصافات / ٢٤.

(٢) سورة الرحمن الآية ٣٩.

قال «كانتا» لأن السموات يعبر عنها بلفظ الـواحِدِ، وأن السمـوات كانتـا سمـاء واحدة، وكـذلك الأرضـون كانت أرضـاً واحدةً، فـالمعنى أن السموات كانتا سماء واحدة مُرْتَتَقَةً ليس فيها ماء، ففتق اللَّه السمـاء فجعلها سَبْعـاً وجعل الأرْضَ سَبْعَ أرضين.

وجاء في التفسير أن السَّماء فتقت بالمطر، والأرضَ بالنَّبَاتِ، وَيَدُلُّ على أنه يراد بفتقهـا كون المـطر فيهَا قـوله عـزّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا من الماء كُلَّ شيءٍ حَيٍّ﴾.

وقيل رَتْقاً ولم يَقُـلْ رتقَيْن، لأن الرتق مَصْـدَرٌ. المعنى كانتـا ذَوَاتِيْ رَتْقٍ فَجُعِلَتَا ذواتَيْ فتْقٍ. ودَلَّهم بهذا عَلَى توحِيده - جلّ وعزّ - ثم بَكَّتَهُمْ فقال: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾.

المعنى كراهة أن تميـد بهم، وقال قـوم: معناه ألَّا تميـدَ بهم، والمعنى كـذلك، إلاَّ أن «لا» لا تُضْمَـرُ والاسم المضاف يحـذف[1]، وكراهـة أن تميدَ بِهِمْ يؤدي عن معنى ألّا تميد بهم.

ومعنى تميد في اللغة تدور، ويقال للذي يُدَارُ بِهِ إذا رَكِبَ البحرَ مَائِـدٌ، ومَيْدَى والرواسي تعني الجبال الثوابت.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً﴾.

فِجَاجٌ جَمعُ فَجٍّ، وهو كل منخرق بين جبلين، وسُبُلاً طُرقاً.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾.

حَفِـظَهُ اللَّه من الـوُقُـوع على الأرض «إلاَّ بـإِذْنِـهِ» وقيـل محفـوظـاً، أيْ

(١) المألوف في اللغة حذف المضاف وهو كثير، ولكن لم يؤلف حذف لا.

محفوظاً بالكواكب كما قال عزّ وجلّ :﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِبِ. وحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾[١].

﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ﴾.

معناه وهم عن شَمْسِها وقَمرها ونُجُومِها، وقد قرئت عن آيتها، وتأويله أن الآية فيها في نفسها أعظم آيةً لأنها مُمْسَكة بقدرته عزّ وجلّ، وقد يقال للذي ينتظم علامات كثيرةً آية، يراد به أنه بجملته دليل على توحيد الله عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

قيل يسبحون كما يقال لما يعقل، لأَنَّ هذه الأشياء وصفت بالفعل كما يوصف مَنْ يعقل[٢]، كما قالت العرب ـ في رواية جميع النحويين ـ أكلوني البراغيث لما وصفت بالأكل قيل أكلوني، قال الشاعر[٣]:

شربت بها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دَنَوْا فُتَصَوَّبُوا

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾.

يُقْرأُ مُتَّ بضم الميم، ومِتَّ بكسرها، وأكثر القُرَّاء بِالضَّمِّ، وقد فسرنا ما في هذا الباب.

---

(١) سورة والصافات الأيتان ٥، ٦.

(٢) في الأصل «ما يعقل» والمراد أنه أسند إليها أفعال تناسب العقلاء.

(٣) للنابغة الجعدى وقبله:

وصهباء لا تخفى القذى وهي دونه تصفق في راووقها وهي تقطب

يصفها بالصفاء، وتصفق تنقل من كأس لأخرى وتقطب تمزج بالماء وبنو نعش يريد بنات نعش وقال بنو نعش لضرورة الشعر.

انظر اللسان ـ (نعش) وروايته تمززتها ـ وانظر أخبار النابغة الجعدي في الأغاني حـ ٥/ ص ٤ وما بعدها. وذكره ابن سلام في الطبقة الثالثة من الشعراء الجاهليين.

والفاء دخلت عَلَى «إنْ» جوابَ الجزاء، كما تدخل في قولك: إنْ زُرْتني فأنا أخوك، ودخلت الفَاءُ على «هم» لأنها جواب «إنْ».

وقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾.

«هذا» على إضمار الحكاية، المعنى وإذا رآك الذين كفروا إنْ يتَّخذُونكَ إلا هزُواً يقولون أهذا الذي يَذْكُرُ آلهتكم، والمعنى أهذا الذي يعيب آلهتكم يقال فلان يَذْكُرُ الناس أي يغْتَابُهُـمْ ويَذْكُرُهُمْ بالعُيوبِ، ويقال فلان يذكر اللَّه، أي يصفه بالعظمة، ويُثْنِي عليه ويُوَحِّدُه. وإنما يحذف مع الذكر ما عُقِلَ معناه، قال الشاعر(١):

لا تـذكـري فـرسي ومـا أطعمتـه ... فيكـون لَـوْنُـكِ مثـل لـون الأَجْـرَبِ

المعنى لا تذكري فرسي وإحساني إليه فتعيبيني بإيثاري إيَّاهُ عليك.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

قال أهل اللغة: المعنى خُلِقَتِ العَجَلَةُ مِنَ الإنْسانِ، وحقيقته يدل عليها، ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾(٢)، وإنما خوطبت العرب بما تعقل، والعرب تقول للذي يكثر الشيء خُلِقْتَ منه، كما تقول: أَنْتَ مِنْ لَعِبٍ، وخلقت من لعبٍ، تريد المبالغة بوصفه باللعب.

وقوله: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾.

أي حينَ لا يَدْفعُونَ عن وُجُوهِهِمُ النارَ، وجَوَابُ «لو» محذوف، المعنى

---

(١) هو عنترة يخاطب زوجه وكانت تلومه على عنايته بفرسه وكان يسقيها لبن الإبل - ومثل جلد الأجرب، كناية عن تهديدها بالضرب حتى يتغير جلدها، أو عن مفارقها وتحاشيها كما يتحاشى الأجرب، ويروى الأشهب، والشهبة حمرة تضرب إلى السواد، والبيت في معاني الفراء ٢/٢٠٣، واللسان (ذكر).

(٢) سورة الإسراء الآية ١١، وأولها: ﴿وَيَدْعُ الإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالخَيْرِ﴾.

لعلموا صِدْقَ الوعْدِ، لأنهم قالوا ﴿مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

وجعل اللَّه عزّ وجلّ الساعة مَوْعِدَهم ثم قال:

﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾.

بغتة فُجَاءَةً وهم غافلون عنها، فتبهتم فتحيرهم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ باللَّيْلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ من يحفظكم من بأس الرحمن، كما قال:﴿فَمَنْ يَنْصُرُني مِنَ اللَّه﴾ أي من عذاب اللَّه[2].

وقوله: ﴿أَفَهُمُ الغَالِبُونَ﴾.

أي قد تبين لهم أنا ننقص الأَرض من أطرافها، ولأن الغلبة لنا، وقد فسرنا نأتي الأرض نَنقصُهَا من أطرافها في سورة الرعد، أي فاللَّه الغالب وهم المغلوبون، أعني حزب الشيطان.

وقوله:﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾.

ويجوز ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ، والصُّمُّ هَهُنا المعرضون عَمَّا يُتْلَى عَلَيْهِمْ من ذكر اللَّه فهم بمنزلة من لا يسمع كما قال الشاعر:

أصم عما ساءه سميع

وقوله تعالى:﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾.

أي إنْ مَسَّهم أدنى شيء من العذاب.

﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

---

(١) الآية التي قبل هذه: ﴿ويَقولُونَ متى هذا الوعد﴾.

(٢) في سورة هود: ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّه إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ الآية٣٠.

والويل ينادَى به، وينادي به كلُّ مَنْ وقع في هلكة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

﴿القسط﴾ العدل، المعنى ونضع الموازين ذوات القسط، وقِسْط مثل عدل مصدر يوصف به، تقول ميزانٌ قِسْط وميزانان قِسْط، وموازين قِسْطٍ، والميزان في القيامة - جاء في التفسير - أن له لساناً وكفتين، وتُمثَّلُ الأعمال بما يوزَنُ، وجاء في التفسير أنه يوزن خاتمة العَمَل، فمن كانت خاتمة عَمَله خيراً جوزي بخير، ومن كانت خاتمة عمله شرًّا فجزاؤه الشَّرُّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

نصب ﴿مثقال﴾ على معنى وإنْ كان العَمَلُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ من خردل، ويقرأ وإن كان مثقالُ حبَّةٍ بالرفع على معنى وإن حصل للعبد مثقال حبة من خردَلٍ أَتَيْنَا بها.

﴿[أتينا بها]﴾ معناه جئنا بها، وقد قرئت آتينا بها على معنى جازينا بها وأعطينا بها، وأَتَيْنَا بها أحسنُ في القراءة وأقْرَبُ في أمل العَفْو.

﴿وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

منصوب على وَجْهَيْن، على التمييز، وعلى الحال، ودخلت الباء في ﴿وكفى بنا﴾، لأنه خبر في معنى الأمر، المعنى اكتفوا باللَّه حسيباً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وهَارُونَ الفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْراً للمتَّقِينَ﴾.

جاء عن ابن عباس أنه يرى حذف الواو، وقال بعض النحويين معناه ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضِياءً، وعند البَصْريِّينَ أن الواو لا تُزَادُ وَلَا تَأْتي إلَّا بمعنى العطف، وتفسير الفرقان التوراةُ التي فيها الفرق بين الحلال

والحـرام، وَ «ضِيَاءً» ههنـا مثل قـوله: ﴿فِيهِ هُدىً وَنُورٌ﴾[1]. ويجـوز وذكـرى لِلمُتَّقِينَ

وقوله:﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾.

المعنى هذا القرآن ذكر مبارك﴾.

وقوله:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي آتينـاه هداه حَـدَثاً[2]، وهـو مثل قـوله :﴿وَلَوْ شِئْنَـا لَأَتَيْنَـا كُـلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[3].

وقوله :﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيه وَقَوْمِهِ مَا هَذِه التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾.

«إذْ» في موضع نصبٍ، المعنى آتينـاه رشـده في ذلــك الـوقت، ومعنى التماثيل ههنا الأصنام، ومعنى العُكوفُ المُقَامُ على الشيء.

وقوله:﴿وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾.

معنـاه ـ واللَّه أعلم ـ وَوَاللَّهِ لأكيـدَنَّ، ولا تصلح التـاء في القسم إلا في اللَّه، تقول: وحق اللَّه لأَفْعَلَنَّ، ولا يجوز تَحقّ اللَّه لأفعلن، وتقـول وحق زيد لأفعلن، والتاء بدل من الـواو، ويجوز وَبـاللَّه لأَكيدَنَّ أصنـامكم، وقراءةُ أهـل الأمصار تاللَّه، ولا نعلم أحـداً من أهل الأمصـار قرأ بـالباء، ومعنـاها صحيـح جيّدٌ.

وقوله :﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذاً﴾.

وَجِـذَاذاً تقرأ بـالضَّمِ والكسر فمن قـرأ جُذَاذاً فَـإِنَّ[4] بِنْيَةَ كُـلِّ ما كُسِّـر

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٦.

(٢) وهو في سن الشباب.

(٣) سورة السجدة الآية ١٣.

(٤) الكلمة غامضة بالأصل وهذا ما استطعنا فهمه منها.

وقطِّعَ على فُعالٍ نحو الجُذَاذ والحُطام والرُّفَاتُ، ومن قال جِذَاذ فهو جمع جذِيذ[1] وجِذَاذٍ نحو ثَقيل وثِقال وخَفيف وخِفَاف. ويجوز جَذاذاً على معنى القَطَاع والحَصَادِ، ويجوز جُذُذٌ على معنى جَذِيذَ وجُذُذ مثل جَدِيد وجُدُد.

وقوله: ﴿إِلَّا كَبِيراً لَهُمْ﴾ أي كسَّر هذه الأَصْنَام إلَّا أكبَرَهَا، وجائزٌ أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إياه، لا في الخلقة، ويجوز أن يكون أعظَمَها خلقة.

ومعنى: ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾.

أي لعلّهم باحتجاج إبراهيم عليهم به يَرْجِعُون فيعلمون وجوبَ الحجَّةِ عليهم

قوله: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَهِيمُ﴾[2].

أيْ يَذْكُرُهُمْ بالعَيْب، وقالوا للأصنام يَذْكرهم لأنهم جعلوها في عبادتِهم إياها بمنزلة ما يعقل، وإبراهيم يرتفع على وجهين، أَحَدُهُما على معنى يقال له هو إبراهيم، والمعروف به إبراهيم، وعلى النداء على معنى يقال له يا إبراهيم.

﴿قالوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾.

أي لعلهم يعرفونه بهذا القول فَيَشْهَدُونَ عَلَيْه، فيكون ما ينزله بِهِ بحُجةٍ عليه، وجائزأن يكون لَعَلَّهم يَشْهدون عقوبتنا إياه.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

يعني الصَّنَم العظيم.

﴿فاسألوهم إنْ كانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

---

(١) جذيذ اسم مفعول بمعنى مجذود، أي مقطوع.

(٢) يعرف باسم إبراهيم.

قال بعضهم: إنما المعنى، بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون، وجاء في التفسير أن إبراهيم نطق بثلاث كلمات على غير ما يوجُبُه لفظُها لما في ذلك من الصلاح، وهي[1] قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾[2] وقوله فَعَلَه كَبيرهُمْ هَذا وقوله إنَّ سَارَّة أُخْتي[3]، والثلاث لهن وجه في الصِّدْقِ بَيِّنٌ، فسَارَّةُ أخته في الدّين، وقوله إني سَقِيمٌ فيه غير وجه أحدها إني مُغْتَمٌّ[4] بِضَلَالَتِكُمْ حتى أنا كالسقيم، ووجه آخر إني سقيم عندكم، وجائز أن يكون ناله في هذا الوقت مَرَضٌ.

ووجه الآية ما قلناه في قوله :﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمَ هَذَا فَاسْأَلُوهُم[5] إنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾.

واحتج قوم بأن قول إبراهيم مثلُ قول يوسف لإخوته: ﴿أَيَّتُها العِيرُ إنكم لَسَارِقُونَ﴾[6] ولَمْ يَسْرِقُوا الصَّاعَ، وهذا تأويله ـ واللّه أعلم ـ إنكم لسارقونَ يوسُف.

وقوله:﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ﴾.

جاء في التفسير أنه أَدْركتِ القومَ حَيْرَةٌ.

ومعنى:﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾.

أي ثم نكسوا على رؤوسهم فقالوا لإبراهيم عليه السلام :﴿لَقَدْ عَلِمْتَ ما هؤلاء يَنْطِقَون﴾، فقد اعترفوا بعجز ما يعبدونه عن النطق.

---

(١) في الأصل وهو.

(٢) سورة الصافات الآية ٨٩.

(٣) قال ذلك لفرعون عندما جاء إلى مصر وخشي أن يأخذ فرعون سارة قَسْراً إذا قال أنها زوجه فقال هي أختي وقاله أيضاً لغيره للسبب نفسه. انظر قصته في سفر التكوين والحادثان موضع شك، ويقال انها كانت أخته لأمه.

(٤) محزون.

(٥) أي استعمال ضمير العقلاء للأصنام.

(٦) سورة يوسف آية ٧٠.

وقوله:﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

يقرأ أفٍّ لكم بغير تنوين، وأُفٍّ بتنوين، ويجوز أفٌّ لكم وأفُّ لكم - بالضم والتنوين وبترك التنوين - ويجوز أفَّ لكم بالفتح. فأما الكسر بغير تنوين فلالتقاء الساكنين وهما الفاءان في قوله أُفّ، وإنما أصل الكلمة السكون لأنها بمنزلة الأصوات، وحذف التنوين لأنها معرفة لا يَجِبُ إعرابها، وتفسيرها «النَّتْنُ» لكم ولما تعبدون فمن نَوَّنَ جعله نكرة بمنزلة نَتْناً لكم ولما تعبدون من دون اللَّه، وكسر لأن أصل التقاء الساكنين الكسر، ولأن أكثر الأصوات مَبْنيٌّ على الكسر نحو قوله غَاقْ وجَيْرِ وأمْسِ وإيهِ[1]، ويجوز الفتح لالتقاء الساكنين لثقل التضعيف والكسر، ويجوز الضم لضمَّةِ الألفِ كما قالوا: رُدَّ يا هذا ورُدُ، ورُدِ - بالكسر، ومن نوَّنَ مع الضَّم فبمنزلة التنوين مع الكسر.

وقوله:﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾.

جاء في التفسير أنها من أرض الشام إلى العراق.

قوله:﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إسحاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾.

النافلة ههنا وَلَدُ الوَلدِ، يعني به يعقوبُ خاصة

وقوله :﴿إِقَامَ الصَّلاَةِ﴾.

إقام مفرد[2] قليل في اللغة، تقول أقمت إقامَةً، فأما إقام الصلاة فجائز لأن الإضافة عوض من الهاء.

وقوله:﴿وَلُوطاً آتيناهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.

﴿لوطاً﴾منصوب بفعل مُضْمَرٍ لأن قبله فعلاً، فالمعنى وأوحينا إليهم وآتينا لُوطاً آتيناه حكماً وعِلْماً، والنصب ههنا أحسن من الرفع لأن قبل آتينا فِعْلاً وقد

---

(١) غاق - حكاية صوت الغراب.

(٢) بدون تاء.

ذكـر بعض النحويين أنـه منصوب على «واذْكـر لوطـاً»، وهذا جـائـزٌ لأن ذكر إبراهيم قد جرى فحمل لوط على معنى واذكر.

وقوله عزّ وجلَّ ﴿ وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ﴾.

منصوب على واذكر، وكذلك قوله:

﴿وَدَاودَ وسُلَيمان إِذْ يَحْكُمَانِ في الحَرْثِ ﴾.

على مَعْنى واذكـر داود وسليمان ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ في الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيـهِ غَنَمُ القَوْمِ ﴾النّفْش بالليل، والهَمَلُ بالنّهار[1].

وجاء في التفسير أن غنمـاً على عهد داود وسُلَيْمَـانَ مَرَّتْ بحَـرْثٍ لِقَومٍ فَأَفْسدَتْه، ورُوِيَ أن الحَرْثَ كان حنطة، ورُوِيَ أنه كان كرماً، فـأفسدت ذلـك الحرث فحكم داود بدفع الغنم إلى أصحاب الكـرم وحكم سليمان بـأن يدفـع الغنم إلى أصحاب الكرم فيأخذوا منافعها من ألْبانها وأصـوافها وعَـوَارِضها إلى أن يعـودَ الكرمُ كهيئتِـهِ وقت أُفْسِدَ فـإذا عـاد الكـرم إلى هيئتـه رُدَّتِ الغنم إلى أرْبابها ويدفع الكرم إلى صاحب الكرم.

قال أبو إسحاق: يجوز أن تكون عوارِضُها من أحد وجهين، إما أن يكون جمع عريض وعُرْضَان، وهو اسم للحَمَلِ، وأكثر ذلك في الجدْي، ويجوز أن يكون بما يعرض من منافِعِهـا حتى يَعُودَ الكَـرْمُ كما كـان، وهذا - والله أعلم - يـدل على أن سُليمان عَلِمَ أنَّ قيمـةَ ما أَفْسَـدَتِ الغنمُ من الكـرم بمقـدار نفـع الغنم.

قال الله عزّ وجلَّ: ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾.

أي فهمناه القَضِيَّةَ، والحكومةَ، ﴿وَكُلاًّ آتَيْنا حُكْماً وَعِلْماً ﴾.

---

(١) في القاموس: الهمل محركةً السدى المتروك ليلاً ونهاراً، هملت الإبل تهمل فهي هـامل - وتهمـل - كينصر فاضت وانتشرت.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾.

ويجوز والطَّيْرُ، على العطف على ما في يسبحن، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

أي وكنا نقدر على ما نريده، ونصب «الطير» من جهتين إحداهما على معنى وسَخَّرنَا الطير، والأخرى على معنى يسبحن مع الطير[1].

وقوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ من بَأْسِكُمْ﴾.

وقرئت لنحصنكم من بأسكم بالنون، ويجوز لِيُحصِنَكُمْ بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوسُ، ويجوز على معنى ليحصنَكُمْ بالياء، فمن قرأ بالياء أراد ليحصنكم هذا اللبوسُ، ويجوز على معنى ليحصنَكُمْ اللَّهُ من بأسكم وهي مثل لِنُحَصِّنَكُمْ - بالنون ومن قرأ بالتاء أراد لتُحْصِنَكُمْ الصنعةُ، فهذه الثلاثة الأوجه قد قرئ بهِنَّ، ويجوز فيها ثلاث لم يُقْرأ بهِنَّ، ولا ينبغي أن يُقْرأ بهِنَّ لأن القراءة سنة.

يجوز لنحصّنَكُمْ بالنون والتشديد، ولتُحصِّنَكُمْ بالتاء والتشديد، وليُحصِّنَكُمْ بالياء مشدَّدَةَ الصَّاد في هذه الثلاث.

وعلَّم اللَّه داوِدَ صنعةَ الدُّرُوع من الزَّرَدِ، ولم تَكُن قبلَ دَاود عليه السلام فجمّعَتِ الخفَّةَ والتَّحْصِينَ، كذا رُوِيَ.

﴿وَلِسليمانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾.

وقرئت الرياح عاصفة، وقرئت الريحُ عاصفةً - برفع الريح. فمن قرأ الريحُ عَاصِفَةً بالنصب فهي عطف على الجبال، والمعنى وسخرنا مع داود الجبال، وسخرنا لسليمان الريح، وعاصفةً منصوب على الحال ومن قرأ الريحُ

---

(١) أي هي مفعول معه.

رفـع كما تقـول: لزيـد المال، وهـذا داخل في معنى التسخيـر، لأنه إذا قـال ﴿تجري بأمره إلى الأرض﴾ ففي الكلام دليل على أن اللَّه جلّ ثناؤه ـ سخَّرهَا لَهُ.

وقوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطينِ مَنْ يَغوصُونَ لَهُ﴾.

يجوز أن يكون موضع «مَنْ» نصباً عطفاً على الريح، ويجوز أن يكون «مَنْ» في مـوضع رفـع من جهتين إحداهمـا العطف على الـريح، المعنى ولسليمـان الريح وله من يَغُوصُونَ من الشياطين، ويجوز أن يكون رفعاً بالابتـداء، ويكون «له» الخبر.

وقوله: ﴿وَيعملون عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ﴾.

معناه سوى ذلك، أي سوى الغوص.

﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾.

كان اللَّه يحفظهم مِنْ أَنْ يُفْسِدُوا مَا عَمِلُوا.

وقوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّه﴾.

﴿أيوب﴾ منصوب على معنى واذكر أَيُّوبَ.

وقوله: ﴿وآتيناهُ أَهْلَه ومِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

أكثر التفاسير أن اللَّه ـ جلّ ثنـاؤه ـ أحيا من مـات من بنيه وَبنَـاتِه ورَزَقَـه مِثلهُمْ من الْوَلَدِ، وقيل ﴿آتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ آتيناه في الآخرة.

﴿وإِسْمَاعِيلَ وإِدْرِيسَ وَذَا الكِفْلِ﴾.

هـذا كله منصوب على «واذكـر». ويقال إن ذا الكفـل سمي بهذا الاسم لأنه تكفل بأمر نَبِيّ في أُمَّتِهِ فقام بمـا يجب فيهم وفيه، ويقـال إنه تكفـل بعمل رجل صالحٍ فقام به، والكِفْلُ في اللغة الكِسَاءُ الـذي يُجْعَلُ وراء الـرَّحْل على

عجز البعير[1]، وقيل الكفلُ أيْضاً النَّصيبُ، قال اللَّه عـزّ وجلَّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾[2].

وقوله: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً﴾.

﴿ذا النون﴾ يونس، والنون السمكة، والمعنى واذكر ذا النون، ويروى أنه ذهب مغاضباً قومه، وقيل إنه ذهب مغاضباً مَلِكاً من الملوك.

﴿فظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

أي ظن أن لن نُقَدِّرَ عَليه مـا قَدَّرْنَـاهُ من كونـه في بطن الحـوت، ويقْدِر بمعنى يُقَدِّر. وقد جاء هذا في التفسير، وقد روي عن الحسن أنه قال عَبْدٌ أَبَق مِنْ رَبِّـه، وتأويـل قول الحسن أنـه هرب من عـذاب رَبِّـه، لأن يُـونُسَ ظن أن الهرب ينجيه من اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ وَلاَ مِنْ قَدَرِه[3].

وقوله: ﴿فَنَادىَ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلٰه إِلاَّ أَنْتَ﴾.

﴿في الظلمات﴾ وجهانِ، أحدهمـا يعنى به ظلمـةُ الليـل وظلمـةُ البحـر. وظلمـةُ بطن الحـوت، ويجوز أن يكـون «نادى في الـظلمات» أن يكـون أكثـر دعـائه ونـدائه كـان في ظُلُمَاتِ اللَّيْـلِ. والأجود التفسيـر الأول لأنـه في بـطن الحوت لا أحسبه كان يفصل بين ظلمة الليل وظلمة غيره ولكنه أَوَّلُ ما صـادف ظلمةُ الليل ثم ظلمة البحر ثم ظلمة بطن الحـوت. وجائـز أنْ يَكُونَ الـظُّلُماتُ اتَّفَقَتْ في وقتٍ واحِدٍ، فتكون ظلمة بطن الحـوت في الليل والبحـرِ نهايَـةً في الشِّدَّةِ.

---

(١) في القاموس: الكفل بالكسر الضعف والنَّصِيبُ والحظ، وخرقة على عنق الثور تحت النير. . . أو شيء مستدير يتخذ من خرق أو غيرها ويوضع على سنام البعير.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٨ .

(٣) أي ولا منجى من قدره . ـ ونجاته من العذاب تعني نجاته من المسؤولية .

وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الـذي في المصحف بنون واحـدة، كُتِبَتْ، لأن النون الثـانية تَخْفَى مَـعَ الجيم، فـأمَّا مـا روي عَنْ عَاصمٍ بنـون واحدة فَلَحْنٌ لا وجـه لـه، لأن مـا لا يُسمَّى فـاعِلُه لا يكون بِغَيـر فاعـل. وقد قـال بعضهم: نُجِّي النَّجَاءُ المؤمنين، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلهم، لا يجوز ضُرِبَ زيداً، تريد ضرب الضرب زيداً لأنك إذا قلتَ ضرب زيدٌ فقد علم أنَّه الذي ضُربَه ضَرْبٌ[1]، فـلا فائـدة في إضمـاره وإقامتـه مع الفـاعل. وروايـة أبي بكر بن عيـاش في قـولـه نُجِّي المؤمنين[2] يخالف قراءة أبي عمروٍ نُنْجي بنونين.

وقوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾.

يروى أنها كانت عقيماً فجعلها اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ ولوداً، ويـروى أنه كـان في خُلُقِها سُوءٌ فأصلح اللَّه ذلك وحسَّنَ خُلُقَها.

وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾.

وقرئتْ رغْباً ورَهْباً، فالرَّغْبُ والرَّهْبُ مَصْدرَانِ، ويجوز رُغْبـاً ورُهْباً، ولا أعلم أحـداً قرأ بهمـا، أعني الرُّغب والـرُّهْبُ ـ في هـذا المَـوْضِـع. والـرُّغْبُ والرَّغَب مثل البُخْل والبَخَل، والرُّشْد والرَّشَد.

وقوله: ﴿والَّتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾.

«التي» في موضع نَصْبٍ، المعنى واذكر التي أحصنت فرجها. ويروى في بعض التفسير أنه يعني جيبها[3].

---

(١) أي الذي وقع عليه ضربٌ.

(٢) قـراءة نجى ليس الفعل فيهـا مبنياً للمجهـول، ولكن أدغمت النون في الجيم فـالفعـل من أنْجَى وليس من نجى المضعف.

(٣) وهي كناية عن العفة.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

لو قيل آيتين لصلح، ولكن لمَّا كان شأنهما واحداً، وكانت الآية فيهما جميعاً معناها آية واحدةً، وهي ولادةٌ من غير فحل جاز أن يقول آية.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أمتكم رفع خبر هذه، المعنى أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق، فإذا افترقت فليس من خالف الحق داخلاً فيها، ويقرأ أمةٌ واحدة، على أنه خبر بعد خبر، ومعناه إنَّ هذه أمَّةٌ واحِدَةٌ ليست أُمَماً، ويجوز نصب أمتكم [illegible]

[illegible]

المعنى أن الله أعلمهم أن أمر الحجة واحدٌ وأنهم تفرقوا، لأن تقطيعهم [illegible]

[illegible]

وقوله: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾.

وهو ـ والله أعلم ـ أنه لما قال: ﴿فَلَا كُفْرانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أعلمنا أن الله عزّ وجلّ قَدْ حرَّمَ قُبُولَ أعمال الكافرين وبين ذلك بقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾(١) فالمعنى حَرام عَلَى قَرْيَةٍ أهلكناها أن نَتقبل منهم عملاً لإنهم لا يرجعون، أي لا يتوبون، وحَرِمَ وحَرُمَ في معنى حرام، إلا أن حَراماً اسم، وحَرِمَ وحَرُمَ فعل.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾.

بهمزٍ وغير هَمْزٍ، وهما قبيلَتَانِ من خلق اللّه. ويروى أن الناس عشرة أجزاء تسعة منهم يأجوج ومأجوج، وهما اسمان أعجميان، واشتقَاقُ مثلهما من كلام العَرَبِ يخرج من أججت النار، ومن النار الأُجَاجِ وهو أُشَدُّ وهو الشديد الملوحة، المحرق من مُلُوحَتِهِ.

وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾.

ورويت أيضاً من كل جَدَثٍ ينسلون، ـ بالجيم والثاء ـ والأجود في هذا الحرف «حَدَبٍ يَنْسِلُونَ» بالحاء، والحدب كل أَكَمةٍ، وينسلون يُسْرِعُونَ.

وقوله: ﴿واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾.

قال بعضهم: معنى الواو الطرح(٢). والجوابُ عِنْدَ البَصْرِيِّينَ قوله: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ وههنا قول محذوف، المعنى حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوجُ واقترب الوعْدُ الحقُّ قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِن هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

وجاء في التفسير أن خروجَ يأجوجَ ومأجوجَ من أعْلَامِ الساعة.

---

(١) أول سورة محمد.

(٢) في الأصل لا يجوز تطرح ويكون معناها الطرح ـ وظاهر أنه سهو ـ

قوله: ﴿إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

قرئت على ثلاثة أوجه، حَصَبُ جهَنَّمَ، وحطب جهَنَّمَ، وحَضَبُ جَهَنَّمَ ـ بالضاد معجمة ـ. فمن قرأ حَصَبُ فمعناها كل ما يرمى به في جهنم[1] ومن قال حطب فمعناه ما توقد به جهنم ـ كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾[2]، ومن قال: حَضَب ـ بالضَّادِ معجمةً ـ فمعناه ما تَهيجُ به النارُ وتُذْكى به، والحَضْبُ الحيَّةُ.

وقوله: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾.

وللكتاب، ويقرأ السِّجْل بتخفيف اللام، فمن خَفَّفَ أسْكَنَ الجيم، وجاء في التفسير أن السِّجِلَّ الصَّحِيفةُ التي فيها الكتابُ، وقيل إنَّ السِّجِلَّ مَلَكٌ وقيل إنّ السِّجلَّ بِلُغَةُ الجيْشِ الرَّجُل، وعن أبي الجوزاء أن السِّجِلَّ كاتب كان للنبي ﷺ وتَمامُ الكلام «للكُتُب»[3].

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾.

مستأنف، المعنى نبعث الخلق كما بدأناهم، أي قدرتنا على الإعادة كَقدرتنا على الابتداء، ويجوز يوم تُطوى السَّمَاءُ كطي السِّجلّ، ويجوز يوم يَطْوِي السَّمَاءَ كطيِّ السُجِلِّ، ولم يقرأ «يَطْوِي»، وقرئت نَطْوِي وتُطْوَى بالنون والتاء.

وقوله: ﴿وَعْداً عَلَيْنا﴾.

«وعْداً» منصوب على المصدَرِ، لأن قوله «نُعِيدُهُ» بمعنى وَعَدْنَا هَذا وَعْداً

---

(١) في القاموس: الحصب محركة والحصبة الحجارة ـ واحدتها حصبة نادِرٌ. والحطب وما يرمى به في النار حصب، أو لا يكون الحطب حَصَباً حتى يسجر به.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٤، والتحريم الآية ٦.

(٣) للكتابة.

وقوله: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾.

أي قادرين على فِعْل ما نشاءُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾.

الزبور جميع[1] الكتب، التوراة، والإنجيل، والفرقان، زبورٌ، لأن الزَّبُورَ والكتاب بمعنىً واحدٍ. ويقال زَبَرْتُ وكتبتُ بمعنىً واحدٍ، والمعنى: ولقد كتبنا في الكتُبِ من بَعْدِ ذِكْرِنَا في السماء ﴿أَنَّ الأَرْضَ يرثها عبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

قيل في التفسير إنها أرْضُ الجنة، ودَليلُ هذا القول قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ﴾[2]. وقيل إن الأرض ههنا يعنى بها أرض الدنيا، وهَذَا القَوْلُ أشْبَهُ - كما قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّه مَا فِي السَّمواتِ وَمَا في الأَرْضِ﴾[3] والأَرْضُ إذَا ذُكِرَتْ فهي دليلة[4] على الأرض التي نعرفها، ودليل هذا القول أيضاً: قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَها الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[5].

وهذه الآية من أجل شواهد الفقهاء أن الأرض ليس مجراها مجرى سائرِ مَا يُعْمَرُ[6].

وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

الأجود أَنَّما بفتح أن، وهي القراءة، ولو قرئت إنما لجاز، لأن معنى

---

(١) في الأصل جمع.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٠ - ١١.

(٣) أول سورتي الجمعة والتغابن.

(٤) دالَّة.

(٥) سورة الأعراف الآية ١٣٧.

(٦) عبارة غير واضحة، والظاهر أنه يعني أن أجزاءها ليست جميعاً في مستوى واحد من التعمير، لأن بعضها بورك فيه دون بعض.

﴿يُوحَى إليَّ﴾ «يُقالُ لي»[1] ولكن القراءة الفتح لا غير.

وقوله:﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾.

﴿آذنتُكُمْ﴾ أعْلَمْتُكُمْ بما يوحى إليَّ لِتَسْتَوُوا في الإيمان به.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾.

أي وما أدري ما آذنتكم به فتنة لكم أي اختبارٌ لَكُمْ.

وقوله عزّ وجلَّ:﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالحَقِّ﴾.

ويقرأ: ﴿قلْ رَبِّ احْكم بالحق﴾، ويجوز وقد قرئ به: قال رَبِّيَ احْكُم بالحقّ، وكان من مضى من الرُّسُل يقولون: ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، ومعناه احكم، فأمر اللَّه ـ عزّ وجلَّ ـ نَبِيَّه أن يقول: ﴿رَبِّ احكُمْ بالحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصفُونَ﴾.

أَيْ عَلَىٰ مَا تَكْذِبُونَ.

---

(١) أي يوحى مضمنة معنى القول فتكسر إن بعدها.

سُورَةُ الحَجّ
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾.

يا أيها ـ نداء مبهم مفردٌ، وها للتنبيه، وهو مبْنيٌّ على الضم، والناس رفعٌ تبع لـ (يا أيها)، والنحويون لا يجيزون إلا رفع الناس ههنا. والمازني أجاز النَّصْبَ في يا أيها الرَّجُلَ أقْبِلْ، كما تقول يا زيدُ الظريفَ والظريفُ، وهذا غلط من المازني، لأن زيداً يجوز الوقف والاقتصار عليه دون الظريف ويا أيها ليس بكلام، وإنما القصد النّاسُ، فكأنه بمنزلة ـ يا ناس اتقوا ربكم.

وجاء في التفسير أن كل شيء جاء في كتاب اللَّه من يا أيها الناس فمكي، وما كان فيه من يا أيها الذين آمنوا فمدني.

وقوله: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾.

قيل إن هذه الزلزلة في الدنيا وأن يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها وقيل إنها الزلزلة التي تكون مع الساعة(1).

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾.

ويجوز تُذْهِل كلَّ مُرْضِعَةٍ، ومعنى تُذْهِلُ تحَيّرُ، وتترك كل مرضعة قد ذَهَلَتْ عَمّا أَرْضَعَتْ، ومرضعة جار على المُفْعِل على ما أرضعت، ويقال:

(١) نسخة معها الساعة.

امرأة مُرْضِعٌ أي ذات رضاع أرضعت وَلَدَهَا أوْ أرْضعت غيـرَهُ والقصْدُ قصـد[1] مُلْبِن أي ذات لَبُون وَلَبَنٍ.

وقوله :﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾.

وقرئت: ويُرى الناس سَكْرَى، واسم[2] الفاعل مضمر في ترى. المعنى ترى أنت أيها الإنسان الناسَ، ومن قرأ: ترى الناس سكرى كان بمنزلـة وترى أنت الناس سكرى. وفيه وجه آخـرُ مَا قُـرِئَ بِهِ [وهـو] وَيُرَى النـاس سكرى، فيكـون الناس اسم يُـرَى[3]، ووجه آخـر لم يقرأ بـه: وَيَرَى النَّـاسَ سَكـرى، المعنى وَيَرَى الإنسانُ الناس سكرى[4].

ويقرأ وتَرَى الناسَ سَكْرَى وما هم بسكرى، وترى الناسَ سُكارى وما هم بسكارى.

ويجـوز وتـرى النـاس سَكـارَى ومـال هم بـسَكـارَى. والـقـراءة الكثيرة: وترى الناس سَكْرَى ومـا هُمْ بسُكْرى، وتـرى الناس سُكـارى وما هم بسُكَارَى أيضاً.

والتفسير أنك تراهم سكارى من العذاب والخوف، ومـا هم بسكارى من الشَّرابِ ويدل عليه:﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّه شديدٌ﴾.

وقوله :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ في اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾.

أي يتبع ما يُسَوِلُ له الشيطان، ومَرِيد وَمَارِد معناه أنه قد مَرَدَ في الشَّـرِ.

---

(١) والكلمة جارية مجرى نـاقة ملبن أي ذات لبن أراد بـه لبون، والمرضعة هي التي تبـاشر الارضاع فعلاً أما المرضع فهي التي لها هذه الصفة سواء كانت قائمة أم مقدرة.

(٢) الاسم الذي هو فاعل.

(٣) الاسم المرفوع بها أي نائب الفاعل.

(٤) يُخيَّل إليه أو تريه الملائكة حالهم.

وتأويل المَرَوَدِ أن يبلغ الغاية التي يخرج بهـا من جملة ما عليـه ذلك الصِّنْفُ، وجائز أن يُسْتَعْمل ذلك في غير الشيطان، فتقول قد تمرد هذا السِّيء[١] أي قد جـاوز حَدَّ مثله، وأصله في اللغـة امْلِسَاسُ الشيء، من ذلـك قولـك للإنسـان أَمْرَدَ إذا لم يكن في وَجْهِهِ شَعْرٌ، ويَقَال للصخرة مرداء إذا كانت ملساء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُتِبَ عَلَيه أنَّه مَنْ تَوَلَّاهُ﴾.

﴿أنه﴾ في موضع رفع.

﴿فَأَنَّه يُضِلُّهُ﴾، عـطف عليه، ومـوضعه رفـع أيضاً، والفـاء الأجـود فيهـا أن تكون في معنى الجزاء، وجائز كسر إنَّ مع الفاء، ويكون جزاء لا غير.

والتـأويل: كُتِب عليـه أي على الشيطان إضْـلَال مُتـولّيـه وهـدايتُهم إلى عذاب السعير، وحقيقة «أنَّ» الثانية أنها مكررة مع الأولى على جهـة التوكيـد، لأن المعنى كُتبَ عليه أنه من تولاه أضله.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إنْ كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِنَ البَعْثِ﴾.

ويقرأ من البَعَثِ بفتح العين، والريب الشك، فـأما البَعَثَ بفتـحْ العين - فذكر جميع الكوفيين أن كل ما كـان ثانيـه حرفـاً[٢] من حروف الحلق، وكـان مُسكَّناً مفتوح الأول جاز فيه فتحُ المسَكَّن نحو نَعْلٌ ونَعَلٌ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ، ونَهْـر ونَهَرٌ، ونَخْلٌ ونَخَل. فأما البصريـون فيزعمـونَ أن ما جـاء من هذا فيـه اللغتان تُكُلِّمَ به على ما جاءَ. وما كان لم يسمع لم يَجُزْ فيه التحريك نحو وَعْد، لأنك لا تقـول: لـك عَلَيَّ وَعَـدٌ، أي عليَّ وِعْـدَةٌ، ولا في هـذا الأَمْـر وَهَنٌ[٣] - في

---

(١) نسخة الشّقيّ.

(٢) في الأصل حرف.

(٣) في القاموس: الوَهْنُ الضعفُ في العمل ويحرك. والفِعْلُ كوعد وورث وكَرُمَ.

معنى وَهْنٌ ـ. وهـذا في بـابـه مثـل رَكٍّ، وركَـكٍ وقـدْرٍ وقــدَرٍ، وَقَصّ الشَّـاةِ وقَصَصِهَا فلا فرق في هذا بين حروف الحلق وغيرها.

وقيـل للذين جحدوا البعث وهم المشـركـون: إن كنتم في شَـكٍّ من أنَّ اللَّه يبعث الموتى فتدبـروا أمر خلقكم وابتـدائكم فإنكم لا تجـدون في القدرة فـرقاً بين ابتـداء الخلق وإعادتـه، وإحياء المـوتى. ثم بيَّن لهم ابتـداء خَلْقِهم فَأعْلَمُهُم أنهم خُلقوا من تراب، وهو خلق آدم عليه السلام، ثم خُلِقَ ولـدُه من نطفة، ثم من عَلَقَةٍ ثم من مُضْغَةٍ. وأعلمهم أحوال خلقهم.

ويُروى أن الإنسانَ يكُونُ في البطن نطفةً أربعين يـوماً ثم مُضْغَـةً أَرْبَعين يـوماً، ثم يبعث اللَّهُ مَلَكـاً فينفخ فيـه الروح. ومعنى ﴿مُخَلَّقـةٍ وغَير مُخَلَّقَـةٍ﴾ وصفُ الخَلق أو منهم مَن يُتَمّم مضغتـه فتخلَقُ لـه الأعضـاءُ التي تكمـل آلات الإنْسَانِ ومنهم من لا يتمم اللَّه خلقه.

وقوله: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾.

أي ذكرنا أحـوال خلق الإنسان. ووجـه آخر [هـو] خلقناكم هـذا الخلق لنبين لكم.

﴿وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾.

لا يجـوز فيها إلا الـرفع، ولا يجـوز أن يكون معنـاه فعلْنَا ذلـك لنُقِرَّ في الأرحـام، وَأَنَّ اللَّه ـ عز وجـل ـ لم يخلق الأنام لمـا يُقَـرُّ في الأرحـام، وإنمـا خلقَهُم ليدُلّهُمْ عَلَى رُشدهم وَصَلاَحِهِمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾.

في معنى أطفال، ودل عليه ذكر الجماعـة. وكأنَّ طفـلاً يَدُلُّ على معنى ويُخْرَجُ كلُّ واحدٍ منكم طفلاً.

﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾.

قد فسرنا الأشدَّ، وتأويله الكَمالُ في القُوّةِ والتمييز، وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين.

وقوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ﴾.

أرذل العمر هو الذي يخرف فيه الإنسان من الكِبَر حتَّى لا يَعْقِلَ، وَبيَّنَ ذلك بقوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

ثم دَلَّهُمْ عَلى إحْيائه الموتى بإحيائه الأرض فقال:

﴿وَتَرى الأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

يعنى جافةً ذاتَ تُرابٍ.

﴿فإذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.

وتقرأ ورَبأتْ. فاهتزازها تحركُها عند وقُوع المَاءِ بها وإنباتها، ومَنْ قرأ: وَرَبَتْ فهو من ربا يربو إذا زاد على أي الجهات[1]، وَمَنْ قَرَأَ وَرَبَأَتْ بالهمز فمعناه ارْتَفَعَتْ.

﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

أي من كل صنف حَسَنٍ من النبات.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ وأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتَى﴾.

المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما وُصف لكم وبُيِّنَ لكُمْ بأَنّ اللَّه هو الحقُّ وأنه يُحيي الموتى، ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

فالأَجْوَدُ أن يكون موضع ﴿ذلك﴾ رفعاً. ويجوز أن يكون نصباً على معنى فعل اللَّه ذلك بأنه هو الحق وأنه يحيي الموتى.

---

(١) في الأصل إذا زاد على أي الجهات زاد.

وقوله: ﴿ثانيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عن سَبِيل اللَّهِ﴾.

وليَضِلَّ عن سبيل اللَّه، وثاني منصوب على الحال، ومعناه التنوين، ومعناه ثانياً عِطفَه، وجاء في التفسير أن معناه لَاوِياً عُنُقَه، وهذا يوصف به، فالمعنى ومن الناس من يجادل في اللَّه بغير علم مُتَكَبِّراً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾.

يقال: هذا العذاب بما قدمت يداك، وموضع ﴿ذلك﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿بما قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾، وموضع «أن» خفض المعنى ذلك بما قدمت يداك وبأن اللَّه ليس بظلام للعبيد، ولو قرئت [إنّ] بالكسر لجاز. ويجوز أن يكون موضع ذلك رفعاً على خبر الابتداء. المعنى الأمر ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾، ويكون موضع أن الرفع على معنى ﴿أَنَّ اللَّهَ ليس بظلام للعبيد﴾.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾.

جاء في التفسير على شَكٍّ، وحقيقتُه أنَّه يعبدُ اللَّه على حَرْفِ الطَّرِيقَةِ في الدينِ، لا يدخل فيه دخول متمكن.

﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾.

أي إن أصابه خِصْبٌ وكَثُرَ مَالُه وماشِيَتُه اطْمأنَّ بما أصابه ورضي بدينه.

﴿وَإِن أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾.

اختبار بجدْب وقِلَّةِ مَالٍ.

﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾.

رجع عن دينه إلى الكفر وعبادة الأوثان.

وقوله: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾.

يعنى يدعو الوثن الذي لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا ينفعُ ولا يضُرُّ.

وقوله: ﴿يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّه أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾.

فقال: ولا يضره، وقال ضَرُّه أقربُ من نفعه، معناه الضَّرَرُ بعبادَتِه أقرب من النفع، فإن قال قائل: كيف يقال: أقربُ من نفعه ولا نفع من قِبَلِهِ البَتَّةَ، فالعرب تقول لِمَا لَا يكون: هذا بعيد، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجعٌ بَعِيدٌ﴾(١).

وقد اختلف الناس في تفسير هذه اللَّام(٢)، وفي ﴿يدعو﴾ بأي شيء هي معلَّقَةٌ ونحن نفسر جميع ما قالوه وما أغفلوه مما هو بيِّن من جميع ما قالوا إن شاء اللَّه.

قال البصريون والكوفيون: اللام معناها التأخير، المعنى يدعو من لضَرِّه أقربُ من نَفْعِهِ ولم يُشْبِعُوا الشرحَ، ولا قالوا من أين جاز أن تَكُونَ اللَّامُ فِي غير مَوْضِعِها. وشرح ذلك أن اللام لليمين والتوكيد فحقها أن تكون في أول الكلام فقدمت لِتُجْعَلَ في حقها(٣)، وإن كان أصلُها أنْ تكون في «لَضَرُّهُ» كما أن لام «إنَّ» حَقُّها أن تكون في الابتداء، فلما لم يجز أَنْ تَلِيَ «إنَّ» جُعِلَت في الخَبر في مثل قولك: إن زيداً لقائِمٌ، ولا يَجُوزُ «إنَّ لَزَيْداً قائِمٌ»، فإذا أمكن(٤) أن يكون ذلك في الاسم كان ذلك أجود الكلام، تقول إن في ذلك لآية، فهذا قول.

وقالوا أيضاً: أن يَدعُو مَعَها هاءٌ مُضْمَرةٌ، وأنَّ ﴿ذلِك﴾(٥) في موضع رفع ويدعو في موضع الحال، المعنى ذلك هو الضلال البعيد يَدْعُوه، المعنى في

---

(١) سورة ق آية ٣.

(٢) لام لَمَنْ ضَرُّهُ.

(٣) في موضعها المناسب وهو صدر الجملة، لأنها يمين وقسم.

(٤) في الأصل أمكنك.

(٥) من ﴿ذلك هو الخسران المبين﴾. والتقدير: ذلك هو الخسران يدعوه.

حال دُعَائِه إيَّاهُ، ويكون ﴿لَمَنْ ضَرُّه أقربُ من نَفْعِه﴾ مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء، وخبره ﴿لَبِئْسَ المَوْلَى وَلَبِئْسَ العَشِيرُ﴾.

وفيه وجه آخَرُ ثَالثٌ، يكون يدعو في معنى يقول، يكون من في موضع رفع وخَبرُه محذوف، ويكون المعنى: يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي[1]، ومثله يدعو في معنى يقول في قول عنترة[2].

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

ويجوز أن يكون «يَدْعو» في معنى «يُسَمّى» كما قال ابن أَحْمَر[3]:

أهرى لها مِشقصاً حَشْراً فشبرقها ... وكنتُ أدعُو قذاها الأثمد القَردَا

ووجه هذا القول الذي قبله.

وفيها وجه رابع وهو الذي أغفله الناس، أن «ذلك» في موضع نصب بوقوع يدعو عليه، ويكون «ذلك» في تأويل الذي، ويكون المعنى الذي هو الضلال البعيد يدعو، ويكون لمن ضرُّه أقرب من نفعه مستأنفاً، وهذا مثل قوله: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِك﴾[4]، على معنى وما الَّتِي بيَمِينِك يَا مُوسَى، ومثله قول الشاعر: [5]

---

(١) ويكون ذلك إنكاراً على نفسه أي أبَلَغَ مني أن فعلت ذلك.

(٢) من معلقته انظر شرح الزوزني «٥٤»ط. صبيح البيت ٦٩.
ويدعون ينادون باسم عنترة، والأشطان الحبال ولبان الأدهم صدره يريد أن الأبطال يهتفون باسمه والرماح الطويلة ـ تدق في صدر جواده.

(٣) البيت في الطبري ١٦/٨٧، وروايته قذاها، وكذلك في مجاز أبي عبيدة ٢/١٣ ـ والمشقص مقص كبير، وحشرا أي لطيفاً، وشبرقها مزقها، والأثمد حجر يتخذ منه الكحل ـ والقرد ما تلبد من الصوف وغيره.

(٤) الآية في سورة طه والشاهد أن تلك استعملت بمعنى الذي فقاس عليها هنا جعل ذلك بمعنى الذي.

(٥) تقدم. ـ ويروى «أمنت» بدل عتقت.

عَـدَسْ مـا لعبـاد عـليـك إمـارة   عَـتقْـتِ، وهــذا تحـمـلين طـلـيـق

وقوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾.

هذه الهاء لمحمد ﷺ، أي من كان يظن أن لن ينصر اللَّه مُحمـداً حتى يـظهره على الـدين كله فليمت غيظاً، وهـو تفسير قـولـه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾.

السبب الحبل، والسماء السقف، أي فليشدُدْ حَبْلاً في سَقْفِهِ.

﴿ثُمَّ لِيَقْـطَعْ﴾.

أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً.

﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾.

أي هل يذهبن كيده غيظه. وقُرِئت ثم لِيَقْطع، وثم لْيَقْطَعْ، بكسر الـلام وجزمها.

وقـوله: ﴿إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُوا والَّـذِينَ هَادُوا وَالصَّـابِئِينَ والنَّصَارَى والمَجُـوسَ والذين أَشْرَكُوا إنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

يَفْصِلُ اللَّه بين هذه الفرق الخَمْس وبين المؤمنين.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَـابٌ مِنْ نَارٍ﴾، والمؤمنون يدخلون الجنـة وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّـذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾.

وخبر إن الأولى جملة الكلام مع إنَّ الثانيةِ. وقَدْ زعم قوم أن قولك: إنَّ زَيداً إنه قائم رديء وأنَّ هذه الآية إنما صلحت في الذي. ولا فرق بين الـذي وغيره في باب إن، إن قلت إن زيداً إنه قائم كان جيداً ومثله قول الشاعر(1):

---

(1) هو جرير يمدح أحد الخلفاء المروانيين، والبيت في معاني القرآن للفراء ص ٢١٨ حـ ٢. والشطر الثاني:

إنَّ الــخــلـيــفَــةَ إنّ اللّــه سَــربَــلَــهُ

وليس بين البصريين خلاف في أن «إنَّ» تـدخل على كـل ابتداء وخبـر، تقول إن زيداً هو قائم وإن زيداً إنه قائم.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ فِي السَّموَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾ إلى قوله وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ﴾.

والسجـود ههنا الخضـوع للّه عزّ وجـلّ، وهي طاعـة ممن خلق اللّه من الحيوان والموات. والدليل على أنه سجودُ طَاعَةٍ قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ العَذَابُ﴾. هذا أجود الوجوه أنْ يكـونَ تَسْجُدُ مُـطِيعةً، للّه عـز وجل، كما قال اللّه تعالى: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهـاً قالتـا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، وكمـا قال: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ يعني الحجارة ﴿لما يهبط من خَشْيَةِ اللَّهِ﴾، فـالخشيـة لا تكـون إلّا لما أعْـطاه اللّه مِمَّا يَخْتَبِرُ به خشيتـه. وقال قـوم: السجود من هـذه الأشياء التي هي موات ومن الحيـوان الذي لا يعقـل إنما هـو أَثَرَ الصَّنْعَـةِ فيها والخضوع الذي يدل على أنها مخلوقة، واحتجوا في ذلك بقول الشاعر:[1]:

بجَيْشٍ يَضِـلُّ البلق في حَجَـراتِـه　　تُـرى الأُكْمُ فيه سُجَّـداً للحـوافـر

أي قـد خشعت من وطء الحوافِـرِ عَلَيْهَا، وذلـك القول الـذي قالـوه لأن السجود الذي هو طاعة عِندهم إنَّما يكونُ ممن يَعْقِلُ، والذي يكسر[2] هذا مـا وصف اللّه عـز وجل مِنْ أن مِن الحجـارةِ لما يهبط من خشيـة اللّه، والخشيـة والخوفُ ما عقلناه إلا للآدميين، وقد أعلمنا اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ ان من الحجـارة

= سـربـال مـلــك بـه تـرجـى الخـواتيـم

ويروى: يكفي الخليفة أن اللّه سربله. ـ هذا، «وإن» تعاد عند طول الكلام والفصل البعيد بـين اسمها وخبرها.

(١) هو الراعي.

(٢) الذي ينقض أن الخشوع إنما يكون ممن يعقل.

ما يخشاه، وأعلمنا أنه سَخّر معَ داودَ الجبالَ والطيرَ تسبح معه، فلو كان تسبيح الجبال والطير أثرَ الصنعة ما قيل سخرنا ولا قيل مع داود الجبال لأن أثر الصنعة يتبين معَ دَاوُدَ وَغيره، فَهُوَ سُجودُ طاعةٍ لا محالة، وكذلك التسبيح في الجبال والطير، ولكنا لا نعلم تسبيحها إلاّ أن يجيئنا في الحديث كيف تسبيح ذلك. وقال اللّه عزّ وجلّ ـ ﴿وإن من شيء إلاَّ يُسَبِّحُ بحَمْدِهِ ولٰكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾(1).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.

الخصمان المُؤمِنُونَ والكَافِرون ـ جاء في التفسير أن اليهود قالوا للمسلمين ديننا أقْدَمُ من دينكم وكتابنا أقدَمُ من كتابكم، فأجابهم المسلمونَ بأنا آمنا بما أنزل إلينا وأنزل إليكم وآمنا باللّه وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله، وأنتم كفرتم ببعض الرسل فظهرت حجة المسلمين على الكافرين. وقيل اختصموا وقد قال خَصْمَانِ لأنهما جَمْعانِ.

﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾.

وجاء في التفسير أنَّ الثِّيَابَ التي من نارٍ هي نُحَاسٌ قَدْ أُذِيبَ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ. يُصْهَرُ به مَا فِي بُطُونِهِمْ والجُلُودُ﴾.

يغلى به ما في بطونهم حتَّى يَخْرُجَ من أَدْبَارِهم، فهذا لأحد الخصمين، وقال في الخصم الذين هم مؤمنون:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ولُؤْلُؤٍ﴾.

و ﴿لُؤْلُؤاً﴾ يقرأ ان جميعاً، فمن قرأ ﴿ولؤلؤاً﴾ فعلى معنى يحلون فيها أساور من

---

(1) سورة الإسراء من الآية ٤٤.

ذهب ويُحلَّوْنَ لُؤلؤاً، ومن قرأ وَلُؤلُؤ أراد وَمِنْ لؤلؤ. وجائز أن يكون اسَاوِرَ من ذَهَبٍ وَلُؤلؤٍ، فيكون ذلك فيها خلطاً مِنَ الصِّنْفيْن ويقرأ يَحْلَوْنَ فيهـا على معنى قَوْلك حَلِيَ يَحْلَى إذا صار ذا حَلْيٍ.

وقـوله :﴿إنَّ الَّـذِينَ كَفَرُوا وَيَصُـدُّونَ عَنْ سَبِيـلِ اللَّهِ [والـمَسْجِدِ الـحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ للنَّاسِ سواءً العاكفُ فيه والبادِ، ومَنْ يُرِدْ فيـه بإلْحَـادٍ بظلم نُـذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ]﴾.

لفظ يَصُدُّونَ لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأن معنى الذين كفـروا الذين هم كـافرون، فكـأنه قـال إنَّ الكَافـرين والصَّادّينَ. وخبـر إن فيه قولان أحدهما أن يكون محـذوفاً فيكـون المعنى إنَّ الذين هـذه صِفَتُهم هلكوا وجائز أن يكون ـ وهو الوجه ـ الخبر﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

فيكون المعنى إن الكافرين والملحدين في المسجـد الحرام نُـذِقْهُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١).

وقوله تعالى:﴿سَوَاءً العَاكِفُ فِيه والبَادِ﴾.

القراءة الرفعُ في سَوَاءٍ، ورفعه من جهتين إحداهما أن يكون وقـف التمام [هـو] ﴿الذي جَعَلْنَاهُ للنَّـاسِ﴾، كمـا قَـال:﴿إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِـعَ للنَّاسِ﴾(٢). ويكون ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز أن يكـون على جعلنـاه سواء العاكف فيه، فيـرتفع سـواء على الابتـداء، ويكـون الخبـر ههنـا العـاكف فيه، أعني خبـر ﴿سواء العـاكف﴾ ويكون خبـر ﴿جَعَلْنَـاهُ﴾ الجملة.

---

(١) هذا لا يستقيم إذا كانت «مَنْ» شرطية، وهي شرطية، إنما يستقيم إذا كانت موصولـة. ونذقـه إذا كان جملة خبرية يجب أن يكونَ مرفوعاً، ولكن يبدو أن الخبر محذوف وجملة الشرط دالة عليه.

(٢) سورة آل عمران الآيـة ٩٦ وهي: ﴿إن أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاس لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾ وجعل الناس هناك تمام الآية وجه غير جيد.

وتفسير قوله: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ أنه يستوي في سُكنى مكَّةَ المقيم بها والنَّازع[1] إليها من أي بَلَدٍ كانَ، وقيل سواء في تفضيله وإقامة المَنَاسِكِ العاكف المقيم بالحرم والنَّازِعُ إِلَيْهِ.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾.

قيل الإلحاد فيه الشرك باللَّه، وقيل كُلُّ ظَالِمٍ فيه مُلْحِدٌ، وجاء عن عُمَر أن احتكار الطعام بمكَّة إلحادٌ. وقال أهل اللغة إن معنى الباء الطرح. المعنى ومن يرد فيه إلحاداً بظلم، وأنشدوا قول الشاعر: [2]

هُنَّ الحرائرُ لا ربَّاتُ أخمِرَةٍ　　　سودُ المحاجر لا يقرأن بالسُّوَرِ

المعنى عِنْدهم لا يقرأن السُّوَرَ، وأنشدوا: [3]

بوادٍ يَمانٍ ينبت البَثَّ صدْرُه　　　وأَسْفَلُهُ بالمرخ والشَّبَهَانِ

أي وينبت أسفلُه المرخَ والشبهان. والذي يذهب إليه أصحابنا أن الباءَ ليست بملغاةٍ، المعنى عندهم ومن إرادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما　　　تمثل لي ليلى بكل سبيل[4]

المعنى أريد، وإرادتي لهذا.

ومعنى الإلحاد في اللغة العدول عن القَصْد.

---

(١) المتجه إليها والقادم من مكان آخر.

(٢) هو الراعي - والبيت في الخزانة ٦٦٨/٣، واللسان (سور) والقرطبي ١٥٨/١، وشواهد المغنى ١١٦.

(٣) ينسب لامرئ القيس، وللأحول اليشكري واسمه يعلى، والشبهان نبت يشبه الثمام وقيل هو الثمام، والمرخ من شجر النار كثير الورى سريعه. والشث - بالثاء المثلثة شجر طيب الريح مر الطعم يدبغ به، والبيت في اللسان (شث): «ينبت الشث فرعُه»، وفي (شبه) كما هنا. وهو في الطبري ٩٤/١٧، والقرطبي ٣٦/١٢.

(٤) تقدم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

جعلنا مكان البيت مبوأً لإبراهيم، والمبوأ المنزل، فالمعنى أن اللّه أعلم إبراهيم مكان البيت فبنى البيت على أسه القديم، وكان البيت في أيام الطوفان رفع إلى السماء حينَ غرَّقَ اللّهُ الأرضَ ومَا عليها فَشَرَّفَ بيْتَه بأن أخرجه عن جُملة مَا غرّق. ويروى أن البيت كان من ياقوتة حمراء.

وقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾.

قيل: المعنى طهره من الشرك. والقائمونَ هَهُنا المصَلُّونَ.

وقوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾.

رُوي أَنّ أذان إبراهيم بالحَج أن وقف في المقام فقال: أيها النـاسُ أجيبوا يا عباد اللّه أطيعوا اللّه يا عباد اللّه اتقوا اللّه، فَوَقَرتْ في قلب كل مؤمن ومؤمنة وأسمع ما بين السماء والأرض وأجابه من في الأصلاب ممن كتب له الحج، فكل من حج فهو ممن أجاب إبراهيم، ويروى أنَّ أذَانَه بالحج كان يا أيها الناس كتب عليكم الحج.

وقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾.

﴿رجالاً﴾ جمع راجل مثل صَاحِب وصِحَاب، وقائِم وقِيَام: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ﴾، أي يأتوك رِجَالاً ورُكْبَاناً. وقال يأتين على معنى الإبل المعنى وعلى كل بعيد ضامر يأتي من كل فج عميق، وعميق بعيد، قال رؤبة[1]:

وَقَاتِم الأعْماق خاوي المخترق

الأعماق الأَقْعَار، ومن هذا قيل: هذه بِئر «عَمِيقة»، أي بَعِيدَة القَرار.

---

(١) من أرجوزة له طويلة ـ وهو في الطبري ١٥/ ٥٩، واللسان (قتم) وبديوانه ١٠٤، وطبقات ابن سلام ص ٧٦١ (ت محمود شاكر).

وقوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

أي ليشهدوا مَا نَدَبَهُم اللَّهُ إليه مما فيه النفع لهم في آخرتهم.

﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾.

يعني به يومَ النَّحْر والأيَّامُ التي بعده يُنْحَرُ فِيهَا لأن الذكر ههنا يدل على التسمية على ما يُنْحَر لقوله على ما رَزَقَهُمْ مِن بهيمةِ الأنعام.

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾.

﴿البائس﴾ الذي قد ناله بؤس، والبؤس شدة الفقر، يقال: قد بؤس، وبأس إذا صار ذا بؤس. وقوله ﴿فَكُلوا مِنْهَا﴾ ليس بأمر لازم، من شاء أكل من أضحيته ومن شاء لم يأكل، وإنما هو إباحة كما قال: ﴿وإذا حَلَلْتُم فَاصْطَادُوا﴾[1]. فإنما قال فاصطادوا، لأنه كان قد حظر عليهم الصيد وهم مُحْرِمون، فأباحهمُ الصَّيْدَ. وكذلك هذا الأمر ههنا إباحة بعد حظرهم[2] على أنفسهم أكل الأضاحي، لأن أهل الجاهلية كانوا إذا نحروا لم يستحلوا أن يأكلوا من نسِاكِهِم[3] شيئاً، فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك جائز.

وقوله: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

قرئت ثم لِيَقْضُوا بكسر اللام، وكذلك قرأ أبو عَمْرٍو، والقراءة بالتسكين مع ثم كثيرة.

والتفث في التفسير جاء[4]، وأهل اللغة لا يعرفون إلا من التفسير، قالوا

(١) سورة المائدة الآية: / ٢.

(٢) هم الذين حرموا أكل الأضاحي على أنفسهم.

(٣) جمع نسيكة، وهي الحيوان الذي يذبح نسكاً وقرباناً للّه.

(٤) لم يأت شرحه إلا في كتب التفسير.

التفث الأخذ من الشارب وتقليم الأظافر ونتف الأبِطِ وحَلقُ العَانة والأخْذُ مِنَ الشَّعَرِ، كأنه الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

قوله: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

قيل في العتيق أقوال، قال الحسن هو البيت القديم، ودليل الحسن على ذلك قوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾(١).

وقيل إن البيت العتيق الذي عَتَق من الغرق أيام الطوفانِ، ودليل هذا القول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، فهذا دليل أن البيت رفع وبقي مكانه. وأكثر ما جاء في التفسير أنه أُعْتِقَ من الجبابرة، فلم يَغْلِبْ عليه جَبَّارٌ، وقيل إنَّه سُمِّيَ العتيقَ لأنه لم يَدعْهُ أَحَدٌ من الناس. وقيل إنما سمي العتيق لأنه لم يقصده جبار إلا أهلكه اللَّه، يقال أعتقت المملوك فهو مُعْتَقٌ وَعَتِيق. وكل ما مر في تفسير العتيق فجائزٌ حَسنٌ - واللَّه أعلم بحقيقة ذلك - وهذه الآية تدل على أنّ الطواف يوم النحر فرضٌ(٢).

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾.

وحرماتُ اللَّه الحجُّ والعمرةُ وسائر المناسك، وكل ما فرض اللَّه فهو من حرمات اللَّه، والحرمةُ ما وجب القيامُ به وحَرُمَ تركَهُ والتفريطَ فيه. وموضع ﴿ذلك﴾ رفع، المعنى الأمر ذلك.

وقوله: ﴿وأُحِلَّتْ لكُمُ الأَنْعَامُ إلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾.

«ما» في موضع نصب أي إلا ما يتلى عليكم من الميتة والدم والمنخنقة والموقوذَةِ وسائر ما تلي تحريمه.

وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٢) ليس فيها دلالة على تحديد يوم للطواف والواو تقتضي الجمع ولا تقتضي التعقيب.

«مِنْ» ههنا لتخليص جنس من أجناس[1] المعنى فاجتنبوا الرجس الذي هو وَثَن

وقوله: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

الزور الكذب، وقيل إنَّه ههنا الشِّرْكُ باللَّهِ، وقيل أيضاً شهادَةُ الزور، وهذا كله جائز. والآية تدل - واللَّه أعلم - على أنهم نُهُوا أن يُحرِّمُوا ما حَرَّم أصحابُ الأوْثانِ نحو قولهم: ما في بطون هذه الأنعام خالصةٌ لذكورنا ومحرَّمٌ على أزواجنا، ونحو نحرهم البَحيرَةَ والسَّائِبَةَ، فأعلمهم اللَّه أَنَّ الأنْعَامَ مُحَلَّلَةٌ إلَّا ما حرَّمَ اللَّهُ منها، ونهاهم اللَّه عن قول الزور أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام لِيَفْتَروا على اللَّهِ كَذِباً.

وقوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾.

منصوبٌ على الحال، وتأويله مُسْلِمِين لا يَمِيلُونَ إلى دِينٍ غير الإسلام.

وقوله: ﴿غيرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾.

ويقرأ فَتَخْطَفُهُ الطَّيرُ وفَتَخِطُّفُهُ. وقرأ الحسن فَتِخِطِّفُهُ بكسر التاء والخاء والطاء. فمن قرأ فَتَخْطَفُه بالتخفيف فهو من خَطِفَ يخطَفُ، والخَطْفُ الأخْذُ بسرعة، ومن قرأ فتَخِطِّفُه - بكسر الطاء والتشديد - فالأصل فَتَخْتَطِفُه فأدغم التاء في الطاء وألقى حركة التاء على الخاء ففتحها، ومن قَالَ بكسر الخاء والطاء، كسر الخاء لسكونها وسُكُون الطاء، ومن كسر التاء والخاء والطاء - وهي قراءة الحسن - فهو على أن الأصل تَخْتَطِفُه.

وهذا مثل ضَرْبَةِ اللَّه للكافر في بُعْده عِنَ الحق - فأعلم اللَّه أَنَّ بُعْدَ من أشْرَكَ به مِنَ الحق كبُعْدِ مَنْ خرَّ من السماء فذهبت به الطير أو هَوَتْ به الريحُ في مكانٍ سحيق - [أي] بَعِيدٍ.

---

(١) بيانيّة.

قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى القُلُوب﴾.

شعائر اللَّه المعالم التي نَدَبَ إليها وأَمَر بالقِيام بِها، واحَدتها شعيرة، فالصفا والمروةُ من شعائر اللَّه، والذي يُعْنَى به هنا البُدْنُ.

وقوله: ﴿لَكُمْ فِيها مَنَافِعُ إلى أَجَل مُسَمَّىً ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى البيتِ العتيقِ﴾، يعني أن لكم في البدن - قبل أن تُعْلِمُوهَا، وتُسَمُّوهَا هَدْياً إلى بيتي - مَنَافِعَ، فإذا أشْعَرْتُموهَا - والاشعار أن يشق في السنام حتى يَدْمَى ويعلق عليها نَعْلاً ليعلم أنها بدنة[1]، فأكثرُ النَّاسِ لا يرى الانتفاع بها إذا جُعِلَتْ بدنةً، لا بِلَبَنِهَا ولا بِوَبَرِهَا وَلَا بِظَهْرِهَا، يقول لا يُعْطَى لبنها ووبرها وظهرها أحَداً لأنها بدنة فلا ينتفع بها غير أهْل اللَّهِ إلَّا عند الضرورة المخُوفِ معها الموت، وبعضهم يقول: إنَّ له أنْ ينتفع بها فيركبها المُعْيِي وينتفع بمنافعها إلى وقت محلها - مَكانِ نَحْرِها - . والحجة في ذلك أنّ النَبي ﷺ مرَّ برَجُلٍ يسُوقُ بدَنَةً فأمره ﷺ بركوبها، فقال إنَّها بدنة فأمَره الثانية وأَمَرهُ الثالثة، وقال له في الثالثة: اركبها ويْحَكَ، فهذا - يجوز أنّ النبي ﷺ رآه مُضْطراً في ركوبها من شدة الاعياء، وجائز على ظاهر الحديث أن يكون ركوبُها جائزاً. ومن أجاز ركوبَها والانتفاع بها يقول: ليس له أنْ يُهْزِلَها وينضِيَها لأنها بدنة.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً﴾.

وتقرأ مَنْسَكاً، والمنسك في هذا الموضع يدل على معنى النحر فكأنه قال جعلنا لكل أمَّةٍ أن تتقرَّبَ بأن تَذْبح الذَّبَائح لِلَّه، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿لِيَذْكُروا اسمَ اللَّهِ على ما رَزَقَهُم من بَهيمَةِ الأَنْعَامِ﴾، المعنى ليذكروا اسم اللَّه على نَحْرِ ما رَزقهم من بهيمة الأنعام، وقال بعضهم: المنْسَكُ الموضِعُ الذي يجب تعهده، وذلك جائز.

---

(١) البدنة من الإبل والبقر - محركة - كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة والبدنة تقال للذكر وللأنثى - ويجمع على بُدُن مثل كُتُب وجملة «قبل أن يعلم أنها بدنه» بمعنى قبل أن يعلم أنها هدي - لأن بدنة بمعنى هدي.

ومن قال مَنْسِك فمعناه مكانُ نُسُكٍ مثل مَجْلِس مكـان جُلوس. ومن قال مَنْسَك فهو بمعنى المصدر نحو النُّسُك والنُّسُوكِ.

وقوله: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

أي لا ينبغي أن تذكروا على ذَبَائحكم إلاّ اللّهَ وحده.

وقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾.

قيل المخبتون المتواضعون، وقيل المخبتون المطمئنون بالإيمان باللَّه عزّ وجلَّ، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظُلِمُوا لم ينتصروا. وكل ذلك جائز.

واشتقاقه من الخَبْتِ مِنَ الأَرْضِ وهي المكان المنْخفِضُ منها، فكل مُخْبِت متواضع.

وقوله عزّ وجلَّ: ﴿والمُقِيمي الصَّلاةِ﴾.

القراءة الخفضُ واسقاط التَّنْوين، والخفض على الإضَافة، ويجوز: والمقيمين الصَّلاةَ، إلا أنه بخلاف المصحف. ويجوز أيضاً على بُعْدٍ والمُقِيمي الصَّلاةَ، على حذف النون ونصب الصلاة لطول الاسم، وأنشد سيبويه:(١)

الحافظو عورةَ العشيرةِ لا يأتيهم من ورائِهم نطف

وزعم أنه شَاذٌّ.

وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.

النصب أحسن لأن قبله فِعْلاً، المعنى وَجَعَلْنَا البُدْنَ، فنصب بفعل

---

(١) الشاهد ٢٩٨ في الخزانة، وكتاب سيبويه ١/ ٩٥، والأشموني ٢/ ٢٤٧. قال ابن السراج: وقد أجازوا «رأيت الضاربي زيداً»، وليس بحسن، وإنما جواز ذلك على أنك أردت التنوين فحذفتها لطول الاسم. والعورة: موطن الضعف، والنطف ـ بفتحتين العيب.

والبيت لعمرو بن امرىء القيس الخزرجي، وهو جاهلي، جد عبد الله بن رواحة ـ وكان لمالك بن العجلان يسمى بُجيرا فخر بسيده مالك الخزرجي بين الأوس، فقتله رجل منهم يقال له سمير، وأصر مالك على قتل سمير أو أخذ دية رجل حر. فوقعت بينهم حرب. ثم احتكموا إلى عمرو فقضى بدية مولى ولم يقبل مالك ـ فقال عمرو هذه القصيدة.

مُضْمَرٍ الذي ظهر يفسره. وإن شئت رفعت على الاستئناف. والبُدْن بتسكين الدَّال وَضَمِّها. بَدَنَةٌ وبُدْنٌ، وبُدُنٌ مثل قوله ثَمَرَةٌ وثُمْر وثُمُرٌ. وإنما سميت بَدَنَةً لأنها تَبْدُن، أي تَسْمَنُ.

وقوله: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْها صَوَافَّ﴾.

﴿صَوَافَّ﴾ منصوبة على الحال، ولكنها لا تنون لأنها لا تنصرف، أي قَدْ صَفَّتْ قَوائِمَها، أي فاذكروا اسم اللَّه عليها في حال نحرها. والبَعِيرُ ينحر قائماً، وهذه الآية تدل على ذلك، وتقرأ صَوَافِنَ، والصافن الذي يقوم على ثَلَاثٍ، فَالبَعِيرُ إذا أرادوا نَحره تعقل إحدى يديه فَهُو صَافِنٌ، والجمع صَوافِنُ يا هذا، وقرئت صَوافِيَ بالياء وبالفتح بِغَيْر تَنْوِينٍ وتفسيره خَوَالِص - أي خالصة للَّه عزّ وجلَّ، لا تُشرِكوا في التَّسْمِيةِ على نحرها أَحَداً.

وقوله: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾.

أي إذا سقطت إلى الأرض.

﴿فَكُلوا مِنْها وأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾.

بتشديد الراء، ويجوز والمُعْتَرِي بالياء، ويقال: وجب الحائط يَجِبُ وَجْبَةً إذَا سَقَط، ووجب القلب يجب وَجْباً وَوَجِيبا إِذَا تَحَرَّكَ من فَزَعٍ، ووجب البَيْعُ يجب وجُوباً وجِبَةً، والمستقبل في ذلك كله يجب، وقيل في القَانِع الذي يَقْنَعُ بما تُعْطِيهِ، وقيل الذي يَقنع باليسير. وقيل وهو مذهب أَهْل اللُّغَةِ السائل، يقال قَنَعَ الرجل قُنُوعاً إذَا سأَلَ، فهو قانع، وأَنْشَدُوا للشَّماخِ [1].

كمالُ المرء يُصْلِحُهُ فيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعَفُّ من القُنُوعِ

أي أعفّ من السؤال، وقنِعَ قناعةً إذا رَضِيَ فهو قَنِعٌ، والمُعْتَرُّ: الذي

(۱) انظر الطبري ۱۷/۱۱۰، والقرطبي ۱۲/٦٤ واللسان (قنع - فقر) ومجاز أبي عبيدة ط/٢٥١ - والمفاقر وجوه الفقر، وقيل جمع فقر على غير قياس مثل مشابه وملامح والقنوع السؤال.

يعتريك فيطلب مَا عِنْدَكَ، سألك إذ سئِلتَ عن السؤال وكذلك المعتري.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُها وَلاَ دِمَاؤُهَا﴾.

وقرئت: ﴿لَن تَنَالَ اللَّهَ لحُومُها﴾ بالتاء، فمن قرأ بالياء فَلِجَمْعِ اللحوم، ومن قرأ بالتاء فلجماعة اللحوم - وكانوا إذا ذَبحُوا لَطَّخوا البيت بالدَّمِ، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أنَّ الَّذِي يَصِلُ إليهِ تَقْواهُ وطَاعَتُه فيما يَأْمُر بِهِ.

﴿وَلَكِنْ يَنَالُه التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.

وتناله التقوى منكم - بالياء والتاء - فمن أَنَّثَ فللفظ التقوى، ومَنْ ذَكَّرَ فلأن معنى التقوى والتقى واحِدٌ

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ويدْفَعُ [عن الذين آمنوا]. هذا يدل على النَّصْرِ مِنْ عِنْده، أي فإذا دَفَعْتُم، أي فإذا فَعَلْتُم هذا، وخَالَفْتُم الجَاهِلِيّةَ فيما تفعلونَهُ فِي نَحْرِهِمْ، وإشراكهم باللَّه، فإنَّ اللَّه يدْفَعُ عن حِزْبِه.

وقوله: ﴿كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.

﴿خَوَّان﴾ فعَّال من الخِيَانَةِ، أي من ذكر اسم غير اللَّه وتَقَرَّبَ إلى الأصنام بِذَبِيحَتِه فهو خَوَّانٌ كَفُورٌ.

والبُدْنُ قيل إنها الإبِلُ خاصَّةً، وقيل إنها الإبل والبَقَرُ، وَلاَ أَعْلَمُ أَحَداً قال: إن الشاء داخلة فيها، فأما من قال إنَّها الإِبِلُ والبَقَرُ فَهُمْ أكبر فقهاء الأمْصَارِ، ولكن الاستعمال في السِّيَاقةِ إلَى البَيْتِ الإبل فلذلك قال من قال إنها الإبِلُ[1].

---

(١) أي من قال إن البدن هي الإبل فقط وليست البقر داخلة فيها قال ذلك مستنداً إلى أن الاستعمال فيما يساق للبيت هو الإبل.

وقوله: ﴿أُذِنَ للذين يُقَاتِلونَ﴾.

ويقرأ أُذِن للذين يُقَاتَلونَ، ويُقـرأ أَذِن للذين يُقَاتِلون ويُقَـاتَلونَ. والمعنى أذن للذين يقاتلون أن يقاتِلُوا. ويُرْوَى أَنَّها أول آيَةٍ نزلت في القِتَالِ.

﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾.

أي أُذِنَ لهم أن يقاتلوا بسبب ما ظلموا

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾.

وعدهم اللَّه النَّصْرَ، ولا يجوز أن يقرأ و«أَنَّ» اللَّـه - بفتـح أَنَّ، ولا بَيْنَ أهـل اللغة خِـلَافٌ في أن هذا لا يجـوز لأن «أنَّ» إذا كانت معهـا الـلام[١] لم تفتح أَبداً.

وقوله: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلَّا أَنْ يَقُولُوا﴾.

﴿الذين﴾ في موضع جَرٍّ، المعنى «أُذِنَ للذين أُخْرجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغير حق إلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ».

«أَنْ» في مَوْضِع جَرٍّ، المعنى أُخرِجُوا بلا حَقٍّ، إلَّا بِقَوْلِهم ربُّنَا اللَّهُ أي لم يخرجوا إلا بأن وَحَّدُوا اللَّه، فأخرَجَتْهُمْ عَبَدَةُ الأوثان لتوحيدهم.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ [صَوَامِعُ]﴾.

المعنى: ولولا أن دفع اللَّه بعض الناس ببعضٍ لَهُدِّمَتْ صوامع، وتقـرأ لَهُدِمَتْ، وهي صوامع الرُّهْبَانِ.

﴿وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾.

والبِيَعُ بِيَعُ النصارى، والصَّلَوَاتُ كنَائِسُ اليَهود، وهي بالعبرانيَّة صَلُوتَـا،

(١) أن المفتوحة لا تأتي لام التوكيد في خبرها.

وقرئت صَلاَةٌ وَمَسَاجِدُ، وقيل إنها مَوْضعُ صَلَواتِ الصَّابِئِين، وتأويل هذا: لـولا أن اللَّه - عزّ وجلّ - دَفَـع بعض الناس بَبَعْض لهُـدِّمَ في شـريعـة كُـلِّ نَبِيٍّ الـمَكَانَ الَّذِي كـان يُصَلِّي فيه، فَكَـانَ لولاَ الـدَّفعُ لَهُـدِمَ في زَمن مُوسى عليـه السلام الكنائس التي كان يصلي فيها في شـريعته، وفي زَمَنِ عيسى الصـوامع والبِيَعُ، وفي زمن محمد ﷺ[1] المساجِدُ.

وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُه﴾.

أي من أقام شريعة مِن شرائعه، نصر على إقـامة ذلـك، إلَّا أنَّهُ لاَ يُقَـام في شريعة نَبِيّ إلَّا ما أُتِيَ به ذلك النبيُّ ويُنْتَهَى عما نَهَى عَنْهُ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾.

﴿الذين﴾ في موضـع نصب على تفسيـر مَنْ، المعنى ولَيَنْصُـرَنَّ اللَّهُ مَنْ ينصُرُه ثم بيَّن صِفَةَ ناصِريه فقال:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَـاهُمْ في الأَرْضِ أَقَـامُـوا الصَّـلاَةَ وَآتـوُا الـزَّكَـاةَ وَأَمَـرُوا بِالمعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ﴾.

فَصِفَةُ حِزْبِ اللَّه الذينَ يُوحِّـدونَه، إقَـامةُ الصـلاة، وإيتاءُ الـزّكاة والأمْـرُ بـالمَعْرُوف والنهي عن المنكـر، وهما واجبـان كوجـوب الصلاة والـزّكاة أعْنِي الأمرَ بالمعروف والنَّهيَ عَنِ المُنْكَر.

﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِي خَاوِيةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

ويقـرأ أهْلكتُها، المعنى فكيف كـانَ نِكير أيْ ثم أخَـذْتُهُم فـأبْلَغْتُ أبلغ الإنكار. فأهْلكت قُرًى كثيرةً، لأن معنى فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ معنى فكم مِنْ قَرْيـةٍ، ومعنى كم من قريةٍ عدد كثير من القُرَى.

---

(١) نسخة عليه السلام.

ويجوز كأيِّن بتشديد الياء، ويجوز كـائِن مِنْ قَرْيَـةٍ، وهو عنـد البَصْرِّيين في معنى العدد الكبير، تقول: وكائن مِنْ رَجُلٍ جَاءَنِي معنـاه العدد الكثيـرُ مِنَ الرِّجَالِ.

﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾.

والعُـروش السُّقـوفُ، فـالمعنى أنهـا قَـدْ خَـرِبَتْ وخَلَتْ فصـارت على سُقُوفها كما قال في مَوْضعٍ آخر: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾(١)، يقال خوتِ الـدَّارُ والمدينةُ خَواءً، ممدودٌ، فهي خاوِيةٌ، وخَوِيَتِ المرأةُ وخـوِيَ الإنْسَانُ إذا خَـلاَ مِنَ الطَّعَامِ خَوًى، مَقْصورٌ فهو خَوٍ.

وقوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.

أكثـر ما جـاء في مَشِيدٍ من التَّفْسِيـر مُجَصَّصٌ، والشِّيـدُ الجصُّ والكَلْسُ أيضاً شِيدٌ، وَقِيلَ مَشِيدٌ مُحَصَّنٌ مُرْتَفِعٌ، والمُشَيَّد إذَا قيل مُجَصَّصٌ فهـو مُرْتفـعٌ في قَدْرِهِ وَإن لَمْ يرتفع في سُمكِهِ، وأصل الشِّيدِ الجصُّ والنُّورَةُ، وكل مـا بُنِيَ بِهِمَا أو بِأَحَدِهِمَا فهو مُشَيَّدٌ.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

القلبُ لا يكـون إلاَّ في الصَّـدْرِ ـ ولكن جَـرَى عَلَى التَّـوكِيـدِ كمـا قـال عزَّ وَجَلَّ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾(٢)، وكما قال: ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾(٣)، وكما قرأ بعضهم: ﴿لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُـونَ نَعْجَةٌ﴾(٤). فالتـوكيـد جـار في الكـلام مبـالـغٌ في الإفْهَامِ.

---

(١) سورة الحجر الآية ٧٤.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٧.

(٣) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٤) سورة ص الآية ٢٣.

وقوله:﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

قيل إنَّ يوْماً من أيَّامِ عَذَابِهم كألف سَنَةٍ، ويدل على ذلك الحديث الذي يُرْوَى أن الفقراء يُدْخُلونَ الجنة قَبْلَ الأَغْنِياءِ بِنِصفِ يومٍ.

وجاء في حديث آخر تفسير هذا القول بخمسمائةِ عَامٍ. فهذا يدل على أنَّ اليومَ مِن أيَّامِ القِيامة ألفُ سَنَةٍ، والذي تدل عليه الآية - واللَّهُ أعلَمُ - أنهم اسْتَعجَلُوا فأعلم اللَّه عزَّ وَجَلَّ أنه لا يَفُوتُه شيءٌ، وأَنَّ يوماً عنده وألف سنةٍ في قُدْرَتِه وَاحدٌ، وأن الاستعجال في ميعادهم لا فرق [فيه] بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره في القدرة إلَّا أنَّ اللَّهَ - جلّ ثناؤه - تفضل بالإمهال، وغَفَر بِالتوبَةِ، فالتأخير الفرق بينه وبين التقديمَ تفَضُّل اللَّه عزَّ وَجَلَّ بالنَّظِرَةِ. ثم أعلم - عزَّ وَجَلَّ - أَنَّه قد أخذ قَوْماً بعد الإملاءِ والتأخير عُقوبةً منه ليزدادوا إثماً فقال بعد قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ﴾، وبعد تمام الآية ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمةٌ ثُمَّ أَخَذْتُها وَإِليَّ المَصِيرُ﴾.

المعنى ثم أَخَذْتها بالعَذَابِ، واستُغْنِيَ عن ذكر العذاب لِتقَدُّمِ ذكره في قوله:﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ﴾.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾.

أي ظانِّينَ أنَّهم يعجزوننَا لأنهم ظَنُّوا أنهم لا يُبْعَثُونَ، وأَنَّهُ لَا جَنَّةَ ولا نار، . وقيل في التفسير معاً جزين معاً ندين، وليس بخارج من القول الأول، وقُرِئت معَجِّزِين، وتأويلها أنهم كانوا يُعَجِّزُونَ من اتبع النبي ﷺ ويُثَبِّطُونَهُمْ عنه.

وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشيطان فِي أُمْنِيتِهِ﴾.

معنى إذَا تَمَنَّى إذَا تَلَا، ألقى الشيطان في تِلَاوَتِهِ، فذلك

محنةٌ من اللّه ، ـ عزّ وَجلَّ ـ وله أنْ يمْتحن بما شاء، فألقى الشيطان على لسان النبي ﷺ شيئاً من صفة الأصنام فافتتن بذلك أهلُ الشقاق والنفاقِ ومن في قلبه مرض فقال اللّهُ عزّ وَجلّ :

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والقَاسِيةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ثم أعلم أنهم ظالِمُونَ، وأنَّهُمّ في شِقاقٍ دَائِمٍ ، والشّقاق غاية العداوةِ فقال:

﴿وإنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

ثم أعلم أن هؤلاَءِ لا يَتُوبُونَ فقال:

﴿ولايَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا في مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ أي في شك منه.

﴿حَتّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي مفاجأة.

﴿أوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾.

أصل العُقم، العقمُ في الولادة، يقال: هَـٰذِهِ امرأةٌ عقيمٌ، كما قال اللّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَقَالَتْ عجُوزٌ عقيم﴾(١)، وكذلك رجل عقيم إذا كان لا يُولِدُ

قال الشاعر(٢):

عَقِيمَ النِّسَاءُ فَلاَ يَلِدْنَ شَبِيهَه ... إن النساء بمثله عقمُ

والريح العقيمُ التي لا تأتي بسحاب يُمْطِر، وإنما تأتي بالعذاب، واليوم العقيمُ هُوَ الّذِي لا يَأْتي فيه خيرٌ، فيوم القيامةِ عقيمٌ على الكفار كما قال اللّه

---

(١) في سورة والذاريات الآية ٢٩ وهي: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

(٢) في اللسان (عقم) وقبله:

نزر الكلام من الحياء تخاله ... ضمناً وليس بجسمه سُقْمُ

متهلل بنَعمْ، بلا متباعدٌ ... سيان منه الوفر والعدم

والضمن السقيم. والأفصح في عقم أن يقال: عَقَم اللّه رحمها، بالتشديد وعقَمَتْ هي، ومن قال عقَمت أو عقِمت ـ بفتح العين أو كسرها قال أعقمها اللّه وهي عقيم.

ـ عزّ وجل ـ: ﴿عَلَى الكَافِرينَ غيرُ يَسِيرٍ﴾[1]. وليس هو على المؤمنين الذين أُدْخِلوا في رحمة اللَّه كذلك.

وأنشد بعض أهل اللغة في قوله تمنى في معنى تلا قول الشاعر[2]:

تمنى كتاب اللَّه أول ليلة   تمنى داود الكتاب عَلَى رِسْلِ

أي تلا كتاب اللَّه مترسِّلاً فيه كما تلا داود الزبور مترسِّلاً فيه.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

﴿ذلك﴾ في موضع رفع، المعنى الأمر ذلك، أي الأمر ما قصصنا عليكم.

قوله: ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾.

الأول لم يكن عقوبةً، وإنما العقوبة الجزاء[3]، ولكنَّه سُمي عقوبةً لأن الفِعلَ الذي هو عقوبة كان جزاء فسمي الأول الذي جوزي عليه عقوبة لاستواء الفعلين في جنس المكروه. كما قال عزّ وَجلَّ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[4]، فالأول سيئة والمجازاة عليها حسنةٌ من حسنات المُجَازِي عليها إلا أنها سُمِيَتْ سيِّئَةً بأنها وقَعَتْ إساءة بالمفعول به، لأنه فُعِلَ بِهِ مَا يَسُوءهُ وكذلك قوله ﴿مُسْتَهزِئُونَ. اللَّه يَسْتَهْزِئ بِهِمْ﴾[5]، جعل مجازاتهم باستهزائهم مسمَّى بلفظ فِعْلِهِمْ لأنه جَزَاءُ فعلهم.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾.

وقرئت مَخْضَرَةً.

---

(١) سورة المدّثر الآية ١٠.

(٢) هو حسان بن ثابت رضي اللَّه عنه يرثي عثمان بن عفان ـ وأول ليلةٍ أو أول لَيْلِهِ ـ أي قرأ القرآن كله أول الليل. (انظر شواهد الكشاف).

(٣) الأول اعتداء والثاني عقوبة لأنه رد على الاعتداء.

(٤) سورة الشورى الآية / ٤٠.

(٥) سورة البقرة الآية ١٤ ـ ١٥.

ذكر اللَّه جلّ ثناؤه ـ ما يدل على توحيده من إيلاج الليل في النَّهارِ والنهار في الليل، وذكر إنزاله الماء يُنْبِتُ وذكر تسخير الفلك في البحر وإمساك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، فدل أنه الواحدُ الذي خلق الخلق وأَتى بما لا يمكن الْبَشَرَ أن يأْتُوا بمثله، ثم ذكر جهل المشركين في عِبَادَتِهِمْ الأصنام فقال عزّ وَجَلَّ:

﴿وَيَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّه مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً﴾.

أي ما لم يُنْزِلْ بِهِ حُجةً وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ.

ثم ضرب لهم مَثَلَ مَا يَعْبُدون، وأنه لا ينفع ولا يضر.

وأما القراءة: «فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً لَا غيرُ» قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ اللَّه أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضرَّةً﴾ فقال هذا واجبٌ ومعناه التنبيه كأنه قال: أَتَسْمَعُ؟ أنْزَلَ اللَّه من السماء ماء، فكان كذا وكذا، وقال غيره مثل قوله. قال مجاز هذا الكلام مجاز الخبر كأنه قال: اللَّه ينزل من السماء ماء، فتصبح الأرضِ مخضرَّةً، وأنشدوا[1].

ألم تَسْألِ الرَّبْعَ القواءَ فينطقُ   وهل يُخْبرَنكَ اليومَ بيداء سملقُ

قال الخليل: المعنى فهو مما ينطق، وأما من قرأ مَخْضَرَةً فهو على معنى ذات مَخْضَرة مثل مَبْقَلة ذات بقل، ومَشْبَعة ذات شِبَع، ولا يجوز مَخَضَرَّة ـ بفتح الميم وتشديد الراء ـ لأن مفعلَّة ليس في الكلام ولا معنى له.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّه سَخَّر لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ والفُلْكَ تَجْري﴾.

---

(١) البيت لجميل بن معمر ـ والربع القواء المقْفر ـ والسملق الذي لا شجر فيه وينطق خبر المبتدأ أي فهو ينطق، ولهذا رفع الفعل بعد فاء السببية. والبيت في شواهد المغني ٢١٦٢ ومعاني الفراء ٢/٢٢٩، والعيني ٤/٤٠٣ ـ ومن شواهد النحو الشائعة.

[الفُلْكَ] بالنَّصْب نَسقٌ على «ما» المعنى وسخر لكم الفلك! ويكون تجري حالاً، أي وسخر لكم الفلك في حَالِ جريها، ويقرأ: ﴿والفلكُ تجري في البحر بأمْره﴾، فيكون الفلكُ مرفوعاً بالابتداء، وتجْري هو الخبر، والمعنى معنى التسخير لأن جريها بأمره هو التسخير.

وقوله: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلَّا بِإذْنِهِ﴾.

على معنى كراهة أن تقع على الأرض، وموضع «أن» نَصبٌ بيُمْسِكُ، وهي مفعول. المعنى لكراهة أن تقع.

وقوله: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسِكاً﴾.

ومَنْسَكاً، وقد تقدم الشرح في هذا

وقوله: ﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ﴾.

أي لا يجادِلُنَّكَ فيه، ومعناه لا تُنَازِعَنَّهُمْ، والدليل على أن المعنى لا يُجَادِلنَّك وَلَا تُجَادِلَنَّهُمْ قوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

هذا قبل القتال، فإن قال قائل: فهم قد جَادَلُوه فَلِمَ قيل فلا يُنَازِعُنَّكَ في الأمر وهم قد نازعوه، فالمعنى أنه نَهْيٌ له ﷺ عن منازعَتِهِمْ كما يقول: لا يخاصِمَنَّكَ فُلَانٌ في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يَكونُ إلا من اثنين لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت لا يُجَادِلَنَّكَ فُلانٌ فهو بمنزلة لا تجادِلَنَّهُ، ولا يجوز هذا في قوله: لا يَضْرِبَنَّكَ فُلَانٌ، وأنت تريد لا تضربْهُ. ولكن لو قلت لا يُضَارِبنَّكَ فلانٌ لكان كقولك لا تُضَارِبَنَّ فلاناً. ويقرأ: «فَلَا يَنْزِعُنَّكَ في الأمر»: معناه لا يغلبُنَّكَ في المنازعة فيه، يقال: نَازَعَنِي فُلَانٌ فنزعتُه وَعَازَّني فَعَزَزْتُه[1]، أنزعه وأغْلِبُه، المعنى فلا يَغْلِبُنَّكَ في الأمْرِ.

وقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بالَّذِينَ يَتْلُونَ عليهِمْ آيَاتِنا﴾.

---

(١) عازّني أي غالبني، وعزَّني غلبني.

أي يكـادون يبطشـونَ بسطوةٍ على النبي ﷺ وأصحـابـه، والـذين يتلون عليهم القرآن.

وقوله: ﴿قُلْ أَفأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ﴾.

القـراءة بـالـرفـع وهي أثبت في النحــو مِنَ الجـرِّ والنَّصْبِ والخفض، والنَّصْبُ جائز، فأما من رفع فعلى معنى هو النار، وهي النار، كأنهم قالوا: مَا هَذَا الَّذي هُوَ شَرٌّ فقِيلَ النَّارُ. ومن قال النَّار بالجرِّ، فعلى البَدَلِ مِنْ شَرٍّ، ومَنْ قَـالَ النَارَ بـالنَصْبِ، فهو على معنى أعْني النـار، وعلى معنى أُنَبِّئُكُمْ بشَـرٍّ من ذلكم كأنه قال أُعَرِّفُكُم شَرًّاً من ذلكم النار.

وقوله: ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا له﴾.

لأنهم عبدوا من دون اللَّه ما لا يَسْمَـع ولا يُبْصِرُ ومـا لم يُنَزِّلْ بـه حجةً، فَأَعْلَمَهُم اللَّهِ عزّ وَجَلَّ الجواب فيما جعلوه للَّه مثلاً، وجعلوه له نِدًّا، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمعُوا لَه ﴾.

يعنى الأصنام، وكل من دُعِيَ مِن دُونِ اللَّهِ إلهاً لَا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَه.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهِمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنه﴾.

أعلم اللَّه - جلّ ثناؤه - أنه الخالق، ودل على وحـدانيته بجميـع ما خلق ثم أعلم أن الَّذِين عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ لا يَقْدِرون على خَلقِ وَاحِدٍ قَلِيلٍ ضعيفٍ مِنْ خَلْقِه، ولا على اسْتِنْقَاذِ تَافِهٍ حقيرٍ منه. ثم قال:

﴿مَاقَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

أي مـا عظمـوه حقَّ عَظَمتِـه، ثم أَعْلَمَ بَعْدَ ذِكـره ضَعْفَ قوة المَعْبُـودِينَ قُوَّتَهُ[1] فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

---

(١) أعلم قوته بعد ذكر ما بالمعبودين من ضعف.

وقوله: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ﴾.

يجوز ضَعُفَ، وضُعِفَ الطالب والمطلوب، أي فهم يضعفون عن أن يخلقوا ذُبَاباً، وعن أن يستنقذوا من الذباب شيئاً مع ضعف الذباب.

وقوله عزّ وَجلَّ: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾.

اصطفى اللَّه من الملائكة جبريل ومكائيل واسرافيل ومَلَكَ الموتِ واصطفى من الناسِ النبيينَ والمرسلين، صلّى اللَّه عليهم أجمعين.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدوا واعْبُدوا رَبَّكُمْ﴾.

أي اقصدوا بركوعكم وسُجُودِكم اللَّه وحدَهُ.

﴿وافْعَلُوا الخَيْرَ﴾.

والخير كلُّ مَا أَمرَ اللَّهُ بِهِ.

وقوله: ﴿لَعلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

هذا ليس بشكٍّ، ولكن معناه لِتَرْجُوا أَنْ تكونوا على فلاح، كما قال لموسى وهارون: ﴿اذْهَبَا إلى فِرعَوْنَ إنَّهُ طَغَى، فَقُولاَ له قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾(1)، أي اذهبا على رجائِكُمَا، كما يرجو النبي ممَّنْ يُبْعَثُ إليه، واللَّه عزّ وَجَلَّ من وراء العلم بما يؤول إليه أَمْرُ فرعونَ إلا أن الحجَّةَ لا تَقُوم إلاَّ بَعدَ الإِبَانَةِ.

وقوله عزّ وَجلَّ: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾.

قيل إنه بمنزلة قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وَأَن نسخها قوله: ﴿فاتقوا اللَّه ما استطعتم﴾.

وقوله: ﴿هو اجْتَبَاكُمْ﴾: معناه اخْتَارَكُمْ.

---

(1) سورة طه الآية ٤٤.

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عليْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أي مِنْ ضِيقٍ، جعل اللَّه على من لم يستطع الشيء الذي يثقل في وَقْتٍ، ما هُو أخف منه، فجعل للصائم الافطار في السفر، وبِقَصْر الصلاة للمُصَلِّي إذا لم يُطِقِ القِيام أن يُصَلّي قَاعدِاً[1]، وإن لم يطق القُعُودَ أَنْ يُومِئ إيماءً، وجعل للرجل أن يتزوج أَرْبعاً، وجعل له جميع ما ملكتْهُ يمينُهُ. فوسَّعَ اللَّه - عزّ وَجَلَّ - عَلَى خلقِه.

وقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبْرَاهِيمَ﴾.

معناه اتّبعوا مِلّةَ أبيكم إبراهيم. وجائز أن يكون مَنْصُوباً بقوله: اعبدوا ربكم وافعلوا الخير فعْلَ أبيكم إبراهيم.

وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾.

«هُوَ» رَاجِعَةٌ إلى اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - المعنى: اللَّه سَمَّاكُم المُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزِّلَ القرآن، وفي هذا القرآن سَمَّاكم المُسْلِمِينَ. وجائز أنْ يكون إبراهيمُ عليه السلام سمَّاكُم المُسلِمِينَ من قبل، وفي هذا، أي حكم إبراهيم أن كل من آمن بمحمد مُوَحِّداً للَّه فقد سماه إبراهيم مُسْلِماً.

وقوله: ﴿وتكونوا شُهَدَاءَ على النَّاسِ﴾.

يروى أن اللَّه سبحانه أعطى هذه الأمة ثلاثة أشياء لم يُعْطَها إلَّا الانبياء، جُعِلَتْ شَهِيدَةً على سائر الأُمَمِ، والشهادة لكل نبي على أُمَّتِه. وأن يقال للنبي عليه السلام: اذهب ولا حرج عليك، وقال [اللَّه] لهذه الأمَّة: ﴿وما جعل عليكُمْ في الدّينِ مِنْ حَرجٍ﴾، وأنه قال لكل نَبِيٍّ سَلْ تُعْطَه، وقال لهذه الأمّةِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

---

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في الأصل والمقصود منها واضح ولكنها غاية في سوء التركيب.

الفهارس

البحوث اللغوية

الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات

فهـرس الكتاب

مَعَانِي القُرآن وَإعرَابُه

لِلزَّجَّاج

أبي إسْحٰق إبْـراهيم بن السَّرِي
المتوفى سَنة ٣١١ هـ

شَرحُ وتحقِيق
دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزءُ الرّابع

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

سُورَةُ المؤْمِنُونَ
مَكِيَّة

بسم الله الرحمن الرِّحِيمِ

ومن السورة التي يذكر فيها المؤمنون.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المُؤْمِنُونَ﴾.

أي قد نَالُوا البَقاء الدائم في الخير، ومن قرأ قد أُفْلِحَ المؤمنونَ. كان معناه: قد أُصِيرُوا إلى الفلاح، ويروى عن كعب الحَبْر[1]. ان اللّه عز وجل لم يخلق بيده إلا ثلاثة أشياء، خلق آدمَ ﷺ بِيَدِه وخلق جنة عَدْنٍ بيده، وكتب التوراة بيده، فقال لجنة عدن تكلمي فقالت «قد أفلح المؤمنون» لما رأت فيها من الكرامة لأهلها،

---

(١) هو كعب الأحبار، تسميته بذلك أشهر من تسميته بكعب الحبر، وهو كعب بن ماتع الحميري يكنى أبا إسحاق، من آل ذي الكلاع الحميري، أدرك النبي ﷺ رجلاً ولكنه لم يسلم إلا في خلافة عمر وقيل في خلافة أبي بكر ـ وهو من القصاصين المشهورين وبسببه هو وابن وهب دخل الاسلام شيء كثير ـ دخل عليه عوف بن مالك وهو يقص على الناس في المسجد فقال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: لا يقص على الناس إلا أمير أو مأمور أو محتال ـ (في رواية أو متكلف) فأمسك عن القصص ـ حتى أمره به معاوية ـ وكان معاوية يقول عنه انه من أصدق المحدثين عن أهل الكتاب وأنه مع ذلك لنبلو عليه الكذبَ ـ وفسره بعضهم بانه يعني عدم الوقوع لما يخبر عنه أنه سيقع ولكن رويت عنه أحاديث بها شيء من التغيير ـ روى عنه من الصحابة ابن عمر وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير ومعاوية وكثيرون ـ من كبار التابعين ـ ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشام ـ قدم من اليمن إلى المدينة ثم خرج إلى الشام فمات بحمص سنة اثنتين وثلاثين. وانظره في الاصابة ت رقم ٧٤٩٦.

والمؤمنون المصدِّقُونَ بما أتى من عند اللَّه، وبأنه واحد لا شـريك لـه، وأن محمداً ﷺ نبيه.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾

أصـل الخشـوع في اللغـة الخضـوع والتَـوَاضـع، ودليـل ذلـك قـولـه: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْـواتُ للرَّحْمَنِ فَـلَا تَسْمَـعُ إِلَّا هَمْساً﴾[1]. وقال الحسن وقتَـادَةُ: خاشعون خائفون، وروي عن النبي ﷺ أنه كان إذا وقف في صلاته رفع بصره نحو السماء، فلما نزلت ﴿ الذين هم في صَلَاتِهِم خَاشِعُونَ﴾ جَعَلَ نظره موضع سُجُودِه.

﴿والَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

اللغو كل لَعِبٍ وهَزْلٍ، وكُلُّ مَعْصِيَةٍ فمُطَّرحـة مُلْغَاةٌ[2]، وهم الـذين قد شغلهم الجد فيما أمرهم اللَّه به عن اللَّغْوِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ للزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾.

معنى ﴿ فَاعِلُونَ﴾ مُؤْتُونَ.

﴿والَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

أي يحفظون فروجهم عن المعاصي.

﴿ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

مَوْضِعُ «ما» خفَضٌ ودخلت «على» ههنا لأن المعنى أنهم يـلامـون في إطْلاقِ ما حُظِـرَ عَلَيْهِم، إلَّا على أَزْوَاجِهِمْ فإِنَّهُم لَا يُـلَامون على مـا أُحِلَّ لَهُمْ مِنْ تَزَوَّج أَرْبـعٍ، ومِنْ ملك اليَمِين، والمعنى أنهم يـلامـون على مـا سِـوى أَزْوَاجِهِمْ وملك أيمانِهِمْ.

---

(١) سورة طه / ١٠٨.

(٢) مفروض أنها ليست من شأنهم فلا حديث لهم عنها.

﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾.

أي فمن طلب مَا بَعْدَ ذَلِكَ.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾.

ومعنى ﴿العادون﴾ الجائرون الظَّالمونَ الذين قَدْ تعدَّوا فِي الظُّلْمِ.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾.

ويقرأ لأمانتهم واحداً وَجَمْعاً.

﴿وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

أي يقومُون على حفظ أَمَانَتِهِمْ وَعَهْدِهم، يَـرْعَوْنَ ذلـك، وأصل الـرَّعْيِ في اللُّغَـةِ القيامُ على إصـلاح ما يتـولّاه الراعي من كـل شيءٍ، تقول: الإمـام يَرْعَى رَعِيَّتَهُ، والقيِّمُ بالغنم يَرْعَى غَنَمه، وفلان يَـرْعَى مَا بَيْنَـه وبَيْنَ فُلانٍ، أي يقوم على إصْلاح ما بينه وبينه.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾. وَصَلَواتِهِم يقرأان جميعاً.

﴿يُحَافِظُونَ﴾.

معناه يُصَلُّونَها لوقتها، والمحافظة على الصَّلَواتِ أَن تُصَلَّى في أَوْقَـاتِها. فأما الترك فَداخِـلٌ في بَابِ الخُرُوجِ عَنِ الدِّينِ. والذين وُصِفُوا بالمحافظة هم الذين يرْعَوْنَ أَوْقَاتَها.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ﴾.

أيَ من وصف بما جرى من الإِيمَانِ والعَمَلِ بما يلزم المؤمِنَ أُولئِكَ هُم الوارِثُونَ.

﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ﴾.

روي ان اللّه ـ جل ثناؤه ـ جعل لكل امْـرِئ بَيْتاً في الجَنَّةِ وَبَيْتاً في النَّارِ فمن عَمِلَ عَمَلَ أهلَ النَّارِ وَرِث بيتَه مِنَ الجَنَّةِ مَنْ عَمِلَ عَملَ أهـلِ الجَنَّةِ، ومن عَمِلَ عَمَلَ أهْلِ الجنة ورث بيته من النار من عَمِلَ عَمل أهل النَّارِ، والفِـرْدَوْسُ أصله رُومِيٌّ أعـرب وهـو البُسْتَـانُ، كـذلـك جـاء في التفسيـر. وقـد قيـل إنَّ الفِرْدَوْس يعرفه العَرَب، ويُسمَّى الموضِعُ الذي فيـه كـرم فـردوسـاً.

قال أبو إسحـاق: روينا عَنْ أَحْمَـدَ بنِ حَنْبل رحمـه اللّه في كتابه «كتاب التفسير»، وهـو مـا أجـازه لي عبـد اللّه ابنه عنـه أن اللّه عـز وجـل، بنى جَنَّـةَ الفِرْدَوْسِ لَبِنةً من ذهب ولَبِنةً من فِضَّةٍ، وجَعَلَ جِبَالهـا المِسْكَ الأذْفَـر. ورَوَيْنا عن غيره أن اللّه ـ جَلَّ ثناؤه ـ كنس جَنَّة الفردَوْسِ بيدِه، وبنـاها لبنـةً من ذهب مُصَفًّى ولبنةً مِنْ مِسْكٍ مُذَرًّى[1]، وغرس فيها مِنْ جَيِّدِ الفَاكِهَةِ وَجَيِّد الرَّيْحَانِ.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾.

سُلَالَة فُعالة. فخلق اللّه آدم ـ عليه السلام ـ مِنْ طِينٍ.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾.

على هذا القول يَعْنِي وَلَـدَ آدم. وقيل مِنْ سُـلَالَةٍ مِنْ طينٍ، من مَنِيِّ آدم ﷺ وسُلَالَة: القليلُ فيما يَنْسَلُّ. وكل مَبْنًى عَلَى فُعـالة، يـراد به القليـل. فمن ذلك الفُضَالَة والنُّخَالة والقُلَامَة. فَعَلَى هذَا قياسُه.

وقوله: ﴿فَخَلَقْنَـا العَلَقَة مُضْغَـةً فخلقنا المُضْغَـةَ عِظَامـاً فَكَسَوْنَـا العِظَام لَحْماً﴾ وتقرأ على أَرْبَعةِ أَوْجُهٍ أحدها ما ذكرنا. وتقرأ: ﴿فَخَلَقنا المضغة عَظْماً فكسونا العظم لحماً﴾ ويقرأ: ﴿فخلقنا المضغة عظاماً فكسونـا العظم لحمـاً﴾ ويقرأ: ﴿فخلقنا المضغة عَظْماً فكسونا العظام لحماً﴾. والتوحيد والجمعُ ههنا جائزان، لأنه يُعْلم أن الانسانَ ذُو عظام، فإذَا ذُكِّرَ على التوحيد فلأنه يَدُلّ على

---

(١) مصفى، لا تراب فيه.

الجمع، ولأنَّهُ مَعه اللحْمَ، ولفظه لفظ الواحِدِ، فقد عُلِمَ أنّ العَظْمَ يُرادُ به العِظَامُ. وقد يجوز من التوحيد إذا كان في الكلام دليلٌ على الجمع مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هذا قال الشاعر:

في حلقكم عظم وقد شجينا[١]

يريد في حلوقكم عِظامٌ.

وقوله عز وجل: ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾.

فيه ثلاثة أقوال: قِيل جُعِلَ ذكراً أَوْ أنثى، وقيل نفخ فيه الروح، وقيلَ أُنْبِتَ عليه الشَّعْرُ.

ويروى أَن عُمَر كان عند رسول اللّه ﷺ حين نزلت هذه الآية، فقال عَمرُ: فَتَبَارَكَ اللّه أَحْسَنُ الخَالِقِينَ، فقال ﷺ لعمر ان اللّه قد ختم بها الآية.

وقوله: ﴿ ثُمَّ إنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾.

ويجوز لمائِتون، ويجوز لَميْتُون. وأَجْوَدُها لَمَيِّتُونَ، وعليها القراءة. وجاءت مائتون لأنها لما يستقبل.

وقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرائِقَ ﴾.

يُعنَى به سبعُ سموات، فكل واحدة طريقة.

﴿وما كنَّا عن الخلق غَافِلِينَ﴾، أي لم نكن لنغفُلَ عن حفظهنَّ، كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[٢]. وجائز أن يكون ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ أي إنا لِحِفْظِنَا إيَّاهُمْ خلقنا هذا الخلق[٣].

---

(١) تقدم جـ ١/٨٣.

(٢) سورة الأنبياء / ٣٢.

(٣) على أن المراد بالخلق في الآية بنو آدم، وهذه الأشياء خلقت لأجلهم كقوله تعالى: ﴿خلق لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾.

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ﴾.

ويروى أن أربعة أنهار من الجنة، دجلةُ والفراتُ وَسِيحانُ وجِيحانُ، ومعنى فاسكناه في الأرض جعلناه ثابتاً فيها لا يزول.

وقوله: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾.

﴿شجرة﴾ منصوب، عطف على قوله: ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ به جَنَّاتٍ﴾ [أَي] وأنشأنا لكم به شجرةً. ويقرأ ﴿من طور سَيْنَاءَ﴾ بفتحَ السين، وبكسر السِّين، والطور الجبل، وقيل إن سيناء حجارةٌ، وهو - واللّه أعلم - اسمٌ لِمكَانٍ. فمن قال سَيْناء، فهو على وصف صحراء، لا ينصرف، ومن قال سِينَاء - بكسر السين - فليس في الكلام على وزن فِعْلَاء على أن الألف للتأنيث، لأنه ليس في الكلام ما فيه ألف التأنيث على وزن فِعْلَاءَ، وفي الكلام نحو عِلْباءٍ مُنْصَرِفٌ، إلا أن سِيناء ههنا اسم للبقعة فلا ينصرف.

قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾.

يقال نبت الشجر وأَنْبَتَ في مَعْنًى واحدٍ، قال زُهير:

رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم   قطيناً لهم حتى إذا أنبت البَقْلُ[1]

ومعنى ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ أي تنبت وفيها دُهْنٌ وَمَعَها دُهْنٌ كما تقول: جاءني زيد بالسيف، تريد جاءني ومعه السيف.

وقوله تعالى: ﴿وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ﴾.

---

(١) من لاميته المعروفة انظر اللسان (نبت شهب) وقبله.

إذا السنة الشهباء بالناس أجحفت   ونال كرام المال في الحجرة الأكل

والسنة الشهباء المجدبة التي لا مطر فيها، وقيل البيضاء لكثرة الثلج وعدم النبات وكرام المال - الابل الكريمة - ينالها الأكل أي تنحر لعدم اللبن بها - والحجرة: السنة الشديدة. شاهد الانصاف ٩٨ - والقصيدة في الديوان. وانظر اللسان (سبت).

يعنى بها الزَّيْتُون.

قوله: ﴿ إِنْ هُوَ الاَّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴾.

جنَّة في معنى جُنُون، والجنَّةُ اسم للجِنّ.

وقوله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبارَكاً ﴾.

تقرأ مُنْزَلاً وَمَنْزِلاً جميعاً، فالمَنْزِل اسم لكل ما نزلتَ فيه، والمُنْزَل المصدر بمعنى الانزال، يَقُول: أَنْزَلْتُه إِنْزالاً وَمُنْزَلاً ويجوز مَنْزَلاً، ولم يقرأ بها - فلا تقرأن بها- على معنى نزلت نزولاً وَمَنْزَلاً.

وقوله عز وجل: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مُتُّمْ - ومِتّم - وكُنْتُم تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ. هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾.

وهذا جوابُ الملأ مِنْ قَوْمِ ثمودَ. فأمَّا «أَنَّكُمْ» الأولى، فموضعها نصب على معنى أيَعدُكم بأَنَّكُمْ إذا متم، وموضع «أَنَّ» الثانية عند قوم كموضع الأُولى، وإنما ذُكِرَتْ تَوْكِيداً. فالمعنى على هذا القول: أَيَعِدُكم أنكُمْ تُخرَجُونَ إِذَا مِتمْ، فلما بَعُدَ مَا بَيْنَ أن الأولى والثانية بقوله: ﴿إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظَاماً﴾ أُعِيدَ ذِكر «أَنَّ» كما قال عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّه مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَه فَأَن لَهُ نَارَ جَهَنَّم﴾[1] المعنى فله نار جهنم. هذا عَلَى مذهب سيبويه، وفيها قولان آخران أجودهما أن تكون أن الثانية وما عملت فيه في موضع رفع ويكون المعنى أَيَعدُكُمْ أنكم إخراجُكم إذا مُتم[2]. فيكون انكم مخرجون في معنى إخراجكم، كأنه قيل: أيعدكم أنكم إخراجكم وقت موتكم وبعد مَوْتكم، ويكون العامِلُ في «إذَا» إخراجكم، على أن «إذا» ظرف، والمعنى أنكم يكونُ إخراجكم إذا مِتم. الثالث أن يكون إذا العامِلُ فيها «مِتُّمْ»، فيكون المعنى إنكمْ

(١) سورة التوبة الآية ٦٣.

(٢) لا بدّ من تقدير خبر - مثل اخراجكم حادث أو واقع أو محقق.

متى مُتُّمْ يقع إخْراجُكم، فيكون خبر إنّ مُضْمَراً، والقولاَن الأوّلاَنَ جَيّدانِ.

ويجوزُ: أَيعِدُكم أَنَّكُمْ إذا مِتّم أنكم مُخْـرَجُونَ، ولم يُقْـرأ بِهَا فـلا تقرأن بها. ويكونَ(١) المعنى في يعدكم يقول لكم(٢) ولكنها لا تجوز في القراءة لِأَنَّ القِرَاءَةَ سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُون ﴾.

يقرأ بفتح التاء وبكسر التـاء، ويجوز هيهـاتٍ هيهاتٍ - بـالتنوين - ويجوز هيهاتاً هيهاتاً، فأما الفتح والكسر بغيـر تنوينٍ فكثيـرتان في القـراءة، وذكرهمـا القراء والنحويون، وقد قرئت بالكسر والتنوين، فأما التنوين والفتح فـلا أُعْلَمُ أَحَدَاً قَرَأَ بِهِمَا(٣)، فلا تقرأَنَّ بِهَا.

فأما الفتح فالوقف فيه بالهاء. تقول هَيْهاهْ هَيْهاهْ - إذا فتحت ووقفت بَعْد الفتح، فإذا فتحتَ وَقَفْت على التاء سواءٌ عليك كنتَ تنوّنُ في الأصـل أو كنت مِمَّنْ لا يُنَوِّنُ.

فمن فتحها - وموضعها الرَّفْعُ وتأويلها البعد لما توعدونَ - فلأنها بمنزلـة الأصواتِ، وليْست مشتقَّةً من فِعْـلٍ فَبُنِيَتْ هيهاه كمـا بُنِيَتْ ذَيَّه وَذِيَّـه(٤). فإذَا كَسَرْتَ جَعْلَتها جَمْعاً وبَنيتها على الكسر. قال سيبويه: هي بمنـزلة عَلقـاه(٥). يعني في تأنيثها.

ومن جَعَلَهـا جَمْعاً فهي بمنـزلة قـول العـرب: استـأصـل اللّه عَرْقَاتِهمْ(٦)

---

(١) في الاصل ويقول.

(٢) أي لأنها بمعنى «قال» كسرت إن بَعْدَها.

(٣) أي بالتنوين والفتح. وقوله فلا تقرأن بها أي بهذه القراءة.

(٤) يقولون ما بها ذِيّة أي ما بها قرٌّ.

(٥) مفرد علقى، وهي اشجار تدوم خضرتها في القيظ، ذات أفنان طوال.

(٦) العَرْقاةُ والعُراقَةُ - بضم العين وبالراء المهملة - النطفة من الماء والمطرة الغزيرة.

وَعَرْقاتَهُمْ. فالذي يقول: عرقاتِهم ـ بالكسر[1]، جعلها جمعاً، وواحدها كأنه عَرْقَةٌ وَعَرْقٌ، وواحد هيهات على هذا اللفظ وان لم يكن حاله واحِداً: [2]هَيْهَةٌ. فان هذا تقديره ـ وان لم ننطق به. وأما عَرْقَاتٌ فقد تكلم بِوَاحِدِهَا. يقال عرق وعرقاةٌ وَعَرْقَةٌ وَعَرْقَانٌ. وإنّما كُسِرَ في الجَمْعِ لأنَّ تاء الفتح في الجمع كسر تقول: مررت بالهنداتِ، وكذلك رأيتُ الهنداتِ.

ويقال أَيْهَات في معنى هيهات. ويقال هيهات ما قلتَ وهيهات لما قُلْتَ، فمن قال هيهات ما قلت فمعناه البعد ما قلت، ومن قال: هيهات لما قلت فمعناهُ البعد لقولك، وأنشدوا:

فأيهات أيهات العقيق ومن به   وأيهات خل بالعقيق نواصله[3]

فأمَّا مَنْ نَوَّنَ هيهات فجعلها نكرة، ويكون المعنى: بُعدٌ لِمَا تُوعَدون.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾.

معناهُ عَنْ قليل، و«مَا» زائدةٌ بمعنى التوكيد، كأن مَعْنَاه: عَنْ قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ حَقًّا.

وقوله: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾.

الغثاء الهالكُ والْبَالِي من وَرَق الشّجرِ الذي إذا جرى السيلُ رأيته مُخَالِطاً زَبَدَهُ.

وقوله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾.

ويقرأ تَتْرًى، ويجوز تَتْرِي غير مُنَوَّنة بالكسر[4]، ولم يُقْرَأْ بِهِ فلا تَقْرأَنَّ

---

(١) بالكسر مكررة في الأصل.

(٢) في الأصل واحدٌ.

(٣) لجرير ـ يروى بالهمزة وبالهاء. والبيت في معاني الفراء ٢ / ٢٣٤. شواهد شذور الذهب ١٢٣.

(٤) بالامالة.

بِهِ. من قرأ بالتنوين فمعناه وَتْراً فأَبْدَل التَّـاءَ من الواو كمـا قالـوا تَوْلـج وهو من وَلِجَ، وأصله وَوْلج، وكما قالَ الشَّاعِرُ.

فإن يكن أَمْسَى البِلَى تَيْقُوري[1]

أي وَيْقُورِي، وهو فيعول من الوقار. وكما قـالوا: تُجَـاه وإنما هـو وُجَاه من المُواجِهة، ومن قال تترى بغير تَنْوينِ فإنما جعلها على فَعْلَى بألف التَّـأْنيثِ فلم ينَـوّن، ومعنى تَتْـرَى من المـواتَـرةِ، وقـال الأصمعي معنى واتَـرْتُ الخبـرَ اتبعت بعضَه بَعْضاً وبين الخبرين هُنيَّة. وقال غيره: المُوَاتَرَةُ المتـابعة، وأصـل كل هذا من الوِتْر، وهو الفَرْدُ، وهو أَنْ جَعَلْتَ كل وَاحِدٍ بعد صاحبه فَرْداً فَرْداً.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّه آيَةً﴾.

ولم يقـل آيتين، لأن المعنى فيهما آيَـة واحـدة، ولـو قيـل آيَتَيْن لجـاز لأنهمـا قد كـان في كل واحـد منهما ما لم يكن في ذَكَرٍ وَلاَ أنثى، مِنْ أن مَـرْيَمَ وَلَـدَتْ من غير فَحْـل، ولأن عيسى روح من اللّه ألقاه إلى مَـرْيَمَ ولم يكن هذا في ولد قط.

وقوله: ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إلى رُبْوَةٍ ﴾.

في ربوة ثلاث لغات رَبْوَة، ورِبْوَة، ورُبوة، وفيها وجهان آخران، رَبَاوَة، وَرِباوة. وهو عند أهل اللغة المكانُ المرتَفِع وجـاء في التفسير أنـه يعني بربـوة هَنَـا بيتُ المَقْدِس، وأَنـه كَبِدُ الأَرْضِ وأنـه أقرب الأرض إلى السمـاء. وقيـل يعني به دِمَشْقُ، وقيل فلسطِينُ والرَّحْلَةُ، وكل ذلك قد جاء في التَّفسير.

وقوله عز وجل: ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾.

---

(١) التيقور فيعول من الوقار - يقال: وقر يقر وقاراً - كـوعد وقيـل التيقور هـو التوقيـر - ويتقوري في البيت مضاف لياء المتكلم انظر اللسان (وقر).

أي ذات مُسْتَقَرٍّ، و «مَعينٌ» ماء جَارٍ من العُيُونِ. وَقَـالَ بَعْضُهُمْ يجوز أن يكـون «فَعِيلا»[1] من المَعْنِ، مشتقـاً من المَاعُـونِ. وهذا بَعِيـدٌ لأن المَعْن في اللغـة الشيء القليل، والمـاعونُ هُـوَ الزكـاةُ، وهو فـاعـول من المَعْنِ، وإنمـا سُمِيَتِ الزَّكَاةُ بالشيء القليل، لأنه يُؤْخَذُ مِنَ المالِ رُبْعَ عُشْـرِهِ، فهو قليـل من كثير، قال الراعي:

قــوم على الاســلام لمَّــا يَمْنَعــوا مَــاعُـونَهم ويُبَــدِّلُــوا التَّنْــزِيــلاَ[2]

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ واعْمَلُوا صَالِحاً﴾.

أي كلوا من الحلال، وكل مأكول حَلاَلٍ مُسْتَطَابٍ فهو داخل في هـذا. وإنَّمَا خُوطب بهذا رسول اللَّه ﷺ فقيل: يَاأَيُّها الرُّسُـلُ، وتَضَمَّنَ هَذَا الخـطابُ أن الرُّسُلُ جَمِيعاً كذا أُمِرُوا. وَرُوِيَ أن عيسى عليه السلام كان يأكل مِنْ غَـزْلِ أُمِّه، وأَطْيبُ الطَّيِّباتِ الغَنائمُ.

وقوله: ﴿وَإِنَّ هَذِه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

أي فاتْقُون لِهذَا. وقد فسرنا في سورةِ الأنْبياء كل ما يجوز في نظير هذه الآية.

وجملة تأويلها أن دينَكُمْ دِينٌ واحد، وهو الاسلام.

وأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أَنَّ قَوماً جعلوا دينهم أَدْيَاناً فقال:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بينهم زُبُراً﴾.

---

(١) في الأصل فعيل.

(٢) من لاميته بآخر ديوان جرير ط مصر. وهي لاميته المطولة التي قدمها لعبد الملك ـ وفيها تبرأ من أشياء كثيرة مثل اتباعه ابن الزبير أو الانحراف عن الاسلام في شيء، وتقدمت أبيات منها.

ويقرأ زُبَراً، فمن قرأ زُبُراً فتأويله جعلوا دينهم كُتُباً مُخْتَلِفة جمع زَبُورٍ وَزُبُرٍ، ومن قرأ زُبَراً أراد قِطَعاً.

وقوله عز وجل: ﴿ فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾.

ويجوز في غَمَراتِهِمْ، ومعناه في عَمايَتِهِمْ وَحَيْرتِهِم.

ومعنى: ﴿حَتَّى حِينٍ﴾.

أي إلى حين يأتيهم ما وُعِدُوا به من العَذَابِ.

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ [لهم في الخيرات]﴾ - بالنون - ويُسَارِع - بالياء - ويُسَارَعُ على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وتأويله أيحسبون أن إمْدَادَ اللَّهِ لَهُمْ بالمال والبنين مجازاة لَهُمْ؟ وإنما هو استدراج من الله لهم، و «ما» في معنى الذي، المعنى أيحسبون أن الَّذِي نمدهم به من مال وبنين. والخبر معه محذوف[1] المعنى نسارع لهم به في الخيرات، أي أيحسبون إمْدَادَ ما نُسارِعُ لهم به. فأما من قرأ يسارع فعلى وَجْهَين، أَحَدُهُمَا لا يحتاج إلى اضمار، المعنى: أيحسبون أن إمدادنا لهم يسارع لهم في الخيرات، ويجوز أن يكون على معنى يسارع الله لهم به في الخيرات، فيكون مثل نُسَارِعُ، ومن قرأ يسارَع لهم في الخيرات يكون على معنى يُسارَع الامْدَادُ لهم في الخيرات وعلى معنى نسارَع لهم في الخيرات، فيكون تقوم مقام مَا لَمْ يُسَمَّ لهم، ويكون مضمراً معه به. كما قلنا؛

وقوله: ﴿والَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ [وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهَمْ إلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ]﴾.

ويقرأ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا - بالقَصْرِ[2] - وكلاهما جَيِّدٌ بَالِغٌ، فمن قرأ «يُؤْتُونَ

(١) العائد على الخبر مقدر.

(٢) في الأصل قصر.

مَا آتَوْا﴾ فإن معناه يعطون ما أَعْطَوْا وهم يخافون ألا يَتقبل منهم. قلوبُهم خائفة لأنهم إلى رَبّهم رَاجِعُونَ، أي لأنهم يوقنون بأنهم راجعون إلى اللَّه - عز وجل -.

ومن قرأ «يأتون ما أَتَوْا » أي يعملون من الخيرات [مَا يَعْمَلُونَ] وقلوبُهم خَائِفةٌ. يخافون أن يكونوا مع اجتهادهم مقصرين.

﴿ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ ﴾.

وجائز يُسْرِعُونَ في الخيرات، ومعناه معنى يسارعون. يقال اسْرَعت، وسَارَعْتُ في معنى واحدٍ، إلَّا أن سارعت أبلغ من أَسْرَعْتُ.

وقوله: ﴿ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾.

فيهِ وجهانِ أحدهما معناه إليها سابقون، كما قال: بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لها، أي أَوْحَى إليها، ويجوز: ﴿وَهُمْ لها سابِقُونَ﴾ أي من أجل اكتسابها، كما تقول: أَنَا أُكْرِمُ فُلَانَاً لك، أي مِنْ أَجْلِكَ.

وقوله: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إلَّا وُسْعَهَا ﴾.

ويجوز: ولا يُكَلِّفُ نفساً إلَّا وُسْعَها، ولم يقرأ بها ولو قرئ بها لكانت النون أجود - لقوله عز وجل:﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ﴾.

وقوله: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرةٍ مِنْ هَذَا ﴾.

يجوز أن يكون «هَذَا» إشارةً إلى ما وصف من أعمالِ البِرّ في قوله: ﴿إنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ - إلى قوله ﴿يُسَارِعُونَ في الخيرات﴾[1].

أي قُلُوبُ هؤلاء في عَمَايةٍ من هذا، ويجوز أن يكون «هذا» إشارةً إلى

(١) بعده:﴿وَالَّذِينَ هُمْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤمِنُونَ، والَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

الكتـاب، المعنى بـل قلوبهم في غمـرة من الكتـاب الـذي ينـطِقُ بـالحقِّ، وأعمالهم مُحْصَاةٌ فيه.

قوله: ﴿وَلَهُم أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾.

أخبر اللَّه - عز وجـل - بما سيكـون فيهمُ، فأعلم أنهم سيعملون أَعْمـالاً تباعد من اللَّه غير الأعمال التي ذكروا بها.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالعَـذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ [أي] يضجُّون، والعذاب الذي أُخِذُوا بِهِ السَّيْف، يقال جَأَر يجأر جُؤَاراً، إذَا ضَـجَّ.

وقوله: ﴿تَنْكِصُونَ﴾ [أي] تَرْجِعُونَ.

وقوله: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِه﴾.

منصوب على الحال، وقـوله «بـه» أي بالبيْتِ الحـرام، يقولـون: البَيْتُ لَنَا.

وقوله: ﴿سَامِراً﴾.

بمعنى «سُمَّارا» ويجوز سُمَّاراً، والسَّامِرُ الجَمَاعَةِ الذين يَتَحَـدَّثُونَ لَيْـلاً، وإنما سُمُّوا سُمَّاراً مِنَ السَّمَرِ، وهو ظل القمـر، وكذلِـكَ[1] السُّمْرَةُ مشتقـة من هذا.

وقوله: ﴿تَهْجُرُونَ﴾.

أي تَهجْرونَ القُرآن، ويجوز تَهْجِرُونَ: تهـذُونَ. وَقُرِئَتْ: تُهْجِـرُونَ أي تقولون الهُجْرَ، وقيل كانوا يسبُّون النبي ﷺ. ويجوز أن تكـون الهاء للكتـاب، وَيَكُونُ المعْنَى فكنتُم على أَعْقَابكُمْ تَنكِصُون مستكبرين بالكتاب. أي يحـدث

(١) في الأصل وكذَلِكَ من السُّمرة مُشتقة من هذا.

لكم بتلاوته عَلَيكُمْ اسْتِكْبَارٌ، ويجوز تنكَصُونَ، وَلاَ أعْلَمُ [أَحداً] قرأ بها.

وقوله: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾.

جَاءَ في التفسير أن الحق [هو] اللَّه - عز وجل - ويجوز أن يكـون الحق الأول في قوله: ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالحَقِّ﴾ [التنزيـل] أي بالتنـزيل الـذي هُوَ الحَقُّ، ويكون تأويل: ولو اتَّبع الحق أَهْوَاءَهُمْ. أي لو كان التنزيل بِمَا يُحِبُّونَ لَفَسدتِ السمواتُ والأرْضُ.

وقوله: ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾.

أي بمـا فيه فخـرهم وشَرَفُهُمْ، ويجـوز أن يكون بـذكرهم، أي بـالذكـر الذي فيه حظ لهم لو اتَّبَعُوهُ.

وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فخراج رَبِّكَ خَيْرٌ ﴾.

أي أم تسألهم على ما أتيتهم به أجراً. ويقرأ: ﴿خِرَاجاً فَخَرَاجُ رَبِّك خَيْرٌ﴾.

ويجوز خَراجاً فَخَرْج رَبِّكَ خَيْرٌ.

وقوله: ﴿لَنَاكِبُونَ﴾.

معناه لَعَادِلُونَ عن القَصْدِ.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ومَا يَتضَرَّعُونَ ﴾.

أي ما تواضعوا. والذي أُخذوا به الجُوعُ.

﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾.

قيل السَّيف والقتل.

﴿إِذَا هُمْ فيه مُبْلِسُونَ ﴾.

المبلس الساكن المتحيّر.

﴿قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ان كنتم تعلمـون، سَيَقُـولُـونَ لِلَّهِ﴾.

هذه للَّه لا اختلاف بَيْنَ القُرَّاء فيها، ولو قرئت اللَّهُ لَكَانَ جَيْداً. فأما اللَّتَانِ بعـدها فـالقراءة فيهمـا سيقولـون اللَّهَ ولِلَّهِ. فمن قرأ سيقـولـون اللَّهُ فهـو على جواب السؤال، إذا قال: ﴿من رب السمـوات السّبع﴾، فـالجواب اللَّهُ، وهي قراءة أهل البَصْـرَة، ومن قرأ للَّه فَجيّـدٌ أَيْضاً، لـو قيل مَنْ صَـاحِبُ هذه الـدار فـأجيب زيـدٌ لكـانَ هـذا جـواباً على لفظ السؤال. وَلَـوْ قلت في جـواب من صاحب هذه الدار: لِزَيْدٍ، جاز. لأن معنى «من صاحب هذه الـدار» ـ لمن هذه الدار.

وقوله: ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْه ﴾.

أي هُوَ يُجير من عَذَابِه ولا يجير عليه أَحَدٌ من عَذَابه. وكذلـك هو يجيـر من خلقه ولا يجير عليه أَحَدٌ.

وقوله: ﴿ فَأَنَّى تُسْحَرُونُ﴾.

معنى تُسْحَرُونَ، وتُؤفَكُونَ: تصرفون عن القَصْدِ والحَقِّ.

وقوله تعالى: ﴿إِذَنْ لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ ﴾.

أي طلب بعضُهم مغالَبَة بعْضٍ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾.

معنـاه تنزيـه اللَّه وتبرئتـه من السُّوءِ، ومن أن يكـون إلٰهٍ غَيـرُهُ تعالَى عَنْ ذَلِك عُلُوًّا كَبيراً.

وقوله: ﴿ قُـلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُـوعَدُونَ، رَبِّ فَـلاَ تَجْعَلْني فِي القَـوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

الـفاء جَـوَابُ الشَّـرْطِ شـرط الجــزاء، وهــو[١] اعتــراض بين الشـرط والجـزاء، المعنـى إمَّـا تُـرِيَنِّي مَـا يُـوعَـدُونَ فـلا تَجعلني يـا ربِّ في القـوم الظالمين، أي إنْ نَزَلَتْ بِهِمُ النِّقمةَ يا ربّ فاجعلني خارجاً عنهم، ويجوز «فَـلاَ تَجْعَلَنِّي»، ولم يقرأْ بها.

وقوله: ﴿وقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾.

واحـد الهمزات هَمْـزَة، وهو مَسُّ الشَّيْـطانِ، ويجوز أن يكـون نَـزَغَـاتِ الشيطان، ونَزْغُ الشيطان وَسْوَسَتُه حتى يَشْغَل عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تعالَى.

وقوله: ﴿ وأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾.

ويجوز «وَأَعُوذُ بِكَ رَبُّ أَن تَحْضُرُونِ» ولم يقرأ بها فلا تقرأن بها. ويجوز وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ يَحْضُـرُونِ، ويجوز رَبِّيْ. فهـذه أربعة أَوْجُـهٍ. ولا ينبغي أن يقرأ الا بواحد، وهو الذي عليه الناس. . رَبِّ بكسر الباء وحَذْفِ اليـاء، والياء حُذِفَتْ للنِّدَاءِ، والمعنى وأعوذ بك يا رَبِّ. من قال ربُّ بالضَّمِّ فعلى[٢] معنى يا أيها الربُّ ومن قال رَبِّي فعلى الأصل. كما قال يا عبادِي فاتَّقُونِ.

وقوله: ﴿ حَتَّى إذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ ﴾.

يعني به الذين ذُكِرُوا قَبْلَ هذا المَوْضِـع. ودَفَعُوا[٣] البَعْثَ فـأعلم أنه إذا حضر أَحَدَهُم الموتُ ﴿قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فيما تَرَكْتُ﴾.

وقوله: ﴿ارْجِعُونِ﴾ وهو يريد اللَّه ـ عز وجل ـ وَحْدَه، فجاء الخطابُ في المسألة على لفظ الاخْبـار[٤] لأن اللَّه عز وجـل قال: ﴿إنا نحن نحيي ونميتُ﴾.

---

(١) أي لفظ الجلالة «رب» نداء معترض بين الشرط وجزائه.

(٢) في الأصل على.

(٣) أنكروه.

(٤) بلفظ الجماعة ـ والجملة ليست خبراً اذ هي دعاء.

وهـو وحْدَهُ يُحْيِي ويُمِيتُ. وهـذا لفظ تعرفـه العَرَبُ للجليـل الشأن يخبـر عن نفسه بما يخبر به الجماعةُ، فَكذلك جاء الخطاب في ارْجِعُونِ.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾: ردع وتنبيه.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

«يوم» مضافُ إلى «يُبْعَثُونَ» لأن اسماء الزمان تضاف إلى الأفعال والبـرزخ في اللغة الحاجز، وهو هَهُنا ما بَيْنَ موت الميت وبَعْثِه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

قيـل: هـذا في النفخـة الأولى ويجـوز أن يكـون بعـد النفخـة الثـانيـة والصور، جاء في التفسير أنه قَرْنٌ ينفخ فيه فيبعث الناس في النفخة الثانية، قال عز وجل: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْـرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(١). وقـال أهل اللغـة كثير منهم: الصور جَمْعُ صُورة، والذي جاء في اللُّغَةِ جمع صورة صُـوَرٌ، وكذلـك جاء في القرآن: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكم﴾(٢)، ولم يقرأ أحدٌ فأحسن صُورَكم، ولو كان أيضاً جمع صُورة لقال أيضاً: ثم نُفِخَ فِيهَا أُخْرَى، لأنـك تقول: هـذه صُور، ولا تقول هَذَا صُورٌ إلا على ضَعْفٍ فهو عَلَى مَاجَاء في التفسير.

فأما قوله: ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿وَقِفُوهُم إِنَّهُم مَسْؤولُونَ﴾(٣) وقال في مـوضع آخـر ﴿وأقبل بعضهم عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾(٤) فيقول القائل: كيف جاء «ولا يتساءلون»، وجاء «وأقبل بعضهم على بعض يَتَسَاءَلُونَ». فـإن يوم القيـامةِ مقـداره خمسون

---

(١) سورة الزمر الآية ٦٨.

(٢) هذا رَأي أبي عبيدة وحدُه.

(٣) سورة والصافات الآية ٢٤.

(٤) سورة والصافات الآية ٢٧.

ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال. وإنمـا قيل يـومَئِذٍ كمـا تقول: نحن اليـوم بفعل كذا وكذا، وليس تريد به في يومك إنما تريد نحن في هذا الزمان، «فيومَ» تقع للقطعة من الزمان. وأمَّا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِه إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1]. فلا يسأل عن ذنْبِهِ ليستفهم، قد علم اللّه عز وجل مـا سَلَفَ مِنْهُمْ. وَأَمَّا قوله: ﴿وَقِفُـوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ فيسألـون سـؤال تـوبيـخ لا سؤال اسْتِفْهَـامٍ كمـا قال: ﴿وإذا الموؤودة سُئِلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ﴾[2]، وإنما تسأل لتـوبيخ مَنْ قَتَلَهَـا، وكذلـك قوله: ﴿أأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[3]. فما يُسأل عنه يومَ القيامة تَقْرِيـرٌ وتوبيـخٌ، واللّه ـ عز وجـل ـ قَدْ عَلِمَ مـا كان، وأَحْصَى كبيـر ذلَك وصَغِيرَهُ.

وقوله: ﴿ تَلْفَحُ وُجوهَهُمُ النَّارُ﴾.

يلفـح وينفح في مَعْنًى واحِـدٍ، إلا أن اللفـح أَعْـظَمُ تـأثيـراً، ﴿وَهُمْ فِيها كَالِحُونَ﴾.

والكَالِحُ الذي قَد تَشَمَّـرتْ شَفَتُه عَنْ أَسْنـانِه، نحـو ما تـرى من رُؤوسِ الغَنَم[4] إذا مسَّتْهَا النَّار فبرزت الاسنان وتشمرت الشِّفَاهُ

﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾.

وَتُقْرَأُ شَقَاوَتُنَا، والمعنى وَاحِدٌ.

﴿وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾.

أَقَرُّوا بذلك.

---

(١) سورة الرحمن ٣٩.

(٢) سورة التكوير الآية٨ و٩.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٦.

(٤) الرؤوس المذبوحة التي تطبخ.

وقوله: ﴿ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾.

معنى اخْسَأُوا تباعَدُوا تَباعدَ سُخْطٍ. يقال خَسَأْتُ الكلْبُ أَخْسَؤُهُ إذا زَجَرْتُه ليتباعَدَ.

وقوله: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾.

الأجود إدْغام الدال في التاء لِقُرْب المَخْرَجَيْن[١]، وإن شئت أظهرت، لأن الدال من كلمة والتاءَ مِنْ كلمة، والدال بينها وبين التاء في المخرج شيءٌ مِنَ التَّباعِدُ، وليست الذَّال من التاء بمنزلة الدال من التاء. والتاءُ والطَّاءُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وهي من أُصُولِ الثنايَا العُلَا وطرف اللِّسَانِ. والذال من أطراف الثنايا العُلَا وَدُوَيْنَ طَرَفِ اللِّسَانِ.

وقوله: ﴿سُخْرِيًّا﴾. يقرأ بِالضَّم والكَسْرِ، وكلاهما جَيِّدُ، إلَّا أَنَّهُمْ قالوا إن بعض أهل اللغة قال: ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وَمَا كان من جهة التسخير فهو بالضم، وكلاهما عند سيبويه والخليل وَاحِدٌ، والكسرُ لإتباع الكسر أحسن[٢].

وقوله: ﴿إني جَزَيْتُهُم اليَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾.

الكسر أجود لأن الكسر على معنى إنِّي جَزَيْتُهُمْ بِمَا صَبروا، ثم أَخْبَر فقال: إنهم هُمُ الفَائِزُونَ: والفتح جَيِّدٌ بالغ، على معنى: ﴿إني جَزَيتُهم﴾ لأنهم هم الفائزون، وفيه وجه آخر: يكون المعنى جزيتهم الفوز، لأن معنى ﴿أَنَّهُم هم الفَائِزُونَ﴾. فوزُهُمْ، فيكون المعنى جزيتهم فَوزَهُمْ.

وقوله: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾.

---

(١) لا تقرأ «فاتختموهم». لأن الذال لا تدغم ـ كما تدغم الدال ـ في التاء.

(٢) كسر السين في سخريا لإتباع الراء.

«كم» في موضع نَصْبٍ بقوله: ﴿لَبِثْتُم﴾، و ﴿عَدَدَ سِنينَ﴾ منصوب بِكَمْ، ويجوز كم لَبِثّم في الأرض مُشَدَّدَ التَّاءِ[١]، وكذلك يجوز في الجَوابِ.

﴿قالوا لَبِثْنَا [يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] ﴾ وَلُبِثْنَا.

وقوله: ﴿ فَاسْأَلِ العَادِّينَ ﴾.

أي فاسأل الملائكة الذين يحفظون عَدَدَ مَا لَبِثْنا ﴾.

﴿قَالَ إن لَبِثْتُم إلاَّ قَلِيلاً لو أَنَّكُمْ كنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

معناه ما لَبِثْتُمْ إلاَّ قَليلاً.

وقوله: ﴿ وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ وَتَرْجِعُونَ.

وقوله: ﴿فَإنَّمَا حِسَابُه عِنْدَ رَبِّه إنَّه لَا يُفْلِحُ الكافِرُونَ﴾.

التأويل حسابه عند رَبِّه فإنه لا يفلح الكافرون والمعنى الذي له عند رَبِّهِ أنه لا يفلح[٢]، وجائز أَنَّه لا يفلح الكافرونَ بفتح أَنَّ، ويجوز أن يكون فأنما حِسَابه عند ربّه فيجازيه عليه كما قال: ﴿ثُمَّ إن عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾[٣].

---

(١) جعلت الثاء تاء وأدغمت التاء في التاء.

(٢) لا يستقيم هذا مع كسر أن إذ هي في موقع الخبر.

(٣) سورة الغاشية الآية ٢٦.

سُورَةُ النور
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾.

القراءة الرفعُ، وقرأ عيسى بنُ عُمَر سُورةً بالنَّصْب. فأما الرفع فَعلى إضمار هذه سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا، ورفعها بالابتداء قبيحٌ لأنها نَكِرَةٌ، وأَنْزَلْناهَا صفةٌ لها. والنَّصْبُ على وَجْهَيْن، على معنى أنزلنا سُورَةً، كما تقول زيداً ضربته، وعلى معنى اتْلُ سُورَةً انزلناها.

﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾.

بتخفيف الراء، ويقرأ بالتشديد في الراء، فمن قرأ بالتخفيف فَمَعْنَاهُ ألزمناكم العَمَل بما فُرِضَ فيها، ومن قرأ بالتَّشْدِيد فَعَلَى وجهين، أحدهما على معنى التكثير، على معنى انا فَرَضْنَا فيها فُرُوضاً كثيرةً وعلى معنى بيَّنَّا وفصّلنَا ما فيها من الحلال والحرام.

وقوله: ﴿الزَّانِيَةُ والزَّانِي فاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَائَةَ جَلْدَةً﴾.

القراءة الرفع، وقرأ عيسى بنُ عُمرَ بالنصب، الزانيةَ والزَّانِيَ بفتح الهاء. وزعم الخليل وسيبويه أن النصب المختارُ وزعم سيبويه أن القراءة الرفع. وزعم غيرهم من البصريين والكوفيين أن الاختيار الرفعُ، وكذا هُو عِندي، لأن الرفع كالإجماع في القراءة، وهُوَ أَقْوَى فِي العربيَّةِ، لأن معناها معنى من زَنَى

فاجلدُوه، فتأويله الابتداء، وقال سيبويه والخليلُ أنَّ الرفع على معنى: «وَفِيما فَرَضْنا عَلَيكُمُ الزانيةُ والزاني» - بالرفع - أو الزانيةُ والزاني فيما فُرِضَ عَلَيْكم، والدليل على ان الاختيار الرفع قوله عز وجل: ﴿واللَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما﴾(١)، وإنَّما اختارَ الخليل وسيبويه النَّصْبَ لأنه أَمْرٌ، وَأَنَّ الأَمْرَ بالفعلِ أولى. والنصب جائز على مَعْنى اجلدوا الزانيةَ والزانيَ.

والاجماع أن الجَلْدَ على غير المحصنين، يجلد غير المحصن وغير المُحْصَنَةِ مائة جلدة، وينفى مَعَ الجَلْدِ في قول كثير من الفقهاء(٢)، يجلد مَائـةً ويُغرَّبُ عَاماً. فأما أهل العراق فيجلدونه مِائةً.

وقوله: ﴿ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴾.

وتقرأ رَآفَةٌ في دين اللّه على وزن رَعَافَة، وتقرأ يأخذكم بالياء، ورآفة مثلُ السَّآمَةِ مثل قولك سئمت سآمَةً، ومثله كآبة ففعاله من اسْمَاءِ المَصَادِر، وسآمةعلى قياس كلاَلَة.

وَفَعَالَةٌ في الخِصَالِ مثل القَبَاحَةِ - والمَلاَحَة والفخامة. وهذا يكثر جدًّا، ومعنى ﴿لاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾، لاَ تَرْحَمُوهُمَا فَتُسْقِطُوا عنهما مَا أَمَر اللَّهُ بِهِ من الحَدِّ، وقيل يبالغ في جلدِهِمَا.

وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

القراءةُ إسْكانُ اللام، ويجوز كسرها.

واختلف الناس في الطائفة، فقال بعضم الواحد فما فوقه طائفةٌ، وقال آخرون لا تكون الطائفة أقل من اثنين، وقال بعضهم ثلاثة، وقال بعضهم أَرْبَعةٌ، وقال بعضهم عَشرةٌ، فأما من قال واحِدٌ فهو على غير ما عندَ أَهْلِ

(١) سورة النساء الآية ١٦.

(٢) أي يغرب، ويبعد عن بلده.

اللغة، لأن الطائفة في معنى الجماعَةِ وأقل الجماعة اثنان، وأقل ما يجب في الطائفة عِنْدِي اثنان. والذي ينبغي أن يُتَحرَّى في شَهَادَة عَذَاب الزَّانِي أَن يكونُوا جَمَاعةً لأن الأغلب على الطائفة الجَمَاعَةُ.

وقوله: ﴿ لزَّانِي لَا يَنْكِحُ إلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إلاَّ زانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

ويجوز الزاني لا يُنْكَحُ إلاَّ زانية، والزَّانِيَةُ لا يُنْكَحُهَا إلاَّ زَانٍ ولم يقرأ بها. وتأويل «الزَّانِي لَا يُنْكَحُ إلاَّ زَانيةً» على معنى لا يتزوَّجُ، وكذلك الزانية لا يتَزَوَّجها إلاَّ زانٍ، وقَالَ قومٌ: إنَّ مَعْنَى النكاح ههنا الوَطْء، فالمعنى عندهم الزاني لَا يَطَأَ إلاَّ زانيةً والزانية لا يطؤها إلاَّ زَانٍ. وهذا القول يَبْعُد، لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب اللّه إلاَّ على معنى التَّزويج، قال اللّهُ سُبْحَانَه: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُمْ﴾(١)، فهذا تزويجٌ لَا شكَّ فيهِ، وقال اللّه، عز وجل: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمنوا إِذَا نَكَحْتُم المُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾(٢). فأعلم عز وجل أن عقد التزويج يُسمَّى النكاحَ.

وَأَكْثَرُ التفسير أَنَّ هذه الآيَةَ نزلت في قومٍ مِنَ المسلمين فقراء كانوا بِالمَدينة، فهمُّوا بأن يتزوجوا بِبَغايَا كنَّ بالمدينة - يزنين، ويأخُذْن(٣) الأُجْرَةَ، فَأَرَادُوا التَّزْوِيج بِهِنَّ لِيَعُلْنَهُمْ(٤)، فأنزل اللَّه عز وجل تَحرِيمَ ذَلِكَ، وقيل إنهم أرادوا أن يُسَامِحُوهُنَّ، فأعلموا أن ذَلك حَرَامٌ.

---

(١) الآية ٣٢ من هذه السورة.

(٢) الآية ٤٩ من سورة الأحزاب.

(٣) في الأصل ويأخذون الأجرة وهو خطأ.

(٤) كتبت في الاصل ليُعلنهن، وأشير في الهامش إلى «ليعلنهم» والظاهر أن البغايا كنّ على ثراء وأراد هؤلاء أن يستفيدوا من ثرواتهن.

ويروى ان الحَسَنَ قال إن الزاني إذا أُقِيمَ عَلَيْهِ الحَدُّ لا يزوج الا بامرأة أُقيمَ عليها الحَدُّ مِثْلُه، وكذلك المرأة إذا أقيم عليها الحدُّ عِنْدَهُ لا تزوج إلاَّ برجل مثلها، وقال بَعْضُهم: الآية منسوخةٌ نسخها قوله: ﴿وأَنْكِحُوا الأيَامَى مِنْكُم. . .﴾[1]، واكثر القول أن المعنى هَهُنَا على التزويج ﴾.

ويجوز «وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى المُؤْمِنِينَ» بمعنى وحَرَّمَ اللَّه ذلك على المُؤْمِنين، ولم يقرأ بها.

وهذا لفظُهُ لفظ خَبَرٍ، ومعناه معنى الأمْرِ، ولو كان على ماقال مَنْ قَالَ إنه الوَطْءُ لما كان في الكلام فَائِدَةٌ، لأن القائل إذا قال الزانية لا تَزْني إلاَّ بِزَانٍ، والزاني لا يزني الا بزانيةٍ، فليس فيه فائدة إلاَّ عَلَى جهة التغليظ في الأمر، كما تقول للرجل الذي قَدْ عَرفْتَهُ بالكذبِ: هذا كذاب، تريدُ تغليظ أَمْرِهِ. فعلى ما فيه الفائدة وَمَا توجبُه اللُّغَةُ أن المعنى مَعنى التَّزْوِيج.

وقوله تعالى: ﴿والَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فاجْلِدُوهُمْ ثَمانِينَ جَلْدَةً﴾.

معنى ﴿يَرْمُونَ المحصنَاتِ﴾ [أي] بالزِّنا، لكنه لم يَقُلْ بالزِّنَا، لأن فيما تَقَدَّمَ مِنْ ذِكْرِ الزَّانِيةِ والزاني دليلاً على أن المعنى ذَلِك، ومَوْضِعُ ﴿الذين﴾ رفع بالابتداء. وعلى قراءة عيسى بن عُمَر، يجب أن يكون مَوضَعُ الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ نَصْباً على معْنَى اجلدوا الذين يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ ثم لم يأتوا بأربعة شهداء. وعلى ذلك اختيار سيبويه والخليل. والمحصنات ههنا: اللواتي أحْصَنَّ فُرُوجَهُنَّ بالعِفَّةِ.

وقوله: ﴿وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً، وَأولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ، إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْد ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾.

---

(١) سورة النور آية ٣٢.

اختلف الناس في قبول شهادة القاذف، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إذَا تَابَ مِنْ قَذْفِهِ قُبِلَتْ شهادَتُه. ويروى أَنَّ عُمَر بنَ الخَطَّابِ قَبلَ شهادة قاذفيْن، وقال لأبي بكرة انْ تُبْتَ قَبِلتُ شَهَادَتَك. وتوبتُه أن يرْجع عن القذف. وهذا مذهب أكثر الفقهاء، وأما أَهْلُ العِرَاقِ فيقولون شهادَتُه غير مقبولة لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ولا تقبلوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبداً﴾، قالوا، وقوله: ﴿إلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قالوا: هذا الاستثناء من قوله: ﴿وأولئك هم الفاسقون﴾، فاسْتُثْنِيَ التَّائبُونَ مِنَ الفَاسِقين. وقال من زعم أن شهادته مَقْبُولَةٌ أن الاستثناء من قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهادَةً أَبداً. إلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ قالوا وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾، صِفَةٌ لَهُمْ، وَأَجْمَعُوا أن من قذف وهو كافرٌ ثم أسلم وتَابَ، وكان بَعْدَ إسْلَامِه عَدْلاً قبلت شَهادَتُه وإن كان قاذفاً، والقياس قبول شهادة القاذف إن أتاب، واللَّه ـ عز وجل ـ يقول في الشهادات: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[١] فليس القاذف بِأَشدَّ جُرْماً مِنَ الكافِر، فحقه أنه إذا تاب وأصلح قُبِلَتْ شهادَته، كما أن الكافِرَ إذا أسلم وأصلح قبلت شَهادَتُه.

فإن قال قائل: فما الفائدة في قوله ﴿أبداً﴾[٢]. قيل الفَائِدَةُ أن الأبدَ لكل إنسانٍ مقدار مُدَّتِهِ في حياته، ومقدار مدَّتِه فيما يتصل بقصَّتِهِ. فتقول: الكافر لا يُقْبَلُ منه شَيْءٌ أَبَداً فمعناه، ما دام كافراً فلا يقْبَلُ منه شيءٌ، وكذلك إذَا قُلْتَ: القَاذِفُ لا تُقْبَلُ منه شَهادَةُ أبداً، فمعناه مَا دَامَ قَاذِفاً، فإذا زال عنه الكفر فقد زال أَبَدُه وكذلك القاذفُ إذا زال عنه القذفُ فقد زال عنه أَبَدُه، ولا فرقَ بين هَذا وذَلك.

وتقرأ ﴿ثم لم يأتوا بِأَرْبَعَةٍ شهدَاءَ﴾ ـ بالتنوين ـ ﴿فَاجْلِدُوهُمْ﴾، فأَرْبَعة

---

(١) سورة البقرة.

(٢) أي إن كلمة أبداً تقتضي التأبيد، أي نفي قبول الشهادة إلى الأبد وقد فسر الابد بما ذكر.

مخفُوضَةٌ مُنَوَّنةٌ، وَ﴿شَهداء﴾ صفة للأربعة، في موضع جَرٍّ، ويَجُوزُ أَنْ يَكونَ فِي موضع نَصْبٍ مِنْ جهتين، احـداهما على معنى ثم لم يُحْضِرُوا أرْبَعةً شهـداءَ، وعلى نصب الحال مع النَّكِرةِ ثم لم يأتوا حال الشهادة[١].

فأما ﴿إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾ فيجوز أَنْ يَكُـونَ في مَوْضِـع جَرٍّ على البَـدَلِ من الهاء والميم[٢]، على معنى ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً إلا الذين تابوا، ويجـوز أن يكون في موضع نَصْبٍ على الاستثناء على قوله:

﴿وأولئك هم الفَاسِقُونَ ـ إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا﴾، وإذا استُثْنُوا من الفَاسِقِينَ أيضاً، فقد وجب قبول شَهَادَتِهم لأنهم قد زال عنهم اسم الفِسْقِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَداءُ إلاَّ أَنْفُسُهُمْ﴾.

معناه والذين يرمون أزواجهم بالزِّنَا.

وقوله: ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ باللَّهِ﴾.

ويقـرأ أربعَ شهـاداتٍ باللَّه بِـالنَّصْبِ، فمن قرأ أَرْبَـعُ بالـرفْع فَعَلَى خبـر الابتـداء، المعنى فشهادة أحـدهم التي تدرأ حَـدَّ القَاذف أَربَـعٌ، والدليـل على ذلك قوله عز وجل:

﴿وَيَدْرَأُ عَنْها العَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهادَاتٍ باللَّهِ﴾.

ومن نصب أَرْبعاً فالمعنى فَعَلَيْهم أن يَشْهَدَ أَحَدُهُم أرْبَعَ شهاداتٍ.

---

(١) على كلا التقديرين الباء حَرْفُ جَرٍّ زائـدٍ وأربعة مضـاف لتمييز محـذوف أي بأربعـة أشـخـاص ـ فيجوز مجيء الحال منهـا ـ ولا مسـاغ لكـون الحـال من واو الجمـاعـة ـ إلا أن يكـون بمعنى مستشهدين، وشهيد غير مستشهد.

(٢) من ولا تقبلوا لهم ـ والاستثناء من غير الموجب يجوز فيه الإتباع والنصب.

وعلى معنى فالذي يَدْرَأُ عنها العَـذَابَ أَنْ يَشْهَدَ أَحَـدُهم أَرْبَعَ شهـاداتٍ باللَّه.

﴿ والخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه عَلَيْهِ ﴾.

ويجوز والخامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّه عليـه، وكذلـك والخَامِسَـةُ أَنَّ غضبَ اللَّهِ عليها، والخامِسَةَ جميعاً، فمن قال: والخامِسَةَ فعلى مَعْنَى وَيَشْهَدُ الخامِسَةَ.

فـإذا قَذَف القـاذِفُ امرأَتَـه، فشهـادَتُـه أن يَقُـولَ: أَشْهَـدُ بـاللَّه إني لَمِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا قَذَفْتُها بِهِ، أو يقول: أحلف باللَّه إني لمن الصَّادِقِينَ فِيما قَذَفْتُها بـه، أَرْبَعَ مَـرَّاتٍ، ويقول في الخـامِسَةِ لعنـة اللَّه عليه إن كـان من الكَـاذبين. وكـذلك تقـولُ المرأَةُ: أَشْهَـدُ بِاللَّه إنَّـهُ لِمنَ الكاذبين فيمـا قـذفني بـه، أربـع مرات، وتقول في الخـامِسَةِ: وعَلَيَّ غَضَبُ اللَّه إن كـان من الصادقين. وهـذا هو اللِّعَانُ، فإذا تلاعنا فُرِّقَ بينهما، واعتدت عِدةَ المطلَّقَةِ من وقتها ذلك. فإذا فعـلا ذلك لم يَتـزَوَّجْهَا أبـداً في قـول أكثـر الفقهـاء من أهـل الحجـاز وبعضُ الكوفيين يُتابِعُهُمْ، وهو أبو يوسُفَ، والقياسُ ما عليه أهل الحجاز، لأن القاذفَ قَذَفَها بالزِّنَا، فهو لا ينبغي له أن يتزوّج بزانيةٍ، وليس يظهر لهذا تَوْبَةٌ، واللِّعَانُ لا يكون إلا بحاكم من حكام المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴾.

ههنا جواب لولا متروك، والمعنى - واللّه أعلم - ولولا فضلُ اللَّه عليكم لنال الكاذب لمـا ذكرنـا عَذابٌ عـظيمٌ، ويدل عليـه :﴿وَلَوْلَا فَضْـلُ اللَّه عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُه في الدنيا والآخرة لَمسَّكُمْ فِيمَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظيمٌ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾.

معنى الإفك ههنا الكذبُ. وقد سُمِّيَ بعضُهُمْ في الآثار، وَلَمْ يُسمَّوْا في

القرآن فمِمَّنْ سُمّيَ حسَّانُ بنُ ثابتٍ[١]. ومِسْطَح بنُ أُثاثَةَ[٢]، وعبدُ اللّه بنُ أُبيّ[٣]. ومن النساء حِمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ[٤].

﴿لَا تَحسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

وقيل لكم والتي قُصِدَتْ عائشة رحمها اللّه، فقيل لكم يعنى به هِيَ ومن بسببها[٥] من النبي ﷺ وأبي بكر رحمه اللّه.

وقوله: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم﴾.

ويُقرأ كُبْرَهُ مِنْهُم.

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري من بني النجار. شاعر الانصار وشاعر رسول اللّه ﷺ وشاعر اليمن كلها. دافع عن رسول اللّه ﷺ بشعره، وكان شعره أشد على القرشيين من وقع السهام، وقال له رسول اللّه ﷺ: اهجهم وروح القدس معك. وكان من سوء حظه أن وقع في عرض عائشة في حديث الإفك وأقيم عليه الحد وجلد وقد تبرأ من ذلك في شعر منه هذا البيت الآتي. كان حسان جباناً لم يشهد أية موقعة، وكان معمراً عاش مائة وعشرين سنة ومات سنة ٥٤ هـ. انظر ترجمته في الاستيعاب ٣٣٥ جـ ١ والاصابة ١٧٠٤ ص ٣٢٦.

(٢) مسطح بن أثاثة. يقال ان «مسطحاً» لقبه واسمه هو عوف ـ وذكره ابن حجر في حرف العين باسم عوف. قرشي مطلبي وأمه قرشية تيمية هي بنت خالة أبي بكر الصديق وهي سلمى بنت صخر ـ وكان أبو بكر ينفق عليه ـ وقد خاض في عرض عائشة أم المؤمنين (ض) وجلد أيضاً ـ أنظر الاصابة ٦٠٩٠ والاستيعاب ٤٩٤ جـ ٣. توفي مسطح سنة ٣٤ هـ.

(٣) رأس النفاق من أشراف قومه ـ اجتمعت عليه الأوس والخزرج ولم يجتمعوا على أحد منهم قبله ولا بعده ـ كان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه، فلما ظهر الاسلام انصرفوا عنه فكان يرى أن رسول اللّه ﷺ استلبه ملكه ويضطغن عليه ـ ثم تظاهر بالاسلام ـ وقد هم ابنه عبد اللّه بقتله فمنعه رسول اللّه ﷺ وحديثه طويل انظر سيرة ابن هشام ٤٢٣ جـ ٢ (ت محيي الدين).

(٤) هي حمنة بنت جحش الاسدية القرشية أخت عبد اللّه بن جحش وأم المؤمنين زينب بنت جحش وأمهم أميمة بنت عبد المطلب شهدت أحداً وكانت تسقي الجرحى. كانت زوجاً لمصعب بن عمير فقتل يوم أحد فتزوجها طلحة بن عبيد اللّه وهي والدة محمد بن طلحة وخاضت في حديث الإفك مع من جلد في رواية من صحح الجلد. وانظر الاصابة ت ٣٠٣، والاستيعاب ٢٧٠ جـ ٤.

(٥) من على صلة بها.

﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

فمن قرأ كِبْرَه فمعناه من تَولَّى الإِثْمَ في ذلك، ومن قرأ كُبْرَه أراد مُعْظَمَهُ.

ويروى أن حسان بن ثابت دَخَل علَى عائشة، فقيل لها أَتُدْخِلين هذا الذي قال اللَّه عز وجلَّ فيه: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُم لَهُ عَذَابٌ عظيمٌ﴾ فقالت أَوَ لَيْسَ قَدْ ذهب بَصَرُه. ويروى أنَه أنشدها قوله في بيته:

حَصَانٌ رزانٌ ما تُزَنُّ بريبة وتصبح غرثى مِنْ لُحُوم الغوافل[1]

فقالت له: لكنك لست كذلك.

وقوله تعالى: ﴿والْخَامِسَةُ أَن غَضَبُ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾.

بتخفيف أَن ورَفع غَضَبُ على معنَى أَنَّه غَضَبُ اللَّه عليها، ويجوز أَنْ غَضِبَ اللَّهِ عليها، وههنا «هاءٌ» مُضْمرةٌ، وأن مخففَةٌ من الثَّقِيلَةِ. المعنى أَنَّهُ غَضِبَ اللَّه عليها، وأنه غَضَبُ اللَّهِ عليها، قال الشاعر:[2]

في فتية كسيوف الهند قد علموا أن هالك كلُّ من يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

وجاء في التفسير في قوله: ﴿لَا تَحْسَبُوه شرًا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أنه يعنى به عَائِشَةُ وصَفْوانُ بنُ المعَطّل[3]، ويجوز «لكم» في معنى

---

(١) البيت في اللسان (حصن). والاستيعاب ٣٤١ جـ١، وهو مع جزء من القصيدة في سيرة ابن هشام ٧٧٣ ت محيي الدين.

غرثي أي جائعة بمعنى أنها لا تفتأ بهن ـ والحصان هي التي أعفت نفسها بالاسلام أو الزواج أو الحرية. وتزن أي تتهم. وقولها لكنك لست كذلك ـ تشير به إلى أنه أغتابها ونهش عرضها.

(٢) للأعشى من قصيدته ودع هريرة. وهي في ديوانه ص ٤٣.

(٣) هو صفوان بن المعطل بن ربيعة، أسلم قبل غزوة المريسيع وشهدها وقيل قبل الخندق وشهد الغزوات بعدها.. وكان يكون على ساقة رسول اللَّه ﷺ وكان شجاعاً جواداً ـ وهو الذي اوذي =

«لكما»(١)، والذي فسَّرْنَاهُ أولاً يَتضَمَّنُ أمـر عائشـة وَصَفْوانُ والنبي ﷺ وكـل من بينه وبين عـائشةَ سَبَبٌ، ويجوز أن يكون لكُلِ مَنْ رُمِيَ بِسَبَبٍ.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُموه ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً﴾.

معناه هَلاَّ إِذْ سِمعتُموه، لِأَنَّ المعنى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، في موضـع الكنايَةِ عَنْهُمْ وعن بَعْضِهِمْ، وكذلك يقال للقوم الذين يَقْتُل بَعْضُهُمْ بعضـاً أَنَّهُمْ يَقْتُلونَ أَنْفُسَهُمْ.

﴿وقالوا: هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾، أي كذِبٌ بَيِّنٌ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ مِنْكُمْ والسَّعةِ﴾.

وَقُـرِئَتْ: وَلَا يَتَأَلَّ أُولُـو الفَضْـلِ [مِنْكُمْ والسَّعَـةِ]. وَمَعْنَى تَـأْتَلِي تَحْلِفُ وكذلك يَتَأَلَّى يحلف.

ومعنى ﴿أَن يُؤتـوا﴾: أَنْ لَا يُؤْتـوا ﴿أُولي القُـرْبى﴾، المعنى ولا يحلف أولو الفضل منكم والسَّعَةِ أَنْ لَا يُعْطوا ﴿أُوليَّ الْقُرْبَى والمَسَاكِينَ﴾.

ونـزلت هذه الآيـة في أبي بكر الصِّـدِّيقِ، وكـان حلف أَنْ لَا يُفْضِـل(٢) على مِسْطَح بن أُثَاثَة، وكان ابنَ خَالَتِهِ بِسَبَبِ سَبِّهِ عَائِشَةَ فَلَمَّا نَزَلَتْ:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

قـال أَبُو بكـر: بَلَى، وَأَعَاذَ الإِفْضَـالَ عَلَى مِسْطَح وعلى مَنْ حَلَفَ أن لَا يُفْضِلَ عَلَيْه(٣) وَكَفَّر عن يمينه.

= في حـديث الإفك حتى بـرأه اللَّه تعالى ـ وقـد تعرض لحسـان بن ثابت فضـربه بـالسيف ـ لما خاض فيه من حديث الافك. ويقـال إنه غزا الروم في خـلافة معـاوية فـاندقت سـاقه ولم يـزل يطاعن حتى مات وذلك سنة ٥٨ هـ.

(١) أي أن الجمع لا يراد به مفرد، بل هو لاثنين.

(٢) يَتَفَضَّل، ويعطي من فَضْلِه.

(٣) في تصحيح بالهامش: أن لا يفضل عليه أن يفضل ويُكَفِّر.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾.

قيل إنه يعنى به أزواج النبي ﷺ، وقيل إن الأصْلَ فيه أَمْرُ عائشة، ثم صار لكل مَنْ رَمَى المؤمِنَاتِ. ولم يَقل هُهُنَا والمؤمنين استغناء بأنه إذا رَمَى المؤمِنَةَ فلا بد أَنْ يَرْمِيَ معها مُؤْمِناً، فاستغنى عن ذكر المؤمنين لأنه قد جرى ذِكْرُ الْمُؤْمِنِينَ والمؤمِنَاتِ، وَدَلَّ ذكرُه المؤْمِنَاتِ عَلَى المُؤْمِنِين، كما قال: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾[1] ولم يَقُلْ وَتَقِيكُمُ البرْدَ، لأنّ ما كان وقى الحرَّ وقى البَرْدَ، فاستَغْنَى عَنْ ذِكْرِ أَحدهما بالآخر.

وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ﴾.

ويقرأ الحقُّ، فمن قرأ الحقُّ فالحقُّ من صِفَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فالمعنى يوْمَئِذٍ يوفيهم اللَّهُ الحقُّ دِينَهُمْ، ومن قرأ دينهم الحقَّ، فالحق من صِفَةِ الدِّينِ والدين ههنا الجزاء، المعنى يَوْمَئِذٍ يَوَفِّيهمُ اللَّه جزاءهم الحقَّ، أي جزاءهم الواجب.

وقوله جل وعز: ﴿الخبيثاتُ للخبيثين، والخبيثون للخبيثاتِ، والطيبات للطَّيِّبينَ والطَّيِّبونَ للطَّيِّبَاتِ﴾.

فيها وَجْهَانِ، المعنى الكلمات الخَبِيثَاتُ للخبيثين من الرجال، والرجال الخَبِيثونَ للكلمات الخبيثَاتِ، أي لا يَتَكلَّم بالخبيثات إلا الخبيثُ من الرِّجَال والنساء، ولا يتكلَّمْ بالطَّيبَاتِ إلاَّ الطَّيبُ من الرجال والنساء، ويجوز أن يكون معنى هذِهِ الكَلِمَاتِ الخبيثات إنما تلصق بالخَبِيثين من الرِّجال والخبيثات مِن النِّسَاءِ، فأمَّا الطَّاهِرَاتُ الطيبات فلا يلصق بِهِنَّ شيءٌ، وقيل الخبيثات من النساء للخبيثين من الرِّجَالِ وكذلك الطيبات من النساء، للطَّيبين من الرجال.

---

(١) سورة النحل الآية ٨١.

وقوله: ﴿ أولئك مبرأون مِمَّا يَقُولُونَ ﴾.

أَي عائِشة وَصَفْوانُ بنُ المُعَطَّل، وكذلك كل من قُذِفَ من المُؤْمِنينَ والمُؤْمِنَاتِ مُبَرَّأُونَ ممَّا يَقُول أهل الخُبْث القَاذِفُونَ.

﴿لهم مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾.

أي للذين قُذِفوا ورُمُوا مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كريمٌ، وللقاذفين اللَّعْنَةُ في الدُّنيا والآخرة وَعَذَابٌ عَظِيمٌ.

وقوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَه بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾.

معناه إذ يلقيه بعضكم إلى بَعْضٍ، وقرأت عائشة رحمها اللَّه: إذْ تُلْيقُونَهُ بألسنَتِكُمْ، ومعناه إذْ تُسْرِعُونَ بالكَذِبِ، يقال وَلَق يلِقُ إذَا أَسْرَع فِي الكَذِبِ وغيره، قال الشاعر:(١)

جَاءَتْ بِهِ عَنْسٌ مِنَ الشَّامِ تِلقْ

أي تسرع.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غيرَ بُيُوتِكُمْ﴾

يُقْرَأُ بِالضَّمِّ والكَسْرِ، ولكن الضَّمَّ أَكْثَرُ، فمن ضمَّ فَعَلَى أصل الجمع، يجمع بَيْتٌ وبيوتٌ مثل قَلْب وقُلوب وفَلْسٌ وفلوس، وَمَنْ قرأ بِالكَسْرِ فإنَّما كَسَر للياء التي بعد الباء، وذلك عند البَصْرِيِّينَ رَدِيءٌ جدًّا، لأنه ليس في كلام العرب فِعُول - بكسر الفاء -.

وقوله: ﴿حَتى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾.

---

(١) الوَلْق - كضَرْبٍ - الإسراع في المشي إثْر الشيء، وهذا الشطر من رجز قاله الشماخ يهجو به جليداً الكلابي: اللسان «ولق» ومعاني الفراء ٢/٢٤٨. والعنس الناقة الغليظة.

معنى تستأنسوا في اللغة تَسْتَأْذِنُوا، وكذلـك هو في التفسيـر، والاستئذان الاستعــلام، تقـول آذَنتُــه بكـذا أي أَعْلَمْتُــه، وكــذلــك آنست مِنْــهُ كــذا وكذا، عَلِمْتُ منه، وكذلك، ﴿فَـإِنْ آنَسْتُم منهم رُشْداً﴾[1] أي علمتم، فمعنى حتى تَسْتَأْنِسُوا حتى تستعلِمُوا أيريـد أهلها أن يُـدخلوا أَمْ لاَ، والدليـل على أَنَّه الإِذْنُ قوله:﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فلا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُـونَةٍ فيها مَتَاعٌ لَكُمْ﴾.

أي ليس عليكم جناح أَنْ تَدْخُلوا هَذِهِ بِغَيْرِ إِذْنٍ.

وجاء في التفسير أنه يعنى بها الخـانات، ويقـال للخَانِ فُنْـدق وفُنْتُق. ـ بـالدال والتـاء ـ. وإنما قيـل: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أن تـدخُلُوا هَذِهِ البُيُـوتَ لأَنَّه حَـظَرَ أن تُدْخَـل البُيُوتُ الَّتي ليست لهم إلاَّ بِـإِذْنٍ، فـأُعْلِمُـوا أَن دُخـولَ هـذه المواضعَ المُبَاحَةَ ـ نحو الخانات وحوانيت التجارة التي تباع فيها الأَشْيَاءُ وَيُبِيحُ أَهلُها دُخُولَها ـ جائزٌ. وقيل إنه يُعْنَى بِهَا الخَرِبَاتُ التي يَدْخُلُها الرَّجُلُ لِبَوْلٍ أَوْ غَائِطٍ.

ويكـون معنى: ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾: بمعنى إِمْتاعٍ، أي مُتفـرَّجُون فيهـا مِمَّا بِكُمْ.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾.

أي لا يبـدين زينَتَهُنَّ البـاطِنَـة، نحـو المِخْنَقَـةِ[2] والْخلْخَـال والـدُّمْلُجُ والسِّوار. والتي تُظْهَرُ هي الثيابُ والوَجْهُ.

---

(١) سورة النساء الآية ٦.

(٢) رباط العنق، والدملج يلبس في اليد كالسوار.

وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِين مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾.

كانت المرأة ربما اجتازت وفي رجلها الْخلخال، وربما كان فيها الخَلاَخِلُ فإذا ضَرَبتْ بِرجْلِها عُلِمَ أنها ذاتُ خَلْخَالٍ وزينةٍ، وهذا يحرك من الشَّهْوَةِ فنُهِيَ عنه، كما أُمِرْنَ ألاَّ يُبْدِينَ[1]، لأن استماعَ صَوْتِه بمنزلة إبْدَائِه.

وقوله: ﴿ وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾.

قُرِئَتْ من عَبِيدِكُمْ، وكلاهما جائز، وهذا لازِمٌ في الأَيَامَى، والمَعْنَى وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين مِنْ عِبَادِكُمْ وإمَائِكُم إنْ أَرَدْن تَحَصُّناً.

ومعنى ﴿وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى البِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾.

أي لا تكرهوهن على البغاء الْبتَّةَ، وليس المعنى: لا تكرهوهن إنْ أَرَدْن تَحَصُّناً. وان لم يرِدْن فَلَيْس لنا أَنْ نُكْرِهَهُنَّ.

وقوله: ﴿ إنْ يكونُوا فقراء يُغْنِهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾.

فحث اللَّه ـ عز وجل ـ على النكاح وأعلم أنه سَبَبٌ لِنَفْيِ الفَقْر، ويروى عن عمر رحمه اللَّه أنه قال: عَجَبٌ لِامْرِئٍ كيف لا يَرْغَبُ في البَاءَةِ واللَّه يَقُولُ إنْ يَكُونُوا فقراءَ يُغْنِهُمُ اللَّه من فَضْلِهِ.

وقوله: ﴿والَّذِينَ يَبْتَغُونَ الكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إن عَلِمْتُمْ فيهم خَيراً﴾.

معنى ﴿إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خيراً﴾، قيل إن علمتم أَدَاءَ ما يفارق عليه[2]، أي عَلِمْتُمْ أنهم يَكتِبُونَ ما يُؤَدّونَهُ. ومعنى المكاتبة أن يكاتب الرجل عبده أو أَمَتَهُ

---

(١) نهين عن اسماع وسوسة حليهن كما نهين عن اظهاره.

(٢) إن علمتم قدرتهم على أداء نجوم الكتابة أي الأجر الذي يحررون عليه.

عَلَى أن يُفَارِقَهُ، أنه إذا أَدَّى إليه كذا وكذا من المـال في كذا وكـذا من النجوم فالعبدُ حُرٌّ إذا أَدّى جميع ما عليـه، وَوَلاؤه لمولاَه الذي كاتبه، لأن مـولاه جاد عليه بالكسْب الذي هو في الأصل لمولاه[1].

وقوله: ﴿ وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾.

هذا ـ عند أكثر الفقهاء ـ على النَّدْبِ، للمولى أن يُعْطِيَهُ شَيْئاً مما يُفَارِقُه عليه، أو من ماله ما يستعين به على قضاء نجومِهِ، ولـه ألَّا يفْعَلَ، وكـذلك لـه أَنْ يكاتِبَهُ إذا طلب المكاتبة وَلَه أَلَّا يكاتِبَهُ. ومخرج هذا الأمر مخرجُ الإبَاحَـةِ، كما قال: ﴿وإذَا حَلَلْتُم فاصطادوا﴾[2] لأنـه حرَّم عليهم الصَّيـدَ ما دَامَـوا حُرُمـاً، وكـذلك قوله: ﴿فـإذا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فـانتشـروا في الأرْضِ وابتغـوا من فضـل اللَّه﴾[3] هذا بَعْدَ أن حَظَر عليهم البيعَ في وقت النداء إلَى الصَّلاة، فهـذا أباحَـهُ فيـهِ لأن العَبْدَ المملوك لا مـال لـه، ولا يقـدر على شيءٍ، فـأبـاح اللَّه لَهُم أن يُقْدِرُوهُ[4].

ويروى عن عُمَرَ أنه كَاتَبَ عَبْداً له يُكْنَى أَبَـا أُمَيَّةَ، وهـو أول عَبْدٍ كـوتب في الاسـلام، فأتـاه بأول نجم فـدفَعَهُ إلَيْـهِ عُمـر، وقـال لـه: اسْتَعِنْ بـه عَلَى مُكَاتَبَتِكَ، فقال: لَوْ أَخْرته إلى آخرِ نَجْم، فقال أَخَافُ أَلَّا أدرك ذلك.

وقوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾.

وذلـك أنه لا يَحِـلُّ أن ترى المشـركاتُ مـا يحِلُّ أن تـراه المؤمِنَـاتُ من

---

(١) الاصل أن العبد وما يكسبه ملك لمولاه.

(٢) سورة المائدة الآية ٢.

(٣) سورة الجمعة الآية ١٠.

(٤) يعينوه ويهيئوا له القدرة.

المُؤْمِنَاتِ، يُعْنَى بِنسائِهِنَّ نساء المؤمنات، ﴿والمُؤْمِنُونَ، والمؤمِنَاتُ بَعضُهُمْ أولياءُ بَعْضٍ﴾[1]

وقوله تَعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أو التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الإِرْبَةِ﴾.

«غير» صفة للتابعين دَليلٌ على قوله: ﴿أو مَا مَلكت أَيْمَانُهُنَّ﴾، معْنَاهُ أيْضاً غير أولي الإربَةِ من الرِّجَال. والمعنى لا يبدين زينتهن لمماليكهنَّ ولا لِتُبَّاعِهِنَّ إلَّا أن يكونُوا غير أُولِي إربَة. والإِرْبَةُ الحاجَةُ، ومعناه هَهُنَا غير ذَوي الحاجات إلى النِّسَاءِ، فَأَمَّا خَفْضُ «غير» فصفة للتابعين، وإن كانت «غير» توصف بها النَّكِرَةُ، فَإِنَّ التَّابِعِينَ هَهُنَا ليس بمَقْصُودٍ إلى قوم بِأَعْيانِهِمْ، إنما معناهُ لكل تَابِعٍ غير أولي إرْبَةٍ. ويجوز «غير» بنصب «غيرَ» على ضربين، أَحَدهما الاستثناء، المعنى لا يبدين زينتهن إلا للتابعين إلَّا أُولي الإربة فلا يبدين زينَتَهن لَهُمْ، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال، فيكون المعنى، والتابعين لا مُرِيدينَ النِّسَاءَ، أي في هذه الحال.

وقوله عز وجل: ﴿ أو الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾.

ويقرأ «عَوَرات» - بالفتح الواو - لأن فَعْلَة يجمع على فَعلات - بفتح العين - نحو قَولِكَ جَفنة وَجَفَنَات، وصَحْفَة وصَحَفَات، فإذا كان نحو قولِكَ لَوْزَة وجَوْزَة وعَوْرَة، فالأكثر أَنْ تُسكَن، وكذلك قوله بَيْضَات، لثقل الحركة مع الواو والياء، ومن العرب من يَلْزَمُ الأصلَ والقياسَ في هذا فيقول جَوَازات وبَيَضَات. وعلى هذا قرئ عَوَراتٍ. ومعنى لَمْ يَظْهرُوا على عورات النساء، لم يبلغوا أن يُطيقُوا النساء، كما تقول: قد ظهر فلان على فلانٍ إذا قوي عليه. ويجوز أَنْ يَكُونَ «لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ» لم يَدْرُوا ما قباحَةُ عورات النساء من غيرها.

---

(1) سورة التوبة الآية ٧١.

وقوله: ﴿ولقد أَنْزَلْنا إليكُمْ آياتٍ مُبيناتٍ﴾.

يقـرأ بالفتـح والكسر ـ فمن قـرأ مبيَّناتٍ بـالفتح فـالمعنى أنـه لَيْسَ فيهـا لَبْسٌ، وَمَنْ قرأ بالكَسْرِ فالمعنى أنها تُبيّنُ لكم الحلال من الحرام. ثم أَعلم عزّ وجل أنّه قَدْ بيَّنَ جميع أَمْـر السماء، وأمْـر الأرض بَيَانـاً نيّراً لا غـاية بَعْـدَ نُورِهِ فقال:

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾.

أي مُدَبِّر أَمْرِهِمَا بِحِكْمَةٍ بَالِغةٍ وحجَّةٍ نيِّـرَةٍ. ثم مثَّلَ مَثَـلَ نُورِه ذلـك في القلوبِ بأبينِ النُّورِ الذي لـم يَدرك بالأَبْصَارِ فقال:

﴿مَثَلُ نورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْبَاحٌ﴾.

فَنُورُهُ يجوز أن يكون ما ذكرنا من تـدبيره، وجـائز أنْ يكـونَ كتابُـه الذي بَيَّنَ بِهِ فقال: ﴿قَدْ جاءَكُم مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبينٌ﴾[1] وجائز أن يكون النبي ﷺ هو النور الذي قال مثل نُورِهِ، لأن النبي ﷺ هـو المرشِـدُ والمبيِّنُ والناقـل عن اللَّه ما هو نيّرٌ، بَيِّنٌ.

وقال: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾، وهي الكوَّةُ، وقيل إنهـا بلغة الحَبَشِ، والمشكـاة من كلام العرب، ومثلها ـ وإن كانت لغيرِ الكُوَّةِ ـ الشَّكْـوَةُ وَهِي مَعْرُوفَـةٌ[2]، وهي الدقيق الصغير أو مَا يُعْمَل مِثْلُه[3].

﴿فِيها مِصْبَاحٌ، [المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ]﴾.

والمصباح السِّراج. وقال: ﴿المِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ﴾ ـ لأن النور في الزُّجاج،

---

(١) سورة المائدة الآية ١٥.

(٢) الشكوة وعاء مَنْ أَدَمٍ للمَاءِ واللَّبَن ا هـ قاموس.

(٣) الشيء الدقيق.

وضـوء النَّارِ أَبْيَنُ منـه في كل شيءٍ، وضـوؤه يـزيـدُ في الـزُّجَـاجِ. ثم وصف الزجاجة فقال:

﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾.

ودُرِّيٌّ، منسوب إلى أنّه كالـدُّرِ، في صَفَائِه وحُسْنِهِ، وَقُرِئَتْ دِرِّيٌّ وَدَرِّيٌّ - بالكسر والفتح - وقَد رُوِيَتْ بالهَمْزِ. والنحـويون أجمعـون لا يعرفـون الوجـه فيه، لأنه ليس في كلام العَرَبِ شيء عَلَى فِعِّيلٍ، ولكن الكسر جَيِّـدٌ بِالهَمْـز -يكون على وَزْنِ فِعِّيل، ويكون من النجوم الدَّرَارِي التي تَدَرُ - .

أي يَنْحـط ويَسِيرُ مُتَدافِعـاً، ويجوز أن يكـونَ دِرِّيٌّ بغير همـزٍ مُخَفَّفاً مِنْ هذا.

قال أبو إسحاق: ولا يجوز أن يضم الدال وَيُهْمَـزُ، لأنه ليس في الكـلام فُعِّيلٌ، ومثال «دُرِّيّ» فُعْلِيّ مَنْسُوبٌ إلي الدُّرِّ، وَمَنْ كَسَرَ الدَّالَ قَـالَ دِرِّيٌّ فكان لـه، أَنْ يهْمِـزَ ولا يَهْمِـزَ، فمن هَمَـزَ أَخَـذه من درأ يـدرأ الكَـوْكَبُ إذَا تَـدافـع مُنْقَضًّا، فتضاعف ضَوْءُه، يقال: تدارأ الرَّجُلَانِ إذَا تَدَافَعَـا، ويكون وزنـه على فِعِّيـل. ومن كسـرهـا فـإنمـا أَصْلُه الهَمْـزُ فَخُفِّفَ، وبقيتْ كسـرة الـدال عَلَى أَصْلِهَا. ووزنه أيضاً فِعِّيلٌ كما كان وهو مهموز.

وقوله: ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكَةٍ ﴾.

ويقرأ [تُوقَدُ] بالتاء، فمن قرأ بالياء عنى به المصباح، وهـو مذكّـر. ومن قرأ بالتاء عَنَى بِهِ الـزُّجَاجَـةَ. ويجوز «في زَجَـاجَةٍ» بفتـح الـزاي وفيهـا وجهان آخران قُـرِئَ بِهِمَا - تَوَقَّـدَ - بفتح الدَّالِ وضمِّها وتشديد القـافِ فيهما جميعـاً، فمن قرأ تَوَقَّدُ، فالمعنى تَتَوَقَّدُ الزجاجةُ، ومن قرأ تَوَقَّدَ فتحـه لأنه فِعْـلٌ مَاضٍ، ويكون المعنى:المصباحِ في زُجَاجَةٍ تَوَقَّدَ المِصْبَاحُ.

وقوله:﴿مِنْ شَجَرةٍ مُبَارَكةٍ زَيْتُونَةٍ﴾.

وليس شيء في الشَّجَرِ يورِقُ غُصْنُه من أوّله إلى آخره مثلُ الزَّيْتُونِ والرُّمَّانِ قَال الشَّاعِرُ[1]:

بورِكَ الميتُ الغريبُ كما بُورِكَ نَظْمُ الرُّمان والزَّيْتُونِ

قوله عز وجل:﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾.

اكثر التفسير أنها ليست مما تطلعُ عليه الشمسُ في وقت شروقها فقط أو عِنْدَ الغُرُوبِ، أي ليس يسترها في وقت من النَّهَارِ شيءٌ، أي فهي شرقية غربيّة، أي تصيبها الشمس بالغداة، والعَشِيّ، فهو أنضر لها وأجود لزيتها وزَيْتُونِها.

وقال الحسن: إن تأويلَ قوله: ﴿لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ أنها ليست من شجر الدُّنْيَا أي هي من شجر الجنَّةِ.

وقوله عز وجل:﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾.

جاء في التفسير أن تُبْنَى، وقال الحسنُ: تأويل «أَنْ تُرْفَعَ» أن تُعظَّمَ. و «في» من صِلَةِ قوله «كَمِشْكَاةٍ». المعنى كَمِشْكاةٍ في بُيُوتٍ، أي فِي مَسَاجِدَ، وقال الحسن يُعْنَى بِهِ بيتُ المقدِسِ. ويجوز أن تكون «في» متصلة «بِيُسَبِّحُ» ويكون فيها تكريراً على التوكيد، فيكون المعنى يسبح للَّه رِجَالٌ في بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ لأنْ تُرْفَع. وتقرأ «يُسَبَّحُ» له فيها، فيكون رفع رجال هَهُنَا على تفسير ما لم

(١) هو أبو طالب عم النبي ﷺ - من قصيدة له رثى بها مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وقد أوردها صاحب الخزانة جـ ٤/٣٨٦. أبياتاً منها أولها:

ليت شعري مسافر بن أبي عمرو وليت يقولها المحزون

وانظر البحر المحيط ٦/٤٥٧ ومختار الأغاني ٦/٣٨٢ - وكان مسافر سيداً جواداً، وهو أحد أزواد الركب، وكان يهوى هنداً بنت عتبة، وخطبها بعد الفاكه فرده لفقره، فذهب إلى النعمان يستعينه - فتزوجت هنداً أبا سفيان في غيبته - وكان أبو سفيان أول من قابل مسافراً بالحيرة وأخبره فشق ذلك عليه، واستسقى بطنه فعاد الى مكة فمات بمكان يقال له هباله ودفن به.

يسم فَاعِلُه، فيكون المعنى على أنه لما قال: «يُسَبِّحُ لَـهُ فِيهَا» كـأنه قيـل: من يسبح اللّه فقيل يُسبّحُ رِجَالٌ كما قال الشاعر:[1]

لِيُبْـكَ يـزيـد ضَـارِعٌ لِخُصُـومَـةٍ   ومختبط مما تـطيـح الـطوائـح

﴿والآصال﴾: واحدها أُصُل، وهي العَشَايَا.

ومعنى: ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾. أي لا يشغلهم أمرٌ عن ذَلِكَ.

ويروى أن ابن مَسْعُودٍ رأى قـوماً من أَهْـل السُّوقِ، وقـد نُودِيَ بـالصَّلَاةِ فتركوا بِيَاعاتِهِمْ[2] ونَهضُوا إِلَى الصَّلاةِ، فقـال: هؤلاء من الذين قـال اللّه ـ عزّ وجل ـ [فيهم] ﴿رجَال لَا تُلْهِيهِمْ تِجارة وَلَا بيعٌ عَنْ ذِكْر اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿ وإِقَامِ الصَّلَاةِ وإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾:

الكـلام أقمت الصلاة إِقَـامَةً، وأصلها أَقَمْتُ[3] إِقْواماً، ولكن قُلِبَت الـوَاوَ أَيضاً فاجتمعت الفان، فحذفت احداهما لالْتِقَاءِ السَّاكنين، فبقي أَقَمْتُ الصلاة إِقَـامَةً[4] وأدخِلَتِ الهـاء عِـوَضـاً من المَحْـذُوفِ، وقـامت الاضـافـة ههنـا في التعويض مقام الهاء المحذوفة. وهذا إجماع من النحويين.

وقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ القُلُوبِ والأَبْصَارُ﴾.

ويجـوز تَقَلَّبُ فيـه القلوب والأَبْصَـارُ، في غير القـرآنِ، ولا يجـوز في القران «تَقَلَّبُ» لأن القراءة سُنَّةٌ لا تخالَفُ وإن جاز في العربية ذَلِكَ.

---

(١) لضرار بن نهشل يبكي أخاه يزيد. وفي كتاب سيبويه للحرث بن نهيك وانظر الخزانة ١/١٤٧، الشاهد ٤٥، ففيها أنه لنهشل بن حرّى (بتشديد الراء) وهو شـاعر مخضـرم حسن الشعر وابنـه حـرى أيضاً شـاعر مجيـد، وحارب نهشـل مع علي ويـوم صفين قتل أخـوه مالـك ورثاه نهشـل بمرات كثيرة. وهم من بيت شريف، وانظر العيني ٢/٤٥٤، وابن يعيش ١/٩٠.

(٢) بياعات جمع بياعة ـ بكسر الباء فيهما. وهي السلعة.

(٣) أصلها أقومت إقواماً.

(٤) أصلها إقواماً ـ فلما حذفت الألف استعيض عنها بالتاء التي حذفت هنا.

ومعنى تَتَقلَّبُ أي تَـرْجُفُ وَتَجفُ من الجَـزَعِ والخَـوْفِ، ومعنـاه أَن مَنْ كَانَ قلبُه مُوقِنـاً بالبعـث والقيامَةِ ازداد بَصِيرَةً، ورأى ما يحبُّه مما وُعِدَ بِهِ، ومن كان قلبه على غير ذلك رأى ما يُوقِنُ مَعَهُ بِأَمْرِ القِيامة والبعْثِ، فَعَلِمَ ذلك بقلبه وشاهده بِبَصَرِهِ، فذلك تَقَلُّبُ القلوب والأبْصَارِ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

والقيعـة جمع قـاعٍ، مثـل جَـارٍ وَجِيـرَةٍ، والقيعـة والقـاع مـا انبسط من الأرض ولم يكن فيه نباتٌ، فالذي يسير فيه يَرَى كأَنَّ فيه ماءً يَجْرِي. وذَلِكَ هُـوَ السَّرابُ، والآل مثلُ السَّـرابِ إلَّا أنه يـرتفع وقت الضُّحَى كـالماء بين السمـاء والأرْضِ.

﴿يَحْسَبُه الظَّمـآنُ مَاءً﴾.

يجوز يَحْسِبُه وَيَحْسَبُه، ويجوز الظَّمآن والظَّمانُ، على تخفيف الهَمْـزَةِ، وهُوَ الشديـدُ العَطَشِ يقـال ظمئ الرجـل يظمـأ ظمأً فَهُـو ظمآنُ، مثـل عَطِشَ يَعْطَشُ عطشاً فَهُوَ عطشانُ.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيئاً﴾.

أي حتى إذا جـاء إلى السراب وإلى مـوضعـه رأى أرضـاً لا مـاء فيهـا، فأعلم اللَّه - عز وجل - أن الكافر يظن عَمَلَه قد نفعه عند اللَّه، ظَنُّه كَـظَنِّ الذي يـظن أن السَّرابَ مـاء، وأن عمله قَـدْ حَبِط وذَهبَ. وضـرب اللَّه هـذا المثـلَ لِلكَافِر فقال: إن أعمال الكفار كهذا السَّرابِ.

﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِيٍّ﴾ - الآيـة[1].

---

(١) تمـام الآية: ﴿ يَغْشَـاهُ مَـوْجٌ مِنْ فَوْقِـهِ مَوْجٌ مِنْ فَـوْقِهِ سَحَـابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهـا فَوْقَ بَعْضٍ﴾.

لأنه عز وَجل وصف نوره الـذي هو للمؤمنين، وأعلم أن قلوب المؤمنين وأعمـالهم بمنزلـة النُّورِ الَّـذي وصَفَهُ، وأنهم يجـدونه عنـد اللَّه يجازيهم عليـه بالجنة، وأن أعمال الكافـرين وإن مثلت بما يـوجَدُ فمثله كمثـل السَّرابِ، وإنْ مثلت بِمَا يُرَى فهي كهـذه الظلمات التي وَصَفَ في قولـه: ﴿أَوْ كَظُلُمَـاتٍ في بَحْرٍ لُجِيّ﴾ الآية.

وقوله: ﴿إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾.

معناه لم يرها ولم يكد، وَقَالَ بَعضُهُم يراها من بُعْدٍ[1] إن كـانَ لا يَراهَـا من شِـدَّةِ الـظلمـة، والقـولُ الأولُ أَشْبَـهُ بهـذَا المعنى، لِأَنَّ في دُونِ[2] هـذه الظُّلُمَاتِ لا يُرَى الكفُّ.

وقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً [فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ]﴾.

أي من لم يهـده اللَّهُ إلى الاسـلام لم يَهْتَـدِ.

وقولـه: ﴿أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّه يُسَبِّـحُ لَـهُ مَنْ فِي السَّمَـواتِ وَالأَرْضِ وَالـطَّيْـرُ صَافَّاتٍ﴾.

ويجوز «والطيرَ» على معنى: «يسبح له الخلق مَعَ الطَّيْرِ» ولم يُقْرأْ بها.

وقوله: ﴿كـلٌ قد علم صلاته وتسبيحه﴾.

معناه كلٌّ قد علم اللَّهُ صَلاتَه وتسبيحَه، والصلاة للناس، والتسبيـح لغير النـاس، ويجوز أن يكـون ﴿كل قَـدْ عَلِمَ صَلاَتَـه وَتَسْبِيحَهُ﴾كـل شيء قـد علم

(١) غير واضح المعنى، ولعله يعني الفعل المنفي أي لا يراها من بعد، ويمكن أن يراها من قرب، أو يخيل اليه وهي قريبة أنها بعيدة.

(٢) أي ان رؤية الكف من القرب لا تدل على ظلمة شديدة، ففي الظلمة التي هي أقـل مما وصف لا يَرى الانسان يده.

صلاة نفسه وتسبيحَهَا، ويجوز ان يكـون كل انسـان قَدْ عَلِمَ صـلاة اللَّه، وكل شيء قد علم تسبيح اللَّه. والأجود أن يكون كل قد علم اللَّه صلاته وتسبيحه، ودليل ذلك قوله - ﴿واللَّهُ عَليمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

وقوله :﴿أَلَمْ تَرَ أَنّ اللَّه يُزْجِي سَحَاباً﴾.

معنى :﴿يُزْجِي﴾ يَسُوقُ، ﴿ثُمَّ يؤَلِّفُ بينَهُ﴾ أي يجعل القطع المُتَفرِّقَةَ مِنَ السَّحَابِ قطعةً وَاحِدَةً ﴿ ثم يَجْعَلُهُ رُكاماً﴾، أي يجعـل بَعْضَ السحاب يـركب بعضاً.

﴿فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِه﴾.

الوَدْقُ المطرُ، ويقرأ من خَلَلِه، وخِلاَلِـه أَعَمُّ وأجوَدُ في القـراءة، وخِلاَل جمـع خَلَلٍ وخِلاَل، مثـل جَبَل وجِبَـالٍ، ويجـوز أن يكـون السحـاب جمـع سحابة ويكون «بينَه» أي بينَ جميعه، ويجوز أن يكون السحاب وَاحِـداً إلا أنه قال بينه لكثرته، ولا يجوز أن تقول جلست بين زَيْدٍ حتى تقول وعَمْرٍو، وتقول ما زلت أدور بين الكوفة، لأن الكوفة اسم يتضمَّن أَمْكِنَةً كثيـرة، فكأنـك تقول ما زلت أدور بين طرق الكوفة.

وقوله تعالى : ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فيها مِنْ بَرَدٍ﴾.

ويجوز ويُنْزِل بالتخفيف، ومعنى مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبَالٍ فيها من بَرَدٍ، مِن جِبَالِ بَرَدٍ فيها[1] كما تقول هذا خاتم في يدي مِنْ حَـدِيدٍ، المعنى هـذا خاتَمُ حَـديدٍ في يَـدِي. ويجوز - واللَّه أعلم - أن يكـون معنى «مِن جِبَالٍ» مِنْ مِقْدارِ جِبَالٍ مِنْ بَرَدٍ كما تقول عِنْدَ فُلاَنٍ جِبَالُ مَالٍ تريد مقدار جبال مِنْ كَثْرَتِه.

قوله :﴿يَكَادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ﴾.

---

(١) التقدير اذن من جبال من برد تنزل من السماء.

وقرأ أبو جعفر المدني: يُـذْهِبُ بالأَبْصَـارَ، ولم يقرأ بهـا غيرُه، ووجههـا في العربيَّةِ ضعيفٌ، لأن كلام العَرَبِ: ذَهَبْتُ بِهِ وَأَذْهَبْتُه. وتلك جائزة أيضـاً - أعني الضم في الياءِ في يُذْهِبُ. ومعنى ﴿سَنَا بَرْقِه﴾ ضَوْءُ بَـرْقِه، وقـرئت سنا بُرْقِه يذهب بالأبصـار، على جَمْعِ بُـرْقَةٍ وبُـرْقٍ، والفرق بين بُـرْقِهِ - بـالضَّمِّ - وبَرْقِهِ بالفتح أن البرق المقدارُ من البرق، والبرقَةُ أن يبرق الشيء مَرَّةً واحِدَةً، كما تقول: غَرفْتُ غَرفَـةً وَاحِدَةً تـريد مَـرَّةً وَاحِدَةً. والغَـرْفَةُ مقـدار ما يُغْـرَفُ، وكذلِكَ اللقمة واللُّقْمَة.

وقوله تعالى: ﴿ واللَّه خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾.

ويقرأ، ﴿واللَّه خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ من ماء﴾، فَدَابَّةٌ اسم لِكل حيوان مُمَيِّزٍ وغيره: فلما كان لما يعقل ولما لَا يعقِلُ قال ﴿فمنهم﴾، ولوكان لما لَا يَعْقِـل لقيلَ فمنهـا أو مِنْهُنَّ. ثم قال: ﴿مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِه﴾.

فقال «مَنْ» - وأَصل مَنْ لِمَـا يَعْقِل -، لأنّه لَمَّا خَلَط الجمـاعَةَ فقيـل فمنهم جعلت العِبَارَةُ بِمَنْ، وقيل يمشي على بطنه، لأن كـل سائـر كان لـه رجلان أو أربع أوْ لَمْ تكن له قَوائِم، يقال له ماشٍ وقَدْ مَشَى، ويقال لكل مُسْتَمِرٍّ مَاشٍ، وإن لم يكن من الحيوان حَتّى يقال قد مشى. هذا الأمْرِ.

﴿مِنْ مَاءٍ﴾، وإنَّما قيل من ماءٍ كما قال اللَّه سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾[1].

وقوله جل وعلا: ﴿ [وإنْ يَكُنْ لهم الحقُّ] يَأْتُوا إلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾.

جـاء في التفسير «مُسْـرِعين»، والإِذْعَانُ في اللغةِ الاسْراعُ مَـعَ الطَّاعَـةِ، تقـول: قَدْ أَذْعَنَ لي بِحَقِّي، معنـاه قَدْ طَـاوَعَنِي لِمَا كُنْتُ أَلْتَمِسُـه مِنه، وصـارَ يُسْرِعُ إلَيْه.

(١) سورة الانبياء الآية ٣٠.

وقوله: ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾.

تأويلُهُ طاعَةٌ مَعْرُوفَـةٌ أمثلُ مِنْ قَسَمِكُمْ لِمَـا لَا تَصْدُقُـونَ فِيهِ[1]. والخبـر مُضْمَـرٌ، وهَوَ «أَمْثَلُ» ـ وَحُذِفَ لأن في الكلام دَلِيلاً عليه، لأنه قال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِـاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـانِهِمْ لِئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾. واللَّه عز وجـل وراء مَا فِي قلوبِهِـم فقـال: ﴿قل لا تُقْسِمُـوا، طاعـة مَعْروفَـةٌ إنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بمـا تَعْمَلُونَ﴾. ويجـوز طـاعةً معـروفةً على مَعْنى أَطِيعُـوا طَاعَـةً مَعروفَـةً، لأَنهم أَقسَمُوا إن أُمِـروا أَنْ يُطيعُوا فقيل أطيعوا طاعة معروفةً، وَلَا أَعْلَمُ أَحَداً قَرأ بهـا[2]، فإنْ لَم تُـرْوَ فلا تُقْرَأُ بها، وهذا يُعْنَى به المنافقونَ.

وقـولـه عـز وجل: ﴿وَعَـدَ اللَّهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَـاتِ لَيَسْتَخْلِفنَّهُم في الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

وإنما جاءت اللام لأن «وَعَدْتُه بِكَذَا أَو كَذَا» و «وَعَدْتُـه لأكْرِمَنَّـهُ» بمنزلـة قُلْتُ لأن الـوَعْـدَ لا ينعقِـدُ إلَّا بقـولٍ، ومعنى ليستخلفهم في الأرْضِ، أي ليجعلنَّهم يخلفون مَنْ بَعْدَهم من المؤمنين فَاستخلَفَ الَّذين من قبلِهِمْ، وقرئت كما اسْتُخْلِفَ الذين مِنْ قَبلِهِم.

﴿وليُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾.

يعني به الاسلام.

﴿وليُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾: وقرئت وَلَيُبْدِلَنَّهُمْ.

وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾.

يجوز أن يكن مستأنفاً، ويجوز أن يكون في موضـع الحال، على معنى وعد اللَّهُ المؤمنين في حالِ عبـادتهم وإخلاصهم لِلَّهِ ـ عـز جلَّ ـ ليفعَلَنَّ بهم، ويَجُوزُ أَنْ يكونَ اسْتِئنَـافاً على طـريق الثناء عليهم وَتَثْبيتـاً كأنـه قال: يَعْبُـدُنِي المؤْمِنُونَ لَا يُشركون بي شيئاً.

---

(١) لعدم صدقكم فيه.

(٢) أي بقراءة النصب.

وقوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ﴾.

القراءة بالتاء على معنى: لا تَحْسَبَنَّ يا مُحَمَّد الكَافِرِينَ مُعْجِزِينَ، أي قدرةُ اللَّهِ محيطةٌ بِهِمْ وقرئت: لَا يُحْسَبَنَّ عَلَى حَذْفِ المفعول الأوّل مِنْ يحسَبَنَّ على معنى لا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا إياهم معجزين في الأرض، كما تَقُولُ زَيْدٌ حَسِبهُ، فانما تريد حَسِبَ نَفْسَه قَائِماً، وكأنه لا يَحْسَبَنَّ الذين كفروا أَنْفُسَهم مُعْجِزين، وهذا في بَابِ ظَنَنْتُ، تطرح فيه النفس يُقَالُ ظننتُنِي أَفْعَلُ، ولا يقال ظننت نفسي أفعلُ، وَلَا يَجُوزُ ضَرَبْتُنِي، استُغْني عنها بِضَرَبتُ نَفْسِي(١).

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ والَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الحُلُمَ مِنْكُمْ ثلاث مَرَّاتٍ﴾.

فأمر اللَّه عز وجل بالاستئذان في الاوقات التي يُتَخَلَّى فيها(٢) ويتكشفون، وَبيَّنَها فقال: ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ، وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشَاءِ﴾.

يعنى به العَتَمة عشاء الآخرة، فأعلم أنها عورات فقال ﴿ثَلَاثُ عَوْراتٍ لَكُمْ﴾، على معنى هي ثلاث عورات لكم، وقرئت «ثَلَاثَ عَوَرَاتٍ لَكُمْ» والإسكان أكثر لثقل الحركة والواو. تقول طلحة وطَلَحات، وجمْرة وجمَرات، ويجوز في لوزة لَوَزَات بحركة الواو، والأجْوَدُ لَوْزَات، ويجوز ثلاثَ عَوراتٍ بالنَّصْبِ، على معنى ليستأذنوكم ثلاث عَوْرَاتٍ، أي في أَوْقَاتِ ثلاث عَوْراتٍ.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُم وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾.

أي ليس عليكم جناح ولا عليهم في أنْ لَا يَسْتَأْذِنُوا بعد أن يمضي كل وَقْتٍ من هذه.

---

(١) لا يجيء الفاعل هو المفعول إلّا في هذا الباب، وفي غيره تذكر كلمة النفس، تقول أطعمت نفسي وسقيت نفسي ولا تقول سقيتني.

(٢) يَتخلَّى الناس فيها عن ملابسهم الخارجية.

وقوله تعالى: ﴿طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ﴾.

على مَعنى هُم طَوَّافُونَ عَلَيْكُم.

وقوله: ﴿بَعْضُكُم عَلَى بَعْضٍ﴾: على معنى يَطُوف بَعْضُكُم على بعْضٍ.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ منكُمُ الحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾.

فالبالغ يستأذن في كل الأوقات، والطفلُ والمملوكُ يستأذن في الثلاث العورات.

وقوله: ﴿والقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نكاحاً﴾.

القواعد جمع قاعدة، وهي التي قعدت عن الزواج، اللاَّتِي لاَ يَرْجُونَ نكاحاً، أي لاَ يُرِدْنَهُ، ولا يَرْجُونَه، وقيل أيضاً اللاتي قَدْ قَعدْنَ عَنِ الحيض، ﴿فَلَيْسَ عليهِنَّ جُناحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيرَ مُتَبرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾.

قال ابن مسعود: أن يضعن المِلْحَفَةَ والرِّدَاء.

﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾.

أي أنْ لَا يضَعْن الرداء والملحفة خير لهن من أن يَضَعْنَه(١).

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾.

الحرج في اللغة الضيق، ومَعْناهُ فِي الدِّين الإِثمُ، وجاء في التفسير أن أهل المدينة قبل أن يُبعثَ النبي ﷺ كانُوا لا يُؤَاكِلونَ هؤلاءِ، فقيل إنهم كانوا يفعلون ذلك خوفاً من تمكن الأصحاء في الطعام، وقِلَّةِ تمكُّنِ هؤلاء(٢)، فقيل

(١) يضعنه بمعنى يلقينه عن جسدهن. أي هذا خير لهن من وضع الرداء، وتدخل فيه الملحفة والأصل أن يقول يضعنهما.

(٢) عدم قدرتهم عليه وأخذهم منه نصيباً يكفي.

لهم ليس في مُؤاكَلتِهْم حَرَجٌ، وقيل إنهم كانوا يفعلون ذلك تقززاً، وقيل أيضاً إنَهُمْ كانوا إذا خرجوا مع رسول اللَّه ﷺ خَلَّفُوا هؤلاء فكانوا يتحوبون[١] أن يأكُلُوا مما يحفظونه فَأُعْلِمُو أنَّه ليس عَلَيهم جُنَاحٌ، وقيل أيضاً انه كان قوم يَدْعُونَهم إلى طعامِهِم فربما صاروا إلى منازلهم فلم يجدوا فيها طعاماً، فيمضون بهم إلى آبائهم.

وجميع ما ذكروا جيِّدٌ[٢] بالغ إلا ما ذكروا من ترك المؤاكلة تَقَزُّزاً، فإني لا أدري كيف هو.

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ أَن تَأكُلوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتاتاً﴾.

معنى أشتاتاً متفرقين مُتَوَحِّدِين. ونصب «جميعاً» على الحال، ويروى أَن حَيّاً من العرب كان الرجل منهم لاَ يَأْكُل وحدَهُ، وهم حَيٌّ من كنانة، يمكث الرجل يَوْمَهُ فإن لم يجد مَنْ يؤاكله لم يأكل شيئاً، وربما كانت مَعَهُ الابلُ الحُفَّلُ، وهي التي مِلْءُ أخلافها اللَّبَنُ فلا يَشْرَبُ من ألبانها حتى يَجِدَ من يُشَارِبُه، فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ الرَّجُلَ منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾.

معناه فلْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فالسلام قد أمر اللَّه به، وقيل أيضاً: إذَا دَخَلْتُم بيوتاً وكانت خَالِيةً فَلْيَقُلِ الدَّاخِل: السَّلامُ علينا وعلى عباد اللَّهِ الصَّالِحِينَ.ـ

وقوله عز وجل: ﴿تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

---

(١) يتأثمون من الحُوب وهو الاثم.

(٢) في الأصل فجيد.

مَعْنَاهُ[1] النَّصْبُ على المصدَرِ، لأن قوله فَسَلِّمُوا، معناه تَحَيَّوْا، ويحيي بَعْضُكُمْ بعْضاً، تَحِيَّةً من عند اللَّه. فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن السلام مُبَارَكٌ طَيِّبٌ.

وقوله: ﴿ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾.

قال بعضهم كان ذلك في الجمعة، فهو ـ واللَّه أعلم ـ أن اللَّه عز وَجَلَّ أمر المؤمنين إذَا كانوا مع نبيِّه فيما يُحتاج فيه إلى الجماعة، نحو الحرب لِلْعَدُوّ، أَوْ مَا يَحضرونه مما يُحْتَاجُ إلى الجمع فِيه، لم يذهبُوا حَتَّى يستأْذِنُوه، وكذلك ينبغي أن يكونوا مَعَ أَئِمَّتِهِمْ لا يخالفونهم ولا يرجعون عنهم في جمع من جموعهم إلاَّ بِإذْنِهِمْ، وللإمام أن يأذن، وله أن لا يأذَنَ، على قدر ما يرى من الحَظِّ فِي ذَلِكَ لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْض شَأْنِهم فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾.

فجعل المشيئة إليْه فِي الاذْنِ.

﴿ واسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ ﴾.

أي اسْتَغْفِرْ لَهُمْ بِخُروجِهِمْ عن الجماعة إذا رأيت أنَّ لهم عُذْراً.

وقوله: ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ﴾.

أي لا تقولوا: يا محمد كما يَقُولُ أَحَدُكم لِصَاحِبِه، ولكن قولوا يا رسول اللَّه ويا نبي اللَّهِ بتبجيلٍ وَتَوْقِيرٍ وَخَفْض صَوْتٍ.

أعلمهم اللَّه عز وجل فضل النَّبي عليه السلام على سائر البريَّة في المخاطبة.

---

(١) أي تقديره، وقد مر كثيراً أنه يقول المعنى كذا وكذا وهو يريد التقدير.

وقوله: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً ﴾.

أُظْهِـرَتِ الوَاوُ في «لِـوَاذاً» على معنى لَاوَذْتُ لِـوَاذاً، ومعنى لِـوَاذاً ههنـا الخلاف [أي] يُخَالِفُونَ خلافاً، ودليل ذلك قوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّـذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾.

فأما مَصْدَرُ لُذْتُ فقولك: لُذْتُ بِهِ لِيَاذاً.

سُورَةُ الفُرْقَانِ
[مكية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحمن الرَّحيم

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ ﴾.

﴿تبارك﴾معناه تفاعل من البَرَكَةِ، كذلك يقول أهلُ اللغة، وكذلك رُوِيَ عن ابن عباس، ومعنى البركة الكثرة في كل ذي خيرٍ. والفرقانُ القرآن، يُسمى فرقاناً لأنه فُرِّقَ به بين الحق والبَاطِل.

وقوله: ﴿ليكون للعَالَمين نَذِيراً﴾.

«النذير» المخوف من عذاب اللَّه، وكل من خوَّفَ فقد أَنْذَرَ، قال اللَّه ـ عزّ وَجَلّ ـ ﴿فأنذرتكم ناراً تَلَظَّى﴾(١).

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾.

خلق اللَّه الحيوان وقدر له ما يُصْلحه ويقيمُه، وقَدَّرَ جميع ذلك لخلقه بحكمة وتقديرٍ وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الذينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ﴾.

«الإفك» الكَذِبُ.

﴿وَأَعَانَه عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾.

يعنونَ اليَهُودَ.

---

(١) سورة والليل إذا يغشى، الآية ١٤.

﴿فقد جَاءوا ظُلماً وَزُوراً﴾.

والـزُّورُ الكَذبُ، ونصبُ ﴿ظُلماًوَزُوراً﴾ على: فقد جـاءوا بظلم وَزُورٍ، فَلَمَّا سقطت الباء أفْضَى الفِعْلُ فَنَصَبَ.

﴿وَقَالُوا أَسَاطِير الأَوَّلِينَ﴾.

خبر ابتداء محـذوف، المعنى وقالـوا: الذي كتـابه أسـاطير الأولين[1]، معنـاه مِمَّا سَـطَّرَهُ الأَوَّلُونَ، وواحـدُ الأسـاطيـر أُسْـطُورَةٌ، كمـا تقـول أحْـدُوثـة وأَحَادِيث.

وقوله عز وجل: ﴿ فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

الأصيل العَشِيُّ.

وقوله: ﴿ وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾.

«مـا» منفصِلةٌ من اللام، المعنى أي شيء لهـذَا الرَّسُـول في حـال أكله الطَّعَامَ وَمَشْيِهِ في الاسواق. التمسوا أن يكون الرسول على غير بِنْيَةِ الآدَمِيينَ، والواجب أن يكون الرسولُ الى الآدَمِيِّينَ آدَمِيًّا ليكون أقرب إلى الفهم عنه.

وقوله: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْه مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾.

طلبـوا أن يكون في النُّبـوةِ شَركـةٌ، وأن يكون الشـريك مَلَكـاً، واللَّه عز وجـل يقول: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـاهُ مَلَكـاً لَجَعَلْنَـاهُ رَجُلاً﴾[2] أي لم يكن لِيُفْهِمهم حَتَّى يكون رَجُلاً، وَمَعْنَى لَوْلَا: هَلَّا وتـأويل هـلَّا الاستفهامُ، وانتصبَ فيكـونَ على الجواب بالفاء للاستفهام.

---

(١) قالوا الكتاب الذي جاء به أساطير ـ اي الذي هو كتابه انما هو أساطير.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩.

﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْه كَنْزٌ أَوْ تَكونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾.

وإن شئت أو «يَكُـونُ» لـه جَنَّـةٌ، ولا يجـوز النَّصْبُ في يكـون لـه، لأن يكون عطف على الاستفهـام، المعنى: لولا أنزل إليه مَلكٌ أو يُلْقَى إليه كَنْزٌ، أو تكون له جَنَّةٌ، والجنة البستان فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنه لو شاء ذلك وخيراً منه[١] لَفعَلَه، فقال:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَـاءَ جَعَل لَـكَ خَيْراً مِنْ ذَلِـكَ جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾.

أي لو شاء لفعل أكثر مِمَّا قَالُوا، وقد عرض اللَّه ـ عز وجـل ـ على النبي أمر الدنيا فَزهِدَ وآثَرَ أَمْرَ الآخِرَةِ. فَأَمَّا «يَجْعَلْ» فبالجزم، المعنى إن يشأ يَجْعَـلْ لَكَ جَنَّاتٍ، وَيَجْعَلْ لك قُصُـوراً ومن رفع فعلى الاستئنـاف، المعنى وسَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً، أي سيعطيك اللَّه في الآخرةِ اكْثَرَ مِمَّا قالوا.

وقوله: ﴿ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلْ مِنها﴾ ويَأْكُلُ منها.

وقوله: ﴿سمعوا لها تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾.

أي سمعوا لها غليان تَغُّيظٍ.

وقوله: ﴿ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً﴾.

في معنى «هلاكاً» ونصبه على المصدر كأنهم قالوا ثُبِرْنا ثبوراً.

﴿لَا تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كثيراً﴾.

أي هلاككم أكثر من أن تـدعوا مَـرَّةً واحِدَةً. و[قيـل] ثبوراً كثيـراً، لأن ثبوراً مصدرٌ فهو للقليل والكثير على لفظ الوَاحِـدِ، كما تَقُـولُ: ضربتـه ضَرْبـاً

---

(١) لو شاء أن يعطي النبي ذلك وأكثر منه من خير الدنيا فعل.

كثيراً، وَضَرَبْتُه واحِداً، تريد ضربته ضرباً وَاحِداً.

وقوله عز وجل: ﴿ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾.

إنْ قَالَ قَائِلٌ: كيف يقال: الجنة خير من النار، وليسَ في النَّارِ خيرٌ البَتَّةَ، وإنما يقع التفضيل فيما دخل في صنفٍ وَاحدٍ؟، فالجنة والنار قَدْ دُخَلاَ في بَابِ المنازِلِ في صنف واحِدٍ، فلذلك قيل أذلك خير أم جنة الخُلْدِ، كما قال اللَّه عز وجل:

﴿خَيرٌ مستقرًا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤولاً﴾.

مَسْؤُولُ ذَلك[2] قول الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتي وَعَدْتَهم وَمَنْ صَلَح مِنْ آبائهم﴾[3].

وقوله: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾.

لما سُئِلَتْ المَلائكةُ فَقِيلَ: ﴿ أَأَنْتُم أَضْلَلْتُم عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾.

وجائز أن يكونَ الخِطَابُ لِعِيسَى والعُزَيْرِ، وقرأ أبو جَعْفَر المدني وَحْدَهُ: قالوا سبحانَكَ ما كان ينبغي لنا أن نُتَّخَذَ من دونِك مِن أولياء، بِضَمِّ النُّونِ على ما لم يسَمَّ فاعلُه وهذه القراءة عند اكثر النحويين خَطأٌ، وإنما كانت خطأ لأن «مِنْ» إنما يدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مَفْعُولَة أولاً، ولا تَدْخُل على مفعول الحال، تقول ما اتخذت من أَحَدٍ وَلِيًّا، ولا يجوز ما اتخذت أَحَداً مِنْ وَلِيٍّ، لأن «من» إنَّما دخلت لأنها تنفي واحداً في معنى

(١) الآية ٢٤ من هذه السورة.

(٢) الذي سئل بذلك أي ما سألت الملائكة اللَّه تعالى أن يمن به.

(٣) سورة غافر الآية ٨.

جميع، تقول: مَا مِنْ أَحَدٍ قَائماً، وما من رَجُلٍ مُحِبًّا لما يَضَرَّه، ولا يجوز «ما رجل من مُحِبٍّ مَا يَضُرُّه». ولا وجه لهـذه القِرَاءَةِ، إلَّا أَنَّ الفـرَّاء أجازهـا على ضَعْفٍ، وزعم أنه يجعل مِنْ أَوْلِياءَ هو الاسم، ويجعل الخبر ما في تتخَّذَ كَأَنه يُجْعَلُ على القلب، ولا وجه عندنا لهـذا البَتَّةَ، لـو جَازَ هـذا لجَازَ في ﴿مَا مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزين﴾ ما أَحَدُ عَنْه مِنْ حَاجِزينَ. وهذا خطأ لا وَجْهَ له فاعْرِفه، فإن مَعْرِفَةَ الخطأ فيه أَمْثل من القراءة، والقُرَّاءُ كلهم يُخَالفون هذا منه، ومن الغلط في قراءة الحسن: وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونَ(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً ﴾.

قيل في التفسير «هَلْكَى»، والبائِر في اللغة الفَاسِـدُ، والذي لا خيـر فيه، وكذلك أرض بائرة متروكة من أن يزرع فيها.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾.

وتقرأ بما يقولون ـ بالياء والتاء ـ فمن قرأ بمـا تَقُولُـونَ ـ بالتَـاءِ ـ فالمعنى فقد كَذَّبُوكُم بقولهم إنهم آلهة، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كـذَّبُوكُـمْ بـقولهـم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾(٢).

وقوله عز وجل: ﴿ فما تستطيعون صرفاً ولا نَصْراً ﴾.

أي ما تستطيعون أَنْ تَصْرِفُـوا عن أَنْفُسِهم ما يحـل بهم من العذاب. ولا ان ينصـروا أَنْفُسَهُمْ.

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٠ وصحتها الشياطين لأنه جمع تكثير.

(٢) عبارة الأصل هكذا: فمن قرأ بما تقولون ـ بالتاء ـ فإن المعنى فقد كذبوكم بقولكُمْ: إنهم آلهـة، ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾. والمعنى المراد أنهم بما قالـوه كذبـوكم في هذه العبـارة (سبحانـك... الخ) ومعنى كذبوكم بقولهم إنهم آلهة. أنهم بشـركهم كذبـوكم في كلمة التوحيد وعبـارته غيـر مستقيمة لأن المسلمين لم يقولوا إنهم آلهة.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُـونَ فِي الأَسْوَاقِ﴾.

هذا احتجاج عليهم في قولهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام وَيَمْشِي في الأَسْوَاقِ.

فقيل لهم: كذلك كان مَنْ خَلاَ من الرسل يأكل الطعام ويمشي في الاسواق، فكيف يكون محمدٌ ﷺ بدعاً من الرُّسُل. فأما دخول «أَنَّهُمْ» بعد «إلاّ» فهو على تَأْوِيلِ ما أَرسَلْنَا رُسُلاً إلاّ هُمْ يأكلون الطعام، وإلاّ أنهم لَيَأكلون الطعام، وحُذِفَتْ رُسُلاً لأن «من» في وقوله تعالى ﴿من المرسلين﴾ دليل على ما حذف منه، فأما مثل اللاّمِ بعد «إلاّ» فَقَولُ الشَّاعِر[1]:

ما أَنطياني ولاَ سَألْتُهمَا إلاّ وإني لَحاجِزٌ كرمي

يريد أعطياني، وزعم بعض النحويين أن «مَنْ» بعد إلاّ مَحْذُوفَةٌ، كأن المعنى عِنْدَهُ إلاّ «مَنْ» ليأكلون الطعام. وهذا خطأ بيِّنٌ، لأنَّ «من» صِلَتُها «أَنَّهُم ليأكلون»، فلا يجوز حذف الموصول وتبقيةُ الصِّلَةِ.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾.

فيه قولان: قيل كان الرجل الشريف ربَّمَا أراد الاسلام فعلم أن مَنْ دُونَه فِي الشَّرَفِ قد أَسْلم قبلَهُ فيمتنع من الاسلام لئلا يقال أسلم قبله من هو دُونَهُ، وقيل كان الفقير يقول: لِمَ لَمْ أُجْعَلْ بِمَنْزِلَةِ الغَنِيِّ، ويقول ذو البلاء: لِمَ لَمْ أُجعل بمنزلة المُعَافى، نحو الأعمى والزَّمِن ومن أشبه هَؤُلاءِ.

وقوله تعالى: ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً﴾.

---

(١) لكثيربن عبد الرحمن ـ وقد أورد سيبويه هذا الشاهد وذكر الآية أيضاً انظر كتاب سيبويه ١٤٥ جـ ٣ ت هرون ـ وهو في العيني ٢/٣٠٨ والأغاني ٨/٢٨ وروايته بالعين ما أعطياني ـ والنون رواية أخرى.

أي أتصبرون على البلاء فقد عُرِّفْتُمْ مَا وُعِدَ الصابرون.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا المَلَائِكَةُ﴾.

معنى «لولا» هَلَّا.

﴿أَو نَرَى رَبَّنَا [لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِم وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيراً﴾.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ الذين لا يوقنون بالبعث، ولا يرجـون الثواب على الأعمال عند لقاء اللَّه طلبوا من الآيات ما لم يأت أُمَّةً من الأُمَمِ. فـأعلم اللَّه عز وجل أنهم قد استكبروا في أنفُسِهم وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبيراً، ويجوز عتواً كثيراً بالثاء، والعتو في اللغة المجاوزة في القدر في الظُّلْمِ. وأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن الوقت الذي يَرَوْنَ فيه الملائكة هو يوم القيامَةِ، وأن اللَّه قد حرمهم البُشْرى في ذلـك الوقت فقال:

يَوْمَ يَرَوْنَ المَلَائِكَةَ لَا بُشْرى يَوْمَئِذٍ للمُجْرِمِينَ.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ مَنْصُوبٌ على وَجْهَين، أحدهمـا على معنى لا بُشْرى تكـون للمجرمين يوم يَرَوْنِ الملائكة، وَ «يَومَئِذٍ» هو مؤكد «لِيَوْمَ يَـرَوْنَ المَلَائِكَةِ»، ولا يجوز أن يكون مَنْصُوباً بقوله «لَا بُشْرى» لأن ما اتصل بلا لا يَعْمَلُ فيما قَبْلَهَـا، ولكن لَمَّا قيـل لَا بُشْرى للمُجْرمين بُيِّنَ في أي يوم ذَلِكَ، فكـأنه قيـلَ يجمعون البشرى يوم يرون الملائكةَ، وهو يوم القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً﴾.

وقرئت «حُجراً» بضم الحـاء، والمعنى وتقول المـلائكة حِجْـراً مَحْجُوراً، أي حراماً مُحَرَّماً عَلَيْهم البُشْرى، وأصل الحجر في اللغة مـا حَجَرْتَ عليـه أي ما مَنَعْتَ من أن يوصل إليه، وكل ما منعت منه فقـد حَجَرت عليـه، وكذلـك حَجَـر القُضَاةُ على الأَيْتَـام إنمـا هـو مَنعُهم إيَّـاهُمْ عن التصـرف في أَمْـوَالِهِمْ، وكذلك الحجرة التي ينزلها الناس هـو ما حَـوَّطوا عليـه، ويجوز أنْ يَكُونَ «يومَ»

مَنْصُوباً على معنى اذْكُرْ يَومَ يـرونَ الملائكـة، ثم أخبر فقال: ﴿لَا بُشْرى يَـوْمَئِذٍ للمُجْرِمينَ﴾. والمجرمون[1] الذين اجْتَـرَمُوا الـذُّنُوبَ، وهم في هـذا الموضـع الذين اجترموا الكفر باللَّه عز وجل.

وقوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾.

معنى قدمنا عمدنا وقصدنا كما تقول: قام فلان يشتم فلاناً، تـريد قصـد إلى شتم فُلانٍ، ولا تريد قام من القيام على الرِّجْلين.

﴿فَجَعَلنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾.

«الهباء» ما يخرج من الكَوَّةِ مع ضوء الشَّمْسِ شبيهاً[2] بالغبار. وتأويله ان اللَّه عز وجَلَّ أحبط أعمالهم حتى صارت بمنـزلة الهبـاء المنثور. ثم أعلم اللَّه عز وجل فضل أهل الجنة على أهل النار فقال:

﴿أَصْحَابُ الجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾.

والمقيـل المقامُ وَقْتَ القـائِلة، وقيل هُـوَ النَومُ نصفَ النَّهـارِ، وجـاء في التفسير أنَ أهل الجنَّةِ يصيرون إلى أهليهم في الجنَّةِ وقت نصف النهار.

وقوله عز وجل: ﴿ويومَ تشقَّقُ السماءُ بالغمام﴾: ويقرأ تَشَّقَّقُ بتشديد الشِّينِ والمعنى تَتَشقَّقُ.

﴿ونُزِّلَ الملاَئِكَةُ تَنْزِيلًا﴾.

جاء في التفسير أنه تتشقّق سَماءً سَماءً وتنزل المـلائكة إلى الأرض وهـو قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ والملكُ صَفًّا صَفًّا﴾[3].

---

(١) في الاصل والمجرمين.

(٢) في الاصل شبيهُ.

(٣) سورة والفجر.

وقوله عز وجل: ﴿ المُلْكُ يَوْمَئِذٍ الحَقُّ للرَّحْمَنِ ﴾.

الحق صفـة للمُلْكِ، ومعناه أن الملك الـذي هـو الملك حقًّا هـو ملك الـرحمن يوم القيـامة كمـا قال عـز وجل: ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَـوْمَ﴾(١) لأن المـلكَ الزَّائِلَ كأنه ليس بملك. ويجـوز الملك يَوْمَئِـذٍ الحَقَّ للرحمن ولم يقرأ بهـا فلا تقـرأن بها، ويكـون النصب عَلَى وجْهَيْن: أحدهمـا على معنى الملك يـومئـذ للرحمن أَحُقُّ ذَلِكَ الْحَقِّ، وعلى أَعْني الحقَّ.

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْـهِ يَقُولُ يَـا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَـعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾.

يروى أن عقبة بن أبي مُعَيْط هـو الظالم ههنـا، وأنه يـأكل يَـدَهُ ندمـا ثُمَّ يَعُـودُ وأنه كـان عزم على الاسـلام فبلغ [ذلك] أُمَيَّـةَ بن خَلَفٍ فقال لـه أُمَيَّـة: وَجْهِي مـن وجهـك حرام إنْ أَسْلَمْتَ، إنْ كَلَّمتُـك أبداً(٢)، فـامتنـع أميـة من الاسلام لقول أُمَيَّةَ فإذا كان يوم القيامَةِ أكل يَدَهُ نَـدَماً وتمنَّى أن آمن واتخـذ مع النبي عليه السلام طريقاً إلى الجَنَّةِ. وهو قوله: ﴿يَـا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِـذْ فُلانـاً خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عن الذِّكْرِ بَعْدَ إذْ جَاءَنِي ﴾.

وقد قيل أيضـاً في ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخذ فُـلَاناً خَلِيلاً﴾، أي لم أتخذ الشيـطان خَلِيلًا، وتصديق هَذَا القول ﴿وَكَانَ الشَّيطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾.

ولا يمتنـع أنْ يكون قبوله مِنْ أُمَيَّـةَ من عمل الشيـطانِ وأعوانـه. ويجـوز «اتَّخَذْتُ» بتبيين الذال، وبإدغامها في التاء، والإِدْغَام أكثر وأَجْوَدُ.

وقـوله عـز وجل: ﴿وقال الرسـول: يَارَبِّ إنَّ قَـوْمِي اتَّخَذُوا هـذَا القُرآنَ مَهْجُوراً﴾.

---

(١) سورة غافر.

(٢) أي لَا أكلمك أبداً.

جَعَلوه بِمَنزِلة الهُجْرِ. والهُجْرُ ما لا ينتفعُ به من القولِ، وكانوا يقولون إنَّ النبي ﷺ يَهْجُر، ويجوز أن يكون مَهْجُوراً متروكاً، أي جعلوه مَهْجُوراً لاَ يَسْتَمِعُونَه ولا يتفهَّمُونَهُ.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ المُجْرِمِينَ﴾.

عَدُوًّا لفظه لفظ وَاحِدٍ، ويجوز أن يكون في معنى الجماعة والوَاحِد كما قال ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لي إلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ﴾[1] فيجوزُ أن يكون في معنى أَعْدَاءٍ، وقد جاء في التفسير أن عدوَّ النبي ﷺ أبو جَهْل بن هشام.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾.

وهادياً ونَصِيراً منصوبان على وجهين أحدهما الحال، المعنى وكفى ربك في حال الهداية والنَصْرِ، والوجْهُ الثّاني أن يكون منصوباً على التمييز على معنى كفى ربُّك من الهُدَاةِ والنُّصَّارِ.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القُرآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾.

معناه: هَلاَّ نُزِّلَ عليْه القُرآنُ في وَقْتٍ واحِدٍ، وكان بَيْنَ أَوَّلِ نُزُولِ القرآن وآخره عِشْرُونَ سَنَةً، فقالوا: لِمَ لَمْ ينزل جَمْلَةً وَاحِدَةً كما أُنْزِلَتِ التوراةُ: فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ إنْزَاله مُتَفَرِّقاً ليثْبتَ في قَلْبِ النبي ﷺ فقال: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾ أي أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ مُتَفَرِّقاً، لأن معنى قولهم: لَوْلا نُزِّل عليه القرآنُ جملة واحدةً يدل على معنى لِمَ نُزِّلَ عَلَيْهِ القرآنُ مُتَفَرِّقاً فأعلموا لم ذلك، أي للتثْبيت.

﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾.

أي نَزَّلْناه على التَّرْتِيل، وهو ضِدُّ العَجَلَةِ، وهو التَّمكُّث.

وقوله: ﴿ إلاَّ جِئْنَاكَ بِالحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً ﴾.

---

(١) سورة الشعراء ٧٧.

معناه ولا يأتونك بمثلٍ إلاّ جئناك بالذي هو الحقّ وأحسن تفسيراً من مَثَلِهِمْ، إلاَّ أَنَّ «مِنْ» حُذِفَتْ لأن في الكلام دَلِيلاً عليها، لو قُلْتَ: رَأيت زَيداً وعَمْراً فكان عمرٌو أَحْسَنَ وَجْهاً، كان الكلام فيه دليل على أنك تريد: مِنْ زَيدٍ.

وقوله عَزَّ وجَلَّ: ﴿ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إلى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾.

«الذين» رَفْعٌ بالابْتِدَاءِ، و «أُولَئِكَ» رَفْعُ ابتداءٌ ثَانٍ، و «شَرٌّ» خبر «أُولئكَ»، و «أولئك» مع «شرٌّ» خبر «الَّذِينَ». وجاء في التفسير أَنَّ النَّاسَ يُحْشَرُون يَوْمَ القِيَامَةِ على ثلاثَة أصنافٍ، صنفٍ على الدَّوَابِّ وَصنْفٍ على أَرْجُلِهم وصنفٍ عَلَى وُجُوهِهِمْ. قيل يا رسول اللَّه: كيف يمشون عَلَى وُجُوهِهِمْ، فقال النبي ﷺ الذي مشاهم على أقدامهم قادرٌ أن يُمشِّيَهُم عَلَى وُجُوهِهِمْ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيراً﴾.

الوزير في اللُّغَةِ الذي يُرْجَعُ إليه ويُتَحَصَّنُ برأيِهِ، والوَزَرُ ما يلتجأ إليه ويُعْتَصَمُ بِهِ، ومنه قوله: ﴿كَلا لا وَزَرَ﴾(١) أي لَا مَلْجَأَ يومَ القيامَةِ ولا مَنْجا إلاَّ لمن رحم اللَّه عز وجل.

وقوله: ﴿ فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيراً ﴾.

يعني به فِرعونُ وقومُه، والذين مُسِخوا قردةً وخنازير.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أُغْرَقْنَاهُمْ ﴾.

يدلُّ هذا اللفظ أن قوم نوح قد كذَّبُوا غير نوح أَيْضاً لقوله «الرُّسُل»، ويجوز أن يكون الروح يعنى به نوح وحدَهُ، لأن من كَذَّب بِنَبيّ فقد كَذَّبَ

---

(١) سورة القيامة الآية ١١.

بجميع الأَنْبياء، لأنه مخالف للأَنبياء، لأن الأنبياء يؤمنون بـالله وبجميع رُسُلِه، ويجوز أن يكون يُعْنَى بِهِ الواحدُ. ويُذَكَّرُ لَفظُ الجِنْسِ كما يقول الرجل للرَّجُلِ ينفق الدِّرْهَمَ الواحد أنت مِمَّن يُنْفِقُ الدِّرَاهِمَ، أي ممن نَفَقَتُه مِنْ هَذَا الجِنْس، وفلان يركبُ الدَّوابَّ وان لم يركب إلَّا واحِدةً.

وقوله: ﴿وَعَاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾.

قـومَ نوحٍ «مَنْصُـوبون»(١) على معنى وأغـرقنا قـومَ نُوحٍ، وعَـاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ الـرَّسِّ نصب عـطف على الهاء والميم(٢)، التي في قـوله جعلنـاهم للنَّـاسِ آيَةً. ويجـوز أن يكون معـطوفاً على معنى﴿وَأَعْتَـدْنَا للظَّالِمِينَ عَـذَابـاً أَلِيمـاً﴾ ويكونُ التـأويل: وَعَـدْنَـا الـظالمين بـالعَـذَابِ، ووعـدنـا عـاداً وثمـوداً وَأَصحابَ الـرَّسِّ.

قال أبو إسحاق: والدليل على ذلك قوله: ﴿وَأَعتَدْنَا للظَّالِمِينَ عَذَاباً أليماً﴾.

والرَّسُّ بِئْرٌ، يروى أَنَّهُمْ قَومٌ كذبوا بِنبيِّهِمْ وَرَسُّوهُ في بِئرٍ، أي دَسُّوه فيها، ويروى أن الرَّسَّ قرية باليمامة يقال لها مَلْح، ويروى أن الرس ديار لطائفة من ثمود.

وقوله: ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً﴾.

يروى أن القرن مُدَتُه سبعون سَنَةً.

وقوله: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ﴾.

«كُـلًّا» منصوب بفعـل مضمر الـذي ظهر تفسيـره، المعنى وأنذرنـا كُلًّا ضربنا له الأمثالَ.

﴿وَكُلًّا تَبَّرْنا تَتْبِيراً﴾.

التتبير التدمير والهلاك، وَكُـلُّ شيء كسَّرتَـهُ وَفَتَّتَهُ فقـد تَبَّرْتَـهُ، ومن هذا

---

(١) الأولى أن يقول منصوب، أي هذا اللفظ منصوب لأن قوم نوح البشر لا ينصبون.

(٢) على الضمير.

قيل لمكَسَّر الـزجـاج التِّبْرُ، وكذلك تبر الذَّهَبِ.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى القَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَر السَّوْءِ ﴾.

﴿أَتَوْا﴾ أي مشركومَكّة، يعنى بِـهِ[1] قريـة قوم لـوط التي أمـر اللَّه عليهـا الحجارة، فأعلم اللَّه عز وجل أن الذي جرأهم على التكذيب، وأنهم لم يبالوا بما شاهدوا من التعذيب في الدُّنْيا أنهم كانوا لا يصـدِّقون بالبعث فقال: ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً ﴾.

قيل لاَ يَخافون مَا وُعِـدُوا بِهِ مِنَ العَـذَاب بَعْدَ البَعْثِ. والـذي عند أهـل اللغة أن الرَّجَاء ليس على معنى الخوف، هذا مذهب من يرفع الاضـداد، وهو عندي الحق ، المعنى بل كانوا لا يرجون ثوابَ مَنْ عَمِل خيراً بعد البَعْثِ فـركبوا المَعَاصِي.

وقوله: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَذا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً ﴾.

المعنى يقولون: أهذا الذي بعث اللَّه إلينا رَسُولاً.

وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ ﴾.

يروى أنّ الواحِـدَ مِنْ أَهْل الجَـاهِلِيَّة كـان يعبد الحجـر، فإذا مـر بحَجَرٍ أَحْسَن مِنْهُ ترك الأول وَعَبَدَ الثاني، وقيل أيضاً مَنِ اتَّخَـذ إِلٰهه هَـواهُ، أي أطاع هَواهُ وركبه فلم يُبَالِ عَاقِبَةَ ذلك.

وقوله: ﴿ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴾: أي حفيظاً.

وقوله عز وجل: ﴿إِنْ هُمْ إِلاَّ كالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾.

معناه ما هم إلاَّ كالأنعام في قلة التمييز فيما جُعِـلَ دَلِيلاً لهم من الآيَـاتِ والبرهان.

---

(١) يعنى بهذا القول.

قال: ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾.

لأن: الأنعام تسبح بحمد اللَّه وتسجُدُ له وهم كما قال اللَّه عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كالحجارة أو أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَ ﴾.

الظل من وقت طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَله سَاكِناً﴾، أَي ثابتاً دائِماً لَا يَزُول.

﴿ثم جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾.

فالشمس دَلِيلُ عَلَى الظِّلِ، وهي تنسخ الظِّلَّ.

﴿ثم قَبَضْنَاهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً ﴾.

قيل خَفِيًّا، وقيل سَهْلًا، ومعنى أَلَمْ تر، ألم تَعْلَم، وهذا من رؤية القلب. ويجوز أن يكون ههنا من رؤية العَيْن، ويكون المعنى: ألم تر كيف مَدَّ الظِّلَّ رَبُّك ! والأجودُ أَنْ يَكُونَ بمعنى ألم تَعْلَمْ.

وقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾.

فيها ستة أَوْجُهٍ، نَشْراً بفتح النون، ونُشْراً بِضَمِّهَا، وَنُشُراً بضم النُّونِ والشِّينِ، ويجوز بُشْرَى مؤنث بالباء على وزن فُعْلَى، وبُشْراً بالتنوين والباء، وبُشُراً بين يدي رَحْمَتِه، فهذه سِتَّةُ أَوْجُهٍ منها أربعة يقرأ بها. فأما نَشْراً فمعناه إِحْيَاءً ينشر السحاب الذي به المطر، الذي فيه حياة كل شيءٍ، ومن قرأ نشُراً فهو جمع نُشُور ونُشُر مثل رسول وَرُسُل، ومن قرأ بالإسكان أَسْكَنَ الشِّينَ اسْتِخفَافاً، فهذه ثلاثة أوجه فِي النُّونِ. فأما الباء فمن نَوَّنَ بالبَاءِ وَضَمِّها وَتَسْكِين الشِّين، فإنما هو بِتَسْكين العَيْنِ من قولك بُشْراً، وإذا لم يُنَوِّنْها فألِفَها

(١) سورة البقرة / ٧٤.

للتَّأْنِيثِ. ومن قرأ بُشْراً بالتنوين فهو جمع: يقال: ريح بَشُورٌ، كما قال: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّراتٍ﴾ أي تبشر بالغَيْثِ. ومن قرأ بُشُراً ـ بِالضَّمِّ فهو على أَصْلِ الجمع. ومن قرأ بُشْرَى بغير تنوين فهو بمعنى بشارة.

وقوله: ﴿[وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ] مَاءً طَهُوراً﴾.

كل ما نزل من السماء أو خرج من بحر أو أُذِيبَ مِنْ ثَلْج أو بَردٍ فهو طهور، قال عليه السلام في البحر: هُو الطَّهُورُ مَاؤُهُ الحِلُّ مَيتَتَهُ.

وقوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدةً مَيْتاً﴾.

ولو كان ميتة لجاز وقيل: «مَيْتاً» ولفظ البلدة مؤنث، لأنَ معنى البلد والبلدة وَاحِدٌ.

وقوله: ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيراً﴾.

أَنَاسِيُّ جمع إنْسِيّ مِثْلُ كُرْسِيَ وكَرَاسِيّ ويجوز أن يَكُونَ جَمعَ إنْسَان وتكون الياء بَدَلاً من النُّون، الأصل أَنَاسِين بِالنُّون مثل سَرَاحِين.

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّروا ﴾.

أَيْ صَرَّفْنَا المَطر بَيْنَهُمْ لَيَذَّكَروا، أَيْ لِيَتَفكَّروا في نِعَمِ اللَّه عَلَيْهِمْ فيه، ويحْمَدُوهُ عَلَى ذَلِكَ.

﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إلاَّ كُفُوراً ﴾.

وهم الذين يقولون: مُطِرْنَا بِنوءِ كَذَا، أي بسقوط كوكب كذا، كما يَقُول المُنَجِّمونَ فجعلَهُم اللَّه بِذَلِكَ كَافِرِينَ.

وقوله: ﴿فلاَ تُطِعِ الكَافِرين وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً﴾.

ويجوز كَثِيراً، والقراءة بالباء، ومعنى به أي بِالحَقِّ، أي بالقرآن الذي أنزل إليك وهُوَ الحقُّ.

وقوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحْرَيْنِ ﴾.

معنى مَرَجَ خَلَّى بَيْنَهُمَا، تقول: مَرَجْتُ الدَّابَّةَ وَأَمْرَجْتُها إذا خليتها تَرْعَى والمَرْجُ من هذا سُمِّيَ، ويقال مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ إذَا اخْتَلَطَتْ. يروى ذلك عن النبي ﷺ.

وقوله: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾.

فراتٌ صفةٌ لِعَذْبٍ، والفرات أَشَدُّ المياه عُذُوبةً، والمعنى هَذَا عَذْبٌ أَشَدُّ الماء عُذُوبَةً.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

والأُجَاجُ صفة لِلْمِلْح، المعنى وهذا ملح أَشَدُّ المُلُوحَةِ.

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً ﴾.

البـرْزَخُ الحاجز فهما في مَرْأى العين مُخْتلِطَان، وفي قدرة اللَّه - عز وجل - مُنْفَصِلَانَ لا يختلط أَحَدُهُمَا بالآخرِ.

وقوله عزّ وَجَلَّ: ﴿ وَهُو الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً ﴾.

فالأصهار من النسب من يجوز لهم التَّزْوِيجُ، والنَّسَبُ الذي ليس يُصْهِر، من قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ إلى ﴿وأَن تجمعوا بين الأُخْتَيْن﴾(١).

وقوله: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً﴾.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة النساء.

معنى الظَّهِيرِ المُعينُ، لأنه يتابع الشَّيْطَانَ ويعاونه على مَعْصِية اللَّه، لأنَّ عِبَادَتَهم للأَصْنَام معاونة لِلشَّيْطَانِ.

وقوله عز وجل: ﴿الرَّحمنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾.

ويجوز «الرَّحْمَنِ فاسأل»، فمن قال: الـرَّحْمَنُ فهـو رَفْـعٌ من جِهَتَيْن، إحْدَاهما عَلَى البَدَلِ مِمَّا في قوله: ﴿ثم استوى﴾، ثم بَيَّنَ بقوله الرَّحْمَنُ. ويجوز أن يكون ابتداءً و «فاسأل بـه» الخبر، والمعنى فـاسأل عنـه خبيراً. ومن قـالَ الـرَّحْمَنِ، فهو على معنى وتـوكل على الحَيِّ الـذي لَا يَمُوتُ الـرَّحْمَن. صفة للحَيِّ.

وقوله عز وجل: ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾.

وتقرأ يأمرنا، والرحمن اسم من اسماء اللَّه مذكور في الكُتُبِ الأُوَلِ ولم يكونوا يعرفُونَهُ من اسماء اللَّه فقيـل لهم إنَه من أسماء اللَّه، ﴿قل ادعـوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾(١).

ومعناه عند أهل اللغة ذو الرَّحْمَـة التي لا غـاية بعـدها في الـرَّحْمَةِ، لأنَّ فَعْلَانَ بِنَاءٌ مِنْ أَبْنِيَةِ المُبَالَغَةِ، تقول: رَجُلٌ عَطشـان وَرَيَّان إذا كـان في النهايَـةِ في الرِّيِّ والعَطَشِ، وكذلك فَرْحَان وَجَذْلَان وخزيان، إذا كان في غَاية الفرح أو في نهاية الخِزْي.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَل فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾.

البروج قيل هي الكـواكب العظام، والبَـرَجُ تباعَـد بين الحَاجِبَيْن، وكـل ظاهر مرتفع فقد بَرَجَ، وإنما قيل لها بُرُوج لظهورها وتباينها وارتفاعها.

---

(١) سورة الاسراء الآية ١١٠.

﴿وَجَعَلَ فِيها سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾.

ويقرأ سُرُجاً، ويجوز سُرْجاً بتسكين الرَّاءِ، مثل رُسُل ورُسْل، فمن قَرَأَ سِراجاً عَنَى الشَّمْسَ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً﴾(١)، ومن قرأ سُرُجاً أراد الشمس والكَوَاكِبَ العِظَامَ مَعَها.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾.

ويقرأ لمن أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ. قال الحسن: من فاته عَمَلُه من التَذكُّرِ والشُّكْرِ كان له في الليل مُسْتَعْتَبٌ، ومن فَاتَهُ بالليل كان له في النهار مُسْتَعْتَبٌ، وقال أهلُ اللغة خِلفة يجيء هذا في أثر هذا، وأنشدوا قول زُهَيْرٍ(٢):

بهـا العين والآرام يـمشـين خِـلفـة ... وأطـلاؤهـا يَنْهَضْنَ من كـل مَجْثَمِ

وجـاء أيضاً في التفسيـرِ خلفة مختلفـانِ كما قـال اللَّه عز وجل: ﴿إنَّ في خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ. الَّـذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً﴾الآية(٣).

وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً﴾.

أي يمشون بِسَكِينَةٍ وَوَقارٍ وَحِلْمٍ.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا: سَلَاماً﴾.

أي نتسلم منكم سلاماً لا نُجَاهِلُكم، كأنهم قالوا تَسَلُّماً مِنْكُمْ، و «عبادُ»

(١) سورة نوح الآية ١٦.

(٢) البيت الثالث من معلقته، والعين جمع أعين وعيناء. وهي ذوات العيون الواسعة والاسم منه عين ـ كفرح ـ وأراد بها البقر الوحشية، والآرام جمع ريم. وهو الظبي الخالص البياض والاطلاء جمع طلى، وهو ولد البقرة والظبية.

أراد بها الظباء الخالصة البياض ـو المجثم موضع الجثوم، كالمرقد، يـريد يخلف بعضهـا بعضاً أي يأتي قطيع بعد آخر.

(٣) سورة ال عمران الآية ١٩٠، ١٩١.

مَرْفُوعٌ بالابتداء، والأحسن أن يكون خبـر الابتداء ههنا مـا في اخر السـورة من قوله:﴿أولئك يُجْزَونَ الغرفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾، كأنه قال: وعباد الـرحمن الذين هـذه صِفَتُهُمْ كلها - إلى قوله - ﴿وَاجْعَلْنَا للمتَّقِينَ إمَـاماً﴾. ويجـوز أن يكون قـوله ﴿وَعِبَادُ الرحمن﴾ رفعاً بالابتداء، وخبره ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾.

وقوله تعالى: ﴿ إنَّ عَذَابَها كَانَ غَرَاماً ﴾.

الغَرَامُ في اللُّغَةِ أَشَدُّ العَذَابِ، قال الشاعر:

ويـومَ الـنِّـسَـارِ ويـوم الـجـفـار كـانـا عـذاباً وكـانـا غـرَامـاً[1]

وقوله عز وجل:﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً ﴾.

مستقرًّا ومُقامـاً منصوبـان على التمييز، المعنى أنهـا ساءت في المستقـر والمقام.

وَقَوله: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾.

كل من أدْركه الليل فقد بـاتَ يَبِيتُ، نَامَ أَوْ لَمْ يَنَمْ، بَـاتَ فلانٌ البَـارِحَةَ قَلِقاً، إنما المبيتُ إدْراكُ اللَّيْل.

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾.

[يُقْتِرُوا] بضم الياء وكسر التاء، وبفتـح الياء وضم التـاء، ولم يُقَتِّرُوا ولا أعلم أحداً قرأ بها، أعني بتشديـد التاء. والـذي جاء في التفسيـر أن الاسرافَ النَّفَقَةُ في مَعْصِية اللَّه، وأنه لاَ إسْرَافَ في الإنْفَاقِ فيما قَرَّبَ إلى اللَّه عز وجل، وكـل مـا أنفق في مَعْصِيَـةِ اللَّه فـإسْـرافٌ، لأن الإسـراف مجـاوزة الحـدّ

---

(١) هو الطرماح بن حكيم الخارجي. وروايته في اللسان (حجر) كانوا عذاباً وكانوا غراماً، وهو أيضاً في (غرم) وفي الطبري ١٩/٢١ - وانظر ترجمـة الطرماح في الأغاني ١٢ ص ٣٥ وما بعدها.

والقَصْدِ. وجاء في التفسير أَيْضاً أن الاسراف ما يقول الناسُ فيه فلانٌ مُسْرِفٌ. والحق في هـذا ما ادَّب اللَّه عـز وجل بـه نبيَّهُ ﷺ فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَـدَكَ إلى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾[١].

وقوله: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أثَاماً﴾.

«يلق» جزم على الجزاء، وتأويل الأثام تأويـلُ المُجَازَاةِ على الشَّيْءِ. قـال أبو عمرو الشيباني: يقال قد لَقِيَ إثامَ ذلـك أي جـزاء ذلك، وسيبويـه والخليل يذهبان إلى أن معناه يلقى جزاء الإثام، قال سيبـويه جُـزِمَتْ. ﴿يُضَـاعَـفُ لـه العذابُ﴾، لأن مضاعفة العذاب لُقِيّ الإثام[٢] كما قال الشاعر[٣]:

متى تـأتنـا تلمم بنا فـي ديـارنَـا تجـد حـطبـاً جزلاً ونـاراً تـوقـدا

لأن الإتيـان هو الإلمـام، فجـزم تلْمم لأنـه بمعنى تـأتي، وقـرأ الحَسَنُ وَحْدَهُ «يُضَعَّفْ» له لعذاب، وهو جيّـدٌ بالـغٌ، تقول ضـاعفت الشيء وَضَعَّفْتَه، وقرأ عَاصِمٌ: يضاعفُ له العذاب بالـرفع. على تـأويل تفسيـر يلق أَثَامـاً، كأن قائلاً قال مَا لُقِيُّ الإثَام، فقيل يضاعف للإثم العَذَبُ.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

ليس أن السَّيِّئَةَ بعينها تصيـر حَسَنـةً، ولكن التـأويـل أن السَّيِّئَـة تمحى بـالتَّوْبَـةِ وتكتب الحسنة مـع التوبـة، والكافِـرُ يُحْبِطُ اللَّه عَمَلَه ويثبت اللَّه عليه السَّيِّئَات.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾.

---

(١) سورة الاسراء /٢٨.

(٢) يريد أن يضاعف له العذاب بدل من يلق أثاما.

(٣) الشاهد فية وقوع تلمم بدلاً من تأتنا، والشطر الأول ورد في أشعار أخرى كثيرة ولم أقف على قائل البيت.

قيـل الزُّور الشِّـركُ باللّه، وجـاء أَيْضاً أَنَّهُمْ لاَ يَشْهَدُونَ أَعْيَادَ النَّصَـارَى. والذي جاء في الزور أَنَّه الشِّركُ باللّه، فـأما النهي عن شهـادة الزُّور في كِتَـاب اللّه فقوله: ﴿ ولا تَقْفُ ما ليس لك به عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ كُلُّ أولئـك كان عنه مَسْئُولاً ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا باللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً ﴾.

تأويله أعرضوا عنه، كَما قال اللّه عـز وجل: وَإِذَا سَمِعُـوا اللَّغْوَ أَعْـرَضُوا عنه، وتأويل «مروا باللَّغْوِ» مَرُّوا بجميع ما ينبغي أَن يُلْغَى، ومعنى «يُلْغَى» يطرح.

وجـاء في التفسير أَنَّهُمْ إذا أرادوا ذكـر النِّكَاح كَنَـوْا عَنْهُ، وقـال بعضُهُم: [هـو] ذكر الـرفث، والمعنى واحد. وجـاء أيضاً أنهم لا يجـالسون أَهْـلَ اللَّغْوِ وهم أَهْلُ المعاصي، ولا يمالئونَهُمْ عَلَيْهـا، أَيْ يُعَاوِنُـونَهُمْ عليها، وجـاء أَيضاً في ﴿لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ مَجَالِسَ الغِنَاءِ.

وقـوله عـزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِـآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِـرُّوا عَلَيْهَا صُمًّـا وَعُمْيَاناً ﴾.

تأويله: إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِم خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا، سَامِعِينَ مُبْصِرِينَ لما أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْـهُ. ودليل ذَلـك قوله: ﴿ وَمِمَّن هَدينـا واجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِم آيَـاتُ الرَّحْمَنِ خروا سُجَّداً وَبُكِيًّا ﴾(٢)، ومثل هذا من الشعر قوله(٣):

بِـأَيْـدي رِجَـال لم يشيموا سُيُـوفَهُمْ ولم يكثـروا القتلى بهـا حين سُلَّتِ

(١) سورة الاسراء الآية ٣٦.

(٢) سورة مريم الآية ٥٨.

(٣) أنظر الكامل ١ / ١٨١ (تجارية) وابن يعيش، وشواهد المغني ٢٩٣ واللسان (خرر).
لم يشيموا لم يغمدوا، والواو في ولم يكثروا للحال، أي لا يغمدون سيوفهم والحال أن القتلى لم تكثر، أي لا يغمدونها إلا وقد كثرت القتلى أو لا يغمدونها دون أن تكثر، والبيت للفرزدق.

تأويله: بأيدي رِجَال شَامُوا سُيُوفَهُمْ وقد كثرت القَتْلَى، ومعنى يشيموا سُيُوفَهُمْ يَغْمِدوا سُيُوفَهُمْ، فالتأويل: والَّذِينَ إذَا ذُكِّرُوا بآيات رَبِّهِمْ خرُّوا سَاجِدِينَ مُطِيعِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنا وَذُرِّيَّتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾.

ويقرأ ﴿وذُرِّيَاتِنَا﴾ سألوا أن يُلْحِقَ اللَّهُ بهم ذُرِّيَتَهُمْ في الجنَّةِ، وأن يَجعَلَ أَهلَهُمْ تِقرُّ بِهِمْ أَعْيُنَهُمْ.

﴿واجْعَلْنَا لِلْمتَّقِينَ إمَاماً ﴾.

أي واجْعلنا ممن يَهتَدِي به المتَّقُون، ويَهْتَدِي بِالمتَّقِينَ.

وقوله: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكمْ ﴾.

أي لولا توحيدكم إياهُ. وجاء في التَّفسير ما يعبأ بكم مَا يَفْعَل بِكُمْ وتأويل ما يعبأ بكم أي: أَيُّ وَزْنٍ يكون لكم عنده، كما تقول: ما عبأتُ بفلانٍ أي ما كان له عندي وزْنٌ ولا قَدْرٌ. وأصل العِبْء في اللّغَةِ الثِّقْلُ، ومن ذلك عَبأتُ المتاعَ جَعَلتُ بعضَه على بعض.

وقوله: ﴿ فَقَدْ كَذَّبْتُم فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً ﴾.

جاء في التفسير عن الجماعة أَنَّه يُعْنَى به يومُ بَدْرٍ، وجاء أنه لُوزِمَ بين القَتْلَى لزاماً، وقُرِئَتْ لَزَاماً، وتأويله ـ واللَّه أعلم ـ فسوف يكون تَكْذِيبكُمْ لزاماً، يلزمكم فلا تعطون التَّوْبَةَ وتلزمكم العُقُوبَةُ، فيدخل في هذا يوم بدْرٍ، وغيرُه مما يَلْزَمُهم من العذاب.

وقال أبو عبيدة: لزاماً فَيْصَلاً، وهو قريب مِمَّا قُلْنَا، إلَّا أن القول أشرَحُ. وأنشد أبو عبيدة لصَخْرٍ أخي الهُذَلِي[1].

---

(١) البيت لصخر الغي من قصيدة يرثي بها ابناً له يسمى تليداً. والضمير في «ينجوا» لحمارين=

فـإمـا يَـنْجُـوَا مـن حَـتْـفِ أَرْضٍ   فقـد لَقِيَـا حتـوفـهـمـا لـزامـاً

وتأويل هذا أن الحتفَ إذا كان مَقَدَّراً فهو لازم، وإن نجا من حَتْفِ مكان لحِقَـهُ في مَكَانٍ آخر لَازِماً لـه لزامـاً، ومَنْ قرأ لَـزاماً [بفتح اللام] فهـو على مَصْدَر لَزِمَ لَزاماً.

= وحشيين، يقول انهما لن ينجوا من الموت وإن سلما من شر مهلكة مرة فإن هذا لا يـردّ الموت عنهمـا بعد ذلـك ـ والذي في ديـوان الهـزليين ٦٥ جـ ٢ من خـوف أرض، ويـروى من حـوف بالحاء المهملة والحوف الجور، والمعنى واحد. والبيت أيضاً في الطبري ١٩/٣٣، والقـرطبي ١٣/٨٦ واللسان (لزم)

سُورة الشُّعَرَاءِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿طسم﴾.

قُرِئَتْ بإدغام النون في الميم ووصل بعض الحروف ببعض، وقُرِئَتْ طَسِينْ مِيم بتبيين النُّونِ، والوقف على النُّونِ، ويجوز - ولا أعلم أَحَداً، قرأه - طَسِيماً - على أن يُجْعَلَ طسم اسما للسُّورَةِ بمنزلة قوله: خَمْسَةَ عَشَرَ، ولا تجوز القراءة به.

وقوله عز وجل: ﴿تِلْكَ آياتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾.

فيه وجهان أَحَدُهُمَا على معنى أَنهم وُعِدُوا بالقرآن على لِسَانِ مُوسَى فكان المعنى هذه آيات الكتاب الذي وُعِدْتُم به على لسان مُوسَى، وعلى معنى هذه آيات الكتاب المبين. وقد فَسَّرنا ذلك فِي أَوَّل سُورةِ البَقَرةِ في قوله: ﴿الم ذلك الكتاب﴾.

وقوله: ﴿لَعَلَّك باخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

قال أَبُو عبيدةَ: معناه مُهْلِكٌ نفسك، وقيل قاتلٌ نَفْسَك، وهذا كقوله: ﴿فلَعَلَّكَ باخع نَفسَكَ على آثَارِهِمْ﴾ الآية[1].

---

(١) ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثَارِهِمْ إنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الحَدِيثِ أسفا﴾. سورة الكهف الآية ٦.

وموضع أن النصبُ مفعول لـه، المعنى فلعلك قاتل نفسَكَ لتَركِهم الايمانُ، فأعلمه اللّه سبحانه أنه لو أراد أن ينزل ما يضطرهم إلى الطاعة لقدر على ذلك الا أنه - عز وجل - تعبَّدهم بما يستوجبون به الثَّوابَ مع الإيمان، وأنزل لهم مِنَ الآياتِ ما يتبيَّنُ به لمن قَصْدُه إلى الحقّ(١) فأما لو انْزَل على كل من عَنَدَ عَنِ الحقِّ عذاب في وَقْتِ عُنُودِهِ لَخَضَعَ مضْطَرّاً، وآمن إيمان من لا يَجِدُ مَذهبا عن الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لها خَاضِعِينَ ﴾.

معناه فتظَلُّ أَعْنَاقُهُمْ، لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستَقْبَلِ تقول: إنْ تَأتِني أكْرَمتُكَ، معناه أكْرِمْك، وأن أتيتني وأحْسَنْتَ معناه وتُحسنُ وَتُجْمِلُ.

وَقال ﴿خَاضِعِينَ﴾ وذكر الأعناق لأن معنى خُضوع الأعْنَاقِ هُوَ خضوعُ أصحاب الاعناق. لَمَّا لم يكن الخُضُوعُ إلاَّ لِخُضُوعِ الأعْنَاقِ جاز أن يُعَبِّر عن المضافِ إليه كما قال الشاعر: (٢)

رأت مَرَّ السنينَ أَخَذْنَ مِنّي   كما أَخَذَ السِّرارُ من الهِلَال

لَمَّا كانت السِّنُونَ لا تكون الا بِمَرِّ(٣) أخبر عن السّنينَ وإن كان أضاف اليها المُرُورُ، وَمِثْلُ ذلك أَيْضاً قول الشاعر: (٤)

---

(١) أي أن الاجبار على الايمان لا يستتبع ثواباً، وإنما يثاب من يؤمن بالتأمل ويهتدي بالاقتناع والارادة.

(٢) هو جرير، والبيت من شواهد النحو وهو في ديوانه ٤٢٦ والطبري ٤/٢٣ بُولاق ومن الابيات الشائعة في كتب النحو، والسرار اختفاء الهلال آخر الشهر وأخذ السرار منه، يعني نحوله كلما دنا لآخر الشهر. والشاهد أنه أعاد الضمير على «السنين» المضاف إليه.

(٣) انما تحدث السنون بمرور الأيام.

(٤) تقدم جـ ١/٣٦٢.

مشين كما اهتزت رياح تَسَفَّهتْ   أعاليها مَرُّ الرياح النَّواسِمِ

كأنه قال تسفهتها الرياح، لما كانت الرياح لا تكون إلا بالمرور، وجاء في التفسير «أَعْنَاقُهم» يُعنى به كبراؤهم ورؤساؤهم، وجاء في اللُّغَةِ أَعْنَاقُهُمْ جَمَاعَاتهم، يقال: جاء لي عُنقٌ من الناس أَيْ جَمَاعَةٌ وذكر بَعْضُهُمْ وجهاً آخَر، قالوا: فظلَّتْ أَعْنَاقُهُم لَهَا خَاضِعِينَ هُمْ، وأضمَرُهم، وَأَنْشَدَ(١)

تـرى أربـاقَـهُـمُ مُـتَـقـلِدِيـهَـا   إِذَا صَدِئَ الحديدُ عَلَى الحُماةِ

وهذا لا يجوز في القرآن، وهو على بَدلِ الغَلَطِ يجوز في الشِّعْرِ، كأَنه قال: يرى أرباقهم يرى متقلِّديها، كأنه قال: يرى قوماً متقلدين أَربَاقَهُم فلو كان على حذف هم لكان مما يجوز في الشعر أَيضاً(٢).

وقوله عز وجل: ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

انباء أخبار المعنى فَسَيعلمون نبأ ذلك في القِيامَةِ، وجائز أن يعجل لهم بعض ذلك في الدنيا نحو ما نالهم يَومَ بَدْرٍ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

معنى زوج نوع، ومعنى كريم محمود فيما يحتاج إليه، كمعنى من كل زوج نافع لا يقدر على انباته وإنشائه إلاَّ ربُّ العَالَمِين. ثم قال:

﴿إنَّ في ذلك لآية﴾.

---

(١) للفرزدق. وهو في ديوانه ١٣١ ومجاز أبي عبيدة ٢/٨٤ ـ وذكر أبو عبيدة أن يونس حكى هذا الرأي عن أبي عَمْرٍو. وعزا الفراء في معانيه ٢٧٧ جـ ٢ مثل هذا للكسائي. والأرباق جمع ربق ـ وهو حبل به عرى تشد به صغار الشاء كيلا ترضع أمها. ويرى الكماه بدل الحماة، والكماة جمع كمي وهو شاكي السلاح ـ والحماة الذين يحمون الحديد. وتقدير الكلام متقلديها هم.

(٢) ظاهر البيت أنه ـ ترى أرباقهم حاله كونهم متقلديها ـ فرّق الفراء بين التعبيرين وقال لو كانت الآية: فظلت أعناقهم خاضيعها لصلح هذا أن يكون شاهداً.

دليلاً على أن اللَّه ـ عز وجل ـ واحد وان المخلوقات آياتٌ تـدُلُ عَلَى أن الخالق واحدٌ ليس كمثله شيء.

وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾.

معناه وما كان أكثرهم يؤمن، أي علم اللَّه أَنَّ أَكثرهم لا يؤمِنُونَ أَبداً كما قال: ﴿ولاَ أَنْتُمْ عَابِـدُونَ مَا أَعْبُـدُ﴾[1] أي لستم تعبدون مـا أُعبُدُ الآن ﴿ ولا أنتم عابدون ما أَعْبُدُ﴾[1] فِيمَا يُسْتَقْبل، وكقوله في قصة نُوح عليه السلام: ﴿أَنَّه لن يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ﴾[2]، فأعلمه أن اكثرهم لاَ يُؤمِنُونَ.

وقوله: ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أن ائْتِ القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾.

موضع إذْ نصبٌ، على معنى.. وَاتْلُ هذه القصَّـةَ فيما تَتْلو، ودليـل ذلك قوله عطفاً على هذه القصة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نبأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

وقوله: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنْطَلِقُ لِسَانِي ﴾.

بـالنَّصْبِ والـرَّفْـع[3]، فمن رفـع فعـطفٌ على أَخَـاف، على معنى إني أخـاف. ويضيقُ صدري، وَمَن نَصَـبَ فعـطفٌ على أن يكـذِّبُـونِ، وأن يضيق صدري وأن لا ينطلق لساني. والرفع أكثر في القراءة.

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ إِلَى هـٰرونَ﴾.

أي ليعينني ويُؤازِرَني على أمـري، وَحُـذِفَ لأنَّ فـي الكـلام دليـلاً عليه.

قوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فأخاف ان يَقْتُلُونِ ﴾.

---

(١) سورة الكافرون آية ٣، ٥.

(٢) سورة هود ٣٦.

(٣) في يضيق.

يعني بالذنب الرَّجُل الذي وَكَزَهُ فقضى عليه، إني أخاف أن يقتلوني بقتلي إياهُ.

﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾.

كلَّا ردع وزجر عن الاقامة على هَذَا الظَّنِّ، كأنه قال: ارْتَدِعْ عن هذا الظَّنِّ وَثِقْ بالله.

وقوله عز وجل: ﴿فقولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه إنا رِسَالَةُ رَبِّ العالمين، أي ذوو رسالة رب العالمين، قال الشاعِرُ[1]:

لقد كذب الواشون ما فهت عِندهم بسوء ولا أُرْسَلْتهم بِرَسُولِ

وقوله سُبْحَانَه: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

موضع «أَن» نَصْبٌ، المعنى أَرْسِلْنا لترسل - أي - لأنْ تُرْسِلَ معنا بني إسرائيل.

﴿قال أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾.

أي مولوداً حين وُلِدْتَ.

﴿ولَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾.

ويجوز من عُمْرِكَ بإسكان الميم، ويجوز من عَمرِكَ بفتح العَيْنَ، يقال:

---

(١) هو كثير عزة، وجاء البيت في شواهد المغني: ما بحت عندهم بليلى، وقد كنى كثير عن عزة باسم ليلى في مطلع القصيدة: ألا حيا ليلى أَجَدَّ رحيلي ويروى آآن رحيلي - وهي من جياد قصائد كثير وفيها كثير من الابيات السائرة مثل:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

ويقال انه سرقه من جميل، والبيت في الديوان ٢/٢٤٣، القرطبي ١٣/٢٩٣ والطبري (بولاق) ١٩/٢٣٧ واللسان (رسل) ومجاز أبي عبيدة ٢/١٩٨. ومعناه ما أرسلت إليهم رسالة.

هو العُمْر والعُمُرُ والعَمْر في عُمْر الإنْسانِ، فأما في القَسَمِ فلا يجوز إلا «لَعَمْـرُ اللَّهِ» لا غيـر ـ بفتح العين. ذكـر سيبويـه والخليل وجميـع البصريين ان القَسَمَ مفتوح لا غَيْرُ.

فاعْتَدَّ(١) فرعون على موسى بأنه ربَّاه وَليداً منذ وُلِدَ إلى أَنْ كَبِرَ.

﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾.

وقرأ الشعبي فِعْلَتَكَ ـ بكسر الفاء ـ والفتح أجود وأكثره لأنه يـريد قتلت النفس قَتْلَتـكَ على مـذهب المـرّةِ الـواحـدة، وقـرأ الشعبي على معنى وقتلت القِتْلَةَ التي عرفتها، لأنه قتله بوكـزة، يقال: جَلَسْتُ جَلْسَـةً تُرِيـدُ مَرّةً واحـدةً، وجَلَسْتُ جِلْسَةً ـ بالكسر تريد هيئة الجلوس.

﴿وأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

فيه وجهان أحدهما من الكافرين لنعمتِـي، والآخر وأنت من الكافرين بقتلك الذي قتلت، فنفى موسى ﷺ الكفر واعترف بأن فعله ذلك جهلٌ فقال:

﴿فَعَلْتُها إِذَنْ وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾.

أي من الجاهِلِينَ، وقد قرئت وأنا من الجاهلين.

وقوله عز وجل: ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً﴾.

يعنى التوراة التي فيها حكم اللَّه(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمنُّها عَلَيَّ أن عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

أخرجه المفسرون على جهة الانكار أنْ تكون تلك نِعْمةٌ، كأَنَّه قال فـأية نعمة لك عليَّ في أَنْ عَبَّدْتَ بني إسرائيـل، واللفظ لفظ خبر، والمعنى يخـرج

---

(١) عدّ من نعمه عليه أنه رباه صغيراً. (٢) الحكم بمعنى الحكمة.

على ما قالوا على أن لفظه لفظ الخبر وفيه تبكيتٌ للمخاطب كأنه قال له: هذه نعمة أَن اتخذت بني إسرائيل عبيداً على جهة التبكيت لِفِرْعَوْنَ[1]، واللفظ يوجب ان موسى ﷺ قال: هذه نِعْمَةٌ لأنك اتخذت بني إسرائيل عبيداً ولم تتخذني عَبْداً. ويقال: عَبَّدْتُ الرَّجُلَ، وَأَعْبَدْتُه، اتخذته عَبْداً. وموضع أن رفع على البَدَلِ من نعمةٍ، كأنه قال: وتلك نِعمةٌ تَعَبُّدُكَ بني إسرائيل وتركك إياي غير عَبْدٍ. ويَجُوزُ أن يكون «أَنْ» في موضع نَصْبٍ، المعنى إنما صارت نِعْمَةً عليَّ لأن عَبَّدْتَ بَنِي إسْرَائيل. أي لو لم تفعل ما فعَلْتَ لكفلني أهلي ولم يَلْقُونِي في اليم، فإنما صارت نِعْمَةً بما فَعَلْتَ من البلاء.

وقال الشاعر في أَعْبَدْتُ اتخذتُ عَبْداً:[2]

عَلَامَ يُعْبِدُ ني قَوْمي وقد كثرت ... فيهم أَبَاعِرُ ما شاءوا وَعِبْدانُ

وقوله عز وجل: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِين﴾.

فأجابه موسى ﷺ بما هو دليل على الله - جل وعزّ - بما خلق مما يعجز المخلوقون عن أن يأتوا بمثله فقال:

﴿رَبُّ السَّمٰواتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾.

فتحيَّر فرعونُ ولم يَرْدُدْ جَوَاباً يَنْقُضُ به هذا القول، فقال لمن حوله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾.

فزاده موسى في البيان فقال: ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُم الأَوَّلِين﴾.

---

(١) خرجه ابن هشام في المغني على حذف همزة الاستفهام، أراد أَوَ تلك نعمة؟.

(٢) البيت للفرزدق. انظر معاني الفراء ٢/٢٧٩، ومشاهد الانصاف ١٣١ واللسان (عبد) جاء البيت مرتين نسبه في الثانية للفرزدق - ورواه في الأولى حتام يعبدني قومي. وجاء في الطبري ١٩/٦٩ - (ط الحلبي) بدون نسبة.

فلم يجبه أيضاً، فقال: ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾.

فقال موسى زيادة في الابانة:

﴿قَالَ رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُما إنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

فلم يجبه في هذه الأشْياء بنقض لحجته.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأجْعَلَنَّك مِنَ المَسْجُونِينَ ﴾.

فزاده في البيان واحتجّ بما شاهده هو والملأ من حوله:

﴿ قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُك بِشَيء مُبِينٍ .قَالَ فأتِ بِهِ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ، فَأَلْقَى عَصَاهُ فإذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾.

والثعبان الكبير من الحيات، فإنْ قال قائل: فكيف جاء، فإذا هِي ثعبان مبينٌ، وفي موضعٍ آخرَ ﴿تَهْتَزُّ كأنها جانٌّ﴾، والجانُّ الصغيرُ من الحيّاتِ، فالجواب في هذا مما يَدُلُّ على عِظم الآية، وذلك أن خَلْقَها خلقُ الثعبان واهتزازُها وحركتها وخفتُها كاهتزاز الجَانّ وخِفَّتِه[1].

﴿وَنَزَع يَدَهُ فَإذَا هِيَ بَيْضَاءُ للنَّاظِرِينَ ﴾.

نَزَعَ يده من جيبه فأخرجها بيضَاءَ بَيَاضاً نوريًّا، مِنْ غَيْرِ سوء، أي من غير بَرَصٍ، فلم يكن عنده دفع لما شَاهَدَهُ إلاّ أن قال: إن هذا سحر فَقَالَ لِلْمَلإحَوْلَهُ: ﴿ إنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾.

فجعل الآية المعجِزَة سحراً، ثم استكانَ وخضع للذين هم من أتباعه فقال:

---

(١) وصفُ العصا بأنها جَانٌّ كان عند ما كلم الله موسى بجانب الطور، فهي هناك ثعبان صغير، وأمام فرعون وقومه حية تسعى.

﴿يُـرِيدُ أَنْ يُخْـرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمـاذَا تَأْمُـرونَ. قَـالُـوا أَرْجِـهْ وَأَخَاهُ﴾.

بكسر الهاء وضمّها، وبالياء والواو[1] أرْجِهي وأَرْجِهُو وأَخاه.

﴿وابْعَثْ فِي المَدائِن حَاشِرِينَ﴾.

فمعنى «أَرْجِـهُ» أخِّـرْهُ، وجـاء في التفسيـر احْبِسْـهُ وأخـاه، والمعنـى واحِدٌ وتأويله أَخِّره عن وقتك هـذا وأَخِّرْ اسْتِتْمـامَ مُنَاظَـرتِهِ إلى أن يجتمـع لك السَّحَرةُ.

وقوله: ﴿فجُمِعَ السَّحرةُ لِميقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾.

فغنيّ عن أن يقول فبعث فجمع السَّحرة[2].

وقوله: ﴿قالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَنْ لَمِنَ المقَرَّبِينَ﴾.

أي لكم مـع أجْـرَتِكم وجـزائكم على غلبتِكُمْ مـوسى إن غلبتمــوه مـع الفـائدة، القـربى والزُّلْفَى عنـدي، ويقرأ أئن لنـا لأجراً على جهـة الاستفهام، ويجوز إن لنا لأجراً ـ على غير الاستفهام. وعلى جهة الثِّقَةِ مِنْهُمْ به، قَـالُوا إِنَّ لَنَا لأَجْراً.

أي إنّك مِمَّن يَحْبُونا وَيُجَازِينَا.

﴿فَأَلْقَوْا حِبَـالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وقالـوا بِعِزَّةِ فِـرْعَوْنَ إِنَّـا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ. فَـأَلْقى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾.

أي ممـا جَمَعُوا من كيـدهم وعِصِيِّهِمْ. ورُوِي عَنْهُمْ أَنهم[3] كـانـوا اثني

---

(١) قراءة حفص أرجهْ بسكون الهاء.

(٢) استغنى الكلام عن ذلك.

(٣) في الأصل أنه.

عشر ألف ساحر، فنُصِرَ موسى عليه السلام أكثرَ ما كانَ السِّحرُ وأَغْلَبُه على أَهْل ذلك الدَّهر، وكانت آيتُهُ آيةً باهرةً من جهتين، إحداهما أنه أتى بما يعجِزُ عنه المخلوقون، والثانية أن السحرة، وعَدَدُهم هذا العَدَدُ أُلْقُوا سَاجِدينَ.

﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ﴾.

فَسَلَّمُوا الأَمْر للَّهِ وتبيَّنَ لهم ما لا يُدْفَعُ. وكذلك بعث النبي ﷺ أشعرَ ما كانت العرب وأخطب ما كانت وأبلغ ما كانت[1] فدعاهم الى الايمان باللَّه مع الآيات التي أتى بها النبي ﷺ وبالقران الذي دعاهم إلى أن يأتوا بسورَة مِثله فعجزوا عن الإتيان بسورة مثله.

ويروى أيضاً انّ السَّحَرَةَ كانوا تسعَةَ عَشَرَ أَلْفاً.

وقوله: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

اللام دخلت على سوف بمعنى التوكيد، ولم يُجِزِ الكوفيون: إنَّ زيد لَسَوفَ يَقوم، وقد جاء دخول اللام على سوف، وذلك أن اللام مُؤكِدَةً.

وقوله عز وجل: ﴿لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾.

وروي في التفسير أن أول من قطَّع وصَلَّب فرعونُ.

﴿قَالُوا لَا ضَيْر إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾.

أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا مع أملنا للمغفرة.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) اي والعرب أبلغ وأخطب ما كانوا ـ لم يكونوا في وقت من الأوقات أبرع في القول مما كانوا في هذا الوقت.

بفتح «أن» أي لِأَنْ كنا أوّل المؤمنين، وزعم الفراء أنهم كانوا أوّل مُؤمِني أهل دَهْرِهِمْ، وَلاَ أحسبه عرف الرواية فِي التفسير لأنه جاء في التفسير أن الذين كَانُوا مَعَ موسَى عليه السلام ستمائة ألف؛ وقيل ستمائة ألف وسبعون ألفاً، وإنما معنى ﴿أَنْ كُنَّا أَوَّلَ المؤْمِنين﴾. أي أول من آمن في هذه الحال عند ظهور آية موسى حين ألقوا حبالهم وعصيَّهم واجتهدوا في سِحْرِهم، ويقال: لا ضير ولا ضَوْرَ، في معنى لا ضرَّ ولا ضَرَرَ.

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾، يقال: أسرى يُسْري إذا سار لَيْلاً، وَسَرَى يَسْرى، قيل هو في معنى أَسْرَى يُسْري أيضاً.

وقوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

أي أرسل من جمع له الجيش، معناه فجمع جمعَه، فقال:

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

والشرذمة في كلام العرب القليل، يُروى أن هؤلاء الذين سَمَّاهُمْ شرذمةً كانوا ستَّمائةِ أَلْفٍ وسَبْعينَ ألفا، وكانت مقدمَةُ فرعون سبعمائة ألف كلُّ رَجُلٍ منهم على حِصَانٍ، وعلى رأسه بيضة، فاستقل من مع موسى عليه السلام[1] عند كثرة جمعه، وقال «قليلون» فَجمعَ «قَلِيلاً» كما يقال: هؤلاء واحدون فيجمع الواحد، كما قال الكميتُ:

فقد رَجَعُوا كحيٍّ واحِدِينا[2]

وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾.

---

(١) اعتبر فرعونُ قوم موسى عدداً قليلاً.

(٢) صدر البيت: فضم قواصي الأحياء منهم.
اللسان (وحد).

يقال قد غاظني فلانٌ، ومن قال أغاظني فقد لَحن.

وقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾.

ويقرأ حَاذِرُون، وجاء في التفسير أن معنى حَاذِرُون، مُؤْدُونَ أي ذَوُو أداة، أي ذَوُو سِلاَحٍ والسلاح اداة الحرب، فالحاذر المستعدُّ، والحـذِرُ المتيقِّظُ.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِين﴾.

أي في وقت شروق الشَمس، يقال أشرقنا اي دَخَلْنَا في وقْتِ طلوع الشمس، ويقال شرقت الشَّمْسُ إذا طلعت، وأشرقَتْ إذا أضاءت وصَفَتْ، وأشرقنا نحن دخلنا في الشروق.

وقوله: ﴿فلما تراءى الجمعانِ﴾ أي لمَّا واقف جمعُ موسى جمعَ فرعونَ وكان أصحاب موسى قد خَرجُوا ليلاً، فقال أصحابُ مُوسى: ﴿إنّا لَمُدْرَكُونَ﴾ أي سيُدْرِكُنَا جَمعُ فرعَوْنَ هذا الكثيرُ، وَلاَ طاقة لَنَا بِهِمْ.

﴿قَالَ كَلَّا إنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.

أي قال موسى كلا أي ارتدعوا وازدجروا فليس يدركوننا.

وقوله عز وجل: ﴿فأَوْحَيْنَا إلَى مُوسَى أن اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كل فِرْقٍ﴾.

أي كُلُّ جزءٍ تَفَرّقَ مِنْهُ.

﴿كالطَّوْدِ العَظِيم﴾.

أي كالجبل العظَيم.

وقوله: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ﴾.

أي قَرَّبْنَا ثَمَّ الآخرين مِنَ الغَرقِ، وهم أصحاب فرعون ـ وقال أبو عبيدة: أَزْلَفْنَا جمعنا ثَمَّ الآخرين، قال ومن ذلك سميت مُزْدَلفة جمعاً، وكلا القولين حسنٌ جميل، لأن جمعهم تقريب بَعْضِهِم من بَعْضٍ وأصل الزُّلْفَى في كلام العرب القُرْبَى.

قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

معناهُ خَبَرَ إِبْراهيم.

وقوله: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾.

معناه مقيمين على عِبَادَتِها.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾.

إن شئت بَيَّنْتَ الذال، وإنْ شِئْتَ أَدْغَمْتَها في التاء فجعلتها تَاء فقلت «إِتَّدْعُونَ»، وهو أجود في العربية لقرب الذال من التاء، ويجوز إِدَّعُونَ، ولم يُقرأ بها كما قال مُدَّكِر، وأصله مُذْتَكِرْ.

وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال النحويون: إنَّهُ اسْتِثْنَاء ليس من الأول، أي لكن ربُّ العالمين، ويجوز أن يكونوا عبدوا مع اللَّه الأصنام وغيرها، فقال لهم: إن جميع من عَبَدْتُمْ عَدُوٌّ لي إلَّا ربَّ العَالَمِين لأنهم سوَّوْا آلهتهم باللَّه فأَعْلَمَهُمْ أنه قد تبرأ مما يَعْبُدونَ إلَّا اللَّهَ فإنه لم يَتَبرَّأ من عبادته.

وقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾.

جاء في التفسير أن خطيئته قوله: إن سَارَّة أُخْتي، وقوله بل فعله كبيرهم هذا فَاسْأَلُوهُمْ.

وقوله: ﴿فَقَالَ إنّي سَقِيمٌ﴾.

وقد بيَّنَّا معنى قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا﴾.

ومعنى خطيئتي أن الانبياء بَشَرٌ، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة الا أنهم صلوات اللّه عليهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم مَعْصُومون مُخْتَارُون على العالمين كل نبي هو أفضل من عالم أهل دَهْرِه كُلِّهِمْ.

قوله: ﴿واجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾.

معناه اجعل لي ثناء حسناً باقياً إلى آخر الدهر.

وقوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

معناه قُرِّبَتْ، وتأويله أنه قرب دخولهم إياها، ونظرهم إليها.

قوله: ﴿وَبُرِّزَتِ الجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾.

أي أُظْهرت لِلضَّالِّينَ، والغَاوي الضَّال.

وقوله: ﴿فكُبْكِبُوا فِيهَا﴾.

أي في الجحيم، ومعنى كُبْكِبُوا طُرِحَ بعضُهم على بعْضٍ، وقال أهل اللُّغَةِ معناه هُوِّرُوا[١]، وحقيقة ذلك في اللغة تكرير الانكباب كأنه إذا أُلْقِيَ يَنْكَبُّ مَرَّةً بعد مرَّةٍ حتى يسْتَقِرَّ فيها يَسْتَجِيرُ باللّهِ منها.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ إنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

معناه واللّه ما كنَّا إلاَّ في ضلالٍ مبين حيث سويناكم باللّه - عز وجل - فأعظمناكم وعبدناكم كما يُعْبَدُ اللّهُ[٢].

---

(١) هوَّرَ الرجل - كعلّم - صرعه، وهور البناء هدمه.

(٢) لا وجه للقصر في هذا التعبير، وإن هي المخففة أي إنه الحال والشأن لقد كنا في ضلال.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾.

دَخَلَتْ التاء وقوم نوح مُذَكَّرونَ، لأن المعنى كذبت جماعَةُ قَوْمُ نوح، وقال المرسلين، ويجوز أَنْ يَكُونُوا كذَّبُوا نوحاً وحْدَهُ، ومن كذب رَسُولاً واحِداً من رسل اللَّه فقد كذَّب الجماعة وخالفها، لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وجائز أن يكونَ كذبَتْ جميع الرُّسُلِ.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

وقيل أَخَوهم لأنه منهم، وكلِ رسول يأتي بلسان قَوْمِه ليوضح لهم الحجَّةَ ويكون أَبْينَ لهم.

وقوله: ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾.

ويقرأ وأَتْباعُكَ الأَرْذلون، وهي في العربية جَيِّدةٌ قَوِيَّةٌ لأنَّ واو الحال تصحبُ الاسماءَ أكثَر في العربية، لأنك تقول: جئتُكَ وَأَصْحَابُكَ الزيدُونَ، ويجوز: وَصَحِبَكَ الزَّيْدُونَ، والأكثر جئتك وَقَدْ صَحِبَكَ الزيدون، وقيل في قوله: الأَرْذَلُون: نسبوهم الى الحياكةِ والحجامَةِ، والصناعات لا تَضُرُّ في باب الدِّيَانَاتِ(١).

وقوله: ﴿مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾: أي بالحجارة.

وقوله: ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾.

واحدها فَلَك وجمعها فُلْك، وزعم سيبويه أنه بمنزلة ـ أَسَدٍ وَأُسْدٍ، وقياس فُعْلٍ قياس فَعَل، أَلا ترى أنك تقول قُفْل وأقفال وجمل وأجمال، وكذلك أَسَدٌ وأُسْدٍ وآسَادٍ، وفَلَك وفُلْك وأَفْلَاك في الجمع ـ والمشحون المملوء، يقال شحنته أي ملأتُه.

---

(١) الرذل كضخم، والرذال ـ كغراب ـ والرّذيل ـ الدون الخسيس أو الرديء من كل شيء.

وقوله عز وجل: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾.

يقرأ رِيع ورَيْع - بكسر الراء وفتحها - وهو في اللغة الموضعُ المرتفع من الأرض ومن ذلك كَمْ رَيْعُ أَرْضِكَ، أي كم ارتفاع أَرْضِكَ، جاء في التفسير: ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ كل فَجّ والفَجّ الطريق المُنْفَرِجُ في الجبل، وجاء أيضاً بِكل طريق، وقوله ﴿آية﴾: عَلاَمَةً.

وقوله: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾.

واحد المصانع مَصْنَعةٌ وَمَصْنَعٌ، وهي التي تتخذ للماء، وَقِيلَ مَبَانٍ ومعنى لعلكم تخلدونَ أي لِأَنْ تَخْلدوا، أَيْ وتتخذون مباني للخلودِ لا تتفكرون في الموتِ.

وقوله: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾.

جاء في التفسير أَنَّ بطْشَهم كانَ بالسَّوطِ والسَّيْفِ، وإنما أنكر ذلك عليهم لأنه ظلم، فأما في الحق فالبطش بالسوط والسيف جائز.

وقوله عز وجل: ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُها هَضِيم﴾.

الهضيم: الداخل بعضه في بعض، وهو فيما قيل أنّ رُطبَهُ بغير نوًى، وقيل الهضيم الذي يَتَهشَّمُ تَهَشُّماً، والهضيم في اللغة الضامِرُ الداخل بعضه في بعضٍ ولا شيء في الطلع أبلغ من هذا.

وقوله: ﴿فَرِهِين﴾.

جاء في التَفسير أَشِرِين وجاء في التفسير مَرِحِين، وقرئت ﴿فَارِهين﴾ ومعنى فَارِهين حاذقين. و «فرهين» منصوب على الحال.

وقوله: ﴿مِنَ المُسحَّرِينَ﴾.

أي مِمَّن لـه سَحْر، والسَّحْـرُ الـرئـةُ، أي إنمـا أَنْتَ بَشَرٌ مِثْلُنـا، وجائز أن يكون من المسحرين من المفَعَّلِينَ من السِّحْر أي ممن قد سُحِرَ مرَّةً بعد مَرَّةً.

وقوله: ﴿ إنْ هَذَا إلاَّ خَلْقُ الأَوَّلِينَ ﴾.

ويقرأ ﴿خُلُق الأوَّلِينَ﴾، فمن قـرأ خُلُق الأوَّلِين بِضَمِّ الخَـاءِ فمعنـاه عادَةُ الأولين، ومن قرأ خَلْقُ بفتح الخاء، فمعنـاه اخْتِلاقُهُمْ وَكَـذِبُهُـمْ. وفي ﴿خَلْقُ الأولين﴾ وجه آخر، أي خُلِقْنَـا كما خُلِقَ من كـان قَبلَنَا، نحيـا كما حَيُوا، ونموتُ كما ماتوا وَلاَ نُبْعَثُ، لأَنَّهُمْ أنكروا البعث.

وقوله: ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً ﴾.

معناه احكم بيني وبينهم حكماً، والقاضي يسمى الفَتَّاحُ مِن هذا.

قوله عز وجل: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾.

الأيكـةُ الشجر الملتَفُّ، ويقـال أيكةٌ وَأَيْـكٌ، مثـل أجَمَـةٌ، وأَجَمٌ والفصـل بين واحـده وجمعـه الهـاء. ويقـال في التفسيـر إن أصحـاب الأيكة هؤلاء كانوا أصحاب شجر مُلْتَفٍّ، ويقال إن شجرهم هو الدَّومُ، والـدَّوْمُ هو شجـر المُقْلِ، وأكثـر القـراء على إثبـات الألف والـلام في الأيكة، وكذلك يَقرأ أبو عمرو وأكثر القرّاءِ، وقرأ أهل المدينة أصحابُ لَيْكة مفتوحة الـلام[1]، فإذا وَقَفَ على أَصْحَـاب، قَالَ ليكَة المـرْسَلِين، وكذلك هي في هذه السُّورَةِ بغير ألف في المصحف، وكذلك أيضاً في سورة (ص) بغير ألف وفي سَائِر القـرآن بألف. ويجـوز وهو حسن جـدًّا: «كذَّبَ أصحاب آلأيكة المُرْسَلِينَ» بِغَيْـر ألف في الخطِّ على الكسر، على

(١) واعتبرت أيضاً ممنوعة من الصرف ففتح آخرها لأن «ال» تنوسِيَتْ.

أن الأصل الأيكة فَأُلْقِيَتِ الهَمْزَةُ فقيل لَيْكَةِ، والعرب تقول الاحمر جاءني، وتقول إذا أَلْقَتْ الهمزة لَحْمَرُ جاءَ في بفتح اللأم وإثبات ألف الوصل، ويقولون أيضاً: لاحْمر جاءني يُرِيدُون الأحمر، واثبات الألف واللام فيهما في سائر القرآن يدل على أنَّ حَذْفَ الهمزة منها التي هي ألف الوصل بمنزلة قولهم لَاحمر.

قال أَبُو إسْحَاق: أعني إنّ القَراءَةَ بِجرِّ لَيْكَةِ، وأنت تريد الأيكَةِ واللام، أجود من أَنْ تَجْعَلَها لَيْكة، وأنت لا تقدِّرُ الألفَ واللامَ وَتفتَحُها لأنها لا تَنْصِرُفُ، لأنَّ لَيْكة لا تعرفُ وَإنما هي أيكةُ للواحِد وأيك للجمع، فأجود القراءة فيها الكسر، وإسقاط الهمزة لموافقة المصحف، وأهل المدينة يفتحون على ما جاء في التفسير أن اسم المدينة التي كانت للذين أرسل إليهم شُعَيبٌ عليه السلام «لَيْكَةُ». وكان أبو عُبَيْدْ القاسم بن سلام يختار قِراءةَ أَهْلِ المدينة والفَتْحَ، لأن لَيْكَة لا تنصرف، وذَكر أنه اختار ذلك لِمُوَافَقَتِها الكتاب مع مَا جَاءَ في التفسير، كأنها تسمى المدينة الايكة، وتسمَّى الغيضَةُ التي تَضَمُّ هذا الشَّجَرَ الأيكة. والكسر جَيِّدٌ(١) على ما وصفنا، ولا أعلَمُه إلاَّ قد قرئَ بِهِ.

وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ﴾.

الظُّلَّةُ سحاب أَظَلَّتْهُم، فاجتمعوا تحتَها مستجيرين بها مما نالهم من حَرِّ ذلك اليوم ثُمَّ أَطْبقَتْ عَلَيْهِمْ فَكان من أعظم يوم في الدنيا عَذَاباً.

﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

---

(١) أي جر الأيكة لمراعاة تعريفها بالألف واللام.

ولو كان في غير القرآن لجاز عَظيماً، والجرُّ أَجْوَدُ كَمَا جَاءَ به القرآنُ.

وقوله: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾.

وقرأ ابن مَسْعُودٍ مَا أَصْلَحَ لَكُمْ رَبُّكُمْ من أزواجكم، يعنى به الْفُرُوجُ، وعلى ذلك التفسير. وذلك أَنَّ قومَ لُوطٍ كانوا يَعْدِلُونَ في النساء عن الفروج إلى الأدْبَارِ، فأعلم اللَّهُ عز وجَلَّ أَنَّهُمْ بفعلِهم هذا عَادُونَ.

وعادون ظالمونَ غاية الظُّلْمِ.

ويروى أنّ ابنَ عُمَرَ سئل عن التّحمِيضِ، فقال: أَوَ يفْعَل ذلكَ المُسْلِمُون والتحميض فعل قوم لوط بالنّساء والرجال. ومن أجاز هذا في النساء فمخطئ خطأ عَظِيماً.

وقوله: ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ القالين﴾.

والقالي التارك للشيء الكاره له غاية الكراهة.

وقوله: ﴿إلاَّ عَجُوزاً فِي الغَابِرِينَ﴾.

جاء في التفسير في الباقين في العذاب، والغابر في اللغة الباقي وأنشدوا للعجاج[1].

فما ونى محمدٌ مُذْ أَنْ غَفَرْ   لَهُ الإِلَهُ ما مَضَى وَمَا غَبَرْ

---

(١) الرجز للعجاج وهو في ديوانه ص ١٥ - والقرطبي ٢٤٦/٧ والطبري ١٩٨/١١، ١١٢/١٦ (بولاق) - وهو يمدح به عمر بن عبد اللّه بن معمر - ومحمد يعني به رسول اللّه ﷺ وهو يعني أنه ﷺ غفر اللّه له ما تقدم وما تأخر، ولم يقصر في عبادته.

وأنشدوا للعجَاجِ[1]:

لا تَكَسَعِ الشولَ بأغبارها   إنَّك لا تَدْرِي مَن النَّاتِجُ

أغبارها ما بقي من اللبن في أخلاف الناقَةِ.

وقوله عز وجل:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ﴾.

ويقرأ نَزَّل به الروحَ الأمِينَ، المعنى نزل اللَّه به الروحَ الأمينَ، والروح الأمين جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾.

مَعْنَاهُ نَزَل عَلَيك فوعاه قَلْبُكَ وَثَبَتَ فلا تنساهُ أَبداً ولا شيئاً منه، كما قال عز وجل: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[2].

وقوله: ﴿ وإنَّهُ لَفِي زُبُر الأوَّلِينَ ﴾.

تأويله واللَّه أعلم أنَّ ذِكرَ مُحمَّدٍ عليه السلام وذكر القرآن في زُبُر الأولين، والزُّبُر الكُتُب، زَبُورٌ وَزُبُرٌ مثل قولك رَسُولٌ وَرُسُلٌ كما قال اللَّه عزَّوجل: ﴿يَجِدُونَه مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ والإنْجِيلِ﴾[3].

وقوله عزَّ وجل: ﴿والجِبِلَّةَ الأوَّلِين﴾.

---

(١) الشعر للحرث بن حلزة ـ والمضارع مجزوم بلا الناهية ـ وكسع الناقة أن يترك في ضرعها بقية من لبن ـ والعرب تقول: كسع الناقة بغيرها والغبر هو هذه البقية. والشَّوْل جمع شائلة وهي التي بلغت سبعاً، يقول لا تترك شيأ من لبن الناقة بل احلبها للضيف، فقد يستولي عليها عدوك فيبوء دونك بنفعها ـ فهو اذن ناتجها. وانظر اللسان (غبر ـ كسع ـ نتح). ومعاني الفراء ٢/٢٨٢، والقرطبي ١٣٣/٣، ونسبته للعجاج غير جيدة.

(٢) سورة الأعلى آية ٦.

(٣) سورة الأعراف من الآية ١٥٧.

عطف على الكاف والميم[1]. المعنَى اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُم وخلق الجِبلَّة الأوّلِينَ، ويقرأ والجُبُلَّةَ بضم الجيم والباء، ويجوز: والجِبْلَة الأولين والجُبلة الأوّلين. فأما الأوْلَيَانِ فالقراءة بهِمَا، وهاتان جائزتان.

قوله: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ﴾ - وكِسْفاً - يُقْرأ بهما جميعاً.

فمن قرأ كِسْفاً - بإسْكانِ السِّينِ - فمعناه جانباً، وَمَنْ قَرأ كِسَفاً فتأويله قِطَعاً من السماء جمع كِسْفَة وكِسَف، مثل كِسْرة وكِسَر.

وقوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ [عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ]﴾.

إذا قلت يَكُنْ فالاختيار نصب ﴿آيةٍ﴾، ويكونُ ﴿أَنْ يَعْلَمَه﴾ اسم كان ويكون آيةً خبر كان، المعنى أو لم يكن عِلْمُ علماء بني إسرائيل أن النبي عليه السلام حق وأنَّ نبوَّته حقٌّ آيةً؟ أي علامة موضِّحةً، لأن العُلَمَاءَ الذين آمنوا من بني اسرائيل وجدوا ذكر النبي عليه السلام ﴿مكتوباً عِنْدَهُمْ في التوراة والإنجيل﴾ كما قال اللَّه عز وجل[2]. ومن قرأ أو لم تَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ - بالتاء - جعل «آية» هي الاسم، و«أن يَعْلَمَه» خبر يكن، ويجوز أيضاً أو لم تَكُنْ لهم آيَةً بالتاء ونصب آية كما قال عز وجل: ﴿ثم لم تكن فِتْنَتهم إلا أَنْ قَالوا﴾[3]، ومثله قول لبيد[4]:

فمضى وقدمها وكانت عادةً منه إذا هي عَرَّدَت أقدامُهَا

---

(١) الآية: ﴿واتقوا الَّذِي خَلَقَكُمْ والجِبِلَّةَ الأوَّلِينَ﴾ فالجبلة عطف على الضمير المنصوب في خلقكم.

(٢) في الآية السابقة من سورة الأعراف ١٥٧.

(٣) سورة الأنعام /٢٣.

(٤) من معلقته يصف عَيْراً وأُتُناً تعدو نحو الماء، والفاعل في مضى العير والضمير في قدمها=

فنصب «عـادة» وقد أنّث «كَـانَتْ» وهي للأقـدام، لأن الاسم والخبر في كان لشيء وَاحِد وقد جَاوَرَ الفعلَ لفظ التأنيث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ﴾.

﴿الأعجمين﴾ جمع أعجم، والأنثى عجمـاء، والأعجـم الـذي لا يفصـح، وكذلـك الأعجميُّ، فأمـا العَجَميُّ فـالـذي من جنس العَجَم، أَفْصَحَ أو لم يفصح.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ المُجْرِمِينَ﴾.

أي سلكنـا تَكـذِيبَهُم بـه في قُلُوبهم، جعـل اللَّه ـ عـز وَجَـلَّ ـ مُجازَاتَهُمْ أَنْ طَبَعَ على قلوبهم وَسَلك فِيها الشّركَ.

﴿لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

أخبر عز وجل أنه لما سلك في قلوبهم الشرك منعهم من الإيمـان به.

وقوله عز وجل: ﴿فيأتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾: معنى بغتة فجاءةً.

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إلاَّ لها مُنْذِرُونَ. ذِكْرَى﴾.

[ذكرى] يكون نَصْباً ويكون رَفْعاً إلاَّ أن الإعراب لا يظهر فيها لأن آخرها ألف مَقْصُـورَة، فمن نَصَبَ فعلى المصدَرِ ودَلَّ عَلَيْـه الإنذارُ لأن قوله: ﴿إلاَّ لها مُنْذِرُونَ﴾ معناه إلاَّ لها مُذَكِّرونَ ذكرى، ويجوز ان تكـون

= للأتان، أي مَضَى العَيْر نحو الماء وقدم أتّاه، وكانت عـادتُه أن يقـدّم الأتان إذَا تـراخت. وهو معنى عرّدت. والتأخير الجبن والتأخر، والاقدام مصدَر أُقْدَم بِمَعْنَى قَدَّم، وأنث الفعل لمـا ذكر المصنف أو لأن الاقدام بمعنى التقدمةِ ـ كما قال الآخر: غفـرنا وكـانت من سَجِيَّتِنا الغَفْـرُ، أي المغفرة. وإقدامها اسم كان وعادة هي الخبر ـ انظر شرح الزوزني. ص ١٠٤ ط صبيح.

في موضع رفع على معنى إنْذَارُنَـا ذِكْرَى، على خَبَـرِ الابْتِداء، ويجـوز ذِكراًوما كنا ظالمين، مُنَوَّنٌ ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأنَّ بها إلَّا أنْ تَثْبَتَ بها رِوايةٌ صَحِيحَةٌ، يقال: ذَكَّرْتُه ذِكرَى بألف التأنيث وذكرته ذِكْراً وَتَذْكيراً وَتَذْكِرَةً وذَكْراً، وهو مِنّي عَلَى ذُكْرٍ لَا غَيْرُ.

وقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾.

وقرأ الحسن الشَّيَاطُونَ، وهو غَلَطٌ عِنْدَ النحويين، ومخَـالَفَةٌ عنـد القراء للمصحف. فليس يجوز في قـراءة ولا عند النحـويين، ولو كـان يجوز في النَّحْو، والمصحفُ على خلافه لم تَجُزْ عندي القراءةُ به.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾.

لمَّا رُمُوا بالنجوم مُنِعُوا من السَّمْعِ.

وقوله عز جل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾.

يُرْوَى في التفسير أنَّه لما نزلت هذه الآية نادى النبي ﷺ: يا بني عبد المطلب، يـا بني هاشم، يـا بني عبد منـاف يا عبـاسُ عَمَّ النبي يا صَفيَّــةُ عَمَّةَ رســول اللَّه، إني لا أملك لكم من اللَّه شيئــاً، سَلُونِي من مَـالِي ما شِئْتُم. ويـروى أَيْضاً أنـه لما نـزلت هذه الآيـة صَعَدَ الصَّفَـا، وَنَادَى الأقربَ فالأقْرِبَ فخذاً فَخذاً.

وقوله عز وجل: ﴿ واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبعكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

تـأويلـه: أَلِنْ جَنَاحَكَ، أُمِرَ النبي ﷺ بِالإِنَةِ الجانب مَعَ مَا وَصَفَهُ اللَّه به من لين الخلق وتعظيم خُلُقِه فِي اللِّينِ وجميل الأخـلاقِ، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١) ﷺ.

---

(١) سورة «ن» الآية ٤.

وقــولـه: ﴿الَّـذِي يَـرَاكَ حِينَ تَقُــومُ وَتَقَلُّبَـكَ في السَّــاجِـدِينَ﴾.

أي المصلين.

وقوله: ﴿هل أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾.

ثم أنبأ فقال: ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيم﴾.

لأنـه عز وجـل قال: ﴿وإنـه لَتَنْزِيـلُ رَبِّ العَـالَمِينَ﴾ ثم قـال ﴿نَـزَلَ بـه الرُّوحُ الأمِينُ..﴾ و﴿ما تنزلت به الشَّيَاطِينُ﴾ كالمتَّصِـلِ بهذا، ثم أعلم أن الشياطين تَنَزَّلُ على كل أَفَّاكٍ أثيم، أي على كل كَذَّابٍ، لأنها كانت تأتي مُسَيْلِمَـةَ الكذَّابَ وَغَيـرَهُ من الكَهَنَةِ فيلقـونَ إليْهِم وَيَزِيـدُونَ أولئكَ كَذِباً[1].

وقوله عز وجل: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ﴾.

ويجـوز يَتْبَعُهُم - بالتشـديد والتخفيف -.والغـاوونَ الشَّيَـاطِين في التفسيـر، وقيل أيضـاً الغاوون من النـاس، فـإذا هجـا الشـاعِـرُ بمـا لا يجوز، هَوِيَ ذلك قَوْمٌ وأحَبُّوه، وَهُمْ الغاوونَ، وكذلك إن مَدَح مَمْدوحاً بما ليس فيه أَحَبَّ ذَلِك قَومٌ وتابَعُوه فهم الغاوون.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

ليس يعنَى بِـهِ أَوْدِية الأرْض، إنمـا هو مثـل لقولهم وشعرهم، كما تقول في الكلام: أنا لك في وادٍ وَأَنْتَ لي في وادٍ، وليس يُريدُ أنك في وادٍ من الأرْضِ، إنما يريد أنا لَكَ في وادٍ مِنَ النفع كبيـرٍ وأنت لي في صِنْفٍ. والمعنى أنهم يَغْلُونَ في الـذَّمِّ والمَـدْح، وَيُكَـذِّبُـونَ. ويمـدَحُ [الشَّاعِرُ] الرجلَ بِمَا لَيْسَ فيه، وكذلك الذَّمُّ فيسبُّونَ، فذلك قوله:

---

(١) تزيد الشياطين هؤلاء القوم كذباً.

﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾.

وهـذا دليـل على تكـذيبهم في قَـوْلِهِمْ. ثم استثنى - عـز وجـل - الشعـراء الذين مَـدَحُـوا رسـول اللَّه ﷺ وَرَدُّوا هجـاءَ مَنْ هجـاه وهجـا المسلمين فقال:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾.

أي لَمْ يَشْغَلْهم الشِّعْـرُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَـزَّ وَجَلَّ ولـم يجعلوه هِمَّتَهُمْ، إِنَّمَـا نـاضَلُوا عن النبي ﷺ بِـأَيْـديهم وَأَلْسِنَتِهِمْ، فَهَجَـوْا من يستحق الهجاءَ وأحقُّ الخلقِ بالهجاء من كذَّب رسول اللَّه ﷺ وهجاه، فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كثيراً وانتصَرُوا مِنْ بَعْد مَا ظُلِمُوا﴾.

وجاء في التفسير أن الذين عُنُوا بـ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ عبـدُ اللَّه بنُ رواحـة الأنْصَـارِي وكعبُ بن مَـالِـك وحسَّـانُ بن ثـابت الأنْصَارِي.

وقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

يعني أنهم ينقلبون إلـى نار جهنم يُخلَّدون فيها. و «أي» منصوبة بقوله يَنْقَلِبُونَ، لا بقولـه وسَيَعْلَم، لأنّ «أيًا» وَسَـائِرَ الاستفهـام لا يعمل فيها مَا قَبْلَها[1].

---

(١) أي إن «أيَّ» مفعول مطلق - أي ينقلبون أي انقلاب.

سُورَةُ النَّمْلِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿طس﴾.

قال ابن عباس ﴿طس﴾ اسم من أسماء اللّه [تعالى] أقسم به، وقال قتادة إنه اسم من أَسْمَاءِ القُرآن.

وقوله: ﴿تِلْكَ آيَاتُ القُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

معنى ﴿تلك﴾ أنهم كانوا وعدوا بالقرآن في كُتُبِهِمْ، فقيل لهم هَذِه «تلك الآيات» التي وُعِدْتُمْ بِها، وقد فسرنا ما في هذا في أَوَّلِ سورة البقرة و «كتاب» مخفوض على معنى تلك آيات القرآن أَيَاتُ كِتَابٍ مُبِينٍ، ويجوز وكتَابٌ مُبِينٌ، ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، ويكون المعنى: تلك آيات القرآن وذلك كِتابٌ مُبِينٌ.

وقوله: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

يجوز أن يكون «هُدًى» في موضع نَصْبٍ على الحال، المعنى: تلكَ آيات الكِتابِ هَادِيةً وَمُبشِّرَةً. ويجوز أن يكون في موضع رفع من جهتين، إحداهما على إضمار هُو هدًى وبشرى، وإن شئت على البدل من آيات على معنى تِلْكَ هُدًى وبشرى، وإن شئت على البدل من آيات على معنى تِلْكَ هُدًى وَبُشْرًى. وفي الرفع وجه ثَالِثٌ حَسَنٌ، على أن

يكون خَبَراً بَعْدَ خَبَرٍ، وهما جميعاً خَبرٌ لِتِلْكَ على معنى قولهم: هو حُلْو حامضٌ أي قد جمع الطعمين، فيكون خير تلك آيات وخبرها هدى وبشرى، فتجمع أنها آيات وأَنَّها هَادِيَةٌ مُبَشِّرَةٌ.

وقوله عز جل: ﴿إنَّ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بالآخِرة زَيَّنَّا لهم أَعْمَالَهُمْ﴾.

أي جعلنا جزاءهم على كفرهم أَنْ زَيَّنَّا لهم مَا هُمْ فيه.

﴿فهم يَعْمَهُونَ﴾.

أي يتحيَّرون، قال العجاج[1]:

أعمى الهدى بالجَاهِلينَ العُمَّة

وقوله عز وجل: ﴿وَإنَّكَ لَتُلَقَّى القُرآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

أي يلقى إليك القرآنُ وَحْياً مِنْ عِنْد اللَّه أَنْزَلَه بعلمه وَحِكْمَتِهِ.

وقوله عز وجل: ﴿إذْ قال موسى لأهله إنّي آنَسْتُ ناراً﴾.

مَوْضِعُ إذْ نَصْبٌ، المعنى اذْكُر إذْ قَالَ مُوسَى لأهْلِه، أي اذكر قِصَّةَ مُوسَى، وَمَعْنى آنَسْت ناراً رأيت ناراً.

وقوله - عز وجل - ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾.

يقرأ بالتَّنْوين وبالإضافَةِ، فمن نَوَّنَ جعل «قَبَسٍ» من صِفَةِ شِهَابٍ، وكلُّ أَبْيضَ ذي نُورٍ فَهُو شِهَاب.

وقوله عز وجل: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

جاء في التفسير أنهم كانوا في شِتاءٍ، فلذلك احتاجوا إلى الاصطلاء وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول ص ٩١.

أي فلمَّـا جـاء مـوسَى النـارَ﴿نُـودِيَ أَنْ بُـورِكَ مَنْ في النَّـارِ وَمَن حَوْلها﴾.

فمـوضـع «أنْ» إن شئت كـان نصبـاً وإن شئت كـان رَفْعـاً، فمن حكم عليهـا بالنصب فـالمعنى نوديَ مُـوسَى بأَنَّـه بورك من في النَّـار، واسم مـا لـم يسَمَّ فاعله مُضْمَر في نُودِيَ، ومن حكم عَلَيْهـا بالـرَّفْع، كـانَتْ اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، أي نُودِيَ أَنْ بُورِكَ. وجـاء في التفسير أَنَّ ﴿مَـنْ في النار﴾ ههنا نورُ اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿ومن حولها﴾ قيل الملائِكَةُ وقيل نور اللَّه.

وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾.

معناه تنزيه اللَّه تبارك وتعـالى عن السُّوء، كـذلك جـاء عن النبي ﷺ وكذا فسَّره أَهْلُ اللُّغَة.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ﴾.

أي تتحـرك كما يتحـرك الجَانُّ حـركةً خفيفـة، وكانت في صـورة الثُّعْبَانِ، وهو العظيم من الحيات.

﴿وَلىَّ مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

جـاء في التفسيـر «لم يُعَقِّبْ» لم يلتفت، وجَـاءَ ايضـاً لـم يَـرْجِـعْ، وأَهل اللغة يقولون لم يرجع، يقال: قَدْ عَقَّبَ فُلانٌ إذا رجع يُقَاتِلُ بَعْـدَ أَنْ وَلـىَّ، قال لبيد(١):

حتى تهجَّـرَ في الـرَّوَاح وهــاجـه طَلَبُ المَعقِّـبِ حَقَّـه الـمَـظْلُومُ

(١) اللسـان (عقب) والخزانـة ٢٠٨ جـ٢ (سلفية) الشـاهد ١٢٢. وتهجّـر سـار في وقت الهجيـر. منتصف النهـار. والرواح الـوقت من بعد الـزوال الى الغروب، والبيت ضمن أبيـات يصف بها لبيد حماراً وأتـانه. وانـظر شواهـد الكشاف: الآيـة ﴿واللَّه يحكم لا معقب لحكمـه﴾ ومشـاهد الانصاف ١١٧. والتقدير طلب المعقب المظلوم حقـه. والمعقب مضاف إليـه في محل رفـع فاعل طلب، فنعت بمرفوع.

وقوله عز وجل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾.

معناه لا يخاف عندي المُرْسَلُونَ.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾.

إلا استثناء ليس من الأوَّلِ، والمعنى، واللَّه أعلم، لكنَّ مَنْ ظَلَمَ ثم تابَ من المرسلين وغيرهم، وذَلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وأدخل يدك فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيرِ سُوءٍ﴾.

المعنى أدخل يدك في جيبك وأخرجها تخرج بَيْضَاءَ مِنْ غيرسُوءٍ. جاء في التفسير ﴿من غير سوء﴾ من غير برص، وجاء أيضاً، أنه كانت عليه مَدْرَعةُ صُوف بغير كُمَّيْنْ.

وقوله عز وجل: ﴿في تِسْع آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِه﴾.

«في» من صلة قوله: وَأَلْقِ عَصَاكَ، وأدخل يَدَكَ. فالتأويل: وأظهر هَاتَيْن الآيتن في تِسْع آياتٍ وَتَأْويله مِنْ بَيْن آياتٍ. وجاء في التفسير أَنَّ التِّسْعَ كونُ يدِه بيضاءَ من غيرسوء، وكونُ العَصَا حَيَّة وما أَصَابَ آل فِرْعَوْنَ من الجذْبِ فِي بَوَادِيهِمْ، وَنَقْصُ الثِّمَارِ مِنْ مَزَارِعِهمْ، وإرْسالُ الجَرادِ عَلَيْهم، والقُمَّل، والضَّفَادِعُ، والدَّمُ والطُّوفَانُ. فهذه تِسْعُ آياتٍ.

ومثل قوله: ﴿فِي تِسْع آيَاتٍ﴾، وَمَعْنَاهُ، مِنْ تِسْعٍ قَوْلُهم: خُذْ لي عَشْراً منَ الإبل فيها فَحْلاَنِ، المعنى منها فَحْلانِ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آياتُنا مُبْصِرَةً﴾.

أي واضحة، ويجوز مُبْصَرةً، ومعناها مُبَيَّنة تُبْصَرُ وتُرى.

وقوله عز وجل: ﴿واسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوًّا﴾.

المعنى: وجحدوا بها ظَلْماً وعُلُوًّا، [أي] تَرَفُّعاً عَنِ أَنْ يُؤْمِنُوا بما جاء به مُوسَى عليه السلام. فجَحَدُوا بها وَهم يَعْلَمُونَ أَنَّها مِنْ عِنْد اللَّهِ.

وقوله عز جل: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾.

جاء في التفسير أنه وَرَثَه نُبوَّتَهُ وَمُلْكَهُ، وَرُوِيَ أنه كان لداود تسعةَ عشَرَ وَلَداً فورثه سُلَيْمَانُ من بينهم النبُوَّةَ والمُلْك[1].

وقوله: ﴿وقال يَاأَيُّها النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾.

وجاء في التفسير أنه البُلْهُ مِنها[2]. وأحسبه - واللَّه أعلم - مَا أَلْهَمَ اللَّهُ الطَّيرَ مما يُسَبِّحُهُ به، كما قال: ﴿وَسَخَّرنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ﴾[3].

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

المعنى أوتينا من كل شيء يجوز أَنْ يُؤتَاهُ الأنْبِياءُ والنَّاسُ وكذلك قوله: ﴿وَأُوتِيَتْ من كل شيء﴾[4] أي من كل شيء يؤتاه مِثْلُهَا وعلى هَذا جرى كلام النَّاسِ، يقول القائل: قد قَصَدَ فُلاَناً كل أَحَدٍ في حَاجَتِهِ، المعنى قصده كثير من الناس.

---

(١) أي إن سليمان من بين الاخوة وَرِثَ أَبَاهُ في النُّبوَّةِ والمُلْكِ.

(٢) كذا بالأصل وليست واضحة المعنى.

(٣) سورة الأنبياء آية ٧٩.

(٤) الآية ٢٣ من هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ والإِنْسِ والطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

في اللغة يُوزَعُونَ يُكَفُّونَ، وجاء في التَّفْسِير يُكَفُّ أَوَّلُهُمْ ويحبَسُ أَوَّلُهُم عَلَى آخِرِهم.

﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ﴾.

يروى أن وادي النمل هذا كان بِالشَّامِ، وأن نَمْلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْه السَّلَامُ كان مثال الذُّبَاب.

﴿قالت نملةٌ يا أَيُّها النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾.

جاء لفظ ادْخُلوا كلفظ ما يَعْقِل، يقال للناس: ادخلوا وكذلك للملائِكَةِ والجنِّ، وكذلك دَخَلُوا، فإذا ذكرت النمل قلت: قَدْ دَخَلْنَ وَدَخَلَتْ، وكذلك سائر ما لا يعقل، إلاّ أَنَّ النمل ههنا أُجْرِيَ مَجْرَى الآدَمِيِّينَ حين نطق كما ينطق الآدَمِيُّونَ.

﴿[لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ]﴾.

ويقرأ ﴿لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ﴾، ولا تُحَطِّمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ، ولا يُحَطِّمَنكُمْ جائزةٌ.

وقوله: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا﴾.

لأنّ أكثرَ ضحِكَ الانبياءِ عليهم السلام التبسم، وَضَاحِكاً منصوب، حال مُؤَكَّدَةٌ، لأن تبسَّمَ بمعنى ضَحِكَ.

﴿وقال: رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾.

معنى ﴿أَوْزِعْني﴾ أَلْهِمْني، وتأويله في اللغة كُفَّني عن الأشياء إلاَّ

عَنْ شُكْـرِ نِعْمَتِكَ، أَيِ كُفَّني عمَّـا يباعِـدُ مِنْكَ، ﴿وَأَنْ أَعْمَـلَ صَـالِحـاً تَرْضَاهُ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيرَ فَقَالَ ما لِيَ لَا أَرَى الهُدْهُـدَ أَمْ كَانَ مِنَ الغَائِبِينَ﴾.

بفتح الياء وإِسْكانِها فِي مَالِيَ، والفتحُ أَجْوَد، وقد فسـرنا ذلـك. وقـوله أَمْ كـانَ مِنَ الغائبين، معنـاه بَلْ كـان مِنَ الغائبين[1]، وجـاء في التفسيـر أن سليمان ﷺ تفقـد الهُدْهُـدَ لأنه كـان مهندسَ المـاء، وكان سُلَيْمَـانُ عليه السـلام، إذا نَزَلَ بفـلاةٍ مِنَ الأرْضِ عرف مقـدار مسافـةِ المـاء من الهُـدْهُـدِ. وقيـل إنّ الهُـدْهُـدَ يـرى المـاء في الأرْضِ كمـا يُرى الماءُ في الزُّجَاجَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً شَدِيداً أو لَأَذْبَحَنَّهُ﴾.

رُوِيَ أنَ عذاب سُلَيْمَانَ ـ كان للطير ـ أن ينتفَ ريش جناح الطائر ويُلْقَى في الشَّمْسِ.

﴿أولَيأْتِيَنّي بِسُلْطَانٍ مُبينٍ﴾.

أي ليأتِينيّ بحجَّةٍ في غَيْبَتِه.

وقوله: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

ويقرأ فَمَكُثَ بضم الكاف وفَتْحِها، أي غَيْرَ وَقْتٍ بَعِيد[2].

وقوله: ﴿فقالَ أَحَطْتُ بما لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾.

---

(١) المعروف في «أم» أو «بل» أنها لا يفارقها معنى الاستفهام، وعليـه يكون التقـدير «بـل أكان من الغائبين» ـ وعلى تقديره يكون سليمان قد جزم بأنه كان غائباً.

(٢) أي لم يمض غير وقت قليل حتى جاء الهُدْهُد.

المعنى فجاء الهُدْهُدُ فَسأله سُلَيمَانُ عن غَيبته، فقال أَحَطتُ بما لم تُحِطْ بِه، وحذف هذا لأن في الكلام دليلًا عليه، ومعنى أَحَطْتُ علمتُ شيئاً من جميع جهاته، تقول: أحطتُ بهذا علماً، أي علمتُه كُلَّه لم يَبْقَ عليَّ منه شيء.

وقوله: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبإٍ يَقِينٍ﴾.

يقرأ بالصرف والتنوين، ويقرأ من سَبَأَ - بفتح سَبأ وحَذْفِ التنوين، فأما من لم يَصْرِف فيجعله اسم مَدِينةٍ، وأما من صَرَف، فذكر قوم من النحويين أنه اسمُ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وذكر آخرُونَ أن الاسم إذَا لم يُدْرَ ما هُوَ لم يُصْرَف، وأحد هذين القولين خطأ لأن الأسماء حقها الصَّرْفُ، فإذا لم يعلم الاسم للمذكر هو أو للمؤنَّثِ فحقُّه الصَّرْفُ حَتَّى يُعْلَمَ أنه لا ينصرف، لأن أصل الاسماء الصَّرف، وكل ما لا ينصرف فهو يُصْرَفُ في الشعر. وأما الذين قالوا إنَّ سبأ اسم رجل فغلط أيضاً لأن سبأ هي مدينة تعرف بمأرب مِنَ اليَمَنِ بينها وبين صَنْعَاءَ ثلاثَةُ أَيَّامٍ، قال الشاعر:

من سبأ الحاضرين مَأْرِبَ إذ يَبْنُونَ مِن دُونِ سَيْلِهِ العَرِمَا[1]

فمن لم يصرف لأنه اسم مدينة، ومن صرفه - والصرف فيه أكثر في القراءة - فلأنه يكون اسماً لِلْبَلَدِ فيكون مُذَكَّراً سُمِّيَ بِهِ مُذَكَّرٌ فإن صحت فيه رواية، فإنما هو أن المدينة سميت باسم رَجُلٍ.

---

(١) البيت لأُميةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ وهو في ديوانه ٥١، وفي الجمهرة ٢١٥/٣ والقرطبي ٢٨٣/١٤، واللسان (عرم) وكتاب سيبويه ٢٨/٢، وينسب البيت للنابغة الجعدي وهو في ديوانه ١٣٤، وينسب للأعشى. وحَاضِرُو مَأْرِب، المقيمون على الماء بها، والعرم جمع عرمة وهي السَّد العالي. أي المقيمون على هذا الماء يبنون السُّدُود من دونه حتى لا يتبدَّد.

وقوله: ﴿وأوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ولها عرشٌ﴾.

معناه وأوتيت من كل شيء تعطاه المُلُوكُ وَيُؤْتاهُ النـاسُ، والعَرْشُ سَرِيرٌ عَظِيمٌ.

وقولـه: ﴿أَلَّا يَسْجُـدُوا لِلَّهِ الَّـذِي يُخْـرِجُ الخَبْءَ فِي السَّمَـواتِ والأَرْضِ﴾.

ويقـرأ أَلَا يسجـدوا، فمن قـرأ بـالتشـديـد، فـالمعنى وزَيَّن لهم الشيطان أَعْمَالَهُمْ فصدهم أَلَّا يسجدوا، أي فَصَدَّهُمْ لِئَلَّا يَسْجُدُوا للَّه، ومَوْضِع أَنْ نَصْبٌ بقـوله فَصَـدَّهُمْ، ويجوز أن يكـون مَوْضِعُهَـا جرًّا وَإِنْ حُذِفَتِ اللَّامُ. ومن قرأ بالتخفيف فَأَلَا لِابْتِدَاءِ الكلام والتنبيه، والوقوف عليـه أَلَايَا ـ ثم يستـأنف فيقول: اسْجُـدوا للَّه، وَمَنْ قرأ بـالتخفيف فهو مـوضع سَجْـدَةٍ من القـرآن ومن قـرأ آلَّا يَسجُـدُوا ـ بـالتشـديـد ـ فليس بموضع سَجْدة، ومثل قوله أَلَا يا اسْجُدوا بالتخفيف قول ذي الرُّمَّةِ.

الا يَا اسْلَمِي يَا دَارَ مَيَّ علَى البِلَا ولا زال مُنْهلاً بِجرعَائِكِ القَـطْرُ(١)

وقال الأَخْطَلُ:

ألا يا اسْلمي يا هِنْدُ هِندَ بني بَدْرِ وإن كان حَيَّانَا عِدًى آخِرَ الدَّهْرِ(٢)

وقال العجاج(٣):

(١) الـديوان ص ٢٠٦ مـطلع قصيدة، واللسـان (يـا) وشـواهـد المغني ٢١٠ ومعـه قصص طـريف والجـرعاء أرض رَمْليـة مُسْتوِيـةٌ لا نَبات بهـا ـ وقام حـول البيت نقد ودفـاع ذكره السيـوطي في شواهد المغني ـ فيحسن الرجوع إليه.

(٢) البيت في ديـوان الأخطل ١٦٣، وأمـالي القالي ٣/٦٥ ومجـاز أبي عبيـدة ٢/٩٤، وابن يعيش ٢/٢٤، ومعاني الفراء ٢/٢٩٠.

(٣) تـقـدم فـي الجزء الأول ـ وانظر ديوانه ص ٥٨، وابن يعيش ١/٨٩٠.

يا دار سَلْمَى يا اسلمي ثم اسلمي عَنْ سَمْسَمٍ وَعَنْ يَمِين سَمْسَم

وإنما أكثرنا الشاهد في هذا الحرف كما فعل من قبلَنَا، وإنما فعلوا ذلك لقلة اعتياد العَامَّةِ لدخول «يا» إلاّ في النِداء، لا تَكادُ العامَّةُ تقُول: يَا قَدْقَدِم زَيْدٌ، ولا يا اذْهَبْ بِسَلامٍ.

وقوله: ﴿[للَّهِ الذي يخرج] الخبء في السَّمَواتِ والأرْضِ﴾.

كل ما خبأته فهو خبء، وجاء في التفسير أن الخبء ههنا القَطْرُ من السَّمَاءِ، والنبات من الأرْضِ. ويجوز وهو الوجه أَنْ يكون الخبء كل ما غاب، فيكون المعنى يعلم الغيب في السموات والأرْضِ، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخفون وَمَا تُعْلِنُونَ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلْقِهْ إلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ - خمسةُ أَوْجه:

فـأَلْقِهِي إليْهِم بإثبات الياء - وهو أكثر القراءة، ويجوز فألْقِهِ إلَيْهِمْ بحذف الياء وإثبات الكسرة، لأن أصله فـأَلْقيه إلَيْهِم. فحذفت الياء للجزم، أعني ياء ألقيه، ويجوز فَأَلْقِهُو إليهم باثبات الواو، ويجوز فألقِهُ إليهم بالضَّمِّ، وحُذِفَتِ الواو، وقد قُرِئَ فألقِهْ إليهم باسكان الهاء. فأما إثبات الياء فهو أَجْوَدُها فألقهي، فإن الياء التي تسقط للجزم قَدْ سقطت قبل الهاء، لأن الأصل فألقيه إليهم، ومن حذف الياء وترك الكسرة بعد الهاء فلأنَّهُ كان إذا أثبت الياء في قولك أنا ألقيه اليهم كان الاختيار حذف الياء التي بعد الهاء. وقد شرحنا ذلك في قوله يُؤَدِّه إليك شرحاً كافياً.

ومن قرأ فألقِهو إليهم ردّه إلى أصله، والأصل إثبات الواو مع هاء الإضمار. تقول ألقيتُهو إليك. ومعنى قولنا إثبات الواو والياء أعني في اللفظ ووصل الكلام، فإذا وقفت وقفت بهاء، وإذا كتبت كَتَبْتَ

بهاء. ومن قرأ بحذف الواو وإثبَاتِ الضَّمَّةِ فذلك مثل حذف الياء وإثبات الكسرة، ومَنْ أَسْكَنَ الهاءَ فغالط، لأن لهاء ليست بمجزومة ولها[1] وَجْهٌ من القِياس، وهو أنه يُجْري الهاء في الوصل على حالها في الوقف، وأكثر ما يقع هذا في الشعر أن تحذف هذه الهاء وتُبقي كسرة.

قال الشاعر:

فإنْ يَكُ غثاً أو سميناً فَإنَّني ... سأجعل عينيه لِنَفْسِهْ مَقْنَعاً

وقوله تعالى: ﴿ثم تَوَلَّ عنهم فَانْظُر مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾.

فيه قولان. قال بعضهم: معناه التقديم والتأخير، معناه اذهب بِكِتَابي هذا فألقه إليهمْ فانظر مَاذَا يَرْجِعُونَ ثم تول عنهم، وقال هذا لأنَّ رُجُوعَه من عندهم والتولي عنهم بعد أن ينظُر ما الجواب[2]، وهذا حسن، والتقديم والتأخير كثير في الكلام، وقالوا معنى ﴿ثم تول عنهم﴾: تول عنهم مُسْتَتِراً من حَيْثُ لا يَرَوْنَكَ، فانظر ماذا يردُّونَ مِنَ الجواب.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّها المَلأُ إنِّي أُلْقِيَ إلى كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾.

فمضى الهدهد فألقى الكتاب إليهم فسمِعَها تَقُول: ﴿يَا أيها الملأ﴾ فحذف هذا لأن في الكلام دليلاً عليه، ومعنى ﴿كِتَابٌ كَرِيم﴾ حَسَنٌ ما فيه، ثم بَيَّنَتْ ما فيه فَقَالَتْ:

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإنه «بِسْمِ اللَّه الرَّحْمَنِ الرَّحِيم أَلَّا تَعْلُوا عَلَيّ وَأْتُوني مُسْلِمِينَ﴾.

---

(١) في نسخة «وله» كما أشير في الهامش.

(٢) أي إن التولي إنما يكون بعد معرفة إجابتهم.

فهـذا مـا كـان في الكتـاب، وكُتُبُ الأنبيـاءِ صَلَواتُ اللَّهِ عليهم جاريةٌ عَلَى الإيجاز والاختصار، وقد رُوِيَ أن الكتاب كان من عبد اللَّه سُلَيمـانَ الى بلْقيس بنت سـراحيـل، وإنمـا كتب النـاس من عبـد اللَّه احتذاء بسُلَيْمَانَ.

ومعنى ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ﴾: أَلَّا تَترفَّعُوا عليَّ وإنْ كُنْتُم مُلُوكاً.

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا المَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي﴾.

أَي بَيِّنُوا لي ما أَعمَلُ، والملأ وجُوهُ القَوْمِ، الـذين هم مُلَاءٌ بِمَـا يحتاجُ إلَيْهِ.

﴿قَالُوانَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

ويروى أنه كان مَعَها ألف قِيلٍ والقَيْلُ الملِك، ومع كل قيل أَلْفُ رَجُلٍ، وقيل مائة ألف رجل، وأكثر الرواية مائة ألف رجل.

وقوله: ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾.

بكسر النُّونِ، ولا يجـوز فتـح النـون لأن أصله حتى «تشهدونَنِي» فَحُذِفَتْ النون الأولى للنَّصْبِ وبقيت النُّونُ والياء للاسم، وحُذِفَت الياءُ لأنَّ الكسرةَ تدلّ عليهـا، ولأنه آخـر آية، وَمَنْ فتـح النون فَـلَاحِنٌ، لأنَّ النُّونَ إذا فتحت فهي نون الرفع، وليس هـذا من التي ترفـع فيه حَتَّى، ويجـوز أنه مِنْ سُلَيْمـان وأنه بسم اللَّه الـرحمن الـرحيم، بفتـح الألف فيكون موضع أن الرفع على معنى: أُلْقِي إليَّ أنه من سُلَيمَـانَ، ويجوز أن تكون أن في مَوْضـع نَصْبِ على معنى كتاب كـريم لأنه من سُلَيْمـان ولأَنَّهُ بسم اللَّه الرحمن الرحيم، فأما ﴿ أَلَّا تعلوا عليَّ﴾ فيجوز أن يكون أنْ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ وفي موضع نَصْبٍ، فالنصب على معنى كِتَـابٌ بِـأَنْ لَا

تَعْلُوا عليَّ أي كتب بترك العُلُوِّ، ويجوز على مَعْنى: ألقِيَ إليَّ أَلَّا تَعْلُوا عليَّ، وفيها وجه آخر حَسَنٌ على معنى قال لا تعلوا عَلَيَّ، وفسرَّ سيبويه والخليل أنَّ «أَنْ» في هذا الموضع في تأويل أي[1]، على معنى أي لَا تعلوا عَلَيّ، ومثله من كتاب اللَّه عز وجل:﴿وَانْطَلَق المَلأُ مِنْهُم أَنِ آمْشِوا﴾[2] وتأويل أي ههنا تأويل القول والتفسير، كما تقول فعل فلان كذا وكذا، أي إنِّي جوادٌ، كأَنَّكَ قُلْتَ: يقول اني جوادٌ.

وقوله:﴿قَالَتْ إنَّ المُلُوكَ إذَا دَخَلُو قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجعلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِها أَذِلَّةً﴾.

مَعْنَاه إذا دخلوها عَنْوة عن قتال وغلبة.

﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾.

هو من قول اللَّه عز وجل ـ واللَّه أعلم ـ لأنها هي قد ذكرت أنَهم يُفْسِدُونَ فليس في تكرير هذا مِنْهَا فائدةٌ.

وقوله:﴿وَإنّي مُرْسِلَةٌ إلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها أهْدَت سليمان لَبِنَةً ذَهَبٍ في حَرِيرٍ، وقيل لَبِنُ ذَهِبٍ في حرير. فأمر سليمانُ بِلِبنَةِ ذهب[3] فطرحت تحت الدَّوَابّ، حيث تبول عليها الدَّوابُّ وتَرُوثُ، فَصَغُرَ في أَعْينهم ما جاءوا به إلى سليمان، وقد ذُكِر، أن الهَدِيَّة قَدْ كَانَتْ غيرَ هَذا، إلا أَنَّ قولَ سُلَيْمَانَ: ﴿أَتُمِدُّونَنِي بِمَالٍ﴾ مما يدل على أن الهديَّة كانت مالاً.

وقوله عز وجل:﴿بِمَ يَرْجِعُ المُرْسَلُونَ﴾.

---

(١) أي هي تفسيرية.

(٢) سورة ص الآية ٦.

(٣) من اللبن الذي أحضروه.

حروف الجر مع «مَا» في الاستفهام تحذف مَعَها الألفِ من «مَا» لأنَّهُمَا كالشّيءِ الواحِدِ، وليُفْصَلَ بينَ الخبر والاستفهام؛ تقولُ: قَدْ رَغِبْتُ فيما عندك، فَتَثْبُتُ الألف، وتقول: فيم نظرت يا هذا فتحذف الألف.

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيمانَ﴾.

معناه فلما جاء رَسُولُها سُلَيْمَانَ، ويجوز أن يكون فلَمَّا جَاءَ بِرُّهَا[1] سُلَيْمَانَ إلاَّ أَنَّ قوله: أرجع إليهم مخاطبةٌ للرَّسُول.

وقوله تعالى: ﴿لا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾.

معناه لا يَقْدُرُونَ على مُقَاوَمَةِ جُنُودِهَا.

وقوله: ﴿قَالَ يَاأَيُّها المَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتيني بِعَرْشِهَا﴾: أي بسريرها.

﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾.

أحب سليمانُ ﷺ أن يأخُذَ السَّرِيرَ مِنْ حيثُ يَجُوزُ أَخْذُهُ، لأنهم لَوْ أَتوا مُسْلِمِين لَمْ يَجُزْ أَخْذُ مَا في أيديهم، وجائز أن يكون أرادَ سُلَيْمَانُ إظهار آيةٍ مُعْجِزَةٍ في تصيير العَرْشِ إليْهِ في تلك السَّاعَةِ لأنّها مِنَ الآيَاتِ المعجزات.

﴿قالَ عفريتٌ مِنَ الجِنِّ﴾.

والعفريت النافِذُ في الأمْرِ المبالغُ فيه مع خُبثٍ وَدَهَاءٍ، يقال: رَجُلٌ عِفْرٌ وَعِفْرِيتٌ، وعِفْرِيَةٌ نِفْرِيةٌ، وَنُفارِيَّةٌ، في معنى وَاحدٌ.

﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾.

---

(١) أي هديتها والمال الذي بعثت به ـ وانظر هل يصح أن يسمى برًّا.

أي مقدار جُلُوسِكَ الَّذِي تَجْلِسُه مع أصحابك، وقيل قَبْلَ أَنْ تقومَ من مَجْلِسِك للحُكْمِ.

وقوله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ﴾.

ويقال إنه آصف بن بَرَخْيَا.

﴿أنا آتيك به قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

أي بمقدار ما يبلغُ البالغ إلى نهاية نظرك ثم يَعُودَ إِلَيْكَ، وقيلَ في مِقْدارِ ما تفتح عَيْنَكَ ثُمَّ تَطْرِف، وهذا أشبه بارتِدَادِ الطرف، ومثله من الكلام: فعل ذلك في لحظة عَيْنٍ، أي فِي مِقْدَارِ ما نظر نظرة واحِدةً.

ويقال في التفسير إِنَّهُ دَعَا باسْمِ اللَّه الأعْظم، الذي إذا دُعِيَ به أَجَابَ، وقيل إنه: يا ذا الجلال والإكرام، وقيل إِنَّهُ يَا إِلٰهَنَا وإِلٰه الخلق جَميعاً إِلٰهاً وَاحِداً لا إِلٰه إِلاَّ أَنْتَ، فذكر هذَا الاسْمَ ثم قال إئت بِعَرْشِها، فَلَمَّا استَتَمَّ ذَلِكَ ظهر السرير بين يَدَيْ سُلَيْمَانَ.

وقوله: ﴿قَالَ نَكِّروا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾.

الجزم في ننظَر الوجه وعَلَيْهِ القِرَاءَةُ، ويجوز نَنْظُرُ بالرَّفْعِ فمن جزم فلجواب الأمْرِ، ومن رفع فعلى معنى فسَنَنْظُرُ، وقوله أَتَهْتَدِي معناه أَتَهْتدي لِمَعْرِفته أَمْ لاَ.

وقوله: ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾.

ولم تقُلْ إنه عَرْشُها، ولاَ قَالَتْ: ليس هو بِعَرْشِها، شَبَّهَتْه بِهِ لأِنهُ مُنَكَّرٌ، يُرْوَى أنَّهُ جُعِلَ أَسْفَلهُ أَعْلاَهُ.

وقوله: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إنها كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرِينَ﴾.

أي صدها عن الايمانِ العادَةُ الَّتِي كَانَت عَلَيْها[1]، لأنها نَشَأَتْ ولم تعرف الا قوماً يعبدون الشَّمْسَ، فَصَدَّتها العَادَةُ، وَبَيَّنَ عادَتَها بقوله: ﴿إنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كافِرين﴾.

ويجوز أنَّها كَانَتْ من قوم كافرين فيكون المعنى صَدَّها كَونها من قومٍ كافِرِينَ ويكون مبيناً[2] عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ما كانت تعبد من دون اللَّه﴾.

وقوله: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾.

والصَّرْح في اللُّغَةِ القَصْرُ، والصَّحْنُ، يقال هذه سَاحَةُ الدار وصحنة الدار وباحة الدَّار وقاعَةُ الدَّار وَقَارِعَةُ الدَّارِ، هذا كله في معنى الصَّحْنِ.

وقوله: ﴿فلما رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾.

أي حَسِبَتْهُ ماءً، وكان قد عُمِلَ لِسُلَيْمَانَ صَحْنٌ[3] من قَوارِير وَتَحْتَهُ الماء والسَّمَكُ، فظنَّتْ أنه ماء فكشفت عن سَاقَيْهَا. وذاك أن الجنَّ عابوا عِنْدَهُ ساقيها ورِجْلَيها وذكروا أن رِجْلَيْها كحافِرِ الحِمَارِ فتبين أمرُ رِجْلَيها.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾.

---

(١) «ما» الموصولة في ﴿ما كانت تعبد﴾ هي عادتها التي صدتها عن الإيمان.
(٢) في الأصل مبينٌ وهو خطأ.
(٣) في الأصل صَحْناً.

أي فـإذَا قَوْمُ صَـالِحٍ فـريقان مؤمن وكـافِرٌ يختصمـون فيقولَ كـل فـريقٍ مِنْهُم الحَقُّ مَعِي، وطلبت الفرقَـةُ الكَـافِـرَةُ على تصديق صـالـح العـذابَ،(١) فقال: ﴿لِمَ تَستعجلون بـالسَّيئةِ قَبْـلَ الحسنةِ﴾، أي لم قُلْتُم إن كان ما أتيتَ به حَقًّا فأتنا بِالعَذَابِ.

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

أي هَلاَّ تَستغفرون اللّه.

قوله: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾.

الأصل تطيرْنا فـأدغمت التاء في الـطاء، واجتلبت الألف لسكون الـطاء، فإذا ابتـدأت قُلْتَ اطَّيَّرْنـا بِكَ، وإذا وصلت لَمْ تُـذْكِـرْ الألِفُ. وتسقط لأنها ألف وَصْلٍ.

﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

أي ما أصابكم من خَيْرٍ أو شَرٍّ فمن اللّه.

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

[أي] تختبرون، ويجوز تُفْتَنُون من الفِتْنَةِ، أي تطَيُّركم فِتْنَةٌ.

﴿وَكَانَ فِي المَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ في الأَرْضِ وَلاَ يُصْلِحُونَ﴾.

هؤلاء عتاة قَوْمِ صَالحٍ.

﴿قالوا تقاسموا باللَّه لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ. [ثُم لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ]﴾.

وتجوز لَتُبَيِّتُنَّهُ، ويجوز لَيُبَيِّتُنَّهُ وأهله بالياء، فيها ثَلاثَة أَوْجُهٍ. فمن قـرأ بالنـون قرأ «ثم لَنَقُـولَنَّ» لِوَلِيِّـهِ، ممن قرأ «لَتُبَيِّتُنَّـهُ» بالتـاء قرأ «ثُمَّ لَتقولُنَّ» ومن قرأ «لَيبيِّتُنه» بالياء قرأ «ثم لَيَقُولُنَّ» لِوَلِيِّه.

---

(١) تحدوه وطلبوا أن يسقط عليهم العذاب إن كان نبياً حقاً.

فمن قرأ بالنون فكأنهم قالوا: احْلِفُوا لَنُبَيِّتَنَّه وأهلَه، ومن قرأ بالتاء فكأنهم قالوا احلفوا لتبيتنه، فكأنه أخرج نفسه في اللفظ، والنون أَجْوَدُ في القراءة، ويجوز أن يكون قد أدْخل نفسه في التاء لأنه إذا قَالَ تَقَاسَمُوا، فقد قال تحالفوا ولا يخرج نفسه من التحالف، ومن قرأ قالوا تقاسموا باللَّه ليبيتُنَّه، فالمعنى قالوا لَيُبَيِّتُنَّه متقاسمين، فكأنَّ هؤلاء النفر تحالَفُوا أَن يُبَيِّتُوا صالحا وَيَقْتُلوه وأهله في بَيَاتِهِمْ، ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم شَهِدُوا مَهْلِكَهُ وَمَهْلِكَ أهله، ويحلفون أنهم لصادقون. فهذا مَكرٌ عزموا عَلَيه.

قال اللَّه - عز وجل: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

فمضوا لِبُغْيتِهِمْ فأرسل اللَّهُ عليهم صَخْرةً فدَمَغَتْهُمْ[1]، وأرسل على باقي قومهم مَا قَتَلَهُمْ بِهِ.

وقوله: ﴿ فانظُرْ كيف كان عاقبةُ مَكْرِهِم [أَنَّا دَمَّرناهم وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِين]﴾.

يقرأ إنَّا دَمَّرنَاهُم - بكسر إن وبفتحها - فمن قرأ بِالكسر رفع العَاقِبة لا غير، المعنى فانظر أي شيء كان عاقبة مَكْرِهم، ثم فَسَّرَها فقال: إنّا دَمَّرنَاهُمْ، فدل على أن العاقبة الدَّمَارُ، ومن قرأ أنا دَمَّرناهم - بالفتح - رفع العاقبة وإنْ شاء نَصَبَها، والرفعُ أَجْوَدُ على معنى فانظر كيف كان عاقبةُ أَمْرِهِمْ، وأضمر العَاقِبَةَ. أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ. فيكون أنا في موضع رَفْعٍ عَلَى هذا التفسير، ويجوز أن تكون أنا في موضع نَصْبٍ، على معنى فانظر كيف كان عاقبة مكرهم لأنا دَمَّرناهم، ويجوز أن

---

(١) حطمت أدمغتَهم.

تكـون «أَنّا دَمَّـرْنَاهُمْ» خَبَـر كانَ المعنى فـانظر كيف كـان عاقبـة مَكْرِهُمُ الدَّمَارَ، ويجوز أن يكون اسم كان أنا دَمَّرنَاهُمْ وَعَاقبة أَمْرِهـم منصوبـةٌ، المعنى فانظر كيف كان الدَّمَارُ عاقبـةَ مَكْرِهِمْ، وكيف في مـوضع نصب في جميـع هـذه الأقـوال، ـ ونصبهـا ـ إذا جُعِلَت العـاقِبَـة اسم كــان وكيف الخبرُ لأنها في مـوضع خبر كان، فـإذا جُعِلَتْ[1] اسم كان وخبرُها مَـا بَعْدها فهي[2] منصوبة على الـظرفِ[3]، وعمل فيهـا جملة الكلام كمـا تقول: كيف كان زيدٌ، وكيف كان زيد قائماً.

وقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾.

اكثر القراء نَصَبَ خاويةَ على الحـال، المعنى فانـظر إلى بُيُوتِهِمْ خَاوِيةً بِمَـا ظَلَمُوا. ورفعهـا من أربعة أوجُـهٍ قد بيَّنّـاهَا فيمن قـرأ﴿وهذا بَعْلِي شيخ﴾[4].

وقوله عز وجل: ﴿ولُوطاً إذ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾.

نَصْبَ لـوط من جهتين، على معنى وأَرْسَلْنَـا لُــوطـاً وعلى معنـى واذكر لُوطاً إذ قال لِقَوْمِهِ، لأنه قد جرت أقاصيص رُسُلٍ، فدخـل معنى اضمار اذكر هَهَنَا.

﴿أَتأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾.

أي وأنتم تعلمون أنها فاحشة، فهو أعظم لذُنُوبِكم.

﴿أئِنكم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

---

(١) العاقبة.

(٢) كيف.

(٣) هي حال.

(٤) انظر تفسير سورة هود. الآية ٧٢.

يجوز على أوجه، إإنكمْ بهمزتين بينهما ألف، ويجوز أَئِنَكُمْ بهمزتين مُحَقَّقتَيْن، والأجودُ أينكمْ بجعل الهمزة الثانية بينَ بيْنَ تكون بين الياء والهمزة.

﴿فَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إلاَّ أنْ قَالُوا﴾.

«جَوابَ» خَبرُ كانَ وَ «أَنْ قالوا» الاسم، ويجوز فما كان جَوَابُ قومِهِ إلاَّ أنْ قالوا.

وقوله: ﴿إنَّهُم أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

قال قوم لوط هذا لِلُوطٍ ولمن آمن مَعَهُ، على جهة الهزُؤ بِهِمْ لأنهم تطهَّروا عن أدْبَار الرِّجَال وأَدْبَارِ النِّسَاءِ.

ويروى عن ابن عمر أنه سُئِلَ: هل يجوز هذا في النساء؟ قيل له ما تَقُول في التحميض فقال: أو يفعل ذلك المِسْلِمُونَ؟ فهذا عظيم جدًّا[1]. وهو الذي سَمَّاهُ اللَّهُ فاحِشَةً.

وقوله عز وجل: ﴿آللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وتشركون بالياء والتاء، ويقرأ آللَّه، وآللَّه، بالمد وترك المَدِّ، ويجوز - واللَّه أعلم - اللَّه خير أمَّا يشركون[2].

قال أبو إسحاق: إذَا ضُمَّت التَّاءُ واليَاءُ فمعناه أَنَّهُمْ جَعَلُوا للَّه شُرَكَاءَ، وإذا فُتِحَتْ التَّاء والراءُ، فمعناه أنكم تجعلون أنفسكم لِلَّه شُرَكَاءَ، يقال: شَرِكْتُ الرَّجُلَ [أَشْرَكَه] إذا صِرْتُ شَرِيكَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾.

---

(١) تقدم هذا في سورة الشعراء من هذا الجزء. (٢) بالإمالة.

حجز بينهما بقدرته فلا يختلط العذب بالمِلح ِ.

وقوله عز وجل:﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الغَيْبَ إلَّا اللَّهُ﴾.

بالرفع القراءة[1]، ويجوز النصب، ولا أعلم أحَداً قَرَأَ به، فلا تقرأن به. فمن رَفَعَ في قوله: إلَّا اللَّهُ فَعَلَى البَدلِ، المعنى لا يعلم أَحَدٌ الغَيْبَ إلا اللَّه، أي لا يعلم الغيب الا اللَّه، ومن نصب فعلى معنى لا يعلم أحد الغيب الا اللَّه، على معنى آسْتَثْنِي اللَّه عز وجل، فإنه يعلم الغيبَ.

وقوله:﴿وَمَا يَشْعُرونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.

وأيَّان تُبْعَثونَ جميعا، أيْ لَا يَعْلَمُون متى البَعْثُ.

وقوله تعالى:﴿بَلِ ادَّارَك عِلْمُهُم في الآخِرَةِ﴾.

فيها أوجه: قرأ أبوعَمْرٍو: بل أُدْرِك عِلْمُهُمْ في الآخرةِ، وقرأ أكثر الناس بل ادَّراك بتشديد الدَّالِ، وروي عن ابن عباس بَلَى أَدْرَكَ عِلْمُهم في الآخرة، ويجوز بلى ادّارك علمهم في الآخرة فمن قرأ بل ادَّارَكَ علمهم في الآخرة وهو الجَيدُ، فعلى معنى بَلْ تَدَارَكَ علمُهُمْ في الآخرة، على معنى بل يتكامل عِلْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ، لأنَهُمْ مبْعُوثُونَ، وكل ما وعدوا به حَقٌّ، ومن قرأ بل أَدْرَكَ عِلْمُهُم فعلى معنى التقرير[2] والاستخبار، كأنه قيل: لم يُدْرِكِ عِلْمُهم[3] في الآخرةِ أي ليس يَقفون في الدنيا على حقيقتها، ثم بين ذلك في قوله:﴿بل هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾

---

(1) أي في لفظ الجلالة.

(2) أي هناك همزة محذوفة، وهي استفهام للتقرير أي هل ادرك علمهم الآخرة.

(3) في الآخرة متعلق بعلمهم، أي علمهم بما في الآخرة.

وقالوا في تفسير ﴿بل ادَّارَكَ عِلْمُهم﴾: أَمّ أَدْرَكَ عِلْمُهُم، والقراءة الجَيِّدَةُ ادَّارك على معنى تدارك بإدغام التاء في الدَّال، فتصير دالاً سَاكِنَةً فلا يُبتدأ بِها، فيَأتي بألف الوصل لتصل إلى التكلُّمُ بها. وإذَا وقفت على بل وابتدأت قلت ادَّارك، فإذا وَصَلْتَ كسرت اللام [في بل] لسكونها وسكون الدَّال.

وقوله: ﴿حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾.

الحدائق واحدتها حديقة، والحديقة البُسْتَانُ، وكذلك الحائط وقيل القطعةُ من النخل، وقوله ذات بَهْجَةٍ معناه ذات حُسْنٍ

ويجوز في غير القراءة ذوات بهجة، لأنها جماعة، كما تقول: نِسْوَتُك ذوات حُسْنٍ، وإنما جاز ذات بهجة لأن المؤنث يخبر عنه فِي الجَمْع بلفظ الواحِدَةِ، إذا أردتَ جَمَاعَةً، كأنك قلت جماعة ذاتَ بَهْجَةٍ.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

معناه يكفُرُون، أي يَعْدِلُونَ عَنِ القَصْدِ وطريق الحق.

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

يُقْرأ في ضَيْقٍ وَضِيقٍ.

وقوله: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾.

قيل في التَّفْسِير عجِلَ لَكُمْ ومعناه في اللُّغَةِ رَدِفَكُمْ مِثْلُ رَكِبَكُمْ وجاء بَعْدَكُمْ.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيَ عن ضَلَالَتِهِمْ﴾.

وتقرأ: وما أَنْتَ تهـدي العُمْيَ عن ضَلاَلَتِهِمْ، ويجـوز بهادٍ العُمْىَ عن ضَلاَلَتِهِمْ. فأمـا الوَجْهَـانِ الأولان فجيّدانِ في القـراءة، وقد قــرئَ بهما جميعاً، والوجه الثالث يجوز في العَرَبية، فَإنْ ثبتت به روايـةٌ وإلاّ لم يُقْرأْ به، ولا أعلم أحداً قرأ به.

وقوله عز وجل:﴿إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنَا﴾.

معناه ما تُسْمِع إلاَّ من يؤمن، وتأويل ما تُسْمِعُ، أي مَا يَسْمَعُ مِنْكَ فَيَعِي ويَعْمَـلُ إلاَّ من يُؤْمِنَ بآيـاتنا، فـأما من سمـع ولم يقبـل فبمنـزلـة الأصَمِّ. كما قال اللّه عز وجل: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾(١)، قال الشَّاعِرُ:

أَصَمَّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعُ(٢)

وقوله عز وجل: ﴿وَإذَا وَقَعَ القَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾، أي إذَا وَجَبَ.

﴿أَخْرَجْنَالَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾.

وَتَكْلِمُهُمْ، ويـروى أن أول أشراط السـاعة خـروجُ الدَّابَّـةِ وطلوعُ الشمسِ مِنْ مَغْـربها، وأَكْثَرُ ما جـاء في التفسير أنهـا تخـرج بِتُهَامَــةَ. تَخْرجُ مِنْ بَيْنِ الصَّفَا والمروَةِ. وقد جـاء في التفسير أنهـا تخرج ثـلاث مرات في ثلاثـة أمْكِنَةٍ، وجـاء في التفسير تنكت في وَجْـهِ الكَافِـر نكتة سـوداء وفي وجه المؤمن نكتـة بيضاء، فتفشـو نكتة الكـافر حتى يسـودَّ منهـا وجهه أجمـع وتفشو نكتـة المؤمن حتى يَبْيَضَّ منها وَجْهَـهُ فتجتمع الجماعة على المائِدَةِ، فَيُعْرَفُ المؤمِنُ مِن الكافِرِ.

فمن قـرأ «تكَلِّمُهُمْ» فهـو من الكـلام، ومن قـرأ تَكْلِمُهُمْ فهـو من الكَلْمِ، وهو الأثر والجُرْحُ.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨.

(٢) تقدم.

وقوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

القراءةُ النَصْبُ، ويجوز الرفع: صُنْعُ، فمن نصب فعلى معنى المَصْدَرِ، لأن قوله: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُها جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...﴾ دَلِيل على الصَّنْعَةِ، كأنه قِيلَ صَنَعَ اللَّه ذلك صنعاً. ومن قال صُنْعُ اللَّه بالرفع، فالمعنى ذَلِك صُنْعُ اللَّهِ.

وقوله عزو جل: ﴿وَكُلٌّ أَتوْهُ دَاخِرِينَ﴾.

وَأَتَاهُ داخرين، مَنْ وَحَّدَ فللفظ كُلّ، ومن جمع فلمعناها.

وقوله: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هِذِه البَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾.

﴿الذي﴾ في موضع نصب من صفة ﴿ربَّ هذه البلدة﴾ وقد قُرِئَتْ: التي حَرَّمَهَا؛ وقد قرئ بها لكنها قليلة، فالتي في مَوْضِع خَفْضٍ مِنْ نعت البلدة.

وقوله عز وجل: ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَها﴾.

أي سيُريكم اللَّه آياته في جميع ما خَلَق، وفي أنفُسُكم.

سُورةُ القَصَص
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم﴾: قد تقدم ما ذكر في هذا.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ﴾.

يقال: بان الشيء وأَبَانَ في مَعْنى واحِدٍ، ويقال بَانَ الشيء، وأَبَنْتُه أنا، فمعنى مبين مُبَيِّنٌ خَبْره وَبَرَكَتِهِ، وَمُبَيِّنٌ الحَقّ من الباطل والحلال من الحرام، ومبين أَنَّ نُبوَّةَ النبي ﷺ حق لأنه لَا يَقْدرُ أَحَدٌ بِمِثْلِه، ومبينٌ قصص الأنبياء.

وقوله: ﴿نتلو عليك من نبأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ﴾.

أي من خبر موسى وخبر فرعونَ.

قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ معناه يُصَدِّقُونَ.

وقوله: ﴿إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ﴾: مَعناه طَغَى

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيعاً﴾.

معنى شيع فرق، أي جعل كل فرقة يُشيع بعضها بعضاً في فِعْلِها.

وقوله عز وجل: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾.

معنى نسائهم ههنا أنه كان يستحيي بَنَاتِهِمْ، وإنما كان يعمل ذَلِكَ لأنه قال له بعضُ الكهنة إن مَوْلُوداً يُولَدَ في ذلك الحين يكونُ سَبَبَ ذَهَاب مُلْكِكَ، فالعَجَبُ من حُمْقِ فَرْعَوْنَ، إن كان الكاهن عنده صادقاً فما ينفع القَتْلُ، وإن كان كاذباً فما معنى القَتْل.

وقوله عز وجل: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِين اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾.

يعني بني إسرائيل الذين استضْعَفهم فرعونُ.

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾.

أي نجعلهم ولاةً يُؤتَمُّ بِهِمْ[1].

﴿وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾.

أي يرثون فرعون وملكه.

وقوله: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهَمْ في الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ﴾.

القراءة النَّصبُ، نُمَكِّنَ ونُرِيَ. وَيَجوزُ الرَّفع. . وَنُمكِّنُ لَهُمْ في الأَرْض وَنُرِي - بإسكان الياء، فمن نَصَبَ عطف على نَمُنَّ، فكأن المعنى وان نمكِّنَ وَأَنْ نُرِيَ، ومن رفع فعلى معنى ونَحْنُ نمكن، وقُرِئَتْ: ويُرَى فِرْعَوْنُ وهامانُ وَجُنُودُهُمَا، فَيُرى يكونُ في مَوْضِع نَصْبٍ على العطف على نُمَكِّن، ويجوز أَنْ يكون في موضع رفع على وسَيُرَى فِرْعَونُ وهامان وجنودُهما.

وقوله: ﴿وَأَوْحَينا إلى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾.

قيل إن الوحيَ ههنا أَلْقَاءُ اللَّهِ في قلبها، وما بعد هَذا يَدُلَ-واللَّهُ

---

(١) في الأصل: يؤتم به.

أعلم-أنه وَحْيٌ من اللّه عز وجل على جهة الاعلام للضَّمَانِ لها.

﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

ويدل عليه: ﴿ولتعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

وقد قيل إنَّ الوحي ههنا الإلهام، وجائز أن يُلْقي اللّه في قلبها أَنَّهُ مردودٌ إليها وأنه يكون مُرْسَلاً، ولكن الإعلام أَبْيَنُ في هذا أَعْني أن يكون الوحي ههنا إعْلَاماً. وأصل الوحي في اللغة كلها إعْلَامٌ في خِفْي، فلذلك صار الإِلْهَامُ يُسمَّى وَحْياً.

وقوله: ﴿فَأَلْقِيهِ فِي اليمّ﴾: اليمُّ البَحْرُ.

وقوله تعالى: ﴿فالتقطه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وحَزَناً﴾.

ويجوز وحُزْناً، ومعنى ليكون لهم عَدُوًّا أي ليصير الأمر إِلَى ذَلِكَ لا أنهم طلبوه وأَخذُوهُ لهذا كما تقول للذي كسب مالاً فَأَدّى ذلك إلى الهَلَاكِ: إنما[1] كسب فلانٌ لِحَتْفِهِ، وهو لم يَطْلُب المَالَ للحَتْف، ومثله: فَلِلْمَوْتِ ما تَلِدُ الوَالِدَةُ، أي فهي لَمْ تَلِدْهُ طَلَباً أَنْ يَمُوتَ وَلَدُهَا ولكن المصير إلى ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لي وَلَكَ﴾.

رفع قُرَّةُ عَيْن على إضمار هو قرةُ عين لي ولك، وهذا وقفُ التَّمام، وَيَقْبُح رفْعُه علَى الابتداء وأن يكون الخبر «لا تَقْتُلوهُ» فيكون كأَنَّه قَدْ عَرَفَ أنه قرة عين له[2]، ويجوز رفعه على الابتداء عَلَى بُعْدٍ على معنى إذا كان قرة عين لي ولك فلا تَقْتُلْه، ويجوزُ النَّصْبُ ولكن لا

(١) في الأصل وإنما.

(٢) يقبح أيضاً لأن الخبر إنشائي.

تقرأْ به لأنه لم يأتِ فيـه روايةُ قـراءة، والنصبُ على معنى لا تَقْتُلُوا قُرَّةَ لي ولك لا تقتلوه، كما تقول زيداً لاَ تَضْرِبْهُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً﴾.

المعنى أصبح فارغاً من كل شيء إلا مِن ذِكْـرِ مُوسَى ، وقيـل إلاّ مِنَ الهمِّ بموسى والمعنى واحدٌ.

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِـهِ﴾.

المعنى إن كادت لتظهَر أنه ابنُهَا، وقد قُرِئَتْ فَرِغاً، والأكثرفَارِغاً.

﴿لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾.

معنـاه لولا رَبْـطُنَا على قَلْبهـا، والربط على القلب إلْهَـامُ الصَّبْـرِ وتشديدُهُ وتَقْوِيتُهُ.

وقوله: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾.

بمعنى اتْبعي أَثَرَهُ.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ﴾.

معناه فاتْبَعَتْهُ، فَبصُرَت به عن جُنُبٍ أي عن بعد تُبْصِـرُ ولا تُـوهِمُ أنَّها تراه، يقـال: بَصُـرْتُ بِـهِ عَنْ جُنُبٍ وَعَنْ جَنَابَـةٍ إذَا نَظَرتْ إلَيْـهِ عن بُعْدٍ، قال الشاعِرُ[1]:

فـلا تحـرِمَنِّي نـائـلا عن جنـابـة   فَـإنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَـابِ غَـرِيبُ

أي لا تحـرمنـي نائلا عَنْ بُعْدٍ، وإن كنت بعيداً مِنكَ.

---

(١) لعلقمة بن عبدة. الكامل ٢/٣٧ (تجارية) والمفضليات ٧٨٩، والقرطبي ٥/١٨٣، والسنتمري ٢/٤٢٣، والديوان من الستة ١٠٧.

وقوله عز وجل: ﴿ وَحَرَّمْنا عَليه المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ ﴾.

معناه من قبل أن نَرُدَّهُ على أُمِّه، وكان موسى لم يأْخُذْ من ثَدْيٍ، أي لم يرضع من ثَـدْيٍ إلى أَنْ رُدَّ إلى أُمِّهِ فرضع منها، وهذا معنى ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾.

أي فقالت أخت موسى عليه السلام لما تَعذَّرَ عَلَيْهِمْ رَضَاعُه: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكفلونه لكم وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾.

فلما سمعوا قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾. قالوا: قد عَرَفْتِ أَهْلَ هَذا الغُلام - بقولك وهُمْ لَه ناصحون، فقال عَنيتُ «هم له» هم للمَلِك نَاصِحُونَ، فَدَلَّتْهم على أُمِّ مُوسَى، فَدُفع إليها تربِّيه لهم فِي حِسَابِهِمْ(١)

وقوله: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعدَ اللَّه حَقٌّ ﴾.

يعني ما وعدت به مما أُوحِيَ إليها من قوله: ﴿ إِنَّا رَادُّوه إِلَيْكِ وَجَاعِلُوه مِنَ المُرْسَلِينَ ﴾. واستقر عندها أنه سيكون نبياً.

قوله عز وجل: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ واسْتَوَى ﴾.

قيل الأَشَدُّ بِضع وثلاثون سنة. وهو ما بين ثلاث وثلاثين الى تسع وثلاثين. وتأويل «بَلَغ أَشُدَّهُ» استكمل نهاية قوَّةِ الرَّجُل وقيل إن معنى واسْتَوَى - بلغ الأَرْبَعين، وجائز أن يكون «اسْتوى» وَصَل(٢) حقيقة بلوغ الأَشُدِّ.

---

(١) في تقديرهم وظنهم أنها تربيه لهم.

(٢) في الأصل: وَصَفَ.

وقوله: ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾.

فَعَلِمَ مُوسَى عليه السلام وحكم قبل أَنْ يُبْعَثَ.

﴿ وكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين ﴾.

فجعل اللَّه إتيان العلم والحكمة مجازاةً على الاحْسَان لأنَّهُمَا يَـؤَدِّيانِ الى الجنـةِ التي هي جزاء المحسِنِين، والعـالِمُ الحكيمُ مَن استعمل عِلْمَهُ، لأن اللَّه ـ عز وجل ـ قال: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

فجعلهم اذ لم يَعْملُوا بالعلم جُهَّالاً.

وقوله عز وجل: ﴿ وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِين غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾.

جـاء في التفسير أنـه دخلها وقت القـائلة، وهـو انتصـاف النَّهَـار وقوله: ﴿ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾.

هذا موضع فيه لطف، وذلك أنـه قيلَ في الغـائِب «هذا» والمعنى وَجد فيها رَجُلَيْن أَحَـدُهُمَا مِنْ شِيعَتِـه وأَحدُهمـا مِن عَدُوِّه، وقيـل فيهما هذا وهذا على جهة الحكايـة للحضرة، أي فـوجد فيهـا رَجُليْنِ إذا نظر إليهما النَّاظِرُ قال هذا من شيعته وهذا مِنْ عَدُوّه.

﴿ فَاسْتَغَاثَه الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ ﴾.

اي استنصـره، والذي من شيعتـه من بني إسـرائيـل، والـذي من عَدُوِّه من اصحاب فرعون. وجـاء في التفسير أن فـرعون كـان رجلاً من أهل اصطخـر، ويقال إن الـرجل الـذي هو من عـدوه رجل من القِبْـطِ، وقيل أيضاً من أهل اصْطَخْرٍ.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٢.

﴿ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾.

أي فَقَتَلَهُ، والـوَكْـزُ أَنْ تَضْـرِبَ بِجُمـع كَفِّــكَ، وقـد قيــل وكـزه بالعصا.

وقوله: ﴿ قَالَ هذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ﴾.

يـدل أن قتله إياه كـان خطأ وأنـه لم يكن أُمِرَ «مـوسى» بقَتْلٍ ولا قِتالٍ ﴿قَالَ رَبِّ إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾.

وقوله: ﴿ فأصبح في المدينة خـائفاً يَتَـرَقَّبُ، فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بالأمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾.

أي يستغيث به، والاستصْراخُ الإغَاثَةُ والاسْتِنْصَارُ.

﴿قَالَ يَا مُوسَى إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرادَ أَنْ يَبْطِش بالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا ﴾.

وتقـرأ يَبْـطُشُ. المعنى - واللَّه أعلم - فلمــا أَرَادَ المُسْتَصْـرِخ أَنْ يَبْطِشَ مُوسَى بالذي هو عَدُوٌّ لَهُمَا، ولـم يفعل مـوسى، قال مـوسى إنك لَغَوِيٌّ مُبينٌ.

﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيـدُ أَنْ تَقْتُلَني كما قَتَلْتَ نَفْساً بالأمْسِ إنْ تُـرِيدُ إلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً في الأرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكونَ مِنَ المُصْلِحِينَ ﴾.

فـأفشى على مُـوسَى عليه السلام. ويقـال إنَّ من قتل اثنين فهـو جَبَّارٌ، والجبار في اللغة المتعظِّمِ الذي لا يتواضع لأمْرِ اللَّهِ، فـالقاتِـلُ مؤمِناً جَبَّارٌ، وكل قاتل فَهُوَ جَبَّارٌ. قتل واحداً أو جماعة ظُلْماً.

وقوله: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾.

يقال إنه مؤمن آل فِرْعَونَ، وإنَهُ كان نَجَّاراً، ومعنى يَسْعَى يَعْدُو.

﴿قَالَ يَا مُوسَىَ إنَّ المَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلوكَ﴾.

الملأ أشراف القوم، والمنظورُ إليهم، ومعنى يأتمرون بك يأمر بعضهم بعضاً بقتلك.

﴿فَاخْرُجْ إنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

أي فاخرج من المدينة، وقوله «لك» ليست من صلة النَّاصِحِينَ لأن الصلة لا تقدَّمُ على الموصول، والمعنى في قوله «إني لك» أنها مُبينَةٌ كأنه قال إني من الناصحين ينصحون لك، والكلام نصحت لك، وهو أكْثَرُ من نَصَحْتُكَ.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾.

أي يرقبُ أن يلحقه مَنْ يَقْتُله، وينظر الآثار.

وقوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنْ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

يعني من قوم فرعون.

وقوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِينَى سَوَاءَ السَّبيلِ﴾.

«مَدْيَن» مَاءٌ كان لقوم شعيب يقال إنّ بيْنَهُ وبيْنَ مِصْرَ مَسِيرَةُ ثَمانية ايام، كما بين البصرة والكوفة، وكان موسى عليه السلام خرج مِنْ مِصْرَ ومعنى تلقاء مَدْين، أي سَلك في الطريق التي تلقاء مَدْيَنَ فيها.

﴿قال عَسَى رَبّي أن يهدني سواءَ السَّبيل﴾.

السبيل الطريق، وسواء السبيل قصد الطريق في الاستواء.

قوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾.

مَدْيَن في موضع خفض، ولكنه لا ينصرف لأنه اسم للبقعة.

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾.

أمة جماعة.

﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾.

أي تذودان غَنَمَهُمَا عن أَنْ يَقْرُبَ موضع الماء، لأنَّها يَطْرِدُهَا عن الماء من هو على السَّقي أقوى مِنْهُمَا.

﴿قَالَ ما خَطْبُكُمَا﴾.

أَي مَا أَمْرُكما، معناه مَا تَخْطُبان، أي ما تُرِيدَانِ بِذَوْدِكُمَا غَنَمكُمَا عن الماء.

﴿قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يَصْدُرَ الرِّعَاءُ﴾.

وقرئت ﴿حتى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ - بضم الياء وكسر الدال - أي لا نَقْدِرُ أن نسقي حتى تَرُدَّ الرعـاةُ غَنَمَهُمْ وَقَد شَـرِبَتْ فيخلو الموضـع فَنَسْقي. فَمن قرأ يَصْدُر بضم الـدال فمعناه حتى يـرجعَ الـرِّعاءُ، والـرِّعاء جمـعُ راع، كما يقال صاحب وصحاب.

وقوله: ﴿وَأبونا شيخ كبير﴾.

الفائدة في قوله: ﴿وَأبونا شيخ كبير﴾. أي لا يمكنه أن يَرِدَ وَيَسْقي.

فلذلك احتجنا ونحن نِسَاءُ أَنْ نسقيَ.

﴿فَسَقى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إلَى الظِّلِّ﴾ الآية.

أي فسقى لهما من قَبْلِ الوَقْتِ الذي كانتا تسقيان فيه، ويُقَال إنَّهُ رَفع حَجَراً عن البِئْرِ كان لا يرفعه إلاَّ عَشَرةُ أَنْفُسٍ. وقيل إنَّ مُوسى كان في ذلك الوقت من الفقر لا يقدر على شَقِّ تمرةٍ[١].

وقوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُما﴾.

المعنى فلما شَرِبَتْ غنمهما رَجَعَتَا إلى أَبِيهِمَا فأخبرتاه خبر مُوسَى وَسَقْيه غَنَمَهُمَا، وجاءتاه قبل وقتهما شاربةً غَنمُهُمَا، فوجَّهَ بإحْداهُما تَدْعُو مُوسَى فجاءته ﴿تمشي عَلَى اسْتِحيَاءٍ﴾. جَاءَ في التفسير أنها ليست بخرَّاجَةٍ مِنَ النِّسَاءِ ولا ولَّاجَةٍ، أي تمشي مَشْيَ مَنْ لم تَعْتَدِ الدخول والخروج مُتَخَفِّرَةً مستحيية.

﴿قَالَتْ إنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾.

المعنى فأجابها فمضى معها إلى أبيها.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيه القَصَصَ﴾.

أي قصَّ عليهِ قِصَّتهُ في قتلهِ الرَّجُلَ، وأنهم يطلبونه ليقتلوه.

﴿قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

وذلك أَنَّ القوم لم يكونوا في مملكة فِرْعَونَ[٢]، فأعلم شعيبٌ موسى أنَّه قد تَخَلَّصَ من الخوف، وأنه لا يقدر عليه - أعني بالقوم قوم مَدْيَنَ الذين كان فيهم أبو المرأتين. ويقال في التفسير إنه كان ابن أخي شعيب النبيّ عليه السلام.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾.

أي اتخذه أجيراً.

---

(١) لا يملك ما يعادل نصف تمرة.

(٢) أي قوم مَدين.

﴿إنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأمِينُ﴾.

أي انَّ خير من اسْتَعْمَلْتَ مَنْ قَوِيَ على عملك وأَدَّى الأمانَةَ فيه، وإنما قالت «القَوِيُّ الأمين» فَوَصَفَتْه بالقوَّة لِسَقْيِهِ غنمها بِقُوَّة وشدَّة، وقيل لقوته على رفع الحجر الذي كان لا يُقِلُّه أقلُّ من عَشَرةِ أَنفس. وقد قيل إنه كان لا يقله أقلُّ من أرْبعين نَفْساً. فأما وصفها له بالأمَانَةِ فقيل إنَّ مُوسَى لما صار معها إلى أبيها تقدَّم أَمَامَهَا وأَمَرهَا أن تكون خلفه، وَتَدُلَّه على الطريق، وخاف إذا كانت بين يديه أَنْ تُصِيبَ مَلْحَفَتَها الرِّيحُ فيتبيَّن وصْفها، فذلك ما عرفته من أمانته.

وقوله: ﴿قَالَ إنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾.

معنى أُنْكِحُكَ أُزَوِّجُكَ.

﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ﴾.

أي تكون أجيراً لي ثماني سنين.

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدَكَ﴾.

أي فذلك بفضلٍ منك ليس بِوَاجِبٍ عَلَيْكَ.

﴿قالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾.

أي ذلك الذي وَصَفْتَ لِي بيني وبينك، ومعناه، ما شَرَطْتَ عَلَيَّ فلك وما شرطت لي فلي، كذَلك الأمَرُ بَيْنَنَا، ثم قال:

﴿أَيَّمَا الأجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾.

والعُدْوَانُ المجاوزة في الظُّلِمْ، وعُدْوَانُ منصوبٌ بلاَ، ولو قُرِئَتْ

فَلَا عُدْوَانٌ عليَّ لجاز من جهتين إحْدَاهما أَنْ تَكونَ «لا» رافعة كَلَيْسَ كما قال الشاعِرِ:[1]

مَـن صَـدَّ عـن نِـيـرانِـهـا فــأنــا ابن قيسٍ لَا بَــراحُ

ويجـوز أن يكون «عُـدْوَانٌ» رَفْعاً بـالابتـداء و«عَلَيَّ» الخبرُ، و«لا» نافية غير عَامِلةٍ، كما تقول لَا زَيْدٌ أَخُوكَ وَلَا عَمْرٌو، و«أيّ» هي في موضع الجزاء مَنْصُوبةٌ بِقَضَيْتُ، وجواب الجزاء فَلا عُدْوَانَ، و«ما» زائدة موكّدة، والمعنى أي الأجلين قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى ما نَقُولَ وَكِيلٌ﴾.

أي واللَّهُ عَزّ وَجَلَّ شَاهِدُنا على ما عَقَدَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ.

وقوله: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ﴾.

يُروَى أنه قضى أتمَّ الأجَلَيْنِ، وهو عَشْرُ سِنِين.

وقوله: ﴿ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ ناراً﴾.

آنس علم وأبصر، يقال: قد آنست ذلك الشخص أي أَبْصَرْته.

﴿قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ﴾.

أي لعلي أعلم لِمَ أُوقِدَتْ.

﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ﴾.

الجـذوة القطعـة الغليظة من الحـطب، ويقرأ: أَوْ جُـذوة بالضَّمّ، ويقال حَذْوة بالفتح. فيها ثلاث لغات.

وقوله: ﴿في البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَة﴾.

---

(١) تقدم ص ٢٧٠ جـ ١.

سُمَيتْ مباركة لأن اللَّه كلم موسى فيها، وبعثه نبيًّا، ويقال بُقعَةُ وبَقْعة بالضَّمّ والفَتْح. وقد قرئ بهما جميعاً، فمن جمع بِقاعاً فهي جمع بَقْعَةٍ بالفتح، مثل قَصْعَة وقِصَاع، ومن قال بُقْعة - بالضم - فأجود الجمع بُقَع مثل غُرفة وغُرَفٌ، وقد يجوز في بُقْعة بقاع مثل حُفْرَة وحِفَار.

وقوله: ﴿أَنْ يَا مُوسَىٰ﴾.

«أن» في موضع نصب المعنى نُودي بأنه يَا مُوسَى وكذلك ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عطفٌ عليها.

﴿فَلما رآها تهتز كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾.

معناه لم يَلْتَفِتْ.

وقوله: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾.

أي قد آمنت من أن يَنالَك منها مكروه وهي حيَّةٌ.

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾: أي من غَيْرِ بَرَصٍ. ﴿واضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾.

والرُّهْبِ جميعاً ومعناهُمَا واحدٌ، مثل الرُّشد والرَّشَدِ، والمعنى في جناحك ههنا هو العَضُد، ويقال اليد كلها جناحٌ.

وقوله: ﴿فَذانِكَ بُرْهَانَانِ﴾.

تقرأ بتخفيف النون وتشديدها - فَذَانِّكَ - فكأن فَذَانِّكَ تَثْنِيةُ ذَلِكَ وذانك تثنية ذَاكَ جعل بدل اللام في ذلك تشديد النُّونِ في ذَانِكَ وبرهانان آيَتَانِ بَيِّنَتَان.

﴿إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾.

أي أرسلناك إلى فرعون وَمَلَئِهِ بهاتين الآيتَين.

وقوله: ﴿فَأَرْسِلْه مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾

ويُصَدِّقْنِي - بالرفع والجزم - قرئ بهما جميعاً، فمن قرأ يُصَدِّقُنِي بضم القاف فهو صفة قوله «رِدْءًا» - والردء العَوْنُ، تقول رَدَأْتُهُ أَردؤه رَدْءًا، إذا أعنته، والرِّدْءُ المُعينُ. ومن جزم «يُصَدِّقْني» فعلى جواب المسألة، أرسله يُصَدِّقْنِي، ومن رفع يصدقني فالمعنى رِدْءاً مُصَدِّقاً لِيَ.

وقوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.

أي سنعينك بأخيكَ، ولفظ العضُدِ على جهة المثل، لأنّ اليد قوامُها عَضُدُهَا، فكل مُعِينٍ عَضُدٌ. وتقول قد عاضَدَنِي فلان على الأمر أي عاونني.

وقوله: ﴿وَنَجْعَلُ لكُمَا سُلْطَاناً﴾.

أي حجة نَيِّرَةً بَيِّنَةً، وإنما قيل للزيت السليط لأنه يستضاء به، فالسُّلْطانُ أَبْيَنُ الحُجَجِ.

وقوله: ﴿فَلَا يَصلُونَ إِلَيْكُمَا بآيَاتِنَا﴾.

أي بسلطاننا وحجتنا. فبآياتنا مِنْ صِلَة يَصِلُونَ، كأنه قال: لَا يَصِلُونَ إليكُمَا، تَمْتَنِعَانِ منهم بآياتنا. وجائز أن يكون «بآياتنا» متصلا[1] بنجعل لكما سُلطاناً بآياتنا، أي حجة تدلُّ عَلَى النُّبوَّةِ بآياتنا، أي بالعَصَا واليَدِ، وسائر الآيات التي أُعْطِيَ مُوسَى عليهِ السلام. ويجوز أن يكونَ بآياتِنَا مُبَيناً عن قوله: ﴿أنتما وَمَن اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾

(١) في الأصل «متصل».

أي تغلبون بآياتنا.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بآياتنا بَيِّنَاتٍ﴾ الآية.

لم يأتوا بحجة يدفعون بها مَا ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ الاَّ أن قالوا إنها سحْرٌ فلما جُمِعَ السَّحَرةُ بينوا أَنَّ آيات موسى عليه السلام ليست بسحر، فغلَبَ موسى بآيات اللَّه وبحجته كما قال عز وجل به.

وقوله: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾.

أي اعمل آجرًا، ويقال إنَّ فرعونَ أولُ من عَمِلَ الآجُرَّ.

﴿فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً﴾.

والصرح كل بناء متسع مرتفع(١)

وقوله: ﴿لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾.

فظن فرعون أنه يتهيأ له أَنْ يبلغ بصرحه نحو السماء فَيَرَى السَّماءَ وَمَا فِيها.

﴿وَإِنِّي لأظُنُّه مِنَ الكَاذِبِينَ﴾.

الظَّنُّ في اللُّغَةِ ضَربٌ يكون شَكًّا ويَقِيناً. وقول فِرْعَوْنَ: وإني لأظُنُّه اعتراف بأنه شاكٌّ، وانه لم يتيقَن أَنَّ موسى كاذِبٌ، ففي هذا بيان أنه قد كفربموسى على غير يقين أَنَّه ليس بِنَبِيّ، وقد وَقَعَ في نفسه أنه نبي لأن الآيات التي هي النبوة لا يجْهَلها ذو فطرة، وقوله في غير هذا الموضع: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرضِ بَصَائِرَ...﴾(٢)، دليل على أنه قد أَلْزَمَ فرعونَ الحجَّةَ القَاطِعَةَ.

---

(١) انظر ص١٢٢من هذا الجزء الآية: ﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾.

(٢) سورة الاسراء الآية ١٠٢.

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾.

اليَمُّ البحرُ وهو الذي يقال له «إيسَافُ» وهو الذي غرق فيه فِرعَوْنُ وجنوده بناحية مصر.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾.

أي من اتبعهم فهو في النار.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾:

أي لا نَاصِرَ لَهُمْ ولا عَاصِمَ من عذاب اللّه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِمَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾.

فكان خاتَمَة إهْلاَكِ القُرون بالعَذَاب في الدُّنْيا أن جعل المُكَذِّبِينَ بِمُوسَى الذين عَدَوْا في السَّبت قِرَدةً خاسِئينَ عند تكذيبهم بِمُوسَى عليه السَّلاَمُ.

وقوله: ﴿بَصَائِرَ لِلنَّاسِ﴾.

أي مُبَيِّناً للناس، المعنى ولقد آتينا موسى الكتاب بصائر للنَّاسِ أي هذه حال إتْيَانِنَا إيَّاهُ الكتاب مُبَيِّناً نُبَيِّنهُ للناس، ﴿وهدًى ورحمةً﴾ عطف على بصائِرَ، ولو قرئت بالرفع على معنى فهو هُدًى ورحمةٌ جَازَ والنصب أجود ولا أعلم أَحَداً قرأ بالرفع - فلا تقرَآن بها.

وقوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ﴾.

أي وما كنت بجانبِ الجبل الغربي.

﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾.

أي مَا كنتَ مُقِيماً في أهلِ مَدْيَنَ.

﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إذْ نَادَيْنَا﴾: يَعْنِي [نادينا] مُوسَى.

﴿وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

المعنى إنك لم تشاهد قَصَصَ الأنبياء، ولا تُلِيَتْ عَلَيْكَ، ولكن أَوْحَيناها إليك، وقَصَصْنَاها عليك رحمةً مِنْ رَبِّكِ لتنذِر قوماً، أي لتعرِّفهمْ قَصَصَ مَن أُهْلِكَ بِالعَذَابِ ومن فاز بالثواب، ولو قرئت «ولكن رحمةٌ» لكان جائزاً على معنى ولكنْ فِعلُ ذلك رَحْمةٌ من رَبِّك، والنَّصْبُ على معنى فعلنا ذلك للرحمة، كما تقول: فعلت ذلك ابتغاء الخَيْر، أي فعلته لابتغاء الخَيْر، فهو مفعول له.

وقوله: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بما قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فيقولوا رَبَّنَا لولا أَرْسَلْتَ إلَيْنَا رَسُولاً فنتبعُ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾.

أي لولا ذلك لم يحتج إلى إرْسَالِ الرُّسُل، ومواترة الاحْتجاج.

وقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾.

أي فلما جاءتهم الحجة القَاطِعَةُ التي كان يجوز أَنْ يَعْتَلُّو بتأَخُّرِهَا عنهم.

﴿قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ ما أُوتِيَ مُوسَى﴾.

المعنى: هلا أوتي مُحمَّدٌ مثلَ ماَ أوتي موسى، صلى اللَّه عَلَيْهِمَا من أمر العصا والحية وانفلاق البحر، وسائر الآيات التي أَتَى بِهَا مُوسَى، فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمَّدٍ عليهما السلام[1].

﴿قَالُوا سَاحِرَانِ تَظَاهَرَا﴾.

---

(١) طلبوا معجزات مادية، ولو جاءتهم لكفروا بها.

أي تعاونا. جاء في التفسير أنهم عَنَوْا موسى وهرون. وقالوا عَنَوْا موسى وعيسى، وقيل عَنَـوْا موسى ومحمَّـداً عليهمـا السـلام. وقـرئ ﴿سِحْرانِ تَظَاهَرَا﴾ يَعْنُونَ كِتَـابَيْنِ، فقالـوا: الانجيل والقـرآن، ودليل مَن قرأ سِحْران قوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا﴾.

وهذا لا يمنع سَاحِران، لأن المعنى يصيـرُ: قل فـأتوا بكتـاب من عِنْد اللَّه هُوَ أَهْدَى مِنْ كِتَابَيهِمَا.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فاعْلَمْ أَنَّما يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾.

فأعلم أن مَا ركبُـوه من الكفر لا حجَّـةَ لَهُم فِيه، وإنمـا آثروا فِيـه الهَوَى وقد علموا أنه هو الحق.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ القَوْلَ﴾.

أي فَصَّلْنَاه بأن فصَّلْنـا ذكر الأنبيـاء وَأَقَاصِيصَهُمْ، وأقـاصيص مَنْ مَضَى، بعضها بِبَعْضٍ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: أي لَعَلَّهُمْ يَعْتَبِرُونَ.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هم به يُؤْمِنُونَ﴾.

جاء في التفسير أن هؤلاء طائفة من أهل الكتاب كانُوا يَأْخُذون بـه وينتهون إلَيْهِ ويقفون عندَهُ. كانوا يحكمون بحكم اللَّه، بالكتاب الذي أُنْزِلَ قَبل القرآن. فلما بُعِثَ مُحمَّدٌ ﷺ وتلا عليهم القرآنَ قَالُوا آمَنَّا بِـهِ إنَّه الحَقُّ مِنْ رَبِّنَا.

وذلـك أَنَّ ذكَرَ محمـد ﷺ كـان مَكْتُـوبـاً عنـدهم في التـوراة والانجيل، فلم يعانـده هؤلاء وآمَنُوا وَصَـدَّقُوا، فـأثنى اللَّه عليهم خيراً وقال:

﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾.

أي يؤتون أجرهم بإيمانهم بالكتاب الذي مِنْ قبلِ محمد ﷺ، ويُؤْتَوْنَ أجرهم بالإيمان بمحمد ﷺ والقرآن.

﴿ويَدْرَأُونَ بِالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ﴾.

معنى يَدْرَأُون يدفعون ـ بما يعلمون من الحسنات ـ ما تَقَدَّم لهم من السَّيِّئاتِ.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾: أَيْ يَتَصَدّقون.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾.

أي إذا سمعوا ما لا يجوز وينبغي أن يُلْغَى لم يلتفتوا إليه.

﴿وقالوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نبتغي الجَاهِلِينَ﴾.

ليس يريدون بقولهم ههنا سلام عليكم التحيَّة، المعنى فيه أعرضوا عنه وقالوا سلام عليكم، أي بيننا وبينكم المتاركةُ والتَّسَلُّمُ. وهذا قبل أن يُؤْمَرَ المُسْلِمُون بالقِتَالِ.

وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

أجمع المفسرون أنها نزلت في أَبِي طَالِبٍ، وجائز أن يكون ابتداء نزولها في أبي طَالِبٍ وهي عامَّةٌ، لأنه لا يهدي إلا اللَّه، وَلَا يُرْشِدُ ولا يوفق الا هو، وكذلك هو يُضِلُّ من يشاء.

﴿وَقَالُوا إن نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾.

كانوا قالوا للنبي ﷺ إنا نعلم أن ما أتيت به حَقٌ، ولكنا نكره إنْ آمَنَّا بِكَ

أن نُقْصَـدَ ونُتَخَطَّفَ منْ أَرْضِنَـا فأعلمهم اللَّه أنـه قَدْ تَفضَّـلَ عَلَيْهِمْ بـأَن آمنهم بمكَةَ، فَأَعْلَمَهُم أَن قد آمَنَهُمْ بحرمَـةِ البَيْتِ، ومنع منهم العَـدُو[1] أي فلو آمنوا لكـان أولى بالتمكن والأمن والسَّلاَمَةِ.

وقـولـه عـز وجـل: ﴿وَمَـا كَانَ رَبُّـكَ مُهْلِكَ القُـرَى حَتَّـى يَبْعَثَ فِي أُمِّهـا رَسُولاً﴾.

يعني بأمها مَكَّةَ، ولم يكن لِيُهْلكَهَا إلاَّ بظلِمْ أهْلِهَا.

﴿أفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْـداً حَسَناً فَهُـوَ لاَقِيـهِ كمن مَتَّعْنَـاه متاعَ الحَيَـاةِ الدُّنْيَا﴾.

يعني المؤمِنُ والكـافِر، فـالمؤمِنُ من آمن باللَّه ورسـوله وأطـاعه ووقف عند أَمْرِه فَلُقِّيَهُ جزاءَ ذَلِكَ، وهو الجنَّةُ، والذي مُتِّعَ متاعَ الحيـاة الدنيا كافرُ. لم يُؤْمِنْ باللَّه ثم أُحْضِرَ يوم القيامَةِ العَذَابَ وذلك قوله عز وجل:

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾.

وجاء في التفسير أن هـذه الآية نَـزَلَتْ في محمد ﷺ وأبي جَهْـلٍ ابْنِ هِشَـامٍ فالنبي ﷺ وُعِـدَ وَعْداً حسنـاً فَهُوَ لاَقِيـه في الدنيـا بأنـه نُصِرَ على عَدُوِّهِ في الدنيـا، وهو في الآخـرة في أعلى المراتب من الجنـة، وأبو جهل من المُحْضَرِينَ.

وقوله عز وجل: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَت مَعِيشَتَها﴾.

«معيشتها» مَنْصُوبَةٌ بإسقـاط في وَعَمَل الفِعْـل. وتأويله بـطرت في مَعِيشَتِها والبطرُ الطغيانُ بالنِّعْمَةِ.

---

(١) منع العَدُوَّ من التعدي عليهم.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

أي يوم ينادي الأنَس. وسماهم «شركائي» على حِكَايَةِ قَوْلِهِمْ، المَعْنَى أين شركائي في قولكم، واللَّه واحدٌ لا شريك له.

﴿قال الذين حقَّ عَلَيهِمُ القَوْلُ﴾: الجِنُّ، والشَّيَاطِينُ.

﴿هَؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ [كَمَا غَوَيْنَا]﴾.

يعْنُونَ الإنْسَ، أي سولنا لهم الغَيَّ والضلاَلَ.

﴿أَغْوَيْنَاهُم كَمَا غَوَيْنا﴾.

أي أضللناهم كما ضَلَلْنَا.

وقوله عز وجل: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾.

برئ بعضهم من بَعْضٍ، وصاروا أَعْداءً، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿الأخلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعْضٍ عَدوٌّ إلَّا المُتَّقِينَ﴾(١).

وقوله: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾.

أي لم يُجيبوهم بحجَّةٍ.

﴿وَرَأَوُا العَذَابَ لَوْ أَنَّهُم كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾.

جواب «لو» محذوف - واللَّه أعلم - المعنى لو كانوا يَهْتَدُونَ لما اتَّبعُوهم ولا رأوا العذابَ.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾.

أجود الوقوف على ويختار، وتكون «مَا» نفياً. المعنى ربك يخلق ما يشاء، وربك يختار لَيْسَ لهم الخيرة، وما كانت لهم الخيرةُ، أي

---

(١) سورة الزخرف /٦٧.

ليس لهم أن يَخْتـاروا على اللّه، هـذا وجـه. ويجـوز أن تكـون مـا في معنى الذي فيكون المعنى ويختار الذي كـان لهم فيه الخيـرة. ويكون معنى الاختيار ههنا ما يتعبدهم به، أي ويختار لهم فيمـا يدعـوهم إليه مِنْ عِبَادَتِه ما لهم فيه الخيرة، والقول الأول أجـودُ ـ [أي] أن تكون مـا نَفْياً.

وقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

معنى سبحان اللّه تنزيه له من السُّـوءِ. كذا هـو في اللغة ـ وكـذا جاء عن النبي ﷺ.

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم إنْ جَعَلَ اللَّهُ عليكم النهَارَ سَرْمَداً إلى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾.

السَّرمَدُ في اللُّغَةِ الدَّائِمُ.

وقوله: ﴿مَنْ إلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضَيَاءٍ﴾.

أي بِنَهـارٍ تُبْصـرون فيـه وتتصـرفـون في مَعَـايشكم، وتصْلِحُ فيـه ثماركم وَمَنَابتكُمْ لأن اللّـه ـ عز وجل ـ جعل الصلاح للخلق بـالليل مـع النهار، فلوكان واحِدٌ منهما دون الآخر لهلك الخَلْقُ[1]، وكذلك قـوله في النهار:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمُ إنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إلَى يَوْمِ القِيَـامَةِ مَنْ إلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾.

أعلمهم أن الليل والنهار رحمةٌ فقال:

﴿وَمِنْ رَحْمَتِـهِ جَعَـلَ لَكُمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ لِتَسْكُنُـوا فِيـهِ وَلِتَبْتَغُـوا مِنْ فَضْلِهِ﴾.

---

(١) لو وجد النهار دون الليل أو الليل دون النهار.

المعنى جَعَل لكم الزَّمانَ لَيْلاً ونَهاراً، لتسكنوا بالليل وتبتغـوا من فضل اللَّه بالنهار. وجائـز أن تَسْكنوا فيهمـا، وأن تبتغوا من فضـل اللَّه فيهمـا، فيكـون المعنى جعـل لكم الـزمـان ليـلاً ونهـاراً لتسكنـوا فيـه ولتبتغُوا مِنْ فَضْلِه.

وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شهيداً﴾.

أي نزعنا من كل أمّة نَبِيّاً أي آخْتَرْنَا منها نبياً وكلَّ نَبيٍّ شاهد على أمته.

وقوله: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾.

أي هاتـوا فيما اعْتَقَدْتُم بُرْهَاناً أيْ بَيَاناً أنكم كنتم على حَقٍّ.

﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الحقَّ لِلَّهِ﴾.

أي فعلموا أَنَّ الحقَّ تَوحِيدُ اللَّه وَمَا جَاءَ بِهِ أنبياؤُه.

وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

أي لم ينتفعـوا بكل مـا عَبَـدُوه مِنْ دُونِ اللَّهِ، بـل ضـرهم أعـظم الضَّرَرِ.

وقوله تعالى: ﴿إنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾.

قَارُون اسم أَعْجميٌّ لا ينصرفُ، ولو كان فَاعولاً مِنَ العـربيَّةِ، مِنْ قَرَنْتُ الشّيءَ - لا يُصْرف[1]. فلذلك لم يُنَوَّنْ.

وجـاء في التفسيـر أَن قـارون كـان ابنَ عَمِّ مُـوسَى، وكـان مِنَ

---

(١) يريد أنه مع ان صيغة فاعول موجودة في اللغة العـربية مثـل جاسـوس وقاعود وقانـون، وقارون فاعول من قرنت ولكنه لا ينصرف لأنه علم أعجمي.

العُلَماء بالتَّوْرَاةِ. فبغَى على موسى وَقَصَدَ إلى الإفساد عليـه وتكذيبـه، وكـان من طلبه للإفْسَادِ عَلَيْـه أَنَّ بَغِيًّا كـانت مَشْهُورَةً في بني إسـرائيل فَوَجَّهَ إليها قارونُ ـ وَكَانَ أَيْسَرَ أَهلِ زَمَانِهِ ـ يأمرها أن تَصِيرَ إليه، وهـو في مَـلأٍ مِنْ أَصْحابـه لِتَتَكَذَّبَ على مُـوسَى وتقول: إنـه طلبني للفسـاد والـرِّيبَةِ، وضمن لهـا قَارُونُ أَنْ فعلتْ ذلـك أن يَخْلِطها بِنِسَـائِـهِ، وَأَنْ يُعْـطِيها على ذلـك عَطَاءَ كبيـراً، فجاءت المـرأةُ ـ وقـارون جـالس مـع أصحـابه ـ وَرَزَقهـا اللَّهُ التوبـة فقالت في نفسِهـا مالي مَقَـامُ توبـةٍ مثـلُ هذا، فأقبلت على أهل المجلس وقارُونَ حَاضِرٌ، فقالت لهم إن قارونَ هَذَا وَجَّه إليَّ يـأمُرُنِي وَيَسْـأَلُني أن أتكذَّب على مـوسى، وأن أقول انـه أرادَني للفساد وإنَّ قارونَ كاذبٌ في ذلك فلما سمع قارون كلامها تحيَّر وَأُبْلِسَ(١) واتّصَلَ الخَبَرُ بمُوسَى ـ عليه السـلام ـ فجعل اللَّهُ أَمْـرَ قارون إلى مُوسَى وأمر الأرض أَنْ تُطيعَه فيه، فَوَرَدَ مُـوسَى على قارونَ فـأَحَسَّ قارون بِالبَلاءِ، فقال يا موسى ارْحَمْني، فقـال: يا أرض خُـذِيهِ فخُسِفَ به وَبِدَارِه إلى رُكْبَتِيهْ، فقال: يا موسى ارحمني، فقال: يا أرض خُـذِيه فَخُسِف بـه إلى سُرَّتِـهِ، ثم قال: يـا أرض خذيـه فخسف بـه إلى عُنُقِـهِ واسترحَمَ موسى فقال يا أرض خذيـه فخسف به حتى ساخت الأرضُ بِهِ وبداره، قال اللّه عز وجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِـدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَـانَ له من فِئَةٍ يَنْصُرُونَه مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنْتَصِرِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وآتيناه من الكنوز مَا إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ﴾.

روي في التفسيـر أنَّ مَفاتِحَـه كانت من جُلُودٍ على مقـادر الاصبع وكانت تحمل على سبعين بَغْـلاً أو ستين بَغْلاً، وجـاء أَيْضاً أَنَّ مفـاتحه

(١) بهت ولم يجد ما يقول.

خزائنُه، وقيل إن العُصْبَةَ ههنا سَبْعُونَ رَجُلاً، وقيل أربعون، وقيل ما بين الخَمسة عَشَرَ إلى الأرْبَعِين، وقيل ما بين الثلاث إلى العشرة. والعُصْبَةُ في اللغة الجماعة الذين أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ يتابع بعضهم بعضاً في الفِعْلِ ويتعصَّبُ بعضهم لِبَعْضٍ. والأشْبَهُ فيما جاء في التفسير أنّ مفاتحه خزائنهُ، وأنها خزائن المال الذي يُحْمَلُ على سَبْعِينَ، أو على أربعين بَغْلاً - والله أعلم - لأن مفاتَح جلودٍ على مِقْدَارِ الاصْبَع، تُحمَلُ على سبعين بغلاً للخزائن أمر عظيم - والله أعلم -.

ومعنى لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ، لَتُثْقِلُ العُصْبَةَ. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: يقال نُؤْتُ بالحِمْلِ أَنُوءُ به نُوءًا إذا نَهَضْت به، وناء بي الحمل إذا أثْقَلَنِي.

وقوله: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾.

جاء في التفسير لا تَأْشَرْ[1] إنّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الأشِرينَ. ولا تفرح ههنا - والله أعلم - أي لا تفرح لكثرة المال في الدنيا لأن الذي يفرح بالمال ويصرفه في غير أَمْرِ الآخِرةِ مَذْمُومٌ فيه، قال الله عَزّ وجلّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[2].

والدليل على أنهم ارادوا لا تفرح بالمال في الدنيا قولهم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِن الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

ولا تنس نصيبك من الدنيا، أي لا تنس أن تعمل به لآخرتك، لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخِرَتِهِ.

---

(١) معنى لا تفرح لا تأشر ولا تبطر.

(٢) الآية ٢٣ من سورة الحديد: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ، واللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

﴿قَالَ إنَّما أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

ادَّعى أن المال أُعْطِيَهُ لعلمه بالتوراة، والذي رُوِيَ أنه كانَ يَعْمَلُ الكِيمِيَاء، وهذا لا يصح لأن الكيمياء باطلٌ لَا حقيقة لهُ.

وقوله: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينتِهِ﴾.

جاء في التفسير أنه خرج هُوَ وأصحابُهُ عَلَى خَيْلِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى الخَيْلِ الأُرْجُوَانُ. والأرجوان في اللغة صبغٌ أَحْمَرُ، وقيل: كان عليهم وعلى خيلهم الدِّيبَاج الأَحْمَرُ.

وقوله: ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

أي لا يُلَقَّى هَذه الفَعْلَةَ، وهذه الكلمة يعني قولهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثوابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾.

وقوله: ﴿وأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بالأَمْسِ﴾.

يعني الذين قالوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ ما أُوتِيَ قَارُونُ﴾.

﴿يَقُولُونَ: وَيْكَ أَنَّ اللَّه يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا، وَيْكَ أَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾.

هذه اللفظة لفظة «وَيْكَ» قد أَشْكَلَتْ على جَمَاعَةٍ من أَهْلِ اللغةِ وجَاءَ في التفسير أن معناها ألم تر أنه لَا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ، وقال بعضهم معناها أَمَا تَرَى أنه لا يفلح الكافرونَ، وقال بعض النحويين - وهذا غلط عظيم - إنّ مَعناها وَيْلَكَ اعْلَمْ أنه لا يفلح الكافرون فحذف اللام فبقيتْ وَيْكَ وَحَذَفَ اعلم أنه لا يفلح الكافرون، وهذا خطأ من غير جهة، لو كان كما قال لكانت أن مكسورة كما تقول: ويلك إنه قَدْ كَانَ كذا وكذا، ومن جهة أخرى أنْ يُقَالَ لمن خاطب القوم بهذا

فقالوا: ويلك «إنه لا يفلح الكافـرون»(١)، ومن جهة أخـرى أنه حـذف اللام من ويل.

والقول الصحيح في هـذا ما ذكـره سيبويـه عن الخليل ويـونس. قال سألت عنها الخليل فزعم أنها «وَيْ» مفصـولة من كـأن. وان القوم تنبهوا فقالوا: وَيْ، مَتندّمِينَ على مـا سلف منهم، وكل من تنـدم أو ندم فإظهار تندمه أو ندامته أن يقول «وي» كما تعاتب الرجل على ما سلف منه فقول: وي، كأنك قصدت مكروهي، فحقيقة الـوقف عليها وَيْ، وهـو أجود في الكلام، ومعناه التنبيه والتندم، قال الشاعر:(٢)

سَـألَتَـاني الـطلاق إذ رأتـاني　　قـلّ مـالي. قـد جِئْتُمـا فِي بنكـر
وَيْكَـأَن مَن يكن لـه نَشَبٌ يُـحْبَـبْ　　ومـن يفـتـقـر يَـعِشْ عَـيْشَ ضَـبْـرِ

فهذا تفسير الخليل، وهو مشاكل لما جاء في التفسيـر، لأن قـول المفسرين هو تنبيه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَا دٍ﴾.

معنى فرض عليـك القرآن أنزلـه عليك وألـزمك، وفـرض عليك العمل بما يوجبه القرآن.

---

(١) قـوم قارون بعـد أن خسف اللّه بـه وبـداره أصبحـوا يشكـرون اللّه. على النجـاة ممـا أصـابـه ويقولون: لولا أن مَنَّ اللّه علينا لخسف بنا، وهم يخاطبـون بهذا من ليس على مـذهب قارون - فلا يناسب ان يقولوا له «ويلك انه لا يفلح الكافرون» والعبارة غير جيدة.

(٢) عمرو بن نفيل يتحدث عن زوجتين له فركتاه لقلة ماله وقبله

تلك عـرسـاي تنـطقـان على العمـد　　إلـى الـيـوم قـول زور وهـتـر

والبيت الأول في كتاب سيبويه ٢/١٧٠ - وانظر الخزانة ٣/٩٥، ٩٦ وابن يعيش ٤/٧٦. والبيت الثاني في الكشاف في الآية نفسها وذكر المرزوقي في مشاهد الانصـاف البيتين وبيتاً بعـدهما - وقال ان الشعر ينسب أيضاً لسعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة.

﴿لَرَادُّكَ إِلَى معاد﴾: جاء في التفسير: لـرادُّك إلى مكانـك بمكـة، وقيل إلى معادٍ إلى مكـانك في الجنـة، واكثر التفسيـر لباعثـك، وعلى هذا كلام الناس: اذْكُر المَعَادَ. أي اذكر مبعثك في الآخرة.

وقوله عز وجل: ﴿ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِلْكَافِرِينَ ﴾.

أيْ مُعينـاً للكَافِـرِين، ويجوز فـلا تَكُونَنْ ظهيـراً، ولكني أكرههـا لأنها تخالف المصحف، ويجب أن تكتب بالتخفيف بالألف.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ﴾.

وجهه منصوب بـالاستثناء، ومعنى الا وجهـهُ الا إياه، ويجـوز إلاَّ وجهُـهُ بالـرَّفْع، ولكن لا ينبغي ان يقـرأ بها، ويكـونَ المعنى كل شيء غير وجهه هالك، وهو مثل قول الشاعر:(1).

وكـل أخ مـفـارقـه أخـوه لَـعَمْـرَ أبيـك إلاَّ الـفَـرقَـدَان

المعنى وكل أخ غير الفرقدين مفارقه أَخُوه.

---

(1) البيت لعمـرو بن معد يكـرب الزبيـدي ـ ومن شواهـد النحو السـائـرة انـظر الأغـاني ١٤/٢٤، والاصـابة ت (٥٩٧٠) والاستيعـاب ٢/٥٢٠ وشـواهـد المغني ٧٨، وكتـاب سيبـويـه ١/٣٢٣ بولاق، والكامل ٣٥٧ (ط المعارف). وقد تقدم.

سُورَةُ العَنْكَبُوتَ
مكيَّة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿أَلم. أَحَسِبَ النَّاسُ﴾.

﴿أَلَم﴾تفسيرها أنَا اللّه أعلم. وقد فسرنا كل شيء قيل في هـذا في أول سورة البقرة.

وقوله: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أن يَقولُوا آمَنَّا﴾.

اللفظ لفظ استخبار والمعنى معنى تقرير وتوبيخ، ومعناه أَحَسِبُوا أَنْ نَقْنَع منهم أن يقولوا «إنا مؤمنون» فقط ولا يمتحنون بما يَتَبَيَّنُ به حقيقة إيمانهم.

وجاء في التفسير في قوله ـ جل وعز ـ: ﴿وَهُمْ لاَ يُفْتَنونَ﴾، لا يختبرون بِمَا يُعْلَمُ بِهِ صدقُ إيمانهم من كذبه. وقيل: ﴿لاَ يُفْتَنونَ﴾: لاَ يبتَلَوْنَ فِي أَنْفُسِهم وأموالهم. فيعلَمُ بالصبر عَلى البَلاءِ الصَّادِق ـ الايمانُ مِنْ غَيْرِه.

وموضع «أن »الأولى نصبٌ اسمُ حَسِبَ وخبره، وموضع «أن» الثانية نصب من جهتين أجْوَدُهُمَا أَنْ تَكُونَ مَنْصُوبَةً بِيُتْرَكُوا، فيكون المعنى أحسب الناس ان يتركوا لأنْ يقولوا، وبأن يقولوا، فلما حذف حرف الخَفْضِ وصل بتُتْرَكوا إلى أن فَنصبَ، ويَجُوزُ أن تكون الثانية

العاملُ فيها «أَحَسِبَ»، كأن المعنى على هذا - واللّه أعلم - أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَقولُوا آمَنَّا وهم لا يُفْتَنُونَ. والأوَّلُ أَجْوَدُ.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

أي اخْتَبَرْنَا وابْتلينا.

وقوله: ﴿فَليعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾.

المعنى ولَيَعْلَمَنَّ صِدْقَ الصَّادِق بوقوع صِدْقِه منه، وكَذِبَ الكَاذِبِ بوقوع كَذِبه مِنْهُ، وهو الذي يُجَازِي عليه، واللَّه قد عَلِمَ الصَّادِق من الكاذِبِ قبل أَنْ يَخْلُقَهما ولكنَّ القَصْدَ قَصْدُ وقوع العلم بما يُجَازَى عَلَيْه.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا﴾.

أي يَحْسَبُونَ أَنَّهم يَفُوتُونَنا، أي ليس يُعْجِزُونَنَا.

﴿ساء ما يحكمون﴾ على معنى ساء حكماً يحكمونَ، كما تقول نعم رَجُلاً زَيْدٌ - ويجوز أن تكون رفعاً، على معنى ساء الحكم حكمهم.

وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ﴾.

معناه واللَّه أعلم من كان يَرْجُو ثوابَ لِقاءِ اللَّه، فأما من قال: إن معناه الخوف، فالخوف ضِدُّ الرَّجَاءِ، وليس في الكلام ضِدٌّ. وقد بينا ذلك في كِتَابِ الأَضْدَادِ.

وقوله: ﴿فإنَّ أَجَلَ اللَّهِ لآتٍ﴾.

«من» في معنى الشـرط، يرتفـع بالابتـداء، وخبرهـا كان، وجـواب الجزاء فإن أجل اللّه لآتٍ.

وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾.

القـراءة حُسْنـاً، وقـد رويَتْ إحْسَـانـاً، وحُسْنـاً أَجْـوَدُ لمـوافقـة المصحف، فمن قـال حُسْناً فهـو مِثْلُ وَصَّيْنَـا إلا أن يفعل بـوالديـه مـا يَحْسُنُ، ومن قرأ إحساناً فمعنَاهُ ووصينا الانسان أن يحسـن إلى والديـه إحساناً، وكأن حُسْناً اعَمُّ في البِرّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾.

معناه: وان جاهَدَكَ أيها الانسان والداك لتشرك بي، وكذلك على أَنْ تُشْرِكَ بي، ويروى أن رَجُلاً خرج مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِراً إلى النبي ﷺ إلى المدينة، فَحَلَفَتْ أُمُّه أَنْ لا يظلهـا بيت حتى يرجـع، فأعلم اللّه أَنَّ بـرَّ الوَالِدَيْنِ وَاجِبٌ، ونهى أَنْ يَتابَعَا على مَعْصِيَةِ اللّه والشرك به، وإن كان ذلك عند الوالدين برًّا.

وقوله: ﴿ومن الناس مَنْ يَقُولُ آمَنَّـا باللّهِ فـإذا أُوذِيَ فِي اللّهِ جَعَل فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللّهِ﴾.

أي فإذا ناله أَذًى أَوْ عَذَابٌ بسبب إيمانه جَـزِعَ من ذلك مـا يجزع من عذاب اللّه. وينبغي للمؤمن أَنْ يَصبرَ على الأذيَّةِ في اللّه عز وجل.

وقـوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَـرُوا لـلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُـوا سَبِيلَنَـا وَلْنَحْمِـلْ خَطَايَاكُمْ﴾.

يقرأ وَلْنَحْملْ بسكون اللام وبكسرها. في قوله ولنَحْمِلْ. وهو أمر في تأويل الشرط والجزاء، والمعنى إن تَتَّبِعُوا سَبِيلَنَا حَمْلنا خطايـاكم.

والمعنى إنْ كَانَ فيه إثم فنحنُ نَحْتَمِلُه، ومعنى «سبيلَنَا» الطريقَ في ديننا الذي نسلكه، فأعلم اللَّه عز وجل أنهم لا يحملون شيئاً من خطاياهم فقال:

﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

معناه من شيء يُخففُ عن المحمولِ عنه العذابَ، ثم أعلم أنهم يَحملُونَ أَثْقَالَهُمْ وأثقالاً مع أَثْقَالِهم كما قال عز وجل: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾(١)، فقال في هذه السورة: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالَهُمْ وأثقالاً مع أَثْقَالِهم﴾.

وجاء في الحديث تفسير هذا أنه من سَنَّ سُنَّةَ ظُلْمٍ، أو من سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فعليه إثمها وإثم من عمل بها، ولا ينتقصُ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِين عَمِلُوا بِهَا شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كان له أَجْرُهَا وأَجْرُ من عمل بها إلى يوم القيامةِ وَلاَ يُنْتَقَصُ من أُجُورِهِمْ شيءٌ وعلى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾(٢)، أي علمت ما قَدَّمَتْ من عَمَلٍ، وما سَنَّتْ مِنْ سُنَّةٍ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فإن ذلك مِمَّا أَخَّرَتْ. ويَجُوزُ أن يكون «مَا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ» ما قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ وما أَخَّرت مما كان يجب أن تُقَدِّمَهُ. ثم أعلم اللَّه -عَزَّ وَجَلَّ- أنَّه يُوَبِّخُهُمْ فقال:

﴿وَلَيُسأَلُنَّ يَوْمَ القِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

فذلك سُؤالُ تَوْبِيخٍ كما قال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مُسْئُولُونَ﴾(٣) فَأَمَّا سُؤَالُ اسْتِعْلَامٍ فقد أعلم اللَّه- عز وجل - أَنَّهُ لا يَسْأَلُ سُؤَالَ اسْتِعْلَامٍ في

---

(١) سورة النحل الآية ٢٥.

(٢) سورة الانفطار / ٥.

(٣) سورة «الصَّافَّات» ٢٤.

قوله : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾[1] .

وقوله : ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً﴾ .

فالاستثناء مُسْتَعْمَلٌ في كلام العَرَبِ، وتأويلُه عند النَّحْوِيِّينَ توكيدُ العَدَدِ وتحصيلُه وكمالُه، لأنك قد تذكر الجملةَ ويكون الحاصلُ أَكْثَرَهَا، فإذا أردت التَّوْكِيدَ في تمامها قُلْتَ كلّها، وإذا أردت التّوكيدَ في نقصانِها ادْخَلت فيها الاسْتثناء، تقول : جاءني إخوتك يعني أَنَّ جَمِيعَهُم جاءك. وجائز أَنْ تَعْنِيَ أَنَّ أكثرهم جاءَك، فَإِذَا قُلْتَ: جاءني إِخْوَتُكَ كُلُّهُمْ أَكَّدْتَ معنى الجَمَاعَةِ، وأَعْلَمْتَ أنه لم يتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وتقول أَيْضاً: جاءني إخْوَتُكَ إلّا زيداً فتؤكد أَنَّ الجَمَاعَةَ تنقُصُ زيداً. وكذلك رُءُوس الأعْدَادِ مُشَبَّهَةٌ بالجماعات، تقول: عندي عَشَرةٌ، فتكون ناقِصَةً، وجائز أن تكون تامَّةً، فإذا قُلْتَ: عَشَرَةٌ إلّا نِصْفاً أو عشرةٌ كَامِلَةٌ حَقَّقْتَ، وكذلك إذَا قُلْتَ: أَلْفٌ إلّا خَمْسِينَ فهو كقولك عشرةٌ إلَّا نِصْفاً لأنك إنَّما اسْتَعْمَلْتَ الاستثناء فيما كان أَمْلَكَ بالعَشَرَةِ[2] من التِّسْعَةِ، لأَنَّ النِّصْفَ قَدْ دَخَل في بابِ العَشرةِ، ولو قُلْتَ عشرة إلّا واحداً أو إلَّا اثنَيْن كان جائزاً وفيه قُبْحٌ، لأن تِسْعةً وَثَمانيةً يؤدي عَنْ ذَلِكَ العَدَدِ، ولكنه جائز من جهة التَّوْكِيدِ أَنَّ هَـذِه التِّسْعَةَ لا تَزِيد ولا تنقُصُ، لأَنَّ قَوْلَكَ عَشَرةٌ إلّا واحداً قد أخبرت [فيه] بحقيقة العَدد واسْتثنيت ما يكون نقصاناً من رأس العَدَدِ.

والاختيار في الاستثناء في الاعداد التي هي عُقُودُ الكسُور والصِّحَاحِ [أنه][3] جَائِزٌ أن يستثنى. فأما استثناء نصف الشيء فقبيح

(١) سورة الرَّحْمن ٣٩.

(٢) أدخل في عدد العشرة وأدل عليها.

(٣) زيادة لا بد منها لخلو الخبر من الرابط.

جـدًّا، لا يتكلم به العَـرَبُ، فإذَا قلتَ عشـرةً إلا خمْسةً فليس تَـطُور[١] العَشَرةُ بِالخَمْسَةِ لأنها لَيْسَتْ تَقْـرُبُ منها، وإنمـا تتكلم بالاستِثْنَـاء كما تتكلم بِالنُّقْصَانِ، فتقول: عندي درهـم ينقص قِيـرَاطاً، ولـو قلت عندي درهم ينقص خمسة دوانيق[٢] أو تنقُصُ نِصْفَه كان الأولى بذلك: عِنْدِي نصف دِرْهَمٌ. ولم يأت الاستثناء في كلام العَرَبِ إلاّ قليلٌ من كثير[٣].

فهذه جملة كافيةٌ.

وقوله: ﴿فَأَخَذهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

الطُّوفَانُ مِن كُلّ شيءٍ ما كان كثيراً مُطِيفاً بالجماعة كلها كـالْغَرَقِ الَّذي يَشْتَمِلُ عَلَى المـدُنِ الكَبِيـرَةِ. يقـال فيه طـوفانٌ. وكـذلك القتـل الذَّرِيعُ والموت الجارف طوفانٌ.

وقوله: ﴿فَأَنْجيناهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾.

قد بَيَّن في غير هـذه الآية مَنْ أَصْحَـابُ السفينةِ، في قـوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثنين وأَهْلَكَ إلاَّ مَنْ سَبَق عَلَيْه القَوْلُ﴾[٤].

وقوله: ﴿وَإِبْرَاهِيـمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾.

المعنى وَأَرْسَلْنَا إبراهِيمَ عَطْفاً على نوحٍ.

وقوله: ﴿إِنَّما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وتخلقون إفْكاً﴾.

---

(١) الطور ـ كنهر وكعود ـ والطوار ـ ما كان بحذاء الشيء أو جواره، والمراد أن الخمسة ليست دانية من العشرة.

(٢) جمع دانق، وجمعه دوانق ـ والدرهم عشرة دوانق.

(٣) لم يأت الا استثناء الشيء القليل من الكثير.

(٤) سورة هود الآية ٤٠.

وقرئت «وَتُخلِّقُونَ إفْكاً». أَوْثاناً أَصْناماً. وتخلقون إفْكاً فيه قَولانِ، تخلقون كذِباً، وقيل تعملون الأصْنَامَ، ويكون التأويلُ على هذا القول: إنما تعْبُدُونَ من دون اللَّه أَوْثَاناً وأَنْتُم تصنعونَها.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثم يُعِيدُه﴾، وتقرأ تَرَوا بالتَّاءِ.

﴿ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾.

أي ثم إن اللَّه يبعثهم ثانيةً بِنَشْئِهِمْ نشأةً أخرى، كما قال: ﴿وأَنَّ عَلَيْه النَّشْأَةَ الأُخْرَى﴾[1]. وأكثر القراءة النشأة بتسكين الشِّين وترك لمدَّة، وقرأ أَبُو عَمْرٍو النَّشَاءَةَ الأُخْرَى بِالمَدِّ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أنتم بِمُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءَ﴾.

أي ليس يعجز اللَّهَ خَلْقٌ في السماء ولاَ في الأَرْضِ. وفي هذا قولان أَحَدُهُما معناهُ ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء مُعْجِزين في السَّمَاءِ، أي من في السموات ومن في الأرض غير مُعْجِزِينَ. ويجوز - واللَّه أعلم - وما أنتُمْ بمعجزين في الأرْضِ، لا ولو كنتم في السماء، أي لا ملجأ من اللَّه إلاَّ إليْهِ.

وقوله عزوجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ اللَّه وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتي﴾.

روي عن قَتَادَة أنه قال: إنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْماً هَانُوا عَلَيْه فقال: أولئك يئسوا مِنْ رَحْمَتِي، وقال: إنه لا يَيْأَسُ من رَوْح اللَّه إلاَّ القوم الكافرون، وينبغي للمؤمن ألاَّ ييئَسَ من روح اللَّه، ولا من رَحْمَتِه، وَلاَ يأمَنُ مِنْ عَذَابِه وعِقَابِه، وصِفَةُ المُؤمِنِ أن يكون راجياً للَّه، خائفاً.

---

(١) سورة النجم الآية ٤٧.

﴿فَمَاكَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ﴾.

وقرأ الحسنُ فما كان جَوَابُ قَوْمِهِ ـ بالرفع ـ فمن نصب جَعَل «أَنْ قَالُوا» اسم كَانَ، ومن رفع الجَوَابَ جَعَلَه اسمَ كان وجَعَلَ الخَبَرَ «أَنْ قَالُوا» وَمَا عَمِلَتْ فيه، ويكون المَعْنَى ما كان الجوابُ إلَّا مَقالَتَهُم: اقْتُلوه، لما أَنْ دَعَاهُم ابراهيم إلى توحيد اللَّه عز وجَلَّ، واحتَجَّ عَلَيْهم بأنهم يعبدون ما لا يضرهم ولا ينفعُهُمْ، جعلوا الجواب اقتلوه أو حَرِّقُوهُ.

وقوله: ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾.

المعنى فحرَّقوه فأنجاه اللَّه من النَّارِ. ويُرْوَى أن إبراهيم ﷺ لم تعمل النَّارُ في شيء منه إلّا في وَثَاقِهِ الذي شُدَّ بِهِ. ويروى أن جميع الدواب والهَوَامِّ كانت تطفئ عن إبراهيم إلا الوزغ[1]، فإنها كانت تنفخ النار، فأمِرَ بِقَتْلِهَا ويرد أنه لم ينتفع في ذلك اليوم بِالنَّارِ، أعني يَوْمَ أخذوا إبراهيم عليه السلام.

وجميع ما ذكرناه في هذه القِصَّةِ مِمَّا رواه عبد اللَّه بن أحمد بن حَنْبَل عَنْ أَبيه، وكذلك أكثر ما رَوَيْتُ في هذا الكتاب من التفسير. فهو من كتاب التفسير عن أحمد بن حنبل.

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً﴾.

أي قال إبراهيم لقَوْمِهِ إنما اتخذتم هذه الأوثان لِتَتَوادُّوا بها في الحياة الدُّنْيَا.

﴿ثُمَّ يَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُر بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾.

---

(١) الوزغ هو سام أ.

وهـذا كما قـال اللّه ـ عز وجـل: ﴿الأخِـلاَّءُ يَـوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدوٌّ إلاَّ المُتَّقِين﴾[1].

وفيهـا في القـراءَةِ أَرْبعَـةُ أَوْجُـهُ. مِنْهَـا مَـوَدَّةَ بَيْنِكُمْ، بفتـح مـودّة وبـالإضـافـة إلى بَيْنِ، وبنصْب مَـوَدَّة والتنــوين، ونصب بَيْنَ، «مَـوَدَّةً بينَكُمْ» ويجـوز مودَّةُ بَيْنِكُمْ ـ بـالرفـع والإِضَافَـةِ إلى بين، ويجوز مَـوَدَّةٌ بَيْنَكُمْ ـ بـالرفـع والتنوين ونصبُ بَيْنِ. فـالنَّصْبُ في مَوَدَّة من أجـل أنها مفعـول لهـا، أي اتخـذتم هـذا للمـودَّةِ بينكم. ومن رفـع فمن جهتين إحْـدَاهُمَـا أن يكـون «مـا» في معنى «الـذي» ويكـون المعنى: إنَّ مـا اتخذتموه من دون اللّه أوثاناً مَوَدَّةُ بينكم، فيكون مودة خبرَ إنَّ، ويكون بـرفع مـودَّة على إضْمارِ هيَ، كَـأَنّهُ قـال: تِلْكَ مودَّةُ بَيْنَكُمْ في الحيـاة الـدنيا، أي أُلْفَتُكُمْ واجتمـاعكم على الأَصْنَامِ مـودَّةُ بينكم في الحيـاة الدنيا.

وقوله عز وجل: ﴿فآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إنّي مُهَاجِرٌ إلَى رَبِّي﴾.

صَـدَّق لُوط إبـراهيم عليه السـلام، وقـال إني مهـاجـر إلى ربي. إبْرَاهِيمُ هاجَرَ من كُوثَى[2] إلى الشام.

وقوله: ﴿ وآتَيْنَاهُ أَجْرَه فِي الدُّنْيَا﴾.

قيـل الذكـر الحسن، وكذلـك ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْه فِي الآخِرينَ﴾. وقيل ﴿وآتيناه أجْـرَهُ في الـدُّنيا﴾ أنـه ليس مِنْ أمَّـةٍ من المُسْلمين واليهــودِ والمجـوسِ والنَّصارى الا وهم يعـظمون إبـراهيم. وقيل﴿وآتينـاه أَجْرَه

(١) سورة الزخرف الآية ٦٧.

(٢) المعروف تاريخيـاً أن إبراهيم كـان في أور الكلدانيين ـ قريبـاً من بابـل ـ ولعل كـوثى اسم من اسمائها أو هي قرية قريبة منها.

في الدُّنْيَا﴾أن الانبياء مِنْ وَلَدِه، وقيل الولد الصالح.

وقوله تعالى: ﴿وَلُوطاً إذْ قَالَ لِقَوْمِه إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾.

المعنى أنه لم يَنْزُ ذَكرٌ على ذَكَرٍ قبل قَوْمِ لُوطٍ.

وقوله: ﴿أَئِنكم لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

اللفظ لفظ استفهام، والمعنى معنى التقرير والتوبيخ.

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾.

جاء في التفسير ويقْطَعُونَ سبيلَ الوَلَدِ، وقيل يعترضون النـاسَ، في الطُّرُقِ لِطلَب الفَاحِشة.

﴿وتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾.

أي تأتون في مجالسكم المنكَر، قيل إنهم كانوا يَخْذِفُونَ[1] النَّاسَ في مجالِسِهِمْ ويسخرون مِنْهم، فأعلم اللَّه جل وعز. أن هذا من المنكر، وأنه لا ينبغِي أن تتعاشر الناس عليه، ولا يجتمعوا إلاَّ فيما قَرَّب إلى اللَّه وباعَدَ مِنْ سَخَطِهِ، وألاَّ يجتمعوا على الهزء والتَّلَهّي، وقيل: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ المُنْكَرَ﴾ أَنَّهُمْ كانوا يَفْسُقونَ في مَجَالِسِهِم.

وقوله: ﴿وعاداً وثموداً وقَدْ تَبَيَّنَ لكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهمْ﴾.

المعنى وأهلكنا عاداً وثموداً، لأن قبل هذا قَارُونَ وأَصْحَابَهُ، فأخذتهم الرجفة.

وقوله: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْه حَاصِباً﴾.

---

(١) الخذف بالخاء المعجمة رمي الحصا بالسبابة.

وهم قومُ لوطٍ.

﴿وَمِنْهُم مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ وهم قوم ثمودَ وَمَدْين.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ﴾: وهم قارون وأَصْحابُه.

﴿وَمنهم من أَغْرَقْنَا﴾: وهم قوم نوحٍ وفرْعَوْنَ.

فأعلم اللَّه أن الذي فُعِلَ بهم عَدْلٌ، وأنه لم يَظْلِمْهُمْ، وأنهم ظلموا أَنْفُسَهُمْ. لأنه قَدْ بَيَّنَ لَهُمْ، وذلك قوله: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

أتوا ما أَتَوْه وَقَدْ بَيَّن لهم أن عاقبته عَذَابُهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ العَنْكَبُوتِ اتخذت بَيْتاً . . .﴾ الآية[1].

«لَوْ» مُتَّصِلةً بقوله اتَّخَذُوا، أي لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتِّخَاذِ العنكبوتِ، ليس أنهم لا يَعْلَمُونَ أن بيت العنكبوت ضعيف، وذلك أن بيت العنكبوت لا بَيْتَ أضعفُ منه، فيما يَتَّخِذُه الهَوَامُّ في البيوت، ولا أقل وقايةً منه من حَرٍّ أو بَرْدٍ، والمعنى أن أولياءَهُمْ لاَ يَنْقُصُونَهُمْ، ولا يرزقونهم ولا يدفعون عنهم ضرَراً، كما أن بيت العَنكَبُوتِ غير مُوَقٍّ للعنكبوت.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ﴾.

قال الحسن وَقَتَادَةُ: من لم تنهه صَلاَتُه عن الفحشاء والمنكر فليست صَلاَتُه بِصَلاةٍ، وهي وَبَالٌ عَلَيْه.

---

(١) بقيتها: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ البُيوتِ لَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقوله: ﴿لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.

فيها أوجه: فمنها أن أكبر في معنى كبير، وجَاءَ في التفسير: ولذكر اللَّه إيَّاكم إِذَا ذَكَرْتُمُوهُ أكبر من ذكركم، ووجه آخر معناه ﴿ولذكر اللَّه أكبر﴾هو النهيُ عن الفحشاء والمنكر، أكبر من الانتهاء عن الفحشاء والمنكر، لأن اللَّه قد نهى عنها.

وقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾.

[أي] أهلَ الحربِ، فالمعنى: لا تجادلوا أهل الجزيَةِ إلَّا بالتي هي أَحَسَنُ، وقاتلوا الذين ظلموا. وقيل إن الآية منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[1]. إلى قوله حتى ﴿يعطوا الجزية عَنْ يَدٍ وهم صاغرون﴾. فكان الصَّغَارُ خارجاً مِنَ الَّتي هي أَحْسَنُ، فالأَشْبَهُ أن تكون مَنْسُوخَةً. وجائز أن يكون الصغار أخذَ الجزية مِنهم وَإن كرهوا، فالذين تُؤْخَذُ منهم الجزية بنص الكتاب اليهودُ والنَّصَارَى، لأنهم أصحابُ التَّوراة والانجيل، فأما المجوسُ فأخذت منهم الجِزْيَةُ لقول رسول اللَّه ﷺ: «سُنُّوا بِهِم سُنَّة أهل الكتاب». واختلف الناسُ فيمن سِوى هؤلاء من الكفار مثل عبدَة الأوثان ومن أَشْبَهُهُمْ فهم عند مالك بن أنس يجرون هذَا المجرى. تؤخذ منهم الجزية كانوا عَجماً أو عَرَباً، وأما أهل العِراقِ فقالوا نَقْبَلُ الجزية من العَجَم غير العَرَبِ إذا كانوا كفَّاراً، وإن خرجوا من هذه الأَصْنافِ أعني اليهود

---

(١) بقيتها: ﴿ولا يُحرِّمُون ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ اوتُوا الكتاب﴾ سورة التوبة الآية ٢٩.

والنصارى والمجوس، نحو الهندِ والترك والديلم، فأما العَـرَب عندهم فـإذا[1] خرجوا من هذه الثلاثة الأصناف لـم تُقْبَلْ منهم جِزْيَـةٌ، وكان القتـل في أمرهم إن أقاموا على مِلَّةٍ غير اليَهُوديَّةِ والنصرانية والمجوسيَّةِ، وبعض الفقهاء لا يـرى إلا القَتْلَ في عبدة الأووثان والأصنام ومن أشْبَهُهُمْ.

وقوله عـز وجل: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِـنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ ولا تخـطه بيينك إذاً لارْتَابَ المبْطلُونَ﴾.

أي ما كنت قرأت الكتُبَ وَلاَ كُنْتَ كاتباً، وكذلك صفة النبي ﷺ عندهم في التوراة والانجيل.

وقوله: ﴿لارْتَابَ المُبْطِلُونَ﴾ قيل إنهم كُفَّارُ قُرَيْشٍ.

وقوله: ﴿بل هو آياتٌ بَيِّنَاتٌ في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾.

قيل فيه ثلاثة أوجُهٍ، منها بل القرآن آياتٌ بينات، ومنها بل النبي ﷺ وأموره آيات بيناتٌ، ومِنْها «بل هو آيـات بيِّناتٌ» أي بـل إنه لا يقـرأ ولا يكتبُ، آيات بَيِّنَاتٌ، لأنـه إذا لـم يكن قرأ كتـاباً، ولا هـو كاتب ثم أخبر بأقـاصيص الأولين والأنبياء فـذلك آيـاتٌ بينَاتٌ في صـدور الذين أوتوا العلم.

وقـوله: ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَـكَ بـالعَـذَابِ وَلَـوْلاَ أَجَـلٌ مُسَمًّى لَجَـاءَهُمُ العَذَابُ﴾.

هذه نزلت في قـوم جهلة قالوا: ﴿اللَّهُمْ إنْ كَانَ هَـذَا هُوَ الحقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْـطِر عَلَيْنَا حِجَـارَةً مِنْ السَّمَاءِ﴾[2]، فأعلم اللَّه ـ عز وجـل ـ أنَّ

---

(١) في الأصل إذا خرجوا وزدنا الفاء في جواب أمّا.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الانفال.

لِعَذَابِهِمْ أَجَلاً فقال:﴿بل السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾(٢).

وقوله عز وجل:﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾.

مَعناه فُجَاءَةً، وبغتَـةً اسم مَنْصُـوبٌ في مـوضـع الحـال، ومعنـاه وَلَيأتينَّهُمْ مفاجأةً﴾.

وقـوله عـز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِـمْ أَنَّـا أَنْـزَلْنَـا عَلَيْـكَ الكِتَـابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾.

كان قوم من المسلمين كتبوا شيئاً عن اليهـود فأتـوا به النبي ﷺ، فقال عليه السلام: كَفَى بها حَماقةَ قَوْمٍ، أو ضَلاَلَة قَوْمٍ أَنْ رَغبـوا عما أَتَى بِهِ نَبيُّهُمْ إلى ما أتى به غير نبيِّهِمْ إلى غير قومهم.

وقوله عـز وجل:﴿يَـا عِبَادِيَ الَّـذِينَ آمَنُوا إنَّ أَرْضِي وَاسِعَـةٌ فَإِيَّـايَ فَاعْبُدُونِ﴾.

تفسيرها: قيل إنَّهُمْ أُمِرُوا بالهجرة من المـوضع الـذي لا تمكنهم فيه عبادة اللَّه ـ عز وجل ـ وأداء فرائضِه، وأصـل هذا فيمن كـان يمكنه مِمَّنْ آمن وكان لا يمكنه إظهار إيمانه، وكذلك يجب على كل من كـان في بلد يُعمل فيه بالمَعَاصِي ولا يمكنه بغير ذلك أن يُهَاجِـرَ وينتقِلَ إلى حيث يَتَهَيَّأ له أن يعبُدَ اللَّه حق عِبادَتِهِ.

وقوله عز وجل:﴿فإِيَّايَ فَاعْبُدونِ﴾.

«ايَّايَ» منصوب بفعل مضمر، الـذي ظهر يُفَسِّـرُهُ، المعنى فاعبـدوا إيـاي ـ فاعبـدوني، فاستغنى بـأحد الفعلين، أعني الثـاني ـ عن إظهار الأول، فإذا قلت: فإياي فاعبدوا، فإيـاي منصوب بمـا بعد الفـاء، ولا

(١) سورة القمر الآية ٤٦.

تنصِبْه بِفِعْل مُضْمَر كما أنك إذا قُلْتَ: بِزَيْد فَامْرُر، فالباء متعلقة بـامْرُرْ، والمعنى: أَنَّ أرضي واسِعَةٌ فَاعْبُدونِ، فالفاء إذا قُلْتَ زيداً فاضرب لا يصلح إلا أَنْ تكون جواباً للشَّرطِ، كأن قائلاً قال: أنا لا أَضربُ عَمْراً، ولكني أضرب زيداً، فقُلتَ أنت مُجيباً له: فاضرب زيداً، ثم قلت زيداً فاضرب، فجعلت تقديم الاسم بدلاً من الشرط، كأنك قلت إن كان الأمر على ما تصف فاضرب زيداً، وهذا مذهب جميع النحويين البصريين.

وقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾.

كل حيوان على الأرض مما يعقل، وما لا يَعْقِل فهو دابَّةٌ، وإنما هو من دَبَّتْ علَى الأرض فهي دَابَّةٌ، والمعنى نفسٌ دابَّةٍ، ومعنى وكأين: وكم من دَابَّةٍ.

وقوله: ﴿لا تحمل رِزْقَهَا﴾.

أي لا تدَّخر رزقها، إنما تصبح فَيَرْزُقُها اللَّه. وعلى هذا أكثر الحيوان والدَّبِيبِ وليس في الحيوان الذي هو دبيب ما يدخِرُ فيما تبيَّن غيرُ النَّمْلِ، فإن ادِّخَارَه بيِّنٌ.

وقوله: ﴿وإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

معناه هي دار الحياة الدائمة.

وقوله عز وجل: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ من الجَنَّةِ غُرَفاً﴾.

وقرئت لَنُثَوِّيَنَّهُمْ - بالثاء - يقال ثوى الرجل إذا أقام بالمكان وَأَثْوَيْتُه أنزلته منزلاً يقيم فيه.

وقوله عز وجل: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾.

قــرئ بِكَسْـر الـلام وتسكينهـا، والكســر أَجْـوَدُ على معنى لكي يكفروا وكي يتمتَّعُوا.

وقوله:﴿فإذَا رَكِبُوا فِي الفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

أي لم يدعوا أن تُنْجِيَهُمْ أَصنامُهُم وما يعبدونه مع اللَّه.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إذا هم يُشْرِكُونَ﴾.

أي يعبدون مع اللَّه غيره.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

أعلم اللَّه أنه يَزِيدُ المجاهـدين هدايـةً كما أَنَّـهُ يُضِلُّ الفـاسقين، ويَزِيد الكافرين بِكُفْرِهِمْ ضَلاَلَةً، كذلك يَزِيدُ المُجَاهِـدِين هِدايـةً ـ كذا قال عز وجل:﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُـمْ هُــدًى وآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[1]، فالمعنى أَنَّهُ آتاهم ثواب تقواهم وَزَادَهم هُدًى عَلَى هِدَايتِهِم.

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَع المُحْسِنِينَ﴾.

تـأويله إن اللَّه نَاصِـرُهم، لأن قولـه: ﴿والذين جـاهدوا فينا﴾. اللَّه معهم[2]. يـدل على نصرهم، والنصـرة تكون في عُلُوِّهِمْ على عَـدُوِّهِمْ بالْغَلَبَةِ بالحِجَّةِ والغَلَبة بالقَهْرِ والقدرة.

---

(١) سورة محمد آية ١٧.

(٢) العبارة غير جَيِّدَةٍ، ويظهر أنه يريد أن المجاهدين من المحسنين، فاللَّه معهم أي ناصرهم ـ لأن الآية «وان اللَّه لمع المحسنين» وليست «مع المجاهدين» لكن معية المحسنين عامة تستلزم معية المجاهدين، وربما سقط من كلامه شيء.

سُورَةُ الرُّومِ
مَكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿أَلم. غُلِبَتْ الرُّومُ﴾.

قـد شَرَحْنَـا ما جـاء في ﴿الم﴾، وقُرِئَتْ غُلِبَتْ بضم الغَيْنِ، وقـرأ أبو عَمْرٍو غَلَبَتْ - بفتح الغَيْن - والمعنى على غُلِبَتْ، وهي إجماع القراء. وذلك أن فارِسَ كانت قد غَلَبَتِ الروم في ذلك الوَقْتِ، والروم مغلوبة، فالقَراءة غُلِبَتْ.

وقوله:﴿في أَدْنَى الأرْضِ﴾.

قيل في أطراف الشام، وتأويله أدنى الأرض مِنْ أَرْض العَرَبِ.

وقوله:﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فـي بِضْعِ سِنِينَ﴾.

هذه من الآيات التي تدل على أن القرآن من عنـد اللَّه، لأنه أَنْبَـأَ بما سيكون، وهذا لا يعلمه إلا اللَّه - عز وجل - وكان المشركـون سُرُّوا بـأن غَلَبَتْ فَـارِسُ الـرُّومَ، وَذَلِـكَ لأَنَّهم قـالـوا: إِنَّكُمْ أيهـا المسلمـون تَزْعَمُونَ بـأنكُمْ تُنْصَرون بـأنكم أهلُ كتـاب، فقد غَلَبَتْ فَـارِسُ الرُّوم، وفارس ليست أهل كتاب، والروم أهل كتابٍ، فكذلك سنغلبكم نحن، فـأعلم اللَّه - عز وجـل - أَنّ الرُّومَ سَيَغْلِبُـونَ في بِضْـعِ سِنِين، وسَيُسَـرُّ المسلمُونَ بِذَلِكَ فراهَنَ المُسْلِمُونَ المُشْرِكين وبايعوهم على صحة هذا الخبـر. والبِضْعُ مـا بين الثلاث إلى التِّسْـع، فلمـا مضى بعض البضْـع

طالبَ المشركون المُسْلِمين وقالوا قَدْ غَلَبْنَاكُمْ، لأنه قد مَضَت بضع [سنين] ولم تغلب الروم فَارِسَ واحتج عليهم المسلمون بأن البِضْعَ لَمْ يَكْمُل، وزادوهم وأخروهم إلى تمام البِضْع، فغلبت الروم فارسَ وقمَرَ المسلمون وذلك قبل أن يُحَرَّمَ القِمَارُ وَفَرِحَ المسلمون وخَزِيَ الكافرون.

وقوله عز وجل:﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾.

القراءة الضَّمُّ، وعليه أهل العربية، والقرّاء كُلُّهم مجمعون عليه، فأما النحويون فيجيزون مِنْ قَبْلٍ ومن بَعْدٍ بالتنوين، وبعضهم يجيز من قَبْلِ وَمِن بَعْدِ - بغير تنوين، وهذا خَطَأٌ لأن قَبْل وبَعْد ههنا أصلهما الخفض ولكن بُنِيَتَا علَى الضَّمِّ لأنهما غايَتَانِ. ومعنى غاية أن الكلمة حذفت منها الاضافَةُ، وَجُعِلَت غاية الكلمة ما بقيَ بعد الحَذْفِ. وإنما بُنِيَتَا على الضم لأن إعرابَهُمَا في الإِضَافَةِ النصبُ والخَفْضُ. تقول: رأيته قبلَكَ وَمِنْ قَبْلِكَ، ولا يرفعان لأنهما لا يُحدَّث عَنْهُمَا لأنهما اسْتُعْمِلتَا ظرفَيْنِ، فلما عُدِلاَ عن بابهما حُرّكا بغير الحركتين اللَّتَيْنِ كانتا تَدْخُلاَنِ عليهما بحق الاعراب. فأما وجوب ذهاب إعْرَابِهما، وبِنَاؤهما فلأَنَّهما عُرِّفَا من غير جهة التعريف، لأنه حذف منهما ما أضيفتا إلَيْه.

والمعنى للّه الأمر من قبل أَنْ يُغْلَبَ الروم ومن بعدما غُلِبَتْ، وأما الخَفْض والتَّنْوِينُ فعلى من جعلهما نكرتين، المعنى: لِلَّهِ الأمر مِنْ تَقَدُّمٍ وَتَأَخُّرٍ. والضَّمُّ أَجْوَدُ، فأما الكسر بلا تنوين فذكر الفرَاء أَنَّه تَرْكُه عَلَى ما كَانَ يَكُونُ عَلَيْه في الإِضافَةِ ولم يُنَوِّنْ، واحتج بقول الأول:[1].

---

(1) البيت للفرزدق وصدرهُ: يا من رأى عارضاً أُسَرَّ به، وهو في ابن يعيش ٣/٢١، والعيني =

بَيْنَ ذراعَيْ وَجَبْهَة الأسَدِ

وبقَوْلِه(١):

أَلاَّ غُلاَلَةَ أَوْ بَدَاهَةَ قارِحٍ نَهْدِ الجُرَارَة

وليس هذا كذلك لأن معنى بين ذراعيَ وجبهة الأسَدِ. بين ذراعيه وَجَبْهَتِهِ فقد ذكِرَ أَحَدَ المضافَيْن إلَيْهِمَا، وذلك لو كان للَّه الأَمْرُ من قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ كَذا لجاز وكان المعنَى من قبل كذا ومن بعد كذا. وليس هذا القول مما يُعرَّج عَلَيْهِ ولا قاله أحد من النحويين المتقدمين.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾.

الغَلَبُ والطَّلَبُ مَصْدَران، تقول: غَلَبْتُ غَلَباً، وَطَلَبْتُ طَلَباً، وزعم بعض النحويين أَنَّه في الأصل مِنْ بَعْد غَلَبَتِهِم، وذكر أن الاضافة لما وقعت حذفت هاء الغَلَبَةِ، وهذا خطأ. الغلبةُ والغَلَبُ مصدر غَلَبْتُ مثل الجَلَبُ والجَلبةُ.

وقوله: ﴿وَعْدَاللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

القراءة النَّصْبُ في وَعْد، ويَجُوز الرَّفْعُ، ويجوز النصب، ولا أعلم أَحداً قرأ بالرفع. فالنصب على أَنَّهُ مَصْدَرٌ مؤكِّدٌ، لِأَن قوله «وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سيغلبون».

هو وعد من اللَّه للمؤمنين، وقوله «وَعْدَاللَّه» بمنزلة وعدَ اللَّه

= ٤٧٢/٣ وكتاب سيبويه ٢٧٧/٢ والخزانة ٢٧٧/٢ (سلفية) والسنتمري ٩٢/١.

والعارض السحاب تعترض الأفق وذراع الأسد وجبهة الأسد مجموعتان من الكواكب - وللاسد ذراع مقبوضة وأخرى مبسوطة - كل منهما كوكبان.

(١) البيت للاعشى من قصيدته:

يا جارتا ما أنت جاره بانت لتحزننا عفاره

والبيت في الخزانة ١٣١/٣ وهو الشاهد ٢٣، وفي العيني ٤٥٣/٣، وفي الديوان ١١٦، وفي الخصائص ٤٠٧/٢.

وَعْداً. ومن قال: وَعْدُ اللّه كان على معنى ذلك وَعْدُ اللّه كما قال: كأنهم ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إلاَّ سَاعَةً من نهارٍ بَلاَغٌ﴾[1].

وقوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

هـذا في مشركي أهـل مكـة المعنى يعلمـون من معـايش الحيـاة الدنيا، لأنهم كانوا يعـالجون التجـارات، فأعلم اللّه ـ عـز وجل ـ لمـا نفى أنهم لا يعلمون مَا الَّذِي يَجْهَلُونَ، ومقدار ما يَعْلَمُونَ فقال:

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُون﴾.

«هم» الأولى مرفوعة بالابتـداء، «وهم» الثانية ابتداء ثـانٍ، وغافلون خبر «هم» الثانية، والجملة الثانية خبرهم الأولى. والفائدة في الكـلام او ذكر «هم» ثانية، وإن كانت ابتداء تَجْري مجـرى التوكيـد كما تقـول زيد هو عَالِمٌ، فهو أوكد من قولـك زيد عـالم. ويصلح أن تكون «هم» بدلاً من هم الأولى مُؤَكِّدَةً أَيْضاً، كما تقول: رأيته إيّاهُ.

وقوله عز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالحَقِّ﴾.

معناه أو لم يتفكروا فيعلموا، لأن في الكلام دليـلاً عَلَيْه، وَمَعنى بالحقّ ههنا «إلاَّ للحَقِ» أي لأقامة الحقِّ.

﴿وأَجَلٍ مُسَمًّى﴾.

أي لإقامة الحق ورَجَلٍ مُسَمًّى؛ وهو الوقتُ الذي تُـوَفَّى فيه كُـلُّ نَفْس ما كَسَبَتْ.

وقوله:﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

---

(١) سورة الأحقاف آية ٣٥.

[أي لكافرون] بلقاءِ رَبهم، تَقَدَّمت الباءَ لأنها مُتَّصِلةٌ بكافِرُونَ، وما اتَّصَلَ بخبرِ إن جازَ أن يُقَدَّم قبْلَ اللام، ولا يجوز أن تَدْخلَ اللاَّمُ بَعْدَ مُضيِّ الخَبَرِ. لا يجوز أن تقول إن زيداً كافر لبالله. لأنَّ اللام حَقُّهَا أن تدخل عَلى الابتداء والخبر. أو بين الابتداء والخَبر، لأنها تؤكد الجملة، فلا تأتي تَوْكيداً وقد مضَت الجملة. ولا اختلاف بين النحويين في أن اللام لا تدخل بغير الخبر.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾.

يعني أن الذين أهلكوا من الأمم الخالِيةِ، كانُوا أكثر حَرْثاً وعِمارَةً من أهل مكة، لأن أهل مكة لم يكونوا أصحاب حرث.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى [أَن كَذَّبُوا. . .]﴾.

القراءة بنصب عاقبة ورفعها، فمن نصب جعل السوءى اسم كان ومن رفع «عَاقِبَةَ» جعل السُّوءَى خبراً لِكان، والتفسير، في قوله أَسَاءُوا ههنا أنهم أشركوا، والسُّوءى النَّارُ، وإنما كان أساءوا ههنا يَدُلُّ على الشرك لقوله: ﴿وإِنَّ كَثيراً مِنَ النَّاسِ بِلقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾.

فإساءتُهم ههنا كفرهم، وجزاء الكُفْرِ النَّارُ. وَدَلَّ أيضاً على أَنَّ اساءوا ههنا الكُفْرَ: ﴿أَنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللَّه وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

فالمعنى: ثم كانَ عَاقِبةُ الكافِرينَ النَّارَ لتكذِيبِهمْ بآيات اللَّهواستهزائهم.

وقوله عز وجل: ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أنهم في القيامة ينقطعون فِي الحجة انقطاع يئسين منْ رَحْمةِ اللَّه، والمبلس الساكت المنقطع في حجته، اليائس من أن يَهتدِي إليها، تقول: ناظرت فلاناً فأبلس أي انقطع وأمسك ويئس من أن يحتج.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه افتراق لا اجتماعَ بعده، وفيما بعده دليل على أن التفرق هو للمسلمين والكافرين، فقال: ﴿يومئِذ يتفرقون﴾، ثم بين على أي حال يتفرقون فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾.

وجاء في التفسير أن «يُحْبَرُونَ» سماع الغناء في الجنة، والحبرة في اللغة كل نعمة حسنة، فهي حَبْرة، والتحبير التحسين والحَبْرُ العِالم أيضاً هو من هذا، المعنى أنه متخلق بأحسن أخلاق المؤمنين، والحِبْرُ المِدادِ إنما سُمِّيَ لأَنَّه يُحَسِّنُ به.

وقوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآيَاتِنَا ولِقِاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي العَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

أي حال المؤمنين السماع في الجنة، والشغل بغاية النعمة[1]، وحال الكافرين العذاب الأليم هم حاضروه أبداً غير مُخَفَّفٍ عنهم، ثم أعلم عز وجل بعد هذا ما تُدْرَكُ به الجَنَّةُ، ويتباعد به عَن النَّارِ بقوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَواتِ والأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

جاء في التفسير عن ابن عباس أن الدليل على أنَّ الصلوات خمس هذه الآية ﴿فسبحان اللّه حين تُمسون وحينَ تُصْبِحُون﴾ فحين تمسون صلاة المغرب وَعِشَاءُ الآخرة وحين تصبحون صلاة الغداة[2]، وعشياً صلاة العصر، وحين تظهرون صلاة الظهر. وقد قيل ان قوله:

---

(١) لا يشغلهم الا التمتع بالنعم الكبرى.

(٢) صلاة الصبح.

﴿وَمِنْ بَعْدِ صلاة العِشَاءِ ثلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾[1] إنها الصلاة الخامسة، فيكون على هذا التفسير قوله: ﴿حين تمسون﴾ لصلاة واحدة.

ومعنى سبحان اللّه تنزيه اللّه من السوء. هذا لا اختلاف فيه.

وقوله ـ عز وجل ـ ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّت وَيُخْرِجُ الميّتَ مِنَ الحيّ﴾.

جاء في التفسير أنه يخرج النطفَة ـ وهي الميت ـ من الحي مِنَ الإنسان، ويخرج الحيَّ من المَيِّتِ، يخرج الانسان من النطفة.

﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا.

أي يجعلها تنبت، وإحياء الأرض إخراج النَّبات منها.

وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

أيْ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ مَبْعُوثِينَ، وموضِعُ الكاف نَصْبٌ بِتُخْرَجُونَ، والمعنى أن بعثكم عليه كخلقكم، أي هما في قُدْرَتِهِ مُتَسَاوِيانِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَكُمْ من تُرَابٍ﴾.

أَيْ من العَلاَمَاتِ التي تدل على أَنَّ اللّهَ وَاحِدٌ لا مثيل له ظهورُ القُدرة التي يعجز عنها المخلوقون، ومعنى خلقكم مِنْ تُرَابٍ، أي خلق آدَمَ مِنْ تُرَابٍ.

﴿ ثُمَّ إذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾.

[أي] آدَمُ وَذرِيَّتُهُ.

---

(١) سورة النور الآية ٥٨.

﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾.

خلق حَوَّاءَ مِنْ ضِلْعٍ من أضلاع آدم، وجعل بين المرأة والزَّوج المودَّة والرَّحمة مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، وأن الفرْك وهو البُغْضُ مِنْ قِبَلِ الشيطانِ، يقَال فَرِكَت المرأة زوجها تَفْرِكَه فِرْكاً، إذا أبغضته.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِه يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمعاً﴾.

خوْفاً وطمعاً منصوبان على المفعول له، المعنى يريكم البرق للخوف والطمع، وهو خَوْفٌ لِلمُسَافِر، وطمع للحَاضِر. المعنى ومن آياتِهِ آيَةٌ يريكم بها البرق خوفاً وطَمَعاً. هذا أَجوَدُ في العَطْفِ. لأنه قال: «ومن آياته خَلْقُ» فنسق باسم على اسم، ومثله من الشعر.

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أَمُوتُ، وأخرى ابتغي العيش أكدح[1]

المعنى فمنهما تارة أموتها أي أموت فيها، ويجوز أن يكون المعنى ويريكم البرق خوفاً وطمعاً من آياته، فيكون عطفاً بِجُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِه أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِه﴾.

أي تقوم السماء بِغَيْرِ عَمَدٍ، وكذلك الأرض قائمة بأَمْرِه[2]، والسماء محيطة بها.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ﴾.

أي للبعث بعد الموت.

وقوله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّموات والأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.

(١) تقدم.

(٢) في نسخة أخرى أي تقوم بأمره.

معناه مطيعونَ، والمعنى: وهذا من آياته، ولم يذكر «ومن آياته» لأنه قد تقدم ذكر ذَلِكَ مَرَّاتٍ، ومعنى «قانتون» مطيعون طاعة لا يجوز أن تقع معها معصية، لأن القنوت القيام بالطاعة. ومعنى الطاعة ههنا، أنَّ من في السموات الأرض في خلقهم دليل على أنهم مخلوقون بإرادة اللَّه - عز وجل - لا يقدر أَحَدٌ على تغيير الخلقة، ولا يقدر عليه ملك مُقرَّبٌ، فآثار الصنعة والخلقة تدل على الطاعة، ليس يعني طاعة العباد، إنما هِيَ طاعَةُ الارادة والمشيئة.

وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾.

فيه غير قول، فمنها أن الهاء تعود على الخلق، فالمعنى الاعادة والبعث أهون على الانسان من إنشائه، لأنه يُقَاسِي في النشء ما لا يقاسيه في الإعادة والبعث.

وقال أبو عبيدة وكثيرٌ من أهل اللغة: إن مَعْنَاهُ: وَهُوَ هيّنٌ عليه، وإن «أَهْوَن» ههنا ليس معناه أن الإعادة أهون عليه من الابتداء، لأن الإعادة والابتداء كلٌ سَهْلٌ عَلَيْه ومن ذلك من الشعر: (١)

لعمرك ما أدري وإني لأَوْجَلُ   على أينا تعدو المنية أول

فمعنى لأوجل لَوَجِلٌ، وقالوا اللَّه أكبر أي اللَّه كبيرٌ، وهو غير منكر، وَأَحْسَنُ مِنْ هذين الوجهين أنه خاطب العباد بما يعقلون فأعلمهم أنه يجب عندهم أن يكونَ البعث أَسْهَلُ وأهون من الابتداء

(١) لمعن بن أوس المزني - وكان قد طلق زوجه وتزوج بأخرى فغضب عليه صهره أخو زوجه وقاطعه فأخذ أوس يستعطفه بهذه الأبيات وهي غاية في الاستعطاف والرقة، وأشار فيها إلى هذا الحادث إذ قال:

فلا تعجبن أن تستعار ظعينة   وترسل أخرى كل ذلك يفعل

انظر شرح الحماسة للمرزوقي ص ١٣٢ جـ٣، والكامل ٢/١٤ والخزانة ٣/٥٢٥.

والانشـاء، وجعله مثـلاً لهم فقـال: ﴿وله المثـل الأعلى في السَمـواتِ والأرض﴾.

أي قـولـه: ﴿وَهُو أهـون عليه﴾ قـد ضـربَـهُ لكم مَثَـلاً فبمـا يصعب ويسهل.

وقـوله تعـالى: ﴿ضَـرَب لَكُمْ مَثَـلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَـلْ لَكُمْ مِنْ مَـا مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

هذا مثل ضربهُ اللَّه ـ عـز وجل ـ لمن جَعَلَ له شَـريكاً مِنْ خلقـه. فأعلم ـ عز وجل ـ أَنَّ مَمْلُوكَ الإنسان ليس بشريكه في ماله وزوجته، وأنه لا يخـافُ من مملوكه أن يَـرِثَه فقـال: ضـرب لكم مثـلا من أنفسكم أن جعلتم ما هو مِلْـكٌ للَّه من خلقه مثلَ اللَّه، وأنتم كَـلكم بَـشَـرٌ، ليـس مماليككم بمنزلتكم في أمـوالكم، فاللَّه ـ عـز وجل ـ أَجْـدَرُ أَلَّا يَكـونَ يُعْـدَلُ به خلقُه.

﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَات﴾.

موضع الكاف نَصَب.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّين حَنِيفاً﴾.

الحنيف الـذي يميـل إلى الشيء فـلا يـرجـع عنـه كـالحَنَفَ في الرِّجلِ وهو مَيْلها إلى خارجها خلْقَةً. لا يَملكُ الأحنَفُ إنْ يَرُدَّ حَنَفَهُ.

وقوله ـ عز وجـل ـ: ﴿فِـطْرَةَ اللَّه الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾.

«فـطرة اللَّه» منصـوب بمعنى اتَّبِـعْ فـطرة اللَّهِ، لأن معنى «فَـأَقِمْ وَجْهَكَ» اتبع الدينَ القَيِّمَ. اتبع فِطرةَ اللَّه، ومعنى فطرة اللَّه خِلْقَةَ اللَّه التي خلق عليها البشرَ، وقول النبي ﷺ: كل مَـوْلُودٍ يُـولَدُ على الفِـطرة

حتى يكون أبواه يُهوِّدَانِه وَيُنَصِّرَانه ويُمَجِّسَانه، مَعْنَاهُ أن اللَّه ـ عزوجل ـ فطر الخلق على الإيمان على ما جاء في الحديث، أن اللَّه ـ جل ثناؤه ـ أخرج مِنْ صُلب آدم ذُرِّيَّتَهُ كالذَّرِّ، وَأَشْهَدَهُمْ على أَنْفُسِهِمْ بأنه خَالِقُهُمْ، قال اللَّه عزوجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[1]. فكل مولود فهو من تلك الذُّرِّيَّةِ الَّتي شَهِدَتْ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهَا.

فمعنى «فطرَةَ اللَّهِ» دين اللَّه الذي فَطَرَ الناس عليه.

وقوله عز وجل: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾.

أكثر ما جاء في التَّفْسِير أن معناه لا تبديل لِدين اللَّهِ، وما بعده يدل عليه، وهو قوله: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا يعلمون بحقيقة ذلك.

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهُ﴾.

مَنْصُوبٌ عَلَى الحال بقوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾. زعم جميع النحويين أن معنى هذا فأقيموا وُجُوهَكم منيبين إليه، لأن مخاطبة النبي ﷺ يدخل معه فيها الأمَّةُ، والدليل على ذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَاءَ﴾.

وقوله «منيبين» معناه راجعين إليه إلى كلِّ ما أَمَر به ولا يخرجون عن شيء مِنْ أَمْرِه، فأعلمهم اللَّه ـ عز وجل ـ أن الطريقة المستقيمة في دين الاسلام هو اتباع الفطرةِ والتَّقْوَى مع الاسلام وأداء الفرائض، وأَنه لا ينفع ذلك إلَّا بالإِخْلَاصِ في التوحيد فقال:

﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢

وقرئت ﴿فرَّقوا﴾ دينهم.

﴿وَكَانُوا شِيعاً﴾.

فِرَقاً، فأمرهم اللَّه ـ عز وجل ـ بالاجتماع والأُلْفَةِ ولُزوم الجماعة، والسنَّةُ هي الهدايةُ، والضَلاَلة هي الفُرْقَةُ.

وقوله عز وجل:﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

أي كل حزب من هذه الجماعة الذين فارقوا دينهم فَرِحٌ يَظُنُّ أَنَّهُ هو المُهْتَدِي. ثم أعلم اللَّه عز وجل أنهم إذا مَسَّهُم ضُرٌّ دَعَوْا ربهم منيبين إليه، أي لا يلجأون في شدائدَهم إلى مَنْ عَبَدوه مع اللَّه ـ عز وجل ـ إنّما يَرجِعُون في دُعائِهِمْ إلَيْه وَحْدَه.

﴿ثُمَّ إذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إذا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾.

أي إذا أذاقهم رحمةً بأن يخلصهم من تلك الشدة التي دعَوْا فيها اللَّه وحده مَرُّوا بعد ذلك على شركِهِم.

وقولهم عز وجل: ﴿لِيَكْفُروا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: معنى «فَتَمَتَّعُوا» خطاب بعد الاخبار لأنه لَمَّا قال: «لِيَكْفُرُوا» كان خبراً عَنْ غائب. فكأن المعنى فتمتعوا أيها الفَاعلون لِهَذَا فسوف تعلمون، وليس هذا بأمرٍ لازمٍ أَمَرَهُمْ اللَّه بِهِ.

وهو أمرٌ عَلَى جهة الوَعِيدِ والتَهدُّد، وذلك مستعمل في كلام الناس تقول: إن أسمعتني مَكْروهاً فَعَلْتُ بك وَصَنَعْتُ ثم تقول: افعَلْ بي كذا وكذا[1] فإنك سترى ما ينزل بك، فليس إذا لم يُسْمِعْكَ كان عاصياً لك. فهذا دليل أنه ليس بأمرٍ لازم، وكذلك ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

(١) أي اسمعني هذا المكروه.

وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر﴾[١] وكذلك: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾[٢].

لم يُخَيَّروا بين الايمان والكفر ولكنه جرى على خطاب العِبَاد وحِوَارِ العربِ الذي تستعمله في المبالغة في الوعيد، ألا ترى أن قوله بعد ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُر: إِنَّا أَعْتَدْنَا للظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُها﴾[٣] فهذا مما يؤكد أمر الوَعِيدِ.

وقوله:﴿فآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّهُ وَالمِسْكِينَ وابنَ السَّبِيلِ﴾.

جعل اللَّه عز وجل لذي القُرْبَى حَقًّا وكذلك للمساكين. وابنُ السّبيل الضَّيفُ فجعل الضيافة لازمةً. فأما القَرابَاتُ فالمواريث قدْ بَيَّنَتْ مَا يَجِبُ لكل صنف منهم، وفرائض المواريث كأنها قَدْ نسختْ هذا أعني أمر حق القرابة، وجائز أن يكون للقرابة حق لازم في البرِّ.

وقوله:﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾.

يعني به دفع الانسان الشيء ليعوض ما هو أكثر منه، فذلك في أكثر التفسير لَيْسَ بحرام، ولكنه لاَ ثَوابَ لمن زادَ عَلَى ما أَخَذَ. والرِّبَا ربوان، والحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو يجر مَنفعة، فهذا حرام[٤]، والذي ليس بحرام هو الذي يَهَبُه الانسان يستدعي به ما هو أكثر مِنْهُ، أو يهدي الهدِيَّة يستدعي بها ما هو أكثر منها.

وقوله:﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾.

---

(١) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٢) سورة فصلت الآية ٤٠.

(٣) سورة الكهف آية ٢٩.

(٤) في الاصل فحرام.

أي وما أَعْطَيتُمْ من صَدَقَةٍ لا تطلبون بها المكافأة وإنما يقصـدون بها ما عند اللَّه.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعَفُونَ﴾.

أي فأهلها هم المضعَفُونَ، أَيْ هم الذي يضاعف لهم الثواب، يعطون بالحسنة عشْرةَ أمثالها ويضاعف اللَّه لمن يشاء، وقيل ﴿المُضْعِفُونَ﴾ كما يقال رجل مَقْوٍ، أي صاحب قوَّةٍ، وموسِر أي صاحب يَسَارٍ، وكذلك مُضْعِفٌ، أي ذو أضعاف من الحسنات.

وقوله تعالى:﴿ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِنُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾.

ويقرأ بالياء أيضاً «لِيُذيقَهُمْ» أي ليذيقهم ثواب بَعْضِ أَعْمَالِهِم، ومعناه ظهر الجَدْبُ في البَرِّ والقَحْطُ في البَحْرِ، أي في مُدُنِ البحر، أي في المدُن التي عَلَى الأنْهَارِ، وكل ذي ماء فهو بَحْرٌ.

وقوله عز وجل:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلّدين القَيِّم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّه يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

معنى «فأقم وجهك» أَقم قصدك واجْعَلْ جِهَتَك اتباع الدين القَيِّم من قبل أن تأْتِيَ السَّاعَةِ وتقوم القيامَةُ فلا ينفع نفساً إيمَانُهَا لم تكن آمَنت من قبل أَوْ كَسَبَتْ فِي إيمَانِها خَيْراً.

وَمَعْنَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

يتفرقون فيصيرون فَرِيقاً في الجنَّةِ وَفَرِيقاً في السَّعيرِ.

وقوله:﴿فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

أي لأنفسهم يوطئونَ.

وقوله عز وجل:﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾.

أي فَرَأَوْا النَّبْتَ قد اصْفَرّ وَجَفَّ.

﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِه يَكْفُرُونَ﴾.

ومعناه ليظلُّنَّ، لأن معنى الكلام الشرط والجزاء فيهم يستبشرون بالغيث ويكْفِرُون إذا انقطع عنهم الغَيْثُ وجفّ النباتُ.

وقوله: ﴿[وَيَجْعَلُه] كِسَفاً﴾: [أي] قطعاً من السحاب.

وقوله:﴿فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾.

أي فترى المطر يخرج من خلل السحاب، فأعلم عز وجل أَنَّه يُنْشِئ السَّحابَ ويحيي الأرض ويرسل الرِّيَاحَ، وذلك كله دليل على القدرة التي يعجز عنها المخلوقون، وأنه قادر على إحياء الموتى.

وقوله تعالى:﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾.

المعنى أن ينْزِلَ عليهم المطر، ويقرأ أن يُنَزَّل، وَمَعْنَى مُبْلِسينَ مُنْقَطِعين انقطاع آيسين، فأما تَكْرِيرُ قوله «من قبل» ففيه وَجْهَانِ، قال قطرب إن قَبْلَ الأولى للتنزيل، وقَبْل الثانية لِلْمَطَرِ. وقال الأخفش وَغيرُه من البَصْرِيّين: تكرير قبل على جهة التوكيد، والمعنى وإن كانوا من قبل تنزيل المطر لَمُبْلِسينَ. والقول كما قالوا لأن تنزيل المطر بمعنى المطر، لأن المطر لا يكون إلا بِتَنْزِيلٍ كما أن الرِّيَاحَ لا تُعْرَفُ إلا بِمُرورِهَا قال الشاعر[1]:

(١) هو ذو الرِّمة ـ وقد تقدم البيت حـ ١/٣٦٢.

مَشَينَ كما اهتزت رِمَاح تسَفَّهتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرياح النَّوَاسِم

فمعنى مَرُّ الرِّياح كقولك تَسَفَّهتْ أعاليها مر الرياح النواسم.

وقوله عز وجل: ﴿فانظر إلى أَثَر رَحْمَة اللَّهِ﴾.

ويقرأ ﴿آثاررحمةاللّه﴾، يعني آثار المطر الذي هو رحمة من اللّه ﴿كيف يحيي الأرض بعد مَوْتِها﴾، وإحْيَاؤها أَنْ جَعَلها تُنْبِتُ فكذلك إحياءُ الموتى، فقال:

﴿إنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي المَوْتَى﴾.

ذلك إشارة إلى اللّه عز وجل.

وقوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾.

هذا مثل ضربه اللّه للكفار كما قال: ﴿صُمٌ بكمٌ عُمْيٌ﴾، فجعلهم في تركهم العَمَل بما يسمعون وَوَعْيِ ما يُبْصِرُونَ بمنزلة الموتَى، لأن ما بيَّنَ من قدرَتِه وصنعته التي لا يقدر على مثلها المخلوقون دليل على وحدانيته.

وقوله: ﴿إنْ تُسْمِعُ إلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا﴾.

أي ما يَسْمَعُ إلا من يؤمن بآياتنا، وجَعَلَ الاسماع ههنا إسماعاً إذا قُبِلَ وعُمِلَ بما سُمِعَ(١)، وإذا لم يُقْبَل بمنزلة ما لم يُسْمع ولم يُبْصَر.

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي العُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾.

---

(١) من يسمع ولا يعمل بما سمع كأنه لم يسمع ـ فجملة... ان تسمع الا من يؤمن، تعني لا تسمع سماعاً ذا فائدة الا لمن يؤمن.

القـراءة بـالجـرفي «العُمْيِ» والنَّصْب جائـز، بهَـادِ العُمْيَ عن ضلالَتِهِمْ. فالقـراءة بالجرّ، فأمـا النَّصْبُ فإن كـانت فيها رِوَايـةٌ، والا فَلَيْسَت القراءة بها جائزة، لأن كل ما يُقْرأُ به ولم يتقدم فيه رِوَايةٌ لِقُرَّاء الأمصار المتقدِّمِينَ فالقراءة به بِدْعَةٌ وإن جاز في العربية، والعمـل في القراءة كلها على اتباع السُّنَّةِ.

وقوله عـز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْـدِ ضَعْفٍ قوةً ثُمَّ جَعَل مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُق مَا يَشَاءُ﴾.

تأويله أنه خلقكم من النُّطَفِ في حالِ ضَعْفٍ ثم قـوّاكُمْ في حال الشبيبة ثم جَعَل بَعْدَ الشَّبِيبةِ ضعفـاً وَشَيْبةً. وروي في الحـديث أن ابن عمـر قال: قـرأتُ على النبي ﷺ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ من ضَعْفٍ...﴾ قال فأقرأني من ضُعْفٍ، وقرأ عطيةُ على ابن عمر من ضَعْفٍ فأقـرأه من ضُعْفٍ، وقال له: قرأتُها على النبي ﷺ من ضَعْفٍ فأقرأني من ضُعْفٍ، فالذي روى عطية عن ابن عمر عن النبي ﷺ [من ضُعْفٍ] بالضَّم، وقـد قِرِئَتْ بفتح الضَّادِ، والاختيارُ الضَّمُّ، للرواية.

وقوله عز وجل:﴿وَيَـوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ﴾.

يعني يـوم القيامَـةِ، والسّاعَـةُ في القُرآنِ على معنى السـاعة التي تقـوم فيهـا القيـامـة فلذلـك تـرك ذِكْـرَ أَنْ يُعَـرِّف أَيُّ سَـاعَـةٍ هي.

﴿يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ﴾: يَحْلِفُ المجرمون.

﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾.

أي ما لبثوا في قُبورهم الا ساعةً واحدة.

﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾.

أي مثل هذا الكَذِبِ كذبهُم لأنهم أقسموا على غَيْر تحقيق.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ البَعْثِ﴾.

أي في علم اللَّهِ المُثْبَتِ في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ.

وقوله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

أي إنّ ما وَعَدَك اللّه من النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّك حق، وإظهار دين الاسلام حقٌّ.

﴿ولا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾.

أي لا يستفزَّنَّكَ عن دِينَكِ الذين لا يوقنون، أي هم ضُلَّالٌ شَاكُّونَ.

سُورَةُ لُقْمَان
مكية

ما خَلاَ ثلاث آيات منها مَدَنِيَّـة، قولـه: ﴿ولو أن مـا في الأرْضِ﴾ إلى تمام الثلاث إيات[1].

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿آلم﴾: قال ابن عباس معنى «آلم» أنا اللَّه أعلم، وقد فسرنا في سـورة البقرة جميعَ ما قيل في «آلم» وما أشبهها.

وقوله:﴿تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ الحَكِيمِ﴾.

معنـاه هـذه الآيـات، تلك الآيـات التي وُعِـدْتُم بهـا في التَّـوْرَاةِ ويجوزُ أن يكون بمعنى هذه آيات الكتاب، وقد تقـدم تفسير مثـلِ هذا من سورة البقرة أيضاً.

وقوله:﴿هُدًى وَرَحْمَةً للمُحْسِنِينَ﴾.

القراءة بالنصب على الحال، المعنى تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة.

---

(١) جرياً على عـادته في كثيـر من السور يضـع البسملة قبل عنـوان السورة وقـد نبهنا لهـذا من قبل وآثرنا وضع البسلمة قبل بداية السورة وبعد كتابة العنوان، والصواب أن يقال: الثلاث الآيات.

وقوله عـزو جل:﴿وَمِنَ النَّـاسِ مَنْ يَشْـتَرِي لَهْـوَ الحَدِيثِ لِيَضِـلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

ويقرأ: لِيُضِلَّ عن سبيل اللَّه.

فأكثر ما جاء في التفسيـر أنَّ «لَهوَالحديث» ههنا الغِنَـاءُ لأنه يُلْهِي عَنْ ذكر اللَّه، وقد روي عن النبي ﷺ أنـه حرم بيـع المغنية. وقـد قيل في تفسيـر هذه الآيـة إن لهو الحـديث ههنا الشـركُ، فمن قرأ لِيُضِـلَّ -بضم الياء- فمعناه ليضل غيرَهُ، فـإذا أضلَّ غيـرَهُ فقد ضَـلَّ هُوَ أيضـاً، ومن قـرأ لِيَضِلَّ فمعنـاه ليصير أمـرُه إلى الضَّلاَلِ، فكَـأَنـه وَإنْ لم يَكُنْ يُقَدِّرُ أنه يَضِلّ فسيصير أمره إلى أنْ يَضِلَّ.

وقوله:﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً﴾.

أي يَتّخِذَ آياتِ اللَّه هُزُوًا، وقد جرى ذكر الآيـات في قولـه:﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾. وقد جاء في التفسيـر أيضاً أن قـوله:﴿وَيَتَّخِـذَهَا هُزَواً﴾ يَتّخِذَ سَبيلَ اللَّه هُزَوًا.

وقـولـه:﴿خَلَقَ السَّمَـواتِ بِغَيْـرِ عَمَـدٍ تَـرَوْنَهـا وَأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ الآية.

وصف اللَّه عـز وجل خَلْقَـه الذي يَعْجِـزُ المَخْلُوقُونَ عن أن يـأتوا بمثله، أَوْ يَقْـدِرُوا على نَوْعٍ منـه ثم قال:﴿هَـذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَـاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِه﴾.

وقوله:﴿بغير عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾، قيل في التفسير إنهـا بِعَمَدٍ لاَ تَـرَوْنَهَا، أي لا تـرون تلك العَمَدِ، وقيـل خلقها بغيـر عَمَدٍ وكـذلك تـرونهـا[1].

(١) جملة «ترونها» إما مستأنفة، أي ترونها كذلك،وإما صفة لعمَدٍ أي بغير عَمَدٍ مَرْئيةٍ، ويفسـر بغير عمد أصلاً، أو بعمد لا ترى.

والمعنى في التفسير يؤول إلى شيء وَاحِدٍ، ويكون تأويل «بغير عمد ترونها الذي فُسِّرَ بعَمدٍ لا ترونها. يكون معنى العمد قدرته عز وجل التي يمسك بها السماوات والأرض.

﴿وَأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾.

﴿رَوَاسِي﴾ جبالٌ ثَوابِتُ، كما قال - عز وجل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً. وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[1]. فمعنى ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ كَراهةَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، ومعنى «تميد» تتحرك حركة شَدِيدَةً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ للَّهِ﴾.

معناه لأن تشكر للّه، ويجوز أن تكون «أَنْ» مُفَسِّرةً، فيكون المعنى أي اشْكُرْ للّه تبارك وتعالى: وتأويل «أن اشكر للّه» قُلنَا له: أشكر للّه على ما آتاك.

وقد اختلف في التفسير في لقمانَ فقيل: كان نبياً، وقيل: كان حكيماً، وقيل كان رَجُلاً صَالِحاً، وقيل: كان حبشياً غليظ المَشَافِرِ مُشَقَّقَ الرِّجْلَيْنِ ولكنَّ اللَّهَ آتاهُ الحكمةَ، فلسنا نشك أنه كانَ حكيماً لقول اللّه عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الحِكْمَةَ﴾. وقيل كان نَجَّاراً وقيل كان خيَّاطاً، وقيل كان رَاعِياً.

وَرُوِيَ في التفسير أَنَّ إنساناً وقف عليه وهو في مجلسه فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ الَّذِي كُنْتَ تَرْعَى مَعي في موضع كذا وكذا، قال: بلى، قال فما بلغ بكَ ما أَرَى؟ فقال: صِدْقُ الحَدِيثِ والصَّمْتُ عَمَّا لا يعنيني.

وقوله: ﴿[وَإِذْ] قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾.

---

(١) سورة النبأ الآية ٦ و٧.

موضع «إذْ» نَصْبٌ بقوله:﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ أي ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال، لأَن هذه المَوْعِظَةَ حكمةٌ.

وقوله:﴿إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

يعني أن اللَّه هُوَ المحيي المميتُ الرّازِق المُنْعِمُ وحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فإذا أَشْرَكَ به أَحَدٌ غيره فذلك أعظَمُ الظُّلْمِ لأنه جَعَل النِّعْمَةَ لِغَير رَبِّهَا، وَأَصْلُ الظُّلْمِ في اللغة وضع الشيء في غير مَوْضِعِه. وقد بيَّنا ذَلِكَ فِيمَا سَلَفَ من الكِتَابِ.

وقوله عز وجل:﴿وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ، وَفِصَالُه فِي عَامَيْنِ أَنِ آشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾.

جاء في التفسير وهناً على وَهْنٍ، ضَعْفاً على ضَعْفٍ، أي لَزِمَهَا لحملها إياه أن ضَعُفَتْ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ. وموضع «أَنْ» نَصْبٌ بوصَّيْنَا. المعنى وصَينا الانسان أن اشُكره لي ولوالديك، أيْ وَصَّيْنَاه بشكرنا وَبِشُكْرِ والديه.

وقوله عز وجل :﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾.

يُرْوَى أَنَّ سَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاصٍ ذكر أن هذه الآية نَزَلَتْ بسببه، وذلك أنه كان أَسْلَمَ فحَلَفَتْ أُمُّه أَلَّا تأكُلَ طعاماً، ولا تشرب شراباً حتى يَرْتَدَّ إلَى الكُفْرِ، فمكثت ثلاثاً لا تطْعَمُ ولا تَشْرَبُ حتى شَجَرُوا فاها - أي فتحوه - بعِودٍ. حتى أكلت وشربت، وَيُرْوى أنه قال: لو كانت لها سَبْعُونَ نَفْساً فخرجت لما ارتْددْتُ عَنِ الاسلام.

وقوله عز وجل:﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾.

يقال: صَاحَبْتُه مُصَاحَباً وَمُصاحَبَةً. ومعنى المعروف ما يستحسن من الأفعال.

﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾.

أي اتَّبِعْ سَبِيل مَنْ رَجَع إليَّ.

وقوله:﴿يَا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾.

وتقرأ مثقالُ حَبةٍ. الآية إلى قوله ﴿لطيف خبير﴾[1] أي لطيف في استخراجها خبير بمكانها. ويقال في صخرة، أي في الصخرة التي تحت الأرض.

ويروى أن ابن لقمان سأل لقمانَ فقال: أَرَأَيْتَ الحَبَّةَ تَكُونَ في مَقْلِ البَحرِ[2]، أي في مغاص البحر أَيَعْلَمُهَا اللّه. يقال مَقَلَ يَمْقُل إذا غاصَ، فَأَعْلَمَهُ أنَّ اللّه ـ عز وجل ـ يعلم الحَبَّةَ حيث كانت، وفي أخفى المواضع، لأن الحبَّة في الصخرة أخفى من الماء، ثم أعلمه أَنَّهَا حيث كانت يَعْلَمُها بلُطْفِه ـ عز وجل ـ وخِبْرَتِه.

وهذا مثلٌ لأعمال العِبَادِ أَنَّ اللّه يأتي بأعمالهم يومَ القيامة فمن يعمل مثقالَ ذرَّة خيراً يرَهُ، ومن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ شراً يَره.

فأما رفع «مثقال» مع تأنيث «تك» فلأن مِثْقَالَ حبة من خردل راجع إلى معنى خَرْدَلَةٍ، فهو بمنزلة إن تك حَبَّةٌ من خردل. ومن قرأ: إنها إن تك مثقالَ حبة ـ بالنصب ـ فعلى معنى انَّ الّتي سَألْتني عنها إن تك

---

(١) تمام الآية: ﴿يا بني إنها إن تَكُ مثقال حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ فَتَكَنْ في صَخْرةٍ أَوْ فِي السَّمواتِ أَو في الأرْضِ يَاتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

(٢) في غوصه وأعماقه

مثقـال حبة، وعلى معنى أنَّ فَعْلَةَ الانسـان وإن صَغُرَتْ يـأت اللّه بها، ويجوز أنها إن تك بالتـاء مثقال حبـة من خردل، على معنى انَّ القصـة كما تقول(١): انهـا هند قـائمةٌ، ولـو قُلْتَ انها زيـد قائم لجـاز، إلاَّ أن النحـويين يختارون ذلـك مَعَ المُـذَكَّرِ، ويجيزون مـع المؤنث التـأنيث والتذكير، يقـولون: انَّـهُ هِنْدٌ قَـائِمَةٌ، وانهـا أمة اللّه قـائمة. فيجيـزون الوَجْهَيْن. فأما انها إن تَكُ مثقَالَ حَبَّةٍ من خردل عنـد من لا يجيز «إنَّهـا زَيْدٌ قَائِمٌ»، فيجوز عنده هـذا لأن مَعْنَاه التـأنيث بِرَدّ «مـا» إلى الحبَّةِ من الخردل.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾.

ويقرأ تُصَاعِرُ، ويجوز في العربية: ولا تُصْعِرْ، ولا أعلم أحَداً قرأ بها، فإذا لـم ترو فلا تقرأ بها، ومعناه لا تُعْرِضْ عن الناس تَكَبُّراً، يقال أصاب البعيرَ صَعَرٌ وصَيَدٌ إذا أَصَابه دَاءٌ فلوى منه عنُقَهُ، فيقـال للمتكبر فيه صَعَرٌ، وفيه صَيَدٌ، فـأما تُصَعِّـر فعلى وجه المُبَـالَغَة، ويصـاعر جـاء على معنى يُفَاعِل، كأنك تُعَارِضُهُمْ بِوَجْهِـك. ومعنى تُصْعِرْ تلزم خَـدَّك الصَّعَرَ، لأنه لا داء بالانسان أَدْوَأ من الكِبْرِ.

والمعنى في الثـلاثـة هـذا، المعنى، إلاَّ أن تُصَعِّـرْ وَتُصَـاعِـرْ أَبْلَغُ [من تُصْعِرْ].

وقوله:﴿وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً﴾.

أي لا تَمْشِ(٢) مُتَبَخْتِراً مُخْتَالاً.

وقوله عز وجل: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾.

---

(١) أي ان الضمير في إنها إن تك ـ ضمير الشأن والحالة.

(٢) في الأصل: لا تمشي.

معنى اغْضُض انقص، ومن ذلـك غضضت بَصَرِي، وَفُـلَانٌ يَغُضّ بَصَرَهُ من فُلَانٍ أي يتنقَصُّهُ.

ومعنى:﴿أَنْكَرُ الأَصْوَاتِ﴾، أقبح الأصوات، يقـال: أَتَانَا فُلانٌ بـوجه مُنكَر الخِلْقَةِ، أي قبيح.

وقوله عز وجل:﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لكم مَـا فِي السَّمَواتِ وَمَـا فِي الأَرْضِ﴾.

تسخيـر مـا في السمـوات الشمس والقمـرُ والنُّجُـومُ، ومعنى تسخيرها للآدميين الانتفاع بها في بلوغ مَنَابِتهم[1]، والاهتداء بالنجوم فِي مَسَالِكِهِمْ، وتسخير ما في الأرض تسخير بحارها وأنهـارها ودوابهـا وجميع منافعها.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

ويقرأ﴿نِعَمَهُ﴾على الجمـع. فمن قرأ نعمـةً فعلى معنى ما أعـطاهم من توحيده عز وجل، ومن قرأ نِعَمَهُ فعلى جَميعِ مَا أَنْعَمَ به عَلَيهِمْ.

قوله عزوجل: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾.

أي من أسلم فقـد استمسك بقـول: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَهِيَ العُـرْوَةُ الوُثْقَى.

وقوله تعالى:﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

ويقرأ «والبحرُ» بالرَّفْعِ.

---

(١) ما يستنبتونه ويثمرونـه من النبات.

فأمَّا النصبُ فعطفٌ على «ما» والمعنى ولو أن ما في الأرْضِ ولـو أن البحرَ، والرفع حسن على وجهين على معنى. والبحرُ هَذِه حَاله[1]، ويجوز أن يكون معطوفاً على موضع إن مع ما بعدها لأن معنى لو أَنَّ ما في الأرض لَوْ وقع ما فِي الأرْضِ، لأن «لو» تطلب الأفعال فـإذا جاءت معها إنَّ لم تذكر معها الأفعال، لأنه تذكر معها الأسماء والأفعال[2].

وقوله عز وجل: ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.

معنـاه ما انقـطعت، ويروى أَنَّ المشـركين قالـوا في القـرآن: إنَّ هَذا كلامٌ سَيَنْفَدُ، وسيقطع، فأعلم اللَّه عز وجل أَنَّ كَلِمَاتِـه وحكمتَهُ لا تَنفدُ.

وقوله: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾.

تـأويله الا كخلق نفس وَاحِدَةٍ، وكبعث نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ، أي قُـدْرَةُ اللَّهِ عَلَى بعث الخلق أجمعين وعلى خلق الخلق أجمعين كَقُدْرَتِه على خلق نفسٍ واحدةٍ وبعث نفس وَاحِدَةٍ.

وقوله: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾.

معناه يدخل الليل في النهار، لَيْلَ الصيف في نَهاره.

﴿وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

يدخل نهار الشتاء في ليله.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِي فِي البَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾.

ويقـرأ بِنِعِمات اللَّه، ويجـوز بِنَعْمَات اللَّه، ويجـوز بِنِعْمَـات اللَّه

(١) أي هي جملة مستأنفة.

(٢) لا تذكر الأفعال بعد «لو» إذا كان في حيزها «أن» ـ وبغير أن تذكر الأفعال والأسماء.

بفتح العين ففيها ثلاثة أوجه إذَا جُمِعَتْ، وأكثر القراءة بنعمة اللَّهَ على الواحدة، وأما الكسر فعلى [مذهب] من جَمَع كِسْرةً على كِسِرَاتٍ، ومَنْ أَسْكن وهو أجود أَوْجُهِهِ[1] فعلى من جمع كِسْرات، لأن كِسْراتٍ بقل مثله في كلام العَرَبِ، إنما جاء في أصول الأبنية ما توالت فيه كسرتان نحو إبل وإطِل فقط، ومن قرأ بِنِعَمَات اللَّه فلأن الفتح أخف الحركات، قال الشاعر:[2]

ولما رأونا بادياً رُكَبَاتُنَا على مَوْطِنٍ لا نَخْلِطُ الجِدَّ بالهَزْلِ

والأكثر رُكَبات، ورُكْبَات أَجْوَدُ لِثِقَلِ الضَّمَّةِ، ولكنه أكثر من الكلام من نِعِمَات، وكِسِراتٍ.

وقوله عز وجل:﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

روى قتادَةُ أن أحبَّ العِبَادِ إلَى اللَّه مَنْ إذَا أُعْطي شَكَرَ وإذا ابْتُلِيَ صَبَرَ. فأعلم اللَّه - عز وجل - أَنَّ المُعْتَبِرَ المُتَفَكِّرَ في خلق السموات والأرض هو الصبار الشكور.

وقوله عز وجل:﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾.

قال في الموج: «كَالظُّلَلِ» لأنّ موج البحر يعظمَ حتى يصيرَ كأَنَّهُ ظُلَلٌ.

وقوله: ﴿خَتَّارٍ كَفُورٌ﴾.

الخَتْرُ أَقبح الغَدْرِ.

وقوله عز وجل:﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِه شَيْئاً﴾.

---

(١) ليس إسكان العين وجها جيداً.

(٢) تقدم جـ ١/ ٢٤١.

«جازٍ» في المصحف بغير ياء، والأصْلُ جَازِيٌ. وَذَكَر سيبويه والخليل أن الاختيار في الوقف هُوَ جَازْ، بغيرياء والأصل جازيٌ بضمة وتنوينٍ، فَثقُلَتِ الضَّمةُ في الياء، فحذفت وسكنت الياء والتنوين فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وكان ينبغي أن يكونَ في الوقف بياءٍ لأن التنوين قد سقط ولكن الفُصحَاءَ مِنَ العَرَبِ وقفوا بغير ياء لِيُعْلمُوا أن هذه اليَاءَ تَسْقُط في الوصل. وزعم يُونُس أن بعض العرب الموثوقِ بهم يقف بياء، ولكنَّ الاخْتِيار اتباعُ المصحف والوقف بِغَيْر يَاءٍ

وقوله عز وجل:﴿وَلاَ يَغُرَّنَكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾.

﴿الغَرور﴾ الشيطان.

وقوله عز وجل:﴿إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غداً وما تدرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

جاء في التفسير أن هذه الخمسَ مفاتحُ الغَيْب التي قال اللَّه عز وجل [فيها]: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتح الغَيْب لا يعلمها إلاَّ هُوَ﴾[1] فمن ادَّعى أنه يعلم شيئاً من هذه فَقد كَفَرَ بالقُرآنِ، لأَنَّهُ قَدْ خَالَفَهُ.

(١) سورة الانعام الآية ٥٩.

سُورَةُ السَّجدة
مكية

إلا ثلاث آيات منها مدنية، ﴿[أَفَمَنْ كانَ مُؤمِناً كَمن كانَ فَاسِقاً﴾ إلى تَمامِ الثلاثِ آيات[1].

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿الم. تَنْزِيلُ الكِتابِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

روى أحمد بن حنبل بإسناد له أن النبيّ ﷺ كان يقرأ في كل لَيْلَةٍ سورةَ السَّجْدَةِ «الم تنزيل»، وسورة «تبارك الملك»، وروى كَعْبُ الأحبار أنه قال: من قرأ سورة السجدة كَتبت له سَبْعُونَ حسنةً وحُطَّتْ عَنْهُ سبعونَ سَيِّئَةً وَرَفعَتْ له سَبْعُونَ دَرَجَة.

وقوله: ﴿الم. تنزيل الكتاب﴾ قد شرحنا ما قيل في «الم»، ورفع «تنزيل» على خبر الابتداء على إضمار الذي نتلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون في المعنى خبراً عن «الم»، أي «الم» مِنْ تنزيل [الكتاب] ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء لَا رَيْبَ فيه.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾.

معناه بل أيقولون افتراه.

---

(١) الصحيح أن يقال الثلاث الآيات.

وقوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وَمِثْلُهُ ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْـذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾(١)، و«ما» في جميع الموضعين نَفْيٌ، أي لم يشاهدُوا هُمْ ولا آباؤهم نبياً. فأما الانذار بما تقدم من رسل اللَّه صلى اللَّه عليهم فعلى آبـائهم به الحجـة، لأن اللَّه عز وجـل لا يُعَذِّبُ إلا من كفـر بالـرُّسُـل، والدليل على ذلك قوله:﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

قوله:﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾.

أعلم اللَّه عـز وجل أنـه يُـدَبِّـرَالأمْـرَ من السَّمـاء إلى الأرض، ثم يعـرج الأمر إليـه في يوم، وذلـك اليوم مقـداره ألفُ سَنَةٍ ممـا تعدُّونَ. ومعنى يَعْـرُج ينزل ويَصْعَدُ يقال عَرَجْتُ في السِّلْمِ أَعْرُجُ، ويُقَـالُ عَرِج يَعْرَجُ إذا صار أَعْرَجَ.

وقوله تعالى:﴿الذي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾.

وقد قرئ﴿خَلَقَهُ﴾ـ بتحريك اللام وتسكينها جميعاً ـ ويجـوز خَلْقُهُ بالرفـع ولا أعلم أحداً قـرأ بها. فـأما «خَلَقَـهُ» فعلى الفِعْلِ المَـاضِي. وتأويل الإحْسَانِ في هذا أنه خَلَقَهُ على إرادَته فخلق الإنْسَانَ في أحسن تَقْوِيمٍ، وخلق القِرْدَ على مـا أحب ـ عز وجـل ـ وخَلْقُه إيـاهُ على ذلك مِنْ أَبْلَغِ الحكمةِ. ومن قرأ خَلْقَـهُ بتسكين اللام فعلى وَجْهَيْنِ أحـدهما المَصـدَرَ الذي دل عليـه أَحْسَنَ، والـمعنى الذي خلق كـل شيء خلقه، ويجوز أن يكون على البَدَلِ فيكون المعنى الذي أَحْسَنَ خَلْقَ كُلَّ شيء خَلَقَهُ، والرفعُ على اضمار: «ذَلِكَ خَلْقُه».

وقوله عز وجل:﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الانْسَانِ مِنْ طَينٍ﴾.

---

(١) سورة يس الآية ٦. (٢) سورة الاسراء ١٥.

يعني آدم وَذُرِّيَّتَهُ، فـآدم خلق من طين.

﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلاَلَـةٍ مِنْ مَـاءٍ مَهِينٍ﴾.

ومعنى مَهِين ضَعِيفٌ، ومعنى السـلالـة في اللغـة مـا ينسَـلُّ من الشيء القليل، وكذلك الفعالةُ نحو الفُضَالَةُ والنُّخامَةُ والقُوارةُ[1].

وقـوله عـز وجل:﴿وقـالوا أئِـذَا ضَلَلْنَـا فِي الأرْضِ أئِنَّـا لَفِي خلق جَدِيدٍ﴾.

ويقرأ أَنَّا لَفِي خلق جَدِيدٍ، ويقرأ إنَّا لَفِي خَلْق جَديدٍ[2]، ومـوضع «إذَا» نصبٌ، فمن قرأ «أَئِنَّا» فعلى معنى أَنُبْعَث إذا ضَلِلْنَا في الأرْضِ، وَيَكُونُ يَدُلُّ عَلَيه «إنَّا لَفِي خَلْق جَـدِيدٍ»، ومن قـرأ إنا لفي خلق جـديد فإذا منصوبة بضللنا، ويكون بمعنى الشرط والجزاء، ولا يضر ألاَّ يذكر الفـاء، لأن «إذَا» قد وليهـا الفعل المـاضي، ولايجوز أن ينتصبَ «إذا» بمـا بعْدَ «أنَّ»، لا خـلاف بين النحويين في ذلـك، ومعنى «إذَا ضَلَلنَا» إذا مُتْنَـا فَصِرْنَـا تُـرابـاً وعـظامـاً فَضَلِلْنَـا في الأرض فلم يتبيَّنْ شيء من خَلْقِنَا، ويقرأ صَلَلْنَا بالصَّادِ، ومعناه على ضربين أحدهما أَنْتَنَّا وَتَغَيَّرْنَا، وتَغيَّـرَتْ صُوَرُنـا، يقال صَـلَّ اللحم وَأَصَـلَّ إذا أَنْتَنَ وَتَغيَّـرَ، والضَّـرب الثَّاني صَلَلْنَا صرنا من جِنْسِ الصَّلَّةِ، وهي الأرض اليابسة.

وقوله:﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ﴾.

من تَوْفِيَةِ العَـدَدِ، تأويله أنـه يقْبِضُ أَرْواحَكُم أَجْمعين فلا ينقص واحدٌ منكم، كما تقول: قد استَوْفَيْتُ مِنْ فُلاَنٍ وتـوفَّيْتُ من فـلان مالي عنده، فتأويلُه أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لي عَلَيه شيء.

---

(١) القوارة ما قور من الثوب وغيره مثل قوارة الجيب والبطيخ.

(٢) أي بالاثبات بدون استفهام وإنا مفتوحة الهمزة ومكسورتها.

وقوله:﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ المُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

هذا متروك الجواب، وخِطابُ النبي ﷺ خطابُ الخلق. الدليل عليه ذلك:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُم النِّسَاءَ..﴾ فهو بمنزلة وَلَوْ تَرَوْنَ فالجواب لرأيتم ما يعتبر به غاية الاعتبار.

وقوله:﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾.

فيه إضمار «يَقُولُون» رَبَّنا أَبْصَرْنا.

وقوله:﴿وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.

تأويله مثل قوله:﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لِجَمَعَهُم عَلَى الهُدَى﴾[1]، ومثله ﴿فَظَلَّتْ أعناقُهُمْ لها خَاضِعِينَ﴾[2].

وقوله:﴿وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّم مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

قال قتادة بذنوبهم، وهذا حسن، لأن اللّه عَزَّ وَجَلَّ قال:﴿إِنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾[3].

وقوله:﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾.

تأويل النسيان ههنا التَّرْكُ، المعنى فذوقوا بما تركتم عمل لقاء يومكم هذا فتركناكم من الرحمة.

وقوله عزل وجل:﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمعاً﴾.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٣٥ أي لو شاء جمعهم لجمعهم.
(٢) سورة الشعراء، الآية ٣. ﴿إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ آيةً فَظَلَّتْ...﴾.
(٣) سورة الطور الآية ١٦.

معنى «تتجافى» ترتفـع وَتُفَارِقُ المضـاجعَ، ومعنى «خـوفـاً وَطَمَعاً» خوفاً من عذاب اللّه وطمعاً في رحمة اللّه. وانتصاب «خوفاً» و «طَمَعاً» لأنـه مفعول لـه، كما تقـول: فَعَلْتُ ذلك حِـذَارَ الشَّرِ أي لِحـذارِ الشَّـر وحقيقته أنه في موضع المصدَرِ، لأن «يَدْعُـونَ رَبَّهُمْ» في هذا المـوضع يـدل على أَنَّهُم يَخَافُـونَ عذابَـه ويَرْجُـونَ رَحْمَتَـهُ، فهـو في تـأويـل يَخَـافُـونَ خوفاً ويطمعون طمعاً.

وقوله:﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

أي ينفقون في طاعـة اللّهِ، وقد اختلف في تفسيـرها، وأكثـر ما جـاء في التفسيـر أنهم كـانـوا يصلون في الليـل وقت صـلاة العتمـة المكتوبة لا ينامون عنها، وقيل التـطوع بين الصلاتين، صـلاة المغرب والعشاء الآخرة.

وقوله:﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

دليـل على أنهـا الصَّـلاَةُ في جَـوْفِ اللَّيْـلِ، لأنـه عمـل يستسِـرُّ الإِنْسَانُ به فجعل لفظ ما يجازى به «أُخْفِيَ». ويقـرأ بـإسكـان الياء[1]، ويكـون المعنى ما أخفي أنا لهم. اخبار عن اللّه. وإذا قـرئت: أُخفِيَ لهـم مـن قـرة أعْينٍ - بفتـح اليـاء - فعلى تـأويـل الفعـل المـاضي، ويكـون اسم ما لم يسم فـاعله مافي أُخْفِيَ من ذكـر «ما»[2] وقرأ النـاس كلهم من قُـرَّة أَعْيُنٍ إلاَّ أبا هُـرَيْرَةَ فـإنه قـرأ من قُرَّاتِ أَعْيُنٍ. ورواه عن النبي ﷺ.

جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.

(١) في أُخْفِي. أي عبر عن مجازاته بكلمة «أخفى» لإخفائه صلاته.

(٢) نائب الفاعل هو الضمير المستتر العائد على «ما».

«جزاء» أيضاً منصوب مفعول لـه. وقرئت: فـلا تعلم نفسٌ ما أَخْفَى لَهُمْ، أي ما أخفى اللّه لهم.

وقوله: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُون﴾.

جاء في التفسير أنها نزلت في علي بن أبي طـالب عليه السـلام، وعُقْبَـةَ بنِ أَبي مُعَيْطِ. فالمؤمن عَلِي رضـي اللّه عنـه، والفـاسقُ عقبـة ابن أبي معيط، فشهد اللّه لِعلي بالإيمان وأنه في الجنة بقوله:

﴿أَمَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المَأْوَى﴾.

وقال: ﴿لا يستوون﴾، ولو كان قال: لا يتسويان لكان جَـائزاً. ولكن «مَنْ» لفظها لفظ الواحد، وهي تدل على الواحِـد وعلى الجماعـة فجاء «لا يَسْتَوُونَ» على معنى لا يستـوي المؤمِنُـونَ والكَـافِـرُونَ، ويجـوز أن يكونَ «لا يَسْتوُونَ» للاثنين، لأن معنى الاثنين جماعة.

وقـولـه عـز وجـل: ﴿وَلَنُـذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَـذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَـذَابِ الأَكْبَرِ﴾.

الأدنى ما يصيبهم في الدنيا، وقد اختلف في تفسيرها، فقيل: ﴿ما يصيبهم من الجدب والخوف، ويكون دليل هذا القول قوله: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَـيءٍ مِـنَ الـخَـوْفِ والـجُـوعِ وَنَـقْصٍ مِـنَ الأَمْـوَالِ وَالأَنْـفُسِ والثَّمراتِ﴾[1]، وقيل «العذاب الأدنى» ههنا السِّبَاءُ والقتل، وجملته أن كل مـا يعذَّبُ بـه في الدنيـا فهو العـذاب الأدنى، والعذاب الأكبـر عـذاب الآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥.

جـاء في التفسير لا تكن في شـك من لقاء مـوسى عليه السـلام، ودليـل هـذا القـول في التفسيـر قـولـه: ﴿واسْـأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَـا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾(١)، فالمعنى لا تكن يـا محمد في مِـرْيةٍ من لقـائـه، والخـطابُ للنبي عليه السلام بمنزلة الخطاب له ولِأُمَّتِهِ في هذا الموضع، أي فـلا تكونوا في شك من لقاء النبي عليه السلام بموسى، وَقِيلَ «فَلَا تَكُنْ فِي مِـرْيَةٍ من لقـائه» أي من لقـاء موسى الكتـاب(٢)، وتكون الهاء للكتاب، ويكون في لقائه ذكرُ مُوسى، ويجوز أن يكون الهاء لمـوسى، والكتاب محذوف، لأن ذكر الكتاب قد جرى كما جرى ذكر موسى.

وهذا والله أعلم أشبه بالتفسير

وقوله:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

أكثر البصريِّينَ لا يجيزون«أَئِمةً»بهمـزتين، وابن أبي إسحاق وحدَهُ يجيـز اجتماعَ هَمْـزَتين، وسيبويـه والخليل وجميـع البصريين - إلّا ابنَ اسحاق- يقولون أيِمَّة - بهمزة وياء - وإذا كانَ الهمزتان في كلمة وَاحِدَةٍ لم يجيزوا إلا ابدال الثانية في نحو أَيِمَّة وآدم، ومـن قرأ أَئِمـةً لَزِمَـه أَنْ يَقُول في «آدم» أَأْدَم» لأنه أفعل من الأدْمَةِ، وأئمـة أَفْعِلَة، ولا ينبغي أن تقرأ إلّا أيِمَّةَ، لأن من حقَّق الهمـزة فيما يجـوز فيه تخفيفُ الهمـز أجاز التخفيف فكـذلـكِ هـو يجيـز التخفيف في أيمـة، فتصيـر قـراءة أَيِمَّـة إجماعاً.

وقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾.

وَلِمَا صَبروا، والقراءة بالتشديد والتخفيف في «لَمَّـا»، فالتخفيف معنـاه جعلناهم أئمـة لِصَبْرِهِمْ، ومن قـرأ «لمَّا» صَبَـروا فـالمعنى مَعنى

(١) سورة الزخرف الآية ٤٥.

(٢) لقائه بمعنى تلقيه.

حكاية المجازاة. لَمَّا صَبَرُوا جعلناهم أئمة، وأصل الجزاء في هذا كأَنَّهُ قيل إن صَبرتُمْ جعلناكم أئمةً، فلما صبروا جُعِلوا أَئِمةً.

وقوله عز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾.

وقرئت بالنُّونِ «أَوَ لَمْ نَهْدِ لَهُمْ». وزعم بعض النحويين أن «كم» في موضع رفع بـ «يَهْدِ» والمعنى عنده أو لم نُبَيِّنْ لهم القرون التي أهلكنا مِنْ قَبْلِهِمْ. وهذا عندنا ـ أعني عند البصريين ـ لا يجوز، لأنه لا يعمل ما قبل «كم» في «كم»، لايجوز في قولك كم رَجُلٍ جاءني، وأنت مخبر أن تقول جاءني كم رجل، لأن كم لا تُزَالُ عن الابتداء[1]، ولذلك جاز أن يفصل بينها وبين ما عملت فيه إذَا نصبت بما في الخبر والاستفهام تقول في الخبر:

كَمْ بجودٍ مُقْرِفاً نالَ الغِنَى[2]

---

(١) لا تحول عنه.

(٢) هو شطر من أبيات لأنس بن زنيم الصحابي الجليل، وقد وجه بهذه الابيات الى عبيد اللّه بن زياد، وكان وعده بشيء ثم أبطأ فبعث اليه يستعطفه منها:

سل أميري ما الذي غيره ... عن وصالي اليوم حتى ودَعَه
لا تهني بعد إكرامك لي ... فشديد عادة منتزعة
لا يكن وعدك برقاً خلّباً ... إن خير البرق ما الغيث معه
كم يجود مقرفاً نال العلا ... وكريم بخله قد وضعه

والمقرف المهجن أو الوضيع الأصل ـ ويونس يرى جواز الفصل بين كم الخبرية وتمييزها المضاف إليه بالظرف ـ وهو هنا منصوب ـ والتقدير كم مقرفاً. وفي الأبيات شاهد آخر على استعمال ماض لودع ـ في البيت الأول، ويروى أيضاً:

ليت شعري عن خليلي ما الذي ... غاله في الود حتى ودعه

ومثل هذا بيت أبي سويد في عينيته:

فسعى مسعاته في قومه ... ثم لم يدرك ولا عجزاً ودع

انظر الخزانة جـ٣/١٢١، ١٢٢، وشرح شواهد الشافية ص ٥٢.

ففصلت بين «كم» وبين قولك مقرفاً بِقَوْلِكَ «بجودٍ»، فيكون الفَصْلُ فيها بين كم وما عملت فيه عِوَضاً من تصرفها، الا ترى أنه لا يجوز عشرون عندي درهماً، ويجوز في الخبر كم عندي دِرهماً جَيِّداً.

وحقيقة هذا أن «كم» في موضع نصبٍ بأهلكنا، وفاعل «يَهْدِ» ما دل عليه المعنى مما سلف من الكلام، ويكون «كم» أَيْضاً دليلا على الفاعل في يهدي، ويدل على هذا قراءة من قرأ أو لم نَهْدِ - بالنُّونِ - أي ألم نبين لهم. ويجوز أيضا على «يهد» بالياء - أن يكون الفعلُ للَّه - عز وجل - يدل عليه قراءة من قرأ «أَوَلَم نَهْدِ».

وقوله - عز وجل -﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ المَاءَ إِلَى الأَرْضِ الجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ﴾.

يُقرأ الجُرُزَ، ويجوز، الجَرَزَ والجُرْز والجَرْز. كل ذلك قد حكي في الجرز.

جاء في التفسير أنها أرض اليَمَنِ، والجرز عند أَهْل اللُّغَةِ الأرض التي لا تُنْبِتُ. وكان أصلها أنها تأكل نباتها، يقال امرأة جَزُورٌ إذا كانت أكولاً، ويقال: سيف جرازٌ ذَا كان مستأصلا. فمن قال جُرْزٌ فهو تخفيف جرُز، ومن قال: جَرَزٌ وَجزرٌ فهما لغتان. ويجوز أن يكون جَرْزٌ مَصْدَراً وُصِفَ به كأنه أرض ذات جَرْزٍ - أعني بإسكان الراء، أي ذَات أكل للنَّبَاتِ.

وقوله:﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾.

ويجوز في «يَمْشون» في مساكنهم: تَمْشُون.

وقوله تعالى:﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

جاء في التفسير أن أصحاب النبي عليه السلام قالوا: يُوشِكُ أن يكون لنا يومٌ نستريح فيه، فقال المشركون: مَتَى هَذَا الفَتحُ إن كُنتُم صَادِقِينَ، فأعلم اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أن الراحة في الجنة في الآخرةِ. وجاء أيضاً في الفتح مَتَى هذا الحَكمُ إنْ كنتم صادقين، ومتى هذا الفَصلُ. فأعلم اللَّه - عز وجل - أَنَّ يَوْمَ الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمَانُهُمْ وَلاَ هم يُنْظَرُونَ.

أَيْ أَنَّهم ماداموا في الدنيا فالتوبة مَعْرُوضَةٌ لَهُمْ ولا توبة في الآخرةِ.

﴿[فَأَعْرِضْ عَنْهم وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ]﴾.

وقرئت: فانتظر انهم منتظرونَ، ومُنْتَظَرونَ.

سُورَة الأَحْزَابِ
مَدَنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾.

معناه اثبُتْ على تقوى اللّه ودُم عَلَيها[1].

وقوله:﴿إنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

أي كان عليماً بما يكون قبل كونه، حكيماً فيما يخلقه قبل خلقه إياه.

﴿واتَّبعْ مَا يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾: يَعْني به القرآنَ.

وقوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّه وَكِيلاً﴾.

معناه وكفى اللّه وكيلاً، دخلت الباء بمعنى الأمر، وإن كان لفظُه لفظَ الخبرَ. المعنى اكتف باللّه وكيلاً.

وقوله عزَّ وَجَلَّ:﴿مَا جَعَل اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِه﴾.

قال ابن عباس: إن النبي ﷺ صَلَّى فسهـا كما يسهـو الرجـال في صلاته وخطرت على باله كلمة فقال المنافقون إنَّ لَه قَلْبَيْن، قلباً معكم وقلبـاً مع أصحـابه. وأكثـر ما جـاء في التفسير أن عبـد اللّه بن خَـطَلٍ

---

(١) في الأصل: ودم عليه.

كانت قُرَيْشٌ تسميه ذا القلبين، وروي أنه قال: إنَّ لي قَلْبَيْنِ أَفْهَمُ بِكلِّ وَاحِدٍ منهما أكثر مما يَفْهَمُ محمّدٌ، فأكذبه اللَّه ـ عز وجل ـ فقال: ﴿ما جَعَل اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْن فِي جَوْفِهِ﴾. ثم قَرَنَ بهذا الكلام ما يقوله المشركونَ غيرُهم مما لا حقيقة له فقال عز وجل:

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾.

وتُقْرَأ تَظَّاهَرُونَ مِنْهُنَّ، فمن قَرأ تُظَاهِرُونَ بالتخفيف فعلى قولك: ظاهر الرَّجُلُ من امْرَأَتِه، ومن قرأ تَظَّاهَرُونَ ـ بالتشديد ـ فعلى تظاهر الرَّجُلُ من امْرأته، ومعناه أنه قال لها: أَنْتِ عليَّ كَظَهْرِ أُمِّي، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن الزوجة لَا تَكُونُ أُمًّا، وكانتِ الجَاهِلِيَّة تُطَلِّقُ بهذا الكلام، فأنزل اللَّه كفارة الظهار في سور المجادلة.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَل أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

أي ما جعل من تدعونه ابناً وليس بِوَلَدٍ في الحقيقة ـ ابناً[١]. وكانوا يتوارثون على الهجرة ولا يرث الاعرابي من المُهَاجِر، وَإِنْ كان النَّسَبُ يوجب له الإرث. فأعلم اللَّهُ أَنّ أُولي الأرحام بعضُهُمْ أولى بِبَعْضٍ، وأبطل الإرث بالهجرة.

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾.

أي ادّعاؤكم نَسبَ من لا حقيقة لنسبه قولٌ بِالْفَمِ لا حقيقةَ معنًى تَحْتَهُ.

﴿واللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾.

أي اللَّه لا يجعل الابن غير الابن، وهو يَهْدِي السَّبِيلَ، أي يَهْدِي

---

(١) من تتبنونه تدعونه ابناً هو في الواقع ليس بابن ـ ولم يجعله اللَّه ابناً.

السبيلَ المستقيمة مثل قوله:﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيل﴾[١].

وقوله:﴿آدْعُوهُم لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ آللَّهِ﴾ : أي هو أَعْدَلُ.

﴿فَإِنْ لَمْ تَعلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾.

أي فإنْ لم تعلموا أنّ المدعوَّ ابنُ فُلانٍ فهو أخوكَ في الدِّينِ إذا كان مُؤْمِناً، أي فقل يا أخي.

﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾: أي بَنُو عَمِّكم، ويجوز أن يكون: وَمَوالِيكُمْ - [أي] أَوْلياؤكُمْ في الدِّين.

﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُم جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ولكن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

في هذا وَجْهَانِ، أَحَدُهُما وليس عليكم جناح فيما أَخْطَأْتُمْ بِهُ مِمَّا قد فعلتمُوهُ قَبْلَ أن تُنْهَوْا عن هذا، ولكن ما تعمدَّتْ قَلوبُكم، أَي ولكن الاثم فيما تعمدَّت قُلُوبُكُمْ، و «ما» في موضع جَرٍّ. عطف على «مَا» الأُولَى[٢] المعنى. وليس عليكم جناح في الذي أخطأتم به، ولكن في الذي تعمدت قلوبكم. ويجوز أن يكون: ولا جناح عليكم في أن تقولوا[٣] له يا بُنَيَّ على غير أن تَتَعَمَّدَ أن تجريه مجرى الوَلَدِ في الإِرْثِ.

وقوله عزَّ وَجَلَّ:﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُه أُمَّهَاتُهُمْ﴾.

وفي بعض القراءة: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهُوَ أَبٌ

---

(١) سورة البقرة الآية ١٠٨.

(٢) التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم.

(٣) في الأصل أن تقول له.

لَهُمْ، ولا يجـوز أن تقـرأ بهـا لأنهـا لَيْسَت في المصحف المجمـع عليه. والنبي عليه السلام أبـو الأمـة في الحقيقـة، ومعنى وأَزْوَاجُـه أُمَّهاتُهُمْ، أي لا تحل زوجة النبي ﷺ لأحَدٍ بَعْدَه إذْ هي بمنزلة الأُمّ.

وقـوله: ﴿وَأُولُـو الأرْحَامِ بَعْضُهم أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَـابِ اللَّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهَاجِرِينَ﴾.

أي ذو الرَّحِم بِذِي رَحِمِه أولى من المُهَاجِـر إذَا لم يَكُنْ مِنْ ذَوِي رَحِمِهِ.

وقوله عز وجل:﴿إلاَّ أَنْ تَفْعَلُوا إلَى أَوْلِيَائِكم مَعْرُوفاً﴾.

«إلاَّ أَنْ» استثنـاء ليست مـن الأول المـعنى لكـن فِعْـلُكُم إلَـى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْروفاً جائِزٌ، وهو أن يوصِي الرجـلُ لِمَنْ يَتولاَّهُ بمـا أحب من ثُلُثِهِ، إذَا لـم يكن وارثاً، لأنه لاَ وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ.

﴿كانَ ذَلِكَ فِي الكِتَابِ مَسْطُوراً﴾.

أي كـان ذلك في الكِتـابِ الذي فُـرِضَ فيه الفـرضُ مسـطوراً أَيْ مكتوباً.

وقوله:﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَـاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُـوحٍ وإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بنِ مَرْيَمَ﴾.

موضع «إذْ» نصبٌ المعنى اذكر إذْ أَخَذْنَا، فذكرَهُ اللَّهُ ﷺ في أَخْذِ الميثاقِ قبل نوحٍ. وجاء في التفسير: إنِّي خُلِقْتُ قَبْلَ الانبياء، وَبُعِثْتُ بَعْدَهُمْ. فَعَلى هذا القولِ لا تَقْدِيمَ في هذا الكلام ولا تأْخِيرَ. هو على نَسَقِـه، وَأخِذَ الميثـاق حيث أخرجـوا مِنْ صُلْبِ آدَمَ ـ صلى اللَّه عليه ـ كالذَّرِّ، وَمَذْهَبُ أهل اللغة أن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دَلِيـلٌ

أن المذكور أوّلاً لا يستقيم أَنْ يكُونَ مَعْناه التَّأْخِيرُ. فالمعنى على مذهب أَهْلِ اللُّغة، وَمِنْ نُوحٍ وإبرَاهيم ومُوسَى وعِيسَى ابن مَريمَ وَمِنْك. ومثله قوله: ﴿وَاسجُدِي وَارْكَعِي مع الراكِعِينَ﴾[1].

وقوله:﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾.

معناه ليسأل المبلغين من الرُّسُلِ عَنْ صِدْقِهِمْ في تبليغهم، وتأويل مَسْأَلَةِ الرُّسُلِ - واللَّه يعلم أنهم صادقون - التَّبكيتُ للذين كفروا بِهِمْ، كما قال اللَّه - عز وجل -﴿وإذْ قَالَ اللَّهَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أأنتَ قلت لِلنَّاسِ اتَّخِذُوني وأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فأجاب فقال: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ، إنْ كُنْتُ قُلْتُه فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾، ثم قال﴿ما قلت لهم إلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾[2]، فتأويله التَّبْكِيتُ للمُكَذِّبِينَ، فعلى هذا ﴿ليسأل الصادقين عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ للكَافِرِين عَذَاباً أَلِيماً﴾، أي للكافرين بالرُّسُلِ.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرسلْنا عَلَيْهِم رِيحاً، وَجُنوداً لم تَرَوْهَا﴾.

هؤلاء الجنودُ هم الأحْزابُ، والجنود الذين كانوا: [هم] قُرَيْشٌ مَعَ أبي سُفْيَانَ وغطفَانُ وبنو قريظة، تحزبوا وتظاهروا على حرب رسول اللَّه ﷺ فأرسل اللَّه عليهم ريحاً كفأَت قُدُورَهُمْ، أي قَلَبَتْهَا، وقَلَعَتْ فساطيطهم[3] وأظعنتهُمْ من مَكانهم، والجنودُ التي لم يروها المَلاَئِكَةُ.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٤٣.

(٢) سورة المائدة الآية ١١٦، ١١٧.

(٣) جمع فسطاط وهو الخيمة من الشعر، والأظعنة الهوادج جمع ظعينة، ويطلق على المرأة في الهودج.

وقوله:﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾.

جاءت قريظة من فَوْقِهِمْ، وجاءت قريش وغَطَفَانُ من ناحية مَكَّةَ، مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ.

وقوله:﴿وَتَظُنُّون بِاللَّهِ الظُّنُونَ﴾.

اختلف القــراءُ فيهـا. فقــرأ بَعْضُهُمْ بِـإِثْبَـاتِ الألِفِ فِي الـوَقْفِ والـوَصْلِ وقـرأ بعضهم «الظُّنُـون» بغير أَلِفٍ في الـوصـل، وبـألف في الـوقف. وقرأ أبـو عَمْرٍ، «الظنـون» بغيـر ألف، في الـوصـل والـوقف، والـذي عليه حُـذَّاق النحويين والمتَّبِعُـونَ السُّنَّةَ من حُـذَّاقِهِمْ أَن يقرأوا «الـظُّنُونَـا». ويقفون على الألف ولا يَصِلُونَ[1]، وإِنَّمَـا فَعَلُوا ذَلِـكَ لأن أواخـر الآيات عِنْـدَهُمْ فَوَاصِـلُ، ويثْبِتُون في آخـرها في الـوقف ما قـد يحذف مثله في الوَصْلِ. وَهَؤُلاءِ يتبعُون المُصْحَفَ ويكرهون أَنْ يَصِلُوا ويثبتـوا الألِفَ، لأن الآخر لم يقفـوا عَلَيْهِ فيجـروه مجرى الفَـوَاصِـلِ. ومثل هذا من كلام العَرَبِ في القَــوَافِـي:

أَقِلِّي اللوم عَاذِل والعِتَابَا[2].

فأتيت الألف لِأَنَّهَا في موضـع فاصِلةٍ وهي القافية.

وقوله عز وجل:﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المؤمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾.

ويجوز زَلْزَالاً. بفتح الزاي، والمصدر من المَضَاعَفِ يجيء على ضـربين فَعْلال وَفِعْــلال نحــو قَلْقَلَهُ قَلْقَـالاً وَقِلْقَالاً وَزَلْـزلْزَلْتُـهُ زَلْزَالاً وَزِلْزَالاً، والكسر أكثر وَأَجْوَدُ لأَنَّ غيـرَ المَضَاعَفِ من هـذا الباب مكسـورُ

---

(١) كلام مستأنف أي هم يقفون ولا يصلون.

(٢) الشطر الثاني: وقولي ـ إن أصبت ـ لقد أصابا. من قصيدة لجرير مشهورة.

الأول، نحو دَحْرَجْتُه دِحْراجاً لا يجوز فيه غير الكسر، ومعنى: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المؤْمِنُونَ﴾ أَيْ فِي تلكَ الحال اخْتُبِرَ المؤمِنُونَ، ومعنى ﴿زُلْزِلُوا زِلْزَالاً شديداً﴾، أُزْعِجُوا إزعاجاً شديداً وحُرِّكوا.

وقوله: ﴿وإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ. [مَاوَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُه إلَّا غُرُوراً]﴾.

موضع «إذْ» نَصْبٌ المعنى اذكر إذ يَقُول المنافقون، ومعنى الآية أن المنافقين قالوا: وَعَدَنا محمَّدٌ ﷺ أن فارسَ والرُّومَ تُفْتَحَانِ عَلَيْنا، وَنَحْن بمكاننا هذا ما يقدر أحدنا أن يبرز لحاجَتِه، فهذا وعْد غُرور.

وقوله عزَّ وَجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: يا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فارْجِعُوا﴾.

ويقرأ «لاَ مَقَام لَكُمْ» بفتح الميم، فمن ضمَّ الميم فالمعنى لا إقامة لكم[1]، تقول: أقمت في البَلَدِ إقامةً ومُقاماً، ومن قرأ «لا مَقَام لكم» - بفتح الميم، فالمعنى لا مكان لكم تقيمون فيه، وهؤلاء كانوا يُثَبِّطُونَ المؤمنين عن النبي ﷺ.

﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يقولون إنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾.

أي مُعَوَّرَةٌ وذلك أنهم قالوا إن بُيُوتَنَا مِمَّا يَلِي العَدُوَّ، ونحن نُسْرَقُ مِنْهَا، فكذَّبَهُم اللَّه تعالى وأعلم أن قَصْدَهُمُ الهَرَبُ والفرارُ، فقال:

﴿وَمَا هِيَ بِعَورَةٍ﴾.

ويقرأ: وَمَا هِيَ بِعَوِرَةٍ، يُقَال عَوِرَ المَكَانُ يَعْوَرُ عَوَراً، وهو عَوِرٌ

(١) مصدر ميمي من أقام.

وبيـوت عَورةٌ، وبيـوت عَوْرَةٌ على ضَـربَيْن، على تسْكِين عَـوْرَة، وعلَى مَعْنَى ذات عَوْرَة.

﴿إنْ يرِيدُونَ إلاَّ فِرَاراً﴾.

أي ما يريدون تَحرُّزاً مِنْ سَـرَقٍ، ولكن المنافقين يـريدون الفـرار عن نُصْرَةِ النبي عليه السلام.

﴿وَلو دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطَارِهَا﴾.

أي ولو دُخِلَتْ البيوتُ من نواحيها ﴿ثم سُئِلوا الفتنة لآتَوْهَا﴾، ويقرأ بالقصر ﴿لأتَوْهَا﴾، فمن قرأ لآتوها بالمدِّ فالمعنى لأعطوها، أي لَوْ قِيلَ لَهُمْ كُونوا على المسلمين مُظْهِرِينَ الفتنـةَ لَفَعَلُوا ذَلِكَ، ﴿وَمَا تَلَبَّثوا بِهَـا إلاَّ يَسِيراً﴾، ومن قرأ «لأَتَوْهَا» بالقصر، فالمعنى لَقَصدُوها.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالقَائِلِينَ لإخْوَانِهِم هَلُمَّ. [إلَيْنَا]﴾.

أي الذين يُعَوِّقون عن النبي ﷺ نُصَّارَهُ، وذلـك أنهم قالـوا لِنُصَّار النبي ﷺ: ما محمـد وأصحـابـه إلاَّ أكلة رَأْسٍ(١). ولـو كـانـوا لحمـاً لالْتَهَمَهُمْ أَبُو سفيانَ وأَصْحابُه فخلوهم وَتَعَالَوْا إلَيْنا.

وقوله: ﴿وَلاَ يَأْتُونَ البَأْسَ إلاَّ قليلاً﴾.

أي لا يـأتـون الحـرب مـع أصحـاب النبي ﷺ الا تَعْـذِيـراً(٢) يُوهِمُونَهِمْ أَنَّهم مَعَهُمْ ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾.

«أشِحَّـةً» منصوبٌ عَلَى الحَـال، المعنى يَـأْتـونَ الحـربَ بُخَـلاءَ عَلَيكُم

---

(١) شيء هين كرأس الذبيحة لا يشبع آكلاً.

(٢) أي ليكون لهم عذر في أنهم لم يتخلفوا.

بالظفر والغنيمة فَإذَا جَاءَ الخَوْفُ فهم أَجْبَنُ قَوْمٍ ، فـإذا جاءت الغنيمـةُ فأشحُّ قَوْمٍ وَأَخْصَمُهُم .

﴿فَإذَاجَاءَ الخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرونَ إلَيْكَ تَدُورَ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾ .

لأنهم يحضرون على غَيْر نية خَيْرٍ، إلاَّ نية شَرٍّ.

﴿فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ .

معنى «سَلَقُوكم» خاطبوكم أَشَدَّ مُخَاطَبةٍ وَأَبْلَغَهَا في الغنيمة ، يقال : خَطِيبٌ مِسْلاَقٌ وسَلاَّقٌ إذَا كانَ بَلِيغاً في خُطْبَتِهِ .

﴿أشحَّةً على الخَيْرِ﴾ .

أي خاطبوكم وهم أَشِحَّةٌ عَلَى المالَ والغنيمة .

وقوله:﴿أولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فأحبط اللَّه أَعْمَالَهُمْ ﴾ .

أي هم وإن أظهروا الإيمانَ ونافقوا فليسوا بمؤمنين .

وقوله:﴿يَحْسَبُونَ الأحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ .

أي يحسبون الأحزاب بعدَ انْهِزامهم وذَهَابِهم لم يذهبـوا لِجُبْنِهِمْ وَخَوفِهِـم منهم .

﴿وَإنْ يَأتِ الأحْزَابُ يَوَدُّوا لَو أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعْرابِ﴾ .

أي إذا جاءت الجنودُ والأحزابُ ودُّوا أنهم في البادية .

وقوله تعالى:﴿ ولَمَّا رَأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قَـالُوا هَـذَا مَا وَعَـدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُه﴾ .

فوصف اللَّهُ حَالَ المنـافِقين في حَرْبِ الكـافرين وحـال المؤمنين في حَـرْبِ الكَـافِـرينَ. فـوصف المنـافقين بـالفشـل والجُبْنِ والـرَّوَغـانِ والمسـارعة إلى الفتنـةِ والزيـادة في الكُفْرِ، ووصف المؤمنين بـالثُّبُوتِ عند الخوف في الايمان(١)، فقال، ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ الآية.

﴿وَمَا زَادَهُمْ إلاَّ إيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾.

والوعد أن اللَّه قال لهم: ﴿أَمْ حَسِبْتُم أَنْ تَدْخُلُوا الجنَّـةَ وَلَمَّا يَـأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُم البَأْسَاءُ والضَّـرَّاءُ وَزُلْزِلُـوا حَتَّى يَقُول الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمنوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(٢).

فكذلك لَمَّا ابْتُلِي أصحاب النبي ﷺ وزُلْزِلُوا زلزالاً شَدِيداً عَلِمُوا أَنَّ الجنَّةَ والنَّصْرَ قَدْ وَجَبَا لَهُمْ.

وقوله تعالى: ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾.

المعنى أَنَّهُم عَاهَدُوا في الاسلام فَأَقَامُوا عَلَى عَهْـدِهِمْ، وموضـع «مَا» نَصْبٌ بِصَدَقُوا.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾.

أي أجله وَلَمْ يُبَدِّلْ. وهو قوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

فالمعنى أَنَّهُ مات على دينه غيرَ مُبَدِّلٍ.

﴿لِيَجْـزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ﴾.

---

(١) وصفهم بالثبات في إيمانهم عند الخوف.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٤.

أي ليجزي الذين صدقوا فِي عَهْدِهم، والمنافقون كذبوا في عهدهم لأنَّهم أظهروا الاسلام وأَبْطَنُوا الكُفْرَ.

وقوله تعالى:﴿وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ إنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾.

أي أو يَنْقُلَهُمْ من النفاقِ إلى الإيمانِ.

وقوله: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيظِهِم لَمْ يَنَالُوا خَيْراً﴾.

يعنى به هَهُنَا أبا سُفْيَانَ وَأَصْحَابه الأحْزَاب، لم يَنَالُوا خَيْراً.

أي لم يظفروا بالمسلمين وكان ذلك عندهم خيراً فخوطبوا عَلَى استعْمَالِهم.

وقوله:﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾.

يُعْنَى بِهِ بنو قريظة، ومعنى ظَاهَرُوهُمْ عَاوَنُوهم على النبي ﷺ فقذف اللَّه في قلوبهم الرعب وأَنْزَلَهُمْ على حُكْم سَعْدٍ؛ وكان[1] سعد حكم فِيهِمْ بأنْ يُقتَلَ مُقَاتِلُهم، وتُسْبَى ذَرَارِيهِمْ.

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾.

جعل النبي ﷺ أرْضَهم وديارَهُمْ وَأَمْوَالَهُم للمهاجرينَ لأنهم لم يكونوا ذوي عَقَارٍ.

ومعنى الصَّيَاصِيّ كل ما يُمْتَنَعُ بِهِ، والصياصي ههنا الحُصُونُ، وقيل القُصُورُ، والقُصُورُ قد يُتَحصَّنُ فيهَا. والصَّيَاصِيُّ قرونِ البقر والظِّباءِ، وكل قَرْنٍ صَيْصَيةٌ، لأن ذوات القُرُونِ يَتَحصَّنُ بِقُرونها وتَمْتَنِعُ بِها، وصيصة الديك شوكتهُ لأنه يَتَحَصَّنُ بها أيضاً.

---

(١) نسخة فكان. وسعد هو سعد بن معاذ سيد الأوس.

وقوله: ﴿ياأيُّها النبي قل لأزواجك إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

وَكُنَّ أَرَدْن شَيئاً من أَمْرِ الدُّنْيَا، فأمر اللَّه رسوله ﷺ أَنْ يَخيِّر نساءَهُ بين الاقامة مَعَهُ على طلب ما عند اللَّه، أو التَّسْريح إنْ أَرَدْنَ الحياةَ الدُّنْيَا وزينتها، فاخترن الآخرة على الدنيا والجنَّة على الزينة.

وقوله: ﴿وإنْ كنتن تُرِدْنَ اللَّه وَرَسُولَه والدار الآخِرَةَ، فإنَّ اللَّهَ أَعَدَّ للمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً﴾.

أي من آثر منكن الآخرة فَأَجْرُه أَجرٌ عَظِيمٌ.

وقوله: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

ولم يقل كواحدة من النساء، لأن أَحَداً نفي عام للمذكر والمؤنث والواحِدِ والجماعة.

وقوله: ﴿إن اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذي فِي قَلْبِه مَرَضٌ﴾.

أي لا تَقُلْن قولاً يجد به مُنَافِقٌ سَبيلاً إلى أن يطمع في مُوَافقتكن له.

﴿وَقُلْنَ قَولاً مَعْرُوفاً﴾.

أي قلن ما يوجبه الدين والاسلام بغير خضوعٍ فيه، بل بتصريحٍ وَبَيَانٍ، «فَيَطْمَعَ» بالنصب وهي القِراءَةُ، وَجَوَابُ فلا تَخْضَعْنَ «فيطمَعَ»، ويقرأ فيطمِعْ الذي في قلبه مرض، بتسكين العَيْن، نسق على فلا تَخْضَعْنَ فيطمعْ.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

ويقرأ «وقِرْنَ» ـ بكسر القاف ـ فمن قرأ بالفتح فهو من قَرِرْتُ بالمَكَانِ أَقَرُّ. فالمعْنَى، واقرَرْن فإذا خُفِّفَتْ صارت وَقَرْنَ حذفت الألف لثقل التضعيف في الراء، وألقيت حركتها على القاف. والأجْوَدُ وَقِرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ـ بكسر القاف ـ وهو من الوَقَارِ، تقول: وَقَرَ يَقِرُ في المكان. ويصلح أن يكون من قَرَرْتُ في المكانِ أَقِرُّه فيحذف على أنه من «واقْرِرْنَ» بكسر الرَّاءِ الأولى، والكسر من جهتين، من أنه من الوقار، ومن أنه من القرار جميعاً.

وقوله تعالى:﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾.

التبرُّجُ إظْهَارَ الزِّينَةِ، وما تُسْتَدْعَى به شهوةُ الرَّجُلِ، وقيل إنَّهُنَّ[١] كنَّ يتكسَّرْن في مِشْيَتِهِنَّ، وَيَتَبخترنَ، وقيل إن الجاهلية الأولى من كان من لدن آدم إلى زمن نوح، وقيل من زمن نوح إلى زمن إدريس، وقيل منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ. والأشبه أن تكون منذ زمن عيسى إلى زمن النبي ﷺ لأنهم هم الجاهليةُ المعروفُونَ لأنه روى أنهم كانوا يتخذون البغَايَا ـ وهن الفواجر يُغْلِلْنَ لَهُمْ[٢].

فإن قيل: لم قيل الأولى، قيل يقال لكل متقدِّمٍ ومتقدِّمَةٍ أولى وأول، فتأويله أنهم تقدَّمُوا أُمَّةَ محمد ﷺ. فهم أولى وهم أول من أمة محمد ﷺ.

وقوله عز وجل:﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

---

(١) أي نساء الجاهلية.

(٢) ينتجن لهم غَلَّةً ومالاً، لأنهم كانوا يتخذونهن وسيلة للكسب وربما أكرهوهن على هذا ـ كما أشارت الآية: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾.

وتقرأ مُبَيِّنةٍ.

﴿يُضَاعَفْ لَهَا العذابُ ضِعْفَين﴾.

القراءة يُضَاعَفْ بـألِفٍ، وقَرَأَ أَبُـو عَمْرٍو وَحْـدَهُ يُضَعَّفْ، وكلاهمـا جَيِّدٌ. وقال أَبُو عُبَيْدَة: يعذب ثلاثة أَعْذِبَةٍ، قال: كـان عليها أن يعَـذَّب مَرةً وَاحِدَةً، فإذا ضُوعِفَتْ المرَّة ضِعْفَينِ، صار العـذاب ثلاثـة أَعْذِبَـةٍ. وهـذا القول ليس بشيء لأنَّ معنى يضـاعف لها العـذاب ضعفين يجعل عذاب جرمها كعذابَيْ جُرْمَيْنِ. والدليل عليه «نُؤتها أجرهـا مَرَّتَيْنْ»، فـلا يكون أن تعطى على الطاعة أَجْرَين وعلى المَعْصِيَةِ ثلاثة أَعْـذِبَةٍ ومعنى ضعف الشيء مِثْله، لأن ضِعف الشيء الـذي يُضْعِفُـه بمنـزلـة مثقـال الشيء.

ومعنى يقنت يقيم على الطاعة.

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾: جاء في التفسير أَنَّهُ الجنَّةُ.

وقوله:﴿إنَّما يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجسَ أَهلَ البيْتِ﴾.

«أهـلَ» البيتِ، منصوب على المـدح، ولـو قـرئت أهـلِ البيْـتِ ـ بالخفض ـ أو قـرئت أهـلُ البيت بـالـرفـع لجـاز ذلـك ولكنَّ القـراءَةَ النصبُ. وهــو على وجْهَيْنِ. على مَعْنَـى أعنـي أهــلَ البَـيْتِ، وعـلى النـداء، على معنى يـا أهـل البَيْتِ، والـرِّجْسُ في اللُّغَـةِ كـل مستنكـر مُسْتَقْذرٍ من مأكول أو عَمَلٍ أَوْ فَاحِشَةٍ.

وقيـل ان أهل البيت ههنـا يعنى به(١) نسـاء النبي ﷺ وقيل نسـاء النبي والـرجال الـذين هم آله. واللغـة تدل على أنـه للنساء والـرجـال

---

(١) يعني بهذا التعبير أو بهذا القول.

جميعاً لقوله «عَنْكم» بالميم، ولِيُطَهِّرَكُمْ. ولو كان للنساء لم يجز إلا عَنكُنَّ وَيُطَهِّرُكُنَّ. والدليلُ على هذا قوله: ﴿واذكُرْنَ مَا يُتْلَى في بُيُوتِكُنَّ﴾ حين أفرد النساء بالخطاب.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْراً عَظِيماً﴾.

لما نزل في نساء النبي ﷺ ما نزل، قال النساء من المُسْلِمَاتِ: فما نزل فينا نحن شيءٌ، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن النساء والرِّجَالَ يجازَوْنَ بِأَعْمَالِهِم المغفرة والأجرَ العظيمَ.

وقوله عز وجل: ﴿والحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ والحَافِظَاتِ والذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً والذَّاكِرَاتِ﴾.

المعنى والحافظين فروجهم والحافظاتها والذاكرين اللَّه كَثِيراً، والذَّاكِراتِهِ. استغنى عن ذكر الهاء بِمَا تَقَدَّمَ ودل على المحذوف، وَمِثْله ونخلعُ ونتركُ من يَفْجُرك، المعنى ونخلع من يفجُرُكَ ونترُكُهُ، ومثله من الشعر.

وكُمتاً مُدَمَّاةً كأن متونها جَرَى فوقَها واستشعرت لونُ مُذْهَبِ[1]

على رفع لوْنِ. المعنى جرى فوقها لون مذهب واستشعرته.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّه وَرَسُولِه﴾.

بالياء، ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاء.

(١) البيت لطفيل الغنوي ـ اللسان ـ (كمت) وكُمتا جمع أكمت، مدمَّاة أي مشربة بلون الدم، وهو في كتاب سيبويه ١/٧٧، واللسان (دمي ـ كمت).

الأول محمـول على اللفظ، وتعمـل على المعنى. ومن قـرأهمـا جميعـاً بالتـاء حمل على المعنى. أراد والتي تقنت منكن للّه ورسـولـه وتعمـل. ومن قرأ الأول بـالتـاء قبُـحَ أن يَقْـرأ وَيَعْمَـلْ، لأنـه قـد حمـل على المعنى، وأوضح الموصول بأنه مؤنث، فيقبح الحمل على اللفظ.

وقوله عزوجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُـه أَمْراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

الخِيَرَةُ التَّخْيِيرُ. ونـزلت هذه الآيـة بسبب زينبَ بنتِ جحْشٍ[١]، وكانت بنت عمَّةِ رَسُول اللَّه، ﷺ وزَيْدِ بن حَـارِثَةَ[٢]، وكـان زيد مـولى رسول اللَّه ﷺ وكانت منزلته منه في محبّتهِ إيـاه كمنزلـة الولـد، فخطب رسول اللَّه ﷺ زَيْنَبَ ليزوجهـا من زَيْدٍ، فـظنت أنه خـطبها لنفسـه عليه السلام، فلما علمت أنه يريدها لـزيدٍ كـرهت ذلك. وأعلم اللَّه ـ جـل وَعَلاَ ـ أنه لا إختيار على ما قضاه اللَّه ورسوله، وزوَّجَها مِنْ زَيْدٍ.

وقـوله عـز وجل:﴿ وَإذْ تَقُـولُ لِلَّذِي أَنْعَم اللَّهُ عَلَيْـه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْـهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللَّهَ﴾.

---

(١) هي أم المؤمنين ـ زينب بنت جحش أخت عبـد اللَّه ـ قيل أسمهـا حمنة وان كـل بنات جحش كن يسمين زينب، وأمهـا أميمة بنت عبـد المطلب عمـة رسول اللَّه ﷺ كـانت زوجاً لـزيـد بن حارثة وتزوجها بعده رسول اللَّه ﷺ وفيها نزلت آيات من سورة الأحزاب. ﴿وإذ تقول للذي أنعمت عليـه وأنعم اللَّه عليه أمسـك عليك زوجك. . .﴾ الخ ـ وكـانت سيدة كـريمـة ذات جـود وحب للصدقة ـ كانت تدبُغُ الجلود وتتصدق بما تنال من عملها ـ وجاء فيها الحديث «أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يدا» ـ وماتت في خلافة عمر.

انظر الاصابة في (٤٧٠، ٤٧١) والاستيعاب ٣١٣، ٣١٤.

(٢) زيد بن حارثة بن شراحبيل الكعبي ـ اختطفته بنوقين في الجاهلية فباعوه بسـوق عكاظ. اشتـراه حكيم بن حزام لعمتـه خديجة، فلما تزوجها رسول اللَّه ﷺ وهبته له، ثم طلبه أهله فآثـر البقاء مع النبي ﷺ فتبناه وظل يدعى زيد بن محمد حتى نزلت آية تحريم التبني ـ وزوجه رسول اللَّه زينب وقصتهما معروفة.

معنى أنعم اللَّه عليه هداه للاسلام، وأنعمت عليه أعتقته من الرق، وكان زيدٌ شَكا الى النبي عليه السلام أَمْرَ زَيْنَبَ، فأمره بالتمسك بها، وكان عليه السلام يحب التزوُّج بها[1] إلا أنه عليه السلام آثر ما يحب من الأمر بالمعروف فقال: ﴿أَمْسِكْ عَلَيكَ زَوْجَكَ واتَّق اللَّه﴾.

﴿وَتُخْفِي في نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾.

أي تكره مقالة النَّاس.

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَها﴾.

أي فلما طلقها زيدٌ. والوَطَرُ في اللغة والأَرَبُ بمعنًى واحد، قال الخليل: معنى الوطر كلُّ حاجَةٍ يكون لك فيها هِمَّةٌ، فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره وَأَرَبه، أي بَلَغ مُرادَه مِنها.

وقوله ـ عزوجل: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ في أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً﴾.

أي زوجناك زينب وهي امرأةُ زيد الذي قد تبنّيت به، لئلا يُظَنَّ أَنَّهُ من تبنَّى بِرَجُلٍ لم تحِل امرأتُه للمُتَبَنِّي.

وقوله تعالى: ﴿مَاكَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾.

أي لم يكن [زيدٌ] ابنَ[2] محمد، لم يلده، وقد وُلِدَ لِرَسُولِ اللَّه

---

(١) في الأصل التزويج وهو غير مناسب.

(٢) في الأصل أي لم يكن أبَا مُحمَّدٍ

ﷺ ذكورٌ إبراهيم والطيِّبُ والقاسم والمطهَّر[1]، وإنما تأويله: ما كان يحرم عليه مِمَّنْ تبنى به ما يحرم على الوالد، والنبي ﷺ أبو المؤمنين في التبجيل والتعظيم. وقرئت: وخاتِمَ النبيينَ وخاتَم النبيين[2]، فمَنْ كَسَرَ التاء فمعناه ختم النبيين، ومن قرأ وخاتَم النبيِّينَ - بفتح التاء - فمعناه آخر النبيين، لاَ نَبِيَّ بعده ﷺ. ويجوز: ولكن رسول اللَّهِ وخاتمُ النبيينَ. فمن نصب فالمعنى ولكن كان رَسُولَ اللَّهِ وكان خاتَمَ النبيينَ، ومن رفع فالمعنى ولكن هُوَ خَاتَمُ النبيين.

وقوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِي مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَض اللَّهُ لَه، سُنَّةَ اللَّهِ [في الَّذِينَ خلَوْا مِنْ قَبْلُ]﴾.

«سنة» منصوب على المصدر، لأن معناه «ما كان على النبي من حرج فيما فرض اللَّه سَنَّ اللَّه سُنَّةً حسنة وَاسِعَةً لاَ حَرج فيها». أي لا ضِيقَ فيها والسُّنَّة الطريقة، والسَّنَنُ مِنْ ذَا كُلِّه.

وقوله عزوجل: ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

معناه في النبيِّينَ الذين قبل محمد ﷺ وعليهم. أي سنَّةُ اللَّه في التَّوْسعة على محمد ﷺ فيما فرض اللَّه له كسُنَّتِهِ في الانبياء المَاضِين.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ﴾.

«الذين» في موضع خَفْضٍ نعت لقوله في الذين خَلَوا من قبل، ويجوز أن يكون رَفْعاً على المدح عَلَى هَمْ الذين يُبَلِّغُونَ رسالات اللَّه، ويجوز أن يكون نصباً على معنى أعني الذين يُبَلِّغون.

---

(١) لم يكن له ﷺ غير ثلاث بنين، وكان عبد اللَّه يلقب بالطيب والطاهر.

(٢) قرأ عاصم وحده بفتح التاء.

وقوله: عز وجل:﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾.

صلاة اللَّه على خلقه رَحْمَتُه وهدايته إياهم.

وقوله:﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلاَمٌ﴾.

تحية أهل الجنَّةِ سلام، قال اللَّه عز وجل: ﴿تَحِيَّتُهُم فِيهَا سَلاَمٌ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها النبي إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾.

[أي] شاهداً على أُمَّتِكَ بالإِبْلَاغِ، إبلاغ الرسالة، ومبشراً بالجنة ومُنذِراً من النَّارِ، وهذا كله منصوب على الحال، أي أَرْسَلْنَاكَ في حال الشهادة والبِشَارَةِ والانذار.

﴿وَدَاعِياً إلى اللَّه بِإذْنِهِ﴾.

أي داعياً إلى توحيد اللَّه وما يُقَرِّبُ منه، وبإِذْنِهِ أي بِأَمْرِه.

﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾.

أي وكتاباً بَيِّناً، المعنى أرسلناك شاهداً وذَا سراج مُنِيرٍ وذا كتاب بَيِّنٍ، وَإِنْ شئت كان «وَسِرَاجاً» منصوباً على معنى دَاعِياً إلى اللَّهِ وتالِياً كتاباً بيِّناً.

وقوله عز وجل: ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾.

معناه دع أذى المنافقين، وتأويل دع أذاهم دَعْهُم لا تجازِهِمْ عَلَيْه إلى أن تُؤْمَرَ فيهم بِأَمْرٍ.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ﴾.

معنى ﴿تمسوهنَّ﴾ تقرَبُوهُنَّ[1].

﴿فَما لكم عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾.

قال بعضهم «متعوهن» نسخها قوله عز وجل: ﴿وَإنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أن تمسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ﴾[2]، والنصف ينوب عن التمتيع، إلاَّ أن يكون لم يسم لها مَهْراً، فلها نصف مَهْرِ مِثْلِهَا. وأسقط اللَّه العدَّة عن الّتِي لم يَدْخُلْ بِها، لأن العدَّةَ في الأصل استبراء.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الّلاتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾.

«أجورهن»: مهورهن.

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُك مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾.

وأصل الاملاك في الإماء والعبيد ما يجوز سَبْيُهُ وفيئه، فأما سَبْيُ الخبيثة فلا يجوز وَطْئُه ولا ملْكُه، يقال هذا سَبْيُ طِيِّبَةٍ، وسَبْيُ خِبْثَةٍ، فسبي الطيِّبَةِ سَبْيُ من يجوز حَرْبُه من أهل الكفر، فأما من كان له عهد فلا يجوز سبيه ولا مُلْكُ عَبْدٍ منه ولا أمَةٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا للنبي إنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنكِحَها خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنينَ﴾.

وتقرأ إنْ وَهَبَتْ بالفتح. أي: أَنْ وَهَبَتْ نفسها للنبي حَلَّتْ لَهْ ومن

---

(١) أي من قبل أن تدخلوا بهن.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣٧.

قرأ «أَنْ وَهَبَتْ» بالفتح فالمعنى أَحَلَلْنَاها لأنْ وَهَبَتْ نفسها. «وخالِصَةً» منصوب على الحال. المعنى إنا أَحْلَلنَا لك هؤلاء. وأحللنا لك من وَهَبَتْ نفسها لك. وإنما قيل للنبي ههنا لأنه لو قيل أن وهبت نفسها لك كان يجوز أن يتوهم أنَّ في الكلام دليلاً أنه يجوز ذلك لغير النبي عليه السلام، كما جاز في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ﴾، لأن بَنَاتِ العَمّ وبنات الخال يحللن للناس.

وقوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِم في أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾.

أي ان التزويج لا يَنْعَقِدُ إلاَّ بِوَلِيّ وَشَاهِدين، وملك اليمين لاَ يَكُونَ إلاَّ مِمَّنْ يَجُوزُ سَبْيُه.

وَقَوْلُه: ﴿تُرْجي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾.

ترجي بالهمز وغير الهمز، والهمز أكثر وأَجْوَدُ، ومعنى تُرْجِي تُؤخِرَ بالهَمْزِ وَغَيرِ الهمز، المعنى واحدٌ، وهذا مما خص اللّه به النبي عليه السلام فكان له أن يؤخر من أحب من نِسائه ويؤوي إليه من أحب من نسائه وليس ذلك لغيره مِنْ أُمَّتِهِ، وله أَنْ يَرُدَّ من أَخَّر إلى فراشه عليه السلام.

﴿وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾.

أي ان أردت ممن عزلت أن تُؤْوِيَ إليكَ فلا جناح عليك.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلاَ يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾.

أي ويرضَيْنَ كلُّهنَّ بما أَعْطَيْتَهُنَّ من تقريب وإرجاء ويجوز النصب في كلّهنَّ توكيداً للهاء والنُّونِ.

وقوله عز وجل:﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِسَاءُ مِنْ بَعْدُ﴾.

وتقرأ: لا تحل لك النساء ـ بالتاء، فمن قرأ بالياء فلأن اليـاء في معنى جمـع النسـاء، والنسـاء يـدل على التـأنيث فيستغنى عن تـأنيث يحل. ويجوز لا تحل ـ بالتاء ـ على معنى لا تحل لك جماعة النساء.

وقـوله:﴿وَلَا أَنْ تَبَـدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَـكَ حُسْنُهُنَّ إلَّا مَـا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾.

موضع«ما»رفع المعنى لا يحل لك إلَّا مَا ملكتْ يَمينُكَ. جعـل ما بدلاً مِنَ النِّساءِ ويجوز أن يكون موضعُ ما نَصْباً على معنى لا يحـل لك النساء أَسْتَثْنِي ما ملكت يمينك.

وقوله عز وجل:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾.

بضم البَاءِ وقد رُويت عَنْ عَاصِم «بِيُوت» بكسر الباء وعن جَمَـاعَةَ من أهل الكوفة. وليس يروي البصريون بِيُوت بكسر الباء، بل يقـولون إن الضم بعـد الكسر ليس مـوجوداً في كـلام العرب ولا في أشعـارِها، والذين كسروا فكأنَّهم ذهبوا إلى اتبـاع الياء، والاختيـار عند الكـوفيين الضَّمُّ في بُيُوتٍ.

وقوله:﴿إلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُم إلى طَعامٍ﴾.

في موضع نصب. المعنى إلَّا بأن يُؤذنَ لَكم، أو لَأنْ يُؤْذَنَ لكم.

وقوله:﴿ إلى طَعَامٍ غَيرَ نَاظِرينَ إنَاهُ﴾.

انـاه نَضْجُه وبلوغُـه، يقال أَنَى يـأْنِي إنَاءً إذا نَضِـج وَبَلَغَ، و«غيرَ» منصوبةٌ على الحال، المعنى إلا أن يؤذن لكم غير منتظرين، ولا يجوز الخفض في «غيـر» لأنها إذا كـانت نعتـاً للطعـام لم يكن بُدٌّ من إظهـار

الفاعل لا يجوز إلا غير ناظرين إناه أنتم(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُم كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ﴾.

ويجوز فيستحي منكم بياء واحدة، وكذلك قوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ ويستحي بالتخفيف على استحيَيْتُ واسْتَحَيْتُ، والحذف لثقل الياءين.

وكان النبي ﷺ يحتمل إطَالَتُهُمْ كرماً منه فيصبر على الأذى في ذلك، فعلم اللَّه من يحضره الأدَبَ فصار أَدَباً لهم ولمن بعدهم.

وقوله: ﴿وإذا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾.

أي إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبي ﷺ في أمر فخاطِبُوهُنَّ من وراء حِجَابٍ، فنزل الأمر بالاستِتَارِ.

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾.

أي ما كان لكم أذاه في شيء من الأشياء.

﴿وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهِ مَنْ بَعْدِهِ أَبَداً﴾.

مَوْضع «أَنْ» رَفعٌ، المعنى: وَمَا كان لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده، وذَلِكَ أنه ذُكِرَ أن رَجُلاً قال: إذَا تُوفِّيَ مُحمدٌ تَزَوَّجْتُ امْرَأَتَهُ فلانةً(٢)، فأعلم اللَّه أن ذَلِكَ محرم بقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾.

أي كانَ ذنباً عَظِيماً.

وقوله: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ إلى قوله ﴿ولا ما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾.

---

(١) ناظرين يحتاج لفاعل إذا كانت نعتاً، أما إذا كانت استثناء فهي تابعة لفاعل الجملة السابقة.

(٢) كان الرجل يسمى طلحة بن عبيد الله، تيمي من آل أبي بكر، وهو غير طلحة الفياض أحد العشرة المبشرين وأحد أهل الشورى، والزوجة هي السيدة عائشة ـ رضي الله عنها.

ولم يرد في هذه القِصَّةِ أَعْمَامِهُنَّ وَلاَ أَخْوَالَهُنَّ. فجاء في التفسير أنه لم يذكر العَمَّ والخَالَ، لأنَّ كُلَّ واحد منهما يحل لابنة المرأة، فتحِلُّ لابن عمها وابن خالها. فقيل كُرِهَ ذلك لأنهما يصفانها لأبنائِهِمَا. وهذه الآية نزلت في الحجاب فيمن يحل للمرأةِ البُرُوزُ لَهُ، فذكر الأب والابْنُ إلى آخر الآية.

المعنى لا جناح عليهن في رؤية آبَائِهِن لَهُنَّ، ولم يذكر العمَّ والخالَ لأنهما يجريان مجرى الوالدين في الرؤيَة. وقد جاء في القرآن تسمية العم أباً في قوله: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَإِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلٰهاً وَاحِداً﴾، فَجَعَلَ العمَّ أباً.

وقوله عز وجل:﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّك بِهِمْ﴾.

المعنى لنسلطنك عليهم.

﴿ثُمَّ لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاَّ قَلِيلاً ملْعُونِينَ﴾ منصوب على الحال، المعنى لا يجاورونك إلاَّ وهم ملعونون[1].

وقوله: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا﴾.

لا يجوز أن يكون «ملعونين» منصوباً بما بعد أينما، لا يجوز أن تقولَ: مَلْعُوناً أَيْنَمَا ثقف أُخِذَ زَيْدٌ يُضْرَبُ، لأن ما بعدما حروف الشرط لا يعمل فيما قبلها.

وقوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾.

﴿سنةَ اللَّهِ﴾ مَنْصُوبٌ بمعنى قوله أخذوا وَقُتِلُوا، فالمعنى سَنَّ اللَّه

(١) في الأصل: الا وهم معلونين.

في الذين ينافقون الانبياء ويرجفون بِهِمْ أن يُقتّلوا حَيْثُما ثُقِفُوا[1].

وقوله:﴿إنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾.

الاختيار «السبيلا» بألف، وأن يوقف عليها، لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أَوَاخِر الأبياتِ من الشِّعْر، والفَوَاصِل، لأنه خوطب العربُ بما يعقلون في الكلام المؤلَّفِ فَيُدَلّ بالوقف في هذه الأشياء وزيادة الحروف فيها، ـنحو: الظنونا، والسبيلا، والرسولا ـ أن الكلام قد تم وانقطع، وان ما بعده مستأنف.

وقوله: ﴿وَالْعَنْهُم لَعْناً كَبِيراً﴾.

ويقرأ كثيراً ومعناهما قريب.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾.

أي لا تؤذوا النبي ـ عليه السلام ـ كما آذى أَصحاب موسى مُوسَى، عليه السلام، فينزلَ بكم ما نزل بهم.

وكان أذاهُم لموسى فيما جاء في التفسير أَنهم عابُوه بشيء في بدنه فاغتسَل يوماً ووضع ثوبه على حجر فذهب الحجر بثوبه فأتبعه موسى فرآه بنو إسرائيل ولم يروا ذلك العيب الذي آذوه بذكره.

﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّه وَجِيهاً﴾.

كلَّمَهُ اللَّه تكليماً وبرأه من العيب الذي رموه به بآية معجزة.

وقوله عز وجل:﴿إنَّا عَرَضْنَا الأمَانَةَ عَلَى السَّمَواتِ وَالأرْضِ والجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحمِلْنَها وأشفقن منها وَحَمَلَها الإنْسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

---

(١) يقال ثقفته ثقفاً أي صادفته ووجدته.

رُوي عن ابن عَبّاسٍ وسَعِيدِ بن جبير أنهما قالا: الأمانة ههنا الفرائض التي افترضها اللَّه على عبادة، وقال ابن عُمَر: عرضت على آدمَ الطاعةُ والمعصيةُ وعرف ثوابَ الطاعة. وعقابَ المعصية. وحقيقة هذه الآية ـ واللَّه أعلم، وهو موافق للتفسير ـ أن اللَّه عز وجل ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السّمواتِ والأرضَ والجبالَ على طاعته والخضوع له، فأعلمنا اللَّه أنه قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّماءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ أئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعينَ﴾[1]، وأعلمنا أن من الحجارة ما يَهْبِطُ من خشية اللَّه وأن الشمس والقمرَ والنجومَ والملائكةَ وكثيراً من الناس يسجدون للَّه، فأعلمنا اللَّه أن السموات والأرض والجبال لم تحتمل الأمانة، أي أدَّتْها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أَثِمَ فقد احتمل الاثم، قال اللَّه عز جل: ﴿وليحملُنَّ اثقالهم وأثقالاً مَعَ أثقَالِهِم﴾[2]. فأعلم اللَّه أن من باء بالاثم يسمَّى حاملا للاثْمِ، فالسموات والأرض والجبال أَبَيْنَ أن يحملن الأمانة وأدّينَها. وَأَدَاؤها طاعة اللَّه فيمَا أَمَر به، والعَمَلُ به وترك المَعْصِيَةِ.

﴿وحَمَلَها الانْسانُ﴾، قال الحَسَنُ: الكافر والمنافق حَمَلا الأمانة ولم يطيعا. فهذا المعنى واللَّه أعلم. ومن أطاع من الأنبياء والصديقين والمؤمنين فلا يقال كان ظلوماً جَهُولاً، وتصديق ذلك ما يتلو هذه الآية من قوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَات والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ وَكَان اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾.

---

(١) سورة فصلت الآية ١١.

(٢) سورة العنكبوت الآية ١٣.

سُورَةُ سَبأ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَمْدلِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَـواتِ وَمَا فِى الأرْضِ وَلَـهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾.

واللَّهُ المحمُود فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وحمـدُه فِي الآخرة يـدل عليه قول أهل الجنة: ﴿الحَمْدُ لِلَّه الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنا الأرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[١] أي أورثنا أرض الجنَّةِ .

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾.

أي ما يدخل في الأرض وما يخرج منها. ما يدخل في الأرض من قَطْرٍ وغيره، وما يخرج منها من زرع وغيره.

﴿وَمَايَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾.

ما يَصْعَدُ فِيها، يقال عرج يَعْرُجُ إذا صَعَـدَ، والمعارج ـ الـدَّرَجُ ـ من هذا، ويقال: عَرِج يَعْرَجُ، إذا صار ذَا عَرَجٍ ، وَعَرَجَ يَعْرُجُ إذَا غَمَـزَ من شيء أصابه[٢] .

---

(١) سورة الزمر الآية ٧٤.

(٢) عرج بالفتح ارتقى وَأَصَابَهُ شيء في رجله ليس بخلقة، فإذا كان خلقة فالفعل عرج مثل فرح.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾.

الساعة التي يبعث فيها الخَلْقُ، المعنى أنهم قالوا: لاَ نُبْعَثُ، فقال اللَّه تعالى:

﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الغَيْبِ [لاَ يَعْزُبُ عَنْه مِثْقَالُ ذَرَّةٍ]﴾.

بالخَفْضِ [في عالم] صفة للَّه عز وجل، ويقرأ بالرفع من وجهين، أحدهما الابتداء، ويكون المعنى: عَالِمُ الغَيْبِ «لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ». ويكون «لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ» هو خَبَر عالم الغَيْبِ، ويرفع على جهة المدح للَّه عز وجل.

المعنى هو عالم الغيب ويجوز النَّصبُ ولم يُقْرأْ به على معنى اذْكُرْ عالمَ الغيب، ويقرأ علاَّمُ الغيوبُ وعلاَّمَ الغيبِ جَائِزٌ.

ويقرأ لا يعزِب عنه بِكَسْرِ الزاي، يقال: عَزَب عَنِّي يَعْزُبُ ويعْزِبُ إذَا غَابَ.

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

اللام دخَلت جواباً لقوله: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ للمجازاة أي من أجل المجازاة بالثواب والعقاب.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

بيّن اللَّه أَنَّ جزاءَهم المغفرةُ وهي التغطيةُ على الذُّنوب.

وقوله: ـ جل وعلا ـ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَجِّزِينَ﴾.

ويقرأ ﴿مُعاجِزين﴾ وَمُعاجزينَ في مَعْنَى مُسَابقين، ومن قرأ مُعَجِّزِينَ فمعناه أنهم يُعَجِّزُونَ من آمن بها، ويَكُونُ في معنى مُثَبِّطِينَ وهو معنى تعجيزهم من آمن بها.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيم﴾.

بالخفض نعت للرِّجْزِ، «أليم» نعت للعذاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ [الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ]﴾.

ههنا علماء اليهود الذين آمَنُوا بالنبي عليه السلام، منهم كعبُ الأحبار وعبدُ اللّه بنُ سلام، أي وَلِيَرى، وموضع «يرى» عطف على قوله: «ليجزي» و«الحق» منصوب. خبر ليرى[1] الذي[2] و«هُوَ» ههنا فصل يدل على أن الذي بعدها ليس بنعتٍ، ويسميه الكوفيون العماد، ولا تدخل «هو» عماداً إلاّ في المعرفة وما أشبهها، وقد بينا ذلك فيما مَضَى. والرفع جائز في قوله «هو الحقّ».

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ...﴾ الآية[3].

هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث، يقول بعضهم لبعض: هل ندلكم على محمد الذي يزعم أنكم مبعوثون بعد أنْ تكونوا عظاماً وتراباً ورفاتاً. وفي هذه الآية نظر في العربية لطيف، ونحن نشرحه إن شاء اللّه.

«إذا» في موضع نَصْب بِمزِّقْتُمْ، ولا يكون أَنْ يَعْمل فيها ﴿جَدِيدٍ﴾[4] لأن ما بعد «أنَّ» لا يعمل فيما قبلها. والتأويل هل ندلكم على رجل يقول لكم انكم إذا مزقتم تبعثونَ، ويكون «إذا» بمنزلة «إن» الجزاء، يعمل فيها الذي يليها، قال قيس بن الخطيم:

(١) مفعول ليرى، وفي الأصل خبر ليعلم.

(٢) اصل الجملة قبل دخول الناسخ «الذي انزل اليك من ربك هو الحق».

(٣) تمام الآية: ﴿ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد﴾.

(٤) من ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾.

إذَا قصُـرتْ أسْيافُنـا كان وَصْلُهـا خـطانا إلى اعـدائنـا فنضـاربُ[1]

المعنى يكون وصلها، الدليل على ذلك جزم «فَنُضَارِبْ».

ويجـوز أن يكون العـامـل في «إذا» مضمـراً، يـدل عليه ﴿إنكم لفي خلقٍ جديد﴾ ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يُنَبئكُمْ يقول لكم إذا مزقتم بعثتم، إنكم لفي خلق جديد، كما قـالوا:﴿أئِـذَا مِتْنَا وَكُنَّـا تُرابـاً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[2]. فإذا يجوز أنْ تكون منصوبة بفعل يدل عليـه «إنَّا لَمَبْعُوثُونَ» ولا يجوز «إنَّكُمْ لَفِي خلق جديد» بـالفتح، لأن الـلام إذا جاءت لم يجز إلَّا كسر إن.

وقـوله عـز وجل:﴿أَفَلَمْ يَـرَوْا إلَى مَـا بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَمَـا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأرْضِ﴾.

أي ألـم يَتَأمَّلُوا ويعْلَمُوا أن الذي خلق السماء والأرض قـادر على ان يبعثهم، وقَـادِرٌ أن يخسف بِهِمُ الأرْضَ أو يـسقط الـسمـاء عـليهـم كِسَفاً.

وقوله عز وجل:﴿إنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

أي إن في ذلك عَلامَةً تَدُلُّ مَنْ أنَابَ إلى اللَّه ورجع إليه وتأمَّل ما خلق على أنه قادر على أن يحيـي الموتى.

وقـوله تعـالى:﴿وَلَقَـدْ آتَيْنَـا دَاوُدَ مِنَّـا فَضْـلاً يَـا جِبَـالُ أَوِّبِي مَعَـهُ [وَالطَّيْرَ]﴾.

---

(١) البيت في ابـن يعيش ٩٧/٤، ٧٤/٧، وأمالي ابن الشجري ٣٣٣/١، وكتاب سيبويه ٦١/٣ (ت هرون) ـ يصف قومه ونفسه بالأقدام والهجوم على الأعداء، فهم لا يضربون من بعيد.

(٢) هي عطف في كلا الاعرابين. إما عطف مفرد وإما عطف جملة.

المعنى فقُلْنـا يَا جِبَـالُ أَوِّبي مَعَـهُ، وَتُقْـرأ أُوبِي معـه، على معنى عودي في التسبيح معه كلّما عاد فيه، ومن قرأ أَوِّبِي مَعَه فمعنـاه رَجِّعِي مَعَهُ، يقال آب يؤوب إذَا رَجَـع، ومعنى رَجِّعِي مَعَه سَبِّحي معـه ورَجِّعي التسبيح معه.

وَالطَّيْرَ ـ والـطَّيْرُ، فـالرفـع من جهتين. إحداهمـا أن يكون نسقـاً على ما في أَوِّبي، المعنى يَا جِبَالُ رجِّعي التسبيح أنت والطَّيْرُ، ويجوز أن يكـون مرفـوعاً عـل البَدَل. المعنى: يـا جبال ويا أَيُّهَـا الـطيـرُ أَوِّبي مَعَه.

والنَّصْبُ مِنْ ثَلاثِ جِهاتٍ. أن يكونَ عطفاً على قوله: «ولقد آتينـا داود مِنَّا فَضْلاً والطَّيرَ»، أي وسَخَّرْنَا له الطَّيْـرَ[١]. حَكى ذلك أبـو عبيدة عن أبي عمرِو بنِ العلاء، ويجوز أن يكون نصباً على النداء، المعنى: يـا جبال أَوِّبي مَعَـهُ والطَّيْـرَ، كأنـه قال دعـونا الجبـال والطيـر، فالـطير معطوف على مَوْضِعِ الجِبَالِ في الأصل، وكل منـادى ـ عند البصـريين كلهم ـ في موضع نصبٍ. وقد شرحنـا حال المضمـوم في النداء، وأن المعرفة مبني عَلَى الضَّمِّ. ويجوز أن يكون «والطَّيْرَ» نصب على معنى «مع» كما تقول: قمت وزيداً، أي قمت مع زيدٍ، فالمعنى أَوِّبي معه ومع الطير.

وقوله عز وجل: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ [أَنِ آعمَلْ سَابِغَاتٍ]﴾.

[أي] جعلنـاه لَيِّنـاً. وَأَوَّل مَنْ عَمِـل الـدُّرُوع دَاودُ، وكـان مـا يُسْتجنُّ[٢] به مِنَ الحديد إنما كانَ قِطَعَ حَـدِيدٍ نحـو هذه الجَـواشِنَ[٣]،

---

(١) منصوب بفعل مقدر مناسب كما في علفتها تبناً وماء.

(٢) يستجن به يستعمل للوقاية.

(٣) جمع جوشَنٍ ـ وهو الدرع.

و «أن» ههنا، في تأويل التفسير كأنه قيل: وألَنّا له الحديد أن أعمل سابغاتٍ، بمعنى[1] قلنا له: اعمل سابِغَاتٍ، ويكون في معنى لأن يعمل سابغات. وتصل إن بلفظ الأمر، ومثل هذا من الكلام أَرْسَلَ إليه أَنْ قُمْ إليَّ، أي قال قم إلى فلانٍ، ويكون بمعنى ارسل إليه بأن يقوم إلى فلانٍ.

ومعنى «سَابِغَاتٍ» دروع سابغات فذكر الصفة لأنها تدل على الموصوف، ومعنى السابغ الذي يغطي كل شيء يكون عليه حتى يَفْضُل.

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾.

السَّردُ في اللغة[2] تقدمة شيء إلى شيء تأتي به مُنَسَّقاً بَعْضُه في إثْر بَعْض مُتَتَابِعاً فمنه سَرَدَ فلانٌ الحدِيثَ، وقيل في التفسير: السَّرْدُ السَّمْرُ[3] والسَّتْر والخلق وقيل هو أَنْ لَا يَجْعَل المِسْمَارَ غليظاً والثقبَ دَقيقاً، ولا يجعلَ المسمارَ دَقِيقاً، والثقبَ واسِعاً فيتقَلْقَلْ وَيَنْخَلِع وينقصفُ. قَدِّرْ في ذلك أي اجْعَلْهُ عَلَى القصد وقدر الحاجة.

والذي جاء في التفسير غَيْرُ خارج عن اللغة لأن السَّمْرَ تقدِيمُك طرف الحلقة إلى طرفها الآخر، وزعم سيبويه أن قول العرب: رجل سَرَنْديٌّ مشتق من السَّردِ، وذلك أن معناه الجريء، قال: والجرِيء الذي يمضي قُدُماً.

---

(١) في الأصل: وبمعنى.

(٢) في القاموس: السرد الخَرْزُ في الأدِيمِ، ونسج الدِّرْع، واسم جامع للدروع وسائر الخلَق.

(٣) الشد بالمسامير. يقال سَمَرَ الشَّيْءَ يسمِرُهُ ـ كنصر وكضرب. وسمَّره، بمعنى شده بمسمار وثبته.

وتفسير : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ جعلناه ليناً كالخُيُوط يطاوعه حَتَّى عَمِلَ الدروعَ.

وقوله تعالى :﴿وَلِسُلَيمانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ﴾.

النصب في الريح هو الوجه وقراءة أكثر القراء، على معنى وسَخَّرْنَا لسلَيمانَ الريح، ويجوز الرفع ولسليمان الريح غدوها شهرٌ، والرفع على مَعْنَى ثبتت له الريح، وهو يؤول في المعنى إلى معنى سخرنا الريح، كما أنك إذا قلت: للَّه الحمد فتأويله استقر للَّه الحمدُ، وهُوَ يرجعُ إلى معنى أحمدُ اللَّه الحمْدَ.

وقوله:﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾.

أي غدوها مَسيرةُ شَهْرٍ، وكذلك رَوَاحُها. وكان سليمان يجلس على سريره هو وأصحابه فتسير بهم الريح بالغداة مسيرة شهر، وتسيرُ بالعَشِي مَسِيرَة شَهْرٍ.

﴿وأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ﴾.

القطر النُّحَاسُ، وهو الصُّفرُ، فأذيب مذ ذاك وكان قبلَ سليمانَ لاَ يذُوبُ.

﴿وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

موضع «مَنْ» نصب، المعنى سخرنا له من الجن مَنْ يعمَلُ، ويجوز أن يكون موضع «مَنْ» رفعاً، ويكون المعنى فيما أعطيناه من الجن ﴿مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْه بإذْنِ رَبِّه﴾ أي بأَمْر رَبِّه.

﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾.

أي من يعدل(١). ثم بَيَّن ما كانوا يعملون بين يَدَيْه فقال:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾.

المحرابُ الذي يُصَلَّى فيه، وأشرف موضع في الدَّارِ وفي البيت يقال له المحراب.

﴿وَجِفَانٍ كالجَوَابِ﴾.

اكثر القُرَّاء على الوقف بغير ياءٍ، وكان الأصل الوقفَ بالياء، إلاّ أن الكسرة تنوب عنها، وكانت بغير ألف ولام الوقف عليها بغير ياء(٢)، تقول: هذه جواب، فأُدْخِلَت الألف واللام وترك الكلام على ما كان عليه قَبْلَ دُخُولِهِمَا. والجوابي جمعُ جَابية، والجابية الحوض الكبير قال الأعشى(٣):

كجابية السيج العراقي تَفْهَقُ

أن يعملون له جفانه كالحياض العظام التي يجمع فيها الماء.

﴿وقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾: ثابتات.

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾.

«شكراً» منتصب على وَجْهَيْن: أحدهما اعملوا للشكر، أي اشكروا

---

(١) من يميل ويتحول.

(٢) أي متى كانت منكرة حذفت الياء للتنوين.

(٣) صدر البيت: نفى الذّم عن رهط المحلق جفنة. ويروى: آل المحلق.
وتقرأ «السيح العراقي» أي الماء والفيضان لكثرة الماء هناك دون الجزيرة العربية، وتقرأ «الشيخ» أي الرجل ـ لأن العراقي لا يعرف مواقع الماء فيحتاط بملء جابيته حتى تفيض، انظر الكامل ١/٤ (تجارية).

اللّه على ما آتاكم. ويكـون ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾ على معنى اشكروا شكراً.

وقوله تعالى: ﴿مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه﴾.

المنسأة العصا، وإنما سُمِّيَتْ منسأة لأنها يُنْسَأُ بها، ومعنى ينسأ بها يطرد بها ويؤخر بها، فلما توفي سليمان توفي وهو متكئ عليها - على عصاه - فلم يعلم الجن بموته حتى أكلت الأرضَةُ العصا. حَتَّى خَرَّ.

﴿فلمَّا خَرَّ تَبيَّنَتِ الجِنُّ﴾ مَوْتَهُ، المعنى ﴿أن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لبثوا فِي الْعَذَابِ المُهِينِ﴾.

المعنى لأنهم لو كانوا يعلمون ما غاب عَنْهُم مَا عَمِلُوا مُسخَّرِين، إنَّما عَمِلُوا وهم يظنون أنه حَيٌّ يقف عَلَى عَمَلِهِمْ، وقال بعضهم تبينت الأنسُ الجِنَّ[1] أن لو كانوا يعلمون الغَيْبَ، ويجوز أن يكون تبينت الجِنُّ أن لو كانوا يعلمون الغَيْبَ، والجن تتبيَّنُ أَنَّها لا تعلمُ الغَيْبَ، فكانَتْ تُوهِمُ أنها تعلم الغَيْبَ فَتَبَيَّنَتْ أنه قد بان للناس أنَّها لَا تَعْلَمُ، كما تَقُولُ للذي يدعي عندَكَ الباطِلَ إذا تبينت له: قد بينتُ أن الذي يقول بَاطِلٌ، وهو لم يزل يعلم ذلك ولكنك أردت أن توبخَهُ وَأَنْ تُعْلِمَهُ أنك قد علمت بطلان قوله.

وقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِم [آيَةٌ]﴾.

ويقرأ «مَسْكِنِهِمْ» بفتح الكاف وكسرها: ويقرأ مَسَاكِنِهم ويقرأ لِسَبَأَ

---

(١) أي عرف الناس حقيقتهم أنهم لا يعلمون، أو تبينت الجن بمعنى اتَّضَحَتْ حَالُهم وقد قرأ يعقوب: تُبيِّنَتِ الجن - بالبناء للمجهول.

ـ بالفتح وترك الصرف ـ وَلِسَبإٍ. فمن فتح وترك الصَّرْفَ فلأنه جَعَلَ سَبأ اسم قبيلة، وَمَنْ صرف وكسر ونوَّنَ جعل سبأ اسْماً للرَّجُل واسماً للحي وكلٌّ جائز حَسَنٌ.

﴿آيةٌ جَنَّتَانِ﴾.

«آية» رفع اسم كان، وَجَنَّتَان رفع على نوعين، على أنه بدَلٌ من آيةٍ وعلى إضمارٍ[1] كأنه لما قيل آية، قيل الآية جَنّتَانِ، والجَنَّتَانِ البُسْتَانَانِ. فكان لهم بستانان، بستان يَمْنَةً، وبُسْتَانٌ يَسْرَةً.

﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ [وَاشْكُرُوا لَهُ]﴾.

المعنى قيل لهم: كلوا مِنْ رِزقِ ربِّكُمْ ـ واشْكُروا لَهُ.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾. على معنى هذه بلدة طيبة.

﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ على معنى والله رَبٌّ غَفُورٌ.

﴿فَأَعْرَضُوا﴾ المعنى [أعرضوا] عن أمر الله.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ العَرِمِ﴾.

والعَرِمُ فيه أقوالٌ قال أبو عبيدة جمع عَرِمَةٍ، وهي السُّكْرُ والمُسنَّاةُ[2] وقيل العَرِمُ اسمُ الوَادِي، وقيل العَرِمُ ههنا اسم الجُرَذ الذي ثقب السُّكْرَ عَلَيْهِم، وهو الذي يقال له الخُلْدُ. وقيل: العَرِمُ المطر الشديد، وكانوا في نِعْمةٍ وكانت لهم جِنَانٌ يمنَةً وَيَسْرةً، وكانت المرأة تخرج على رَأسها الزَّبِيلُ فتعمل بيديها وتسير بين ذلك الشجر

---

(١) أي على اضمار مبتدأ، أي هي جنتان. فهو إذن كلام مستأنف.

(٢) السَكْرُ سَدُّ النَّهر، وبالكسر اسم منه وما سُدَّ به النَّهْرُ ويكون المعنى السَّيْلُ الذي حطم السّد ـ فهو لذلك يسمى سيل السد. والمسناة السيل الجارف.

فيسقط في زبيلها ما تحتاج إليه من ثمار ذَلِكَ الشَّجَرِ، فلم يَشْكُرُوا. فبعث اللَّه عليهم جُرَذاً، وكان لهُم سَكْرٌ فيه أبوابٌ، يفتحون ما يحتاجون إليه من الماء، فثقب ذلك الجرذ حتى نقب عَلَيْهم فغرَّق تينك الجنتين.

﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ﴾.

أَيْ بِهَاتَيْنِ الجنتَينِ المَوْصُوفتين.

﴿جَنَّتَيْن ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

وأُكْلٍ خَمْطٍ - الضَّمُّ والإسكان في الكافِ جَائِزَانِ، ويقرأ ذَوَاتَيْ أكُلٍ خمطٍ وذواتي أُكْلٍ خمْطٍ. ومعنى خمط: يقال لكل نبت قد أَخَذ طَعْماً من مرارة حتى لا يمكن أكله خَمْطٌ. وفي كتاب الخليل الخمطُ شَجَرُ الأَرَاكِ وقد جاء في التفسير أَنَّ الخَمْطَ الأراك وأكله ثمرهُ، قال اللَّه عز وجل: ﴿تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حِينٍ﴾(١).

﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾.

«ذلك» في موضع نَصْبٍ، المعنى جزيناهم ذلك بكفرهم.

﴿وَهَلْ نُجَازِي إلاَّ الكَفُورَ﴾.

وتقرأ وهل يُجَازَى، ويجوز وهل يُجَازَى إلاَّ الكَفُورُ، وَهَذَا مِمَّا يُسأَلُ عَنْهُ.

يقال: اللَّه - عَزَّ وَجَلَّ - يُجازي الكَفُورَ وغيرَ الكَفُورِ. والمعنى في هذه الآية أن المؤمن تُكَفَّرُ عنه السَّيِّئَاتُ، والْكَافِرَ يحبطُ عمله فيجازى بكل سوء يعمله قال اللَّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ

(١) سورة إبراهيم آية ٢٥.

اللَّهِ أَضَلَّ أعمالهم﴾[1] وقال: ﴿ذَلك بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[2] فأعلم - جل وعزَّ - أنه يحبط عمل الكافِرِ، وأعْلَمَنَا أن الحَسَنَاتِ يذهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، وان المؤمنَ تُكِفِّرُ عنه سَيِّئَاتِه حَسَنَاتُهُ.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾.

هذا عطف على قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَأ في مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ﴾ ﴿وجعلنا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ القُرَى الَّتي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾. فَكانوا لا يَحْتَاجُونَ من وادي سبأ إلى الشام إلى زَادٍ، وقيل القُرَى التي باركنا فيها بَيْتُ المقْدِسِ، وقيل أيضاً الشَّامُ، فكانت القرى إلى كل هذه المواضِعِ من وادي سبأ متصلة.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾.

جعلنا مَسِيرَهُمْ بمقدار حيث أرادُوا أن يقيموا حَلُّوا بقرية آمِنينَ.

﴿فقَالُوا رَبَّنَا بَعِّدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾.

ويقرأ ﴿ربنا باعِدْ بين أسْفَارِنَا﴾، ويقرأ «رَبُّنَا بَعَّدَ بين أَسْفَارِنا»، ويقرأ رَبَّنَا - بالنَّصْبِ - بَعُدَ بَيْن أسفارنا - برفع بَيْن -، ويقرأ بَيْنَ أسفارنا، ويقرأ رَبُّنا بَاعَدَ بين أَسْفَارِنَا.

﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾.

فمن قرأ بَعُدَ بَيْنُ أَسْفارنا برفع بيْن، فالمعنى بَعُدَ ما يتَّصِلُ

---

(١) أول سورة القتال.

(٢) سورة القتال الآية ٢٨.

بِسَفَرِنَا، ومن قرأ بَعُدَ بين أَسْفارنا فالمعنى بَعُدَ ما بين أسفارنا، وَبَعُد سَيْرُنا بين أَسْفَارِنا، ومن قرأ باعِدْ فعلى وجه المسألَةِ، ويكون المعنى أنهم سئموا الرَّاحَةَ وبطِرُوا النِّعْمَةَ، كما قال قوم موسى: ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ﴾(١) ـ إلى قوله: ﴿الَّذي هُوَ أدنى بالَّذِي هُوَ خَيرٌ﴾.

﴿وَمَزَّقناهُمْ كُلَّ مُمَزَّق﴾.

أي فرقناهم في البلاد لأنهم لما أذهب اللَّه بِجَنَّتَيْهِمْ وغرق مَكَانَهُم تبدَّدُوا في البلاد فصارت العَرَبُ تتمثَّل بِهُم في الفرقَةِ فتقول: تفرقوا أيْدِيَ سبأ، وأيادي سَبَأ قال الشاعِرِ:

مِنْ صَادِرٍ أو وَارِدٍ أَيْدي سَبَا.

وقال كثير(٢):

أيادي سبا ياعزّ ما كنت بعدكم   فلم يحل للعينين بعدك منظر

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

ويقرأ ﴿صَدَّقَ عليهم إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ ـ برفع إبْلِيسَ ونصب الظَّنّ، وصدقُه في ظَنِّه أَنَّهُ ظَنَّ بهم إذا أغْوَاهم اتَّبَعُوهُ فوجدهم كذلك فقال: «وَعِزَّتِكَ لأُغْوِينَّهُمْ أَجْمَعين إلاَّ عبادَكَ منهم المخلصين». فمن قال صَدَّق نَصَبَ الظن لأنه مفعولٌ بِهِ، ومن خَفَّفَ فقال «صَدَق» نصب الظن مصدراً

---

(١) سورة البقرة الآية ٦١.

(٢) انظر اللسان (سبأ) وكتاب سيبويه ٣/٣٠٤ (ت هرون)

يريد أنه عاش مشرداً مشتت الشمل ـ قدرت «أيادي سبا» بمنزلة قالي قلا، وبادي بدا، واعتبرت تركيباً مزجياً مثل خمسة عشر.

على معنى صدق عليهم ابليس ظَنًّا ظَنّه، وصدق في ظنه. وفيها وجهانِ آخرانِ، أحدهما ولقد صـدق عليهم إبليسُ ظنُّهُ، ظَنُّـه بدل من إبْلِيسَ، كما قال تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾(١). ويجوز وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسَ ظَنُّهُ، على معنى صدق ظنُّ إبليسَ باتبـاعِهم إيَّاهُ وقد قُرِئ بهما.

وقوله جل وعز:﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

أي مـا كان لـه عليهم من حجـة كمـا قـال:﴿إنَّ عِبَـادِي لَيْسَ لَـكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾(٢).

﴿إلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكٍّ﴾.

أي إلَّا لنعلم ذلك علمَ وقوعـه مِنْهُمْ، وهو الـذي يُجَازَوْنَ عَلَيْـه، واللَّه يعلم الغيبَ وَيَعْلَمُ مَنْ يؤمن مِمَّن يَكْفُـر قبـلَ أَنْ يؤمِنَ الـمؤمـنُ ويكفُـرَ الكافِـرُ ولكن ذلـك لا يُـوجِبُ ثـواباً وَلَا عِقَـاباً، إنمـا يثـابـون ويعاقبون بما كانوا عَامِلِينَ.

وقوله:﴿وَمَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾.

يعني أن الذين يزعمون أنهم شركاء اللَّه مِنَ المَلَائكـة وَغَيْرِهِمْ لَا شِرْكَ لهم ولا مُعينَ للَّه عز وجل فيما خَلَق.

وقوله عز وجل:﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.

بضم الهمزة وفتحها(٣)، ويكـون المعنى لمن أذَن لَه. [أي] لمن أذن اللَّه لـه أن يشفع، ويجـوز إلا لمن أذن أن يُشْفَـعَ لـه فيكـون «من»

---

(١) سورة البقرة. آية ٢١٧.

(٢) سورة الحجر آية ٤٢.

(٣) همزة أذِنَ.

للشافعين، ويجوز أَنْ يكونَ للمَشْفُوعَ لَهُمْ. والأجود أن يكون للشافعين، لقوله:﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾.

لأن الذين فزع عن قلوبهم ههنا الملائكةُ، وتقرأ «حتى إذَا فَزَّعَ عن قُلُوبِهِمْ» ـ بفتح الفاء ـ وقرأ الحسن: حَتَّى إِذَا فَرَغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ـ بالراء غيرَ المعجمة وبالغين المعجمة ـ ومعنى فُزِّعَ كُشِفَ الفَزَعُ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَفَزَّعَ عن قلوبِهِمْ كشفَ اللّه الفَزَع عن قُلُوبِهِمْ، وقراءة الحسن، فُرِّغَ تَرْجع إلى هذا المعنى لأنَّهما فَرغتْ من الفَزَع.

وتفسير هذا أن جبريل عليه السلام كان لِما نزل إلى محمد ﷺ بالْوَحْي ظنت الملائكة أنّه نزل لِشيءٍ من أمر السَّاعَةِ فَتَفَزَّعَتْ لِذَلِكَ، فلما انكشف عنها الفَزَعُ:﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾.

فسألت لأيِّ شيءٍ ينزل جبريل.

﴿قَالُوا الحقَّ﴾.

أي قالوا قال الحق، ولو قرئت قالوا الحقُّ لكان وَجْهاً. يكون المعنى قالوا هو الحق.

﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

روي في التفسير أن المعنى وإنا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين، وهذا في اللغة غير جائز ولكنه في التفسير يَؤُول إلى هذا المعنى. إنا لعلى هدى أو في ضلال مبين أو إنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، أو إنكم لعلى هدى أو في ضلال مبين. فهذا كما يقول القاتل: إذا كانت الحال تدل على أنه صَادقٌ ـ أَحَدُنا صادق، وأَحَدُنا كاذبٌ، والمعنى أَحَدُنَا صادق أو كاذب. ويؤول معنى الآية إلى: إنَّا لِمَا أقمنا من البرهان لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين.

وقوله:﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا بِالحَقِّ﴾.

معنى يفتح: يحكم، وكذلك الفتّاح: الحاكم.

وقوله ـ جل وعز ـ: ﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾.

المعنى الحقتموهم به، ولكنه حذف لأنه في صلة الذين[1].

وقوله:﴿كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

معنى كلَّا رَدْعٌ وتنبيه، المعنى ارْتَدِعُوا عَنْ هذَا القولِ وَتَنَبَّهُوا عَن ضَلاَلِتكُمْ، بل هو اللَّه الواحد الذي ليس كمثله شيء.

وقوله ـ عزّوجل ـ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾.

معنى كافَّة الإحاطَةُ في اللغة، والمعنى أرسلناك جامعاً للناس في الانذار والابلاغ، فأَرْسَلَ اللَّه النبي ﷺ إلى العرب والعجم، وقال: أنا سَابِق العَرَبِ إلى الاسلام، وَصُهَيْبٌ سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمانُ سابق الفرس، أي الرسالة عامة، والسابقون من العجَم هؤلاء.

وقوله:﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: يعنون لا نؤمن بما أتى به محمد ﷺ ولا بالكتب المتقدِّمَةِ.

وقوله:﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾.

معناه بل مكركم في الليل والنهار.

﴿وَنَجْعَلَ له أَنْدَاداً﴾: أَشْبَاهاً.

﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا العَذَابَ﴾.

---

(١) حذف العائد بعد فعل متعَدٍّ.

أَسَرُّوها بينهم. أقبل بعضهم يَلُوم بَعْضاً، ويُعرِّف بعضهم بَعْضاً النَّدامَةَ.

﴿إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾.

مُتْرَفُوها أُولو التُّرْفَةِ وهم رؤساؤها وقادة الشَّر وَيَتبعُهُمْ السِّفْلَةُ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾.

ولم يقل باللَّتَين ولا باللَّذَيْنِ ولا باللاَّتِي، وكل ذلك جائز، ولكن الَّذِي في المصحف الَّتِي، والمعنى وما أَمْوَالكم بالتي تقربكم ولا أَوْلاَدُكم بالذين يُقَرِّبُونكم ولكنه حُذِفَ اخْتِصاراً وإيجَازاً، وقد شرحنا مثل هذا.

وقوله: ﴿إلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾.

موضع «مَنْ» نصب بالاستثناء على البدل من الكاف والميم، على معنى ما يُقَرَّبُ إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِل صَالحاً، أي ما تُقَرِّبُ الأموالُ الاَّ مَنْ آمن وعمل بها في طاعة اللَّه.

﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾.

الضعف ههنا يحتاج إلى تفسير ولا أَعْلَمُ أَحداً فَسَّرَهُ تفسيراً بيِّناً. وجزاء الضعف ههنا عشر حسنات، تأويله فأولئك لهم جَزاءُ الضِّعْفِ الذي أَعْلَمْناكم مقدارهُ، وهو قوله: ﴿مَنْ جَاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها﴾ وفيه أوجُهُ في العَرَبيَّةِ، فالذي قرئَ به خفض الضعف بإضَافَةِ الجزاء إليه، ويجوز فأولئك لهم جزاءً الضِّعْفُ، على معنى فأولئك لهم الضعفُ

جزاءً، المعنى في حال المجازاة[1]، ويجوز فأولئك لهم جزاءً الضِّعْفَ على نصب الضِّعْفِ. المعنى، فأولئك لهم أَنْ نُجَازِيَهم الضعْفَ.

ويجوز رفع الضعف من جهتين، على معنى فأولئك لهم الضِّعْفُ عَلَى أن الضَعْفَ بدل من الجزاء، فيكون مرفوعاً على إضمار هو، فأولئك لهم جزاء، كأنه قال ما هو فقال: الضِّعْفُ. ويجوز النَّصْبَ فِي الضِّعْفِ على مفعول ما لم يسم فاعله على معنى فأولئك لهم أن يجازَوْا الضِّعْفَ.

والقراءة من هذه الأوجه كلها خفض الضعف ورفع جزاء.

وقوله جل وعز:﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾.

يُعْنَى به مشركو العَربِ بمكَّةَ لَمْ يَكُونُوا أَصْحابَ كُتُبٍ ولا بعث إليهم بنبيٍّ قبل محمَّد ﷺ.

﴿وكذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾.

أي عُشْر الذي آتينا من قبلهم من القوة والقُدْرَةِ.

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلي فكيف كَانَ نَكِير﴾.

حذفت الياء، المعنى فكيف كان نكيري، لأنه آخر آيةٍ.

وقوله عز وجل:﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ﴾.

أي أَعِظُكُمْ بأن توحدوا اللَّه وأَنْ تَقُولُوا لا إله إلاَّ اللَّهُ مخلصاً وقد قيل واحدة في الطاعة، والطاعة تَتَضَمَّن التوحيدَ والإخلاصَ. المعنى

---

(١) لا يستقيم هذا لأن «جزاء» تمييز وليست حالاً. وإنما يكون «لهم الضعف جزاء».

فأنا أعظكم بهذه الخصلة الواحدة أن تقُومُوا، أي لأنْ تَقُومُوا.

﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾.

أي أعظكم بطاعة اللَّه لأن تقومُوا للَّه منفردين ومُجْتَمِعين.

﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ﴾.

المعنى ثم تتفكروا فتعلموا أن النبي ﷺ ما هو بمجنون كما تقولون، والجنة الجُنُونُ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

أي يُنْذِرُكم أنكم إنْ عَصَيْتُمْ لقيتم عذاباً شديداً.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾.

معناه ما سألتكم من أجر على الرِّسالة أُؤَدِّيها إليكم، والقرآن الذي أتيتكم به من عند اللَّه، - فهو لكم - وتأويله أني إنما أنذركم وأُبَلِّغُكُمْ الرسالة ولستُ أَجُرُّ إلى نفسي عَرَضاً من أعراض الدنيا.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾.

أي إنما أَطْلُب ثوابَ اللَّه بتأدية الرِّسَالةِ، والياء في «أجري» مُسَكَّنَةٌ وَمَفْتُوحةٌ والأجود الفتح لأنها اسم فيبنى على الفتح.

وقوله - عزوجل -: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالحَقِّ عَلَّامُ الغُيُوبِ﴾ - بكسر الغين - ويجوز علامَ الغيوب بالنَّصْبِ، فمن نَصَب فعَلَّام الغيوب صِفةٌ لِرَبِّي المعنى قل إن ربي علامَ الغيوب يقذف بالحق ومن رفع «علام الغيوب» فعلى وجهين أحدهما أن يكون صِفةً على موضع ان ربي، لأن تأويله قل ربي عِلام الغيوب بقذف بالحق، وإنَّ مؤكدة. ويجوز

الرفع على البَدَلِ مِمّا في تَقْذِف، المعنى قل إن ربي يقذف هو بالحق علامُ الغيوبِ، ومعنى يقذف بالحق أي يأتي بالحقِّ ويرمي بالحق، كما قال ـ جل وعز ـ: ﴿بل نَقذفُ بالحقِّ عَلَى الباطل فَيَدْمَغُهُ﴾[1].

وقوله: ﴿قُلْ جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

أي قل جاء أمر اللَّه الذي هو الحق، وما يُبْدِئُ البَاطِلُ، «ما» في موضع نصب على مَعْنى وأَيَّ شيء يبدئ الباطِلُ وأيَّ شيء يُعِيدُ. والأجود أن يكون «ما» نفياً على معنى ما يبدئ الباطل وما يعيد، والباطل ههنا إبليس. المعنى وما يعيد ابليس وما يفيد، أي لا يخلق ولا يبعث، واللَّه ـ عز وجل ـ الخالقُ والباعث. ويجوز أَنْ يكونَ البَاطِلُ صَاحِبُ البَاطِلِ وهو إبليس.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا [فَلَا فَوْتَ]﴾.

هذا في وقت بَعْثِهِم.

وقوله: ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يَفُوتُوا.

﴿وَأُخِذُوا مِنْ مكانٍ قَرِيبٍ﴾.

في التفسير: من تحت أقدامهم. ويجوز فَلَا فَوْتٌ، ولا أعلم أحداً قَرَأَ بِهَا فإن لم تثبت بها رِوَايَةٌ فَلَا تقرأن بها، فإن القراءة سُنَّةٌ.

وقوله: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿قالوا: آمنا﴾، في الوقت الذي قال اللَّه ـ جل وعلا فيه[2]: ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ والتَّنَاوُشُ التناوُلُ، أي فكيف

---

(١) سورة الأنبياء /١٨.

(٢) قال في شأنه، والآية في سورة الأنعام رقم ١٥٨.

لهم أن يتناولوا ما كان مبذولاً لهم وكان قريباً منهم، فكيف يتناولونه حين بَعُدَ عَنْهُمْ. وَمَنْ هَمَزَ فقال: التَّنَاؤُش، فلأن واو التناوُش مَضْمُومَةٌ، وكل واو مضمومةٌ ضمَّتُها لازمة، إن شئت ابْدَلْتَ منها همزة وإن شِئْتَ لم تبدل نحو قولك أَدْوُر وتقاوُم[١]، وان شئت قلت: أدؤر وتَقَاؤم فهَمَزْتَ، ويجوز أن يكون التَّنَاؤُش من النَّئِيش[٢]، وهي الحركة في إبطاء فالمعنى من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفونَ بِالغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

أي كانوا يرجمون ويرمون بالغيب، وترجيمهم أنهم كانوا يظنون أنهم لا يبعثون.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾.

المعنى من الرجوع إلى الدنيا، والإيمان.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾.

أي بمن كان مذهبُه مَذْهَبَهُم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾.

فقد أعلمنا اللَّه جل وعز أنه يُعذِّبُ عَلَى الشَّكِ، وقد قال قوم من الضُّلَّالِ ان الشاكين لا شيء عليهم، وهذا كفر ونقض للقرآن لأن اللَّه - جل وعز - قال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّماءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[٣].

---

(١) جمع دار.

(٢) النأش بوزن المنع والتناؤش هو التناول والأخذ، والبطش والتأخير والنهوض، ويقال فعله نَيْشا أي أخيراً.

(٣) سورة ص الآية ٢٧.

سُورَةُ المَلائِكَةِ
مَكِّيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَواتِ والأَرْضِ﴾.

قال ابن عباس رحمه اللَّه: ما كنت أدْري ما فاطرُ السمواتِ والأرْض حتى اختصم إلى أعرابيَّان في بِئْرٍ فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها، أي ابتدأْتُهَا. وقيل فاطر السموات والأرض خالق السموات والأرض.

ويجوز فَاطِرُ وفَاطِرَ بالرفع والنصب، والقراءة على خفض فاطر، وكذلك ﴿جَاعِلِ المَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾.

معنى أولي أصحاب أجنحة، وثُلاثَ ورُبَاعَ في موضع خفضٍ. وكذلك مثنى إلَّا أنه فتح ثُلاثَ ورُبَاعَ لأنه لا يتصرف لِعِلتَيْن إحداهما أنه معدول عن ثلاثة ثلاثةٍ وَأَرْبَعةٍ أَرْبَعةٍ واثنين اثنين، فهذه علة، والعلة الثانيةُ، أَنَّ عُدُولَهُ وَقع فِي حَالِ النَّكِرَةِ قال الشاعر:(١)

ولكنما أهلي بوادٍ أنيسه ذئابٌ تبغَّى الناسَ مَثْنَى وَمَوْحَداً

وقوله عز وجل: ﴿يَزِيدُ في الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾.

يعنى في خلق الملائكة، والرُّسُلُ مِنَ الملائِكَةِ جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ ومَلَكُ الموت.

(١) ساعدة بن جؤبة تقدمت ترجمته ص ٩ وتقدم البيت. برفع موحد، والقصيدة على الرفع وهي في ديوان الهذليين ١ /٢٧٧، ومنها:

ألا بات من حولي نياما ورقد وعاودني حزني الذي يتجدد

وعاودني بثي فبت كأنما خلال ضلوع الصدر شرع ممدد

﴿مَا يَفتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَها﴾.

«يفتح» في موضع جزم على معنى الشرط والجزاء، وجواب الجزاء «فلامُمْسِكَ لها»، ولو كان فلا ممسك له لجاز لأن «ما» في لفظ تذكير[1]، ولكنه لَمَّا جَرَى ذكرُ الرحمة كان فلا ممسك لها أحسن، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

ومعنى ما يفتح اللَّه أي ما يَأْتيهِمْ بِهِ من مَطَرٍ ورِزقٍ فلا يقدر أَحَدٌ أن يُمْسِكَه، وما يُمْسِكْ اللَّهُ من ذلك فلا يقدر قادرٌ أن يرسله، ويجوز - ولا أعلم أحَداً قرأ به - ما يفتحُ اللَّه للناس من رحمة وَما يُمْسِكُ برفعهما على معنى الذي يفتحه اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها، والذي يمسك فلا مرسل له، ويجوز فلا مُمْسِكٌ لها بالتنوين، وما يمسك فَلاَ مُرْسِلٌ له من بعده، وَلاَ أعْلَمُ أَحَداً قرأ بها فلا تقرأن بما لم تثبت فيه رواية وان جاء في العربية لأن القراءة سنة.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غيرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ﴾.

هذا ذكر بعد قوله: ﴿ما يفتح اللَّه للناس من رحمة فلا ممسك لها﴾ فأكد ذلك بأن جعل السؤال لهم ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَواتِ وَالأرْضِ﴾.

وقرئت هل من خالق غير اللَّه بالرفع، على رفع غير، المعنى هَلْ خَالِقٌ غير اللَّه لأن «من» مؤكدة، وقد قرئ بهما جميعاً، غَيْرُ وَغَيْرِ، وفيها وجه آخر يجوز في العربية نصب غير «هل مِنْ خالقٍ غَيرَ اللَّهِ يرزقكم»، ويكون النصب على الاستثناء، كأنه هل من خالق إلَّا اللَّهُ يرزقكم.

---

(١) أي فلا ممسك لما يفتحه.

﴿فأنّى تُؤْفكونَ﴾.

أي من أين يقع لكم الإفْكُ والتكذيب بتوحيد اللَّه وإنكار البعث.

﴿وَإنْ يُكَذِّبُوكَ فقد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

هذا تَأسٍّ للنبي ﷺ أعلمه اللَّه أَنه قد كُذِّبَت رُسُلٌ من قبله، وَأَعْلَمَهُ أنه نَصَرَهُمْ فقال جل وعز، ﴿فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[1].

﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾.

وتَرْجِعُ الأمُورُ، المعنى الأمْرُ رَاجعٌ إلى اللَّه في مجازاة من كذَّبَ، ونُصْرةِ من كُذِّب مِن رُسُلِهِ.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾.

أي ما وعدكم اللَّه من مجازاة فحق.

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

أي وإن كان لكم حظ في الدنيا يَغُضُّ مِنْ دِينِكُمْ فلا تؤثروا ذلك الحظَّ.

﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾.

والغَرُورُ الشيطانُ، ويَقْرَأُ الغُرورُ بضمّ الغَيْنِ، وَهِيَ الأَبَاطِيلُ ويجوز أن يكون الغُرور جمع غَارّ وغُرور، مثل قاعد وقُعُود، ويجوز ان يكون جمع غَرٍّ مَصدَرُ غَرَرْتُه غَرًّا. فَأَما أَن يكون مصدر غررته غُروراً

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٤.

فَبعيـدٌ. لأن المتعدّيـة لا تكاد تقـع مصادِرَهَـا عَلَى فُعُولٍ[1]، وقـد جاء بعضها على فُعُول نحو لزمته لزوماً، وَنَهِكَه المرض نُهُوكاً فيجوز غررته غروراً على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾.

الجواب هَهُنَا عَلَى ضَرْبَيْن أحدهمـا يدل عليه ﴿فَلَا تَـذْهَب نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَـراتٍ﴾. ويكون المعنى أفمن زين لـه سوء عمله فـأضله اللَّه ذهبت نفسـك عَلَيْه حَسْـرةً، ويكون «فلا تذهب نفسك» يدل عليـه، وقد قرئت فلا تُـذْهِبْ نَفْسُكَ بضم التـاء وجزم البـاء ونصب النفس. ويجوز أن يكون الجواب محذوفاً ويكون المعنى أفمن زُيِّن له سـوء عمله كمن تعداه اللَّه، ويكون دليله ﴿فإن اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء﴾.

وقوله: ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيْتٍ﴾ وَمَيِّتٍ.

﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها كذلك النُّشُورُ﴾.

أيْ نُنْشِئ[2]. المعنى مثل ذلك، أي مثل إحْيَاءِ الأرْض، وكـذلك بعثكم.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّة جَمِيعاً﴾.

أي من كان يريـد بعبادتـه غير اللَّه العـزَّةَ فلله العزة جميعـاً، أي في حال اجْتِمَاعِها، أي يجتمع له في الدنيا والآخرة. ثم بين كيف يَعِزُّ باللَّه فقال:

(١) فعول هو مصدر فعل المفتوح العين اللازم ـ نحـو قعد وخـرج وقد يجيء من المتعدي نحو شهده شهوداً بمعنى رآه.

(٢) مثل إحياء الأرض بعد موتها ننشئ الحياة في الأجسام الموتى.

﴿إِلَيْه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

أي إليه يصل الكلم الذي هو توحيد اللَّه، وَهُوَ قَوْلُ لاَ إلَه إلاَّ اللَّهُ والعمل الصَّالِحُ يَرْفَعُه. المعنى إذَا وَحَّدَ اللَّهَ وعجل بِطَاعَتِه ارْتَفَع ذَلِكَ إلى اللَّه، واللَّه - عز وجل - يرتفع إليه كل شيء ويعلم كلَّ شيء، ولكن المعنى فيه ههنا العمل الصالح هو الذي يرفع ذكر التوحيد حتى يكون مُثَبِّتاً للمُوَحِّدِ حقيقة التوحيد. والضمير في يرفعه يجوز أن يكون أَحَدَ ثلاثة أشياء، وذلك قول أهل اللغة جميعاً، فيكون والعمل الصالح يرفع الكلمَ الطيبَ، ويجوز أن يكون والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، أي لا يقبل العمل الصالح إلاَّ من مُوَحِّدٍ، والقول الثالث ان يرفعه اللَّه عز وجل.

﴿والَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيئَاتِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

المعنى مكرُ الذين يمكرون بالنبي ﷺ.

﴿هُوَ يَبُورُ﴾.

أَيْ يَفْسُدُ، وقد بين ما مكرهم في سورة الأنفال، في قوله:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾(١).
ففسد جميع مكرهم فجعل اللَّه كلمة نبيه وأوليائِه العُلْيَا، وَأَبْدِيَهم العَالِيَةَ بالنصر والحجة.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ من مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنْقَصُ مِنْ عُمُره﴾.

وقرئت يَنْقُصُ. ويجوز «وما تُعَمِّر مِن مُعَمِرٍ ولا نَنْقُصُ بالنُّون جَمِيعاً ولَكِنَّهُ لم يقرأ بها فيما بلغني، فلا تقرأنّ بها. وتأويل الآية أن

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

اللَّه جل وعز قد كتب عُمَرَ كُلِّ مُعَمَّرٍ وكتب يُعَمَّر كذا وكذا سنةً وكذا وكذا شهرا، وكذا وكذا يَوْماً، وكذا وكذا ساعةً، فكلُّ ما نَقَصَ مِنْ عُمْرِه من سنة أو شهر أو يوم أو ساعةٍ كتب ذلك حتى يبلغ أَجَلَهُ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ﴾.

الفُرَاتُ المبالِغُ في العُذُوبَةِ.

﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

الأجاج الشديد المرارة، والأجاج أيضاً الشديدُ الحَرَارَةِ.

﴿وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾.

وإنما تستخرج الحلية مِنَ المِلْح دُونَ العذْبِ، إلا أنهما لما كانا مُخْتَلِطَيْنِ العَذْبُ والمِلْحُ، جاز أن يقال تستخرجون الحلية - وهي اللؤلؤ والمَرْجَانُ وما أشبه ذلك مِنْهُمَا - كما قال: ﴿يخرج منهما اللُّؤْلُؤُ والمُرجَانُ﴾[1].

﴿وَتَرَى الفُلْكَ فيه مَواخِرَ﴾.

المعنى في مواخر تشق الماء. وجاء في التفسير أنها تُصَاعِدُ وَتَنْحَدِرُ في البَحْرِ بريح وَاحِدَةٍ. والفُلْكُ جمع فُلْكٍ - لفظ الواحد كلفظ الجمع لأن فُعْلاً جمع فَعَلٍ نحو أَسَدٍ وَأُسْدٍ، وَوَثَنٍ وَوُثْنٍ، فكذلك جَمْعُ فُعْل لأنهما أختانِ في الجمع، تقول: جَبَل وأَجْبَالٌ، وَقُفْل وأقفال، وكذلك أسد وآسَادٌ. وفُلْكٌ للواحد وفُلْكٌ للجَمْاعَةِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.

وهي لُفَافَةُ النواة، والنقير النقرةُ فِي ظَهْرِ النَّواةِ، والفتيل الذي في وَسَطِ النَّوَاةِ.

---

(١) سورة الرحمن /٢٢.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾.

المعنى يقولون: ما كنتم إِيَّانَا تَعْبُدُونَ، فيكفرون بِعِبَادَتِكم إِيَّاهُمْ

﴿وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

وهو اللَّه، لأن ما أنبأ اللَّه بِهِ مِمَّا يَكُون فهو وحدَه يخْبُرُهُ، لا يَشْرَكُه فِيه أَحَدٌ.

﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا﴾

المعنى إن تدع نَفْسٌ مُثقَلةٌ بالذُّنُوبِ إلى حِمْلِها، إلى ذُنوبها، لا يُحْمَلْ مِنْ ذنوبها شيءٌ.

﴿وَلَوْ كَانَ ذا قُرْبَى﴾.

أي ولو كان الذي تدعوه ذا قربى مثل الأب والابن، ومن أشبه هؤلاء.

﴿إِنَّما تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ﴾.

فتأويل «تنذر الذين يخشون رَبَّهُمْ» - وهو النبي ﷺ تنذر الخلق أَجْمَعِين، والمعنى ههنا أَنَّ إِنْذَارَكَ ينفع الذين يخشون رَبَّهُمْ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورَ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الحَرُورُ﴾.

هذا مثل ضَربه اللَّه للمؤمنين والكافرين، المعنى لا يستوي الأعمى عن الحق وهو الكافر، والبصير بالحق وهو المؤمِنُ الذي يبصر رَشْدَهُ. وَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُ، الظلمات الضلالات، والنور الهدي ولا الظل ولا الحرور، المعنى لا يستوي أصحاب الحقِّ الذين هم في

ظِلٍّ من الحَقِّ، ولا أصحاب الباطل الذين هم في حَرُورٍ أي في حَرٍّ دَائِمٍ لَيْلاً ونهاراً والحَرُورُ استيقاد الحرّ ولفحه بالنهار وبالليل، والسَّمُومُ لا يكون إلاَّ بالنَّهَارِ.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الأحْيَاءُ وَلاَ الأمْوَاتُ﴾.

الأحياء هم المؤمنون، والأموات الكافرونَ، ودليل ذلك قوله ﴿أَمْوَاتٌ غيرُ أحياءٍ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ إلى قوله: ﴿جَنات عَدْنٍ يَدْخُلُونَها﴾(٢).

قال عمر بن الخطاب - رحمه اللَّه - يَرْفَعُه(٣): سابقنا سابق، وَمُقْتَصِدُنَا نَاجٍ، وظالمنا مَغْفُورٌ لَهُ.

والآية تدل على أن المؤمنين مغفور لهم، لمقتصدهم الظَّالِم لِنَفْسِهِ منهم بعد صحة العقد. وقد جاء في التفسير أن قوله: منهم ظالم الكَافِرُ وهو قول ابن عباسٍ، وَقد رُوِيَ عنِ الحَسَنِ أنَّه الْمُنَافِقُ، واللفظ يدل على ما قاله عمر عن النبي ﷺ وَمَا عليه أَكْثَرُ المفسِّرِينَ، لأن قوله: ﴿ثم أَوْرَثْنا الكِتَابِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ يدل على أن جملة المصطَفَيْنَ هؤلاء، وقال اللَّه - عز وجل - ﴿قُلِ الحَمْدُ لِلَّه وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الذين اصْطَفَى﴾(٤).

﴿وَمِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا.

---

(١) سورة النحل الآية ٢١.

(٢) بقية الآية: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ومِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ومِنْهُمْ سَابِقٌ بِالخَيْرَاتِ بإذْن اللَّهِ ذَلِكَ هُو الفَضْلُ الكَبِيرُ - جَنَّاتُ عَدْنٍ...﴾.

(٣) اي سمعه من النبي ﷺ بلا واسطة بينهما.

(٤) سورة النمل الآية ٥٩.

جُـدَدٌ جمع جُـدَّة، وهي الخطَّةُ والطريقَةُ، قال امرؤ القيس[1]

كَـأن سَـراتَـه وَجُـدَّةَ مَـتْـنِـهِ كـنـائن يـجـري بينهـن دَلـيصُ

جُـدَّةُ مَتْنه الخُـطَّة السوداء التي تـراها في ظَهْـرِ حِمارِ الـوَحْشِ، وكل طريقةٍ جادَّة وجُدَّة.

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾.

أي ومن الجبـال غَـرابِيبُ وهي الحِـرَارُ، الجبـال التي هي ذات صُخورٍ سُـودٍ. والغِـرْبِيبُ الشديد السَّوادِ.

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُه [كذلك]﴾.

المعنى وفيمـا خلقنـا مختلف ألـوانـه، ومن النـاس والـدواب والأنْعَامِ كذلك أي كاختلاف الثمرات والجبال.

﴿إنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾.

أي من كان عالماً باللَّه اشتدت خشيته له. وجاء في التفسير كفى بخشية اللَّه عِلْماً، وبالاغْتِرَارِ باللَّه جَهْلاً.

﴿يَـرْجُـونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾.

أي لَنْ تَفْسُدَ وَلَنْ تَكْسَدَ.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إنه غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

غفور لذنُوبِهم شكور لِحَسنَاتِهِمْ.

---

(١) الدليص ـ البريق ـ والجدد جمع جُـدَّة ـ الخطة السـوداء في متن الحمار ـ والسـراة أعلى متنه، وهـو الخط فوق العمـود الفقـري منـه، والبيت في اللسـان (دلص ـ جـدد) وفي معـانى الفـراء ٢/ ٣٦٩ «كان سراتيه».

﴿يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ﴾.

فيها وجهان، أحدُهُما يُحلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ومِنْ لُؤْلُؤٍ، ويجوز ولُؤْلُؤاً على مَعْنَى يحلون أساورَ، لأن معنى من أَسَاوِرَ كمعنى أَسَاورَ. والتفسير على الخفض أكثر، على معنى يحلون فيها من أَسَاوِرَ مِنْ ذَهبٍ ولُؤْلُؤٍ. وجاء في التفسير أَنَّ ذَلِكَ الذَّهَبَ في صَفاءِ اللُّؤْلُؤِ، كما قال عز وجل: ﴿قواريرَ قواريرَ من فضة﴾[1]، أي هي قوارير ولكن بياضها[2] كبياض الفضَّةِ، والفضة أَصْلُه. وَيَجُوزُ أَنْ يكون يُحَلَّوْنَ مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ، وَيُحَلَّوْنَ من لُؤْلُؤٍ. ويجوز على مَعْنَى وَيُحَلَّوْنَ لُؤْلُؤاً. وأساور جمعُ إِسْوِرَة وَأساوِر وَوَاحِدُهَا سِوَار. والأُسْوَارُ من أساوِرَةِ الفُرْس، وَهُوَ الجيِّدُ الرَّمْي بالسهام[3].

قال الشاعر[4]:

وَوَتَّـر الأَسَـاوِرُ الـقِـيَـاسَـا   سَـغْـدِيَّـة تـنـتـزعُ الأنْـفَـاسَـا

﴿وَقَالُوا الحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾.

ويجوز الحُزْن مثل الرُّشْد والرَّشَد، والعُرْبُ والعَرَب، ومعنى أذهب عنا الحَزَنَ أذهب عنا كلَّ ما يُحْزِنُ، من حُزْنٍ في مَعَاسٍ أو حُزْنٍ لِعَذابٍ، أَوْ حُزْنٍ للمَوْتِ، وقد أذهب اللَّه عن أهل الجنَّةِ كُلَّ حُزْنٍ.

﴿الذي أَحَلَّنَا دَارَ المُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

---

(١) سورة الانسان الآيتان ١٥، ١٦.

(٢) في الاصل «بياضه».

(٣) الأسوار - بضم الهمزة وكسرها - قائد الفرس، والجيِّد الرَّمْي.

(٤) قال أبو عبيدة للقلاخ بن حزن المنقري - وهو في اللسان (قوس) - وذكر معه شطرٌ ثالث هو - حتى يقول الأزد لا مساسا - في القرطبي ١١/٢٤٠، ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٧ - ويروى أيضاً صفديه، وصفد اسم جبل، وأيضاً اسم بلد.

مثل الاقامة، تقول: أقمت بالمكان إقامة ومقامةً ومُقَاماً أي أَحَلَّنا دار الخُلُودِ من فَضْله، أي ذلك بتفضله لا بأعْمَالِنَا.

﴿لاَ يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ﴾: أي تَعَبٌ.

﴿وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

واللُّغُوب الإعياء من التَّعَب. وقد قرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ لَغُوب - بفتح اللام - والضَّمُّ أكثر، ومعنى لَغُوب شيء يَلْغَبُ مِنه، أي لا نتكلف شيئاً نَعْيَا مِنْهُ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا﴾.

«فيموتوا» نصبٌ. وعلامة النصب سقوط النون، وهو جواب النفي، والمعنى لا يقضى عليهم الموت فيموتوا.

﴿وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾.

أي من عذاب نار جهنم.

﴿كَذَلِكَ يُجْزَى كُلُّ كَفُور﴾.

و ﴿نَجْزِي كلَّ كَفُور﴾. وفيها وجه ثالث: كَذَلِكَ يَجْزِي كلَّ كَفُورٍ، أي كذلك يجزي اللَّهُ، المعنى مثلَ ذلك الجزاء الذي ذكرنا. ولا أَعْلَم أَحَداً قرأ بها، أعني يجزي بالياء وفتحها.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها﴾: يستغيثون رَبَّنَا أَخْرِجْنَا.

المعنى يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَل﴾.

المعنى إن تخرجنا نعمَلْ صَالِحاً، فوبَّخَهُمُ اللَّه فقال:

﴿أَو لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾.

معناه أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكم العُمْرَ الذي يتذكر فيه من تذكر. وجاء في التفسير: لَقَدْ أَعْذَرَ اللَّه إلى عَبْدٍ عَمّرهُ ستين سنةً، ويقال من الستين إلى السبعين. وقد جاء في التفسير أنه يدخل فيها ابنُ سبعَ عَشْرَةَ سَنة وقد قيل أربعين.

﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾.

يعنى النبي ﷺ وقيل الشَّيْبُ. والقولُ الأوّل أن النبي ﷺ النذيرُ أكثرُ التفسير عليه، وقد قيل الأربعين.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

القراءة الكثيرة بالخفض[1] ويجوز عالم غيبَ السموات على معنى يعلم، وعالم غيب على معنى قد علم ذلك.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ في الأرْضِ﴾.

«خلائف» جمع خليفة، المعنى جَعَلَكُمْ أُمَّةً خلفت مَنْ قبلها، ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي أن يعتبر به.

﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُه﴾.

المعنى فعليه جزاء كفره.

﴿[وَلَا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ] عِنْدَ رَبِّهِمْ إلَّا مقْتاً﴾.

المقت أشد الإبغاض.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾.

معناه قل أَخْبِروني عن شركائكم.

---

(١) بإضافة عالم إلى الغيب.

﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ﴾.

المعنى بأي شيء أوجبتم لهم شركة اللّه، أبخلق خلقوه من الأرض.﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً﴾.

أي أم أعطيناهم كتاباً بما يدعونه من الشركة.

﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾.

ويقرأ بَيِّناتٍ.

﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ ([أي] ما يَعِدُ)، الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إِلَّا غُرُوراً﴾.

والغرور الأباطِيلُ التي تغُرُّ، ومعنى إن يعد: ما يعد، وبَعْضُهُمْ بَدَلٌ مِنَ الظالمين.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ [أَنْ تَزُولَا]﴾.

معنى يمسك يمنع السماوات والأرض من أن تزولا.

ولما قالت النصارى المسيحُ ابن اللّه وقالت اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللَّهِ كادت السموات يَتَفَطَّرْنَ منه، وكادَت الجبال تَزُول، وكادت الأرض تنشق، قال اللّه: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُم شَيْئاً إِدًّا﴾. الثلاث الآيات[1] فأمسكها اللّه.

وقال السَّمواتِ والأرْضَ لأن الأرْضَ تَدُلُّ عَلَى الأرَضِينَ

﴿وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

يحتمل هذا - واللّه أعلم - وجهين من الجواب. أحدهما زوالهما

---

(١) سورة مريم الايات ٨٨، ٨٩، ٩٠ - وبقيتها: ﴿تكادُ السَّمواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْه وتَنْشَقُّ الأَرْضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَدًّا. أَنْ دَعُوا للرحمنِ وَلَداً. وَمَا يَنْبَغِي للرَّحْمنِ أن يَتَّخذَ وَلَداً﴾.

في القيامة قال الله: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[1] ويحتمل أن يقال إن زالتا وهما لا يزولان[2].

وقوله في هذا الموضع: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾.

فإن قوماً سألوا فقالوا: لِمَ كان في هذا الموضع ذكرُ الحلم والمَغْفِرَةِ وهذا موضع يدل على القدرة. فالجواب في هذا أنه لما أمسك السموات والأرض عند قولهم: ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً﴾. حَلُمَ فلم يعجل لهم بالعقوبة وأمسك السموات والأرضَ أن تزولا من عظم فِرْيَتِهِمْ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾.

يعني المشركين، وكانوا حَلَفُوا واجتهدوا لَئن جَاءَهُم نَذِيرٌ ليكونُنَّ أَهْدَى مِن إحدَى الأُمَم، أي من اليهود والنصارى وغَيرِهِمْ.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾.

وهو محمد ﷺ.

﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾.

إلا أن نفروا عن الحقِّ.

﴿اسْتِكْبَاراً فِي الأَرْضِ﴾.

«استكباراً» نصب، مفعول له. المعنى ما زادهم إلا أَنْ نَفَرُوا للاستكبارِ.

---

(١) سورة التكوير الآية ١١.

(٢) أي زوالهما في هذه الدنيا.

﴿وَمَكْرَ السيّىء﴾.

أي وَمَكْرَ الشّرك.

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: يُحِيطُ.

وقرأ حمزَةُ: ولا يَحيقُ المكْرُ السيءْ على الوقف، وهذا عند النحويين الحذَّاقِ لَحْنٌ، ولا يجوز، وإنما يجوز مثله في الشعر في الاضطرار قال الشاعر:

إذَا اعْوَجَجْنَ قُلتُ صَاحِبْ قَوِّمِ [1]

والأصل يا صَاحِبُ قَوِّمِ، ولكنه حذف مُضْطَراً. وكأنَّ الضَّمُّ بعدَ الكَسْرِ والكسر بعدَ الكسر يستثقل. وأنشدوا أيضاً.

فاليوم أَشْرَبْ غير مستحقب إثماً من اللَّه وَلاَ وَاغِلِ [2]

وهذان البيتان قد أنشدهما جميع النحويين المذكورين وزعموا كلُّهم أن هذا من الاضطرار في الشعر ولا يجوز مثله في كتاب اللَّه. وأنشدناهما أبو العباس محمد بن يزيد رحمه اللَّه:

إذا اعوججن قلت صاحِ قوِّم

وهذا جيِّدٌ بالغ، وأنشدنا:

فاليوم فَاشْرَبْ غيرَ مستحقب

وأما ما يروى عن أبي عمرو بن العلاء في قراءته إلى بَارِئْكُم. فإنما هو أن يختلس الكسر اختلاساً، ولا يَجْزِم بَارِئكم، وهذا أعني

(١) تقدم.

(٢) تقدم. وما هنا ليس من هذا إنما هو من إدغام المثلين. إذ هما همزتان.

جزم بارئكم إنما رواه عن أبي عمرو من لا يضبط النحو كضبط سيبويه والخليل، ورواه سيبويه باختلاس الكسر، كأنه تقلَّلَ صَوْتَه عند الكسرة.

﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ﴾.

معناه فهل ينتظرون إلاَّ مثلَ أيَّام الَّذينَ خَلَوْا من قَبْلِهِمْ، والمعنى فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم من العذاب مثلُ الذي نزل بمن قبلهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾.

المعنى لَيفُوتَه من شيءٍ من أَمْر السَّموات ولا مِنْ أَمْرِ الأَرْضِ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

قالوا: قال على ظهرها[1]، لأن المعنى يُعْلَم أنَّهُ على ظهر الأرض، وهذا حقيقتُه أَنَّهُ قد جرى ذكر الأرض بقوله فيما قَبْلَ هذه الآية يليها قوله:﴿وما كان اللّه ليُعْجِزَهُ من شيءٍ في السموات ولا في الأرض﴾ فلذلك جاء على ظهرها.

وقوله:﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾.

فيه قولان، فقيل مِن دَابَّةٍ من الانس والجن وكل ما يعقل. وجاء عن ابن مَسْعُودٍ كادَ الجُعَل يهلكُ في جُحْرِه لذَنْبِ ابن آدم. فهذا يدل على العموم. والَّذي جاء أنه يُعْنَى به الانسُ والجِنُّ كأنه أشبه، واللَّه أعلم.

آخر سورة الملائكة.

---

(١) أي ولم يقل على ظهر الأرض.

سُورَة يس
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جـاء في التفسير ﴿يسٓ﴾ معنـاه يا إنسـانُ، وجاء يـا رجل وجـاء يا محمَّدُ والذي عند أهل العربية أنه بمنزلـة «الٓمٓ» افتتاح السُّـورَةِ، وجاء أن معنـاه القسم، وبعضهم أعنى بعضَ العَـرَب تقـول: يَـاسِنَ وَالقُـرْآنَ بفتـح النون، وهـذا جائـز في العربيـة، والتسكين أجـودُ لأنهـا حـروف هجاء. وقد شـرحنا أشبـاه ذلك. فـأما من فتـح فعلى ضربين، على أن «يٓس» اسم للسورة حكايـة كأنـه قال: اتْلُ يس، وهو على وزن هـابيل وقابيل لا ينصرف، ويجوز أن يكون فتحَ لالتقاء الساكنين.

وقوله جل وعز: ﴿وَالْقُرآنِ الحَكِيمِ﴾.

معناه أن آياتِه أحكمتْ وَبُيِّنَ فِيهَا الأمْرُ والنَّهيُ والأمثال وأقاصيص الأمم السالفة.

﴿إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

هذا خطاب لمحمد ﷺ وهو جَوابُ القَسَمِ جواب «والقُـرْآن إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

[أي] على طريق الانبياء الذين تقدمـوك. وأحسن ما في العـربية أن يكـون «لَمِنَ المـرسلين» خَبـرُ «إن» ويكـون «على صـراط مستقيم»

خبراً ثانياً، فالمعنى انك لمن المرسلين الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة.

وقوله ـ عز وجل ـ : ﴿تَنزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

تقرأ تنزيلَ ـ بالرفع والنصب ـ فمن نصب فعلى المصدر على معنى نَـزَّلَ اللَّه ذلك تنزيلا. ومن رفع فعلى معنى الذي أنزل اليك تنزيل العزيز الرحيم.

﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾.

جاء في التفسير لتنذر قوماً مِثْلَ مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ، وجاء لتنذر قوماً لم يُنْذَرْ آبَاؤهم، فيكونُ مَا جُحْداً ـ وهذا ـ واللَّه أعلم ـ الاختيار، لأن قوله «فَهُمْ غَافِلُونَ» دليل على معنى لم ينذر آباؤهم وإذا كان قد أنذر آباؤهم فهم غافلون ففيه بُعْدٌ، ولكنه قد جاء في التفسير. ودليل النفي قوله :﴿وما آتيناهم مِنْ كُتُبٍ يدرُسُونها وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾[1]. ولوكان آباؤهم منذرين لكانوا مُنْذَرِينَ دَارِسِين لكتب ـ واللَّه أعلم.

﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾.

القول ههنا ـ واللَّه أعلم ـ مثل قوله:﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ العَذَاب عَلَى الكَافِرِينَ﴾[2]. المعنى لقد حق القول على اكثرهم بكفرهم وعِنَادِهم. أَضَلَّهم اللَّه وَمَنَعَهُمْ مِنَ الهُدَى.

---

(١) سورة سبأ آية ٤٤.

(٢) سورة الزُّمَر الآية ٧١.

وقوله جل وعز ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً﴾.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود رحمهما اللّه: إنا جعلنا فِي أَيْمَانِهِمْ. وقرأ بعضهم في أَيْدِيهم أَغلالاً، وهاتان القراءتان لا يجب أن يقرأ بواحدة منهما[1] لأنهما بخلاف المصحف.

فالمعنى في قوله في أعناقهم ومن قرأ في أيمانهم ومن قرأ في أيديهم فمعنى واحدٌ. وذلك أنه لا يكونُ الغُلُّ في العنقُ دُونَ اليَدِ ولا في اليد دون العُنُق، فالمعنى إنا جعلنا في اعْنَاقِهِمْ وفي أيمانهم أَغْلَالاً.

﴿فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ﴾.

كناية عن الأيدي لَا عن الأعناق، لأنَّ الغُلَّ يجعل اليد تلي الذَّقْنَ، والعُنُق هو مُقَارِبٌ للذَّقن، لَا يجعَلُ الغُلُّ العُنَقَ إلى الذَّقَنِ.

وقوله: ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾.

«المُقْمَحُ» الرافع رأسِه النَّاصُ بَصرِه، وقيل للكانونين شَهْرَا قُمَاح[2] لأن الإبل إذَا وَرَدَتْ الماءَ ترفع رُءوسَها لِشدَّةِ بَرْدِه، ولذا قيل شهرا قِمَاحٍ، وإنما ذكرت الأعناق ولم تذكر الأيدي إيجازاً واختصاراً لأن الغل يتضمَّنُ العُنُقَ واليَدَ. ومن قرأ في أيمانهم فهو أيضاً يدل على العُنُق، ومثل هذا قول المثقب[3]:

وما أدري إذا أممت أرضاً أُرِيدُ الخير أيُّهما يليني
أَأَلخير الذي أَنَا أَبْتَغِيه أَمِ الشرَّ الذي هُوَ يَبْتَغِينِي

(١) في الأصل بواحدة منها.

(٢) الشهران الشديدا البرد ـ كانون الأول وكانون الثاني ـ أي ديسمبر ويناير. وقِماح كَكِتاب وغُرَابٍ، ويقال: قمح البعير إذا رفع رأسه ممتنعاً من الشرب.

(٣) من نونية المثقب العبدي ـ تقدم بيت منها. وانظر حـ ١/ ٤٨.

وإنما ذكر الخير وحده، ثم قال أَيُّهما يليني، لأن قد علم أَنَّ الانسان الخيرُ والشر مُعرَّضانِ له، لا يدري إذا أَمَّ أَرْضاً أَيَلْقاه هذا أم هذا، ومثله من كتاب اللّه:﴿سَرَابِيلُ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾(١)، ولم يذكر البرد، لأن ما وَقَى هذا وَقَى هذا.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾.

وسُدًّا - بالفتح والضَّمِّ - ومعناهما واحدٌ. وقد قيل: السَّدُّ فعل الانْسَانِ والسُّد خلقة المسدود. وفيه وجهان: أحدهما قد جاء في التفسير، وهو أَنَّ قوماً أرادوا بالنبي ﷺ سوءاً فحال اللّه بينهم وبين ذلك فجعلوا بمنزلة من هذه حاله، فجعلوا بمنزلة من غُلَّتْ يمينه وسُدَّ طريقه من بين يديه ومن خَلْفِهِ وَجُعِلَ على بَصَرِهِ غِشَاوةٌ، وهو معنى ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾.

. ويقرأ فَأَعْشَيْنَاهُمْ بالعَيْن غير معجمة، فحال اللّه بينهم وبين رسوله وكان في هؤلاء أبو جهل فيما يُرْوَى، ويجوز أن يكون وَصَفَ إضْلاَلَهُم فقال: إنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِيَ إلَى الأذْقَانِ، أي أضللناهم فأمسكنا أيديهم عن النفقة في سبيل اللّه والسَّعيِ فيما يقرب إلى اللّهِ ﴿وَجَعلنا من بين أيديهم سدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾، كما قال: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ الآية(٢).

والدليل على هذا قوله:﴿وَسَواء عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾، لأن من أضله اللّه هذا الإضلال لم ينفعه الإنذار.

﴿إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾.

---

(١) سورة النحل الآية ٨١.

(٢) سورة البقرة الآية ٧ وبقيتها: ﴿وَعَلى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أي من استمع القران واتبعه.

﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ﴾.

أي خاف اللَّه من حيث لا يراه أحدٌ.

﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

المعنى من اتبع الذكر وخشي الرحمن فبشره بمغفرةٍ وَأَجْرٍ كريمٍ.

المغفرة هي العفو عن ذنوبه، وأجر كريم بالجنة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحيْي المَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثارَهُمْ﴾.

ما أسلفوا من أعْمَالِهم، ونكتب آثارهم أي من سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كُتِبَ له ثوابها، ومن سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كتبَ عَليه عقابها، وقد قيل: وتكتب آثارهم أي خُطَاهُمْ، والأول أكثر وأبْيَنُ.

﴿واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً﴾.

«مثلاً» مفعول منصوب به، معنى قول الناس: اضرب له مثلاً أي اذكر له مثلاً، ويقال: عندي من هذا الضرب شيء كثير، أي مِنْ هذَا المِثَال وتقول: هذه الأشياء على ضرب واحد أي عَلَى مِثَالٍ واحدٍ، فيعني اضرب لهم مثلاً: مثل لهم مَثَلاً.

وقوله: ﴿أَصْحَابَ القَرْيَةِ﴾.

أي خبر أصحاب القرية.

﴿إِذْ جَاءَهَا المُرْسَلُونَ﴾.

جـاء فـي التفسير أنهم أهـل إنـطاكيَّـة، وجـه إليهم عيسى اثنين فَكَذَّبُوهُمَا قال: ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِث﴾.

ويقرأ فَعَزَزْنـا - بالتـشديـد والتخفـيف - ومعنـى فعززنـا فقوَّيْنـا وشدَّدْنَا الرسالة بثالث أي برسول ثالث

﴿فقَالُوا إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾: إلى قوله ﴿البَلاَغُ المُبِينُ﴾[1].

فأعلمهم الرُّسُلُ إنما عليهم البلاغُ.

﴿قَالُوا إنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: أي تَشَاءَمْنَا.

﴿لَئِن لم تنهتوا لنرجُمَنَّكُمْ﴾.

أي لنقتلنكم رَجْماً.

﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ [مَعَكُمْ]﴾ ويجوز طَيْرُكُم معكم.

لأنـه يقال طَـائرٌ وَطَيـرٌ في معنى واحد، ولا أعلم أحَـداً قرأ ههنـا طيركم بغير ألف، والمعنى قالوا شُؤْمُكُم مَعَكُمْ.

﴿أإنْ ذُكِّرْتُمْ﴾.

أي أإن ذكرتم تَطَيَّرتم، ويقرأ أأَنْ ذُكِّرتم، أي لأن ذكِّرْتُمْ.

وقوله: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾.

هذا رجل كان يعبد اللَّه في غارٍ في جَبَلٍ، فلما سمع بالمرسلين جـاء يسعى، أي يَعْدُو إليهم، فقـال: أتريـدون أَجْراً على مـا جئتم بـه فقال المرسلون: لا، وكان يقال لهـذا الرجـل فيما رُوي حبيبُ النجـار

---

(١) بقية الآية: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْـزَلَ الرَّحْمَن مِنْ شَيءٍ إنْ أَنْتُمْ إلاَّ تَكْـذِبُونَ. قـالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إلاَّ البَلاَغُ المُبِين﴾.

فأقبل على قومه فقال: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُـرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا من لاَ يَسْـالكم اجرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فاسمعون﴾[1].

فأشهد الرسلَ على إيقانِه ـ قـال قتادة: هـذا رجل دَعَـا قومـه إلى اللَّه ومحَّضَهُمُ النَّصِيحَةَ فقتلوه على ذلك وأقبلوا يـرجمونـه وهو يقـول: اللهم اهـد قومي اللهم اهـد قومي، فـأدخله اللَّه الجنـة فهـو حي فيهـا يرزق، والمعنى فلما عَذَّبَهُ قومه، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾.

فلمـا شاهـدهـا قـال:﴿يَـا لَيْتَ قَـوْمِي يَعْلَمُـونَ بِمَـا غَفَـرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ المُكْرَمِينَ﴾.

أي بمغفـرة ربي لي، ﴿من المكرمين﴾ أي من المُـدْخَلِينَ الجنَّـةَ، وقيل أيْضاً بما غفر لي ربي أي ليتهم يعلمـون بالعمـل والايمان الـذي غفر لي به رَبِّي، ويجوز «بِمَ غَفَرَ لِي رَبِّي»، على معنى بـأي شيء غفر لي ربي، ويجوز أن يكون «بما» في هذا المعنى بإثبات الألف، تقُول: قد علمت بما صَنَعْتَ هذا، وقد علمت بم صنعت هـذا، أي قد علمت بأي شيء صنعت هذا، وحذفُ الألف في هذا المعنى أجود.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾.

المعنى لم نُنْـزِلْ عَلَيْهِمْ جُنْداً، لم نَنْتَصِـرْ للرّسول الـذي كَـذَّبُـوهُ بِجُنْدٍ.

ومعنى ﴿إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

ما كانت الا صيحة واحدةً، إلاَّ أَنْ صِيحَ بهم صيحة واحدة فماتوا

---

(١) بقيـة الآية: ﴿وَمَـا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّـذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْـهِ تُرْجَعُـونَ، أأتخذ من دُونِـهِ آلِهَـةً إنْ يُـرِدْنِي الـرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَ تُغْنِي عَنِّي شَفَـاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنْقِـذُون. إني إذَنْ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ، إني آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾.

معذبين بها، ويقرأ إلّا صيحةٌ وَاحِدةٌ ـ قَرَأ بها أَبُو جَعْفَرٍ المدني وحدَهُ، وهي جيدة في العربية، فمن نصب فالمعنى ما وقعت عليهم عقوبة الّا صيحةً واحدةً[1].

﴿فإذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾.

أي ساكنون قَدْ ماتُوا وصاروا بمنزلة الرماد الخَامِدِ الهَامِدِ.

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾.

وقرئت يا حسرةَ الْعِبادِ بغير على، ولكني لا أحب القراءة بشيء خالف المصحف ألبتَّةَ. وهذه من أصعب مسألة في القرآن، إذا قالَ القَائِلُ: ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة مما لا يجيب فالفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما لا يعقل، لأن النداء باب تنبيه، إذَا قلت يا زيدُ فإن لم تكن دعوته لتخاطبه لِغير النداء[2] فلا معنى للكلام، إنما تقول يا زيد فتنبهه بالنداء ثم تقول له: فعلت كذا وافعل كذا، وما أحببت مما له فيه فائدة، ألا ترى أنك تقولُ لِمَنْ هُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْكَ: يا زيد ما أَحْسَنَ مَا صَنَعْتَ، ولو قلت له: ما أَحْسَن مَا صَنَعْتَ كنت قد بلغت في الفائدة ما أفهمت به، غير أن قولك يا زيد أوكد في الكلام،
١ وأبلغ في الافهام. وكذا إذا قلت للمخاطب أنا أعجب مما فعلتَ، فقد أَفَدْتَه أنك متعجب، ولو قلت: وأعجباه مما فعلت، ويا عجباه أتفعل كذا وكذا، كان دعاؤك العجب أبلغَ في الفائدة. والمعنى يَا عَجَبُ أقبل، فإنه من أوقاتك، وإنما نَداءُ العَجَبِ تنبيه لتمكن علم المخاطب بالتعجب من فعله، وكذلك إذَا قُلتَ: ويلٌ لزيدٍ أَوْ وَيلَ زَيْدٍ: لم فعل

(١) يقتضي هذا التحليل أن يكون هذا استثناء تاماً موجباً، وليس كذلك، إنما هو استثناء مفرغ، وصيحة خبر كان. ومن رفع اعتبر كان تامة، أي ما حدث الا صيحة وَاحِدةً.

(٢) أي لتذكر شيئاً بعد النداء تريده من المنادي.

كـذا وكذا كـان أبلغ. وكذلـك في كتاب اللّه ـ عـز وجل ـ: ﴿يـا وَيْلَتا أَأَلِدُ وأَنا عَجُـوزٌ﴾(١) وكذلـك ﴿يَا حَسْـرَتَا عَلَى مَـا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهُ﴾(٢)، وكذلك ﴿يا حَسْرةً على العِبَادِ﴾.

والمعنى في التفسيـر أن استهـزاءهم بـالـرُّسُـل حَسْـرةٌ عليهـم، والحَسْـرَةُ أَن يَرْكَبَ الإنسـانَ مِنْ شِدَّة النَّـدَمِ ما لا نهـاية لـه بعده حتى يبقى قلبُه حَسِيراً.

وقوله عز وجل:﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ من القُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

[أي] فيخافون أن يعجَّل لَهُم في الدنيا مثلُ الـذي عُجّل لغيـرهم مِمَّن أُهْلِكَ، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيـا أبداً، ومـوضع «كم» نصبُ بـأهلكنـا، لأن «كَـمْ» لا يعمـل فيهـا مـا قبلهـا، خبـراً كـانت أو استفهاماً. تقول في الخبر: كم سِرْتُ، تـريد سرت فراسخ كثيـرةً، ولا يجوز سرت كم فرسخاً، وذلك أن كم في بابها بمنزلة رُبَّ، وأن أصلها الاستفهام والابهام، فكمـا أنك إذا استفهمت فقلت للمخـــاطب: كم فرسخاً سرت لم يجز سرتَ كم فرسخاً، لأن الاستفهام لا يعمـل فيه مـا قبله، فكذلك إذا جُعِلَتْ كم خَبَراً فالابهامُ قائم فيها، و «أَنَّهُمْ» بدل من معنى ﴿ألم يروا كم أهلكنا﴾. والمعنى ألم يـروا أن القرون التي أهلكنـا أنهم لا يرجعون.

ويجوز﴿إِنَّهم لا يَرْجِعُـونَ﴾ بكسر «إنَّ» ومعنى ذلـك الاستئنـاف، المعنى هم إليهم لا يَرْجِعُون.

---

(١) سورة هود الآية ٧٢.

(٢) سورة الزمر الآية ٥٦.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرونَ﴾.

من قرأ بالتخفيف [لَمَا] فما زائدة موكدة، والمعنى إنْ كل لجميع لدينا مُحْضَرُونَ، ومعناه وَمَا كُلٌّ إلاَّ جميعٌ لدينا [مُحْضَرونَ]. ويقرأ لمَّا بالتَّشْدِيد ومعنى «لما» ههنا «ألَّا»، تقول سألتك لَمَّا فعلت.

وتفسير الآية أنَّهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا.

وقوله: ﴿وآيةٌ لَهُمُ الأرضُ المَيْتَةُ أَحَيْيْنَاهَا﴾: ويقرأ بالتشديد[1] وأصل الميْتة الميِّتة، والأصل التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما جائز. وآية مفروعة بالابتداء، وخبرها «لَهُمْ»[2] أي وعلامة تدلهم على التوحيد وأَن اللَّه يبعث الموتى إحياءَ الأرض الميتَةِ. ويجوز أن يكون آية مرفوعة بالابتداء، وخبرها الأرض الميتة.

وقوله:﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ العُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾.

ويجوز ثُمْره - بإسكان الميم وضَمّ الثاء.

﴿وَمَا عَمِلَتْه أَيْدِيهِمْ﴾.

ويقرأ عملت بغير هاء، وموضع «ما» خفض. المعنى ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، ويجوز أن تكون «ما» نفياً، على معنى ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيْدِيهِمْ. هذا على إثبات الهاء، وإذا حذفت الهاء فالاختيار أن يكون «ما» في موضع خفض، ويكون «ما» في معنى الذي، فيحسن حذف الهاء[3]، ويكون هذا على قوله:

---

(١) في الميتة.

(٢) الخبر هو الأرض الميتة.

(٣) عائد الصلة بعد الفعل المتعدي.

﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعُونَ﴾[1].

وقوله:﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

﴿سبحان﴾ تَبْرئَةُ اللّهمن السُّوءِ وتنزيهه. ومعنى الأزواج، الاجناس كلها من النَّبات والحيوان وغيرها.

﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

مما خلق اللّه من جميع الأنواع والأشباه.

﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾.

ومعنى نسلخ نُخْرِجُ منه النهار اخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار، وذلك من العلامات الدالة على توحيد اللّه وقدرته.

﴿والشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

المعنى وَآيَةٌ لَهُمُ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا.

أي لأجَلٍ قَدْ أُجِّلَ لَهَا وقدِّرَ لها. ومن قرأ «لا مُسْتَقَرَّ لهـا» فمعناه أنها جارية أبداً لا تثبت في مكانٍ.

﴿والْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾.

يقـرأ بالـرَّفْع والنصب، فمن نصب فعلى «وَقَـدَّرْنَـا القَمَـرَ مَنَـازِلَ قَـدَّرْناهُ مَنَـازِلَ» والرفـع على معنى وآية لهم القَمَـرُ قَدَّرْنَـاهُ، ويجوز أن يكون على الابتداء وقدرناه الخبر.

﴿حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ﴾.

العُـرجـونُ عـودُ العِـذقِ الـذي يسمى الكبـاسـة وحقيقـة العـرجـون

(١) سورة الواقعة الآيتان ٦٣، ٦٤، أي أرأيتم الذي تحرثونه.

أنه العود الذي عليه العذق، والعرجون عود العذق الذي تركبه الشماريخ من العذق، فإذَا جَفَّ وَقَدُمَ دَقَّ وَصَغُرَ فحينئذ يشبه الهِلاَلَ في آخر الشهر، وفي أول مطلعه[١].

وتقدير «عُرْجُون» فُعْلُول. منَ الانعراج.

﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَها أنْ تُدْرِكَ القَمَرَ﴾ الآية[٢].

المعنى لا يذهب أحدهما بمعنى الآخر.

﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

لكل وَاحِدٍ منهما فَلَكٌ، ومعنى يسبحون يَسيرُونَ فيه بانبساط، وكل من انبسط في شيء فَقَدْ سَبحَ فيه، ومن ذلك السباحة في الماء.

﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ في الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾.

خوطب بهذا أَهْلُ مَكَّةَ، وقيل حَمَلْنَا ذُرِيَّتَهُمْ لأن من حمل مع نوح عليه السلام في الفلك فهم آباؤهم، وذُرِّياتُهُمْ، والمشحون في اللغة المملوء، شحنت السفينة إذا ملأتها، وشحنت المدينة وأشحنتها إذا مَلأتها.

وقوله:﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

الأكثر في التفسير أن مِنْ مِثْلِه من مثل سفينة نوح، وقيل من مثله يُعْنَى به الابل، وأن الابل في البريَّةِ بمنزلة السُّفُنِ في البحر.

﴿وإنْ نَشَأْنُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ﴾.

أي فلا مُغِيثَ لهم.

---

(١) قولان إذن في العَرجون، وفي القاموس أنَّهُ العذق إذا يبس واعْوَجّ أو أصله أو عود الكباسة.

(٢) بقيتها: ﴿وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

﴿إلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾.

منصوبة مفعول لها، المعنى: ولا يُنْقَذُونَ إلَّا لرحمة منا ولِمَتَاعٍ إلى حِينٍ. إلى انقضاء الأجل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾.

ما أسلفتم من ذُنُوبكم، وما تعملونه فيما تستقبلون، وقيل ما بين أيديكم وَمَا خلفكم، على معنى اتَّقُوا أن ينزل بكم من العذاب مثلُ الذي نزل بالأُمَمِ قَبْلَكُمْ، وَمَا خَلْفَكُمْ، أي اتقوا عذاب الآخرة. وَمِثْلُه.

﴿فَإِن أعرضوا فَقَدْ أَنْذَرْتُكُم صَاعِقَةً مثلَ صاعِقَةِ عادٍ وثمود﴾[1].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾.

أي أطعموا وتصَدَّقُوا.

﴿قَالَ الَّذِين كَفَـرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾.

كأنهم يقولون هذا على حد الاستهزاء. وجاء في التفسير أنَّها نَزَلَتْ في الزنادقة، وقيل في قوم من اليهود.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الوَعْدُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

متى إنجاز هذا الوَعْد، أردنا ذلك.

﴿مَا يَنْظُرُونَ إلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾.

في يَخِصِّمُون أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ. سكونُ الخاء والصاد مع تشديد الصَّادِ على جمع بين ساكنين، وهو أشد الأربعة وَأَرْدَؤُهَا، وكان بعض من

(١) سورة فصِّلَتْ الآية ١٣.

يروي قراءة أهل المدينة يذهب إلى أن هذا لم يُضْبَطْ عن أهل المدينة كما لم يضبط عن أبي عَمْرٍو إلى بارِئكم. وإنما زعم أن هذا تُخْتَلَسُ فيه الحركة اختلاساً وهي فتحة الخاء، والقول كما قال. والقراءة الجيّدَة «يَخَصِّمُونَ» بفتح الخاء، والأصل يَخْتَصِمُونَ، فطرحت فتحة التاء على الخاء، وأدغمت في الصاد، وكسرُ الخاء جَيِّدٌ أيضاً ـ تكسر الخاء لِسُكُونها وسُكُونِ الصَّاد، وَقُرِئَتْ يختصمون، وهي جيدة أيضاً ومعناها يأخذهم وبعضهم يَخْصِمُ بَعْضاً، ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عِنْدَ أَنْفُسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتقوم الساعة وهم متشاغلون في متصرفاتهم.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾.

لا يستطيع أحد أن يوصي في شيء من أَمْرِهِ.

﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

لا يلبث إلى أن يصير إلى أهله ومنزله. يموت في مكانه.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾.

الصور كما جاء في التفسير القرن الذي ينفُخ فيه اسْرافيلُ، وقد قال أَبُو عُبَيدة: إنَّ الصُّورَ جمعُ صُورَة، وصورة جمعها صور، كما قال اللَّه عز وجل: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾[1] وما قرأ أحد أَحْسنَ صُورَكُمْ وَلَا قرأ أحد: وَنُفِخَ في الصُّوَرِ من وجه يثبُتُ.

والأجداث القبور، واحدها جَدَثٌ، وَيَنْسِلُونَ: يخرجون بسرعة.

وقوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾.

هذا وقف التمام، وهذا قول المشركين.

(١) سورة التغابُن الآية ٣.

وقوله:﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾.

«هذا» رفع بالابتداء، والخبر «ما وعد الرحمن»، وهذا قول المشركين، أعني هذا ما وعد الرحمن، ويجوز أن يكون «هذا» من نعت مرقدنا على معنى من بَعَثَنا من مَرْقَدِنَا هَذَا الذي كنا راقدين فيه، ويكون ما وعد الرحمن وصدق المرسلون على ضربين، أحدهما على إضمار هذا، والثاني على اضمار حق، فيكون المعنى حق ما وعد الرحمن. والقول الأول أعني ابتداء هذا عليه التفسير، وهو قول أهل اللغة.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾.

وإلا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ، وقد مضى إعْرَابُهما.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

فالمعنى إن إهلاكَهُمْ كان بصيحة وبعثهم وَإحْيَاءَهم بصيحة.

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

المعنى من جوزي فإنما يجازى بعمله.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغلٍ فَكِهُونَ﴾.

و﴿فاكهون﴾ تفسيره فرحون. وجاء في التفسير أَنَّ شُغْلَهُمْ افتضاض الأبكار، وقيل في شغل عما فيه أهل النار، ويقرأ في شُغُلٍ وَشُغْلٍ وَشُغْل وشُغُل. يجوز في العربية.

وقوله عز وجل:﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾.

وظُلَلٍ، ويجوز ظُلُلٍ.

﴿عَلَى الأَرَائِك مُتَّكِئُونَ﴾.

وهي الفرش في الحجال[1]، وَقِيلَ إنَّهَا الفرش، وقيلَ الأسِرَّةُ، وهي على الحقيقة الفرش كانت في حجال أو غير حجال.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾.

أي ما يَتَمَنَّوْنَ، يقال: فلان في خَيْرِ مَا ادَّعَى، أي ما تمنَّى، وهو مأخوذ من الدعاء. المعنى كل مايدعو أهلُ الجَنَّةِ يَأْتِيهِمْ.

﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾.

«سلام» بدل من «ما» المعنى لهم ما يتمنون به سلام، أي وهذا مُنَى أهل الجنة أن يسلِّمَ اللَّه -عز وجل- عَلَيْهِم، وقولاً منصوب على معنى لهم سلام يقوله اللَّه - عز وجل - قَوْلاً.

﴿وَامْتَازُوا اليَوْمَ [أيُّهَا المُجْرِمُونَ]﴾.

أي انفردوا عن المؤمنين.

﴿أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ﴾.

وتقرأ أعْهِدْ - بالكسر، والفتحُ أكثر، على قولك عَهِدَ يَعْهَدُ. والكسر يجوز على ضربين على عَهِدَ يَعْهِدُ، وعلى عهِدَ يَعْهِد مثل حَسِبَ يَحْسِبُ، ومعناه ألم أتقدم إليكم بِعَهْدِ الإيمان وترك عبادة الشيطان.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جُبْلاً﴾.

ويقرأ ﴿جِبِلًّا﴾ -بكسر الجيم والباء، ويُقْرأ جُبُلًا - بضم الجيم والباء

---

(١) واحدتها حجلة، وهي كالقبة، وشيء يزين بالثياب والستور للعرائس.

ـ وتُقْرَأُ جُبْلاً على إسكان الباء وضم الجيم، ويجوز جَبْلاً بفتح الجيم وَجِبْلاً بكسر الجيم، ويجوز أَيْضاً جِبَلاً ـ بكسر الجيم وفتح الباء بغير تشديد اللام، على جمع جِبْلَةٍ. وجِبَل، والجِبْلَةُ في جميع ذلك معناه خليقة كثيرة وخلقٌ كثير.

وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾.

المطموس الأعمى الذي لا يُتَبَيَّن له جَفْنٌ. لَا يُرَى شَفْرُ عينه، أي لو نشاء لأَعْمَيْنَاهُمْ فعدلوا عن الطريق فمن أَيْنَ يُبْصرونَ لو فعَلْنا ذلك بِهِم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾.

ومكاناتهم، والمكانة والمكانُ في معنىً وَاحِدٍ.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾.

أي لم يقدروا على ذَهاب وَلَا مَجِيءٍ.

﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ﴾.

وَ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وَنَنْكِسْهُ، يقال نكسْتُه أَنْكُسُه وأَنْكِسُهُ جميعاً، ومعناه من أطَلْنا عُمْرَهُ نَكَّسْنَا خلقه، فَصَارَ بدلُ القوة ضَعْفاً وَبَدَلُ الشَّبَابِ هَرَماً.

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾.

أي ما علمنا محمداً ﷺ قولَ الشِّعْرِ، وما ينبغي له أي ما يتسهل له ذلك.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِينٌ﴾.

أي الذي أتى به النبي ﷺ وزعم الكفار أنه شعر ما هو بشعر.

وَلَيْسَ يوجب هذا أن يكون النبي لم يتمثل ببيت شعر قط. إنما يوجب هذا أن يكون النبي عليه السلام ليس بشاعر، وأن يكون القرآن الذي أتى به من عند اللَّه، لأنه مُبَاينٌ لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب، والقرآن آية مُعجزةٌ تدل على أن نبوة النبي ﷺ وآياته ثابتة أبداً.

وقوله:﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

يجوز أن يكون المضمر في قوله «لِيُنْذِرَ» النبي عليه السلام. وجائز أن يكون القرآن

ومعنى :﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾.

أي من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافِرَ كالميِّت في أنه لم يتدبَّرْ فَيَعْلَمَ أن النبي ﷺ وما جاء به حق.

﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

ويجوزُ وَيَحُقَّ القَوْلَ، أي يوجب الحجة عليهم. ويجوزُ لِتُنْذِر من كان حيًّا - بالتاء - خطاب للنبي ﷺ. ويجوز لِيَنْذَرَ أَيْ لِيَعْلَمَ، يقال نَذِرْتُ بكذا وكذا، أَنْذَرُ مثل عَلِمْتُ أَعْلَمُ.

وقوله:﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

معنى «مالكون»، ضابطون، لأن القَصْدَ ههنا إلى أنها ذليلةٌ لَهُمْ ألا ترى إلى قوله ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ ومثله مِنَ الشِّعر[1]:

---

(١) من شعر الربيع بن ضبع الفزاري - من المعمرين يقال إنه نيف على المائتين، يصف ضعفه عن الحرب وعجزه عن احتمال الرياح والبرد، وبعده:

والذائب اخشاه ان مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا

والبيت في الخزانة ٣/٣٠٨، وكتاب سيبويه ١/٤٦ (١/٨٩) ت هرون.

أصبحت لا أحمـــل الســـلاح ولا   أَمْـلِكُ رأسَ الـبَـعِـيــر إن نَـفَــرا

أي لا أضبط رأس البعير.

وقوله: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾.

معناه مَا يَرْكَبُونَ، والدليل قراءة من قرأ «فَمِنْهَـا رَكُوبَتُهمْ» ويجـوز رُكُوبُهم - بضم الراء ولا أعلم أحداً قرأ بها، على معنى فمنها رُكُـوبُهم وأكلُهُم وَشُرْبُهُمْ.

﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾.

أي هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم.

وقوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ الآية(1).

جاء في التفسير أن أُبَيَّ بن خَلَفٍ جـاء إلى النبي ﷺ بعظمٍ بَـالٍ ففركه ثم ذَرَّاهُ، وقال مَنْ يحيي هذا، فكان جوابه:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

فابتداء القُدْرَةِ فيه أَبَينُ منها في الاعادة، ويقـال إن عبد اللَّه بن أُبيّ كـان صاحب القصَّـةِ؛ ويقال العـاص بن وائـل. وأعْلَمهم أن خلق السموات والأرض أبلغ في القدرة، وعلى احياء الموتى فقال:

﴿أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّموات وَالأَرْضَ﴾ الآية.

وقـال في مـوضـع آخـر: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَـرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾(2).

---

(1) بقيتها: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

(2) سورة غافر الآية ٥٧.

وقال:﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾.

معناه تنزيه الله من السوء ومن أن يوصف بغير القدرة، الذي بيده ملكوت كل شيء أي القدرة على كل شيء.

﴿وإليه تُرْجَعُونَ﴾.

وَتَرْجِعُونَ أي هو يبعثكم بعد موتكم.

سُورَةُ وَالصَّافَّاتِ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والصَّافَّاتِ صَفًّا﴾.

أكثر القراءة تبيين التاء، وقد قرئت على إدغام التاء في الصَّادِ، وكذلك ﴿فَالزَّجِرَاتِ زَجْراً﴾.

فإن شئت أدْغمت التاء في الزَّاي، وإن شئت بَيَّنْتَ، وكذلك ﴿فالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾.

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾.

أقسم بهذه الأشياء - عز وجل - أنه وَاحِدٌ. وقيل معناه ورَبِّ هذه الأشياء إنه وَاحد.

وتفسير الصافات أنها الملائكة، أي هم مطيعون في السماء يسبحون اللَّه - عز وجل- فَالزَّاجِراتُ، رُوِيَ أن الملائكةَ تزجر السَّحاب، وقيل: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً﴾: كل مَا زَجَرَ عَنْ مَعْصِية اللَّه.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً﴾.

قيل الملائكةُ، وجائز أن يكون الملائكة وغيرهم أيضاً مِمَّنْ يَتْلُونَ ذِكْرَ اللَّه.

﴿وربُّ المَشَارِقِ﴾ [والمغَارِبِ]

قيلِ المشارق ثلاثمائة وستون مشرقاً، ومثلها مِنَ المَغَارِبِ.

﴿إنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الكَوَاكِبِ﴾.

على إضافة الزينة إلى الكواكب، وعلى هذا أكثرُ القِراءَةِ، وقد قرئت بالتنوين وَخَفْضِ الكواكب، والمعنى أن الكَواكِبَ بدل من الزينة.

المعنى إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب، ويجوز بِزِينةٍ الكَواكِبَ، وهي أقل ما في القراءة، على معنى بأن زينا الكَوَاكِبَ. ويجوز أن يكون الكواكب في النَّصْبِ بَدَلاً من قوله بزينةٍ، لأنَّ «بِزينةٍ» في موضع نصب، ويجوز بزينةٍ الكواكبُ، ولا أَعْلَمُ أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلّا أن ثبتت بها رواية، لأن القراءة سنَّةٌ. ورفع الكواكب على معنى أنا زيَّنَّا السماء الدنيا بأن زَيَّنتها الكواكبُ، وبأن زُيِّنَتِ الكَوَاكِبُ.

وقوله: ﴿وَحِفظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾.

على معنى وحفظناها من كل شيطانٍ مَارِدٍ، على معنى وَحَفِظْناها حِفظاً من كل شيطان ماردٍ. يُقْذَفونَ بها إذا استرقوا السّمعَ.

﴿لا يَسَّمَّعُون إلَى المَلأِ الأعْلَى﴾.

ويقرأ بالتشديد على معنى يتسمَّعُونَ.

﴿وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً﴾.

أي يُدْحَرُونَ أي يُبَاعَدُونَ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾.

قيل دائم وقيل موجع.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ﴾ - بفتح الطاء وكسرها، يقال خَطِفْتُ أَخْطَفُ، وخطَفْتُ أَخْطِفُ، إذا أخذت الشيء بسرعة، ويجوز الا من خَطَّفَ بتشديد الطاء وفتح الخاء. ويجوز خِطَّفَ. بكسر الخاء وفتح الطاء، والمعنى اختطف، فأدغمت التاء في الطاء وسقطت الألف لحركة الخاء، فمن فتح الخاء ألقى عليها فتحة التاء التي كانت في اختطف، ومن كسر فلسكونها وسكون الطاء. فأمَّا مَنْ روى خِطِفَ الخطفة - بكسر الخاء والطاء - فلا وجه له إلا وجهاً ضعيفاً جداً يكون على اتباع الطاء كسر الخاء.

﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ [ثاقب]﴾.

يقال تَبِعْتهُ وَأَتْبَعْتهُ، واتَّبَعْتُه، إذا مَضَيْتُ في أثره، «وشهاب ثاقب» كوكب مُضيءٌ.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.

أي سَلْهم سؤال تَقْرِيرٍ.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾: من الأمم السالفة قبلهم وغيرهم من السموات والأرضين.

﴿مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾.

ولازم ومعناهما واحد، أي لازق.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾.

وتقرأ عَجِبْتُ - بضم التاء - ومعناه في الفتح بل عجبتَ يَا مُحمَّد مِن نُزُول الوحي عليك وَيَسْخَرون، ويجوز أن يكون معناه بل عجبت

من انكارِهم البعث. ومن قرأ عَجِبتُ فهو إخبار عن اللّه. وقد أنكر قومٌ هَذهِ القراءةَ، وقالوا: اللّه - عز وجل - لا يعجب. وإنكارهم هذا غلط، لأن القراءة والرواية كثيرةٌ والعجب من اللّه - عز وجل - خلافُهُ من الآدميين كما قال: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّه﴾[1]، و ﴿سَخِرَ اللَّهُ منهم﴾[2]، ﴿وهو خادعهم﴾[3]. والمكر من اللّه والخداع خلافه من الآدميين، وأصل العجب في اللغة أن الانسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره اللّه جاز أن يقولَ فيه عجبتُ واللّه قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الانكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء.

﴿وَإِذَا رَأَوْا آيةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

أي إذا رأوا آية معجزة استسخروا واستهزأوا.

﴿وَقَالُوا إن هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

فجعلوا ما يدل على التوحيد مِمَّا يَعجِزون عنه سحراً، نحو انشقاق القَمَر وما أشبهه.

وقوله: ﴿أئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

ويجوز إنا، فمن قرأ إنا اجتزأ بألف الاستفهام، والمعنى في الوجهين أَنُبْعَثُ إذا كنا تراباً وعظاماً، وتفسيره لمبعوثون.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٠.

(٢) سورة التوبة. . ٧٩.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٢.

المعنى قل نعم تُبْعَثُونَ وَأَنْتُم صَاغِرُونَ، ثم فسر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة بقوله:﴿فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

أي يحيون ويبعثون بُصَرَاءَ ينظرون.

﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

و«الويل» كلمة يقولها القائل وقت الهلكة.

ومعنى ﴿هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

يوم الجزاء، أي يَومٌ نُجازى فيه بأعمالنا، فلما قالوا هذا يوم الدين قيل لهم نعم:﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

أي هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء، ويجازى كلٌّ بعَمَلِه، وبما يتفضل اللَّه به على المسلم.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾.

معناه ونظراءهم وضرباءهم، تقول عندي من هذا أزواج، أي أمثال، وكذلك زوجان من الخفاف، أي كل واحد نظير صاحبه، وكذلك الزوج المرأة والزوج الرجل، وقد تناسبا بعقد النكاح، وكذلك قوله:﴿وَآخرُ مِنْ شَكْلِه أَزْوَاجٌ﴾(١).

﴿فَاهْدُوهُمْ إلَى صِراطِ الجَحِيمِ﴾.

يقال: هديت الرجل إذا دللته، وهديت العروس الى زوجها. وأهديت الهديَّة، وكذلك تقول في العروس: أهديتها إذا جعلتها كالهدية.

---

(١) سورة ص الآية ٥٨.

وقوله:﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾:أي احبسوهم.

﴿وما لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ ﴾

قوله :﴿لا تناصرون﴾ في موضع نصب على الحال، المعنى ما لكم غير مُتَنَاصِرين.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾.

أي يُسَائِلُ بعضُهم بعضاً.

﴿قَالُوا إنكُم كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ ﴾.

هـذا قـول الكفـار للـذين أضلوهم[١]. كنتم تخـدعـوننـا بـأقـوى الأسباب، أي كنتم تأتوننا من قبل الدين فتُرُوننا[٢] أن الـدينَ والحقَّ ما يضلوننا به[٣].

﴿قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾.

أي إنَّما الكفْرُ مِنْ قِبَلِكُمْ.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ﴾.

حِقت علينا كلمة العذاب.

﴿ إنا لَذَائِقُونَ ﴾.

أي ان الجماعة، المضِلَّ والضَّالَّ في النَّارِ.

﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾.

---

(١) في الاصل: قول الكفار الذين أضلوهم. وهو خطأ.

(٢) تظهرون لنا.

(٣) تبدون أن الدين والحق الذي يدعونا إليه الأنبياء إنما هو شيء يضلوننا به.

أي أَضْلَلْنَاكُمْ إنَّا كنا غَاوِينَ ضَالِّين.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ﴾: المجرمون المشركون خاصة.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

يعني عن توحيد اللَّه عز وجل، وألَّا يَجْعَلُوا الأَصْنَامَ آلِهة.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾:

الكأس الاناء إذا كانت فيه خمرٌ فهو كأس، ويقَعُ الكاسُ لكلِّ إناء مع شَرَابِهِ.

﴿مِنْ مَعِينٍ﴾.

أي من خمر تجري كما يجري الماء عَلَى وجه الأرض مِنَ العُيُونِ.

﴿بَيضاء لَذَّةٍ﴾.

أي ذَاتَ لَذَّةٍ.

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾.

لا تَغْتَالُ عُقُولَهم، لا تَذْهَبُ بِها، ولا يُصِيبهُم منها وجع.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزِفُونَ﴾.

﴿يُنْزِفُونَ﴾ - بفتح الزاي وكسرها. فمن قرأ «يُنْزَفُونَ» فالمعنى لَا تَذْهَبُ عقولهم بشربها، يقال للسكران نزيف ومنزوف، ومن قرأ يُنْزِفُونَ، فمعناه لا يُنْفِدُونَ شَرابَهم، أي هو دائم أبداً لهم. ويجوز أن يكون يُنْزِفُونَ يَسْكَرُونَ، قال الشاعر[1]:

---

(١) البيت للابيرد وهو في اللسان (نزف) وقبله:

شربتم ومدَّرتم وكان أبوكم ... كذاك إذا ما يشرب الكاس مدَّرا

لعمــري لَئن أَنْــزَفْتُمْ أو صَحَــوْتــم   لبئسَ النــدامى كنتـم آلَ أَبْـجَـرَا

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾.

أي عندهم حُورٌ قد قصرن طرفَهنَّ أي عُيُونَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ. «عِينٌ» كِبَارُ الأعْيُنِ حِسَانُها. الواحدة عيناء.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾.

أي كأن ألوانهن ألوانُ بيض النَّعَامِ، «مَكْنون»، الذي يكِنُّه رَأْسُ النَّعَامِ، ويجوز أن يكون مكنـون مَصُونٌ، يقـال كننت الشيء إذا سترتـه، وصُنْتَهُ، فهـو مَكْنونٌ، وأكْنَنْتَهُ إذَا أَضْمَرْتَه في نفسك.

﴿أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾.

مخففـة من صَدَّقَ فهـو مُصَـدِّقٌ، ولا يجـوز ههنـا تشـديـد الصـاد، لأن المصَّدقين الذين يعطون الصدقة، والمُصَدِّقين الذين لا يُكذِّبون، فالمعنى كان لي قرين يقول أئنَّك مِمَّن يُصَدِّق بـالبعْث بَعدَ أن تَصِيـرَ تُرابـاً وعظامـاً، فأحب قرينُه المسلم أن يراه بعد أن قيل له: ﴿هَلْ أَنتم مُطَّلِعُونَ﴾.

أي هل تحبون أن تطَّلِعُوا فتعلموا أين منزلتكم من منزلة أهل النار.

﴿فاطَّلَعَ [فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الجَحِيمِ]﴾.

فاطلع المسلم فرأى قرينه الذي كان يكذب بالبعث في سَـواء الجحيم، أي في وسط الجحيم، وسـواء كل شيء وسَـطُه، ويقرأ: هَـلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُـونَ ـ بفتـح النـون وكسـرهـا وتخفيف الـطاء ـ فمن فتـح النُّـونَ مـع التخفيف فقـال «مُطْلِعُونَ» فهو بمعنَى طَالِعُون ومُطَّلِعُونَ. يقال طلعت عليهم واطْلَعْتُ واطَّلَعْتُ بمعنًى ومن قـرأ مُطْلِعُـون ـ بكسـر النـون قـرأ «فَـأُطْلِعَ» ومن قـرأ بفَتْـح النُّـونِ «مُطْلِعُونَ» وجب أن يقرأ فأُطْلَعَ. ويجوزُ «فَأُطْلِعَ» على معنى هـل أنتم مُطْلِعُـونَ

أَحَداً، فأما الكسر للنون فهو شاذٌّ(١) عند البصريين والكوفيين جميعاً وله عند الجماعة وجه ضعيف وقد جاء مثله في الشعر:

هم القائلون الخير والآمرونه ... إذا ما خَشَوْا مِن مُحَدث الأمرْ معظما(٢)

وأنشدوا:

وما أدري وظني كل ظَنّي ... أَمُسْلِمُني إلى قومي شَرَاحِ(٣)

والذي أَنْشَدَنيه محمد بن يزيد: أَيُسْلِمُني إلى قومي، وإنما الكلام أَمُسْلِمِي وَأَيُسْلِمُنِي، وكذلك هم القائلون الخير والآمروه، وكل اسماء الفاعلين إذا ذكرت بعدها المضمر لم تذكر النون ولا التنوين، تقول: زَيْدٌ ضَارِبي وهما ضارباك ولا يجوز وهو ضارِبُني، ولا هم ضاربونك. ولا يجوز هم ضاربونك عندهم الا في الشّعر الا أنّه قد قُرِئ بالكسر: هلْ أَنْتُم مُطَّلِعُون على معنى مطلعوني، فحذفت الياء كما تحذف في رؤوس الآي، وبقيت الكسرة دليلاً عليها. وهو في النحو - أعني كسر النون - على مَا أَخْبَرْتُكَ، والقراءة قليلة بها، وأجودُ القراة وأكثرها مُطَّلِعُونَ - بتشديد الطاء وفتح النون - ثم الذي يليه مُطْلِعُونِ بتخفيف الطاء وفتح النون.

﴿قَالَ تَاللَّهِ إنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾.

---

(١) شذوذه بسبب الاتيان بنون الوقاية في آخر الاسم، والقياس مطلعي.

(٢) يقال إنه من الأبيات التي صنعها النحويون، ورآه سيبويه محمولاً على الضرورة - وهو في شواهد الكشاف ١٢٣، والكامل ١/٢١٤ (تجارية) والخزانة ٤/٢٠١ سلفية وابن يعيش ٢/١٢٥، واللسان (حين) ومعاً في الفراء ٢/٣٨٦. والشاهد فيه «والآمرونه» وقياسه والآمروه.

(٣) البيت في العيني ١/٣٨٥ بدون نسبة وفي معاني الفراء ٢/٣٨٦ وفي شواهد المغني ٢٦١ أنه ليزيد بن مخرم الحارثي وذكر كما في العيني أن هذه رواية الفراء وهي خطأ - والصواب

فما ادري وظني كل ظن ... أيسلمني بنو البدو اللقاح

واللقاح يفتح اللام - الذين لا يدينون للملوك ولم يصبهم سبي في الجاهلية، وبنو خمر بطن من كندة، أما شراحِ فهو ترخيم شراحيل.

تاللَّه معناه واللَّه، والتاء بدل من الواو، لَتُرْدِينِ أي لتهلكني، يقال رَدِيَ الرَّجُلُ يَرْدَى رَدًى إذَا هَلَكَ، وَأَرْدَيْته أَهْلَكته.

﴿لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ﴾.

أي أُحْضَرَ العذاب كما أُحضِرتَ.

﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ﴾.

المعنى أنعيم الجنة وطعامها خير نزلاً أم شجرة الزَّقُّوم خيرٌ نزلاً، والنُّـزُلُ ههنا الرَّيْـعُ والفَضْلُ، تقـول: هذا طعـام له نُـزُل ونُزْلٌ بتسكين الـزَّاي وَضمِّها وَنَـزَل، ويكون ذلـك خير نُـزُلاً، أي أذلك خيـر في باب الإنْـزَال التي تُتَقـوت ويمكن معهـا الاقامـةُ أَمْ نُزُلُ أهـل النّـارِ. وإنما قيلَ لَهمْ فيمـا يقـام للنـاس من الأنزال أقمت لهم نُزُلَهُمْ أي غذاءهم، وما يصلح معه أن ينزلوا عليه.

ومعنى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾.

عبـرةً للظالمين، أي خبرةً افتتنـوا بها، وكـذبوا بهـا فصـارت فتنـة لهم، وذلـك أنهم لما سمعـوا أنها شجـرة تخرج في أصـل الجحيم قـالُـوا: الشجـرَ يحترق بالنَّارِ، فكيف ينبت الشجر في النار فافتتنوا وكذبوا بذلك.

﴿طَلْعُها كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينَ﴾.

فيه ثلاثـة أقوال: قيـل الشياطين حيـات لها رءوس فشُبِّـه طَلْعُهَا بـرءوس تلك الحيات، وقيل رءوس الشياطين نبت معروف، وقيل وهو القَوْل المعروفُ ان الشيء إذا استقبح شُبِّهَ بالشيطان، فقيـل: كأنـه وجه شيـطانٍ، وكأنـه رأسُ شيطان، والشيطان لا يُرى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، لو رُئِيَ لرُئي في أقبح صورة، قال امرُؤ القيس(١):

(١) من لاميته ـ ألاَ أنعم صباحاً أيها الطلل البالي. وهو من شواهد البلاغة ـ جاء في دلائل الاعجاز =

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ولم تُرَ الغولُ قط ولا أنيابُها ولكن التمثيل بما يستقبح أبلغ في باب المذكر، يمثَّل بالشيطان وفي باب ما يستقبح من المؤنث يشبه بالغول.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً [مِنْ حَمِيمٍ]﴾.

أي لخلطاً ومِزَاجاً، ويُقْرأ لَشُوباً مِنْ حَمِيم، الشَّوْبُ المصدر، والشُّوبُ الاسمُ، والخَلْطُ: المخلوط.

﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ﴾.

أي هم يَتْبعُونَ آثارَهم اتباعاً في سُرْعةٍ، ويقال﴿يُهْرَعُون﴾ كأنهم يزعجونَ من الاسراع إلى اتباع آبائهم، يقال هُرِعَ وأهرع في معنًى واحدٍ إذا اسْتُحِثَّ وَأَسْرَعَ.

وَقَولَه: ﴿إِلَّا عَبَادَ اللَّهِ المُخْلَصِينَ﴾.

المخلصين الذين أخلَصَهُم اللَّه واصطفاهم لعبادَتِه، ويقرأ المُخْلِصِينَ أي الموَحِّدِينَ.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ المجُيبُونَ﴾.

أي دعانا بأن ننقذه من الغرق، والمعنى فلنعم المجِيبون نَحْنُ.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾.

يعني كرب الغَرَقِ الذي هو عذاب.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ﴾.

= وذكر السيوطي في شواهد المغني جزءاً كبيراً من هذه القصيدة. انظر شواهد المغني ١١٧.

لما جاء الطوفان لم يبق إلاّ نُوحٌ وَذُرِيَّتُهُ، والخلق الباقون من ذُرِيَّةِ نوح.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ﴾.

أي تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة، وذلك الذكر قوله: ﴿سَلاَمٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾.

المعنى تَرَكنَا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾.

أي من شيعة نوح، من أهل مِلَّتِه يعني نوحاً.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

جاء في التفسير سليم من الشرك، وهو سليم من الشرك ومن كل دَنَسٍ.

﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال إبراهيم لقومه ـ وهم يعْبُدُون الأصْنَامَ: أي شيءٍ ظنكم بِرَبِّ العَالمين وأنتم تعبدون غيره. وموضع «ما» رفع بالابتداء، والخبرُ ظَنُّكُمْ.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾.

قال لقومه وقد رأى نجماً إني سَقِيمٌ، فأوهمهم أن الطَّاعُونَ بِهِ، ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْه مُدْبِرِينَ﴾.

فِراراً من أن يُعْدَى إليهم الطاعونُ، وإنما (قال إني سَقِيمٌ) لأن كل واحد وان كانَ مُعَافىً فلا بد مِن أَنْ يَسْقَم ويموت، قال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(١). أي انك ستموت فيما يستقبل، وكذلك قوله: إِنِّي

(١) سورة الزمر الآية ٣٠.

سَقِيمٌ، أي سَأَسْقَمُ لا محالة. وقد روي في الحديث: لم يكذب إبراهيم إلاَّ في ثَلاَثةٍ، وَقَدْ فَسَّرنا ذَلِك، وان هذه الثلاث وقعت فيها معارضة في قوله:﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾. على معنى: إنْ كَانُوا يَنْطِقون فَقَدْ فَعَله كَبِيرُهُمْ وقوله:﴿سَارَةُ أخْتِي﴾، أي أختي في الاسلام، وقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ على ما فسّرنا.

﴿فَرَاغَ عليهم ضَرْباً [بِاليَمِينِ]﴾.

معنى راغ عليهم مال عليهم، وضرباً مصدر، المعنى فمال عَلَى الأصنام يضربُهُمْ ضرباً بِالْيَمِينِ، يحتمل وجهين بيمينه، وبالقوة والمكانة، وقال: عَلَيْهم وهي الأصنام لأنهم جعلوها معبودةً بمنزلة ما يميز كما قال: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(١).

﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْه﴾: يعني قوم إبْرَاهِيم.

﴿يَزِفُّون﴾: يُسْرِعُونَ إِلَيْهِ. ويقرأ على ثَلاثةِ أوْجُهٍ. يَزِفُّونَ ـ بفتح الياء ويُزِفّونَ ـ بِضَمِّهَا، ويَزِفُونَ ـ بتخفيف الفاء. وأَعْرَبُها(٢) كُلُّها يَزِفُّون بفتح الياء وتشديد الفاء، وأصله من زفيف النعام، وهو ابتداء عَدْوِهَا، يقال زَفَّ النعام يَزِفُّ. ويُقْرَأ يُزِفُّون أي يصيرون إلى الزَّفِيفِ، ومثله قول الشاعر(٣):

تمنى حصين أن يسودَ جِذاعَه ... فأضحى حصين قد أُذِلَّ وَأُقْهِرَا

معنى أَقْهِرَ صار إلى القَهْرِ، وكذلك يُزِفُّونَ. فأمَّا يَزِفُونَ ـ بالتخفيف فهو من وَزَفَ يَزِفُ، بمعنى أَسْرَعَ، ولم يَعْرِفْهُ الفَرَّاء، ولا الكِسَائِيُّ، وعَرفَه غيرُهُمَا.

وقوله: ﴿فِي الْجَحِيمِ﴾.

---

(١) سورة يس الاية ٤٠.

(٢) ادخلها في العروبة والاعراب.

(٣) للمخبل السعدي يهجو الزبرقان بن بدر ـ وهو حصين ـ وقومه يعرفون بالجذاع.

كل نار بعضُها فوق بَعض ٍ، وهي جَحْمٌ.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

يقول: هب لي ولداً صَالِحاً من الصَّالِحِينَ.

﴿فبشرناه بِغُلَام ٍ حَلِيم﴾.

وهذه البِشَارَة تدل على أنه غلام وأنه يبقى حتى يُوصفَ بالحلم.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾.

أي أدرك معه العَمَل، يقال إنه قد بلغ في ذلك الوقت ثلاث عشرة سنةً.

﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَام ِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾.

[تقرأ] غَيْرَ مماله، وَتَرى ـ مُمَالَة، ـ وتُرِي ـ بـلا إمالة، ـ وتُرِي ـ بالامالة ـ وماذا تُرَى، ففيها خمسة أوجه، ترى ـ بـالفتح وبـالكسر. وكـذلك في تُـرِي وتُرَى، . وفيها خمسة أوجه أخر لم يقرأ بشيء منهـا، فَلَا تقـرأن بها، وهـو ان تأتي الخمسة التي ذكرناها ممالة وغير ممالة بغير همز فتهمزها كلهـا، فما كـان مُمَالاً هَمِزَ وأمال، وما لم يكن مما لا أمال ولم يهمز. ويجوز ماذا تَرْأَى ممال، وماذا تُرْئِي، وماذا تُرْأَى، وماذا تَرَى وَمَاذا تُرَى.

فمعنى ماذا تَرأَى وتُـرْئي من الرأي، ومعنى مـاذا تُرَى مَـاذَا تُشِيرُ، وَزَعَم الفـراء أن معناه مَـاذَا تُرِيني من صَبْـرِكَ، ولا أعلم أحَـداً قَـالَ هَـذَا. وفي كـل التفسير ما تُرِي ما تشير.

﴿قال: يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.

ورؤيـة الانبياء في المنـام وحي بمنزلـة الـوحي اليهم في اليقـظة، وقـد فَسَّرْنَا يا أَبَهْ، وإعرابَهُ فيما سَلَفَ من الكتاب.

﴿سَتَجِدُنِي إنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

يَقُول على أمر اللّه.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِين﴾.

أَسْلَما اسْتَسْلَمَا لأمر اللّه. رضي إبراهيم بأن يذبح ابنه، ورضي ابنه بأن يذبح تصديقاً للرؤيا وطاعة للّه.

واختلف الناس في الذي أمر بذبحه مَنْ كانَ، فقال قوم إسحاق. وقال قوم اسماعيل. فأما من قال إنه إسحاق، فعليٌ رحمة اللّه عليه وابنُ مَسْعُودٍ وكعبُ الأحبار، وجماعة من التابعين. وأما من قال إنه إسماعيل فابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وسعيد بن المسيب وجماعة من التابعين.

وحجة من قال إنه إسماعيل قوله:﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وَحُجة من قال انه اسحاق، قال: كانت في إسحاق بشارتان الأولى فبشرناه بغُلامٍ حَلِيمٍ. فلما استسلم للذبح واستسلم ابراهيم لذبحه بُشِّرَ به نبياً من الصالحين.

والقول فيهما كثير واللّه أعلم أيهما كان الذبيح.

فأما جواب﴿فلما أسْلَمَا وتلَّهُ للجبين﴾أي صَرَعَهُ، فقد اختلف الناس فيه فقال قوم جوابه وناديناه، والواو زائدة، وقال قوم إن الجواب محذوف بان في الكلام دليلاً عليه. المعنى فلما فعل ذلك سعِدَ وأتاه اللّه نبوة وَلَدِه وأجزلَ لَهُ الثواب في الآخرة.

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيم﴾.

الذبح بكسر الذَّال الشيءُ الذي يُذْبَح، والذَّبْح المصدر، تقول: ذبحته أذْبَحُه ذَبْحاً. وقيل إنه الكَبْشُ الذي تُقَبِّلَ من ابن آدم حين قرَّبه، وقيل انه رَعَا

في الجنـة أربعين سنة، وقيـل إنَه كـان وَعِلاً من الأوْعَـالِ. والأوعال التيـوس الجبليَّةُ.

﴿وَنَجَّيْنَاهُما وقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾.

قيل من الغرَقِ كما فُعِلَ بِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِه.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾.

جـاء في التفسيـر أنـه إدريس، ورويت عنِ ابن مَسْعُـودٍ أنــه قـرأ: وإن ادريس، ورويت سلام على إدْرَاسِين.

﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً [وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ]﴾.

قيل إن بعلاً كانوا يعبدونه، صنماً من ذهب، وقيل إن بعلاً [تعني] رَبّاً.

وقرئت ﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾: على صِفَـةِ أَحْسَنِ الخَــالِقِينَ اللَّـهَ. وقرئت: «اللَّهُ رَبُّكُمْ» عَلَى الابتداء والخبر.

﴿سَلامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾.

وقرئت إلْيَاس. فمن قرأ بالوصل فموضع ﴿اليـاسين﴾ جمعٌ، هـو وأمتُـه المؤمنـون، وكذلـك يجمـع مَـا يُنْسَب إلى الشيء بلفظ الشيء، تقـول: رأيت المَسامِعَة والمَهَالِبَةَ، تريد بني المهَلَّب وبني مِسْمَع، وكذلـك: رأيت المهلبين والمِسْمَعِين. وفيها وجه آخر تكون فيـه لغتان اليـاس والياسين كمـا قال ميكـال وميكائيل.

وقوله:﴿إلاَّ عَجُوزاً فِي الْغَابِرِينَ﴾: يعني في البَاقِينَ.

وقوله:﴿إِذْ أَبَقَ إلى الفُلْكِ المَشْحُونِ﴾.

«أَبَق» هَرَبَ إلى الفلك المشحون، والمشحون المملوء.

فَسَاهَمَ قارع، والمُدْحَضِينَ المَغْلُوبِينَ.

لما صَارَ يونس في السّفينة فلم تَسِرْ فقارَعَـهُ أهل السفينـة، ووقعت عليه القرعة فخرج منها وألقى نَفْسَهُ في البحر.

﴿فالْتَقَمَهُ الحُوتُ﴾.

وهو السمكة، ولما خرج من السفينة سَارَتْ.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

قد أتى بما يلام عليه، يقال: قد ألاَمَ الرجلُ فهو مُليمٌ، إذا أتى ما يجب أن يلام عليه.

﴿فَلَوْلاَ أَنَّه كَانَ مِنَ المُسَبِّحِينَ﴾: مِنَ المُصَلِّين.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِه إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

جاء في التفسير أنـه لبث أربعين يومـاً، وقال الحسن لم يَلْبَثْ إلاَّ قَليـلاً وأخرج من بطنه بُعَيْدَ الوقت الذي التُقِمَ فيه.

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالعَرَاءِ﴾.

يعني بـالمكَـان الخـالي، والعـراء عَلَى وَجْهَيْن، مَقْصُـورٌ وَمَمْـدُودٌ، فالمقصور الناحِيَةُ، والعراء ممدود المكان الخالي، قال أَبُو عُبَيدَةَ وغَيْرُهُ: إنمـا قيل له العراء لأنه لا شجر فيه، ولا شيءَ يُغَطيه، وقيل ان العراء وجه الأرْض، ومعناه وجه الأرض الخالي، وأنشدوا:

رَفَعْتُ رِجْـلاً لَا أَخَـافُ عِـثَـارَهَـا   وَنَبَـذتُ بـالبَلَدِ العَـراءِ ثِـيَـابِي[1]

(١) في اللسان (عرا) ورفعت رجلاً - وهو في الكامل ١٦٢/١ (تجارية) والقرطبي ٨٩/١٩ - ومجاز أبي عبيدة جـ ٢ ص ١٧٥ - لبعض الهذليين.

﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْه شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾.

كـل شجرة لا تنبت على سـاقٍ، وإنمـا تمتـد على وجـه الأرض ـ نحـو القَرْعِ والبطِّيخ و الحنظل ـ فهو يقطين. وأحسب اشتقاقها من قَـطَنَ بالـمكـان إذا أقام به، فهذا الشجر كله على وجه الأرض، فلذلك قيل يقطين.

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾.

قال غير واحد معناه بل يزيدون، قال ذلك الفراء وَأَبُو عبيدة وقال غيرهمـا معنـاهُ أَو يزَيـدونَ فِي تَقْدِيـركم أنتم إذا رآهم الـرائي قـال هؤلاء مـائـة ألف أو يزيدون على المائة وهذا على أصل «أو».

وقال قوم: معنـاها معنى الـواو. و «أو» لا تكون بمعنى الـواو، لأن الواو معناها الاجتماع، وليس فيها دليل أن أحد الشيئين قبـل الآخر، و «أَوْ» مَعنـاها إفراد أحد شيئين أو أشياء.

وقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾.

أي سلهم مسـألة تـوبيخ وتقـرير، لأنهم زعمـوا أن الملائكـة بنـات اللَّه تعالى اللَّه عَنْ ذَلِكَ.

﴿أَمْ خَلَقْنَا المَلَائِكَةَ إِنَاثاً﴾.

معناه بل أَخَلَقْنَا الملائكة إناثاً ـ. ﴿وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. أَصْطَفَى البَنَاتِ عَلَى البَنِينَ﴾.

هـذه الألف مفتوحة[1]، هذا الاختيـار، لأن المعنى سَلْهُمْ هـل أصـطفى البَنَـاتِ على البَنِين، فـالألف ألف استفهـام. ويجـوز اصـطفى على أن يكـون

---

(١) الألف في أصطفى.

حكاية عن قولهم ليَقُولُونَ اصطفى. وفتح الألف وقطعها أجود على أأصـطفى، ثم تحذف ألف الوصل.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً﴾.

الجِنَّةُ هَهُنَا المَلاَئِكَةُ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾.

أي ولقـد علمت الجنـة وهم المـلائكـة أن الـذين قالوا: ولد اللَّه... لَمُحْضَـرونَ العَذَابَ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾.

تنزيه اللَّه من السوء عن وَصْفِهِم.

﴿فَإنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْه بِفَاتِنِينَ﴾.

أي ما أنتم بمضلين عليه إلَّا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ.

﴿إلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ﴾.

أي لستم تضلون إلَّا أهـلَ النَّارِ، وقـرأ الحَسَنُ إلَّا من هُوَ صَـالُ الجَحِيم بضم اللام، والقراءة بكسر اللام، على معنى صَـالي، والوقف عليهـاينبغي أن يكون بالياء، ولكنها محذوفة في المصحف، ولقـراءة الحَسنِ وجْهَان، أحدهما أن يكون أراد صالونَ الجحيم فحذفت النُّونُ للإضـافة وحـذفت الواو لسكـونها وسكون اللام من الجحيم، ويَذْهَبُ بِمَنْ مَذْهَبَ الجِنْسِ، أي بـالجنس الذين هم صـالوا الجحيم، ويجـوز أن يكـون صَـالُ في معنى صـائـل، مفعـول من صَالَى، مثل جرف هارٍ أي هائرٍ، والقراءة التي هي الاجماع كسر اللام.

﴿وَمَا مِنَّا إلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾.

هـذا قول المـلائكة، وههنـا مضمـر، المعنى مَـا مِنَّـا مَلَكٌ إلاَّ لـه مقـام معلوم.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾: أيْ نحن المصلونَ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾.

المُمَجِّدون للَّه، الذين ينزهُونَه عَنِ السُّوءِ.

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُـولُـونَ لَـوْ أَنَّ عِنْـدَنَـا ذِكْـراً مِنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّـا عِبَـادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

كان كفار قريش يقولون لو جاءنا ذكر كما جاء غيرنـا من الأولين لأخْلَصْنا العبادة للَّه عزَّ وَجَلَّ، فلما جاءهم كفروا به.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

أي سـوف يعلمون مَغَبَّـةَ كفرهم، ومـا ينـزل بِهم من العـذاب والانتقـام منهم في الدنيا والآخرة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا [الْمُرْسَلِينَ]﴾.

أي تقـدم الوعـدُ لهم بأن اللَّه ينصـرهم بالحجـة وبالـظفـر بِعَـدُوِّهِمْ في الدنيا، والانتقام من عدوهم في الآخرة.

﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُون﴾.

حزب اللَّه لَهُمُ الغَلَبة.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾.

حتى تنقضي المدَّةُ التي أُمْهِلُوا إليها.

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾.

نزل بهم العَذَابُ، وكان عذاب هؤلاء في الدنيا القَتْل.

وقوله:﴿فساء صباح [الْمُنْذَرِينَ]﴾:أي فبئس صباح.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ﴾.

فيه ثلاثة أوجه، فمن نصب فعلى مدح الله عز وَجَلَّ، ومن قرأ بالرفع فعلى المدح أيضاً على معنى هُوَ رَبُّ العزَّةِ، ومن خفض فعلى قوله رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ، وفي النصب أيضاً أعني رَبَّ العزَّةِ، واذكر ربَّ العِزَّةِ.

سُورَةُ صَ
مكية

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

﴿[صَ]﴾.

قرئت بالفتح وبالكسر، وبتسكين الدال، وهي أكثر القراءة، فمن أسكن «صاد» من حروف الهجاء، وتقدير الدال الوقف عليها. وقد فسرنا هذا في قوله «ألم» أعني باب حروف الهجاء، ومعناه الصادق اللّه، وقيل إنها قسم.

وقوله: ﴿وَالْقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

عطف عليها، المعنى أقسم بصاد وبالقرآنِ ذي الذكر، ومن فتحها فعلى ضَرْبَيْن، يكون فتحاً لالتقاء الساكنَيْن، ويكون على معنى اتل صادَ، ويكون صاد اسماً للسورة لا ينصرف. ومن كسر فعلى ضربين، لالتقاء الساكنين، وبكسرها على معنى صاد القرآن بعَمَلِك، من قولك صادَى يُصَادِي إذا قابَل وَعَادَل، يُقال صاديته إذا قابلته، وجواب قوله: صَادِ والقرآن ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[1] وقال قوم: الجوابُ: ﴿كم أهلكنا قبلَهم مِنْ قَرْنٍ﴾، ومعناه لكم أهلكنا قبلهم مِنْ قَرْنٍ فلما طال الكلام بَيْنَهُمَا حذفت اللام.

ومعنى ﴿والقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾.

أي ذي الذكر والشرف، وقيل ذي الذكر: قد ذكرت فيه أَقَاصِيصُ الأوَّلين والآخرين وما يُحتاج إليه في الحلال والحرام.

﴿فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَناصٍ﴾.

---

(١) تأتي في أواخر السورة آية ٦٤.

جاء في التفسير ولات حين نداء، وقال أهلُ اللُّغَةِ وَلَاتَ حينَ مَنْجًى ولا فَوْتَ، يقال نَاصَه ينوصُه إذَا فاته. وفي التفسير لات حين نداء معناه لات حِينَ نِداءٍ يُنْجي. ويجوز لات حِينُ مَنَاصٍ. والرفع جيّدٌ، والوقف عليها «لَاتْ» بالتاء، والكسائيُّ يقف بالهاء «لَاهْ» لأنه يجعلها هاء التأنيث. وحقيقة الوقف عليها بالتاء، وهذه التاء نظيرةُ التاء في الفعل في قولكَ ذَهَبَتْ وجَلَسَتْ، وفي قولك: رأيتُ زيداً ثمت عَمراً، فَتَاءُ الحروف بمنزلة تاء الأفعال، لأن التاء في الموضعين دخلت على ما لا يعرب، ولا هو في طريق الأسماء فإن قال قائِلٌ: نجعلها بمنزلة قولهم: كان من الأمر ذيهْ وذيهْ، فهذه هاء في الوقف وهذه هاء دخلت على اسم لا يعرب، وقد أجازوا الخَفْضَ فقالوا: لَاتَ أَوَانٍ، وأنشدوا لأبي زُبَيْدٍ:

طلبوا صلحنا ولات أوان ... فأجبنا ان ليس حين بقاء[1]

والذي أنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد ورواه:

طلبوا صلحنا ولات أَوَانٌ

وذكر أنه قد روي الكسرُ.

فأما النصب فعلى أنها عَمِلَتْ عمل ليس، المعنى وليس الوقت حين مناصٍ ومن رفع بها جعل حين اسم ليس وأضمر الخبر على معنى لَيْس حينُ مَنْجًى لَنَا ومن خفض جعلها مبينة مكسورَةً لالتقاء السَّاكِنَين، كما قالوا: قَدلَكَ[2] فبنوه على الكسر.

---

(١) لابي زبيد الطائي من قصيدة طويلة، سببها ان رجلاً من شيبان نزل على رجل من طيء فقراه وسقاه، فلما سكر وثب الشيباني على صاحبه فقتله وفر، وافتخرت بها شيبان انظر الأغاني جـ ٥ والخزانة ٢/١٣٦ الشاهد ٢٨٢.

(٢) يقال قدك وقدلك بمعنى حسبك. وهو بإسكان الدال، والكسر قليل.

والمعنى ليس حين مناصنا وحين منجانا، فلما قال: ولا ت أَوَانٍ جعله على معنى ليس حينَ أَوَانِنَا، فلما حُذِفَ المضَافُ بُنِيَ على الوقف ثم كُسِرَ لالتقاءِ السّاكِنين، والكسر شَاذٌّ شبيه بالخطأ عند البصريين، ولم يَرْوِ سيبويه والخليل الكسر، والذي عليه العمل النصب والرفع، وقال الأخفَشُ: إن ﴿لَاتَ حينَ مناصٍ﴾ نصبها بلا كما تَقُولُ لَا رَجُلَ في الدار، ودخلت التاء للتأنيث.

وقوله جل وعز: ﴿وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ - إلى قوله ﴿لَشَيءٌ عُجَابٌ﴾ [١].

في معنى عجيب، ويجوزُ عُجَّاب في معنى عجيب يقال: رجل كريمٌ وكُرَّامٌ[٢] وكُرَام.

وهذه حكاية عن ملأ من قُرَيْشٍ لما مَرِضَ أبو طالب المرضة التي مات فيها أتاه أبو جهل بن هشام وجماعةٌ من قريش يعودونه فشَكَوْا اليه النبي ﷺ وقالوا يشتم آلهتنا ويفعل، فعاتبه أبو طالب، فقال النبي ﷺ إني أدعُوكم إلى كلمة يدين لكم العرب بها، وتؤدي بها اليكم العجم الجزيَةَ، فقال أبو جهل: نَعَمْ وَعَشْراً على طريق الاستهزاء أي نقُولها وعشراً معها، فقال: لَا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ، فقالوا: أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً. ثم نَهَضُوا وانطلقوا من مجلسهم يقول بعضهم لبعْضٍ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ.

وقوله: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا﴾.

معناه أي امشوا، وتأويله يقولونَ امْشُوا. ويجوز: وانطلق الملأ منهم بأَنِ امشوا أي بهذا القول.

وقوله: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي المِلَّةِ الآخرةِ﴾.

---

(١) ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ الـهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لشيءٌ عُجَابٌ﴾.

(٢) مثل ﴿ومكروا مكراً كُبَّاراً﴾ أي كبيراً.

حكاية عنهم أيضاً، أي ما سمعنا بهذا في النَّصْرانِية وَلاَ اليهوديّةِ ولا فيما أدركنا عليه آباءنا.

﴿إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلَاقٌ﴾.

أي إلا تَقَوُّلٌ.

﴿أأنْزِلَ عَلَيْه الذِكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾.

أي كيف أنزل الذكر عليه من بيننا، أي كيف أُنْزِلَ على محمد القرآن من بيننا.

﴿بَلْ هُمْ في شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾.

أي ليس يقولون ما يعتقدونه إلاَّ شَاكِّين.

وقوله:﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾.

إن قال قائِل: ما وجه اتصال ﴿أَمْ عِندهم خزائن﴾ بقوله:﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ من ذكري﴾، أو بقوله ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾. فهذا دليل على حَسَدِهم النّبيّ ﷺ بما آتاه اللَّه من فَضْل النُّبوّةِ. فأعلم اللَّه أن الملكَ لَهُ والرِّسالَة إلَيْهِ، يصطفي من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء وينزل الغيث والرحمة على من يشاء فقال:﴿أم عندهم خزائن رحمة رَبِكَ﴾. أي ليس عندهم ذلك.

﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّموَاتِ والأرْض﴾.

أي ليس من ذلك شيء.

﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأسْبَابِ﴾.

أي إن ادَّعَوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الاسباب التي توصلهم إلى السماء، وجائز أن يكون فليرتقوا في هذه الاسباب التي ذكرت وهي التي لا

يملكها الا اللّٰه. ثم وعد اللّٰه نبيه عليه السلام النَصْرَ عَلَيْهم فقال:

﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ﴾.

«ما» لغوٌ، المعنى جند هُنَالِكَ مهزوم من الأحزاب.

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ﴾.

جاء في التفسير أن فرعون كانت له حبال وأوتادٌ يلْعَبُ له عَلَيْها.

﴿مَالَها مِنْ فَواقٍ﴾.

وفُواق بضم الفاء وفتحها، أي ما لها من رجُوع، والفُـواق ما بين حَلْبَتَي الناقَةِ، وهو مشتق من الرجوع أيضاً لأنه يَعُودُ اللَّبَنُ إلى الضَّرْعِ بين الحلبتين، وأفاق من مرضه من هذا، أي رجع إلـى الصحة. فالفواق هو من هذا أيضاً.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾.

«القِطُّ» النصيب، وأصله الصحيفة يكتب للانسان فيها شيء يصل إليه قال الأعشى.

ولا الملك النعمـان يـوم لقيتـه بـأمَّتِه يعـطي القـطوط ويـأفِقُ[1]

يأفِق يُفْضِلُ، وهذا تفسير قولهم: ﴿عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا﴾ ـ وهو كقولهم ﴿اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَـأَمْطِرْ عَلَيْنَا﴾ ـ الآية[2] وقيـل إنهم لما سمعـوا أن المؤمن يؤتى كتابه بيمينـه والكافـر يؤتى كتابـه بشمالـه، فيسعد المؤمن ويهلك الكـافـر، قالـوا ربنا عجـل لنا قِـطَّنا. واشتقـاق القِط من قططت أي قـطعتُ، وكذلك النصيب انّما هو القطعة من الشيء.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ﴾.

ذا القوة، وكانت قوته على العبادة أتم قوة، كان يصوم يوماً ويفطر يـوماً، وذلك أَشَدُّ الصَّوْمِ، وكان يُصَلّي نصفَ الليل.

---

(١) البيت في اللسان (قطط). (٢) سورة الأنفال /٣٢.

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

رجاع إلى اللّه كثيراً، الآيب الراجع، والأَوَّابُ الكثيرُ الرُّجوعِ.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعه يُسَبِّحْنَ بالعَشِيِّ والإِشْرَاقِ﴾.

«الاشراق» طلوع الشمس وإضاءتُهَا، يُقَالُ شَرِقَت الشَمْسُ إذا طلعت، وأشرقت إذا أضاءت، وقد قيل شرقت وأشرقت إذا طلعت في معنى واحد، والأول أكثر.

﴿والطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾.

كانت الجبال تُرَجِّع التسبيح، وكانت الطير كذلك، فيجُوز ان تكون الهَاءُ للّه -جل وعز- أي كل للّه مسبح، الطير والجبال وَدَاودُ يسبحون للّه عز وجل، ويرجعون التسبيح. ويجوز - واللّه أعلم - أن يكون ﴿كلٌّ له أوَّاب﴾ كل يُرَجِّعْنَ التسبيح مع داود، يجبنه، كلما سبح سبحت الجبال والطير معه.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾.

ويجوز وشدَّدنا، ولا أعلم أَحداً قَرَأَ بهَا. معناه قوينا ملكه فكان من تقوية ملكه أنه كان يَحْرُسُ محرابه في كل ليلة ثلاثةٌ وثلاثون ألفاً مِنَ الرِّجَال، وقيل أيضاً إنَّ رَجُلاً استعدى إليه على رجل، فادعى عليه أنه أخذ منه بَقَراً، فأنكر المدعى عليه فسأل داود المدعَى البينة فلم يقمها، فرأى داود في منامه انّ اللّه يأمره أن يقتل المدعى عليه، فتثبت[1] داود، وقال هو منام، فأتاهُ الوحي بعد ذلك أَنْ يَقْتُلَه فأحضره ثم أعلمه أن اللّه أَمرهُ بقَتْلِه، فقال المُدَّعَى عليه: إن اللّه -جل وعز- ما أخذني بهذا الذنب[2]، وإني قتلت أبا هذا غِيلةً فقتله داود، فذلك مما كان عظم اللّه هيبته وشدَّدَ ملكه [به].

---

(١) تثبت تريث وتمهل.

(٢) أي ذنب المماطلة ونكران الدَّيْنِ بل بذنب آخر.

﴿وآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾.

قيل في ذلك أن يحكم بالبينة واليمين، وقيل في فصل الخطاب، أن يفصل بين الحق والباطل، وقيل «أَما بعد»، وهو أول من قال أَمَّا بَعْدُ.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾.

والمحرابُ أرفع بيت في الدار، وكذلك هو أرفع مكان في المسجد، والمحراب ههنا كالغرفة، قال الشاعر[1]:

رَبَّةُ مِحْرابٍ إِذَا جِئْتُها لم أَلْقَها أَو أَرْتَقي سُلَّما

و «تسوَّروا» يدُلُّ على عُلُوّ. وقال «الخَصْمُ» ولفظه لفظ الواحد، و «تَسَوَّروا» لفظ الجماعة لأن قولك خصم يصلح للواحد والاثنين والجماعةِ والذكر والأُنْثَى، يقال: هذا خَصمٌ وهي خصم وهما خصم وهم خُصْمٌ. وإنما صلح لجميع ذلك لأنه مصدر، تقول خصمته أَخْصِمُه خَصْماً، المعنى هما ذوا خصم وهم ذوو خصم، وان قلت خصوم جاز كما تقول هما عدل وهما ذوا عدل، وقال [اللّه تعالى] ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾[2]. فمعنى هما عدل هما ذوا عدل. فما كان من المصادر قد وصفت به الاسماء فتوحيده جائز، وان وصفت به الجماعة، وتذكيره جائز وان وصفت به الأنثى، تقول هو رضًى وهما رِضًى، وكذلك هذه رضًى.

وقوله تعالى:﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾.

لأَنَّهم أَتَوْه مِن غَير مَأْتَى الخُصوم، وفي غير وقتهم[3]، وفي وقت لم يكن

---

(١) تقدم.

(٢) سورة الطلاق الآية ٢.

(٣) في غير وقت الخصوم.

داود يأذن فيه أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْه أَحَدٌ، فأنكر ذلـك وَفزِعَ. وإنمـا بُعِثَ إليه مَلَكَـان فَتَصَوَّرا في صورة رَجُلَيْن متخاصِمَيْن.

﴿قَالُوا لاَ تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلَى بَعْضٍ﴾.

القراءة الرفع، والرافع لِخَصْمانِ نحن، والمعنى نحن خَصْمَـانِ ولو كـان في الكـلام لاَ تَخَفْ خَصْمَيْنِ بَغَى بَعْضُنَـا على بَعْضٍ [لجـاز][1]، على معنى أَتَينَاكَ خَصْمَيْنِ لأنه أنكر إتيانهم، وإِتْيَانُ الخُصُومِ قَدْ كَان يعتاده كثيراً[2].

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالحَقِّ لاَ تُشْطِطْ﴾.

أي لا تَجُـرْ، يقال أَشَطَّ يُشِطُّ إذا جَـار، ويقرأ لاَ تَشْـطُطْ بمعنى لا تَبْعُـد عن الحق، وكـذلك لاَ تَشْـطِطْ ـ بكَسْرِ الـطاء وفتح التـاء ـ معناه كمعنى الأول قال الشاعر[3]:

تَــشُطُّ غَــداً دَارُ جِــيــرَانِــنَــا ... وَلَـــلدَّارُ بَــعْــد غَــدٍ أَبْــعَــدُ

﴿واهْدِنا إلى سَواءِ الصِّراطِ﴾.

الى قصد الطريق ـ اي طريق الحق.

﴿تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾.

كَنَى بالنّعجة عن المرأة، قال الأعشى:

فــرميتُ غـفلةَ عَـيْنِــه عـن شَـاتِــه ... فـأصبت حبـة قلبهــا وطحـالهــا[4]

عنى بالشاة ههنا المرأة.

---

(١) زيادة لا بد منها لأن الكلام خالٍ من جواب الشرط.

(٢) كان الخصوم يترددون عليه كثيراً.

(٣) هو عمر بن أبي ربيعة ـ انظر الطبري ٢٣/ ٨١ ـ اللسان (شطط). ومجاز أبي عبيد ٢٥/ ١٨١.

(٤) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب في ديوانه ٢٤ والبيت في أمالي المرتضى. يريد رمي شاته وهو غافل غير مراقب لها. كأنه غازلها وتلطف إليها حتى فتنها.

﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾.

أي اجعلني أبا أَكْفُلُهَا، وانزل أنت عنها.

﴿وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ﴾.

غلبني في الخُصومَةِ، أي كان أقوى على الاحتجاج مِنِّي.

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾.

المعنى بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه.

﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ﴾.

من الشركاء، تقول فلان خليطي وشريكي في معنى وَاحِدٍ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾.

أي قليل هم.

وقوله:﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ﴾:الآية[1].

ويقرأ بالتخفيف ـ فتناهُ ـ يعنى به الملكانِ.

ومعنى ظن أيقن، إلَّا أنَّـه ليس بيقينِ عيانٍ، أَمَّـا العِيَانُ فـلا يقـال فيه إلَّا عَلِمَ.

﴿فاسْتَغْفَرَ رَبَّه وَخَرَّ رَاكِعاً﴾.

مكث أَرْبَعِينَ يَوْماً سَاجِداً لَا يَرْفَعُ رَأسَهُ يستغفر اللَّه من ذَنْبِـهِ، إلَّا لصلاة مكتوبة ومَا لَا بُدَّ له منه، ولَا ترقأ دَمْعَتُه[2].

---

(١) اختبرناه.

(٢) هذا مما لا يعقل ولا يصدق. ورقأ الدمع جف وانقطع سيلانه.

ويروى في التفسير أن قصةَ داودَ والملكين سَبَبُها أن إبليس ـ غَضِبَ اللَّهُ عَليه ـ تمثل له في صورة طَيْرٍ مِنْ ذَهَبٍ فسقط بقربه، فأوى إليْه ليأخذه فتنحَّى وطلبه حتى إذَا قَارَبَ أنْ يتناوله تنحى فَبَصُرَ دَاودُ في اتّباعِ الطير بِامرأةٍ تغْتَسِلُ، وَبَصُرَتْ به فتجلَّلَتْ[1] بشعرها حتى سترها ويقال إنها امرأة أُورِيًّا بن حَنان، ويُرْوَى أنه كتب إلى صاحب جنده أن يُقْدِمَ أُورِيًّا في حَرْبٍ كانت، فقدَّمَهُ فَقُتِلَ فتزوَّجها دَاودُ[2]، ويُرْوَى أن عليًّا عليه السلام قال: من قال: ان داود عليه السلام قَارَفَ مِن هذه المرأة ريبةً جَلَدْتُه مائة وستين جلدة، لأن من قذف غير النبي جُلِدَ ثمانين جلدة، ومن قذف نبياً جلد مائةً وستّين جَلدة.

وكان في التفسير أن داود أحب أن يُتْلِفَ أُورِيًّا حتى يتزوج داود بامرأته، وهذا ـ واللَّه أعلم ـ إنما كان من داود على جهة محبّة ان يتفق له ذلك من غير أن يتعمد أو يسعى فى دم الرجل، فجعله اللَّه له ذنباً لما أحبه، ويجوز أن يكون كتب في أن يُقَدَّمَ أمام التابوت هذا الرَّجُلُ لبأْسه ونَجْدَتِه في الحرب وَرَجَا كفايته فاتفق مع ذلك أن أصيب وبه حلت له امرأته فعوتب على محبة امرأة رجل ليس له غيرها، ولداود تسع وتسعون امرأة، فكان ذلك من ذنوب الانبياء، فلما بالغ في التوبة وجهد نفسه في الرغبة إلى اللَّه في العفو حتى كاد أن يتلف نفسه تائباً ومُتَنَصِّلاً إلى اللَّه من ذنبه، واللَّه عز وجل قد وصف ذلك فقال:﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

وَقَوْل عَلِيٍ عليه السلام ـ صلى اللَّه على داود ورحمه ـ يدل على صحة هذا التأويل، واللَّه أعلم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) اتخذته جلالاً لها، استترت به.

(٢) انظر قصة اوريا الحثي في سفر الملوك في العهد القديم. وفيه أن داود استقدمه من الحرب برسالة وغرضه أن يبيت مع زوجه فيخفي عار حملها منه، ولكن أوريا بات على عتبة داود، وقال لا أترفه ورفاقي يحاربون ـ فطلب من القائد أن يضعه في الصّف الأمامي فقتل، وهذه المرأة هي أم سليمان.

بهذا جاز أن يقال للخلفاء خلفاء اللّٰه في الأرض.

﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ﴾.

أي بحكم اللّٰه إذ كنت خليفته.

وقوله:﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ﴾.

أي بتركهم العَمَل لهذا اليوْمِ صاروا بمنزلة الناسين، وإن كانوا يُنْذَرُونَ ويُذَكَّرُونَ.

﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية[1].

أعلمهم اللّٰه أنه يعذبهم على الظن. وكذلك:﴿وظَنُّوا أَنَّهُم الَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾[2]ـ وإنما قيلَ لهم هذَا لأنَّهم جَحدوا البَعْثَ. ودليلُ هذا قوله: ﴿ أفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ الآية[3].

إذا لم يكن رجعة لم يكن فصل بين الفاجر والبَرّ، وبعد هذا: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالمُفْسَدِين في الأَرْضِ﴾.الآية[4] ثم قال:﴿كتاب أَنْزَلْنَاهُ [إلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِه]﴾.

المعنى هذا كتاب ليدّبّروا آياته. ليُفكِّروا في آياته، وفي أَدْبَارِ أُمُورِهم، أي عواقبها.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾:أي ذَوُو العقولِ.

﴿نِعْمَ العَبْدُ إنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

(١) ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ للَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾.

(٢) سورة القصص الآية ٣٩.

(٣) سورة المؤمنون الآية ١١٥.

(٤) أم نجعل المتقين كالفجار.

المعنى نعم العبدُ سُلَيْمَانُ انه أواب كَثِير الرُّجوعِ .

﴿إذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ﴾ .

الصافنات الخيل القائمة، وقال أهلُ اللُّغَة وأهل التفسير، الصَّافِنُ القائم الـذي يثني إحدى يـديه أو إحـدى رجليه حتى يقف بهـا على سُنْبُكِهُ[1]، وهـو طرف الحافِرِ، فثلاث من قوائمه متصلة بالأرض، وقائمـة منها تَتّصِـلُ بالأرْضِ طرف حافِرِهَا فقط قال الشاعر[2]

ألف الصفـون فمـا يـزال كـأنـه ممـا يقـوم على الثـلاث كسيـرا

وقال بعضهم الصافِن القائِمُ ثَنَى إحْدَى قَوائِمِه ولم يثنها، والخيل أكثر ما تقف ـ إذا وقفت ـ صافنةً، لأنها كأَنَّهَا تُراوح بين قوائمها.

﴿فَقَالَ إنِّي أَحَبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي [حَتَّى تَوَارَتْ بِالحِجَابِ]﴾ .

«الخير» ههنا الخيلُ، والنبي ﷺ سمَى زيد الخيـل ـ زيد الخيـر[3]، وإنّما سميت الخيل الخير لأن الخير معقود بنـواصي الخيل ـ كـذا جاء في الحـديث. وكـانت هذه الخيـل وردت على سليمان من غنيمـة جيش كـان لـه، فتشـاغـل

---

(١) طرف حافره.

(٢) البيت في شـواهـد المغني ٢٤٨، والقـرطبي ١٢/٦٢، وفي اللسـان (صفن) ممـا ذكـره ابن الأعرابي في وصف فرس ـ و «ما» في «مما يقـوم» اسم موصـول أي من النوع الـذي يقوم على ثلاث، وكسيراً حال ـ وأشير في هامش النسخة الى رواية أخرى ترفع «كسيرا» ـ ويكون المعنى حينئذ أنه من قيـامه على الثـلاثة كـأنه كسيـر ـ وليس هذا بشيء ـ وقـد رضي الشرح الأول ابن الأعرابي ونقله ابن الحاجب عنه، وجعل «ما» مصدرية، أي من قيامه جيد جداً.

(٣) هو زيد بن مهلهل بن يزيد الطائي من الشعراء الفرسان المخضرمين، وكان جميلاً طـوالاً من أتم الناس خلقة، قال له رسول اللّه ﷺ: ما وصف لي رجل قط فرأيته الا كان دون ما وصف به الا أنت، انـك فوق مـا قيل، إن فيـك لخصلتين يحبهما اللّه ورسـوله: الاناة والحلم، وقد أصـابته الحمى فمات بعد ذلك بقليل. انظر ترجمته في الاغاني جـ ١٦/٤٦ وما بعدها.

باعتراضها إلى أن غابت الشمس وفاتته صلاة العصر. قال أهل اللغة:

﴿حَتَّى تَوارَتْ بِالحِجَابِ﴾.

يعنى الشمس، ولم يَجْرِ للشمس ذكر. وهذا لا أحسبهم اعْطَوُا الفكرَ حقَّه فيه، لأن في الآية دليلاً يدل على الشمس، وهو قوله: إذْ عُرِضَ عَلَيْه بِالْعَشِيِّ [والعِشيُّ] في معنى بَعدَ زَوال الشمس. حتى تَوارَتِ الشمسُ بالحجاب، وليس يجوز الاضمارُ إلا أن يجرِيَ ذكْرٌ أو دَليلُ ذِكْرٍ بمنزلة الذِّكْرِ. وكان سليمان لِهَيْبَتِه لا يَجْسُر عليه أَحَدٌ حَتَّى يُنَبِّه لوقت صلاة، ولست أدري هل كانت صلاةُ العَصْرِ مَفْروضَةً في ذلك الوقت أم لا، إلا أن اعتراضه الخيل قد شغله حتى جاز وَقْتٌ يذكر اللّه - جل وعز - فيه.

ومعنى أَحْبَبْتُ حُبَّ الخَيْرِ آثرت حب الخير على ذكر اللّه.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً [بِالسُّوقِ وَالأعْنَاقِ]﴾

المسح ههنا على ما جاء في التفسير القطع، وَروي أنه ضَرَبَ سُوقها وأعناقَها، وسُوقٌ جمعُ سَاقٍ، مثل دَارٍ ودُور. ولم يكن سليمان ليضرب أعناقها الا وقد أباح اللّه ذلك، لأنه لا يجعل التوبة من الذنب بذَنْبٍ عظيم. وقال قوم إنه مسح أعناقها وسوقها بالماء وبيده، وهذا ليس يوجب شغلها إياه، أعني أن يمسحها بالماء، وإنما قال ذلك قوم لأن قتلها كان عندهم منكراً. وليس ما يبيحه اللّه بمنكر، وجائز أن يباح ذلك لسليمان في وقته ويحظر في هذا الوقت، ومالك يذهب إلى أنه لا ينبغي أن يؤكل لحم الخيل والبغال والحمير، لقول اللّه عز وجل: ﴿وَالخَيْلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾(١) وقال في الابل: ﴿لِترْكَبُوا مِنها ومنها تأكلون﴾(٢)

---

(١) سورة النحل الآية ٨.

(٢) سورة غافر الآية ٧٩ - وهي في الأنعام عامة وليست في الإبل وَحْدَهَا. والآية: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكم الأَنْعَامَ لِتَركَبُوا مِنْها ومِنْها تَأكُلون﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾.

«فتنا» امتحنا.

﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾.

جاء في التفسير أنه كان لسليمان ابن فخاف عليه الشياطينَ، لأن الشياطين كانت تَقْدِر[1] الراحة مما كانت فيه بموت سليمان، فقالت إن بقي له وَلَدٌ لَمْ نَنْفكَّ[2] مما نحن فيه، فغذاه في السحاب اشفاقاً عليه فمات. فألقى على كرسيه جَسَدٌ، فجائز أن يكون هذا مُجازاتَهُ على ذَنْبِه، وجائز أن يكون، فأثكله اللَّه وَلَدَهُ.

وأكثر ما جاء في التفسير أن «جسداً» ههنا شيطان، وأن سليمان أُمِرَ ألاَّ يتزوج امرأةً الا من بني إسرائيل، فتزوج من غيرهم امرأةً كانت تعبد غير اللَّه، فعاقبه اللَّه بأن سَلَبَه مُلكَهُ وكان ملكه في خاتمه فدفعه عند دخوله الحمام إلى شيطانٍ، وجاء في التفسير أنه يقال له صَخْر، فطرحه في البحر فمَكث أربعين يوماً يتيه في الأرض حتى وَجَدَ الخاتم في بطن سَمكةٍ. وكان شيطان تصور في صورته وجلس مجلسه، وكان أمره ينفذ في جميع مَا كَان يَنْفُذُ فيه أَمْرُ سُلَيمانَ، خلاَ نساءِ سُليمانَ، إلى أن رَدَّ اللَّه عليه ملكه.

قال:﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾.

أي ذلك الذنب.

﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾: حسن مَرْجع.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ﴾.

---

(١) نتوقع الخلاص منه.

(٢) لم نخلص من الفِكَاك.

أي هب لي ملكاً يكون فيه آية تدل على نبوّتي، لا ينبغي لأحد من بعدي من الآدميين الذين ليسوا بأنبياء، يكون له آية تدل على أنك غفرت لي وَرَدَدْتَ إليَّ نُبُوَّتي. والدليل على هذا قوله:﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾.

﴿رُخَاءً﴾ لَيِّنةً، وقيل﴿تجري بأمره﴾ ليست بشديدة كما يجب.

﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾: إجماع المفسرين وأهل اللُّغَةِ أنه حيث أراد، وحَقِيقَتُهُ قَصَدَ، وكذلك قولك للمجيب في المسألة: أَصَبْتَ، أي قَصَدْتَ، فلم تخطئ الجوابَ[1].

﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾.

﴿الشياطين﴾ نسق على الريح، وقوله ﴿كل بناء وغواص﴾ يدل على أنه من الشياطين. المعنى وسخرنا له كل بناء من الشياطين وكل غَوَّاص، وكان من يبني[2]: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ﴾[3].

وكان من يغوص يخرجون له الحلية من البحر.

﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِين فِي الأَصْفَادِ﴾.

مَرَدَةُ الجن الشياطين، سُخِّروا له حتى قَرَنَهم في الأَصْفَادِ، والأصفاد السلاسل من الحديد، وكل ما شددته شدًّا وثيقاً بالحديد وغيره، فَقَد صَفَدْتَه وكل من أعطيته عطاء جزيلاً فقد اصفدتَه كأنك أعطيته ما ترتبط به، كما تقول لِلمُتَخِذِ مَالاً أَصْلاً يبقى عليه: قد اتخذت عقدةً جَيِّدَةً.

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ﴾: أي أطلق من شئت مِنهم.

---

(١) وهذا غير جيد لأنه يقتضي أن الريح تجري بأمره حيث كان قاصداً حسن الرأي أما إذا لم يكن قاصداً فإنها لا تجري بأمره.

(٢) أي وكان البناءون من الجن يبنون له ما يشاء.   (٣) سورة سبأ /١٣.

﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾: أو أحبس مَن شئت ولا حِسَابَ عليك في حَبْسِه، وجائز أن يكون عطاؤنا ما أعطيناكَ من المال والكثرة والملك، فامنن، أي فأعْطِ منه.

﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

بغير مِنَّةٍ عَلَيْكَ، وإن شئت بغير حساب بغير جَزاء.

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.

«عبدنا» منصوب بوقوع الفعل عليه، و «أيوب» بدل من «عبدنا»، لأن أيوب هو الاسم الخاص، والاسم الخاص لا يكون نعتاً إنما يكون بدلاً مُبَيناً بِنُصْب، وَنَصَبٍ - بفتح النون والصاد، ونُصْبٍ بضم النون بمعنًى وَاحِدٍ - وقَدْ قُرِئَتْ بِنُصْبٍ بضم النون وإسكان الصاد، وقرئت بفتح النون وإسكان الصاد. وَنَصَبٍ بفتح النون والصَّادِ بِمَنْزِلَةِ نُصْبٍ بضم النُّونِ، والنُّصْب والنَّصَب بمنزلة الرُّشْد والرَّشَدِ، والبخل والبخل والعُرْب والعَرَب. والنَّصْبُ - بفتح النون وإسْكَانِ الصَّادِ على أصل المصدر، والنُّصْب والنَّصَبُ على معنى نَصَبْتُ نَصْباً وَنُصْباً. وَنَصْباً على أصل المصدر.

ومعنى ﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ بضُرٍّ في بَدنِي، وَعَذَابٍ في مَالِي وَأَهْلِي ويجوز أن يكون بضُرٍّ في بَدَني وعذاب فيه.

وروي أنه مكث أيوب عليه السلام سَبْعَ سِنِينَ مُبتَلًى يسعى الدُّودُ من بَدَنِه، فنادى رَبَّه: ﴿أَني مَسَّنِيَ الضُّرُّ وأنت أرحم الراحمين﴾[1].

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾.

المعنى قلنا له: أركض برجلك: معناه دُس الأرض برجلك فداس الأرْضَ دَوْسَةً خفيفةً، فنبعت له عَيْنٌ فاغتسل منها فَذَهَبِ الداء من ظاهر بدنه، ثم داس دَوْسة ثانية فنبع ماء فشرب منه فغَسلَت الداء من باطن بَدَنِه.

---

(١) الأنبياء /٨٣.

﴿وَوَهَبْنَا لَه أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾.

قيـل: وَوَهَبْنَا لـه أهله أعطينـاه في الآخِرة ثـوابَ فقدهم، ووهبنـا له في الدنيا مثلهم، وقيل أُحْيِيَ له أَهْلُه، وَوُهِبَ لَهُ مِثْلُهم.

﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾.

«رحمة» منصوبة مفعول لها.

﴿وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾.

لذوي العقول، ومعنى﴿ وذكرى لأولي الألباب﴾ إذا ابتُلِيَ اللَّبِيبُ ذَكـر بَلاءَ أَيُّوبَ فصَبَرَ.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً﴾.

المعنى وقلنا خذ بيدك. والضغث الحِزْمَةُ منَ الحَشِيش او الريحان او ما أشبه ذلك.

وجـاء في التفسير أن امـرأة أَيُّـوبَ قـالت لـه: لـو تقـربت إلى الشيـطان فذبحت له عَنَاقاً(١): قال ولا كفًّا من تُرَابٍ، وَحَلَفَ أن يَجْلِدَها إذا عُـوفِيَ مائـةَ جَلْدةٍ، وشكر اللَّه لها خِدْمَتَها إيَّاهُ فجعل تحلة يَمِينهِ أن يأخذ حزْمَـةً فيها مـائة قضيبٍ فيضـربها ضربة واحـدة. فاختلف النـاسُ فَقَالَ قـومٌ هذا لِأَيُّـوبَ ـ عليه السلام ـ خاصَّةً، وقال قوم: هذا لسائـر الناس.

﴿أَوَّابٌ﴾: كثير الرجوع إلى اللَّه.

﴿وَاذْكر عَبْدَنَا ـ (وعبادنا) ـ إِبْرَاهِيمَ واسْحَقَ وَيَعْقُوبَ﴾.

من قال ﴿عبادَنا﴾ جعل إبراهيمَ وإسحاق ويعقوبَ بدَلاً مِنْ عِبادِنا، ومن قرأ

---

(١) بعيراً.

عبَدنَا جعل إبراهيم وحدَهُ البَدَلَ، وجعل إسحاق ويعقوب عَطْفاً على قوله عَبْدنا.

وقوله: ﴿أُولِي الأَيْدِي﴾.

وقرئت الأيْد بغير ياء ومعنى أولي الأيدي أولي القوة في العبادة.

﴿والأَبْصَارِ﴾ أي هم ذوو بَصِيرةٍ فيما يقرب إلى الله، وقد يقول للقوم: لهم أَيدي بهؤلاء أي هم قادرون عليهم قال الشاعر:

فَاعْمَدْ لِمَا تَعْلُو فما لَك بِالَّذِي   لا تستطيع من الأمُورِ يدان[1]

أي اعمد لما تَقْهرُ ولا تعمد لما تُقْهَرُ فِيه، أي فما لك قَوَّةٌ. من قرأ أُولِي الأيْدِ بِغَير يَاءٍ، فمعناه من التأييد والتقوية على الشيء.

وقوله: ﴿إنَّا أَخْلَصْنَاهُم بخالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.

ويقرأ بخالصةِ ذكرى الدار على إضافة خالصة إلى ذكرى ومن قرأ بالتنوين جعل ذكرى الدار بدلاً مِنْ خَالِصَةٍ، ويكون المعنى إنا أَخْلَصناهم بذكرى الدَّارِ. ومعنى الدار ههنا الدار الآخرة، وتأويله يحتمل وجهين أحدهما: إنا أَخْلَصْنَاهم جعلناهم لنا خالصين، بأن جعلناهم يُذَكِّرُون بالدار الآخرة، ويُزَهِّدُونَ في الدنيا، وكذلك شأن الأنبياء صلوات الله عَلَيْهِم. وَيَجُوزُ أَنْ يكون بأنهم يكثرون ذكر الآخرة والرجوع الى الله جل وعَزَّ.

﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ﴾.

أي الذين اتَّخذهم الله صَفْوةً، صَفَّاهم من الأدناس كُلِّهَا وَأَخْلَصَهُم منها.

---

(١) في اللسان (علا) انه لكعب بن سعيد الغنوي يخاطب ابنه علي بن كعب وقيل هو لعلي نفسه وقبله:

وإذا رأيت المرء يشعب امره   شَعبَ العصا وَيَلجُّ في العصيان

وقوله :﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ والْيَسَعَ وذَا الْكِفْلِ ﴾ .

ويقرأ واللَّيْسَعَ وَذَا الكِفْلِ . وكان تكفَّلَ بعمل رَجُلٍ صالح . يقال إنه كان يصلي ذلك الرجل في كل يوم مائة صلاة فتُوُفِّيَ الرجل الصالح فتكفل ذو[1] الكفل بعمله، فكان يعمل عمله، ويقال ان ذا الكفل تكفل بأَمْرِ أَنْبِيَاءَ فخلَّصهم من القتل فسُمِّيَ ذا الكِفْلِ .

﴿وَكُلٌّ مِنَ الأَخْيَارِ﴾ .

المعنى وكل هؤلاء المذكورين من الأخيار، والأخيار جمع خيِّر وأَخْيارٌ مثل ميت وأمواتٌ .

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ .

معناه ـ واللَّه أعلم ـ هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أَبداً، وإن لهم مع ذلك لَحُسْنَ مآبٍ أي لحسن مَرْجعٍ . يذكرون في الدنيا بالجميل ويرجعون في الآخرة إلى مغفرة اللَّه . ثم بين كيف حسن ذلك المرجع فقال :

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأبْوابُ﴾ .

﴿جنات﴾ بدل من ﴿لَحُسْنَ مآب﴾ ومعنى مفتحة لهم الأبواب أي منها، وقال بعضهم : مُفَتَّحَةً لهم أَبْوَابُها والمعنى وَاحِدٌ، إلَّا أن على تقدير العَرَبيَّةِ «الأبْوابُ مِنْهَا» أجودُ من أَنْ تجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف . لأن معنى الألف واللام ليس معنى الهاء والألف في شيء . لأن الهاء والألف اسم،[2] والألف واللام دخلتا للتعريف، ولا يبدل حرف جاء لمعنى من اسم ولا ينوب عنه . هذا محال .

﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ .

---

(١) في الأصل «ذا» .　　(٢) من «منها» .

يعني حُوراً قد قَصَرْن طَرْفَهُنَّ على أزواجهن فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم.

﴿أَتْـرابٌ﴾.

أقران، ﴿وَكَواعِبَ أَتْرَاباً﴾[1] أي أسنانهن وَاحِدةٌ، وهن في غاية الشباب والحُسْنِ.

﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسَابِ﴾.

أي ليوم تجزى كل نفس بِمَا عَمِلَتْ، ثم أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أن نعيم أهل الجنة غير منقطع فقال:

﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾.

أي ماله من انقطاع.

﴿هذا وَإِنَّ للطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾.

المعنى الأمر هذا. فهذا رفع خبرَ الابتداء المحذوف، وإن شئت كان هذا رفعاً بالابتداء والخبر محذوف، وجهنم بدل مِنْ «شَرِّ مَآب»، أي شر مَرْجِعٍ.

﴿هَـذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

بتشديد السِّين وتخفيفها، وحميم رفع من جهتين احداهما على معنى هذا حميم وغسَّاق فليذوقوه، ويجوز أن يكون «هذا» على معنى تفسير هذا فليذوقوه ثم قال بعد حميم وغسَّاقٌ.

ويجوز أن يكون «هذا» في موضع نصب على هذا التفسير، ويجوز أن يكون في موضع رفع. فإذا كان في موضع نصب فعلى «فَلْيَذُوقُوا هَذا» فليذقوه، كما قال: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ﴾[2]. ومِثْلُ ذَلِكَ زَيداً فاضربه.

---

(١) سورة عم الآية ٣٣.

(٢) سورة البقرة الآية ٤١.

ومن رفع فبالابتداء ويجعل الأمر في موضع خبر الابتداء، مثل ﴿والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾(١).

وقيل إن معنى ﴿غسّاق﴾ الشديدُ البرْدِ الذي يُحْرِقُ من بَرْدِه، وقيل إن الغساقَ ما يغسق من جلود أهل النار. ولو قطرت منه قطرةٌ في المشرقِ لأَنْتَنَتْ أهل المغرب، وكذلك لو سقطت في المغرب.

﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِه أَزْوَاجٌ﴾.

وَيُقْرأ «وأُخَرُ». ﴿وآخر﴾ عطف على قوله ﴿حميمٌ وغَسَّاق﴾، أي وعَذَابٌ آخَرُ مِنْ شَكْلِه - يقول مثل ذلك الأول، ومن قرأ وأُخَرُ، فالمعنى وأنواع أُخر من شكله، لأن قوله: ﴿أزواج﴾، معناه أنواع.

﴿هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ﴾.

الفوج هم تُبَّاعُ الرُّؤَسَاءِ وَأَصْحابهم في الضلالة وقيل لهم: ﴿لَا مَرْحَباً﴾ مَنْصُوبٌ كقولك رَحُبَتْ بِلَادُكَ مرحبا، وصَادَفْتَ مَرْحَباً، فأدْخَلْتَ «لا» على ذَلِكَ المعنى.

﴿قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنا﴾.

هذا قول الأتْباعِ للرؤساء.

﴿قَالُوا رَبَّنَا من قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ الآية(٢).

أي زِدْه على عذابه عذاباً آخر. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا، رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ﴾(٣) ومعنى ضِعْفين مَعْنَى فِزده عذاباً ضِعْفاً.

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٨.

(٢) ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ﴾.

(٣) سورة الأحزاب. آية ٦٨.

وقوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا﴾.

يقرأ بقطع الألفِ وفتحها على مَعْنَى الاستفهام، ومن وصلها كان على معنى. إنا اتَّخَذْنَاهُمْ سِخريًّا، ويقرأ ﴿سِخْرِياً﴾ وسُخْرِيًّا - بالكَسْر والضَّمِ، والمعنى واحد، وقَدْ قَال قَوْمٌ: إن ما كان من التسخير فهو مضموم الأول، وما كان من الهزؤ فهو مكسور الأول[1].

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

أي إن وَصْفَنَا الذي وصفناه عَنْهُم لَحَقٌّ، ثم بيَّن ما هو فقال: هو تخاصم أهل النار، وهذا كله على معنى إذا كان يومُ القيامة قال أهل النار كذا وكذلك كلُّ شيء في القرآن مما يحكي عن أهل الجنة والنار.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

أي قل إنك تنذر، وإنك تدعو إلى توحيد اللَّه، وَلَوْ قُرِئَتْ: «إِلاَّ اللَّهَ الواحدَ القَهَّارَ» - بالنصب - لجَازَتْ ولكنَّهُ لَم يقْرأ بها، فَلاَ تقرأنَّ بها، ومن نصب فعلى الاستثناء، ومن رفع فعلى معنى ما إله إلاَّ اللَّهُ.

وقوله جل وعز: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾.

أي قل النبأ الَّذِي انبأتكم به عن اللَّه - عز وجل - نبأٌ عَظِيمٌ، والذي أنبأتكمْ به دليل على نُبُوَّتي. يعني ما أنبأكم به النبي ﷺ من قصة آدم وإبليس، فإن ذلك لا يعلم الا بقراءة الكُتُبِ أو بِوَحْيٍ من اللَّه، وقد علم الذين خاطبهم النبي ﷺ أنه لم يقرأ كتاباً ولا خطه بيمينهِ ولا كان رَيْبٌ فيما يخبر به أنه وحيٌ ثمَّ بيَّن ذلك فقال:

﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

---

(١) الأول من سخره أي كلفه عملاً شاقاً وأخضعه للقيام به، والثاني من سخر منه أي هزئ به.

هم الملأ من الملائكة، وملأ كل قرية وجوههم وأفَاضِلهَم.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾.

أي ما عملت هذه الأقاصيصَ إلا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ[1].

﴿قَالَ يا إبليسُ ما مَنَعكَ أنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ، أَسْتَكْبَرْتَ﴾.

تقرأ على ثلاثة أوجه، بيـدَيَّ على التَّثْنِية، وبيَـدِيَ اسْتَكْبَرْتَ بفتـح الياء وتخفيفها وتوحيد اليد، وبتسكين اليد والتوحيد، بيديْ استكبرت.

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾.

أي فإنَّكَ لَعينٌ، معناه فإنك مرجوم باللعنة.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إلى يَوْمِ الدِّينِ﴾.

يوم تدان كل نفس بما كسبت، ومعنى يوم الدين يوم الجزاء.

﴿إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾.

الَّذِي لَا يَعْلَمُه إلَّا اللَّهُ، وَيَوْم الوَقْتِ يَومُ القيامة.

وقوله:﴿إلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾.

بفتح اللام، أَخْلَصَهُم اللَّه لِعِبَادَتِه، ومن كسر اللام، فـإِنَّمَا أراد الَّـذِيـن أَخْلَصُوا دينَهُمْ اللَّه.

﴿قَالَ فَالحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ﴾.

---

(١) ترتيب الآيات: ﴿ماكان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون. إن يوحى إليّ إلاّ أنما أنا نـذير مبين. إذ قال ربك للملائكة﴾ ـ والمؤلف ربط الآيتين الأخيـرتين كلاّ بـالاخرى ـ وجملة «أي مـا عملت هذه الاقاصيص» إنما هي تفسير للآية المحذوفة.

وقـرئت: «قال فـالحقَّ والحقَّ أَقُولُ» بنصبهمـا جميعـاً، فَمن رَفَـع فعلى ضربين، على معنى فَأَنا الحقُّ، والحقَّ أقولُ. ويجوز رفْعُه على معْنَى فَـالحَقُّ مِنِّي. ومن نصب فعلى معنى فالحقَّ أَقُولُ والحق لأملأن جهنم حَقًّا.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نبأه بَعْدَ حِينٍ﴾: أي بعد الموت.

سُورَة الزُّمَر

مكية ما خلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، قوله ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنْفُسِهم﴾ إلى تمام ثلاث آيَاتٍ. يقال سورة الغُرَف ويقال سورة الزُّمَر. روي عن وهب بن منبه أنه قَالَ: مَنْ أَحَبَّ أن يعرف قضاء اللَّه في خلقه فليقرأ سورةَ الغُرَف.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله جل وعز:﴿تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ، إنا أَنْزَلْنَا إلَيْكَ الكتابَ بالحقِّ﴾.

الكتاب ههنا القرآن، ورفع تنزيل الكتاب من جهتين، احداهما الابتداء ويكون الخبر من اللَّه، أي نـزل من عند اللَّه، ويجوز أن يكون رفعه على: هذا تنزيل الكتاب.

وقوله:﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾.

﴿الدين﴾ منصوب بوقوع الفعل عيه، و﴿مُخْلصاً﴾ منصوب على الحال، أي فاعبد اللَّه موحداً لا تشرك به شيئاً. وزعم بعض النحويين أنه يجوز مخلصاً له الدّينُ، وقال يرفع الدين على قولك مخلِصاً، له الدينُ، ويكون مخلصاً تمام الكلام، ويكون له الدين ابتداء، وهذا لا يجوز من جهتين. إحداهما أنه لم

يقرأ به، والأخرى أنه يفسده «أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ» فيكون «له الـدين» مكرراً في الكـلام، لا يحتاج إليـه، وإنمـا الفـائـدة في «أَلَا لِلَّه[1] الـدِّينُ الخَـالِصُ» تحسن بقوله مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ.

ومعنى إخلاص الدّين ههنا عبادة اللَّه وَحْدَهُ لَا شَـرِيكَ لَـهُ، وهذا جـرى تثبيتاً للتوحيد، ونفياً للشرك، الا ترى قوله:﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِـه أَوْلِيَاءَ مَـا نَعْبُدُهُمْ﴾[2]-إلى قوله ﴿ إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي فَـأَخْلِصْ أَنْتَ الـدِّينَ، ولا تتخـذ من دونـه أوليـاء، فهـذا كله يُؤَكِّـدَ مخلصاً له الدِّينَ.

ومـوضع ﴿وَالَّـذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِـه أَوْلِيَـاءَ مَـا نَعْبُـدُهُمْ. . ﴾ «الذين» رفع بالابتداء، وخبرهم محذوف، في الكلام دليل عليه المعنى والذين اتخـذوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يقولون مـا نَعْبُدُهم إِلَّا لِيُقَـرِّبُونَـا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى. والدليـل على هذا أيضاً قراءة أُبَيٍّ : «مَا نَعْبُدكُمْ إِلَّا لتُقَرِّبُونَـا إِلَى اللَّهِ». هذا تصحيـح الحكايـة، المعنى يَقُولُون لأولِيَائِهِمْ: ما نعبـدكم إلَّا لتقربـونا إلى اللَّه زلفى، وعلى هـذا المعنى، يقولون مـانعبدهم، أي يقـولـون لمن يقـول لهم لم عبـدتمـوهم: مـا نعبدهم إلا لِيُقَرِّبُونَا الى اللَّه زلفى. أَيْ قُرْبَى.

ثم أعلم عز وجل - أنه لا يهدي هؤلاء فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

ثُمَّ أَعْلَمَ جل وعز: أنه تعالى عن هذه الصفة فقال:

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ﴾.

---

(١) في الأصل ألا له الدين الخالص.

(٢) الآية: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُـونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَـا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُـونَ. إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أي تنزيهاً له عن ذلك.

﴿هُو اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾.

وفي هذا دليل أن الـذين اتخذوا من دونـه أولياء قـد دخل فيهم من قـال عيسى ابن اللَّه ـ جل اللَّه وعز عن ذلك ـ. ومن قال: العُزيْرُ ابن اللَّه. ثم بَيّنَ ـجل وعزـ مَا يَدُل على توحيده بما خلق ويعجز عنه المخلوقونَ فقال:

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾.

«ثُمَّ» لا تكـون إلَّا لشيءٍ بعد شيءٍ. والنفس الـواحدة يعني بهـا آدم ﷺ وزوجها حَوَّاءُ. وإنما قولـه «ثم» لمعنى خلقكم من نَفْسٍ واحدةٍ، أي خلقهـا وَاحِدة ثم جعل منها زوجها، أي خلقها ثم جَعَل مِنها زَوْجَها قَبْلَكُمْ.

وقوله: ﴿وأَنْـزَلَ لَكُمْ مِن الأنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾.

يعنى من الابـل ذَكَراً وأُنْثَى، ومن البقـر ذكراً وأنثى ومن الضـأن كذلـك ومِن المَعْـزِ ذكراً وأنثى. يقـال للذكر والأنثى زوجـان كل وَاحِـدٍ منهما يقـال له زوج.

﴿يَخْلُقُكُمْ في بطونِ أُمَّهاتِكُم خَلْقـاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ [فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ]﴾.

نُـطَفاً ثم عَلَقـاً ثم مُضَغاً ثم عِـظَاما ثم تُكْسَى العـظَامُ لحْماً، ثم تُصَـوَّرُ وتنفخُ فيها الرُّوحُ، فذلك معنى قوله: خَلْقاً من بعْدِ خَلْقٍ في ظلمات ثلاث في البطن، والرَّحِم، والمشيمة. وقد قيل في الاصلاب والرَّحِم والبَطْن.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ [رَبُّكُمْ له المُلْكُ لَا إلَهَ إلَّا هُوَ]﴾.

المعنى الَّذِي دَبَّر الخَلْقَ هَذا التَّدْبِيرَ لَيْس كَمِثِله شيء.

﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.

المعنى فمن أين تصرفون عن طري الحق، مثل: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾، أي فكيف تعدلون عن الحقِّ بعد هذا البيانِ الذي يدل على صحة التوحيد.

﴿وَإِنْ تَشكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

معناه يرضى الشكر، لأن قوله «ان تشكروا» يَدُلُّ عَلَى الشكر.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾.

لا يؤخذ أَحَدٌ بِذنب أَحَدٍ.

وقوله جل وعز: ﴿مُنِيباً إِلَيْهِ﴾: أي تائباً إليه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ﴾.

أي أذهب الضُّرَّ عَنْهُ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ.

﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾.

يقول: نسي الدُّعَاء الذي كان يتضرع به الى اللّه ـ جل وعز ـ، وجائز أن يكون معناه نسي اللّه الذي كان يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ من قبل، ومثله: ﴿وَلَا أَنا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ مَا أَعْبُدَ﴾[1]. فكانت «ما» تدل على اللّه، و «من» عبارة عن كل مُمَيِّزٍ. و «ما» يكون لكل نوع، تقول: ما عندك، فيكونُ الجوابُ رجل أو فرس أو ما شئت مِن الأجناس، فَيَدْخُل المميز في «ما» من جهةِ دُخولِها على الأجناس.

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِك قَلِيلاً﴾.

لفظ هذا لفظ أمر، ومعناه التهديد والوعيد، ومثله ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾ ومثله: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[2]، ومثله قوله لمن

(١) سورة «الكافرون».

(٢) سورة الكهف ٢٩.

يتهدده: عُدْ لِما أكره وَحَسْبُكَ، فأنت لست تأمره في المعنى وإنما توعده وتتهدده.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قانتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾.

ساعات الليل، واكثر القراءة بتشديد الميم عَلى معنى بل أم من هو قانت - والقانت المقيم على الطاعة، ودعاء القُنُوتِ الدعاء في القيام، فالقانت القائم بما يجب عليه من أمر اللَّه، ويُقرأ أَمَنْ هو قانِتٌ بتخفيف الميم، وتأويله: أمن هو قانت كهذا الذي ذكرنا ممن جعل للَّه أنداداً، وكذلك أَمَّنْ معناه بَلْ أَمَنْ هو قانت كغيره، أي أمن هو مُطيعٌ كَمن هُوَ عَاصٍ.

﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّه﴾.

معناه يحذر عذاب الآخرة.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾: الآية[1].

أي لا يستوي العالم والجاهل، وكذلك لا يَسْتَوي المُطيعُ والعَاصِي و﴿أولُوا الألْبَابِ﴾: ذوو العقول، وواحد الألباب لب وهي العقول.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِه الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضَ اللَّه وَاسِعَةٌ﴾.

ذكر سعةِ الأرض ههنا لِمَن كان يعبد الأصنام. وَأَمَرنا بالمهاجرة عن البَلَدِ الذي يُكَرَهُ فيه على عبادتها، كما قال: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾[2] وقد جرى ذكر الأوثان في قوله: ﴿وَجعلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبيله﴾.

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

---

(١) تمامها: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ، إِنَّمَا يَتَذَكَّر أولُو الألْبَابِ﴾.

(٢) سورة النساء /٩٧.

أي من صبر على البلاء في طاعة اللّه أعْطِيَ أَجْرَهُ بغَير حساب، جاء في التفسير بغير مكيال وَغير مِيزَانٍ. يُغْرَفُ لَهُ غَرْفاً، وهذا وإن كـان الثوابُ لا يقـع على بعضه كيلٌ ولا وَزْنٌ مِمَّا يَتنَعَّمُ به الانسان من اللَّذَةَ والسُّرُور والرَّاحة، فإنَّهُ يمثل ما يعلم بحاسَّةِ القلب بما يدرك بالنَّظَرِ، فيعرف مقدار القلَّة من الكثرة.

وقوله:﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾.

يقول: إنِّي أمرت بتوحيد اللّه، وأُمِرَ الخلقُ كلُّهُمْ بذلك، وَألَّا يُتَّخذَ من دُونِهِ وَلِيًّا ولا يجعلَ له أَنْدَاداً.

وقوله:﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِه﴾.

هذا على ما قلنا من الوعيد مثل قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً﴾، وهذا يدل ـ واللّه أعلم ـ على أنـه قَبْلَ أن يؤمَـرَ المسلمون بـالحرب، وهـو مثل ﴿فمن شاء فليؤمن ومَنْ شَـاءَ فَلْيَكْفُر﴾، وقـد بين حظ المؤمنين من جـزيـل الثـواب، وحظ الكافرين من عظيم العقاب.

وقـولـه تعـالى:﴿قُـلْ إِنَّ الْخَـاسِـرِينَ الَّـذِينَ خَسِـرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

هذا يعني به الكفار، فإنهم خسروا أَنْفُسَهُم بالتخليد في النَّارِ، وَخَسِـرُوا أَهْليهم لأنهم لم يـدْخُلوا مَدْخَـل المؤمنين الذين لهم أهـل في الجنة، ثم بين حَالهم فقال:﴿أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ..﴾: الآية(١).

وهذا مثل قوله﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾(٢)

(١) ﴿مِنَ النَّار وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٥.

﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾.

أي ذلك الذي وُصِفَ مِن العَذَابِ وما أَعَدَّهُ لأهل الضَّلَالِ الَّذِي يخوف اللَّه به عباده.

﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.

القراءة بحذف الياء، وهو الاختيار عند أهل العربية، ويجوز: يَـا عِبَادِي وَيَا عِبَادِيَ، والحذف أجود وعليه القراءة.

وقوله:﴿والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدوهَا﴾.

أي الذين اجْتَنَبُوا الشياطين أن يتبعوهم.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ البُشْرَى، فَبَشِّرْ عِبادِ. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾: الآية.

وهذا فيه واللَّه أعلم وَجْهَانِ. أَحَدهما أن يكون يستمعـون القرآن وغيـره فيتَبَعُونَ القرآن، وجائز أن يكونوا يستمعون جميع ما أمر اللَّه به فيتّبِعون أحسن ذلك نحو القصـاص والعفو، فإن من عفا وتـرك ما يجب لـه أعظم ثـواباً ممن اقتص، ومثله: ﴿وَلَمَنْ صَبَـر وَغَفَـرَ إِنَّ ذَلِـكَ لَمِنْ عَـزْمِ الأمُـورِ﴾[1]. ﴿وَلَمَنِ انْتَصَر بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِن سَبيلٍ﴾[2].

وقوله:﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْه كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ في النَّارِ﴾.

هذا من لطيف العربية، ومعناه معنى الشرط والجزاء، ! وأَلِفُ الاستفهام ههنا مَعْنَاهَا معنى التوقيف، والألف الثانية في﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ من في النار﴾ جاءت مُؤَكِّـدةً مُعَـادَةً لِمَّـا طال الكلام[3]، لأنـه لا يصلح في العـربيـة أن تـأتي بـألف الاستفهـام في الاسْمِ وألفٍ أُخْرَى في الخبـر. والمعنى أفمن حق عليه كلمـة العـذاب أفأنت تنقـذه، وَمِثْلُه ﴿أَيَعِدُكُـمْ أَنَّكُـمْ إذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُـرَاباً وَعِـظَاماً أَنَّكُمْ

(١) سورة الشورى /٤٣. (٢) الشورى /٤١.

(٣) جاءت همزة الاستفهام من «أفمن حق» وأُعيدت في «أَفَأَنْتَ» ـ للتوكيد.

مُخْرَجُونَ﴾(١) أعَادَ «أنكم» ثانية، والمعنى أَيَعدُكُم أَنَّكُمْ إذا مِتُّم وَكُنْتُم تَراباً وعِظَاماً مُخْرَجونَ، ويكون ـ واللَّه أعلم ـ على وجه آخر، على أنه حُـذِفَ وفي الكلام دليل على المحذوف، على معنى أفمن حق عليه كلمة العـذاب يَتَخَلَّصُ منه، أو يَنْجُو مِنه، أفأنت تنقذه، أي لا يقدر أحد أن ينقـذَ مَنْ أَضَلَّه اللَّهُ، وسبق في علمه أنَّه من أَهْلِ النَّارِ.

وقوله ـ جل وعز ـ : ﴿أَلَمْ تَر أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَسَلَكَـهُ يَنَابِيـعَ فِي الأَرْضِ﴾.

جـاء في التفسير أَنَ كُـلَّ مَـا فِي الأَرْضِ فـابتَـداؤه مِنَ السَّمَـاءِ، ومعنى «ينابيعُ» الأمكنة التي ينبع منها الماء، وواحد الينابيع يَنْبُوع، وتقدره يَفْعُول من نَبَعَ يَنْبُعُ.

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾.

منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل أَرْفَعُ مِنْهَا.

﴿وَعْــدَ اللَّه﴾.

القـراءة النصب ويجوز وَعْـدُ اللَّهِ فَمَنْ نَصَبَ وَهِي القِراءةُ، فبِمَعْنى لَهُم غُرَفٌ. لأن المراد وعدهم اللَّه غرفاً وَعْداً، فوعدُ اللَّه مَنْصُـوبٌ عَلَى المَصْدَرِ، ومن رفع فالمعنى: ذلـك وَعْــدُ اللَّهِ.

وقوله ـ جل وعز ـ: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِه زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ﴾.

ألوانه خُضْرة وصُفْرَةٌ وَحُمْرةٌ وبياض وغير ذلك.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يَجِفُّ، قال الأَصْمَعِيُّ يقال للنبْتِ إِذَا تَمَّ جفافـه: قد هَـاجَ يَهِيجُ هيجاً.

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٣٥.

﴿ثُمَّ يَجْعَلُه حُطَاماً﴾.

الحطام ما تَفَتَّتَ وَتَكَسَّر من النَّبْتِ وغَيْره، ومثل الحطام الرفاتُ والدَّرين.

﴿إِنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾.

أي تَفَكُّرٌ لذوي العُقُولِ، فيذكرون ما لهم في هذا من الدلالة على توحيد اللَّه جل وعز.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ على نُورٍ [مِنْ رَبِّهِ]﴾.

فهذه الفاء فاء المجازاة، والمعنى أفمن شرح اللَّه صَدْرَهُ فاهْتَدَى كمن طبع على قلبه فلم يَهْتَدِ لِقَسْوَتِه، والجواب متروكٌ لأن الكلام دَالٌّ عليه، ويُؤكد ذَلك قوله - جل وعز -: ﴿فويل للقاسية قلوبُهُم من ذكر اللَّه﴾، يقال: قسا قلبه عن ذكر اللَّه ومن ذكر اللَّه، ؛ فَمَن قال من ذكر اللَّه، فالمعنى كُلَّما تُلِيَ عليه ذكر اللَّه قَسَا قلبه، كما قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَاً إلى رِجْسِهِمْ﴾(1). ومن قال: عن ذكر اللَّه فالمعنى أنه غلظ قلبه وجفا عن قبول ذكر اللَّه.

﴿أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

يعني القاسية قلوبهم. الآية.

وقوله: ﴿اللَّه نَزَّل أَحْسَنَ الحَدِيثِ كتاباً مُتَشَابِهاً﴾، يعني القرآن، ومعنى متشابهاً، يشابه بعضه بعضاً في الفضل والحكمة، لا تناقض فيه، و«كتاباً» منصوب على البدل من «أحسن الحديث».

وقوله: ﴿مَثَانِيَ﴾ من نعت قوله ﴿كِتَاباً﴾ منصوب على النعت، ولم ينصرف ﴿مثاني﴾ لما فسرناه من أَنَّه جمع ليسَ عَلَى مِثالِ الوَاحِدِ.

---

(1) سورة التوبة.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جلودَ الذين يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

يقول: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إلى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

إذا ذكرت آيات الرحمة لانت جلودهم وقلوبهم.

﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

يقول: الذي وهبه الله لهم من خشيته وخوف عَذَابِهِ ورجاء رحمته هدي الله.

﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ العَذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ﴾.

هذا مما جوابه محذوف، المعنى كمن يَدخل الجنة، وجاء في التفسير أن الكافِرَ يُلْقَى في النار مَغْلُولاً، لا يتهيأ له أن يتَّقيَ النار إلاَّ بِوَجْهِه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ - إلى قوله ﴿عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾(١).

﴿عربياً﴾ منصوب على الحال، المعنى ضَرَبْنا للنَّاس في هذا القرآن ما(٢)، حال عَرَبِيَّتِه وبيانه، وذكر ﴿قرآناً﴾ توكيداً، كما تقول: جاءني زيد رَجُلاً صالِحاً، وجاءني عمرو إنْسَاناً عَاقِلاً. فَتَذْكُرُ رَجُلاً.. و«إنساناً» توكيداً.

وقوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً﴾ - إلى قوله ﴿وَرَجُلاً سَالِماً لِرَجُلٍ﴾(٣).

ويقرأ ﴿سَلَماً﴾ وَسِلْماً، فسالماً على معنى اسم الفاعل. سَلِمَ فَهُوَ سَالِمٌ، وَسَلْمٌ وَسَلْمٌ مصدران وصف بهما على معنى وَرَجُلاً ذا سَلَمٍ. ومثله مما جاء

---

(١) تمام الآية: ﴿فِي هَذا القُرْآنِ مِنْ كلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، قرآناً عَرَبيًّا غيرَ ذِي عِوَجٍ﴾.

(٢) هكذا جاءت، ويظهر أنه سقط شيء من الناسخ أي ضربنا ما فيه من الأمثال.

(٣) ﴿رَجُلاً فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشَاكِسُونَ، وَرَجُلاً...﴾.

مِن المصادر فِعْلاً وَفَعَلاً قولهم: رَبِحْتُ رِبْحاً وَرَبْحاً، قال الشاعِرُ: (١)

إذا الحسناء لم ترحَضْ يَدَيْهَا ... ولم يُقْصَرْ لها بَصَرٌ بِسِتْرِ
قَرَوا أضْيَافَهُمْ رَبَحا بِبُحٍّ ... يجيء بِفَضْلِهِنَّ المَشُّ سُمْرِ

أَيْ قَرَوْا أضيافهم بذبح القِداح الَّتِي يضْرِبُونَ بها فِي المَيْسرِ.

وَتَفسيرُ هذا المثل أنه ضُرِبَ لمن وحَّدَ اللَّه، ولِمَن جَعَلَ له شريكاً، فالذي وحد اللَّه مثله مثل السَّالِم لرجل لا يشركه فيه غيرُه، ومثل الذي عَبَدَ غير اللَّه مثل صاحب الشُّرَكاءِ المَتَشاكِسين. و «الشركاء المتشاكسون»، المختلفون العَسِيرُونَ الذين لا يتَّفِقُونَ.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾.

أي هل يَسْتَوِي مَثَلُ الموَحِّدِ وَمَثَلُ المشرك.

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

يَخْتَصِم المؤمِنُ والكافِرُ، ويخاصِمُ المظلومَ الظَّالِمَ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾.

المعنى أي أحد أظلمُ مِمَّن كذب على اللَّه وكذب نبيَّه ﷺ.

﴿وَالَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾: الآية.

---

(١) من شعر خفاف بن نُدبة السُّلمي ـ وجاء معها بيت ثالث في اللسان (نحح) هو:

هم الأيسار إن قحطت جمادي ... بكل صَبير غادية وقَطْرِ

وجاء البيت الثاني فقط في (ربح) ـ والرَّبَح الفصيل والشحم ـ ويجمع رَبَحٌ على رباح مثل جمل وجمال، والبح قداح الميسر ـ أي يتقامرون على الفصال حيث اعوزتهم الكبار، والصبير من السحاب ما يكون متراكباً، والمش هو المسح ـ ويروى الحيّ ـ وسمر نعت للبح ـ أي بقداح سمرٍ ـ يريد أنه إذا أجدب الناس ولم يطعموا ما يغسلون منه أيديهم قرى قومه الأضياف فصالاً بالتقامر بالأزلام السمر فيطعمون ويمشون أيديهم وندبة أم خفاف.

روي عن علي رحمه الله أنه قال: الذي جاء بالصِّدْقِ محمد ﷺ والذي صدَّق به أبـو بَكْرٍ. رحمـه الله. وروي ان الذي جـاء بالصـدق جبريـل والذي صـدق به محمـد صلى الله عليهما، وروي أنَّ الَّـذِي جـاء بـالـصـدق محمد وصـدَّق بـه المؤمنون. وجميع هذه الوجوه صحيح.

والذي جاء في حرف[1] ابن مسعودٍ: والَّذِينَ جَاءُوا بالصِّدْق وصدَّقُوا بِـهِ و «الذين» ههنا و «الذي» في معنى واحد، توحيده ـ لأنه غير مُـوَقَّت ـ جائـز[2] وهو بمنزلة قولك من جاء بالصِّدق وصدَّقَ بـه.

﴿أولَئِـكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾.

و «الـذي» ههنا للجنس، المعنى والقبيـل الذي جـاء بالصـدق، وقـولـه ﴿أولئك هم المتقون﴾ يدل على معنى الجماعة، ومثله من الشِّعر[3]:

إن الـذي حـانـت بفـلج دمـاؤهم   هم القـوم كـل القـوم يَـا أمَّ خَـالِـدِ

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

ويقرأ «عباده»، ولو قرئت «كـافِي عَبْدِه» و «كـافي عِبادِه» لجـازَتْ، ولكن القراءة سنة لا تخـالف، ومعنى ﴿بكاف عبـده﴾ يدل علـى النصـر، وعلى أنه كقوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾[4]، وهو مثل: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾[5].

---

(١) في قراءته.

(٢) غير مُؤقت أي غير معين لشخص بعينه، بل هو جنس عام فيستوي فيه الجمع والمفرد ـ كقولك الرجل قَوَّامٌ عَلَى زوجه والرِّجَالُ قَوَّامُونَ على أزواجهم.

(٣) للاسود بن رميلة النهشلي ـ يقال زميله ـ بالراء والزاي ـ وهي أمه. وأبوه ثـور بن أبي حارثـة ـ من الشعراء الاسلاميين. عده الجمحي في الطبقة الرابعة ـ والبيت من شواهد النحو الشـائعة ـ انـظر شواهد المغني ١٧٥ ـ حيث ذكر السيوطي على طريقته أبياتاً في رثاء أقارب له منها هذا البيت، والخزانة ٥٠٧/٢ والعيني ٤٨٢/١ وشواهد الكشاف للمرزوقي ٢٥. وقيل «الذي» هي الذين، حذفت منها النون.

(٤) سورة التوبة آية ٣٣.   (٥) سورة الحجر ٩٥.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بالَّذِينَ مِنْ دُونه﴾.

أي يخوفون بآلهتهم وأوْثَانِهِم. ويروى أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى العُزَّى ليكسرها، فلما جاء خالد قال له سَادِنُها[1]: أُحَذِّرُكَهَا يا خَالِدُ إنَّ لها شدةً لا يقوم لها شيء فعمد خالِدٌ إلى العزى فهشم أنفها، فهذا معنى ويخوفونك بالذين من دونه، لأن تخويفهم خالِداً هو تخويفهم النبي ﷺ لأنه وجهه.

ثم أعلم - مَعَ عِبَادَتِهِم العُزَّى وَالأَوْثَان - أنهم مُقِرّونَ بأن اللَّهِ خَالِقُهُمْ فقال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّه قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ - إلى قوله ﴿هل هُنَّ مُمْسِكاتُ رَحْمَتِه﴾[2].

ويقرأ كاشفاتُ ضُرِّه - بترك التنوين والخفض في ضره ورحمته - فمن قرأ بالتنوين فلأنه غير واقع في معنى هَلْ يكشِفْنَ ضُرَّه أو يُمْسِكنَ رحمَتَه ومن أضاف وخفض فعلى الاستخفاف وحذف التنوين. وكلا الوجهين حسن قرئ بهما.

﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾.

و﴿على مكاناتكم﴾. هذا اللفظ أمر على معنى الوعيد والتهدُّدِ[3] بعد أن أعلموا ما يجب أن يعملوا به، ثم قيل لهم: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾، وهذا كلام يستعمله الناس في التهدد والوعيد. تقول: متى أسأت إلى فلانٍ انتقمت مِنْكَ، ومتى أحْسَنتَ إليه أحسنتُ إليك فاعمل ما شئت واختر

---

(١) حارسها وخادمها.

(٢) تكملة الآية: ﴿إنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ، هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِه﴾.

(٣) من تهدَّدَهُ بمعنى توعَّدَهُ.

لنفسك، فخوطب العباد على قدر مُخَاطَبَاتِهِم وَعِلْمِهِمْ، وقوله على «مَكَانَاتِكُمْ» و ﴿مَكَانَتِكُمْ﴾ معناه على ناحيتكم التي اخترتموها، وجهتكم التي تمَكَّنتُمْ ـ عند أنْفُسِكم ـ في العلم بها.

﴿إنِّي عَامِلٌ﴾[1].

ولم يقل على جهتي، لأنَّ فِي الكلام دَلِيلاً على ذلك.

﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾.

أي ما انت عليهم بحفيظ، ثم أخبر بأنه الحفيظ عليهم القدير فقال:

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا، وَالَّتي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾.

أي ويتوفى الأنفس الَّتي لم تَمُتْ في مَنَامِهـا، فالميتَةُ المتَوَفَّاةُ[2] وَفَـاةَ المَوْتِ الَّتي قد فارقتها النفس[3] التي يكون بها الحياة والحركة، والنفسُ التي تميز بها. والتي تتوفى في النوم نفس التمييز لا نفس الحياة[4]، لأن نفس الحياة إذا زَالَتْ زال معها النَّفَسُ[5]، والنائم يتنفَّسُ. فهذا الفرق بين تَوفِّي نفس النائم في النوم وَنَفْس الحيّ.

﴿وَإذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ. . . ﴾ الآية.

معنى ﴿اشمأزت﴾ نفرت، وكانوا ـ أعني المشركين ـ إذا ذكر اللَّه فقيل: «لا إله إلاّ اللَّه» نَفَرُوا من هذا، لأنهم كانوا يقولون: اللات والعزى، وهذه الأوثان آلهة.

---

(١) أي لم يقل: إني عامل على مكانتي.

(٢) في الأصل والمتوفاة وهو خطأ لعدم وجود خبر للمبتدأ.

(٣) في الأصل الذي فارقته.

(٤) عندما يكون الشخص نائماً إنما يفقد النفس المميزة لا نفس الحياة.

(٥) التنفُّس.

وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا . . ﴾ الآية.

﴿ثم إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أَعْطَيْنَاهُ ذلك تفضُّلاً، وكل من أعطى على غير جزاء فقد خول.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُه عَلَى عِلْمٍ﴾.

أي أعطيته على شَرفٍ وفَضْل يجب له به هذا الَّذي أعطيت، فقد علمت أني سأُعْطَى هُدًى، فأعلم اللَّه أنه قد يعطى اختباراً وابتلاءً فقال:

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾.

أي تلكَ العَطِيَّةَ فِتْنَةً من اللَّه وبلوى يبتلى بها العَبْدُ ليشكر أو يكفر.

﴿قَدْ قَالَها الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ. [فَمَا أَغنى عَنْهُمْ ما كانوا يَكْسِبُونَ]﴾.

يقول: فأحْبَطت أعمالهم.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا، والَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

أي إلى اللَّه مرجعهم فيجَازِيهم بِأعْمالهم.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿لا تقنطوا﴾ لا تيأسوا، وجاء في التفسير أن قوماً من أهل مكة قالوا إنَّ محمداً يقول: إنَّ مَنْ عَبَدَ الأوثان واتخذ مع اللَّه إلٰها وقتل النفس، لا يغفر له، فأعلم اللَّه أن من تاب وآمن غفر اللَّه له كل ذنب، فقال: ﴿لَا تَقْنَطُوا من رحمة اللَّه إن اللَّهَ يغفرُ الذنوبَ جميعاً﴾، وقال:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾.

أي توبوا، وقيل إنَّها نزلت في قوم فتنوا، في دينهم، وعُذِّبُوا بمكةَ

فَرجَعُوا عن الاسـلام، فقيل إنّ هؤلاء لا يُغْفَـرُ لَهم بعد رُجـوعهم عن الاسلام فأعلم اللّه أنهم إن تابوا وأسلموا غفر لهم.

﴿واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

يعني القرآن ودليله:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾.

وقوله:﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكُمُ العَذَابُ بغتةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

بِغتة: فجأة.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾.

أي يا نَدَما، وحرف النداء يدل على تمكن القصة من صاحبهـا، إذَا قال القائل: يا حسرتاه ويَا وَيْلاَهُ، فتأويله الحسرة والويل قَدْ حَـلاً بِهِ وانهمـا لازمان له غير مفارقين، ويجوز يا حسرتي، وزعم الفراء أنه يجوز يا حسرتاهُ على كذا وكـذا بفتح الهـاء، ويا حَسْـرَتَـاهُ ـ بـالكسـر والضم. والنحـويـون أجمعـون لا يجيزون أن تثبت هذه الها في الوصل وزعم أنه أنشده من بني فَقْعس رجلٌ من بني أسد:[1].

يـا رَبُّ يـا رَبَّـاهُ إيَّـاكَ أَسَـلْ   عفـراء يـا ربـاه من قبـل الأجـل

وأنشده أيضاً[2]:

---

(١) لبعض بني أسد، انظر الخزانة ٢٦٢/٣ وبعده.

فإن عفراء من الدنيا الأمل

وأورده الفراء في معانيه في الآية نفسها. وأسل بمعنى أسأل.

(٢) انظر الشاهد ١٤٧ من الخزانة ص ٣٣٩ جـ٢ (سلفية) ـ وهـو شاهـد على أن هاء السكت بعـد الألف ـ تضم وتفتح ـ وبعده:

إذا أتى قربته للساقية

وضبط ناجية بالجيم والميم ـ وبنو ناجية قوم من العرب، وناجية ماء لبني أسد ومـوضع بـالبصرة ـ والسانية الدلو العظيمة، والناقة التي يسقى عليها من البئر ـ يقال ايضاً يسنى عليها. وجاء البيت:

يا مَرْحَبَاهِ بِحَمارِ ناجية

والذي أعرف ان الكوفيين ينشدون:

يا مرحَبَاهُ بجمار ناجية

قال أبو إسحاق: ولا أدري لم اسْتُشْهِدَ بهذَا، ولم يُقرأْ بِهِ قطُّ، ولا ينفع في تفسير هذه الآية شيئاً، وهو خطأ.

وَمَعْنَى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾.

خوفَ أن تَقُولَ نفس وَكَراهة أن تَقُولَ نفسٌ. المعنى اتبعوا أَحْسَنَ ما أُنْزِلَ خوفاً أن تصيروا إلى حَال يقال فيها هذا القول، وهي حال النَّدَامَةِ ومعنى ﴿على ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللَّه﴾: في أمر اللَّه، أي فرطت في الطريق الذي هو طريق اللَّه الذي دعاني إليه وهو توحيده والاقرار بنبوة رسول اللَّه ﷺ.

﴿وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

أي وما كنت إلَّا من المستهزئين.

أو تقولَ:﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ إلى قوله﴿فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِين﴾[1].

أي وكراهة أن تقول هذا القول الذي يؤدي إلى مثل هذه الحال التي الانسان فيها في الدنيا، لأنّ اللَّه قد بين طُرُقَ الهدى، والحي في نيَّتِهِ بمنزلة من قد بعث، لأن اللَّه خلقه من نطفة وبلغه إلى أن مَيَّزَ، فالحجة عليه.

وقوله ﴿بَلَى﴾جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي، ومعنى﴿لو أن اللَّهَ هَدَاني﴾، و ﴿لَو أَنَّ لِي كَرَّةٍ﴾. كأنه قيل: ما هُدِيتُ، فقيل:﴿بلى قَدْ

= في معاني الفراء ٢/٤٢٢ ـ «بحمار ناهية» ويظهر أنه تصحيف أو تحريف.

(١) ﴿لَو أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتَ مِنَ المُتَّقِينَ، أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ المُحْسِنِينَ﴾.

جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا واسْتَكْبَرْتَ﴾. وقال [اللَّه تعالى]: ﴿ولو رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْه وإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١) [أي] حيث قالوا: ﴿يا ليتَنَا نرد﴾ ـ الآية(٢).

وقد رويت عن النبي ﷺ بكسر الكاف: «بَلَى قَدْ جَاءَتْكِ آيَاتي» جواب للفظ النفس ـ كما قال: ﴿أَنَّ تقول نفس﴾.

وإذا قال: ﴿بلى قد جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ [بالفتح] فلأن النفس تقع على الذكر والأنثى، فخوطب المذكرون. ومثل ﴿قد جاءتكِ آياتي﴾ ـ على خطابه المؤنث: ﴿يَا أيتُّها النفس المُطْمَئِنَّةُ إرْجِعي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾(٣).

وقوله ـ عز وجل ـ:

﴿وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾.

القراءة على رفع ﴿وجوهُهم مسودَّةٌ﴾ على الابتداء والخبر، ويجوز «وجُوهَهُم مسوَدَّةً» على البدل من الذين كفروا، المعنى ويوم القيامة ترى وجوه الذين كذبوا على اللَّه مُسْوَدَّةً، والرفع(٤) أكثر وعليه القُرَّاءُ ومثل النصب قول عَدِيٍّ بن زيدٍ:

دَعِيني إن أَمْرَكِ لَنْ يُطَاعا ... وما أَلْفَيْتِني حلمي مضاعاً(٥)

﴿بِمفَازَتِهِمْ﴾.

و «بمفازاتهم» يقرأان جميعاً.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٢٨.

(٢) ﴿يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾. الأنعام الآية ٢٧.

(٣) سورة الفجر الآيات ٢٧ ـ ٣٠.

(٤) أي وجوههم بدل من الذين كفروا.

(٥) البيت من شواهد النحو ـ انظر باب البدل في ابن عقيل وشواهد شذور الذهب ١٣١، وفي كتاب سيبويه ١/٧٧ منسوباً إلى رجل من نجيلة أو خثعم، وهو في الخزانة ٢/٣٦٨.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَواتِ [وَالْأَرْضِ] ﴾.

أي مفاتيح السموات، المعنى ما كان من شيء من السموات والأرض فاللَّه خالقه وفاتح بابه.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾.

أي الذين يقولون إنّ شيئاً ليس مما خَلَقَ اللَّهُ أو رزقه من السموات والأرض فليس اللَّه خالِقَه، أولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ.

ثم أعلم اللَّه -جَل وعز- أنه إنما ينبغي أن يعبد الخالق وحده لا شريك له فقال قل لهم بعد هذا البيان: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّه تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ ﴾.

﴿أَفغير﴾ منصوب «بِأَعْبُد» لا بقوله ﴿تَأْمُرُونِّي﴾ المعنى أفغير اللَّه أعْبدُ أيُّها الجَاهِلُونَ فيما تأمرونني.

﴿بَل اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾.

نصب لفظ ﴿اللَّه﴾[1] - جل وعز - بقولك ﴿فاعبد﴾، وهو إجماع في قول البصريين والكوفيين، والفاء جاءت على معنى المجازاة، كأنه قال: قد تَبَيَّنْتَ فَاعْبُدِ اللَّهَ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾.

ويقرأ قَدَرِهُ - بفتح الدال. جاء في التفسير: ما عَظَّمُوه حقَّ عَظَمَتِهُ. والقَدْرُ والقَدَر ههنا بمعنى وَاحِدٍ.

﴿والأرضُ جميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾.

﴿جميعاً﴾ منصوبٌ عَلَى الحالِ، المعنى والأرض إذا كانت مجتمعةً قَبْضَته يومَ القيامة ﴿والسمواتُ مطوياتٌ بيمِينه﴾.

---

(١) في الأصل: نصب اللفظ باللَّه عز وجل.

أَكْثَرُ القِرَاءَةِ رَفْعُ ﴿مَطْوِيَّاتٌ﴾ على الابتداء والخبر، وقد قرئت: «والسمواتُ مَطْوِيَّاتٍ» ـ بكسر التاء على معنى: والأرض جميعاً والسموات قبضته يَوْمَ القِيَامَةِ وَ «مَطْوِيَّاتٍ» منصوب على الحال[1].

وقد أجاز بعض النحويين «قَبْضَتَهُ» بنصب التاء، وهذا لم يقرأ به ولا يجيزُه النحويُّونَ البصريون، لا يقولون: زَيْدٌ قَبْضَتَكَ، ولا «المال قَبْضَتَكَ» على معنى في قَبْضَتِكِ، ولو جاز هذا لجاز زيد دَارَكَ يريدون زَيْدٌ في دَارِكَ.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: وقد فسرناهُ.

﴿فَصَعِقَ﴾: أي مات.

﴿مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ﴾.

وجاء في التفسير أنه القَرْنُ الذي ينفخ فيه اسرافيل، وقال بعض اهل اللغة: هو جمع صورة[2].

﴿إلَّا مَنْ[3] شَاءَ اللَّهُ﴾.

جاء في التفسير أن هذا الاستثناء وقع على جبريل وميكائيل ومَلَكِ الموت، وجاء أن الاستثناء على حملة العرش.

﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.

معناها لما أراد اللَّه الحساب والمجازاة أَشْرقت الأرض، وفي حديث النبي ﷺ أنه قيل له: أترى رَبَّنَا يا رسول اللَّه، فقال: أَتُضَارُّن في رُؤية الشَّمْسِ والقمر في غير سَحَابٍ، قالوا: لا، قال فإنكم لا تُضَارُونَ في رُؤيته.

---

(١) السموات معطوف على الأرض ـ وخبرها محذوف. أي هي أيضاً في قبضته.

(٢) سبق أنه رأى أبي عبيدة وأنه غير جيد.

(٣) في الأصل إلا ما شاء.

وجاء في الحديث: لا تضامون في رؤيته، والذي جاء في الحديث مخفف تُضَارُّونَ، وتضامُونَ، وله وجه حسن في العربيَّةِ.

وهذَا مَوضِعٌ يحتاج إلى أن يُسْتَقْصَى تفسيره لأنه أصل في السنة والجماعة ومعناه لا يَنالُكُمْ ضَيرٌ وَلاَ ضَيمٌ في رُؤْيَتِهِ، أي ترونه حتى تستووا في الرؤية فلا يَضِيمُ بعضُكم بَعْضاً، ولا يِضِيرُ بعضكم بعضاً.

وقال أهل اللغة قولين آخرين: قالوا: لا تُضَارُّون بتشديد الراء ولا تضامُّون بتشديد الميم. مع ضم التاء في تضامون وتضارّون.

وقال بعض أهل اللغة بفتح التاء وتشديد الراء تَضارّون في رُؤيته ولا تَضَامُّونَ على معنى تتضارون وتتضامون. وتفسير هذا أنه لا يُضَامُّ بَعْضُكُمْ بَعضاً وَلاَ يُخَالِفُ بَعْضُكم بَعْضاً في ذلك. يقال: ضارَرْتُ الرَّجُلَ أُضَارُّه مضارَّةً وضِراراً إذا خالفته قال نابغة بني جَعدَة:

وَخَصْمَيْ ضِرار ذَوَيْ تُدْرَإٍ متى يأت سلمها يشغب[1]

ومعنى لاَ تضامُّونَ في رؤيته لا ينضم بعضكم إلى بعض، ويقول واحد للآخر: أرنيه كما تفعلون عند النظر إلى الهلال، فهذا تفسير بيّنٌ، وكلٌّ ما قيل في هذا.

﴿وأَشْرَقَتِ الأرْضُ﴾: أُلْبِسَتِ الإشْرَاقَ بِنُورِ اللَّهِ.

وقوله عز وجل: ﴿حَتَّى إذا جَاءُوها وفتحتْ أبوابها﴾ إلى قوله ﴿خالدين﴾[2].

اختلف الناس في الجواب لقوله ﴿حتى إذا جاءوها﴾. فقال قوم: الواو مسقطة[3] المعنى حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها.

قال أبو إسحاق: سمعت محمد بن يزيد يذكر أن الجواب محذوف، وان

---

(١) في الديوان ـ ٧ الضرار المضارة، وتدرأ تدافع ومشادة. والشغب اهاجة الشر.

(٢) ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا﴾. (٣) زائدة تسقط تقديراً.

المعنى، حتى إذا جاءوها إلى آخر الآية سعدوا. قال فالمعنى في الجواب حتى إذا كانت هذه الأشياء صاروا إلى السعادة.

وقال قوم حتّى إذَا جَاءُوها جَاءُوها وفتحت أبوابها، فالمعنى عندهم أن «جاءوها» محذوفٌ. وعلى معنى قول هؤلاء أنه اجْتَمَع المجيءُ مع الدخول في حال، المعنى حتى إذا جاءوها وقع مجيئهم مع فتح أَبْوَابِها.

قال أبو إسحاق: والذي قلته أنا ـ وهو القول إن شاء اللَّه ـ أن المعنى ﴿حَتَّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ دخلوها، فالجواب «دخلوها»، وحذف لأن في الكلام دليلاً عليه.

ومعنى ﴿طِبْتُم﴾ أي كنتم طيِّبين في الدُّنْيَا لم تكونوا خبيثين، أي لم تكونوا أصحابَ خبائثَ.

وقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ﴾.

يعني أرض الجنة نتخذ منها من المنازل ما شئنا، والعرب تقول لكل من اتخذ منزلاً: تبوأ فلان منزلاً.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾.

معنى ﴿حَافِّين﴾ مُحْدِقِين، وكذا جاء في التفسير.

﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقِيلَ الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فابتدأ اللَّه ـ عز وجل ـ خَلْقَ الأشياء بالحمد وخَتمْه بالحمد، فقال: ﴿الحمد لِلَّه الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ والنُّورَ﴾[1] فلما أفنى الخلق وبعثهم وَحَكَم بَيْنَهُم، فاستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ختم بقوله: ﴿ الحمد للَّه رب العالمين﴾.

---

(١) أول سورة الأنعام.

سُورَةُ المُؤْمِن

بسم اللّهِ الرَّحْمَن الرَّحِيم

﴿حم. تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللّهِ العَزِيزِ العَلِيمِ﴾ .

الحواميم كلها مكية، نزلت بمكة، قال النبي ﷺ: مثل الحواميم في القرآن كمثل الحِبَرات في الثياب. وقال ابن مسعود: الحواميم ديباج القرآن، وجاء في التفسير عن ابن عباس ـ رحمه اللّه ـ ثلاثة أقوال في حم، قال: حم اسم اللّه الأعظم، وقال: حم قَسَمٌ، وقال: حم حروف الرحمن مقطعه، والمعنى: «الر» و «حم» بمنزلة الرحمن. وقد فسرنا إعراب حروف الهجاء في أول البقرة.

والقراءة فيها[1] على ضربين، حم بفتح الحاء، وحم بكسر الحاء[2]، فأما الميم فساكنة في قراءة القراء كلهم الا عيسى بن عمر فإنه قرأ: حَمَ والكتاب، بفتح الميم،وهو على ضربين أحدهما أن يجعل حم اسما للسُّورَةِ، فَنَصَبَه ولا ينونه لأنه على لفظ الأسماء الأعجمية نحو هابيل وقابيل، ويكون المعنى اتل حم . والأجود ان يكون فتح لالتقاء الساكنين حيث جعله اسماً للسورة، ويكون حكاية حروف هجاء.

---

(١) في حم.
(٢) بالامالة.

وقوله عز وجل: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾.

على صفات اللَّه، فأمّا خفضُ ﴿شديـدِ العقاب﴾ فعلى البـدل لأنـه ممـا يوصف به النكرة.

وقوله: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾.

معناه ذي الغِنَى والفضل والقدرة. تقول: لفلان على فُلانٍ طَوْلٌ إذا كان له عليه فضلٌ.

وقوله جل وعز: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّه [إلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا] ﴾.

المعنى في دفع آيات اللَّه بالباطل ليُدْحِضَ به الحقَّ، إلَّا الذين كَفَرُوا.

﴿ ومعنى فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾.

أي فلا تغررك سَلَامَتُهُمْ بَعد كُفْرهم حتى إنَّهُمْ، يَتَصرَّفُونَ كيف شاءُوا، فإن عاقبة كفرهم العَذَابُ والهلاكُ. ثم بين كيف ذلك وأعلم أن الأمم التي كـذّبتْ قبلَهُم أنَّهُمْ أهلكوا[1] بقوله:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾.

يعني عاداً وثمودَ وَقَومَ لوط والأمم التي أُهْلِكَتْ بيْنَ ذلك.

﴿وَهَمَّتْ كل أمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾.

أي ليتمكنوا منه فيَقْتُلوه.

﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾.

أي ليدفعوا به الحقَّ.

---

(١) أعلم أن الأمم التي كذبت قبلهم نالهم الهلاك.

﴿فَأَخَذْتُهمْ﴾.

أي جعلت جزاءهم على إرادة أخذ الرُّسُلِ أَنْ أَخَذْتُهم فعَاقَبْتُهـمْ.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

أي إنهم يجتازون بالأمكنة التي أهلك فيهَا القَوْمُ فيرونَ آثار الهلاك.

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أي ومثل ذلك حقت كلمة ربك ـ يعني [بـه] قولـه ﴿لأَمْلأنَّ جَهَنَّم﴾[1] ﴿أَنَّهم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

ويجوز «إِنَّهُمْ»، ثم أخبر ـ جَلَّ وعز ـ بِفَضْل المؤْمنين فقال:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾.

يعني الملائكة.

﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِه وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذِينَ آمَنُوا﴾.

فالمؤمن تستغفر له الملائكة المقَرَّبُونَ.

ويعني: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمَـةً وَعِلْماً فَـاغْفِرْ للَّذِينَ تَـابُوا واتَّبَعُـوا سَبِيلَكَ﴾.

المعنى يقـولون: ربنـا وسعت كل شيء، أي تقـول الملائكـة. وقولـه: ﴿رحمةً وَعِلْماً﴾ منصوب على التمييز.

﴿فَاغْفِرْ للَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾.

---

(١) في الأصـل. يعني بقوله: ﴿لأمْلأنَّ جهنم﴾ والآية رقم ١١٩ من سورة هـود هي: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَـةُ رَبك لأمْلأن جَهَنَّم مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعين﴾.

أي لزموا طريق الهدى التي دعوت إليْهَا.

وقوله تعالى:﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾.

«مَنْ» في موضع نَصْبٍ، عطف على الهاء والميم في قوله:﴿ رَبَّنا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾،[أي] وأدخل من صلح. ويصلح أن يكون عطفاً على الهاء والميم في قوله:﴿وَعَدْتَهُمْ﴾ فيكون المعنى وَعَدْتَهُمْ ووعدت من صلح من آبائِهِمْ.

وقوله تعالى:﴿يُنادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

معناه أن الذين كفروا ينادون إذا كانوا في حال العذاب لمقت اللَّه إيّاكم في الدنيا﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الايمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

﴿أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ إذ عُذِّبْتُم في النَّارِ.

قَالُوا﴿رَبَّنا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنا اثْنَتَيْنِ فاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾.

أي قد أَرَيْتَنَا من الآيات ما أَوْجَبَ علينا أنْ نَعْتَرف.

﴿فَهَلْ إِلَى خُروجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾.

وقالوا في﴿أَمَتَّنَا اثنتين وأَحْيَيْتَنا اثنتين﴾ أي خلقتنا أَمْواتاً ثم أَحْيِيتنا ثم أَمَتَّنَا بعدُ، ثم بعَثْتَنا بعدَ المَوْت.

وقد جاء في بعض التفاسير أن احدى الحياتين، وإحدى الموتتين أن يحيا في القبر ثم يموت، فذلك أدل على أَحْيَيْتَنَا وأَمَتَّنَا، والأول أكثر في التفسير.

وقوله عز وجل:﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

جاء في التفسير أن الروح الوحي، وجاء أن الروح القرآنُ وجاء أن الروح

أمر النبوَّة. فيكـون المعنى تلقي الروح أو أمـر النبوَّة على من تشـاء، على من تختصه بالرسالة.

﴿لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

أي لينذر النبي ﷺ بالذي يوحى إليه يوم التلاق، ويجوز أن يكـون لينذر اللَّه يـوم التلاق، والأجـود ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون لينـذرَ النبي ﷺ. والـدليـل على ذلك أنه قـرئَ لتُنْذِرَ يـوم التلاق ـ بـالتاء ـ. ويجـوز يوم التَّـلَاقِي بإثبـات الياء، والحذف جائز حسن لأنه آخر آية.

ومعنى التلاقي يوم يلتقي أهل الأرض وأهل السماء. وتأويل الروح فيما فسّرنا أنه به حياة الناس، لأن كل مُهتَدٍ حَيٌّ، وكل ضَالٍّ كالميّتِ، قال اللَّه عز وجل: ﴿أَمْوَاتٌ غَيرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[1]. وقال: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَـأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَـا لَهُ نـورا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾[2]. وهـذا جـائـز في خـطـاب الناس، يقول القائل لمن لَا يفقه عَنه ما فيهِ صَلَاحُه: أنت مَيِّتٌ.

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ﴾.

معنى أنذرهم خوِّفهم، والآزفة يوم القيامَةِ، كذا جاء في التفسيـر، وإنما قيل لها آزفة لأنها قريبة وان اسْتَبْعَدَ الناس مَدَاها. يقال قد أَزِفَ الأَمْرُ إذَا قَرُبَ.

وقوله:﴿إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾.

نصب ﴿كاظمين﴾ على الحال، والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمة، وإنمـا الكاظمـون أصحابُ القُلوبِ والمعنى إذ قلوب النـاس لدى الحناجر في حَالِ كَظمِهِمْ. وجاء في التفسيـر أن القلب من الفزع يـرتفع

(١) سورة النحل آية ٢٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٢٢.

فيلتصقُ بالحنجرة فلا يرجع إلى مكانه ولا يخرج فَيُسْتَراحُ من كَرْبِ غَمّهِ.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

﴿يُطاع﴾ من صفة شفيع، أي ولا من شَفيع مُطَاعٍ.

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ﴾.

إذا نظر الناظر نظرة خيانة عَلِمَها اللَّه، فإذا نظر أول نظرة غير متعمد خيانةً فذلك غير إثم، فإن عاد ونيَّتُه الخيانة في النّظرِ علم اللَّه ذلك، واللَّه -عزوجل- عالم الغيب والشهادة، ولكنه ذكر العلم ههنا ليعلم أن المجازاة لا محالةَ واقعة.

وقوله - جل وعز -: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾.

أي بعلاماتنا التي تدلُّ على صِحّته نبوته، من العصا وإخراج يده بيضاء من غير سوء، وأشباه ذلك.

﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: أي حجة ظاهرةٍ.

﴿إِلَى فِرْعَونَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾.

هذه الاسماء في موضع خفض إلّا أنها فتحت لأنها لا تَنصَرِفُ لأنها معرفة وهي أعجمية.

﴿فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾.

المعنى فقالوا هو ساحر كذاب، جعلوا أمر الآيات التي يعجز عنها المخلوقون سِحْراً.

﴿فَلَمَّا جَاءهُم بالحقِ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ واسْتَحيُوا نِسَاءَهُمْ﴾.

وإنه كان قِيلَ لفرعون إن ملكه يزول بسبب غلام يُولَد، فقيل افعلوا هذا حتى لا ينجو المولود.

﴿وَمَا كيدُ الكَافِرِينَ إلاَّ في ضَلاَلٍ﴾.

أي يذهب باطلاً، ويحيق اللَّه به ما يُرِيدُ[1].

وقوله:﴿أَوْ أَنْ يَظْهَرَ فِي الأَرْضِ الفَسادُ﴾.

على هذا مصاحف أهل العراق، وفي مصحف أهل الحجاز: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ﴾ بغير ألف، ويجوز وأن يَظْهر، ومعنى أو وقوع أحد الشيئين فالمعنى على «أو» أن فرعون قال إني أخاف أن يُبَدِّلَ دينكم أو يُفْسِدَ، فجعل طاعة اللَّه تعالى هي الفساد، فيكون المعنى إني أخاف ان يبطل دينكم البتة، فإن لم يبطله أَوْقَع فيه الفَسادَ، ومن قرأ «وَأَنْ» فيكون المعنى أخاف إبطال دينكم والفساد مَعَهُ.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ﴾.

جاء في التفسير أن هذا الرَّجُلَ أعني مؤمنَ آل فرعونَ، كان يسمى سِمَعَانَ، وقيل كان اسمه حَبِيباً، ويكون ﴿مِنْ آل فِرْعَوْنَ﴾ صفة للرَّجُلِ، ويكون ﴿يكتم إيمانه﴾ معه محذوف، ويكون المعنى يكتم إيمانه مِنْهُمْ، ويكون يكتم من صفة رجل، فيكون المعنى: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعونَ.

﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾.

المعنى لأن يقول ربي اللَّه.

﴿وَقَدْ جَاءَكم بالبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي بما يدل على صدقه من آيات النُّبوَّةِ.

﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْه كَذِبُه﴾: أي فلا يَضُرُّكم.

---

(١) ينزل بمكر فرعون ويحيط به ما يريد مما يفسده.

﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾.

وهـذا من لطيف المسـائل، لأن النبي ﷺ إذا وعـد وعْـداً وقـع الـوعـدُ بـأسره، لم يقـع بعضه، فـالسؤال في هذا من أيْنَ جـاز أن يقول بعض الـذي يَعِدُكُمْ، وحق اللفظ كل الذي يَعدُكم فهذا باب من النَّـظَرِ يذهب فيـه المناظـرِ إلى الزام الحجة بأيْسَرِ ما في الأمر، وليس في هذا نفي اصابة الكل ومثل هذا قول الشاعر(١):

قـد يـدرك المتـأني بعض حـاجتـه وَقَـدْ يَكُـونَ مَـع المستعجـل الـزَّلَـلُ

إنما ذكر البعضَ ليوجب له الكُلَّ، لا أن البعضَ هوالكل ولكن للقائـل إذا قـال أَقَلُّ مـا يكون للمتَـأَنِّي إدراك بعض الحاجـة، وأقل مـا يكون للمستعجـل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه، وكـأنَّ مُؤمِنَ آل فرعـونَ قال لهم: أقـلُّ مَا يكـون في صدقـه أن يُصِيبَكُمْ بعضُ الذي يعدكم، وفي بعض ذَلِك هَلاَكُكُمْ، فهذا تأويله والله أعلم.

﴿يا قَوْمِ لَكُمُ المُلْكُ اليَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأرْضِ﴾.

هذه حكاية قول مؤمن آل فرعون. أعلمهم الله أنَّ لهم الملك في حـال ظهورهم على جميع الناس. ثم أعلمهم أن بأس الله لا يدفعه دافـع ولا ينصر منه ناصر فقال:

﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾.

﴿مِثْلَ يَوْمِ الأحْزَابِ﴾.

أي مثـل يوم حَـزْبِ حِزْبٍ، والأحـزاب ههنا قـوم نوح وعـادٍ وثمودَ وَمَن أُهلكَ بعدَهُمْ وَقَبلَهُمْ.

---

(١) هو القطامي وتقدمت أبيات من هذه القصيدة. انـظر شواهـد المغني ١٢٣ مع أبيـات أخرى من القصيـدة يمدح عبـد الواحـد بن سليمان بن عبـد الملك، وهو في شـواهـد الكشـاف، ونسبـه المرزوقي الى الأعشى وهو خطأ ـ والقصيدة مشهورة أولها ـ إنا محيوك فاسلم أيها الطلل.

ومعنى :﴿ مِثْلَ دَأْبِ [قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ].

مثل عادة، وجاء في التفسير مثل حال قوم نوح، أي أخاف عليكم أن تقيموا على كُفْرِكُمْ فينزل بكم[1] ما نزل بالأمَم السَّالِفَةِ المكذِّبَةِ رُسُلَهم.

﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾.

بكسر الدال - وقرأ الحَسَنُ يوم التنادي - بإثبات الياء -، وأكثر القراءة التناد، وقرأ ابن عباس يوم التَّنَادِّ - بتشديد الدال، والأصل التنادي وإثبات الياء الوجه، وحذفها حسن جميل لأن الكسرة تدل عليها الياء وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال[2].

ومعنى يوم التنادي يوم ينادي ﴿أصحابُ الجنة أصحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾[3] وينادي ﴿أصحابُ النار أصحاب الجنة أَنْ أَفيضوا علينا من الماء﴾[4]. ويجوز - واللَّه أعلم - أن يكون «يَوْمَ التَّنَادِ» يوم يدعى كل أناس بإمَامِهِمْ[5].

ومن قرأ يوم التَّنادّ بتشديد الدَّالِ، فهو من قولهم نَدَّ فلانٌ ونَدَّ البعيرُ إذَا هَرَبَ على وجهه، ومما يدل على هذا قوله: ﴿يَوْمَ تُوَلُّون مُدْبِرِينَ﴾[6]. وقوله ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾[7].

---

(١) في الأصل بهم.

(٢) هكذا في الأصل، ويبدو أنه «على الكسر» فهذا ما يقتضيه السياق.

(٣) سورة الأعراف الآية ٤٤.

(٤) في سورة الأعراف الآية ٥٠ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الجَنَّةِ أن أَفِيضُوا عَلَيْنا من الماء﴾.

(٥) سورة الاسراء الآية ٧١.

(٦) الآية التي بصدد التفسير: ﴿وَ يَا قَوْم إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّون مدبرين مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾.

(٧) سورة عبس آية ٢٤، ٢٥.

وجاء في التفسير أنهم يؤمر بهم إلى النار فيفرون ولا يعصمهم من النار عاصِمٌ.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالبَيِّنَاتِ﴾.

أي الآيات المعجزات.

﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً﴾.

أي أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة.

﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾.

أي مثل ذلك الضلال يضل اللَّه من هو مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ: ﴿مُسْرِفٌ﴾ ههنا كافر، و﴿مُرتابٌ﴾ شاكٌّ في أمر اللَّه وأنبيائه.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾.

«الذين» في موضع نَصْبٍ على الرد على «مَنْ» أي كذلك اللَّه يُضل الذين يجادلون في آيات اللَّه بغير حجة أَتَتْهُمْ، ويجوز أن يكون موضع «الذين» رفعاً على معنى مَنْ هُوَ مُسْرِف مرتابٌ هم الذين يُجَادِلُونَ.

وقوله عز وجل: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي كبُر جِدَالُهُمْ مَقْتاً عند اللَّه وعند الَّذِينَ آمنوا.

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ [جَبَّارٍ]﴾.

ويقرأ عَلَى كلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ، والأول الوجه، لأن المتكبر هو الانسان، وقد يجوز أن تقول: قلب متكبِّرٌ، أَيْ صَاحِبُه مُتَكَبِّرٌ.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً﴾.

والصرح القصر، وكل بناء عظيم فهو صرح.

﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ﴾.

جاء في التفسير أبْوابَ السماء، والأسباب في اللُّغَة ما اتصل بالشيء، وكذلك يقال للحبل سبب، لأنه يُوصَلُ بالأشياء. وجاء في التفسير أيضاً طُرُقَ السَّمواتِ. فالمعنى - واللَّه أعلم . لعلي أبلغ إلى الذي يؤديني إلى السموات. ويقرأ ﴿فَأَطَّلِعُ﴾ - بالرفع والنصب.

﴿وإني لأظُنُّهُ كَاذِباً﴾.

هذا قول فرعونَ، يقول وإن كنت زعمت أني أَطَّلِعُ إلى إله موسى، فأنا قلت هذا على دعوى موسى لا على أني على يقينٍ من ذلك. فيروى أن هامان طَبخ الأجُرَّ لبناء الصَرْحِ وأن أوَّلَ من طَبَخَ الأجُرَ هَامَانُ.

﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِه﴾.

موضع الكاف نصب المعنى وزين لفرعون سوء عمله مثل ما وَصَفْنَا.

﴿وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾(١).

أي صُدَّ عن السَبيل المستقيم. أي المستقيمة بكفره.

﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إلاَّ فِي تَبَاتٍ﴾.

إلاَّ في خسرانٍ، يقال: تبت يداه أي خسِرتا.

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

يعني سبيل القصد إلى اللَّه عز وجل، وأخرجكم عَنْ سَبِيل فرعونَ. فأهدكم جزم جواب للأمر. المعنى إن تتبعوني أَهدِكُمْ.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّما تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ﴾.

---

(١) قرأ عاصم «صُدَّ» بالبناء للمجهول.

يعني أنه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة.

قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: ﴿لاَ جَرَمَ﴾، فقال: لا جَرَمَ رَدٌّ لِكَلَامٍ. والمعنى وجب أَنَّ لَهُمُ النَّارَ، وحق أن لهم النَّار، وأَنْشَدَ(١):

ولقد طعنت أبا عيينة طَعْنَةً جَرَمَتْ فَزَارةَ بَعدهَا أَن يغضبوا

المعنى كسبتهم الغَضَبَ، وأَحَقَّتْهُمْ بالغضب، فمعنى ﴿لاَ جرم أَنَّ مَا تَدْعُونَنَي إِلَيْهِ﴾ لقد وجب أن ما تدعونني إليه ليس له دَعْوَةُ أي وجب بطلان دعوته.

﴿وأَنَّ مَرَدَّنَا إلى اللَّهِ﴾.

وَجَبَ مَرَدُّنا إلى اللَّهِ، وكذلك ﴿وَأَن المُسرِفِين هم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

وقوله - عز وجل -: ﴿سُوءُ العَذَابِ. النَّارَ يُعْرَضُونَ عَلَيها﴾.

﴿النار﴾ بدل من قوله ﴿سُوءالعَذَابِ﴾، وجائز أن تكونَ مرتفعة على إضمار تفسير سوء العَذَابِ، كأن قائلا قال: ما هو، فكان الجوابُ هو: ﴿النار يعرضون عليها﴾ فإن قال قائل: كيف يُعرضُونَ عليها وهم من أهل النار.؟ فجاء في التفسير أن أرواحهم في أجواف طير سُودٍ تعرض على النار بالغَدَاة والعشيّ إلى يوم القيامَةِ. ألا ترى أن بعده ﴿وَيَوْمَ تقوم السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آل فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾ ويقرأ ادخُلُوا على معنى الأمر لهم بالدخول، كأنه ويوم تقوم الساعة يقول ادخلوا يآل فرعون أشد العذاب.

وقرئت ﴿أدخِلُوا﴾ على جهة الأمْرِ للملائكة بإدخَالِهِمْ أَشَدَّ العَذَابِ.

﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.

[أي] الملائكة، واحدهم شاهدٌ، مثل صاحب وأصحاب.

---

(١) تقدم.

﴿إنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ في آيَاتِ اللَّهِ﴾.

أي يجادلون في دفع آيات الله﴿بِغَيْرِ سلطانٍ أَتَاهُمْ﴾.

أي بغير حجة أَتَتْهُم.

﴿إن فِي صُدُورِهِمْ إلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾.

[أي ماهم] ببالغي إرادتهم فيه، وإرادتهم دفع آيات الله عز وجل وَدَلّ على هذا المعنى ﴿يُجَادِلُونَ في آيَاتِ اللَّهِ﴾. لأن الكبر هم قد أوقعوه فليس يلبس هذا ببالغي الكبر.

وجاء في التفسير أنه يُعْنى بِهِ اليهودُ، وان الكبر الذي ليس هم ببالغيه تَوَقُّعُ أمر الدَّجَّالِ، فتكبروا مُتَرَبِّصِينَ يتوقعون خروج الدَّجَّالِ. فأعلم الله أن هذه الفرقة التي تجادِلُ لا تبلغ خروج الدَّجَالِ. ويدل على قول من قال هذا قول الله ـ عز وجل ـ يعقب هذا:﴿فاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾.

وقوله جل وعز:﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

معناه صَاغِرِينَ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾.

جاء في التفسير أن الله عَزَّ وَجَلَّ بعث ثمانية ألف نَبِيٍّ، مِنْهُمْ أربَعَةُ آلاف من بني اسرائيل، ومنهم أربعة آلاف من سائر الناس، وجاء عن علي رضي الله عنه أنه قال: في قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ أنّ الله بعث نبياً أسود. فهو ممن لم تذكر قصته في القرآن.

وقوله تعالى:﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلونَ﴾.

الأنعام هَهُنَا الابل.

وقوله:﴿إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ﴾.

يجوز على ثلاثة أوجُهٍ «والسَّلَاسِلَ» بالنصب، و«السَّلَاسِلِ» بالخفض. فمن رفع فعطف على الأغلال ومن جر فالمعنى إذ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وفي السلاسِلِ، وَمَنْ نَصَب ففتح اللاّم قرأ ﴿والسَّلاسِلَ يَسْحَبُونَ﴾[1].

﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُم تَفْرَحُونَ﴾ الآية[2].

يدل عليه قوله تعالى:﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ﴾.

أي ذلك العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون بالباطل الذي كنتم فيه، و﴿تمرحون﴾ أي تأشرون وتبطرون وتستهزئون.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رأَوْا بَأْسَنا﴾.

يقول حين عاينوا العذابَ.

﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾.

على معنى سَنَّ اللّه هذه السُّنَّةَ فِي الأُمَمِ كُلِّهَا، لاَ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ إذا رأوا العذاب.

﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ﴾.

وكذلك: ﴿وخَسِرَ هُنَالِكَ المبْطِلُونَ﴾.

والمبطلون والكافرون خاسرون في ذلك الوقت وفي كل وقتٍ خاسرون، ولكنه تعالى بيَّن لهم خُسْرانَهُمْ إذا رأوا العذاب.

---

(١) على أنه مفعول معه.

(٢) ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.

سُورَة فُصِّلَتْ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حم. تَنْزِيلٌ [مِنَ الرَّحمن الرَّحِيم]﴾.

[تنزيل] رفع بالابتداء، وخبره ﴿كَتاب فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾. هذا مذهب البصريِّينَ، وقال الفَرَّاءُ يجوز أن يكون ﴿تنزيل﴾ مرتفعاً بِحَم، ويجوز ان يرتفع بإضمار هذا. المعنى هذا تنزيل من العزيز الرحيم، أي هو تنزيل.

﴿قُرآناً عَرَبيّاً﴾.

نصب ﴿قرآناً﴾ على الحال. المعنى بينت آياته قرآناً، أي بينت آياته في حال جمعه عربياً.

﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: أي بينا لمن يعلم.

﴿بَشِيراً وَنَذِيراً﴾: من صفته.

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾.

فِي غُلُفٍ، أي ما تدعونا إليه لا يصل إلى قلوبنا لأنها في أغطية، وواحد الأكِنَّةِ كِنَان.

﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾.

أيْ صَمَمٌ. وقفل يمنع من الاستماع لقولك أي نحن في ترك القبول منك بمنزلة من لا يستمع قولك.

﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَينِكَ حِجَابٌ﴾.

أي حاجز في النِّحْلَةِ والدِّينِ. وهو مثل قُلوبِنَا في أَكِنَّةٍ، إلاّ أنّ معنى هذا أَنَّا لا نُجامِعُك فِي مَذْهِبٍ.

﴿فاعْمَلْ إِنَّنا عَامِلُونَ﴾.

أي على مذهبنا، وأنت عامل على مَذْهَبَكَ. ويَجُوزُ أَنْ يكونَ فاعمل في إبطال مذهبنا إنا عاملون في إبطال أَمْرِكَ.

﴿وَوَيْلٌ لِلمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتونَ الزَّكَاةَ﴾.

أي لا يرونها واجبة عليهم، وَلاَ يُعْطُونها.

﴿قل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأرْضَ في يَوْمَيْنِ﴾.

لو أراد -جل وعَلاَ- أَنْ يخلقها في لَحظَةٍ لَفَعَلَ ولكان ذلك سائغا في قُدْرَتِهِ، ولكنه أحب أن يُبْصِرَ الخَلْقُ وُجُوهَ الأناةِ والقُدْرَةِ على خلق السموات والأرض في أيام كثيرة وفي لحظةٍ وَاحِدَةٍ لأن المخلوقين كلَّهُم والملائِكَةَ المقَرَّبينَ لو اجتمعوا على أن يخلقوا مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْهَا مَا خَلَقُوا.

وجاء في التفسير أن ابتداء خلق الأرْضِ كان في يوم الأحَدِ واستقام خلقها في يوم الاثنين.

﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَها﴾.

في الثلاثاء والأربعاء فصارت الجملة أَربعة أَيَّام، فذلك قوله:﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فيها وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَها في أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.

أي في تتمة أرْبَعةِ أيَّامٍ .

﴿سَوَاءً [لِلسَّائِلينَ]﴾ .

وَسَواءٍ، ويجوز الرفعُ . فمن خفض جَعَلَهُ صفَةً للأيَّامِ .

المعنى في أربعـة أيَّـامٍ مُسْتَـوِيَـاتٍ، ومن نصب فعلى المصـدر، على معنى استوت سَواءً، واسْتِوَاءً . ومَنْ رَفَع فعلى معنى هي سَوَاءٌ .

ومعنى﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ ،مُعَلَّقٌ بِقَوْله :﴿وَقَدَّر فيها أقْوَاتَها﴾ ، لكـل محتـاج إلى القُوتِ . وَإنَّما قِيلَ للسَّائِلِينَ، لأن كُلًّا يَطْلُبُ القُـوتَ وَيَسْأَلُه . ويجـوز أن يكون للسائلين لمن سأل في كم خُلِقَت السَّمواتُ والأرَضُونَ؟ فقيل : خُلِقَتْ الأرْضُ في أربعة أيام سَوَاءٍ، لَا زيادَةَ فِيهَا وَلَا نقصانَ جَوَاباً لِمَنْ سَأل .

﴿ثُمَّ اسْتَوى إلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا ولِلأرْضِ ﴾الآية .

معنى استوى عَمَدَ إلى السَّماءِ وَقَصَدَ .

﴿[قَالَتَا أَتَيْنَا] طَائِعِينَ ﴾ .

على الحـال مَنْصُوبٌ، وإنَّمـا قِيلَ طَـائِعين دُونَ طَائِعَـاتٍ، لِأَنَّهُنَّ جَرَيْن مَجْرَى ما يَعْقِلِ وَيُميّزُ، كما قيل في النجوم:﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ يُسْبَحُونَ﴾ وقد قِيلَ قَالَتَا أَتَيْنَا [أَيْ] نَحْنُ وَمَنْ فينا طَائِعِينَ، وَمَعْنَى﴿طَوعاً أو كَرْهاً﴾على معنى أَطِيعَا لما أَمَرتُ طَوْعاً، بمنزلة أَطِيعَا الطَّاعَةَ أو تُكْرَها إكراهاً .

﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ .

فَخَلَقَهُنَّ وَصَنَعُهُنَّ . قَالَ أَبو ذُؤَيْبٍ(١) .

---

(١) من عينيته التي رثى بها أولاده ـ وهي المفضلية ٨٧٨، وفي اللسان وتُبَّع قضي، وديوان الهذ ليين ١٩ . مسرودتان درعان منسوجتان ـ وقد سبق .

وَعَلَيْهِمَا مسرودتان قضاهما داودُ، أوْ صَنَعَ السوابغَ تُبَّعُ .

معناه عملهما وَصَنَعُهَما.

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾.

قِيلَ ما يُصْلِحُهَا، وَقِيلَ مَلاَئِكَتُهَا.

﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً﴾.

معناه وحفظناها مِنَ اسْتِمَاعِ الشَّياطِين بالكواكب حِفْظاً فقال:

قل أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بمن هذه قدرته وتجعلون له أنداداً أي أصناماً تنحتونها بأَيْدِيكم.

﴿ذَلِكَ تَقديرُ العزيزِ العليم﴾.

اي الذي هذه صفته وله هذه القدرة رَبُّ العَالَمِينَ.

ثم قال: ﴿فإنْ أَعْرَضُوا﴾.

أي فإن لم يقبلوا رسالتك بعد هذه الإبَانَة ويوحدوا اللّه.

﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾.

أي أنذرتكم بأَنْ يَنْزِلَ بكم ما نزل بمن كفر من الأُمَمِ قَبلَكُمْ، ثم قصَّ قصة كُفْرِهِمْ والسَّبَب في عُتُوِّهِمْ وإقامتهم على ضلالتهم فقال:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وقالوا من أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةٍ﴾.

فأرسل اللّه عليهم ريحاً صَرْصَراً فقال:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾.

ويروى نَحْسَاتٍ، قال أبو عبيدة: الصَّرْصَرُ الشديدة الصَّوْتِ. وجاء في

التفسير الشديدة البَرْدِ، وَنَحِسَاتٍ مشئومَاتٍ واحدهـا نحِسٌ، ومن قرأ نَحْسَـات فَواحدها نَحْسٌ، قال اللَّه ـ عز وجل ـ:﴿في يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمرٍّ﴾.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾.

الجَيِّدُ اسقاط التنوين، ويقرأ ثَمودٌ ـ بالتنـوين ـ ويجـوز ثَمُوداً بِـالنَّصْبِ، بفعل مضمر الذي ظهر تفسيـره، ومعنى «هَدَيْنَـاهُمْ» قال قَتَـادَةُ بَيَّنَّا لَهُمْ طـريق الهُدَى وطَريق الضَّلاَلَةِ، ﴿فـاسْتَحَبُّـوا الْعَمَى عَلَى الهُـدَى﴾.

والاختيار رفع ثمود على الابتداء والخبر، وهذا مذهب جميع النحويين، اختيار الرفع، وكلهم يجيز النَّصْبَ.

وقوله ـ عز وجَلَّ ـ:﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ العَذَابِ الهُونِ ﴾.

فَالهونُ والخزيُ الذي يهينهم ويخزيهم.

﴿وَيَـوْمَ يُحْشَر أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾.

يقـرأ الى النَّارِ ـ بفتـح النون والتفخيم ـ وقـراءة أبي عَمْرٍو ـ إلى النّـارِ ـ على الإمالة إلى الكسر ـ وإنما يختار ذلك مع الرَّاءِ ـ يعني الكسر ـ لأنها حرفٌ فيه تكريرٌ، فلذلك آثَرَ أَبو عَمْرٍ الكسرَ.

﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾.

جـاء في التفسيـر يُحْبَسُ أَوَّلُهم على آخِـرِهِمْ، وأصله من وزعْتُـهُ إذا كففته، وقال الحسن البَصْـري حين وَلِيَ القضاءَ: لَا بُـدَّ للناس من وَزَعـةٍ[٢]، أي لا بد لهم من أَعْوانٍ يَكُفُّونَ الناس عَنِ التَّعَدِّي.

---

(١) ﴿إِنَّا أرسلنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً. . .﴾ سورة القمر/ ١٩.

(٢) يقال وزعه يزعه ـ بفتح الزاي وكسرها وَزْعـاً ـ كفه، والـوازع في الحرب المـوكل بـالصفوف ـ وجمع الوازع وزعة.

﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ﴾.

جاء في التفسير «جُلُودُهُمْ» كناية عن الفَرج، المعنى شَهِدَتْ فروجهم بمعاصيهم.

﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾.

أي جَعَلنا اللَّه شهوداً.

﴿وذلكم ظَنُّكُمُ﴾.

مرفوع بخبر الابتداء، و ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ خبر ثانٍ، ويجوز أن يكون ﴿ظنكم﴾ بَدَلاً مِنْ ﴿ذَلِكُمْ﴾، ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بِرَبِّكُمْ أَرْداكم، ومعنى «أَرْدَاكُمْ» أَهْلَكَكُمْ.

﴿وَقَيَّضْنَا﴾: وسببنا من حيث لا يَحْتَسِبُونَ﴾.

﴿لَهُمْ قُرَنَاءَ..﴾ الآية[1].

يقول زينوا لهم أعْمَالَهُم الَّتِي يَعْمَلُونَها ويشاهدونها، وَمَا خَلْفَهُمْ، وما يَعْزِمُونَ أَنْ يَعْمَلُوه[2].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾.

أي عارضوه بكلام لاَ يُفهَم يكون ذلك الكلام لَغْواً، يقال: لغا يَلْغُو لَغْواً، ويقال لَغِيَ يلْغَى لَغْواً إذا تكلم باللغو، وهو الكلام الذي لاَ يُحَصَّل ولا تفهم حقيقته.

﴿ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ﴾.

هذا يدل على رفعه.

قوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِين كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً﴾.

المعنى ذلك العذاب الشديد جزاء أعداء اللّه، ﴿النارُ﴾ رفع بدل من ﴿جزاء

(١) ﴿فزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

(٢) ما يأتي بعد ذلك.

أعداء اللَّه﴾، وإن شِئت رفعت النَّارَ على التفسير، كأنه قيل ما هو فقيل هي النَّارُ.

﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ﴾.

أي لهم في النَّارِ دار الخلد، والنار هي الدَّار، كما تقول: لك في هذه الدَّارِ دَارُ السُّرور، وأنت تعني الدار بِعَيْنِها كما قال الشاعر[1]:

أخــور غـائب يعــطيهـا ويُسْــأَلهــا يـأبى الـظُّلاَمَةَ مِنه النَّـوْفَـلُ الـزُّفَـرُ

وقوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذين كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا﴾.

بكسر الراء وبإسكانها - لثقل الكسرة كما قالوا في فَخِذٍ فَخْذٌ، ومن كسر فعلى الأصل، والكسر أَجْوَدُ لأنه في الأَصْلِ أَرْئِنَا فحذفت الهمزة وبقيت الكسرةُ دليلاً عليها والكسر أجود.

ومعنى الآية فيما جاء من التفسير أنه يعني بهما ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه، وإبليس، فقابيل مِنَ الإنس وإبليس مِنَ الجِنِّ.

ومعنى:﴿نجعلْهُمَا تحت أَقْدَامِنَا﴾.

أي يكونان في الدرك الأسفل.

وقوله عز وجل:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾.

[أي] وحدوا اللَّه ، واستقامو :عملوا بِطَاعَتِهِ ولزموا سنَّة نبيِّهِ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلاَئِكَةُ﴾.

بُشَراءَ يبشرونهم عند الموت وفي وقت البعث فلا تَهُولُهُم أَهَوالُ القيامة.

وقوله:﴿نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول /٤٥٢.

معناه وأَبْشِروا بالجنة تنزلُونَها نُزُلاً. قال أبو الحسن الأخفش: ﴿نُزُلاً﴾ منصوبٌ من وجهين أحدهما أن يكون مَنْصُوباً على المصدَرِ، على معنى لكم فيها ما تشتهي أنفسكم أَنْزَلْنَاهُ نُزُلاً، ويجوز أنْ يكون منصوباً على الحال على معنى لكم فيها ما تشتهي أَنْفُسُكُمْ منزلا نُزُلاً، كما تقول جاء زيد مَشياً في معنى جاء زيد ماشياً.

﴿وَمَنْ أحسَنُ قَوْلاً﴾.

منصوب على التفسير كما تقول زيد أحسن منك وجهاً، وجاء في التفسير أنه يعنى به محمد ﷺ لأنه دعا إلى توحيد اللّه، وجاء أيضاً في التفسير عن عائشة وغيرها أنها نزلت في المؤذنين.

﴿وَلاَ تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ﴾.

و «لا» زائدة مؤكدة، المعنى لا تستوي والسيئة.

﴿ادفَعْ بالَّتي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

معناه ادفع السيئة بالتي هي أحسن.

﴿كَأَنَّه وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: الحميم القريب.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾.

أي ما يلقى مجازاة هذا أي وما يلَقَّى هذه الفعلة إلاَّ الَّذِين صبروا، أي إلاَّ الذين يكظمون الغيظ.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

الحظ ههنا الجنة، أي وما يلقاها إلاَّ من وجبت له الجنة، ومعنى ﴿ذُو حَظٍّ عظيم﴾، أي حَظٍّ عظيمٍ في الخير.

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ﴾.

يقول إن نزغك مِنَ الشيطان ما يصرفك به عن الاحتمال فاستعذ بالله من شره وامض على حلمك.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهارُ﴾.

أَي مِنْ عَلاَمَاتِهِ التي تَدُلُّ على أنه واحد.

وقوله:﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

وقد قال: الليلُ والنهار والقمر وهي مُذَكَّرَةٌ، وقال:﴿خلقهن﴾ والهاء والنون يدلان على التأنيث، ففيها وجهان أحدهما أَنَّ ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث، تقول: هذه كِبَاشُك فسُقْها، وَإِنْ شئت فسُقْهُنَّ، وإنما يكون «خَلَقَهُمْ» لما يعقل لا غير، ويجوز أن يكون خلقهن راجعاً على معنى الآيات لأنه قال: ومن آياته هذه الأشياء.

﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾.

﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾.

هذه خطاب لمحمد ﷺ و﴿الَّذِينَ﴾ ههنا يعنى به الملائكة، فالمعنى فإن استكبروا وَلَمْ يُوحِّدُوا اللَّهَ وَيَعْبُدوه ويؤمنوا برسوله، فالملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار﴾.

﴿وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾.

لاَ يَملُّون ـ ثم زَادَهُمْ في الدلالة فقال:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾.

أي مُتَهَشِّمَةً متغيرة، وهو مثل هامدة.

﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾.

ويقرأ وَرَبأَتْ بالهمز، ومعنى ربت عظمت، ومعنى ربأت ارْتَفَعَتْ لأنَّ النبت إذا هـم أن يظهر ارتفعت له الأرض.

وقوله ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ [فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا] ﴾.

[يَلْحدُونَ] بفتح الياء والحاء، وتفسير يَلْحدُونَ يجعلون الكلام على غير جِهَتِـه، ومن هذا اللَّحْـدُ لأنه الحفـرُ في جانب القَبْـر، يُقال لَحَـد وَأَلْحَدَ، في معنى وَاحِدٍ.

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُم﴾.

لفظ هذا الكلام لفظ أَمْرٍ، ومعناه الوعيد والتهدد، وقد بيَّنَ لهم المجازاة على الخير والشر.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لَا يَأْتِيهِ البَـاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَـدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾.

فيه وجهاد أحدهما أن الكتب التي تقدمت لا تبطله وَلَا يأتي بعده كتـابٌ يُبْطِلُه، والوجه الثاني أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأْتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، والدليل على هذا قولـه:﴿إِنَّا نَحْنُ نَـزَّلْنَا الـذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

﴿مَا يُقالُ لَكَ إِلَّا ما قَدْ قِيلَ للرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ ﴾.

أي تكذيبك كمـا كُذِّبَ الـرُّسُلُ مِنْ قَبلِكَ، وقيـل لهم كما يقـول الكفارُ لك، ثم قال:

---

(١) سورة الحجر الآية ٩.

﴿إنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: المعنى لمن آمن بك.

﴿وَذُو عِقابٍ أَلِيمٍ﴾: لِمَنْ كَذَّبَك.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرآناً أَعْجَمياً لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُه﴾.

أي بُيِّنَت.

﴿[ءَأَعْجَميٌّ وَعَرَبِيٌّ]﴾.

وتقرأ ءَأعجمي بهمزتين وَأَعجميٌّ بهمزةٍ واحدةٍ وبهمزة بعدها مخففة تشبه الألف، ولا يجوز أن يكون ألفاً خَالِصَةً لأن بعدها العين وهي ساكنة، وتقرأ أَعجَمِيٌّ وعَرَبِيٌّ - بهمزة واحدة وفتح العين، وقرأ الحسن أَعْجَميّ بهمزة وَسَكُونِ العَيْن.

والَّذِي جَاءَ في التَّفْسِير أَنَّ المعنى ولو جَعَلْنَاهُ قرآنا أَعْجَميًّا لقالوا: هلا بينت آياتِهِ، أقرآن أعجمي ونبي عربي. فمن قرأ آاعجمي فهمزة وألفٍ فَإِنَّهُ مَنْسوبُ إلى اللِّسَانِ الأعجم، تقول: هذا رَجُل أعجمي إذا كان لا يُفْصِحُ إن كَانَ مِنَ العَجَمِ أو من العَرَبِ، وتقول: هذا رجل عَجَمِيٌّ إذا كان من الأعاجم، فصيحاً كان أَمْ غَيرَ فصيح، ومثل ذَلِكَ: هذا رَجُلٌ أعرابي إذا كان من أهل البادية، وكان جنسه من العَرَبِ أو من غير العَرَبِ، والأجودُ في القرآن أَعْجَمِيٌّ بهمزة وأَلِفٍ على جهة النسبة إلى الأَعْجَمِ، ألا ترى قوله:﴿ولو جعلناه قرآنا أعجمياً﴾، ولم يقرأ أَحَدٌ عَجَميًّا، فأما قراءة الحسن أعني أَعْجَميٌّ بإسكان العَيْنِ لا على معنى الاستفهام ولكن على معنى هَلَّا بُيِّنَتْ آياتُه، فجعل بعضه بياناً للعجم وبعضه بياناً للعرب، وكل هذه الأوجه الأربعة[1] سائغ في العربية وعلى ذلك تفسيره.

---

(١) الضمير بالتذكير لكل - أي كل وجه منها أو جميع هذه الأسئلة.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾.

يعني القرآن.

﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾.

أي هم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾:

ويقرأ «وهو عَلَيْهِمْ عَمٍ» بكسر الميم والتنوين، ويجوز وهو عَلَيْهِمْ عَمِيَ بإثبات الياء وَفَتْحِهَا، ولا يجوز إسكان الياء وترك التّنوين.

﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

يعني من قسوة قلوبهم يُبعَدُ عنهم مَا يُتْلَى عليهم.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾.

الكلمة وَعْدَهُمُ السَّاعة، قال عز وجل: - ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾(١) ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾(٢).

[أي] على نفسه. ويدل على أن الكلمة ههنا الساعة قوله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾.

وقوله - عز وجل -: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا﴾.

نحو خروج الطلع من قشره.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي﴾.

---

(١) سورة القمر الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

(٢) الآية ٤٦ من هذه السورة.

المعنى أين قولكم إن لي شركاء، واللَّه ـ جل وعلا ـ واحدٌ لا شريك له، وقد بين ذلك في قوله: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي قالوا آذَنَّاك مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾.

﴿آذَنَّـاكَ﴾ أَعْلَمْنَاكَ مَا مِنَّا من شهِيدٍ لَهُمْ.

﴿وَظَنـوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيص ٍ ﴾.

أَي أيقنوا.

﴿لَا يَسْأَمُ الانْسَانُ مِنْ دُعَـاءِ الخَيْرِ﴾: لا يَمَـلُّ الخيـر الـذي يُصيبـه، وإذا اختبربشيء من الشر يئس وقنط.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾.

أي هذا واجب لي، بعملي استحققته، وهذا يعنى به الكَافِرُونَ، ودليـل ذلك قوله:﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إلى رَبّي إن لي عنده لَلْحُسْنَى﴾، يقول: إني لست أُوقِنُ بالبعث وقيام الساعة، فإن كـان الأمر على ذلـك إن لي عنده للحسنى.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانَ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِه ﴾.

ويقرأ ناء والمعنى مُتَقَارِبٌ، يقول: إذا كان في نعمةٍ تباعَدَ عن ذكـر اللَّه وَدُعَائِه ﴿وإِذَا مَسَّه الشر فذو دعاء عَرِيض ٍ﴾، وعريضٌ ههنا كبير، وكذلك لو كان ذو دعاء طويل كانَ معناه كبيرٌ.

وقوله:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾.

أي سنريهم الأعلام التي تدل على التوحيد في الآفاق، وواحـدها أُفُقٌ، يقول: سنريهم آثار مَن مَضَى قبلهم مِمَّنْ كَذَّبَ الرُّسُلَ من الأمم وآثر خلقِ اللَّه في كل البلاد وفي أنفسهم من أنهم كـانوا نُـطَفاً ثم عَلَقـاًثم مُضَغـاً ثم عِـظاماً

كُسِيَتْ لحماً، ثم نقلوا إل التمييز والعقل، وذلك كلُّه دَليـلٌ على أن الذي فعله واحدٌ ليس كمثلِه شيء.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾.

ويجوز «إِنَّهُ»، والقراءة «أَنَّه» بالفتح. وموضع ﴿بربك﴾ في المعنى رفع، المعنى أولـم يكف رَبُّكَ، وموضع ﴿أنه﴾ نصب، وإن شئتَ كانَ رفعاً، المعنى في النصب أو لم يكف ربك بأنه على كل شيء شَهِيدٌ، ومن رفع فعلى البدل، المعنى أَوَ لم يكف أَنَّ رَبَّـكَ عَلَى كُـلِّ شَيء شَهِيـدٌ، أي أَوَ لم يكفهم شهـادة ربـك، ومعنى الكفاية ههنا أنه قَد بَيَّن لهم ما فيه كفاية في الدِّلاَلَةِ على تَوْحِيدِهِ وبينت رُسُلُه.

﴿أَلَا إِنَّهُم فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾.

في شك، «ألا» كلمة يبتدأ بها ينبَّهُ بِهَا المخاطب توكيداً يَدُلُّ عَلَى صحة مابعدها.

﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ﴾.

أي عالم بكل شيء علماً يحيطُ بما ظَهَر وَخَفِيَ.

سورة الشُّورَى

حم عسق، مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿حٰم. عسق﴾.

قد بيّنا حروف الهجاء، وجاء في التفسير أن هذه الحروفَ اسم من أسماء اللَّه، ورويت حم سق - بغير عين - والمصاحفُ فيها العين بائنة.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

وقرئت يُوحَى، وقرئت نُوحِي إليك وإلى الذين من قبلك بِالنُّونِ. وجاء في التفسير أن «حٰم عسق» قد أُوحِيَتْ إلى كُلِّ نَبِيٍّ قبلَ محمد ﷺ وعليهم أجمعين. وموضع الكاف من «كذلك» نصبٌ، المعنى مثل ذلك يوحى إليك، فمن قرأ يوحِي بالياء، فاسم اللَّه عز جل رفع بفعله وهو يُوحِي، وَمَنْ قَرأَ يُوحَى إليك فاسم اللَّه مبين عما لَم يسم فاعله، ومثل هذا من الشّعْرِ.

ليبك يزيد ضارع لِخُصُومَةٍ ومختبط مما تطيح الطوائح[1]

فبين من ينبغي أن يبكيه.

ومن قرأ نُوحي اليك بالنون جعل نوحي إخباراً عن اللَّه -عزوجل-. ورفع ﴿اللَّه﴾ بالابتداء وجعل ﴿العزيز الحكيم﴾ خبراً عن اللَّه، وإن شاء كان

---

(١) لضرار بن نهشل يبكي أخاه يزيد، وفي كتاب سيبويه ١/٢٨٨ للحرث بن نهيك، وانظر الخزانة ١/١٤٧ وابن يعيش ١/٩٠ والعيني ٢/٤٥٤.

﴿العزيز الحكيم﴾ صفة للّه ـ عز وجل ـ يرتفع كما يرتفع اسم اللّه، ويكون الخبر ﴿لَهُ مَا في السَّمَواتِ وَمَا فِي الأرْضِ﴾.

قوله:﴿تَكَادُ السَّمواتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾.

وقرئت مِمَّنْ فَوْقَهن، وقرئت ﴿يَتفَطَّرْنَ﴾، ومعنى يَنْفَطِرنَ ويتفطَّرن يَنْشَقِقْن، ويَتَشَقَّقْنَ، فالمعنى ـ واللّه أعلم ـ أي تكاد السمواتُ ينفطرن من فوقهن لعظمة اللّه، لأنه لما قال: ﴿وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾، قال: تكاد السموات ينفطِرْنَ لعَظمِته، وكذلك ينفطرن ممن فوقِهِنَّ، أي من عظمة من فوقَهُنَّ.

وقوله عز وجل: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ﴾.

مَعنَى ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ يعظمون اللّه وينزهونه عن السوء، ﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ من المؤمنين. ولا يجوز أن يكون يَسْتَغْفِرُونَ لكل من في الأرض، لأن اللّه تعالى قال فِي الكفار:﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللّه وَالمَلاَئِكَةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾، ففي هذا دليل على أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين، ويدل على ذلك قوله في سورة المُؤْمِن: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ للَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا [وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمةً وعِلْماً]﴾(١).

وقوله عزوجل:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقرى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾.

﴿أم القرى﴾ مكة، وموضع ﴿مَنْ حَوْلَهَا﴾ نصب، المعنى لتنذر أهل أم القرى ومن حولها، لأن البلد لا يعقل، ومثل هذا ﴿وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيها﴾(٢)

وقوله: ﴿وتنذرَ يَوْمَ الجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾.

أي يوم يبعث الناس جَميعاً، ثم أعلم مَا حَالُهم في ذَلِكَ اليوم فقال: ﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

---

(١) سورة غافر /٧. (٢) سورة يوسف /٨٢.

وقوله جل وعز: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ، والظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

ارتفع ﴿الظالمون﴾ بالابتداء.

وقوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ والظالمين أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾(١)، الفصل بين هذا والأول أنّ أَعدَّ لهم فِعلٌ فنصب ﴿الظالمين﴾ بفعل مضمر يفسره ما ظهر، المعنى وَأوعد الظالمين أعد لهم عذاباً أليماً.

وقوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً﴾.

أي خلق الذَّكَرَ والأُنْثَى مِنَ الحَيَوانِ كُلِّهِ.

وقوله: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾.

أي يُكَثِّركم بِجَعْلِهِ منكم وَمِنَ الأَنْعَامِ أزواجاً.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

هذه الكاف مؤكِّدةٌ، والمعنى ليس مثله شيء، ولا يجوز ان يقال: المعنى مثلَ مثلِهِ شيء، لأن من قال هذا فقد أثبت المثل للَّه تعالى عن ذلك عُلُوًّا كَبيراً.

قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً﴾.

روي في التفسير أن أول من أتى بتحريم البنات والأخَوَات والأمهات نوح.

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾.
أي وشرع لكم ما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى.

وقوله عزَّ وَجلَّ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾.

---

(١) سورة الانسان آية ٣١.

تفسيرقوله: ﴿ما وَصَّى بِهِ إبْرَاهِيمَ﴾ - وموضع «أن» يجوز أن يكونَ نَصْباً وَرَفْعاً وَجَرًّا، فالنصْبُ على معنى شرع لكم أن أقيموا الدّين، والرفع على معنى هو أن أقيموا الدين، والجر على البدل من الباء[1]، والجر أَبْعَدُ هذه الوُجُوه، وجائز أن يكونَ أن أقيموا الدين تفسيراً لما وصى به نوحاً ولقوله ﴿والذي أوحينا إليك﴾ ولقوله: ﴿وما وَصَّيْنَا بِهِ إبراهِيم﴾، فيكون المعنى: شرع لكم وَلِمَنْ قبلكم إقامة الدِّينِ وَتَرْكَ الفرقة، وشرع الاجتماع على اتباع الرُّسُلِ

وقوله عز وجل: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾.

أي وما تفرق أهل الكتاب الا عَنْ عِلْمٍ بأن الفرقة ضَلاَلَةٌ ولكنهم فعلوا ذلك بغياً أي للبغي.

وقوله: ﴿وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

أي لَجُوزُوا بأعمالهم، والكلمة هي تأجيله الساعة، يدل على ذلك قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾.

وقوله: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ واسْتَقِمْ [كَمَا أُمِرْتَ]﴾.

معناه فإلى ذلك فادع واستقم أي إلى إقامَةِ الدّين ﴿فَادْعُ واسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾.

أي آمَنْتُ بكتبُ اللَّه كُلِّهَا، لأن الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض.

وقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ﴾.

﴿الميزان﴾: العدل.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾.

إنما جاز ﴿قريب﴾ لأن تأنيث الساعة غير تأنيث حقيقي، وهو بمعنى لعل

---

(١) بدل من الضمير المجرور بالباء.

البعث قريب، ويجوز أن يكون على معنى لعَلَّ مجيء السَّاعَةِ قريبٌ.

﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾.

أي يستعجل بها من يظن أنه غير مبعوث.

وقوله:﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾.

لأنهم يعلمون أنهم مبعوثون مُحَاسَبُون.

﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ﴾.

أي الذين تدخلهم المرية والشك في الساعة، فيمارون فيها ويجحدون كونها، ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، لأنهم لو فكروا لعلموا أن الذي أنشأهم وخلقهم من تراب ثم من نطفة ثم من عَلَقةٍ إلى أن بَلَغُوا مَبَالِغَهُمْ، قادر على إنشائهم وبعْثِهِمْ.

وقوله جل وعز:﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَه فِي الآخرة مِنْ نَصِيبٍ﴾.

جاء في التفسير أن معناه مَنْ كان يُريدُ عمل الآخرة، فالمعْنَى - واللَّه أعلم - أنه من كان يريد جَزاءَ عمل الآخرة نزِدْ له في حرثه، أي نوفقه، ونضاعف له الحسنات، ومن كان يُريدُ حرث الدنيا، أي مَنْ كَانَ إنَّما يقْصِدُ إلى الحظِّ من الدنيا وهو غير مؤمن بالآخرة نُؤْتِهِ من الدنيا أي نرزُقه من الدنيا لا أنه يُعطَى كل ما يريدُهُ وإذا لم يؤمن بالآخرة فلا نصيب له في الخير الذي يصل إليه من عمل الآخرة.

وقوله:﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾.

أي تراهم مشفقين من ثواب ما كسبوا، وثواب ما كسبوا النار،﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾أي وثواب كسْبِهِمْ وَاقعٌ بِهِم.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

[أي] والظالِمُونَ لهم النار، والمؤمنون لهم الجنة.

وقوله:﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَه الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

يقرأ: يُبشِّرُ وَيَبْشرُ، ويُبْشِرُ.

وقوله:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أَجْراً إلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾.

أي إلا أن تودوني في قرابتي. وجاء في التفسير عن ابن عباس رحمه الله أنه قال: ليس حيٌّ من قريش إلَّا وللنبي ﷺ فيه قرابة، وروي أن النبي ﷺ قال لقريش: أنتم قرابتي وأول من أجابني وأَطَاعَنِي، وروي أن الأنصار أتت النبي ﷺ فقالت: قد هدانا الله بك وأنْتَ ابن اختنا، وأتوه بنفقة يستعين بها على ما ينوبه، فأنزل الله عز وجل:﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾.

قال أبو إسحاق: وَنَصْبُ ﴿المودة﴾ أن يكون بمعنى استثناء ليس من الأول، لا على معنى أسألكم عليه أجراً المودة في القُرْبَى، لأن الانبياء صلوات الله عليهم لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة، والمعنى ـ والله أعلم ـ ولكنني اذكركم المودة في القربى.

قوله:﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً﴾.

أي من يعمل حسنة نضاعِفْها له.

﴿إنَّ الله غفورٌ شكور﴾.

غفور للذنوب قبول للتوبة مثيب عليها.

وقوله ـ عز وجل ـ:﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحو اللَّهُ البَاطِلَ﴾.

معنـاه فإن يشـأ اللَّه يُنْسِكَ مـا أتاك، كـذلك قـال قتـادة، ويجـوز ﴿فـإن يشـأ اللَّه يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ يـربط على قلبك بـالصبـر على أذاهم وعلى قـولهم ﴿افترى على اللَّه كَذِباً﴾، ﴿ويمحو اللَّه الباطل﴾، الوقوف عليها «ويمحوا» بواو وألف[1] لأن المعنى واللَّه يمحو الباطل على كل حال، وكتبت في المصحف بغيـر وأو لأن الواو تسقط في اللفظ لالتقـاء السـاكنين، فكتبت على الـوصـل، ولفظ الواو ثابت، والدليل عليه ﴿ويحق الحق بكلماته﴾، أي ويمحو اللَّه الشرك ويحق الحق بما أنزله من كتابه على لسان نبيِّهِ عليه السلام.

وقوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

المعنى ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

قوله عزوجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾.

ويقرأ قَنِطُوا بكسر النون، يقال قَنط يقنِطُ، وَقَنِطَ يَقْنَطُ إذا يئس.

ويـروى أن عمر قيـل له قـد أَجْدَبَتِ الأرض وَقَنِط النَّـاسُ فقال: مُـطِرُوا إذَنْ، لهذه الآية.

وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.

﴿[وَيَعْلَمَ الذين يجادلون في آياتنا. . .]﴾.

وهي في مصحف أهل المدينة بِمَا كَسَبَتْ أَيْـدِيكُمْ - بغَيرِ فَاء -، وكذلك يقرأونها خلا أَبَا جَعفر فإنه يثبت الفاء وهي في مصـاحف أهل العـراق بالفـاء، وكـذلك قـراءتهم، وهو في العـربية أجـود لأن الفاء مجـازاة جـواب الشـرط، المعنى مـا تُصِبْكُمْ من مُصِيبَـةٍ فبمـا كسبت أيـديكم، وقـرئت ﴿ويعْلَمُ الَّـذِينَ يجادلونَ﴾، والنصب على إضمار أن، لأن قبلها جزاء، تقـول: ما تصنـع أصنع مثله وأُكْرِمَكَ، وإن شئت قلت وَأُكْرِمُكَ على وَأَنا أكرمك، وإن شئت: وَأُكْرِمْكَ جزماً.

(١) هكذا ضبطه: ولا داعي للألف لأن الواو ليست للجماعة، وإنما هي حرف علة.

وروي عن علي رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ أنه قال: إن اللَّه أكرم من أن يَثْنِيَ على عبده العُقوبَةَ، أي إذا أصابته في الدنيا مصيبة بما كسبت يداه لم يثن عليه العقوبة في الآخرة.

وأما من قرأ: ﴿وما أصابكم مِنْ مُصِيبَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكم ويعفو عن كثير﴾ أي لا يجازى على كثير مما كسبت أيديكم في الدنيا، وجائز أن يكون ﴿يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يجازى عليه في الدنيا ولا في الآخرة.

ومعنى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾.

ما لهم من مَعْدِلٍ، ولا مِنْ مَنجى، يقال حاص عنه إذا تنحى، ويقال حاض عنه في معنى حاص، ولا يجوز أن يقرأ ما لهم من محيض، وان كان المعنى واحداً، فأما موضع ﴿الذين﴾ في قوله: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فيجوز أن يكون نصباً، ويجوز أن يكون رفعاً، فمن نصب فعلى معنى ويجيب اللَّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومن رفع فعلى معنى يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات للَّه - عزّ وجل - أي لما يدعوهم اللَّه إليه.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالفَوَاحِشَ﴾.

موضع ﴿الذين﴾ خفض صفة لقوله ﴿للذين آمنوا وعلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَلونَ﴾.

و ﴿كبائر الإثم﴾، قال بعضهم كل ما وعد اللَّه عليه النار فهو كبيرة، وقيل الكبائر من أول سورة النساء من قوله: ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيّب﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ تجتنبوا كَبَائِرَ مَا تُنْهوْنَ عَنْه نُكَفِّرْ عنكُمْ سَيئَاتِكمُ﴾. وقد قيل: الكبائر الشرك باللَّه، وقتل النفس التي حرم اللَّه، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، واستحلال الحرام.

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ﴾.

﴿الذين﴾ في موضع خفض أيضاً، على معنى وما عند اللَّهِ خَيْرٌ وأبقى للذين آمنوا وللذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة.

وقوله:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾.

أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه، وقيل إنَّه ما تشاور قوم قَطُّ إلاَّ هُدُوا لأحسنِ ما يحضرهم.

﴿والَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾.

جاء في التفسير أنهم كانوا يكرهون أَنْ يَذِلُّوا أَنْفُسَهُم. فيجترئ عليهم الفساق. وروي أنها نزلت في أبي بكر الصديق. فإن قال قائل: أهم محمودون على انتصارهم أم لا، قيل هم محمودون، لأن من انتصر فأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما أمر اللَّه به فلم يُسْرِفْ في القتل إن كان ولي دم ولا في قصاص فهو مطيع للَّه عز وجل، وكل مطيع محمود، وكذلك من اجتنب المعاصي فهو محمود، ودليل ذلك قوله:﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾.

وقوله:﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾.

فالأولى ﴿سيئة﴾ في اللفظ والمعنى، والثانية ﴿سيئة﴾ في اللفظ، عاملها ليس بمسيء، ولكنها سميت سيئة لأنها مجازاة لسوء، فإنما يجازي السوء بمثله، والمجازاة به غيرُ سيِّئة توجب ذَنْباً، وَإِنَّمَا قيل لها سيئة ليعلم أَنَّ الجَارِحَ والجاني يُقْتَصُّ مِنْهُ بمقدار جنايته، وهذا مثل قوله [تعالى]: ﴿فَمِن اعتدى عليكم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ تأويله كافئوه بمثله، وعلى هذا كلام العرب.

وقوله:﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وغَفر إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمور﴾.

أي الصابر يؤتى بصبره ثواباً فكل من زادت رغبته في الثواب فهو أتَمُّ عَزْمٍ[1]، وقد قال بعض أهل اللغة إن معنى قوله [تعالى: ﴿واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[2] إن منه القصاصَ والعفوَ. فالعفو أحسنه[3].

وقوله تعالى:﴿يَنْظُرونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾.

يعني ينظرون إلى النار من طرف خَفِيٍّ، قال بعضهم إنَّهم يُحْشَرونَ عُمْياً فيرونَ النارَ بِقُلوبِهِمْ إذا عُرِضُوا عَلَيْها، وقيل ينظرونَ إليها مُسَارَقَةً.

وقوله عز وجل:﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾.

أي ليس لكم مَخلَصٌ من العَذَابِ، ولا تَقْدِرُونَ أن تنكروا ما تقفون عليه مِنْ ذُنُوبِكُمْ ولا ما يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ العَذَابِ.

وقوله:﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً﴾.

أي ويجعل ما يهبه من الولد ذُكرانا وإناثاً، فمعنى ﴿يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً﴾، أي يُقْرِنُهُمْ، وكل اثنين[4] يقترن أحدُهما بالآخر فهما زوجان، كل واحد منهما يقال له زوجٌ. تقول: عندي زوجان من الخفاف، يعني أن عندك من العدد اثنين أي خُفَّيْن، وكذلك المرأة وزوجها زوجان.

وقوله: ﴿ويَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيماً﴾.

أي يجعل المرأة عقيماً، وهي التي لا تَلِدُ، وكذلك رَجُلٌ عقيمٌ أيْضاً لا يولد له، وكذلك الريح العقيم التي لا يكون عنها مطر وَلاَ خيْرٌ.

وقوله:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾.

---

(١) هكذا في الأصل.
(٢) سورة الزمر: ٥٥.
(٣) أحسن ما أنزل.
(٤) في الأصل وكل شيء

يقرأ «أَوْ يُرْسِلُ» برفع يرسل و «فيوحِي» بإسكان الياء. والتفسير أن كلام اللّه للبشرإما أن يكون برسالة مَلَكٍ إليْهِمْ كما أرسل إلى أنبيائه، أو من وراء حجابٍ كما كلم موسى عليه السلام، أو بإلهام يُلْهِمُهُمْ.

قال سيبويه: سَألت الخليلَ عن قوله [تعالى] ﴿أَو يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ بِالنَّصْبِ، فقال: «يرسل» محمول على «أن يوحي» هذه التي في قوله أن يكلِّمَهُ اللّه. قال لأن ذلك غير وجه الكلام لأنه يصرف المعنى: ما كان لبشر أن يرسل اللّه رسولا، وذلك غير جائز، وإنما نرسل محمول على وحي، المعنى ماكان لبشر ان يكلمه اللّه إلاَّ بأن يوحى أو أن يرسل.

ويجوز الرفع في «يرسل» على معنى الحال، ويكون المعنى: ما كان لبشر أن يكلمه اللّه إلاَّ موحياً أو مرسلاً رسولاً كذلك كلامُهُ إيَّاهُمْ. قال الشاعر:

وخيل قد دَلفت لها بخيل ... تحيةُ بينهم ضربٌ وجيعُ(1)

ومثل قوله: ﴿أَوْيُرسِلَ﴾ بالنصب قوله الشاعر(2):

ولولا رجال من رِزَامٍ أعزةٍ ... وآل سبيع أو أسوءك علقما

والمعنى أو أن أسوءك.

وقال: ويجوز أن يرفع «أو يرسل» على معنى أو هو يرسل، وهذا قول الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه.

وقوله جل وعز: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾.

---

(1) تقدم.

(2) من قصيدة المتلمس - يعيرني أمي رجال - وهي في الأصمعيات ١/٦٤، وانظر الخزانة ٤/٢١٤ والديوان ١٦٦، والاغاني ٢٣ ط بيروت - وتقدم شيء منها وسيأتي بيت في سورة والعصر.

أي فعلنا في الوحي اليك كما فعلنا بالرسل من قبلك، وموضع ﴿كذلك﴾ نصبٌ بقوله ﴿أَوْحَيْنا﴾، ومعنى ﴿رُوحاً مِن أَمْرِنَا﴾ ما نحيي به الخلق من أمرنا، أي ما يُهْتَدَى به فيكون حيًّا.

وقوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ولَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾.

ولم يقل جَعَلْنَاهُمَا لأن المعنى ولكن جعلنا الكتابَ نُوراً، وهو دليل على الايمان.

وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

ويقرأ: وإنك لتهدي، فمن قرأ لَتَهْدِي، فالمعنى تهدي بما أوحينا إليك إلى صراط مستقيم، ويجوز أن يَكونَ «لَتُهْدَى» مخاطبة للنبي ﷺ وأمَّتِه، فيكون المعنى وإنك وأمتك لتُهدَوْنَ إلى صراط مستقيم، كما قال: ﴿يَا أَيُّها النَّبيّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فهو بمنزلة يا أيها الناس المؤمنون إِذَا طلقتم النساء.

وقوله: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾.

خفض بدل من صراط مستقيم، المعنى وإنك لتهدي إلى صراط اللَّه. ويجوز صراط اللَّه بالرفع، وصراط اللَّه بالنصب، ولا أعلم أحدا قرأ بهما ولا بواحدة منهما، فلا تقرأن بواحدة منهما لأن القراءة سنة لا تخالف، وان كان ما يقرأ به جائزاً في النحو.

سُورة الزُّخرُف
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿حم. وَالكِتَابِ المُبِينِ﴾.

قد فسرنا معنى «حم»، ومعنى «الكتاب المبين»، الذي أبان طرقَ الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمَّةِ.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾.

معناه إنا بيّناه قرآنا عربياً.

وقوله: ﴿وَإِنَّه فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

﴿أم الكتاب﴾ أصل الكتاب، وأصل كل شيء أمُّه، والقرآن مثبت عند اللَّهِ في اللوح المحفوظ، والدليل على ذلك قوله: ﴿بَلْ هُوَ قرآنٌ مَجِيدٌ في لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾[1].

وقوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُم قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾.

ويقرأ «إن كنتم قوماً مسرفين»، فمن فتحها فالمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحاً لأن كنتم، ومن كسرها فعلى معنى الاستقبال، على معنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر، ويقال: ضربت عنه الذكر وأضربت عنه الذكر، والمعنى أفنضرب عنكم ذِكْر العذاب والعذابَ بان أسرفتم. والدليل على أن

---

(١) آخر سورة البروج.

المعنى هذا وأنه ذِكْرُ العذابِ قوله:﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ ﴾.

أي مضت سنتهم، ويكون ﴿أفنضرب عنكم الذِّكر﴾أي نهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم لأن أسرفتم، ومثله:﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[1].

وقوله:﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً ﴾: طرقاً.

وقوله:﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾.

معناه خلق الأصناف كلها، تقول عندي من كل زوج أي من كل صنف.

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ مِن الفُلْكِ والأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾.

أي خلق لكم وسخرها لكم: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾.

وقوله عز وجل:﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وتَقُولوا سُبْحان الَّذِي سَخَّر لَنَا هَذَا﴾.

أي تحمدون الله وتعظمونه، فيقول القائل إذا ركب السفينة: بسم الله مجراها ومرساها، ويقول إذا ركب الدابة: الحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، أي مطيقين، واشتقاقه من قولك: أنا لفلان مقرن أي مطيق، أي قد صرت قرناً له.

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

أي نحن مقرون بالبعث.

وقوله عز وجل:﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾.

يعنى به الذين جعلوا الملائكة بنات الله، وقد أنشدني بعض أهل

---

(١) سورة القيامة /٣٦.

اللغـة بيتـاً يـدل على أن معنى جـزء مـعنى الإنـاثِ ولا أدري البَيْتَ، قديم أم مَصْنُوعٌ، أنشـدني(١):

إنْ أُجْـزأتْ حُـرَّةٌ يَـوْمـاً فَـلاَ عَجَبٌ قـد تجزئ الحـرة المـذكـار أحيـانـاً

أي إن أنثت، ولدت أنثى.

وقوله عز وجل: ﴿أوَ مَنْ يُنَشَّأُ [في الحِلْيَةِ]﴾.

ويقرأ يُنَسَّأُ، وموضع «من» نَصْبٌ. المعنى أَجَعَلُوا من يُنَشَّأ في الحلية - يعني البنـات - لله.

﴿وَهو فِي الخصام غَيْرُ مُبِينٍ﴾.

يعنى البنات، أي الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين. وقـد قيل في التفسيـر ان المـرأة لا تكـاد تحتـج بحجـة إلاَّ عليهـا. وقـد قيـل إنـه يعني بـه الأصنام. والأجود أن يكون يعني به المؤنث.

وقوله تعالى:﴿وَجَعَلُوا المَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إنَاثاً﴾.

الجَعْـلُ ههنا في معنى القـول والحكم على الشيء. تقول: قَـدْ جَعَلْتُ زيداً أعلم الناس، أي قد وصفته بذلك وحكمت به.

وقوله - عز وجل - : ﴿ سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ ﴾.

وتقرأ سنكتب، ويجوز سيَكْتُب، المعنى سيكتب اللَّه شَهادَتُهم ولا نَعْلَمُ أَحَداً قرأ بها. والقراءة بالتاء والنُّونِ.

---

(١) نقل صاحب اللسان كلام الزجاج هذا، وزاد: والمعنى في قوله ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾، أي جعلوا نصيب اللَّه من الولد الإناث، ثم قال: قال: ولم أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثقات، وأنشد أبو حنيفة:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة للعوسج اللدن في أبياتها زجل

يعني امرأة غزالة بمغازل سويت من شجر العوسج. وهذا الكلام لم يذكره الزجاج في كتابنا هذا.

وقوله:﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَالُهِمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾.

المعنى ما لهم بقولهم إنَّ الملائكة بنات اللَّه من علم، ولا بجميع ما تخرصوا بـه.

وقوله:﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ﴾.

أي أم هل قالوا عن كتابٍ، المعنى أشهدوا خلقهم أم آتيناهم بكتاب بما قالوه من عبادتهم ما يعبدون من دون اللَّه، ثم أعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنَّ فِعلَهم اتباع ضلالة آبائهم فقال:﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ويقرأ «على إمَّةٍ» بالكسر، فالمعنى على طريقة.

وقوله عز وجل:﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾.

أي قد قالوا لك هَؤلاء[1] كما قال أمثالهم للرسل مِنْ قَبْلِك.

وقوله:﴿وَإِنَا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾.

معناه نقتدي بهم، ويصلح أن يكون خبراً لإنا مهتدون، و«على» من صلة مهتدين، وكذلك مقتدون، فيكون المعنى وإنهم مهتدون على آثارهم، وكذلك يكون المعنى مقتدون على آثارهم، ويصلح أن يكون خبراًبعد خبر، فيكون ﴿وإنا على آثارهم﴾ الخبر ويكون﴿مهتدون﴾خبراً ثانياً، وكذلك ﴿مقتدون﴾.

وقوله: ـ عز وجل ـ ﴿قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُم عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ المعنى فيه قل أَتَتَّبِعُون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جِئتُكُمْ بِأَهدى منه.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تعبدونَ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

---

(١) هكذا بالأصل.

﴿براء﴾ بمعنى بريء مِمَّا تعبدون، والعرب تقول للواحد منها أنا البراء منك، وكذلك الأثنان والجماعة والذكر والأنثى يقولون نحن البراء منك والخلاء منك، ولا يقولون: نحن البراءان منك ولا البراءونَ. وإنما المعنى إنا ذوو البراء منك ونحن ذوو البراء منك كما تقول رجل عدل وامرأة عَدْل وَقَوْمٌ عَدْلٌ، والمعنى ذوو عدل وذوات عدل.

وقوله: ﴿ إلا الذي فطرني ﴾.

المعنى إنا نتبرأ مما تعبدون الا من اللَّه عز وجل، ويجوز أن يكون «إلا» بمعنى لكن فيكون المعنى لكن الذي فطرني فإنه سيهدين.

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾.

يعني بها كلمة التوحيد وهي لا إله إلا اللَّه باقية في عقب ابراهيم، لا يزال من ولده من يوحد اللَّه عز وجل.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾.

المعنى على رجل من رَجُلَي القريتين عظيم، والرَّجُلَانِ أحدهما الوليد ابن المغيرة المخزومي من أهل مكة، والآخر حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي من أهل الطائف، والقريتان ههنا مكة والطائف.

ويجوز لولا نَزَّل أي لولا نَزَّل اللَّه هذا القرآن، ويجوز لَوْلَا نَزَلَ هذا القرآن.

ومعنى لولا هلّا ولم يُقْرَأْ بهاتين الأخريين، إنما القراءة نُزِّل، و «هذا» في موضع رفع، والقرآن ههنا مُبَيِّن عن هذا ويسميه سيبويه عطف البيان، لأن لفظه لفظ الصفة، ومما يبين أنه عطف البيان قولك مررت بهذا الرجل وبهذه الدار، و﴿هذا القرآن﴾ إنما يذكر بعد هذا اسما يبيَّنُ بها[1] اسم الاشارة.

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾.

(١) اي بهذه الجملة.

أي قولهم: لِمَ لَمْ يُنَزَّلْ هذا القرآنُ على غير محمد عليه السلام اعتراض منهم، وليس تفضل الله عز وجل يقسمه غيره. ولما أتى النبي ﷺ بالرسالة قالت العرب - أو أكثرها -: كيف لم يرسل الله مَلَكاً وكيف أرسل الله بَشراً، فقال الله عز وجل:﴿وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾(١)، وقال: ﴿أكانَ لِلنَّاسِ عَجباً أَنْ أَوْحَيْنَا إلى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾(٢). فلما سمعوا ان الرسالة كانت في رجال من أهل القرى قالوا:﴿وَلَوْلاَ نُزِّل على أَحَدِ هذين الرجلين﴾، وقال - عز وجل -:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾.

فَكَمَا فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ في الرزق وفي المنزلة، كذلك اصطفينا للرسالة من نشاء.

وقوله:﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سِخْرِيًّا﴾.

وسُخْرِيًّا، أي ليستعمل بعضهم بَعْضاً، ويستخدم بعضُهم بعضاً، ؛ وقيل سِخْرِيًّا [أي] يتخذ بعضهم بعضاً عبيداً. ثم أعلم - عز وجل - أن الآخرة أحَظُّ من الدنيا فقال:

﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وأعلمَ قِلَّةَ الدنيا عنده عز وجل فقال:

﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُر بالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ﴾.

ويقرأ سَقْفاً مِنْ فِضَّةٍ، ويجوز سُقْفاً بسكون القاف وَضَمّ السين، فمن قال سُقُفاً وَسُقْفاً فهو جمع سَقْف كما قيل رَهْنٌ وَرُهُنٌ وَرُهْن، ومن قال سَقْفاً فهو واحد يَدُلُّ على الجمع المعنى جعلنا لبيت كلِّ واحد منهم سقفاً من فضة.

(١) سورة يوسف ١٠٩.
(٢) سورة يونس /٢.

وقوله:﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾.

﴿معارج﴾: دَرَج واحدها مَعْرَج، المعنى وجعلنا معارج من فِضَّةٍ، وكذلك:

﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً﴾.

أي أَبْواباً من فِضَّةٍ وسُرُراً من فِضَّةٍ.

﴿وَزُخْرُفاً﴾.

الزخرف - جاء في التفسير أنه ههنا الذَّهَبُ، إلا زيد بن أسلم[1] فإنه قال: هو متاع البيت، والزخرف في اللغة الزينة وكمال الشيء فيها، ودليل ذلك قوله:﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَها﴾[2] أي كمالها وتمامها.

﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

معناه وما كل ذلك الا متاع الحياة الدُّنْيَا، ويقرأ لَمَا متاع و «ما» ههنا لَغْوٌ، المعنى لَمَتاعُ.

وقوله:﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾.

أي لَوْلَا أن تميل بهم الدنيا فيصيرَ الخلق كفاراً لأعطى اللَّه الكافر في الدنيا غاية ما يتمنى فيها لِقِلَّتِهَا عِنْدَهُ، ولكنه -عزّوجلّ- لم يفعل ذلك لعلمه بأن الغالب على الخلقِ حبُّ العَاجِلَة.

وقوله:﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾.

ويقرأ وَمَن يَعْشَ بفتح الشين من عَشِيَ يَعْشَى، أي من يَعْمَ عن ذكر الرّحْمنِ.

---

(١) زيد بن أسلم من مشهوري التابعين - مولى عمر بن الخطاب، فقيه محدّث مفسر، روى عن كثيرين منهم أبوه وابن عمر وعائشة، وروى عنه كثيرون منهم أولاده الثلاثة والسفيانان، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله.وما رؤي المستمعون أهيب لمعلم منهم له، وكان مجلسه يضم أربعين حبراً (فقيهاً) عدا الآخرين، وكان علي بن الحسين يتخطى مجلس قومه ليجلس إلى زيد، ويقول: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، وكان يفسر القرآن برأيه ويكثر من ذلك، توفي سنة ١٣٦ هـ - وهو معدود في الثقات وبعضهم يغمزه - (تهذيب التهذيب جـ ٣/٣٦٥ - ٩٧).

(١) سورة يونس الآية ٢٤.

﴿نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً﴾.

نسبب له شيطاناً، يجعل اللَّه له ذَلِكَ جزاءه.

وقوله:﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

أي الشياطين تصدهم عن السبيل، ويحسب الكفار أَنَّهُم مُهْتَدُونَ.

وقوله - عز وجل -: ﴿لِمَنْ يَكْفُر بالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِم﴾:

يصلح أن يكـونَ بدلاً من قـولـه لمن يكفـر بـالـرحمن، ويكـون المعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن، ويصلح أن يكون لِبُيـوتِهِمْ على معنى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بُيُوتِهم.

وقوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾.

ويقرأ جَاءَانَا، فمن قرأ جـاءانا فـالمعنى حتى إِذَا جَاءَ الكَـافِرُ وشيـطانه، ومن قرأ حتى إذا جاءنا فعلى الكافر وحده.

﴿قال يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرِينُ﴾.

معنى ﴿المشرقين﴾ ههنا بعد المشرق والمغرب، فلما جعلا اثنين غلب لفظ المشرق كما قال: (١).

لنا قمراها والنجوم الطَوالِع

يريد الشمس والقمر، وكما قالوا سنَّـةُ العُمَريْن يـراد سنَّةُ أبي بكر وعمر، رحمةُ اللَّه عَلَيْهِمَا.

وقوله عز وجل:﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾.

المعنى لَنْ تَنْفَعَكُم الشَّرِكَةُ في العذاب، قال محمد بن يزيـد في جواب

(١) للفرزدق من قصيدة له مشهورة يفتخر بآبائه ويهجو جريراً.

وقد جاء جزء منها في شواهد المغني ص ٣، وصدره: أخذنا بأطراف السماء عليكم.

هذه الآية إنَّهُمْ مُنِعُوا رَوْح التَّأَسِّي لأن التَّأسِّي يُسَهِّلُ المصيبة، فاعلموا أنَ لَنْ يَنْفَعَهم الاشْتراكُ في العَذاب وان اللّه -عزوجل-لا يجعل فيه أُسْوةً، قال وأنشدني في المعنى للخنساء(١):

ولولا كثرة الباكين حولي — على إخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وما يبكون مثل أخي ولكن — أعزي النفس عنه بالتَّأَسِّي

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ، أَوْ نُرِيَنَّكَ ﴾.

دخل «ما» توكيداً للشرط والنون الثقيلة في قوله: ﴿نَذْهَبَنَّ﴾ دَخلتْ أيضاً توكيداً، وإذا دَخَلَتْ «ما» دخلت معها النون كما تَدْخُل مع لام القَسَم، والمعنى إنا نَنْتَقِمُ مِنْهُم إنْ توفِّيتَ أو نريك ما وعدناهم وَوَعَدْنَاكَ فِيهِمْ من النَّصْر، فقد أراه اللّه ـ عز وجل ـ ما وَعَدَهُ فيهِمْ وَوَعَدَهُمْ مِنْ إهْلاَكِهِمْ إن كذَّبوا. وقد قيل إنه كانت بعد رسول اللّه ﷺ أشياء لم يُحْبِبِ اللّه أَنْ يُرِيَه إياها.

وقوله عز وجل:﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾.

يريدُ أن العذابَ شرفٌ لك ولقومك(٢).

وقوله:﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

معناه سوف تسألون عن شِكر ما جعله اللّه لكم من الشرف.

وقوله: ﴿واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

في هذه المسألة ثلاثَةُ أَوْجُهٍ جاء في التفسير أن النبي ﷺ ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأمهم وصلى بهم، وقيل له: سَلْهُمْ فلم

(١) من رثائها أخاها صخرا ـ انظر شواهد الكشاف ص ٦٤، والديوان ص ٣٧.

(٢) عذاب أعدائه وهزيمتهم دليل على صدق الاسلام، والأولى أن يكون الضمير عائداً على القرآن، لأن الآية السابقة هي: ﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك...﴾.

يشكك عليه السلام ولم يَسَلْ، ووجه ثانٍ وهو الذي أختاره، وهو أنَّ المعْنَى سل أُمَمَ من أَرْسَلْنَا من قبلك من رُسْلِنَا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدونَ، ويكون معنى السؤال ههنا على جهة التقرير كما قال: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[1] فليس يَسْأَلُهمْ ههنا عَمَّنْ خَلَقَهُمْ إلا على جهةِ التقرير وكذلك إذا سأل جميع أمم الأنبياء لم يأتوا بأنَّ في كتُبِهِمْ أن اعبدوا غيري.

ووجه ثالث يكون المعنى في خطاب النبي ﷺ معناه مخاطبة الأمَّة، كأنه قال: واسألوا، والدليل على أنَّ مخاطبة النبي ﷺ قد يدخل فيها خطاب الأمة قوله: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[2].

وقوله: ﴿يا أَيُّها السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا [لمهتدون]﴾.

إن قال قائل: كيف يقولون لموسى عليه السلام يا أَيُّها الساحر وهم يزعمون أنهم مهتدون. فالجواب أنهم خاطبوه بما تقدم له عندهم من التسمية بالسِّحر، ومعنى بما عَهِدَ عنْدَكَ أي بماعهد عندك فيمَنْ آمن به مِنْ كشف العذاب عنه[3]، الدليل على ذلك قوله: ﴿فَلما كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾.

أي إذا هم ينقُضون عَهْدَهُمْ.

وقوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾.

«مصر» ههنايعنى بها مدينة مصر المعروفة، فمصر مذكر سُمِّيَ بِهِ مؤنث لأن المدينة الغالب عليها التأنيث، وَقَدْ يَجُوزُ مَلكُ مِصْرٍ، يذهب به إلى أن مصر اسم لبلد، وهذا فيه بُعْدٌ من قِبَلِ أن أكثر ما يستعمل البلد لما يضم مدناً

(١) سورة الزخرف الآية ٨٧.

(٢) أول سورة الطلاق.

(٣) عهد اللّه إليه أن يكشف العذاب عمن آمن به. فهم يطلبون أن يشكف عنهم العذاب ثم يؤمنون بعد كشفه.

كبيرةٌ نحو بلاد الرُّوم وبلاد الشام وبلد خراسان. ويجوز أن تصرف مصراً إذا جعلته اسماً لبلد عند جميع النحويين من البصريين.

وقوله عز وجل: ﴿أَفَلاَ تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾.

قال سيبويه والخليل عطف «أَنَا» بأم على قوله ﴿أفلا تبْصِرُونَ﴾ لأن معنى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾ معناه أمْ تُبْصِرُونَ، كأنه قال: أَفَلَا تبصرون أمْ تُبصِرُونَ، قال لأنهم إذَا قالوا أنت خير منه فقد صاروا عنده بُصَرَاءَ، فكأنّه قال أفلا تبْصِرُونَ أم أنتم بُصَرَاءُ.

وَمَعْنَى ﴿مَهِين﴾: قليل.

يقال شَيءٌ مَهِينٌ أَي قَلِيلٌ، وهو فعيل من المهانة.

وقوله: ﴿وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾.

قال ذلك لأنه كانت في لسان موسى عليه السلام لثغة، والأنبياء - صلوات الله عليهم - أجمعون مُبَيِّنُونَ بُلَغَاءُ.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الملائكة مقترنين﴾.

كأنه لما وَصَفَ نفسه بالمُلْكِ والرِّيَاسَةِ قال: هَلَّا جاء مُوسَى بشيء يُلْقَى عليه فيكون ذلك أَسْوِرَةً مِنْ ذَهَبٍ تدل على أنها من عند إلٰهه الذي يدعوكم إلى توحيده، أو هلَّا جاء معه الملائكةُ مقترنين أي يمشون معه فيَدُلُّونَ على صحة نُبوَّتِهِ، وقد أتى موسى عليه السلام من الآيات بما فيه دلالةٌ على تثبيت النُّبُوَّة، وليس للذين يرسل إليهم الأنبياءُ أَنْ يَقْتَرِحُوا من الآيات ما يريدون هم.

وتقرأ أساوِرَةٌ مِنْ ذَهبٍ، ويصلح أن يكون جمعَ الجمعِ تقول أَسْوِرَة وَأَسَاوِرَة، كما تقول: أقوال وأقاويل ويجوز أن يكون جَمعَ إسْوار وأساورة،

وإنما صَرَفْتَ أساورة لأنك ضَمَمْتَ الهاء إلى أسَاور فصار اسْماً وَاحِداً وصار الاسم له مِثال في الواحد مثل عَلاَنية وعباقية.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾.

معنى ﴿آسفونا﴾ أغضبونا.

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾.

جعلناهم سلَفاً مُتَقَدِّمِينَ ليتَعِظَ بهم الآخرون، ويُقْرأُ سُلُفاً - بضم السين واللام، ويُقرأُ سُلَفاً - بضم السين وفتح اللام -. فمن قال سُلُفاً - بضمتين - فهو جمع سَلِيف، أي جميع قد مضى، ومن قرأ سُلَفاً فهو جمع سُلْفَة أي فرقة قد مَضَتْ.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾.

ويقرأ يَصُدُّون - بضم الصاد - والكسر أكثر ومعناهما جميعاً يضجُّونَ ويجوز أن يكون معنى المضمومة يُعْرِضُونَ.

وجاء في التفسير أن كُفَّارَ قريش خاصمت النبي ﷺ فلما قيل لهم: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ قالوا[1] قد رضينا أن تكون آلهتُنا بمنزله عيسى بن مريم والملائكةِ الذين عُبِدوا من دون اللَّه[2]. فهذا معنى ضَرْبِ عيسى المثل.

وقوله: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً﴾.

أي طلباً للمجادلة لأنهم قد علموا أن المعنى في حصب جهنم ههنا أنه يعني به الأصنام وهم.

---

(١) في الأصل فقالوا، والآية في سورة الأنبياء رقم ٩٨.

(٢) أي حيث عبد هؤلاء.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

يعني به عيسى بن مريم، ومعنى ﴿جعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾ أنه يدلهم على نبوته.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾.

معنى ﴿يخلفون﴾ يخلف بعضهم بعضاً، والمعنى لجعلنا منهم بَدَلاً منكم.

﴿وإنه لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾.

ويقرأ لَعَلَمٌ للسَّاعةِ، المعنى أنّ ظهورَ عيسى بن مريم عليه السلام لَعَلَمٌ للسَّاعَةِ، أي إذا ظهر دَلَّ على مجيء الساعة، وقد قيل إنه يعني به أن القرآن العلم للساعة يدل على قرب مجيئها، والدليل على ذلك قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾. والأول أكثر في التفسير.

وقوله: ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: أي لا تَشُكُّنَّ فيها.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾.

قوله جاء بالحكمة أي بالانجيل وبالبينات أي الآيات التي يعجز عنها المخلوقون، وقالوا في معنى ﴿بَعْضَ الَّذي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي كل الذي يختلفون فيه[1] واستشهدوا بقول لبيد:

---

(١) لم يقل هذا غير أبي عبيدة في مجازه. وقد سبق هذا في تفسير الآية ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾. وصدر البيت:

تراك أمكنة إذا لم أرضها

وهو من معلقة لبيد. وانظر المجاز ص ٩٤ جـ ١ وص ٢٠٥ جـ ٢. ولم يوافق أحد أبا عبيدة فيما قال. وتقدم هذا في جـ ١.

او تخترم بعض النفوس حمامُها.

يـريد كـل النفوس، واستشهـدوا أيضاً بقـول القطامي:

قـد يـدرك المتأني بعض حاجته[1].

قالوا معناه كلُّ حاجته. وهـذا مذهب أبي عبيـدة، والصحيح أن البعض لا يكـون في معنى الكل، وهـذا ليس في الكلام، والـذي جـاء بـه عيسى في الانجيـل إنمـا هـو بعض الـذي اختلفـوا فيه، وبين اللَّه سبحـانـه لهم من غيـر الانجيل ما احتاجوا إليه، وكذلك قوله: أو يخترم بعض النفوس حمامهـا، إنما يعني نفسه، ونفسه بعض النفوس.

وقوله عز وجل:﴿فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾.

﴿الأحزاب﴾ قيل إنهم الأربعة الذين كانـوا بعد عيسى، يعني بـه اليهـود والنصارى.

وقوله:﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾.

جاء في التفسير عن النبي ﷺ أنه قال: الأَخِـلَّاءُ أَرْبَعَةٌ مؤمنـان وكافـران فمات أَحَدُ المؤمِنَيْنِ فَسُئِلَ عن خليله فقال ما علمته إلَّا أمَّـاراً بالمعـروف نهَّاءً عن المنكر، اللهم اهده كما هَدَيْتَنِي، وأَمِتْه على مَا أَمَتَّني عليه، وسئل الكـافر عن خليله فقال: ما علمته إلَّا أمَّاراً بـالمنكر نهـاء عن المعروف، اللهم أضلله كما أضللتني، وأَمِتْـهُ على ما أَمتّني عليه، فإذا كان يوم القيامـة أَثنى كل واحـد على صاحبه شَرًّا.

---

(١) عجزه: وقد يكون مع المستعجل الزلل.
من قصيدته التي أولها: إنا محيوك فاسلم أيها الطلل.
انظر شواهد المغني ٢٢٣. وشواهد الكشاف ٩١.

قوله: ﴿يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

وتقرأ يا عبادي ـ بإثبات الياء، وقد فسرنا حذف الياء وإثباتها في مثل هذا فيما سلف من الكتاب.

وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

«الذين» في موضع نصب على النعت لِعِبَادِي، لأن عبادي منادى مضاف، وإنما قيل ﴿لاَ خَوْفٌ عليكم اليوم﴾ للمؤمنين لا لغيرهم، وكذلك ﴿ادْخُلوا الجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ يعني يا عبادي المؤمنين ادخلوا الجنة.

وقوله: ﴿أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾.

﴿تحبرون﴾ تكرمون إكراماً يبالغ فيه، والحَبْرَةُ المبالغة فيما وصف بجميل.

وقوله: ﴿بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وأكوابٍ﴾.

«الصحاف» واحدها صَحْفَة وهي القصعة، والأكواب واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له.

وقوله: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الأَنْفُسُ﴾.

وقرئت ﴿تشتهيه الأَنفسُ﴾ بإثبات الهاء، وأكثر المصاحف بغيرها، وفي بعضها الهاء.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.

المبلس: الساكتُ المُمْسِكُ إمساك يائِسٍ من فَرَجٍ.

وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.

«هِمْ» ههنا فصل كذا يسميها البصريون، وهي تأتي دليلاً على أن ما

بعدها ليس بصفة لما قبلها، وأن المتكلم يأتي بخبر الأول. ويسميها الكوفيون العِمَاد. وهي عِندَ البصريينِ لا موضع لها في رفع ولا نصب ولاَ جَرٍّ، ويزعَمُون أنها بمنزلة «ما» في قوله سبحانه:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لهم﴾[1] وقد فسرتُ ما في هذا فيما تقدم من الكتاب ويجوز «ولكن كانوا هم الظَّالِمُونَ» في غير القرآن، ولكن لا تقرأن بها لأنها تُخَالِفُ المُصْحَفَ.

وقوله عز وجل:﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

وقد رُوِيَتْ يَا مَالِ ـ بغير كاف، وبكسْرِ اللام ـ وهذا يسميه النَّحوِيُّونَ الترَخيم، وهو كثير في الشِّعْر في مالك وعامر ولكنني أَكْرَهُهُمَا لمخالفتهما المصحف.

وقوله عز وجل:﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فإنا مُبْرِمُونَ﴾.

أي أم أحكموا عند أنْفُسِهِمْ أمراً من كيد أو شَرٍّ فَإنا مُبْرِمُونَ.

مُحْكِمُونَ مُجَازَاتَهم كيداً بكيدِهِمْ، وشَرًّا بِشَرِّهِمْ.

وقوله:﴿قُلْ إنْ كَانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾.

معناه إن كنتم تزعمون أن للرحمن وَلَداً فأنا أول المُوَحِّدِينَ لأن من عبد اللَّه ـ عز وجل ـ واعترف بأنه إلٰهه فقد دفع أن يكون له وَلَدٌ. والمعنى إن كان للرحمن ولد في قولكم، كما قال: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كنتم تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾[2] أي في قولكم. واللَّه واحد لا شريك له. وقد قيل إنَّ «إنْ» في هذا الموضع في موضع «ما» المعنى ما كان للرحمن وَلَد، ﴿فأنا أَوَّلُ العَابِدِينَ﴾، وقد قيل إن العابدين في معنى الآنفين، فأنا أول من يأنف من هذا القول.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٢) سورة النحل ٢٧.

وقوله عز وجل:﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وفي الأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾.

المعنى هـو الموحَّـدُ في السماء وفي الأَرْضِ، وقـرئت «في السَّماءِ اللَّهُ وَفِي الأَرْضِ اللَّهُ». ويـدل ما خلق بَيْنَهُمـا وفيهما أَنـه وَاحِدٌ حكيم عليم، لأن خلقُهما يدل على الحِكْمَةِ والعِلْمِ.

وقوله:﴿وَقِيلَهُ: يَا رَبِّ إِنَّ هُؤُلَاءِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ويُقْرَأُ ﴿وقِيلِهِ﴾، وقيلُه يا ربُّ، فيها ثلاثة أوجه، والخفض على مَعْنَى ﴿وعنده علم الساعة﴾ وعلمُ قِيلِه يَـا رَبُّ والنصب من ثـلاثـة أوجـه، قـال أبـو الحسن الأخفش إنه منصوب من جهتين إحداهما على العطف على قولـه:﴿أَمْ يَحْسَبُون أنا لا نسمع سِرَّهُم وَنَجْواهم﴾وقيلَهُ، أي ونسمع قيله. ويكون على وقال قيله.

قـال أبو إسحـاق: والَّذي أختـاره أنـا أن يكـون «قيلَه» نصْبـاً على مَعْنَى وعنده علم الساعة ويعلمُ قيلَهُ، فيكون المعنى انـه يعلم الغيب ويعلم قيله، لأنَّ معنى عنده علم الساعة يعلم الساعة ويعلم قيله. ومعنى الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامَةُ.

والرفع على معنى وقيلُه هذا القول، أي وقيله قوله ﴿يا ربّ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾.

سُورَةُ الدُّخَان
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

جاء في التفسير: من قرأ سورة الدخان في ليلة الجمعة تصديقاً وإيماناً غفر اللَّه له.

وقد فسرنا معنى ﴿حٰم﴾ فيما سَلَفَ.

وقوله: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ قسمٌ.

وقوله:﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها ليلة القدر، قال اللَّه ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّا أنزلنا في ليلة القدر﴾، وقال المفسِّرُون: في ليلة مباركة هي ليلة القدر.

نزل جملة إلى السَّماءِ الدُّنْيَا في ليلة القَدْرِ، ثم نزل عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ شيئاً بعد شيء.

وقوله عز وجل: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

يَفْرُق اللَّه عز وجل في ليلة القدر كل أمر فيه حكمة من أرزاقِ العِبادِ وآجالِهِمْ وجميع أَمْرِهم الذي يكون مُؤَجَّلاً إلى ليلة القدر التي تكون في السنة المقبلة.

وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا﴾، وقوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾.

منصوبان ـ قال الأخفش ـ على الحال، المعنى إنا أنزلناه آمرين أَمْراً وراحمين رَحْمةً. ويجوز أن يكون منصوباً بِيُفْرَقُ بمنزلة يفرُقُ فرقاً لأن أَمْراً بمعنى فَرْقاً، لأن المعْنَى يؤتمر فيها أمراً.

ويجوز أن يكون﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾مَفْعُولاً له، [أي] إنا أنزلناه رحمةً أي للرَّحْمَةِ.

وقوله:﴿ ربِّ السَّمواتِ والأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾.

بالخفض والرَّفع. فالرفعُ عَلَى الصِّفَةِ، والخفض على قوله: مِنْ رَبِّكَ رَبِّ السَّمَواتِ، ومن رفع فعلى قوله: انه هو السميع العليم ربُّ السَّمواتِ، وإن شئت على الاستئناف على معنى هو رب السموات.

وقوله:﴿لَا إِلٰه إلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ﴾.

ويقرأ ﴿رَبِّكُمْ وَرَبِّ آبائِكم الأَوَّلِينَ﴾: ـ فالخفض على معنى رحمة من ربك رَبِّكم وربِّ آبائكم الأولين.

وقوله:﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ يَغْشَى النَّاسَ﴾.

﴿فارتقب﴾ فانتظر، وفي أكثر التفسير أن الدخان قَدْ مَضَى وذلك حين دعا رسول اللَّه ﷺ عَلَى مُضَرٍ فقال: اللهم اشدد وطأتك على مُضَرٍ واجْعَلْها عَلَيْهِم سِنِينَ كسني يُوسُفَ، أي اجْعَلْهُم سِنُوهم(١) في الجدب كسني يوسف، والعَرَبُ أيضاً تسمي الجدبِ السَّنَةَ، فيكونُ المْعَنى اجعلها عليهم جَدُوباً. فارتفع القَطْرُ، وأجْدَبَتِ الأرضُ وصار بين السماء والأرض كالدُّخَانِ.

وقوله: ﴿هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،

---

(١) في الأصل سنيهم. على أنها بدل.

المعنى يقول الناسُ الذين يحل بهم الجَدْبُ: ﴿هذا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وكذلك قوله: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا العَذَابِ﴾.

وقوله - عز وجل -: ﴿إِنَّا كَاشِفُو العَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾.

ويجوز أَنَّكُمْ عَائِدُونَ. فمن قرأ أَنَّكُمْ عـائدونَ فهـو الوجـه، والمعنى انه يعلمهم أنهم لا يتّعِظُونَ، وأنهم إذَا زال عنهم المكروه عادوا في طُغْيانِهم.

وقوله - عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ [البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ]﴾.

يوم نَبْطِش، وَنَبْطُش إنَّا منتقمُونَ.

هذا مثل عَكَفَ يَعكُف وَيَعْكِفُ، وعَرَشَ يَعْرِشُ وَيَعْـرُشُ وهذا في اللغـة كثير. وقيل إنَّ البـطشة الكبـرى يوم بَـدْر. و «يومَ» لا يجـوز أن يكون منصُـوباً بقوله مُنْتَقِمُونَ، لأن ما بَعْـدَ إنَّا لا يجـوز أن يعمل فيمـا قبلَها، ولكنـه مَنْصُوبٌ بقوله: واذكر يوم نبطش البطشة الكبرى.

وقوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَـوْمَ فِرْعَوْنَ﴾.

وَمَعْنَى: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيّ عِبَادَ اللَّه﴾.

أن أسلموا إليَّ عباد اللَّه، يعني بني إسرائيل كما قال: ﴿فأرسل معنا بني إسْرائيل وَلَا تعذِّبْهُمْ﴾(١)، أي أطلقهم من عَذَابِكَ(٢). وجائز أن يكون عباد اللَّه مَنصُوباً على النداء، فيكون المعنى أن أدوا إليَّ ما أمركم اللَّه به يا عباد اللَّه.

﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

أي بِحِجَّةٍ وَاضحةٍ بَيِّنَةٍ تَدل على أني نبي.

وقوله: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمونِ﴾.

أي أن تقتلون.

---

(١) سورة طه: آية ٤٧.
(٢) عباد الله على هذا مفعول به.

وقوله:﴿وَإنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فاعتزلونِ﴾.

أي إن لم تؤمنوا لي فلا تكونوا عليَّ ولا مَعِي.

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾.

من كسر إنَّ فالمعنى قال إن هؤلاء، وَ «إنَّ» بعد القول مكسورة. ويجوز الفتح على معنى فدعا ربّه بأن هؤلاء.

وقوله:﴿واتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً﴾.

جاء في التفسير «يَبَساً» كما قال: ﴿فاضربْ لهم طريقاً في البحر يبساً﴾[1] وقال أهل اللغة: رَهواً سَاكِناً.

وقوله:﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ﴾.

جـاء فـي التفسيـر أن المقـام الكريم يعنى بـه المنابـر ههنا، وجاء في مَقامٍ كريمٍ أي في منازل حسنة.

قوله:﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ﴾.

المعنى الأمر كذلك. موضع كذلك رفع على خبر الابتداء المضمَر.

وقوله عز وجل:﴿فَمَا بَكَتِ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأرْضُ﴾.

لأنهم مـاتوا كفـاراً، والمؤمنون إذَا مَـاتُوا تبكي عليهم السمـاء والأرض، فتبكي على المؤمن الأرض مُصَلَّاه أي مكان مُصَـلاهُ ومن السماء مكـان مصعد عمله ومنـزل رزقـه، وجـاء في التفسيـر أن الأرض تبكي على المؤمن أربعين صَبَاحاً.

وقوله:﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾.

---

(١) سورة طه الآية ٧٧.

أي ما كانوا مؤخرين بالعذاب.

﴿وَلَقَد اخْتَرنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.

أي على عالمي دهرِهم.

وقوله:﴿إنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ: إنْ هِيَ إلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِين﴾.

هـذا قالـه الكفار من قـريش، معنى «إن هي» مـا هي، ومعنى بِمُنْشَرِينَ بمبعوثين، يقال أنشر اللَّه الموتى ونشروا هم.

وقوله عز وجل: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾.

جاء في التفسير أن تُبَّعاً كان مؤمناً، وأن قومه كانـوا كافـرين، وجاء أنـه نظر إلى كتاب على قبرين بناحية حمير، على قبر أحدهمـا: هذا قبـر رَضْوَى، وعلى الآخر هذا قبر حُبيَّ ابْنتي تُبَّعٍ لا يشركان باللَّه شيئاً.

وقوله عز وجل:﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إلاَّ بِالحَقِّ﴾.

يعنى به السموات والأرض أي إلاّ لإقامة الحق.

وقوله عز وجل:﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ويجوز ميقاتهم بنصب التـاء، ولا أعلم أنه قـرئ بها، فـلا تقرأن بهـا. فمن قرأ ميقاتهم بالرفع جعل يوم الفصل اسم إنَّ، وجعل ميقاتهم الخبر، ومن نصب ميقاتهم جعله اسم إنَّ ونصب يوم الفصل على الظرف، ويكـون المعنى ميقاتهم في يوم الفصل.

وقوله عز وجل:﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلَىً عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾.

لا يغني ولي عن وَلِيِّهِ شيئاً، ولا والد عن ولده، ولا مَوْلُودٌ عن وَالِدِه.

وقوله:﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾.

يعنى به(١) ههنا أبو جهل بن هشام. والمهل نُرديّ الزَّيْتِ ويقال: المهمل ما كان ذائباً من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك.

وقوله: ﴿خذوه فَاعْتِلُوهُ﴾.

ويقرأ فاعْتُلوه ـ بضم التاء وكسرها. المعنى يا أيها الملائكة خذوه فاعتلوه. والعَتْلُ أن يؤخذ فيمْضَى به بِعَسْفٍ وَشِدَّةٍ.

﴿إلى سَوَاءِ الجَحِيم﴾: إلى وَسَطِ الجَحِيمِ.

وقوله: ﴿ذُقْ إنَّك أنت العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾.

الناس كلهم على كسر «إنَّكَ» إلا الكسائي وحده فإنه قرأ: ذق أَنَّكَ أنت، أي لأَنَّكَ قُلْتَ إنَّك أنت العزيز الكريم، وذلك أنه كان يقول: أنا أعز أهل هذا الوادي وَأَمْنَعُهمُ فقال اللَّه عز وجل ذق هذا العذابَ إنَّك أنت القائل: أنا العزيز الكريم.

وقوله: ﴿إنَّ المُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾.

أي قد أمنوا فيه الغِيَرَ.

وقوله: ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وإسْتبْرَقٍ مُتَقَابِلِين﴾.

قيل الاستبرق الديباج الصَّفيقُ، والسندس الحرير، وإنما قيل له استبرق ـ واللَّه أعلم ـ لشدة بريقه.

وقوله عز وجل: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا المَوْتَ إلاَّ المَوْتَةَ الأُولَى﴾.

المعنى لا يذوقون فيها الموت البتة سوى الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا، وهما كما قال: ﴿وَلاَ تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ من النِّساء إلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾(٢).

---

(١) بالأثيم.

(٢) سورة النساء الآية ٢٢.

وقوله عز وجل: ﴿فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ﴾.

ويجوز «فَضْلٌ مِنْ رَبِّكَ»، ولا يقرأن بها لخلاف المصحف، والنَّصْبُ على معنى قوله ﴿يدعونَ فيها بكل فاكهة آمنين﴾، وعلى معنى ﴿إنّ المتقين في مقام أمين﴾ وذلك بفضل من اللَّه، فالمعنى فعَل اللَّه بهم ذلك فضلاً منه، وتفضلاً منه.

وقوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾.

معناه فانتظر إنهم منتظرون.

سورة الجاثية
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿إِنَّ فِي السَّمواتِ والأَرْضِ لآيَاتٍ للمُؤْمِنِينَ﴾.

المعنى ـ والله أعلم ـ إن في خلق السموات والأرض لآياتٍ ويدل عليه قوله:﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ﴾.

يقرأ آياتٍ وآياتٌ بخفض التاء ورفعها وهي في موضع نصب على النَّسَق على قوله: ﴿إِنَّ فِي السّموات والأَرْضِ لآياتٍ﴾.

المعنى أن في خَلْقِكم لآيـات، ومن قرأ لآياتٌ فعلى ضربين، على الاستئناف على معنى وفي خلقكم آياتٌ، وعلى موضع أن مع ما عملت فيه، تقول: إنّ زيداً قائمٌ وَعَمْراً وعَمْرٌ. فتعطف بعَمْرٍو على زيد إذا نَصَبْتَ، وإذَا رفعت فعلى موضع إنَّ مع زيدٍ، فإنَّ مَعْنَى إنَّ زَيداً قائم زيدٌ قائم.

وقوله:﴿وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ إلى قوله:﴿آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

يقرأ بالرفع وبكسر التاء والتنوين، والموضع موضعُ نَصْبٍ ويكون قوله: ﴿واخْتِلَافِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ﴾ عطف على قوله: ﴿وفي خلقكم﴾، وعلى قوله:

﴿إن في السموات والأرض﴾، وإن في ﴿اختلاف الليل والنهار﴾ آياتٍ، وهذا عطف عَلَى عَامِلَيْن ومثله من الشعر:[1]

أكـل امـــرئ تـحـســبـيــن امــرَأ   ونــار تــوقــد بــالـلَّـيْــل نــاراً

عطف على ما عملت فيه كل، وما عملت فيه أتحسبين. وقد أباهُ بعض النحويين، وقالوا: لا يجوز إلا الرفع في قوله: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آياتٌ﴾ وجعله عطفاً على عامل واحد على معنى واختلاف الليل والنهار وتصريف الرياح آياتٌ، وهذا أيضاً عطف على عاملين لأنه يَرْفَعُ آياتٍ على العطف على ما قبلها كما خفض «واختلافَ» على العطف على ما قبلها. ويكون معطوفاً إن شئت على موضع أنَّ وَمَا عَمِلتْ فيه، وإن شئت على قراءة من قرأ: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ﴾.

وقوله عز وجل: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾.

وتؤمنون جميعاً، والمعنى - والله أعلم - فبأي حديث بعد كتاب الله وآياته يؤمنون. قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحديثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ﴾[2] فجعل القرآن أحسن الحديث.

وقوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾.

﴿أفاك﴾ كذاب.

وقوله: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وهُدًى وَرَحمةٌ﴾.

---

(١) ينسب لابي داود جويرية بن الحجاج، والى جارية بن حمـ ، الحذافي، والى عدي بن زيد وأول القصيدة:

ودار يقول لها الرائدون   ويلم ار الحذافي دارا

انظر شواهد المغني ٢٣٩، والخزانة ٤/٣٩٤، والكامل ١ ١٦٩ (التجارية) وشواهد الكشاف - وهو من شواهد النحو الشائعة في معظم كتبه.

(٢) سورة الزمر /٢٣.

﴿هذا﴾ إشارة إلى القرآن، المعنى هذا القرآن بصائر للناس.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَات أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾.

ويقرأ ﴿سواءً مَحْياهُمْ ومَماتُهُمْ﴾، وقد قرئت سواءً مَحْياهم وَمماتَهُمْ بنصب الممات. وحكى بعض النحويين أن ذلك جائز في العربية. ومعنى اجترحوا اكتسبوا، ويقال: فلانٌ جَارِحةُ أهله أي كاسبهم، والاختيار عند سيبويه والخليل وجميع البصريين سواء برفع سواء، وعليه اكثر القراء، ويجيزون النصب، وتقول: ظننت زيداً سواءٌ أبوه وأمُّه، وسواءٌ أبوه وأُمُّه. والرفع أجود، لأن سواء في مذهب المصدر كما تقول: ظننت زيداً ذو استواء أبوه وأمه، ومن قرأ سواءً بالنصب جعله في موضع مستوياً محياهم وَمَمَاتُهُمْ ومن نصب محياهم ومماتهم، فهو عند قوم من النحويين سواء في محياهم وفي مماتهم، ويذهب به مذهب الأوقات، وهو يجوز على غير ذلك على أن يجعله بدلاً من الهاء والميم، ويكون المعنى أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعل محياهم ومماتهم سواءً كالذين آمنوا وعملوا الصالحات، أي كمحيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومَمَاتهم.

وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾.

وقد رويت آلِهَةً هَوَاهُ، ولها وجه في التفسير وروي أن قريشاً كانت تعبد العُزَّى وهي حجر أبيض فإذا رأت حجراً أشد بياضاً منه وأحسن اتخذت ذلك الأحسن واطَّرَحت الأوَّلَ، فهذا يدل على آلهته، وكذلك أيضاً إلهه.

وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّه عِلى عِلْمٍ﴾.

أي على ما سبق في علمه قبل أن يخلقه أنه ضال.

﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾.

ويقرأ عَشْوة بفتح العَيْن بغير ألف، ويقرأ غُشَاوَةَ - بضم العين والألف.

وقوله:﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾.

فإن قال قائل: كيف قالوا نموت ونحيا وهم لا يقرون بالبعث، فالدليل على أنهم لا يقرون بالبعث قولهم ما هِيَ إلَّا حياتنا، وفي نموت ونحيا ثلاثة أقوال.

يكون المعنى نموت ونحيا، يحيا أولادُنا، فيموت قوم ويحيا قوم، ويكون معنى ﴿نموت ونحيا﴾ نحيا ونموت، لأن الواو للاجتماع، وليس فيها دليل على أن أحد الشيئين قبل الآخر. ويكون ﴿نموت ونحيا وما يهلكنا إلَّا الدَّهر﴾ أي ابتداؤنا موات في أصل الخلقة، ثم نحيا ثم يهلكنا الدَّهْرُ.

فَأَعْلَمَ اللَّه - عز وجل - أَنَّهم يَقولُونَ ذلك ضُلَّالاً، شَاكِّين فقال:

﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

المعنى ما هم إلَّا يظنون.

وقوله - عز وجل - : ﴿ما كان حُجَّتَهم إلَّا أَنْ قَالُوا﴾.

يجوز في حُجَّتِهِمْ الرفْعُ، فمن رفع جعل حجتهم اسم كان و﴿أَنْ قَالُوا﴾ خبر كان. ومن نصب حجتهم جعل اسم كان أَنْ مَعَ صِلَتِها، ويكون المعنى ما كان حجتهم إلَّا مَقَالَتَهم ائتوا بآبائنا.

وقوله عز وجل:﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً. كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾.

اي كل أحد يُجزى بما تضمنه كتابه، كما قال عز وجل:﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ

أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. اقْرأْ كِتَابَكَ﴾[1].

فهذا مثل قوله: ﴿كلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إلى كِتَابِهَا﴾.

رفع «كل» بالابتداء، والخبر «تُدْعى إلى كتابها»، ومن نصب جعله بـدلاً من «كُلَّ» الأول، والمعنى وترى كل أمة تدعى إلى كتابها، ومعنى «جاثية» جالسة على الركب، يقال قد جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبته، ومثله جَذا يجذو[2]، والجُذُوّ أَشدُّ استيفـازاً[3] من الجثو لأن الجـذو أن يجلس صاحبـه على أطراف أصابعه.

وقوله:﴿إنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخ مَا كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾ .

الاسْتِنْسَـاخُ لا يكون إلاَّ من أَصْـلٍ ، وهو أن يستنسـخ كتابـاً من كتابٍ، فنستنسخَ ما يكتب الحفظة ويثبت عند اللَّه ـ عز وجل ـ.

وقوله:﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾.

جـواب أما محـذوف، لأن في الكلام دليـلاً عليـه، المعنى وأمـا الـذين كفـروا فيقال لهم: ألم تكن آيـاتي تتلى عليكم، ودلت الفاء في قـولـه «أفلم» على الفاء المحذوفة في قولك فيقال لهم.

وقوله عز وجل:﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ والسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا﴾.

والسَّـاعَةَ، فمن نصب فَعَـطفٌ على الوعـد، المعنى: وإذا قيل ان وَعْـدَ اللَّه حق وَأن الساعة، ومن رفع فعلى معنى وقيل الساعة لا ريب فيها.

---

(١) سورة الاسراء /١٣ و١٤.

(٢) جذا يجذو جَذْوا، وجُذُوًّا، وأجْذى، ثبت قائماً، وجثا، وقام على أطراف أصابعه.

(٣) من الوفز وهو العجلة، واستوفز في قعدتـه انتصب غير مـطمئن أو وضع ركبتيـه ورفع إليتيـه، أو استقل على رجليه ولما يستو قائماً، وقد تهيأ للوثوب.

وقوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ اليَوْمَ نَنْسَاكُم، كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ﴾.

أي اليوم نترككم في العذاب، كما تركتم الايمان والعمل ليومكم.

والدليل على ذلك قوله:

﴿فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْها﴾ ويَجوز لا يَخْرُجُون منها.

﴿ولا هم يُسْتَعْتَبُون﴾:

لا يردون ولا يلتمس منهم عملٌ وَلاَ طَاعةٌ.

وقوله: ﴿وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ في السَّمواتِ والأَرْضِ﴾.

أي له العظمة في السموات والأرض.

وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾(١).

ويقرأ مِنَّةً. ﴿جميعاً﴾ منصوب على الحال، والمعنى كل ذلك منه تفضُّل وإحسان. ومِنَّة على معنى المفعول له، والمعنى فعل ذلك مِنَّةً، أي مَنَّ مِنَّةً، لأن تسخيره بمعنى مَنَّ عليكم(٢).

---

(١) كما هو واضح. موضع هذه الآية قبل ذلك، وسبق أن الزجاج يؤخر أحياناً بعض الآيات عن موضعها.

(٢) على هذا التقدير تكون منه مفعولاً مطلقاً ـ لا مفعولاً لأجله ولكن هذه طريقة الزجاج في شرح المفعول له. كما سبق مراراً.

سورة الأحقاف

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأرْضَ، وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بالحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى﴾:

جاء في التفسير: ما خلقناهما إلاَّ للحق، أي لإقامة الحق، وتكون على معنى ما قامت السموات والأرض إلا بالحق، وقوله بعقب هذا:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عما أُنْذِروا مُعْرِضُونَ﴾.

أي أعرضوا بعد أن قام لهم الدليل بخلق اللَّه السموات والأرض، وما بينهما ثم دعاهم إلى الدليل لهم على بطلان عبادة ما يعبدونَ من الأوثان فقال:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾:

ويقرأ أَرَيْتُمْ بغير ألف.

﴿مَا تَدْعُونَ مِنْ دونِ اللَّهِ﴾:

ما تدعونه إلهاً من دون اللَّه.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ أَمْ لَهُمْ شِركٌ في السَّموَاتِ﴾.

أي في خلق السموات، أي فلذلك أشركتموهم في عبادة اللَّه عز وجل.

﴿إئتُوني بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.

أي ايتوني بِكتابٍ أنزل فيه برهانُ ما تَدَّعُونَ.

﴿أَوْ أَثْرَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾:

ويقرأ أو أثارة من علم، وقرئت أو أَثْرةٍ من علم - بإسكان الثاء - ومعناها إذا قال: أَثارة على معنى عَلاَمةٍ مِنْ عِلْمٍ، ويجوز أن يكون على معنى بقية من علم، ويجوز أن يكون على معنى ما يُؤْثِر من العلم.

وقوله عز وجل: ﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾:

أي من أضل مِمَّنْ عَبَدَ غيرَ اللَّه. وجَمِيعُ مَا خلق اللَّه دليل على وَحْدَانِيَّتِهِ فمن أضل ممن عبد حجراً لا يستجيب له. وقال و«مَنْ» وقال و «هم»[1] وهو لغير ما يعْقِل، لأن الذين عبدوها أَجْرَوْهَا مجرى ما يميز فخوطبوا على مُخَاطَبَاتِهِمْ كما قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلى اللَّهِ زُلْفَى﴾[2]،

ولو كانت «ما» لكان جَيِّداً كما قال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِر﴾[3].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾:

أي كانت الأصْنامُ كَافِرةً بعبادتهم إياها، تقول ما دعوناهم إلى عبادتنا.

وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُه فَلاَ تَملِكُونَ لِي مِن اللَّهِ شَيئاً، هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾:

---

(١) يريد أنه اوقع على الأصنام ضمير العاقل.

(٢) سورة الزمر الآية ٣.

(٣) سورة مريم الآية ٤٢.

أي فَلَسْتُمْ تملكون من اللَّه شيئاً، أيَ اللَّه أملك بعباده.

﴿كَفى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾:

أي كفَى هو شهيداً. وَ «بِهِ» في موضع رفع، وقوله في هذا الموضع:

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾:

معناه أنه مَنْ أَتَى من الكبـائر العِـظَام ما أتيتُمْ بـه من الافتراء على اللَّـه جَلَّ وعز وَعَلا - ثم تاب فإن اللَّه غفورٌ رَحيمٌ له.

وقوله:﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ﴾.

أي ما كنت أول من أُرْسِلَ. قد أرسل قبلي رُسُلٌ كثيرونَ.

وقوله عز وجل:﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي ولا بِكُمْ إنْ أَتَّبِعُ إلَّا مَا يُوحَى إلَيَّ﴾:

كـان رسول اللَّه ﷺ رأى في منـامه أنـه سيصيـر إلى أَرْضٍ ذَاتِ نَخْـلٍ وَشَجـرٍ، وقد شكـا أصحابـه الشدةِ التي نـالتهم فلما أَعْلَمَهُم أنـه سيصيـر إلى أرض ذات نَخْلٍ وَشَجرٍ، وتأخَّر ذَلِكَ استبطأوا ما قال عليـه السلام، فـأعلمهم أن الذي يتَّبِعُهُ ما يُوحَى إليه، إن أمر بِقِتَـالٍ أو انتقالٍ، وكـان ذلك الأَمْـرُ وحياً فَهُوَ مُتَّبِعُهُ، ورؤيا الانبياء عليهم السلام وَحْيٌ.

وقوله:﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ كَانَ مِنْ عِنْـدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِـهِ وَشَهِدَ شَـاهِدٌ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ واسْتَكْبَرْتُم﴾.

جاء في التفسير أن عبد اللَّه بن سلام صار إلى النبي ﷺ فآمن به، وقال لـه: سَلْ اليهـودَ عني فإنَّهُمْ سَيُـزَكُّونَنِي عنـدك ويخبرونـك بمكانِي من العِلْم، فَسـأَلَهُم النبي ﷺ عنه[١] من قبْـل أن يَعْلَمُوا أَنَّـه قَدْ آمن. فـأخبروا عنـه بأنـه أعلمُهُم بالتوراة وبِمَـذْهَبِهِم، وأنه عالم ابن عالم ابن عَـالِم. فآمن بحضـرتِهِم وشهِدَ أن محمداً رسول اللَّه فقالوا بَعْدَ إيمانه أنتَ شرُّنَا وابن شَـرُّنَا. قـال: ألم

(١) في الأصل عليه.

يأتكم في التوراة عن موسى عليه السلام: إذا رأيتم محمداً فاقرئوه السلام مني وآمنوا به، وأَقْبَلَ يَقِفُهُمْ من التوراة على أَمْكنةٍ فيها ذكر النبي ﷺ وصفته، وهم يستكبرون ويجحَدون ويتعمدون ستر ذلك بِأَيْدِيهم(١).

وجواب: ﴿إنْ كان من عند اللَّه وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ أتُؤمِنُونَ.

ثم أعلم أن هؤلاء المعاينين خاصة لاَ يُؤْمِنُونَ، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

أي قد جعل جزاءَهم على كفرهم بعدما تَبَيَّنَ لهم الهُدَى مَدَّهم في الضَّلاَلَةِ.

وَقِيلَ في تفسير قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ عَلَى مثل شهادَةِ عبْد اللَّه بن سَلَامٍ. والأجود - واللَّه أعلم - ان يكون ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ على مثل شهادة النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِين كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾.

جاء في التفسير أنه لما أسلمت جُهَينَةُ ومُزَينَةُ وأسلمُ وغِفَارٌ، قالت بَنُو عَامِرٍ وغطفان وأسد وأشجع: لو كان ما دخل فيه هؤلاء مِنَ الدِّين خيراً ما سبقونا إليه، ونحن أعزُّ مِنْهُمْ، وَإِنَّما هؤلاء رُعَاةُ الْبَهْمِ.

وقوله عز وجل: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾.

﴿إِمَاماً﴾ منصوب على الحال وقوله: ﴿ورحمةً﴾ عطفٌ عَلَيْهِ.

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا﴾.

---

(١) عبدالله بن سلام بن الحرث - أبو يوسف - إسرائيلي من ذرية يوسف الصديق - من بني قينقاع، كان حليفاً لبعض بني الخزرج، وكان اسمه الحصين وسماه النبي عبدالله، روى عنه ابناه يوسف ومحمد وعدد كبير من الصحابة، اسلم أول ما قدم النبي المدينة، وقيل بعد ذلك. وأوصى معاذ بن جبل أن يلتمس العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وابن سلام. ومن أعماله أنه نهى علي بن أبي طالب عن الخروج للعراق، وقال: الزم منبر النبي فإنك إن فارقته

المعنى واللّه أعلم، وهو مصدقٌ لما بين يَدَيْهِ لساناً عَربيًا، لما جاء بعد هذا الموضع.

﴿قالوا يَاقَوْمَنا إنّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لما بين يَدَيْهِ يَهْدِي إلَى الحَقِّ﴾.

وحذف له[1] ههنا أعني من قوله: ﴿وهذا كتابٌ مصدقٌ﴾ لأن قبله ومن قبله كتاب موسى، فالمعنى وهذا كتاب مُصَدِّقٌ له، أي مُصَدِّقٌ التَّوْرَاةَ و﴿لساناً عربياً﴾ منصوبان على الحال. المعنى مصدق لما بين يديه عربياً، وذكر لساناً توكيداً، كما تقول جاءني زيد رجلاً صالحاً، تريد: جاءني زيدٌ صالحاً.

وتذكر رجلاً توكيداً، وفيه وجه آخر، على معنى وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً. المعنى مصدق النبي عليه السلام، فيكون المعنى مصدق ذا لسانٍ عربيٍّ.

وقوله: ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾:

ويقرأ لتنذر الذين ظلموا.

﴿وبُشْرَى لِلمُحْسِنِينَ﴾:

الأجود أن يكون ﴿بشرى﴾ في موضع رفع، المعنى وهو بشرى للمحسنين، ويجوز أن يكون بشرى في موضع نصب على معنى لينذر الذين ظلموا ويُبَشِّرَ المحسنين بُشرى.

وقوله عز وجل: ﴿إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾.

= لا تراه بعد. وناصر عثمان في شدته، ونزل فيه من القرآن: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ و﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ مات سنة ٤٣ هـ. الاصابة ت ٤٧٢٥.

(١) في الأصل: وحذف من ههنا.

معنى ﴿ثم استقاموا﴾ أي أقاموا على توحيد اللّه وشريعة نبيه عليه السلام.

وقوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً﴾:

وتُقْرأُ ﴿إِحْساناً﴾، وكلتاهما جيّد، ونصب إحساناً على المصدر، لأن معنى وصيناه بوالديه أمرناه بأن يحسن اليهما احساناً.

وقوله عز وجل: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّه كُرْهاً﴾:

وَكَرْهاً، وقد قرئ بهما جميعاً. المعنى حملتـه أمه على مشقـة ووضعته على مشَقَّة.

وقوله: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُه ثَلاثُونَ شَهْراً﴾:

وقد قرئت وفصله ثلاثون شَهـراً. ومعنى فِصَالـه فطامُـه. وَأَقَلُّ مـا يكون الحمل لستة أَشْهُر. والاختيار وفصاله، لأن الذي جاء في الحديث: «لا رِضَاعَ بعد الفِصَالِ» يعني بعد الفطام.

وقوله: ﴿حتى إذا بلغ أَشُدَّه وبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾:

جاء في التفسير أن الأشد ثلاث وثلاثون سنة، وقيل الأشد ثَماني عشـرة سـنـة، وقيل الأشد بلوغ الحلم، والأكثر أن يكـون ثلاثـاً وثلاثين، لأن الـوقت الـذي يكمل فيـه الانسانُ في بـدنـه وقـوتـه واستحكـام شبـابـه أن يبلغ بِضْعـاً وثلاثين سنة، وكذلك في تمييزه.

وقوله: ﴿وَأَصْلِحْ لِي في ذُرِّيَتِي﴾.

معناه اجعل ذريَّتِي صالحين.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾.

ويجـوز ﴿أولئك الـذين نَتَقَبَّلُ عنهم أَحْسَنَ مـا عَمِلُوا﴾، فالقِرَاءَةُ يُتَقَبَّـل وَنَتَقَبَّل، وكذلك يُتجاوزُ ونَتجاوزُ، ويَتقبَّلُ جائز، ولاَ أَعْلَمُ أَحداً قرأ بها.

وقوله: ﴿وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

هذا منصوبٌ لأنه مَصْدَرٌ مؤكد لما قبله، لأن قوله: أولئك الذين نَتَقبَّلُ عَنْهُم أحسنَ مَا عَمِلُوا. بمعنى الوعد، لأنه قد وعدهم اللّه القَبُولَ. فوعدُ الصِّدْقِ توكيد لذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾:

وقد قرئت ﴿أُفِّ لكما﴾ وَأُفَّ لكما. وقد فسرنا ذلك في سُورَةِ بني إسرائيل.

وقوله: ﴿أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ﴾.

ويقرأ أَنْ أَخرُجَ، ويجوز أَتَعِدَانِّي بالإِدْغام، وإن شئت أَظْهَرَت النُّونَيْنِ. وإنْ شئت أسكنت الياء، وإن شئت فتحتها. وقد رُوِيَتْ عن بعضهم أَتَعِدانَني - بالفتح. وذلك لحنٌ لا وجه له، فَلاَ تَقْرَأَنَّ به، لأن فتح نُونِ الاثْنَيْنِ خطأ، وإن حُكِيَ ذلكَ في شُذُوذٍ، فلا تحمل القراءة على الشذوذِ.

ويروى أن قوله في الآيةِ التي قبل هذه إلى قولك له: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم﴾ نزلت في أبي بكر رَحْمَةُ اللّه عَلَيْه.

فأما قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا﴾.

فقال بعضهم: إنها نزلت في عبد الرحمن[1] قبل إسلامه، وهذا يبطله قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَق عَلَيْهِمُ القَوْلُ فِي أُممٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ إِنَّهُم كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر - وقد روى عن السيدة عائشة أنها نَفَتْ هذا وقالت ما أنزل اللّه فينا قرآناً - وكان الذي اتهمه بهذا هو مروان بن الحكم حين طلب من أهل المدينة البيعة ليزيد بن معاوية فعارضه عبد اللّه.

فأعلم اللَّه أن هؤلاء قد حقَّتْ عَلَيْهِم كلمة العذاب، وإذا أعلم بذلك فقد أعلم أنهم لا يؤمنون، وعبد الرحمن مؤمن، ومن أفاضل المُؤْمِنِينَ، وسَرَوَاتِهم.

والتّفسير الصّحيح أنها نزلت في الكافر العاق[1].

وقوله عزوجل: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾:

ولنوفيهم جميعاً، بالنون والياء.

وقوله:﴿وَيَوْمَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾.

أكثر القراءة الفتح في النون والتفخيم في النَّارِ[2]، وأكثر كلام العرب على إمالة الألف إلى الكسر، وبها يَقْرأ أَبُو عَمْرٍو «عَلَى النَّارِ» يختار الكسر في الرَّاءِ، لأن الراء عندهم حرف مُكرَّر، فكأن كسرتَه كسرتانِ.

وقوله عز وجل: ﴿أَذْهَبْتُم طَيِّبَاتِكُمْ﴾:

بغير ألف الاستفهام، ويقرأ أَأَذْهَبْتُم - بهمزتين محققتين، وبهمزتين الثانية منهما مخففة، وهذه الألف للتوبيخ، التوبيخ إن شئت أثبت فيه الألف، وإن شئت حذفتها، كما تقول: «يا فلان أحدثت مَا لَا يَحِلُّ لك جَنَيْتَ عَلَى نَفْسِك» إذا وَبّخْتَهُ، وإن شئت: أأخذت مَا لَا يَحِلُّ لَكَ، أجنيت على نفسك.

وقوله عزوجل: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: معناه الهَوَانُ.

وقوله:﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَه بالأَحْقَافِ﴾.

«الأحقاف» رمال مستطيلة مُرْتفعة كالدّكّاوات[3]، وكانت هذه الأحقاف منازلَ عَادٍ.

---

(١) أيّ كافرٍ عاقٍ.

(٢) يريد بدون إمالة الألف.

(٣) جمع دكاء.

وقوله: ﴿وقد خلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْه ومن خلفِهِ ألَّا تعبدوا إلَّا اللَّهِ﴾:

أي قد أنذروا بالعذاب إنْ عَبَدُوا غير اللَّه فيما تَقَدَّمَ قَبْلَ إنْذارِ هُودٍ، وعلى لسان هود عليه السلام.

﴿إنّي أخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم، قالوا أَجِئْتَنَا لتأفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾:

أي لِتَصْرِفنا عنها بالإِفْكِ والكَذِب.

﴿فَأتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾: أي ائتنا بالعذاب الذي تَعِدُنا، ﴿إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾:

﴿قَال إنَّما العِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾: أي هو يعلم متى يأتيكم العَذَابُ ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [إلَيْكُمْ].

ويقرأ بالتخفيف وأُبْلِغَكُم.

﴿وَلَكِنّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾: أي أَدُلُّكُمْ على الرَّشَادِ وأنتم تَصُدُّونَ وَتَعْبُدونَ آلِهَة لا تَنفع ولا تَضُرُّ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيتِهِمْ﴾.

أي فلما رَأَوُا السحاب الذي نشأت منه الريح التي عُذِّبُوا بِهَا قد عَرَضت في السماء، قالوا الذي وَعَدْتَنا به سحابٌ فيه الغيث والحيا والمطر، فقال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقرأ بعضهم: قُل بَلْ هُوَ ما اسْتَعْجَلْتُم، وكانت الريح من شدتها ترفع الراعي مَعَ غَنَمِهِ، فأهلك اللَّه قوم عَادٍ بتلك الرِّيح.

وقوله: ﴿مُمْطِرُنَا﴾ لَفظه لفظ معرفة، وهو صفة للنكرة، المعنى عَارِضٌ مُمْطِرٌ إيَّانَا، إلا أنَّ أَيَّانَا لا يفصل ههنا.

وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾.

في هـذا خمسـة أوجـه، أجـودهـا في العـربيـة والقـراءة، ﴿لا يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ ،وتـأويله لا يـرى شيء إلاَّ مَسَـاكِنُهُمْ لأنَّهُمْ قـد أُهْلِكُـوا، ويجـوز فأصبحوا لاَ تُـرَى الاَّ مساكِنُهُمْ فيكـون المعنى لا تُرَى أشخـاصٌ إلاّ مَسَاكِنُهم، ويقرأ فأصبحوا تَرَى مَسَاكِنَهُمْ، أي لا ترى شيئاً إلاّ مساكِنَهُمْ، وفيها وجهان بحذف الألف، فأصبحوا لا يُرَى إلا مَسْكِنُهُمْ، وَمَسْكَنُهُمْ، ويجوز فأصبحوا لا ترى إلا مَسْكَنَهُمْ.

يقال: سَكَن يَسْكُن مَسْكَناً وَمَسْكِناً.

وقوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ﴾:

المعنى مثل ذلك نجزي القوم المجرمين أي بالعَذَابِ.

وقوله:﴿وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَا إنْ مَكَّنَّاكم فِيهِ﴾.

إن ههنـا في معنى «ما» و«إن» في النفي مـع «ما» التي في مَعْنَى الَّـذِي أحسن في اللفظ مِنْ «مَا»[1]، ألا ترى أنـك لو قلت رغبت فيمـا ما رَغِبْت فيـه لكان الأحسن أن تقول: قَدْ رَغِبْتَ فيما إن رَغِبْتَ فيه، تريد في الذي مـا رغب فيه، لاختلاف اللفظين.

وقوله عز وجل: ﴿بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إفْكُهُمْ﴾:

أي دعـاؤهم آلهتهم هُـوَ إفكُهُمْ، ويقـرأ أَفَكَهُمْ، بمعنى وذلـك كـذبُهُمْ وَكُفْرُهُمْ، والأفك والأفَكَ مثل النَّجْس والنَّجَسُ ويقرأ أَفَكَهُمْ، أي ذلك جعَلَهُم ضلالاً كافرين، أي صَرَفَهُمْ عنِ الحقِّ، ويقرأ آفَكَهُمْ أَيْ جَعَلَهُمْ يأفكونَ، كما تقول: ذلك أكفرهم وأضَلَّهُمْ.

وقوله عزوجل: ﴿وَإذْ صَرَفْنَا إليك نَفراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُـونَ القُرآنَ، فَلَمَّـا حَضَرُوه قَالُوا أَنْصِتُوا﴾.

---

(١) المعنى اذن مكناهم فيما لم نمكنكم فيه.

أي قال بعضهم لبعض صَهْ، ومعنى صه اسْكُتْ، ويقال إنَّهُمْ كانوا تسعة نَفرٍ أو سبعة نَفرٍ، وكان فيهم زوبَعَة.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوا إلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾.

أي فلما تلى عليهم القرآن حتى فرَغَ منه، ولَّوا إلى قومهم مُنْذِرِين ويُقْرأُ فَلما قضَاهُ.

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنا إنا سَمِعْنا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لما بين يَدَيْه﴾.

أي يُصَدِّقُ جَمِيعَ الكُتب التي تقدمَتْهُ والأنبياء الذين أَتَوْا بها، وفي هذ دليل أن النبي ﷺ بعث الى الإنس والجِنّ.

وقوله عز وجل:﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَق السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ولم يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى﴾.

دخلت الباء في خبر إن بدخول «أَوَ لَمْ» في أول الكلام، ولو قلت: ظَنَنْتُ أن زيداً بقائم لم يجز، وَلَوْ قُلْتَ: ما ظننتُ أَنَّ زيداً بقائم جاز بدخول ما، ودخول ان إنما هو توكيد للكلام فكأنه في تقدير أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى فيما ترون وفيما تعلمونه.

وقد قرئت يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى، والأَوْلَى هي القراءة التي عليها أكثر القراء. وهذه جائزةٌ أيضاً.

وقوله عز وجل:﴿فاصْبِرْ كَمَا صَبَر أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

جاء في التفسير أن أُولي العَزْمِ نوح وإبراهيم ومُوسَى وعيسى ومحمَّدٌ، صَلواتُ اللَّه عليهم أجمعين(١).

---

(١) أشير في الهامش إلى أنه جاء في بعض النسخ بعد هذا جملة «من أولي العزم».

قوله:﴿لَمْ يَلْبَثُوا الاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ﴾.

الـرفع على معنى ذلـك بَلَاغٌ، والنصبُ في العـربيَّةِ جيـدٌ بالـغٌ. إلاّ أنَّه يخـالف المصحف، وبَلَاغـاً على معنى يبلغون بَـلَاغاً، كمـا قال:﴿كِتَابَ اللَّه عَلَيْكُمْ﴾، مَنْصُوبٌ عَلَى معنى: ﴿حُرِّمَتْ عليكم أُمَّهَاتُكُمْ﴾، تأويله: كتب اللَّه ذلك كتاباً.

وقوله عز وجل:﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إلاَّ القَوْمُ الفَاسِقُونَ﴾.

تأويله أنه لا يهلك مع رحمة اللَّه وتَفَضُّله الا القومُ الفَاسِقُـونَ ولو قـرئت فهل يَهْلِكُ إلاّ القوم الفَاسِقُون كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها.

وما في الرجاء لرحمة اللَّه شيء أقوى من هـذه الآية. وهي قـوله:﴿فهـل يُهْلَكُ إلا القومُ الفَاسِقُونَ﴾.

الفهارس

البحوث اللغوية

فهرس الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات

تراجم

فهرس الكتاب

معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحق إبراهيم بن السري

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الخامس

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب
بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون: ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً: نابعلبكي - تلكس: ٢٣٣٩٠

سورة محمد [ﷺ]
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿[الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ]﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهم﴾.

أحبطها فلا يرون في الآخرة لها جزاء، والمعنى أن حبط ما كان من صدَقَاتِهِمْ وصلتهم الرَّحِمَ وأبواب البر بكفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُم حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ﴾(١) وقوله ﴿كَسَرَابٍ بِقيعَةٍ﴾(٢) وهؤلاء هم الذين صدوا عن النبي ﷺ والدليل على ذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمنوا بما نُزِّلَ عَلَى مُحمَّدٍ وهو الحقُ مِنْ رَبِّهِمْ كفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم، [وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ]﴾.

أي كفَّر عَنْهُم وما اقترفوه وَهُمْ كافرونَ لمَّا آمنوا باللّه وبالنبي عليه السلام، وسائر الأنبياء أجمعين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

أي أصْلَحَ أَمْرَهُمْ وحالهم.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بأنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتبعوا البَاطِلَ﴾.

أي الأمر ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل. وجائز أن يكون ذلك الإضلال لاتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحقَ، ثم قال عزّ وجلّ:

---

(١) سورة البقرة /١٦٧.

(٢) سورة النور الآية ٣٩: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

﴿كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ للنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.

أي كذلك يبين اللَّه للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين أي كالبيان الذي ذكر، ومعنى قول القائل: ضربت لك مثلاً، أي بينت لك ضرباً من الأمثال، أي صنفاً منها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.

معناه فاضربوا الرقاب ضرباً، منصوبٌ على الأمر، وتأويله فإذا لقيتُم الذين كفروا فاقتلوهم، ولكن أكثر مواقع القتل ضرب العُنُق، فأعلمهم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ كيف القصد، وكيف قال: ﴿واضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾[1] أي فليس يتوهم بهذا أن الضَّربَ محظور إلّا على الرَّقبة فقط.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾.

﴿أثخنتموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل، كما قال: ﴿ما كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَه أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ في الأَرْضِ﴾[2]، فالأسر بعد المبالغة في القتل.

ثم قال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾.

أي بعد أن تَأْسِرُوهُمْ إما مننتم عليهم مَنًّا، وإما أطلقتموهم بفداء.

وقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

﴿حتى﴾ موصولة بالقتل والأَسْرِ، المعنى فاقتلوهم وأسِرُوهُمْ حتى تضع الحرب أوزارها. والتفسير حتى يؤمنوا وَيُسْلِمُوا، فلا يجب أن تحاربوهم، فما دام الكفر فالجهاد والحرب قائمة أبداً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأنفال الآية ١٢.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٧.

﴿ذلك﴾ في موضع رفعٍ، المعنى الأمر ذلك، ويجوز أَنْ يكون مَنْصُوباً على معنى افعلوا ذلك.

﴿وَلَوْيَشَاءُاللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾.

أي لويشاء اللَّه لَعذَّبَهُمْ وأهلكهم لأنه قادِرٌ عَلَى ذَلِك.

﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

المعنى ولكن أمركم بالحرب ليبلو بعضكم ببعض، أي ليمَحِصَ اللَّه المؤمنين ويمحقَ الكافِرينَ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يَضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

ذكر في أول السورة: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه أضل أعمالهم﴾ وأعلم أن الذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، ويقرأ عَلَى أربعة أَوْجُهٍ: قَاتَلُوا في سبيل اللَّه، وقُتِلُوا في سبيل اللَّه، على ما لم يسمَّ فاعله، ويُقْرَأُ قُتِّلُوا بتشديد التاء، ويُقْرَأُ قَتَلُوا في سبيل اللَّه، بفتحِ القاف.

وقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.

يُصْلِحُ لَهُمْ أمر معاشهم في الدنيا مع ما يجازيهم به في الآخرة، كما قال - عزّ وجلّ -: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ، لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ [وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم]﴾[1] أي لو أَنهم قبلوا ما فيها وما في الكتب وعملوا به لأكلوا من فوقهم ومن تحت أَرْجُلِهِم، وكما قال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّه كان غفَّارا، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[2] فوعد اللَّه عزّ وجلّ المؤمنين إصلاح شأنهم وبالهم في الدنيا والآخِرة.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

---

(١) سورة المائدة /٦٦. (٢) سورة نوح الآيات ١٠ - ١٢.

﴿الَّذين﴾ في موضع رفع على الابتداء. ويكون ﴿فتعساً لهم﴾ الخبر، ويجوز أن يكون نصباً على معنى أتعسهم اللَّه. والتعس في اللغة الانْحِطاطُ والعُثور.

﴿ذَلِكَ بأَنَّهُم كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

كرهوا القرآن ونبوة النبي عليه السلام فأحبط اللَّه أعمالهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

المعنى فينظروا كيف كان عاقبة الكافرين الذين من قبلهم.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي أهلكهم اللَّه.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي أمثال تلك العاقبة، فأهلك اللَّه عزّ وجلّ بالسّيف من أهلك ممن صد عن النبي ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي بأن اللَّه ولي الذين آمنوا يتولّاهم في جميع أُمُورِهم في هدايتهم والنصر على عدوهم.

﴿وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾.

أي لا ولي لهم ينصرهم من اللَّهِ في هِدَايةٍ ولا عُلُوٍّ على المؤمنين، ثم أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - ما أعد للمؤمنين مع النصر والتمكين، وما أَعَدَّ للكافرين مع الخذلان والإضلال فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾.

ثم بين صفات تلك الجنات وقال:

﴿والَّذِين كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيأكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

والمثوى المنزل.

وقوله - عزّ وجلّ - : وَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

المعنى وكم من أهل قَرْيةٍ هي أَشد قوَّةً مِنْ أَهْلِ قَرْيتِكَ التي أخرجتك. أي الذين أخرجُوك أهلكناهم بتكذيبهم للرسل فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ، ثم أعلم فقال:

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

وهذه أَلِفُ توقِيفٍ وتَقْرِيرٍ، لأن الجواب معلوم، كما أنك إذا قُلْتَ من يفعل السَّيئات يشق، ومن يفعل الحسنات يَسْعَد، ثم قلت: الشقاء أحب إليك أم السَّعادَة. فقد علم أن الجواب السَّعَادَة، فهذا مجرى ألف التوقيف والتقرير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُ الجنَّةِ﴾.

تفسير لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾، ففسر تلك الأنهار فقال: ﴿مَثَلُ الجَنَّة التي وُعِدَ المتَّقُونَ﴾، [أي] مما عرفتموه من الدنيا من جناتها وأنهارها جنَّةٌ ﴿فيها أنهارٌ مِنْ مَاءٍ غير آسِنٍ﴾.

ويقرأ من ماء غير أسِنٍ، ويجوز في العربية أَسْنٍ، يقال أَسَنَ الماءُ يأسِنُ فهو آسِنٌ، ويقال: أَسَنَ الماءُ فهو أَسِنٌ إذا تغيرت رائحته، فأعلم اللَّه -عزّوجلّ- أن أنهار الجنة لا تَتَغيَّر رائحة مائها، ولا يَأسَنُ، ﴿وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّر طَعْمُه﴾.

أي لا يدخله ما يدخل ألبان الدنيا من التغيُّرِ.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبينَ﴾.

ليس فيها غَوْلٌ أي لا تُسْكِرُ وَلَا تفنى.

﴿وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾.

معناه مصفى لم يخرج من بطون النحل فَيُخالطه الشَّمْعُ.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

كما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّـذِين آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأَنْهَارُ﴾، وصف تلك الجنَّاتِ فقال: مثـل الجنة جنَّـةٌ كمـا وصف. وقيل إن المعنى صِفَةُ الجنَّةِ، وهو نحوٌ مِمَّا فَسَّرنَا.

ثم قال : ﴿ومَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

أي لهم فيهـا من كل الثَمـرات وَلَهُمْ مَغْفِرةٌ من رَبهِـمْ، يَغْفِـر ذُنُوبَهُمْ ولا يجـازون بالسيئـات، ولا يوَبَّخُـونَ في الجنَّةِ، فَيُهَنَّـوْنَ الفـوز العـظيم والعَـطاءَ الجَزِيلَ. ثم قال:

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ في النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

المعنى أفمن كان على بَيِّنَةٍ من رَبِّه وأَعْطَى هَـذِهِ الأَشْيَاء، كَمَن زُيِّنَ لـه سوء عمله وهو خَالِدٌ في النَّارِ.

﴿وَسُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾.

واحد الأمعاء مِعًى، مثل ضِلَع وَأَضْلاَعٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني المنافقين.

﴿حَتَّى إِذَا خَرجُوا مِنْ عِنْـدِكَ قالـوا للذين أُوتُوا العِلْمَ مَـاذَا قَالَ آنِفاً﴾.

كانُوا يَسْمُعونَ خطبة النبي ﷺ فإذا خرجوا سألوا أصحاب رسول اللَّه استهزاء وإعـلاماً أنهم لم يلتفتـوا إلى ما قـال، فقالـوا: مَاذَا قَـال آنِفـاً، أي مـاذا قـال الساعة، ومعنى آنفاً من قولك استأنَفْتُ الشيء إذا ابْتَـدَأْتُه، ورَوْضَـةٌ أُنُفٌ، إذا لَمْ تُرْعَ بَعْدُ، أي لها أَوَّلٌ يُرعَى، فالمعنى ماذا قال من أول وَقْتٍ يَقْرُب مِنَّا.

وقوله: ﴿أُولَئِـكَ الَّذِينَ طَبَـع اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتَّبَعُوا أَهْـوَاءَهُمْ، والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.

الضمير الـذي في ﴿زَادَهُمْ﴾ يجـوز أن يكـون فيـه أَحَـدُ ثـلاثـة أوْجُـهٍ، فـأجْوَدُهَـا ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون فيـه ذكـر اللَّه، فيكـون المعنى مَـرْدُوداً على

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، والذين اهْتَدَوْا زَادَهُم هُدًى﴾، ويجوز أَنْ يَكونَ الضَّميرُ في زَادَهم قول الرسول [ﷺ]. فيكون المعنى والذين اهتدوا زادهم ما قال رسول اللَّه هُدًى، ويجوز أن يكون زَادَهم إعراضُ المنافقين واستهزاؤهم هُدًى.

قوله: ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

يجوز أن يكون وَأَلْهَمَهُمْ تقواهم، كما قال عزّوجلّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وأَهْلَهَا﴾[1]، ويجوز أن يكون - واللَّه أعلم - وأَتَاهُمْ ثَوَابَ تَقْوَاهُمْ.

وقوله - عزّ وجلّ -: ﴿فَهَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.

ويقرأ «إلا السَّاعةَ إنْ تأْتِهُمْ» بغير ياء، والأولى أجْوَد لموافقة المصحف.

وموضع «أَنْ» نَصْبٌ على البدَلِ مِنَ السَّاعَةِ. المعنى فهل ينظرون إلاَّ أن تأتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً، وهذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى وهو نحو قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ تَطَؤُوهُمْ﴾[2] المعنى لولا أن تطؤوا رِجالاً مُؤْمِنين ونساء مُؤْمِنَاتٍ.

ومعنى ﴿هَلْ يَنْظُرون﴾ هَلْ يَنْتَظِرونَ واحِدٌ.

ومن قرأ إن تأتهم بغتة ﴿فقد جاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ فعلى[3] الشرط والجزاء، وأشراطها أعلامها.

﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.

المعنى فمن أين لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة، ﴿وذكراهم﴾ في موضع رفع بقوله فَأَنَّى.

---

(1) سورة الفتح /٢٦.

(2) سورة الفتح ٢٥.

(3) في الاصل «على» بدون فاء.

وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

هـذه الفاء جاءت للجزاء، المعنى قد بَيَّنَّا مَا يَدُلُّ على أنَّ اللَّه وَاحِدٌ فأعلم اللَّه أنه لا إله إلا اللَّه، والنبي عليه السلام قد علم ذلك ولكنه خطاب يدخل الناس فيه مع النبي [ﷺ] كما قال اللَّه عزّ وجل: ﴿يَا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾، والمعنى من عَلِمَ فليقم على ذلك العلم، كما قال: ﴿اهْدِنَا الصِرَاطَ المُسْتقيم﴾[٢] أي ثبتنا على الهداية.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

أي يعلم متصرفاتكم ويعلم مثواكم، أي يعلم أين مقامكم في الدنيا والآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾.

كان المؤمنون - رحمهم اللَّه - يأنسون بالوحي ويسْتَوْحِشُونَ لإِبْطائِه فلذلك قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلت سورةٌ﴾.

﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ﴾.

ومعنى ﴿مُحْكَمَةٌ﴾، غير منسوخة، فإذا ذكر فيها فَرْضُ القِتَالِ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: يعنى المنافقين.

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْك نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْه مِنَ المَوْتِ﴾.

لأنهم منافقون يكرهون القتال، لأنهم إذا قعدوا عنه ظَهَرَ نِفَاقُهُمْ، فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِم القَتْلَ.

﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾.

﴿أَوْلَى لَهُمْ﴾ وعيدٌ وتَهَدُّدٌ، المعنى وليهم المكروهُ

وقولهُ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾.

---

(١) أول سورة الطلاق.
(٢) سورة الفاتحة الآية ٤.

قال سيبويه والخليل: المعنى طاعة وقول معروف أمثل، وقيل إنهم كان قولهم أولاً طاعة وقول معروف، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون المعنى فإذا أنزلت سورة ذات طاعة أي يؤمر فيها بالطاعة، وقول معروف، فيكون المعنى فإذا أنزلت سورة ذات طاعة وقول معروف.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

المعنى فإذا جَدَّ الأَمْرُ ولزم فرض القتال، فلو صدقوا اللَّه فآمنوا بالنبي وعملوا بما نزل عليه وما أمروا به من فرض القتال لكان خيراً لهم، المعنى لكان صدقهم اللَّه بإيمانِهِمْ خيراً لهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُم إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾.

وقرأ نافع «فَهَلْ عَسِيتُمْ» واللغة الجيدة البالغة عَسَيْتُمْ ـ بفتح السين ولو جاز عَسِيتُمْ لجاز أن تقول: عَسِيَ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ.

ويقرأ أَن تَوَلَّيْتُمْ وإِنْ تُوُلِّيْتُمْ ـ بضم التاء وفتحها.

﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

فمن قرأ ﴿تَوَلَّيتُم﴾ ـ بالفتح ـ ففيها وجهان أَحَدُهُمَا أن يكون المعنى لعلكم إن توليتم عما جاءكم به النبي أَنْ تَعُودُوا إلى أمر الجاهلية، فتفسدوا وَيَقْتُلُ بعضكم بعضاً. ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكم﴾، أي تئدوا البنات، أي تدفنوهن أحياء، ويجوز أن يكون فلعلكم إن توليتم الأمر أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أَرْحَامَكُمْ، ويَقْتُلُ قُرَيشٌ بَنِي هاشم، وَبَنُو هَاشِمٍ قُرَيْشاً، وكذلِكَ إن توليتم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الهُدَى﴾.

المعنى رجعوا ـ بعد سماع الهدى وتَبَيُّنِهِ ـ إلى الكُفرْ.

وقوله: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾.

معنى ﴿سوّل لهم﴾ زَيَّنَ لَهُمْ ﴿وَأَمْلَى لهم﴾، أملى اللَّه لهم كما قال: ﴿إنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْماً﴾[1] معناه إنما نؤخرهم، وقد قرئت: الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ وَأُمْلِي لهم على الأخبار عَنِ اللَّه عزّ وجلّ، المعنى وأَنَا أُمْلِي، وقرئت وَأُمْلِيَ لهم بفتح الياء على ما لم يسم فاعله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّه سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأَمْرِ﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - الأمر ذلك، أي ذلك الإضلال بقولهم للذين كرهوا ما نزل اللَّه، وجاء في التفسير أنهم اليهود، قالوا سنطيعكم في بعض الأمر، أي سنطيعكم في التظاهر على عداوة النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهَ يَعْلَمُ أَسَرارَهُمْ﴾.

و﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ قرئ بهما جميعاً، فمن قرأ أَسْرارهم - بالفتح - فهُو جمعُ سِرٍّ وأسرار، مثل حمل وأحمال، ومن قرأ إسرارهم فهو مصدر أَسْرَرْتُ إسرَاراً.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الملاَئِكَـةُ يَضْرِبُـونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

يفعلون بهم ذلك في نار جهنم - واللَّه أعلم - ويكون المعنى فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة وهم يضربون وجوههم وأَدْبَارَهم.

قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - ذلك جزاؤهم بأنهم اتبعوا الشيء الذي أسخط اللَّه وكرهوا رضوانه، أي اتبعوا من خالف النبي ﷺ ومن خالف الشريعة وكرهوا الإيمان بالنبي ﷺ واتباع شريعته.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

---

(١) سورة آل عمران /١٧٨.

أي ما كان من عمل خير نحو صلة رحم أَوْ بِرٍ أو صَدَقةٍ، أحبط اللّه ذلك بكفرهم بما أتى به النبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ ﴿الذين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ المنافقون أي لن يبدي اللّه عداوتهم لرسوله عليه السلام ويظهره على نفاقهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾.

معنى ﴿لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ لعَرَّفْنَاكَهُمْ، تقول: قد أَرَيْتُكَ هَذَا الأَمْر أي قد عرفتك إياه، المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيمياء.

﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾.

أي بتلك العلامة.

﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُم في لَحْنِ القَوْلِ﴾، أي في نحو القَوْلِ[1].

فدَلَّ بهذا - واللّه أعلم - أن قولَ القائِل وفِعْلَهُ قد يدل على نِيَّته، وقولُ النَّاسِ: قد لَحَن فلانٌ، تأويله قد أخذ في ناحية عن الصواب، عدل عن الصواب إليها، وقول الشاعر[2]:

[منطق صائب] وتلحن أيحاناً وخير الكلام مَا كَانَ لحناً

تأويله خير الحديث من مثل هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أَحَدٍ، إنما يُعْرَفُ أمرها في أَنحاءِ قَوْلِهَا.

---

(١) في اتجاهه وإشاراته ومنحاه.

(٢) يقال لحن يلحن لحناً كفرح يفرح فرحاً، إذا أصاب وفطن ولحناً - كضرباً - إذا قال ما يفهمه صاحبه عنه ويخفى على الآخرين ومنه هذا البيت، وتلحن أحياناً - أي تغمض وتغوص في حديثها، وأفضل الكلام ما فهمه صاحبها دون الناس - وهذا رأي ابن دريد انظر أمالي القالي ص ٦ جـ ١. ولم يذكر قائله.

وقوله :﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ .

معنى ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنختبرنكم بالحرب .

حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكم والصَّابِرِينَ .

وهو عزّ وجلّ قَدْ عَلِمَ قَبْلَ خَلْقِهِم المجاهدين منهم والصابرين، ولكنه أراد العلم الذي يقع به الجزاء، لإنه إنما يجازيهم على أعمالهم. فتأويله حتى يعلم المجاهدين علم شهادة، وقد علم - عزّ وجلّ - الغيب، ولكن الجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم شهادة.

وقوله - عزّ وجلّ -:﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ .

أعلم - عزّ وجلّ - أنه لا يغفر لمن مات على الكفر.

وقوله:﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ .

والسَّلَم، ومعناه الصُّلْحُ، يقال للصُّلِحَ هو السِّلْمُ، والسَّلْمُ، والسَّلَمُ. ومعنى ﴿لَا تَهِنُوا﴾ لا تَضْعُفوا. يقال: وَهَنَ يَهِنُ، إِذَا ضَعُفَ، فمنع اللَّه المُسْلِمينَ أن يَدْعُوا الكافرين إِلَى الصُّلْحِ وأَمَرَهُمْ بِحَرْبِهِمْ حتى يُسْلِمُوا.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ .

تأويله أَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ في الحُجَّةِ ومَعَكُمُ النبيُّ ﷺ وَمَا أَتَى به من الآياتِ التي تدل على نُبُوَّتِه، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي نَاصِرُكُم.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ .

أي لن يُنْقِصَكُمْ شيئاً مِن ثَوَابِكُمْ.

وقوله :﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤتِكم أُجُورَكُمْ﴾ .

وقد عرفهم أَنَّ أجورهم الجنَّةُ.

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوالَكم، إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ .

أي إن يجهدكُمْ بالمسألة ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾.

ونُخْرِجْ أَضْغَانُكُمْ، وقد قرئ بهما جميعاً.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ. ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

جاء في التفسير: إن تَوَلَّى العِبَادُ استَبْدَلَ اللَّهُ بِهِمُ المَلَائِكَةُ.

وجاء أَيْضاً: أَن تَوَلَّى أهل مكَّةَ استبدل اللَّه بهم أهل المدينة، وجاء أيضاً - يَستَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ مِن أهل فَارِسَ، فأما ما جاء أنه يستبدل بهم الملائكة، فهو في اللُّغةِ عَلَى مَا أَتَوَهَّمُ فيه بُعْدٌ لأَنه لا يقال للملائكة قومٌ، إنّما يقال قوم لِلآدَمِيِّينَ. والمعنى - واللَّه أعلم - وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يستَبْدِل قَوماً أَطْوَعَ مِنكم، كما قال - عزّ وجلّ - ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ، أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنكُنَّ﴾[1]. إلى آخر القصة.

فلم يتول جَميعُ الناس - واللَّه أعلم.

---

(١) سورة التحريم الآية (٥).

سُورَةُ الفَتْحْ

مَدنيةٌ كلها بِإِجْمَاعٍ

بسم اللَّه الرحمن الرَّحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتحاً مُبيناً﴾ .

جاء في التفسير أنه فتحُ الحُديبية، وَكـان هذا الفتـح عَن غَير قتـالٍ قيل إنـه كان عن تـراضٍ بين القوم. والحُـدَيْبِيَةُ بئـرٌ فسمي المكـان بـاسم البئـر، والفتح إنما هُوَ الظَّفَرُ بالمكان والمدينةِ والقَرْيَةِ، كان بحرب أَو بغَيْر حُـرْبٍ، أو كان دخول عَنْوَةٍ أَوْ صُلْح ، فَهوَ فتـحٌ لأن الموضـع إنما يكـون مُنْغَلِقاً فـإذا صار في اليَدِ فَهُوَ فتحٌ .

ومعنى ﴿فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً﴾ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ هو الهداية إلى الإِسْلَامِ . وجاء في التفسير: قضينا لكَ قضـاء مُبيناً أي حكمنـا لك بـإظهار دين الإسـلام والنصرة على عدوك .

وأكثَرُ ما جاء في التفسير أنه فتح الحُدَيْبِيَّةِ، وكـان في فتح الحـديبية آيـة عظيمة من آيـات النبي [ﷺ] وذلك أنهـا بئر فـاسْتُقِيَ جميعُ مـا فيها من المـاء حتى نَـزَحَت ولم يبق فيهـا مـاء، فـتمـضمض رســول اللّه ﷺ ثم مَـجَّـهُ فيها فدرت البئر بالماء حتى شَرِبَ جميـع من كان مـع النبي ﷺ. وليس يخرج هذا من معنى فتحنا لك فتحاً مبينـاً أنه يُعْنَى بـه الهدايـة إلى الإِسْلَام، ودليـل

ذلك قوله ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾.

فالمعنى فتحنا لك فتحاً في الدين لتَهْتَدِيَ بِهِ أنت والمُسْلِمُونَ.

ومعنى ﴿نَصْراً عَزِيزاً﴾ نَصْراً إِذَا عَزَّ لَا يَقَعُ مَعَهُ ذُلٌّ.

ثم أعلم أنه عن أسباب فتح الدين على نبيه عليه السلام فقال:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيماناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾.

أي أَسْكَنَ قُلوبَهُمُ التعظيم للَّهِ ولرسوله، والوقار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

تأويله ـ واللَّه أعلم ـ أن جميع ما خلق اللَّه في السموات والأرض جنودٌ له، لأن ذلك كله يدل على أنه واحد وأنه لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يأتِيَ بمثل شيءٍ واحد ممَّا خلق اللَّه في السموات والأَرْضِ.

ومن الدليل أيضاً على أن معنى قوله: ﴿إنا فتحنا لك﴾: أي إنّا أرشدناك إلى الإسلام وفتحنا لك أمر الدِّينِ قوله عزّ وجلّ:

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾.

كانوا يظنون أن لن يَعُودَ الرسولُ والمؤمِنُونَ إلى أَهْلِيهِمْ أبداً وَزُيِّنَ ذلك في قُلُوبِهِمْ، فجعل اللَّه دائرة السُّوْءِ عَلَيْهِم. ومن قرأ «ظن السُّوءِ» فهو كما ترى أَيْضاً، قال أبوإسحاق: وَلَا أَعْلَمُ أَحَداً قَرأً بِهَا، وقد قيل أيضاً أنه قرِئَ بِهِ، وزعم الخليل وسيبويه أن معنى السوء هِهنا الفساد. والمعنى: الظانّين باللَّهِ ظَنَّ الفَسَادِ، وهو ما ظَنُّوا أن الرسول عليه السلام ومن معه لا يَرْجِعُونَ. قال

اللَّه تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. أي الفساد والهلاك يقع بهم ﴿وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾.

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

تفسيره مثل الأول.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً: عَالِياً حَكيماً فِيما دَبَّرَهُ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً ومُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾: أي شاهداً على أمتِك يوم القيامة. وهذه حال مُقَدَّرَة أي مُبشِّراً بالجنة من عمل خَيْراً ومُنْذِراً مَنْ عَمِل شرًّا بالنَّار.

﴿لِتُؤْمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِه﴾.

الخطاب للنبي ﷺ وخطاب للنَّاس وَلِأُمَّتِه. والمعنى يَدُلُّ على ذلك. ويجوز لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وقَدْ قرِئ بهمَا جميعاً. وجائز أن يكون ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ خِطَاباً للمؤْمِنينَ وللنَّبِّي جَميعاً. لأن النبي ﷺ قد آمن باللَّه وبآياته وكتبه ورسُلِه.

فقوله ﴿شاهداً﴾ حال مقدرة، أي يكون يوم القِيَامَةِ، والبشارة والإنذار حال يكون النبي ﷺ ملابساً لها في الدنيا لمن شاهده فيها من أُمَّتِه، وحال مُقدَّرة لمن يأتي بعده من أمَّتِه إلى يوم القيامَةِ مِمَّنْ لم يشاهده. يَعْنِي بقوله مُقدَّرة أن الحال عنده في وقت الإخبار عَلَى ضَرْبَيْن. حال مُلَابسةٌ يكونُ المُخْبِرُ مُلَابِساً لها في حين إِخْبارِه، وَحَالٌ مُقَدَّرَةٌ لأن تُلابَسَ في ثانٍ مِنَ الزَّمَانِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ﴾.

معنى ﴿تُعَزِّرُوه﴾ تنصروه، يقال: عَزَّرْتُه أُعَزِّرُه، أي نصرته مَرَّةً بعْدُ مرَّةٍ، وجاء في التفسير لتنصروه بالسَّيْفِ ويجوز وَلِتَعْزُروه، يقال: عَزَرْتُه أعْزُرُه عَزْراً، وعَزَّرْتُهُ أُعَزِّرُهُ عَزْراً وتعْزِيراً. ونصرة النبي ﷺ هي نُصْرَةُ اللَّه عَزّ وجلّ.

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

فهذه الهاءُ تَرْجِعُ عَلَى اللَّهِ عَزَ وَجَلَّ. ومعنى يُسبحـون اللَّه، أي يُصَلُّون له. والتسبِيح في اللُّغَةِ تعظِيم اللَّه وتنزيهه عن السُّوءِ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

أي أَخْـذُكَ عَلَيْهِم البَيْعَةَ عَقْـدٌ لِلَّهِ عزّ وجـلّ عَلَيْهِم. ومعنى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل ثلاثة أَوْجُهٍ منها وَجْهَـانِ جاءا في التفسيـر، أَحدُهمـا يَدُ اللَّه في الوَفَاء فَـوْقَ أيْدِيهم، وجـاء أَيْضاً يـد اللَّه في الثواب فـوق أيْدِيهم. والتفسيـر ـ واللَّه أعلم ـ يد اللَّه في المِنَّةِ عَلَيْهِمْ في الهِدَايَةِ فوق أَيْدِيهِمْ في الطاعة.

وقوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

والنكث في اللُّغَةِ نقضُ مَا تَعْقِدهُ، وما تُصْلِحُه. وجاء في التفسير: ثلاثة أشياء تَرجِعُ على أَهْلِهَا، أَحدُهَا النكث. والبغي والمكر. قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ﴿إِنَّما بَغْيُكُم عَلَى أَنْفُسِكم﴾(1)، والمكْرُ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّىءُ إِلَّا بِـأَهْلِهِ﴾(2) وقولـه: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمـا ينكُثُ عَلَى نَفْسِـه وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّه فَسَنُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

ويقرأ ﴿فَسَيُؤتيه أَجْراً عظيماً﴾. ويقرأ عَلَيْهِ اللَّه، وعَلَيهُ اللَّهَ. وقـد فسرنـا مثل هذا فيما سلف.

سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فاسْتَغْفِرْ لَنَا.

بإظهار الراء عند اللاَّم، وقد رُوِيت عَنْ أَبِي عَمْرٍو فاستغفِلَّنـا بالادغـام، وكذلك في قوله يَغْفِلَّكُمْ. ولا يُجيزُ سيبويه والخليل إدغـام الراء في الـلام.

ولا يحكون(3) هذه اللغة عن أحدٍ من العرب، ويذكرون أن إدغام الـراء

---

(1) سورة يونس /23.　(2) سورة فاطر /43. 83.

(3) ليس هـذا راجعاً لسيبـويه والخليـل فيما يـظهر ـ وإنمـا يريـد أن الرواة لم يحكـوا هذه اللغـة ـ =

في اللام غير جائز لأن الراء عندهم حرفٌ مَكرَّر، فإذا أدغم في اللام بطل هذا الإشباع الذي فيه.

وأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن هؤلاء منافقون فقال:
﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

وأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنهم تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ بظنِهم ظن السّوءِ، فأطلع اللَّه نبيه على ذلك، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ والمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ في قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُم ظَنَّ السَّوْءِ﴾.

أي ظن الفساد.
﴿وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾.
أي هالكين عند اللَّهِ ـ عزّ وجلّ ـ فاسِدين في عِلْمِه.
وقوله عزّ وجلّ: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا﴾.
أي ليس لنا من يَقُوم بها.
﴿وأَهْلُونَا﴾.

أي وشغلتنا أهلونا، ليس لنا من يخلفنا فيهم، ويجوز وأَهْلُنَا، ولكن القراءة المشهورة بالواو، فمن قال وَأَهْلُونا فهو جمع أهل وأهلون، ومن قال وأهلنا فهويتضمَّن الجماعة كُلَّها.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَيَقُولُ المخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُم إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.

يعنى بقوله: يريدون أن يُبَدِّلوا كلام اللَّه ـ قوله عزَ وجَلّ[1]: ﴿قُلْ لَنْ

= بدليل أن الضمائر بعدها جاءت بصيغة الجمع.

(١) في الأصل وقوله.

تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾(1)، فأرادُوا أن يأتوا بما ينقض هذا. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم لا يعقلون، ولا يقدرون على ذلك فقال:﴿قل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

ولو كان الكلام نهياً لقال: قل لا تَتَّبِعُونا. وقرئت: «يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ».

فالْكَلِمُ جمع كلمة، والكلام في موضع التَّكْلِيم.

وقوله:﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾.

وقد قرئت أو يُسْلِموا، فالمعنى تقاتلونَهُمْ حتى يسلموا، وإلَّا أن يسلموا. فإن قال قائلٌ: قد قال رسول اللَّه ﷺ لهم:﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾(1) فكيف جاز أن يقول:﴿سَتُدْعَونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلونَهُمْ﴾، فإنما قال ﷺ ذلك لأن اللَّه أعلمه أنَّهُمْ منافقون، وأعلمه مع ذلك أنهم لا يُقَاتِلُونَ معَه.

وجاء في التفسير أنه عُنِيَ بقوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ﴾ بنو حنيفة، وأبو بكر رحمه اللَّه، قاتلهم في أيام مسيلمة. وجاء أيضاً هوازِن، والمعنى أن كل من ظَاهِرُهُ الإسلام فعلى أصحاب النبي ﷺ أنْ يدعوهم إلى الجهاد. والصحابة لم يُطْلَعُوا في وقت الجهاد على من يُقَاتِل ومن لا يُقَاتِلُ، ولا على من ينافق ومن لا ينافق، لأن الاظهار على ذلك من آيات الانبياء عليهم السلام.

وقد قيل:﴿إِلَى قَوْمٍ أُولِيَ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [أي] إلى فارس والرُّوم، وذلك في أيام أبي بكر وعُمَر رحمة اللَّه عليهما وَمَنْ بَعْدَهُم.

(1) سورة التوبة الآية ٨٣.

﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أجْراً حَسَناً﴾.

أي إن تُبْتُم وتَرَكْتُم النِّفَاقَ وجَاهَدْتُم. ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أليماً﴾.

أي إِنْ أقمْتُم على تقاكـم وتولَّيْتُمْ عن الإِيمـان والجهاد كمـا تولَيتُم على عهد رسول اللّه [ﷺ] يُعذِّبكُمْ عَذَاباً أليماً.

ثم أعلم عزّ وجلّ بخبر من أخلص نيَّتَهُ فقال:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

أي علم أنهم مُخْلِصُون. وجاء في التفسير أن الذين بايعوا تحت الشجرة كانوا ألفاً وأرْبَعمائة، وقيل ألفاً وخسمائة، وقيل ألفاً وثَلاثمائةٍ وكانوا بايعوا النبي [ﷺ] على أن لا يُوَلُّوا في القتال وَلاَ يَهْرَبُوا، وسُمِّيَتْ بيْعةَ الرضوانِ لقوله [تعالى]: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنينَ إذ يبايعُونَكَ تحت الشَّجرة﴾ وكانت الشجرةُ سَمُرَةً[1].

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾.

قيل إنه فتح خَيْبَر.

﴿وَمَغانِمَ كثيرةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾.

وهذا التكرير تكرير في الوَعْدِ، أي فعجَّلَ هذه يَعْني خَيْبَر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً للمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) السمر هو شجر الطلح يجمع على سَمُر وسمرات وأَسْمُر ـ والسمر ضرب من العضاة، وقيل ضرب من الشجر صَغار الورق قصار الشوك ـ وليس في العضاة شيء أجود خشباً من السَمر ـ وفي السمر ثمرة يأكلها الناس ـ وفي حديث سعد ما لنا طعام إلا هذا السَّمُر.

أي كف أيديَ الناس عَنْهُمْ لَمَّا خرجوا وخلفوا عِيَالَهُمْ بالمدينة حَفِظَ اللَّه عِيَالَهُمْ وَبَيْضَتَهُمْ[1]، وَقَد همَّت اليَهُودُ بِهِمْ فَمَنَعَهُمُ اللَّهُ ذَلِك.

﴿وَأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللَّهُ بِهَا﴾.

المعنى وعدكم اللَّه مغانم أخرى ﴿قد أَحاطَ اللَّهُ بها﴾، قد علمها اللَّه، وهو مَا يَغْنَمُ المُسْلِمُون إلى أَنْ لاَ يُقَاتِلَهُمْ أَحَدٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ قَاتَلكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيراً. سُنَّةَ اللَّهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

المعنى لو قاتلك من لم يقاتلك لَنُصِرْتَ عَلَيْهِم، لأن سنة اللَّه النَّصْرُ لأوليائه وحِزْبه.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

وسنة اللَّه منصوبة على المصْدَرِ، لأن قوله ﴿لَوَلَّوْا الأدبار﴾ مَعناه سن اللَّهُ خِذْلاَنَهُمْ سُنَّةً، وقد مرَّ مثل هذا في قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَليكُمْ﴾[2]، وفي قوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾[3]، ولو قرئت «سُنَّةُ اللَّهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ» لكان جيّداً في العربيَّةِ. المعنى تلك سنة اللَّه التي قد خَلَتْ مِنْ قَبْلُ، ولكن لا أعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأنَّ بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾.

﴿مَكَّة﴾ لا تَنْصَرِفُ لأَنَّها مؤنَّثةٌ وهي مَعْرِفَة.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أن أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

جاء في التَّفْسِيرِ أن رسول اللَّه ﷺ أُتِيَ باثنيْ عشر رَجُلاً أُخِذُوا بلا عهد

(١) مدينتهم ومقر إقامتهم.

(٢) سورة النساء الآية ٢٤. ﴿والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِسَاءِ إلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

(٣) سورة النمل الآية ٨٨ ﴿وَترى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ﴾.

ولا عقد فخلاهم النبي ﷺ ومَنَّ عَلَيْهِمْ، وكان عاقبة ذلك أن سلِمَ للرجل مَنْ بَيْنَهُ وبينه قَرابةٌ وَمَن هُوَ مؤمِنٌ أن يُصابَ قال اللَّه عزّ وجلّ:﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لم تَعْلَمُوهُمْ أن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وموضع «أن» رفع بدلٌ مِنْ رجال، المعنى لولا أَنْ تطأوا رجالا مُؤْمِنينَ ونساءً مُؤْمِنَاتٍ.

ثم قال:﴿لَو تَزَيَّلُوا لعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾.

أي لو تَميَّزَ الكافِرُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ لأَنزلنا بالكافرين ما يكون عَذَاباً لَهُمْ في الدُّنيَا.

وَمَعْنَى: ﴿فَتَصِيبَكُمْ مِنهم مَعَرَّةٌ﴾.

قيل: لولا أن يقتلوا منهم قوماً مؤمنين خطأً فَتَلزَمُكُم الدِّيَاتُ والمعنى - واللَّه أعلم - لولا كراهة أَنْ يَلحقكُمْ عَيبٌ بأن قتلتم من هو على دينكم إذ أنتم مختلِطُونَ بهم لعَذَّبنا الذين كفروا مِنهُمْ عذاباً أليماً.

وقوله:﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يبلغَ مَحِلَّهُ﴾.

﴿الهَدْيَ﴾ مَنْصُوبٌ سبق على الكاف والميم، المعنى وصَدُّوا الهَدْيَ، و﴿مَعكوفاً﴾ مَحْبُوساً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾: كما وَصَفْنَا لنَصَرْنَاكُمُ عَلَيْهم، ولكن الذي مَنَع عن ذلك كراهةُ وَطْءِ المؤمنين بالمكروه والقَتْلِ. وموضع ﴿أَنْ يبلُغَ مَحِلَّه﴾ منصوب عَلَى مَعْنى وصدوا الهَدْيَ محبوساً عن أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِين﴾.

أَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِم الوقار والهيبة.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

جاء في التفسير أن شعارَهم لا إله إلا اللهُ، وكلمة التَّقْوَى تـوْحِيد اللّهِ والإيمان برسوله عليه السلام.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

أي كانوا أحق بها من غيرهم، لِأَنَّ اللَّهَ - جلّ وعزَّ - اختارَ لنبيه ولـدينه أَهْلَ الخَيْرِ ومُسْتَحِقّيه، ومن هو أولى بالهِدَايَة مِنْ غيره.

وقوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُم وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾.

رأى رسول اللَّه ﷺ في منامه كأَنَّهُ وأَصْحابَهُ - رحمهم اللَّه - يدخلون مكَّة محلِّقِين ومُقَصِّرِين، فَصَدَق اللَّهُ رسوله الرُّؤْيَا فدخلوا على ما رأى. وكانوا قد استبطأوا الدُّخُولَ.

ومعنى ﴿إن شَاءَ اللَّهُ﴾ يخرج على وَجْهَيْن. أحدهما لتدخُلُنَّ إِنْ أَمَرَكُم اللَّه. ويجوز وهو حسن أن يكون «إن شَاءَ اللَّهُ» - جرى على ما أمر اللَّه به في كل ما يُفعَلُ مُتَوَقَّعاً، فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

وَصَفَهُم اللَّهُ بِأَنَّ بعضَهُمْ مَتَحَنِّنٌ على بَعْضٍ، وأن عَلَيْهم السَّكِينَةَ والوقَارَ، وبعضهم يخلص المودَّةَ لبَعْضٍ، وهم أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ. أشداء جمع شديدٍ، والأصل أشدِدَاء، نحو نصيب وأَنْصِبَاء، ولكن الدَّالَيْن تحرَّكتا فأدْغِمتِ الأولى في الثانية، ومثل هذا قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهِمْ ويُحِبُّونَهُ أذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾(٢)

---

(١) سورة الكهف /٢٣ - ٢٤.
(٢) سورة المائدة /٥٤.

وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

أي في وجوههم عَلَامَـةُ السُّجُودِ، وهي عـلامة الخـاشِعين لِلَّه المُصَلِّين. وقيل يبعثون يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحجَّلينَ من أثر الطُّهُورِ، وهذا يجعله اللَّه لَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ عَلامَةً وهي السيماء يُبَيِّنُ بها فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ في التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهم في الإنْجِيل﴾.

أي ذلك صفة محمد ﷺ وأصحابـه في التَورَاةَ، ثم أعلم أنَّ صِفَتَهم في الإنجيل أيضاً.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾.

معنى ﴿أخرج شطأه﴾ أخرج نباته ﴿فآزَرَهُ فاستغلظ﴾، أي فـآزَرَ الصِّغارُ الكبارَ حتى استوى بعضُه مع بعْضٍ، ﴿عَلى سُوقِه﴾ جمع ساقٍ.

وقوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾.

﴿الزُّرَاع﴾ محمد عليه السلام والدّعاة إلى الإسْلَامِ وهم أَصحَابُه.

وقـوله: ﴿وَعَـدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَـاتِ مِنْهُمْ مَغْفِـرَةً وَأَجْـراً عَظِيماً﴾.

﴿مِنْهُمْ﴾ فيه قولان، أن تكون «مِنهم» ههنا تخليصاً للجنس من غيره كما تقول: أنفق نَفَقَتَك مِنَ الدَّرَاهِمِ لَا مِنَ الدَّنَانِيرِ، المعنى اجعـل نفقتك من هـذا الجنس، وكما قال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[1]، لا يريد أن بعضها رجس وبعضها غير رِجْسٍ، ولكن المعنى اجتنبوا الرجس الَّذِي هُوَ الأوثانُ.

(١) سورة الحج / ٣٠. يريد أن «من» بيانية.

فالمعنى وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحاب النبي ﷺ المؤمنين أجراً عظيماً وفَضَّلَهُمْ اللَّه على غيرهم لِسَابِقَتِهِم وَعَظَّم أَجْرَهُمْ.

والوجه الثاني أن يكون المعنى وعد اللَّه الذين أقاموا منهم على الإِيمَانِ والعمل الصالح مَغْفِرةً وأجراً عظيماً.

سُورَةُ الحُجُرَات

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقـد قرئت لا تقْـدَموا بفتـح التـاء والـدَّال، والمعنى إذا أُمِرْتُم بـأَمْـرٍ فـلا تفعلوه قبلَ الوقتِ الَّذي أُمِرْتم أن تفعلوهُ فِيهِ.

وجاء في التفسير أن رجلاً ذبح يوم الأَضْحَى قَبْلَ صَـلاةِ الأَضْحَى فتقدم قبل الوقت فـأعلم [اللَّه] أن ذلك غيـر جائـز. ففي هذا دليـل أَنَّهُ لاَ يَجُـوزُ أن يؤدى فَرْضٌ قبل وقْتِهِ وَلاَ تطوعٌ قَبْلَ وَقْتِهِ مِمَّا جَاءَت بـه السّنَّةُ، وفي هـذا دليل أن تقـديم الزكـاةِ قبل وقتهـا لا ينبغي أن يجوز، فـأمـا مـا يـروى أن النبي ﷺ استسلَفَ من العبـاس شيْئاً من الـزكـاة، فـلا أعلم[1] أن أَحداً ممن أجـاز تقـديم الزكاة احتج إلا بهذا الحـديث، وهذا إن صـح فهو على ضـربين أحدهمـا أن يكون مخصوصاً والآخر أن يكونَ الحاجة اشتدت فوقع اضطرار إلى استسلاف الزكاة.

والإجمـاع أن إعــطاءهـا في وقتها هو الحق، وهو الفَضْلُ إنْ شَاء اللَّه.

ومن قرأ: ﴿لاَ تَقدَّمُوا﴾ فمعناه كمعنى لا تُقَدِّمُوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْـوَاتَكُمْ فَوق صَـوْتِ النَّبيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾.

(١) في الأصل ولا اعلم.

أمرهم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ بتبجيل نبيـه عليه السـلام، وَأَنْ يَغُضّوا أَصْـوَاتَهُمْ وأن يخاطبوه بـالسكينة والـوقار، وأن يفضلوه في المخـاطبة، وذلـك مما كـانوا يفعلونه في تعظيم ساداتهم وكبرائهم.

ومَعنى ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُم لِبَعْضٍ﴾ أي لا تنزلـوه منـزلـةَ بعضكم من بعض، فتقولوا: يا محمدِ خاطبوه بالنبوة، والسكينة والإعظام.

وقوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾.

معنـاه لا تفعلوا ذلـك فتحبط أعمـالكم. والمعنى لئـلا تحبط أعمـالكم فالمعنى معنى اللام في أن. وهذه اللام لام الصيرورة وهي كالـلام في قولـه: ﴿فَالْتَقَطَه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُـونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَـزَناً﴾[1] والمعنى فـالتقطه آل فـرعَوْنَ ليصير أمرهم إلى ذلك، لَا أَنَّهُمْ قصدوا أن يصير إلى ذلك. ولكنه في المقدار فيمـا سبق من علم اللَّه أن سبب الصيـر التقـاطهم إيـاه، وكـذلـك لا تـرْفَعُـوا أصواتكم فيكون ذلك سبباً لأن تحبط أعمالكم.

وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرونَ.

هذا إعلامٌ أن أَمْرَ النَّبِيِّ [ﷺ] ينبغي أن يُجَلَّ ويُعَظَّم غايَة الإِجْلَالِ.

وأنه قد يُفعل الشيءُ مما لا يَشْعَرُ به من أمر النبي ﷺ فيكون ذلك مُهلكاً لِفَـاعِلِه أو لِقَائِله، ولـذلك قـال بعض الفقهاء: من قـال إن زِرَّ رسـول اللَّه ﷺ وسخ يريد به النقص منه وجب قَتْلُه.

هذا مذهبُ مالِكٍ وأَصْحَابه.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُـولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّـذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُـمْ لِلتَّقْوَى﴾.

أَخْلَـصَ قُلُوبَهُمْ ـ وَ «هُمْ» يخــرج على تفسيـر حقيقــة اللغـة، والمعنى

---

(١) سورة القصص /٨.

اختبر اللَّه قُلُوبَهم فَوَجَدَهُمْ مُخْلِصِين ـ كما تقول: قد امتحنت هذا الذهب وهذه الفضة. تأويله قد اختبرْتُهُمَا بأن أَذَبْتُهَمَا حتى خَلَّصْتُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَعَلِمْتُ حَقِيقَةَ كل واحد منهما.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ﴾.

يقرأ بضم الحاء والجيم، والحُجَرَاتَ بِفَتْح الجيم، ويجوز في اللغة الحُجْرات. بتسكين الجيم ـ ولا أعلم أحداً قَرأَ بالتَّسْكِينِ وَقَدْ فَسَّرْنَا هذا الجمع فيما تقدم من الكتاب.

وواحد الحجرات حُجْرَةٌ. ويجوز أن تكون الحُجراتُ جمع حُجَرٍ وحُجراتٍ، والأجود أن تكون الحُجُرَات جمع حُجرة، وأن الفتح جاز بدلاً من الضَّمَّةِ لثقل الضَّمَتَيْن.

وهؤلاء قوم جاءوا إلى النبي [ﷺ] من بني تميم فَنَادَوْه من وراء الحجرات. ولهم في التفسير حديث فيه طول، وجملته أنهم جاءوا يفاخرون النّبي وأَنَّهُمْ لم يلقَوْه بما يجب له عليه السلام.

قال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيم﴾.

أي من تاب بعد هذا الفِعْلُ فاللَّه غفور رحيم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا﴾.

ويقرأ فتثبتوا أنْ تُصيبوا.

﴿قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها نزلت بسبب الوليد بن عقبة. وكان رسول اللَّه ﷺ بَعَثَهُ ساعِياً يجْبي صدقات بني المصطلق، وكان بينه وبينهم أَحْنَةٌ أي عداوة،

فلما اتَّصَلَ بهم خَبَرُهُ وقد خرج نحوهم قال بعضهم لبعْضٍ: قد علمتم ما بيننا وبين هذا الرجل، فامْنعُوهُ صَدَقَاتِكُمْ، فاتصل به ذلك فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم مَنَعُوهُ الصدقة وأنهم ارْتَدُّوا، وأَعَدُّوا السِّلاَحَ للحَرْبِ، فوجه رسول اللَّه ﷺ بخالد بن الوليد ومعه جيش، وتقدم إليْه أن ينزل بعقوتهم ليلاً، فإن رأى ما يدل على إقامتهم على الإسلام من الأذان والصلاة والتّهجُّد أمسك عن محاربتهم، وطالبهم بصَدَقَاتِهِمْ فلما صار خَالِدٌ إليهم ليلاً سَمِعَ النداء بالصَّلاَة، ورآهم يُصَلّونَ وَيَتهجّدُونَ، وقالوا له: قد استبطأنا رسالة رسول اللَّه ﷺ في الصَّدَقَاتِ، وسلموها إليه، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ أي بخَبرٍ ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَةٍ﴾ أي كراهة أن تُصِيبُوا قوماً بِجَهَالَةٍ وهذا دليل أنه لا يجوز أن يقبل خبر من فاسق وإن تَبَيَّنَ[1] وأَنَّ الثقة يجوز قبول خبرِه. والثقةُ من لم تجرب عليه شهادَةُ زُورٍ وَلاَ يُعْرَف بفِسْقٍ وَلاَ جُلِدَ في حَدٍّ، وهو مع ذلك صحيح التمييز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾.

أي لو أطاع مثل هذا المخبر الذي أخبره بما لا أصل له لوقعتم في عَنَتٍ، والعَنَتُ الفساد والهَلاَكُ.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ﴾.

هذا يعنى به المؤمنون المخلصون.

﴿وَزَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ﴾.

ويحتمل في قلوبكم وجهين ـ أحدهما أنه دلهم عليه بالحجج القاطعة البينة، والآيات التي أتى بها النبي ﷺ المعجزةِ، والثاني أنه زينه في قلوبهم بتوفيقه إياهم.

---

(١) وإن ظهر أنه صحيح.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيَانَ﴾.

وذلك أيضاً تبْيينُه ما عليهم في الكفر وتوفيقـه إياهم إن اجْتَنَبُوه.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

أي هؤلاء الـذين وفقهم اللَّه - عزّ وجـلّ - بتحبيب الإيمان إليهم وتكـريه الكفر أولئك هم الراشدون.

﴿فَضْلاً مِنَ اللَّه وَنِعْمَةً﴾.

منصوب مفعول له - المعنى فعل اللَّه ذلك بكم فضلاً من اللَّه ونعمةً أي للفضل والنَعْمةِ، ولو كان في غيـر القرآن لجـاز فَضْلٌ من اللَّه ونعمـة، المعنى ذلك فضل من اللَّه ونعمة.

وقوله - عزّ وجلّ -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَـأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَـا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتي تَبْغِي﴾.

والباغية التي تعدل عن الحق وما عليـه أئمة المُسْلِمين وَجَمَـاعَتُهُمْ.

﴿حَتَّى تَفِيءَ إلى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

حتى ترجع إلى أمر اللَّه.

﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾: فإن رَجَعَتْ.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾.

أي وأَعْدِلُوا.

﴿إِنَّ اللَّه يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾.

وهذه - قيل - نزلتْ بسبب جَمْعَيْن من الأَنْصَارِ كـان بينهم قِتَالٌ ولم يكن ذلك بسيوف ولا أسْلحة، جاء في التفسير أنه كان بينهم قِتال بـالأيدي والنِّعَـال وَتَرَامٍ بِالحِجَارةِ.

﴿إنَّماالمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فأصلحوا بينَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

ويقرأ بين إِخْوَانكم، وبين إِخْوَاتِكُمْ وبين أُخْوَتكم. فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن الدِّينَ يجمعهم وأنهم إخوَةٌ إذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا في الاتفاق في الدين إلى أصل النَّسَبِ، لأنهم لآدَم وحَوَّاء، ولو اختلفت أَدْيَانُهم لافترقوا في النَّسَبِ، وإن كان في الأصل أنهم لأب وأم، ألَا ترى أنه لا يرث الولدُ المؤمن الأب الكافرَ ولا الحمِيمُ المؤمِنُ نسيبه الكافِر.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾... الآية.

عسى أن يكون المسخور منه خيراً من الساخرين، وكذلك عسى أن يكون النساء المسخور منهن خيراً من النساء الساخرات، فنهى اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن يسخر المؤمنون من المؤمنين، والمؤمنات من المؤمنات.

﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

واللمز والهمز العيب والعض من الإنسان. فأعلم اللَّه أن عيب بعضهم بعضاً لازم لهم، يلزَمُ العائِبَ عيبُ المعيب.

﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ والنبز واللقب في معنىً وَاحِدٍ، لا يقول المسلم لمن كان يَهودياً أو نصرانياً فأسلم لقباً يعيره فيه بأنه كان نصرانياً أو يهودياً.

﴿بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ﴾، أي بئس الاسم أن يقول له: يا يهودي ويا نصراني وقد آمن، ويحتمل أن يكون في كل لقب يكرهه الإنسان، لأنه إنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

أمر اللَّه عزّ وجلّ باجتناب كثير مِنَ الظَّنِّ، وهو أن تظن بأهل الخير سوءاً

إذا كنا نعلم أن الذي ظهر منه خير، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مِثْلَ الذي ظهر منهم.

وقوله: ﴿ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾، والغيبة أن يُذْكَرَ الإنسانُ من خلفه بسوء وإن كان فيه السوء، فأما ذكره بما ليس فيه فذلِكَ البَهْتُ والبُهْتَانُ - كذلك جاء عن النبي [ﷺ].

وقوله عزّ وجلّ - :﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيه مَيْتاً﴾.

ويجوز مَيِّتاً وتأويله أن ذكرك بِسوءٍ من لم يَحْضر لك بمنزلة أكل لحمه وهو مَيِّتٌ لَا يُحِسّ هُوَبذلك، وكذلك تقول للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكرِهْتُمُوهُ﴾.

ويُقرأ «وَكُرِهتموه» - فتأويله كما تكرهون أكل لحمه مَيتاً كذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائباً.

وقوله :﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾.

خلقناكم من آدم وحوّاء، وكلكم بنو أبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ إِلَيْهِما تَرْجِعُونَ.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

والشعب أعظم من القبيلة. أي لم يجعلكم شعوباً وقبائل لتفاخروا وإنما جعلناكم كذلك لتتعارَفُوا، ثم أعلمهم اللّه -عزّ وجلّ - أن أرفعهم عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَتْقَاهُمْ فقال:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ولو قرئتِ أَنَّ أكرمكم عند اللّه أتقاكم جاز ذلك على معنى وجَعَلْناكم

شعوباً ليعرف بعضكم بعضاً لأن أكرمكم عند اللّه أتقاكم.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهمه، وأين ينفصل المؤمن من المسلم. وأين يستويان.

والإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدَّمُ. فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي مَنْ هُوَ صفته فهو مؤمن مُسْلِم، وهو المؤمن باللّه ورسوله غَيْرَ مرتابٍ ولا شَاكٍّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخلُه في ذلكَ رَيبٌ، فهو المؤمِنَ وهو المُسْلِمُ حقاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللّه ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ في سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

أي إذا قالوا إنا مؤمنون فهم الصَّادقون، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم، وباطنه غير مُصَدق، فذلك الذي يقول أسلمتُ لأن الإيمانَ لا بد من أن يكون صاحبه صديقاً، لأنَّ قولك آمَنْتُ بكذا وكذا معناه صدقت به، فأخرج اللّه هؤلاء من الإيمان فقال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

أي لم تصدقوا إنما أسلمتم تعوذاً من القتل، فالمؤمن مُبْطِنٌ من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام وهو مظهر الطاعة مع ذلك مؤمن بها، والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوذاً غير مؤمن في الحقيقة، إلاَّ أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قيل إنّ هذه نزلت في المنافقين. فاعلموا أنكم إنْ كنتم صادقين فإنكم قد أسلمتم فلله المنُّ عَلَيْكُمْ لإخراجه إياكم من الضلالة إلى الهدى.

وقد قيل: إنها نزلت في غير المنافقين، في قوم من المسلمين قالوا آمنا وهاجرنا وفعلنا وصنعنا فمنوا على رسول اللّه بذلك.

والأشبه ـ واللّه أعلم ـ أن يكون في قوم من المنافقين.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَه لَا يَأْلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شيئاً﴾.

ويُقرأ ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾، فمن قرأ ﴿يَأْلِتْكُمْ﴾ فدليله ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾[1] ومعناه وما نقصناهم، وكذلك لا يَأْلُتُكُمْ لا ينقصكم، ومن قرأ ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ فهو من لات يليت، يقال: لَاتَه يَلِيتُهُ. وَأَلَاتَهُ يُلِيتُه إذا نقصه أيضاً، والمعنى فيهما واحدٌ. أعني يألتكم ويلتكم، والقراءة ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ أكثر، والأخرى أعني يَأْلُتُكُمْ جيدة بالغة، ودليلها في القرآن على ما وصفنا.

---

(١) سورة والطور.

سورة ق
خمس وأربعون آية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجَلّ ﴿ق وَالْقُرآنِ المَجِيدِ﴾.

أكثر أهل اللغة وما جاء في التفسير أن مَجاز «ق» مجاز الحروف التي تكون في أوائل السُّوَر نحو ﴿ن﴾، و ﴿ألم﴾، و ﴿ص﴾ وقد فسرنا ذلك ويجوز أن يكون معنى «قَافْ» معنى قضي الأمر، كَمَا قِيلَ ﴿حم﴾ حمَّ الأَمْرُ، واحتج الذين قالوا من أهل اللغة أن معنى «ق» بمعنى قضي الأمر بقول الشاعر[1]:

قلنا لها قفي قالت قاف   لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

معناه فقالت أقف[1]

ومذهب الناس أن قاف ابتداء للسورة على ما وصفنا، وقد جاء في بعض التفسير أن قاف جبل محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وأن السماء بيضاء وإنما اخْضَرَّتْ مِنْ خُضْرَتِه، واللَّه أعلم .

وجواب القسم في ﴿ق والقُرآنِ المَجيد﴾ مَحْذُوف، يدل عليه ﴿أَإذا مِتْنَا وكُنَّا تراباً﴾، المعنى واللَّهِ أعلم: والقرآن المجيد أنكم لمبعوثون[2]، فعجبوا فقالوا ﴿أَإذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُراباً﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول في شرح ﴿الم﴾.

(٢) في الأصل انكم مبعوثون.

أي أنبعث إذَا مِتْنَا وكنا تُراباً. ولو لم يكن إذا متعلق[1] لم يكن في الكلام فائدة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

أي يبعد عندنا أن نبعث بَعْدَ المَوْتِ،

ويجوز أن يكون الجواب ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى ق والقرآن المجيد لقد علمنا ما تنقص الأرض منهم وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال: ﴿والشمس وضحاها﴾[2] إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[3]، المعنى لقد أفلح من زكاها. والمعنى ﴿ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُم﴾. ما تأخذه الأرض من لحومهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالحقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ في أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾.

مَريج مختلف ملتبس عليهم مرة يقولون للنبي ﷺ شاعر ومرة ساحِر ومرة معلم. فهذا دليل على أن أمرهم مريج ملتبس عليهم، ثم دلهم عزّ وجلّ على قدرته على بعثهم بعد الموت بعظيم خلقه الذي يدل على وحدانيته وأنه على كل شيء قدير فقال:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُم كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾.

وأن اللَّه عزّ وجلّ ممسكها بغير عَمَدٍ من أن تقع على الأرض.

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾.

لا صدع فيها ولا فرجة.

﴿والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾.

والرواسي الجبال.

﴿وأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى﴾.

---

(١) كذا بالأصل ـ ويظهر أن كلمة مفقودة ـ والفرض إذا لم تكن «إذا» متعلقة بالفعل لم يكن للكلام معنى.

(٢) أول سورة الشمس. (٣) سورة الشمس الآية ٩.

أي فعلنا ذلك لنبصر به وندلَ عَلى القدرة.ثم قال ﴿لِكلِّ عَبْـدٍ مُنيبٍ﴾ أي لكل عبد يرجع إلى اللَّه ويفكر في قدرته.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَحَبَّ الحَصِيـدِ﴾.

أي وأنبتنـا فيها حب الحَصِيدِ، فجمع بذلك جميع ما يقتـات به من حب الحنطة والشعير وكل ما حَصِدَ.

﴿والنَّخْـلَ بَـاسِقَــاتٍ﴾.

بسوقها طولها، المعنى وأنبتنـا فيها هذه الأشياء.

وقوله: ﴿رِزْقاً للعِبَادِ﴾.

ينتصب على وجهين أحـدهما على معنى رزقنـاهم رزقاً لأن إنبـاته هـذه الأشياء رزقٌ، ويجوز أن يكون مفعولاً له، المعنى: فأنبتنا هذه الأشياء للرزق. ثم قال:

﴿كَذَلِكَ الخُروجُ﴾.

أي كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

أي فحقت عليه كلمة العذاب والوعيد للمكذبين للرسل، وكذلك قوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُم نَاراً تَلَظَّى، لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[1].

وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالَخَلْقِ الأَوَّلِ﴾.

هذا تقرير لأنهم اعترفوا بأنَ اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ الخَـالِقُ، وأنكروا البعث، فقـال: ﴿أفَعَيينا بـالخَلْقِ الأَوَّلِ﴾، يقال: عَيِيتُ بـالأمر إذا لم تعْـرف وجهـه، وأَعَيْيتُ إِذَا تعبتُ.

---

(١) سورة الليل الآية ١٤ ـ ١٦.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُمْ في لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي بل هم في لَبْسٍ مِنَ البَعْثِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُه﴾.

أي نَعلَمُ ما يخفي وما يكنه في نفسه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾.

والوريد عرق في باطن العنق، وهما وريدان، قال الشاعر.

كأن وريداه رشاء أُخْلبِ[1]

يعني من ليف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ إِذْ يَتلقَّى المَتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمين وَعَنِ الشِّمَال قَعِيدٌ﴾.

﴿المُتَلَقِّيَانِ﴾ كاتباه الموكَّلانِ بِهِ، يَتَلقيان ما يعمله فيُثبتانه، المعنى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فدل أَحَدُهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، ومثله قَوْلُ الشَّاعِر.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف[2].

أي نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض، ومثله أيضاً

رماني بأمر كنتَ منه ووالدي بريئاً ومن أجل الطوى رماني[3]

المعنى رماني بأمر كنت منه بريئاً، ووالدي بريئاً منه.

---

(١) من رجز رؤبة وقبله: «غادرته مجدلاً كالكلب» وروايته في ديوانه والمصادر الأخرى: رشاء خُلْبِ. والخلب الليف، والرشاء الحبل ـ أي تركه ملقى على الأرض وقد انتفخت عروقه فصار كحبال الليف.

ملحقات ديوانه ١٦٩، ابن يعيش ٨٢/٨، الخزانة٤/٣٥٦. والعيني ٢/٣٩٩ واللسان (خلب)، وسيبويه ٣/١٦٤ (ت هرون) وشواهد الكشاف.

(٢) تقدم.

(٣) للفرزدق ـ تقدم.

وقوله: ﴿عَتِيدٌ﴾ أي ثابت لازم.

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾.

أي جاءت السكرة التي تدل الإنسانَ على أنه ميت، ﴿بالحق﴾ أي بالمَوْتِ الذي خلق له. وقال بعضهم: وجاءت سكرة الحق بالموت، ورويت عن أبي بكر رحمه اللَّه والمعنى واحد، وقيل الحق ههنا اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

قيل في التفسير سائقٍ يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عَلَيْها بِعَمَلِها وقيل ﴿وَشَهِيدٌ﴾ هُوَ العَمل نفسه.

وقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾.

وهذا مَثلٌ، المعنى كنت بمنزلة من عليه غطاء وعلى قلبه غشاوة.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

أي فعلمك بما أنت فيه نافذٌ، ليس يراد بهذا البصر من - بَصَرِ العين - كما تقول: فلان بصير بالنحو والفقه، تُرِيدُ عَالِمَاً بِهِمَا، ولم ترد بصر العَيْن.

وقوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾.

«ما» رفع بهذا و «عتيد» صفة لما فِيمَنْ جَعَلَ «ما» في مذهب النكرة، المعنى هذا شيء لديّ عتيد، ويجوز أن يكون رفعه على وجهين غير هذا الوجه، على أن يُرْفَع عَتِيدٌ بإضْمارٍ، كأنك قلت: هذا شيءٌ لَدَيَّ هو عتيد ويجوز أن ترفعه على أنه خبر بعد خبر، كما تقول هذا حلو حامض، فيكون المعنى هذا شيء لَدَيّ عتيدٌ، ويجوز أن يكون رفعه على البدل من «ما»، فيكون المعنى هذا عتيد.

وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّم كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

أي عَنِدَ عن الحق، وقوله: ﴿أَلْقِيَا﴾، الوجه عندي - واللَّه أعلم - أن يكون أمر الملكين، لأن ﴿أَلْقِيَا﴾ للاثنين، وقال بعض النحويين: إن العرب

تأمر الواحد بلفظ الاثنين، فتقول قوماً واضربا زيداً يا رجل، ورووْا أن الحجاج كان يقول: يا حَرَسِيُّ اضربا عنقه، وقالوا: إنما قيل ذلك لأن أكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمره بلفظ الاثنين، نحو.

خليلي مُرَّا بي على أمِّ جُنـدَبِ[١]

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ[٢]

وقال محمد بن يزيد: هذا فعل مثنى توكيداً كأنه لمَّـا قال أَلْقِيَـا ناب عن قوله أَلْقِ أَلْقِ، وكذلك عنده قفا معنـاه عنده قف قف، فنـاب عن فعلين فبنى. وهذا قولٌ صالحٌ وأنا اعتقد أنه أمر الاثنين، واللَّه أعلم.

وقوله:﴿قَالَ قَرِينُه رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

المعنى إنما طغى وهو بضلاله وإنما دعوته فاستجـاب، كما قـال:﴿وقَالَ الشَّيـطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْـرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْـدَ الحَقِّ وَوَعَدتُكُمْ فـاخْلَفْتُكم وَمَا كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُم لِي﴾[٣].

وقوله:﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

أي من عمـل حسنة فله عشـر أمثالهـا، ومن عمل سيئة فـلا يجـزى إلَّا مثلها.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّم هَلِ امْتَلأْتِ﴾.

وقـرئت يوم يقـول لجهنَّم، نصب يوم على وجهين على معنى مـا يبـدل القول لديّ في ذلك اليوم، وعلى معنى أنذرهم يوم نقـول لجهنم، كما قـال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرةِ إِذْ قُضِيَ﴾[٤].

---

(١) أول قصيـدة علقمة ـ والشـطر الثاني: لنقضي حـاجات الفؤاد المعـذب ـ وقد قـدمتـه بهـا على امرئ القيس ـ وقد ذكرت شواهد المغني جزءاً منها.

(٢) أول معلقة امرئ القيس. (٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢. (٤) سورة مريم /٣٩.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿هَلِ امْتَلأْتِ﴾.

[أي] أم لم تمتلىء، وإنما السؤال توبيخ لمن أُدْخِلَهَا، وزيادة في مكروهه، ودليل على تصديق قوله: ﴿لأملأنَّ جَهَنَّمَ مِنك ومِمَّنْ تَبعَكَ منهم [أجمعين]﴾(١).

فأما قوله: ﴿وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.

ففيه وجهان عند أهل اللغة أحدهما أنها تقول ذلك بعد امتلائها فتقول: هل من مزيد، أي هل بقي في موضع لم يمتلىء، أي قد امتلأت، ووجه آخر: تقول: هل من مزيد تغيظاً على من عصى كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَمِعوا لَها تَغَيُّظاً وزفيراً﴾. فأما قولها هذا ومخاطبتها فاللَّه عزّ وجلّ جعل فيها ما به تُمَيِّزُ وتخاطب، كما جعل فيما خلق أن يسبح بحمده، وكما جعل في النملة أن قالت: ﴿يا أَيُّها النَّمْلُ ادخُلُوا مَسَاكِنَكُم﴾(٢) وقد زعم قوم أنها امتلأت فصارت صورتها صورة من لو ميَّزَ لَقال: هل من مزيد كما قال الشاعر:

امتــلأ الحــوض وقــال قــطني(٣)
مهــلاً رويــداً قــد مــلأت بــطني

وليس هناك قول. وهذا ليس يُشْبِه ذاك، لأن اللَّه عزّ وجَلّ قد أعلمنا أن المخلوقات تسبح وأننا لا نفقه تسبيحها، فلو كان إنما هو أن يدل على أنها مخلوقة كنا نفقه تسبيحها.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيها وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

المعنى لهم فيها ما يشاءون ولدينا مزيد مما لم يخطر على قُلوبِهِمْ، وجاء في التفسير أن السحاب يمر بأهل الجنة فيمطر لهم الحور، فيقول الحورُ نحن الذين قال اللَّه عزّ وجَلّ [فيهم] ﴿ولدينا مزيد﴾.

---

(١) سورة ص /٨٥. (٢) سورة النحل /١٨.

(٣) رجز يذكره النحويون في باب اسم الفعل، ولم يذكر قائله ـ وقطني بمعنى حسبي. انظر ابن يعيش ١٣١/٢. وقد تقدم.

﴿وَكَم أَهْلَكنا قبلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾.

اختلف الناس في القرن فقال قوم: القرن عشر سنين، وقال قوم ثلاثون سنة، وقال قوم أربعون سنة، وقال قوم سبعون سنة، وقالوا مائة سنة، وقال قوم مائة وعشرون سنة.

والقرن واللَّه أعلم مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فالقرن في قوم نوح على مقدار أعمارهم.

واشتقاقه من الاقتران فكأنه المقدار الذي هو أكبر ما يقترن فيه أهل ذلك الزَّمان في بقائهم.

وقوله عزّ وَجَلّ:﴿فَنَقَّبُوا فِي البِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾.

وقرئت فَنَقَبُوا - بالتشديد والتخفيف - المعنى طوَّفوا وفتشوا فلم يروا محيصاً من الموت، قال امرؤ القيس[1].

وقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وتقرأ فنقِّبُوا في البلاد، أي فتشوا وانظروا، ومن هذا نَقيبُ القومِ للذي يعرف أمرهم، مثل العريف.

قوله عزّ وجلّ:﴿إنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمَعَ وَهُوَ شهِيدٌ﴾.

وقرئت أو أُلقِيَ السمعُ، ومعنى من كان له قلب أي من صرف قلبه إلى التّفَهُّمِ، ألا ترى أن قوله:﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ أنهم لم يستمعوا استماع متفهم مسترشد فجعلوا بمنزلة من لم يسمع كما قال الشاعر:

---

(١) في الطبري ٢٦/٢٩٦، والقرطبي١٧/٢٢. ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٢٤. والكامل ١/٣٢٥. وفي الديوان: وقد طوفت.

أَصَـمُّ عـما ساءه سميع(١)

ومعنى ﴿أو ألقى السمع﴾ أي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يسمع، والعـرب تقـول: ألق إليَّ سَمعَـك، أي استمـع مني، ومعنى وهـو شهيـدٌ، أي وقَلْبُـه فيما يسمـعُ(٢)، وجاء في التفسيـر أنه يعنى بـه أهل الكتـاب الـذين كـانت عندهم صفـة النبي ﷺ. فالمعنى على [هـذا] التفسير ﴿أو أَلْقَى السَّمْـعَ وَهُوَ شهيدٌ» أن صفة النبي عليه السلام في كتابه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَينَهُمْا في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

اللُّغُـوب التَّعَب والاعياء، يقـال: لَغَبَ يلْغُبُ لُغُوبـاً. وهذا فيمـا ذكر أن اليهود ـ لُعِنَتْ ـ قالت: خلق اللّه السموات والأرض في ستَّةِ أيامٍ أولُها الأَحَـدُ وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، فأعلم اللّه عـزّ وجَلّ أنـه خلقها في ستـة أيام وسبحانه وتعالى أن يوصف بتعب أَوْ نَصَبٍ.

ثم قال:﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّـكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُروب﴾.

يعني قبل طلوع الشمس صلاة الفجر، وقبل الغُروب صلاةَ العَصْرِ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾صلاة المغرب.

﴿وأَدْبَارَ السُّجُودَ﴾ الركعتان بعد صلاة المغرب على هذا، ويجوز أن يكون الأمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة، ويقرأ ﴿ومن الليل فسبحه وأَدبار السُّجودِ﴾ وإدبار السجود، فمن قرأ وأَدْبَارَ بفتح الألف فهو جمع دُبُر، ومن قرأ وإدبَارَ فهو على مصدر أَدْبَرَ يُدْبِرُ إدباراً.

(١) تقدم (٢) انتباهه لما يسمع فقط.

وقوله تعالى: ﴿واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي المُنَـادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾

جاء في التفسير أنه يعنى به أنه ينادى بالحشر من مكـان قريب، وقيـل: هي الصخرة التي في بيت المقدس، ويقال إنها في وسط الأرْضِ.

قوله عزّ وجَلّ: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الخُروجِ﴾.

أي يوم يبعثون ويخرجون، ومثله ﴿يَوْمَ يَدْعُ الـدَّاعِ إِلَىَ شَيءٍ نُكُرٍ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ﴾[1] والأجـداث القبور وقـال أبو عبيـدة: يوم الخروج من أسماء يوم القيامة، واستشهَدَ بقول العَجَّاجِ[2].

أليس يـوم سمي الخـروجـا أعـظمَ يَـوْمٍ رَجَّـه رَجُـوجَـا

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّـرْ بالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

هذا كما قال: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[3] وهذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالحرب لأن سورة «ق» مكية.

---

(١) سورة ٦، ٧.

(٢) في مجاز أبي عبيدة ٢/٢٢٣، وفي ديوانه ص ١١.

(٣) سورة الغاشية ٢٢.

سورة الذَّاريات
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾.

جاء في التفسير عن علي رضي اللّه عنه ان الكواء سأله عن ﴿والذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾فقال علي: هي الرياح، قال: ﴿فالْحَامِلَاتِ وِقْراً﴾ قال السَّحابُ، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ قال الفلك، قال: ﴿فالمقسمات أمْراً﴾ قال الملائكة.

والمفسرون جميعاً يقولون بقول علي في هذا.

﴿والذَّارِيَاتِ﴾ مجرور على القسم، المعنى أحلف بالذاريات وبهذه الأشياء، والجواب:﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

وقال قوم: المعنى وَرَب الذَّارِيَاتِ ذَرْواً كما قال عزّ وجّل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[١]، والذاريات من ذَرَتِ الريح تَذرو إذا فرقت التراب وغيره، يقال: ذرت الريح وأذرت بمعنى وَاحِدٍ، ذرت فهي ذاريةٌ، وهن ذارياتٌ، وأذرت فهي مُذْرِية ومُذْرِياتٌ للجماعة، وذاريات أيضاً، والمعنى ورب الرياح الذاريات، ورب السُّفُن الجاريات، ورب الملائكة المقسمات، إنّ ما توعدون لَصَادِقٌ.

وقوله:﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾.

أي إن المجازاة على أعمَالكم لواقعة.

---

(١) سورة الذاريات ٢٣.

وقوله:﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ. إِنَكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾.

جاء في التفسير أنها ذات الخلق الحسن، وأهل اللغة يقولون ذات الحبك ذات الطرائق الحسنة، والمحبوك في اللغة ما أُجِيدَ عَمَلهُ وكل ما تراه من الطرائق في الماء وفي الرمل إذا أصابته الريح فهو حبك، وواحدها حِبَاك، مثل مِثَال ومُثُلٍ، وتكون واحدتها أيضاً حبيكة مثل طريقة وطرق.

وقوله:﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ أي في أمر النبي ﷺ.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾. أي يُصرف عنه من صُرِفَ.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾.

هم الكذابون، تقول: قد تَخَرَّصَ عليَّ فُلانٌ الباطل، ويجوز أن يكون الخرّاصون الذين يتظنون الشيء لا يُحِقُّونه، فيعملون بما لا يدرون صحته.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾.

ويجوز إِيَّان بكسر الهمزة وفتحها، أي يقولون متى يوم الجزاء.

وقوله:﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾.

بنصب يوم، ويجوز يَوْمُ هم على النَّار يفتنونَ، فمن نَصَبَ فهو على وجْهَين أحدهما على معنى يقع الجزاء يَوْمَ هُمْ عَلَى النار يُفْتَنُونَ ويجوز أن يكون لفظه لفظَ نَصْبٍ ومعناه معنى رفع، لأنه مضاف إلى جملة كلام، تقول يعجبني يَوْمَ أَنْتَ قَائِمٌ، ويومُ أنت قائمٌ، وَيَوْمُ أَنْتَ تَقُومُ، وإن شئت فتحت وهو في موضع رفع كما قال الشاعر:(١)

لم يمنع الشرب منها غَيْرَ أن نطقت حمامة في غُصُون ذَاتُ أَوْ قَال

وقد رويت غَيْرُ أن نطقت، لما أضاف غير إلى أن وليست بِمُتَمكِّنةٍ فتح، وكذلك لما أضاف يوم إلى ﴿هُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فتح، وكما قرئت:﴿ومِنْ

(١) تقدم.

خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾، ففتحت يوم وهو في موضع خفض لأنك أضفته إلى غير متمكن.

ومعنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون وَيُعَذَّبونَ، ومن ذلك يقال للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت بالنَّور الفَتينُ.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتاهم رَبُّهُمْ﴾.

أعلم عزّ وجَلّ ما لأهل النَّار، ثم أعلم ما لأهل الجنَّة لأنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أعلم جزاء أهل الجنَّةِ، وجزاء أهل النَّارِ.

وقوله: ﴿آخِذِينَ﴾ نصب على الحال، المعنى إن المتقين في جَنَاتٍ وعيون في حال أَخْذِ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ، ولو كان في غير القرآن لجاز «آخِذُونَ» ولكن المصحَفَ لَا يُخَالف، ويكون المعنى إن المتّقين آخِذُونَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ في جنات وعُيُونٍ، والوجه الأول أجْوَدُ في المعنى وعليه القراءة.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

المعنى كانوا يهجعون قليلاً من الليل، أي كانوا ينامون قليلاً مِنَ اللَّيْلِ، ثم أعلم اللَّه عزّ وجَلّ في أي شيء كَانَ سَهَرُهُمْ فقال: ﴿وبالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾.

وجائز أن يكون «ما» مُؤَكِّدةٌ لَغْواً، وجائز أن يكون «ما» مع ما بعدها مَصْدراً، يكون المعنى كانوا قليلاً من الليل هجوعهم.

﴿وفي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ والمَحْرُومِ﴾.

﴿المحروم﴾ جاء في التفسير الذي لا ينمو له مال، والأكثر في اللغة لا ينمى له مال، وجاء أيضاً أنه المجازف الذي لا يكاد يكتسب.

قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّه لَحَقٌّ﴾.

أي إن ما أتى به النبي [ﷺ] حق وإن قوله:﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ حَقٌّ.

فالمعنى أن هذا الذي ذكرنا في أمر الآيات والرِّزْقِ وأمر النبي ﷺ حق ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾

وقرئت مِثْلُ ما أنكم تنطقونَ، وهذا كما تقول في الكلام: إنَّ هذا لحقٌّ كما أنك متكلمٌ، فمن رفع «مثل» فهي من صفة الحق، المعنى إنه لحق مِثْلُ نُطْقِكُمْ، ومن نصب فعلى ضربين أحدهما أن يكون في موضع رفع إلاّ أنه لما أضيف إلى «أنَّ» فتح، ويجوز أن يكونَ منصوباً على التوكيد، على معنى إنه لحقٌّ حَقًّا مثل نطقكم.

وقوله:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

جاء في التفسير أنه لما أَتَتْهُ الملائكةُ أكرمهم بالعِجل، وقيل: أكرمهم بأنه خَدَمَهُمْ، صلوات اللَّه عليه وعليهم.

﴿فَقَالُوا سَلَاماً﴾ قَالَ سِلْمٌ.

وقرئت: ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾. فنصب الأولى على معنى السَلامُ عليكم سَلاماً، وسلمنا عليك سلاما، ومن قرأ،﴿قَالَ سَلَامٌ﴾فهو على وجهين على معنى قال سَلامٌ عليكم، ويجوز أن يكون على معنى أمرنا سَلامٌ. ومن قرأ سِلْمٌ فالمعنى قال سلم أي أمري سِلْمٌ، وأمرنا سِلْمٌ، أي لا بَأْس علينا.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.

رفعه على معنى أنتم قوم منكرونَ.

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فجاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

معنى ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ عدل إِلَيْهِمْ من حيث لا يعلمون لأيّ شيء عَدَل،

وكذلك يَقُولُ: راغ فلان عنا إذا عدل عنهم من حيث لا يعلمون.

وقوله: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلونَ﴾.

المعنى فقربه إليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا، قال ألا تـأكُلُونَ على النكير، أي أمركم في ترك الأكل مما أنْكِرُه.

وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾.

معنى «أَوْجَسَ» وقع في نَفْسِه الخوفُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبشَّروهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ معنى «عليم» أنه يبلغ وَيَعْلَمَ.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرأَتُه في صَرَّةٍ﴾ والصرَّةُ شدة الصياحِ ههنا ﴿فصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي لطمت وَجْهَهَا.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

المعنى وقالت أَنَا عَجُوزٌ عَقِيمٌ، وكيف ألِدُ. ودليل ذلك قوله في موضع آخر: ﴿قَالَتْ يا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذا بَعْلِي شَيخاً﴾(١).

﴿قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾.

أي كما قلنا لك قال ربـك، أي إنما نخبـرك عن اللَّه ـ عزّ وجَلّ ـ واللَّه حكيمٌ عَلِيمٌ، يقدر أن يجعل العقيم ولوداً، والعجوز كذلك. فعلم إبراهيم أنهم رسل وأنهم ملائكة.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّها المُرْسَلُونَ﴾ أي ما شأنكم وفيم أرْسِلْتُمْ.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرسِلْنَا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ﴾.

أي إنا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لنهلكهم بِكُفْرِهَمْ.

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

---

(١) سورة هود /٧٢.

أي مَعَلَّمَـة على كل حجـر منها اسم من جعـل إهْلَاكُـه به، والمسَـوَّمَـة المعلَّمَةُ أُخِذَ من السُّومَةِ وهي العَلَامة.

وقوله:﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

أي تركنا في مدينة قوم لوط علامة للخائفين تَدُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ اللَّه أهلكهم لينكل غيرهم عن فعلهم.

وقوله:﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

هذا عطف على قوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِنَ﴾ وعلى قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

وقوله: ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾، أي بحجة واضحة.

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾: أي تولى بما كان يتقوَّى به من جُنْدِهِ ومُلكِهِ.

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَو مَجْنُونٌ﴾:

المعنى وقال هذا ساحر أو مجنونٌ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ وركنه الذي يتقوى به ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ في اليمّ﴾، واليمُّ البحر.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي اللائمة لازمة له، أي ليس ذلك الذي فعل به بكفارة له.

والمُلِيمُ في اللغـة الذي يـأتي بما يجب أن يـلام عليه، ومعنى نبـذناهم ألقيناهم، وكل شيء ألقيته تقول فيه قد نبـذته، ومن ذلـك نبذت النبيـذ، ومن ذلك تقول للملقوط منبوذ لأنه قد رُمِيَ به.

وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾.

أي وفي عادٍ أيضاً آيةٌ على ما شـرحنا في قـوله: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ والريـح العقيم التي لا يكون معها لَقْحٌ، أي لا تأتي بمطر، وإنما هي ريح الإهلاك.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

والرميم الورق الجاف المتحطم، مثل الهشيم، كما قال: ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾[1].

﴿وفي ثمود﴾ أي وفي ثمود أيضاً آيةٌ.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾.

قرئت وقومِ نوحٍ - بالخفض - وقومَ نوحٍ - بالنصب - فمن خفض فالمعنى في قوم نوح، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرونَ﴾.

ومعنى أخذتهم الصاعقة أهلكناهم، فالمعنى فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح من قبل، والأحسن والله أعلم أن يكون محمولاً على قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَه فنبذناهم في اليَمِّ﴾، لأن المعنى فأغرقناه وجنوده وأغرقنا قوم نوح من قبل.

والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ: أي بقُوَّةٍ.

﴿وإنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾.

عطف على ما قبله مَنْصُوبٌ بفعل مضمر، المعنى وفرشنا الأَرْضَ فرشناها.

ومعنى ﴿فَنِعْمَ المَاهِدُونَ﴾ نحن، ولكن اللفظ بقوله فرشناها يدُل على المضمر المحذوف.

وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾.

المعنى - والله أعلم - على الحيوان لأن الذكر والأنثى يقال لهما زَوْجَانِ ومثله ﴿وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾[2]، ويجوز أن يكون الزوجان من كل

---

(١) سورة القمر /٣١.

(٢) سورة والنجم /٤٥.

شيء، ويكون المعنى في كل شيء في الحيوان الذكر والأنثى ويكون في غيره صِنفان أصل كل حيوان ومَوَاتٍ، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

المعنى ففروا إلى اللَّه من الشرك باللَّه ومن مَعَاصِيه إليه.

﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، أي أنذركم عذابه وعقابه.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ، كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾.

المعنى الأمر كذلك، أي كما فعل من قبلهم في تَكذيبِ الرُّسُلِ.

﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

أي إلا قالوا هذا ساحر، ارتفع ساحر بإضمار هو.

وقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾.

معناه أوصى أولهم آخرهم، وهذه ألف التوبيخ وألف الاستفهام.

وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾.

أي لا لوم عليك إذا أديت الرِّسَالةَ.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمِنِينَ﴾.

أي ذكرهم بأيام اللَّه وعذابه وعقابه ورحمته.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

اللَّه - عزّ وَجَلّ - قد علم من قبل أن يَخْلُقَ الجنَّ والإنسَ من يعبده مِمَّنْ يكفر به، فلو كان إنما خلقهم ليجبرهم على عِبَادَتِه لكانوا كلهم عباداً مؤمنين ولم يكن منهم ضُلَّال كافِرونَ، فالمعنى. وما خلقت الجنَّ والإنس إلا لأدعوهم إلى عِبَادَتِي، وأَنَا مُرِيدٌ العِبَادَةَ مِنْهُمْ، يعني من أهلها.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾.

أي ما أريد أن يرزقوا أحَداً من عبادي، وما أريد أن يطعموه[1] لأني أنا الرزاقُ المطعِمُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

والقراءة الرفْعُ وهو في العربية أحسن بكون رفع المتين صفة لِلَّهِ عزّ وجَلّ، ومن قرأ ذو القوةِ المتينِ - بالخفض - جعل المتين صفة للقوة لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة، كما قال: ﴿فمن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ المعنى فمن جاءه وَعظٌ.

ومعنى ﴿ذُو القُوَّةِ المتين﴾ ذو الاقْتِدَاءِ الشديد.

وقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوباً مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾.

الذَّنُوب في اللغة النصيب والدلو يقال لها الذنوب، المعنى فإن للذين ظلموا نصيباً من العذاب مثلَ نَصيبِ أَصْحَابِهم الذين أهلكوا نحو عاد وثمود وقوم لوط.

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، أي إن أُخِّرُوا إلى يَوْمِ القيامَةِ.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، أي من يوم القيامة.

---

(١) الأولى أن يكون التقدير: ما أريد أن يطعموني، وذلك لوجود نون الوقاية في «يطعمون».

سُورَةُ وَالطُّورِ
مكيــة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿والطُّورِ﴾.

قسم، والطور الجبل، وجاء في التفسير أنـه الجبل الـذي كَلَّمَ اللَّه عليه موسى عليه السلام.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. في رَقٍ مَنْشُورٍ﴾.

الكتاب ههنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم.

﴿والْبَيْتِ المَعْمُورِ﴾.

في التفسير أنه بيت في السماء بإزاء الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون منه وَلاَ يَعُودُونَ إليه.

وقوله:﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

جواب القسم، أي وهذه الأشيـاء إن عذاب ربـك... وجائـز أن يكون المعنى ـ واللّه أعلم ـ ورب هذه الأشياء ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لواقع﴾.

وقوله :﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾.

﴿تمور﴾ تدور، و «يوم» منصوبٌ بقوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، أي لواقع يوم القيامة.

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِين، والويـل كلمة يقـولها العـرب لكل من وقـع في هلكة.

قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾.

أي يشاغلهم بكفرهم لعب عاقِبتُه العذاب.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾.

أي يوم يزعجون إليها ازعاجاً شـديداً، ويـدفعون دفعـاً عنيفاً، ومن هـذا قوله: ﴿الذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾، أي يدفعه عما يجب له.

وقوله: ﴿هَذِهِ النَّارُ التي كُنْتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

المعنى فيقال لهم: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾.

﴿والبَحْرِ المَسْجُورِ﴾.

جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نارجهنم، وأما أهل اللغة فقالـوا: البحر المسجور المملوء. وأنشدوا: (١)

إذا شـاء طـالـع مسجـورة تـرى حولهـا النبع والسَّاسَمَا

يعني ترى حولها عيناً مملوءة بالماء.

وقوله عز وجل: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

لفظ هـذه الألف لفظ الاستفهام، ومعنـاها ههنـا التـوبيـخ والتقـريـع أي أتصدقون الآن أن عذاب اللّه لواقع.

وقوله عز وجل: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُم﴾ سواء مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، المعنى سواء عليكم الصبر والجزع.

(١) للنمر بن تولب. وهـو في الخزانـة ٤/٤٣٤، والشنتمرى ١/١٣٥، والعيني ١/٥٧٥، وشـواهد المغني ٦٥. يقـول في الابيات السـابقة: لـو كان لمخلـوق أن ينجو من المـوت لكان الـوعـل الأعصم، لأن أمـه تلده في مضلة لا يهتدى إليهـا إذا شاء طـالع مسجـورة: أي مملوءة بـالمـاء تحيط بها هذه الأشجار ـ من النبع وهو شجر قوي تصنع منه القسي، والساسم هو الآبنوس.

﴿إنَّما تُجزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

معنى إنما ههنا ما تجزون إلَّا ما كنتم تعملون، أي الأمر جارٍ عليكم على العدل، ما جوزيتم إلّا أعمالكم.

وقوله: ﴿إنَّ المتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ. فاكِهينَ بِمَا آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

وفاكِهين جميعاً، والنصب على الحال، ومعنى ﴿فاكهين بما آتاهم رَبُّهُمْ﴾ أي معجبين بما آتاهم رَبُّهُمْ

﴿ووَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذابَ الجَحِيمَ﴾.

أي غفر لهم ذنوبهم التي توَجِبُ النَّار بإسلامهم وتوبتهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُوا واشْرَبوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،

المعنى: يقال لهم ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾. وهنيئاً منصوب وهو صفة في موضع المصدر، المعنى كلوا واشربوا هُنِّئْتُمْ هَنيئاً وليهنكم ما صرتم إليه.

وقوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيها كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تأثِيمٌ﴾.

معنى ﴿يتنازعون﴾ يتعاطون فيها كأساً، يُتَناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا، وقوله: ﴿لَا لَغْوٌ فِيها ولا تأثيم﴾، معناه لا يجري بينهم ما يُلْغَى، أي لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لِشَرَبَةِ الخمر، والكأسُ في اللُّغة الإِنَاءُ المملوء، فإذا كان فارغاً فليس بكأس. وتقرأ: لا لغوَ فيها ولا تَأثِيمَ. بالنَّصْبِ، فمن رفع فعلى ضربين، على الرفع بالابتداء، و «فِيْهَا» هو الخبر، وعلى أن يكون «لا» في مذهب «ليس» رافعة.

أنشد سيبويه وغيره[1]:

مَن صدَّ عن نِيرَانِها فَأَنَا ابنُ قَيْسٍ لَا براحُ

(١) تقدم

ومن نصب فعلى النّفْي والتبرية كما قال في قوله: لا ريب فيهِ، إلا أن الاختيارَ عند النحويين إذا كرِّرَتْ «لا» في هذا الموضع الرفع، والنَّصْبُ عند جميعهم جائز حَسَنٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ في أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

الكلام ـ واللَّه أعلم ـ يدل ههنا أنهم يتساءلون في الجنة عن أحوالهم [التي] كانت في الدنيا، كان بعضهم يقولُ لبعضٍ: بم صرت إلى هذه المنزلة الرفيعة، وفي الكلام دليل على ذلك وهو قوله في جواب المسألة: ﴿إِنَّا كُنّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

أي مشفقين من المصير إلى عذاب اللَّه عزّ وجَلّ، فعملنا بطَاعَتِه، ثم قرنوا الجوابَ مع ذلك بالإخلاص والتوحيد بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ البرُّ الرَّحِيمُ﴾.

أي نُوَحِّدُه ولا ندعو إلٰهاً غيره.

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾، أي عذاب سموم جهنم.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ﴾.

أي ذكرهم بما أعتدْنَا للمتَّقِينَ المؤمنين والضلال للكافِرين، فما أنت بنعمة رَبِّك بكاهن ولا مجنون أي لست تقول ما تَقُولُه كهانَةً، ولا تنطق إلَّا بَوَحْيٍ من اللَّه عزّ وَجَلّ.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾.

﴿رَيْبَ المَنُونِ﴾ حوادث الدهر.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾.

فجاء في التفسير أن هؤلاء الذين قالوا هذا ـ وكان فيهم أبو جهل ـ هلكوا كلهم قبل وفاة رسول اللَّه ﷺ.

وقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُم أَحْلاَمُهُمْ بِهَذَا﴾.

أي أتأمرهم أَحْلاَمُهُم بترك القبول ممن يدعوهم إلى التوحيد وتأتيهم على ذلك بالدلائل، ويعملون أحْجَاراً ويعبدونها.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

أي أم هم يكفرون طغياناً وقد ظهر لهم الحق.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾.

أي إذا قالوا أن النبي ﷺ تقوله فقد زعموا أنه من قول البشر، فليَقُولُوا مثلَهُ فما رام أَحَدٌ مِنهم أن يقول مثل عَشْرِ سُور ولا مثل سورةٍ.

وقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾.

معناه بل أَخُلِقُوا من غير شيء، وفي هذه الآية قولان، وهي مِنْ أَصْعَب ما في هذه السورة. قال بعض أهل اللغة: ليس هم بأشد خلقاً من خلق السموات والأرض، لأن السموات والأرض خُلِقَتَا من غير شيء، وهم خُلِقُوا من آدم وآدم من تراب.

وقيل فيها قول آخر، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيرِ شَيءٍ﴾ أم خُلِقُوا لِغَيْر شيءٍ أي خلقوا باطِلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا يَنْهَوْنَ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتَهُمْ﴾.

وقرئت ﴿أَلحقنا بهم ذُرِّيَاتِهِمْ﴾، وقرئت «واتبعتم ذُرِّيَّاتُهِمْ» وكلا الوجهين جائز، الذُّرِّية تقع على الجماعة، والذُّرِّيَّات جَمعٌ، وذُرِّيَّة على التوحيد أكثر.

وتأويل الآية أن الأبناء إذا كانوا مؤمنين، وكانت مراتب آبائهم في الجنة

أعلى من مراتبهم ألحق الأبناء بالآباء، ولم ينْقص الآباء من عملهم شيئاً، وكذلك إن كان عَمَلُ الآبَاء أنقص، أُلْحِقَ الآبَاءُ بالأَبْنَاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَلَتْناهم مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾.

معناه ما أنْقَصْنَاهم، يقال أَلَتَه يَأْلِتُهُ أَلْتاً إِذَا نَقَصَهُ، قال الشاعِرْ(١)

أبلغ بني ثُعَلٍ عَنِّي مُغَلْغَلَةً جهد الرسالة لا أَلْتاً وَلَا كَذِباً

ويقال لأته يليتهُ لَيْتاً إذا نَقَصَهُ وصرفَهُ عن الشيء، قال الشاعر(٢):

ولَيْلَةٍ ذات نَدًى سَرَيْتُ وَلَم يَلِتْني عن هواها لِيتُ

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خزَائِنرَبِّكَ أَمْ هُمُ المصَيْطِرُونَ﴾ المصيطرون الأرباب المتسَلِّطُونَ، يقال: قد سيطر علينا وتسيطر. بالسين والصّاد، والأصل السين، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً، تقول: سيطر وصيطر، وسطا وصَطا.

وتفسير ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾، أي عندهم ما في خزائن ربك من العلم، وقيل - في «خزائن ربك» أي رزق ربك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾.

وقال أهل اللغة: معنى يستمعون فيه، يستمعون عليه ومثله: ﴿لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾(٣) أي على جذوع النخل.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

---

(١) للحطيئة - انظر مجاز أبي عبيدة ٢/٢٢١، واللسان (ألت) ومعاني الفراء ٩١ جـ٣ - في الآية نفسها.

(٢) أورده أبو عبيدة في مجازه ٢/٢٢١ منسوباً لرؤبة، وهو في معاني الفراء ٩١ جـ٣ غير منسوب، وانظر القرطبي ١٦/٣٤٩.

(٣) سورة طه الآية ٧١.

أي بحجـة واضحة، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ أنهم كجبـريل الـذي يـأتي النبي ﷺ بالوحي ويبين تبيينه عن اللَّه، ما كـان وما يكـون. ثم سفر أحـلامهم في جعلهم البنات للَّه فقال:

﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾.

أي أنتم يجعلون للَّه ما تكرهون وأنتم حكماء عند أنفسكم.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾.

المعنى أن الحجـة واجبـة عليهم من كـل جهـة، لأنـك أتيتهم بـالبيـان والبرهان ولم تسألهم على ذلك أجراً.

وقوله جـلّ وعلا: ﴿أَمْ يُـرِيدُونَ كَيْـداً فَالَّـذِينَ كَفَرُوا هُمُ المكِيدُونَ﴾.

أي أم يريدون بكفرهم وطغيانهم كيداً. فاللَّه عزّ وجلّ يكيدهم ويجزيهم بكيدهم العذاب في الدنيا والآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ﴾.

المعنى بـل أَلَهُمْ إلـهٌ غيـر اللَّه. فـإن قـال قـائـل: هم يـزعمـون أنَّ الأصنـام آلهتهم، فكيف قيـل لهم: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلـهٌ غَيـرُ اللَّهِ﴾ فـالجـواب في ذلـك أَلَهُمْ إِلَهٌ غيـر اللَّه يخلق ويرْزُق ويفعـل ما يعجـز عنه المخلوقـون، فمن يفعل ذلك إلا اللَّه عـزّ وجلّ، ثم نَـزَّهَ نفسه عـزّ وجلّ فقـال: ﴿سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّـا يُشْرِكُونَ﴾.

جاء في التفسير وفي اللغة أن معناه تنـزيه اللَّهِ عمَّـا يشركـون، أي عمن يجعلون شريكاً للَّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِـطاً يَقُولُـوا سَحابٌ مَرْكُومٌ﴾ أي وإن يروا قطعة من العذاب يقـولوا لشـدة طغيانهم وكفـرهم: هذا سحـاب مركـوم، ومركوم قـد ركم بعضه على بعض، وهـذا في قوم من أئمـة الكفر وهم الـذين

قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ فيهم:﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِن السَّمَاءِ فَظَلُّوا فيه يَعْـرُجُونَ لَقَالُوا إنما سُكِّرَتْ أبْصَارُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌمَسْحُورُونَ﴾(١)فأعلم اللّه عـزّ وجَلّ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْتَبِرُونَ وَلَا يوقِنُونَ ولا يؤمنون بأبْهَرِ ما يكون من الآيات.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾.

وقرئت:﴿يُصْعَقُـونَ﴾، أي فذرهم إلى يوم القيامـةِ، ثم أعلم أنـه يعجل لهم العذاب في الدنيا فقال:

﴿وَإِنَّ لِلَّذينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

المعنى وإن للذين ظلمـوا عذابـاً دون عـذاب الآخـرة، يعني من القتـل والأسر وسبي الذَّرَارِي الَّذِي نزل بهم، وأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه ناصِـرٌ دينه ومهلك من عادى نبيه، ثم أمره بالصبر إلى أن يقع العذاب بهم فقال:

﴿واصْبِرْ لِحكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

أي فـإنك بحيث نـراك ونحفظك ونـرعـاك، ولا يصلون إلى مكـروهك.
﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

أي حين تقوم من منامك، وقيل حين تقوم في صلاتك، وهو ما يُقَالُ مع التكبير: سبحانك اللهم وبحمدك.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾.

وقرئت «وأَدْبَارَ النجـومِ»، فمن قرأ إدبـار بالكسـر فعلى المصدر أَدْبَـرْتُ إِدْباراً، ومن قرأ أدبار بالفتح فهو جمع دبر. وأجمعوا في التفسير أن معنى أَدْبَارَ السُّجُود، معناه صلاة الركعتين بعـد المغرب، وأن إدبـار النجوم صـلاة ركعتي الغداة(٢).

(١) سورة الحجر الآية ١٤ ـ ١٥.

(٢) معنى التسبيح في هذا الوقت هو الصلاة.

سورة والنجم(١)

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾.

أقسم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ بالنجم.

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، جَوَابُ القسم.

وجاء في التفسير أن النجم الثُّرَيَّا، وكذلك يسميها العَرَبُ، وجاء أيضاً في التفسير أن النجم نزول القرآن نَجماً بعد نجم، وكان ينزل منه الآية والآيتان، وكان بين أول نزوله إلى استتمامه عشرون سنةً، وقال بعض أهل اللغة: النجم بمعنى النجوم وأنشدوا(٢).

فظلت تعد النجم في مُسْتَحِيرَةٍ　　　سريع بأيدي الآكلين جمودها

يصف قِدْراً كثيرة الدسم، ومعنى تعد النجم أي من صفاء دسمها ترى النجوم فيه، والمستحيرة القدر، فقال يجمد على الأيدي الدَّسَمَ مِنْ كَثْرتِه وقالوا مثله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾(٣).

ومعنى: ﴿إِذَا هَوَى﴾، إذا سقط، وإذا كان معناه نزول القرآن فالمعنى في «إِذَا أَهَوَى»، إِذَا نزل.

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) للراعي. انظر اللسان (نجم)، وشواهد الكشاف، وأورده أبو عبيدة في مجازه ٢/٢٣٥، «وباتت تعد النجم» وكذلك الطبري ٢٧/٢٢ والقرطبي ١٧/٨٢.

(٣) سورة الواقعة/٧٥.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: يعني النبي [ﷺ].

وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى﴾، أي ما الذي يأتيكم به مِمَّا قَاله بهَواه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

«إن» بمعنى «ما»، المعنى: ما هو إلا وحي.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾، يعني به جبريل عليه السلام.

وقوله:﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾.

﴿ذو مِرَّةٍ﴾ من نعت قوله ﴿شديد القُوَى﴾، والمرَّةُ القوَّة، ﴿عَلَّمَـهُ﴾ علم لنبي ﷺ.

وقوله: ﴿ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾.

قال بعض أهل اللغـة: «هو» ههنـا يعنى به النبي عليـه السلام، المعنى فاستوى جبريل والنبي ﷺ بـالأفق الأعلى، وهذا عنـد أهل اللغـة لا يجوز مثله إلا في الشعر إلا أن يكون مثل قولك: استويت أنا وزيدٌ، ويستقبحون استويت وزيدٌ، وإنما المعنى استوى جبريل وهو بـالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجلٍ، فأحبَّ رسول اللَّه أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق. فالمعنى ـ واللَّه أعلم ـ فاستوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

ومعنى ﴿دَنَا وَتَدَلَّى﴾ واحد، لأن المعنى أنه قَرُبَ، وتدلى زَادَ في القرب، كما تقول: قد دنا فلان مني وقرب، ولو قلت: قد قُرُبَ مني ودنا جاز.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

المعنى كان ما بينه وبين رسول اللَّه مقدار قوسين مِنَ القَسِيِّ العربيَّةِ أو أقرب. وهذا الموضع يحتاج إلى شرح لأن القائل قد يقول: ليس تَخْلُو «أو» من أن تكون للشك أو لغير الشك، فإن كانت للشك فمحال أن يكون موضع شك، وإن كان معناها بل أدنى، بل أَقْرَبُ فما كانت الحاجة إلى أن يقول: ﴿فكان قاب قَوْسَيْنِ﴾: - كان ينبغي أن يكون كان أدنى من قاب قَوسَيْنْ.

والجواب في هذا - واللَّه أعلم - أن العباد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحزر، فالمعنى فكان على ما تُقَدِّرونَه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك، كما تقول في الذي تقدره: هذا قدر رُمْحَينِ أو أنقص من رُمْحَين أو أرجح. وقد مر مثل هذا في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1].

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، أي فأوحى جبريل إلى النبي عليه السلام ما أوحى.

قوله: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.

وقرئت: ﴿ما كذّب الفؤاد ما رأى﴾ بتشديد الذّال.

وقوله: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَى﴾.

جاء في التفسير أن النبي ﷺ رأى رَبَّهُ - عزّ وجلّ - بقلبه، وأنه فَضْلٌ خُصَّ به كما خُصَّ إبراهيم عليه السلام بِالخُلَّةِ[2]. وقيل رأى أَمْراً عظيماً، وتفسيره ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾.

وقوله - عزَ وجلّ - : ﴿أَفَتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾.

---

(١) سورة الصافات /١٤٧.

(٢) أي اتخذه الله خليلاً.

و ﴿أفتُمارُونَه﴾ وقرئت بالوجهين جميعاً، فمن قـرأ ﴿أفتَمرونَـهُ﴾ فالمعنى أفتَجْحَـدونَهُ، ومن قـرأ ﴿أفتُمارُونَـه﴾ فمعناه أتجـادولنه في أنـه رأى اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ بقلبه، وأنه رأى الكبرى من آياته.

وقوله تعالى:﴿مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

أي ما زاغ بصر رسـول اللّه ﷺ وَمَا طَغَى، ما عدل وَلاَ جَـاوَزَ القصْدَ في رؤيته جبريل قد ملأ الأُفُقَ.

وقوله تعالى :﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَـةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

أي رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى.

﴿عِنْـدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى﴾.

جـاء في التفسير أنهـا جنة تصيـر إليها أرواح الشهـداء، فلما قصَّ هـذه الأقاصيص، وأعلم ـ عزّ وجلّ ـ كيف قصه جبـريل، وأن النبي ﷺ يـأتيه ذلـك من عند اللّه الذي ليس كمثله شيء قيل لهم:

﴿ أَفرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾.

كأن المعنى ـ واللّه أعلم ـ أخبرونا عن هذه الآلهـة التي لكم تعبدونها من دون اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ هل لها من هـذه القـدرة والعـظمـة التي وصف بهـا رب العزة ـ جلّ وعزّ ـ شيء.

وجـاء في التفسيـر أن الـلاَّت صَنَمٌ كـان لثقيف يعبـدونـه، وأن العُـزَّى سَمُرةٌ، وهي شجرة كانت لغطفـانَ يعبدونهـا، وأن مناة صخـرة كانت لِهُـذَيْلٍ وخزاعة يعبدونها من دون اللّه، فقيل لهم أخبرونا عن هذه الآلهـة التي تَعْبدُونَهـا وتعبدون معها الملائكة، تزعمون أن الملائكة وهـذه بنات اللّه، فـوبَّخَهُمْ اللّه فقال: أرأيتم هذه الأناث أَلِلّهِ هي وأنتم تَخْتَارُونُ الذُّكْرَانَ.

وذلك قوله:﴿أَلَكُمُ الذَكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى﴾.

ومن قرأ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَّ والعُزَّى﴾ بتشديد التاء فزعموا أن رَجُلاً كان يَلِتَّ السَّويق وَيَبيعُهُ عند ذلك الصنم فسمي الصنمُ اللاَّتُّ ـ بتشديد التاء ـ والأكثر «اللاَّتَ» بتخفيف التاء. وكان الكسائي يقف عليها بالهاء، يقول «اللاه» وهذا قياس والأجود في هذا اتباع المصحف والوقف عليها بالتاء. وقرئت عندها جَنَّةُ المأوى ـ بالهاء[1] ـ والأجود جَنَّةُ المَأْوَى، لأنه جاء في التفسير كما ذكرنا أنه يحل فيها أرواح الشهداء.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿تَلك إذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾.

أي جَعْلكم للّه البنات ولكم البنين، والضيزى في كلام العرب الناقصة الجائِرةُ، يقال: ضازه يضيزه إذا نقصه حَقَّه، ويقال ضأزه يضأزه ـ بالهمز ـ وأجمع النحويُّونَ أن أصل ضيزى ضوزى وحُجّتُهُمْ أنها نقلت من فُعْلَى إلى فِعْلَى أي من ضوزى إلى ضيزى لتسلم الياء، كما قالوا أبيض وبيضٌ، فهو مثل احْمر وحُمْر، وأصله بُيْضٌ فنقلت الضمة إلى الكسرة.

وقرأت على بعض العلماء باللغة في ضيزى لُغَات قَالَ: يقال: ضيزى وضُوزَى وضؤزى بالهمز، وضَأزى على فَعلى مفتوحة. ولا يجوز من هذا في القرآن إلاَّ مَا قرئ به وهو ضيزى بالياء غير مهموز. وإنما لم يقل النحويون إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام فُعْلَى صفةً، إنما يعرفون الصفات على فعلى بالفتح نحو سكرى وغَضْبىَ، أو بالضّم نحو حبلى والفُضْلَى. وكذلك قالوا مشية حيكي، وهي مشية يحبك فيها صاحبها، يقال: حاكَ يحيك إذا تبختر، فحيكى عِنْدَهُم فُعْلَى أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السَّموَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾.

جا﴿شفاعتهم﴾ واللفظ لفظ واحد، ولو قيل شفاعته لجاز ولكن المعنى

(١) أي: المهوى.

معنى جماعة، لأن «كَمْ» سؤال عن عَدَدٍ وإخبار بِعَـدَدٍ كثير، لأن «رُبَّ» لِلْقِلَّةِ و «كم» للكثرة، ومعنى شفاعتهم ههنا يفسرها قوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿الَّذِين يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ ـ إلى قولـه: ﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُـلَّ شَيْءٍ رَحْمةً وَعِلْمـاً فاغْفِـرْ للَّذِينَ تَابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ ـ إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[1].

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ، أنَّهُمْ لَا يَشْفَعُون إلَّا لمن ارْتَضَى.

فهذا تأويل قولـه ﴿لَا تُغْني شَفَاعَتُهُمْ شَيْئـاً إلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَـأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿إنَّ الَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـالآخِرَةِ لَيُسَمُّـونَ المَلَائِكَـةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى، وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

أي يقولون إن الملائكة بنات اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

لأنه وَصَفَهُمْ بأنهم لا يريدونَ إلَّا الحياة الدنيا فقال:﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلَّا الحَيَاةَالدُّنْيَا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

إنّما يعلمون ما يحتاجون إليه في مَعَـاشِهِم، فقد نبـذوا أمر الآخـرة وراء ظهورهم.

وقوله عزّ وَجَلّ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والْفَوَاحِشَ إلَّا اللَّمَمَ﴾.

قيل إن اللمم نحو القُبلة والنظرة وما أشبـه ذلك، وقيـل إلا اللمم إلَّا أن يكون العبد قد ألم بفاحشة ثم تاب.

وقوله عزّ وجلّ:﴿إنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾.

يدل هذا على أن اللمم هوَ أن يَكونَ الإنْسانُ قد ألم بالمعصية ولم يُصِرّ ولم يُقِمْ على ذلك، وإنّما الإلمَامُ في اللغة يوجب أنك تـأتي الشيء الوقت ولا تقيم

---

(١) سورة غافر /٧ ـ ٩.

عليه، فهذا ـ والله أعلم ـ معنى اللمم في هذا الموضع.

وقوله عزّ وجلّ ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى، وأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾.

معنى «أكدى» قطع، وأصله من الحفر في البئر يقال للحافر إذا حَفَر البئر فبلغ إلى حَجَرٍ لا يمكنه معه الحفر: قد بلغ إلى الكدية، فعند ذلك يقطع الحفر.

وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾.

معناه فهو يعلم والرؤية على ضربين، أحَدُهُمَا «رَأَيْتُ» أَبْصَرتُ والآخر عَلِمْتُ، كما تقول: رأيت زيداً أَخَاكَ وَصَدِيقَكَ مَعْنَاهُ عَلِمْتُ. ألا تَرَى أَنَّ المَكفُوفَ يقول: رأيت زيداً عَاقِلاً، فلو كان من رؤية العَيْنِ لم يجز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي قضى، يقال إن إبراهيم ﷺ وَفَّى مَا أُمِرَ به، وما امْتُحِنَ به من ذبح وَلَدِه، فعزم على ذلك حتى فداه الله بالذبح وامْتُحِن بالصبر على عداوة قومه حين أُجِّجَتْ له النار فطُرِحَ فيها، وَأُمِرَ أيضاً بالاختتانِ فاختتن، وقيل وفَّى وهي أبلغ من وَفَى لأن الذي امتُحِنَ به من أعظم المِحَنِ، ومعنى ﴿أَمْ لَمْ يَنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَهِيمَ﴾ أي أم لم يخبر، ثم أعلم ما في الصحف.

ومَوْضعُ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ خَفْضٌ، المعنى أم لم يُنبَأ بأن لا تزر وازرة وِزْرَ أُخْرَى.

وَ «أَنْ» ههنا بدل من ما، ويجوز أن تكون «أَنْ» في مَوْضع رَفْع على إضمار «هو» كَأَنَّهُ لما قِيلَ: بما في صحف موسى قيل: مَا هُوَ؟ قيل هو أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، ومعناه ولا تؤخذ نفس بإثم غيرها، وكذلك قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

أي هـذا أيضاً مما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام، وَمَعْنَاهُ ليس للإنسان إلاَّ جزاء سعيه، إن عَمِلَ خيراً جُزِيَ خيراً، وإن عَمِل شَرًّا جُزِيَ شرًّا..

وتزر من وَزَرَ يَزِرُ إذَا كسبَ وِزْراً وهو الإثم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾.

إن قَالَ قَائِلٌ: إن اللَّه عزّ وجلّ يَرَى عَمَلَ كل عَامِلٍ ويعلمه، فما معنى ﴿سَوْفَ يُرَى﴾ فالمعنى أنه يرى العَبْدُ سَعْيَهُ يوم القيامَةِ، أي يرى في مِيزَانه عَمَلَه.

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾.

أي يجزي عمله أو في جزاء. وجائز أن تقرأ سَوْفَ يَرَى، والأَجْوَدُ يُرَى، لأن قولك إن زيداً سوف أكرم، فيه ضَعْفٌ لأن إنّ عاملة وأكرم عاملة، فلا يجوز أن ينتصب الاسم من وجْهَيْن، ولكن يجوز على إضمار الهاء، على معنى سوف يراهُ، أو على إضمار الهاء في «أَنَّ» تقول: إن زيداً سَأُكْرِمُ، على أنه زيد سأكرم.

وقوله تعالى:﴿وإِنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾.

أي إليه المرجع، وهذا كله في صحف إبراهيم ومُوسَى.

﴿وَأَنَّهُ هو أَغْنَى وَأَقْنَى﴾.

قيل في أقنى قولان: أحدهما «أَقْنَى» هو أَرْضَى، والآخر أَقْنَى جعل له قِنْيَةً، أي جعل الغنى أصْلاً لِصَاحِبه ثَابتاً، ومن هذا قولك: قد اقْتَنَيتُ كذا وكذا، أي عملت على أنه يكون عِنْدِي لا أخرجه مِنْ يَدِي.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿ وأنه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾.

﴿الشعرى﴾ كوكب خَلْفَ الجوزاء، وهو أحد كوكبي ذِرَاع الأَسَد، وكان قوم من العرب يعبدون الشعرى، فأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أنه رَبُّهَا وأن خَالِقُهَا، وهُوَ المَعْبُودُ ـ عزّ وجلّ ـ .

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى﴾.

هؤلاء هم قوم هودٍ، وهم أُولَى عَادٍ. فأما الأولى ففيها ثلاثِ لُغاتٍ: بسكون اللام وإثْباتِ الهَمْزَةِ، وهي أجْوَدُ اللُّغَاتِ والَّتي تَليها في الجَوْدَةِ «الأُولى» ـ بضم اللام وطرح الهَمْزَةِ، وكان يجب في القياس إذا تحركت اللام أن تسقُطَ ألف الوَصْلِ، لأن أَلِفَ الوَصْلِ اجْتُلِبَتْ لسكون اللام، ولكن جاز ثُبُوتُهَا لأن ألف لَامِ المَعْرِفَةِ لا تسقط مع ألف الاستفهام، فخالفت ألفات الوَصْلِ. ومن العرب من يقول: لُولي ـ يريد الأولى ـ فطرح الهمزة لتحرك اللام. وَقَدْ قُرِئَ «عَاداً اللُّوليَ». على هذه اللُّغَةِ، وأُدغِمَ التنوين في اللام. والأكثرْ عاداً الأولى بكسر التنوين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَثَمُوداً فَمَا أَبْقَى﴾.

ثمود نسق على عادٍ، ولا يجوز أن ينصب بقوله ﴿فما أبقى﴾ لأَنَّ مَابَعْدَ الفاء لا يعمل فيما قبلها، لا تقول: زيداً فضربت. فكيف وَقَدْ أتت «ما» بعد الفاء، وأكثر النحويين لا ينصب ما قبل الفاء بما بعدها. والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم.

﴿والمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾.

المؤتفكة المخسوفُ بهَا، أي ائتفكت بأهلها، ومعنى أهوى، أي رُفِعَتْ حِينَ خُسِفَ بهم إلى نحو السماء حتى سمع من في السماء أصوات أهل مدينة قوم لوط ثم أهويت أي ألقِيَتْ في الهاوية.

﴿فَغَشَّهَا مَا غَشَّى﴾.

معناه فغشاها اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ من العذاب ما غَشَّى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾.

هذا ـ واللَّه أعلم ـ خطاب للإنسانِ. لما عُدِّدَ عليه مما فعله اللَّه به، مما يدل على وحدانيته. كان المعنى أيها الإنسان بأي نعم ربك التي تدلك على أنه واحد تتشكك، لأن المرء به الشَكُّ.

وقوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾.

أي النبي ﷺ مجراه في الإنذار مجرى مَنْ تَقَدَّمَهُ من الأنبياء، صلوات اللَّه عَلَيْهم، وجائز أن يكون في معنى هذا إنذار لكم، كما أنذر من قبلكم وقد أعلمتم بما قص اللَّه عليكم من حال من كذَّبَ بالرُّسُلِ، وما وقع بهم من الإهلاك.

وقوله: ﴿أَزِفَتِ الآزِفَةُ﴾.

معناه قربت القريبة، تقول: قد أزف الشيء إذا قرب ودنا، وهذا مثل ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾.

ومعنى ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾.

معناه لا يكشف علمها متى تكون أحَدٌ إلا اللَّه عزّ وجلّ، كما قال ـ عزّ وجلّ ـ ﴿لاَ يُجَلِّيها لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾(١).

﴿أَفَمِنْ هَذَا الحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾.

أي مما يتلى عليكم من كتاب اللَّه، ﴿تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ وأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ تفسيره لاهون.

---

(١) سورة الأعراف /١٨٧.

وقوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾.

معناه فاسجدوا للّه الذي خلق السموات والأرَضِين، ولا تعبدوا اللَّاتَ والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، والشِّعْرَى، لأنه قَدْ جرى ذكر معبوداتهم في هذه السورة.

سورة القَمَر
مكيــة

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

اجمع المفسرون، ـ ورَوَيْنـا عن أهل العلم المـوثوق بهم ـ أن القمر انشق على عهد رسول اللّٰه [ﷺ].

قال أبو إسحاق: وزعم قوم عَندوا عَنِ القَصْدِ وما عليه أهل العلم: أَنَّ تأوِيلُه أن القمـر ينشق يوم القيـامة، والأمـر بين في اللفظ وإجْمـاعِ أهـلِ العلم لأن قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾.

فكيف يكون هذا في القيامَةِ.

قال أبو إسحـاق: وجميع ما أملي عليكم في هذا مـا حَدَّثني به إسماعيل ابن إسحاق قال حَدَّثَنَا محمد بن المنهال، قال حَدَّثنا يـزيد بن زُرَيْـع قال ثَنـا[١] شُعْبَةَ عن قَتَادة عن أنس أن أهل مكة سألوا النبي [ﷺ] آية فَأَراهم القَمَرَ مَرَّتَيْنِ انشقاقَه، وكـان يذكـر هذا الحـديث عند هـذه الآية: ﴿اقْتَـرَبَتِ السَّاعَـةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال ثنـا مُسَدَد، قـال ثنا يحيى عن شعبـة عن قتادة عن أَنَسٍ قال: انشق القمر فرقتين.

---

(١) كذا بالأصل ـ وهذا كثير جداً بمعنى حدثنا ـ ويكتفى بذكر «ثنا» اختصاراً. وهذا مألوف.

ثنا نصر بن علي قال ثنا حرمي بن عمارة، قال ثنا شعبة عن قتادة عَنْ أنس بن مالك قال: انشق القمر على عهد رسول اللَّه [ﷺ].

حدثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن عيد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عَن أَنَسٍ قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، يعني ذَاهِبٌ.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد اللَّه قال: انشق القَمَرُ فأبصرت الجبل بين فرجتي القَمَر.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر قال حدَّثَنِي أبي قال أخبرنا إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد اللَّه في قوله: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمرُ﴾ قال: انشق القمر حتى رأيت الجبل بين فلقتي القَمَر.

ثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن عبداللَّه بن نمير قال ثنا أبو مُعاوِيَةَ قال ثنا الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد اللَّه قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمعنى حتى ذهبت فرقة منه خلف الجبل فقال رسول اللَّه [ﷺ] اشْهَدُوا.

ثنا اسماعيل قال ثنا مسدد قال ثنا يحيى عن شعبةَ وسفيانٍ عن الأَعْمَش وعن إبراهيم عن أبي مَعْمَر عن أبي مسعود قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول اللَّه ﷺ: اشهدوا

ثنا إسماعيل قال ثنا مسعود قال ثنا يحيى عن شعبة عن الأعمش عن مجاهدٍ عَن ابن عمر مثله.

ثنا إسماعيل قال ثنا علي بن عبد اللَّه قال ثنا سفيان قال أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن أبي معمر عن عبد اللَّه: انشق القمر على عهد

رسول اللَّه ﷺ شقتين، فقال لنا رسول اللَّه [ﷺ] اشهدوا اشهدوا.

ثنا إسماعيل قال قال علي وحدثنا به مَـرَّةً أخرى عن ابن أبي نجيح عن مجاهِدٍ عن أبي معمر عن عبد اللَّه بن مسعود: انشق القمر شقتين حتى رأيناه، فقال لنا رسول اللَّه ﷺ: اشْهَدُوا.

ثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا محمد بن كثير عن سليمان يعني ابن كثير عن حصين عن محمد بن جبير عن أبيه، قال: انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال الناس: سحر نا محمد، فقال رجل: إنْ سَحَركم فلم يسحر الناسَ كُلَّهُمْ.

وحدثنا اسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا زهير بن إسحق عن دَاوُدَ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ثلاث قد ذكرهن اللَّه في القرآن قد تقضين: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، فقد انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ شقتين حتى رآه الناس.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر بن علي قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود بن أبي هِنْدٍ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر، قال: قد مضى قبل الهجرة وانشق القمر حتى رأوا شقتيه.

حدثنا اسماعيل قال ثنا علي بن عبد اللَّه قال: ثنا سفيان قال قال عمرو عن عكرمة قال انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ فقال المشركون سَحَرَ القمر سَحَر القَمَرَ، فأنزل اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمَرُ. وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

حدثنا اسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج عن عمروٍ عن عكرمة: انشق القَمَرُ على عهد رسول اللَّه ﷺ فقال

المشركون: سَحَرَ القَمَرَ ، سَحَرَ القَمَرَ، فنزلت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾.

حدثنا إسماعيل قال ثنا عارم بن الفضل وسليمان بن حرب قالا: ثنا حماد ابن زيد عن عكرمة عن عطار بن السائب عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي قال: انطلقت مع أبي يوم الجمعة فخطبنا حذيفة ـ وقال سليمان في حديثه: فخطب حُذَيْفَةُ وهو بالمدائن فتلا: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق، آلا وأن المضمار اليوم والسباق غدا، قال سليمان في حديثه: فقلت لأبي يا أبتاه ترسل الخيل غداً وقال عارم في حديثه: فقلت لأبي يستبق الناس غداً، فلما كانت الجمعة التي تليها خطبنا فتلا: ﴿اقتربت الساعة وانشق القَمَرُ﴾، فقال: ألا أن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشقَّ على عهد نبيكم ﷺ ألا وأن المضمار اليوم والسباق غداً، والغاية النار والسابق من سبق إلى الجَنَةِ.

حدثنا إسماعيل قال: ثنا حجاج بن المنهال قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبد اللَّه بن حبيب، قال: كنا بالمدائن فجئنا إلى الجمعة فخطبنا حذيفة فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن اللَّه تبارك وتعالى يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا إنَّ اليَوْمَ المضمارُ وغداً السباق، ألا وَانِ الغاية النارُ، فلما كانت الجمعة الأخرى خطبنا فحمد اللَّه وأثنى عليه قال فقال مثل قوله، وقال: السابق من سبق إلى الجنة.

ثنا اسماعيل ثنا علي قال ثنا سُفْيَانُ عن سليمان، وقَطَرٍ عن مسلم عن مسروق عن عبد اللَّه قال: مضى اللزام ومضت البطشة ومضى الدخان ومضى الروم.

حدثنا إسماعيل قال ثنا عبد اللَّه بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿اقتربت الساعة وانشق القَمَـرُ، قال ابن زيـد: انشق القمرُ في زمان رسـول اللّه ﷺ فكان يـرى نصفه على قُعَيْقِعَـانَ والنصف الآخر على أبي قيس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿[سِحْرٌ] مُسْتَمِرٌّ﴾.

أي ذاهب وقيل دائم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾.

تأويله أنه يستقر لأهل النار عملهم ولأهل الجنة عملهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

يعنى من أخبار من قد سلف قبلهم فأهلكوا بتكذيبهم ما فيه مُزْدَجَرٌ، أي ما فيه مُنْتَهَى، تقول: نهيتُه فانتهى وزجرته فازدجر. والأصل فازتجر بالتاء، ولكن التاء إذا وقعت بعد زَايٍ أبدلت دَالاً نحو مُزْدَان أصله مُزْتَان، وكذلك مزتجـر، وإنما أبدلت دالاً لأن التاء حرف مهموس والزاي حـرف مجهورٌ فـأبْدِلَ من التـاء من مكـانها حـرف مجهـورٌ، وهـو الـدال، فهـذا لَا يفهمـه إلَّا من أحكم كـل العربية، وهذا في آخر كتاب سيبويـه، والذي ينبغي أن يقـال للمتعلم إذا بنيت افتعل أو مفتعل مِمَّا أوله زاي فاقلب التاء دَالاً، نحو ازدجر ومزدجر.

وقال عزّ وجلّ: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾.

رُفِعَتْ ﴿حِكمَةٌ﴾ بدلاً من «ما»، المعنى ولقد جـاءهم حكمة بـالغـة، وإن شئت رفعت حكمة بإضمار هو، المعنى هو حكمة بالغةٌ.

وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ﴾.

«ما» جائز أن يكون في لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ، فيكون المعنى فأي شيء تغني النُّذُرُ، ويكون موضعها نصباً بتغني. ويجوز أن يكون نفياً على معنى فليست تغني النذر.

وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾.

وقف التمام فتول عنهم، وقوله إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ إلى ما كانوا يَنْكِرُونَهُ من البعث، فتول عنهم يوم كذا في الآية. ويوم منصوب بقوله يخرجون من الأجداث. فأما حذفُ الواو من يدعُو في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين، وهما[1] الواو من يدعو واللام من الداعِي، فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها، وأما الداعي فإثبات الياء فيه أجْوَدُ. وقد يجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خُشَّعاً [أَبْصَارُهُم]﴾، منصوب على الحال، المعنى يخرجون من الأجداث خشّعاً أبصارهم. وقرئت خَاشِعاً أَبْصَارُهُم، وقرأ ابن مسعود خَاشِعةً أبصارُهم. ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو خاشعاً أبصارهم، ولك التوحيد والتأنيث ـ لتأنيث الجماعة ـ، خاشعة أبصارهم. ولك الجمع نحو خُشَّعاً أبْصَارُهم. تقول: مررتُ بشباب حَسَنٍ أوجههم، وحِسَانٍ أوْجُهُهُمْ، وحَسَنَةٍ أوجههم، قال الشاعر[2]:

وشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بنِ مَعَدّ

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾.

مَنْصُوبٌ أيضاً على الحال، المعنى يخرجون خُشّعاً أبصارُهم مهطعين، ومعنى مُهْطِعِينَ ناظِرين لا يقلعون أبْصَارُهم.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾.

أي كذبتِ قوم نُوحٍ نُوحاً قبل قومك يا مُحَمَّدُ.

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾.

وقالوا هو مجنون كما قال قومك يا محمد لك، ﷺ وعليهم أجمعين

---

(١) في الأصل وهي.

(٢) لم أقف على قائله.

وازدُجِر، زُجِرَ بالشَّتْمِ. وقد بينا ما في مزدجر في انقلاب التاء دَالاً وأصل هذا وازتجر.

وقوله: ﴿فدعا رَبَّهُ أَني مَغْلُوبٌ فانْتَصِر﴾.

والقراءة أني بفتح الألف وقرأ عيسى بن عمر النحوي إنِّي - بكسر الألف - وفسر سيبويه إني بالكسر فقال على إرادة القول على معنى فدعا ربَّهُ فقال إني مغلوبٌ، قال: ومثله: ﴿والذينَ اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللَّهِ زُلْفَى﴾(١)، المعنى قالوا ما نعبدهم إلا لقربونا. ومن فتح - وهو الوجه - فالمعنى دعا ربَّهُ بأني مغلوبٌ.

وقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾.

المعنى فأجبنا دعاءهُ فنصرناهُ، وبيَّن النَصْرَ الذي نصر به فقال: ﴿فَفَتَحْنا أَبْوَابَ السَّماءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾.

ينصب انصباباً شديداً.

﴿وَفَجَّرنا الأَرْضَ عُيُوناً﴾.

هذا أكثر القراءة عُيُوناً بِالضَّمِّ، وقد رويت عِيُوناً - بكسر العين - وهي رديئة في العربية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾.

يعني ماء السماء والأرض ولم يقل فالتقى الماءان، ولو كان ذلك لكان جائزاً، إلَّا أن الماء اسم يجمع مَاَء الأرض وماءَ السماءَ، ومعنى ﴿على أمر قد قُدِرَ﴾ أي قدْ قُدِرَ في اللوح المحفوظ، وقيلَ قَدْ قُدِرَ أي كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾.

المعنى على سفينة ذات ألواح، والدُّسُر اسم المسامير والشروط(٢) التي

(١) سورة الزمر /٣.

(٢) جمع شريطة وهي حبال يُربط بها.

نَشَـدُّ بها الألـواح، وكل شيء كـان نحو السَّمْـرُ أو إدخال شيء في شيء بقـوَّةٍ وَشِدَّة فهو الدَّسْر، يقال: دَسَرْتُ المسمارَ أَدْسُرُهُ وأدْسِرُهُ دَسْراً، والدُّسُرُ واحدها دِسَار نحو حِمَارٍ وحمرُ.

وقوله: ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.

أي فعلنا ذلك جزاء لنوح وأصحابه، أي نجينـاه ومن آمن مَعَهُ، وأغـرقنا من كذَّبَ به جزاء لِما صُنِعَ بِهِ.

وقوله: ﴿تَجري بأَعْيُنِنَا﴾ أي تجري بمرأى مِنَّا وحفظ.
قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾.

أي تركنا هذه الفَعْلَة وأمر سفينة نُوحٍ، آيَةً أي علامَةً لِيُعْتَبَرَ بها.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

القراءة بادال غير المعجمة، وأصله مُذْتَكِر بـالذال والتـاء، ولكـن التـاء أبدل منها الدال، والذال من موضع التاء، وهي أشبه بالدال من التـاء فأدغمت الذال في الدَّال، فهذا هو الوجه، أعني القراءة بالدَّال ـ غير معجمة ـ وقد قال بعض العرَبِ «مُذَّكِر» بالذال معجمةً، فأدغم الثاني في الأول وهذا ليس بالوجه إنما الوجه إدغام الأول في الثاني.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾.

المعنى سَهَّلْنَا، وَقِيل: إنَّ كُتُبَ أهل الأَدْيانَ نحـو التوراة والإنجيـل إنما يتلوها أهلها نظراً، ولا يكادون يحفظون كُتُبَهُمْ من أولها إلى آخرها كمـا يحفظ القرآنُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً صَرْصَراً﴾.
صَرْصَرٌ شديدة البرد.

﴿في يَـوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾.

يعني نَحس مشـؤوم، مستمر أي دائم الشؤم، وقيـل في يـوم أربعـاء في آخر الشهر لا يدورُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾.

«كَـأَنَّهُمْ» ههنا في مـوضع الحـال، والمعنى تنزع النـاس مُشْبِهِينَ النَّخْلَ المنْقَعِر، فالمنْقَعِرُ المقطوع من أُصُولِه، وكانت الرِّيحُ تَكُبُّهُمْ على وُجُوهِهِم.

وقوله: ﴿مُنْقَعِرٍ﴾: النخل يـذكر ويؤنث، يقـال: هذا نخـل، وهـذه نَخْـلٌ فمنقعِـرٌ على من قال: هـذا نخل، ومن قـال: هذه نخـل. فمثل قـوله تعـالى ﴿أعجازُ نَخْـلٍ خَاوِيَـةٍ﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بـالنُّذُرِ﴾ ـ النُّـذُر جمعُ نَـذِير.

﴿فَقَـالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾.

﴿بشـراً﴾ منصوب بِفعل مُضْمَرَ الذي ظهر يُفَسِرُّهُ، المعنى أنَتَبعُ بشراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

معناه إنا إذاً لفي ضلال وجنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها جُنونٌ، ويجوز أن يكون على معنى إن اتبعناه فنحن في ضَلَال وفي عَذَابٍ.

وقوله: ﴿بَـلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

﴿أَشِرٌ﴾ بمعنى بَطِر، يقال: أَشِرَ يأْشَرُ أشـراً فهو أَشِـرٌ، مثل بَطِر يبطَرُ بَطَراً فهو بَطِرٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾.

﴿فتنةً﴾ منصوب مفعـول لـه، المعنى إنـا مـرسلو النَّـاقـة لنفتنهم، أي لنختبرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحتَضَرٌ﴾.

أي الماء قسمة بين الناقة وبين ثمود لها يوم ولهم يوم، وهـذا معناه كـل شرب محتضر، يحْضَرُ القوم الشرب يوماً، وتحضر الناقة يَـوْماً.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَر﴾.

وكان يقال لـه أحمر ثمـود، وَأُحَيْمِرُ ثمـود، والعرب تَغْلِطُ فتجعَـلُ أحمر عادٍ فنضرب به المثل في الشؤم، قال زهير يَصِفُ حَرْباً.

فتنـج لـكم غِـلْمَـانَ أشـأم كلهـم كـأحْمَرَ عَـادٍ ثم تـرضـع فتعـظم

ومعنى فتعاطى فعقر فَتَعَاطَى عَقْرَ النَّاقَةِ فعقر فبلغ ما أرادَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـا عَلَيْهِم صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُـوا كَهَشِيم المُحْتَـظِر﴾ بكسر الظاء، ويقرأ المحتظر بفتـح الظاء، والهشيم مـا يبسَ من الورق وتَكسَّـر وتحطَم، أي فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة، أي قد بلغ الغاية في الجفاف، حتى بلغ إلى أن يجمع ليـوقد، ومن قـرأ المحتظر ـبفتح الظاء ـ فهو اسم للحظيرة. المعنى كهشيم المكان الـذي يُحتَظر فيـه الهشيم،ومن قرأ «المُحْتَـظِر» ـ بكسـر الـظاء نسبـة إلى الـذي يجمـع الهشيم من الحـطب في الحظيرة، فإن ذلك المحتَـظِرُ، لأنه فاعل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾.

«سَحَر» إذا كان نكرة يراد به سحراً من الأسحـار انصرف، تقـول: أتيت زيداً سحراً من الأسحار، فإذا أردت سحر يومك قلت أتيته لِسَحَر يا هَـذَا وأتيته سَـحَـرَ يـا هـذا.

وقـوله تعالى: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾، منصـوبٌ مفعولٌ لـه. المعنى نجيناهم للإنعام عليهم، ولو قرئت «نعمـةٌ مِنْ عِنْدَنَـا» كان وجهـاً، ويكون المعنى تلك

(١) من معلقته.

نِعمَةً مِنْ عِنـدِنا، وَإِنْجَاؤُنا إِيَّاهُمْ نعمة من عندنا. قال أبوإسحـاق: ولكني لا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلّا أن تثبت رواية صحيحة، قال مشايخنا من أهل العلم: القراءة سُنَّةٌ متَّبُعَةٌ، ولا يرون أن يقرأ أحد بما يجوز في العـربية إِذَا لَمْ تَثْبُتْ رِوَايةٌ صحيحة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾.

بكرة وغدوة إذا كانتا نكرتين نُوِّنَتَا وصُرِفَتَا، وإذا أَرَدْتَ بهما بكـرة يومـك وغداة يومـك لم تصرفهمـا، فبكرة ههنـا نكرة، ولـو كانت قـرئت بكرةَ عَـذَابٌ مستقرٌ، وقرئت «نجيناهـم بِسَحَرَ نَعمَةً مِـنْ عِنْدِنَـا» كانتا جـائزتين في العـربية، يكـون المعنى بكرةَ يـومهم، وسَحَرَ يَـوْمِهِمْ، ولكن النكرة والصـرف أجـود في هذه الآية، ولم تثبت روايةٌ في أنه كان في يوم كذا من شهر كذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾.

راودَ قـومُ لوط لـوطاً عن ضيفـه، وهم الملائكـة، فأمـر اللَّه ـ عـزّ وجـلّ جبريل فسفق أعينهم بجناحيه سَفْقَةً[1]، فأذهبها وَطَمَسَها، فبقـوا في البيت عمياً حيارى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أُولَائِكُمْ﴾.

أي أكفاركم يا معشر العرب، ومن أرسل إليه النبي ﷺ خيرٌ مِن أولائكم أي الكفار الذين ذكرنا أَقَاصِيصَهُمْ وَإِهْلاَكَهُمْ.

﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ في الزُّبُرِ﴾.

أي أم أتاكم في الكُتُبِ أنكم مُبَرَّأُونَ مِمَّا يُوجِبُ عِدَاءَكُمْ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾.

والمعنى بل أَيَقُولُون نحن جميع مُنْتَصِـرٌ، فيدلـون بقوة واجتماع عليك،

---

(١) السفقة والصفقة الضربة.

ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه يُهلِكُهُمْ في الجهة التي يقدرون الغلبة منها فقال:

﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ ـ نبيَّه ـ عليه السلام ـ أنه يظهره عليهم ويجعل كلمته العُلْيَا، فقال: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، فكانت هذه الهزيمةُ يوم بَدْرٍ.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

أي لَيْسَ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ في يوم بدر والأسر بمخفف عنهم من عذاب الآخرة شيئاً، فقال: ﴿والساعة أدهى وأمَرُّ﴾، أي أَشَدُّ، وكل داهية فمعناها الأمر الشديد الذي لا يُهْتَدى لدوائه، ومعنى «وأمرُّ» أشد مَرَارَةً من القتل والأسر.

وقوله: ﴿إِنَّ المُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

في التفسير إن هذه الآية نزلت في القَدَرِيَّةِ.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ في النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

المعنى يقال لهم: ﴿ذوقوا مَسَّ سَقَر﴾.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

أي كل ما خلقناه فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كل شيء» بفعل مضمر، المعنى إنا خلقنا كل شيء خلقناه بِقَدَرٍ، ويدل على هذا ﴿وَكُلُّ شَيءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾.

﴿مستطر﴾ مفعول من السطر، المعنى كل صَغِيرْ من الذنوب وكبير مستطر مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه، ومكتوب لهم وعليهم إذا فعلوه لِيجازَوْا عَلَى أفعالهم.

وقوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجمع ويُوَلُّونَ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

المعنى وَيُوَلُّونَ الأَدْبَارَ، كما قال: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا

يُنْصَرُونَ﴾،[1]، وكذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ المتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾.

المعنى في جنات وأنهار والاسم الواحد يدل على الجميع فَيُجْتَزَأُ بِهِ من الجميع، وأنشد سيبويه والخليل:

بها جيف الحسرى فـأما عـظامها فبيض وأمـا جلدهـا فصـلب[2]

يريدون وأما جلودها، وأنشد:

في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شجينا[3]

المعنى في حلوقكم عظام، وكما قال:

كلوا في بعض بـطنكـم تعـفوا فـإن زمـانـكـم زمـن خـبـيص

المعنى كلوا في بعض بطونكم[3].

---

(١) سورة آل عمران /١١١.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.

سورة الرحمن
مكيـــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿الرحمنُ عَلَّمَ القرآنَ﴾.

﴿الرحمن﴾ اسم من أسماء اللَّه تعـالى. لا يقـال لغيـره، وهـو في الكتب المتقدّمَة، ومعناه الكثير الرحمة.

وقوله: ﴿عَلَّمَ القُرآنَ﴾.

معناه يسَّرهُ لأن يذكر.

وقوله: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾.

قيل إنه يعني بالإنسان ههنـا النبي ﷺ عَلَّمَهُ البَيـانَ. علمه القـرآن الذي فيـه بيان كـل شيء، وقيل الإنسـان ههنا آدم ﷺ. ويجـوز في اللغة أن يكـون الإنسـان اسماً لجنس النـاس جميعاً، ويكـون على هـذا المعنى عَلَّمَـه البَيـانَ جعله مميزاً حتى انفصل الإنسان من جميع الحيوان.

وقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.

﴿الشمسُ والقمرُ﴾ مرفوعان بالابتداء، وقوله ﴿بحسبان﴾ يَدُل عَلَى خبـرِ الابتداء ويكون المعنى: الشمس والقمر يجريان بحساب، ويكـون أيْضاً معنى بِحُسْبَانٍ [أنهما] يَدُلّانِ على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات.

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

قال أهل اللغة وأكثر أهل التفسير: النجم كل ما نبت على وجه الأرض مما ليس له سَاقٌ. والشَّجَرُ كل ما له ساقٌ، ومعنى سجودهما دوران الظل معهما كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ﴾[1]. وقد قيل إنَّ النجم أيضاً يراد به النجوم، وهذا جائز أن يكون، لأن اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ قد أعلمنا أن النجم يسجد، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَه مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ والشَّمْسُ والقمَرُ والنُّجُومُ﴾[2].

ويجوز أن يكون النجم ههنا يعني به ما نبت على وجه الأرض وما طلع من نجوم السماء، يقال لكل ما طلع: قَدْ نَجَمَ.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾.

المعنى رفعها فوق الأرض وأمسكها أن تقع على الأرض، ووضع الميزان لينتصف بعض الناس من بعض، وقيل: الميزان ههنا العدل، لأن المعادَلةَ موازنة الأشياء.

وقوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.

ألا يجاوزوا القدر والعدل، ويجوز «أَلَّا تَطْغَوْا» بمعنى اللام، «لِأَنْ لَا تَطْغَوْا»[3] وتكون أن لا تطفوا على النهي[4] ومعنى «أن» التفسير، فيكون المعنى ـ واللَّه أعلم ـ ووضع الميزان أي لا تطغوا في الميزان[5]، ويدل عليه المعطوف عليه وهو قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾.

القراءة بضم التاء، وروى أهل اللغة: أَخْسَرْتُ المِيزَانَ وَخَسَرْتُ، فعلى

---

(١) سورة النحل /٤٨.
(٢) سورة الحج ١٨.
(٣) أي إن حرفَ الجر محذوفٌ، وتقدير التعبير لئلا تطغوا.
(٤) أن مخففه واسمها ضمير الشأن محذوفاً، ولا ناهية.
(٥) هذا وجه ثالث ـ تجعل فيه أن مفسرة، وهى التي تأتي بعد كلام يتضمن معنى القول دون حروفه.

خَسَرتُ «ولا تَخْسِرُوا». ولا تقرأن بها إلّا أن تثبت رواية صَحيحةٌ عن إمامٍ في القراءة. وقد رُوِي أن إنساناً قرأ بها من المتقدمين ولكنه ليس مِمَّن أخذت عنه القراءة ولا له حرف يقرأ به.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: الْأَنَامُ الإِنْسُ والجِنُّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾.

معنى ﴿الأكمام﴾ ما غَطَّى، وكل شجرة تُخْرِجُ ما هو مُكَمَّم فهي ذات أكمام، وَأكمام النخلة ما غطى جُمَارَهَا من السعف والليف والجدع. وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، والطلعَةُ كمُّها قَشْرُهَا، ومن هذا قيل للقلنسوة كِمة لأنها تغطي الرأس، ومن هذا كُمَّا القميص لأَنَّهُمَا يغطيان اليَدَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحَانُ﴾.

ويقرأ والريحانَ، وأكثر القراءة «والرَّيْحَانُ». والعصف ورق الزرع ويقال: التين هو العصْفُ، ويقال العَصْفَة، قال الشاعر[1].

يسقي مذانب قد مالت عصيفتها ... آتيُّها من أَتِيّ الماء مطموم

ويروى بأتِيّ الماء.

ومعنى ﴿ذو العَصْفِ والرَّيْحَان﴾ ذو الورق والدرق، العرب تقول: سُبْحَانَ اللّه وَرَيْحانه. قال أهل اللغة: معناه واسترزاقه، قال النمر بن تولب[2].

سلام الإله وريحانه ... ورحمته وسماء درر

قال: معنى ريحانه رزقه لمن قرأ، والريحانُ عطف على العصف، ومن

---

(١) البيت لعلقمة ـ اللسان (عصف) والقرطبي ١٧/١٥٧، والطبري ٢٧/٦٥.

(٢) في الأصل سماء اللّه ـ ويظهر أنه خطأ من الناسخ. وهو في اللسان (روح). وفي الطبري ٢٧/٦٥، والقرطبي ١٧/١٥٧، ومجاز أبي عبيدة ٢٠/٢٤٣.

قرأ: والرِيْحَانُ عطف على الحب ويكون المعنى فيهما فاكهة فيهما الحب ذو العصف وفيهما الريحان، فيكون الريحان ههنا الريحان الذي يشم، ويكون أيضاً ههنا الرزق.

فذكر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم البيان ومن خلق الشمس والقمر والسماءوالأرض ثم خاطب الإنس والجن فقال:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

أي فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها منعم بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم والوصلة إلى حياتكم، والآلاء واحدها أَلَىً وَإِلَىً، وكل ما في السورة من قوله ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فمعناه على ما فسَّرْناه، فبأي نعم رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

قوله عزّ وجلّ:﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾(١) وقال: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾(٢) وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾(٣). وهذه الألفاظ التي قال اللَّه عزّ وجلّ إنه خلق الإنسان منها مختلفة اللفظ وهي في المعنى راجعة إلى أصل وَاحِدٍ. فأصل الطين التراب.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه خلق آدم من تراب جُعِلَ طيناً ثم انتقل فصار كالْحمَأ ثم انتقل فصار صَلْصَالاً كالْفَخَّار، والصلصال اليابس، فهذا كله أصله التراب وليس فيه شيء ينقض بعضه بعضاً. وإنما شرحنا هذا لأن قوماً من

---

(١) سورة الصافات الآية ١١

(٢) سورة الحجر الآية ٢٦.

(٣) سورة آل عمران ٥٩.

الملحدين يسألون عن مثل هذا لِيُلْبِسُوا على الضعفة، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - من أي شيء خلق أبا الإنس جميعاً آدم عليه السلام، وأعلم من أي شيء خلق أصل الجنّ فقال: ﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾.

والمارج اللهب المختلط بسواد النَّار.

وقوله - عز وجل - : ﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ﴾.

يعنى به مشرقَي الشمس وكذلك القمر، ومغربي الشمس والقَمَر، فأحَدُ المشرقين مشرق الشتاء والآخر مشرق الصيف، وكذلك المغربان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ معناه على الأرض.

قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقلَانِ﴾.

يعني بالثقلين الإنس والجن، ويجوزُ سَتَفْرَغُ لكم بفتح الراء، ويجوز سَيَفْرَغُ - بفتح الياء[1] - ويجوز سَيُفْرَغُ لكم - بضم الياء وفتح الراء - ومعناه سنقصد لِحِسَابِكُمْ، واللَّه لا يَشْغَلُه شأن عن شأن، والفراغ في اللغة على ضربين أحدهما الفراغ من شُغلٍ والآخر القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي قد زال شغلي به، وتقول: سَأَتَفرغ لفلانٍ، أي سأجْعَلُ قَصْدِي له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إن اسْتَطَعْتُم أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾.

والأقطار النَّواحي.

﴿لا تَنْفُذُونَ إلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

أي حيثما كنتم شاهدتم حجةً للَّه وسلطاناً تدل على أنه واحدٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ﴾.

ويقرأ ونحاسٍ - بكسر السِّين - والنحاس الدُّخان، والشواظ اللهب الذي لا دُخَانَ معه.

(١) الجملة في الأصل مذكورة مرتين: مرة سيفرغ، ومرة سيفرغ لكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

معنى مرج خلط، يعني البحر الملح والبحر العذب.

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يبغِيَانِ﴾.

البرزخ ا لحاجز، وهو حاجز من قدرة اللَّه، لا يبغيان لا يَبْغي الملح على العذب فيختلط به، ولا العذب على الملح فيختلط به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ﴾.

﴿المرجان﴾ صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للحَبِّ الذي يخرج من البحر. وقال يخرج منهما وإنما يخرج من البحر الملح لأنه قد ذكرهما وَجَمَعَهُمَا، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً، وجَعَلَ القَمَرَ فيهنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[1] والشمس في السماء الدُّنْيَا إلاَّ أنه لما أجمل ذكرَ السبع كأن ما في إحداهن فِيهِنَّ، ويقرأ: «يُخْرَجَ منهما» بضم الياء.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾.

الجواري الوقف عليها بالياء، وإنما سقطت الياء في اللفظ لسكون اللام، والاختيار وصلها، وأن وقف عليها واقف بغير ياء فذلك جائز على بعد، ولكن يروم الكسر في الراء ليدل على حذف الياء، ويقرأ «المُنْشِآتُ» - بكسر الشين - والفتح أجود في الشين. ومعنى المنشآت المرفوعات الشُّرُع، والمنشِئَات على[2] معنى الحاملات الرافعات الشرع، ومعنى كالأعلام كالجبال، قال الشاعر[3]:

---

(١) سورة نوح /١٥، ١٦.

(٢) في الأصل فعلى.

(٣) من رجز لجرير يمدح به الحكم بن يزيد الثقفي - والعلم الجبل، والضمير للابل وبقيته كما في اللسان: =

إذا قطعن عَلَماً بدا علم

والجواري السُّفُن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾.

معنى ﴿وردة﴾ صارت كلون الورد، وذلك في يوم القيامة، ومعنى ﴿كالدِّهَانِ﴾ تتلون من الفزع الأكبر تَلَوْن[1] الدهان المختلفة، والدِّهَانُ جمع دُهْن، ودليل ذلك قوله ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ﴾[2] أي كالزيت الذي قد أُغْلِيَ. وقيل «فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَان» أي فكانت كلون فرسٍ وردَةٍ، والكَمِيتُ[3] الوردُ يتلون فيكون في الشتاء لونه خلاف لونه في الصيف، ويكون في الفصل[4] لونه غير لونه في الشتاء والصيف.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[5] فإذا كان ذلك اليوم كانت سيما المجرمين سواد الوجه والزرقة، ودليل ذلك قوله: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بعلاماتهم هذه، ودليل ذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[6]، وقوله: ﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[7].

= حتى تناهين بنا الى الحكم خليفة الحجاج غير المتهم

في ضنضيء المجد وبؤبؤ الكرم.

والبيت في الطبري ٢٧/٧٠، والقرطبي ١٧/١٦٤، ومجاز أبي عبيدة.

(١) في الا يتلون.

(٢) سورة المعارج الآية ٥.

(٣) في القاموس: الكميت الذي خالط حمرته قنوء (أي الأحمر الأقنى) ولون الاكمت الكمتة، وقد كمت كمتا وكمته كماتة.

(٤) ويكون في أي فصل غير فصلي الشتاء والصيف بلون آخر، ولعله يعني بالفصل هنا - أنه في الفاصل بين الشتاء والصيف بلون آخر.

(٥) سورة الصافات / ٢٤.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٧) سورة طه الآية ١٠٢.

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بالنَّوَاصِي والأَقْدَامِ﴾.

قيل تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار، وذلك أشد لعذابهم، والتشويه بهم.

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتي يُكَذِّبُ بِهَا المُجْرِمُونَ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

يعني «آنٍ». قد أنى يأنى فهو آنٍ إذا انتهى في النضج والحرارة، فإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني الذي قد صار كالمهل، فيطاف بهم مرّةً إلى الحميم ومرة إلى النار. أَسْتَجِيرُ باللَّه وبرحمته منها.

ثم أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - ما لمن اتقاه وخافه فقال:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَانِ﴾.

قيل من أراد معصية فذكر ما عليه فيها فتركها خوفاً من اللَّه - عزّ وجلّ - ورهبةَ عِقَابه ورجاء ثوابه فله جنتانِ. ثم وصفهما فقال:

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾.

والأفنان جمع فَنٍّ، أي له فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأَعْيُن من كل فَنٍّ، والأفنان الأَلْوَانُ، والأفنان الأغصَانُ، واحدها فَنَن، وهو أجود الوجهين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: الزوجان النوعان.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَات الطَّرْفِ﴾.

معناه فيهن حورٌ قاصرات الطرف، قد قَصَرْنَ طرفَهُنَّ على أَزْوَاجِهِنَّ لا ينظرن إلى غيرهم.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾.

لَمْ يَمْسَسْهُنَّ، ويقرأ «لَمْ يَطْمُثْهُنَّ»، وهي في القراءة قليلةٌ، وفي اللغة

طَمَثَ يطمِثُ ويطمُثُ. وفي هذه الآية دليل على أن الجني يغشى، كما أن الإنسيَّ يغشى.

وقوله عز وجل:﴿كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمَرْجَانُ﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان والمرجان صغار اللؤلؤ وهو أشد بياضاً، وقوله: «فِيهنَّ» وإنما ذكر جنَّتَين يعني من هاتين الجنتين وما أعد لصاحب هذه القصة غير هاتين الجنتين.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الاحْسَانِ إلَّا الإحْسَانُ﴾.

أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرةِ.

وقوله ـ عز وجل:﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

أي لمن خاف مقام ربه جنتان وله من دونهما جَنَّتَان، والجنة في لغة العرب البستان.

وقوله عز وجل: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

يعني أنهما خَضْراوَانِ تضرب خضرتهما إلى السَّواد، وكل نبت أخضَر فتمام خضرته وَرِيّه أن يضرب إلى السَّوَادِ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

جاء في التفسير أنهما ينضخان كُلَّ خَيرٍ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

قال قوم: إن النخل والرُّمَّانَ ليسا من الفاكهة، وقال بعض أهل اللُّغَةِ، منهم يونس النحوي، وهو يتلو الخليل في القدم والحذق: إن الرُّمَّان والنخل من أفضل الفاكهة، وإنما فُصِلاَ بالواو لفضلهما، واستشهد في ذلك بقوله تعالى:﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلاَئِكَتِه ورُسُلِه وجِبْرِيلَ ومِيكَالَ﴾[1]. فقال لفضلهما فُصِلاَ بالواو.

---

(١) سورة البقرة /٩٨.

قوله عزّ وجلّ: ﴿مُتَّكِئين على فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وجَنَى الجنّتَيْنِ دَانٍ﴾.

قيل الاستبرق الديباج الصفيق جدًّا نحو ما يعمل للكعبة والبطائن ما يلي الأرض.

وقوله: ﴿وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

أي ما يجنى من ثمرهما إذا أرادوه دنا من أفواههم حتى يتناوَلُوه بأفواههم وأيديهم.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾.

أَصْلُه في اللُّغَة خَيِّراتٌ، والمعنى أنَّهن خَيِّراتٌ الأخلاق حسان الخلق، وقد قرئ بها - أعني بتشديد الياء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾.

الخيام في لُغَةِ العَرَبِ جَمْعُ خَيْمَةٍ، والخيام شيئانِ: الخيام الهوادج والخيام البيوت، وجاء في التفسير أن الخيمة من هذه الخيام منُ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ، ومعنى مقصورات مُخَدَّرات، قد قصرن على أَزْوَاجِهِنَّ.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيّ [حِسَانٍ]﴾.

وقرئت على رفارف خُضْرٍ وعَبَاقِرَيّ - «حِسَانٍ».

القراءة هي الأولى، وهذه القراءة لا مخرج لها[1] في العربية، لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان نحو مساجد ومفاتيح لا يكون فيه مثل عباقري[2] لأن ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب. لو جمعت «عبقري» كان جمعه

---

(١) في الأصل: فلا مخرج لها.

(٢) ينسب إلى مفرده ولا ينسب لجمعه.

عباقرة، كما أنك لو جمعت «مُهَلَّبِيّ» كان جمعه مَهَالِبَة، ولم يقل مَهَالِبيّ، فإن قال قَائِلٌ: فمن أين جاز عبقَريّ حِسَانٌ، و «عَبْقَري» واحد، وحسان جمع، فالأصل أن واحده عبقريَّةٌ، والجمع عبقري، كما تقول ثَمرَة وثَمر ولوزَةٌ ولَوْزٌ. ويكون أيضاً عبقري اسماً للجنس، فالقراءة هي الأولى.

وأما تفسير ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ﴾ فقالوا: الرَّفْرَفُ ههنا رياض الجنَّةِ وقالوا: الرفرف الوسائد، وقالوا المحابس، وقالوا أيضاً فضول المحابس للفرش. فأما العبقري، فقالوا: البُسُط، وقالوا: الطنافِسُ المبْسُوطَةُ والذي يدل على هذا من القرآن قوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾(١) فالنمارق الوسائد، والزرابيُّ البسط. فمعنى «رفرف» ههنا، و «عَبْقَرِيّ» أنه الوسائد والبُسط. ويدل ـ واللَّه أعلم ـ على أن الوسائد ذوات رَفْرَف.

وأصل العبقري في اللغة صفة لكل ما بولغ في وصفه، وأصله أن عبقر اسم بلد كان يوَشَّى فيه البسط وغيرها، فنسب كل شيء جيد، وكل ما بولغ في وصفه إلى عبقر. قال زهير(٢):

بِخَيْلٍ عليها جِنَّةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جديرُون يوماً أن ينالوا فيستَعْلُوا

وقوله: ﴿فبأيِّ آلاَءِ رَبكما تُكَذِّبَانِ﴾.

أي فبأي نعم رَبِّكما التي عددت عليكما يا معشر الجن والإنس تكذبان. فإنما ينبغي أن يعظما اللَّه ويمجداه، فختم السورة بما ينبغي أن يمجَّدَ به ـ عزّ وجلّ ـ ويُعظم ـ فقال عزّ وجلّ:

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الجَلاَلِ والإِكْرَامِ﴾.

---

(١) سورة الغاشية الآية ١٥ ـ ١٦.

(٢) من لاميته التي تقدمت أبيات منها، والبيت في اللسان ـ عبقر. أيضاً.

سُورَةُ الوَاقِعَةِ
مكيــة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ:﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.

يقال لكل آت كان يتوقع قد وَقَعَ، تقول: قد وقع الأمر، كقولك قد جاء الأمر. والواقعة ههنا الساعة والقيامة.

وقوله:﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾.

المعنى أنها تخفض أهل المعاصي، وترفع أهل الطاعة، و﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ القراءة بالرفع، والنصبُ جائزٌ ولم يقرأ به إمام من القرَّاءِ، وقد رويت عن الزيدي صاحب أبي عمرو ابن العلاء، فمن رفع وهو الوجه، فالمعنى هي خافضة رافعة ومن نصب فعلى وجهين أحدهما إذا وقعت الواقعة خافِضَةً رافِعةً على الحال ويجوز على إضمار «تقع» ويكون المعنى إذا وقعت تقع خافضة رافعة ـ على الحال من تقع المضمر.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.

أي لا يردها شيء كما تقول: قَدْ حَمَلَ فُلانٌ لا يُكَذِّبُ، أي لا يرد حَمْلَته شيءٌ، و «كَاذِبَةٌ» مصدر كقولك عافه الله عافيةٌ وعَاقَبَهُ عاقبة، وكذلك كذب كاذبة، وهذه أسماء في مَوْضِعِ المَصَادِرِ.

وقوله:﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾.

موضع «إذا» نصب. المعنى إذا وقعت في ذلك الوقت، ويجوز النَّصْب على «تقع إذا رُجَّت الأرض رَجًّا»، ومعنى رجت حركت حركة شديدة وزلزلتْ.

﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا﴾.

بُسَّتْ لُتَّتْ وخُلِطَتْ، وبُسَّتْ أيضاً سِيقَتْ.

﴿هَبَاءً مُنبَثًّا﴾.

غباراً، ومثله ﴿وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾[1]، ومثل بُسَّتْ خُلِطَتْ وَلُتَّتْ قول الشاعر:

لا تخبزا خبزا وبُسَّا بَسًّا[2]

ومثل سيقت وانساقت قوله:

وانْبسَّ حَيَّاتُ الكثيب الأَهْيَل[3]

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً﴾.

أي أصنافاً ثلاثة، يقال للأصناف التي بعضها مع بعضٍ أزواجٌ كما يقال للخفين زوجان.

وقوله: ﴿فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ﴾.

رفع بالابتداء، والمعنى وأصحاب الميمنة ما هم، أي شيء هُمْ ﴿وأصحاب المشأمة﴾ أي شيء هم. وهذا اللفظ مجراه في العربية مجرى

(١) سورة النبأ الآية ٢٠.

(٢) بعده: ولا تطيلا بمناخ حبْساً.

قيل إنه للص من غَطفان أراد أن يخبز عجيناً فاكله عجينا لأنه كان خائفاً يريد الهرب والمراد بالبس أن يلت الدقيق بالزيت أو السمن. ويسمى حينئذ بسيسة، ويؤكل دون خبز - وهو رجز شائع ذكره الثعالبي في فقه اللغة باب تفصيل الشدة والشديد، وفي الاشباه والنظائر واللسان (خبز - بس) - الطبري ٢٧/٨٧، القرطبي ١٧/١٩٦.

(٣) في اللسان: (بسس) ولم يذكر غير هذا الشطر.

التَّعَجُّب، ومجراه من اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في مخاطبة العباد مجرى ما يعظم به الشأنُ عندهم. ومثله ﴿الحاقة ما الحاقَّة﴾، و ﴿القارعة ما القارعة﴾، ومعنى أصحاب الميمنة أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب الشمال، وأصحاب اليمين هم أصحاب المنزلة الرفيعة، وأصحاب الشمال هم أصحاب المنزلة الدنيئة الخسيسة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ السابقون السابقون إلى طاعة اللَّه عزّ وجلّ والتصديق بأنبيائه، والسابقون الأول رفع بالابتداء، والثاني توكيد، ويكون الخبر أولئك المقربون، ثم أخبر أين محلهم فقال: ﴿في جَنَّاتِ النَّعيم﴾.

ويجوز أن يكون السَّابِقُون الأول رفعاً بالابتداء، ويكون خبره ﴿السابقون﴾ الثاني، فيكون المعنى ـ واللَّه أعلم ـ السابقون إلى طاعة اللَّه السابقون إلى رحمة اللَّه. ويكون ﴿أولئك المقربون﴾ من صِفتهم.

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

«ثلة» رفع على معنى هم ثلة، والثلة الجماعَة، وهذا ـ واللَّه أعلم ـ معنى ﴿ثُلةٌ منَ الأوَّلين﴾ أي جماعة ممن عاين الأنبياء وصدق بِهِمْ، فالذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بِهِم أكثر ممن عاين النبي عليه السلام، وذلك قوله في قصة نوح: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ · فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ﴾[1].

هؤلاء سوى سائر من آمن بجميع الأنبياء ممن عاينهم وصَدَّقَهُم ويجوز أن يكون الثلة بمعنى قليل من الأولين وقليل من الآخرين، لأن اشتقاق الثلة من القطعة. والثل الكسر والقطع، والثلة نحو الفئة والفرقة.

وقَوْلُه: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ـ مُتَّكِئينَ عَلَيْهَا مُتَقابِلينَ﴾.

---

(١) سورة الصافات /١٤٧ ـ ١٤٨.

متكئين ومتقابلين منصوبان على الحال، المعنى أولئك المقربون في جنات النعيم في هذه الحال. والسرر جمع سرير، مثل كثيب وكثب، ومعنى «متقابلين» ينظر بعضهم إلى وجوه بعض ولا ينظر في أقفاء بعضٍ.

وصفوا مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا في صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلينَ﴾(١) وجاء في التفسير ﴿موضونة﴾ مرمولة ومعنى مرمولة منسوجة، نحو نسج الدروع، وجاء في التفسير أنها من ذهب، ومثل موضونة قول الأعشى(٢).

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عِيرا فغيراً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وأَبَارِيقَ﴾.

الأكواب آنية لا عُرى لها ولا خراطيم، والإبريق ما له خرطوم وعُروة.

﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

والكأس الإناء فيه الشراب، فإن لم يكن فيه شراب فليس بكأسٍ، وقوله: ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ معناه من خمر تجْري من العُيُونِ.

وقوله: ﴿لَايُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾.

تأويله لا ينالهم عن شربها ما يَنال أهل الدنيا من الصُّداع، ﴿ولا ينزفون﴾ لا يسكرون، والنزيف السكران، وإنما قيل له نزيف ومنزوف لأنه نزف عقله، ويقرأ ولا يُنزَفون، معناه لا ينزف شَرابُهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ المَكْنُونِ﴾.

---

(١) سورة الحجر /٤٧.

(٢) البيت في اللسان (وضن)، والطبري٢٧/ ٨٩.

ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٤٨، والقصيدة في الديوان وتقدمت الاشارة إليها. وبعض أبياتها.

بالخفض، وقرئت بالرَّفع، والذين قرأوها بالرفع كرهوا الخفض لأَنَّهُ عطف على قوله:﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ﴾، فقالوا: الحور ليس مما يطاف به، ولكن مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء لأن معنى ﴿يطوف عليهم وِلْدَانٌ مخلدونَ﴾ ينعمون بهذا، وكذلك ينعَّمُونَ بلحم طيرْ وكذلك ينعمون بحورٍ عِينٍ. ومن قرأها بالرفع فهو أحْسَنُ الوجهين لأن معنى ﴿يطوف عليهم وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ﴾ بهذه الأشياء بمعنى ما قد ثبت لهم فكأنه قال: ولهم حُورٌ عينٌ. ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر[1]:

بادت وغير آيُهُنَّ مع البلى ... إلَّا رَوَاكِدَ جَمْرُهُنَّ هَبَاءُ
ومشجح أما سواء قذاله فبدا ... وغير سَارَهُ المِعْزَاءُ

لأنه قال: إلَّا رَوَاكِدَ، كأن المعنى بها رَوَاكِدُ، فَحَمَلَ ومُشَجَّحٌ على المعنى.

وقد قرئت «وحوراً عِيناً» بالنَّصْبِ على الحمل على المعنى أيضاً، لأن المعنى يُعْطَوْن هذه الأشياءَ ويُعْطَون حوراً عيناً، إلّا أن هذه القراءة تخالف المصحف الذي هو الإمَامَ، وأهل العلم يكرهون أنْ يُقْرَأ بِمَا يَخَالِفُ الإمَامَ.

ومعنى الحور: الشديدات البياض، والعِينُ الكبيرات العُيُونِ حِسَانُها. ومعنى ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤلُؤ المكْنُونِ﴾ أي كأمثال الدر حين يخرج من صَدَفِه وَكِنِّه، لم يغيره الزَّمَانُ واختلاف أحوال الاستعْمَال وإنما يعنى بقوله: ﴿كأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ﴾ أي في صفائهن وتَلألُئِهِنَّ كصفاء الدّر وتَلالِئه.

وقوله:﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

منصوب مفعول له، المعنى يفعل بهم ذَلِكَ لِجَزاءِ أَعْمَالَهم، ويجوز أن يكون «جَزَاءً» منصوباً على أنه مصدر، لأن معنى ﴿يطوف عليهم ولدانٌ

(١) تقدم في الجزء الأول.

مُخَلَّدُونَ﴾ يجازون جزاء بأعمالِهم. وهذا الوجه عليه أكثر النحويين.

وقوله: ﴿إلاَّ قيلا سَلاَماً سَلاَماً﴾.

﴿قيل﴾ منصوبٌ بقوله ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً ولا تأثيماً إلاَّ قِيلًا سَلاَماً سَلاَماً﴾، فالمعنى لا يسمعون إلا قيلًا سلاماً سلاماً، مَنْصُوبٌ من جهين إحداهما أن يكون من نعت قيلَ، فيكون المعنى لا يَسْمَعُون إلَّا قيلًا يسلم فيه من اللغو والإثم. والوجه الثاني أن يكونَ ﴿سَلاَماً﴾ منصوباً على المصدر، فيكون المعنى لا يسمعون فيها إلا أن يَقُولَ بعضهُم لبعض سَلاَماً سَلاَماً. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾.

المخضود الذي قد نزع شوكه، والطلح جاء في التفسير أنه شجر الموز، والطلح شجر أم غَيلان أيضاً، وجائز أن يكون يعنى به ذلك الشجر، لأنَ له نوراً طيب الرائحة جدًا، فخوطبوا ووعدوا بما يحبُّونَ مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾: معناه تام دائم.

وقوله: ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾، يعنى به أنه ماء لا يتعبون فيه ينسكب لهم كيف يحبون.

وقوله: ﴿إنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إنْشَاءً﴾.

يعني الحورَ، أُنْشِئْنَ لأولياء اللَّه عَزَّ وجلّ، لَيْسَ ممن وقعت عليه ولادة.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أبكاراً﴾: لَمْ يُطْمَثْنَ.

عُرُباً، والعرب المتحببات إلى أَزْوَاجِهِنَّ.

---

(١) سورة يونس. الآية ١٠.

وقوله:﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخرِينَ﴾.

معناه ـ واللّه أعلم ـ جماعة ممن تبع النبي ﷺ وعاينه، وجماعة ممن آمن به وكان بعده.

وقوله: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾.

اليحموم الشديد السواد، وقيل إنه الدخان الشديد السَّوَاد، وقيل ﴿وظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أي من نار يعذبون بها، ودليل هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾،[1] إلا أنه موصوف في هذا الموضع بِشِدة السواد.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ﴾.

قيل في التفسير: الحنث الشرك، وَقيل على الإثم العظيم، وهو ـ واللّه أعلم ـ الشرك والكفر بالبعث، لأن في القرآن دليل ذلك وهو﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا﴾[2] فهذا ـ واللّه أعلم ـ إصرارهم على الحنث العظيم.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾.

ويقرأ شرب الهِيمِ، والشَّرْبُ المصدر، والشُّربُ الاسم، وقد قيل إن الشرب أيضاً مَصْدَرٌ. والهيم الإبلُ العِطَاشُ.

وقوله:﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾.

أي هذا غذاؤهم يوم الجزاء، أي يوم يجازَوْنَ بأعمالهم.

وقوله:﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾.

أي ما يكون منكم من المَنِيّ الذي يكون مِنْهُ الوَلَدُ، يقال: أَمْنى الرجل يمني، ومَنَى يَمْنِي. فيجوز على هذا «تمنون» بفتح التاء، ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلا أن تثبت رواية.

---

(١) سورة الزمر /١٦.
(٢) سورة النحل /٣٨.

وقـولـه : ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُـونَـهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ﴾.

احتـج عليهم في البعث بالقـدرة على ابتداء الخلق كمـا قال عـزّ وجلّ : ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم،قل يُحْيِيها الذي أنشأها أول مَرَّةٍ وهو بكل خلق عليم﴾(١)

وقوله عزّ وجلّ :﴿نَحْنُ قَـدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَـوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُـوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾.

أي إن أردنـا أن نخلق خلقـاً غيـركم لم يسبقنـا سـابق ولا يفـوتنـا ذلك. وقوله :﴿ونُنْشِئَكُمْ فِيمَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

أي إن أردنـا أن نجعل منكم القـردة والخنازيـر لم نسبق ولاَ فَاتَنـا ذَلك.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولىَ فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾.

أي قد علمتم ابتداء الخلق فلم أنكرتم البعث، ومعنى «لولا تذكرون» هلا تذكرون.

وقوله:﴿فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ﴾.

أي لو جعلنا ما تزرعون حطاماً، أي أبطلناه حتى يكون متحطماً لا حنطة فيه ولا شيء مما تَزْرَعُونَ.

﴿فَـظَلْتُم تَفَكَّهُـونَ﴾.

أي تَنَدّمُون، ويجُوزُ فَظِلْتُم تفكهون ـ بكسر الظاء ـ

وقوله : ﴿إِنَّـا لَمُغْـرَمُـونَ﴾.

أي يقولون قد غرمنا وذهب زرعنا، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

وقوله:﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُموهُ مِنَ المُزْنِ﴾.

وهي السحاب واحدته مُزْنَةٌ وجمعه مُزْنٌ.

---

(١) سورة يـس. الآية ٧٨ ـ ٧٩.

وقوله: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾.

الأجاج الماء الملح الذي لا يمكن شربه البتة.

﴿فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾، معناه «فَهَلاَّ».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التَّـي تُورُونَ﴾.

معناه تقدحونَ، تقول وري الزند يَـرِي ورْياً، فهـو وارٍ إذا انقدحت منـه النار، وأوريت النار إذا قدحتها، والعـرب تقدَحُ بـالزَّنْـدِ والزَّنْـدَةِ، وهذا خشب يحك بعضه على بعض فيخرج منه النار، فقال: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾.

أي إذا رآها الرائي ذَكَرَ جهنم وما يخافه من العذاب، فذكر اللَّه عزّ وجلّ واستجار به منها، ومعنى ﴿متاعاً للمقوين﴾، المقوي الذي ينـزل بالقـواء، وهي الأرض الخالية.

فذكر اللَّه - عزّ وجلّ - جميع ما يدل على توحيده وما أنعم به عليهم من خَلْقِهم، وتغذيتهم مما يأكلون ويشربون، مما يدل على قَدْرَتِهِ ووحدانيتـه، ثم قال عزّ وجلّ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾.

أي فبـرِّئ اللَّه - عزّ وجلّ.

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾.

معنـاه أقسم، ودخلت «لاَ» توكيـداً كما قـال عزّ وجـلّ: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْـلُ الكِتابِ، معناه لأن يعلم أهل الكتاب، ومـواقع النجـوم مَسَاقِـطُها، كمـا قـال -عزّوجلّ- رَبُّ المَشَـارِقِ المَغَارِبِ، وقيـل إن مواقـع النجومِ يعنى بـه نجـوم القـرآن، لأنه كـان ينزل على النبي ﷺ نُجُـومـاً شيئاً بَعْـدَ شَيءٍ، ودليـل هـذا القول: ﴿وَإِنَّه لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إنه لَقُرآنٌ كَرِيمٌ﴾.

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

أي مصون في السماء في اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿لَا يَمسُّه إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾.

يعنى به الملائكة. لا يمسه في اللوح المحفوظ إلا الملائكة، ويقرأ «المُطَهِّرُونَ» وهي قليلة، ولها وجهان أحدهما الذين طَهَّروا أنفسهم من الذُّنُوبِ، والثاني أن يكون الَّذين يُطَهِّرُونَ غيرهم.

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

صفة لقوله ﴿كريم﴾، وإن شئت كان مرفوعاً على قوله هو تنزيل من رب العالمين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾.

أي أفبالقرآن تكذِبُونَ، والمُدْهِنُ المدَاهِنُ والكذاب المنافق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبون السقيا إلى اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ فقيل لهم: أتجعلون رِزقكم أي شكركم بما رزقتم التكذيبَ، وقرئت «وتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أنكم تُكَذِّبُونَ» ولا ينبغي أن يقرأ بها لخلاف المصحف. وقد قالوا إن تفسير رزقكم ههنا الشكر، ورووا أنه يقال «وتجعلون رزقي في معنى شكري» وليس بصحيح. إنما الكلام في قوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يدل على معنى «وتجعلون شكركم أنكم تكذَبُون» أي تجعلون شكر رزقكم أن تقولوا: مطرنا بنوءِ كذا، فَتُكْذِبُونَ في ذلك.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ﴾.

يعنى إذا بلغت الروح الحلقوم.

﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾.

أي أنتم يا أهل الميت في تلك الحال ترونه قد صار إلى أن تخرج نفسه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه لا يموت أحد حتى يعلم أهو من أهل الجنة أم من أهل النار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَرْجِعُونَها إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

ومعناه هلا ترجعون الروح إن كنتم غير مَدِينين، أي غير مَمْلوكين مُدَبَّرين ليس لكم في الحياة والموت قدرة، فهلا إن كنتم كما زعمتم ومثل قولكم الذي جاء في القرآن: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِم وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا، قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كما قال ﴿ أوكانوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾.

فالمعنى إن كنتم تقدرون أن تؤخروا أَجَلاً فهلا تَرْجِعُون الروح إذا بلغت الحلقوم، وهلا تدرأون عن أنفسكم الموت.

وقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾.

بفتح الراء في روح. ومعناه فاستراحة وبرد، وريحان رزق قال الشاعر:

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء دِرَرْ(١)

ورُوِيت «فَرُوحٌ» بضم الراء، وتفسيره فحياة دائمة لا موت بعدها وريحان رِزقٌ. وجائز أن يكون ريحان ههنا تحية لأهل الجنة، وأجمع النحويون أن أصل ريحان في اللغة «رَيِّحَان» من ذوات الواو فالأصل «رَيْوِحان» فقلبت الواو

---

(١) في الاصل: سلام الله. والبيت في اللسان (روح ودرر) ـ وهو للنمر بن تولب ـ وجاء في اللسان (درر) بعده.

غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلادَ وطاب الشجر

وانظر مجاز أبي عبيدة ٢/٢٤٣، وتفسير الطبري ٢٧/٦٥، والقرطبي ١٧/١٥٧.

ياء وأدغمت فيها الأولى، فصارت ريّحان، فخفف كما قالوا [في] ميتٍ ميت، ولا يجوز في «رَيْحان» التشديد إلا على بعد لأنه قد زيد فيه ألف ونون فخفف بحذف الياء وألزم التخفيف.

ورفعه على معنى فأما إن كان المتوفى من المقربين فله روح وَرَيْحانٌ.

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

وقد بيّن ما لأصحاب اليمين في أوَل السورة.

ومعنى ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ [اليَمِينِ]﴾ أنك ترى فيهم ما تحب من السَّلَامَةِ وقد علمت ما أعدلهم من الجزاء.

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المكَذِّبينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾.

ويُقْرَأُ فَنُزْل بالتخفيف والتثقيل. فمعناه فغذاء من حميمٍ وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ.

أي إقامةً في جحيم. فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن الجحيم ههنا للمكذبين الضالين.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾.

أي إن هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الأقاصيص وما أعد اللَّه لأوليائه وأعدائه وما ذُكِرَ مما يدل على وحدانيته لَيَقِينٌ حَقُّ اليقين، كما تقول: «إن زيداً لعالم حق عالم، وإنه للْعَالِمُ حقُّ العَالِم» إذا بالغت في التوكيد.

وقوله: ﴿فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيم﴾.

أي فَنَزِه اللَّه - عزّ وجلّ - من السُّوء، لأن معنى سبحان اللَّه تنزيه اللَّه من

السُّوءِ. كذلك جاء عن رسول اللَّه ﷺ، وأهلُ اللغة كذلك يُفَسِّرُونَهُ. بَرَاءةُ اللَّه من السوء، وأَنْشَدَ سِيبَوَيْه في هذا المعنى[1]:

أقــول لمــا جــاء في فخــره سبحــان من علقمــة الفــاجــر

أي أبرأ منه.

(١) تقدم.

سورة الحديد
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

قال قوم: التسبيح آثار الصنعة في السموات وفي الأرض ومن فيهما وكذلك فسروا قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، وهذا خطأ، التسبيح تمجيد اللَّه وتنزيهه من السوء ودليل ذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] فلو كان التسبيح آثارَ الصّنعة لكَانَتِ مَعقولة، وكانوا يفقهونها. ودليل هذا القول أيضاً قوله: ﴿وسَخَّرْنَا مَعَ داوُدَ الجبال يُسَبِّحْنَ وَالطَّيرَ﴾، فلو كان تسبيحها آثار الصنعة لم يكن في قوله «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ» فائدة[2].

وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يُحْيِي ويُمِيتُ﴾.

أي يحيي الموتى يوم القيامةِ، ويُميتُ الأحياء في الدنيا. ويكون يحيي ويُميت: يحيي النطف التي إنّما هي مَوَاتٌ، ويميت الأحياء.

ويكون موضع ﴿يُحْيِي ويُمِيتُ﴾ رَفْعاً على معنى هو يحيي ويميت. ويجوز أن يكون نصباً على معنى له ملك السموات والأرض مُحْيياً ومُمِيتاً قادِراً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) لا يكون ثم ميزة لداود.

وقوله تعالى:﴿هُوَ الأوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ﴾.

تأويله هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، والظاهر العالم بما ظهر والباطن العالم بما بطن، كما تقول: فلان يُبْطُنُ أمر فُلانٍ، أي يعلم دِخْلَةَ أمْرِه.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء

وقوله تعالى:﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾.

تأويله يعلم ما يدخل في الأرض من مَطَرٍ وَغَيْرِه، ﴿وما يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق ومطر وملك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيها﴾.

أي ما يصعد إليها من أعمال العباد، وما يَعْرُج مِنَ الملائكة.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

معناه يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النَّهارِ.

وكذلك ﴿يولج النهار في الليل﴾ ينقص من النهار ويزيد في اللَّيْلِ وهو مثل قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾(١).

وقوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

معناه صَدِّقوا بأن اللَّه واحد وأن محمداً رسوله.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

أي أنفقوا مما مَلككم، فأنفقوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ.

وقوله:﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ولِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ﴾.

---

(١) سورة الزمر /٥.

تـأويله وأي شيء لكم في ترك الإنفـاق فيما يقـرب من اللَّه وأنتم مَيِّتُونَ تَارِكُونَ أَمْوَالَكُم.

وقـوله: ﴿لَا يَسْتَـوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْـحِ وقَاتَلَ أولئـك أعْـظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنفقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.

لأن من تقدم في الإيمان باللَّه وبرسوله عليه السلام وصَدَّقَ به فهو أفضل مِمَّنْ أَتَى بعدَهُ بالإيمان والتصديق، لأن المتقدِّمينَ نالهم من المشقـة أكثر ممـا نال مَنْ بَعْدَهُمْ، فكانت بصائرهم أيضاً أنفذ.

وقال: ﴿وَكُلًّا وَعَد اللَّهُ الحُسْنَى﴾.

إلَّا أنه أعلم فضل السابق إلى الإيمان على المتأخر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً، فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾.

ويقـرأ ﴿فيضاعفَهُ﴾ لـه ـ بـالنصب، فمن نصب فعلى جـواب الاستفهـام بـالفاء، ومن رفـع فعلى العـطف على يقـرض، ويكـون على الاستئنـاف على معنى فهو يضاعفه له. ومعنى يقرض ههنا يفعَـلُ فعلاً حسنـاً في اتّباع أمـر اللَّه وطاعته. والعـرب تقول لكـل من فعل إليهـا خيراً: قـد أَحَسْنَتَ قَرْضِي، وقـد أقرضتني قرضاً حَسَناً، إذا فعل به خيراً، قال الشاعر:

وإذا جـوزيت قـرضـاً فـاجـزه إنما يجزي الفتى غيـر الجمل(١)

المعنى إذا أسدي إليك معروف فكافـئ عليـه.

وقـولـه: ﴿يَـوْمَ تَـرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَـاتِ يَسْعَى نُـورُهُمْ بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ في ذلك اليوم.

---

(١) تقدم ويروى: ليس الجمل.

ومعنى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِمْ﴾.

أي بمعنى نورهم بين أَيْدِيهِمْ، وهو علامة أيديهم الصالحة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[1]، أي بلغنا به إلى جَنَّتِك.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾.

وقرئت «أَنْظِرُونا» ـ بقطع الألف ووصلها ـ فمن قال: انظرونا فهو من نظر ينظر، معناه انتظرونا، ومن قال: أَنْظِرونا ـ بالكسر ـ فمعناه أخرونا، وقد قيل إنَّ مَعْنَى «أنْظِرونا» انتظرونا أيضاً، وأَنْشَدَ [القائل] بيت عمرو بن كلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فَلا تعجل عَلَيْنَا وأَنْظِرْنَا نخبِرُكَ اليَقِينَا

وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾.

تأويله لا نور لَكم عندنا.

وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ﴾.

أي ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة، وما يلي الكافرين ظاهره يأتيهم من قِبَلِه العَذَابُ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولكنكم فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾.

معنى ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ اسْتَعْمَلْتُموهَا في الفِتْنَةِ، وتربصتم بالنبي ﷺ والمؤمنين الدوائر.

﴿وَغَرَّتْكُمْ الأَمَانِيُّ﴾.

أي ما كنتُم تَمنَّونَ من نزول الدوائر بالمؤمنين.

﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّه﴾.

---

(١) سورة التحريم آية ٨.

(٢) من معلقته. الاهبي بصحنك.

آي حتى أنزل اللَّه نَصْرَهُ عَلَى نَبِيِّهِ والمؤمنين.

﴿وَغَـرَّكُمْ بِاللَّهِ الغَـرُورُ﴾.

أَيْ غَرَّكُمُ الشَّيْطَانُ، وهـو الغرور على وَزْن الفَعُـول، وَفَعُول من أسمـاء المبـالغة، تقـول: فـلان أكـول إذا كـانَ كثيـر الأكـل وضـروبٌ إذَا كـانَ كثيـر الضَّرْبِ، ولذلك قيل للشيـطان: الغرور لأنـه يَغُرُّ ابنَ آدم كثيـراً، فإذا غـرَّ مرة واحدةً فهو غارٌّ، ويصلح غارٌّ للكثيـر، فأمـا غَرورٌ فـلا يصلح لِلْقَلِيْلِ، وقـرئت الغُرُورُ، وهو كل ما غرَّ من متـاع الدنيـا.

ومعنى ﴿ارْتَبْتُمْ﴾ غَلَّبْتُمُ الشَّكَّ على اليقين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾.

هي أَوْلَى بِكُمْ لما أَسْلَفْتُمْ من الذُّنُوبِ، ومثل ذلك قول الشاعر(١):

فغـدت كلا الفـرجين تحسب أنه مـولى المخافـة، خَلْفُها وأَمَـامُهـا

مثـل ذلك. أي مولى المخافة خلفها وأمامها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الحَقِّ﴾.

ويقـرأ ﴿وَمَا نَـزَلَ﴾ من الحق ـ بالتخفيف. وقـوله «يـأن» من أَنَى يَأْنِى، ويقال آن يئين. وفي هذا المعنى ومعناه «حَانَ يَحِينُ».

وهذه الآية ـ واللَّه أعلم ـ نزلت في طائفـة من المؤمنين حُثُّوا عَلَى الـرِّقَّة والـرَّحمَةِ والخشـوع. فأمـا من كان ممن وصفـه ـ عزّوجلّ ـ بالخضـوع والرقـة والرحمة فطائفة من المؤمنين فوق هؤلاء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾.

---

(١) هو لبيد في معلقته البيت ٤٨، يصف بقرة وحشية سمعت صوتاً لم تدراً هـو أمامهـا أم وراءها. فـذعرت ولم تعـرف كيف تنجو وهي تحسب أن كـلا الفـرجتين. مـا بين رجليهـا الخلفيتين أو الأماميتين أولى أن تخافه. ومولى المخافة ـ أي الأولى بأن تخافه.

وقرئت بالتاء، ـ تكونوا ـ

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

أي لا تكونوا كالذين لما طالت عليهم المدَّة قست قُلُوبُهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أنَّ اللَّه يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾.

معناه أن إحياء الأرض بعد موتها دليل على توحيد اللَّه، ومن آياته الدالة على ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ المصَّدِّقِينَ والمصَّدِّقَاتِ﴾.

بتشديد الصّاد، معناه أن المتَصَدِّقين والمتصدِّقَاتِ، ويقرأ أن المصَدِّقين والمصدقات بالتخفيف، ومعناه أن المؤمنين والمؤمنات مِمَّنْ صدق اللَّه ورسوله فآمن بما أتى به النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾.

أي تصدَّقوا من مال طيب.

﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

أي يضاعف لهم ما عملوا، ويكون ذلك التضعيف أَجْراً كريماً.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسِلِه أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾.

على وزن «الفعِيلينَ» واحدهم صِدِّيقٌ وهو اسم للمُبَالَغَةِ في الفِعْلِ تقول: رجل «صِدِّيقٌ» كثير التصديق وكذلك رجل سكيت كثيرُ السَّكوتِ. فالمعنى أنَّ المُؤمِنَ المصَدِّقَ باللَّه ورُسُلِهِ هو المبالغ في الصِّدْقِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

يصلح أن يكون كلاماً مُسْتَأْنفاً مرفوعاً بالابتداء، فيكون المعنى «والشُّهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لهم أجرهم ونورهم. والشهداء هم الأنبياء، ويجوز أن يكون «والشهداء» نسقاً على ما قبله، فيكون المعنى أولئك هم الصِّدِّيقُونَ

وأولئك هم الشهداء عند رَبِّهِمْ، ويكون ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ للجماعة من الصديقين والشهداء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ - إلى قوله[1] ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه﴾.

الكاف في موضع رفع من وجهين، أَحَدُهُما أن تكون صفة فيكون المعنى: «إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم مَثَلُ غيثٍ، وهو المطر ويكون رفعها عَلَى خبرٍ بَعْدَ خَبَرٍ، على معنى أن الحياة الدنيا وزينتَها مِثْلُ غَيْثٍ أعجب الكفار نباته.

والكفار ههنا له تفسيران أحدهما أنه الزَّرْعُ، وإذا أعجب الزُّرَّاعَ نبَاتُه مع علمهم به، فهو في غاية ما يستحسن، ويكون الكفار ههنا الكفار باللَّه[2]، وهم أشد أعجاباً بزينة الدُّنْيَا من المؤمنين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾.

معنى ﴿يهيج﴾ يأخذ في الجفاف فَيَبْتَدِئ به الصُّفْرَة.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾.

أي متحطماً متكَسِّراً ذاهباً. وضرب اللَّه هذا مثلاً لزوال الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾.

ويقرأ «ورُضْوان»، وقد روينا جميعاً عن عاصم - بالضم والكسر - فمعناه فمغفرة لأولياء اللَّه وعذاب لأعدائه.

وقوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾.

المعنى سابقوا بالأعمال الصالحة.

---

(١) بقية الآية: ﴿وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بينكم وتَكَاثُرٌ في الأَمْوالِ والأَوْلَادِ﴾.

(٢) هذا هو الوجه الثاني.

وقيل إن الجَنَّات سَبْعٌ، وقيل أَرْبَعٌ لقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وقوله بعد ذلك ﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتَانِ﴾. وقيل عرضها ولم يذكر طولها - واللَّه أعلم - وإنما ذِكْرُ عَرْضِها هَهنا تمثيلُ للعِبَادِ بِمَا يَفْعَلونَهُ وَيَقَعُ فِي نُفُوسِهِم، وأكبر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

وهذا دليل أنه لا يدخل أَحَدٌ الجنةَ إلَّا بفضل اللَّه.

ثم أعلمهم أن ذلك المؤَدِّي إلى الجنَّةِ أو النار لَا يكون إلَّا بقضاء وَقَدَرٍ فقال عزّ وجلّ:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرأَهَا﴾.

أي مِنْ قَبل أن نَخْلُقَهَا، فما وقع في الأرض من جَدْبٍ أَوْ نَقْصٍ وكذلك ما وقع في النفوس من مرضٍ وموتٍ أو خُسْرانٍ في تجارةٍ أو كسب خيرٍ أو شَرٍّ فمكتوبٌ عند اللَّه معلومٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

فمن قرأ «أَتاكُمْ» فمعناه جاءكم، ومن قرأ ﴿آتَاكُمْ﴾ فمعْنَاهُ أَعْطَاكُم ومعنى «تفرحوا» ههنا لا تفرحوا فَرَحاً شد يداً تأشروا فيه وتبطروا ودليل ذلك: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

فدل بهذا أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر له، فأما الفرح بنعمة اللَّه والشكر عليها فغير مذموم.

وكذلك ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾.

أي لا تحزنوا حزناً يطغاكم حتى يخرجكم إلى أن تلزِمُوا أَنْفُسِكُم الهَلَكَة ولا تعتدوا بثواب اللَّه ما تسلبونَهُ وَمَا فاتكم.

وقوله:﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ﴾.

ويقرأ «بالبَخَلِ» مثل الرشدِ والرَّشَد، وهذا على ضربين أَحَدُهُمَا في التفسير أنهم الذين يبخلون بتعريف صفة النبي ﷺ التي قد عرفوها في التوراة والإنجيل، والوجه الثاني أنه لما حَثَّ على الصِّفَةِ، أعلم أنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بها ويأمرون بالبخل بها، فإن اللَّه عزّ وجلّ غني عنهم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيه بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير أن آدم عليه السلام هبط إلى الأَرْضِ بالعلاة والمطرقة والكلبتين. والعلاة هي التي يسميها الحدادونَ السِّنْدَانَ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

[أي] يمنَعُ بِه، ويحارَبُ به.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

يستعملونه في أدواتهم وما ينتفعون به من آنِيَتِهِمْ، وجميع ما يتصرف فيه.

وقوله:﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالْغَيْبِ﴾.

أي ليعْلَمَ اللَّه من يقاتل مع رسلِه في سُبُلِهِ. وقد مر تفسيره ومعناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾.

أي أتبعنا نوحاً وإبراهيم رُسُلًا بعْدَهُمْ.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ وآتَيْنَاهُ الإنْجِيلَ﴾.

جاء في التفسير أن الإنجيل آتاه اللَّه عيسى جُمْلَةً واحدةً.

وقوله:﴿وَجَعَلْنَافي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

ويجوز رآفة على وزن السماحة، حكى أبو زيد أنه يقال: رَؤُفْتُ بالرَّجل رَأْفَةً، وهي القِراءةُ. وقد قرئَت ورآفة.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾.

هذه الآية صعبة في التفسير. ومعناها - واللَّه أعلم - يحتمل ضَرْبَيْن أحَدُهُمَا أن يكون المعنى في قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابتدعوها﴾ ابتدعوا رهبانية كما تقول: رأيت زيداً، وعمراً أكرمتُه، وتكون ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيهِمْ﴾ معناه لم نكتبها عليهم ألبتَّةَ، ويكون ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رضوان اللَّه﴾ بَدَلاً من الهاء والألف[1]، فيكون المعنى ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رِضْوَانِ اللَّه، وابتغاءُ رضوان اللَّه اتّبَاعُ مَا أَمَرَ بِهِ. فَهذا - واللَّه أعلم - وجه.

وفيها وجه آخر في ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾.

جاء في التفسير أَنَّهُمْ كانوا يَرَوْنَ من مُلُوكهم ما لا يَصْبِرُونَ عليهِ فاتخذوا أسراباً وصَوَامِعَ[2]. فابتدعوا ذلك، فلما ألزموا أَنْفُسَهُم ذلك التطوع ودَخَلُوا فيه لزمهم تَمامُهُ، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يُفْتَرَضْ عليه لزمه أَنْ يُتِمَّهُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

على ضربين - واللَّه أعلم - :

أحدهما أن يكونوا قصَّروا فيما ألزموه أَنْفُسَهُم، والآخر وهو أجود أن يكونوا حين بُعِثَ النبي ﷺ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة اللَّهِ، فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها. ودليل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾.

أي الذين آمنوا منهم بالنبي عليه السلام.

---

(١) في كتبناها.

(٢) الأسراب هي السراديب، والصوامع جمع صومعة وهو ما يتخذه الرهبان للرهبنة.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي كافرونَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّـذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِـرسُولِـهِ﴾.

يعني آمنوا برسوله، صَدِّقُوا برسُوله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

معناه يؤتكم نصيبين من رحمته، وإنما اشتقاقه في اللغة من الكِفْل، وهو كساء يجعله الراكب تحته إذا ارتدف لئلا يسقط، فتَأويله يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة الْمَعَاصي.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾.

كما قال عزّ وجلّ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾(١)

وهذه علامة المؤمنين في القيامة، ودليل ذلك قوله:

﴿يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقتبس مِنْ نُورِكُمْ﴾.

ويجوز أن يكون والله أعلم: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُـوَراً تَمْشُـونَ بِهِ﴾: يجعل لكم سبيلاً واضحاً من الهدى تهتدون به.

وقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلَّا يَقدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ من فضل اللَّه﴾.

المعنى فعل اللَّه بكم ذلك كما فعل بمن آمَن مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لأنْ يَعْلَمـوا و «لا» مؤكـدة. و «أَنْ لَا يَقْدِرُونَ» «لا» ههنا يـدل عـلى الإضمـار في «أن» مع تخفيف «أن» المعنى أنهم لا يقدرون، أي لِيَعْلَمَ أهلُ الكتاب أنهم لَا يَقْدِرُونَ على شيء من فضل اللَّه.

---

(١) سورة التحريم آية ٨.

سورة المُجَادَلَةِ

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ:﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

إدغـام الدال في السين حسن، لقـرب المخرجين. يقـرأ «قَد سَّمِعَ اللَّهُ» بـإدغـام الـدال في السين حتى لا يلفظ التكلم بـدال. وإنمـا حسن ذلـك لأَنَّ السين والدال من حروف طرف اللسان فإدغام الدال في السين تقوية للحرف. وإظهار الدال جائز لأنَّ مـوضع الـدال ـ وإن قَرُبَ من مـوضع السين ـ فمـوضع الدال حَيِّزٌ على حـدة. ومن موضـع الدال الـطاء والتاء، هـذه الأحرف الثـلاثة موضعها واحدٌ. والسين والزَّايُ والصَّادُ من موضع واحدٍ، وهي تسمى حـروف الصَّفِير، فلذلك جاز إظهار الدال.

وهذه الآية نزلت بسبب خَوْلَـة بنت ثعلبة، وَأَوْس بن الصـامت وكانـا من الأنصـار، قال لهـا: أنت عليَّ كظهـر أُمِّي، وقيـل قَـالَ لهـا أنت عليَّ كـأمِّي، وكـانت هذه الكلمـة مما يـطلق بها أهـل الجاهليـة، فـروَوْا أنهـا صـارت إلى النبي ﷺ فقـالت: إنَّ أوْساً تـزوَّجَني وأنا شَـابَّةٌ مـرغـوب فِيَّ، فلمـا خلا سني ونثَرَتُ بَطني، أي كثر ولدي جعلني عليـه كأُمِّـه. فروي أن رسـول اللَّه ﷺ قال لها: ما عنـدي في أمرك شيءٌ، فشكت إلى اللَّه عـزّ وجلّ وقـالت: اللهم إني أشكو إليك. وروي أيضاً أنها قالت للنبي عليه السلام فيما قالت: إن لي صبية صِغَـاراً إن ضممتهم إليه ضـاعـوا، وإن ضممتهم إليَّ جـاعـوا، فـأنـزل اللَّـه

ـ عزّ وجلّ ـ كفارة الظهار،وفي هذا دَليل أنه لا يكون ما يطلق به الجاهلية طلاقاً إلاّ أن يأتي الإسلام بذلك نحو ما قالوا في خليَّة وبَرِيَّـة وحبلك على غاربـك. وأصـل قـولهم: أنْتِ طَـالِقٌ لَمَّا أتـى الإسـلام بحكم فيـه مضى على حكم الإسلام.

وقوله:﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُن أُمَّهَاتِهِمْ﴾.

المعنى ما اللواتي يجعلن من الزوجات كالأمهات بأُمَّهَاتٍ.

﴿إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئي وَلَدْنَهُمْ﴾.

المعنى ما أمهاتهم إلا اللائي وَلَدْنَهُمْ، فـذكر اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ الأُمَّهـاتِ في موضع آخر فقال:﴿وأُمَّهاتُكم اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾، فـأعلم اللَّه أنَّ المرضِعَـاتِ أمهاتٌ، والمعنى ما أمهاتهم إلا اللائي ولَدْنَهُم، أي الوَالِـداتُ والمرضِعَـاتُ. فلا تكن الزوجات كهؤلاء، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن ذلك منكر وباطل فقال:

﴿وَإِنَّهُم لَيَقُولُونَ مُنْكَـراً مِنَ القَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُـوٌّ غَفُورٌ﴾.

عفـا عنهم وغفر لهم بجعله الكفـارة عليهم. و ﴿الَّذِين﴾ في مَـوْضِـع رَفْـعٍ بالابتداء، وخبره ﴿مَا هُنَّ أمَّهَاتِهِمْ﴾، وأمهاتهم في موضع نصب على خبر ما، المعنى ليس هن بأُمَّهاتِهِمْ.

وقوله :﴿والذين يُظَاهِرُون. . .﴾ الآية.

﴿الذين﴾ رفع بالابتداء، وخبرهم فعلهم تَحْرِيـرُ رَقَبَةٍ، ولم يـذكر «عَلَيْهم» لأن في الكلام دليلاً عليه، وإن شئت أضمرت فكفارتهم تحريـرُ رَقَبَةٍ.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾.

فاختلف أهل العلم فقال بعضهم: الكفارة للمسيس، وقال بعضهم: إذا أراد العوْدَ إليها والإقامة مس أو لم يمس كفَّرَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾.

المعنى ذلكم التغليظ في الكفّارة توعظون به، وقال بعض الناس لا تجب الكفارة حتى يقول ثانية: أنت عليَّ كظهر أمي. وهذا قول من لا يدري اللغة، وهو خلاف قول أهل العلم أجمعين. إنما المعنى ثم يعودون العودة التي من أجل القول، فلتلك العودة تلزم الكفارة لا لكل عودَةٍ. وفيها قول آخر للأخفش وهو أن يُجْعَلَ «لما قالوا» من صلة فتحرير رقبة، فالمعنى عنده: والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون فتحرير رقبة لما قالوا، فهذا مذهب حسن أيضاً، والدليل على بطلان هذا القائل أن «ثم يعودون لما قالوا» أن يقول ثانية: أنت عليَّ كظهر أمي - قول جميع أهل العلم ومتابعته هو إياهم: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾(١) فأجمعوا أنه ليس «فَإِنْ فَاءُوا» فإن حَلَفُوا ثانية، ومعنى فاءوا في اللغة وعادوا معنى واحد.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾.

كناية عن الجماع، ودليل ذلك قوله: ﴿وإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أن تَمَسُّوهُنَّ﴾(٢).

فالمعنى من قبل أن تدخلوا بِهِنَّ.

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

المعنى فمن لم يجد الرقبة فكفارته صيام شهرين متتابعين، وإن شئت فعليه صيام شهرين متتابعين، ولو قرئت فَصِيَامٌ شهرين جَازَ كما قال الله - عزّ وجلْ - ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾. ولا أعلم أحداً قرأ بالتنوين.

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾.

---

(١) سورة البقرة / ٢٢٦. (٢) سورة البقرة / ٢٣٧.

«من» في موضع رفع على معنى فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ الصِّيام فكفارتُه إطعام سِتِّينَ مِسْكِيناً، وكذلك فإطعامٌ بالتنوين ولا أعلم أَحَداً أقرأ بها.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ في مَوْضِعِ رَفْعٍ، المعنى الفرض ذَلِكَ الَّذِي وَصَفْنَا، ومعنى لتؤمنوا بالله ورسوله، أي لِتُصَدِّقُوا ما أتى به رسول الله، ولِتُصَدِّقوا أن الله أمرنا به.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

أي تلك التي وَصَفنا في الظهار والكفارة حدود الله.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي لمن لم يصدق بها، وأليم مؤلم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَه كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

معنى ﴿كُبِتُوا﴾ أُذِلُّوا وأُخْزُوا بالعذاب وبأن غُلِبُوا، كما نزل بمن قَبلَهُم مِمَّنْ حَادَّ الله ومَعنى ويُحادّونَ اللَّه ويشاقون الله أي هم في غير الحَدِّ الذي[1] يكون فيه أولياء الله، وكذلك يُشَاقُّون يكونون في الشق الذي فيه أعداء الله.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بمعنى قوله: ﴿ولِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جميعاً﴾، أي يبعثهم مجتمعين في حال واحدة.

﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾.

أي يخبرهم بذلك ليعلموا وجوب الحجة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) في الأصل التي.

أي يعلم كل ما في السموات وكل ما في الأرض مما ظهر للعباد ومما بطن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾.

أي ما يكون من خَلْوَةِ ثلاثةٍ يسرون شيئاً وَيتناجون به إلا وهو رابعهم عالم به، وهو في كل مكانٍ، أي بالعلم، ونجوى مشتق من النجوة وهو ما ارتفع وَتَنَحَّى تقول: فلان من هذا المكان بنجوةٍ إذا كانت ناحية[٢] منه فمعنى تناجون يتخالون بما يريدونَ. وذكر اللَّه هذه الآية لأن المنافقين واليهودَ كانوا يتناجَوْنَ، فيوهمونَ المسلمين أنهم يتناجون فيما يسوءهم ويؤذيهم فيحزنون لذلك، فنهى اللَّه عزّ وجلّ ـ عن تلك النجوى فعاد المنافقون واليهودُ إلى ذلك فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ النبي ﷺ أنهم قد عادوا في مثل تلك النجوى بعينها فقال:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ، ويتناجَوْنَ بالإثم والعُدْوان وَمَعْصِيةِ الرَّسُولِ﴾.

أي يوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ، وَيَقُولُون فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بما نَقُولُ﴾.

أي هَلَّا يعذِّبُنَا اللَّه بما نقول، وكانوا إذا أتوا النبي ﷺ قالوا: السام عليكم، والسام: الموت، فقالوا: لم لا ينزل بنا العذاب إذا قلنا للنبي ـ عليه السلام ـ هذا القول، واللَّه ـ عزّ وجلّ ـ وَعدهم بعذاب الآخرة وبالخزي في الدنيا، وبإظهار الإسلام وأَمْرِ النبي ﷺ وغلَبَةِ حِزْبِه، فقال: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾، وقال: ﴿كُبتُوا كما كُبِتَ الذين مَنْ قَبْلِهِمْ﴾، وقال: ﴿أَلَا أَنَ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾.

فصدق وَعْدَهُ ونصر جُنْدَهُ وأَظْهَرَ دِينَهُ وكبت عَدُوَّهُ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بالإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وتناجَّوْا بالبِّرِّ والتَّقْوَى﴾.

أي إذا تخالَيْتُمْ لِلسِّر فلا تخالـوا إلاَّ بالبَـرِّ والتقوى، ولا تكـونوا كـاليهود والمنافقين. وفي تناجوا ثلاثة أَوجهٍ، فلا تتناجَوْا بتاءين ظاهرتين، وبتـاء واحدة مدغمة مشـدَّدَةٍ: فلا تَنَـاجَوْا. وإنمـا أدْغمت التاءان لأنهمـا حرفـان من مخرج واحد مُتحرّكان وقبلهما ألف، والألف قد يكون بعدها الـدغم نحو دَابَّةٍ وَرَادٍّ، ويجـوز الإظهـار لأن التـاءين في أول الكلمـة وأن «لا» كلمـة على حـالهـا، و «تتناجوا» كلمة أخرى، فلم يكن هذا البناء لاَزِمـاً فلذلك كـان الإظهار أجـود. ويجوز الإدغام، ويجوز حَذْفُ التاء لاجتماع التاءين، يحكى عن العرب «تبين هذه الخصلة، وتتبيَّن هذه الخَصْلَةُ، وفي القـرآن لعلكم تَذَكَّـرُون، وَتَتَذَكَّـرُونَ وتـذكـرون واحـدة، ولا أعلم أحـداً قرأ «ولا تنـاجوا» بتـاء واحدة ولكن تقـرأ «فَلاَ تَنْتَجُوا» أي لا تفتعلوا من النجوى.

وقوله:﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي النجوى بالإِثْمِ والعُـدْوَانِ مِنَ الشَّيطَانِ ليحـزن الذين آمنـوا، ويجوز لِيُحْـزِنَ الذين آمنـوا ـ بضم الياء وكسر الزاي ـ . العـرب تقول: حـزنني الأمر وأحزنني.

﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾.

أي ليس يضر التناجي المؤمنين شيئـاً، ويجوز أن يكـون وليس بضارهم الشيطان شيئاً.

وقـولـه :﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه﴾، أي لا يضـرهم شيء إلا مـا أراد اللَّه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾.

أي يكلون أمرهم إلى اللَّه ويستعيذون به من الشيطان الرجيم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الذين آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تفسَّحُوا فِي المَجْلِسِ﴾.

ويقرأ ﴿في المَجَالِس﴾ وتقرأ «تَفَاسَحُوا».

وجاء في التفسير أن المجلس ههنا يعنى به مجلس النبي ﷺ وقيل في المجالس مجالس الحرب مثل قوله تعالى: ﴿مقاعد للقتال﴾، فأمَّا مَا أُمِرُوا بـه في مجلس النبي عليه السلام فقيل إن الآية نزلت بسبب عبد اللّه بن شَمَّاسٍ وكان من أهل الصَّفَّةِ، وكان من يجلس في مجلس النبي ﷺ من ذوي الغِنَى والشرف كأنهم لَا يُوَسِّعُون لِمَنْ هُو دُونَهُمْ، فأمر اللّه المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أرادَ النبي ﷺ ليتساوى الناس بالأخذِ بالحظ منه.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾.

أي إذا قيل انهضوا - قوموا - فانهضوا. وهذا كما قال: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذٰلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحي مِنْكُمْ﴾[1]، وَقِيلَ أَيْضاً: ﴿وَإِذَا قِيل انْشُزُوا فانْشُزوا﴾ أي إذا قيل قوموا لصلاة أو قضاء حَقٍّ أو شهادَةٍ فانشُزُوا، ويجوز «انشُروا فانْشُرْوا، جميعاً يقرأ بهما ويرويان عن العرب نشر ينشرُ وينْشِزُ.

وقوله: ﴿يَرْفَعِ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوْتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ﴾.

والدليل على فضل أهل العلم ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: عبادةُ العالم يَوْماً واحِداً تعدِلُ عِبَادَةَ العابد الجاهل أربعين سنةً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾.

أي إذا خاليتم الرسول بالسر فقدموا قبل ذلك صدقة وافعلوا ذلك.

وقيل إن سبب ذلك أن الأغنياء كانوا يستخلون النبي ﷺ فَيُسَارُّونَه بما يريدونَ، وكان الفقراء لا يتمكنون من النبي ﷺ تمكنهم ففرض عليهم

---

(١) سورة الأحزاب /٥٣.

الصـدقة قبـل النجوى ليمتنعـوا من ذلـك، فـروي أن عَلِيًّـا رحمـه اللَّه أراد أن يناجِيَ النبي [ﷺ] فتصدق بـدينار بـاعه بعشـرة دَرَاهم قبل مُنَـاجَاتِـه، ثم نسخ ذلك الزكاة فقال ـ عزّ وجل:

﴿أأشفَقْتُمْ أن تُقدِّمُوا بين يَـدَيْ نَجْوَاكُم صَـدَقَاتٍ فَـإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي أطيعوه في كل أَمْـرٍ، ودخل في ذلـك التَّفَسُّحُ في المجْلِسِ لِتَقَـارُب النَّاسِ في الدُّنُوِ من النبي عليه السلام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَـوَلَّوْا قَـوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَـا هُمْ منكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِب وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء المنافقون تولَّوْا اليهودَ، ومعنى قَوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ﴾ يَدُلُ على تفسيـره قولـه: ﴿وَيَحْلِفُـونَ بـاللَّهِ إنهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَـا هُمْ مِنكم وَلٰكِنَّهُمْ قَـوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾(١) وقوله: ﴿يَـومَ يَبْعَثُهُمُ اللَّه جميعاً فَيَحْلِفُـونَ لَهُ كمـا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ يـدل عليه قـوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلَّا أَنْ قـالُوا واللَّهِ رَبِّنَـا مَا كُنَّـا مُشْرِكِينَ. انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا على أنْفُسِهِمْ﴾(٢).

وقوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

معنى «استحـوذ» في اللغة استـولى، يقـال: حُـذْتُ الإبِـلَ وَحُـزْتُهَـا إذا استوليت عليها وجمعتها، وهذا مما خرج على أصله ومثله في الكـلام أَجْوَدْتُ وأَطيبتُ، والأكثـر أجدتُ وأَطَبتُ، إلَّا أنَّ استحـوذ جاء على الأصـل، لأنـه لم يُقَـلْ عَلَى حَاذَ لإنـه إنما بني على استفعـل في أول وهلة كمـا بني افتقـر على افتعل وهو من الفقر ولم يُقَلْ منه فَقُرَ ولا استعمـل بغير زيـادة، ولـم يقل: حـاذ عليهم الشيـطان ولو جـاء استحاذ كـان صوابـاً، ولكن استحوذ ههنـا أجود لأَنَ

---

(١) سورة التوبة /٥٦. (٢) سورة الأنعام /٢٣، ٢٤.

الفعل في ذا المعنى لم يستعمل إلا بزيادة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾.

قال أبو عبيدة: حزب الشيطان جند الشَيطان، والأصل في اللغة أن الحزب الجمع والجماعة، يقال منه: قد تحزب القوم إذا صاروا فِرَقاً، جماعةً كذا وجماعة كذا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾.

قد فسرنا يحادون ومعناه يشاقُّونَ أي يصيرون في غير حَدِّ أولياء اللَّه، وفي غير شِقِّهِمْ، ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، أي أُولَئِكَ في المغلوبين.

وقوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

أي قضى اللَّه قضاء ثابتاً، ومعنى غلبة الرُّسُل عَلَى نَوعين، مَنْ بُعِث بالحرب فغالب في الحربْ، ومن بعث منهم بغير حرب فهُو غالب بالحجة.

﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

أي مانع حزبه من أن يُذَلَّ لأنه قال جلّ وعلاّ: ﴿أولئك في الأَذَلِّينَ﴾، والعزيز الذي لا يغلب وَلَا يُقْهَرُ.

وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى آخر القصة.

جاء في التفسير أن هذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بَلْتَعة، وكان النبي ﷺ عزم على قصد أهل مكة فكتب حاطب يشرح لهم القصَّةَ ويُنْذِرَهُمْ ليحرَّزوا فنزل الوحي على رسول اللَّه [ﷺ] فذكر حاطبُ لَمَّا وُبخ بذلك أن له بمكة أهلاً وأنه لَيس لَهُ أَحَدٌ يكنفهم، وإنما فَعَلَ ذلك ليحاط أهله، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن إيمان المؤمنِ يَفْسُدُ بِمَوَدَّةِ الكفار بالمعاونة على المؤمنين، وأعلم اللَّه تعالى أنه من كان مؤمناً باللَّه واليوم الآخر لا يوالي مَنْ كَفَر، ولو كان أباه أو أُمَّهُ أو أخاه أَوْ أَحَداً مِنْ عَشِيرته.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾.

يعني الذين لا يوادّون من حَادَ اللَّهَ ورَسوله، ويوالون المؤمنين.

وقوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

أي قـواهم بنور الإيمـانَ وبإحيـاء الإيمان، ودليـل ذلك قـوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جعَلْنَـاهُ نُوراً نَهْدِي به مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

فكذلك: ﴿وأَيَّدهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك يوصلهم إلى الجنَّة فقال:

﴿وَيُدْخِلُهِمْ جَنَّـاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عنه. أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾.

أي الذين لَا يُوادُّونَ من حاد اللَّه ورسوله ومن المؤمنين، وحزب اللَّه أي الداخلون[1] في الجمع الذي اصطفاه اللَّه وارتضاه.

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ حزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

«أَلَا» كلمة تنبيه، وتوكيد للقصَّةِ، والمفلحون المدركون البقاء في النعيم الدائم.

---

(١) سورة الشورى ٥٢.

(٢) في الأصل: الداخلين.

سُورَةُ الحَشْرِ
مَدنيـة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

افتتح اللَّه السورة بذكر تقديسه وأن له أشياء تُبـرِّئُهُ من السَّوءِ ومثل ذلـك قوله:﴿وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِه﴾.

وقـوله تعـالى:﴿هُوَ الَّـذِي أَخْرَجَ الَّـذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـلِ الكِتَابِ﴾-الآية هَؤُلَاءِ بنـو النضير، كـان لهم عز ومنعـة مِنَ اليهود، فـظن النـاس أنهم لعـزهم وَمَنْعَتِهِمْ لا يخـرجون من ديـارِهِمْ، وظنَّ بنو النضيـر أنَّ حُصُـونَهُمْ تمنعهم من اللَّه، أي من أمر اللَّه ﴿فأتـاهُم اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُـوا وَقَــذَفَ في قلوبهم الرعب﴾.

كان بنو النضير لما دخل النبي عليه السـلام المدينـة عاقـدوه ألَّا يكونـوا عليـه ولا معه، فلمـا كان يـوم أحـد وظهـر المشـركـون على المسلمين نكثـوا ودخلهم الريب، وكان كعب بن الأشرف رئيساً لهم فخـرج في ستين رَجُلاً إلى مكة وعاقـد المشركين على التـظاهر على النبي عليـه السلام، فـأطلع اللَّه نبيه عليه السلام على ذلك، فلما صار إلى المدينـة وَجَّهَ رسـول اللَّه ﷺ محمد بن مسلمـة ليَقْتُلَه، وكان محمـد بن مَسْلَمَـةً رضيعـاً لكعب، فـاستَـأْذَنَ محمـد بن مسلمة رسول اللَّه [ﷺ] في أن ينال منه ليعتر كعب بن الأشرف، فجاءَهُ محمد

ومعه جماعة فاستنزله من منزله وأوهمه أنه قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ في أخذ الصَّدقَةِ مِنهُ فلما نزل أخذ محمد بن مَسْلَمَةً بناصيته وكَبَّر، فخرج أصحابه فقتلوه في مكانِه، وغَدَا رسول اللَّه ﷺ غازياً بني النَّضِير فأناخ عليهم، وقيل إنه غزاهم على حمار مخطوم بليف، فكان المؤمِنُونَ يخربون من منازل بني النضير ليكون لهم أمكنة للقتال، وكان بنو النضير يخربون منازلهم ليَسُدُّوا بها أبْوابَ أزقتهم لِئَلَّا يُبْقَى علي المؤمنين، فقذف اللَّهُ في قلوبهم الرَّعْبَ ﴿يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومعنى إخرابها بأيدي المؤمنين أنهم عَرَّضُوهَا لِذَلك. ففارقوا رسول اللَّه ﷺ على الجلاء من منازلهم وأن يحملوا ما استقلت به إبِلُهُمْ ما خلا الفضة والذهب، فجلوا إلى الشام وطائفة منهم جلت إلى خيبر وطائفة إلى الحيرة، وذلك قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الحَشْرِ﴾.

وهو أول حَشْرٍ حُشِرَ إلى الشَّامِ - ثم يحشر الخلق يوم القيامةِ إلى الشّامِ ولذلك قيل لأول الحشر. فجميع اليهود والنصارى يُجْلَوْنَ من جزيرة العَرَبِ.

وروي عن عمرَ أن النبي ﷺ قال: لأُخْرِجَنَّ اليهُودَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ. قال الخليل: جزيرة العرب مَعْدِنُها وَمَسْكَنُها، وإنما قيل لها جَزِيرَةُ العَرَبِ لأنَّ بحر الحبسِ وبحر فارس ودجلة والفرات قد أحاطت بها، فَهِيَ أَرْضُها ومَعْدِنُها. قال أبو عبيدة: جزيرة العرب من جَفْر أبي موسى إلى اليَمَنِ في الطول ومن رمل يَبْرِينَ إلى منقطع السماوة في العرض. وقال الأَصْمَعِيُّ إلى أقصى عَدَن أبْيَن إلى أطراف اليمن حتى تبلغ أطرافَ بَوادي الشّام.

وقوله تعالى:﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾.

أي ما قطعتم من نخلة - والنخل كله ما عدا البرني والعجوة يسميه أهل المدينة الألْوَانُ، وأصل لينه لِوْنَهَ فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فقيل لينة.

فأنكر بنو النضير قطع النخل فأعلم اللّه - عزّ وجلّ - أن ذلك بإذنه - القطع والترك جميعاً.

﴿وليُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

بأن يريهم أموالهم يتحكم فيها المسلمون كيف أحبوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾.

يعني ما أفاء اللّه على رسوله من بني النضير مما لم يوجفوا عليه خيلاً ولا ركاباً - والركاب الإبلُ والوَجِيفُ دون التقريب من السَّير، يقال: وجف الفرس وأوجَفته، والمعنى أنه لا شيء لكم فيه إنما هو لرسول اللّه ﷺ خالصاً يعمل فيه ما أحب، وكذلك كل ما فتح على الأئمة مما لم يوجف المسلمون عليه خيلاً ولا ركاباً.

وقوله: ﴿مَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ ولِلرَّسُول﴾.

معنى فلِلَّهِ أي له أن يأمركم فيه بما أحَبَّ: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾.

يعني ذوي قرابات النبي ﷺ لأنهم قد منعوا الصدقة فَجُعِلَ لهم حَقٌّ في الفيء.

﴿وَالْيَتَامَى والمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ كَيْ يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾.

بَيَّنَ من المَسَاكِينُ الذين لهم الحقُّ فقال: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿والذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ﴾.

يعني الأنصار.

﴿والإِيمَـانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني المهاجرين.

﴿يُحِبُّـونَ مَنْ هَـاجَـرَ إِلَيْهِمْ﴾، أي يحب الأنْصَارُ المُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَايَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾.

أي لا يجد الأنصار في صدورهم حاجة ممَّا يُعْطَى المهاجرونَ.

وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

قال أبو إسحاق: ما أفاء اللَّه على رسوله من أهل القُرَى نحـو خيبر. ومـا أشْبَهَهَا، فالأمر عند أهل الحجاز في قسمة الفيء أنه يُفَـرَّقُ في هذه الأصْنَـافِ المسمَّاة على قَدْرِ ما يراه الإمام على التحري للصلاح في ذلك إن رأى الإمـام ذلك، وإن رأى أنَّ صِنفاً من الأصناف يحتاج فيـه إلى جميع الفيء صـرف فيه أو في هذه الأصنافِ عَلى قَدْرِ مَا يَرَى.

قوله: ﴿كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

يقرأ بضم الدال وفتحهـا ـ فالـدُّولَةُ اسم الشيء الـذي يتداول، والـدَّوْلَةُ الفِعْلُ والانتقال من حـال إلى حالٍ. وقـرئت أيضاً. دُولَـةٌ ـ بالـرفع ـ فمن قـرأ «كَيْلَا يَكُونَ دُولَةٌ» فعلى أن يكون على مذهب التمام، ويجوز أن يكون «دولـة» اسمَ يكـونُ وخَبَرُهـا «بين الأغنياء»، والأكثـر ﴿كيـلا يكـونَ دولـةً بَيْنَ الأَغْنِيَـاءِ مِنْكُمْ﴾ على معنى كيلا يكون الفيء دولةٍ، أي متداولاً.

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

أي من الفيء.

﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي عن أخذه ﴿فَانْتَهُوا﴾.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يقولون رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾.

أي مـا أفـاء اللَّه على رسـولـه من أهـل القُـرى فلله ولـرسـولـه ولهؤلاء

المسلمين وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة، ما أقاموا على محبة أصحاب رسول اللَّه عليه السلام.

ودليل ذلك قوله: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ في حال قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ..﴾ الآية.

فمن يترحم على أصحاب رسول اللَّه ولم يكن في قلبه غِلٌّ لهم أجمعين فله حظٌّ فِي فَيْءِ المسلمين، ومن شَتَمُهُمْ ولم يترحم عَلَيهم أو كان في قَلْبِهِ غِلٌّ لَهُمْ فما جعل اللَّه حقاً في سبي المسلمين.

فهذا نصٌّ فِي الكِتَابِ بَيِّنٌ.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.

هُمْ إِخْوَانُهُمْ يَضُمُّهُمْ الكُفْرُ.

﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أحداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾.

وقد بَانَ ذلك في أمر بني النَّضِير الذين عاقدهم المنافقون لأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم فلم يخرج معهم المنافقون، وقُوتِلُوا فلم ينصروهم. فأظهر اللَّه عزّ وجلّ كَذِبَهُمْ.

فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾.

قال أهل اللغة في هذا قولين: قالوا معناه أنهم لو تَعَاطَوْا نَصْرَهُمْ، أي ولئن نَصَرهُم مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لَيُوَلُّنَ الأَدبار.

وقوله: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أو مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾.

وقـرئت أو من وراء جدار ـ على الـوَاحِد ـ وقـرئت بتسكين الدال. فمن قـرأ جُدُر فهـو جمع جـدار وجُدُرٍ مثـل حمار وَحُمُـرٍ، ومن قـرأ بتسكين الـدال حذف الضمة لِثِقَلِهَا كما قالوا صُحْفٌ وَصُحُفٌ. ومن قـرأ جِدَار فهـو الوَاحِـدُ. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم إذا اجتمعوا على قتالِكم لما قذف اللَّه في قلوبهم مِنَ الرُّعبِ لا يبرزون لحربكم إنما يقاتلون متحصنين بالقُرى والجُدْرانِ.

وقوله:﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

أي مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا يتعـاونون بِنيـات مُجْتَمِعَةَ لأن اللَّه ـ ـعزّ وجلّ ـ ناصر حزبه وخاذِلُ أعدائِه.

وقـوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَـرِيباً ذَاقُـوا وَبَالَ أَمْـرِهِمْ وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

مثل ما نال أهل بَدْرٍ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّـا كَفَرَ قَـالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾.

أي مثل المنافقين في غـرورهم لبني النَّضِير وَقَـوْلِهِم لَهُمْ: لَئن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم للنصرنكم ـ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمـا كفر قـال إني بريء منـك، وهو ـ واللَّه أعلم ـ يـدل عليـه قولـه: ﴿وإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْـطَانُ أَعْمَـالَهُمْ وقـال لا غـالِبَ لَكُمُ اليـومَ مِنَ الناسِ وإني جَارٌ لَكُمْ، فلما تَرَاءَتِ الفِئَتانِ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ، وقال إني بَرِيءٌ منكم﴾[1].

فكذلك المنافقون، لَمَّا نَزَلَ ببني النَّضِيرِ ما نزل تبرأوا منهم.

وقـد جاء في التّفسير أن عابـداً كان يقـال له بَـرْصِيصَا كـان يُدَاوِي مِنَ الجُنُونِ فداوى امرأة فأعَجَبته فأغـواه الشيطان حتى وَقَـعَ بها ثم قتلهـا ـ ثم تبرأ

---

(١) سورة الأنفال /٤٨.

منه الشيطان، وفي الحديث طُولٌ ولكن هذا معناه.

وقوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾.

وقرأ عبد اللَّه بن مسعود أنهما في النار خَالِدَان فِيهَا، وَهُوَ في العربيَّةِ جائزٌ إلّا أنه خلاف المصحف، فمن قَالَ خَالِدَيْن فيها فنصب على الحال، ومن قرأ خالدان فهو خبر إن. والقراءة فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا على اسم كانَ ويكون خبر كانَ أنهما في النار على معنى فكان عاقبتهما كَوْنَهُما في النَّارِ ويقرأ فكان عاقِبَتُهُمَا والنصب أحسَنُ. ويكون اسم كان أَنَّهُمَا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.

أي ليوم القيامَةِ، وقُرِّبَ على الناسِ فجعل كأنه يأتي غَداً.

وأصل غَدٍ غَدْوٌ إلا أنه لم يأت في القرآن إلاَّ بحذف الواو، وقد تُكُلِّمَ به بحذف الواو، وجاء في الشِّعْر بإثبات الواوِ وحَذْفِها، قال الشاعر في إثباتها[1]:

وما النَّاس إلا كالديار وأهلها ... بها يوم حلوها وغَدْواً بَلاَقِعُ

وقال آخر[2]:

لا تَقْلُوَاهَا وادْلُوَاهَا دَلْواً ... إن مَعَ اليوَم أخاه غَدْواً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾.

نسوا اللَّه تركوا ذكره وما أمرهم به فترك اللَّه ذكرهم بالرحمة والتوفيق.

وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَه خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

---

(١) هو لبيد في رثاء أخيه من عينيته التي أولها:
بلينا وما تبلي النجوم الطوالع. وهي في الديوان، وجزء منها به. هذا البيت في ترجمة.
لبيد في مختار الأغاني جـ ٦ / ١٣٩.

(٢) يقال: دلا الناقة يدلوها إذا ساقها برفق ـ وقلاها يقولها ساقها بشده وعنف ـ البيت في اللسان (دلا).

أعلم اللَّه عزّ وجلّ أنِ من شـأن القرآن وعَـظَمَتِهِ وَبَيـانِه أنـه لو جُعِـلَ في الجبل تمييز كما جعل فيكم وأنـزل عليه القـرآن لخشع وتصـدع من خشية اللَّه ومعنى خشع تطأطأ وخضع، ومعنى تصدَّع تشقَّقَ.

وجائز أن يكون هذا عَلَى المَثَـلِ لقولـه: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ كمـا قَالَ ـ سبحـانه ـ :﴿لقد جئتم شيئاً إدًّا تكـاد السموات يتفـطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا﴾.

وقوله:﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾.

هذا رد على أول السورة، على قوله:﴿سَبَّحَ لِلَّه مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وهو العزيزُ الحكيم﴾. ﴿هو اللَّهُ الذي لا إله إلاّ هو﴾.

قوله: ﴿المَلِكُ القُدُّوسُ﴾.

والقدوس الطاهـر ومن هذا قيـل: بيت المقدس أي بيت المكـان الذي يتطهر فيه من الذُّنُوبِ.

وقوله: ﴿السَّلَامُ﴾.

اسم من أسماء اللَّه عزّ وجلّ، وقيل السلام الذي قد سَلِمَ الخلقُ من ظُلْمِهِ.

﴿المُؤْمِنُ﴾.

الذي وَحَّد نَفْسَـهُ بقولـه:﴿شَهِدَ اللَّه أنـه لا إله إلا هـو والملائكة﴾، وقيل المؤمِنُ الذي أمِنَ الخلقُ من ظُلْمِه.

وقوله: ﴿العَزِيزُ﴾.

أي الممتنِعُ الذي لا يغلبه شيء.

﴿المُهَيْمِنُ﴾.

جاء في التفسير أنه الشهيدُ، وجـاء في التَّفسِّير أنـه الأمين، وزعم بَعْضُ

أهـل اللغة أن الهـاء بـدل من الهمـزة وأن أصله المؤيْمِنُ، كمـا قـالـوا: إيـاك وهِيَّاكَ، والتفسير يشهـد لهذا القـول لأنه جـاء أنه الأمِينُ، وجـاء أنه الشَّهِيـدُ، وتأويل الشهيد الأمين في شهادته.

وقوله: ﴿الجَبَّار﴾.

تأويله الذي جبر الخلق على ما أراده من أمْرِه.

وقوله: ﴿المُتَكَبِّرُ﴾.

الذي تكبر عن ظلم عِبَادِه.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

تأويله تنزيه اللَّه عن شركِهِمْ.

قوله:﴿هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَـارِئُ المُصَوِّرُ﴾.

وقد رويت رواية لا ينبغي أن تُقْرَأ، رويت البارِئُ المصورُ بالنَّصب معناه الذي برأ آدم وصَوَّرَهُ.

وقوله: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾.

جاء في التفسير أنها تسعة وتِسْعُون اسماً، من أحصاها دَخَل الجنَّةَ وجاء في التفسيـر أن اسم اللَّه الأعظم اللَّه، ونحن نبينُ هـذه الأسمـاء واشتقـاق مـا ينبغي أن يبين منها إن شاء اللَّه.

روى أبو هريرة الدوسي عن النبي عليه السلام قال إن للَّه مائـة اسم غير واحِـدٍ مـن أحصاهـا دخـل الجنـة، وهو اللَّه الـواحد الـرحمن الرحيم الأحَـدُ الصَّمَدُ الفرد السـلام المؤمن المهيمن العزيـز الجبار المتكبـر الخالق البـارئ المصور الحي القيوم العَلِيُّ الكبير الغني الكريم الـولي الحميد العليم اللطيف السميـع البصير الـودود الشكور. الـظاهر البَـاطِنُ الأول الآخر المبـدي البديـع الملك القدوس الذَّارِئُ الفَاصِلُ الغَفُورُ المجيد الحليم الحفيظ الشهيـد الرَّبُّ

القدير التَّوَّاب الحافظ الكفيل القريبُ المجيب العَظيمُ الجليل العَفُوّ الصَّفُوح الحق المبين المعز المذل القوِيُّ الشديد الحنَّان المنَّان الفتّاح الرؤوف القابض الباسط الباعثُ الوَارِث الدَّيَانُ الفاضل الرقيب الحسيب المتين الوكيل الزكي الطاهر المحسن المجمل المبارك السُّبُّوح الحكيم البر الرَزَّاق الهادي المولى النصير الأعلى الأكبر الوهاب الجواد الوفيّ الواسع الخلّاق الوِتْر.

جاء في التفسير أن اسم اللّه الأعظم اللّه، قال سيبويه: سألت الخليل عن هذا الاسم فقال: الأصل فيه إله فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة، وقال مرة أُخْرَى: الأصل لَاهْ وأُدْخِلَتِ الألف واللام لَازِمَةٌ. وأما الرحمن الرحيم فالرحمن اسم اللّه خاصة لا يقال لغير اللّه رحمن، ومعناه المبالغ في الرَّحْمَةِ وأرحم الراحمين ـ وَفَعْلانُ من بناء المُبَالَغَةِ، تقول للشديد الامتلاء ملآنُ وللشديد الشبع شبعَانُ، والرحيم اسم الفاعِلِ من رحم فَهُوَ رَحِيمٌ، وهو أيضاً للمبالغة والأحدُ أصله الوَحَدُ بمعنى الواحد، وهو الواحد الذي ليس كمثله شيء. والصَّمَدُ السيد الذي صَمَدَ له كل شيء، أي قصد قَصْدَهُ، وتأويل صمود كل شيء للّه أن في كل شيء أثر صنعة اللّه، السلام الذي سلم الخلق من ظلمه، وقد فَسَّرْنَا المؤمِن المهَيْمِن، وفسرنا الجبار المتكبر. والباريء الخالق، تقول برأ اللّه الخلق يبرؤهم أي خلقهم، والقيُّوم المُبَالِغُ في القيام بكل ما خَلَقَ، وما أراد، والولي المتولي للمؤمنين اللطيف للخلق من حيث لا يعلمون ولا يقدرون، والودُودُ المحب الشديد المحبَّةِ، الشكور الذي يرجع الخير عنده، الظاهر الباطن الذي يعلم مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَن، المبدئ الذي ابتدأ كل شيء من غير شيء، والبديع الذي ابتدع الخلق على غير مثالٍ، القدُّوس قد رويت القَدُّوس بفتح القاف، جاء في التفسير أنه المبارك، ومن ذلك أرض مقدَّسَةٌ مباركة، وقيل الطاهر أيضاً. والمذرئ ـ مهموز ـ الذي ذرأ الخلق أي خلقهم، والفاصل الذي فصل بين الحَقِّ والباطل، والغفور الذي

يغفر الذنوب، وتأويل الغفران في اللغة التغطيةُ على الشيء ومن ذلك المِغْفَرُ ما غطِّيَ به الرأس. المجيد الجميل الفعال، والشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، والرَّبُّ مالك كل شيء والصفوح المتجاوز عَنِ الذُّنُوبِ يصفح عنها، الحَنَّانُ ذو الرحمة والتعطف المَنَّان الكثير المَنِّ على عباده بمُظَاهرة النعم، الفتاح الحاكم، الدَّيَّانُ المجازي، الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، المتين الشديد القوة على أَمْرِه، الوكيل الذي يوكل بالقيام بجميع ما خلق، والزكي الكثير الخير السُبُّوح الذي بين عن كل سِرٍّ، الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة، وكان الحلم على هذا تأخير العقوبة.

سُورَةُ المُمْتَحِنَة
مدنيــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِذُوا عَـدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَـاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمودَّةِ﴾.

قيـل المعنى تُلقُـونَ إليهم المـودَّةَ، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ يلقـون إليهم أخبار النبي عليه السلام وسِرَّهُ بالمودَّةِ التي بينكُمْ وبينهم، ودليـل هذا القـول: تُسِرُّون إِلَيْهِمْ ما يستره النبي عليه السلام بالمودَّة.

ويروى أنها نـزلت في حاطب بن أبي بلتعـة، وكان كتب إلى أهـل مكة يتنصَّحُ لهم، فكتب إليهم أن رسول اللَّه يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم فأطلع اللَّه نبيه على ذلك، وكان كتب إليهم كتاباً ووجه بـه مع امـرأةٍ يقال إنهـا كانت مولاة بني هاشم، فوجه رسول اللَّه ﷺ بعَلِيٍّ والزبَيْـرِ خلفَها فلحقـاها فسـألاها عن الكتاب فأنكرت، ففتشا مـا معها فلم يجـدا شيئاً، فقـال علي رضوان اللَّه عليـه: إن رسول اللَّه ﷺ لم يَكـذِبْنا فـأقسم علي عليهـا لتخـرجن الكتـابَ أو ليضربنها بالسيف، فقالت لهما: وَلِّيَا وُجُوهكما وأخرجت الكتابَ من قـرن من قـرون شعرهـا، فجاء بـالكتاب إلى النبي عليـه السلام فعـرضـه على حـاطب فاعترف به وقال إن لي بمكـة أهلاً ومـالاً فأردت أنِ أتقـرب مِنْهُمْ، ولَنْ يرد اللَّه بأسه عنهم، فأنزل اللَّه عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخـذوا عدوي وعدوكم﴾ الآية إلى آخر القصة.

وأما قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً في سَبِيلِي وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾.

هذا شرط جوابه مُتَقَدِّمٌ. المعنى إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، وجهاداً وابتغاء منصوبان لأنهما مفعولان لهما. المعنى إن كنتم خرجتم لجهاد وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. ثم أعلمهم تعالى أنه ليس ينفعهم التقرب إليهم بنَقْل أخبار النبي عليه السلام فقال:

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾.

معنى يثقفوكم يلقَوْكم.

﴿وَيَبْسطُو إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ﴾.

ثم أعلمهم أن أهلهم وأولادَهم لا ينفعُونهم شيئاً في القيامةِ فقال: ﴿لن تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بيْنَكُمْ﴾..

قرئت «يفصل» على أربعة أوجه. يَفْصِلُ بينَكُمْ على مَعْنَى يفصل اللَّه بينكم، ويُفْصَلُ بينكم على ما لم يسمَّ فاعله، والمعنى راجع إلى اللَّه عزّ وجلّ، ويُفَصَّلَ بَيْنَكُمْ ـ بتشديد الصاد وفتحها وضم الياء على ما لم يسم فاعله، وقرئت يفصِّلُ بينكم، ويجوز نَفْصِّل بينكم ونُفَصِّل بينكم ـ بالنون، فهذه سِتَّةُ أوجُهٍ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

ويجوز أسوة بضم الهَمْزَةِ.

﴿في إِبْراهِيمَ والَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءَ مِنْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدون مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن أصحاب إبراهيم صلوات اللَّه عليه تَبَرَّأُوا من قومهم وعَادَوْهُمْ، فأمِرَ أصحاب النبي عليه السلام أن يتأسَّوْا بهم وبقولهم.

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾.

فإن ذلك عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له إقامَتُهُ على الكفر تبرأ منه.

فأما ما يجوز في «بُرَءآءُ منكم» فأربعة أوجه، أجودُها بُرَءَاءُ على فعلاء، مثل ظريف وظرفاء، وشريك وشركاء، وكذلك بري. وبُرَءَاءُ، ويجوز بُرَاء منكم وبِرَآءُ منكم جميعاً بالمَدِّ فمن قال بِراء بالمد فهو بمنزلة ظريف وظراف، ومن قال بُرَاءُ بالضم - أبْدَلَ الضَمَ من الكسرة كما قالوا رُخْلَةَ ورِخَال[1] وقال بعضهم: رُخال بضم الراء وقالوا: شاة رُبَّى وغَنَمٌ رُبَابٌ وَرِبَابٌ - بضم الراء وكسرها - وهي الحديثة النتاج، أي الحديثة الولادة.

ويجوز بَرَاء منكم بفتح الباء، لأن العَرَبَ تقول: أنا البراء مِنْكَ ويقول الاثنان والثلاثة: نحن البراء منك، وكذلك تقول المرأةُ: أنا البراء منك. فلا تقرأ من هذه الأوجه إلا بما قرأ به من تُوْجَد عنه القِراءةُ.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

معناه لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق فَيَفْتَتِنُوا بِذَلِكَ.

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾.

«عسى» واجبة من اللَّه. جاء في التفسير أنه يعني بهذا أن رسول اللَّه ﷺ تَزَوَّجَ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فهذه هي المودَّة وقيل إنه يعني به من سلم مِنهُمْ فيكون بينكم وبينهم مودَّة.

وقوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾.

«أن» في موضع جر بدل من «الَّذِين»، المعنى لا ينهاكم أن تبروا الَّذين لم يقاتلوكم في الدِّينِ، وهذا يدل على أن المعنى: لا ينهاكم اللَّه عن بر الذين

---

(١) في القاموس: الرِّخل. بالكسر وبهاء وككتف، الأنثى من الضأن ج أرخل ورِخال ويضم.

بينكم وبينهم عَهْدٌ ودليل ذلك قوله: ﴿وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ أي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم، من الوفاء بالعهد، يقال أقسط الرجل فهو مقسط إذا عَدَل، وقسط فهو قاسط إذا جار، وقيل إنه يعني به النساء والصبيانُ.

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ قَاتَلوكُمْ فِي الدِّينِ وأَخْرجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾.

﴿ظاهروا عَلَى إِخرَاجِكم﴾ أي عاونوا على إخراجكم، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ «أن» في موضع جر أيضاً على البدل، المعنى إِنَّمَا ينهاكم اللَّه عن أن تتولوا هؤلاء الذين قاتلوكم في الدين لأن مُكَاتَبَتُهم بإظهار ما أسره النبي عليه السلام مُوالاةٌ.

وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾.

موضع «مهاجرات» نصب على الحال، وقيل المؤمنات وإن لم يُعْرَفْنَ بالإيمانِ وَقَبْلَ أن يَصِلُوا إلى النبي عليه السلام، وإنما سمين بذلك لأن تقديرهُنَّ الإيمان.

﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾.

معناه اختبروهُنَّ. وهذه نزلت بسبب عهد الحديبية الذي كان بين النبي ﷺ وبين مَنْ عَاهَدَهُ بمكة من خزاعة وغيرهم، وكان عليه السلام عاهدهم على أنه من جَاءَ منهم إليه ردَّه إليهم، ومن صار من عنده إلَيْهِمْ لم يردوه إليه، فأعلم اللَّه ـ جل وعزَّ ـ أَنَّ من أتى من المؤمِنَاتِ ممن يريد الدخول في الإسلام فلا يرجعن إلى الكُفَّار، فذلك قوله: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾.

فأعلم عزّ وجلّ ـ أن إظهار الإيمَانِ يدخُلُ في جملة الإسلام، واللَّه عالم

بما في القلوب، وكانت المحنة إذَا جَاءَتِ المرْأَةُ المهاجِرَةُ أن تحلَّفَ باللَّه أنه ما جاء بها غَيرَةٌ على زوجها، ولا جاءت إلا مُحِبَّةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وللرَّغْبَةِ في الإسلام فَهذِهِ المِحنَةُ.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾.

أي لا تردوهُنَّ، يقال: رجع فلانٌ ورجعته.

وقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

أي إنَّ المؤمنات لا يَحْلِلْنَ للكُفَّارَ ولا الكفارُ يحلون للمؤمنات وآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا.

فكان الزوج يُعْطَى مَهْرَ امرأته التي آمنت، وكان يُؤْخَذُ مِنْهُمْ مَهْرُ من مضى إليهم من نساء المؤمنين مِمَّن تلحق بزوجها إذا رغبت في الكُفْرِ. فأقامَتْ عَلَيْه.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي وَلَا إِثْمَ عليكم.

﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي أن تَزَوَّجوهُنَّ.

﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وهذا دليل على أن التَّزْوِيجَ لَا بُدَّ فيه مِنْ مَهْرٍ.

﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

أي إذا كفرن فقد زَالَتِ العِصمَةُ بين المشركةِ والمؤمِنِ، أي قد أنبَتَّ عَقْدُ حبل النكاح، وأصل العصمة الحبل، وكلُّ ما أَمْسَك شيئاً فقد عَصَمَهُ، وقُرِئَت: وَلَا تُمْسِكُوا ولا تَمَسَّكوا، والأصل تَتَمسَّكُوا من قَوْلِكَ تَمَسَّكْتُ بالشَّيءِ إِذَا أنتَ لَمْ تُخْله من يَدِكَ أو إرادتِكَ، فحذفت إحدى التاءين، وقُرِئَتْ تُمَسِّكُوا ـ بضم التاء والتشديد من قَوْلِكَ مَسَّكَ يُمَسِّكُ، وقرئت تُمْسِكُوا بضم التاء وتَخْفِيفِ السِّين على معنى أمْسَكَ يُمْسِكُ.

وقوله :﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعَـاقَبْتُمْ﴾.

على فاعلتم، وقرئت فعقَبْتُمْ بغير ألف وتخفيف القاف، وجاء في التفسير فَغَنِمْتُمْ، وتأويله في اللغة كانت العقبى لكم، أي كانت العقبى والغلبة لكم حتى غنمتم. وعَقِبْتُم أجْوَدُها في اللُّغَةِ، وفَعَقَبتُمْ بالتخفيف جَيِّدٌ في اللغة أيْضـاً، أي صارت لكم عقبى الغلبة، إلاَّ أنَّهُ بالتشديد أبلغ.

ومعنى ﴿فعاقبتم﴾ أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم.

أي إنْ مَضَتْ امرأة منكم إلى من لا عهد بينكم وبينه.

﴿فآتوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾.

أي مثل ما أنفقوا في مُهُورِهِنَّ، وكذلك إنْ مَضَتْ إلى من بينكم وبينهم عَهْـدٌ، فنكث في اعطاء المَهْـرِ فالـذي ذهبت زوجَتُـهُ كَـانَ يعْـطَى من الغنيمـة المَهْـرَ، فلا ينقص شيء من حقـه، يعـطى حَقَّـهُ كمَـلاً بـعـد اخـراج مهـور النساء، فمن ثم دفع عمر بن الخطاب رحمه اللَّه فيما رَوَوْا مهر أم أيمن[1].

وقوله تعالى :﴿يَا أَيُّها النبيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَـاتُ يُبَايِعْنَـكَ عَلَى أَلَّا يُشْرِكْنَ باللَّه شيئاً﴾ إلى قوله: ﴿ولا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، أي لا يـأتين بِوَلَـدٍ ينسبنـه إلى الـزوج، فـإن ذلـك بَهتـان وَفِـريةٌ، ﴿وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾.

قيـل لا يعصينَك في أمـر في النـوح، وقيـل في تمـزيق الثيـاب وخمش الوجوه ومحادَثَةِ الرجال. والجملة أن المعنَى لاَ يُعْصِيَنَك في جميع ما تأمُـرُهُنَّ به بالمعروف.

---

(١) لا تبدو قصة أم أيمن منطبقة مع هذا، فقد كان الرجل من الأنصار يجعل للنبي ﷺ - النخلات حتى فتحت قريظة والنضير فجعل يرد بعد ذلك، وكان فيما رده ما كان قد أعطاه أم أيمن فجعلت تقول: كلا، فأعطاها النبي حسبته عشرة أمثاله أو قريباً منها.

وروي أن النبي عليه السلام جلس على الصفا، وجلس عمر رحمه اللَّه دُونَهُ، فكن يبايعن النبي ﷺ على ما تَضَمَّنَتْه الآية، ويمسحن أيدِيَهُنَّ بِيَدِ عُمرَ. وقيل كن يمسحن بأيديهن من وراء ثوبٍ.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرةِ﴾.

يعني به اليهودُ.

﴿كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ﴾.

أي كما يئس الكفارُ الذين لَا يوقنون بالبعث من موتاهم أن يُبْعَثُوا، فقد يئس اليهود والذين عاقدوا النبي [ﷺ] من أن يكون لهم في الآخرة حظ، وقيل: ﴿قَد يَئِسُوا من الآخرة كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ من أصحاب القُبُورِ﴾، أي من الذين في القبور، يعلمون أنهم لا حَظَّ لهم فِي الآخِرةِ.

سورة الصف
مكيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا في السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعزِيزُ الحكِيمُ]﴾.

قد فسرنا ما في قوله: ﴿سَبَّحَ للَّهِ﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾.

الأصل «لما» فحذفت الألف لأن ما واللام كالشيء الواحد، فكثر استعمال «ما» واللام في الاستفهام، فإذا وقفت عليها قلت: لمه ولا يوقف عليها في القرآن بها لئلا يخالف المصحفُ، وينبغي للقارىء أَنْ يَصِلَها.

وهذا قيل لهم لأنهم قالوا: لو علمنا مَا أَحَبُّ الأعمال إلى اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ لأصبناه ولو كان فيه ذَهَابُ أنفسنا وأَمْوَالِنَا فأنزل اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وتُجَاهِدُونَ في سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالكم وأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لكم﴾.

فلما كانَ يومُ أُحُدٍ تولّى من تَوَلَّى عن النبي ﷺ حتى كسرت رَبَاعيته وَشُجَّ في وَجْهِهِ أنزل اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِـمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُون. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تقولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع رفع، و ﴿مَقْتاً﴾ نصبٌ على التمييز، المعنى كَبُرَ قولكم ما لا تَفعلون مَقْتاً عند اللَّه، ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ما الذي يحبه فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.

أي بنيانٌ لاصق بعضه بِبَعْضٍ لا يغادر بَعْضُه بَعْضاً.

فأعلم اللَّه - عزّوجلّ - أنه يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مَكَانَهُ كَثُبُوتِ البناء المَرْصُوصِ. ويجوز - واللَّه أعلم - أن يكون عني أن تستوي نِياتُهُمْ في حَرْبِ عَدُوِّهِمْ حتى يكونوا في اجتماع الكلمةِ ومُوَالَاةِ بعضهم بعضاً كالبنيانِ المرصوص.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾.

قد بيَّنَّا في سورة الأَحْزاب ما كان آذوه به.

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي عَدَلُوا عنِ الحقِّ وانصرفوا عنه فأضلهم اللَّه وَصَرَفَ قُلُوبَهُمْ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْفَاسِقِينَ﴾.

معناه لا يهدي من سبق في علمه أَنَّهُ فَاسِقٌ.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

موضع ﴿إذ قال عِيسى بنُ مَرْيَمَ﴾ و﴿إذ قال موسى﴾ جميعاً نصب، المعنى اذكر إذ قال موسى، واذكر إذ قال عيسى بنُ مريم، أي اذْكر لقومِكَ وأُمَّتِكَ قَصَّةَ مُوسَى وعيسى وما كان عاقبة من آمَنَ بِهِمَا وعاقبة من كفر وآذى الأنبياءَ.

وقولُه: ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾.

قيل إن الحواريين سموا بذلك لبياض ثيابِهِمْ، وقيل كانوا قصَّارِينَ، والحَوارِيُّونَ خُلْصَان الأَنْبِيَاءِ وصَفْوَتُهُمْ، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ:

الزبيـرُ ابنُ عَمَّتِي وحَوَارِيّـي مِنْ أُمَّتِي. وأصحـاب رسـول اللَّه ﷺ حـواريُّـون. وتأويل الحوارِيين في اللغة الذين أخلَصُوا ونُقُّوا من كُلِّ عَيْبٍ، وكذلك الـدقيق الحوَّارَى من هذا، إنمـا سُمِّيَ لأَنه يُنَقَّى من لُبَـابِ البُرِّ وخـالِصِه. وتـأويله في الناس أنه الذي إذَا رُجِعَ في اختياره مَرَّةً بعد مَرَّةٍ وُجِدَ نقياً مِنَ العُيُوب. فأصل التحوير في اللغة من حَارَ يحورُ، وهو الرجوع والترجيعُ.

فهـذا تأويله ـ واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إلى اللَّهِ﴾.

أي من أَنْصَـارِي مع اللَّه، وقـال قوم مَنْ أَنْصَـارِي إلى نَصْرِ اللَّهِ، وقـال الشاعر(١):

وَلُـــوجٌ ذراعين في بــركــة إلـى جؤجـؤ رهــلِ المَـنْكِـبِ

المعنى الكاهل مع جؤجؤ رهل الْمنْكِبِ.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾.

وأكثر القراءة كونوا أنصـارَ اللَّهِ، وهو الاختيـار لقولهم نحن أَنْصَـارُ اللَّه، لأن الآيتين في جـواب كونـوا أنصاراً للَّه، نحن أَنْصَـارُ اللَّهِ، ويجوز أن يكـون «نحن أنصار اللَّه» جواباً لذلك.

وقرئت ﴿واللَّه مُتِمٌّ نُورَهُ﴾ ـ ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ وكلاهما جَيِّدٌ.

---

(١) يصف فرساً ـ يريد له ذراعان مستقيمان كأنهما لوحان ـ والجؤجؤ عـظام الصدر، والصـدر نفسه ـ والبركة هي ثغـرة نحر الفـرس، والرهـل. المنتفخ الممتـلئ باللحم، ولكنـه لا يكون متمـاسكا ـ والمراد هنا مع جؤجؤ وهومحل الشاهد والبيت في اللسان والتـاج (زفر) وفي التـاج ولوجـا بالجيم. وأكثر المفسرين يقدرون في الآية محذوفاً ـ أي متجها الى اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾.

مَعْنَى ﴿أَيَّدْنَا﴾ قوَّيْنا، واشتقاقه من الأَيْدِ، والأَيْدُ القُوَّةُ.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طيبةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

هذا جواب ﴿تؤمنون باللَّه وَرَسُولِه وتُجَاهِدُونَ﴾ لأن معناه معنى الأَمْرِ، المعنى آمنوا باللَّه ورسوله وجاهدوا في سبيل اللَّه بأموالكم وأنفسكم يغفر لكم ذنوبكم. أي إن فعلتم ذلك يغفر لكم.

والدليل على ذلك قراءة عَبْدُ اللَّه بن مسعودٍ: آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ، وقد غلِطَ بعض النحويين فقال: هذا جَوابُ «هل»، وهذا غلط بيِّن، ليس إذا دلهم النبي على ما ينفعهم غفر الله لهم، إنما يغفر اللَّه لهم إذا آمنوا وجاهدوا، فإنما هو جواب تُؤْمِنُونَ باللَّه ورَسُولِه وتجاهدون يغفر لكم. فأما جواب الاستفهام المجزوم فكقَولِكَ هل جئتني بشيء أعطكَ مثله. المعنى لو كنت جئتني أعطيتك، وَإِنْ جئتني أَعْطَيْتُكَ، وكذلك «أين بيتك أَزُرْكَ».

وقوله: ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

أي في جنات إقامة وخلودٍ، يقال عَدَنَ بالمكان إذَا أقام به.

وقوله: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

المعنى ولكم تجارة أخرى تحبونها وهي نصر من اللَّه وفتح قريب. وإن شئت كان رفعاً على البَدَلِ من أُخْرَى، المعنى يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ ولكُمْ نَصْرٌ من اللَّه وفتح قريب.

وقوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾.

«مصدقاً» منصوب على الحال. أي إني رسول اللَّه إليكم في حال

تصديقٍ لما تَقَدَّمَني من التوراة وفي حال تبشير برسول ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسمُه أَحَمدُ﴾.

قُرِئَتْ بفتح الياء ـ مِنْ بَعْدِيَ ـ. وبإسكان الياء، وحَذْفِها من اللفظ للالتقاء الساكنين، وأما في الكتاب فهي ثابتة. من بَعْدي اسمُه أحمد. والاختيار عند سيبويه والخليل تحريك هذه الياء بالفتح، فأما من قرأ يَغْفِر لَّكُمْ ـ بإدغام الراء في اللام ـ فغير جائز في القراءة عند الخليل وسيبويه، لأنه لا تدغَمُ الراء في اللام في قولهما. وقد رُوِيَتْ عن إمام عَظِيم الشأن في القِرَاءةِ، وهُوَ أبو عمرو بن العلاء، ولا أَحْسَبُه قرأ بها إلاَّ وقد سمعها عن العَرَب. زَعم سيبويه والخليل وجميع البصريين ـ مَا خَلاَ أبا عمرو ان اللاَّمَ تُدْغَمُ في الرَّاءِ، وأن الرَّاءَ لا تُدغَمُ في اللاَّم. وحجة الذين قالوا ان الراء لا تدغم في اللام أن الراء حرف مكرر قويٌّ فَإذَا أدغمت الراء في اللام ذهب التكرير منها، وَدَلِيلُهُمْ على أَن لَهَا فضلة عَلَى غَيْرِهَا في التمكن أَنَكَ لَا تُميلُ ما كان على مثال فاعل إذا كان في أَوله حَرْفٌ مِنْ حُرُوف الإطباقِ أَو المُسْتَعْلِيَةِ، وهي سبعة أَحْرُفٍ منها أَربعة مطبقة وهي الصَّادُ والضَّادُ والطَّاءُ والظاء، وثلاثة مستعلية وهي: الخَاءُ والغَيْنُ والقاف.

لا تقول: هذا صالح، بإمالة الصَّادِ، إلى الكسر ـ فإن كان في مَوْضع اللاَّم رَاءٌ جاز الكسر، تقول: هذا صَارِمٌ. ولا تقول: مَرَرْتُ بضَابِطٍ ـ بإمالة الضَّادِ ـ ولكن تقول: مَررت بضارِبٍ، فَتُسهِّلَ الراءَ المكسُورَةُ كَسْرَةَ الصاد والضَّادِ المطبقتين.

وهذا الباب انفرد به البَصْرِيُّونَ في النحو وليس للكوفيين ولا المدنيين فيه شيء، وهو باب الإمالةِ.

سورة الجُمعة
مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿الملكِ القُدُّوسِ﴾.

بضم القـاف القراءة، وقـد رُوِيَتْ القَـدُوس بفتـح القـاف، وهي قليلة، ومعنى القدوس المبارَكُ وقيل الطاهِرُ أيضاً.

وقوله:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾.

﴿الأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا يكتبون، الـذين هم على ما خُلِقَت عليـه الأُمَّةُ قبـل تعلم الكتاب، والكتَابُ لا يكون الا بتعَلُّمٍ. وقولهم في الذي لا يعرف الكلام ولا القراءة: هو يقرأ بالسَّليقيَّة، أَي لم يتعلم القرآن مُعْرَباً إنما يقرأ على ما سمع الكلام على سَلِيقَتِهِ.

والسَّلِيقَةُ والطبيعةُ والنحيبَةُ والسَّجيَّةُ والسَرجُوجَةُ، مَعْنَاهُ كله الطبيعةُ.

وقيـل أول ما بـدأ الكتاب في العـرب بَدَا مِنْ أَهْـل الطائِفِ، وذكـر أَهل الطائف أنهم تعلَّمُوا الكتـابة من أَهـل الحِيرَةِ، وذكـر أَهلُ الحيـرَةِ أَنهم تعلموا الكتابة من أَهل الأنبار.

وقوله عز وجل: ﴿وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

﴿آخرين﴾ في مَوْضِع جَرٍّ، المعنى هـو الـذي بعث في الاميين رسولاً مِنْهُمْ

وبَعَثَ في الـذين لم يلحقـوا بهم، أي في آخـرين منهم لَمَّـا يَـلْحَقـوا بِهِمْ، فالنبي عليه السلام مبعوث إلى من شاهده وإلى كل من كان بَعْدَهُمْ من العرب والعجم.

ويجوز أن يكون ﴿وآخرين﴾ في موضع نصب على معنى يعلمهم الكتاب والحكمة ويُعَلِّمُ آخرين منهم لما يلحقوا بِهِمْ.

وقوله :﴿مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التَّـورَاةَ ثمَّ لم يَحْمِلُوهَا كَمَثَـلِ الحِمَارِ يَحْمِـلُ أَسْفاراً﴾.

الأسفار الكُتُب الكبار، واحدها سِفْر، فأعلم اللَّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن اليَهـودَ مَثَلُهُمْ في تركهم استعمال التـوراة والايمان بـالنبي عليه السـلام الذي يجـدونه مكتوباً عندهم فيها كمثل الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً. ثم قال:

﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿بئس مثل القوم﴾ المثل الذي ضَرَبْنَاهُ لَهُمْ. وقرأ أبو عَمْرٍو كمثل الحِمَارِ ـ بكسر الألف ـ وهذه الإمالة أَعْنِي كسر الراء كثير في كَلَامِ العَرَبِ.

وقوله :﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

معناه أَنه لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظَالِماً.

وقوله:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾.

وذلك لأنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُه﴾ فقيل لهم: إنْ كِنتُمْ تزعمون فَتَمَنَّوا المَوْتَ.

أي فإن اللَّه سَيُمِيتُكُمْ. وَأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنهم لا يَتَمَنَّوْنَهُ، لأنهم قد عَلِمُوا أن النبي عليه السلام حَقٌّ وأَنهم إن تَمَنَّوهُ مَاتُوا، فلم يَتَمَنَّوْهُ.

فهذه من أدل آيات النبي ﷺ.

ثم أعلم عز وجل أنهم إنْ لم يَتَمنُّوا الموت وَلَمْ يَمُوتُوا فِي وَقْتِهِمْ أنهم يموتون لاَ مَحالةَ فقال:

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾.

ودخلت الفاء في خبر إن، ولا يجوز إنَّ زَيْداً فمنطَلِقٌ، لأن ﴿الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْه فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ فيه معنى الشرط والجزاء، ويجوز أَن يكونَ تَمَامُ الكَلَامِ: «قل إن الموت الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ» كَأَنَّه قيلَ: إنْ فَرَرْتُم من أَي موتٍ كانَ مِنْ قَتْلٍ أو غيره فإنه مُلَاقِيكُمْ، ويكون «فإِنَّهُ» استئنافٌ، بعد الخبر الأول.

وقوله:﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ للصلاة مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾.

وقرئت الجُمْعَة - بإسكان الميم - ويجوز في اللغة الجمَعَة - بفتحَ الميم - ولا ينبغي أن يقرأ بها إلاَّ أن تثبت بها روايةٌ عن إمام من القُرَّاء، . فمن قرأ الجُمْعَة فهو تخفيف الجُمُعَةِ، لثقَلِ الضَمَّتَيْنِ، ومن قال في غير القراءة الجُمَعَةِ، فمعناه التي تجمع النَّاسَ، كما تقول رجل لُعَنَة، أَيْ يُكْثِرُ لَعْنَ الناس، ورَجُلٌ ضُحَكَةٌ، يكثر الضَّحِكَ.

وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

معناه فاقصدوا إلى ذكر اللّه، وليس معناه العدو. وقرأ ابن مَسْعودٍ: «فَامْضُوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ» وقال: لو كانت فاسْعَوْا لَسَعَيْتُ حتى يسقط رِدَائي، وكذلك قرأ أُبَيٌّ بن كَعْبٍ: «فَامْضُوا»، وَقَدْ رويت عن عمر بن الخطاب. ولكن اتباع المصحف أولى، ولو كانت عند عمر «فامضوا» لا غير، لغيرها في المصحف.

والدليل على ان معنى السَّعْيِ التصرف في كل عمل قول اللّه عز

وجل :﴿وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى وأَن سَعْيـهُ سَوْفَ يُـرَى﴾ فلا اختـلاف في أَن معناه: وأن ليس للانسان إلا ما عمل.

وقوله عز وجل: ﴿وَذَرُوا البَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فالبيع من وقت الزوال في يوم الجُمَعَةِ إلى انقضاء الصلاةِ كالمحرَّمِ.

وقوله :﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا في الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.

هـذا معنـاه الإِبـاحـة، ليس معنـاه إذا انقضت الصـلاة وجب أن يَتْجـر الانْسـانُ كما قـال:﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْـطَادُوا﴾فليس على من حَلّ من إحـرام أن يصطادَ إنما هو مباح له، مثل ذلـك قولـه في الكلام: إذَا حَضَـرتني فلا تنـطق وَإذا غبت عني فتكلم بما شئت، إنّما معناه الإِباحة.

وقوله: ﴿فَتَمَنَّوُا الموتَ﴾ بضم الواو لسكونها وسكون اللام. وَاخْتِير الضَّمُّ مع الواو، لأن الواو ههنا أصل حركتها الرفع، لأنها تنوب عن اسماء مرفوعـة، وقد قرئت فتمنَّوِ الموت بكسر الواو لالتقاء الساكنين، إذا التقيا من كلمتين كسر الأول منهما كما تقول: قَلِ الحقَّ فتكسر اللام لسكون لام الحق.

وقوله:﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْهَا﴾.

ولم يقل إليهما، ويجوز من الكلام، وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا إليه انفضوا إليها، وانفضوا إليهما فحذف خبر أحدهما لأن الخبر الثاني يدل على الخبر المحذوف والمعنى إذا، رأوا تجارة انفضوا إليها أَوْ لهواً انفضوا إليه.

وروي أن النبي ﷺ كان في خطبتِهِ فجاءت إبل لدحية بن خليفة الكلبي وعليها زيت فانفضوا ينظرون إليها وتركوا النبي ﷺ يخطب، وبقي النبي عليـه السـلام مع اثني عشـر رجلاً، فقـال رسـول اللَّه ﷺ: لـو لحق آخـرُهُم أَوَّلَهُمْ لالتهب الوادي نَاراً. فـأَعلم اللَّه عز وجـل أَن ما عنـد اللَّه خيرٌ من اللهـو ومن

التجارة، وأَعلم النبي عليه السلام غليظ ما في التولي عن الإمام إذا كان يخطب يوم الجمعة.

واللَّهوُ هَهنا قِيلَ الطَّبْلُ، وهو ـ واللَّه أَعلم ـ كل ما يُلْهَى بِهِ.

﴿واللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

أَي ليس يفوتهم من أَرْزَاقِهم لتخلفهم عن النظر إلى الميرة شيءٌ مِنْ رِزْقٍ ولا بتركهم البيعَ في وقت الصلاة والخطبة.

سُورَةُ المُنَافِقِينَ[1]
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إذَا جَاءَكَ المُنَـافِقُونَ قَـالُوا نَشْـهَـدُ إنَّكَ لَـرَسُولُ اللَّهِ. واللَّهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُه. واللَّهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

أَكْـذَبَهُمْ فيمـا تَعتقـده قُلُوبُهُمْ، وفي أنهم يحلفـون بـالله إنهم لمنكم، ويحلفون باللَّه ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر.

وقوله : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانهُمْ جُنَّةً﴾.

أي سُتْرةً يستترون بها منه، ودليل ذلك أَنَّهُم حَلَفُوا على ما وصفنـا. وقد قرئت: ﴿اتَّخَذُوا إيمَانَهُم﴾ بكسر الهمزة - أي إظْهَارَهُم الإيمَانَ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وقوله : ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

وقـرئت فَطَبَـعَ على قُلُوبِهِم. ورويت فطبـع اللَّه على قُلُوبِهِم. والقـراءة المعروفة المجمع عليها ههنا فُطُبِعَ، على مالم يسم فاعله. ويجوز في العـربيَّةِ فـطبـعْ عَّلى قُلوبُهِمْ على إدغـام العين في العين لأنهمـا من مخـرج واحـد، ولاجتماع الحركات لأنه يجتمع سِتُّ حَرَكاتٍ، ومن ترك الإدغام فلأن الجرفين

---

(١) هكذا بالأصل ـ والأولى أن تكون «المنافقون» على الحكاية.

من كلمتين وان العين من الحلق وحروف الإدغام في حروف الفم أكثر منها في حروف الحلق نحومدَّ وشَدَّ وقَرَّوَرَدَّ وأكثر مِنْ بَابِ دَعَّهُ يُدعُّه.

وقوله عز وجل:﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِم﴾.

كَأنه وصفهم بتمام الصُّوَرِ وَحُسْنِ الإِبَانة، ثم أعلم أنهم في تركهم التَّفهُّمَ والاستبصار بمنزلة الخشب فقال:﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾.

ويقرأ خُشْبٌ مُسَنَّدة بإسْكانِ الشِّين. فمن قرأ بإسكان الشين فهو بمنزلة بَدَنةٍ وَبُدْنٍ، ومن قال خُشُب ـ بضم الشين ـ فهو بمنزلة ثَمَرَة وَثُمُر. ويجوز خَشَبٌ مَسَنَّدةٌ، فلا تقرأ بها إلا أن تثبت بها رواية، وخشبةٌ وخَشَبٌ مثل شجرة وشَجَر.

وقوله :﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

وصفهم اللَّه تَعَالى بِالجُبْنِ، ويكون أمر كل من خاطب النبي عليه السلام فإنَّمَا يخاطبه في أمرهم بكشف نِفَاقِهِمْ.

وقوله:﴿هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾.

أَي هم العدو الأدنى، فاحذرهم لأنهم كانوا أَعداء النبي ﷺ، ويظهرون أَنَّهم مَعَهُ.

وقوله ـ عز وجل ـ:﴿قَاتَلَهُم اللَّهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ﴾.

ومعنى ﴿أَنى يؤفكون﴾ من أين يصرفون عن الحق إلى الباطل..

قوله:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾.

قرأ أَبو عمرٍو يَسْتَغْفِر لَّكُمْ ـ بإدغام الراء في اللام ـ وهي عند سيبويه لا تجوز، وقد بينا ذلك في سورة الصف.

وقوله: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾.

على فَعَّلُوا، وَقُرِئَتْ ﴿لَوَوْا رُءُوسَهُمْ﴾ بالتخفيف. وهذه قيل إنها نزلت في عبد اللَّه بن أُبَيٍّ.

وقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا﴾.

هذه أيضاً نزلت في عبد اللَّه بن أُبَيّ. وذلك أنه قال لقوم ينفقون على بعض من مع رسول اللَّه: لا تنفقوا عليهم حتى ينفَضُّوا عنه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

أَي ان اللَّه يرزقهم وهو رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾.

يعنون أَيضاً عبد اللَّه بنَ أُبيّ. فأعلم اللَّه أَنه مظهر دينه على الدين كله ومعز رسوله ومن معه من المؤمنين فقال: ﴿ولِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وللمؤمنين﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

حَضَّهم[1] اللَّه على إدامة الذِكر له وأن لا يضنوا بأموالهم فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾.

أي من قبل أن يُعاين ما يعلم معه أَنَّه مَيتٌ.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

---

(١) أي حَضهم.

وقرئت ﴿فأصَّدقَ﴾ وَأُكونَ من الصالحين. فجاء في التفسير أنهُ ما قَصرَّ أُحدٌ في الزكاة أو في الحج الا سأل الكرَّة. فمن قال فاصَّدق وأكن من الصالحين، فاصَّدَّق جواب لولا أَخَّرتني، ومعناه هـلا أَخَّرْتَني، وجـزم «وَأَكُنْ» على موضـع فـأصَّدق، لأنـه على معنى إن أَخرتني أُصَّـدَّق وأكن من الصـالحين، ومن قـرأ وأكونَ فهو على لفظ فأصَّدَّق وَأَكونَ.

سورة التغابُن

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

مكية ما خلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي من آخرها قوله:
﴿يَا أَيُّها الـذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ...﴾ إلى آخرها، وقيل إن الصحيح أنها مدنية كلها.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾.

خلقكم في بطون أمهاتكم كفَّاراً ومؤمنين، وجاء في التفسير أن يحيى عليه السلام خلق في بطن أُمِّه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً، ودليل ما في التفسير قوله عز وجل: ﴿فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُورًاوَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾(1) فأَعلم اللَّه تعالى أنه مخلوق كذلك، وجائز أن يكون ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي مؤمن بأن اللَّه خلقه وكافرٌ بأن اللَّه خلقه. ودليل ذلك [قوله سبحانه]: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شيءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ [فَقَدَّرَهُ]﴾، وقال: ﴿أَكَفَرْتَ بالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾(2).

وقوله:﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

ويقرأ «صِوَرَكم» بكسر الصَّادِ، وصُورَةٌ يجمع صُوَراً مثل غُرْفَة وَغُرَف، ورُشْوَة ورُشًى، ويجمع أيضاً صِوَر مثل رِشْوة وَرِشًى وفُعَل وفِعَل أختان، قالوا

---

(1) سورة آل عمران / ٣٩.

(2) سورة الكهف / ٣٧.

حُلًى وحِلًى، ولِحىً وَلُحىً جمع لحية. ومعنى أَحْسَنَ صُورَكم خلقكم أحسن الحَيَوَانِ كُلِّه، والدليل على ذلك أن الانسان لا يُسَرُّ بأن يكون صورته على غير صورة الآدميين، فالانسان أحسن الحيوان، وقيل أيضاً فأحسن صوركم من أَرَادَ اللَّه أَن يكون أبيض كان أبيض، ومن أراد أن يكـون أَسودَ كـان أَسْوَدَ ومن أَراد أَن يكون دَمِيماً كان دَمِيماً أَو تاماً كان تامًّا. فأحسن ذلك ـ عز وجل ـ وأتى من كل صورةٍ بكل صنف على إرادته.

وقـوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّـذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْـلُ فَذَاقُـوا وَبَـالَ أَمْـرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي وذاقوا في الدنيـا عظيم السطوات ولهم في الآخرة عَـذَابٌ أليم، ثم أعلم اللَّه عـز وجل بِمَ نـزَلَ بِهِمْ ذَلِكَ فقال: ﴿ذَلِكَ بِـأَنَّهُ كَـانَتْ تَـأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَقَالُوا: أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنه نزل بهم العذاب في الدنيا وأنه ينزلُ بِهِمْ في الآخرة بكفرهم.

وقوله:﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ والنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾.

أي وبالقرآن الذي هو نُورٌ وكتاب مُبِينٌ.

وقوله:﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ مَنْصُوبٌ بقوله ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ بما عملتم يوم الجمع، ويوم التغابن يومَ يغبن أهلُ الجنة أهلَ النارِ، ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان في دُونِ مَنْزِلَتِه. وضرب ذلك مثلاً للشِّراءِ والبيعِ كما قال:﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَـارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم. تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾(١) وقال في موضع آخر: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾(٢). وذلك في الَّذِينَ اشْتَروا الضلالة بالهدى.

---

(١) سورة الصف /١٠ ـ ١١. (٢) سورة البقرة /١٦.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

معناه إلاَّ بِأَمر اللَّه، وقيل أَيضاً إلا بعلم اللَّه.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

وَيُسَلِّم في وقت المصيبة لأمر اللَّه يهد قلبه يجعله مهتدياً، وقُرِئت يَهْدَ قلبه، تَأويل هَدَأَ قَلْبُه يهدأ إذا سكن، ويكون على طرح الهمزة، ويكون في الرفع يَهْدَا قلبه - غير مهموز - وفي الجزم: مَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ قَلْبُهُ، بطرح الألف للجزم، ويكون التأويل إذا سَلَّمَ لأمر اللَّه سَكَنَ قَلْبُه.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

هذه رخصة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[1].

وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيراً لأَنْفُسِكُمْ﴾ أَي قدموا خَيراً لأنفسكم من أَموالكم.

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾، ويجوز ومن يُوَقَّ شُحَّ نَفْسِهِ، ولا أَعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأَنَّ بها إلاَّ أن تثبت رواية في قراءتها.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، معناه الظافرون بالفَوْزِ والخَيْرِ.

قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

جاء في التفسير أن النبي ﷺ لَمَّا أَمر بالهجرة مِنْ مَكَّةَ إلى المدينة أَرَادَ قَومٌ الهِجْرَةَ فقال لهم أَزْوَاجُهُم وأَوْلَادُهُمْ: قد صبرنا لكم على مفارقة الدين، ولا نصبر لكم على مفارقتكم ومفارقة الأموال والمساكن فأعلم اللَّه تعالى أن من كان بهذه الصورة فهو عَدُوٌّ، وإن كان وَلَداً أو كانت زوجة. ثم أمر عز وجل بالعَفْو والصَّفْح فقال:

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

---

(١) سورة آل عمران /١٠٢.

ثم أَعلم أن الأموال والأولاد مما يفتتن به فقال:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾.

أي ما أمكنكم الجهاد والهجرة مع النبي ﷺ فلَا يَفْتننكُمْ الميلُ إلى الأموال والأوْلَادِ عن ذلك.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ﴾.

فَاقترض عز وجل مما رزق وأعطى تفضلاً وامتحاناً.

﴿واللَّه شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

يَشْكُر لكم ما عملتم ويَحْلُمُ عنكم عند استِحقَاقِكُمُ العُقُوبَةَ على ذُنُوبِكُمْ.

﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

يعلم ما تُكِنُّه الصُّدورُ مما لا تعلمه الحفظة، ويعلم ما تسقط من وَرَقَةٍ وما قَطر مِنْ قَطْرِ المَطَر.

سُورَةُ الطَّلاَقِ
مَدَنِيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل:﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

هـذا خطاب للنبي عليـه السلام والمؤمنـون داخلون معه في الخـطاب، ومعنـاه إن أردتم الطلاق كمـا قال: ﴿إِذَا قُمْتُـمْ إلى الصَّـلاَةِ﴾ معنـاه إذا أَرَدْتُم القيام إِلَى الصَّلاة.

وقوله:﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ﴾.

فطلاق السنة المجْتَمَعُ عَلَيْه في قول مَالِكٍ أَن يطلق الرجل امْرَأته طَـاهِراً من غيـر جماعٍ تـطليقة واحـدة، ثم يتركهـا إذا أراد المقام على فـراقها ثَـلاَثَ حِيَضٍ، فـإذا طعنت في الحيضة الثـالثـة فـلا يملك رجعتهـا، ولكن إن شـاء وشاءت أن يجددا نكاحاً جَـدِيداً كـان ذلك لهمـا لأن معنى:﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْـدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾، أَي بعد الطلاق الواحد[1]. فإذا طلقها ثلاثاً في وقت واحد فلا معنى في قوله:﴿لَعَلَّ اللَّه يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾، وإنما تفسيره الرجعة، أعني إذا وقع الثلاث في وقت واحدٍ، وهذا قول مالك ـ رحمه اللَّه!، وقال أهل العراق إن طلقها طاهراً من غير جماع ثم أوقع عند كـل حيضة تـطليقة فهـو أيضاً عنـدهم طلاق السنة، وإن فعل ما قال مالك فهو عندهم سنَّةٌ أَيْضاً. وقال الشافعي إذا طلقها طَاهِراً من غير جماع فهو مطلق للسنة أيضاً طلق واحدة أَو ثلاثاً، وهذا يسقط معـه إذا كان ثلاثاً.

---

(١) في الأصل: الواحدة.

قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً﴾.

وقد جاء التشديد فيمن تعدى طلاق السنة، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾. يعني بحدود اللَّه حدود طلاق السنة وما ذَكَرَ مع الطلاق.

وقوله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

ويقرأ مُبَيَّنَة. فجعل للمطلقات السكنى، وقيل إن خروجهن من بُيُوتِهِنَّ فاحشة، وقيل الفاحشة المبينة الزنا. ودليل هذا القول قوله: ﴿واللَّاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾، يعني الزنا. وقيل أيضاً: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة زنا أو سَرقٌ أو شربُ خَمْرٌ، وقيل كل ما يجب فيه الحد فهو فاحشة.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

معناه يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، وقيل أيضاً من النار إلى الجنَّة وَيَرْزُقْه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ مَعْنَاهُ - وَٱللَّهُ أَعْلَمُ - أنه إذا اتَّقى اللَّهَ وآثَرَ الحلال والصبر على أهله إن كان ذَا ضَيْقَةٍ فتح اللَّ عليه ورزقه من حيث لا يحتسب، وجائز أن يكون إذا اتقى اللَّه في طلاقه، وآثر ما عند اللَّه وجرى في ذلك على السُّنَّةِ رزقه اللَّه أهلاً بَدَل أهله.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغُ أَمْرِه﴾.

وتقرأ ﴿بالغُ أَمْرِه﴾، أي إن اللَّه بالغ ما يُريدُ. وقرئت إنَّ اللَّهَ بَالِغٌ أَمْرُهُ، على رفع الأمر بِبَالِغ، أَي إنَّ اللَّه يبلغ أمره وينفذ.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾.

وقَدَراً، أي ميقاتاً وأَجَلاً.

وقوله: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

قيل في بعض التفسير إنهم سألوا فقالوا: قد عرفنا عدَّةَ التي تحيض، فما عـدَّةُ التي لا تحيض والتي لم تحض، فقيل إن ارتبتم، أي إذا ارتبتم فعدتهن ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ. والذي يذهب إليه مالك، واللغةُ تدل عليه أن معناه إن ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها فعدتها ثلاثة أشهُرٍ، وذلك بعد أن تترك تسعة أشْهُرٍ بمقدار الحمل، ثم تعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر، فإن حاضت في هذه الثلاثة الأشْهُرِ تمت ثلاث حِيَضٍ. وجائز أن يتأخر هذا الحيض فيكون كلما قاربت أن تخرج من الثلاثة حاضت، فهذا مذهب مالك وهو الذي يروى عن عمر رحمه الله.

وقال أهل العراق تترك ولو بلغت في ذلك أكثر من ثلاثين سنةً ولو بلغت إلى السبعين، يعنون حتَّى تبلغ مبلغ من لا يحيض، وقالوا: ولو شاء الله لابتلاها بأكثر من ذلك، وكذلك في قوله: ﴿واللَّائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ معناه عند مالك معناه إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، واليائسة عند مالك وغيره بإجماع التي قد يئست من المحيض فلا ارتياب في أمرها أنها لا تحيض تعتد ثلاثة أشهر، ولم يأتِ في القرآن النّصُّ عَلَى ذلك، ولكن في القرآن دليل عليه وأنا أبينه إن شاء اللّه.

فأما الصغيرة التي لا يُوطأ مثلها فإن دخل بها ووطئها مكانَهُ فإنما عقرها[1]، ولا عدَّةَ عند مالك عليها، إلا أن يكون مثلها يَسْتقيم أَن يُوطَأَ وإنما هي عنده في عداد من لم يُدخَلْ بها. والذي في القرآن يدل على ان اليائسة التي لا يُرتاب فيها يجب أن تعتد ثلاثة أشهر لقوله: ﴿واللائي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ واللَّائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ فمعناه واللائي لَا يَحِضْنَ فعدتهن ثلاثة أَشْهُرٍ، فقياس اللائي لا يحضن قياس اللائي لم يحضن[2]

(١) في الأصل إنما.

(٢) قياس اللاتي انقطع حيضها قياس من لم تصل سنّ الحيض.

فلم يحتج إلى ذكر ذكل. وإذا كان عدة المرتاب بها ثلاثة أشهر فالتي لا يرتاب بها أولى بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

معناه أجلهن في الانقطاع فيما بينهن وبين الأزواج أن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ.

وقوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُم﴾.

ويقرأ من وِجْدِكم، يقالُ وَجَدْتُ في المال وُجْداً، أَي صرت ذا مالٍ، وَوِجداً وَجِدَةً، وَوَجَدْتُ الضَّالَّةَ وِجْدَاناً وَوَجَدْتُ على فلانٍ وَجْداً، ووجَدْت عليه مَوْجِدَةً.

فأوجب اللّه تعالى السُّكْنَى حتى تنقضِيَ العِدَّةُ. والسكنى والنفقة على الزوج إذا طلق طلاق السنة إلى أن تأتي ثلاث حِيَضٍ، فإذا أَبَتَّ الطلاقَ قبل انقضاء العِدَّةِ فعليه النفقة والسكنى في قول أهل العراق، وعليه السكنى في مذهب مالك والشافعي، فأما الحاملِ فعليه النفقة لها، وذا في القرآن نصٌّ بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولاَتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

أي فأعطوهن أُجْرَةَ رِضَاعهن.

﴿وَأْتَمِرُوا بينكم بِمَعْرُوفٍ﴾.

قيل في التفسير إنه الكسوةُ والدِّثَارُ، والمعروف ـ واللّه أعلم ـ أن لا يقصِّرُ الرجلُ في نفقة المرضع التي ترضع ولَدَه إذا كانت هي والدتَه لأن الوالدَةَ أَرأف بولدها من غيرها به، فلا تقصُرُ في رضاعه والقيام بشأنه، فحق كل واحد منهما أن يأتمر في الولد بمعروف.

﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرضِعُ له أُخْرَى﴾.

معناه فليرضع الوالد غير والِدَةِ الصَّبِيِّ، وهذا خبر في مَعْنى الأمْرِ لأن لفظ. . . ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ لفظ الخبر ومعناه فليرضع، ومثله في لفظ الخبر ومعنى الأمر قوله: ﴿وَالْوَالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، معناه ولْيُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ.

قوله: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِهِ﴾.

أَمَرَ أهل التوسِعَةِ أن يُوَسِّعوا على نسائهم المرْضِعَاتِ أَوْلَادَهُنَّ على قدر سَعتِهِنَّ.

﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ﴾.

أي من كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك، كما قال: ﴿عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُه﴾.

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إلَّا مَا آتَاهَا﴾ أي إلا ما أعطاها.

وقوله عز وجل: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾.

أعلم اللَّه المؤمنين أنهم وَإن كانوا في حالٍ ضَيِّقَةٍ، وقيل كان الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت في عهد رسول اللَّه الفقرُ والفاقةُ فأعلمهم عز وجل أنه سَيُوسِرُ المسلمون ـ ففتح اللَّه عليهم بعد ذلك وجعل يُسراً بعد عُسْرٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾.

أي عجلنا لها العذاب، وَمَعناه: عتا أهلها فحاسبنا أهلها وَعَذَّبْنَاهُم.

وقوله: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾.

أَي ثِقْلَ عاقبةَ أمرها.

﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾ يعني في الآخرة وهو قوله:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾.

يعني بعد ذلك الذي نزل بِهِم في الدنيا.

ثم وعظ اللَّه هـذه الأُمَّـةَ في تصـديق النبي عليـه السـلام، واتبـاع أَمْـره وأعلم أنه قد بعث رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فقال:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ومعنى أولي الألباب أصحاب العقـول، وواحد أولي الألبـاب ذُو لُبٍّ أي ذو عَقْلٍ.

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً، رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾.

﴿رَسُولاً﴾ مَنْصُوبٌ على ثلاثَةِ أَوْجُهٍ، أَجْوَدُهَا أن يكون قَوله: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ دليلاً على إضمار أَرْسَلَ رَسُولاً يتلو عليكم، ويجوز أن يكـون يعني بقوله ﴿رسولاً﴾ النبي عليه السلام، ويكون ﴿رَسُولاً﴾، منصوباً بقوله ﴿ذِكراً﴾. يكون المعنى قد أنزل اللَّه اليكم ذِكراً رَسُولاً ذَا ذِكْرٍ رسولاً يتلو، ويكون رسولاً بَـدَلاً مِنْ ذِكرٍ، ويكون يعنى به جبريل عليه السلام. ويكون دليـل هذا القـول قولـه يعنى به جبريل عليه السلام: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾.

ومعنى: ﴿مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الكفـر إلى نور الإيمـان لأن أدلة الكِفر مظلِمَة غَير بَيِّنَةٍ، وأدلة الاسلام واضحة بينَةٌ.

قوله: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾.

أي رزقه اللَّه الجنة التي لا ينقطع نعيمها ولا يزول. ثم ذكر - جل وعز - ما يدل على توحيده فقال:

﴿اللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾.

ففي كل سماء وكل أرض خلق من خَلْقِه، وأمرٌ نافِذٌ مِن أَمْرِهِ.

وقوله عز وجلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً﴾.

﴿عِلْماً﴾ منصوب على المَصدر المؤكد، لأن معنى قوله: ﴿وأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾، أي قد علم كل شيء علماً، ومثله: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ثم قال: ﴿صُنْعَ اللَّه﴾ مُؤَكِدًا، لأن معنى قوله: صنع اللَّه صنع اللَّه الجبالَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ.

سُورَةُ التَّحْرِيم
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿يَاأَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أَي وقد غفر اللَّه لك ذلك التحريم. وجاء في التفسير أن النبي ﷺ، شرب عسلاً عند زينب بنت جحش فأجمعت عائشة وحفصة على أن يقولا له: إنَّا نَشَمُّ مِنك رِيحَ المغافير، والمغافير صمغ متغير الرائحة، وقيل في التفسير أنه بَقْلَةٌ، فلما صار إلى كل واحدة منهما قالت له: إني أَشَمُّ منك ريح المغافير فحرم النبيُ ـ عليه السلام ـ على نفسه شرب العسل، وقيل إنه حلف على ذلك.

وجاء في التفسير ـ وهو الأكثر ـ أن النبي ـ عليه السلام ـ خلا في يوم لعائشة مع جاريته أم إبراهيم، وكان يقال لها مارية القبطية فوقفت حفصة على ذلك، فقال لها رسول اللَّه ﷺ لا تُعْلِمِي عَائِشَةَ ذلك، فقالت له لَسْتُ أَفعل، وحَرَّمَ مَارِية على نفسه، وقيل إنه حلف مع ذلك أيضاً، فأعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها إيَّاه، فأطلع اللَّه نبيّه على ذلك فقال اللَّه عز وجل: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾. يعني حفصة.

موضع «إذ» نِصْبٌ، كأنه قال: واذكر إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً يعني حفصة،﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾، أي فلما خَبَّرت به عائشةَ.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.

وقُرِئَتْ عَرَفَ بعضَه بتخفيف الراء. وأعلم اللَّه أن التحريم على هذا التفسير لا يحرّم. فقال لنبيه عليه السلام: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾.

فلم يجعل اللَّه لنبيه أن يُحَرِّمَ الا ما حَرَّمَ اللَّه، فعلى هذين التفسيرين ليس لأحد أن يحرم ما أحل اللَّه، فقال اللَّه: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.

يعني الكفارة، لأنه قد روي أنه مع ذلك التحريم حَلَفَ، وقال قومٌ إن الكفارةَ كفارةُ التحريم.

فَأَمَّا ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾. فتأويله أنه عرف بعضه حفصة، ﴿وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ جاء في التفسير أنه لما حرم مارية أخبر حفصة أنه يملك من بعده أبو بكر وعمر، فعرفها بعض ما أفشت من الخبر، وأعرض عن بعض، فإن النبي ﷺ قد عرف كل ما كان أَسَرّه، والإعراض لا يكون إلَّا عما يعرف.

وتأويل هذا في اللغة حَسَنٌ بَيّنٌ، معنى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ جازى عليه، كما تقول لمن تتوعَّدُهُ: قَدْ عَلِمْتُ مَا عَمِلْتَ وَقَد عَرَفْتُ ما صَنَعْتَ، وتأويله فسأجازيك عليه، لا أنك تقصد إلى أنك قد علمت فقط، ومثله قول اللَّه عز وجل: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾، فتأويله يعلمه اللَّه ويجازي عليه، فإن اللَّه يعلم كل ما يُفعَل، ومثله قوله [تعالى]: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[1] واللَّه يعلم ما في قلوب الخلق أجمعين، ومثله قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾، ليس الفائدة أنه يرى ما عمل، إنما يرى جزاء مَا عَمِلَ، فقيل إن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة واحدةً فكان ذلك جزاءها عنده.

---

(١) سورة النساء /٦٣.

فذلك تأويل ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾.

أي جازى على بعض الحديث.

وكانت [حفصة] صَوَّامةً قَوَّامَةً فأمره اللَّه تعالى أن يراجعها فراجعها.

وقوله: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

يعني به عائشة وحفصة، ومعنى صَغَتْ قُلُوبُكُمَا. عدلت قلوبكما وزاغت عن الحقِّ.

وقوله:﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾.

أي تتعاونا عليه، فإن اللَّه هو مولاه أي هو يتولى نصرته، .

﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُو الْمُؤْمِنِينَ﴾.

جاء في التفسير أن صالحي المؤمنين أبو بكر وعمر، وجاء أَيضاً في التفسير أن صالحي المؤمنين عمر، وقيل إن صالحي المؤمنين خيار المسلمين، و «صالح» ههنا ينوب عن الجمع كما تقول: يَفْعَلُ هَذَا الخَيِرُ من الناس تريد كل خَيِّر.

﴿وَالمَلاَئِكَةُ بعد ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

في معنى ظُهَرَاءُ، أي والملائكة أيضاً نُصَّارٌ له النبي ﷺ.

قوله عز وجل:﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ مسلماتٍ﴾ وقرئت يبدله، بتشديد الدال وفتح الباء، ويُبَدِّله للتَّكْثِيرِ، وَكِلاَهُمَا جَيِّدٌ وقد قرئَ بـه.

وقوله: ﴿قَانِتَاتٍ﴾.

جاء في التفسير مطيعاتٍ، والقُنُوتُ القِيامُ بما يقرب إلى اللَّه ـ عز وجل ـ.

وقوله تعالى: ﴿سَـائِحَـاتٍ﴾.

جاء في التفسير عن النبي ﷺ أن السائحين هم الصائمونَ، وهو مما في الكتب الأولى، وقال أهل اللغة: إنما قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح متعَبِّدٌ ولا زاد مَعَه، فحين يجد الزاد يطعَمُ، والصائم كذلك يَمْضِي النهار ولا يَـطعَـمُ شيئاً فلشبهه به سُمِّيَ سَائِحاً.

وقوله: ﴿قُـوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.

معنـاه خذوا أنفسكم وأهليكم بمـا يَقَـرِّبُ من اللَّه - جـل وعـز - وجنبـوا أنفسكم وَأَهْليكم المعـاصي. ومعنى ﴿قوا أنفسكم﴾ أي وقُّوا أنفسكم، وجاء في التفسيـر: رَحم اللَّه رَجُلاً قـال: يا أهـلاه صَلاَتَكُمْ صيـامكم مِسْكينكم يتيمكم جيرانكم.

معناه الزموا واحفظوا صلاتكم وهذه الاشيـاء المذكـورة، ادُّوا فرض اللَّه فيها. وفي الحديث لعل اللَّه يجمعهم معه في الجنَّة.

وقوله عز وجل: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾.

جاء في التفسير أنها حجارة الكبريت. والوَقُود بفتح الواو ما تُوقَدُ به النَّارُ من حَطبٍ وغَيْرِهِ، يقال وقدت النار وُقُوداً - بضم الواو -.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهـا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾.

بفتح النون، وتقرأ نُصُوحاً - بضم النُّون - فمن فتـح فعلى صفة التـوبة. ومعناه توبة بالغة في النصح، وفَعُول من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصـف، تقول رجل صبورٌ وَشَكُورٌ، وتوبة نَصُوحٌ. وَمَنْ قَرَأَ نُصُوحٌ - بضم النُّونِ - فمعناه يَنصَحُونَ بهذا نُصُوحاً.

يقال: نصحت له نُصْحاً ونصاحَةً ونصوحاً.

وجاء في التفسير أن التوبة النَّصُوحُ التي لا يعاود التائب مَعَها المعْصِيةَ، وقال بعضهم التي لا ينوي معها معاودة المعصية.

وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بقوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾.

أي في هذا اليوم.

والقراءة النصب في قوله: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ عطف على ﴿أَنْ يُكَفِّرَ﴾ ولو قرئت بالجزم لكانَ وَجْهاً، يكون محمولا على موضع ﴿عسى رَبُّكم أَنْ يُكَفِّرَ عنكم سَيِّئَاتِكُمْ﴾ لأن عسى من اللَّه واجبة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَإِنِّي لغفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[١].

وقوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لنا نُورَنَا﴾.

أي إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يُطْفَأ سألوا اللَّه أَنْ يُتَمِّمَ لهم نورهم.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً للَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيئاً﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أن الأنبياء لا يُغْنون عمن عمل بالمعاصي شيئاً.

وجاء في التفسير أن خيانتهما لم تكن في بغاء، لأن الأنبياءَ لا يبتليهم اللَّه في نِسائِهم بفسادٍ، وقيل إن خيانة امرأة لوط أنها كانت تدل على الضيف، وخيانة امرأة نوح أنها كانت تقول: إنه مجنون ﷺ وعلى أَنبيائه أجمعين. فأما من زعم غير ذلك فمخطىء لأن بعض من تأول قوله: ﴿يَا نُوحُ إِنَّه لَيْسَ مِنْ

---

(١) سورة طه /٨٢.

أَهْلِكَ، إنَّـه عَمَلٌ غير صَالِح﴾(١) ذهب إلى جنس من الفسَادِ. والقـراءة في هـذا «عَمِلَ غير صالح، وَعَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ»، .وهما يرجعان إلى معنى وَاحِدٍ، وذلك أَنَّ تأويل أنه عَمَلٌ غير صالح أَنَّهُ ذو عمـل غيرِ صـالح. وكـل من كفر فقـد انقطع نسبه من أَهله المؤمنين، لا يرثهم ولا يرثونه.

وقوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً للَذِينَ آمَنُوا امْرَأَة فِرْعَوْنَ إذْ قَـالَتْ رَبِّ ابْنِ لي عندك بيتاً في الجَنَّةِ وَنَجِّني من فِرْعَوْنَ وعَملِه﴾.

جاء في التفسير أن فرعون وَتَد لها أَرْبَعَةَ أَوْتادٍ وشـد بدنها ورجليهـا وجعل على صدرها رَحًى، وجعلها في الشمس، وأن اللَّه فرج لها فرأت بيتها في الجنة.

وجاء في التفسير أن الملائكة كانت تظلها بأجنحتها من الشمس.

وقـوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْـرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهـا فنفخنا فيـه من رُوحِنَـا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ﴾.

وقرئت «وكتابه».

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، جاء في التَّفسير أنه يعنى به فرج ثوبها، والعرب تقـول للعفيـف: هو نِقيُّ الثَّوْبِ، وهـو طيب الحُجْزةِ، تـريد أَنَّـهُ عفيف وأَنشدوا بيت النابغة الذبياني(٢):

رقـاق الـنعـال طيب حُـجـزاتُهـم يُحَيّـونَ بـالـرَّيْحـانِ يَـوْمَ السَّبـاسِب

فسروا طيب حجزاتهم أنهم أَعِفَّـاء. وكذلك﴿فنفخنا فيـه من روحنا﴾، أي في فرج ثوبها.

---

(١) سورة هود/ ٤٦.

(٢) من قصيدته التي أولها:

كـلـيـني لهـم يـا أميـمـة نـاصـب ولـيـل أقـاسيـه بـطيء الـكـواكب

وهي في الديوان ـ وكثير من كتب الأدب.

سُورَةُ المُلْكِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

جـاء في التفسير أَنهـا تسمى المنجية، تنجي قـارئها من عـذاب القبـر، وجـاء في التفسير أن في التـوراة: سورةُ الملك من قـرأهـا في لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾: معناه تعالى وتعاظم.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

المتعلق بأيكم المضْمَرُ، والمعنى لِيَبْلُوَكُم فيعلم أيكم أحسن عَمـلاً علم مـا وقع، واللَّه عـز وجل قـد علم ما يكـون منهم إلَّا أَنَّ الجَـزَاء يجب بـوقـوع العَمَلِ منهم، وارتفعت «أي» بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قَبلَها لأنها على أصل الاستفهام، وهذا مثـل قولـه: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَـا لَبِثُوا أَمَـداً﴾[1] وهذا عند النحويين في تَقْدِيـر التَّسْمِيَةِ، معنـاه معنى الألف وأم، إذا قلت: قد علمت أَيُّهم أَفْضَـلُ، فـالمعنى قـد علمت أزيـدٌ أفضـلُ أَمْ عمـرٌو. فَعَلِمْت لا يعمل فيما بعد الألف، وكذلك لا يعمل في أي، والمعنى واحدٌ. ومعنى ﴿خَلَقَ الموتَ والحيـاةَ﴾ خلق لكم الحيـاة ليختبـركم فيهـا وخلق المـوت ليبعثكم ويجازيكم بأعمالكم.

وجاء في تفسير الكلبي خلق الموت في صورة كبش أملح[2] لا يمـر بشيء

---

(١) سورة الكهف /١٢.

(١) الملحة من الألوان بياض تشوبه شعرات سود. وكبش املح بين الملحة.

إلا مات، ولا يطأ على شيء إلاّ مَاتَ، ولا يجد رائحته شيء إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء إلا أَحْيَتْهُ ولا تطأ على شيء إلاّ أحيته ولا يجد ريحها شيء إلا حيي، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾.

ويقرأ في خلق الرحمن من تفوُّتٍ بغير ألف، ويجوز في تفَاوُتٍ تَفَاؤتٍ مهموز، تبدل الهمزة من الواو المضمومة، ويقال: تفاوت الشيء تفاوتاً وتفوَّت تفوُّتاً إذا اختلف، فالمعنى ما ترى في خلقه السماء اختلافاً ولا اضطراباً.

ومعنى طباقاً مطبق بعضها عَلَى بَعْضٍ، طباق مصدر طوبقت طباقاً.

وقوله: ﴿فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾.

أي هل ترى فيها فروجا أو صَدُوعاً.

﴿ثم ارْجِعِ البَصَر كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

﴿خاسئاً﴾ منصوبٌ على الحال، ومعناه صَاغِراً، وهو حَسِيرٌ، قد أَعْيَى من قبل أَنْ يَرَى في السَّمَاءِ خَلَلاً.

وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾.

بالنصب والرفع، والنصب يكون عطفاً على قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهم عَذَابَ السَّعِير﴾ ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم﴾، أي وأَعتدنا للذين كفروا بِرَبِّهِمْ عَذَابَ جهنم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾.

معناه التي تدنو منكم من سبع السموات.

وقوله: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ يعني الكواكب.

وقوله عز وجل: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً﴾. وهو أقبح الأصوات وهو كصوت الحمار.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، معناه تكاد ينقطع مِنْ غيظها عليهم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قالوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نذيرٌ﴾.

هذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب. ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

أي لو كنا سَمِعْنَا سَمْعَ مَن يَعِي ويُفَكِّرُ مَا كنا في أصحاب السعير، أَو يَعْقِل عَقْل من يُمَيِّزُ وينظُر ما كنا في هل النَّار.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً﴾.

ويروى فَسُحُقاً بضم الحاء.

﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، «سُحقاً» منصوب على المصدَر، المعنى أَسْحَقَهُم اللَّهُ سُحقاً، أَي بَاعَدَهُم اللَّه من رحمته مُبَاعَدَةً، والسحيق البعيد.

وقوله: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾.

معناه في جبالها، وقيل في جوانبها، وقيل في طرقها. وأشبهُ التفسير - واللَّه أعلم - تفسير من قال في جبالها، لأن قوله: ﴿هو الذي جَعَل لَكم الأَرْضَ ذَلُولاً﴾، معناه سهل لكم السُّلُوكَ فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أَبْلَغُ في التَّذْلِيل.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

معناه إن اللَّه الذي خلق السموات بغير عَمَدٍ لا تفاوت فيها وخلق الأَرْضَ وذللها لكم قادر على أن يَنْشُرَكم، أي يبعثكم.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: معنى تمور تَدُورُ.

وقوله: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾، أي كما أرسل على قوم لُوطٍ الحجَارَة التي حَصَبَتْهُمْ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾.

بين لهم بخلق السموات والأرْضِينَ مَا دَلَّهم على توحيده، وَبَيَّن لهم بتسخير الطَّيْرِ في جو السماء صَافَّاتٍ أَجْنِحَتهُنَّ وقابضاتها، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمن﴾ بِقُدْرَتِهِ.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أعلم اللَّه - عز وجل - أن المؤمن سالك الطريقة المستقيمة، وأن الكافر في ضلالته بمنزلة الذي يمشي مكباً على وجهه، وجاء في التفسير أن الكافر يمشي على وجهه في الآخرة. وَسُئِلَ رسول اللَّه ﷺ: كيف يمشون على وُجُوهِهِم فقال: الذي مشاهم على أرجلهم قَادِرٌ على أن يُمْشِيَهُمْ على وُجُوهِهِمْ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وقرئت «سُيْئَتْ» بإِشْمَامِ السِينِ الضَّمَّ، ويجوز «سِيتْ» على طرح الهمزة، وإلقاء الحركة على الياء.

والمعنى فلما رأوا العذاب زلفةً، أَيْ قريباً، سِيَـتْ وجوه الـذين كفروا. تَبين فيها السوء.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾.

وقُرِئَتْ ﴿تَدْعُونَ﴾، من دعوت أَدْعو، فَأَمَّا تَـدَّعُـونَ، فجاء في التفسير تُكَذِّبُونَ، وتأويله في اللغة هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعُون الأباطيل والأكاذيب، أي تدعون أنكم إذَا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أَنَّكُمْ لا تُخْرَجُونَ. ومن قَرَأَ تَدْعُونَ. بالتخفيف ـ فالمعنى هذا الذي كنتم به تستعجلون وتدعون اللّه في قولكم: ﴿اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١).

ويجوز أن يكون معنى تَدَّعُونَ هذا أَيضاً تَفْتَعِلُونَ، من الدعاء. وتفتعلون من الدِعوى، يجوز ذلك ـ واللّه أعلم.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾.

أي غائِراً، وهو مصدرٌ يوصف به الاسم، فتقول: ماء غَوْرٌ، وماءَان غَوْرٌ ومياه غَوْرٌ. كما تقول: هذا عَدْلٌ وهذَان عَدْلٌ وهؤلاء عَدْلٌ.

ومعنى مَعِين جارٍ من العُيونِ. وجاء في التفسير طاهر، والمعنى أَنَّهُ يظهر من العُيُونِ.

---

(١) سورة الأنفال: /٣٢.

سورة القلم
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿نُونْ والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

قرئت بإدغام النون في الواو، وقرئت بتبيين النون عند الواو، وقرئت نُونَ والقلم - بفتح النون. وَالَّذِي اختارَ إِدْغام النون في الواو كانت الـواو ساكنـةً أَوْ متحركة. لأن الذي جاء في التفسير يُبَاعِدُهَا من الإسكان والتبْيين، لأن من أسكنها وبينها فإنما يجعلها حرفَ هجاء والذي يدَّغِمُهَا فجائز أن يَدَّغمها وهي مفتوحة.

وجاء في التفسير أن «نُـونْ» الحوتُ الـتي دُحِيت عَلَيْهَا سَبْعُ الأرضين(١) وجاء في التفسير أيضاً أن النون الـدواة، ولم يجىء في التفسير كما فسـرت حروف الهجاء، والإِسْكانِ لا يَجُوز أن يكون فيه إلّا حرف هجاء.

وجاء في التفسير أن أول ما خلق اللّه القلم، فقال لـه: اكتب، فقال: أيْ ربِّ، وما أكتب؟ قال: القدر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وجرى فيما جرى به القلم: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

معناه: وما تكتب الملائكة.

وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

---

(١) كذا استعمل الحوت مؤنثاً.

هذه مسألة من أبواب النحو، تحتاج إلى تبيين.

قوله: ﴿أنت﴾ هو اسم ﴿ما﴾، و ﴿بمجنون﴾ الخبر، و ﴿بنعمة ربك﴾ موصول بمعنى النفي.

المعنى: انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، كما تقول: أنت بنعمة اللَّه فَهِمٌ، وما أنت بنعمة اللَّه جاهل. وتأويله: فارقك الجهل بنعمة اللَّه، وهذا جواب لقولهم: ﴿وَقَالُوا يا أَيُّها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾(١).

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

أي: غير مَقطوع، وجاء في التفسير: غير محسوب.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

قيل: على «الإسلام»، وقيل: على القرآن. والمعنى - واللَّه أعلم - أَنت على الخلق الذي أَمرك اللَّه به في القرآن.

قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾.

معنى المفتون: الذي قد فُتِنَ بالجنون. قال أبو عبيدة، معنى الباء الطرح، المعنى: أيكم المفتون. قال: ومثله قول الشاعر:

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج(٢)

---

(١) سورة الحجر الآية ٦.

(٢) لرجل من بني جعدة. أورده المغني شاهداً على زيادة الباء وهو في شواهد المغني ١١٤، ولم يذكر شيء قبله ولا بعده، وفي الخزانة ١٥٩/٤، وفي مجاز أبي عبيدة جـ٢ ص ٥ عند الآية ﴿وهُزِّي اليكِ بِجِزْعِ النَّخْلَةِ﴾(من سورة مريم)، وفي سورة «نون» وقبله:
نحن بنو جعدة أصحاب الفَلَج.
يقال فلج بحجته وفي حجته - يفلج - كينصر - فلجاً وفلجاً - بضم الفاء وفتحها وفَلَجا - كبطر - فاز وأصحاب الفلج أصحاب الفوز.

قال معناه: نرجو الفرج. وليس كذلك. المعنى: نرجو كشف ما فيه نحن بالفرج، أو نرجو النصر بالفرج. والباء في بأيكم المفتون لا يجوز أن تكون لغواً، وليس هذا جائزاً في العربية في قول أحد من أهلها.

وفيه قولان للنحويين. قالوا: المفتون ههنا بمعنى الفتون، المصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس لهذا معقول. أي عقل. وليس له معقود رأي، بمعنى عقد رأي. وتقول: دعه إلى ميسور. بمعنى: إلى يسر. فالمعنى: فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون. وفيه قول آخر: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أو فرقة الكفار التي فيها أبو جهل والوليد بن المغيرة المخزومي ومن أشبههم. فالمعنى على هذا: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون. أفي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفر.

وقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

أي: ودّوا لو تصانعهم في الدين فيصانعونك.

وقوله: ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهين﴾.

فعيل من المهانة، وهي القلة. ومَعناه ههنا القلة في الرأي والتمييز.

وقوله: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاء بنَمِيمٍ﴾. الهماز الذي يغتاب الناس.

وقوله: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْر مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

معناه: كان يمنع أهله وَوَلده ولحمته من الإسلام. وجاء في التفسير أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان موسراً كثير المال، وكان له عشرة بنين فكان يقول لهم وللحمته: من أسلم منكم منعته رفدي.

وقوله: ﴿مُعْتَدٍ أَثيم﴾.

أي متجاوز في الظلم، وأثيم: أي أثيم بربه، أي أثيم باعتدائه وذنبه.

قوله عز وجل: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾.

جاء في التفسير أن العُتُلَّ ههنا الشديد الخصومة، وجاء في التفسير أنه الجافي الخلق اللئيم الضريبة، وهو في اللُّغَةِ الغليظ الجافي.

والزنيم جاء في اللغة أنه الملزق في القوم وليس منهم، قال حسَّانُ بن ثابت الأنصاري(1).

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفردُ

وقيل إن الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها، والزنمتان المعلقتان عند حلوق المِعْزَى.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

وقرئت على لفظ الاستفهام، والمعنى معنى التوبيخ، وَمَوْضِعُ «أَنْ» نَصبٌ على وجهين، على معنى أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يَقُولُ، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾، فيكون «أن» نصْباً بمعنى قال ذلك لأن كان ذا مال وبنين، أي جعل مجازاة النَعَمِةِ التي خَوِّلَهَا في المال والبنين والكفر بآياتنا. وَإِذَا جَاءَتْ أَلِفُ الاسْتِفْهام فهذا هو القول لا يصلح غيره.

وقيل في التفسير: ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين أي لاَ تُطعْهُ لِيَسَارِه وعَدَدِه، وأساطيرُ مرفوعة بإضمار هي، المعنى إذا تتلى عليه آياتنا قال هي أساطير الأولين. وواحد الأساطير أسطورة.

وقوله عز وجل: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾.

---

(1) هجاء قاله للوليد بن المغيرة بن شعبة، وكان الوليد دَعِيًّا في قريش، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من عمره، وقيل بغت أمه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية. والبيت في الكشاف في هذه الآية ص ٢٥ جـ ٢٤ واللسان (زنم) والقرطبي ١٨/ ٢٣٤، والطبري ٢٩/ ١٥.
ونيط: علق ـ والقدح الفرد، قعب الماء يعلق في آخر الرحل ـ أي كما يكون قدح الماء وحده منعزلاً عن بقية المتاع.

معناه سنسمه على أنفه، والخرطوم الأنف، ومعنى سنسمه سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وُجُوهِهِمْ. وجائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يفرده بِسمَةٍ لمبالغته في عداوة النبي عليه السلام. فيخصّ من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته لرسول اللَّه ﷺ عداوةً يُتَبَيَّنُ بها من غيره.

وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحين﴾.

والجنة البستان، وهؤلاء قوم بناحية اليمن كان لهم أب يتصدق من جنته على المساكين، فجاء في التفسير أنه كان يأخذ منها قوت سنته، ويتصدق بالباقي، وجاء أيضاً أنه كان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل، وما كان في أسفل الأكداس، وما أخطأه القطاف من العنب وما خرج عن البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صُرِمَتْ، فكان يجتمع من ذلك شيء كثير، فقال بنوه: نحن جماعة، وإن فعلنا بالمساكين ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا لَيَصْرِمُنَّها بِسُدْفة من الليل، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾.

فحلفوا ولم يقولوا: إن شاء اللَّه، فلما كان الوقت الذي اتَّعَدُوا فِيه بسدفة. غدوا إلى جنتهم ليصرموها.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾.

من قولهم: حاردت السنة إذا منعت خيرها. وقيل على غَضبٍ. فأما الحرد الذي هو القصد فأنشدوا فيه: (١)

أقبل سيل جاء من أمر اللَّه   يَحْرِدَ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّةِ

---

(١) انظر اللسان (حرد) والكشاف ٤/١٢٩، ومعاني الفراء ٣/١٧٦ بتغيير طفيف ـ والكامل للمبرد ١/٢٩٠ وروايته به قد جاء سيل جاء.

أي يقصد قَصْدَ الجنّةِ المغلّةِ.

﴿فَلَمّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

أي أرسل عليها عذاباً من السماء فاحترقت كُلُّها.

﴿فَأَصْبَحَتْ كالصَّريم﴾.

أي فأصبحت كالليل سواداً.

﴿فتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ، أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾.

أي إن كنتم عازمين على صرام النخل.

﴿فانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾.

أي يسرون الكلام بينهم بأن: ﴿لَا يَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾.

والتخافتُ إسرار الكلام.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ مُحْتَرِقَةً.

﴿قَالُوا: إِنَّا لَضَالُّونَ﴾، أي قد ضللنا طريق جَنَّتِنَا، أي ليست هذه، ثم عَلِمُوا أَنَّهَا عُقُوبَةٌ فقالوا:

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

أي حُرِمْنَا ثَمَرَ جنتنا بمنعنا المساكين.

﴿قَال أَوْسَطُهُم: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿أوسطهم﴾ اعدلهم من قوله: وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطاً أي عَدْلاً ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال لهم: استثنوا في يمينكم، لأنهم أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مصبحين ولم

يستثنوا. ومعنى التسبيح ههنا الاستثناء، وهو أَنْ يَقول: إن شاء اللّه.

فإن قال قائل التسبيح أن يقول: سبحان اللّه، فالجَوابُ فِي ذلكَ ان كل ما عظمت اللّه به فهو تسبيح، لأن التسبيح في اللغة فيما جاء عن النبي عليه السلام تنزيه اللّه عن السوء. فالاستثناء تعظيم اللّه والإقرار بأنه لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَفعل فِعْلاً الا بمشيئتِهِ - عز وجلّ.

فالمعنى في قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُم كَمَا بلونا أصحاب الجنة﴾، إنا بلونا أهل مكة حين دعا عليهم رسول اللّه ﷺ فقال: اللهم اشدد وطأتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فابتلاهم اللّه بالجرب والهلاك وذَهَابِ الأقواتِ كما بلى أصحاب هذه الجنة باحتراقِها وذهاب قوتهم منها.

وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

هذه الألف ألف الاستفهام، ومجازها ههنا التوبيخ والتقرير. وجاء في التفسير أنَّ بعض كفار قُرَيْشٍ قال: إن كان ما يذكرون أن لهم في الآخرة حَقًّا، فإن لنا في الآخرة أكبر منه كما أنا في الدنيا أفضل منهم. فوبخهم اللّه فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كالمُجْرِمِين﴾.

وكذلك: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

معناه على أي أحوال الكفر تخرجون حُكمَكُمْ.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ، إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

أي أعندكم كتاب من اللّه عز وجل أن لكم لما تخيرونَ.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾، معناه مؤكدة ﴿إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

أي حَلِفٌ على ما تَدَّعُونَ في حكمكم.

قوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾.

والزعيمِ الكفيل والضَامِنِ، والمعنى سلهم أَيُّهُمْ كَفَلَ بِذَلِكَ.

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ. يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ.

أي فليأتوا بشركائهم يوم القِيَامةِ.

ومعنى ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ في اللغة يُكشَفُ عن الأمر الشديد، قال الشاعر:

قد شمرت عن ساقها فشُدُّوا وجدت الحرب بكم فَجِدُّوا

والقوس فيها وتر عُرُدُّ[1].

وجاء في التفسير عن أحمد بن عبد اللَّه بن أحمد بن حَنْبَل قال ثنا أبي، قال ثنا محمد بن جَعْفَرٍ يعني غندر[2]، عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال، قال ابن عباس في قوله: يكشف عن سَاقٍ عن الأمر الشديد. وقال ابنُ مَسْعُودٍ: يكشف الرحمن عن ساقه، فأَما المؤمنون فيخرون له سُجَّداً وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً كأن فيها السفافيد[3].

فهذا ما روينا في التفسير وما قاله أهل اللغة.

قال أبو إسحاق: هذا تأويل قوله ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾. يعنى به المنافقُونَ.

---

(١) انظر الكامل ١/٢٢٤. حيث ورد هذا الرجز في خطبة الحجاج أول ما قدم اميراً على العراق. والشطر الثالث في اللسان (عرد). والعرد الشديد.

(٢) كذا في الأصل ولم أقف لهذا الاسم على ضبط، ولم أعرف له ترجمة.

(٣) منحنية، والسفافيد جمع سفود، وهو الحديدة يوضع فيها اللحم ليشوى على النار.

وقوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: معناه تَغشاهم ذِلَّةٌ.

﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾، يعنى به في الدنيا.

وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ﴾.

ومثله: ﴿ذَرْنِي ومن خَلَقْتُ وَحِيداً﴾، معناه لا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِـهِ، كِلْهُ إليَّ فإنِّي أُجَازيه، ومثله قول الرجل: ذرني وإيـاه. وليس أنه مَنَعـه بِهِ ولكن تـأويله كِلْهُ إليَّ فإنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَه.

وقوله: ﴿فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ﴾.

يعني: يونس عليه السلام.

﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: أَي مملوء غَمّاً وكرباً.

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بالعَراءِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

والمعنى أنه قد نبذ بالعراء وهو غير مذمـوم، ويدل على ذلـك أن النّعمة قد شَمِلَتْه.

قوله: ﴿فاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾.

هذا تخليصٌ له من الذَّمِّ، والعراء المكان الخالي قال الشاعر:

رفعتُ رجـلا لا أخـاف عثـارهـا ... ونبـذت بـالبلد العـراء ثيـابي[1]

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾.

وقـرئت ليزهقـونك ـ بـالهاء ـ ولكن هـذه تخالف المصحف أعني الهـاء والقراءة على ما وافق المصحف.

وهـذه الآية تحتـاج إلى فصل إبـانةٍ في اللغـة فأمـا ما رُوِيَ في التفسيـر

(١) تقدم.

(٢) أن يعاينه ليحسده، وتصيبه عينه بشر.

فروي ان الرجل من العرب كان إذا أراد أن يعتان شيئا. أي يصيبه بالعين تجوع ثلاثة أيام، ثم يقول للذي يريد أن يعتانه: لَا أَرَى كاليوم إبلاً أَو شاءً أو ما أراد. المعنى لَمْ أَرَ كإبلٍ أَراها اليوم إبلاً فكان يصيبها بالعين بهذا القول، فقالوا للنبي ﷺ لما سمعوا منه الذكر كما كانوا يقولون لما يريدون أَنْ يُصِيبُوه بالعين.

فأما مذهب أهل اللغة فالتأويل عندهم أنه من شدة إبْغَاضِهِمْ لك وعدوانهم يكادون بِنَظَرهم نَظَر البغضاء أن يصرعوك، وهذا مستعمل في الكلام، يقول القائل: نظر إليَّ نظراً يكاد يَصْرَعُنِي بِهِ، ونظراً يكاد يأكلني فيه، وتأويله كله أنه نظر إليّ نظراً لو أمكنه معه أكلي أَوْ أَن يَصْرَعَنِي لفَعَلَ.

وهذا بيِّن واضح، واللَّه أعلم.

سورة الحَاقَّة
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿الحاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ﴾.

الأوَّلَةُ مرفوع بالابتداء، و«ما» رفع بالابتداء أَيْضاً، والحـاقَّةُ الثـانية خبـر «مـا» والعائـد على «ما» الحـاقةُ الثـانيةُ، على تقـدير مـا هي، والمعنى تفخيم شأنها، واللفظ لفظ استفهام كما تقول: زيد ما هو، على تأويل التعظيم لشأنـه في مَدْحٍ كان أَوْ ذَمٍّ، والحاقَّةُ السَّاعَةُ والقِيامة وسميت الحـاقَّةُ لأنهـا تحق كل شيء يعمله إنسـانٌ من خير أو شر. وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ﴾.

معنـاهُ أَي شيء أعلمك مـا الحاقَّة. و«ما» مـوضعها رفـع، وان كان بعـد أدراك لأن ما كان في لفظ الاستفهـام لا يعمل فيـه ما قبله، المعنى مـا أعلمك أي شيء الحاقَّةُ. ثم ذكر اللَّه ـ عز وجل ـ من كذَّبَ بالحاقَّةِ والساعة وأمر البعث والقِيَامَةِ وما نزل بِهِمْ وَعْظاً لأمَّة محمد ﷺ فقال:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ﴾ أي بالقيامة.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ﴾.

ومعنى ﴿بالطاغية﴾ عند أهل اللغة بـطغيـانِهِمْ، وفـاعِلَـة قـد يـأتي بمعنى المصادِر نحو عافية وعاقبة. والذي يدل عليـه معنى الآية. ـ واللَّه أعلم ـ أنهم أهلكوا بالرجفة الطاغية، كما قال:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

يقال للشيء العظيم عاتٍ وعاتية، وكذلك أهلكوا بالطاغية، ودليل الوصف بالطغيان في الشيء العظيم قوله عز وجل:

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُم فِي الجَارِيَةِ﴾.

فوصف الماء بالطغيان لمجاوزته القَدْرَ في الكَثْرةِ، وكذلك أهلكوا بالطاغية، واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أي بريح شديدة البرد جدًّا، والصَّرْصَرُ شدة البردِ، وصَرْصَر متكرر فيها البرد، كما تقول قد قلقلت الشيء، وأقْلَلْتُ الشيء إذا رَفَعته من مكانه، إلاّ أن قلقلته رَدَدْتُه أي كرَّرْتُ رفعه، وأَقْلَلْتُه رفعته. فليس فيه دليل تَكْرِيرٍ، وكذلك صَرْصَرَ وَصَرَّ وصَلْصَلَ، وَصَلَّ. إذا سمعت صوت الصرير غير مُكَرَّرٍ قلت قد صَرَّ وَصَلَّ، فإذا أردت أن الصوت تكرر قلت: قد صَلْصَلَ، وصَرْصَرَ.

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾.

معنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أقامها عليهم كما شاء، ومعنى ﴿حُسُوماً﴾ دَائِمَةً، وقالوا مُتَابِعةً، فأما ما توجبه اللغة فعلى معنى تَحْسِمُهم حُسُوماً. أي تُذْهِبُهُمْ وتُفْنِيهِمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول نخل، وقيل خاوية للنخل لأن النخل تذكر وتُؤَنَّثُ. يقال: هذا نخل حسنٌ، وهذه نخل حَسَنَةٌ، فخاوية على التأنيث. وقال في موضع آخر: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾(١).

وقوله: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾.

---

(١) سورة البقر / ٢٠.

وقُـرِئَتْ وَمَن قِبَلَهُ فمن قال: ومن قِبَلَهُ فمعناه وتباعُهُ، ومن قال ومَنْ قَبْلَه فالمعنى مَنْ تَقَدَّمَهُ.

﴿والمُؤْتَفِكاتُ بالخَاطِئَةِ﴾.

﴿المؤتفكات﴾ الذين ائتفكوا بِذُنُوبِهِمْ، أي أهلكوا بِذُنُوبِهِمْ الَّتي أعظَمُها الأفكُ، وهو الكذبُ في أمر اللَّه بأنهم كفروا وكذَّبوا بـالرُّسُـل فلذلك قيـل لهم مؤتفكـون، وكـذلـك الـذين ائتفكت بهم الأرض، أي خُسِفَ بِهِمْ إنمـا معنـاهُ انقلبت بِهِمْ كما يقلب بهم الكذاب الحقَّ إلى البَاطِلِ ومعنى﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ العظيم، والدليل على أن من عظيم آثامهم الكذِبُ قوله:

﴿فعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذهُمْ﴾.

لإنهم كذبوا رُسُلَهُمْ.

﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾: معنى رابية تَزِيدُ عَلَى الأَحْدَاثِ.

وقوله عز وجل:﴿إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ في الجَارِيَةِ﴾.

معنى طغى المـاء طما وارتفـع، ومعنى الجاريـة، أي سفينة نـوحٍ عليه السلام واللَّه أعلم.

وقوله:﴿لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾.

معنـاه لنجعل هـذه الفعلـة لكم تذكـرة، أي إغـراق قـوم نـوح ونجـاتـه والمؤمنين مَعَهُ.

وقوله:﴿وَتَعِيها أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

معنـاه أُذُنٌ تحفظ ما سَمِعَتْ وَتَعْمَـلُ بـه، أي ليحفظ السـامـع مـا سمـع ويعمل به. تقول لكل شيء حفـظته في نفسـك: قَدْ وَعَيْتُـه، يقال: قَـدْ وَعَيْتُ

العِلم وَوَعَيْتُ قُلْتَ، وتقول لما حفظته في غير نفسك: أَوْعَيْتُه، يقال أوعيت المتاعَ في الوعاء.

وقوله:﴿فَإِذَا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

القراءة بالرفع في نفخة على ما لم يسم فاعله. وذكر الأخفش نفخةً وَاحِدةً بالنَّصْبِ ولم يذكر قريء بها أم لا، وهي في العربية جائزةٌ على أن قولك في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله، تقول: في الصور نفخاً، ففي الصور على لفظ الجر، والمعنى نفخ الصور نفخةً واحدةً، وهذا على من نصب نفخة واحدةً. ومن رفع فعلى مَعْنَى نُفِخَ نفخةٌ واحدةٌ فِي الصُّورِ. فأما تذكير نفخ فلو كان نفخت في الصور نفخة جاز لأنه تأنيثٌ ليس بِحقيقيّ، فتذكيره جَائِزٌ، لأن النفخة والنفخ بمعنًى وَاحِدٍ، ومثله ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّه﴾[1]، المعنى معنى الوعظ. وقال في موضع آخر: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ موعظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وقوله:﴿وانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

يقال لكل ما ضعف جدًّا قد وَهَى فهو واهٍ، ويجوز واهيةٌ بإمالة الألف والواو لكسر الهاء.

وقوله:﴿والمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾.

المعنى الملائكة على جَوَانِبها، ورَجَا كل شيءٍ نَاحِيَتُه، مقصور، والتثنيةُ رَجَوان والجمع أَرْجَاءٍ.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

يروى ثمانية أملاك أَرْجُلُهم في تخوم الأرض السابعة والعَرْشُ فوق رُؤُوسِهِم وَهُمْ مُطْرِقُونَ يُسَبِّحُونَ.

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢٧٥. (٢) سورة يونس. الآية ٥٧.

﴿فَأَمَّامَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَه﴾.

يروى إذا كان يوم القيامةِ عرض الخلق ثـلاث عَرَضـاتٍ في الاثنين منها الاحتجاج والاعتذار والتوبيخُ، وفي الثالثةِ تنشر الكتبُ فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله.

و «هاؤُمُ» أمر للجماعة بِمَنْزِلَةِ هَاكُمُ، تقول للواحد هَاءَ يَا رَجُلُ وللاثنين هاؤما يا رَجُلَانِ، وللثلاثة هاؤم يا رجال، ولِلمَرْأَةِ هاءِ يا امرأَةُ - بكسر الهمـزة - وللاثنين هاؤما وللجَمَاعَةِ النِّسَاءِ هَاؤُنَّ. وفي هـذه ثلاثُ لُغَـات قد ذكـرتها في غير كِتَابِ القُرآنِ.

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه﴾.

معناه إني أيقنتْ بأني أحاسب وأبعَثُ.

فأما «كتابيه» و «حسابيه» فالوجه أن يوقف على هذه الهَائَاتِ ولا تُوصِلْ، لأنها أدخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل ولا أحب مخالفة المصحف، ولا أن أقرأ بإثبات الهاء في الوصل. وهذه رؤوس آياتٍ فالوجـه أن يوقف عنـدها، وكذلك قوله: ﴿وَمَا أدراك ماهية﴾.

وقوله:﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.

معنـاه ذهبت عني حُجَّتِيَـهْ، والسُّلْطَانُ الحُجَّـةُ، وكـذلـك قيـل لـلأمـراء سلاطين لأنهم الذينَ تُقام بِهِمُ الحججُ والحُقُوقُ.

وقوله: ﴿قُطُوفُها دَانِيَةٌ﴾.

معناه تدنو من مريدها لا يَمْنَعُه مِنْ تَناولها بُعْدُ وَلَا شَوْكُ.

وقوله: ﴿في الأَيَّامِ الخَالِيَةِ﴾، ومعناه في الأيام التي مَضَتْ لهم.

قوله: ﴿صَلُّوهُ﴾ المعنى اجعلوه يصلى النَّارَ.

قوله ﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾: معناه من صديد أهل النار، واشتقاقه مما ينغسِلُ مِنْ أبدَانِهِمْ.

وقوله: ﴿قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾، و ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

«ما» مُؤَكِّدَة، وهي لَغْوٌ في باب الاعـراب، والمعنى قليلا يُؤْمِنُـونَ وقَلِيلاً يَذَّكَّرُونَ.

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

رفعه بِهُوَ مُضْمِرَةً يدل عليها قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾، [أي] هُوَ تَنْزِيـل من رَبِّ العَالَمِينَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ﴾.

يعني به النبي ﷺ ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾ أي بالقُدْرَةِ والقوَّة وقال الشماخ:(١)

إذا مـا رايـة رفـعـت لـمـجـد تـلـقـاهـا عـرابـة بـالـيـمـين

قوله: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾: الوتين نياط القلب.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، حاجزين من نعت أحد، وأَحَدٌ في معنى جميع، المعنى فما منكم قوم يحجزون عنه.

وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾، المعنى أنَّ القُرآن لليقين حقُّ اليقين.

قوله: ﴿فَسَبِّحْ باسمِ ربِّكَ العَظِيمِ﴾:

التسبيح معناه تَنْزِيهُ اللَّهِ مِنَ السُّوءِ وتنزيهه تعالى.

---

(١) في ديوانه /٩٢، ومعاهد التنصيص. وابن يعيش ٢/٣١، واللسان (يمن) والقرطبي ٢٣/٤٩ والحلبي ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٨٥.

سورة المعارج
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

وقرئ سال بغير همز، يقال: سألت اسأل، وسَلْتُ أَسَالُ، والرجلان يتساءلان ويتساوَلان بمعنى واحِدٍ. والتأويل دَعَا دَاعٍ بعذاب واقع. وذلك كقولهم: ﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١).

وقيل معنى سأل سائِلٌ بعذاب، أي عن عذاب واقع، فالجواب قوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

أي يقع بالكافرين، وقيل أن سال سايل بغير همز، سايل وَادٍ في جهنم.

وقوله:﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

قيل معارج الملائكة، وقيل ذي الفَوَاصِل.

وقوله:﴿تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

جاء في التفسير أَنَّه يَوْمُ القِيَامَةِ، وجاء أَيضاً أن مقداره لو تكلفتموه خمسون ألف سنة، والملائكة تعرج في كل يوم واحِدٍ. وقرئت: تعرجُ

---

(١) سورة الأنفال /٣٢.

الملائكةُ ويعرج الملائكة. وقيل منذ أول أيّام الدُّنيا الى انقضائها خمسون ألف سنة. وجائز أن يكون «في يوم» من صلة «واقع»، فيكون المعنى سال سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وذلك العذابُ يقع في يوم القيامة.

وقوله عز وجل: ﴿فاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾.

هذا يدل على أن ذلك قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بالقتال.

قوله: ﴿إِنَّهُم يَرَوْنَه بَعِيداً. وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

يرونه بعيداً عندهم كأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة، كما تقول لمُنَاظِرِكَ: هذا بعيد لا يكون.

وقوله: ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

أي صحيحاً يقرب فَهْمُ مثله بما دل اللّه على يوم البعث بقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وما أشبه هذا من الاحتجاجات في البعث.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ، وتَكُونُ الجِبَالُ كالعِهْنِ﴾.

العِهْنُ الصوفُ، والمهل دُرْدِيُّ الزَّيْتِ[1].

﴿ولَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾.

وقرئت ولا يُسْأَلُ حَمِيمٌ. فمن قرأ ولا يَسْأَلُ فالمعنى أنهم يعرف بعضهم بعضاً، ويدل عليه قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾.

ومن قرأ ولا يُسْأَل حَمِيمٌ حَمِيماً. فالمعنى لا يُسْأَل قريب عن قرابته، ويَكُونُ ﴿يُبصَّرُونهم﴾ ـ واللّه أعلم ـ للملائكة.

وقوله: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتي تُؤْوِيه﴾: معناه أدنى قبيلته منه.

---

(١) ما يبقى أسفله.

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّها لَظَى﴾.

«كَلَّا» ردع وتنبيه، أي لَا يَرجعُ أحدُ من هؤلَاء فاعتبروا.

وقرئت ﴿نَزَّاعَةً للشَّوَى﴾. والقراءة نَزَّاعَةٌ، والقراء عليها وهي في النحو أَقْوى مِنَ النَّصْبِ. وذكر أَبو عُبَيْدٍ أنها تجوز في العربيَّةِ، وأنه لا يَعْرِفُ أَحَداً قَرَأَ بها. وقد رويت عن الحسن، واختلف فيها عن عَاصِمٍ، فَأَما ما رواه أبو عمرو عن عاصم فَنَزَّاعَةً - بالنصب - وروى غيره نَزَّاعَةٌ - بالرفع -.

فأَما الرفعُ فَمِنْ ثَلاث جِهَاتٍ، أحدها أن تكون «لَظَى» و«نَزَّاعة» خبراً عن الهَاءِ والألِفِ، كما تقول: إنه حُلْوٌ حَامِضٌ، تريد أنه جمع الطعمين، فيكون الهاء والألف إضماراً للقصة[1]، وهو الذي يسميه الكوفيون المجهول، المعنى أن القصة والخبر لظى نزاعة للشوى، والشوى الأطراف، اليَدَانِ والرِّجْلَانِ والرأسُ، والشوى جمع شواه، وهيَ جلدة الرأس، قال الشاعر[2]:

قالت قتيلة ماله قد جُلِّلَتْ شيباً شواته

فأما نصب ﴿نَزَّاعَة﴾ فعلى أنها حال مؤكدة كما قال: ﴿وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً﴾ وكما تقول أنا زيدٌ معروفاً، فيكون نزاعة منصوباً مُؤَكِداً لأمر النار، ويجوز أن ينصب على معنى أنها تتلظى نَزَّاعَةً كما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى﴾. والوجه الثالث في الرفع يرفع على الذَّمِ بإضمار هي على معنى هي نزاعة للشوى.

ويكون نصبها أيضاً على الذم فيكون نصبها على ثلاثة أوجه.

وقوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَر وَتَوَلَّى﴾.

---

(١) أي ضمير الشان

(٢) هو الأعشى. اللسان (شوى) والطبري ٤٢/٢٩، والقرطبي ٢٨٨/١٨، ومجاز ابي عبيدة ٢٦٩/٢.

تدعو الكافر باسمه والمنافق باسمه.

وقوله: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾.

الهلوع على ما في الآية من التفسير يفزع ويَجْزَعُ مِنَ الشَّرِ.

وقوله: ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعاً، وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ منوعاً﴾.

الانسان ههنا في معنى الناس،! فاستثنى اللَّه - عز وجل - المؤمنين المصلين فقال: ﴿إِلَّا المُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.

يعني به المحافظين على الصلاة المكتوبة، ويجوز أن يكون الذين لا يُزِيلُونَ وجوههم عن سمت القبلة ولا يلتفتون، فيكون اشتقاقه من الدائم وهو الساكن، كما جاء النهي عن البول في الماء الدائم، والمحروم الذي هو محارف قد حرم المكاسب. وهو لا يَسْأَلُ(١).

وقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ﴾. [أي] على هؤلاء.

وقيل إنَّها في مَعنى «منْ» المعنى عند قائل هذا إلَّا مِنْ أَزْوَاجِهِم أو ما ملكت وقيل إن «على» محمول على المعنى، المعنى فإِنَّهُم لَا يُلَامُونَ على أزواجهم، ويدل عليه ﴿فإنهم غير ملومين﴾.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾.

معناه في العُدْوَانِ. وهي المبالغة في مخالفة أمر اللَّه ومجاوزة القدر في الظُّلِمْ.

وقيل: ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾، أي من طلب غير الأزواج وَمَا ملكت الأيمان فقد اعتدى.

---

(١) المحازف - بفتح الراء: المحروم - والحرفة - أيضاً الحرمان ومن هذا قول عمر: لحرفةُ أحدهم أشد على من عيلة.

والعَادُونِ جَمْعُ عَادٍ وَعَادُون.

قوله: ﴿والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

أي يَرْعَوْنَ العهد والأمانة ويحافظون عليها. وكل محافظ على شيء فهو مُرَاعٍ له. والإمام راعٍ لرعيته.

وقوله: ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَك مُهْطِعِينَ﴾.

﴿مهطعين﴾ منصوب على الحال، والمهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله، لأنهم كانوا ينظرون إلى النبي عليه السلام نظر عداوة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]، معناه غيظاً وحنقاً.

قوله: ﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

حَلَقاً حَلَقاً وجماعةً جماعة، وعِزِينَ جمع عزة، فكانوا عن يمينه وشِمَالِه مجتمعين، فقالوا إن كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فإنا ندخلها قبلهم، وإن أعطوا فيها شيئاً أُعطِينا أكثر منه، فقال عز وجل:

﴿أَيَطْمَعُ كلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

وقرئت أَن يَدْخُل جنة نعيم. ثم قال:

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُون﴾.

أَي من تراب ومن نطفة، فأي شيء لهم يدخلون به الجنة، وهم لك على العداوة وعلى البغضاء.

وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ﴾.

معناه فأقسم برب المشارق والمغارب، و «لا» مؤكدة كما قال: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ

---

(١) سورة الأعراف /١٩٨.

أَهْلُ الكِتَابِ﴾، ومعناه ليعلم أهل الكتـاب، ومعنى ﴿رب المشارق والمغارب﴾ أي مشارق الشمس ومغاربها، وكذلك القَمَرُ، وهي مشارق الصيف ومشارق الشتاء وَمَغَارب الصيف، ومغارب الشتاء فتشرق الشمس كل يوم من مشـرق، وتغرب من مغرب، وكذلك القَمَرُ.

وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿يخوضوا﴾ جواب الأمر مجزوم، وقيل إنه مجزوم وإن كان لفظه بغير آلةِ الأَمْرِ لأنه وضع موضع الأمر، كأنه قال ليخوضوا وليَلْعَبُوا. وهذا أَمْرٌ على جهـة الوعيد، كما تقول: اصنع ما شئت فإني أعاقبك عليه.

وقد مر تفسير هذا مستقصًى.

وقـوله عز وجـل: ﴿يَوْمَ يَخْـرُجُونَ مِنَ الأَجْـدَاثِ سِـرَاعـاً [كَـأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ]﴾.

والأحداث القبور واحدها جَدَثٌ، ويقال أيضـاً حَدَفٌ في هـذا المعنى، وقرئت إلى نَصْبٍ يوفِضُونَ وَإلى نُصْبٍ ـ بضم النون وسُكُـونِ الصاد، وقُـرِئَتْ إلى نُصُبٍ بضم النـون والصـاد، فمن قَـرَأَ نُصْب، فمعنـاه كـأنهم إلى علم مَنْصُـوبٍ لهم، ومن قرأ إلى نُصُبٍ فممعنـاه إلى أَصْنَامٍ لهم، كمـا قـال: ومـا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ.

ومعنى ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسْرِعُونَ، قال الشَّاعِر[1]:

لأنْـعَتَـنْ نَـعَـامَـةً مـيـفـاضـاً   خَـرْجَـاءَ تعـدو تـطلب الأضـاضـا

الميفاض السريعة، وخرجاء ذات لونين سَوَادٍ وبياضٍ، ومعنى الأضاض الموضع الذي يُلْجَأُ إليه، يقال أضَّتني إليك الحاجة أضَاضاً.

(١) البيت في اللسان (أضض) الطبري ٢٩/ ٨٩.ـ ولم يذكره قائله.
معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٦.

قوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي تغشاهم ذِلَّةٌ.

وقوله: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾.

قرئت بالفتح والكسر، فمن قرأ بِكَسْرِ يَوم فَعَلَى أَصْل الإضافة لأن الذي يضاف إليه الأول مجرور بالإضافة[1]. ومن فتح يوم فلأنه مضاف إلى غير متمكن مضاف إلى «إذْ»، و «إذْ» مبهمة، ومعناه يوم إذ يكون كذا وكذا، فلما كانت مبهمة وأضيف إليها، بني المضاف إليها على الفتح، كذلك أنشدوا قول الشاعر[1]:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أو قال

فلما أضاف «غير» إلى «أن» بناها على الفتح، وهي في موضع رفع، والرفْعُ أيضا قَد رُوِيَ، فقالوا «غيرُ» أن نطقت، كما قرئ الحرف على إعراب الجر، وعلى البناء على الفتح.

---

(١) في الأصل يضيف إليه.

(٢) تقدم.

سورة نُوح عليه السلام
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عَـزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـا نُـوحاً إِلَى قَـوْمِهِ أَن أَنْـذِرْ قَوْمَـكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾.

«أن» في موضع نصب بأرسلنا، لأنَّ الأصْلَ بأن أَنْذِرْ قَوْمَكَ، فلما اسقطت الباء أفضى الفِعْلُ إلى أن فنصبها، وقد قال قوم يُرْتَضَى عِلْمُهُمْ إن موضع مِثْلِها جَرٌّ وإن سقطت الباء، لأن «أن» يحسن معها سقوط الباء. ولا تسقط من المصدر البـاء، لأنك لـو قلت: إني أرسلتك بـالإِنْـذَارِ والتهـدد لم يُجـزْ أن تقـول إني أَرْسَلْتُك الانذار والتهدُّدَ، ولو قلت إني أرسلتك بأن تُنْـذِرَ وان تهدد لجـاز واني أرسَلْتُكَ أن تنذر وأن تهدِّدَ.

وأصل الإِنذار في اللغة الإِعلام بما يخاف منـه فيحذر، وان لا يتعـرض له ويجوز أن يكون «أَن» تفسير لما أُرْسِلَ بِهِ، فيكون المعنى: إنا أرسلنا نـوحاً إلى قومه أَيْ أَنْذِرْ قَومَكَ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ﴾.

أرسل اللَّه نوحاً وجميع الانبياء بالأمر بعبادته وإيثار تقواه وطاعة رسله.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾.

﴿يغفـر﴾ جزم جواب الأمر ﴿اعْبُـدُوا اللَّهَ﴾ واتقوه وأطيعوني يغفر لكم من

ذنوبكم، والنحويون البصريون كلهم ما خلا أبا عمرو بن العلاء لا يدَّغِمُونَ الراء في اللام، لا يجيزون يَغْفِر لَّكُمْ، وأبو عمرو بن العلاء يرى الإدغام جائزاً. وزعم الخليل وسيبويه ان الراء حرف مكرر متى أدغم في اللام ذهب التكرير منه، فاختلَّ الحرف، والمسموع من العرب وقرأه القراء إظهار الراء.

ومعنى ﴿من ذنوبكم﴾ ههنا ـ يغفر لكم ذنوبكم ودخلت «من» تختص الذنوب من سائر الأشياء، لم تدخل لتَبْعيض الذُّنُوب، ومثله قوله ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾. معناه اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ليس الرجس ههنا بعض الأوثان.

وقوله:﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، إن أَجَلَ اللَّه إذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

معناه اتقوا اللَّه وأطيعون يؤخركم عن العذاب، أي يؤخركم فتموتوا غير ميتة المُسْتَأْصَلِين بِالعَذَابِ. ثم قال:﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ معناه إذا جاء الأجل في الموت لا يؤخر بعذاب كان أو باستئصال.

قوله:﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾.

قيل إنهم كانوا يسدُّون آذانهم ويغطون وجوههم لئلا يسمعوا قَوْلَهُ، وليبالغوا في الاعراض عنه بتغطية الوجوه.

وقوله: ﴿وَأَصَرُّوا﴾: أقاموا ولم ينووا توبة منه.

﴿واستكبروا﴾: أخذتهم العزة من اتباع نوح والدليل على ذلك قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾(١).

وقوله:﴿إِنِّي دَعَوْتُهم جِهَاراً﴾.

أي دعوتهم مظهراً لهم الدعوة، و«وجهاراً» منصُوبٌ مصدر موضوع موضع

---

(١) سورة الشعراء/ ١١١.

الحال. المعنى دعوتهم مجاهراً بالدعاء إلى توحيد اللّه وتقواه.

﴿ثُمَّ إنّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إسْرَاراً﴾.

أي خَلَطْتُ لَهُمْ دُعَاءَهم في العلانيةَ بدعاء السر، فقلت: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنَّهُ كَان غَفَّاراً﴾.

أي استدعوا مَغْفِرَةَ رَبكُمْ.

﴿يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾.

وقيل إنهم كانوا قد أجدبوا، فَأَعْلَمَهُم أن إيمانهم باللّه يجمع لهم مَعَ الحظِّ الوافِرِ في الآخرة. الخِصْبَ والغِنَى في الدنيا، ومدراراً: كثيرة الدَّر، أي كثيرة المطر.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

يعطيكم زينة الدنيا وهي المال والبنون.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: أي بساتين.

وقوله عز وجل: ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾.

قيل: مَا لكم لَا تَخافُونَ للّه عَظَمةً، وقيل لا ترجون عاقبة، وحقيقته - واللّه أعلم - مالكم لا ترجون عاقبة الايمان فتوحدون اللّه وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم، ومن خلق السموات والأرضِينَ والشمس والقمر فقال:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾.

أي طوراً بعد طورٍ، نقلكم من حال إلى حال ومن جِهَةٍ من الخلق إلى جهة - خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم جعل المضغة عظْماً، وكسا العظم لحماً ثُمَّ قَرَّرَهُمْ فقال:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾.

و ﴿طباقاً﴾ مَنْصُوبُ على جهتين، إحداهما مُطَابِقَةً طِبَاقاً، والأخرى من نعت سبع أيْ خَلَق سبعاً ذات طباق.

﴿وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾.

قال أهل العربية: يجوز أن يكون في السماء الدنيا وقيل فيهن لأنهن كالشيء الوَاحِد، وجاء في التفسير أن وجه الشمس يضيءُ لأهل الأرضْ من ظَهْرها وقَفَاهَا ويضيء لأهل السموات وكذلك القمر.

﴿واللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾.

و﴿نباتاً﴾ محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى «أنبتكم» جعلكم تنبتون نباتاً والمصدر على لفظ أنبتكم إنباتاً ونباتاً أبلغُ في المعنى.

قوله: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾، أي طرقاً بَيِّنَةً.

وقوله: ﴿وَوُلْدُه﴾ ويقرأ: ﴿وَوَلَدُه﴾.

والوَلَدُ والولد بمعنى واحِدٍ، مثل العَرَب والعُرْب، والعجم والعُجْمُ.

وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾.

يقال: مكر كبير وكُبَّار وكِبارَ في معنى واحد.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً﴾.

وقُرِئَتْ وُدًّا ـ بضم الواو ـ.

﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾.

هذه خمسة أصنام كانَتْ في قَوْمِ نُوحٍ يعبدونها. ثُمَّ صَارَتْ إِلَى العَرَبِ

فكان وُدّ لكلب، وكان سُواع لِهَمَدَان، وكان يغوث لمذحج، وكان نسرٌ لحمَير وقرئت يغوثاً ويَعُوقاً.

ويغوث ويعوق لا ينْصَرِفان لأنَّهُمَا في وزن الفعل وهما معرفتان، والقراءة التي عليها القراء والمصحف ترك الصرف. وليس في يغوث ويعوق ألف في الكتاب، ولذلك لا ينبغي ان يقرأ: إلا بترك الصرف. والذين صرفوا جعلوا هذين الاسمين الأغلب عليهما الصرف إذ كان أصل الأسماء عندهم الصَّرْفَ، أَو جعلوهما نَكِرَةً وإن كانا معرفتين، فكأنهم قالوا: ولا تذرون صنماً من أصنامكم، ولا ينبغي أن يقرأ بها لمخالفتها المصحف.

قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾.

ويقرأ مما خطاياهم، وخطيئة يجمع على خطايا. وخطيئات، وقَد فسَّرنَا ذلك فيما سلف من الكتاب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.

﴿دَيَّاراً﴾ في معنى أحد. يُقَالُ مَا في الدار أحَدٌ وما بها دَيَّار، وأصْلُهَا دَيْوَار، فيقالا فقلبت الواو ياء وأدغمت أحداهما في الأخرى.

وإنما دعا عليهم نوح عليه السلام لأنَّ اللَّه جَلَّ وَعَلَا أوحى إليه ﴿أَنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾.

قالوا بيتي مَسْجداً، وإن شئت أسكنت الياء وإن شئت فتحتها.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلَّا تَبَاراً﴾.

معناه إلا تباراً، والتبار الهلاك، وكل شيء أهلك فقد تبر، ولذلك سُمّي كُلُّ مُكَسرٍ تبرا.

سورة الجِنّ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾.

القراءة أُوحِيَ بإثبات الواو. وقد قرئت: قل أُحِيَ إلـيّ - بغير واو، فمن قال: أُحِيَ إلَيَّ فهو من وحيتُ إليه، والأكثر أَوْحَيْتُ إليه، والأصل وُحِي، ولكنَّ الواو إذا انْضمَّت قد تبدلُ منها الهمزةُ نحو:﴿وإذا الرسل أُقِّتَتْ﴾،أصله وُقِّتَتْ لأنه مِنَ الوَقْتِ.

وجاء في التفسير أن هؤلاء النفر الذين من الجن استمعوا على النبي ﷺ وهو يصلي الصبح ببطن نخلة، وهو قوله:﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القرآن فَلَمَّا حَضَروهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾(١) أي قال بعضهم لبعض أَمْسِكُوا عن الكلام واستمعوا. وقيل انهم كانوا من جِنِّ نَصِيبِينْ، وقيل إنهم كانوا مِنَ اليَمَن، وقيل إنهم كانوا يَهُودَ، وَقِيل إنهم كانوا مشركين.

فأما قوله: ﴿أنه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ﴾، و(أَنَّ) مفتوحة لا غير. وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ وقوله:﴿فَإِنَّ لَهُ﴾، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾. فهذه الثلاثُ مكسورة لا غير، وقد اختلف القراء فيما في هذه السورة غير هذه الحروف الثلاث فقال بعضهم: «وَأَنَّه وأَنَّا» فَأَمَّا عَاصِمٌ فروى عنه أبو بكر بن عياش مثل قراءة نافع ومن تابعه، وروى حفص بن سليمان عن الفتح فيما قرأه أبو بكر بالكسر، والذي يَخْتاره النحويُّونَ قراءة نافع ومن تابَعَهُ في هذه الآية عندهم ما كان محمولاً على

(١) سورة الأحقاف / ٢٩.

الـوحي فهو أنـه بفتح أن، ومـا كان من قـول الجن فهو مكسـور معطوف على قوله: ﴿فقالوا إنا سمعنا قُرْآناً عَجَباً﴾، وعلى هذه القراءة يكون المعنى، وقالوا إنه تعالى جَدُّ رَبّنَا، وقالوا إنه كان يقول سفيهنـا. ومن فتح فـذكر بعض النحـويين أنه معطوف على الهاء. المعنى عِندَه فآمنا به وبأنه تعالى جدُّ رَبِّنَا وكـذلك مـا بعـد هـذا عنـده، وهـذا رديء في القيـاس. لا يعـطف على الهـاء المكنيـة المحفوضة إلا بإظهار الخافض، ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آمناً به،لأن معنى آمنا به صدقناه وعلمناه، ويكون المعنى :وصدقنا أنه تعالى جدّ ربنا.

وتأويل ﴿تعالى جَدُّ رَبّنا﴾ تعالى جلال رَبِّنا وعظمته عن أن يتخذ صَاحِبَـةً أَوْ وَلَداً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهَ كَانَ رِجَالٌ من الإِنْسِ يعُوذُونَ بِرجَالٍ منَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾.

كان أهل الجاهلية إذا مرتْ جماعة منهم بوادٍ يقوولون: نعوذ بعزيـز هذا الوادي من مردة الجن وَسُفَهَائِهِمْ.

ومعنى ﴿فَزَادُوهُم رَهَقاً﴾ فَزادوهم ذِلـةً وضعفـاً. ويجـوز ـ والله أعلم ـ أن الأنس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقاً، ويجـوز أَنْ يكون الجن زادوا الأنس رَهَقاً.

وقوله:﴿وأَنا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسَا شَدِيـداً وَشُهُباً، وَأَنَّـا كنا نَقْعُدُ منها مقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾.

أي كنا نسـمع فـالآن حيـن حَاوَلْنَـا الاستماع ورمينـا بالشُّهُبِ، وهي الكواكب، ورَصَداً أي حَفَـظَةً تمنع من الاستمـاع. وقيل إن الانقضـاض الذي رميت بِهِ الشياطين حَدَثَ بعد مَبْعَثِ النبي عليه السلام وهو أَحَدُ آيَاتِه.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ في الأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾.

المعنى إنـا لا ندري بحـدوث رجم الجواكب أَلِصَـلَاحٍ في ذلك لأهـل الأرض أو غيره.

وقوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾.

قِدَدٌ متفرقون، أي كنا جماعات متفرقين، مُسْلِمِينَ وغير مسلمين.

قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ﴾.

هـذا تفسير قـولهم: ﴿كُنا طَرَائِقَ قِدَداً﴾، والقاسطون الجـائرون.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشداً﴾.

يعني قصدوا طريق الحق والـرشد، ولا أعلم أَحَـداً قرأ في هـذه السورة رُشْداً، والرُّشْد والرَّشَدُ يجوز في العربية، إلاَّ أن أواخـر الآي فيما قَبْـلَ الرَّشَـد وبَعْـدَه على الفتح، مبني على فَعَـل، فأواخـر الآي أن يكون على هـذا اللفظ وتَسْتَوي أَحْسَنُ، فإن ثبتت في القراءة بها رواية فالقراءة بها جـائزة، ولا يجـوز أن تقرأ بما يجـوز في العربيـة إلاَّ أن تثبت بذاك روايـة وقراءة عن إمـام يقتدى بقراءته، فإن اتباع القراءة السنة، وتتبع الحروف الشواذ والقراءة بها بدعة.

قوله: ﴿وَأَمَّا القَاسِطُونَ﴾.

يقال قسط الرجل إذَا جَارَ، وأَقسط إذَا عَدَل.

وقوله: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً. لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وهذا تفسيره لو استقاموا على الطريقة التي هي طريق الهـدي لأسْقَيْنَاهُمْ ماء غَدَقـاً، والغَدَقَ الكثيـر، ودليل هـذا التفسير قـوله عـز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ﴾. وكقوله: ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[٢]. وقد قيل إنه يعني به: لو استقاموا على طـريقة الكفـر. ودليلٍ هـذا التفسير عنـدهم قولـه تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكونَ النـاسُ أُمَّةً

---

(١) سورة الأعراف /٩٦. (٢) سورة المائدة /٦٦.

واحـدةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُـرُ بـالـرَّحْمَنِ لِبُيُـوتِهِم سُقُفَـاً مِنْ فِضَّـةٍ وَمَعَـارِجَ عليهـا يَظْهَرُونَ﴾[١].

والذي يختار وهو أكثر التفسير أن يكون يعنى بـالطريقـة طريق الهـدى، لأن الـطريقة مُعَـرَّفَةٌ بـالألف واللام، والأوجب أن يكـون طريقـة الهدى. واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فيه﴾، لنختبرهم بذلك.

وقوله:﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ عذاباً شَاقّاً، وقيل صخرة في جهنم ـ وهي في اللغة ـ واللَّه أعلم ـ طـريقة شَـاقَةٌ مِنَ العـذاب. يقـال: قـد وقـع القـوم في صَعُـودٍ وَهَبُوطٍ، إذا كانوا في غير استواء وكانوا في طَرِيقة شاقة، ويقرأ لأسقينـاهم ماء غَدِقا، والغدق المصدر، والغَدِق اسم الفاعل، تقول: غَـدِق يَغْدَقُ غَـدَقَا فَهُـو غَدِقٌ، إذا كَـثُـر الـنـدى في المكان أو الماء.

وقوله:﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾.

معناه الأمر بتوحيد اللَّه في الصلوات. وقيـل المساجـد مواضـع السجود من الانسان، الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرِّجْلاَنِ.

و«أن» ههنا يصلح أن يكون في موضع نصب ويصلح أن يكونَ في مَوْضِع جَرِّ والمعنى لأن المساجد للّه فلا تدعوا مع اللَّه أَحَداً، فلما حذفت اللَّامُ صار الموضع موضع نَصْبٍ، ويجوز أن يكون جَـرّاً وإن لم تظهـر اللام، كمـا تقول العرب: وَبَلَدٍ ليس به أنيس. تـريـد رُبَّ بَلَدٍ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾.

---

(١) سورة الزخرف / ٣٥.

ويَقرأ لُبَداً، ويجوز لُبَّداً. والمعنى أن النبي ﷺ لما صَلَّى الصُّبْحَ بذات نخلة كادت الجن - لما سمعوا القرآن وتعجبوا منه - أن يسقطوا على النبي ﷺ.

وقيل كادوا يعني به جميع الملأ التي تظاهرت على النبي ﷺ ومعنى لُبَد يركب بعضه بعضا، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لبدته ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش، فأما من قرأ لِبَدًا فهو جمع لِبْدَة ولِبَد. ومن قرأ لُبَداً فهو جمع لُبْدَة وَلُبَد. ولُبْدَة ولِبْدَةَ في معنى واحِدٍ. ومعنى من قرأ لُبَّداً فهو جمع لابد ولُبَّدٍ، مثل رَاكِعٍ وَرُكَّعٍ، وغازٍ وغُزَّى.

قوله: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾.

[أي] مَنْجًى الا أن اشتقاقه من اللحد، وهو مثل «لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلًا» فالملتحد من جنس المدَّخَل، ونَصَبَ ﴿إِلَّا بَلَاغاً﴾ على البدل من قوله ملتحدا. المعنى ولن أجد من دونه منجىً إلا بلاغاً أي لا ينجيني إلَّا أن أبلغ عن اللَّه ما أرسلتُ به.

وقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾.

أي بُعْدًا، كما قال: ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون﴾.

قوله: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾.

هذه الآية توجب على من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة وموت وغير ذلك أن قد كفر بما في القرآن، وكذلك قوله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السمواتِ والأرضِ الغيبَ الا اللَّه﴾. والاستثناء بقوله: ﴿إِلَّا مَنِ ارتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، معناه أنه لا يظهر على غَيْبه إلا الرُّسُلَ، لأن الرُّسُلَ يستدل على نبوتهم بالآيات المعجزات، وبأن يخبروا بالغيب فيعلم بذلك أنهم قد خالفوا غير الأنبياء.

ثم أعلم عز وجل أنه يحفظ ذلك بان يَسْلُك ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾.

إذا نــزل الملك بالـوحي أرسل اللّه معـه رصداً يحفـظون الملك من أن يأتي أحدٌ من الجن فيستمع الوحيَ فيخبر به الكهنة فيخبروا بـه الناس فيسـاوَوا الأنبياء. فأعلم اللّه أنه يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رَصَداً.

﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

فيجـوز أن يكون ليعلم النبي ﷺ أن الـرسالـة أتته ولم تصـل إلى غَيْـرِهِ ويجـوز أَنْ يكونَ ـ واللّه أعلم ـ ليعلم اللّه ان قـد أبلغـوا رسـالاته، ومـا بعده يدل على هذا وهُوَ قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾.

فهذا المضمر في ﴿وَأَحْصَى﴾ لله عـز وجل لا لغيره، ونصب ﴿عدَداً﴾ على ضربين، على معنى وأحصى كل شيء في حال العَدَدِ، فلم تخف عليه سقوط ورقة ولا حَبَّةٍ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابِسٍ، ويجوز أن يكون عَـدَداً في موضع المصدَرِ المحمول على معنى وأحصى، لأن معنى أحصى وَعَـدَّ كل شيء عَدَداً[1].

(١) الأقرب أن عدداً تمييز.

سورة المُـزَّمِّل

مكية ما خلا آيتين من آخرها مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿يَا أَيُّها المزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

هذا خطاب للنبي عليه السلام، وقيل إنه نـزل عليه هـذا وعليه قـطيفةٌ، والمزَّمِّلُ أصله المُتَزَمِّل، ولكن التاء تدغم في الزاي لقربها منها، يقال: تَزَمَّـل فُلانٌ إذا تلفف بثيابه، وكل شيء لفف فَقَدْ زُمِّلَ، قال امرؤ القيس(١):

كـان ثبيـراً فـي عـرانيـن وبـله　　كبيـر أنـاس في بِجَـادٍ مُـزَمَّـلِ

وقيل إنه كان مُتَزَمِّلاً في حال هيئة الصلاة.

قوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً. نِصْفَه أَوِ انْقُصْ مِنْه قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾.

فالمعنى ـ واللَّه أعلم ـ أن ﴿نصفه﴾ بدل من ﴿الليل﴾ كما تقول: ضربت زيداً رَأْسَهُ فإنما ذكرت زيداً لتؤكد الكلام، وهو أوكـد من قولـك ضربت رأس زيـداً فـالمعنى قم نصف الليـل إلا قليـلاً أو انقص من النصف أو زد على النصف، وذَكَر «أو انقص منه قليلاً» بمعنى الا قليلاً ولكنـه ذُكِرَ مَـع الزِّيـادة، فالمعنى قم نصف الليل أو انقص من نصف الليل أو زد على نصف. وهـذا ـ واللَّه أعلم ـ قبل أن يقع فرض الصلوات الخمس.

ومعنى:﴿وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً﴾.

---

(١) من معلقته.

بيّنْه تبييناً، والتبيين لا يتم بأن يعجل في القرآن، إنّما يتم بأن تبين جميع الحروف وتوفي حَقَّها في الإشباع.

قوله - عز وجل -: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾.

جاء في التفسير أنه يثقل العمل به، لأن الحلال والحرام والصلاةَ والصِّيَامَ وجميع ما أمر اللَّه به أن يعمل، ونهى عنه، لا يؤديه أحد الا بتكلف ما يثقل عليه.

ويجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون معناه أنه قول له وَزْنٌ في صِحَّتِه وبيانه ونفعه، كما تقول: هذا كلام رَصِينٌ، وهذا قول له وَزْنٌ، إذا كنت تستجيدُه وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيانِ.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطَاءً، - وتقرأ: وَطْئاً - وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

﴿ناشئة الليل﴾ ساعات الليل كلها، كلما نَشَأَ منه، أي كل ما حدث منه فهو ناشئة، ومعنى هي أشدُّ وَطَأً أي أشد مواطأة لتقلب السمع، ومَنْ قَرَأَ وَطْئاً - بفتح الواو - فمعناه هي أبلغ في القيامِ وأبين في القول، ويجوز أن يكون أشد وطأ اغلظ على الانسانِ من القيام بالنهار، لأن الليل جُعِلَ لِيُسْكنَ فيه. وقيل أشد وَطئاً أي أبلغ في الثواب، لأن كل مجتهد فثوابه عَلَى قَدْرِ اجتهاده.

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾.

معناه فراغاً طويلاً ومتصرفاً طويلاً.

﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

أي إن فاتك شيء من الليل فلك في النهار فراغ.

وقرئت «سَبْخاً» بالخاء معجمة، والقراءة بالحاء غير معجمة، ومعنى «سبخاً» صحيح في اللغة، يقال للقطعة من القطن سبخة، ويقال سبخت القطن بمعنى نفَّشته، ومعنى نَفَّشتُه وسَعتُه، فالمعنى على ذلك أن لك في النهار توسُّعاً طويلا، وَمَعْناه قريب من معنى السبح.

﴿واذْكُرِاسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تبتيلاً﴾.

المعنى واذكر اسم ربك بالنهار، ومعنى ﴿تبتل إليه﴾ انقَطِع إليه في العِبَادَةِ ومن هذا قيل لمريم عليها السلام البتول لأنها انقطعت إلى اللَّه جل ثناؤه في العبادة، وكذلك صدقة بتلة منقطعة من مال المصدق وخارجة إلى سُبُل اللَّه، والأصل في المصدر في تبتل تَبتلْتُ تَبْتِيلاً، وبَتَّلْتُ تبتيلاً، فتبتيلاً محمول على معنى تبل إليه تبتيلاً.

قوله: ﴿فاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾: أي اتخذه كفيلاً بما وعدك.

وقوله: ﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ واهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾.

هذا يدل ـ واللَّه أعلم ـ قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾.

ومثله: ﴿ذَرْنِي ومن خلقت وَحِيداً﴾[1].

فإن قال قائل ما مجاز ذَرْني، واللَّه ـ عزوجل ـ يفعل ما يشاء، لا يحول بينه وبين إرادته حائل. فالجواب في ذلك أن العرب إذا أرادت أن تَأْمُرَ الانسان بأَنَّ له همة بأمْرٍ أو بإنْسَانٍ تقول: دعني وزيداً، ليس أنه حال بينه وبَيْنَ زَيدٍ أَحَدٌ، ولكن تأويله لا تَهْتَمَّ بزيدٍ فإني أكفيكه.

وقوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أنكالاً وَجَحِيماً﴾.

الأنكال واحدها نِكْلٌ. وجاء في التفسير أنه ههنا قُيُودٌ مِنْ نَارٍ.

---

(١) سورة المدّثر /١١.

﴿وَطَعاماذا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾.

طعامهم الضريع كما قال عز وجل: ﴿لَيس لهم طعامٌ إلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وهو الشِّبْرَقُ، وهو شوك كالعَوْسَج.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَالُ وَكَانَتِ الجبالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾.

يوم منصوب معلق بقوله ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾، أي ينكل بالكافر ويُعَذِبهُم يوم ترجف الأرض والجبال، وترجف تزلزل وتحرك أغلظ حركة.

﴿وكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾.

والكثيب جمعه الكثبان، وهي القِطَعُ العظام من الرمل، ومعنى مَهِيلاً سَائِلاً قد سَيّلَ، وَأَصْل مَهيل مَهْيُول، يقال تراب مهيل وتراب مهيول أي مَصْبُوبٌ مُسَيَّل، والأكثر مهيل، وإنما حذفت الواو لأن الياء تحذف منها الضمة في مَهْيُول فتسكن هي والواو وتحذف الواو لالتقاء الساكنين وقد شرحنا هذا في مثل هذا الموضع أكثر من هذا الشرح، واختصرنا على ما سلف لاختلاف النحويين فيه، وأنه يطولُ شرحُه في هذا الكتاب.

وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾.

الوبيل الثقيل الغليظ جدا، ومن هذا قيل للمطر الغليظ العظيم وابل.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شَيباً﴾.

المعنى فكيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم، أي بأي شيء تحصنون من عذاب اللَّه [في] يوم من هو له يشيب فيه الصَّغيرُ من غير كبر، وتذهل فيه كل مرضعة عمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، ثم وصف مِنْ هَوْل ذلك اليَوْمِ أَنْ قَالَ:

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِر بِهِ﴾.

أي السماء تنشق به كما قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[1]، وقيل في التفسير: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أي السماء مثقلة بالله عز وجل.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَه وَثُلُثَه﴾.

فمن قرأ نصفَه بالنَّصْبِ وثلثه فهو بيّنٌ حَسَنٌ، وهو تفسير مقدار قيامه لأنه لمَّا قال أدنى من ثلثي الليل، كان نصفه مبيناً لذلك الأدْنَى، وَمن قرأ ونِصْفِه وثُلَثِه، فالمعنى وَتَقُوم ادنى من نصفه وَمِنْ ثُلُثِه.

وقوله: ﴿مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾.

ولم يقل منفطرة، ومنفطرة جائز وعليه جاء: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[2]، ولا يجوز أن يقرأ في هذا الموضع السماء منفطرة. لخلاف المصحف. والتذكير على ضربين أحدهما على معنى السماء معناه السقف، قال الله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً﴾[3]. والوجه الثاني على قوله: امرأة مرضع، أي عَلَى جِهَةِ النَّسَبِ، المعنى السماء ذات انفطارٍ، كما تقول امرأة مرضع أيْ ذات رَضَاعٍ[4].

وقوله: ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾.

النعمة التنعيم، والنِّعْمَةُ اليَدُ الجميلة عِنْدَ الإنسان والصنع من الله تعالى ولو قرئت أولي النعمة لكان وَجْهاً، لأن المنعم عليهم يكونون مؤمنين وغير مؤمنين، قال الله جل ثناؤه: ﴿صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمِ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[5].

---

(١) أول سورة الانشقاق.
(٢) أول سورة الانفطار.
(٣) سورة الأنبياء /٣٢.
(٤) وقال الفراء: السماء يذكر.
(٥) سورة الفاتحة /٧.

وقوله ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ : ﴿وَمَا تُقَدِّمُـوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِـدُوه عِنْد اللهِ هُـو خَيراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾.

معنـاه خيراً لكم من متـاع الدنيا، و«خيراً» منصوب مفعول ثـانٍ لتجدوه، ودخلت «هو» فصلا. وقد فسرنا ذلك فيما سلف من الكتاب، ولو كان في غيـر القـرآن لجاز تجـدوه هو خيـرٌ. فكنـت تـرفـع بهُـوَ، ولكن النصب أجـود في العربية، ولا يجوز في القرآن غيره.

سُورَةُ المُدَّثِر
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها المدَّثِرُ﴾.

القراءة بتشديد، والأصلُ المُتَدَثِّر، والعلة فيها كالعلَّةِ فِي المُتَزمِّل، وتفسيرها كتفسير المزَّمِّل. وقد رويت المُتَدَثِّر - بالتاء -

وقوله عز وجل: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

اي صفه بالتعظيم وأنه أكبرَ، ودخلت الفاء على معنى جواب الجزاء. المعنى قم فأنذر أي قم فكبر رَبَّكَ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّر﴾، مثلها، وتأويل ثيابك فطهر أي لا تكن غادِراً، يقال للغادر دَنَس الثياب، ويكون وثيابك فطهر أي نَفْسَك فطهر، وقيل وثيابك فَطَهِّرْ أي ثيابك فقصر لأنَّ تَقْصِيرَ الثوبِ، أَبعدُ مِنَ النجاسة وأنه إذا انجرَّ على الأرض لم يؤمن أن يُصِيبَه ما ينجسه.

﴿والرِّجْزَ فاهجُرْ﴾.

بكسر الراء، وقرئت بضم الرَّاء، ومعناهما واحد، وَتَأْوِيلُهما اهجر عبادة الأوثان، والرجز في اللغة العذاب، قال اللّه تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزَ﴾(١)، فالتأويل على هذا ما يؤدي إلى عذاب اللّه فاهجره.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾.

أي لا تعط شيئاً مُقَدِّراً أن تأخذ بدله ما هو أكثر منه، وتستكثر حال

---

(١) الأعراف / ١٣٤.

مُتَوَقَّعَةٌ وهذا للنبي ﷺ خاصة وليس على الانسان إثم أن يهدي هديةً يرجو بها ما هو اكثر منها، والنبي ﷺ أدَّبه اللَّه بأشرف الآداب وأجل الأخلاق.

وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَومٌ عَسِيرٌ﴾.

النـاقور الصُّـورُ، وقيل في التفسيـر إنه يعني بـه النفخة الأولى، و﴿يـومٌ عَسِيرٌ﴾ يرتفع بقوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ﴾. المعنى فذلـك يوم عسيـر يوم ينفـخ في الصور و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يجوز أَنْ يكونَ رَفْعاً، ويجوز أن يكون نَصْبـاً، فإذا كـان رفعاً فإنما بني على الفتح لإضافتـه إلى «إذ» لأن «إذ» غير متمكنـة، وإذا كان نصبـاً فهو على معنى فذلك يوم عَسِيرٌ في يوم ينفخ في الصُّور.

وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

قد فسرنا معنى «ذرني» في المزَّمِّل، و«وَحِيداً» مَنْصُوبٌ على الحال، وهو على وجهين. أحدهما أن يكون وحيداً من صفـة اللَّه -عزوجل- المعنى ذَرْنِي ومن خلقته وَحْـدي لم يشـركني في خلقـه أحَـدٌ، ويَكـونُ وحيـداً من صفـة المخلوق، ويكون المعنى، ذرني ومن خلقته وحده لا مالَ له ولا ولَد.

﴿وَجَعَلْتُ له مَالاً مَمْدُوداً، وَبَنِينَ شُهُوداً﴾.

تقديره مال غير منقطع عنه، وقيـل ألف دينار، وبنين شُهُـوداً، أي شهودٌ معه لا يحتاجون إلى أن يتصرفوا ويغيبوا عنه.

وهذا قيل يعنى بـه الوليـد بن المُغِيرَةُ، كان لـه بنون عشـرة وكان مُـوسِراً

وقوله: ﴿سَأُرْهِقُه صَعُوداً﴾.

أي سأحمله على مَشَقَةٍ مِنَ العَذَاب.

قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

معنى - ﴿قُتِـلَ﴾ ههنـا لُعِنَ، ومثله: ﴿قُتِـلَ الخَـرَّاصُـونَ﴾.

وكان الوليد بن المغيرة قال لرؤساء أهل مكة، قد رأيتم هذا الرجل-يعني النبي ﷺ - وعلمتم ما فشا من أمره، فإن سألكم الناس عنه ما أنتم قائلون، قالوا نقول: هو مجنون، قال: إذن يخاطبوه فيعلموا أنه غير مجنون. قالوا فنقول: إنه شاعر، قال: هم العرب يعلمون الشعر ويعْلَمُونَ أَنَّ ما أتى به لَيْسَ بِشِعْرٍ، قالوا: فنقول إنه كاهن، قال الكهنة لا تقول إنه يكون كذا وكذا إن شاء اللَّه وهو يقول إن شاء اللَّه، فقالوا قَدْ صَبَأَ الوليد. وجاء أبو جَهْلٍ ابن أخيه، فقالوا: إن القوم يقولون إنك قد صبوت، وقد عَزَمُوا على أن يجمعوا لك مالاً فيكون عِوَضاً مِمَّا تقدر أَنْ تَأْخُذَ من أصحاب محمد، فقال: واللَّه ما يَشْبَعُونَ، فكيف أَقْدِرُ أَن آخُذَ منهم مَالاً وإنّي لَمِنْ أَيْسَر الناس. ومر به جماعة فذكروا له ما أتى به النبي ﷺ ففكر وعَبَس وجهه وَبَسَر، أي نظر بكراهة شَدِيدَةٍ. فقال: ما هذا الذي أتى به محمد إلاَّ سِحرٌ يأثره عن مُسَيْلمة وعن أهل بابل.

﴿إنْ هَذَا إلاَّ قَوْلُ البَشَر﴾.

أي ما هذا إلا قول البشر.

﴿سَأُصْلِيه سَقَرَ﴾.

﴿سَقَر﴾ لا ينصرف لأنها معرفة، وهي مؤنثة، وسَقَر اسم من أسماء جهنم. ثم أعلم اللَّه تعالى شأن سقر في العذاب فقال:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سقرُ﴾ تأويله وما أعلمك أي شيء سقر فقال: ﴿لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ للبَشَر﴾.

البشر جمع بَشَرةٍ، أي تحرق الجلْدَ حَتَّى يَسْوَدَّ.

﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَر﴾.

أي على سقر تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكاً، وَوَصَفَهُم اللَّه في موضع آخر فقال: ﴿عَلَيْها مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّه ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

الذي حكاه البَصْرِيُّون تسعَةَ عَشَر بفتح العين في عَشَر، وقد قرئت بتسكين العَيْنِ والقراءة بفتحها، وإنما أسكنها من أسكنها لكثرة الحركات، وذلك أَنَّهُمَا اسمَانِ جُعِلاَ اسماً وَاحِداً، ولذلك بُنِيَا على الفتح، وقرأ بَعْضُهم تسعَةُ عَشَر فأعربت على الأصل، وذلك قليل في النحو، والأجود تِسعةَ عَشَر على البناء على الفتح، وفيها وجهٌ آخر «تِسْعَةُ أَعْشُرٍ»، وهي شاذَّة، كأنها على جمع فعيل وأَفْعُل، مثل يَمِين وأَيْمُن.

وقوله تعالى: ﴿وما جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إلاَّ فتنةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أَيْ مِحْنَةً، لأن بعضهم قال بعضنا يكفي هؤلاء.

وقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾.

أي يعلمون أن ما أَتى به النبي عليه السلام مُوَافِقاً لما في كتبهم.

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إيمَاناً﴾.

لأنهم كُلَّمَا صَدقوا بما يَأتي في كتاب اللَّه عز وجل زاد إيمانهم.

﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ والمُؤْمِنُونَ﴾، أَيْ لَا يَشُكُّونَ.

وقوله: ﴿وَمَا هي إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾.

جاء في التفسير أن النار في الدنيا تذكر بالنار في الآخرة.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، ويقرأ ﴿إذا أَدْبَرَ﴾، وكلاهما جَيِّدٌ في العربية، يقال: دبر الليل وَأَدْبَرَ، وكذلك قبل الليل وَأَقْبَلَ، وقد قرئت أيضاً ﴿إذا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إذا أسفر﴾ بإثبات الألف فيهما.

---

(١) سورة التحريم /٦.

وقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ، نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾.

هـذه الهاء كنـاية عَنِ النَّـارِ، أَي انها لكبيـرة في حَالِ الإنـذار، وَنَصْبُ ﴿نَذيراً﴾ على الحال، وذَكَّر نَـذِيراً لأنَّ مَعْنَـاهُ معنى العَـذَابِ، ويجـوز أن يكـون التذكير على قـولهم امرأة طـاهر وطـالق، أي ذات طلاق! وكـذلك نـذير ذات إنْذَارٍ، ويجوز أَنْ يَكُونَ نَذِيراً مَنْصُوباً مُعَلَّقا بـأَوَّلِ السُّورَةِ على معنى قم نـذيراً للبشرِ.

وقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

أي أن يتقدم فيما أمر به أو يتأخر، فقد أنذرتم.

قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّا أَصْحَابَ اليَمِينِ﴾.

قيل أصحابُ اليمين الأَطْفَالُ لأنهم لا يسألون، تفضل اللَّه عليهم بأن أعطاهم الجنَّـةَ، وكل نفْسٍ رَهِينَـةٌ بِعَمَلِهَا إِمَّـا خَلَّصَهَا وإمَّـا أَوْبَقَهـا، والتخليص مـع عملهـا بتفضل اللَّه.

وقوله عز وجل: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ﴾، أَي نَتَّبعُ الغاوِينَ.

وقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.

يعني الكفَّار وفي هذا دليل أن المؤمنين تنفعهم شفاعة بعضهم لِبَعْضٍ.

وقوله: ﴿فما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

منصوب على الحال.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ﴾، وقرئت مُسْتَنْفَرَةٌ، قال الشاعر:[1]

---

(١) يـريـد اتجهن الى غـرب، وهـو جبـل في بـلاد بني كلب ـ والبيت في اللسـان (نفـر) اربــط. وفي القرطبي ١٩/٨٧، ومعاني الفراء ٣/٢، ٢٠٦.

أَمْسَــك حِمَــارَك انــه مُسْتَنفِــرٌ   فـي إثــر أحمــرة عَمَــدْن لِغُــرَّبِ

وقوله :﴿فَرَّت مِنْ قَسْـوَرَةٍ﴾.

القسورةُ الاسَدُ، وقيل أيْضاً القَسورَةُ الرُّمَاةُ الذين يَتَصَيَّدُونَها.

وقوله:﴿بَلْ يُرِيدُ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُـم أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرةً﴾.

قيل كانوا يقولون: كان أمن أذنب من بني اسْرَائِيلَ يجد ذنبه مكتـوباً من غَدٍ عَلَى بَابِه فما بالنا لا تكون كذلـك. وَقَدْ جَـاءَ في القرآنِ تَفْسِيـرُ طَلَبِهِمْ في سورة بني اسرائيل في قوله:﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ﴾(١).

وقوله:﴿هُوَأَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾.

أَي هو أهل أَنْ يُتَّقَى عِقَابُه، وأهل أَنْ يُعمل بما يؤدي إلى مغفرته.

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩٣.

سُورَةُ القِيَامَةِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

لا اختلاف بين الناس أن معناه أُقسِمُ بيوم القيامَةِ، واختلفوا في تفسير «لَا»، فقال بعضهم «لا» لَغوٌ وإن كانت في أول السورة، لأن القرآن كله كالسُّورَةِ الوَاحِدَةِ، لأنه مُتَّصِلٌ بَعْضُه بِبَعْضٍ فجعلت «لا» ههنا بمنزلتها في قوله:﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ﴾[1]، وقال بعض النحويين: «لَا» رَدٌّ لِكَلَامِهِمْ، كَأَنهم أنكروا البعث فقيل لا ليس الأمر كما ذَكَرْتُمْ أقسم بيوم القيامة وقوله: ﴿إنكم مَبْعُوثُونَ﴾[2]. دَلَّ على الجواب.

قوله:﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾.

المعنى بلى لَنَجْمَعَنَّكُمْ قَادِرِين، المعنى أقسم بيوم القيامة والنفس اللَّوَّامَةِ لَنَجْمَعنَّها قَادِرِينَ عَلَى أن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ.

وجاء في التفسير بلى نقدر على أن نجعله كخُفِّ البَعِيرِ. والذي هو أشكل بجمع العِظَامِ بلى نَجْمَعُها قَادِرِينَ عَلَى تَسْوِيَةِ بَنَانِه على ما كانت، وإن قَلَّ عِظَامُهَا وَصَغُرت وبلغ مِنها البِلَى.

والنفس اللوامة تفسيرها أن كل نفس تلوم صاحبها في الآخِرَةِ إن كان عَمِلَ شرًّا لَامَتْه نفسه وان كان عمل خَيراً لامته على ترك الاستكثار منه.

---

(١) سورة الحديد / ٢٩. (٢) سورة هود / ٧.

وقوله:﴿بَلْ يُرِيدُ الإنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾.

معناه أَنَه يُسوِّفُ بالتوبة، ويُقَـدِّم الأعمال السَّيئَـة، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون معناه ليكفرَ بِمَا قُدَّامَهُ. ودليل ذلك قوله:﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القيامةِ﴾.

فيفجر أمامه على هذا وهو ـ واللَّه أعلم ـ يُكَذِّبُ بما قُدَّامَه مِنَ البَعْثِ.

وقوله:﴿فإذا بَرِقَ البَصَرُ﴾.

ويقرأ ﴿بَرَقَ البَصَـرُ﴾، فمن قرأ بَـرِق فمعناه فَـزِعَ وَتَحَيَّرَ، وَمَن قَـرَأَ بَرَقَ فهو من بَرَقَ يَبْرُقُ. مِنْ بَرِيق العَيْنَيْنِ.

وقوله : ﴿وَخَسَفَ القَمَرُ﴾ أي ذَهَبَ ضَوْءُ القَمَرِ.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ﴾ أَيْ جُمِعَا فِي ذَهَابِ نُورِهما.

﴿يقول الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ﴾.

وَيُقْرَأُ أين المَفِرُّ ـ بكسر الفاء ـ فمن فتح فهو بمعنى أين الفِـرَارُ، ومن كسر فعلى معنى أين مكان الفِرار، والمَفْعَلُ مِن مِثْل جَلَسْتُ بفتح العَيْنِ، وكذلك المصدر، تقول: جَلَسْتُ مَجْلَساً ـ بفتح اللام ـ بمعنى جُلُوساً، فإذا قلت جَلَسْتُ مَجْلِساً، فأنت تريد المكان.

ثم أعلم تعالى أنه لاَ حِرْزَ لَهُم ولا مَحِيصَ فقال :﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾.

الـوَزَرُ في كلام العَـرَبِ الجَبَلُ الَّـذِي يلجأ إليـه: هذا أصله، وَكُـلُّ مـا التجأت إليه وَتَخَلَّـصْتَ به فَهُوَ وَزَرٌ.

وقوله:﴿بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

معناه بل الإنسـان تشهد عليـه جوارحـه، قال اللَّه عـز وجل :﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيـدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَاكَانُوا يَعْمَلُون﴾[1]،وقال في موضـع آخـر:

---

(١) سورة النور / ٢٤.

﴿[حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا] شَهِدَ عَلَيْهِم سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. فأعلم اللَّه أن هذه الجوارح التي يتصرفون بها شواهد عليهم.

قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ ولو أدلى بكل حُجَّةٍ عِنْدَهُ، وجاء في التفسير المعاذير السُّتور، وَاحِدُها مِعْذار.

وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

كان جبريل عليه السلام إذا نزل بالوحي على النبي ﷺ تلاه النبي عليه السلام عليه كراهة أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ، فأعلم اللَّه - عزوجل - أنه لا ينسيه إيَّاهُ وَأنه يجمعه في قلبه فقال:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

أي إن علينا أن نُقْرِئَكَ، فَلَا تَنْسَى، وعلينا تلاوته عليك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرآنَهُ﴾.

أي لا تعجل بالتلاوة إلى أن تقرأ عليك مَا يُنْزَلُ فِي وَقْتِهِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

أي علينا أن ننزله قرآناً عربياً غير ذي عوج، فيه بيان للناس.

قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

نُضِّرَت بِنَعِيمِ الجَنَّةِ والنَّظَرِ إلى رَبِّهَا، قال اللَّه - عز وجل -: ﴿تعرف في وُجُوهِهِمْ نَضرَةَ النَّعِيم﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بها فَاقِرةٌ﴾.

﴿بَاسِرَة﴾ كريهةٌ مقطبة، قد أيقنت بأن العذاب نازل بها.

ومعنى: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَل بها فَاقِرةٌ﴾.

(١) سورة فصلت / ٢٠.

توقن أن يفعل بها داهية من العذاب.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾: رَدْع وتنبيه، ومعناه ارْتَدِعُوا عما يؤدي إلى العذاب.

وقوله جل وعز: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾.

ذكرهم اللَّه بصعوبة أول أيام الآخرة عند بلوغ النَّفْس التَّرْقُوَةِ.

﴿وقيل مَنْ رَاقٍ﴾،

أي من يشفي من هـذه الحال، وهـذا ـ واللَّه أعلم ـ يقولـه القائـل عِنْـدَ البـأْسِ، أي من يَقْدِرَ أَنْ يَـرْقِيَ مِنَ الموْتِ. وقيـل في التفسير: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ مَن يَرْقَى بِرُوحِه أَمَلَائكةُ الرحمة أم ملائكة العذاب.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الفِرَاقُ﴾.

أَيْ وَأَيْقَنَ الذي تَبلغ روحه إلى تراقيه أنه مفارق للدنيا.

﴿والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ﴾.

عند الموت تلتصق السَّاق بالسَّاقِ قيل والتفت آخر شدة الدنيا بـأول شِدَّةِ الآخرة.

وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾.

يعنى به أبو جهل بن هشام. وجاء في التفسير أَنَّ لكل أُمَّةٍ فِرْعَوْنـاً، وأَن فِرْعَونَ هذه الأُمَّةِ أَبُو جَهْلٍ بن هشام.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِه يَتَمَطَّى﴾، معناه يتبختَر، مأخُوذٌ من المطا وهو الظهر.

وقوله: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾.

معنـاه ـ واللَّه أعلم ـ وَلِيَكَ المكـروه يا أبـا جهل، والعـرب تقـول أولى لفلان إذا دعت عليه بالمكروه.

﴿أَيَحْسَبُ الانْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.

أي أن يترك غير مَأْمُورٍ وغيـر مَنْهِيٍّ، ثم دلهم على البعث بالقـدرة على الابتداء فقال:

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ تُمْنَى﴾.

وقـرئت ﴿يُمْنَى﴾، فمن قرأ تمنى فللفظ النـطفـة، ومَنْ قـرأ يمنى فللفظ مَنِيّ.

﴿ثم كان عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾.

ثم قررهم فقال:

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾.

سُورَةُ الانْسَانِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قـوله عـز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِيـنٌ مِنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيئـاً مَذْكُوراً﴾.

المعنى ألم يأت عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، وقد كان شيئاً إلاَّ أَنَّهُ كَانَ تُرَاباً وَطِيناً إلى أن نفخ فيه الروح فلم يكن قبـل نفخ الروح فيه شيئاً مَذْكُوراً، ويجوز أن يكون يعنى به جميع الناس، ويكون المعنى أنهم كانوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً إلى أن صاروا شيئاً مَذْكُوراً﴾.

ومعنى ﴿هَلْ أتى﴾ قد أتى على الانسـان، أي ألم يأت على الإِنْسَـانِ حين من الدهر.

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾.

﴿أمشـاج﴾ أخـلاط مَنِي ودم، ثم ينقـل مِنْ حَـالٍ إلى حَـالٍ، وَوَاحِـدُ الأمشاج مَشَجٌ، ومعنى نبتليه نختبره يدل عليه: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

أي جعلناه كذلك لنختبره.

قوله:﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾.

معناه هديناه الطريق إما لِشَقوةٍ وإما لِسَعَادَةٍ.

وقوله:﴿سَلَاسِلَ وأَغْلَالاً وَسَعِيراً﴾.

الأجود في العربية الا يُصْرَف سَلَاسِلَ، ولكن لما جُعِلَتْ رَأْسَ آيَةٍ صرفت ليكون آخر الآي على لفظٍ وَاحدٍ.

قوله:﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾.

الأبرار واحدهم بَرٌّ.

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾.

يجوز في اللغة أن يكونَ طَعْمُ الطيب فيها والكَافُورِ، وجائز أن يمزج بالكافور فلا يكون في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم فيما يأكلون ويشربون ضَررٌ ولا نَصَبٌ، والكأس في اللغة الإناء إذا كان فيه الشَّرَابُ، فإذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كأساً، قال الشاعر(١):

صددت الكأس عنا أم عمرٍ وكان الكاس مجراها اليمينا

وقوله:﴿عيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.

﴿عيناً﴾ جائز أن يكون من صفة الكأس، والأجود أن يكون المعنى من عَيْنٍ.

قوله:﴿يُفَجِّرُونَها تَفجيراً﴾.

معناه تجري لهم تلك العينُ كما يُحِبُّون.

قوله: ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾: معناه يبلغ أقصى المبالغ فيه.

قوله:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً﴾.

---

(١) لعمرو بن كلثوم من معلقته. البيت الخامس منها ـ ويروى صببت الكأس. أي صرفتها. انظر شرح الزوزني ص ١٢٠ (ط صبح).

هـذه الهاء تعـود على الطعـام، المعنى يطعمـون الطعـام أشد مـا تكون حاجتهم إليه للمسكين، وَوَصَفُهُم اللَّه بالأثرة عَلَى أَنْفُسِهِم.

﴿وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾.

الأسير قيل كان في ذلك الوقت من الكُفَّار، وقَـدْ مُدِحَ من يـطعم الأسير وهـو كافـرٌ، فكيف بأَسَـارَى المسلمين. وهـذا يـدل عَلَى أَنَّ في إطعـام أهـل الحبوس ثواباً جزيلا، وأَهْل الحبوس أُسَرَاء.

وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً﴾.

المعنى يقولون إنما نطعمكم لوجه اللَّه، أي لطلب ثواب اللَّه ـ عز وجل ـ وجـائـز أن يكونوا يطعمون ولا ينطقونَ هـذا القول ولكن معنـاهـم في أطعَامِهم هـذا، فَتُرْجِمَ مَـا في قُلُوبِهِم، وكـذلـك: ﴿إِنَّا نَخَـافُ مِنْ رَبِّنَـا يَـوْمـاً عَبُـوسـاً قَمْطَرِيراً﴾.

العبوس الذي يُعَبِّسُ الـوُجُوهَ، وهـذا مثل قـوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِـذٍ باسِرَةٌ﴾. وقَمْـطَرِيراً، يقـال يوم قمـطرير ويـوْمٌ قُماطـر إذا كان شَـديداً غليـظاً، وجاء في التفسير أن قمطريرا معناه تَعْبسُ فَيجمَـعُ مَا بينَ العينين وهـذا سائـغ في اللغة، يقال اقمَطَرَّتْ النَّاقَةُ إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وَرَمَتْ بأنفها.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾.

واحـدتها أريكـة، وجـاء في التفسيـر أَنَّهَـا من الحِجَالُ فيها الفرش وفيهـا الأَسِرَّةُ. وفي اللغة أن كـل متكأ عليـه فَهُوَ أَرِيكَةٌ، ونصب ﴿متكئين﴾ على الحال المعنى وجزاهم جنة في حَالِ اتكائهم فيها. وكذلك: ﴿وَدَانِيَةً عليهم ظِلَالُهَا﴾. وجـائز أن يكـون دانية نعتـاً للجنة، المعنى وجـزاهم جنة دانيـة عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَـا ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾.

هذا كقوله تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾، وقيل كلما أرادوا أَنْ يَقْطَعُوا شيئاً منها ذُلِّلَ لَهُمْ، ودنا منهم قُعُوداً كانوا أَوْ مُضْطَجِعينَ أَوْ قِياماً.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوارِيراً، قَوَرِيرَا﴾.

قرئت غير مصروفة، وهذا الاختيار عند النحويين البصريين لأنَّ كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. وقد فسرنا ذلك فيما سلف من الكتاب، ومَن قرأ قواريراً فصرف الأول فلأنَّهُ رأسُ آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بآخرَ آية، ومن صرف الثاني اتبع اللَّفْظَ اللفظ، لأن العرب رُبَّما قَلَبَتْ إعراب الشيء ليتبع اللفظ اللفظ، فيقولون: هذا جُحْر ضَبٍّ خَربٍ، وإنما الخرب من نعت الجُحْرِ، فكيف بما يترك صرفه، وجميع ما يترك صرفه يجوز صرفه في الشِّعْرِ.

ومعنى ﴿قواريرَ مِنْ فَضَّةٍ﴾، أصل القوارير التي في الدنيا من الرمل، فأعلم اللَّه أن فضل تلك القوارير أن أَصْلَها مِنْ فِضَّةٍ يرى من خارجها مَا فِي دَاخِلها

ومعنى: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً﴾.

أَي جُعِلَتْ بكون الإناء عَلى قَدْرِ ما يحتاجون إليه ويُرِيدُونَهُ، وَقُرِئَتْ قَدِّرُوهَا تَقْدِيراً. أي جعلت لهم على قدر إرادتهم.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً﴾.

أي يجمع طعم الزنجبيل، والعرب تصف الزنجبيل، وهو مستطاب عندها جداً قال الشاعر:[1].

كان القَرَنْفُلَ الزنجبيل بأتايفيها وأَرْياً مَشُوراً

فجائز أن يكون طعم الزنجبيل فيها، وجائز أن يكون مزاجها وَلَا غائِلَةَ لَهُ كما قلنا في الكافور.

---

(١) الأعشى ـ وتقدم بعض من هذه القصيدة.

وقوله: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾.

المعنى يسقون عيناً، وسَلْسَبِيـل اسم العَيْن إلَّا أنه صـرف لأنه رأس آية، وسَلْسَبيل في اللُّغَةِ صفَةٌ لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين ـ واللَّه أعلم ـ سميت بصفتها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾.

أي يخدمهم وصفاء مُخَلَّدونَ، وتأويل مخلَّدين أي لا يجـوز واحد منهم حَـدَّ الوَصَـافَـة أَبـداً هو وصيف، والعـرب تقول للرجـل الذي لا يشيبُ: هـو مُخَلَّدٌ. ويقال مُخَلَّدون مُجَلَّون عليهم الحُلَى، ويقال لجماعة الحلى الخَلَدَةُ.

وقوله: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾.

أي هم في حسن ألوانهم وصفائها كاللؤلؤ المنثور.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾.

جاء في التفسير أنه «ملكا كبيراً» أنهم تسلم عليهم الملائكة، وجَاء أَيضاً تستـأذن عليهم الملائكـة، وَثَمَّ يعنَى بـه الجنـة، والعـامـل في ثم مَعْنَى رَأَيْتَ، المعنى وَإِذَا رأيت ببصرك ثَمَّ، وقيل المعنى وإذا رأيت مَا ثَمَّ رَأَيتَ نَعِيماً وهذا غَلَطٌ لان ما موصولة بقوله ثَمَّ على هـذا التفسير ـ ولا يجـوز إسقاط المـوصول وترك الصلة، ولكن «رأيت» يتعدى في المعنَى إلى ثَمَّ.

وقوله: ﴿عَالِيْهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾.

بإسكان الياء، وَقُرِئَتَ عَالِيَهُمْ ـ بفتح الياء ـ وقـرئت عَلَيْهم ـ بغير ألف ـ ثِيابُ سُنْدِسٍ. وهذه الثلاثة توافق المصحف وكلها حسن في العربيـة، وقـرئ على وجهين غير هذه الثلاثة. قرئت عَالِيَتُهمُ ثيابُ سُنْدِسٍ ـ بالرفـع والتأنيث ـ وَعَـالِيَتَهُمْ بالنَّصْبِ ـ وهـذا الوجهـان جيّـدان في العـربيـة إلاَّ أَنَّهُمَـا يخـالفـان

المصحف، ولا أرى القراءة بهما، وقراء الأمصار ليس يَقْرَأُونَ بِهِمَا. فأما تفسير إسكان عَالِيهِمْ باسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكون خبره «ثياب سندس خُضر»، ومن نَصَبَ فقال: عَالِيَهُمْ بفتح الياء، فقال بعض النحويين إنه ينصبه على الظَّرْفِ، كما تقول فوقَهُم ثيابٌ، وهذا لا نعرفه في الظروف، ولو كان ظرفاً لم يَجُزْ إسكان الياء. ولكن نصبه على الحال من شيئين أحدهما من الهاء والميم، المعنى يطوف على الابرار ولدان مُخَلَّدُونَ عَالِياً الأبْرَارَ ثيابُ سندس لأنه وقد وصف أحوالهم في الجنَّةِ، فيكون المعنى يطوف عليهم في هذه الحال هؤلاء. ويجوز أن يكون حالا من الولدان، المعنى إذا رَأَيْتَهُمْ حسبتهم لُؤلُؤاً منثوراً في حال علو الثياب إياهم، فالنصب على هذا بين. فأما «عَلَيْهم ثياب سُنْدُسٍ» فرفع كقولك عليك مَالٌ فترفعُهُ بالابتداء، ويكون المعنى وثياب سندس عليهم. وتفسير نصب عاليتهم ورفعها كتفسير عاليهم.

والسندس الحرير. وقد قرئت خُضرٌ وخُضْرٍ، فمن قرأ﴿خُضرٌ﴾ فهو أحسن لأنه يكون نعتاً للثياب، فلفظ الثياب لفظ الجميع، وخُضْرٌ لفظها لفظ الجمع. ومن قرأ خُضْرٍ فهو من نعت السندس، والسُّنْدُسُ في المعنى راجع إلى الثياب، وقرئت ﴿وإسْتَبْرَقٌ﴾ وهو الدِّيبَاج الصَّفِيق الغليظ الخشن. وقرئت بالرفع والجر. فمن رفع فهو عطف على ثياب المعنى عليهم استبرق، ومن جر عطف على السندس، ويكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النوعين ثياب سندس واستبرق. وقرئت واستَبْرَقَ على وجهين غير هذين الوجهين، كلاهما ضَعِيف في العربية جدًّا، قرئت واستبرق وَحُلُّوا - بنصب استبرق - وهو في موضع الجر ولم يصرف، قرأها ابن مُحَيصِن، وزعموا أنه لم يصرفه لأن استبرق اسم أعجميٌّ، وأصله بالفارسية استبره، فلما حول إلى العربية لم يصرف وهذا غلط لأنه نكرةٌ ألا ترى أن الألف واللام يدخلانه، تقول: السندس والاستبرق. والوجه الثاني، وآستبرَق وَحُلُّوا - بطرح الألف - جعل الألف ألف

وصـل، وجعله مُسمًّى بالفعـل من البريق، وهـذا خطأ لأن الاستبـرق معـروف معلوم أنه اسم نُقِل من العجمية إلى العربية كما سمي الـديباج وهـو منقول من الفارسية.

قوله عز وجل: ﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾.

جاء في التفسير أنهم إذا شربوه ضمِرَت بُطُونُهم وَرَشَحَتْ جُلُودَهم عرقـاً كرائحة المسك، وقيل إنه طهور ليس برجس كخمر الدنيا.

قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُم آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

أو ههنا أوكد من الواو، لأن الواو إذَا قُلتَ: لا تـطع زيداً وعَمـراً فأطـاع أحدهما كان غير عاص، لأنه أمره ألَّا يطيع الاثنين. فإذا قـالَ ولا تطع آثمـا أو كفورا فـ «أو» قد دلت على أنَّ كلَّ واحد منهما أهل لأن يعصى، وكمـا أنك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابن سيرين، أو: اتبع الحسن او ابن سيرين، فقد قلت: هذان أهل ان يُتَّبَعَا، وكل واحد منهما أهلٌ وقد فسرنا مثـل هذا التفسيـر في غَيْرِ هذا الحرف في أول سورة البقرةِ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً﴾[1] إلى آخر الآية ـ وَبَعْدَ ذلك ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾[2] وتأويله مِثْلُهُم لأنك إنْ جَعَلْتَ مثلهم كمثل الـذي استوقـد ناراً، أَو مَثَّلتَهُم بـالصَّيب أَوْ بِهِمَا جميعاً فأنت مُصِيبٌ.

وقوله عز وجل: ﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

الأصيلُ العَشِيُّ، يقال: قَدْ أَصَلْنَا إذا دخلوا في الأصيل، وهو العشِيُّ.

قوله: ﴿نَحْنُ خَلَقناهم وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾.

﴿أسرهم﴾ خلقهم جاء في التفسير أيضاً مَفَاصِلُهُمْ.

---

(١) سورة البقرة /١٧.

(٢) سورة البقرة /١٩.

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

أي لستم تشاءون الا بمشيئة اللّه.

﴿والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

نصب الظالمين لأن قبله مَنْصُوباً، المعنى يدخل من يشاء في رحمته ويعذبُ الظالمين أعدَّ لهم عَذَاباً أليما، ويكون أَعدَّ لَهُمْ تفسيراً لهذَا المضمر، وقرئت «والظالمون» ولا أرى القراءة بها، من وجهين أحدهما خلاف المصحف، والآخر إن كانت تجوز في العربية على أن يرفع الظالمين بالابتداء، والذي بعد الظالمين خبر الابتداء، فإن الاختيار عند النحويين البصريين النصب، يقول النَحْوِيُونَ اعطيت زيداً وعَمْراً أَعَدَدْتُ له بُرًّا، فيختارون النصب على معنى وَبَرَرْتُ عَمراً وَأبر عَمراً أعددت له بُرًّا، فلا يختارون للقرآن الاَّ أَجْوَد الوجوه، وهذا مع موافقة المصحف.

سورة انمرسلات
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قال أبو إسحاق: قوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿والْمُرْسَلَاتِ عُرْفاً﴾.

جاء في التفسير أنها الرِّيَاحُ أرسلت كعرف الفرس، وكذلك: ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً، والنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾، الرياح تأتي بالمطر كما قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه﴾.

وقوله: ﴿فالْفَارِقَاتِ فَرْقاً﴾.

يعنى به الملائكة جاءت بما يفرق بين الحق والبَاطلِ، وكذلك ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكراً﴾.

يعنى الملائكة. وقيل في تفسير ﴿والمرسلات﴾ أنها الملائكة أرسلت بالمعروف، وقيل إنها لعرف الفرس. وقيل - ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ الملائكة تعصف بروح الكافِر؛ والباقي إلى آخر الآيات يعنى به الملائكة أيضاً.

وفيه وجه ثالث، ﴿والمبرسلات عرفاً﴾ يعنى به الرسل، ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ الرياح، ﴿فالناشرات نشراً﴾ الرياح، ﴿فالفارقات فرقاً﴾ على هذا التفسير الرسل أيضاً، وكذلك ﴿فالملقيات ذِكراً﴾.

وهذه كلها مجرورة على جهة القسم، وجواب القسم ﴿إِنَّ مَا تُوعَدون

لَـواقِعٌ﴾؛ وقال بعض أهل اللغة: المعنى ورب المرسلات، وهذه الأشياء كما قال: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾.

وقرئت عَرْفاً وَعُرفاً والمعنى واحد في العرف والعرف.

وقوله: ﴿ عُذْراً أَو نُذْراً ﴾.

وقرئت عُذُراً أَو نُذُراً. فمعناهما المصدَرُ، والعذْرُ والعُذارُ بمعنى وَاحِدٍ، ونصب ﴿عذراً أونذراً﴾ على ضربين أحدهما مفعول على البـدل من قولـه ذِكراً، المعنى فالملقيات عذراً أو نُذْراً، ويكون نصباً بِذِكراً، فـالمعنى فالملقيـات أن ذكرت عذراً ونذراً.

ويجوز أن يكون نصب عُذْراً أَو نُذْراً على المفعـول له، فيكـون المعنى فالملقيات ذكراً للاعذار والانذار.

وقوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: معناه أُذْهِبَتْ وغُطّيَتْ.

﴿وإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾.

معناه شُقَّت كما قال عز وجل: ﴿إذا السماء انشقت﴾[1].

﴿وإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ﴾.

ذهب بهـا كلهـا بسـرعـة، يقـال انتسفت الشيء إذَا أَخذته كله بسرعة.

﴿ وإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾.

وقرئت وقتت بالـواو، والمعنى واحد، فمن قـرأ أقتـت بالهمز فإنـه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو، فكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمةً جاز أن تبدل منها همزة، ومعنى وقتت جعل لها وقت وأجل.

قوله: ﴿لأَيّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾.

---

(١) أول سورة الانشقاق.

ثم بَيَّنَ فقال: ﴿لِيَوْمِ الفَصْلِ﴾: أي أُجِّلَتْ القضاء فيما بينها وبين الأمم ليوم الفصل.

قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ مرفوع بالابتداء. و﴿للمكذبين﴾ الخبر، ويجوز في العربية وَيْلاً يَوْمَئِذٍ ولا يجيزه القراء لمخالفة المصحف.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلين، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخَرِينَ﴾.

على الاستئناف، ويقرأ ثم نتبعْهم ـ بالجزم ـ عطف على نهلك، ويكون المعنى ألم نهلك الأولين أي أَوَّلاً وَآخِراً. ومن رفع فعلى معنى ثم نُتبع الأول الآخر من كل مجرم.

قوله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ﴾.

موضع الكاف نصب، المعنى مثل ذلك نفعل بالمجرمين.

قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾.

﴿كفاتاً﴾ ذات جمع، المعنى تضمهم أحياء على ظُهُورِها، وأمواتاً في بطنها، و﴿أحياء﴾ منصوب بقوله ﴿كِفَاتَاً﴾، يقال كفت الشيء أكفته إذا جمعته وضممته.

﴿وَجَعَلْنَا فيها رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾.

أي جبالاً ثوابت، يقال رسا الشيء يَرْسُو إذَا ثبت، وشامخات مرتفعات.

﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾، أي عَذْباً.

قوله: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

يعنى النار لأنهم كذَّبوا بالبعث والنشور والجنة والنار.

﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾.

يعنى بالظل ههنا دُخَانُ جَهَنَّمَ، ثم أعلم عز وجل أنه ليس بظليل ولا يدفع من لهب النار شيئاً فقال: ﴿لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ. إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾.

جاء في التفسير أنه القصرُ مِنْ هذِه القُصُورِ، وقيل القصر جمع قصرةٍ، وهو الغليظ من الشجر، وقرئت كالقَصَرِ ـ بفتح الصاد ـ جمع قصرة أي كأنها أعناق الإبِلِ.

وقوله: ﴿كأنه جِمَالاَتٌ صُفْرٌ﴾.

يقرأ جِمَالاتٌ وجمالاتٌ، ـ بضم الجيم وكسرها ـ يُعْنَى أن الشرر كالجمال السُّودِ، يقال للابل التي هي سود تضرب إلى الصُّفْرَةِ: إبل صُفْرٌ، فمن قرأ جمالات بالكسر فهو جمع جِمَال، كما تقول بُيُوتٌ وبيوتاتٌ وهو جمع الجمع، ومن قرأ جُمَالاتٌ بالضم فهو جمع جمالة، وهو القَلْسُ من قلوس سفن البحر، ويقال كالقَلْسِ من قلوس الجسر، ويجوز أن يكون جمع جَمَلٍ وجمالٍ وجمالات، كما قيل رجال جمع رجل، وقرئت جِمَالَةٌ صُفْرٌ على جمع جمل وجمالة كما قيل حجر وحجارة، وَذَكَر وذِكارة، وقرئت جماله صُفْرٌ على ما فسّرنا في جُمَالاَت.

وقوله: ﴿هَـذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ، وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

يوم القيامة له مواطن ومواقيتُ، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها.

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ﴾.

أي هذا يوم يفصل فيه بين أهل الجنة والنار وأهل الحق والبَاطِلِ.

وقوله: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ههنـا إضمار القـول، المعنى أن المتقين في ظلال وعُيُـونٍ وفواكـه مِمَّـا يَشْتَهُونَ يقال لهـم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾.

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾.

إذا أمروا بالصَّلَاةِ لَمْ يُصَلُّوا.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

أي فبأي حديث بعد القرآن الذي أتاهم فيـه البيان وأَنَّـهُ مُعْجِزَةٌ وهـو آية قائمة، دليلة على الاسلام مما جاء به النبي عليه السلام.

سُورَةُ النَبَأ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ .

أصله عن ما يتساءلون. فأدْغمت النون في الميم، لأن الميم تشرك النُّونَ في الغُنَّةِ في الأنف، وقد فسرنا لم حذفت الألف فيما مضى من الكتاب، والمعنى عن أي شيء يتساءلون، فاللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى تفخيم القصة كما تقول: أي شيء زَيْدٌ. ثم بيَّن فقال:

﴿عَنِ النَّبَأِ العَظِيم ﴾.

قيل هو القرآنَ، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النبي ﷺ. والذي يدل عليه قوله:﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾يدل على أنهم كانوا يَتساءلون عن البعث.

وقوله:﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ﴾.

وقرئت: كلا ستعلمون بالتاء، والَّذي عليه القراء: كلا سيعلمون بالياء، وهو أجود، والتاء تروى عَنِ الحَسنِ.

وقوله:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً ﴾.

وقرئت مَهْداً، وأكثر القراء يقرأونها مِهاداً، والمعنى واحد وتأويله إنّا ذللناها لهم حتى سكنوها وساروا في مناكبها.

وقوله:﴿وَخَلقناكم أزواجـاً﴾.

خلق الذَّكَرَ والأنثى، وقيل أزواجاً أي ألوانـاً.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾.

والسُّبَاتُ أن ينْقطع عن الحركة والروحُ في بدنه، أي جعلنا نومكم راحة لكم،

﴿وجعلنـا الليل لِبَاسـاً﴾، أي تسكنون فيه وهو مشتمل عليكم

﴿وَبَنْيَنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾: أي سبعَ سمواتٍ.

﴿وجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾.

أي جعلنا فيها الشمس سراجاً، وتأويل ﴿وهَّاجاً﴾ وَقَّاداً.

﴿وأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾.

المعصرات السحائب لأنها تعصر الماء وقيل المعصـراتِ كما يقـال: قد أَجَزَّ الزَّرْعُ فهو مُجَزٌّ إذا صار إلى أن يمطر. وقد أَعْصَر، ومعنى ثجاج صباب.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً﴾.

كـل ما حصـد فهو حَبٌّ، وكـل ما أكلتـه الماشيـة من الكلأ فهـو نَبَاتٌ.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾.

أي وبسـاتين ملتفة، فـأعلم اللَّه ـ عـز وجـل ـ مـا خلق وأنـه قـادِرٌ على البعث فقال:

﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّـورِ﴾ بدل من يوم الفصل، إن شئت كان مُفسِّراً ليـوم الفصلِ. وقد فسرنا الصور فيما مضى.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾: أي تأتي كل أمة مع إمَامِهِمْ.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾، أي تشققت كما قال عز وجل: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[١] ﴿إذا السماء انشقت﴾[٢].

وقوله: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً. [للطَّاغِينَ مَآباً]﴾.

أي يَرْصُدُ أَهلَ الكفر ومن حق عليه العذاب.

تكاد تميز من الغيظ، فلا يجاوزها من حقت عليه كلمة العذاب.

ومعنى «مآباً» إليها يرجعون.

وقوله: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾.

وَلَبِثِينَ، يقال: لبث الرَّجل فهو لابث، ويقال: هو لبث بمكان كذا أي صار اللبث شَأْنَهُ[٣]. والأحقاب واحدها حُقْب، والحقب ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً، وكل يوم مقداره ألف سنة من سني الدنيا، والمعنى أنهم يلبثون أحقاباً لَا يَذُوقُون في الأحقاب برداً ولا شراباً، وهم خالدون في النار أبداً كما قال عز وجل:﴿خَالدين فيها أبداً﴾.

ومعنى:﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً﴾.

قيل نوماً، وجائز أن يكون لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدَ رِيحٍ وَلَا ظِلٍّ وَلَا نَوْمٍ.

﴿إلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾.

أي لا يذوقون فيها إلاّ حميماً وهو في غاية الحرارة.

---

(١) أول سورة الانفطار.

(٢) أول سورة الانشقاق، وفي الأصل «فإذا» وهو خطأ.

(٣) لبثَ كسمع ـ لازم ـ مصدره اللَّبْثُ بفتح اللام. وبضم، وفتح الباء فيقال اللبَثُ، واللِّبَاث، واللُّبَاث، بكسر وضم اللام. وهي مصادر شاذة لأن مصدر اللازم المكسور العين يكون على فعل ـ مثل فَرَح، واسم الفاعل لابث ولَبِثٌ ـ كفرح ـ وألبثه ولبَّثه، واللُّبثة التوقف كالتلبث.

والغَسَّاقُ: قيل ما يَغْسِقُ من جُلُودهم، أي يسيل، وقيل: الغسَّاق الشديد البَرْدِ.

﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾.

أي جُوزُوا وَفْق أعمالهم.

﴿إِنَّهُم كانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَاباً﴾.

أي لا يؤمنون بالبعث وَلَا يَأَنَّهُمْ يُحَاسَبُونَ، ويرجون ثواب حساب[1].

﴿وَكَذَّبُوا بآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾.

هذا أكثر القراءة، وَقَدْ قُرِئَتْ كذَاباً بالتخفيف، وكذَّابا بالتَّشْدِيدِ أكثر، وهو في مصادر فعَّلْتُ أجود من فِعَالٍ، قال الشاعر:

لقد طال مَا رَيَّثَتْنِي عن صحابتي وعن حِوَج قَضَّاؤُها من شفائِيا[2]

من قضَّيت قضَّاء.، ومثل كِذَاباً - بالتخفيف قول الشاعر[3]:

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾.

﴿وكُلَّ﴾ منصوب، بفعل مُضْمَرٍ تفسيره أَحْصَيْنَاهُ كتاباً، المعنى وأحصينا كل شيء أحْصَيْناه، وقوله ﴿كِتاباً﴾ توكيد لقوله أُحْصَيْنَاهُ لأن معنى أُحْصَيْنَاه وكتبناه فيما يحصل ويثبت واحد، فالمعنى كتبناه كتاباً[4].

وقوله - جل وعز: - ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾.

---

(١) أي تقدير الآية لا يرجون ثواب حساب - فهناك مضاف محذوف.

(٢) البيت في اللسان (حوج) كذب.

(٣) للأعشى - اللسان (صدق)

(٤) التقدير كما ترى - والأقرب أحصيناه في كتاب، أو أودعناه.

قال أبو إسحاق: الكأس كل إناء فيه شرابٌ فهو كأس، فإذا لم يكن فيه شراب فليس بكأسٍ، وكذلك المائدة: ما كان عليها من الأخونة طعام فهو مائدة،ومعنى دهاقاً مليء، وجاء في التفسير أَيْضاً أنها صافية، قال الشاعر[1]:

يَلَذُّهُ بِكَأْسِهِ الدِّهَاقِ

وقوله: ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ ﴾.

منصوب بمعنى ﴿إنَّ للمتقين مَفَازاً﴾، المعنى جازاهم بذلك جزاء، وكذلك ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾، لأن معنى أعطاهم وجزاهم وَاحِدٌ. وحِسَاباً معناه ما يكفيهم، أي فيه ما يشتهون. يقال: أَحْسَبَنِي كذا وكذا بمعنى كفاني.

وقوله:﴿رَبِّ السَّمواتِ والْأَرْضِ ﴾.

قرئت بالجر على الصفة من قوله: «مِنْ رَبِّكَ» رَبِّ، وقرئت «ربُّ» على معنى هو رَبُّ السَّمَواتِ والأَرْضِ، وكذلك قرئَت﴿الرحمنُ﴾ لا يملكون منه خطاباً - بالجرّ والرفع. وتفسيرها تفسير رَبِّ السموات والأرض.

وقوله:﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلَائِكَةُ صَفًّا ﴾.

﴿الروح﴾ خلق كالإنس، وليس هو «أنس، وقيل: الروح جبريل عليه السلام.

وقوله:﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مآباً﴾، أي مَرْجعاً.

وقوله :﴿وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾.

جاء في التفسير أنه إذا كان يوم القيامة اقتُصَّ للجَمَّاءِ مِنَ القَرْناء.والجماء

---

(١) اللسان (دهق).

التي لا قرن لها. ثم يجعل اللّه تعالى الجميع تراباً، وذَلِك التُّرابُ هو القترة التي تَرْهَقُ وجوهَ الكفار وتعلو وجوههم، فيتمنى الكافر أن يكون تُرَاباً. وقد قيل: إن معنى ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾. أي ليتني لم أبعث، كما قال: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾(١).

(١) سورة الحاقة. / ٢٥.

سُورةُ النَّازِعَاتِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقاً، والنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾.

قيل في التفسير يعنى به الملائكةُ تنزِعُ روحَ الكَافِرِ وتنشطها فيشتد عليه أمرُ خروج نَفْسِه.

وقوله: ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحاً، فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾.

أرواح المؤمنين تخرج بسهولةٍ.

وقيل: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ القسِيُّ، ﴿ ﴿والنَاشِطَاتِ نَشْطَاً﴾ الأوْهَاقُ[1] ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحاً﴾ السُّفُنُ، ﴿فالسَّابِقَاتِ سَبُقَاً﴾ الخيل.

﴿[فَالمدَبِّراتِ أَمْراً]﴾.

والمدبرات أمراً الملائِكَةُ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملَكُ الموْتِ فجبريل بالوحي والتنزيل وميكائيل بالقطر والنبات، وإسرافيل للصُّورِ وملك الموت لقبض الأرْوَاحِ.

وقيل: ﴿والنازِعات غَرْقاً﴾: النجوم تنزع من مَكَانٍ إلى مكانٍ وكذلك ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحَاً﴾ النجوم تسبح في الفلك كما قال: ﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ

(١) جمع وهق. الأربطة والقيود.

يَسْبَحُونَ﴾(١)، وكذلك فالسـابقات سبقـاً فأمـا المدبـرات أمراً فالملائكةُ، وقيل ﴿فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾ الملائكة تسبق الشياطينَ بالوَحْي إلى الأنبياء كل هذا جـاء في التفسير واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تتبعها الرَّادِفَةُ﴾.

ترجف تتحرك حركة شديدة، وقيل: الراجفـة النفخة الأولى التي تمـوت معها جميع الخلق.

وَقَوْلَهُ: ﴿ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ ﴾.

قيل النفخة الثانية التي تبعث معهـا الخلق، وهو كقـوله [تعالى]:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّـورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الأرْضِ إلاَّ مَنْ شَـاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(٢).

و﴿يَوْمَ﴾ منصوب على معنى قُلُوبٌ يـومَئذٍ واجفـة يومَ تَـرْجُفُ الراجفـة، ومعنى واجفة شديدة الاضطراب.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة.

وجواب والنازعات ـ واللَّه أعلم ـ محذوفٌ، والمعنى كـأنه أَقْسَمَ فقـال: وهَذِه الاشْياء لَتُبْعثنَّ، والدَّلِيلُ عَلَى ذَلكَ قوله:

﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ﴾.

أي إنـا نرد في الحيـاة بعد المـوت إذا كنا عـظاماً نَخِرةً، أي نُردُّ ونبعث. ويقـال: رجع فـلان في حافـرته إذا رجـع في الطريق الـذي جاء فيـه، وقرئت نخرة، و «ناخِرةً» اكثر في القراءة وأجود لشبه آخرِ الآي بعضها ببعض؛ الحافرة

---

(١) سورة يس الآية ٤٠، وانظر سورة الانبياء ٣٣.

(٢) سورة الزمر الآية ٦٨.

وناخرة وخاسرة. ونخرة جَيِّدةٌ أيضاً، يقال: نخر العظم يَنْخَرُ فهو نخِر مثل عَفِنَ الشيءُ يعْفَنُ فهو عَفِنٌ. وَنَاخِرة على معنى عظاماً فارغة يصير فيهـا من هبوب الريح كالنخير، ويجوز ناخرة كما تقول: بَلِيَ الشيء وبليت العظام فهي بَالِيةٌ.

﴿ قالُوا تِلْكَ إذَنْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾.

أي هذه الكرة كرة خُسْران، والمعنى أهلها خاسرونَ، ثم أَعْلَمَ عز وجل سهولة البعث عليه فقال:

﴿فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾.

والساهرة وجه الأرض.

وقوله: ﴿بِالوَادِي المقُدَّسِ طُوًى﴾.

أي المبارك، وقرئت «طُوَى اذْهَبْ» ـ غَيْرَ مَصْرُوفَةٍ ـ وطُوًى منونَـةً، وقرئت طِوًى بكسر الطاء. وطُوَى اسم الوادي الـذي كلم اللّه عليه موسى، فمن صرفه فهو بمنزلة نُغَر وَصُرَدِ(١) إذا سميت به مذكراً، ومن لم يصرفه فهـو على ضربين أحدهما أَنْ يكون اسمَ البقعة التي هي مشتملة على الوادي، كما قال: ﴿ في البقعة المباركة من الشجرَةِ ﴾ وَقِيلَ إنَّه مُنِعَ الصَّرْفَ لأنـه معدول نحـو عُمَر، فكأن طوى عُدِلَ عَنْ طاوٍ كما أَنَّ عُمرَ عُدِلَ عَنْ عَامِر، ومن قال طِوى بالكسر فعلى معنى المقدَّس مرَّةً بعد مَرَّةٍ، كما قال طرفة بن العَبْد(٢):

أَعاذل إن اللومَ في غير كنهه عَلَيَّ طِوًى من غيك المتـرَدِّدِ

أي إنّ اللوْمَ المكرُورَ عَلَيَّ.

وقوله: ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى ﴾.

---

(١) النغر فراخ العصافير واحدها نغرة.

(٢) البيت لعدي بن زيد ـ كما في اللسان (طوى).

يعنى أنه اليدُ التي أخرجها تتلألأ من غير سوءٍ.

قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾.

﴿نكالَ﴾ منصوب مصدر مؤكدٌ لأنَّ معنى أخـذه اللَّه نَكَّلَ بِـهِ نكالَ الآخـرةِ والأولى أي أغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة.

وجاء في التفسير أن ﴿نَكَـالَ الآخرةِ والأُولَى﴾ نكـال قولـه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلـهٍ غَيْرِي﴾[1]، وقـوله: ﴿أَنـا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾. فنكـل اللَّه بـه نكـال هاتين الكلمتين.

قوله :﴿أَمِ السَّمَـاءُ بَنَاهَـا﴾.

قال بعض النحويين: «بنـاها» من صلة السَّمَـاءِ، المعنى أم التي بناهـا، وقال قوم: السماء ليس مِمَّا يـوصل، ولكن المعنى أأنتم أشـد خلقاً أم السمـاء أَشَـدُّ خَلْقاً. ثم بين كيف خلقهـا فقال:﴿بَنَاهَـا رَفَـعَ سَمْكَهَا فَسَـوَّاهَا، وأَغْطَشَ لَيْلَهَـا﴾. أي أَظْلَمَ لَيْلَهـا.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَـا﴾: أظهر نورها بالشمس.

وقوله:﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

القراءة على نصب الأرض، على معنى: ودحا الأرض بعد ذلك، وفسـر هذا المضمر فقال دحاها، كما تقول: ضربت زيدا وعمرا اكـرمته، وقـد قرئت والأَرْضُ بعد ذلك دحاها على الرفع بـالابتداء، والنصب أجـودُ، لأنك تعـطف بفعـل على فعل أحسن، فيكـون على معنى بناهـا. وفعَل وفَعَـل ودَحَا الأرض بعد ذلك.

قوله :﴿ والْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.

---

(١) سورة القصص الآية ٣٨.

تفسير نصب الجبال كتفسير نصب الأرض، وكذلك يجوز الرفع، وقرئ به في الجبال على تفسير والأرض، ومعنى أَرْسَاهَا أثبتَهَا.

وقوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

نصب ﴿متاعاً لكم﴾ بمعنى قوله أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ومَرْعَاهَا للإمتاع لكم، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاها أمتع بذلك.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى﴾.

إذا جاءت الصيحة التي تَطُمُّ كلَّ شيء، الصَّيْحة التي يقع معها البعث والحساب والعقاب والعذاب والرحمة.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وآثَرَ الحيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى﴾.

هذا جواب فإذا جاءت الطامة الكبرى، فإن الأمر كذلك، ومعنى هي المأوى أي هي المأوى له، وقال قوم: الألف واللام بَدَلٌ من الهاء، المعنى فهي مأواه لأن الألف واللام بدل من الهاء، وهذا كما تقول للانسان: غُضَّ الطرفَ يا هَذَا. فلابس الألف واللام بدلا من الكاف وان كان المعنى غضَّ طَرْفَكَ لأن المخاطب يعلم أنك لا تأمره بغض طرف غيره، قال الشاعر:

فغض الطرف انك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلَابا[1]

وكذلك معنى ﴿فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ على ذلك التفسير.

وقوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾.

معناه متى وقوعها وقيامها، ومعنى ﴿إلى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، اي منتهى علمها.

---

(١) من قصيدة جرير في هجاء الراعي وقبيلته. وجاء جزء منها في شواهد المغني ص ٢٥٨ وهذا البيت من الأبيات الموجعة السائرة.

وقوله: ﴿إنّما أنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾.

وقرئت «منذرٌ» بالتنوين على معنى إنما أنت في حال إنذار من يخشاها وتنذر أيضاً فيما يستقبل من يخشاها، ومُفْعِل وفاعِلٌ إذا كان واحد منهما ومما كان في معناهما لما يستقبل وللحال نونته لأنه يكون بَدَلاً من الفعل، والفعل لا يكون الا نكرة. وقد يجوز حذف التنوين على الاستخفاف، والمعنى معنى ثبوته يعني ثبوت التنوين، فإذا كان لما مضى فهو غير مُنَوَّنٍ البتَّةَ، تقول: أنت منذرٌ زيداً، أي أنت أنذرت زيداً.

وقوله: ﴿إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

هذه الألف والهاء عائدة على عشية، المعنى إلاَّ عشية أو ضحاها، أوضحى العشية، فأضفت الضحى إلى العشية، والغداة والعَشِيُّ والضحوة والضحى لليوم الذي يكون فيه، فإذا قلت أتيتك صباحاً ومساءه، أو مساء وصَباحَه، فالمعنى أتيتك صباحاً ومساء يلي الصباح، وأتيتك مساء وصَبَاحاً يلي المساء.

سورة عَبَس
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله :﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾.

أن في موضع نصب مفعول له، المعنى لِأن جاءه الاعمى.

وهذه الآيات وما بعدها إلى قوله ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[1] نزلت في عبد اللّه ابن أُمِّ مكتوم. كان صار إلى النبي ﷺ والنبي يدعو بعض أشراف قريش إلى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامه غيره، فتشَاغَل -عليه السلام- بدعائه عن الاقبال على عبد اللّه بن أم مكتوم، فأمره اللّه الا يتشاغَلَ عن الإقبالِ على أحَدٍ من المسلمين بغيره، فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعلَّه يَزَّكَّى أو يَذَّكَّرُ فَتنفعُهُ الذِّكْرَى﴾.

ويُقْرَأُ فَتَنْفَعه الذِّكرى. فمن نصب فعلى جواب «لَعَلَّ» ومن رفع فعلى العطف على يزَّكىَّ.

وقوله : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾.

أي أنت تقبل عليه، ويقرأ تَصَّدَّى، فمن قرأ تَصَدَّى - بتخفيفِ الصَّاد - فالأصل تَتَصَدَّى، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين، ومن قرأ تَصَّدَّى

---

(١) بقيتها:﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾.

بـإدغام التـاء، فالمعنى أيضـا تتَصَدَّى، إلاَّ أن التـاء أدغمت في الصـاد لقـرب المخرجين ـ مخرج التاء مِنَ الصَّادِ.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾.

أي أي شيء عليك أن لا يسلم من تَدْعُوه إلى الإسلام.

وقـوله: ﴿فَـأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ معنـاه تَتَشَاغَـلُ، يقـال: لَهيت عن الشيء ألهى عنه إذا تشاغلت عنه.

وقوله:﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

يعنى به هذه الموعظة التي وعظ اللّه بها النبي عليه السلام.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.

ذُكِّـرَ لأن المـوعـظة والـوعظ واحـد، والمعنى راجـع إلى حَمَلَةِ القُـرآنِ المعنى فمن شـاء أن يذكـره ذكـره. ثم أخبـر جـل وعـزَّ أن الكتـابَ في اللوح المحفوظ عنده، فقال: ﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرة بِأَيْدي سَفَرَةٍ﴾.

والسَّفَرَةُ الكتبة، يعني به الملائكـة، واحدهم سَـافِر وَسَفَـرة مثل كـاتب وكتبة، وكافر وكفرة، وَإنَّما قيل للكتّاب سَفَرة، وللكاتب سـافِر، لأن مَعْنَـاه أنه يبيّن الشَّيءَ وَيُوَضِّحُه، يقال أَسْفَرَ الصُّبْحُ إذَا أضاء، وسفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وَجْهِهَا، ومنه: سَفَرت بين القوم أي كشفت قلب هذا وقلـب هـذا لأصلح بينهم.

وقوله: ﴿بَرَرَةٌ﴾: جمع بارّ.

وقوله:﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ ما أَكْفَرَه﴾.

يكـون على جهة لفظ التعجُّب، ويكـون التَّعَجُّب مِمَّا يُؤمَـرُ بِهِ الآدَمِيُّـونَ

ويكـون المعنى كقـولـه: ﴿فمـا أصبـرهم على النـار﴾[1] أي اعْجَبُـوا أنتم من كُفْـرِ الإِنْسَانِ، ويجـوز على معنى التوبيـخ ولفظه لفظ الاستفهـــام، أيْ أيُّ شيء اكفَرَهُ. ثم بَيَّن مِن أَمْره مـا كان ينبغي أن يُعْلَمَ مَعَـهُ أن اللّه خَالِقـه، وأنه وَاحِدٌ فقال:

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

على لفظ الاستفهام، ومعناه التقرير ثم بيَّن فقال:

﴿من نُطْفَةٍ خَلَقَه فَقَدَّرَهُ﴾.

المعنى فقدّره على الاستواء كمـا قال عـز وجلٍ: أَكَفَـرتَ بالَّـذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[2].

وقوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، أي هداه السبيل إمَّا شاكراً وأما كفُوراً.

وقوله :﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.

معنى أقبره جعل له قَبراً يوارى فيه، يقال أَقْبَرْتُ فُلَاناً، جعلت لـه قبراً، وقبرت فلاناً دفنته فأنا قابِرُهُ، قال الشاعر:[3]

لَـوْ أَسْنَـدَتْ مَيْتـاً إلى نَـحْـرِهَـا   عَـاشَ ولـم يُـنْـقَـلْ إلَـى قَـابِـرِ

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.

معنـاه بعثه، يقـال: أنشر اللّهُ المَـوْتَى، وَنَشِرُوا، فـالـواحـد نَـاشِـر قـال الشاعر:[4].

حتى يـقــول الـنــاس مـمــا رَأَوْا   يـا عـجـبـاً لـلـمـيـت الـنَّـاشـر

---

(١) سورة البقرة الآية / ١٧٥.   (٢) سورة الكهف /٣٧.

(٣) من قصيدة للأعشى في هجاء علقمة بن علاثة ـ في ديوانه ١٠٥ والطبري ٣٠/٣١.

(٤) من القصيدة نفسها بعد البيت السابق.

وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.

أي فلينظر الانسان كيف خلق اللّه طعامه وطعام جميع الحيوان الذي جعله اللّه سبباً لحياتِهِمْ.

﴿إِنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا﴾.

ويقرأ ﴿أَنَّا صببنا﴾، فمن قرأ «إِنَّا» فعلى الابتداء والاستئناف ومن قرأ «أَنَّا» فعلى البدل من الطَّعَامِ، ويكون إنا في موضع جَرٍّ، المعنى فلينظر الانسان إلى إنا صببنا الماء صَبًّا.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرضَ شَقًّا﴾.

أي بالنبات.

﴿فَأنبتنا فيها حَبًّا﴾، والحبُّ كل ما حُصِدَ، كالحنطة والشعير وكل ما يتغَذى به من ذي حَبٍّ. والقضب الرَّطْبة.

﴿وَحَدَائِقَ غُلْبَاً﴾.

حدائق واحدتها حديقة، وهي البساتين، والشجر الملتف، قوله ﴿غُلْباً﴾ معناه مُتَكاثِفَة عِظامٌ.

﴿وفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾.

الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشيةُ، وذكر اللّه عز وجل من آياته ما يدل على وحدانيته في إنشاء ما يغذو جميع الحيوان.

وقوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ ولِأَنْعَامِكُمْ﴾.

منصوب، مصدر مؤكد لقوله فأنبتنا فيها الاشياء التي ذكرت، لأن إنباته هذه الاشياء قد أمتع بها الخلق من الناس وجميع الحيوان.

وقوله. ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾.

التي تكون عنها القيامةُ، تصخ الأسماع أي تُصِمُّها فلا يسمع الا ما يدعى فيه لإحيائها. ثم فسَّرَ في أي وقت تجيء فقال:

﴿يَومَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ - إلى قوله[1]: ﴿لكل امرئ منهم يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ بالغين معجمةً، وقد قرئت شأْنٌ يَعْنِيهِ، أي شأن لا يهمه معه غيرُه وكذلك يغنيه لاَ يَقْدِرَ مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره.

ثم بَيَّنَ أَحْوَالَ المُؤْمِنِينَ والكَافِرينَ فوصف أحوال المؤمنين فقال:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾.

مسفرة مضيئة قد علمت مالها من الفوز والنعيم.

ووصف الكفار وأهل النار فقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبرةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾.

أي غُبْرَةٌ يعلوها سوادٌ كالدُّخَانِ، ثم بَيَّنَ مَنْ أَهْلُ هَذِه الحالِ فقال:

﴿أُولئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾.

---

(١) بقية الآية: ﴿مِن أَخِيهِ وأُمِّهِ وَأَبِيهِ وصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

سُورَةُ التكْوِير
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله :﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

معنى ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع ضوءها ولُفَّتْ كما تلف العمامة، يقال: كرتُ العِمَامَةَ على رأسِي أكورُها، وكوّرْتُها اكوِّرها إذا لففتها.

﴿وإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾.

انكدرت تهافتت وتناثــرت.

﴿وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾. صارتْ سَرَاباً.

﴿وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

﴿العشار﴾ النوق الحوامل التي في بطونها أولاها، والواحِدَةُ عُشَراء، وإنما قيل لها عشار لأنها إذَا أتت عليهـا عَشَرةُ أَشهُـرٍ - وهي تضع إذا وضعت لِتَمـامٍ في سنة - فَهِيَ عُشَراء، أحسن مـا يكون في الحمـلُ، فليس يعطلهـا أهلها إلا في حـال القيامـة. وخوطبت العـرب بأمـر العِشار لأن مـالها وَعَيْشَهـا أكثرهُ من الإبل.

﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

قيل تحشر الوحوش كلها حَتَّى الذُّبَابُ يُحْشَرُ للقصاص.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

بالتثقيل، ويقرأ سُجِرَتْ بالتخفيف. ومعنى سجرت قيل إنه في معنى فجّرتْ، وقيل سُجّرَتْ مُلِئَتْ، ومنه البحر المسْجُورِ المَمْلُوء. وقيل معنى سُجِرَت جُعَلِتْ مياهها نيراناً بها يعذَّب أهل النَّارِ.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

قُرِنَتْ كلُّ شيعةٍ بمن شَايَعَتْ، وقيل قُرِنَتْ بأعمَالِها، وقيل قُرِنَت الاجسام بالأرواح.

﴿وَإِذَا الموْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

ويقرأ وإذا الموؤودة سَأَلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ، والموؤودة التي كانت العرب تَئِدُهَا، كانُوا إذَا وُلِدَ لأحَدِهم بنتٌ دَفَنَها حيَّة، فمعنى سؤالها بأي ذنب قتلت تبكيتُ قَاتِلِها في القيامة لأنّ جَوَابَهَا قُتِلَتُ بغير ذنب، ومثل هذا التبكيت قول اللّه تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمِّيَ إلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾(١) فإنما سؤاله وجوابه تبكيت لِمَنِ ادَّعى هذا عليه.

يقال: وَأَدْتُ أَئِدُ وَأْداً، إذا دفنت المولود حيًّا، والفاعل وَائِدٌ، والفاعلة وائدة، والفاعلات وائداتٌ، قال الفرزدق:

ومنا الذي منع الوائدات فأحيا البنات فلم توءدِ(١)

وكذلك من قرأ: سَأَلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ، سؤالها تبكيت لقاتلها.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

---

(١) سورة المائدة /١١٦.

(٢) اللسان (وأد). والكشاف ٤/١٨٨ في الآية نفسها، وكان جد الفرزدق يفعل ذلك.

وَنَشَرَتْ. نشرت الصحف وأعطى كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله على قدر عمله.

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾.

وقرئت قُشِطَتْ بالْقَافِ، ومعناهما قُلِعَت كما يُقْلَع السَّقْفُ. يقال: كَشَطْتُ السقفَ وقشطت السقف بمعنى واحد، والقاف والكاف تُبْدَلُ إحداهما من الأخرى كثيراً. وَمِثْلُ ذَلِكَ لبكت الشيء ولبقته إذَا خَلطته.

﴿وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾.

وَسُعِّرَتْ بالتشديد والتخفيف، ومعناه أُقِدَتْ، وكَذَلِكَ سُعِّرَتْ، الَّا أن سُعِّرَتْ أوقدت مرة بعد مرة.

﴿وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

أي قربت من المتقين، وجواب هذه الأشياء قوله:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾.

أي إذا كانت هذه الأشياء التي هي في يوم القيامة، علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أَحْضَرَتْ، أَي مِنْ عَمَلٍ، فأثيبت عَلَى قَدْرِ عَمَلِها.

وقوله: ﴿فلا أقسم بِالخُنَّسِ الجَوَارِي الكُنَّسِ﴾.

الخُنَّس جمع خَانِسٍ، والجواري جمع جَارِيَةٍ، من جَرَى يَجْرِي. والخنس جمع خانس وخانسةٍ، وكذلك الكنَّسُ جمعُ كانِسٍ وكانسةٍ.

والمعنى فأقسم، و «لاَ» مؤكدة.

والخنس ههنا أكثر التفسير يعنى بها النجوم، لأنها تَخْنِس أَيْ تَغِيبُ لأن مَعَنا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ والصُّبحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾، وَمَعَنَا ﴿الخُنَّس﴾. و ﴿الكُنَّس﴾ في

النجوم أنها تطلع جارية، وكذلك تخْنسُ، أي تغيب، وكذلك تكنس تدخل في كناسها، أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها. وقيل الخنس ههنا يعنى بَقَر الْوَحْشِ وظباء الوحش. ومعنى خُنَّس جمع خَانِسٍ والظباء خنّسٌ والبَقَرُ خُنَّسٌ. والخَنَسُ قِصَرُ الأنف وتأخره عَنِ الفَمِ، وإذا كان للبقر أو كان للظباء فمعنى الكنس أي التي تكنس، أي تدخل الكِنَاسَ وهو الغُصنُ من اغْصَانِ الشَّجَرِ.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾.

يقال عَسْعَسَ الليل إذَا أَقْبَلَ، وعَسْعَسَ إذا أَدْبَرَ، والمَعْنَيَانِ يرجعان إلى شيءٍ وَاحِدٍ، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره.

﴿والصُّبْحِ إذَا تَنفَّسَ﴾.

إذا امتدَّ حَتى يصيرَ نَهاراً بيّناً.

وجواب القسم في هذه الأشياء أعني ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ وما بعده قوله:
﴿ إنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم ﴾.

يعنى أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ ﴾.

قيل إنه من قوة جبريل ﷺ أنه قَلَبَ مَدِينة قوم لُوطٍ بِقَوَادِمِ جناحه وهي قرى أربع.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

هذا أيضاً جواب القسم، المعنى فأقسم بهذه الأشياء أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام، وأقسم بهذه الأشياء ما صَاحِبُكُمْ بمجنونٍ، يعني به النبي

ﷺ لأنهم قالوا: ﴿يـا أيُّها الـذي نُزِّلَ عَلَيْـهِ الذِّكْـرُ إنَّكَ لَمَجْنُـونٌ﴾[١]، فقال: ﴿نون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنونٍ﴾[٢]، وقال في هذا الموضع:

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ المُبِينِ﴾.

قد فسرنا ذلك فِي سُورَةِ والنَّجمْ.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾.

ويقرأ ﴿بِضَنِينٍ﴾ فمن قَرَأَ بِظَنِينٍ فمعناه ما هو على الغيب بِمُتَّهَمٍ وهو الثقة فيمـا أداه عن اللَّه ـ جل وعز ـ، يقال ظننت زيـداً في معنى اتهمت زيداً، ومن قرأ ﴿بِضَنِينٍ﴾ فمعناه ما هو على الغيب ببخيل، أي هو ﷺ يؤدي عن اللَّه ويُعَلِّمُ كتابَ اللَّه.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

معناه فأيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينتُ لَكُمْ.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.

أي الاستقامة واضحة لكم، فمن شاء أخذ في طريق الحقِّ والقصد وهو الإيمان باللَّه عز وجل ورسوله. ثم أعلمهم أن المشيئَةَ في التوفيق إليـه، وأنهم لا يقدرون على ذَلِك إلَّا بمشيئة اللَّه وتوفيقه فقال:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِين﴾

ودليل ذلك أيضاً: ﴿وَمَا تَوْفِيقي إلَّا باللَّهِ عليه تَوَكَّلْتُ﴾[٣].

---

(١) سورة الحجر /٦.
(٢) أول سورة القلم.
(٣) سورة هود ٨٨.

فهذا إعلام أن الإنسان لا يعمل خيراً إلا بتوفيق اللّه ولا شراً إلَّا بخذلانٍ من اللَّه، لأن الخير والشر بقضائه وقَـدَرِه يضل من يشـاء ويهدي من يشـاء كما قال جَلَّ وَعَزَّ(١) ﴿[اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ]﴾.

(١) سورة الشورى. الآية ١٣.

سورة الانفطار
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾.

أي انشقت، تتشقّق السماء يومَ القيامة بالغمام، كما قال عز وجل:

﴿وَإِذَا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ﴾.

أي تَسَاقطت وتهافتت.

﴿وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، فُجِّرَ العَذْبُ إلى المالح.

﴿وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يعني بحثرت، أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَرَتْ﴾.

ما قَدَّمَتْ من عَمَلٍ أمرت به وما أَخَّرت منه فلم تعلمه، وقيل: ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ سَنَّتْ من سُنَّةٍ عُمِل بها بعدها.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾.

أي ما خدعك وَسَوَّلَ لكَ حتى أضعت ما وجب عليك.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ﴾.

أي خلقك في أحسن تقويم وتقرأ (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف والتشديد جميعاً.

وقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

يجوز أن يكون ما صِلةً مُؤَكِّدَة، ويكون المعنى في أي صورة شاء ركَّبَكَ. إما طويلا وإما قصيرا، إما مستحسنا وإما غير ذلك، ويجوز أَنْ يكون

ما في معنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك.

وقوله:﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾.

أي بل تكذبون بأنكم تبعثون وتدانون، أي تجازون بأعمالكم، ثم أعلمهم - عز وجل - أن أعمالهم محفوظة فقال:

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيكتبونه عليهم.

وقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

وقوله﴿وَمَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّين، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

فكرر ذكر اليوم تعظيماً لشأنه.

وقوله:﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾.

وقرئت «يوم» لا يملك نفس، فمن قرأ بالرفع فعلى أن اليومَ صفةٌ لقوله ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ ويجوز أن يكون رفعاً بإضمار هو، فيكون المعنى هو لا تملك لنفس شيئاً، ويجوز أن يكون في موضع رفع وهو مبني على الفتح لإضافته إلى قوله «لا تملك» لأن «ما» أضيف إلى غير المتمكن قد يبنى على الفتح وإن كان في موضع رفع أو جر كما قال الشاعر [(١)]:

لم يمنع الشرب غير أن نطقت   حمامة في غُصُونٍ ذات أوقال

فأضاف غير إلى أن نطقت فبناه على الفتح، وجائز أن يكون نصبه على معنى هذه الأشياء المذكورة، يكون يوم لا تملك نفس لِنَفسٍ شيئاً.

---

(١) أبو قبيس بن رفاعة، والأوقال جمع وَقَل - بوزن جبل - هي الحجارة وما يبقى من جذوع الشجر بعد قطعه، يصف ناقته بدقة الحس، والحنين إلى وطنها - وأبو قبيس عامر بن جشم - جاهلي أوسي، كان رئيس الأوس يوم بغاث، وهو والد عقبة بن أبي قبيس الذي أسلم يوم القادسية - انظر ابن يعيش ٣/٨، وشواهد الكشاف، والخزانة شواهد، ٢٣٦، ٢٩٦ والأغاني ١٥/١٥٤ ساس.

سورة المطففين
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِين﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ رفع بالابتداء والخبر قوله للمطففين، ولو كان في غير القرآن لجاز «وَيْلاً» للمطففين، على معنى جعل اللَّه لهم ويلاً، والرفع أجود في القراءة لأن المعنى قد ثبت لهم هذا، والويل كلمة تقال لكل من هو في عذاب وهلكة، والمطففون الذين ينقصون المكيال والميزان وإنما قيل للفاعل من هذا مطفف، لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان، إلا الشيء الحقير الطفيف، وإنما أخِذَ من طَفّ الشيء وهو جانبه، وقد فسَّر أمره في السورة فقال :﴿الذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عَلَيْهم الكيل وكذلك إذا اتَّزَنُوا استوفوا الوزن، ولم يذكر «إذا اتَّزَنُوا» لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْوَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، أي ينقصون في الكيل والوزن، ويجوز في اللغة يَخْسِرون، يقال: أخْسَرْتُ الميزان وخَسَرتُه، ولا أعلم أحداً قرأ في هذا الموضع يَخسرون، ومن تأول معنى «كَالُوهُم» كالوا لهم لم يجز ان يقف على كالوا حتى يصلها بِـ «ـهُمْ»، فيقول «كالُوهُم». ومن

الناس من يجعل «هم» توكيداً لما في كالوا، فيجوز أن تقف فتقول: وإذا كـالوا، والاختيـار أن تكون «هم» في مـوضع نصب، بمعنى كـالـوا لهم. ولـو كـانت على معنى كالـوا، ثم جاءت «هم» تـوكيداً، لكـانَ في المصحف ألف مثبتة قَبلَ «هُمْ».

وقوله عز وجل: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

يعنى يـوم القيامـة، أي إنهم لو ظنـوا أنهم يبعثون مـا نَقصوا في الكيـل والوزن.

وقوله :﴿يَوْمَ يَقُـومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله ﴿مَبْعُوثُونَ﴾.

المعنى ألا يظنون أنهم يبعثون يوم القيامة، ولو قرئت «يَوْمِ تقوم الناس» بكسر يوم لكان جَيّداً على معنى ليوم يقوم الناس، ولو قرئت بالرفع لَكَانَ جَيّداً يومُ يقوم الناسُ، على معنى ذلك يوم يقوم الناس، ولا يجوز القراءة إلا بما قرأ به القراء «يوم يقوم الناس» ـ بالنصب ـ لأن القراءة سنة، ولا يجـوز أن تخالف بما يجوز في العربية.

وقوله :﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لفي سِجِّينٍ﴾.

«كَلّا» رَدْعٌ وتنبيه. المعنى ليس الأمـر على ما هم عليـه، فليرتـدعوا عَنْ ذَلِكَ وقوله :﴿في سَجِّينٍ﴾ زعم أهل اللغـة أن سِجّينَ فِعِّيلٌ من السِّجْنِ، المعنى كتابهم في حبس، جعل ذلك دَلالةً على خساسة مَنْزِلَتِهِمْ، وقيل ﴿في سِجِّينٍ﴾ في حسابٍ، وفي سِجِّينٍ في حجر من الأَرْضِ السَّابِعَةِ.

وقوله :﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وَلَا قَوْمُك، ثم فسر فقال:

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾، أي مكتوب.

وقوله عز وجل :﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾.

أساطير أباطيل، واحدها اسطورة مثل أحـدوثة وَأحادِيث.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ تفسيرها تفسير التي قبلها.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بإدغام اللام في الراء وتفخيم الألف. وقد قرئت بـل ران - بـإمـالـة الألف والـراء إلى الكسـر، وقـرئت بـلْ ران بـإظهـار الـلام والإدغـام، والإدغام أجـود لقرب الـلام من الـراء، ولغلبـة الـراء على الـلام. وإظهار اللام جائز إلاّ أن اللام من كلمة، والراء من كلمة أخرى. وران بمعنى غطى عَلَى قُلُوبِهِمْ، يقال: ران على قلبه الذنب يَرينُ رَيْناً إذا غشي على قلبه، ويقال غان على قلبه يغينُ غَيْناً. والغَيْنُ كالغيم الرقيق، والرَّيْن كالصـدأ يغشى على القلب.

وقوله جل ثناؤه :﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

وفي هذه الآية دليل على أن اللَّه يُرَى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم يحجبـون عن اللَّه -عزوجل-. وقـال تعالى في المؤمنين : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرةٌ إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، ﴾ فأعلم اللَّه عز وجل أن المؤمنين ينظرون إلى اللَّه، وأن الكفارَ يُحْجَبُونَ عَنْه.

﴿ثم إِنَّهُم لَصَالُو الجَحِيمِ﴾.

ثم بعد حجبتهم عن اللَّه يدخلون النار وَلَا يخرجُونَ عنها خَالِدِين فيها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾.

أي كنتم تكذبون بالبعث والجنة والنَّارِ. ثم أَعْلَمَ - عز وجـل - أين محل كتـاب الابرار ومـالهم من النعيم فرفـع كتـابهم على قـدر مـرتبتهم كمـا سَفَّـل وخسس كتاب الفجار فقال:﴿كَلَّا إِنَّ كِتابَ الأبْرَار لَفِي عِلّيِّينَ﴾.

أَي أعلى الأمكنة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾.

وإعراب هذا الاسم كإعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع، كما تقول هذه قِنّسْرُونَ، ورأيت قِنّسْرِين، وقال بعض النحويين: هذا جمع لما لا يُحَدُّ وَاحِده، نحو ثَلَاثُون وَأَرْبَعُونَ، فثلاثون كان لفظه لفظ جمع ثَلَاثٍ.

وكذلك قول الشاعر:(١)

قد شربت الأدُهَيْدِهِيْنَا قُلَيّصَاتٍ وَأُبَيْكرِينَا

يعني ان الابل قَدْ شَرِبَت الأجمع الدَّهْدَاةِ، والدهداة حاشية الابل كان قليصات وأبيكرين، ودهيدهين جميع ليس واحده محدوداً معلوم العَدَدِ، والقول الأول قول أكثر النحويين وأَبْيَنُها.

وقوله: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.

الأرائك واحدها أريكةٌ، وهي الأسِرَّة في الحجال.

وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾.

الرحيق الشراب الذي لَا غِشَّ فيه، قَالَ حَسَّانٌ(٢):

يسقون من ورد البريص عَليهم بَرْداً يُصَفَّق بالرَّحِيق السَّلْسَلِ

ومعنى ﴿مختوم﴾: في انقطاعه خاصة ـ ثم بَيَنَّ فَقَالَ:

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾.

وقرئت خاتَمه مِسْكٌ بفح التاء، وقُرِئَت خاتِمُهُ مسك، والمعنى أَنَّهُمْ إذَا

---

(١) جاء هذا الرجل في اللسان (بكنس-دهيه) إلا الدَّهَيْدِهِينَا. وهو مما استشهد به الأزهري على أن بكرا تجمع على أبكر، وصغر أَبْكُر كأعنز ـ على أبيكر ثم جمع جمعاً سالماً مذكراً، والدهيدهينا جمع دهداه وهي صغار الابل ـ جمعها بالياء والنون. والدهدهان الكبير من الابل.

(٢) من قصائده في مدح الغساسنة ـ والبريص نهر، ويصفق بمعنى تخلط، والسلسل العذب ـ والقصيدة في ديوان حسان، ويروى البيت يَرَدَى، وبرى نهر أيضاً.

شربوا هذا الرحيق فَنِيَ ما في الكأس وانقطع الشُّرْبُ، انختم ذلك بطعم المسك ورائحته.

﴿وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . عَيْناً﴾.

تأتيهم من علو عيناً تنسم عليهم من الغرف، فعيناً في هذا القول منصوبةٌ مَفْعولةٌ، كما قال: ﴿أو إطعامٌ في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَة يَتِيماً﴾.

ويجوز أن يكون «عَيْناً» منصوبة بقوله يَسْقَوْنَ عيناً، أي مِنْ عَيْنٍ، ويجوز أن يكون عيناً منصوباً على الحال، ويكون «تَسْنِيمٍ» معرفة و«عيناً» نكرة.

وقوله :﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾.

هؤلاء جماعة من كفار قُرَيشٍ كان يَمُرُّ بِهِمْ من قَدُمَ إسلامُه مع النبي ﷺ. علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه، وغيره - رحمهم اللّه فيعيرونَهُمْ بالاسلام على وجه السِّخْرِيّ مِنْهُمْ.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾.

معجبيين بما هم فيه يَتَفكهونَ بذكرهم.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾.

أي ما أرسل هؤلاء القوم على أصحاب النبي ﷺ يحفظون عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ.

﴿فَاليَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ: ﴾. يعني يوم القيامةِ.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.

أي هل جُوزُوا بِسُخْرِيَتهِمْ بالمؤمِنينَ في الدنيا، ويقرأ هَثُّوبَ، بإدغام اللام في الثاء.

سورة الانشقاق
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾.

تنشق يوم القيامة بالغمام، وجواب «إذا» يدل عليه: ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ المعنى إذا كان يوم القيامة لقي الإِنْسَانُ عَمَلَهُ.

ومعنى: ﴿أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

أي سمعت، يقال: أذنت للشيء آذن إذَا سَمِعتَ قال الشاعِرُ:

صُمٌّ إذَا سمِعُوا خَيراً ذكرت به ... وَإنْ ذُكِرْتُ بسوء عندهم أذنوا[1]

أي سمعوا.

ومعنى ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حق لها أَنْ تَفْعَلَ.

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾: أزيلت عَنْ هَيْئَتِهَا وَبُدِّلت.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيها وتَخَلَّتْ﴾: أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ المَوْتَى والكُنُوز.

وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً [فَمُلَاقِيهِ]﴾.

جاء في التفسير إنك عامِلٌ لربك عَمَلاً فملاقيه، وجاء أيضاً: سَاعٍ إلى

---

(١) لقعنب بن أم صاحب. وهي كنية أُمّه وأبوه اسمه ضمرة. وانظر شواهد المغني ٣٢٦، وفي مشاهد الانصاف ١٢٦ واللسان (أذن) ـ وهي أبيات ثلاثة.

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني ومسا سمعوا من صالح دفنوا

صم...

جَهْلاً عليَّ وَجُبْناً عن عَدُوِّهُم ... لبئسَت الخُلّتانِ الجهل والجبن

رَبِّك سَعْياً فَمُـلاقِيهِ. والكـدح في اللغة السَّعْيُ والـدُّؤوب في العَمَلِ في بـاب الدنيا وباب الآخرة، قال تميم بن مقبل:[1]

وما الدهر الا تارتان فمنهما   أموت، وأخرى ابتغي العيش أكدح

أي وَتَـارة أسعى في طلب العيش وأَدْأَبُ، وقيل ﴿فملاقيه﴾ فملاقٍ رَبَّكَ، وقيل فَمُلَاقٍ عَمَلكَ.

وقوله:﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾.

رَوَيْنَـا عن النبي ﷺ أن ذلـك العـرض على اللَّه ـ عـز وجـل ـ وأَنَّـه مَنْ نوقش الحساب عُذِّبَ، وَرَوَيْنَا أيضاً أنه مَن نوقش الحسابَ هَلَكَ.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾.

أي يقـول: يا ويـلاه، يا ثبـوراه، وهذا يقـوله من وقـع في هلكة أي من أوتي كتـابه وراء ظهـره، ودليـل ذلـك عَلَى أَنَّـهُ من المُعـذَّبِينَ قـولـه:﴿وَيَصْلَى سَعِيراً﴾.

وقرئت «ويُصَلَّى سَعِيراً»، أي يكثر عذابه.

وقوله:﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾: يعني في الدُّنْيَا.

فأما ﴿وَيَنْقَلِبُ إلى أهله مَسْرُوراً﴾ فمن صفة المؤمن، وينقلب إلى أهله في الجنانِ الَّتي أَعَدَّهن اللَّه لأوليائه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾.

---

(١) شاعر مخضرم عاش ١٢٠ سنة، كان يبكي أهل الجاهلية، وهاجى النجاشي الشاعر فاستعدى عليه عمر، وبعد البيت:

وكلتاهما قد خط لي في صحيفتي   فلا العيش أهدى لي ولا الموت أروح

يريد أن الدهر ذو حالتين، احداهما يموت بها، والأخرى يود العيش فيها لكنه شاق عسير وكلتا الحالتين مسطور له في اللوح المحفوظ، انظر: الخزانة ١/١١٣، زهر الآداب ١/١٢٨ ـ ١٣٦، ٤١، ٤٢.

هـذه صفة الكـافر ظن أَنْ لَنْ يَحُـورَ بـأن لن يبعث، ومعنى يحـور ـ في اللغة ـ أن يرجع إلى اللّه عز وجل.

﴿بلى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾.

قبلَ أن يخلقه، عالماً بأن مرجعه إليه ـ عَزَّوَجَلَّ ـ.

قوله :﴿فَلَاأُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ : معناه فأقسم وقد فسرنا ذلك.

والشَّفَق الحمـرة التي ترى في الأفق في المغـرب بعد سقـوط الشمس، وقيل الشفق النهارُ.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: معنى وَسَقَ جَمَعَ وَضَمَّ، قَال الشَّاعِرُ[1].

مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقاً

﴿والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾.

اجتمع واستوى ليلة ثلاثَ عَشْرَةَ وأربَعَة عشرة.

﴿لَيَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾.

أي حـالاً بعد حـال حتى يصير إلى اللّه عـز وجـل، من إحيـاء وَإِقَـامَـةٍ وَبَعْثٍ، وقُرِئَتْ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾، أي لتركبن يا محمد طبقاً عن طبق من أطباق السماء.

وقوله عز وجل :﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾.

---

(١) هو العجاج والبيت في الطبري ٣٠/٦٦، والقـرطبي ١٩/٢٧٥، وروايته «لـو وجدن سائقاً» وفي مشاهد الانصاف ٨٦:

ان لـنـا قـلائـصـا حـقـائـقـا   مـسـتـوسـقـات أو يجـدن سـائـقـا

الحقـائق جمع حقـة وهي التي استحقت طروقـة الفحـل أو استخفت الحمـل عليهـا ومستـوسقـات متحملات أو مجتمعات، و «أو» بمعنى الى. أي واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن.

أي بما يحملون في قلوبهم، يقال: أَوْعَيْتُ المتاعَ في الوعاء، ووعيتُ العِلْمَ.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيم﴾.

المعنى اجعل بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة والرضوان، للكفار العذاب الأليم.

﴿إلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

لا يمن عليهم، قال أهل اللغة: غير ممنون غير مقطوع، يقال منيت الحبل إذَا قطعته.

سورة البروج
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾.

جواب القسم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾. وقيل ﴿ذات البروج﴾ ذات الكواكب وقيل ذات القصور لقُصُورٍ في السماء.

﴿واليَوْمِ المَوْعُودِ﴾: يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

شاهد يوم الجمعة، ومشهود يوم عرفة، وقيل: وَشَاهد يعنى به النبي ﷺ، ومشهود يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لهُ الناسُ وذٰلك يومٌ مَشْهُودٌ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾.

الأخدود شق في الأرض، ويجمع أَخَاديد، وقيل أصحاب الأُخْدُودِ قوم كانوا يَعْبُدُونَ صَنما، وكان معهم قوم يكتمون إيمانَهم، يعبدون اللّٰه عز وجل. ويوحدونه، فعلموا بهم فخدوا لهم أخدوداً وملأوه ناراً، وقذفوا بهم في تلك النار فتقحموها ولم يَرْتَدُّوا عَنْ دينهم ثبوتاً على الاسلام، ويقيناً أنهم يصيرون إلى الجنة. فجاء في التفسير أن آخِرَ من ألقي منهم امرأةٌ معها صَبِيٌّ رضيع، فلما رأت النار صدت بَوَجْهِهَا وَأَعْرَضَتْ، فقال لها الصبي: يا أمتاه قفي ولا

---

(١) سورة هود / ١٠٥.

تنافقي، وقيل إنه قال لها: مَا هِيَ إلاَّ غميضةٌ، فَصَبَرَتْ فألقِيتْ في النار.

وكان النبي ﷺ إذا ذكر أصحاب الأخدودِ تَعَوَّذَ مِنْ جَهْد البلاء.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ قِصَّةَ قَوْمٍ بلغت بصيرتُهم وحقيقة إيمَانِهم إلى أن صبروا على أن يحرقوا بالنار في اللَّه عز وجل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا باللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾.

أي ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمَانَهم، ثم أعلم ـ عز وجل ـ مَا أُعِدَّ لأُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَحْرَقُوا المُؤْمِنِينَ فقال:

﴿إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ﴾.

أي أحْرَقُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ، يقال فتنت الشيء، أحرقته، والفَتِينُ حجارة سودٌ كأنها مُحْرَقَةٌ.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُم عَذَابُ الحَرِيقِ﴾.

فالمعنى واللَّه أعلم فلهم عذاب جهنم بكفرهم، ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين والمؤمنات.

قوله عز وجل: ﴿إنه هُوَ يُبْدِىءُ ويُعِيدُ﴾.

أي يبدي الخلق ثم يعيده بعد بلاه.

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾، أي المحب أولياءه.

﴿ذُوالعَرْشِ المَجِيدِ﴾، ويقرأ المجيدُ. ومعنى المجيد الكريم. فمن جَرَّ المجيد فمن صفة العرش، ومن رفع فمن صفة «ذو».

وقوله عز وجل: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

﴿فرعون وثمود﴾ في موضع جر بَدَلاً من الجنود، المعنى هل أتاك حديث فرعون وثمود.

وقوله :﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطُ ﴾.

أي لا يعجزه منهم أحدٌ. قدرته مُشْتَمِلةٌ عليهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾.

ويقرأ قرآنُ مَجِيدٍ، والقراءة قُرآنٌ مجيدٌ. من نعت قرآن، ومن قرأ قرآنُ مَجِيدٍ، فالمعنى هو قرآن رَبٍّ مَجِيدٍ.

وقوله:﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾.

القرآن في اللوح وهو أم الكتاب عند اللَّه، وقرئت مَحْفُوظٌ، مِنْ نعت قرآنِ، المعنى بل هو قرآن مجيدٌ محفوظ في لوح.

سورةُ الطَّارِق
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿والسَّمَاءِ والطَّارِق﴾.

جواب القسم :﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، والطارق النجم، والنجم يعنى به النجوم، وإنما قيل للنجم طارق لأنه طلوعه بالليل، وكل ما أتى ليلا فهو طارقٌ، لأن الليل يسكن فيه، ومن هذا قيل: اطرَقَ فُلاَنٌ إذا أَمْسَكَ عَنِ الكلامِ وَسَكَنَ.

و﴿الثَّاقِبُ﴾ المُضِيءُ، يقال ثقب يثقُبُ ثقوباً إذا أضاء،ويقال للمُوقِدِ: أثقب نارك أي أَضِئها.

وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

معناه لَعَلَيْها حافظ، و «ما» لغوٌ، وقرئت «لَمَّا» عَلَيْها حَافِظٌ - بالتشديد، والمعى معنى «إلاَّ»، استُعْمِلَتْ «لَمَّا» في موضع «إلاَّ» في موضعين أحدهما هذا، والآخر في بَابِ القَسَمِ، يقال: سَأَلْتُكَ لَمَّا فَعلت بمعنى الا فعلت.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾.

معناه من فوق، ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق، الممعنى من ماء ذي اندفاق.

وقوله:﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرائِبِ﴾.

الترائب جاء في التفسير أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعُ أضلاع من يَسْرةِ الصدر، وجاء في التفسير أن الترائب اليدان والرجلان والعينان، وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس: (١)

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وقوله:﴿إِنَّه عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

جاء في التفسير: على رجع الماء إلى الإحليل لَقَادِرٌ، وجاء أيضاً على رجعه إلى الصلب، وجاء أيضاً على رجعه على بعث الانسانِ، وهذا يشهد له قوله: ﴿يوم تُبْلَى السَّرائِرُ﴾.

أي إنه قادر على بعثه يوم القيامة.

وقوله:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ . والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾.

﴿ذات الرجع﴾ ذات المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، قال أبو عبيدة: الرجعُ الماء، وأنشد بيت المنخل الهذلي (٢):

أَبْيَضُ كالرجع رسوب إذا ما ناخ في محتفل يختلي

قال يصف السيف، يقول: هو أبيض كالماء.

---

(١) البيت الحادي والثلاثون من معلقته انظر ص ١٨ شرح الزوزني ط صبيح. يقول إنها لطيفة الخصر - ضامرة البطن - غير مفاضة - غير مسترخية اللحم. ولا مترهلة - والترائب جمع تريبة، موضع القلادة من الصدر، والسجنجل: المرآة. معربة.

(٢) يصف سهما وليس سيفاً، وقال شارحه: الرجع الغدير فيه ملأ المطر والمحتفل معظم الشيء ومحتفل الوادي معظمه، وناخ وساخ بمعنى واحد. أي غاب، ورسوب الذي يغوص ويغمض مكانه لعمقه، ويختلي يقطع. أي هو سهم أبيض ماض يعمق في رميته.

انظر ديوان الهذليين ص ١٢ جـ ٢ والطبري ٨١/٣٠.

﴿والأرْضِ ذاتِ الصَّدْع﴾، أي تصدع بالنبات.

﴿إنَّه لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.

جواب القسم يعنى به القرآن، يفصل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ﴾: مَا هُوَ باللَّعِبِ.

﴿إنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيداً﴾.

يعني بـه الكفار، أنهم يخـاتلون النبي عليه السـلام، ويظهـرون مـا هم خلافه.

﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾: كيد اللّه لهم استدراجهم من حيث لا يعلمونَ.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ أي أمهلهم قليلاً.

سُورَةُ الأعْلَى
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى﴾ أي نَزِّهْ ربَّك عن السُّوءِ وقل: سبحان ربي الأعلى.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، خلق الانسان مستوياً، أشهده على نفسه بأنه ربُّه، وخلقه على الفطرة.

وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

هداه السبيل إما شَاكِراً وَإما كَفُوراً، وقال بعض النحويين: فَهَدَى وَأَضلَّ ولكن حذفت وأضل لأن في الكلام دليلاً عليه، قال عز وجل :﴿يُضِلُّ من يشاء وَيَهْدِي من يَشَاءُ﴾.

﴿والَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى فَجَعَلَه غُثَاءً أَحْوَى﴾.

﴿أحوى﴾ في موضع نصب حال من ﴿المرعى﴾ المعنى الذي أخرج المرعى أَحْوَى أي أخرجه أَخْضَرَ يضرب إلى الحوَّة، والحوَّة السَّوَادُ. ﴿فجعله غثاء أحوى﴾، جفَّفَه حتى صيره هشيماً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق ماء السيل، .

قوله:﴿سَنُقْرِئُكَ فلاَ تَنْسَى، إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أنه سيجعل للنبي ﷺ آيةً يتبيَّنُ له بها الفَضْلِيَّةُ بأن

جبريل عليه السلام ينزل عليه بالوحي وهو أُمِّيٌ لا يكتب كتاباً ولا يقرؤه، ويقرئ أصحابه ولا ينسى شيئاً من ذلك ولا يكرر عليه الشيء، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونْ﴾.

فأما ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، فقيل إلَّا ما شاء اللَّه ثُمَّ يذكره بعد، وقيل إلَّا ما شاء اللَّه أن يؤخره من القرآن.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾: المعنى يتجنب الذكرى الأشقى.

وقوله:﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.

لا يموت موتاً يستريح به من العذاب، ولا يحيا حياة يجد معها روح الحياة.

وقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾. أي قد صادف البقاء الدائم والفوز بالنعيم، ومعنى تَزَكَّى تكثر بتقوى اللَّه، ومعنى الزاكي النامي الكثير.

وقوله عز وجل:﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

وقرئت بل يؤثرون الحياة الدنيا بالياء، والأجود التاء، لأنها رويت عن أُبَيّ بن كعب: بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا.

وقوله عز وجل:﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾.

يعني من قوله: ﴿قد أفلح من تَزَكَّى﴾ إلى هذا الموضع، وقيل بل السورة كلها.

سورة الغاشية
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.

قيل إن الغاشية القيامة لأنها تغشى الخلق، وقيل الغاشية النار لأنها تغشى وجوه الكفار.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾.

﴿خاشعة﴾ خبر وجوه، ومعنى خاشعة ذليلة.

﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾، ويقرأ تُصْلَى.

وقوله ﴿تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ﴾ أي متناهية في شدة الحرّ: كقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾(1).

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: يعني لأهل النار، والضريع الشبرق، وهو جنس من الشوك، إذا كان رطباً فهو شبرق، فإذا يبس فهوَ الضَّرِيعُ، قال كفار قريش: إنَّ الضريع لَتَسْمَنُ عليه إِبِلُنَا، فقال اللّٰه ـ عزوجل ـ ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

ومعنى ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي هذا لم يكن من عِلْمِكَ ولا من علم قَوْمِكَ، وكذلك

---

(1) سورة الرحمن الآية ٤٤.

لأقاصيص التي أخبر بها النبي ﷺ. قال اللّه ـ عز وجل ـ :﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أنت ولا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.

وَمَعْنَى ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: قيل إنها عاملة ناصبة في الدنيا لغير ما يقَرِّبُ إلى اللَّه تعالى، وقيل إنهم الرهبان ومن أشبههم، وقيل عاملة ناصبة في النار، فوصف مُقاساتها العذاب.

وقوله في صفة أهل الجنة: ﴿لَا تُسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ﴾، وقرئت لا يَسْمَعُ فيها لاغيةً، وقرئت لا تُسْمَعُ فيها لاغيةٌ، أي لا تسمع فيها آثمة. ويجوز أن يكون لا تسمع فيها كلمة تلغى، أي تسقط، لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة، وحمد اللَّه على ما رزَقَهُم من نعيمه الدائم.

وقوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾.

الأكواب آنية شبيهة بالأباريق لا عرى لها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: واحدتها نمرقة.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: الذرابيُّ البسط، واحدتها زربية.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

نبههم اللَّه على عظيم من خلقه قَد ذَلَّلَه للصَّغِيرِ يقوده وينتجهُ وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله، وليس ذلك في شيء من الحوامِلِ غيره، فأراهم عظيماً من خلقه ليدلهم بذلك على توحيده.

﴿وَإِلَى السَّماء كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ يعنى بغير عَمَدٍ.

﴿وَإِلى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

﴿نصبت﴾ مرساة مثبتة لا تزول.

﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي دُحِيتَ وَبُسِطَتْ.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّما أنت مُذَكِّرٌ﴾: هذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالحرب.

﴿لَسْتَ عليهم بِمُسَيْطِرٍ﴾ أي بِمسَلَّط.

﴿إلَّا مَنْ تَـوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَـذِّبُهُ اللَّهُ العَـذَابَ الأَكْبَرَ﴾.

أي عذاب جهنم.

﴿إن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ وقرئت إِيَّـابَهُمْ، بـالتخفيف والتثقيـل، ومعنى إيـابهم رجوعهم، ومَعْنَى إِيَّابَهُمْ على مصـدر أَيَّبَ إِيَّاباً، على معنى فَيْعَلَ فِيعَـالاً، من آب يُؤوبَ والاصـل إيوابا، فأدغمت اليـاء في الواو، وانقلبت الـواو إلى اليـاء لأنها سبقت بسكونٍ.

سورةُ الفَجْر
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِـالمِرْصَـادِ﴾،

الفجر انفجار الصبح من الليل، وجواب القسم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾ ﴿وَلَيَـالٍ عَشْرٍ﴾ ليالي عشر ذي الحجة.

﴿والشَّفْـعِ والوِتْـرِ﴾.

قرئَت والوَتر بفتح الواو، والوَتْرِ يوم النحر، والوتر يوم عرفة وقيـل الشفع والوتر الاعداد، والاعداد كلها شفع ووتر. وقيل: الوتر اللَّه عز وجل، الواحد، والشفـع جميع الخلق، خُلِقُوا أزواجاً.

﴿واللَّيْلِ إذَا يَسْرِ﴾: إذا مَضَى. سَرَى يَسْرِي، كما قال ـ عز وجل: ـ ﴿والليل إذَا أَدْبَرَ﴾، ويَسْر حذفت الياء لأنها رأس آية، وقد قرئت والليل إذَا يَسْري بإثبات اليـاء، واتبـاعُ المصحف وحـذف اليـاء أَحَبُّ إليَّ لأن القـراءة بـذلــك أكثـر، ورُؤُوس الآي فَوَاصِلُ تحذف معها اليَاءَاتُ وتدل عليه الكسرات.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾.

أي لذي عَقْل وَلُبٍّ، ومعنى القسم توكيد ما يَذْكُـر وتصحيحه بـأن يُقْسِم عليه.

وقوله :﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ﴾ .

قيل هما عادان عاد الأولى وَهي إرَم، وعاد الأخيرة، وقيل إرم أبو عـاد، وهـو عاد بن إرم، وقيـل إرم اسم لبلْدَتِهِمْ التي كانـوا فيهـا. وإرم لم تنصـرف لأنها جعلت اسماً للقبيلة، فلذلك فتحت وهي في موضع جر.

وقوله : ﴿ذَاتِ العِمَادِ﴾ .

أي ذاتِ الطُّولِ، يقال رجـل معمَّد إذا كـان طويلاً، وقيل﴿ذات العماد﴾ ذات البناء الطويل الرفيع.

وقوله :﴿وَثَمُودَالَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالوَادِ ﴾ .

جابوا قطعوا، كما قال عز وجل ـ ﴿وتنحتون من الجبال بُيُوتاً فارهين ﴾[١] .

﴿وَفِرْعَونَ ذِي الأَوْتَادِ﴾ .

فِرْعَون لم ينصـرف لأنه أعجمي، وقيـل ذي الأوتاد، لأنـه كان لـه أربَعُ أَسَـاطِين، إذا عـاقَب الانْسَـانَ ربط منـه كـلَّ قـائمـة إلى اسـطوانـة من تلك الأساطين. ومعناه ألم تر كيف أهلك ربك هذه الأمم التي كذبت رُسُلَها.

وكيف جعل عقوبتها أن جعل سـوطه الـذي ضربهم بـه العذاب فقـال: ﴿فَـصَـبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ .

وقوله تعـالى :﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾. أي يـرصـد من كفر بـه وعبد غيـره بالعذاب .

وقوله عز وجل :﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَـهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُـولَ رَبِّي أَكرَمَنْ ﴾ .

والمعنى إذا ما اختبره ربُّه وَأَوْسَعَ عليه فيقول رَبِّي أَكْرَمَنْ .

---

(١) سورة الشعراء /١٤٩ .

﴿وأمَّا إذَا ما ٱبْتَلاَهُ فَقَدَر عَلَيْه رِزْقَهُ﴾، أي جعل رزقه مَقدَّراً.

﴿فَيَقولُ رَبِّي أَهَانَن، كَلاَّ﴾.

أي ليس الأمر كما يظن الإنسانُ، وهَـذَا يُعْنَى به الكـافِرُ الـذي لا يُؤْمِنُ بالبَعْثِ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا، وَصِفَةُ المؤْمِنِ أنَّ الإِكْرَام عنده توفيق اللَّهِ إياه أي مـا يؤديه إلى حَظِّ الآخرةِ.

﴿كَـلاَّ بَلْ لاَ تُكْـرِمُونَ الْيَتِيمَ، ولا تَحُضُّـون﴾ ـ وَيُقْـرأُ ﴿تَحَـاضُّـونَ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾.

وكانوا يأكلون أَمْوالَ اليَتامَى إسرافاً وَبِدَاراً فقال:

﴿وَيأْكُلُونَ التُرَاثَ أَكْلاً لَمًّا﴾.

أي تراث اليتامى ﴿لَمًّا﴾ يُلِمُّون بِجَمِيعِه.

وقـوله: ﴿ وَتُحِبُّونَ المال حُبًّا جَمًّا ﴾.

أي كثيراً، والتراث أصله الـوُراث من وَرِثْتُ، ولكن التاء تبـدل من الوَاوِ إذَا كَانَتِ الواوُ مَضْمُومَةً، نحو تُراث وأصله وُرَاث ونحـو تجاه وأصله وجـاهِ من وَاجَهْتُ.

وقوله: ﴿كَلاَّ إذَا دُكَّتِ الأرض دَكًّا دَكًّا﴾.

إذا زلزلت فَدَكَّ بعضُهَا بَعْضاً.

﴿وَجَـاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّـا صَفًّا﴾[١]، والمعنى والمـلائكة كمـا قـال جـل ثَنَاؤُهُ: ﴿هلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ والمَلاَئِكَةُ﴾[٢].

---

(١) الملك اسم جنس.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٠.

وقوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾.

كما قال: ﴿وَبُرِّزَتِ الجحيم للغاوين﴾، وقيل في التفسير جيء بجهنم تُقَادُ بألف زِمَامٍ كل زمام في أيدي سبعين ألف مَلَكٍ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ﴾ يَوْمَئِذٍ يُظْهِرُ الانْسَانُ التَّوْبَةَ.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي ومن أين له الذكرى، أي التوبة.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، أي لدار الآخرة التي لَا مَوْتَ فِيهَا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ المعنى لَا يُعَذِّبَ عَذَابَ هذا الكافِرِ وعذاب هذا الصِّنْفَ مِنَ الكفار أَحَدٌ.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَه أَحَدٌ﴾.

ومن قرأ لا يُعَذِّبُ، وهو أكثر القراءة، فالمعنى لا يَتَوَلَّى يوم القيامَةِ عذاب اللَّه أَحَدٌ[1]، الملك يومئذ لِلَّه وَحْدَه - جل وعز، وقيل لا يعذب عَذَابه أَحَدٌ، أي عذاب اللَّه أَحَدٌ، فعلى هذا لا يُعَذِّبُ أحدٌ في الدنيا عَذَاب اللَّه في الآخرة.

وقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي﴾.

«أيُّ» تؤنث إذا دعوت بها مُؤَنَّثاً وَتُذَكَّرُ، تقول: يا أَيَّتُها المرأةُ، وإن شئت يا أيها المرْأةُ، فمن ذكَّره فلان «أيًا» مُبْهَمَةٌ ومن أَنَّث فَلأَنَّها مع إبْهَامِهَا قد لزمها الإعراب والإضافة، وزعم سيبويه أن بعض العرب تقول كُلتُهُنَّ في كُلُّهُنَّ.

والمطمئنة التي اطمأنت بالايمان وأخبتت إِلَى رَبِّهَا.

﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيةً مَرْضِيَّةً﴾.

---

(١) العذاب الذي يعذبه الله الكافرين.

أَصْلُ مَرْضِيَّةٍ مَرْضُوَّة أي راضية بما أتاها، قد رُضِيَتْ وَزُكِّيَتْ.

﴿فادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، في جملة عبادي المصطفين، وقـرئت فادْخُلي في عَبْدي.

﴿وادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

فعلى هذه القراءة - واللَّه أعلم - ادخلي إلى صـاحبك الـذي[1] خَرَجْتِ مِنه فادخُلي فيـه،. والأكثر في القـراءة والتفسير: فـادخلي في عبادي وادْخُلي جَنَّتِي.

(١) في الأصل التي.

سُورَة الْبَلَدِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾.

يعنى بالبلد ههنا مكة، والمعنى اقسم بهذا البلد، و«لا» أدخلت توكيداً كما قال عز وجل: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾، وقرئت لَأُقْسِمُ بهذا البلد. تكون اللام لامَ القسَم والتوكيد، وهذه القراءة قليلة، وهي في العربية بعيدة لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلَّا معه النون، تقول لأضربن زيداً، ولا يجوز لأضرِبُ تريد الحال، وزعم سيبويه والخليل ان هذه اللام تدخل مع أن فاستغنى بها في باب إن، تقول إني لأُحِبُّكَ.

ومعنى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَٰذَا﴾.

أُحِلَّتْ مَكَّةُ للنبي عليه السلام ساعة من النهار، ولم تحل لأحد قبله ولا لأحَدٍ بعده، ومعنى أحلت له أُحِلَّ لَه صَيْدُهَا وان يختلى خلالها وان يعضد شجرها.

يقال: رَجُلٌ حِلٌّ وَحَلَال وَمُحَلٌّ، وكذلك رجل حرام وحِرْمٌ وَمُحْرِمٌ.

وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

جاء في التفسير أن معناه آدم وولده، وجاء معناه أيضاً كل والد وكل مولودٍ.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

هذا جواب القسم، المعنى أقسم بهذه الأشياء لقد خلقنا الانسان في كبدٍ، أي يكابد أمره في الدنيا والآخرة، وقيل: في كبَدٍ أي خلق منتصباً يمشي على رِجْلَيْه وسائر الاشياء والحيوان غير منتصبة، وقيل في كَبَدٍ خَلْقُ الانسان في بَطْنِ أُمِّهِ ورأسه قِبَلَ رأسِها، فإذا أرادت الولادة انقلب الرأس إلى أسفل.

وقوله: ﴿أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْه أَحَدٌ﴾.

هذا جاء في التفسير أنه رجل كان شديداً جدًّا، وكان يبسط له الأديم العكاظِيّ فيقوم عليه فيهد فلا يخرج من تحت رجليه إلا قطعاً من شدَّتِه، وكان يقال له كلدة فقيل: أيحسب لشدته أن لن يقدر عليه أحَدٌ وأنه لا يبعث، وقيل أن لن يَقْدِرَ عليه اللَّه عز وجل لأنه كان لا يؤمن بالبعث.

﴿يَقُولُ أَهْلَكتُ مَالاً لُبَداً﴾.

وقرئت أهلكت مالاً لُبَداً، ويُقْرأ لُبَّداً. ومعنى «لُبَد» كثير بعضه قَدْ لُبِّدَ بِبَعْضٍ، وفُعَلٌ للكثرةِ، يقال: رَجُلٌ حُطَمٌ إذا كان كثير الحَطْمِ، ومن قرأ لُبَّداً فَهو جمع لاَبِدٍ.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

أي أيحسب أن لم يحص عليه ما أنفق، وفي الكلام دليل على أنه ادَّعَى أنه أنفق كثيراً لم ينفعهُ.

وقوله جل وعز: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، ولِسَاناً وشفتين وَهَدَيْنَاهُ النَّجدَيْنِ﴾.

أي ألم نَفعل به ما يُستَدَلُّ به على أن اللَّه قَادِرٌ على أن يبعثه وأن يحصَى عليه ما يعمله.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

الطريقين الْوَاضِحَيْن، النجـد المرتفـع من الأَرْضِ، فالمعنى ألم نعـرّفه طريق الخير وَطَرِيقَ الشَّرِّ بَيِّنَيْن كبيـان الطريقين العَالِيَيْنِ.

وقوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾.

المعنى فلم يقتحم العقبة كما قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾، ولم يذكر «لا» إلا مَرَّةٍ وَاحِدَةً، وقلما يتكلم العرب في مثل هذا المكان إلا بلا مرَّتين أو أكثر، لا تكـاد تقـول: لا حَيَّيتَني تـريـد مَـا حَيَّيْتَنِي، فـإن قلت: لا حَيَّيْتَني ولا زُرْتَني صَلَح.

والمعنى في ﴿فلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ﴾ موجود أن «لا» ثانية كـأنها في الكـلام لأن قـوله: ﴿ثُمَّ كَـانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُـوا﴾ تدل على معنى فـلا اقتحم العقبـة ولا آمن.

وقرئت: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ، أو إِطْعَامٌ في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، وقرئت فَكَّ رَقَبةٍ، أو أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذي مَسْغَبَةٍ، وكلاهما جائز، فمن قال فكُّ رَقَبَةٍ فالمعنى اقتحـام العقبـة فك رقبـة أو إطعـام، ومن قـرأ فَـكَّ رَقبـةً فهـو محمـول على المعنى، والمسغبة المجاعة.

وقوله: ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.

معناه ذا قرابة، تقول زيد ذو قرابتي وذو مقربتـي، وزيدٌ قرابتي قبيح لأن القرابة المصدر قال الشاعر:[1]

---

(١) قيل هو ابن لبيد العذري، وقيل هو الحرث بن جبلة، وقيل عبيد بن شريَّة (كعطية الجرهمي، قال: مررت بقوم يدفنون ميتاً لهم، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناي فتمثلت:

فاستقدر اللّه خيراً وارضين به فبينما العسر إذ تجرى مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي القريب عليه فقال له رجل: أتعرف من يقول هذا، إن قاتله هو الذي دفناه، وأنت الغريب تبكي عليه، وهذا الذي خرج من قبره أمسُّ الناس به رحماً وأسرهم بموته. =

يبكي الغـــريب عليـه ليس يعــرفــه وذو قــرابتُة فـي الـحــي مـســرور

وقوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

يعني أنه من فقره قد لصق بالتُّرَابِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

معنـاه إذا فعل ذلـك وكان عقـدة الايمان ثم أقـام على إيمانِه.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

أي على طاعة اللّه، والصبر عن الدخول في معاصيه، ثم كان مـع ذلك من الذين يتواصون ﴿بالمرحمة﴾، أولئـك أصحاب اليمن على أنفسهم أي كـانوا ميامين على أنفسهم غير مشاتيم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

أي هم المشائيم على أنفسهم، نعوذ باللّه من النار.

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾.

ويقرأ بغير هَمزٍ، ومعناه مطبقةٌ، يقال آصَدْتُ البَّابَ وأوصدته إذا أطبقته.

= انظر الاصابة ت ٦٣٩٥، وشواهد المغنى ١١٨، ٢٤٥ ط بيروت، وأخبار النحويين البصريين ت خفاجة ص ٢٤.

سورة والشمس
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.

هذا قسم وجوابه :﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، ومعناه لَقَدْ أَفْلَحَ ولكن اللام حذفت لأن الكلامَ طَالَ فصار طوله عوضا منها. ومعنى ﴿وضحاها﴾ وَضِيائِها، وقيل ضحاها النهار، وقرأ الأعمش وأَصْحَابُهُ ضحاها وتلاها وطحاها بالفتح، وقرأوا باقي السُّورة بالكسر. وقرأ الكسائي السورة كلها بالإمالة، وقرأها أبو عمرو بن العلاء بين اللفظين.

وهذا الذي يسميه الناس الكسر ليس بكسر صحيح، يسميه الخليل وأبو عمرو الإِمَالَةَ، وإنما كسر من هذه الحروف ما كان منها من ذوات الياء ليدلوا على أن الشيء من ذوات الياء. ومن فتح ضحاها وَتَلاَهَا وطحاها فلأنه من ذوات الواو، ومن كسر فلأن ذوات الواو كلها إذا رد الشيء إلى ما لم يسم فاعله انتقل إلى الياء، تقول قد تُلِيَ وَدُحِيَ وَطُحِيَ.

وقوله : ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا﴾.

معناه حين تلاها، وقيل حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور.

وقوله :﴿والنَّهارِ إِذا جَلاَّهَا﴾.

قالوا معناه إذَا جَلَّى الظلمة، وإن لم يكن في الكلام ذكر الظلمة فالمعنى يدل عليها كما تقول: أصبحت باردة، تريد أصبحت غُداتنا بَارِدةً وقيل: ﴿والنهار إذا جَلاَّها﴾ إذا بين الشمس لأنها تبين إذا انبسط النهار.

وقوله :﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾.

معناه والسماء وبنانها، وكذلك ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ معناه والأرض وطحوها،

وكذلك :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾.

وقيل معنى «ما» ههنا معنى «مَنْ» المعنى والسماء والذي بناها، ويحكى عن أهل الحجاز «سُبْحَانَ مَا سَبَّحْتُ لَهُ» أي سبحان الذي سبحت، وَمَنْ سَبَّحْتُ له. فأقسم اللَّه ـ عز وجل ـ بهذه الأشياء العظام من خلقه لأنها تدل على أَنَّه واحِدٌ والذي ليس كمثله شيء.

وقوله عز وجل:﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾.

قيل علمها طريق الفجور وطَرِيقَ الهدى. والكلام على أن أَلْهَمَها التقوى، وفَّقَهَا للتقوى، وأَلْهَمَها فُجورَهَا خذلها، واللَّه أعلم.

وقوله:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾.

أي قد أفلحت نفسٌ زَكَّاهَا اللَّهُ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

خابت نَفْسٌ دَسَّاها اللَّه، ومعنى «دَسَّاهَا» جعلها قليلة خَسِيسَةً، والأصل دَسَّسَهَا، ولكن الحروف إذا اجتمعت من لفظٍ واحِدٍ ابدَل من أحدها ياء، قال الشاعر:

تَقَضِّيَ البَازِي إذَا البَازِي كَسَرْ[1]

---

(١) تقدم

قالوا معناه تقضض.

وقيل: قد أفلح مَنْ زَكَّى نَفْسَه بالعمل الصالح.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾.

أي بطغيانها، وأصل «طَغْـواها» طَغْيَهَـا وَفَعْلَى إذا كانت من ذوات اليـاء أبدلت في الاسم وَاواً ليفصَل بين الاسم والصفـة، تقول: هي التّقـوى، وإنما هي مِنْ أَيقنتُ، وهي التقـوى وإنما هي من يقنت، وقـالوا: امـرأةٌ خَزْيـاً لأنها صفةٌ.

وقوله تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾.

﴿ناقةَ﴾ مَنْصُـوبٌ على معنى ذروا ناقـة اللَّه، كما قـال سبحانـه: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ في أَرْضِ اللَّهِ﴾، أي ذروا سقياها، وكان للناقةِ يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ في الشِّرْبِ.

﴿فكذَّبُوهُ﴾ أي فلم يوقنوا أنهم يُعَـذَّبُونَ حين قـال لهم فلا تمسـوها بسـوء فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿فَعَقَرُوهَا. فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ﴾.

معناه دَمْدَمَ عَلَيْهِمْ أطبق عليهم العَذَابَ، يقال: دَمْـدَمْتُ على الشيء إذا أطبقت عليه، وكذلك دَمَمْتُ عليه القَبْرَ وما أشبهه، وكذلِكَ ناقـة مَدْمُـومَةٌ، أي قد ألْبَسَها الشحم، فإذا كررت الاطباق قُلْتَ دَمْدَمْتُ عليه.

وقوله:﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

أكثر ما جاء في التفسير لا يخاف اللَّه تعالى تبعـةَ ما أَنـزل بِهِمْ، وقيل لا يخاف رَسُولُ اللَّهِ صَالِحُ عليه السلام الذي أرسل إليهم عُقْبَاهَا.

وقيل إذا انبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها.

سُورَةُ وَاللَّيْلِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهار إِذَا تَجَلَّى﴾.

هـذا قسم جـوابه ﴿إِنَّ سَعْيَكُم لَشَتَّى﴾، أي إن سَعْيَ المؤْمِنِ والكَـافِـرِ لمخْتَلِفٌ بينـهمـا بعـد، ومعنى إِذَا يَـغْشَـى الليـل الأرْضَ تـوارى الأُفُـقَ وجميع ما بين السماء والأرض، والنهار إِذَا تَجَلَّى إذا بان وظهر.

﴿وَمَـا خَلَقَ الذَّكر والأُنْثَى﴾.

كما فسَرناها في قوله: ﴿والسَّمَاءِ وَمَـا بَنَاهَـا﴾(١).

وقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى ﴾.

في التفسير أنها نزلت في أَبِي بَكْرٍ الصِّـدِّيقِ ـ رَحِمَه اللَّهُ ـ وكـان اشترى جماعة كان يعذبهم المشركون ليَرتدُّوا عن الاسلام فيهم بلال فـوصَفَـهُ اللَّه ـ عـز وجـل ـ على أنه أعْـطى تقوى، وصـدق بالحسنى، لأنـه يجازى عليـه، وقيـل صَدَّقَ لأنه يخلف عليه لقوله: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه.

وقال: ﴿فَسَنُيَسِّرهُ لِلْيُسْرَى﴾.

أي للأمر السهل الذي لا يقدر عليه أَحَدٌ إلَّا المؤمنين.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُه لِلْعُسْرَى﴾.

---

(١) سورة والشمس الآية ٥.

نزلت في رجل أكْرَهُ ذِكْرَهُ، وهي جامعة لكل مَنْ بَخِلَ وَكَذَّبَ لأن اللّه جل وعز يجازيه أو يخلف عليه.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، العذاب والأمرُ العَسِيرُ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾، قِيلَ إذا مات وقيل إفَا تردَّى في النَّارِ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾.

أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضَّلَال.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى، لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

﴿تَلَظَّى﴾ معناه تتوهج وَتَتَوقَّدُ، وَهذه الآية هيَ الَّتي مِنْ أَجْلِهَا قال اهل الارجاء بالارجاء، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر لقوله: ﴿لا يَصْلَاهَا إِلَّا الأَشْقَى الَّذي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وليس كما ظنوا، هذه نَارٌ مَوْصوفة بعينها لا يصلى هذه النارَ إلَّا الاشقى الَّذي كذَّبَ وَتولَّى، ولأهل النار منازل فمنها قوله: ﴿إِنَّ المُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. واللّه عز وجل كل ما وَعَد عليه بجنس من العذاب فَجائز أن يُعذِبَ به، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فلوكان كل من لم يشرك باللّه لا يعذب، لم يكن في قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾. فائدة، وكان يغفر ما دون ذلك.

وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

أي يطلب أن يكون عند اللّه زاكياً، لا يطلب بذلك رياءً، ولا سمعةً، ونزلت في أبي بكر - رضي اللّه عنه -.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾.

أي لم يفعل ذلك مجازاة لِيَدٍ أُسْدِيَتْ إليه.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلأَعْلَى ﴾.

اي إلاَّ طلب ثوابه.

وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

أي سوف يدخل الجنة كما قال: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

(١) سورة الفجر. الآية ٢٩ ـ ٣٠.

سورة وَالضُّحَى
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿والضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا﴾.

هذا قسم وجوابه مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلاَ، والضحى النهار، وقيل ساعة من ساعات النهار، وقوله إذا سجا معناه إذا سكن، قال الشاعر(١):

يا حبَّذَا القمراء والليل الساج ... وطرق مثل مُلاَءِ النسّاج

ومعنى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

أي لم يقطع الوحي عنك وَلاَ أَبْغَضَكَ، وذلك أنه تأخر الوحي عن رسول اللَّه ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال ناس من الناس: إن محمداً قد ودعه صاحبه وقلاه، فأنزل اللَّه عز وجل - ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ المعنى ما قلاك، كما قال: ﴿والذاكرين اللَّهَ كثيراً والذاكرات﴾ المعنى والذاكراته.

وقوله: ﴿أَلم يجدك يَتِيماً فَآوَى﴾.

وكان النبي عليه السلام يكفله عمه أَبُو طَالب.

وقوله: ﴿وَوَجَدك ضَالاًّ فَهَدَى﴾.

معناه - واللَّه أعلم - أنه لم يكن يدري القرآن ولا الشرائِع فهداه اللَّه

(١) البيت في اللسان (سجى) ومجاز أبي عبيدة ٢/٣٠٢ والطبري ٣١/١٢٧. ولم يذكر قائله.

إلى القرآن وشرائع الاسلام، ودليل ذلك قوله:﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾[1] وقال قوم: كان على أَمْرِ قَوْمِهِ أربعين سنة.

وقوله:﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، أي لا تقهره على ماله.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

أي لا تنهرهُ، إما أعطيته، وإما رددته ردّاً لَيِّناً.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

أي بلّغ ما أرسلت به وحَدِّثْ بالنُّبوَّة التي آتاك اللّه وهي أَجَلُّ النعم.

---

(١) سورة الشورى /٥٢.

سورة الشرح
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أي شرحناه للإسلام.

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾.

شأي وضعنا عنك إثمك أن غفر اللّٰه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

جعل ذكر رسول اللّٰه ﷺ مقروناً بذكر توحيد اللّٰه في الأذان وفي كثير مما يذكر اللّٰه جل وعز، يقول فيه: أشهد أن لا إله إلاّ اللّٰه، أشهد أن محمداً رسول اللّٰه.

وقوله: ﴿إِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾.

فذكر العسر مع الألف واللام ثم ثَنَّى ذكره، فصار المعنى إنَّ مع العُسْرِ يُسْرَيْنِ، وقال النبي عليه السلام: لا يغلب عسرٌ يُسْرَين، وقيل: لو دخل العسر جحراً لدخل اليسر عليه، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ كانوا في ضيقٍ شديدٍ، فأعلمهم اللّٰه أنهم سَيُوسِرُونَ وأن سَيُفْتَح عَلَيْهِمْ. وَأَبْدَلَهُمْ بالعُسْرِ اليُسْرَ.

وقوله: ﴿فإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾.

أي اجْعَل عينك إلى اللّٰه وحده.

سورة والتين
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾.

قيل التين دمشق والزيتون بيت المقدس، وقيل: التين جبل عليه دمشق، والزيتون جبل عليه بيت المقدس، وقيل والتين والزيتون جَبَلانِ، وقيل التين والزيتون هذا التين الذي نعرفه، وهذا الزيتون الذي نعرفُه.

و﴿طُورِ سِينِينَ﴾ جبل، وقرأ بعضهم و «طورِ سيناء»، وهذا القول - واللَّه أعلم - أشبه لقوله: ﴿وشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ﴾[1].

﴿وَهَـذَا البَلَدِ الأمِينِ﴾، يعني مكة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾، أي في أَحْسَنِ صُورَةٍ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾.

إلى أرذل العُمُر، وقيل إلى الضلال كما قال عز وجل:﴿إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلاَّ آلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحات﴾، وهو - واللَّه أعلم - أنْ خلق الخلق على الفطرة فمن كفر وضل فهو المردود إلَى أَسْفَلِ السَّافِلِين.

---

(١) سورة المؤمنون /٢٠.

﴿إلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي إلَّا هَؤُلَاءِ فَلم يـردوا إلى أسفل سافلين.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

أي لا يُمَنُّ عَلَيْهِمْ، وقيل غير ممنون غير مقـطوع، وجـواب القسم في قوله: ﴿والتِّينِ والزيْتونِ﴾ قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.

سورة العلق
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ ﴾.

جاء في التفسير أن أول آية نزلت من القرآن ﴿إقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ﴾.

وقوله: ﴿الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾. أي الذي علم الكتابة.

وقوله: ﴿كَلَّا إنَّ الإنْسانَ لَيَطْغَى . أنْ رَآه اسْتَغْنَى﴾.

هذه نزلت في أَبي جَهْلِ بنِ هِشَام، وكذلك:﴿أَرَأَيْتَ الَّذي يَنْهَى .عَبْداً إذَا صَلَّى ﴾.

لأن أبا جهل قال: إنْ رَأَيْتُ مُحمداً يُصَلِّي تَوَطَّأْتُ عنقه.

وقوله: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيَةِ﴾.

أي لَنُجَرَّنَّ ناصيته إلى النَّار، يقال: سَفَعْتُ بالشيء إذَا اقْبَضْتُ عليه وجذبته جَذْباً شديداً.

وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

وتأويله بناصيةٍ صَاحِبُها كاذب خاطئ، كما يقال فلان نهارُه صائم وليلُه قائم، المعنى هو صائم فِي نهاره وقائم في ليله.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.

معناه فليدع أهل ناديه، وهم أهل مجلسه، وَكَانُوا عَشِيرَتَـه أي فليستنصر بهم.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾

الزبانية الغلاظ الشداد، وَاحِدُهم زبينـة، وهم ههنا المـلائكة، قـال اللَّه عز وجل:﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُـودُهَا النَّـاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ﴾[1] وَهُمُ الزَّبَانِيَةُ.

﴿كَلاَّ﴾ أي ليس الأمر على ما عليه أبو جهل.

﴿لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾.

أي وتقرب إلى ربك بالطّاعة.

---

(١) سورة التحريم /٦.

سُورَةُ القَدْرِ

مدنية وقيل الصحيح مكيّة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾.

الهـاء ضمير القـرآن ولم يجر لـه ذكَر في أول السـورة ولكنه جـرى ذكره فيما قبلها، وهو قوله:﴿حمٓ والْكِتَابِ المُبِينِ إنّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾،وهي لَيْلة القَـدْرِ، ومعنى ليلَة القـدر ليلة الحكم قـال اللّه تعـالى :﴿فِيهَا يُفْـرَقُ كُـلُّ أَمْـرٍ حَكِيمٍ﴾.

نزل القرآن كله إلى السَّماء الدنيا في ليلة القَدْرِ، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في عشرين سنة. وقوله خير من أَلْف شَهْرٍ.

وقوله : ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

من ألف شهر ليس فيه لَيلةُ القَدْرِ.

وقوله:﴿تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾.

تنزل الملائكة بما يقضي اللّه عز وَجَل في ليلَة القدرَ للسنة إلَى أن تـأتيَ ليلةُ القَدْرِ، وقُرِئَتْ مِنْ كُلّ امْـرِئٍ، وهـذه القراءة تخـالف المصحف، إلاَّ أنها قد رويت عن ابن عباس.

وقوله:﴿سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ ﴾.

أي لا داء فيها، ولا يستطيع الشيطانُ أن يصنع فيها سَيِّئاً، والروح جبريل عليه السلام.

وقرئت مَطْلعَ الفَجْرِ، وَمَطْلِعَ الفَجْرِ - بفتح اللام والكسر - فمن فتح فَهُوَ المصدَرُ بمعنى الطلع. تَقُول: طلع الفجر طلوعاً وَمَطْلِعاً، ومن قال مَطْلِع فهو اسمٌ لوقت الطلوع وكذلك لمكان الطلوع، الاسم مَطْلِع بكسر اللام.

سُورَةُ القَيِّمَةُ

مَدَنية وقيل الصحيح مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ والمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾.

﴿المشركين﴾ في موضع جر عطف على أهل الكتاب، المعنى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين.

وقوله :﴿مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ﴾.

أي لم يكونوا منفكين من كفرهم، ومعنى منفكين منتهين عن كفرهم،

وقوله:﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو ﴾.

يرتفع على ضربين أَحَدُهُما على البَدَلَ مِنَ البَيِّنَةِ، المعنى حتى يأتيهم رسول من اللَّه، والضرب الثاني على تفسير البينة، والبينةُ

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرةً﴾.

أي مطهرة من الأدناس والباطل، قال اللَّه عزوجل: ﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾(١).

وقوله: ﴿فِيهَا كُتُب قَيِّمةٍ﴾.

---

(١) سورة عبس الآية ١٣ ـ ١٤.

أي كتب غير ذات عوج مستقيمة تُبَيِّنُ الحقّ من الباطل على الاستواء والبرهان.

قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البيِّنَةُ﴾.

أي ما تفرقوا في ملكهم وكفرهم بالنبي عليه السلام إلا من بعد ان تبيَّنوا أنه الذي وعدوا به في التوراة والانجيل.

﴿وَمَا أُمِرُوا إلَّا لِيَعْبُدوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ﴾.

أي يعبدونه مُوحِّدين له لا يعبدون معه غيره ﴿حنفاء﴾ على دين إبراهيم ودين محمد عليه السلام.

﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾.

أي يؤمنوا مع التوحيد بالنبي ﷺ ويقيموا شرائعه.

﴿وذَلِكَ دِينَ القَيِّمَةِ﴾.

أي وذلِكَ دين الأمة القيمَةِ بالحقِ فيكون ذلك دين الملَّةِ المستقيمة.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ البَرِيَّةِ﴾.

القراءة البرية بترك الهمزة، وقد قرأ نافع البريئة بالهمز، والقراء غيرُهُ مجمعُونَ على ترك الهمز، كما أجمعوا في النبي، والأصل البريئة، إلا أن الهمزة خففت لكثرة الاستعمال. يقولون: هذا خير البريِّةِ وشر البرِيِّةِ وما في البريَّة مِثْله، واشتقاقهُ من برأ اللَّه الخلق. وقال بعضهم: جائز أن يكون اشتقاقها من البَرَى وهو التراب، ولو كان كذلك لما قرأوا البريئة بالهمز، والكلام برأ اللَّه الخلق يبرؤهم، ولم يحك أحد براهم يبريهم، فيكون اشتقاقه من البَرَى وهو التراب(١).

وقوله: ﴿جنات عدن﴾: أي جنات إقامة.

---

(١) لم يقرأ أحد براهم حتى يمكن أن يكون مشتقاً من البرى.

سورة الزلزلة
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

إذا حركت حركة شديدة، والقراءة زِلْـزَالَها بكسر الزَاي، ويجوز في الكلام زَلْزَالَهـا، وقرئت زَلْـزَالَها، وليس في الكـلام فَعْلَال بفتح الفَاء إلاَّ في المضاعف نحو الزلزال والصَّلْصَال. والاختيارُ كَسرِ الزاي، والفتح جائز.

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

أخرجت كُنوزها وموتاهــا.

﴿وَقَــالَ الإِنْسَانُ مَالَها ﴾.

هذا قول الكافِرِ لأنه لم يكن يؤمن بالبعث، فقال: مَالَهـا، أي لأي شيء زلزالها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

﴿يَـوْمَئِذٍ﴾ منصـوب بقولـه: ﴿إِذَا زُلْزِلَت﴾، وأخـرجت، في ذلك اليـوم ومعنى ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، تخبرهُ بما عُمِلَ عليها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾.

أي يَصْـدُرون متفـرِّقينَ منهم من عمـل صـالحـاً ومنهم من عمـل شَــرًّا

والقراءة ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ويُرْوَى لِيَـرَوْا أعمالهم، ولا أعلم أَحَـداً قرأ بهـا، ولا يجوز أن يقرأ بما يجوز في العربية إذا لم يقرأ به من أُخِذَت عَنْهُ القراءة.

ومعنى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ تأويله أن اللَّه جل وعز قد أحصى أعمال العباد من خَيْرٍ، وكل يـرى عمله، فمن أَحَبَّ اللَّه أن يغفر لـه غَفَر لـه، ومن أحب أَنْ يُجَازِيَه جَـازَاهُ، وقيل من يعمـل مثقال ذرَّةٍ خَيـراً يَرَهُ في الـدنيا، وكذلك شَرًّا يره في الدنيا. واللَّه أعلم.

سُورَةُ والعَادِيات
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى : ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾ .

يعنى بالعاديات ههنا الخيل، وهذَا قسمٌ جوابه:﴿إنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ .

وقوله : ﴿ضَبْحاً﴾ .

معناه والعاديات تضبح ضبحاً، وضبحها صوت أجوافها إذا عَدَتْ .

فَالمُورِيَاتِ قَدْحاً .

إذا عدت الخيل بالليل وأصابت حوافرها الحجارة انقدح منها النيران .

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ .

يعنى الخيـل. وجاء في التّفسيـر أنها سَـرِيَّة كـانت لرسـول اللّه ﷺ إلى كندة .

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ .

النقع الغبارُ، فقال «بِهِ» ولـم يتقدم ذكر المكـان، ولكن في الكلام دَليـلٌ عليه، المعنى فأثرن بمكان عَدْوِهَا نَقْعاً أَيْ غُباراً .

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾ .

القراءة﴿فَوَسَطْنَ﴾ أي فتوسَّطْنَ المكان، ولوقال فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعاً لجازَتْ، إلاَّ أنّي لاَ أَعْلَمُ أَحداً قَرأَ بها .

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

معناه لكفورٌ، يعنى بذلك الكافِرُ.

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

معنى ﴿لَشَدِيد﴾ لَبخيلٌ، أي وإنه من أَجْلِ حُبِّ المال لبخيل، قال طرفة:

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلةَ مال الفاحش المتشَدِّدُ[1]

وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ما فِي القُبُور﴾.

بعثر وبحثر بمعنى وَاحِدٍ، والمعنى أفلا يعلم إذا بعث الموتى.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمئِذٍ لِخَبيرٌ﴾.

اللَّه عز وجل خبير بَهَم في ذلك اليوم وَفي غيره، ولكن المعنى إن اللَّه يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، وليس يجازيهم إلَّا بِعِلْمِهِ أعمالهم، ومثله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2] فمعناه أولئك الذين لا يترك مجازاتَهُمْ.

---

(١) البيت الرابع والستون من معلقته انظر شرح الزوزني ص ٦٣ (ط صبيح). ويعتام: يختار، والعقيلة الكرية، والفاحش البخيل، والمتشدد يمكن أن يكون بمعنى البخيل كما ذكر فيفيد المبالغة، ويمكن أن يكون بمعنى المبالغ في البخل وهو أقرب ويمكن أن تكون الآية.
وأنه لكثير الحب لجمع المال.

(٢) سورة النساء /٦٣.

سورة القارعة
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿القَارِعَةُ وَما القَارِعَةُ﴾.

القارعة والواقعة والحاقَّة مِن صفات ساعة القيامَةِ، والقارعة التي تقرع بالأهوال. وقد فسرنا إعراب ﴿الحَاقَّةُ ما الحَاقَّةُ﴾ ومِثلها ﴿القَارِعَةُ ما القارعة﴾.

وقوله:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرف، المعنى يكون يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، والفراش ما تراه كصغار البقّ يتهافت في النَّار، وشبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر، والفراش المبثوث لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعضٍ كالجراد الذي يموج بعضه في بعض.

وقوله :﴿كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾.

﴿العِهْنِ﴾ الصوف،واحدته عِهنة،يقالُ عِهْنة وعِهْنٌ، مثل صوفة وصوف.

وقوله:﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَفِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

ذات رِضًى، معناه من ثقلت موازينه بالحسنات، كما تقول: لفلان عندي وزن ثقيلٌ،تأويله له وزن في الخير ثقيل،ومعنى ﴿في عيشة راضيةٍ﴾ ذات رضى يرضاها من يعيش فيها، وقال قوم: معناه مَرْضِيَّةٍ، وهو يعود إلى هذا المعنى في التفسير.

وقوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾.

أي فَمَسْكَنَه النار، وقيل ﴿أُمُّه﴾ لَمَسْكِنِه لأن الأصل في السُّكونِ إلى الأُمَّهاتِ فَأُبْدَلَ فِيمَا يَسْكُنُ إلَيْه ﴿نَارٌ حَامِيَة﴾.

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾.

الوقف «هِيَه»، والوصل هي نار حَامِيَةٌ إلَّا أن الهاء دخلت في الوقف تبين فتحة الياء[1]، والذي يجب اتّباع المصحف فيوقف عليها ولا توصل، فيقرأ:﴿وما أدراكَ ماهيه. نارٌ حامية﴾،لأن السنة اتباع المصحف، والهاء ثابتة فيه[2].

(١) يريد: حيث دخلت هاء السكت وهي ساكنة فتحت الياء، إذ لم تعد الياء آخر الكلمة.

(٢) ويجوز الوصل ولكن ها السّكت باقية على ما هي عليه.

سورة ألهاكم
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

أي شَغَلكم التّكَاثُر بالأموال والأولاد عن طاعة اللّهِ.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾.

أي حتى أَدْرَككم الموت على تلك الحال. وجاء في التفسير أن حَيَّينِ من العرب، وهم بنو عبد مناف وبنو سهم تَفاخروا وتكاثروا، ففخرت بنو عبد مناف على بني سهم بأن عدوا الأحياء، فقالت بنو سهم: فاذكروا الموتى. وكَثَرَتْهُم بَنُو سهم بعد أن كان بنو عبد مناف قد كَثَرُوا بني سَهْمٍ[1].

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه، المعنى ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التَّكاثُرَ، والذي ينبغي أن يكونوا عليه طاعة اللّه والايمانُ بنبيه ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾.

المعنى لو علمتم الشيء حق علمه، وصرفتُم التفهم إليه، لارْتَدَعْتُم. ثم قال:

﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾.

(١) كثروهم زادوا عليهم في العدد.

كما قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. والقراءة لتروُنَّ - بضم الواو غير مهموزة - فضمت الواو لسكونها وسكون النون - وقد همزها بعضهم -لَترؤُنَّ- والنحويون يكرهون همزة الواو، لأن ضمتها غير لازمة لأنها حركت لالتقاء الساكنين، ويهمزون الواو التي ضمتها لازمة نحو أَدْؤُرٍ جمع دار، فيجوز أدؤر بالهمز وادور بغير الهمز، وأنت مخير فيهما، فأما «لَترؤنَّ» ثم لَتَرَوُنَّها فلا يختار النحويون إلّا ترك الهمزة، وقرئت: «لتُرَوُنَّ» الجحيم، على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

أي يوم القيامة، عن كل ما يتنعَم به في الدنيا، وجاء في الحديث أن النبي عليه السلام أكل هو وجماعةٌ من أصحابه تمراً -وروي بُسْراً[١]- وشربوا عليه ماء فقال: الحمد للّه الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين، . وجاء أن مما لا يسأل العبد عنه لباساً يواري سوْأَتَه وطعاماً يقيم به صلبه، ومكاناً يكنه مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ.

---

(١) البسر: بضم الباء - الغض من كل شيء - والتّمر قبل إرطابه، وقد تضم السين.

سورة والعصر
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ، إنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

الانسان ههنا في معنى الناس، كما تقول: قد كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس، تريد قد كثر الدراهم، وقوله: ﴿لفي خُسْرٍ﴾ الخسرُ والخسْرانُ في معنى وَاحِدٍ، المعنى أن الناس الكفارَ والعاملين بغير طاعة اللّٰه لفي خُسرٍ.

﴿إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بـالصَّبْرِ﴾.

تواصوا بالإقامة على تَوْحِيدِ اللّٰه والايمان بنبيه عليه السلام.

وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ على طاعة اللّٰه والجهاد في سبيله والقيام بشرائع نبيه.

والعصر هو الدهر، والعصران اليوم، والعصرُ الليلة، قال الشاعر:

ولـن يَلْبـثَ العَـصْـرانِ يَـومٌ وليـلةٌ　　إذَا طلبـا أَن يُـدرِكـا مَـا تـيمّمـا[1]

---

(١) نسبه في البحر المحيط ٨/٥٠٩ لحميد بن ثور، وهو مذكور في ميمية المتلمس، وانظر الخزانة ٤/٢١٥ والعيني ٤/٤١١، والقرطبي ٢/١٧٩، وطبقات النحويين ٣٣. والاصمعيات ١/٦٤ والقصيدة بالديوان ١٦٦، قال أبو عمرو وكانت العرب إذا أرادوا أن ينشدوا هذه القصيدة توضأوا لها. والمعنى أن الأيام تأتي مع كل شيء.

﴿وَالعَصْرِ﴾ قسم وجوابه ﴿إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، وقال بعضهم: معناه ورَبَّ العصر كما قال جل ثناؤه: ﴿فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ﴾[1].

(١) سورة والذاريات الآية ٢٣.

الهُمَزَة[1]
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ مرفوع بالابتداء والخبر ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ ولو كان في غير القرآن جاز النصب، ولا يجوز في القرآن لمخالفة المصحف. فمن قال: ويْلًا للكافرين، فالمعنى جعل اللَّه له ويلاً، ومن قال: وَيْلٌ فهو أجود في العربية لأنه قد ثبت له الويل، والويل كلمة تقال لكل من وقع في هلكة.

والهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ الذي يغتاب النَّاسَ وَيَعَضُّهم قال الشاعر:[2]

إذا لقيتك عن كره تكاشرني   وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وقرئت: ﴿الذي جَمَّعَ مَالاً﴾، وقرئت ﴿جَمَعَ مَالاً﴾، بالتخفيف، وقرئت ﴿وَعَدَّدَه﴾ بالتشديد، وقرئت ﴿وَعَدَدَهُ﴾ ـ بالتخفيف، فمن قرأ ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ فمعناه وَعَدَّدَهُ للدُّهور، ومن قرأ ﴿وَعدَدَهُ﴾ فمعناه جمع مالاً وَعَدَداً، أي وقوماً أَعَدَّهم نُصَّاراً.

---

(١) كذا في الأصل بدون ذكر سورة.

(٢) في اللسان (همز): إذا لقيتك عن شحط ـ وفي مجاز أبي عبيدة ٤٣١١/٢، «تدلى بودي إذا لاقيتني كذبا».

وانظر القرطبي ١٨٢/٣٠، والطبري ١٦١/٣٠.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَه أَخْلَدَهُ﴾.

أي يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يَمُوتَ.

وقوله: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ﴾.

أي يرمى به في النار، والحُطَمَةُ اسم من اسماء النار، وقرئت «لَيُنْبَذَانِّ» في الحطمةِ، ورويت عن الحسن، على أن المعنى لينبذنَّ هو وماله في الحُطَمَةِ، وقرئت لَتَنْبُذُنَّ، في الحطمة، فمعناه أنه لينبذ هو وجمعُه في الحطمة. والقراءة المعروفة ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾.

قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأفئِدةِ﴾.

هذه نار معدة لهؤلاء الكفار ومن كان مثلهم، ومعنى ﴿تطَّلِعُ عَلَى الأفْئِدَةِ﴾ يبلغ ألمها وإحْرَاقُها إلى الأفئدة.

وقوله: ﴿إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾.

قرئت بالهمز وبغير همز، وقرئت مُوصَدَة، والعرب تقول أَوْصَدْتُه فعلى هذا مُوصَدَةٌ، وتقول آصَدْتُه فعلى هذا مُؤْصَدَة. بالهمزة، ومعنى «مُوصَدَةٌ» مطبقة، أي العَذَابُ مطبَقٌ عليهم.

وقوله: ﴿في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾.

وقرئت في عُمُدٍ وهو جمع عَمَادٍ وَعُمَد وَعُمُد، كما قالوا: إهَابٌ وَأُهَبٌ وأُهُبٌ. ومعناه أنها في عُمَد مِنَ النَّارِ.

سورة الفيل
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كيف فَعَلَ رَبُّك بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾.

﴿كيف﴾ في موضع نصب بـ ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾ لا بِقَوْله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، لأن كيف من حروف الاستفهام، ومعنى ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم، فأعلم اللَّه - عز وجل - رسوله ما كان مما سَلَفَ من الأقاصيص وما فيه دَالٌّ على توحيد اللَّه وتعظيمه أمر كعبته، وكان من قصة أصحاب الفيل أَنَّ قوماً من العرب - وكانوا ببلاد النجاشي - وكانوا بحضرة بيت هو مُصَلًّى للنَصَارَى وأصحاب النجاشي، فأججوا ناراً استعملوها لبعض ما احتاجوا إليه، ثم رحلوا ولم يطفئوها فحملتها الريح حتى أَحْرَقَتِ البَيْتَ الذي كان مصلاهم وَمَثَابةً للنجاشي وَأَصْحَابِه، فقصد مكة مُقَدِّراً أَنْ يَحرقَ بيت الحَرَامَ ويستبيح أهل مكة. فلما قربوا من الحرم لَمْ تَسِرْ بهم دَوَابُّهم نحو البيتِ فإذا عطفوها راجعين سَارَتْ. فوعظهم اللَّه بِأَبْلَغ مَوْعظةٍ، فأقاموا على قصد البيت وعلى أن يحرقوه، فأرسل اللَّه عليهم طَيراً أَبابيل، فجعل كيدهم في تضليل، أي في ذهاب وهلاك، وكان مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره وحَجران في رجليه، يقع الحجر منها على رأس الرجل فيخرج من دبره على كل حجر اسم الرجل الذي وقع عليه، فقال اللَّه جل ثناؤه: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيراً أَبَابِيلَ﴾: جماعات من ههنا وجماعات من ههنا والمعنى أرسل اللَّه عليهم هذا الطير بهذه الحجارة من كل جانب.

ومعنى ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

وصف اللَّه في كل من عَذَّبه بالحجارة أَنَّها مِنْ سِجِّيلٍ، فقال في قوم لُوطٍ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾.

فالمعنى وأرْسَل عليهم ما يرميهم بحجارة من سِجِّيل، أي من شديد عَذَابه، والعرب إذا وصفت المكروه بسِجِيلٍ كأنها تعني به الشدَّةَ ولا يوصف به غير المكروه، قال الشاعر(٢).

ورَجْلَةٍ يضربون البَيْضَ ضَاحِيَةً ضَرْباً تَوَاصَتْ به الأبْطَالُ سجِّيلاً

أَيْ ضَرْباً شَدِيداً.

وأما ﴿أبابيل﴾ قال أبو عُبَيْدَةَ: لا واحد لها، وقال غيره: إبَّالةٌ وَأَبابيل. و «إبَّالَة» كأنها جماعة، وقَالَ بَعْضُهم واحدها «إبَّوْل» وأبابيل، مثل عجول وعجاجيل.

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

أي جعلهم كورق الزرع الذي جُزَّ وأكل، أي وقع فيه الآكال. وجاء في التفسير أن اللَّه تعالى أرسل عليهم سيلاً فحملهم إلى البحر.

---

(١) سورة هود /٨٢.

(١) تقدم.

سورة قريش
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾.

فيه ثلاثة أوجه: لِإِلَافِ قريش، ولإِيلاف قريش، ووجه ثالث «لِإِلْفِ قُرَيْشٍ». وقد قرئ بالوجهين الأولين.

وقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ. رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ﴾.

يجوز فيه ما جاز في «لِإِيلَافِ» إلَّا أَنَّه قد قرئ في هذه «إِلْفِهِمْ» و «إيلافهم» ويجوز إِلَافِهِم. وهذه اللام قال النحويون فيها ثلاثة أوجه، قيل هي موصولة بما قبلها، المعنى فجعلهم كعصف مأكول لالف قريش، أي أهلك اللَّه أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قَد أُلِفُوا من رحلة الشتاء والصيف.

وقال قوم: هذه لام التعجب فكان المعنى اعجبوا لايلاف قريش.

وقال النحويون الذين ترتضى عربيتهم: هذه اللام معناها متصل بما بعد فليعبدوا، والمعنى فليعبد[1] هؤلاء ربّ هذا البيت لِإِلْفِهِمْ رحلة الشتاء والصيف.

والتأويل أن قريشاً كانوا يرحلون في الشتاء إلى الشام وفي الصيف إلى

---

(١) في الأصل فليعبدوا هؤلاء.

اليمن فيمتارون، وكانوا في الرحلتين آمنين والناس يتخطفون، وكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا نحن أهل حرم اللَّه فلا يتعرض لهم. فأعلم اللَّه سبحانه أن من الدلالة على وحدانيته ما فعل بهؤلاء لأنهم ببلد لا زرع فيه وأنهم فيه آمنون. قال اللَّه - جل ثناؤه - ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[1] أي يؤمنون بالأصنام ويكفرون باللَّه -عزوجل- الذي أنعم عليهم بهذه النِّعْمَةِ، فأمرهم بعبادته وحده لِأَنْ آلَفَهُم هاتين الرحلتين.

﴿وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾.

وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيف.

﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

آمنهم من أن يخافوا في الحرم، ومِن أَنْ يخافوا في رحلتهم يقال: أَلِفْت المكان آلفه إلفاً، وآلفت المكان بمعنى ألفت، أولِفهُ إيلافاً.

---

(١) سورة العنكبوت /٦٧.

سورة الدين
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ ﴾.

وقرئت «أَرَيْتَ»! والاختيارُ أَرَأيت بإثبات الهمزة الثانية لأن الهمزة إنَّما طرحت للمستقبل في ترى ويرى وأرى، والأصل ترأى ويَرأى، فأما رأيت فليس يصح عن العرب فيها ريت، ولكن ألف الاستفهام لما كانت في أول الكلام سَهَّلَت إلقاء الهمزة، والاختيار إثباتها.

وقوله: ﴿يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾.

معنى يدُع في اللغة يدفع، وكذلك قوله:﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي يدفعون إليها دفعاً بعنف، فذلك الذي يَدُعُّ اليَتِيمَ عن حَقِّه.

وقوله: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ ﴾.

أي لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطْعَامِه، ويقرأ فذلك الذي يَدَعُ اليتيم، تأويله فذلك الذي لا يعبأ باليتيم ويتركه مهملاً وقوله:﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾.

يُعْنَى بهذا المنافقون، لأنهم كانوا إنَما يراءون بالصلاة إذَا هُمْ رآهم المؤمنون صلوا معهم، وإذا لم يروهم لم يصلوا، وقيل هم عن صلاتهم

ساهون يؤخرونها عن وقتها، ومن تعمَّد تأخيرها عن وقتها حتى يدخل وقت غيرها فالويل له أيضاً كما قال اللّٰه عز وجل.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾.

أي يمنعون ما فيه منفعة، والماعون في الجاهلية ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقَدَّاحَة وكل ما انتفع به من قليل أو كثير، قال الأعشى:

بأجوَدَ منه بماعونه إذَا ما سماؤهمو لم تُغِمْ[1]

والماعون في الاسلام قيل هو الزكاة والطاعة، قال الراعي.

قوم على الإسلام لما يمنعوا ما عونهم ويضيعوا التهليلا[2]

(١) في اللسان المراد بالماعون هنا متاع البيت وكل ما يعار. والظاهر من البيت أن المراد به ماعون الطعام ـ لأن انقطاع الغيم وقلة المطر مهيىء للمجاعة وتحوج الناس للطعام.

والبيت في اللسان (معن) والطبري ٣٠/١٧٥، والقرطبي ٢٠/٢١٤. ومجاز أبي عبيدة ٢/٣١٣. من قصيدته في مدح معاوية الأكرمين.

(٢) من لاميته التي في آخر ديوان جرير- ويروى البيت أيضاً قوم على التنزيل ـ وهو في القرطبي في الآية نفسها مع بيتين من القصدة. والمراد بالتهليل كله لا إله إلا اللّٰه. ويروى التنزيلا ـ أي القرآن.

سورة الكوثر
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾.

جاء في التفسير أن الكوثر نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، حافَّتَاه قباب الدر، مجوف، وجاء في التفسير أيضاً أن الكوثر الاسلام والنبـوّةُ. وقال أهـل اللغة: الكـوثر فـوعل من الكثـرة، ومعناه الخيـر الكثيـر. وجميع ما جاء في تفسير هذا قد أعطيه النبي عليه السلام. قد أعطي الاسـلام والنبوة وإظهار الدين الذي أتى به على كل دين والنصـر على عدوه والشفـاعة، ومـا لا يحصى مما أعـطيه، وقـد أعطي من الجنـة على قـدر فضله على أهـل الجنة.

ومعنى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾.

أي وانحر أيضاً لربك، وقيـل يعنى به صـلاة الغداة في يـوم النحر، أي وانحـر بعد صـلاة الفجر، والأكثـر فيما جـاء «فَصَلِّ لِرَبك وانْحَرْ» صـلاة يـوم الأضْحَى ثم النحر بعد الصلاة. وقيل فصل لربك وانحر أي اجعل يمينـك على شمالك إذا وقفت في الصلاة وضمهما إلى صدرك(١).

(١) في الأصل وضمها ـ والمراد اجعل يـدك اليمنى فوق يـدك اليسرى مضمـومتين إلى صـدرك ـ وهذا بعيد عن نص الآية.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

﴿شانئك﴾ مبغضك وهذا هو العاص بن وائل دخل النبي عليه السلام وهو جالس فقال: هذا الأبتر، أي هذا الذي لا عقب له، فقال اللّٰه تعالى: إن شانئك يا محمد هو الأبتر. فجائز أن يكون هو المنقطع العقب، وجائز أن يكون هو المنقطع عنه كل خير، والبتر استئصال القطع.

سورة الكافرين(1)
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّها الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدَ مَا تَعْبُدونَ، وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ ما أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا [عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ]﴾.

أي لست في حالي هذه عابداً ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم.

أي ولا أعبد فيما أُستَقْبِل ما عبدتم، ولا انتم فيما تستقبلون عابدون ما أعبد - فهذا نفي الحال، وأن يكون أيضاً فيما يستقبل، ينتقل عن الحال، وكذلك نفى عنهم العبادة في الحال للّه عز وجل وفي الاستقبال. وهذا واللّه أعلم في قومه، أعلمه اللّه أنهم لا يؤمنونَ كما قال عز وجل في قصة نوح:﴿لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾.

قيل هذا قبل أن يؤمر ﷺ بالقتال.

---

(1) هكـذا جاءت في الأصـل - على أن الكـافرين مضـاف إليه مجـرور. والأولى ن تأتي عـلى الحكايـة «الكافرون» كما في المصاحف.

سورة النصر
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ ﴾.

قيل إن الفتح كَمَا جاء في التفسير أنه نعيت إلى النبي ﷺ نفسه في هذه السورة. فأعلم [اللَّه ـ عز وجل ـ] أنه إذَا جَاء فتح مكة ودخل الناس في الاسلام أفواجاً فقد قرب أجله ﷺ وكان يقول ذلك إنه قد نعيت إلى نفسي في هذه السورة.

فأمره اللَّه عز وجل أن يكثر التسبيحَ والاستغفار ليختم له في آخرِ عمره بالزيادة في العمل الصالح باتباع ما أمره به.

ومعنى: ﴿أفواجاً﴾ جماعات كثيرة، أي بعد أن كانوا يدخلون وَاحِداً واحِداً، واثنين اثنين، صارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام.

سُورَة تبَّتْ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

معناه خسرت يدا أبي لهب، وَتَبَّ أي خسِرَ.

وجاء في التفسير أن النبي ﷺ دعا عمومته و

فقالوا: أحدنا وحده يأكل الشاة وإنما قدم إلينا

جميعاً ولم يُنْقَص منها إلا الشيء السير، فقالوا: ما

لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وإنما تَتَفاض

لهب: تبًّا لك ألهذا دعوتنا؛ فأنزل اللّه عز وجل: ﴿تَبَّتْ

وقوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

المفسرون قالوا: ما كسب ههنا ولَدُه. مـ

أغنى عنه ماله وكسبه.

﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾

أي وولده سيصلى ناراً ذات لهب. ويقرأ سَيُصْ

﴿وامْرَأَتُه حَمَّالَةُ الحَطَبِ﴾.

ويقرأ حمالةَ الحطب - بالنصب - وامرأتـ

العطف على ما في «سيصلى» المعنى سيصلى ه

الحطب﴾ نعْتاً لها. ومن نصب فعلى الذم، والمعنى ـي ـ ـ ـ ـ .

ويجوز رفع وامرأته على الابتداء وحمالة من نعتها، ويكون الخبر ﴿في جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾ خبر الابتداء.

وجاء في التفسير حمالة الحطب أنها أم جميل وأنها كانت تمشي بالنميمة قال الشاعر:[1]

من البيض لم تُصْطَدْ على ظَهر لأمَةٍ ولم تمس بين الحي بالحطب الجزل

أي بالنميمة.

وقيل إنها كانت تحمل الشوك، شوك العضاة فتطرحه في طريق النبي ﷺ وأصحابه.

وقوله عز وجل: ﴿في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾.

الجيد العنق، وقيل في التفسير: ﴿حبل مِنْ مَسَدٍ﴾. سلسلة طولها سَبْعُونَ ذراعاً، يعنى أنها تسلك في السلسلة سبعون ذراعاً[2]، والمسد في لغة العرب الحبل إذا كان من ليف المقل[3]، وقد يقال لما كان من أدبار الأبل من الحبال مَسَدٌ، قال الشاعِرُ:

ومسد أُمِرَّ مِن أَيانق[4]

---

(١) اللامة اللوم ـ ولم تصطد ـ لم تُلْفَ. لم تر. من شواهد الكشاف/١٨.

(٢) هكذا جاءت العبارة في الأصل ـ ونقل صاحب اللسان عن الزجاج في تفسير هذه الآية: جاء في التفسير أنها سلسلة طولها سبعون ذراعاً يسلك بها في النار، والجمع أمساد ومساد. ثم نقل كلامه هنا أيضاً ـ انظر اللسان (مسد).

(٣) المقل هو شجر الدوم.

(٤) نقل اللسان عن ابن سيده ان المسد حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود الابل أو من أوبارها. قال: وأنشد الأصمعي لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: هو لعقبة الهجيمي:

فاعجل بغرب مثل غرب طارق ومسد أمر من أيانق

يريد حبلا فتل من جلود نوق ليست من النيب ولا من الحقائق ـ والنيب والانياب جمع ناب وهو البعير الذي انشق نابه، والحقائق جمع حقة وهي التي دخلت السنة الرابعة، وليس جلدها قويا. فهو يريد مسدا فتل من جلد ابل ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة. وجاء في مجاز أبي عبيدة:

ومسد أمر من أيانق صهب عناق ذات مخ زاهق

والمخ الزاهق هو المكتنز ـ وذكر الطبري هذين البيتين اللذين ذكرهما أبو عبيدة.

سورة الإخلاص
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

بتنوين أَحَدٍ، وقرئت بترك التنوين «أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ» وقرئت بإسكان الدال. وحذف التنوين، أما حذف التنوين، فلالتقاء الساكنين أيضاً، إلا أنه سكون(١) الساكنين، فمن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ فقال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وأما «هو»، فإنما هو كناية عن ذِكْرِ اللَّه عز وجل. المعنى الذي سألتم تبيين نِسْبَته «هو اللَّه»، وأحد مرفوع على معنى هو أحد هو اللَّه فهو مبتدأ ويجوز أن يكون «هو» للأمر(٢) كما تقول هو زَيد قَائِمٌ ، أي الأمر زيدٌ قائم، والمعنى الأمر اللَّه أَحَدٌ.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

رُوِيَ في التفسير أن المشركين قالوا للنبي ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل اللَّه عز وجل :﴿قل هو اللَّه أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، وتفسير الصمد السَيد الذي ينتهي إليه السُّؤدَدُ قال الشاعر(٣):

---

(١) بياض بالأصل ولم نجد ما نكمله منه.

(٢) للحال والشأن.

(٣) هو سبرة بن عمرو الاسدي، ويقال: انه لهند بنت معبد تبكي عمها وفي الأغاني أنها لنادبة الغربيين ـ وخيرهما معروف. وانظر الأغاني ٢٢/٩٢ (ط دار الكتب) ـ والخزانة ٤/٥٠٩، والطبري ٣٠/١٩٧ واللسان (صمد).

لقـد بكَّرَ النـاعِي بخيـري بني أَسـد   بعمـرو بن مَسعود وبـالسّيـد الصَّمَـد

وقيل الصمد الذي لا جوف له، وقيل الصمد الذي صَمَـدَ له كـل شيء والذي خلق الاشياء كلها، لا يستغنى عنه شيء وكلها تدل على وحدانيته وهذه الصفات كلها يجوز أن تكون لله عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

فيها أربعة أوجه في القراءة.

﴿كُفُواً﴾[١] بضم الكاف والفاء، وكُفْواً بضم الكـاف وسكون الفـاء وكِفْـواً بكسر الكاف وسكون الفاء. وقد قرىء بهـا. وكِفَاء بكسـر الكاف. والكفـء ـ بفتح الكاف وسكون الفاء اسم[٢]. لم يقـرأ بها، وفيهـا وجه آخـر لا يجوز في القراءة. ويقال فلان كُفـءُ فلان مثل كُفِيّ فلان.

جاء في الحديث أن ﴿قل هو اللّه أحد﴾ تعدل بثلث القرآن، و ﴿قُلْ يـا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن، و ﴿إذا زلزلت﴾ تعدل نصف القرآن.

---

(١) سقطت كلمة غير ظاهرة الكتابة في الأصل.

(٢) من كفأه صار له نظيراً.

سورة الفلق
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾.

وهو فلق الصبح وهو ضياؤه[1]، ويقال أيضاً فرق الصبح. يقال: «هو أبين من فلق الصبح». ومعنى الفلق الخلق: قال اللّه عز وجل: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾[2] ﴿فَالِقُ الحَبِ والنَوى﴾[2]. وكذلك فلق الأرض بالنبات والسحاب بالمطر، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن خلقه أكثره عن انفلاق. فالفلق جميع المخلوقات وفلق الصبح من ذلك.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

﴿غاسق﴾ يعنى به الليل، إذا وقب إذا دَخل، وقيل لليل غاسقٌ ـ واللّه أعلم ـ لأنه أبرد من النهار، والغاسق البارد.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ﴾.

﴿النفاثات﴾ السواحر، تنفث: تتفل بلا ريق كأنه نفخ كما يفعل كل من يرقى.

---

(١) في الأصل وضيائه.

(٢) هما آيتان متتاليتان سورة الأنعام الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ والنوَى﴾ آية ٩٥، و﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ آية ٩٦.

تنبيه: لم يرد تفسير لسورة الناس.

سورة النَّاس (*)
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿الوَسْوَاسِ﴾ : هو الشيطان، يقال وسوس في صدره ووسوس إليه، والوسوسة الكلام الخفي في اختلاط، والوسواس اسم منه ـ وفسرت هنا بأن المعنى من شرِ ذي الوسواس، أي الشيطان. فيكون الوسواس مصدراً، وهذا الوزن يأتي في المضعف نحو زلزال وهو قليل من غيره نحو تحنان.

﴿الخَنَّاسِ﴾ : صيغة مبالغة من خنس بمعنى انقبض وتأخر، والمصدر خنوس ـ كجلوس والمادة كلها تدور على هذا الأصل؛ فالنجوم الخُنَّسُ هي التي تخنس عن مجراها وتختفي بضياء الشمس، وفي الحديث: الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر اللَّه خنس، أي انقبض وتأخر، والخنس في الأنف تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة.

﴿والجِنَّةِ﴾ الجن، وسبق اللفظ كثيراً.

وذكر الجنة والناس للاستعاذة بكل ما يوسوس بسوء سواء كان من الشياطين أو الأناسي.

(*) سبق أن الزجاج لم يفسر هذه السورة، وكرهنا أن ندعها بدون تفسير فشرحنا هذه الكلمات شرحاً لغوياً قريباً من طريقته.

والحمد للَّه الذي هدانا لهذا، وما كنا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا اللَّه.

وصلى اللَّه على سيدنا محمد النبيِ الأمي وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه.

مراجع التحقيق والشرح

الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي.

أخبار النحويين البصريين: للسيرافي.

الإرشاد ـ معجم الأدباء: لياقوت الحموي.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر.

الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر.

الأصمعيات: مجموع أشعار العرب: للأصمعي.

الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني.

أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن حمزة.

الأمالي الصغرى للزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق.

أمالي القالي: أبو علي القالي.

أمالي المرتضى: أبو القاسم علي بن طاهر.

إنباه الرواة على انباه النحاة: للقفطي أبو الحسن علي بن يوسف.

بغية الوعاة في طبقات النحاة: للسيوطي.

البيان والتبيين: للجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر.

تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين المرتضى.

طبقات الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي.

جمهور أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب.

الحماسة: لأبي تمام حبيب بن أوس شرح التبريزي.

خزانة الأدب: لـ عبد القادر البغدادي.

دواوين الشعراء:

الأعشى (الصبح المنير).
ديوان امرىء القيس من الدواوين الستة في كتاب «العقد الثمين»
ديوان جرير شرح بعناية محمد الصاوي.
ديوان حسان بن ثابت.
ديوان زهير بن أبي سلمة: شرح ثعلب.
ديوان طرفة: من الستة (العقد الثمين).
ديوان الهذليين.
شرح العشر المعلقات، وقصائد للأعشى والنابغة وعبيد بن الأبرص: للزوزني.
شرح الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ورغبة الآمل: للمرصفي.
شرح المفضليات.
شرح شواهد الكشاف.
شرح شواهد المغني: للسيوطي، ولمحمد الأمير.
العقد الثمين: دواوين الشعراء الستة الجاهليين، النابغة، عنترة، طرفة، زهير، علقمة، امرىء القيس.
العقد الفريد: لابن عبد ربه.
غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري (للمستشرق برجستراسر).
المزهر في علوم اللغة: للسيوطي.
معاني القرآن: للفراء.
كتاب سيبويه. بهامشه شرح الأعلم الشنتمري.
مجاز القرآن: لأبي عبيدة كتاب سيبويه. نسخة أخرى بتحقيق عبد السلام هارون.
معاهد التنصيص: عبد الرحيم العباسي.
المفضليات: للضبي مع عدد من الشروح.
وفيات الأعيان.

الفهارس

البحوث اللغوية

فهرس الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات

فهرس الموضوعات